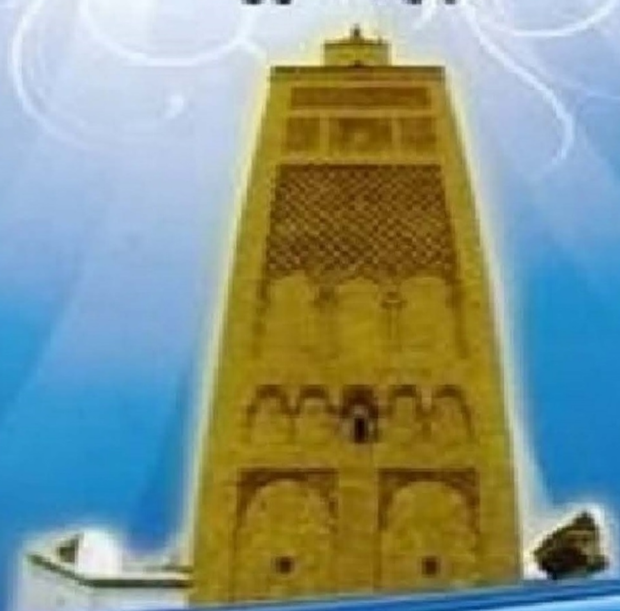
بوزياني الدراجي

أدباء وشعراء من تلمسان

الجزء الأول








الناشيء

أدباء وشعراء من تلمسان

بوزياني الدراجي

الجزء الأول

(نسخة منقحة)





صـــدر هـــذا الكتـاب بدعـم مــن وزارة الثقافــة في إطــار الصنــدوق الوطـــني لترقيــة الفنـــون والآداب

Cet ouvrage a été publié avec le soutien du Ministère de la Culture, dans le cadre du Fonds National pour la Promotion et le Développement des Arts et des Lettres.

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر

هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 1193 ــ 2011

ردمك: 2 ــ 46 ــ 858 ــ 9961 ــ ISBN 978



بسم اللّٰه الرّحمٰن الرّحيم

الإهــدا

أهدي هذا الكتاب الذي اشتمل على تراجم نخبة رائعة من أدباء وشعراء تلمسان، وضمّ بين صفحاته نصوصاً شعرية ونثرية في قمة الجمال.. أهديه: إلى أبنائي شباب الجزائر المتطلع باحترام إلى ماضيه الذهبي، والناهض بمستقبله المشرق في مثابرة وإصرار. ولعل إهدائي لهم هذا الكتاب؛ يحفزهم على التقرب من تراث موطنهم الغني بالإبداع الجميل، والإنتاج الأدبي الرفيع؛ ذلك الإنتاج؛ الذي انتشر في ربوع الأرض شرقاً وغرباً؛ فملاءها سحراً وعطراً وحبوراً.

بوزياني الدراجي

مقدمة

تحتل **تلمسان**؛ مكانة مرموقة بين مدن المغرب الأوسط كلها؛ إذ تعد أحد المراكز المشعة بالعلم والأدب والفنون؛ منذ عهود موغلة في القدم. أضف إلى ذلك؛ ما حباها الله به من جمال الطبيعة المشرقة، وعذوبة الماء الغزير، وطيب الغذاء الوفير، وصفاء الهواء العليل.

ونظراً للمكانة الحيوية النابضة لهذه المدينة، وموقعها الحصين، وثراء محيطها الجغرافي؛ فقد منحها الله شرف السيادة والسُّمُو؛ حيث غدت منذ أقدم العصور سدّة للحكم، وقلعة حصينة للأمراء والملوك. وبحكم هذا كله؛ أضحت **تلمسان** مركز إشعاع للعلوم والآداب والفنون؛ تشع بأنوارها على البلاد المغربية كلها.

وعليه؛ فقد نما وتألق – في هذه المدينة العريقة – جمع غفير من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء والمتصوفين؛ الذين نشروا معارفهم ومآثرهم في ربوع الأرض كافة؛ غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً.

وبالمقابل؛ فقد جذبت **تلمسان** إليها واستقطبت نخبة جليلة من علماء المغرب كله والأندلس؛ أين وجدوا بيئة خصبة مستنيرة هيَّأت لهم الظروف المواتية لنشر علومهم، وبعث إبداعاتهم.

ومن هنا؛ رُوعِي – في إعداد هذا الكتاب – اتِّباع منهج؛ يلتزم بأن يشتمل على كل ما تم جمعه من عيِّنات تخص أدباء **تلمسان** وشعراءها؛ الذين أثمروا وأبدعوا – خلال القرون ما بين: السادس منها والعاشر الهجري – سواء كانوا من سكانها الأصليين المقيمين فيها، أو من أهلها المهاجرين عنها، أو من الوافدين إليها والمستقرين بها. كما يدخل في الاهتمام – هنا أيضاً – كل من أبدع وكتب في محيط وأحواز هذه المدينة الغراء؛ ولا يقتصر الأمر على حَيِّز ضيق يُحَدُّ بأسوار المدينة المذكورة.

اتُبِعَ هذا المسلك؛ لأن تلك العصور الأولى؛ تختلف عما يُعْرَف الآن؛ من نظرة ضيقة للوطن؛ وما يفهم من أحوال مستجدة؛ كالجنسية القطرية، والانتماء إلى الوطن المحدد بالحدود الحالية. لذا فقد كان أهل ديار الاسلام كلهم من جنسية واحدة؛ جنسية المسلمين.

وعليه؛ فكل الذين ينتقلون من مسقط الرأس؛ إلى موضع آخر؛ يختارونه كي يكون سكناً لهم، ومستقرهم، وموضع عيشهم؛ يمكن اعتباره موطناً ينتسبون إليه. وهذا لا يمنع انتسابهم أيضاً إلى البلد الذي ولدوا فيه. فذلك يثري عملية التنويه بصاحب الترجمة والتذكير به في حلات متعددة. وهو ما يفسر انتساب كثير من الأعلام والعلماء إلى أكثر من بلد واحد في المؤلفات الحديثة. وهذا ليس عيباً؛ بل هو فعل محمود.

هذا؛ وقد اتُبِعَ ـ في هذا المجال ـ طريقاً؛ يُحْرَصُ من خلاله على ذكرهم بالتوالي؛ حسب الترتيب الزمني العام (القرن الهجري)؛ وتبعاً لحروف المعجم؛ ضمن كل فترة زمنية (قرن) على حدة. لهذا؛ سيتم تقسيم أبواب هذا الكتاب زمنياً؛

الأقـــدم فالأحـــدث؛ دون ســـرد الموضـــوع؛ طبقـــاً لتاريـــخ الوفـــاة أو الميـــلاد؛ أو بحـــروف المعجـــم بشكـــل شامـــل.

وقـــد خُصِّـــص الجـــزء الأول لدراســـة تاريخيـــة؛ تناولـــت تاريـــخ تلمســـان والتعريـــف بهـــا؛ منـــذ نشأتهـــا علـــى يـــد الرومـــان؛ ثـــم العصـــر الونـــدالي، والعصـــر البيزنـــطي؛ وانتهـــاء بالعصـــر الإســـلامي؛ أيـــن أضحـــت هـــذه المدينـــة مركـــز إشعـــاع سيـــاسي وعلـــمي. وغـــدت بعدهـــا عاصمـــة لدولـــة ســـادت علـــى المغـــرب الأوســـط كلـــه.

أمـــا الأجـــزاء الأخـــرى؛ فقـــد تضمنـــت تراجـــم أدبـــاء ولشعـــراء تلمســـان؛ بشكـــل موســـع بعـــض الـــشيء؛ حبـــاً في المزيـــد مـــن الفائـــدة، ورغبـــة في تمكيـــن القـــراء مـــن معرفـــة أكبـــر قـــدر مـــن المعلومـــات عنهـــم؛ مـــع الاستفـــادة مـــن أبداعاتهـــم الأدبيـــة والشعريـــة الـــتي سَيُنْشَـــر كـــل مـــا عثـــر منهـــا؛ مصحَّحَـــة ومحققـــة. وبذلـــك سيضـــحى هـــذا الكتـــاب ــ بحـــول اللـــه ــ بمثابـــة الموسوعـــة الـــتي ستشمـــل جـــلّ مـــا عـــرف عـــن أدبـــاء وشعـــراء تلمســـان عبـــر العصـــور المحـــددة لـــه.

أمـــا بقيـــة العلمـــاء؛ والمتصوفـــة ــ ممـــن تعـــذر علينـــا العثـــور علـــى مـــا أبدعـــوه مـــن شعـــر، أو نصـــوص أدبيـــة ــ فقـــد تمـــت الإشـــارة إليهـــم في الجـــزء الأول؛

ضمن الفترات الزمنية؛ التي حكمت فيها أهم الدول والإمارات تلمسان. خاصة وأن جُلَّ علماء ومتصوفي تلمسان؛ كانوا في الأصل من الأدباء والشعراء. لذا فقد تحتم التعرض لهم، والإشارة إليهم دون التقيد بعرض نصوصٍ لإبداعاتهم الأدبية والشعرية؛ إذ تُرِكَ هذا الأمر للباحثين من الشباب؛ لعلهم يحظون بما وقفنا عنده. والله هو الموفق والمعين.

بوزياني الدراجي
الجزائر في 2011/11/2

****

نقد المصادر والمراجع

على الرغم من شح المعلومات وصعوبة الوصول إليها؛ فقد حظي مؤلف هذا الكتاب بما توفر لديه من مصادر ومراجع تاريخية وأدبية تعالج مواضيع تخص البلدان المغربية كلها والأندلس؛ فاتضح أن تلك المصادر والمراجع لا تخلوا من فوائد جليلة. ولهذا نذكرها تباعاً أهمها؛ مرتبة حسب مدى تناولها للموضوع المطلوب:

ـ 1)ـ كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى بن خلدون (ت: 780هـ/1378م). إذ يتميز هذا المصدر ـ عن غيره من المصادر بالدقة؛ خاصة الجزء الثاني منه؛ لأن مؤلفه كان كاتباً للسرّ؛ في بلاط السلطان **أبي حمو موسى الثاني**؛ فاعتبر ـ عندئذ ـ شاهد عيان، ومعايشاً لجلّ الأحداث التاريخية التي ورد ذكرها في هذا الجزء بالذات من الكتاب.

صنف **يحيى بن خلدون** كتابه في جزأين اثنين: عالج في أولهما أصول قبيل **بني عبد الواد** وأخبارهم ومواطنهم والكيفية التي وصل بها الملك إليهم؛ من خلال تدرجهم في الصعود من مرتبة رئاسة القبيلة إلى مرتبة أسمى؛ وهي سدة الملك والسلطان. وبعدها تولى صاحب هذا الكتاب الحديث ـ ضمن أبواب مختصرة ـ عن أخبار سلاطين الدولة؛ بدءاً بأول الملوك الزيانيين ومؤسس دولتهم **يَغمْرَاسَنْ بن زيان**؛ وانتهاء بالعهد الذي تولى فيه الأخوان: **أبي سعيد عثمان وأبي ثابت الزعيم؛ ابني عبد الرحمان بن يحيى بن يَغَمْرَاسَنْ بن زيان** شئون الدولة. إذ سقطت في وقتهما الدولة الزيانية للمرة الثانية؛ وبذلك انقطع بهما حكم الأسرة الثانية من بني زيان. حقق هذا الجزء ـ في بداية الأمر ـ المستشرق الفرنسي **ألفرد بل** .Bel, A. O (1873 ـ 1945م)؛ ونشره **بالجزائر** سنة 1321هـ/1903م. ثم أعاد **عبد الحميد حاجيات** تحقيق هذا الجزء **بالجزائر** سنة 1400هـ/19801م. وذلك برعاية المكتبة الوطنية الجزائرية. وقد اشتمل الجزء الأول من كتاب بغية الرواد على معلومات جليلة؛ خصصت **لتلمسان** ومحيطها الجغرافي وعلمائها وحكمائها والمتصوفين

بها. وبذلك يعتبر كتاب **يحيى بن خلدون** المصدر الأساس في هذا الموضوع؛ إذ نقل عليه كثيرون ممن اعتنوا بموضع **تلمسان** وعلمائها.

أما **الجزء الثاني** فهو خاص بالفترة التي حكمت فيها الأسرة الزيانية الثالثة؛ ممثلة بالسلطان **أبي حمو موسى (الثاني) ابن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان.** قام بتحقيق هذا الجزء ـ أيضاً في بداية الأمر ـ **ألفرد بل**؛ الذي طبع الجزأين بمطبعة **فونطانة بالجزائر:** أين أنجز الجزء الأول سنة 1321هـ/1903م. بينما تم طبع الجزء الثاني سنة 1328هـ/1910م بالمطبعة نفسها. وقد أعاد نشر الجزء الثاني ـ بعد التعليق عليه والتقديم له ـ **بوزياني الدراجي**؛ ضمن منشورات **دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع**؛ بالجزائر سنة 2007م؛ في إطار سنة **الجزائر** للثقافة العربية. وقد اشتمل الجزء الثاني من بغية الرواد ـ إلى جانب موضوع التاريخ السياسي والعسكري للفترة التي حكم فيها **أبو حمو موسى الثاني ابن يوسف** ـ على نصوص في غاية الأهمية لأدباء وشعراء عاصروا هذه الفترة. بالإضافة إلى ما أبدعه هذا السلطان الأديب والشاعر المجيد من شعر

ونشـر. كمـا تضمـن الكتـاب أيضـاً معلومـات مفيـدة تخـص الحيـاة الثقافيـة في **تلمسـان:** الفنيـة منهـا والعمرانيـة؛ ثـم الأدبيـة والعلميـة عمومـاً. لـذا فقـد وجـب التنويـه بمـا قدمـه كتـاب بغيـة الـرواد مـن فائـدة معتبـرة.

ـ 2)ـ كتـاب زهـر البستـان في دولـة بـني زيـان، لمؤلـف مجهـول الهويـة. وهـو مخطـوط تـم تصويـره عـلى ((ميكـرو فيلـم))؛ نقـلا عـن إحـدى المكتبـات البريطانيـة **بمانشيستـر.** **The John rylands University library of Manchester** (وهـذه النسخـة المخطوطـة مسجلـة في تلـك المكتبـة تحـت رقـم **MS 283. (796).**

وقـد كـان لمؤلـف هـذا الكتـاب شـرف تحقيـق **زهـر البستـان في دولـة بـني زيـان؛** في انتظـار نشـره عمّـا قريـب بحـول اللـه. علمـاً بـأن **زهـر البستـان** يتألـف أساسـاً مـن ثلاثـة أجـزاء؛ تـم العثـور ـ حـتى الآن ـ عـلى الجـزء الثـاني فقـط؛ بينمـا تعـذر العثـور عـلى الجزأيـن: الأول والثالـث. ويستـدل عـلى أنهمـا كانـا موجوديـن فعـلاً؛ بمـا ذكـره صاحـب الكتـاب نفسـه في الجـزء الثـاني المتوفـر حاليـاً؛ حيـث أشـار في بدايـة الجـزء الثـاني إلى الجـزء الأول منـه؛ كمـا أشـار كذلـك في نهايـة هـذا الجـزء إلى الجـزء الثالـث. ويبـدو؛ أن

مؤلف **كتاب زهر البستان في دولة بني زيان** كان من معاصري السلطان **أبي حمو الثاني ابن يوسف**. وبذلك؛ يحتل هذا المصدر الأهمية نفسها التي اختص بها **كتاب بغية الرواد**. غير أن فقدان الجزء الأول والجزء الثالث يجرده من مزايا عديدة؛ إذ ينحصر موضوعه ضمن فترة زمنية محددة بخمس سنوات من عمر هذه الدولة (وبالتحديد خلال فترة قصيرة من عهد **أبي حمو الثاني**). وهو ما ثبت في ذلك الجزء؛ الذي تبدأ أحداثه بسنة 760هـ/1358م. وتنتهي بسنة 765هـ/1363م. على أن كتاب **زهر البستان** لا يخلو من فوائد جمة؛ على الرغم من صغر الفترة الزمنية التي تناول أحداثها؛ إذ شُحِن بتفاصيل هامة؛ تتعلق بالسلطان **أبي حمو موسى الثاني**، وبلاطه الزاخر بالنشاط والحيوية. من ذلك؛ ما تضمنه الكتاب من شواهد، ومواضيع أدبية، وأشعار للسلطان **أبي حمو**، وبعض الأدباء والشعراء المعاصرين له. وواضح أن مؤلف **زهر البستان** كان من بين الذين خدموا في بلاط السلطان **أبي حمو**؛ على غرار كُتّاب آخرين مثل: **يحيى بن خلدون** وغيره. ولكنه يبدو أمام هذا الأخير محدود الحصيلة، وشحيح الذخيرة؛ كما أن أسلوبه يميل إلى

أساليب الرواة في عرض الأحداث. المهم أن هذا الكتاب ــ وإن فقدت أجزاؤه الأخرى ــ قد احتوى على شواهد ونصوص أدبية وشعرية هامة؛ بل ثمة نصوص لم يذكرها صاحب بغية الرواد. بالإضافة إلى أنه اهتم بالتفصيل الصغيرة؛ التي تجاهلها يحيى ابن خلدون. ويستشف من خلال سرد صاحب **زهر البستان** للأحداث؛ أنه سبق **يحيى بن خلدون** في التواجد ببلاط **أبي حمو**؛ لأنه أورد في كتابه خبر قدوم **يحيى بن خلدون إلى تلمسان**؛ بصفته سفيراً لأمير **بجاية**. وقد حدث هذا ــ بالطبع ــ قبل أن يلتحق **يحيى** بالبلاط **الزياني**. أما ناسخ هذه النسخة من مخطوط زهر البستان؛ فَيُدْعَى: **الحبيب بن يخلف بن جلول بن العيد الفرادي**؛ المولود في **غريس** بنواحي **معسكر** الحالية. قال إنه فرغ من نسخه صبيحة يوم الجمعة؛ الخامس عشر من شهر المحرم، في غرة عام 1235هـ؛ لصالح **مسلم بن عبد القادر خوجة**؛ ثم لمن شاء الله بعده؛ هبة أو شراء. وهكذا؛ فإن أجزاء كتاب **زهر البستان في دولة بني زيان** الأخرى ضاعت؛ كما ضاعت كتب

أخرى تعالج الموضوع نفسه. ولعل تتبع آثار الناسخ المذكور، ومن نسخ له؛ يأتي بفائدة.

والجدير بالذكر هنا؛ أن بعض الكتاب والعلماء سبق أن ألفوا كتباً عن دولة **بني زيان**؛ منهم على سبيل المثال الفقيه القاضي **سعيد العقباني**؛ في تاريخه عن هذه الدولة. ولكنه ضاع واندثر؛ وقد ذكره الرحالة والمؤرخ المغربي **أبو القاسم الزياني** في كتابه "الترجمة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً". إذ يقول أنه اطلع على كتاب **العقباني** ــ مع غيره من الكتب ــ حينما زار ضريح الصوفي الشهير **أبي مدين شعيب**.

ــ 3)ــ كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك؛ للسلطان **أبي حمو موسى (الثاني) ابن يوسف** (723هـ/1323م ــ 791هـ/1388م). وهو كتاب تربوي أدبي سياسي؛ ألفه هذا السلطان؛ في شكل وصايا أخلاقية، وسياسية، وعسكرية؛ موجهة إلى ولي عهده. حيث اقتبس ــ بتصرف ــ بعض فقراته من كتاب **((سراج الملوك)) للطرطوشي**، وكتاب **((العقد الفريد)) لابن عبد ربه**، وكتاب **((المنهج المسلوك في سياسة الملوك)) لعبد الرحمن بن عبد الله**، وكتاب **((سلوان المطاع في عدوان الاتباع)) لمحمد بن ظفر**

المالكي.[1] أما بقية فصول كتابه؛ فهي عبارة عن بعض الآراء السياسية، والنصائح العسكرية؛ التي تعبر عن أفكار السلطان الزياني الخاصة؛ ورؤيته لشئون الحكم والسياسة، ورأيه في الشئون العسكرية والتكتيك الحربي، بالإضافة إلى الشئون المالية، والإدارية للدولة. أضف إلى كل ذلك؛ أن هذا المصدر؛ قد اشتمل على عدد لا بأس به من القصائد التي نظمها هذا السلطان. ومن خلال ذلك كله؛ يتجلى الأسلوب الأدبي الجليل للسلطان **أبي حمو الثاني**، ومكانته العلمية الرفيعة. وعليه؛ فكتاب **واسطة السلوك**؛ له مكانة خاصة هنا؛ لأنه يقدم ـ بصدق ودقة ـ صورة واضحة للمكانة العلمية والأدبية التي يتحلى بها السلطان **أبو حمو موسى الثاني**.

وقد تم الاعتماد على نسختين من هذا المصدر: أحدهما مخطوطة، والأخرى مطبوعة. فالأولى هي النسخة المخطوطة التابعة للمكتبة الوطنية الجزائرية؛ المصنفة تحت رقم 1374، أما النسخة الثانية؛ فهي مطبوعة بمطبعة الدولة التونسية؛ بتونس

[1] أنظر تفاصيل ذلك في مقالة ((النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني))؛ للدكتورة وداد القاضي، المنشورة بمجلة الأصالة؛ عدد: 27؛ من السنة الرابعة.

سنة 1279هـ/1862م. والاعتماد هنا يتم أولاً على النسخة المخطوطة؛ لأنها أكمل وأوفى؛ بينما تستغل النسخة المطبوعة في المقارنة والتصحيح بقدر الإمكان.

ـ 4)ـ كتاب نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان؛ لأبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت: 899 هـ/1493م). كان **التنسي** كاتباً لدى السلطان الزياني **محمد المتوكل بن محمد أبي زيان بن أبي ثابت بن أبي تاشفين بن أبي حمو موسى الثاني**؛ الذي تولى الحكم في تلمسان (من سنة 866هـ/1461م إلى سنة 873هـ/1468م). وهو من الكتاب الأدباء؛ ذوي الباع الطويل في صناعة الإنشاء والتأليف في المجال الأدبي. أكمل **محمد التنسي** ما وقف عنده الأخوان: **عبد الرحمن بن خلدون ويحيى بن خلدون**. لذا فقد عومل هذا المصدر بالمعاملة نفسها المخصصة لكتاب بغية الرواد. وقد صنف **التنسي** كتابه هذا ضمن خمسة أقسام؛ بُوِّب كل قسم منها إلى عدة أبواب. غير أن الذي له علاقة بالموضوع هنا؛ لا يتعدَّى الباب السابع من القسم الأول. وما تبقى فهو تأليف أدبي خارج عن نطاق الاهتمام في هذا المجال. وعلى هذا؛ فقد اقتصر العمل على الباب السابع

المذكور؛ وبالتحديد على نسخة منه مصورة في (ميكرو فيلم)؛ منقولة عن المخطوط المغربي المحفوظ بالخزانة العامة بالرباط؛ تحت رقم: 444[1]. وقد قام محمود بوعياد بتحقيق هذا الباب؛ ونشره فيما بعد برعاية المكتبة الوطنية الجزائرية؛ تحت عنوان: ((تاريخ **بني زيان** ملوك **تلمسان**))؛ وذلك سنة (1405هـ/1985م).

ومن مميزات هذا المصدر؛ أنه يضيف معلومات جديدة بالنسبة لما ورد في كتب: **العبر، وبغية الرواد، وزهر البستان، وواسطة السلوك.** إذ أنه يكمل ما انتهى عنده مؤلفو تلك المصادر. باشتماله على نصوص أدبية عديدة؛ منها قصائد شعرية لشعراء في البلاط الزياني؛ بالإضافة إلى قصائد نظمها بعض سلاطين الدولة.

---

[1] تفضل المرحوم السيد محمود بو عياد ـ مشكورا ـ عندما كان مديرا للمكتبة الوطنية الجزائرية بإعطائي نسخة من "الميكرو فيلم " المذكور.

ـ 5)ـ كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان؛ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف المليتني المديوني التلمساني؛ الملقب **بابن مريم؛** (كان حياً سنة 1025هـ/1611م)؛ حقق هذا الكتاب **محمد بن أبي شنب؛** وطبعه بالمطبعة الثعالبية **بالجزائر** سنة 1326هـ/1908م. وفي هذا الكتاب؛ جمع مؤلفه معلومات هامة عن علماء **تلمسان،** ورجال الفكر فيها. واستقى بعض أخبارهم من كتاب **بغية الرواد.** والفائدة المجناة منه؛ تتلخص في تقصي أخبار بعض الأدباء والشعراء التلمسانيين.

ـ 6)ـ كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء الزمان؛ لأبي مدين شعيب وآخرين؛ تحقيق عبد الحميد حاجيات، ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، سنة 1974م. يشتمل هذا الكتاب على قصائد وأزجال نظمها مجموعة من المتصوفين؛ بما فيهم أبو مدين شعيب نفسه. لهذا فالكتاب المذكور قيم جداً ومفيد.

ـ 7)ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون (732هـ/1331م ـ 808 هـ/1405م). والطبعة المعتمدة

هنا؛ هي التي نشرت بعناية دار الكتاب اللبناني؛ **ببيروت** 1967 ـ 1968 ـ 1977م. وينحصر ما تم استغلاله من هذا الكتاب الضخم؛ ضمن مجلدين هما: السادس والسابع. وأهم ما يستفاد من كتاب العبر في هذا الباب هو ما ورد في المجلدين: السادس والسابع من أخبار عن تلمسان، وعن الدول التي استولت عليها؛ بالإضافة إلى ما ورد فيه عن حياة **عبد الرحمن بن خلدون** ورحلاته؛ ثم حديثه عمن تعرف عليهم من علماء **تلمسان**؛ بالإضافة إلى القصيدة التي نظمها السلطان الزياني **أبو زيان محمد بن أبي حمو موسى الثاني**، وأرفقها مع هدية إلى السلطان **برقوق** بالقاهرة. وقد نقل **محمد بن تاويت الطنجي** هذا الباب الأخير كله؛ واجتثه عن سياقه في المجلد السابع؛ ثم نشره بعد تحقيقه تحت عنوان **((التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً))**. وجملة القول؛ فقد تمت الاستفادة هنا بالذات من المجلد السابع؛ ومما نشره **محمد بن تاويت**؛ خاصة وأن **عبد الرحمن بن خلدون** استكمل ما انقطع بعد ممات أخيه **يحيى**.

ـ 8)ـ **كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً؛ لأبي زيد عبد الرحمن بن خلدون.** حقق هذا الكتاب الأستاذ **محمد بن تاويت الطنجي،** ونشره بواسطة لجنة التأليف والترجمة والنشر **بالقاهرة** سنة 1370هـ/1951م. وهذا الكتاب ـ في حقيقة الأمر ـ مستخرج من المجلد السابع من كتاب **العبر؛** وتتمثل فائدته ـ بالإضافة إلى ما فيه من معلومات عن أدباء وعلماء تلمسان ـ في التعاليق، والتحقيق الذي أعده الأستاذ **الطنجي.**

ـ 9)ـ **كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة.** للسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب. (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م). هذا الكتاب عبارة عن موسوعة أدبية اشتملت على معلومات تاريخية وجغرافية هامة تخص الأندلس؛ بالإضافة إلى ما تضمنته من معلومات ونصوص أدبية في غاية الأهمية؛ تخص علماء وشعراء من **تلمسان.** وأشهر طبعات كتاب الإحاطة هي الطبعة التي حققها **محمد عبد الله عنان.** تليها الطبعة التي حققها **يوسف علي طويل.** وأخيراً الطبعة التي راجعها وقدمها وعلق عليها **بوزياني الدراجي؛** بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية في سنة 2009م.

وما يهم الباحث من كتاب الإحاطة في هذا المجال؛ هي المعلومات الخاصة بعلماء وأدباء وشعراء تلمسان؛ وهي موزعة على عدد من أقسام الكتاب؛ مثل القسم الأول؛ الذي يشتمل على ترجمتي: إبراهيم بن أبي بكر بن عبد الله الأنصاري التلمساني. وإدريس (المأمون) ابن يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي. ثم المجلد الثاني؛ الذي يحتوي على ترجمة: أبي عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد بن علي بن داود المقري التلمساني (الجد). ثم المجلد الثالث؛ حيث تتواجد تراجم كل من: محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، ومحمد بن خميس بن عمر بن محمد الحجري التلمساني، ومحمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني، ومحمد بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد الأنصاري التلمساني. ثم المجلد الرابع الذي يشتمل على تراجم كل من: السلطان أبي حمو موسى الثاني ابن يوسف، وعبد الله بن فارس بن زيان العبد الوادي التلمساني، والسلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، والشاعر الزاهد عبد الرحمن بن يخلفتن.

ـ 10)ـ كتاب نفح طيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب؛ لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ/1631م)؛ حققه **إحسان عباس**؛ ونشر بواسطة دار صادر **ببيروت**؛ سنة 1388هـ/1968م. وهذا المصدر عبارة عن موسوعة أدبية وتاريخية لبلاد **الأندلس والمغرب**. وقد أفاد مؤلف هذا الكتاب كثيراً؛ خاصة في التعرف ببعض أدباء وشعراء وعلماء تلمسان.

ـ 11)ـ كتاب أزهار الرياض في أخبار عياض؛ لأبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني؛ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. ونشر بواسطة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة 1939م. يشبه هذا المصدر كتاب نفح الطيب؛ إذ يعتبر بدوره موسوعة أدبية تتناول ما أنتجه المغاربة والأندلسيون من تراث أدبي نثري وشعري. وفوائده في هذا المجال كبيرة جداً.

ـ 12)ـ كتاب فوات الوفيات؛ لمحمد بن شاكر الكتبي (ولد في حدود 686هـ/1287م. وكان حيا سنة 764هـ/1362م). وضع كتابه هذا كذيل لكتاب وفيات الأعيان؛ بعد أن لاحظ إغفال ابن خلكان لتراجم

بعــض الخلفــاء والأعيــان. وكتــاب محمــد بــن شاكــر هــذا؛ مخصــص ــ في عمومــه ــ إلى أعيــان المشــرق؛ حــتى وإن اشتمــل عــلى تراجــم بعــض الأندلسيــن. والفائــدة المجنــاة مــن كتــاب فــوات الوفيــات ــ في هــذا المجــال ــ يمكــن حصرهــا ضمــن ترجمتيــن اثنيــن: الأولى في المجلــد الثــاني؛ وتتعلــق بعفيــف الديــن سليمــان بــن عــلي بــن عبــد اللــه الكــومي التلمســاني؛ المعــروف بالعفيــف التلمســاني. أمــا الترجمــة الثانيــة فــفي المجلــد الثالــث؛ وتخــص ولــد سليمــان المذكــور؛ وهــو شمــس الديــن محمــد بــن سليمــان عــلي بــن عبــد اللــه الكــومي التلمســاني؛ المعــروف بالشــاب الظريــف.

ــ 13)ــ كتــاب المــن بالإمامــة عــلى المستضعفيــن بــأن جعلهــم اللــه أئمــة وجعلهــم الوارثيــن؛ لعبــد الملــك بــن محمــد بــن أحمــد بــن محمــد بــن إبراهيــم البــاجي المعــروف بصاحــب الصــلاة (تــوفي في حــدود 594هــ/1198م). نشــر هــذا الكتــاب بعــد تحقيقــه: عبــد الهــادي التــازي؛ ونشــره بواسطــة دار الأندلــس ببيــروت سنــة 1964م. ويشتمــل هــذا المصــدر عــلى عينــات أدبيــة عديــدة؛ لهــا فائــدة معتبــرة.

ـ 14)ـ كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب؛ لعبد الواحد المراكشي (كان حياً سنة 613هـ/1216م)؛ حقق الكتاب محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي؛ ونشرته المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة سنة 1949م في طبعته الأولى. تنحصر أهمية هذا الكتاب هنا فيما ورد من معلومات ونصوص أدبية وأشعار تخص عبد المؤمن بن علي وأولاده. وقد أفاد المؤلف.

ـ 15)ـ كتاب الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة؛ لإبن سعيد أبي الحسن علي بن موسى الأندلسي (610هـ/1213م ـ 685هـ/1286م)؛ تحقيق إبراهيم الإبياري، ونشر دار المعارف بمصر سنة 1945م. لهذا الكتاب أهمية خاصة؛ لأنه ترجم لبعض أدباء وشعراء تلمسان؛ وأورد من أشعارهم عينات في منتهى الأهمية؛ خاصة وأن ما ورد في هذا الكتاب مفقود في مصادر أخرى.

ـ 16)ـ كتاب الحلل الموشية في الأخبار المراكشية: نسبه بعضهم إلى **لسان الدين بن الخطيب**؛ حسب النشرة **التونسية** سنة 1337هـ/1918م. غير أن ثمة بعض المحققين يشككون في نسبة هذا الكتاب إلى ابن الخطيب. وبالمقابل؛ فقد رجح محمد عبد الله عنان؛

أن يكـون هـذا الكتـاب مـن تأليـف **أبي العـلاء بـن سمـاك العامـلي المالـقي**؛ بحكـم وجـود نسخـة مخطوطـة في الخزانـة الملكيـة تحـت رقـم 3674؛ تحمـل هـذا الاسـم. غيـر **أن عبـد القـادر زمامـة**؛ الـذي حقـق الكتـاب ـ في **المغـرب** مـع أحـد زملائـه ـ نفيـا هـذا الأمـر؛ وبذلـك؛ بـقي الموضـوع في خانـة "**المؤلـف المجهـول**". وقـد تـم نشـر **كتـاب الحلـل الموشيـة في الأخبـار المراكشيـة** ـ مؤخـراً ـ في الجزائـر؛ بواسطـة دار الأمـل للدراسـات والنشـر والتوزيـع؛ بتحقيـق **محمـد شايـب شريـف**؛ وذلـك بدعـم مـن وزارة الثقافـة الجزائريـة. المهـم أن هـذا الكتـاب يجـري عليـه هنـا مـا يجـري عـلى كتـابي: المعجـب، والمـن بالإمامـة؛ فهـو أيضـاً يشتمـل عـلى معلومـات هامـة؛ تخـص عبـد المؤمـن بـن عـلي الكـومي، وبنيـه.

ـ 17)ـ ديـوان أبي مديـن شعيـب؛ لأبي مديـن شعيـب ابـن الحسيـن الأنصـاري؛ (ت: 594هـ/1197م). ويشتمـل عـلى 48 قصيـدة. في حـوزة المؤلـف نسخـة منهـا. وقـد قورنـت بنصـوص أخـرى؛ لمزيـد مـن التحقـق، ومراعـاة للتصحيـح.

ـ 18)ـ تعريف الخلف برجال السلف؛ لمحمد الحفناوي الديسي؛ (1269هـ/1852م ـ 1361هـ/1942م) قدم له محمد رؤوف القاسمي؛ طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة1991م. سبق نشر هذا الكتاب في سنة 1906م. وهو يشتمل على عدد كبير من التراجم المغاربية عموما والجزائرية بالخصوص. وهو مفيد جداً.

ـ 19)ـ ديوان الشاب الظريف؛ لمحمد بن سليمان التلمساني (661هـ/1262م ـ 688هـ/1289م)؛ تقديم محمد قنانش؛ ونشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة 1991م. فائدة هذا الديوان؛ انحصرت في مراجعة أشعار الشاب الطريف ومقارنتها بما لدى مؤلف هذا الكتاب.

ـ 20)ـ كتاب الوفيات؛ لأبي العباس أحمد بن حسن ابن علي بن الخطيب؛ المعروف بابن قنفذ القسنطيني (ت: 810هـ/1407م)؛ تحقيق عادل نويهض. ونشر دار الآفاق الجديدة ببيروت سنة 1983م. يشتمل هذا المصدر على تراجم لأعيان وأدباء من البلدان المغربية كلها؛ بالإضافة إلى الأندلس والمشرق. وفائدته هنا؛ تنحصر في ما تناوله بخصوص بعض علماء وأدباء **تلمسان.**

ـ 21)ـ **كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، لأبى عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب التلمساني** (ت: 781هـ/1379م). قام بتحقيق هذا الكتاب في البداية **ليفي بروفنسال** (E.Levè-provençal). في شكل منتخبات منه. وصدر مؤخراً هذا الكتاب كاملاً، وفي ثوب جديد؛ بعناية وتحقيق **ماريا خيسوس بيخيرا**؛ ونشر بواسطة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع **بالجزائر** سنة 1401هـ/1981م. ويشتمل هذا الكتاب على بعض المعلومات ذات العلاقة ببعض العلماء والأدباء؛ كما تتجلى أهميته بكون صاحبه ممن يدخل في اهتمامات هذا العمل.

ـ 22)ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس؛ لأحمد بن القاضي المكناسي** (ت: 960هـ/1025هـ). طبع هذا الكتاب في سنة 1309هـ/ طباعة حجرية بإشراف محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي؛ ثم أعادت طبعه دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط سنة 1973م. تنحصر فائدته في تتبع بعض التراجم التي يهتم بها هذا البحث. وقد أفاد.

ـ 23)ـ **كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان؛ لإسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر** (ت: 807هـ/1404م)؛ تحقيق محمد رضوان الداية؛ ونشر دار الثقافة ببيروت سنة 1967م. وهو ـ كما يشير عنوانه ـ يحتوي على مختارات لأعلام الشعراء المغاربة والأندلسيين. وفائدته ـ هنا ـ تتحصر في ترجمة ابن **أبي حجلة التلمساني**.

ـ 24)ـ **كتاب درة الحجال في أسماء الرجال؛ لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي؛ المعروف بابن القاضي** (960هـ/1552م ـ 1025هـ/1616م)؛ حققه محمد الأحمدي أبو النور؛ ونشر في طبعته الأولى بعناية دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس؛ وذلك بين سنتي: 1970م ـ 1971م. ويعتبر هذا المصدر ـ كما أشار صاحبه ـ بمثابة ذيل لكتاب وفيات الأعيان. يشتمل على تراجم كثيرة لأعلام من المغرب والأندلس والمشرق؛ غير أنها اتصفت بالاقتضاب والاختصار؛ الأمر الذي أفقده مزايا الكمال والوضوح. ومع ذلك فهو لا يخلو من فائدة.

ـ 25)ـ **كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة؛ لمحمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي** (ت: 703هـ/1303م)؛ كان ضمن الحملة

المرينية المحاصرة لتلمسان؛ فمات في المنصورة؛ أثناء الحصار. حقق بعض أجزاء هذا الكتاب إحسان عباس ومحمد بنشريفة، ونشر دار الثقافة بيروت لبنان سنة 1964م ما عرف من أجزاء الذيل والتكملة؛ لا يتجاوز تسعة أجزاء؛ ولكنها لم تنشر كلها؛ وتم الاعتماد هنا على جزأين: الرابع والسادس. والكتاب هام جدا؛ خاصة في تراجم أعيان بلاد المغرب والأندلس.

ـ **26)ـ كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)؛ **لأبي عبد الله بن عبد العزيز البكري** (ت: 487هـ/1094م)؛ تحقيق ماك قوكين دي سلان؛ نشر مكتبة أمريكا والشرق Adrien Maisonneuve بباريز سنة 1965م. وهو كتاب جغرافي وصفي؛ ولكنه يشتمل على معلومات تاريخية هامة؛ وفائدته هنا تتمثل فيما ورد ضمنه عن تلمسان من أخبار تاريخية وأوصاف جغرافية.

ـ **27)ـ كتاب القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس** (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)؛ **لأبي عبد الله الشريف الإدريسي** (توفي في حدود 560هـ/1164م)؛ تحقيق إسماعيل العربي؛ ونشر ديوان المطبوعات

الجامعية بالجزائر سنة 1983م. يتناول هذا الكتاب قضايا جغرافية ومعلومات اجتماعية واقتصادية هامة. وتتمثل فائدته هنا؛ فيما ورد ضمنه من معلومات تخص تلمسان ومحيطها.

ـ 28)ـ **كتاب وصف إفرقيا؛ للحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي**؛ ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر؛ ونشر دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1983م. وهو كتاب جغرافي يصف مناطق عديدة من إفريقيا الشمالية. وفائدته هنا تتمثل في الفصول المخصصة لمملكة تلمسان.

ـ 29)ـ **كتاب معيار الاختيار في ذكر المشاهد والدِّيار؛ للسان الدين بن الخطيب**؛ تحقيق عبد الرحمن دويب، ونشر دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2001م. يتناول هذا الكتاب نصاً أدبياً لابن الخطيب يصف فيه تلمسان.

ـ 30)ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج؛ لأحمد بابا التنبكتي** (ت 963هـ/1036م)؛ إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة؛ ونشر بواسطة كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس سنة 1989م. ويشتمل هذا الكتاب على تراجم كثيرة هامة؛ تمت الاستفادة منها.

ـ 31)ـ كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي؛ لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت: 617هـ/1220م)؛ حققه أحمد توفيق؛ ونشره بواسطة كلية الآداب بالرباط. الطبعة الثانية. لهذا الكتاب فائدة معتبرة؛ إذ استفيد منه في الترجمة لبعض المتصوفة منهم على سبيل المثال لا الحصر: ولي الله أبو مدين شعيب.

ـ 32)ـ كتاب أنس الفقير وعز الحقير؛ لأحمد الخطيب المعروف بابن القنفذ (ت: 810هـ/1407م). تصحيح: محمد الفاسي، ووأدولف فور؛ ونشر المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس بالمغرب الأقصى سنة 1965م. وأهم فائدة قدمت من هذا الكتاب؛ هي أخبار أبي مدين شعيب؛ مع بعض أصحابه وتلاميذه.

ـ 33)ـ التكملة لكتاب الصلة؛ لمحمد بن عبد الله البلنسي المعروف بابن الأبَّار (ت: 609هـ/1212م). نشر مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد سنة 1956م. يشتمل هذا الكتاب على عدد من التراجم المفيدة.

ـ **34)ـ خريدة القصر وجريدة العصر؛ للعماد الأصفهاني** (519/1125م ـ 597هـ/1200م)؛ تحقيق محمد المرزوق ومحمد العروسي المطوي والجيلاني ابن الحاج يحيى؛ ونشر الدار التونسية للنشر، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر بين سنوات: 1971 ـ 1973. يشتمل هذا الكتاب على تراجم لشعراء من البلاد المغربية والأندلس؛ وقد أفاد الباحث.

ـ **35)ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ ليوسف بن تغري بدري الأتابكي** (813/1410م ـ 874هـ/1469م)؛ نشر بعناية وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر. وهو كتاب تاريخي؛ ولكنه يتناول تراجم الأعيان حسب تاريخ وفاتهم. وأهم فائدة جنيت منه في هذا المجال؛ هي المعلومات عن عدد من علماء وشعراء تلمسان المقيمين بالمشرق.

ـ **36)ـ كتاب الرحلة المغربية؛ لأبي عبد الله العبدري البلنسي** (كان حياً سنة 688هـ/1289م). تحقيق **أحمد بن جدّو**؛ بكلية الآداب **بالجزائر**. زار المؤلف الرحالة **تلمسان** في عهد السلطان **عثمان بن يَغَمْرَاسَن** (سنة 688هـ/1289م) بالتحديد؛ وسجل في كتابه صورة قاتمة عن **تلمسان** ومدن **المغرب**

الأوسط؛ التي مرّ بها عموماً. وكتابه هذا اشتمل على بعض المعلومات الهامة؛ المتعلقة بالجانب الثقافي في المجتمع **التلمساني**، **والمغرب الأوسط** عموماً. ولكنه – مع ذلك – لم يقدم للقارئ معلومات ذات فائدة كبيرة تخص أدباء وعلماء تلمسان.

– 37)– كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك (صورة الأرض)؛ لأبي القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي الحوقلي الشهير **بابن حوقل** (ت: 367هـ/977م). نُشِر هذا الكتاب في **ليدن** مرتين: سمي في الأولى بـ "المسالك والممالك والمفاوز والمهالك" وفي الطبعة الثانية سمي بـ "**صورة الأرض**". ثم قامت دار مكتبة الحياة بنشره مرة أخرى سنة 1992م بهذا الاسم. وصاحب هذا المصدر رحالة وتاجر مشرقي بغدادي بدأ رحلته سنة 331هـ/943م وانتهى منها في سنة 362هـ/973م؛ أي اسغرقت رحلته مدة 30 سنة قضاها في الغربة. ولما انتهى به المطاف عند قرطبة؛ أقام بها طويلاً؛ في عصرها الذهبي؛ أيام حكم عبد الرحمن الناصر لدين الله (الثالث). وهناك كانت له فرصة التعرف على الإصطخري؛ فعرفه بكتابه المسالك والممالك؛ طالباً

منه تصحيحه واستكمال ما نقص منه. وأهمية هذا المصدر تتجلى في كونه أول المصادر الجغرافية التي أشارت إلى **تلمسان** ـ حتى وإن سماها **تنمسان**" بالنون بعد التاء ـ لأن مسالك الإسطخري قبله لم تذكرها بتاتاً. وما جاء من مصادر بعد "صورة الأرض" اقتبست منها.

ـ 38)ـ كتاب معجم البلدان لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: 626هـ/1228م)؛ من مطبوعات دار صادر ببيروت سنة 1977م. عجم ياقوت حروف تلمسان؛ فكتب: **((تِلِمْسان: بكسرتين، وسكون الميم، وسين مهملة))**[1].

وأشار أيضاً إلى الاسم الذي ذكره ابن حوقل؛ وهو **تنمسان**" بالنون عوض اللام. وبعد فقرات؛ وصف فيها المدينة؛ قال: **((ويكون بتلمسان الخيل الراشدية؛ لها فضل على سائر الخيل؛ وتتخذ النساء بها من الصوف أنواعاً من الكنابيش؛ لا توجد في غيرها))**[2].

كما أشار صاحب هذا المصدر أيضاً ـ عند حديثه عن **تلمسان** ـ إلى شاعر من هذه المدينة؛ زار بغداد سنة 520هـ/1126م؛ اسمه **أبو الحسين خطَّاب بن**

---

[1] مج: 2، ص: 44.
[2] نفسه، ص: 44.

أحمد بن خطّاب؛ وقال عنه ـ نقلا عمن سماه أبا سعيد ـ أنه ((**كان شاعراً جيد الشعر**))[1].

ـ 39)ـ كتاب تقويم البلدان؛ للسلطان المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة؛ (ت: 732هـ/1331م)؛ بعناية: رينود، وماك قوكين ديسلان؛ وطبع بدار الطباعة السلطانية بباريس سنة 1840م. بوب هذا المصدر تبويبا جيدا؛ وجاءت معلوماته دقيقة؛ ولكنها مختصرة. والذي يفيد هنا هو تناول الكتاب لوصف تلمسان. كما قام صاحب المصدر بضبط وتعجيم حروف الاسم؛ فذكر ـ مثلا ـ: ((**تلمسان: بكسر المثناة من فوق وكسر اللام وسكون الميم وفتح السين المهملة وألف ونون**))[2].

ـ 40)ـ كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار؛ لمحمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري (ت: 900هـ/1494م)؛ تحقيق إحسان عباس؛ ونشر مكتبة لبنان ببيروت سنة 1975م. تناول هذا المصدر موضوع تلمسان في جانبه التاريخي والجغرافي؛ وقد أفاد المؤلف.

---

[1] مج: 2، ص: 44.

[2] نفسه، ص: 136.

ـ 41)ـ كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ لأحمد بن محمد بن خلكان (608هـ/1211م ـ 681هـ/1282م)؛ حققه إحسان عباس. ونشره بواسطة دار الثقافة في بيروت؛ لبنان عبر السنوات من: 1968م إلى 1972م. وهو مخصص لتراجم عدد من الأعلام المشارقة؛ تتخللهم بعض التراجم المغربية. والفائدة منه هنا تنحصر في الترجمة لبعض ملوك المغرب.

بالإضافة إلى مصادر أخرى؛ لها فائدة متواضعة؛ سيأتي ذكرها في جول المصادر والمراجع.

* * *

أما المراجع الحديثة التي تعالج تاريخ تلمسان فهي قليلة جداً؛ خاصة تلك التي تهتم بالتراث الأدبي في هذه المدينة العريقة. ومع هذا فقد عثر على ما يسد الرمق بعض الشيء. ومن بين تلك المراجع المعتمدة هنا:

ـ 1)ـ كتاب تاريخ الجزائر العام؛ لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي؛ نشر دار الثقافة ببيروت سنة 1980م. موضوع هذا الكتاب هو التاريخ العام للجزائر وبلدان المغرب. وهو قيم جداً؛ وقد اعتمد منه الجزء الثاني؛ لتناوله المواضيع الثقافية المطلوبة وتراجم لأعلام الجزائر وتلمسان؛ من: علماء وشعراء وكتاب.

ـ 2)ـ كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث؛ لمبارك بن محمد الميلي؛ نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1976م. وهذا الكتاب أيضاً خاص بالتاريخ العام للجزائر وبلدان مغربية أخرى. غير أنه يأتي في درجة ثانية بالنسبة لكتاب عبد الرحمن الجيلالي؛ من حيث الاهتمام بالمجال الثقافي، والعناية بأعلام الجزائر ومثقفيها. ومع هذا فقد أفاد المؤلف.

ـ 3)ـ كتاب معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر؛ لعادل نوهض؛ نشر مؤسسة نويهض الثقافية ببيروت سنة 1980م. يشتمل هذا الكتاب ـ كما ورد في عنوانه ـ على تراجم لمجموعة كبيرة من أعلام الجزائر؛ غير أن أسلوبه الختصر يستدعي الحاجة للبحث عن مراجع أخرى لاستكمال ما نقص منه.

ـ 4)ـ باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان؛ لمحمد بن رمضان شاوش؛ ونشر ديوان المطبوعات الجزائرية، بالجزائر سنة1995م. وهذا المرجع في غاية الأهمية؛ لتنوعه وشموله. فهو يعالج موضوعه من زوايا سياسية وحضارية وثقافية واجتماعية. وقد أفاد الباحث فائدة معتبرة.

ـ 5)ـ كتاب تلمسان في العهد الزياني؛ لعبد العزيز فيلالي؛ نشر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر سنة 2002م. وهذا الكتاب قيم جداً؛ إذ يعالج الموضوع في جوانبه: الاجتماعية والحضارية والعمرانية والثقافية؛ بالإضافة إلى الأوضاع السياسية لدولة بني زيان. وعليه؛ فقد أفاد المؤلف.

ـ 6)ـ كتــاب "أبــو حمــو مــوسى الزيــاني ـ حياتــه وآثــاره"؛ لعبــد الحميــد حاجيــات؛ نشــر الشركــة الوطنيــة للنشــر والتوزيــع بالجزائــر سنــة 1974م. وهــذا الكتــاب عبــارة عــن دراســة تخــص السلطــان الزيــاني أبي حمــو الثــاني. فاشتملــت علــى عينــات ونصــوص نثريــة وشعريــة في غايــة الأهميــة؛ كــان قــد كتبهــا هــذا السلطــان الأديــب الشاعــر. وعليــه فالفائــدة المجنــاة منهــا عظيمــة.

ـ 7)ـ كتــاب العالــم الربــني أبــو مديــن شعيــب التلمســاني؛ لمحمــد الطاهــر عــلاوي. نشــر دار الأمــة للطباعــة والنشــر والتوزيــع؛ بالجزائــر سنــة 2011 م. وهــو كتــاب مفيــد للغايــة؛ إذ يتنــاول موضــوع ولي اللــه ونزيــل تلمســان أبي مديــن شعيــب. وقــد اشتمــل الكتــاب علــى عينــات هامــة مــن شعــره ونثــره. وقــد أفــاد وأوفى.

ـ 8)ـ LE ROYAUME ABDELOUADIDE A L'EPOQUE D'ABOU HAMMOU MOUSSA 1 ET ABOU TACHFIN 1 لعطــاء اللــه دهينــة؛ نشــر ديــوان المطبوعــات الجامعيــة بالجزائــر سنــة 1985م. أفــاد هــذا الكتــاب المؤلــف فيمــا يتعلــق بالوضــع التاريــخي والجغــرافي لمدينــة تلمســان.

ـ 9)ـ **TLEMCEN ANCIENNE CAPITALE DU ROYAUME DE CE NOM،** ؛ **للأب بارجيس L'ABBE J.J. BARGES**؛ نشر **LIBRAIRIE COMMISSIONNNAIRE POUR L'ALGERIE ET LA France, 1859** ؛ وهذا الكتاب عبارة عن رحلة وصفية لمدينة تلمسان. أفادت مؤلف هذا الكتاب.

ـ 10)ـ كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري؛ لأبي القاسم سعد الله؛ نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1981م. يشتمل هذا المرجع على معلومات هامة حول بعض العلماء من تلمسان. وقد أفاد المؤلف.

ـ 11)ـ كتاب القبائل الأمازيغية (أدوارها ـ مواطنها ـ أعيانها)؛ لبوزياني الدراجي، نشر دار الكتاب العربي بالجزائر سنة 1999م. يشتمل هذا المرجع على تراجم عديدة لأعيان وعلماء من تلمسان؛ وهو مفيد.

* * *

تلمسان عبر التاريخ

تلمسان في العصور القديمة

- الفترة ما قبل الرومان:

ثبت من خلال ما عثر عليه من بقايا أثرية؛ أن الإنسان تواجد - منذ أقدم العصور - في محيط **تلمسان** الحالية. وبمحاذات ما عرف في العصر الروماني باسم **بوماريا**.

ويبدو أن موقع **بوماريا**؛ لم يكن خالياً من السكان قبل وصول **الرومان** إلى تلك الجهات؛ لأنه ثبت أن هذا الموضع كان مأهولاً منذ الأزل؛ وقد يكون **الرومان** أنشأوا **بوماريا** بجوار تجمع سكاني يتكون من أهل البلاد الأصليين؛ لا يعرف له اسم حتى الآن[1]. غير أن بعض الآراء التي تحتاج إلى سند

---

[1] **قال ألفرد بل: ((من الطبيعي أن يكون الانسان قد استقر في هذه البقعة - الملائمة لسُكْنَى البشر - منذ آلاف السنين. فقد عُثِر في كل جهة تقريبا على آثار إنسان ما قبل التاريخ. ومن المنتظر أن يُعثر على آثار أخرى كثيرة؛ إذ لم يُكتشف - حتى الآن - إلاّ عن قليل من تلك الآثار؛ وخاصة وأنه لم يقم أحد - فيما نعلم - بالحفر المنظم في الكهوف الكثيرة المنتشرة في هذا الإقليم)). دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 454.**

تاريخي؛ تفيد أن الاسم هو **أغادير**. هذا الاسم الذي يرجح أن له روابط ما مع **الفينيقيين**[1].

وقد ثبت – من خلال المخلفات الأثرية العائدة إلى فترة ما قبل التاريخ – أن هذه الجهة كانت مأهولة. ويتجلى ذلك من خلال الكهوف القديمة المتواجدة في منطقة **القلعة العليا وبودغن**؛ حيث تعلوها هضبة **لالا ستي**. كما أن اكتشافات **ج. بلايتشر** G. Bleicher سنة 1875م تؤكد هذا؛ حين اكتشف في كهوف **بودغن** بقايا أدوات أزلية مصقولة؛ تعود إلى العصر الحجري؛ من ضمنها: **معاول حجرية** مصقولة.

هذا؛ وقد وصل تعداد تلك الكهوف إلى مائة كهف تقريباً؛ عرفت **بقلعة المارجدية تامراديت** Tameradit. وقد اكتشف أيضاً الباحث **إيستوني** M. Estaunié – في **باب القرمدين بتلمسان** سنة 1941م – على آلة حجرية تستخدم لصقل الأحجار[2]؛ صنعت في العصر الحجري؛ بالإضافة إلى ما تم اكتشافه في

---

[1] أنظر التمهيد الذي استهل به الأب بارجيس كتابه Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p: 111. ودائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 452.

[2] موجودة في متحف بمدينة تلمسان.

كهــوف بهضبــة **لالا ســتي** ــ بقريــة **بــني بوبــلان** ــ مــن قطــع أثريــة وصــل عددهــا زهــاء 2000 قطعــة؛ تتخللهــا عظــام بشريــة؛ انحــدرت مــن العصــر الحجــري الأوســط.

ــ مدينة بوماريا Pomarium Pomaria:

معــنى الكلمــة باللاتينيــة هــو: البساتيــن[1] أو المــراعي؛ نظــراً لمــا يحيــط بهــا مــن سهــول خصبــة غنيــة، ومــا يحــفُّ موقعهــا مــن غطــاء مخضــر بالنبــات، وأشجــار باسقــات، ومــا يكتنفــه مــن جمــال الطبيعــة النضــرة الفيحــاء، وخصوبــة الأرض الثريــة المعطــاءة، وتوافــر الميــاه العذبــة الرقراقــة؛ المتدفقــة عبــر الحقــول والبساتيــن المثمــرة الغنّــاء، المحملــة بمــا جــادت بــه مــن الغــلال الطيبــة المــذاق، ومــا عبقــت بــه مــن روائــح عطــرة فواحــة.

---

[1] دائــرة المعــارف الإسلاميــة، ج: 5، مــادة: تلمســان، ص: 452.

عُرِفت **بوماريا** في خارطة شمال إفريقيا بعد أن شرعت جيوش **الرومان** في تشييد الخط الدفاعي الاستيطاني الثاني (الليمس)[1]؛ فَبُنِيَت هذه المدينة العسكرية الأزلية على مرتفع صخري؛ يعلو سطح البحر بـ 827 متر، ويستند إلى السلسلة الجبلية الجنوبية الشامخة بقمتها؛ التي ترتفع إلى مستوى 1842م فوق سطح البحر.

كما تشرف المدينة على سهول فيحاء، خصبة؛ من شمالها وشرقها وغربها. وقد شُرِع في بنائها منذ سنة 222 بعد الميلاد؛ وانتُهِي من ذلك في سنة 235 ميلادية. في عهد **الامبراطور جورديان الأول Gordian I**[2]؛ حيث جُعِلت بمثابة المعسكر الأمامي؛ الذي يقوم بمراقبة السكان الأصليين، وقمع أي محاولة لتمردهم وعصيانهم، وحماية المستعمرين الرومان؛ وعليه فقد أسكنوا في **بوماريا** فرقة من المشاة (وفي قول من الفرسان)[3]؛ كقوة ردع وتأديب للسكان الأصليين.

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 186 - 189. 238.

[2] عند الأب بارجيس: الإمراطور جورديان الأصغر؛ Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p: 111.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 454. Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p: 111.

– في العصر الروماني:

وتقول المصادر أن هندسة البناء في **بوماريا** لا تختلف كثيراً عما كان الرومان يقيمونه من معسكرات؛ إذ يفترض أن يحيط بها سور حصين منيع؛ له أبواب أربعة مستطيلة الشكل؛ يتجه الباب الأول نحو الشرق وهو الباب الإمبراطوري، يعاكسه في الجهة المقابلة الباب الغربي (الديكومي)، ثم يقوم باب ثالث في الجهة الجنوبية، وأخر في الجهة الشمالية. كما تشتمل المدينة أيضاً على مقر للقيادة وسوق لشراء وبيع البضائع المعروضة، ومخزن لخزن الأسلحة وحفظ كل ثمين وذي قيمة.

وجاء في المصادر كذلك؛ أن **بوماريا** الرومانية حظيت بمكانة دينية هامة؛ حيث اشتملت على أبرشية؛ أشرف عليها أسقف ذاع صيته؛ وهو الأسقف الكاثوليكي **لوجيونيس بوماريانسيس** PAMARIENSIS أو POMARIENSIS.[1].

كانت **بوماريا** في العهد الروماني تابعة لمورطانيا القيصرية؛ وتحتل موقعاً حيوياً هاماً؛ إذ شيدت على الخط الأمامي لليمس؛ وهو خط الدفاع

---

[1] Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p: 111

الروماني؛ المشيد ضد هجمات البدو، والثائرين المقاومين للنفوذ الأجنبي. كما تشرف هذه المدينة أيضاً على طرق المواصلات الرئيسة[1]؛ مثل: الطريق الواصل بين **موريطانيا القيصرية وموريطانيا الطنجية.** ثم الطريق الرابط بين مدن عدة؛ مثل **ألبولاي** Albulae (عين تموشنت الحالية)، **وبورتوس ديفينيس** Portus Divini (المرسى الكبير بوهران)، **وسيقا** (المقر الغربي لحاضرة صيفاقس)؛ وكذلك **رشقون**؛ وهو الميناء البحري **لسيقا**؛ المتواجد على مصب وادي تافنا.

وقد حدد الباحثون الموقع الأصلي لمدينة **بوماريا**؛ فوجدوا أنها كانت مبنية في الجهة الشرقية من **تلمسان** الحالية؛ ضمن الحدائق والبساتين؛ أين بنيت ـ الآن ـ فوقها دور عديدة، وعمارات سكنية، ومحطة السكة الحديدية. فلم يبق منها سوى بعض الأحجار المنحوتة[2]؛ التي استخدمت من جديد في بعض المباني الخاصة والمنشآت العمومية؛ مثل

---

[1] ((ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب؛ وهي على رصيف للداخل والخارج منه؛ لا بد منها والاجتياز بها على كل حال)). القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس (مقتبس من نزهة المشتاق)، ص: 151.

[2] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 454.

مئذنة مسجد **أغادير** العتيق؛ التي بناها **يغمراسن بن زيان**[1].

- في العصر الوندالي:

عرفت **بوماريا** - كغيرها من مدن شمال إفريقيا؛ بحكم تقلبات الأوضاع السياسية في البلدان المغربية كلها - عرفت تحولات عديدة؛ إذ غدت أرضها تابعة **لجنسريك** الملك الوندالي؛ الزاحف من **إسبانيا**؛ وذلك سنة 429م؛ حيث انحسر - حينها - النفوذ الروماني وغاب عن المنطقة كلها؛ زهاء القرن من الزمان تقريباً. وقد أشار **ألفرد بل** إلى غياب أي توثيق أو تسجيل يمكنه إجلاء حقيقة الأوضاع في **بوماريا** خلال الفترة الزمنية الفاصلة بين العهدين: الروماني والإسلامي؛ حيث قال: **((ولا نعرف شيئاً عن تاريخ تلمسان فيما بين العهد الروماني والفتح الإسلامي؛ ولا نعرف كيف دخل الإسلام إلى هذا الإقليم في القرن السابع الميلادي؛**

[1] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 207. وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، ص: 125.
Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, p: 127.

كما لا نعرف شيئاً عن إمارة بني صفرة[1] البربرية؛ التي كان يتزعمها أبو قرة في القرن الثامن الميلادي. وكل ما نعلمه أن أمير تلمسان كان يخرج في مناسبات عدة؛ على رأس أتباعه من خوارج زناتة للغزو ناحية الشرق؛ فوصل إلى الزاب وإفريقية))[2].

ونتيجة لغياب سلطان الدولة الكبرى، والنفوذ الواسع؛ المتمثل في الدولتين: **الرومانية والبيزنطية**؛ وحتى الدولة **الوندالية**؛ فقد أدى ذلك كله إلى موجات من الاضطراب وأزمات مدمّرة؛ تكون قد طالت **بوماريا** وغيرها من المدن في الجهات الغربية والشرقية؛ فدمّرت بعضها، وأنهكت أخرى؛ حيث ظهرت في هذه الأثناء إمارات أمازيغية عديدة: في **الأوراس والحضنة والوانشريس**؛ بالإضافة إلى إمارت **ألتافا Altava (أولاد ميمون** حاليا)؛ تلك المدينة التي تبعد عن **بوماريا** بـ 30 كلم تقريباً؛ وكان على رأسها ملك يدعى **مازونة Masuna**.. وهنا يتبيّن ما حدث **لبوماريا**؛ من انتقال مركز الحكم منها إلى

[1] يبدو أن المترجم خانته الحقيقة هنا؛ إذ لا توجد إمارة لقوم يسمون ببني صفرة؛ وكل ما قصده ألفرد بل هي الإمارة الصفرية بزعامة أبي قرة اليفرني.

[2] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 454.

ألتفا؛ حاضرة الملك في عهد **مازونة**[1]. حدث ذلك كله؛ حينما انتهز السكان الأصليون في البلدان المغربية الأحداث المضطربة والصراع بين **الوندال والرومان**؛ فسعوا إلى كسب مواقع؛ مكنتهم من الاستفحال والاستقلال عن مركز الحكم في **روما** أو **بيزنطا** بعدها؛ حيث ظهرت تلك الممالك الأمازيغية في غرب البلاد ووسطها.

– في العصر البيزنطي:

وعلى الرغم من المساعي الحثيثة لإمبراطور **بيزنطة**؛ في دعم قادته وجيوشه في الشمال الإفريقي؛ بغرض بسط نفوذ روم الشرق في تلك الديار؛ فإنه لم يحقق كل أهدافه. فحتى وإن كان **إمبراطور الروم** قد طرد **الوندال** نهائياً من إفريقيا الشمالية؛ فإنه عجز عن إخضاع زعماء الأمازيغ؛ خاصة في وسط البلاد وغربها؛ (المغرب الأوسط والمغرب الأقصى). وحتى **مدينة قيصرية** نفسها (شرشال) فقد تعذر على البيزنطيين الوصول إليها إلاّ عن طريق

---

[1] تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص ص: 347 - 348. 369 - 370. 380 - 381 . مدنية المغرب العرب في التاريخ، ص ص: 383 - 392. الجزائر بين الماضي والحاضر، ص: 87. تاريخ الجزائر العام، ج: 1، ص: 104.

البحـــر. وبذلـــك يمكـــن القـــول: أن **البيزنطييـــن**؛ لـــم يستطيعـــوا استعـــادة السيطـــرة المطلقـــة عـــلى شمـــال إفريقيـــا؛ كمـــا كـــان الحـــال أيـــام الطفـــرة **الرومانيـــة** الأولى. حيـــث بـــرزت إمـــارات أمازيغيـــة عديـــدة؛ صمـــدت في وجـــه البيزنطييـــن؛ منهـــا: **مملكـــة ألتافـــا، ومملكـــة جـدّار، ومملكـــة الحضنـــة، ومملكـــة الأوراس.**

ومـــع ذلـــك؛ فـــإن تلـــك الإمـــارات؛ تأثـــرت **بالرومـــان والبيزنطييـــن**؛ إذ اقتبســـت منهـــم الصبغـــة الحضاريـــة الخاصـــة بهمـــا؛ حيـــث تشكلـــت ــ ضمـــن تلـــك الإمـــارات المحليـــة ــ كتـــل اجتماعيـــة غيـــر متجانســـة وتفتقـــر للانسجـــام؛ تميـــزت بتعايشهـــا ثقافيـــاً ودينيـــاً وتأثرهـــا بحضـــارة بيزنطـــة؛ بالإضافـــة إلى وجـــود خليـــط مـــن مظاهـــر دينيـــة أخـــرى. فـــإلى جانـــب المسيحيـــة؛ وُجِـــدت ديانـــات أخـــرى مثـــل: اليهوديـــة، والوثنيـــة..

ولا يعـــرف إن كانـــت مدينـــة **بوماريـــا** قـــد بقيـــت عـــلى حالهـــا الأول؛ طـــوال الفتـــرة **البيزنطيـــة**؛ وخـــلال **العهـــد الونـــدالي** أو بعـــد انحســـاره عـــن الديـــار المغربيـــة كلهـــا؛ أو عـــلى الأقـــل في محيطهـــا الخـــارجي؛ حـــتى وإن كانـــت قـــد تعرضـــت للدمـــار. وعـــلى هـــذا؛ فمـــا عـــرف ــ حـــتى الآن ــ عـــن مدينـــة **بوماريـــا**؛ في تلـــك الفتـــرة القديمـــة، وبعـــد تلـــك الحـــروب والصراعـــات؛ لا يفيـــد في

بحثٍ ولا يغني عن حاجة. وكل ما في الأمر؛ أن المصادر ذكرت أن النفوذ **البيزنطي** تلاشى في الجهات الوسطى والغربية؛ وبقي محصوراً في شرق الوطن **الجزائري وتونس**. وحتى الذي بقي من النفوذ **البيزنطي في شمال إفريقيا**؛ فإنه لم يدم طويلا على تلك الحال؛ إذ تقلص وسقط تماماً في هذه الديار؛ تحت سنابك خيل المسلمين؛ بدءاً **بإفريقية** ثم **المغرب الأوسط فالأقصى**.

وهنا؛ يمكن القول أن اسم **بوماريا** اختفى تماماً. ولا يُعْرف إن كان ذلك حدث جراء تدميرها في العصر **الوندالي**. أو أنها بقيت لمدة ما. غير أن ما هو واضح – حتى الآن – هو أن السكان الأصليين؛ اختاروا لهذه المدينة اسماً أخر؛ ربما يكون هو الاسم الأقدم لها؛ أو لموقعها؛ قبل وصول **الرومان**؛ وبناء معسكرهم **(بوماريا)** في تلك البقعة.

* * *

المهم؛ أن موقع **بوماريا** أضحى ـ بعد الفتح الإسلامي ـ ضمن الأملاك المشاعة بين أعضاء القبيلة الأمازيغية الكبرى؛ التي عرفت لدى المسلمين **بزناتة**؛ خاصة بين فرعها المسمى **ببني يفرن**. عندها؛ اختفى اسم **بوماريا** وحلّ محله اسم **أغادير (أڤادير** أو **أكادير)**؛ وربما ـ لفترة قصيرة أيضاً ـ اسم **مدينة الجِدَار**[1]. وقد يكون ذلك نعتاً لمدينة **تلمسان**؛ فضّله سكان المدينة؛ نظراً لما شاهدوه من ضخامة وعلُوٍّ أسوار المدينة[2]. واسم **الجدار** هنا؛ لا علاقة له بمملكة **الونشريس**؛ المسماة **بالجدّار** أو **(بني جدّار)** القائمة معالمها الأثرية في منطقة **تيارت**[3].

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 452.

[2] شاع هذا الاسم في العهد الاسلامي؛ وقد أشار إليه ابن خلدون؛ بقوله: ((وما يزعم بعض العوام من سكانها [سكان تلمسان]؛ أنها أزلية البناء؛ وأن الجدار الذي ذكر في القرآن ـ في قصة الخضر وموسى عليهما السلام ـ هو بناحية أكادير منها؛ فأمر بعيد عن التحصيل؛ لأن موسى عليه السلام؛ لم يفارق المشرق إلى المغرب؛ وبنو إسرائل؛ لم يتسع ملكهم لإفريقية؛ فضلاً عما وراءها؛ وإنما هي من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم؛ في تفضيل ما ينسب إليهم، أو ينسبون إليه؛ من بلد أو أرض أو علم أو صناعة)). العبر، مج: 7، ص: 156.

[3] أنظر: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج: 1، ص: 380. وكتاب L'Algerie dans l'Atiquité, p: 224. وكتاب الجزائر بين الماضي والحاضر،

ولكن سكان **تلمسان** وغيرهم من محبي الأساطير؛ أرجعوا كلمة "**الجِدار** إلى قصة **النبيّ موسى** مع **الخضر** عليهما السلام. حين دخلا قرية فاستطعما أهلها؛ فأبوا إطعامهم؛ فوجدا جداراً؛ كاد أن يسقط؛ فأقامه سيدنا **الخضر**؛ فقال له النبي **موسى**: **((لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً))**[1]. ثم فسّر سيدنا **الخضر** للنبي **موسى** عليهما السلام ما التبس لديه؛ فقال: إنّ هذا الجدار لغلامين؛ والدهما رجل صالح؛ ترك لهما تحت الجدار المذكور كنزاً؛ فأراد الله أن يُقام الجدارُ حتى يكبرا؛ فيكتشفا الكنز بنفسيهما.

وهي قصة موجودة في القرآن الكريم؛ وفي سورة الكهف بالتحديد. ويبدو أن فئة من المتصوفة استهوتهم القصة المذكورة؛ إذ هم أكثر الناس عناية بما جاء فيها؛ بسبب **الخضر** عليه السلام؛ ذلك الرجل الصالح الذي منحه الله علماً لم يحصل عليه **موسى** وهو النبي. **وتلمسان** ـ كما هو معروف ـ مليئة بالمتصوفين والصالحين.

ص: 86. وكتب L'AFRIQUE DU NORD DANS L'ANTIQUITE, p: 345 وكتاب أضرحة الملوك النوميد والمور، ص ص: 51 - 54.

[1] سورة الكهف؛ من الآية: 77.

وعلى الجملة؛ فقد تلاشى اسم **بوماريا**؛ بعد أن أطلق المسلمون ـ من قبائل **زناتة** ـ على موقعها اسماً آخر؛ قد يكون **أغادير**، أو **تلمسان** أو غيره. وسيأتي لاحقاً ذكر الفترة الزمنية الأولى التي شاع فيها استعمال اسم **تلمسان**.

ـ اغادير[1] او اڤادير او اڥادير[2] AGADIR:

معناها بالأمازيغية ـ في أحد الأقوال ـ القلعة. بينما جاء في قول آخر؛ أن هذا الاسم **فينيقي** الأصل[3]؛ اندرج في اللغة الأمازيغية؛ ومعناه الجرف أو الهضبة؛ ذات الانحدار الخفيف. وبالتأمل في اسم **أغادير**[4]، وأصوله **الفينيقية**؛ يفهم أنه هو الاسم القديم للمدينة؛ إذ ينحدر إلى العهد **الفينيقي**؛ وبذلك يكون هو الاسم الحقيقي للموقع الذي شيد **الرومان** عليه مدينتهم **بوماريا**؛ لذا فقد أصرّ **الأمازيغ** على استعادة الاسم الأصلي القديم؛ بعد زوال المعسكر **الروماني**.

---

[1] تكتب أيضاً ((أكادير)).
[2] بالجيم المصرية.
[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 452. Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, préface.
[4] ثمة أغادير أخرى في جنوب المغرب الأقصى.

ويؤيـد هـذا الـرأي؛ مكانـة هـذا الموقـع ومنزلتـه في القلـوب؛ والحميميـة الخاصـة بـه؛ لـدى السكـان الأصليين. حيث أن **أغاديـر** (قسـم مـن المدينـة الحاليـة)؛ ربمـا كانـت مركـز تجمـع للجيـش الأمازيـغي بقيـادة **كسيلـة**؛ ذلـك الجيـش الـذي تصـدى للمسلميـن بقيـادة **أبي المهاجـر دينـار**؛ المقيـم آنـذاك؛ في موضـع يسـمى **عيـون أبي المهاجـر**. فانتهـت المعركـة ــ سنـة 55هـ/674م ــ بأسـر **كسيلـة** واعتناقـه الإسـلام عـلى يـد **أبي المهاجـر**[1].

وهكـذا؛ ظلـت **أغاديـر** (**تلمسـان** القديمـة) في صـدارة المـدن الأمازيغيـة في العهديـن **الأمـوي والعبـاسي**. حيـث بـزرت كحاضـرة لإمـارة أمازيغيـة **زناتيـة**؛ تمثـل قبيلـة **بـني يفـرن**[2]. الـتي ربمـا تكـون قـد اعتنقـت ــ في ذلـك العهـد ــ المذهـب الخـارجي الصفـري[3]. كمـا شـارك أعضاؤهـا في ثـورات عديـدة؛ تفجـرت ضـد **بـني أميـة وبـني العبـاس**.

---

[1] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج: 1، ص: 28. العبر، مج: 6، ص: 297. مج: 7، ص: 156.

[2] قال ابن خلدون: ((كان من بني يفرن ـ بالمغرب الأوسط ـ بطون كثيرة بنواحي تلمسان إلى جبل بني راشد؛ المعروفة بهم لهذا العهد. وهم الذين اختطوا تلمسان ـ كما نذكره في أخبارهم ـ وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس؛ أبو قرة. ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم)). العبر، مج: 7، ص: 24. أنظر أيضاً مج: 7، ص: 156.

[3] اختلف المؤرخون بخصوص مذهب بني يفرن. فمنهم من نسبهم إلى الصفرية، ومنهم من أنكر ذلك واعتبرهم من السنة. فهذا ابن حزم

- معنى كلمة تلمسان:

تلمسان أو **تلمسن**: فسّرها بعضهم بمعنى أنها مركبة من كلمتين أمازيغيتين: **تلم - سن**؛ معنى الأولى هو: **تجمع**؛ والكلمة الثانية معناها: **اثنان**. والمقصود في بعض التفسيرات: أنها تجمع بين التل والصحراء؛ بسبب وجود المدينة في التل؛ بينما هي محاذية للصحراء؛ التي لا تبعد عنها كثيراً. نقل هذا القول **يحيى بن خلدون** عن **أبي عبد الله محمد الآبلي**؛ الذي - كما قال - يعرف اللسان الأمازيغي.[1] وذكر - أيضاً - أن بعضهم يسميها: **تلشان**[2]؛ كلمة مركبة كذلك من كلمتين هما: **تل**[3]؛ بمعنى: لها، ثم **شان**؛ ومعناها **شأن**؛ بعد تخفيف الهمزة؛ أي: **لها شان**. غير أن تفسير **الآبلي** أقرب للمعقول. أما **عبد الرحمن بن خلدون**؛ فقال؛ نقلاً

يقول: ((وأما جمهور بني مغراوة وبني يفرن؛ فسنة)). جمهرة أنساب العرب؛ ص: 498. ويشير عبد الرحمن بن خلدون إلى هذا أيضاً؛ فيقول: ((وكثير من الناس يقولون إن بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة؛ كما ذكره ابن حزم وغيره)). العبر؛ مج: 7- ص ص: 25 - 26. غير أن هذه الاختلافات لا تنفي مرافقتهم للخوارج في ثوراتهم. وربما اختاروا العودة للمذهب السني؛ أيام تواجد إدريس بن إدريس؛ داخل تلمسان مدة ثلاث سنين؛ بعد فتحها للمرة الثانية سنة 197هـ/812م. وسيأتي ذكر هذا لاحقاً.

[1] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 85.

[2] في نفح الطيب: "تلمشان"؛ بالميم بعد اللام. ج:7، ص: 134.

[3] نفسه: "تلم"؛ بالميم بعد اللام.

عن **الرقيق القيرواني: ((واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين: "تلم سين"[1]؛ ومعناها تجمع من اثنين؛ يعنون البر والبحر))**[2]. ومن جهة أخرى؛ قال **ألفرد بل: ((تلمسان: كلمة عربية مأخوذة من الكلمة البربرية "تلمس" (والجمع تلمسان وتلمسين)؛ ومعناها نبع أو بئر. ومن ثم كان معنى تلمسان: مدينة الينابيع))**[3]. بينما يعتقد **جورج مارسي** أن اسم هذه المدينة مركب من كلمتين أمازيغيتين: الأولى؛ **تلا**"؛ ومعناها "**المنبعّ**؛ والثانية؛ "**مسان**"؛ أي "الجاف". وبهما يصبح اسمها: "**المنبع الجاف**". وثمة من يقول أيضاً أنها **تِلْمِسِين** (بكسر المثناة الفوقية وسكون اللام وكسر الميم)؛ ومفردها: **تِلْمَاس**؛ بمعنى: جيب ماء، أو نبع. وبهذا تترجم إلى **مدينة الينابيع**. ثم تمادى آخرون في تفسيرهم؛ فقالوا: أن كلمة **تلمسان** عربية الأصل؛ وهي مركبة من كلمتين: الأولى؛ **تلم**؛ أي تجمع، والثانية **إنسان** (حذف منها الألف والنون وأدمجت الكلمتان: تلم سان)؛ أي **مجمع**

---

[1] كتب في بعض النسخ: ((تلم سان - تلم سن - تنم سين)). العبر، مج: 7، ص ص: 156 - 157.

[2] العبر، مج: 7، ص: 157.

[3] دائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 452.

الناس. وهذا طبعاً محض خيال. ولم يقتصر الحال على ما ورد؛ بل ثمة من يرى أن المقصود هو جمعها لمدينتين: الأولى هي **أغادير (أقادير)**، والثانية **تكرارت (تقرارت)**. وهذا في حد ذاته؛ لا يصح إلاّ في حال بدء ظهور اسم **تلمسان** ـ فعلياً ـ بعد بناء **تكرارت**؛ أي في زمن **المرابطين**. يحدث هذا ـ طبعاً ـ عند الذين يعتقدون أن اسم **تلمسان**؛ لم يصبح متداولاً بشكل واسع بين المؤرخين إلاّ في عهد المرابطين وبعده. بحكم معرفتهم أن أقدم كتابين أرَّخا لهذه المدينة هما "**تاريخ تلمسان**" **لأبي عثمان سعيد ابن عيسى بن أحمد بن لب الرعيني الأندلسي** المعروف **بالأصفر**[1] (توفي في حدود سنة 460هـ/1067م)، و"**تاريخ تلمسان**" أيضاً لقاضي **تلمسان ابن هدية القرشي** (المتوفى سنة 736هـ/1335م).

---

[1] لا يعرف علاقته بتلمسان؛ حتى أنه خصص لها تاريخاً. وهو من الذين استوطنوا طليطلة بالأندلس؛ وله عناية خاصة بعلم النحو؛ حيث قام بشرح كتاب الجمل للزجاجي. وله أيضاً مشاركة في علم المنطق واللغة والأشعار والأخبار. أنظر ترجمته في صلة بن بشكوال، ج: 1، ص: 223 رقم الترجمة: 509. وكتاب إنباه الرواة في أنباه النحاة ج: 2، ص: 47، رقم الترجمة: 274. وكتاب روضة الجنان، ج: 3، ص: 272.

فكـل مـا ورد أعـلاه عبـارة عـن تعاريـف عديـدة؛ لمعـنى **تلمسـان**؛ وكلهـا تفيـد أن الاسـم مركـب مـن كلمتيـن؛ اختلـف النـاس في معناهـا. المهـم أن هـذه المدينـة وصفـت بأسمـاء عديـدة؛ منهـا: لؤلـؤة المغـرب، وجوهـرة المغـرب، وعـروس المغـرب الأوسـط، وحاضـرة المغـرب الأوسـط، وقاعـدة المغـرب الأوسـط، وأم بـلاد زناتـة[1]، ومدينـة الفـن والتاريـخ، وغرناطـة إفريقيـا... إلـخ.

يعتـرف **عبـد الرحمـن بـن خلـدون** بأنـه لـم يصـل إلى معرفـة أخبـار **تلمسـان** قبـل وجـود **بـني يفـرن** بهـا[2]. كمـا يقـول أنـه لـم يعثـر عـلى ذكـر لهـا أقـدم مـن خبـر **الطبـري** (تـوفي سنـة 310هـ/923م)؛ حيـن أورد خبـر حصـار **أبي قـرة** وأصحابـه **لعمـر بـن حفـص في طبنـة**؛ إذ قـال: (("**فأفرجـوا عنـه؛ وانصـرف أبـو قـرة إلى مواطنـه بنـواحي تلمسـان**"))[3]. ثـم أضـاف الخبـر الـذي أورده **الرقيـق القيـرواني** (تـوفي بعـد

---

[1] وصفها ابن خلدون فقال: ((هذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط؛ وأم بلاد زناتة؛ اختطها بنو يفرن؛ بما كانت في مواطنهم)). العبر، مج: 7، ص: 156.

[2] ((ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك)). نفسه، ، ص: 156.

[3] نفسه، ص: 156. وهذه العبارة غير موجودة؛ هكذا؛ في نسخة (تاريخ الأمم والملوك) المتوفرة لدى مؤلف هذا الكتاب. ولعلها وجدت في نسخة أخرى اطلع عليها ابن خلدون؛ أو يكون نقلها عن كتاب الرقيق.

417هـ/1026م)؛ ومفـاده أن **أبـا المهاجـر دينـار** ((**توغـل في ديـار المغـرب؛ ووصـل إلى تلمسـان؛ وبـه سميت عيـون المهاجـر؛ قريبـا منهـا**))[1]. كمـا أشـار أن **الرقيـق** ذكـر **تلمسـان** أيضـاً؛ حيـن تكلـم عـن توغـل **إبراهيـم ابـن الأغلـب** في الجهـات الغربيـة؛ حـتى نـزل **تلمسـان**[2].

وعنـد الأخـذ بالإعتبـار؛ كـل مـا ذكـره **ابـن خلـدون**؛ يمكـن إضافـة معلومـة ـ تركهـا هـذا الأخيـر، ولـم يشـر إليهـا ـ وقـد وردت في كتـاب فتـوح مصـر والمغـرب؛ **لابـن عبـد الحكـم** (الـذي تـوفي سنـة 257هـ/871م). مـع استبعـاد أن يكـون **ابـن خلـدون** لـم يطلـع عـلى هـذا الكتـاب. جـاء في الكتـاب المذكـور أن **مـوسى بـن نصيـر** كـان مقيمـاً **بالقيـروان**؛ بينمـا كـان **طـارق بـن زيـاد** مقيمـاً في **تلمسـان** (سماهـا **تلمسيـن**)؛

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 156. حتى كتاب الرقيق القيروان نفسه؛ الذي نشر ـ مبتوراً ـ حالياً؛ فلا وجود لاسم تلمسان فيه. وبذلك؛ يكون ابن خلدون؛ قد اطلع على نسخ أخرى. ومصداق هذا؛ أن ابن عذاري نقل نصين عن الطبري والرقيق وعريب؛ قال في الأول: ((وفي سنة 153 [هـ]؛ قُتِل عمرو ابن حفص؛ قتله أبو حاتم الإباضي، وأبو غادي، ومن كان معهما من البربر؛ وكانوا ـ فيما ذُكِر ـ ثلاثمائـة ألف وخمسون ألفاً؛ ومعهم أبو قرة اليفرني أمير تلمسان في أربعين ألفاً)). البيان المغرب، ج: 1، ص: 77. وجاء في النص الثاني: ((قال الرقيق وعريب: ((وفي 153 [هـ] زحف أبو قرة من تلمسان في جمع كبير من البربر إلى القيروان؛ فصالحه عمرو ابن حفص؛ وانصرف)). نفسه، ص ص: 77 - 78.

[2] العبر، مج: 7، ص: 156.

فراسل يليان طارق بن زياد قائلاً: **((إني مدخلك الأندلس؛ وطارق يومئذ بتلمسين وموسى بن نصير بالقيروان؛ فقال طارق: إني لا أطمئن إليك حتى تبعث إليّ برهينة؛ فبعث إليه بابنتيه؛ ولم يكن له غيرهما؛ فأقرهما طارق بتلمسين واستوثق منهما))**[1].

إذن؛ فاسم **تلمسان** (أو **تلمسين**) كان متداولاً أيام **ابن عبد الحكم** الذي ولد في سنة 187هـ/802م وتوفي سنة 257هـ/871م. ثم يتعزز هذا القول بالإشارة إلى **ابن حوقل** (المتوفي سنة 367هـ/977م؛ أي في عصر **الناصر لدين الله الأموي**)؛ هذا الرحالة الذي يكون قد انفرد ــ آنذاك بين كتّاب الرحلة والجغرافية القدماء ــ بالإشارة إلى **تلمسان**؛ حيث كتب: ((**ومنها** [أي قرية العلويين] **إلى تنمسان** [بالنون عوض اللام] **مرحلة طريفة؛ وهي مدينة أزلية؛ ولها أنهار جارية، وأرحية عليها، وفواكه؛ ولها سور من آجر حصين، منيع؛ وزرعها سقي؛ وغلاتها عظيمة، ومزارعها كثيرة))**[2].

---

[1] **فتوح مصر والمغرب، ص: 277.**

[2] **صورة الأرض، ص: 88.**

وهكـذا؛ **فابـن حوقـل** سماهـا **تنمسـان**، ولـم يشـر إلى اسـم **أغاديـر**. واسـم **تنمسـان** (بالنـون) أشـار إليـه أيضـاً ــ فيمـا بعـد ــ **ياقـوت الـرومي البغـدادي** (تـوفي سنـة 626هــ/1228م) في معجمـه؛ حيـن كتـب: ((**وبعضهـم يقـول تنمسـان؛ بالنـون عـوض الـلام**)). ولكنـه اعتمـد بالأسـاس علـى اسـم **تلمسـان** (بالـلام) حيـن كتـب: ((**تِلِمْسـان: بكسرتيـن، وسكـون الميـم، وسيـن مهملـة**))[1]. وكـان **البكـري** (المتـوفي قبلـه في سنـة 487هــ/1094م) قـد تكلـم ــ في مسالكـه ــ عـن مدينـة **تلمسـان** أيضـاً؛ وسماهـا بهـذا الاسـم. وتبعـه في ذلـك **الشريـف الإدريـسي** (المتـوفي سنـة 560هــ/1164م)؛ الـذي سماهـا باسـم **تلمسـان**. كمـا سماهـا **أبـو بكـر بـن علـي الصنهـاجي** المعـروف[2] **بالبـذق**: "**تلمسـان**"؛ وذلـك في مواضـع عديـدة مـن كتابـه: "أخبـار **المهـدي بـن تومـرت**". ومنذئـذ أضحـت المصـادر جميعهـا تستعمـل كلمـة **تلمسـان**. وكـل هـذا يفيـد أن اسمهـا (بالـلام أو بالنـون) ظهـر ــ لأول مـرة ــ في فتـرة حكـم **زناتـة**

---

[1] معجم البلدان، ص: 44.

[2] قدر بعضهم مولده في حدود 490هـ/1096م؛ وكان حيا في العهد الذي حكم فيه عبد المؤمن بن علي.

المغراويين؛ وربما تعمدوا ذلك؛ قصد تجاهل اسم **أغادير**؛ التي شيدها **أبو قرة اليفرني** منافسهم.

* * *

تلمسان.. تاج زناتة

– في عهد ابي قرة اليفرني:

يفهم من أقوال **عبد الرحمن بن خلدون**؛ أن **أبا قرة اليفرني الزناتي** هو مؤسس مدينة **تلمسان**؛ علماً بأنه لم يشر في حديثه – هنا – إلى اسم **أغادير** أو **بوماريا**.. هذه الأخيرة؛ التي يكون **أبو قرة**[1] قد شيّد مدينته **أغادير** فوق أنقاضها؛ فأضحت منذئذ تسمى بهذا الاسم؛ حتى برز اسم **تلمسان**؛ الذي أصبح متداولاً وشائعاً بين المؤرخين والجغرافيين المسلمين وغيرهم؛ وفي الوقت ذاته؛ نسي الناس اسم **بوماريا**؛ وكذلك **أغادير**[2]..

وكان **أبو قرة** هذا؛ (ونسبه بعضهم إلى قبيلة **مغيلة**)[3]؛ كان يرأس قبيلة **بني يفرن** آنذاك؛ حيث

---

[1] من مآثره بقايا سور كبير في تلمسان؛ به باب - موجود الآن - يسمى باب أبي قرة. (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص: 76).

[2] ثمة من يعتقد أن أغادير نشأت قبل بوماريا؛ بل يرون أن بوماريا نفسها بنيت على أنقاض أغادير. ويبقى هذا الاحتمال قائماً بإلحاح؛ في انتظار ظهور دليل يؤكده أو ينفيه.

[3] البيان المغرب، ج: 1، ص: 58. اختلف المؤرخون حول نسبه؛ فمنهم من نسبه إلى بني يفرن؛ ومنهم من نسبه إلى قبيلة مغيلة. هذه القبيلة التي كانت تعيش أيضاً في محيط تلمسان، وثبت أنها تدين بالمذهب الصفري. وفي ذلك يقول ابن خلدون: ((وبعض المؤرخين ينسب أبا قرة

أبـلى كـل البــلاء في ثــورات الخــوارج؛ إذ شــارك معهــم في معظــم الحــروب ضــد **بــني أميــة وبــني العبــاس**. كمـا كــان علــى رأس أربعيــن ألــف مقاتــل؛ أثنــاء حصــار الثــوار الأمازيــغ لــوالي القيــروان **عمــر بــن حفــص** (هزارمــرد) **بطبنــة** سنــة 150هـ/767م[1]. وتذكــر المصــادر أن **أبــا قــرة** نصــب نفســه **بتلمســان** (أي أغاديــر قديمــاً) في مرتبــة خليفــة للمسلميــن؛ ولقــب بهــذا اللقــب سنــة 148هـ/765م[2].

والثابــت؛ أن بعــض المصــادر؛ أوردت خبــر **أبي قــرة** قبــل هــذا التاريــخ (تاريــخ حصــار **طبنــة**)؛ حيــث وُجِــد

هذا إلى مغيلة؛ ولم أظفر بصحيح في ذلك؛ والطرائق متساوية في الجانبين؛ فإن نواحي تلمسان - وإن كانت موطناً لبني يفرن - فهي أيضاً موطنَ مغيلة؛ والقبيلتان متجاورتان؛ لكن بني يفرن كانوا أشد قوة، وأكثر جمعاً؛ ومغيلة أيضاً كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن؛ لأنهم صفرية)). العبر، مج: 7، ص: 25.

[1] جاء في "الكامل في التاريخ" أن هذا الحصار حدث سنة 151هـ/768م. أنظر: ج: 5، ص ص: 31 - 32. أما الطبري فذكر قصة مقتل عمر بن حفص خلال سنة 153هـ/770م. أنظر، تاريخ الأمم والملوك؛ ج: 9، ص: 284.

[2] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج: 1، ص ص: 75. 77 - 78. العبر، مج: 7، ص ص: 24 - 25. وأورد ابن الأثير مقولة لأبي قرة؛ رد بها على رسول والي القيروان؛ الذي عرض عليه رشوة تقدر بستين ألف درهم؛ فقال: ((بعد أن سلم عليّ بالخلافة أربعين سنة؛ أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا)). الكامل في التاريخ، ج: 5، ص: 32. وهذا النص؛ يثبت أنه لقب بلقب خليفة مدة أربعين سنة. وبذلك يكون ما ورد في تاريخ الأمم والملوك للطبري فيه تحريف؛ حين كتب: ((وكان يسلم عليه - قبل ذلك - بالخلافة أربعين يوماً)). ج: 9، ص: 284. والصحيح هو ((عاماً)).

على رأس قوة أمازيغية؛ زحفت إلى **القيروان** في عهد **حنظلة بن صفوان**؛ حدث ذلك في سنة 124هـ/741م بالتحديد[1]. كما اعترض **أبو قرة** أيضاً بجيشة **الأغلب بن سالم** سنة 148هـ/765م؛ ولكنه انسحب دون حرب[2].

***

[1] **البيان المغرب، ج: 1، ص: 58.**
[2] **الكامل في التاريخ، ج: 5، ص: 26.**

إمارة الحسنيين في تلمسان

المهم؛ أن أخبار **أبي قرة** تلاشت فيما بعد؛ ولا يعرف مصيره بين قومه. وكل ما ثبت من أخبار، أن **تلمسان**؛ أضحت تحت سيادة فرع آخر من فروع **زناتة**؛ تمثله قبيلة **مغراوة**[1]؛ المجاورة **لتلمسان** من جهة الشرق؛ لأن مجالات **مغراوة** الأولى هي ما بين **تلمسان وشلف إلى جبل مديونة** وما يليه[2]. ويؤكد هذا؛ وجودهم في هذه المدينة سنة 174هـ/790م؛ حينما زحف **إدريس الأكبر ابن عبد الله بن حسن بن الحسن**[3] **بن علي بن أبي طالب**؛ نحو **تلمسان**؛ فخرج إليه المتغلب على المدينة؛ أمير **مغراوة – محمد بن خزر** – طائعاً ومبايعاً؛ ثم فتح له أبواب المدينة؛ فدخلها متملكاً إيّاها.

---

[1] **يبدو أن تلمسان؛ أضحت تحت إمرة خزر بن محمد بن خزر؛ وفي هذا يقول ابن الخطيب: ((إلى أن ولي منهم خزر بن محمد بن خزر؛ فملك جميع بلاد زناتة، وملك تلمسان، وتاهرت، وجميع بلاد القبلة)). إعمال الأعلام (قسم المغرب) ص: 153.**

[2] **العبر، مج: 7، ص: 50. وجبل مديونة يسمى أيضا جبل وجدة. أنظر القبائل الأمازيغية، ج: 1، ص: 109.**

[3] **ثمة من ينسبه إلى الحسينيين. وقد تم اعتماد ما ذكره ابن حزم في جمهرة أنساب العرب؛ وهو الصحيح. ص: 48.**

ومن مآثره فيها؛ أنه شيّد مسجدها الجامع، ونصب منبرها سنة 174هـ/790م[1].

وفي هذا الزمن بالذات وصل إلى **تلمسان** **سليمان بن عبد الله**. قدم من المشرق؛ هارباً ولاجئاً إلى كنف أخيه **إدريس بن عبد الله**؛ فاستقر بهذه المدينة واستوطنها[2]؛ ومن ثمة عقد له أخوه **إدريس** على ولايتها.

- بنو سليمان في تلمسان:

ويبدو أن الوضع تغير في **تلمسان**، ولم يبق على حاله بعد موت **إدريس الأول**؛ لأن **ابن خلدون** - وغيره - ذكروا أن **إدريس الثاني ابن إدريس بن عبد الله** عاود - مرة ثانية - فتح **تلمسان** سنة

---

[1] ورد في الأنيس المطرب بروض القرطاس ما يلي: ((وكتب عليه [أي المنبر]: بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أمر به الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم؛ وذلك في شهر صفر سنة أربع وسبعين ومائة)). ص: 8. ويقول ابن خلدون: ((وبنى مسجدها [أي تلمسان]، وأمر بعمل منبره، وكتب اسمه فيه حسبما هو مخطوط في صفح (؟) المنبر لهذا العهد)). العبر، مج: 7، ص: 25. وإعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 192. ودائرة المعارف الإسلامية، ج: 5، مادة: تلمسان، ص: 455.

[2] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص: 122. والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج: 1، ص: 210. والعبر، مج: 4، ص: 24. ومج: 7، ص: 52. أنظر أيضاً دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، ص ص: 373 - 380.

197هـ/812م[1]؛ وأقام بها مدة ثلاث سنين؛ وأعاد بناء مسجدها[2]؛ ثم أسند ـ مرة أخرى ـ ولايتها لابن عمه **محمد بن سليمان بن عبد الله**[3]. وهذا يعني؛ أن هذ المدينة خرجت عن سلطة **بني سليمان** لفترة ما؛ غير معروفة أسبابها ولا كيفيتها.

غير أن عبارة أوردها **ابن خلدون**؛ تفيد أنه كان ـ خلال إقامته في **تلمسان** ـ منشغلاً بقاومة فرق الخوارج والصفرية في **تلمسان** وأحوازها؛ حتى استعاد نفوذ المذهب السني، ونشره بين الناس[4]. وبعد ذلك؛ أضحى سكان تلك الجهات على مذهب

---

[1] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 27. والعبر، مج: 4، ص: 27. وإعمال الأعلام، (قسم المغرب)، ص: 201. أنظر أيضاً المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص: 123.

[2] جاء في الأنيس المطرب بروض القرطاس أنه صنع فيها منبراً لمسجدها. ومعنى هذا أنه غيّر منبر والده: ((ودخل مدينة تلمسان؛ فنظر في أحوالها، وصلح أسوارها، وجامعها، وصنع فيها منبراً. قال أبو مروان عبد الملك الوراق: "دخلت مسجد تلمسان في سنة خمس وخمسين وخمسمائة؛ فرأيت ـ في رأس منبرها ـ لوحاً من بقية منبر قديم؛ قد سمّر عليه هنالك؛ مكتوب: هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين (؟) بن علي رضي الله عنهم؛ في شهر محرم سنة تسع وتسعين ومائة" فأقام إدريس بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين؛ ثم رجع إلى مدينة فاس)). ص: 27.

[3] العبر، مج: 7، ص: 52.

[4] قال ابن خلدون في هذا: ((وأقام بها [أي في تلمسان] ثلاث سنين؛ وانتضمت كلمة البرابرة وزناتة، ومحوا دعوة الخوارج منهم)). العبر، مج: 4، ص: 27. أنظر أيضاً مج: 7، ص: 157.

السنّة. وهذا ما ظهر ـ فيما بعد ـ بالنسبة **لبني يفرن** المقيمين بها؛ إذ كانوا من أتباع المذهب السني. ومنذئذ؛ أضحت هذه المدينة وأحوازها ـ وما يتبعها من مدن ساحلية ـ حصة وإمارة **لبني سليمان**[1]. بينما اكتفى **بنو يفرن ومغراوة** بامتلاك الضواحي والبراري؛ وصلح حالهم مع **الأدارسة وبني سليمان**؛ فكانوا معهم على وفاق ووئام.

وحتى بعد موت **إدريس بن إدريس**؛ وتقسيم مملكته بين أولاده؛ ظلت **تلمسان** وأحوازها؛ ضمن ممتلكات **بني سليمان**[2]. ولم يقف الحال عند هذا فحسب؛ بل غدت مدناً كثيرة في المغرب الأوسط ضمن ممتلكاتهم[3].

---

[1] قال ابن خلدون: ((فكانت ولاية تلمسان وأمصارها في عقبه [أي عقب سليمان]؛ واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية؛ فكانت تلمسان لولد إدريس ابن محمد بن سليمان، وأرشكول لولد عيسى بن محمد، وتنس لولد إبراهيم بن محمد بن محمد، وسائر الضواحي من أعمال تلمسان لبني يفرن ومغراوة)). العبر، مج: 7، ص: 52.

[2] ((وبقيت تلمسان لولد سليمان بن عبد الله)). العبر، مج: 4، ص: 28. أنظر أيضاً، مج: 7، ص: 157.

[3] يقول ابن خلدون: ((ولحق بتلمسان [أي سليمان] فملكها، وأذعنت له زناتة وسائر قبائل البربر هنالك. وورث ملكه ابنه محمد بن سليمان على سننه. ثم افترق بنوه على ثغور المغرب الأوسط؛ فاقتسموا ممالكه ونواحيه؛ فكانت تلمسان ـ من بعده ـ لابنه محمد.... وكانت أرشكول لعيسى بن محمد بن سليمان، وكانت جراوة لإدريس بن محمد بن سليمان، ثم لابنه عيسى وكنيته أبو العيش.... وكانت تنس لإبراهيم بن محمد بن سليمان، ثم لابنه محمد من بعده.... وكان من ولد إبراهيم هذا

تلمسان بين الفاطميين والامويين

– بنو يفرن ومغراوة في تلمسان:

واستمر حال **بني سليمان** هكذا؛ حتى ظهرت في **إفريقية** الدولة **الفاطمية**؛ التي تطلعت إلى التوسع غرباً؛ فتصدت لها **زناتة**[1]؛ وعلى رأسها قبائل: **بني يفرن ومغراوة**؛ إذ بادرت تلك القبائل إلى محاربة **الفاطميين**، والوقوف ضد أطماعهم التوسعية؛ وذلك منذ سنة 298هـ/910م؛ حين هدّد **محمد بن خزر المغراوي** مدينة **تيهارت**؛ وطمع في الاستيلاء عليها، وإخراج عامل **الفاطميين دواس بن صولات** من تلك المدينة[2]؛ ولكن **المغراويين** عجزوا أمام هذه الدولة الفتية؛ التي ساندتها قبائل: **كتامة ومكناسة**، ثم **تلكاتة** الصنهاجية فيما بعد[3]. غير أن **المغراويين**

أحمد بن عيسى بن إبراهيم صاحب سوق إبراهيم، وسليمان بن محمد ابن إبراهيم من رؤساء المغرب الأوسط.... قال ابن حزم: "وهم بالمغرب كثير جداً؛ وكان به لهم ممالك؛ وقد بطل جميعها"... وحمل بني حمزة هؤلاء؛ جوهر إلى القيروان؛ وبقيت منهم بقايا في الجبال والأطراف معروفة هناك عند البربر)). العبر، مج: 4، ص ص: 34 - 36.

[1] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج: 1، ص ص: 155. 162.

[2] نفسه ص: 155.

[3] إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 153.

تمكنوا ـ بالصبر والمطاولة ومداومة النضال ـ من إقلاق مضاجع الغزاة **الفاطميين** وأتباعهم، بل استطاعوا كسر شوكة جيشهم، وقتل قائدهم **مصالة ابن حبوس** في سنة 309هـ/921م[1].

وكان **الناصر لدين الله** الأموي **بالأندلس**؛ قد أدرك مدى حاجته إلى حلفاء ببلاد **المغرب**؛ خاصة بعد قيام الدولة **الفاطمية** واستفحالها، وتبنيها لشعار خلافة المسلمين؛ لذا فقد بادر بالاتصال بقبائل **زناتة**؛ تلك القبائل التي تصدت ـ من قبل ـ للمشاريع التوسعية التي يرمي إليها **الفاطميون**. وعليه؛ فبعد تعاظم الخطر **الفاطمي**؛ المهدد لدول المنطقة كلها؛ استشعر **الناصر لدين الله**[2] حجم الضّرر الزّاحف إليه من **إفريقية**؛ لذا فقد قرّر عقد حلف مع القبائل المغربية المعادية **للشيعة**؛ والسعي إلى التعاون معها ضد العدو المشترك.

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 53. ولكن ابن عذاري سجل خبراً مفاده أن مصالة وفد على المهدي في المهدية سنة 310هـ/922م؛ ثم صرفه إلى تيهارت. أنظر البيان المغرب، ج: 1، ص: 187.

[2] هو عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) ولد في سنة 277هـ/891م وتوفي في سنة 350هـ/961م. وهو أول من تسمى من المروانيين الأمويين بالأندلس بلقب أمير المؤمنين، ونودي بخليفة المسلمين؛ اختار هذا بعد ظهور الخلافة الفاطمية بالبلاد المغربية.

وبالفعل؛ فقد تمّ له ما أراد سنة 316هـ/928م[1]؛ حين وقفت جلّ قبائل **زناتة**[2] في صفه ضد **الفاطميين**؛ وأعلنت الدعوة له على منابر المغرب التابعة إليها.

وهكذا؛ فإن كان الصراع المرير المزمن؛ قد ظل على حاله، ولم يحسم بين قبائل **زناتة** والدولة **الفاطمية**؛ فإنه ـ بالتوازي ـ سرعان ما انتهى بالقضاء على الدولة **الإدريسية** في **فاس بالمغرب الأقصى**، وإمارات **بني سليمان في تلمسان** ـ بأحوازها وسواحلها ـ الأمر الذي عجل بإلحاقهم ـ جميعاً ـ بممتلكات **الفاطميين**، أحياناً، وبالدولة الأموية أحياناً أخرى.

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 53.

[2] ((فبادر محمد بن خزر إلى إجابته؛ وطرد أولياء الشيعة من الزاب؛ وملك شلب وتنس من أيديهم؛ وملك وهران، وولى عليها ابنه الخير؛ وبث دعوة الأمويين في أعمال المغرب الأوسط؛ ما عدا تاهرت. وبدأ في القيام بدعوة الأموية إدريس بن إبراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول. ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من يد الأدارسة؛ وأجار موسى بن العافية على طاعته؛ واتصلت يده بمحمد بن خزر؛ وتظاهروا على الشيعة. وخالف فلفول بن خزر أخاه محمد في طاعة الشيعة؛ وعقد له عبيد الله على مغراوة)). العبر، مج: 7، ص ص: 53 - 54.

– ظهور مكناسة واستفحالها:

ويعتبر أهم عامل – هنا – في الدمار والخراب الذي أصاب تلك الدول والإمارات؛ هو ظهور وتنامي عصبية قبيلة **مكناسة** (وهم فرع من **البتر** وإخوة **لزناتة**)؛ ومثولهم كقوة بطش وإفساد في ضواحي **المغرب** كله. الأمر الذي أنهك **الأدارسة** **وبني سليمان** معاً؛ لأنهما لم يحتملا الصراع المتواصل مع تلك القبيلة **البترية** المتماسكة؛ ذات العصبية الجياشة؛ والمدعومة بالدولة **الفاطمية**.. حدث ذلك كله؛ جراء أطماع هذه القبيلة؛ بقيادة زعيمها **موسى بن أبي العافية**[1]؛ الذي – كما يبدو – يُكِنُّ حقداً كبيراً، وضغينة حامية نحو **الأدارسة**. وعليه؛ فقد حارب أعداءه بالمطاولة والمداومة؛ دون كلل أو ملل. وتم هذا طبعاً؛ نتيجة لعنفوان العصبية **المكناسية**؛ التي ازدادت لحمتها متانة وحميتها اشتعالاً؛ بفضل الصلة الحاصلة بينها وبين القائد العسكري **للفاطميين مصالة بن حبوس المكناسي**[2]. وعلى هذا؛

---

[1] ((هو موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن الضحاك بن مجزول بن تمريس بن فراديس بن ونيف بن مكناس بن ورسطف)). الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 51.

[2] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص ص: 49. 50. 51. العبر، مج: 4، ص ص: 32 - 33. ومج: 6، ص ص:. 274 - 275.

فقد تمكنت هذه القبيلة **البترية**؛ من الهيمنة على الجهات الغربية كلها؛ بما فيها **تلمسان**؛ التي تغلب عليها زعيم **مكناسة** سنة 319هـ/931م؛ بعد أن طرد أميرها **الحسن بن أبي العيش بن عيسى بن إدريس ابن محمد بن سليمان**، وأجبره على النزوح إلى مدينة **مليلة** الساحلية[1].

وهنا؛ وجب التذكير بالأحداث المأساوية التي مرّت بها ديار **المغرب** عبر قرون وقرون.. إذ لم تعرف هذه البلاد لحظة استقرار منذ القرون السالفة للدولة **الإدريسية**؛ وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد التهبت هذه الأرض ـ أيضاً ـ في أواخر الدولة المذكورة وفسد حالها. والجدير بالذكر هنا؛ أن هذه الأحداث المشتعلة؛ كانت تجري ـ في تلك الديار ـ بينما حافظ الوضع في مدينة **تلمسان** على ضبابيته؛ إذ انشغلت المصادر التاريخية بأخبار **فاس** ومحيطها، ثم **تيهارت** وما جاورها، **وسجلماسة** وأحوالها. أما **تلمسان**؛ فقد غابت عن مسرح الأحداث لبعض الوقت. ثم برزت ـ فجأة ـ عندما زحف إليها **ابن**

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج: 1، ص ص: 183.

[1] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 51. والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج: 1، ص51. والعبر، مج: 4، ص ص: 275 - 276.

أبي العافية المكناسي ـ كما سبق ذكره ـ سنة 319هـ/931م[1]؛ فأسقط دولة **الحسن بن أبي العيش**، واستولى على المدينة[2]. ولكنه لم يدم في ملكه؛ بعد أن فسد الحال بينه وبين رُعاته **الفاطميين**[3]؛ الذين طاردوه في كل مكان هرب إليه.

ويبدو أن دوافع العصبية **المكناسية** تلاشت؛ بعد مقتل **مصالة**. لذا فقد بادر **ابن أبي العافية** ـ عند استيلائه على **تلمسان** و**فاس** ـ إلى نقل بيعته إلى **عبد الرحمن الناصر** في **الأندلس**[4]؛ الأمر الذي أغضب **عبيد الله المهدي**؛ فجرد جيشاً لقتاله بقيادة والي **تيهرت الفاطمي حميد بن يصلتن**[5] **المكناسي**

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 275.
[2] نفسه، ص ص: 275 - 276.
[3] سبب الخلاف بين ابن أبي العافية والدولة الفاطمية؛ يرجع إلى نقل طاعته ودعوته إلى عبد الرحمن الناصر لدين الله الأموي. عندها بعث إليه عبيد الله الشيعي جيشاً بقيادة حميد بن يصلتن المكناسي سنة 321هـ/933م؛ فهزمه وكبح جماحه، وأخرجه من أملاكه، ثم اتجاه إلى نواحي تسول. أنظر العبر ، مج: 6، ص: 276.
[4] ((فلما ملك ابن أبي العافية تلمسان وتكرور وفاس؛ بايع عبد الرحن الناصر لدين الله ـ ملك الأندلس ـ وقام بدعوته وخطب له على جميع منابر عمله)). الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 51. أنظر أيضاً العبر، مج: 6، 276.
[5] كُتِب في بعض المصادر أحيانا: (يصليتن، ويصل، ويصليصن). وحُرِّف في الأنيس المطرب؛ فكتب: حميد بن سبيل الكتامي. أنظر ص: 51. وكذا الحال عند يحيى بن خلدون؛ الذي سماه: ((حميد بن شبل الكتامي)).

(وهـــو ابـــن أخي **مصالـــة**)[1]. فاستلحـم **المكناسييـــن**، واستـــولى عـــلى ممتلكاتهـــم، وطـــارد قائدهـــم **ابـــن أبي العافيـــة**؛ وأجبـــره عـــلى الهـــروب إلى جهـــات **تســـول**؛ أيـــن تحصـــن في انتظـــار إعـــادة الكـــرة. وبعـــد استيـــلاء **ابـــن يصلتـــن** عـــلى مـــدن **المغـــرب**؛ انثـــنى نحـــو مدينـــة **تلمســـان** حيـــث استـــولى عليهـــا في سنـــة 321هـــ/933م؛ ثـــم أتبعهـــا بمدينـــة **فـــاس**. وبعدهـــا؛ عـــاد إلى **إفريقيـــة**[2].

ومـــا يمكـــن ملاحظتـــه ــ هنـــا ــ هـــو صمـــت المصـــادر؛ عـــن ذكـــر اســـم الـــوالي الـــذي نصبـــه **حميـــد ابـــن يصلتـــن** عـــلى **تلمســـان**؛ بعـــد انتـــزاع المدينـــة مـــن قبضـــة **ابـــن أبي العافيـــة**. وربمـــا يكـــون قـــد ولى عليهـــا أميـــراً مـــن بـــني **سليمـــان**؛ (**كإدريـــس بـــن إبراهيـــم** صاحـــب **أرشكـــول**، أو **أبي العيـــش بـــن عيـــسى**، أو غيرهمـــا). المهـــم؛ أن المصـــادر صمتـــت عـــن الإشـــارة إلى ذلـــك. ويفهـــم مـــن كـــل هـــذا؛ أن **تلمســـان**؛ دخلـــت في طاعـــة **الفاطمييـــن** ــ لبعـــض الوقـــت ــ منـــذ سنـــة 321هـــ/933م. ولكـــن طاعتهـــا لـــم تـــدم ــ طويـــلاً ــ إذ سرعـــان مـــا انتقضـــت ــ مـــع مـــدن **المغـــرب** الأخـــرى ــ

بغية الرواد؛ ج: 1، ص: 168. أما ابن الخطيب؛ فسماه: ((حميد بن تيسيل)). إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص ص: 215 - 216.

[1] العبر، مج": 6، ص: 276.

[2] الأنيس المطرب، ص ص: 51 - 52. والعبر، مج: 6، ص: 276.

على **الفاطميين**؛ بعد موت **عبيد الله المهدي**. وجراء هذا؛ تمكن **ابن أبي العافية** من التغلب على **تلمسان** ـ من جديد ـ بعد رجوع الجيش **الفاطمي** إلى **إفريقية**.

المهم؛ أن دوام الحال من المحال؛ إذ كسر الإمام الجديد **للفاطميين** ـ وخليفة **المهدي** (ولده **القاسم**) ـ حاجز الاستقرار والاطمئنان؛ بإرساله القائد **ميسور الفتى** سنة 322هـ/933م[1]؛ على رأس جيش عرمرم؛ مهمته اجتياح أرض **زناتة** في الناحية الغربية؛ واستلحام العصاة، وتدمير الديار؛ والتنكيل **بابن العافية** وقبيله. وبالفعل فقد حقق أهدافه كاملة وطارد **ابن أبي العافية**، وأخرجه من ديار **المغرب**؛ أين ألجأه إلى أعماق الصحراء[2]. ومما أنجزه **ميسور الفتى** في حملته هذه؛ أنه فتح **تلمسان** سنة 323هـ/934م؛ حيث أسند ولايتها **لأبي العيش بن عيسى (من بني سليمان)**[3]. فعادت بذلك ـ مرة

---

[1] في الأنيس المطرب: سنة 323هـ.

[2] ((وأجلى موسى بن أبي العافية عن أعمال المغرب؛ إلى نواحي: ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء؛ وقفل إلى القيروان)). العبر، مج: 6، ص: 277.

[3] لم يذكر صاحب الأنيس المطرب ـ هنا ـ تلمسان؛ ولكنه قال: ((وتملك الأدارسة أكثر ما كان بيد موسى بن أبي العافية؛ قائمين بدعوة أبي القاسم الشيعي)). ص: 52.

أخرى – إمارة **بني سليمان** إلى **تلمسان** سنة 324هـ/935م؛ في ظل الدولة **الفاطمية**. ولكنها انطفأت وانهارت فجأة؛ بعد انسحاب جيش **الفاطميين** ورجوعه إلى **إفريقية** في السنة نفسها. حينها انتهز **موسى بن أبي العافية** هذه الفرصة؛ فعاد من منفاه بالصحراء؛ واستولى – من جديد – على المدينة في سنة 325هـ/936م؛ حيث ساعده في مسعاه **عبد الرحمن الناصر الأموي**؛ الذي أمدّه بأسطول بحري[1]. تمكن بعدها من فتح المدينة وإجبار **أبي العيش بن عيسى** على الفرار منها[2].

---

[1] **العبر، مج: 6، ص: 277.**

[2] **نفسه، ص: 277. لم يشر صاحب الأنيس المطرب إلى هذا؛ وكل ما قاله: ((فلم يزل ابن أبي العافية شريداً في أطراف البلاد التي بقيت بيده؛ وذلك من مدينة أجرسيف إلى مدينة تكرور؛ إلى أن قتل في بعض بلاد ملوية؛ وذلك في سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة؛ وقيل: في سنة ثمان عشرين وثلاثمائة؛ قاله البرنوسي. فولي - بعده - إبراهيم؛ ولده إلى أن توفي في سنة خمسين وثلاثمائة؛ فولي ولده عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية؛ إلى أن توفي في سنة ستين وثلاثمائة. وذكر بعض المؤرخين لأيامهم: أنه لمّا توفي محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية؛ ولي بعده ولده القاسم بن محمد؛ المحارب للمتونة؛ فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة؛ إلى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين؛ فقتله، واستأصل بلاده؛ حتى قطع مسافة ذرية موسى بن أبي العافية من المغرب. وكانت أيامهم فيه؛ من سنة خمس وثلاثمائة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة. وذلك مائة وأربعين سنة؛ من أول دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله إلى قيام لمتونة)). ص ص: 52 - 53.**

وبحلـول السنـة المذكـورة أعـلاه؛ انشغـل **الفاطميـون** بمـا أصابهـم مـن فتـن وانكسـارات؛ جـراء ثـورة **أبي يزيـد مخلـد بـن كيـداد**[1]. فسمـح هـذا الأمـر **للناصـر لديـن اللـه** بالتنفـس مـن ضيقـه، والتوسـع في محيطـه. عندهـا؛ صـوّب وجهتـه ــ هـو الآخـر ــ نحـو الضحيـة الأضعـف في المنطقـة؛ وهي الدولـة **الإدريسيـة**؛ قصـد إخضاعهـا لسلطانـه، والسيطـرة عـلى ممالـك **المغـرب**. وعليـه؛ فقـد سمـح ببقـاء **تلمسـان** ــ إلى جانـب مـدن **المغـرب** ــ في قبضـة **ابـن أبي العافيـة**؛ عـلى أن تكـون ضمـن إطـار الدولـة **الأمويـة**؛ كمـا حـرص **الناصـر** عـلى تقسيـم النفـوذ ــ في ديـار المغـرب ــ بيـن القبيلتيـن المتنافستيـن: **مغـراوة ومكناسـة**؛ وعمـل عـلى اشتراكهمـا في دعـوة **الأموييـن**. ومـع هـذا فقـد اشتعلـت الفتـن بيـن القبيلتيـن. فبـادر **الناصـر لديـن اللـه** إلى إطفـاء نارهـا؛ بإرسـال قاضيـه **منـذر بـن سعيـد**؛ فأصلـح بينهمـا[2]؛ وألزمهمـا بالسلـم والمهادنـة. وبعـد أن شعـر **الناصـر** بالإطمئنـان إلى سلامـة نفـوذه ببـلاد **المغـرب**؛ ــ نتيجـة لتراجـع دور **الفاطمييـن**؛ وانكماشهـم في **إفريقيـة**؛ جـراء الضربـات الموجعـة الـتي سدّدهـا إليهـم **أبي يزيـد** ــ

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 54.**

[2] **نفسه، مج: 6، ص: 278.**

تقمص دور الحاكم الفعلي في تلك الديار؛ حيث شرع في توزيع المهام والمناصب على أنصاره وقادة القبائل. من ذلك تكليف **حميد بن يصل (يصلتن)**[1] بقيادة جيش الأمويين في **المغرب الأوسط**. بحيث مثَّله في غزو **تيهرت** سنة 333هـ/944م؛ رفقة **يعلى بن محمد اليفرني ومحمد بن خزر المغراوي**؛ ثم ولاه أيضاً على **تلمسان** وأعمالها سنة 340هـ/951م[2].

والواضح؛ أن الفترة ما بين سنتي: 325هـ/936م (سنة تغلب **ابن أبي العافية** على **تلمسان**) و340هـ/951م؛ (سنة إسناد ولايتها إلى **حميد بن يصل** (يصلتن)؛ ساد فيها غموض قاتم؛ لا يعرف خلاله مصير **تلمسان**. وكل ما في الأمر؛ هو هيمنة أخبار **بني يفرن** على الأحداث في الديار المغربية كلها؛ خلال معظم هذه الفترة الزمنية؛ التي ثار فيها **أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرني** على **الفاطميين** اعتباراً من سنة325هـ؛ حيث أنهك

[1] وحميد بن يصل (يصلتن) هذا؛ ترك خدمة الفاطميين والتحق - سنة 328هـ/939م - بالناصر لدين الله الأموي؛ بواسطة محمد بن خزر؛ زعيم مغراوة؛ حيث قال ابن خلدون: ((ثم انتقض حميد بن يصل سنة ثمان وعشرين؛ وتحيز إلى محمد بن خزر؛ ثم أجاز إلى الناصر؛ وولاه على المغرب الأوسط)). العبر، مج: 7، ص: 54.
[2] نفسه، ص: 55.

دولتهم، وكاد أن يسقطها. وعلى هذا؛ فقد انصب اهتمام المؤرخين على صراعه مع **الشيعة**؛ ولم يشيروا ـ إلاّ في حالات نادرة وخاطفة ـ إلى ما يجري من أحداث في **تلمسان**؛ وذلك حين قال **ابن خلدون**: **((وعقد الناصر لحميد بن يصل على تلمسان وأعمالها؛ وليعلى بن محمد على المغرب وأعماله))**[1]. وفي سنة 340هـ/951م كذلك؛ بدأت بوادر الخلاف تطفوا على السطح بين **الناصر لدين الله ومغراوة**؛ حدث هذا؛ بعد أن أسند السلطان **الأموي** ولاية **تلمسان إلى حميد بن يصل (يصلتن)**؛ ثم وضع **يعلى بن محمد**؛ زعيم **بني يفرن** على رأس ولاية **المغرب الأقصى**. وهنا انفرط العقد الواصل بين ملك **الأندلس**، وقبيلة **مغراوة**؛ حيث بادر زعيمها **محمد بن خزر** بمدّ يد التحالف والتعاون إلى **الفاطميين**[2]؛ أعداء **الأمويين وبني يفرن** معاً. والظاهر أن **يعلى بن محمد اليفرني**؛ كان أكثر قرباً إلى قلب **عبد الرحمن الناصر**؛ بسبب انتمائه **لبني يفرن**؛ أعداء **الفاطميين** الصرحاء؛ جراء ثورتهم مع **أبي يزيد**. كما أن تنبذب **محمد بن خزر المغراوي**،

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 55.
[2]. نفسه، ص: 55.

وعلاقاته المشوبة بالريبة مع **الشيعة**[1]؛ حفز **الناصر** على الحذر منه. لذا فقد مالت ثقة **الناصر الأموي** إلى **يعلى بن محمد** أمير **بني يفرن**؛ بعد أن عقد **محمد بن خزر** صفقة مع الإمام الشيعي **إسماعيل** ضد **أبي يزيد الخارجي**.[2] ويرجع هذا التناغم مع **الناصر لدين الله**؛ إلى أيام والد **يعلى**؛ الذي قتل في زمن **أبي يزيد**؛ فخلفه في **بني يفرن** ولده **يعلى بن محمد**[3]. ووالد **يعلى اليفرني** هذا؛ هو **محمد بن صالح**[4] شيخ **بني يفرن**؛ في الجهات الغربية.

ـ بنو يفرن من جديد في تلمسان:

وبرز دور **محمد بن صالح اليفرني** بعد ظهور فشل **أبي يزيد مخلد بن كيداد** في ثورته ضد **الفاطميين**؛ وإثر القبض عليه سنة 335هـ/946م؛

---

[1] تجلى ذلك قبل سنة 333هـ/944م؛ حين اتصل محمد بن خزر بالعاهل الفاطمي إسماعيل؛ وقدم طاعته للدولة الشيعية. وفي هذا يقول ابن خلدون: ((ولما خرج إسماعيل إلى حصار أبي يزيد؛ وزحف إلى المغرب في أتباعه؛ خشيه محمد بن خزر على نفسه؛ لِما سلف منه في نقض دعوتهم، وقتل أتباعهم؛ فبعث إليه بطاعة معروفة. وأوعز إليه إسماعيل بطلب أبي يزيد؛ ووعده ـ في ذلك ـ بعشرين حملاً من المال)). العبر، مج: 7، ص: 54.

[2] نفسه، ص ص: 33 - 34. 54.

[3] نفسه، ص: 36.

[4] قتله عبد الله بن بكار اليفرني المتحيز إلى مغراوة؛ خلال فتنة نشبت بين القبيلتين. نفسه، ص ص: 35 - 36.

حيث تلقت قبيلة **بني يفرن** ضربة قاصمة؛ فنُكِّل بأتباعها في **إفريقية**، وطوردوا في أصقاع الأرض. عندها؛ جمعوا فلولهم ونزحوا إلى موطنهم الأصلي؛ وفي مدينة **تلمسان** بالذات؛ المدينة التي شيدوها أيام **أبي قرة اليفرني**. وكان أمير **بني يفرن** هذه المرة هو **صالح بن محمد اليفرني** المذكور[1]. فاستقبل النازحين بأريحيّة وصدْر رحب؛ أملتها العصبية **اليفرنية**[2]. وواضح؛ أن **الأمويين** ـ في **الأندلس** ـ رجّحوا كفّة **بني يفرن**؛ بعد موت زعيمهم **محمد ابن صالح**؛ وقد تجلّى ذلك حينما أسند **الناصر لدين الله** سنة 341هـ/954م ولاية **المغرب** وأعماله **ليعلى بن محمد بن صالح اليفرني**، وولاية **تلمسان** وأعمالها إلى **حميد بن يصلتن (يصل المكناسي)**؛ فغدت ـ بذلك ـ هذه المدينة تابعة للخلافة الأموية بالأندلس مباشرة.

وبفعل الحَمِيَّة والعصبية القبلية؛ وسعياً وراء النفوذ الواسع، ونتيجة للتزاحم على امتلاك الأرض؛

---

[1] ثبت أن مذهب بني يفرن ـ بدءاً بعهد صالح بن محمد هذا ـ أضحوا يدينون بالمذهب السني.

[2] ((ولما انقرض أمر أبي يزيد، وأثخن المنصور فيمن كان بإفريقية ـ من بني يفرن ـ أقام هؤلاء الذين بنواحي تلمسان على وفودهم؛ وكان رئيسهم لعهد أبي يزيد محمد بن صالح)). العبر، مج: 7، ص: 35.

نشبت الفتن بين قبيلتي: **بني يفرن** بقيادة **يعلى بن محمد**، وأمير **مغراوة محمد بن خزر**؛ الأمر الذي أغرق **المغربين: الأوسط والأقصى** في جحيم من الفتن والحروب المفنية لكل أخضر ويابس. وكان **يعلى بن محمد** سباقاً إلى طاعة **عبد الرحمن الناصر**؛ فاستجاب له حين خاطب **زناتة** بطلبه[1]. ثم بادر من فوره سنة 343هـ/954م؛ فانتزع مدينة **وهران** من أيد **الفاطميين**؛ ثم زحف إلى **تيهرت** ــ مع **حميد بن يصل ومحمد بن خزر** ــ واستولوا عليها؛ وأسروا واليها **ميسور الفتى**: **((واستفحل سلطان يعلى في ناحية المغرب؛ وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر؛ ما بين تاهرت إلى طنجة))**[2].

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 36.

[2] نفسه، ص: 36. يوجد اختلاف في أسماء الأشخاص بين ابن خلدون وصاحب الأنيس المطرب. إذ سمى هذا الأخير يعلى بن محمد اليفرني؛ باسم محمد بن الخير بن محمد اليفرني. ثم أضاف عبارة بدا ـ من خلالها ـ اضطرابه وخلطه؛ حيث قال: ((فولى [أي الناصر] عليها محمد ابن الخير بن محمد اليفرني ثم الزناتي؛ وكان من أبسط ملوك زناتة يداً، وأعظمهم شاناً، وأحسنهم ـ إلى ملوك بني أمية ـ انحياشاً، وأخلص لهم طرية. وذلك بولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه بجدهم حرب بن حفص بن صولات بن ونزمار اليفرني)). ص: 54. وهذا القول ينطبق ـ في الحقيقة ـ على مغراوة؛ لا على بني يفرن.

فغضب – بسبب ذلك – **محمد بن خزر**؛ واستاء للحظوة التي نالها ابن عمه ومنافسه **يعلى ابن محمد اليفرني**؛ لذا فقد لجأ إلى الخليفة الفاطمي **المعز بن إسماعيل** سنة 342هـ/955م؛ فاستقبله هذا الأخير بالترحاب والإكرام[1]. وبقي في **القيروان** إلى أن زحف رفقة **جوهر الصقلي** إلى بلاد المغرب سنة 958/347م (أو 348هـ)؛ وهي الحملة التي قُتِل فيها **يعلى بن محمد اليفرني**. وذكر ابن خلدون أن **محمد ابن خزر** مات في القيروان سنة 350هـ/961م عن عمر يناهز المائة عام. وبقي **يعلى بن محمد اليفرني** على حاله ومرتبته إلى عام 347 أو 348هـ/909م؛ أين زحفت جيوش **الفاطميين** نحوه بقيادة **جوهر الصقلي**؛ المرفوق **بزيري بن مناد التلكاتي الصنهاجي، ومحمد بن خزر المغراوي**[2] المنافس **ليعلى**. فالتقى هذا الأخير بهم؛ معلنا طاعته؛ ولكن **جوهر الصقلي** غدر به، ودبر مقتله.

---

[1] ((فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة؛ من أجل قريعه يعلى بن محمد. ووفد على المعزّ؛ بعد أن هلك أبيه إسماعيل سنة اثنين وأربعين. فأولاه تكرمة على طاعتهم؛ إلى أن حضر ـ مع جوهر ـ في غزاته إلى المغرب؛ بأعوام سبع أو ثمان وأربعين. ثم وفد على المعز؛ بعد ذلك سنة خمسين؛ وهلك بالقيروان؛ وقد نيَّف على المائة من السنين)). العبر، مج: 7، ص: 55.

[2] العبر، مج: 6، ص: 314. مج: 7، ص: 55.

وبذلك قضي على دولة **بني يفرن** في **المغرب الأوسط**؛ حيث بادر القائد **الفاطمي** إلى **تهديم** حاضرة **يعلى**؛ مدينة **إفكان**.

ـ تلكاتة الصنهاجية وزناتة:

المهم؛ أن هذه الواقعة؛ كانت بداية ولوج **بني زيري الصنهاجيين** إلى الجهات الغربية؛ كما أعلنت عن بدء الصراع المرير بين **زناتة** من جهة **(مغراوة وبني يفرن) وصنهاجة** من جهة أخرى **(ممثلين ببني زيري بن مناد)**. هذا الصراع الذي لم تنقطع أحداثه؛ منذ التاريخ المذكور وحتى سقوط دولتي **بني زيري**: في **إفريقية** وفي **المغرب الأوسط**.

ولم يُعرَف مصير **تلمسان** خلال حملة **جوهر الصقلي**؛ الذي اجتاح بلاد **المغرب** كلها بجيشه؛ ولا يعرف كذلك إن كان دخلها أم تجاوزها. ولكن **ابن عذاري** أشار إلى **حميد بن يصلتن** واليها؛ من قِبَل **الناصر لدين الله**؛ فذكر أنه متواجد في مدينة أخرى؛ سماها: "**تيكبيساس**"[1]. ربما تكون هي

---

[1] ((وكتب الناصر إلى حميد يصال [يصل أو يصلتن] صاحب تيكبيساس ـ وتلك الجهات كلها ـ أن يعين القائد المذكور [أي أحمد بن يعلى] على بني

تيفيساس[1] الواقعة في أرض **غمارة**؛ بين **سبتة وطنجة**؛ وسماها **ابن خلدون**: "**تيكيساس**"[2]. ويفهم من هذا؛ أن **يصلتن**؛ والي **تلمسان**؛ انتقل منها بفعل ضغوط الحرب مع **جوهر الصقلي**. وذكر **ابن خلدون** أن أولياء **الأموية** انكفأوا وانقبضوا إلى أعمال **سبتة وطنجة**؛ بعد هلاك **الناصر لدين الله** سنة 350هـ/961م[3].

وهنا؛ يتضح أن وضع **تلمسان** تراجع وانكمش في هذه الفترة المحرجة. وربما حدث لها ما حدث لغيرها من مدن المغرب؛ بفعل الحرب والخراب؛ اللذين تعرضت لهما طوال الأحداث المدمرة السالفة. لذا فقد خلت **تلمسان** من حماتها؛ بعد انسحابهم نحو أقصى الشمال الغربي للبلاد. وهذا يفسر ما ذكره **ابن عذاري** بخصوص تواجد الوالي **الأموي حميد بن يصلتن** في **تيكيساس** أو **تيفيساس**.

محمد؛ فتخلى بنو محمد عن بناء تطاوين؛ لما اجتمع العسكران عليهم)). البيان المغرب، ج: 1، ص: 122.

[1] المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص: 108.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 436 . 447. 449.

[3] نفسه، مج: 7، ص: 55.

وكانت الفترة التي تلت سنة 350هـ ـ بعد وفاة **الناصر لدين الله** ـ فترة صراع وكفاح مرير شنته قبائل **زناتة** ضد الغزاة **الفاطميين** وأتباعهم من **بني زيري**. كما أن **الأمويين**؛ ثبتوا على مواقفهم؛ ولم يتراجعوا عن أهدافهم في بلاد **المغرب**؛ إذ بادر **المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن** بالإتصال بقبائل **زناتة**؛ من أجل مواصلة التعاون المعمول به سابقاً. وبالفعل؛ تحقق له ما أراده؛ حين لبَّى طلبه **محمد بن الخير بن محد بن خزر**؛ زعيم **مغراوة**: ((**فأثخن في الشيعة، ودوخ بلادهم؛ ورماه معدّ بقريعه زيري بن مناد؛ أمير صنهاجة؛ وسوغه ما غلب عليه من أعمالهم**))[1]. وانكشفت حروبهم المدمرة هذه؛ عن مقتل **محمد بن الخير** سنة 360هـ/970م[2]؛ جراء انتحاره؛ خوفاً من معرة الهزيمة والأسر؛ ولحق به ((**سبعة عشر أميراً؛**

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 55 - 56. أشار ابن الخطيب إلى محمد بن الخير؛ فقال: ((وكان محمد بن الخير من أكبر ملوك زناتة، وأكثرهم جمعاً، وأشجعهم جنداً، وأشدهم إخلاصاً ومحبة لبني أمية... ثم محمد بن الخير ابن خزر؛ فغلب على مدينة تاهرت وتلمسان والمسيلة وأعالي المغرب والصحاري وجميع بوادي زناتة وأكثر بلاد الزاب والقبلة. وخطب في جميع طاعته لبني أمية؛ ملوك الأندلس)). إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص ص: 153 - 155.

[2] في قول سنة 361هـ. أنظر العبر، مج: 7، ص: 59.

سوى الأتباع))[1]. من **مغراوة**. كما قتل **زيري بن مناد** في معركة أخرى سنة 360هـ/970م؛ احتُزَّ فيها رأسه، وأرسل إلى **قرطبة**[2].

وبموت **زيري**؛ استخلف **المعز لدين الله الفاطمي** ابنه **بلكين** مكانه؛ وسوغه ما سوغ لأبيه من أعمال يفتكها من **زناتة**؛ ثم أمده بما يلزم من العساكر والأموال؛ فخرج غازياً في أرض **زناتة**؛ فأثخن في بنيها وقتل أميرها **الخير بن محمد** عند **سجلماسة**؛ وتغلب على أوطانها في المغرب الأوسط؛ حيث وصل تمكنه وتغلبه إلى حدّ أنه: **((ورفع الأمان عن كل من ركب فرساً، أو أنتج خيلاً من سائر البربر؛ ونذر دماءهم. فأقفر المغرب الأوسط من زناتة؛ وساروا إلى ما وراء ملوية؛ من بلاد المغرب الأقصى؛ إلى أن كان من رجوع بني يعلى ابن محمد إلى تلمسان))**[3]. وأدت هذه الحروب التي هلك فيها **الخير بن محمد** سنة 360 أو 361هـ؛ إلى نزوح أحياء **زناتة**؛ إلى الجهات الغربية؛ خلف

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 56. أنظر أيضاً مج: 6، ص ص: 314 - 315.
[2] العبر، مج: مج: 6، ص ص: 315. 316. ومج: 7، ص: 56.
[3] العبر، مج: 7، ص: 57.

ملوية؛ فأصبح ــ بذلك ــ **المغرب الأوسط** ملكاً خاصاً **لبني زيري** من **صنهاجة**[1].

ولما انتقل **المعز لدين الله** إلى **القاهرة** سنة 362هـ/972م؛ انفرد **بلكين بن زيري** بحكم **إفريقية والمغرب**؛ نيابة عن الخليفة **الفاطمي**. فشنّها حرباً شعواء ضد قبائل **زناتة** المتمردة. وانتهى به المطاف إلى احتلال **تلمسان** سنة 367هـ/977م؛ مركز قيادة أعدائه؛ فلم يصمدوا أمامه وفرّوا إلى جهة أخرى[2]. عندها؛ لم يبق أمام **بلكين** سوى محاصرة **تلمسان**؛ فاضطر أهلها إلى الاستسلام؛ حيث نقلهم إلى مدينته **أشير**. ولم يستمر **بلكين** في مطاردة أعدائه؛ لأن **المعز** نهاه عن التوغل في بلاد **المغرب**؛ عندها عاد إلى حاضرة ملكه[3].

ومع هذا؛ فقد عاود **بلكين** زحفه نحو الجهات الغربية؛ فدوخ نواحيها، وسلك في عمق الأراضي المغربية؛ حتى شارف على سبتة؛ حيث استطلع الأوضاع العسكرية حولها؛ فاكتشف ما أفزعه من الجموع التي جهزها لحربه المنصور بن أبي عامر؛

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 59.

[2] البيان المغرب، ج: 1، ص: 231. العبر مج: 6، ص: 318.

[3] العبر، مج: 6، ص: 318.

فعاد أدراجه قائلاً: **((هذه أفعى فغرت إلينا فاها))**[1].

وتوجه بعدها إلى جهاد **برغواطة**؛ فاكسح مواطنهم، وقتل أميرهم **عيسى بن أبي الأنصار**. ولكنه توفي سنة 373هـ/983م[2]؛ أثناء عودته إلى **تلمسان** في موضع يسمى **بوراكسن**؛ يقع بين **سجلماسة وتلمسان**.

ـ تلمسان.. حاضرة بني يعلى المغراويين:

وبوفاة **بلكين**، وانتصاب ولده **المنصور** على عرش **بني زيري**؛ كُبِح **الزيريون** عن المناطق الغربية؛ إثر فشل المحاولة التي قام بها هذا الأخير سنة 374هـ/984م؛ حيث هُزِم أمام الأمير **المغراوي زيري بن عطية**[3] الملقب **بالقرطاس**. وبهذه الهزيمة؛ تخلّى **المنصور بن بلكين** نهائياً عن فكرة

---

[1] نفسه، ص: 319.

[2] تذبذب ابن خلدون في تحديد سنة وفاته؛ فمرة قال أنه توفي سنة 373هـ؛ ومرة قال أنه توفي في 372هـ. أنظر العبر، مج: 6، ص: 320. ومج: 7، ص: 60. وبالمقابل؛ ذكر ابن الخطيب أنه توفي سنة 372هـ. إعمال الأعلام (قسم المغرب).

[3] جدّه هو عبد الله بن خزر؛ أخو محمد بن خزر. لأن عدد أبناء خزر أربعة هم: محمد كبير مغراوة السابق الذكر في أيام الناصر لدين الله والهالك بالقيروان، ثم معدّ الذي اتبع أبا يزيد، وقتله الإمام الفاطمي إسماعيل، ثم فلفول الذي اتبع الشيعة منذ البداية، وأخيراً عبد الله المنسوب إلى أمه "تابدالت"؛ ويقول بعضهم أنهم ثلاثة؛ لأن عبد الله ليس أخوهم بل ابن أخيهم محمد بن خزر. العبر، مج: 7، ص: 59.

غـزو **زناتـة** في جهاتهـا الغربيـة[1]. فاستفحلـت ـ نتيجـة لذلـك ـ هـذه القبائـل في تلـك الديـار؛ وازدادت الاضطرابـات بينهـا عـلى اختـلاف أشكالهـا؛ خاصـة بيـن **مغـراوة وبـني يفـرن**[2]. إذ غرقـت البـلاد في يَـمٍ مـن العيـث والفسـاد المدمـر. ومنـذ 374هـ؛ السنـة الـتي هـزم فيهـا **المنصـور بـن بلكيـن**؛ أضحـت الجهـات الغربيـة؛ مـن ديـار **المغـرب**؛ مرتعـاً مستباحـاً لعيـث القبائـل؛ الـتي لا ضابـط لهـا. ودامـت حروبهـم المشتعلـة: بيـن القبائـل والدولـة **الأمويـة** مـن جهـة، وبيـن القبائـل ـ فيمـا بينهـا ـ مـن جهـة أخـرى[3] حـتى سنـة

---

[1] نفسه، مج: 6، ص: 320.

[2] حدث الانقسام ـ في هذه الفترة ـ بين مغراوة وبني يفرن؛ بعد وصول الحسن بن قنون الإدريسي؛ طالباً ملك أجداده في المغرب. عندها؛ اختار يدوي بن يعلى؛ زعيم بني يفرن الالتحاق به؛ والوقوف معه ضد بني أمية. أما مقاتل وزيري ولدا عطية المغراويين؛ فقد انحاشا إلى المنصور ابن أبي عامر القائم على شئون بني أمية. وبهذا اصطدمت القبيلتان في ما بينهما؛ ضمن حرب قررها غيرهما.

[3] استجابت القبائل لعاملي: التحريض والتفريق المتبعين من قبل المنصور ابن أبي عامر؛ فتقاتلت قبائل مغراوة وبني يفرن سنوات وسنوات؛ دون طائل، ودون حسم للصراع؛ فتضاعفت مصائبهم وازادت كوارثهم من تلك الحروب المستمرة؛ التي أكلت الأخضر واليابس: ((وهلك مقاتل بن عطية؛ واستقل برئاسة الظواعن ـ البدو من مغراوة ـ أخوه زيري بن عطية.... واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة إحدى وثمانين [وثلاثمائة]؛ إشادة بتكريمه؛ وأغراه بيدوي بن يعلى [رئيس بني يفرن]؛ منافسه في الحظ وإيثار الطاعة؛ فبادر إلى إجابته...)). العبر، مج: 7، ص: 61. بل حاول ابن أبي عامر استمالة يدوي بن يعلى اليفرني؛ ولكنه

473هـ/1080م. السنة التي فتح فيها **يوسف بن تاشفين تلمسان**؛ وأسقط إمارة **مغراوة** نهائيا.

وكان **المنصور بن أبي عامر** قد أمر ـ سنة 376هـ/986م ـ واليه على **المغرب**؛ الوزير **حسن ابن أحمد عبد الودود**؛ وأصاه خيراً بأمراء **مغراوة**؛ وخصّ منهم: **مقاتل وزيري**؛ لصدق ولائهم، وحسن خدمتهم. ثم أغراه ـ من جهة أخرى ـ **بيدوي بن يَعْلَى اليفرني**؛ وحثّه على نبذ العهد معه؛ ودَعْم عدوه **زيري بن عطية**؛ لِمَا عرف عن **يدوي** من المراوغة، وسوء طاعته. وعلى هذا؛ فقد تحالفوا جميعاً ضدّه، وأجمعوا على مقاتلته؛ فالتقوا به سنة381هـ/991م؛ أين انتصر عليهم، وجرح **ابن عبد الودود** بجراح أنهت حياته[1]. وقد التحق بهذا الصراع الدامي ـ فجأة ـ **أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي**[2]؛ الذي نقض عهده مع أخيه

فشل؛ حينما استدعاه إلى قرطبة؛ فرد عليه: ((متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد إلى البياطرة؛ وأخذ في إفساد السابلة، والإجلاب على الأحياء، والعيث في العمالة)). العبر، مج: 7، ص: 62.

[1] العبر، مج: 7، ص: 63.

[2] ((وخالف أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي على ابن أخيه المنصور بن بلقين؛ أمير إفريقية، وظهير الدولة العبيدية؛ وخلع دعوة العبيديين، ومال إلى دعوة المروانيين؛ وغلب على مدينة تلمسان، ومدينة تنس ومدينة وهران وشلف وشرشال، وجبال وانشريس ولمدية وكثير

المنصــور ــ وسانــده في أمــره والي **تيهــرت خلــوف بــن أبي بكــر**[1] وأخــوه **عطيــة** ــ فأسقطــوا دعــوة **الشيعــة**، ورفعــوا دعــوة **الأمويــين**؛ فخطبــوا عــلى منابــر البــلاد الــتي اقتطعوهــا ــ الممتــدة مــن **بــلاد الــزاب إلى وهــران** ــ باســم **هشــام المؤيــد الأمــوي**[2]. وكــان هــذا الحضــور؛ بمثابــة نجــدة وصلــت إلى **زيــري بــن عطيــة المغــراوي**؛ المنهــك في حربــه ضــد **بــني يفــرن**. وبانضمــام **أبي البهــار** إلى الحلــف ــ الــذي يرعــاه **ابــن أبي عامــر** ــ تحصــل منــه عــلى أعمــال هامــة؛ حيــث أشركــه مــع **زيــري بــن عطيــة** في أعمــال المغــرب مناصفــة[3]. وواضــح ــ مــن خــلال النصــوص المذكــورة ــ أن

من بلاد الزاب؛ وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر)). الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 64. أنظر أيضاً العبر، مج: 7، ص ص: 43. 63 - 64. وذكر ابن الخطيب أن هذا حدث في سنة 381هـ. أنظر أيضاً إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 155.

[1] لم يطل به الحال حتى انثنى في موقفه، وعاد إلى طاعة المنصور بن بلكين. أنظر العبر، مج: 7، ص: 64.

[2] ((وخاطب أبو البهار - من وراء البحار - المنصور بن أبي عامر؛ وأوفد عليه أبا بكر ابن أخيه حبوس بن زيري في طائفة من أهل بيته ووجوه قومه؛ فاستقبلوا بالجيش، ولقاه رحباً وتسهيلاً، وأعظم موصله، وأسنى جوائــز وفده وصلاتهم)). العبر، مج: 7، ص: 64.

[3] ((ودعاه إلى مظاهرة زيري بن عطية على يدوي بن يعلى؛ وقسم بينهما عمل المغرب شق الأبلمة؛ حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعدوة)). نفسه، ص: 64.

تلمسان دخلت – في هذا الوقت – ضمن سهم **أبي البهار بن زيري الصنهاجي**[1].

والظاهر؛ أن هذا الدعم كله؛ الموجه **لزيري بن عطية** وحلفائه؛ لم يثن **يدوي بن يعلَى** عن مواصلة نشر الفتنة والفساد[2]. بل تسرب الفساد إلى الحلف الذي جمع بين **زيري بن عطية وأبي البهار الصنهاجي**؛ بسبب تراخي هذا الأخير عن المشاركة في تأديب **خلوف بن أبي بكر** وأخيه؛ ناكثي العهد. وعليه فقد نشبت بينهما حرب؛ خسرها **أبو البهار**؛ ولجأ إلى **سبتة**؛ ثم انتقل إلى **جراوة**؛ أين راسل ابن أخيه **المنصور بن بلكين**؛ معتذراً؛ وطالباً العودة إلى عمله؛ فوصلته الموافقة؛ فعاد ادراجه إلى حضن الدولة **الصنهاجية**، مسلماً بطاعته للشيعة.

أما **تلمسان**؛ فقد سقطت في يد **زيري بن عطية المغراوي** – لبعض الوقت – سنة381هـ[3]. تمّ

---

[1] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص:64. والعبر، مج: 7، ص ص: 65 - 66. وإعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 155.

[2] ((فلم يَرُعْ ذلك يدوي، ولا وزعه عن شأنه من الفتنة والإجلاب على البدو والحاضرة، وشق عصا الجماعة)). العبر، مج: 7، ص: 64. أنظر أيضاً الأنيس المطرب، ص: 65. وإعمال الأعلام، ص ص: 157 - 158.

[3] ((ففرّ أبو البهار بنفسه أمامه، ولحق بابن أخيه منصور بن بلقين؛ وترك له البلاد؛ فملك زيري بن عطية مدينة تلمسان، وسائر أعمال أبي

ذلك؛ بعد انكماش **الزيريين**، وانكفائهم داخل حدود مواطنهم؛ جراء الصراعات العائلية؛ التي نشبت بينهم، وانقسامهم، وتبعثر جهودهم. ومع هذا فقد بقيت أخبار **تلمسان** مغلفة بكتلة من الضباب؛ ولا يعرف مصيرها في ظل **مغراوة**؛ بعد عودة **أبي البهار** إلى أهله. وكل ما في الأمر؛ أن **زيري بن عطية المغراوي** يكون قد فقدها سنة 384هـ/994م؛ ولا يعرف كيف حدث ذلك. ويستشف هذا الرأي؛ من خلال ما قاله **ابن خلدون**: **((واستفحل أمر زيري** [ابن عطية] **بالمغرب، ودفع بني يفرن عن فاس إلى نواحي سلا، واختط مدينة وجدة سنة أربع وثمانين [وثلاثمائة]؛ وأنزلها عساكره وحشمه؛ واستعمل عليها ذويه، ونقل إليها ذخيرته، وأعدها معتصماً؛ فكانت ثغراً لعمله بين المغرب الأقصى والأوسط))**[1]. وبهذا يفهم أن **وجدة** كانت أقصى حدوده شرقاً؛ تقابلها **تلمسان** التي تعتبر بمثابة الثغر الغربي **للصناجيين**.

البهار؛ فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصى إلى الزاب)). الأنيس المطرب، ص: 64. أنظر أيضاً العبر، مج: 7، ص ص: 65 - 66.

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 65 - 66. أورد هذا القول - أيضاً - صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 65.

أما بخصوص **بني يفرن**؛ فإنهم واصلوا مقاومتهم **للمغراويين**؛ ولم تنقطع الحروب بين القبيلتين؛ حتى دخل **المرابطون إلى المغرب**؛ فقضوا على نفوذهما معاً، وأسقطوا إماراتهما المتناثرة[1].

وكعادة رؤساء القبائل؛ وطبعهم المتذبذب، وعصبيتهم المتقلبة ـ حسب حجم الفائدة ومصادر الريع السهلة ـ فقد انتابت **زيري بن عطية** لوثة من الزّهُوّ والغرور؛ أصابته بعد تغلبه على **بني يفرن، وأبي البهار الصنهاجي**؛ وبعد انفراده بالجهات الغربية من بلاد **المغرب**. وعلى هذا؛ فقد فسدت أحواله مع **ابن أبي عامر** سنة 386هـ/996م؛ حين انتقده؛ بخصوص استبداده وحجره **لهشام المؤيد**[2]. وبالمقابل؛ شعر **ابن أبي عامر** بتعاظم قوة **مغراوة في المغرب**؛ بعد انسحاب **بني يفرن** من ساحة الصراع، وانكفاء **الصنهاجيين** داخل حدودهم؛ لذا فقد قرر تقليم أظافر **زيري بن عطية**، وتحجيم دور

---

[1] **إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 166.**

[2] **((وكشف زيري وجهه في عداوة ابن أبي عامر والإغراء به، والتشيع لهشام المؤيد، والامتعاض له من هضيمته وحجره؛ فسخط ابن أبي عامر، وقطع عنه رزق الوزارة، ومحا اسمه من ديوانها، ونادى بالبرابرة منه)). العبر، مج: 7، ص: 66. أنظر أيضاً الأنيس المطرب، ص: 65. إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 158.**

مغــراوة؛ لــذا فقــد بــادر إلى إرســال جيــش للقيــام بهــذه المهمــة؛ ضــم جــلّ زعمــاء **الأمازيــغ**؛ مثــل: **((محمــد ابــن الخيــر بــن محمــد بــن الخيــر، وزيــري بــن خــزر، وابــن عمهمــا بكســاس بــن سيــد النــاس؛ ومــن بــني يفــرن: أبــو نوبخــت بــن عبــد اللــه بــن بكــار؛ ومــن مكناســة: إسماعيــل بــن البــوري، ومحمــد بــن عبــد اللــه ابــن مديــن؛ ومــن ازداجــة: خــزرون بــن محمــد))**[1].

وبهــذا العــدد مــن أمــراء **الأمازيــغ**؛ وجــه **ابــن أبي عامــر** رســالــة حازمــة **لزيــري بــن عطيــة**؛ قصــد بهــا إفهامــه أنــه ليــس في إمكانــه الانفــراد بمقــدرات **المغــرب**؛ وأن **ابــن أبي عامــر** في مقــدوره الاستغنــاء عنــه؛ بحكــم تواجــد هــذا العــدد الكبيــر مــن أمــراء **الأمازيــغ** بيــن يديــه. وإلى جانــب كــل هــذا قــرّر تأديبــه وتحجيــم قدراتــه بالقــوة؛ فعــزّز الجيــش الأمــوي؛ برفــع مرتبــة قيادتــه؛ حيــث كلــف ابنــه **المظفــر عبــد الملــك** بقيادتــه[2].

ولمــا اشتبــك الخصمــان؛ انتهــت المعركــة ــ سنــة 388هـ/998م ــ بهزيمــة **مغــراوة**، وإصابــة **زيــري بــن**

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 67.**

[2] **ولما سمع شيوخ القبائل الأمازيغية بعبور المظفر عبد الملك بن أبي عامر؛ تخلى عامة أصحاب زيري بن عطية ـ من الأمازيغ ـ عنه، والتحقوا بجيش ابن أبي عامر؛ حيث كوثروا بالبر والإحسان، وأصناف الخير الجزيل؛ الذي لا مثيل له. أنظر، العبر، مج: 7، ص: 68.**

عطيــة بجــراح خطيــرة؛ عالجهــا في منفــاه بالصحــراء[1]: **((ونجــا ــ وهــو مثخنــاً بالجــراح. وانبســط ملــك عبــد الملــك بــن أبي عامــر عــلى الغــرب ومــا ولاه إلى سجلماســة، وعــلى تلمســان وتيهــرت؛ وقفــل إلى الأندلــس ســنة 389))**[2]. ولــم ينتــه دور **زيــري بــن عطيــة**؛ جــراء مــا أصابــه مــن هزيمــة وجــراح محرجــة؛ بــل بالعكــس؛ فإنــه واصــل نشاطــه مــن فــوره؛ بعــد أن التأمــت جراحــه وتعــافى مــن نكبتــه؛ ولكنــه اختــار ــ هــذه المــرة ــ وجهــة أخــرى؛ اتجــه فيهــا نحــو شــرق البــلاد؛ حيــث وطــن **بــني زيــري الصنهاجييــن** وأعمالاهــم. تــم ذلــك بعــد اطلاعــه عــلى الانشقــاق الحاصــل داخــل الأســرة **الزيريــة**؛ وخــروج بعضهــم عــلى ملكهــم **باديــس بــن المنصــور**؛ عندهــا؛ انتهــز **زيــري بــن عطيــة** فرصــة مــن ذهــب؛ فحاصــر **تيهــرت**؛ حيــث كــان بهــا **يطوفــت ابــن بلكيــن**؛ فاضطربــت أحــوال **باديــس**؛ جــراء الخلافــات المحيطــة بــه. ولكنــه أسنــد إلى **حمــاد ابــن بلكيــن** مهمــة التصــدي **لزيــري بــن عطيــة**؛ ولكنــه هُــزِم امامــه عنــد **وادي منــاس**[3] **(مينــا** القريــب مــن **تيهــارت**

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 68. وإعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 159. وفي الأنيس المطرب: سنة 387هـ أنظر ص ص: 66 - 67.
[2] البيان المغرب، ج: 1، ص: 252.
[3] العبر، مج: 7، ص: 69.

ومن **غليزان** الحالية). وتمكن **زيري بن عطية** ـ بعد هزيمة جيش **صنهاجة** ـ من قتل أعداد منهم؛ تقول المصادر؛ أنهم بالألوف؛ كما استولى على معسكرهم؛ ثم فتح كل من: **تنس**، **وشلف**، **وتيهرت**، **والمسيلة**، **وتلمسان** أيضاً[1].

وهنا يفهم أن مدينة **تلمسان** كانت ـ طوال الفترة السابقة ـ تابعة **لبني زيري الصنهاجيين**[2]. وقد يكون هذا ـ في معظم الوقت ـ منذ احتلالها من قبل **بلكين** سنة 367هـ/977م؛ أين نقل أهلها إلى مدينة **أشير**. ومصداق ذلك ما سبق ذكر؛ بخصوص بناء **زيري بن عطية** لمدينة **وجدة**؛ واتخذها ثغراً له[3].

ولما فتح **زيري بن عطية** مدن **المغرب الأوسط** المذكورة؛ أقام فيها دعوة الخليفة **هشام**

---

[1] ((وفتح مدينة تاهرت وتلمسان وشلف، وتنس والمسيلة. وأقام الدعوة فيها كلها للمؤيد هشام، لحاجبه المنصور من بعده)). العبر، مج: 7، ص: 70. أنظر هذا أيضاً في الأنيس المطرب، ص: 67. وإعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 160.

[2] يفهم من بعض النصوص؛ أن قبائل زناتة كانت تهيمن على بوادي المغرب الأوسط؛ ومنها بادية تلمسان؛ بينما يمتلك المدينة الصنهاجيون: ((ولم يزل حماد ـ أيام باديس هذا ـ أميراً على الزاب والمغرب الأوسط، ومتولياً حروب زناتة. وكان نزوله ببلد أشير والقلعة؛ متاخماً لملوك زناتة، واحيائهم البادية؛ بضواحي تلمسان وتيهرت)). العبر، مج: 6، ص: 350.

[3] العبر، مج: 7، ص: 66. والأنيس المطرب، ص: 65.

المؤيد؛ كما دعا – إلى جانبه – **لابن أبي عامر**؛ إرضاء له، وترضية خاطر؛ قصد بها الاعتذار ضمنياً؛ فقبل **المنصور** اعتذاره العملي. واعتل **زيري** – إثر ذلك – خلال حصاره لمدينة **أشير الصنهاجية**؛ حيث توفي عند عودته منها سنة 391هـ/1000م.[1] فبايعت **مغراوة** ابنه **المعز**؛ الذي بادر – من فوره – بالاتصال **بابن أبي عامر**؛ عارضاً خدماته، ومعرباً عن إخلاصه له: **((واعتلق بالدعوة العامرية، وصلحت حاله عندهم))**[2]. ولما توفي **المنصور بن أبي عامر**؛ جدّد **المعز بن زيري**[3] عهده وطاعته لولده **المظفر عبد الملك**؛ بل قدم ابنه **معنصر** رهينة لديه في **قرطبة**؛ فقبل هذا العرض المغري؛ وكتب إليه سنة 396هـ/1005م كتاب عهد بأعمال أبيه في **المغرب**؛ فاستقر **بفاس**؛ ولكنه استثنى من ذلك **سجلماسة**؛ التي أسندها –

---

[1] الأنيس المطرب، ص: 67. والعبر، مج: 7، ص: 66. وإعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 160. أنظر أيضاً البيان المغرب، ج: 1، ص: 253.

[2] العبر، مج: 7، ص: 70. وذكر صاحب الأنيس المطرب أنه صالح المظفر؛ ولم يشر إلى أبيه ابن أبي عامر: ((وقام بملك أبيه. وصالح المظفر بن المنصور بن أبي عامر؛ فقلده أمر المغرب؛ فكانت مدة ملكه بالمغرب؛ نحو عشرين سنة)). ص: 67. وهذا ما ذكره أيضاً ابن الخطيب؛ الذي أضاف أن هذا حدث في سنة 397هـ/1006م. أنظر إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 160. أنظر كذلك البيان المغرب، ج: 1، ص: 253.

[3] توفي المعز بن زيري في سنة 416هـ/1025م. البيان المغرب، ج: 1، ص: 254.

لبعض الوقت – إلى **واندين بن خزرون بن فلفول ابن خزر**[1]. وقد أورد **ابن خلدون** نص كتاب العهد هذا[2]. ومنذ هذا التاريخ الذي نُصِب فيه **المعز** والياً على **المغرب**؛ وإلى سنة 462هـ/1069م (السنة التي احتل فيها **يوسف بن تاشفين فاس**، وأسقط الدولة **المغراوية** بها)؛ عرفت بلاد **المغرب** اضطرابات لا حدود لها، وفتناً مدمرة أسقطت الرؤوس والنفوس، وحروباً دامية؛ أفنت القريب والغريب[3].

أما **تلمسان**؛ فقد ذُكِر سابقاً أن **زيري بن عطية** افتكها من أيدي **صنهاجة** سنة 391هـ/1000م؛ مع مدن أخرى **بالمغرب الأوسط**. ولما توفي وخلفه ابنه **المعز** على بلاد **المغرب**؛ نزل **بتلمسان يعلى**[4]

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 72. 77 - 80. وقال ابن عذاري: ((وكتب للمعز عهده بتجديد ولاية الغرب كله إلا مدينة سجلماسة؛ فإنه كان قد عقد ولايتها لواضح الفتى قبل ذلك؛ وولاها واضح واندين بن خزرون اليفرني [؟؟ بل المغراوي] وابن عمه زيري بن فلفل [فلفول])). البيان المغرب، ج: 1، ص: 254.

[2] العبر : مج: 7، ص ص: 71 - 72.

[3] أنظر إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص ص: 161 - 166.

[4] ويعلى هذا؛ هو أخو الخير بن محمد بن الخير؛ أمير مغراوة الذي انتحر سنة 360هـ في معركة بينه وبين زيري بن مناد الصنهاجي. اجتمع الأخوان على قتال زيري؛ حيث أخذا بثأر أبيهما؛ بقتله، وإرسال رأسه إلى قرطبة. ولما زحف إليهما بلكين للثأر بأبيه؛ قُتِل - في تلك الحرب - الخير أخو يعلى؛ فانسحبت مغراوة نحو غرب البلاد؛ بسبب

ابن محمد بن الخير المغراوي: ((فكانت خالصة له، وبقي ملكها وسائر ضواحيها في عقبه))[1]. لعل هذا؛ تم بأمر **المظفر بن أبي عامر**؛ الأمر الذي منع ابن عمه **المعز بن زيري** عن مضايقته. وربما اختار هو نفسه هذا؛ لتكون إمارة **تلمسان** بمثابة الحاجز الشرقي بينه وبين **الصنهاجيين**. وسلك بذلك المسلك نفسه الذي اختاره ـ من قبل ـ **إدريس بن عبد الله**؛ حين رضي بقيام إمارة **بني سليمان** كحاجز بينه وبين **بني الأغلب** أمراء **القيروان**. ويمكن القول ـ هنا ـ أن **يعلى بن محمد بن الخير المغراوي**؛ يعتبر المؤسس لإمارة **تلمسان**؛ التي ورثها بنوه من بعده[2]؛ سميت باسمهم؛ وظلت قائمة حتى أسقطها **يوسف بن تاشفين** بفتحه هذه المدينة

ضغوط بلكين. الأمر الذي اظطرهم إلى الإستنجاد بالحكم في قرطبة؛ فعبر إليه يعلى وابن أخيه محمد بن الخير؛ حيث مثلا أمامه مرات عديدة. وفي هذه الأثناء تحول ثقل مسئولية مغراوة إلى فرع آخر من أسرة بني خزر؛ حيث تغلب بنو عبد الله بن بن خزر (زيري ومقاتل) على أحياء مغراوة؛ بامتلاكهم لفاس؛ وإنشاء إمارة فيها سنة (أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 58 - 76. 92).

[1] العبر، مج: 7، ص: 93.

[2] جاء في البيان المغرب: ((وأما تلمسان والزاب؛ فكان فيها يَعلَى الزناتي، ومات في هذا التاريخ [أي 460هـ] أو قريباً منه؛ وقام فيها بنوه)). ج: 1، ص: 255.

سنة 473هـ/1080م[1]؛ حيث استلحم من بداخلها من **بني يعلى**. وبذلك انتهى الوجود **المغراوي** كإمارة في **تلمسان**.

والأمر الغريب؛ أن هذه الإمارة؛ نأت بنفسها عن الاضطرابات المدمرة؛ على الرغم من محيطها المشتعل بالحروب والقلاقل؛ التي تنشب بين **بني زيري بن عطية** في الجهات الغربية، **وبني حماد** في المناطق الشرقية. وهاتان الدولتان ـ كما هو معروف ـ تتميزان بكثرة الرجال والأتباع، ووفرة المال والكراع، وسعة الملك والضِّياع. فلم تتضرر إمارة **بني يعلى** ـ مثلاً ـ بعمليات الغزو التي قام بها **بنو حماد** ضد **مغراوة** في **المغرب الأقصى**[2]؛ كما أن حروب **بني زيري بن عطية المغراويين** ضد **الحماديين** مرّت على **تلمسان** مرور الكرام. فهذا **باديس بن المنصور الصنهاجي**؛ دفع **حماداً** لشن حرب ضد **زناتة** سنة 395هـ/1004م؛ وسوغ له كل ما فتحه من بلاد؛ فوصل في غزواته إلى **جراوة** ـ القريبة من **تلمسان** ـ حيث نقل أهلها إلى

---

[1] هكذا في العبر، م: 7، ص: 94. بينما كتب سنة 474هـ في مج: 6، ص: 359.
[2] أنظر العبر، مج: 6، ص ص: 350. 353.

المسيلة[1]؛ ومع هذا؛ لم تشر المصادر إلى تعرض **تلمسان** لأي مكروه في حملاته تلك؛ مع أنها كانت تابعة **لبني يعلى المغراويين**. وبالمقابل؛ تخطى **حمامة بن زيري**[2] **المغراوي تلمسان** سنة 430هـ/1038م؛ حين غزا بلاد **الحماديين في المغرب الأوسط**؛ دون التعرض **لتلمسان**[3]. ثم إن **بلكين بن محمد بن حماد الصنهاجي**؛ تجاوز بدوره **تلمسان**؛ ولم يتعرض لها بسوء؛ عندما زحف إلى ديار **المغرب الأقصى** سنة 454هـ/1062م[4]. وحتى **بنو يفرن** – في صراعهم مع **بني زيري المغراويين بفاس**؛ لم يهددوا **تلمسان**[5]. ويبدو أن حكم **بني يعلى** تعزّز أكثر فأكثر؛ بعد موت **حماد**:

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 350.

[2] نفى صاحب الأنيس المطرب أن يكون حمامة ابن الأمير المعز بن زيري؛ بل قال أنه ابن عمه: ((ولي ملك المغرب بعد وفاة ابن عمه المعز بن زيري بن عطية)). ص: 68. وأيد هذا الرأي ابن خلدون الذي قال: ((وولي من بعده ابن عمه حمامة بن المعز بن عطية؛ وليس ـ كما يزعم بعض المؤرخين ـ أنه ابنه؛ إنما هو اتفاق في الأسماء؛ أوجب هذا الخلط)). العبر، مج: 7، ص: 73. أما ابن عذاري؛ فيعتقد أنه ابنه. أنظر البيان المغرب، ج: 1، ص: 254.

[3] العبر، مج: 6، ص: 352. وأشار أيضاً ابن الخطيب: أن حمامة؛ هرب إلى تلمسان؛ عندما تغلب عليه تميم بن يعلى اليفرني؛ أنظر إعمال الأعلام (قسم المغرب)، ص: 161. ولكن ابن خلدون وصاحب الأنيس المطرب؛ قالا أنه هرب إلى وجدة. العبر، مج: 7، ص: 73. والأنيس، ص: 69.

[4] العبر، مج: 7، ص: 75.

[5] الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 69.

((فاستوسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان واختلفت أيامهم ـ مع آل حماد ـ سلماً وحرباً))[1].

بالإضافة إلى كل ذلك؛ وضح أنه لم يؤثر في تماسك إمارة **بني يعلى** ومنعتها؛ كل ما حدث من الوقائع والأحداث؛ التي فرضت عليهم من قبل **بني حماد** وحلفائهم من **أعراب بني هلال**. إذ أن هؤلاء **الأعراب** انتقلوا ـ بعد تغلبهم على **بني زيري في إفريقية ـ إلى المغرب الأوسط**؛ حيث أنهكوا قوى **الحماديين**، وأحجروهم في قلعتهم؛ ولكن هؤلاء استطاعوا ـ فيما بعد ـ ترويضهم، واستخدامهم في أغراضهم، ومهامهم الحربية: **((فكانت بينهم وبين بني يعلى ـ أمراء تلمسان ـ حروب ووقائع. وكانت زِغْبَة أقرب إليهم بالمواطن؛ وكان الأمير بتلمسان ـ لعهدهم ـ بختي؛ من ولد يعلى))**.[2]

ومن العلامات البارزة التي ميزت إمارة **بني يعلى في تلمسان**؛ أنها تعتبر أول إمارة مستقلة بعد إمارة **بني سليمان** في المدينة ذاتها. ثم أنها أول إمارة ـ في الجهة الغربية ـ من **المغرب الأوسط** احتكت بقبائل **بني هلال**؛ حيث ثبت حظور قبيلتي:

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 93.**

[2] **العبر، مج: 7، ص ص: 93 - 94.**

زِغبة، والأثبج في الوقت ذاته؛ الذي سجل خلاله وجود **بني عبد الواد** ـ أصحاب **تلمسان** لاحقاً ـ في تلك النواحي[1].

وتقول المصادر أن أمير **تلمسان (من بني يعلى)** ـ أيام ظهور القبيلة **الهلالية "زغبة"** في تلك الجهات الغربية ـ يسمى **بختي**"؛ بينما يسمى وزيره وقائد جيشه "**أبو سعيد بن خليفة اليفرني**"[2]. وهنا يتضع التوافق والوئام الحاصل بين **مغراوة وبني يفرن** في **تلمسان** آنذاك. كما يبدو أن هذا التوافق امتدّ أثره إلى قبائل عديدة من **زناتة في المغرب الوسط**: ((**فكان كثيراً ما يخرج [أي** وزير بختي**] بالعساكر من تلمسان؛ لقتال عرب الأثبج وزغبة؛ ويحتشد من إليهم من زناتة؛ أهل المغرب الأوسط؛ مثل: مغراوة، وبني يلومي، وبني عبد الواد، وتجين، وبني مرين. وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير أبو سعدى** [أو سعيد]**؛ أعوام خمسين وأربعمائة))**[3].

---

[1] نفسه، ص: 94.
[2] في بعض مواضع أخرى: "أبو سعد" و"أبو سعدى". مج: 7، ص: 94.
[3] العبر مج: 7، ص: 94.

ـ العمـران والثقافـة:

يبـدو أن حـظ دولـة **بـني يعـلى المغراويـة** في ميـدان العمـران والثقافـة لا يرتـقي إلى منزلـة التنويـه والإشـادة بـه. وكـل مـا يمكـن ذكـره في هـذا المجـال؛ هـو اسـم أحـد العلمـاء الكبـار مـن أئمـة المذهـب المالـكي؛ الـذي اختـار الإقامـة **بتلمسـان** في ظـل حكـم **بـني يعـلى المغراويين**؛ وواضـح أنـه لـقي مـن حكـام تلمسـان ـ آنـذاك ـ كـل حفـاوة وتكريـم؛ ففضـل البقـاء في المدينـة إلى نهايـة عمـره. ثـم أثمـر وجـوده في هـذه المدينـة؛ فأعطاهـا علمـاء آخريـن؛ لازمـوه وتعلمـوا عـلى يديـه؛ سيـأتي ذكرهـم لاحقـاً. وهـذا العالـم الجليـل هـو:

1 ـ أبـو جعفـر الـدّوادي الأسـدي المالـكي[1] فقيـه، وأحـد أئمـة المذهـب المالـكي بالمغـرب. درس في صغـره وصبـاه **بطرابلـس الغـرب**؛ ثـم انتقـل إلى **تلمسـان**؛ أيـن استقـر بهـا، واختـار الإقامـة فيهـا. لـه حـظ وافـر في علـوم الحديـث واللغـة والكـلام. لـم يعـرف لـه شيخـاً أو معلمـاً؛ إذ قـال **ابـن فرحـون: ((وكـان درسـه وحـده؛ لـم يتفقـه في أكثـر علمـه عـلى إمـام مشهـور؛ وإنمـا**

---

[1] لـه ترجمـة في: الديبـاج المذهـب في معرفـة أعيـان علمـاء المذهـب لابـن فرحـون المالـكي، وبغيـة الـرواد في ذكـر الملـوك مـن بـني عبـد الـواد،

وصل بما أدركه))[1]. بينما عرف التلاميذ الآخذون عنه؛ ومنهم: أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطَّان البوني (العنابي)، المتوفى سنة 440هـ وأبو بكر أحمد بن أبي عُمر محمَّد بن أبي زيد المتوفى سنة 460هـ، وأبو علي ابن الوفاء السَّبتي.

من مؤلفات الدّاودي: "النامي في شرح الموطأ"، و"الوعي في الفقه"، و"النصيحة في شرح صحيح البخاري" ـ ويرى بعضهم أنه أول شرح لكتاب البخاري ـ ثم"الإيضاح في الرد على القدرية"، وله أيضاً تفسير القرآن؛ لا عنوان له؛ وسموه باسمه تفسير الدّاودي". توفي **بتلمسان** سنة 402هـ/1011م، ودفن عند باب العقبة. أين دفن بجواره فيما بعد ابن غزلون.

2 ـ أبو عبد الملك مروان بن علي الأسدي القطَّان البوني (العنابي)؛ وهو من أصول قرطبية؛ درس في بلده عن: أبي محمد الأصيلي، والقاضي أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس، وآخرين. ثم رحل إلى بلاد المغرب والمشرق. أين أخذ عن علماء آخرين. قال ابن بشكوال: **((أخذ عن أبي**

---

[1] الديباج المذهب، ج: 1، ص: 166.

الحسن القابسي، وأبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، وصحبه خمسة أعوام، وأخذ معظم ما عنده؛ من رواياته، ووتواليفه))[1]. ولكن ابن بشكوال؛ لم يذكر أين أقام معه تلك المدة؛ أهي في تلمسان أم في غيرها من البلدان؟ وعليه فقد أثبتناه هنا لعموم الفائدة. ومن مؤلفات **مروان بن علي:** مختصر تفسير الموطأ. وتوفى في عنابة قبل سنة 440هـ/1048م.

***

---

[1] **كتاب الصلة، ج: 2، ص: 616.**

عهد المرابطين

ـ تكرارت[1].. تلمسان المرابطية:

ظلت الحال مضطربة والحروب مشتعلة في كامل الديار **المغربية**؛ إلى أن حلّ بها ـ سنة 445هـ/1053م ـ قوم جدد؛ يمتطون الهُجُن والمهاري؛ قدموا هذه المرة من جنوب البلاد؛ فمهدّوا بلاد **المغرب**، وكبحوا قبائل **زناتة**، ومحوا مفاسدهم، وأصلحوا الأوضاع: السياسية والدينية والاقتصادية، ورفعوا مرتبة الدولة وسلطانها عالياً، وشجعوا العلم والعلماء؛ ونشروا نهج السلف، ودعموا المذهب المالكي. هؤلاء القوم هم **صنهاجة الجنوب** من: **لمتونة ومسوفة**؛ بقيادة **يحيى بن عمر** أولاً[2]، ثم

---

[1] تكتب أيضاً "تقرارت" أو تاجرارت"؛ بالجيم المصرية.

[2] هو الأمير يحيى بن عمر بن إبراهيم بن تورفيت (تورقيت) اللّمتوني. توفي يحيى بن عمر في سنة 447هـ/1055م. سماه صاحب الأنيس المطرب بروض القرطاس: يحيى بن عمر بن تلاكاكين الصنهاجي اللمتوني. ص: 80. وأجمع على هذا الاسم: ابن الخطيب، وابن خلدون. إعلام الأعلام (قسم المغرب)، ص: 228. والعبر، مج: 6، ص: 374. وقد خصص ابن عذاري فصلا عنونه بـ: ((ذكر نسب أمراء الدولة المرابطية)). البيان المغرب، ج: 1، ص: 17.

أخيه **أبي بكر بن عمر**[1]؛ ثم – من بعدهما – ابن عمهما **يوسف بن تاشفين**[2]؛ الذي فتح **تلمسان** سنة 468هـ/1075م[3]؛ أين قتل أميرها **العباس بن يحيى**[4] **المغراوي** في أحد الأقوال[5]؛ بينما يرى آخرون أنه صالحه بواسطة الأمير **مزدلي** وأنعم عليه: **((ورحل الأمير مزدلي إلى تلمسان؛ ودخلها – في مهلة، وحال هدنة – ثم ولى ابنه يحيى بن مزدلي، ورجع إلى مراكش؛ فكان وصوله إليها في نصف ربيع الآخر؛ من هذه السنة** [أي سنة 468هـ]**؛ ومعه العباس صاحب تلمسان؛ فأنعم عليه أمير المسلمين بكلّ**

---

[1] هو الأمير أبو بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورفيت (تورقيت أو توقوت) اللّمتوني. كان حياً بعد سنة 465هـ/1072م بثلاث سنين؛ حيث قتل خلال حرب بينه وبين السودانيين المجاورين له. الحلل الموشية، ص ص: 31. 34.

[2] سرد صاحب الحلل الموشية نسب يوسف بن تاشفين هكذا: ((هو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت (تورقوت) بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونمالي، الصنهاجي الحميري، وفي إبراهيم يجتمع مع ابني عمّه الأميرين اللّذين كانا قبله: أبي زكرياء وأبي بكر ابني عمر ابن إبراهيم بن تورقيت)). ص: 29.

[3] البيان المغرب، ج: 1، ص: 29. والحلل الموشية، ص: 40. بينما يرى ابن أبي زرع، وابن خلدون أن يوسف بن تاشفين فتح تلمسان في سنة 474هـ. أنظر الأنيس المطرب، ص: 92. والعبر، مج: 6، ص ص: 359. 381.

[4] في العبر: "العباس بن بختي". أنظر مج: 6، ص: 381. وفي البيان المغرب: :العباس بن يحيى". ج: 1، ص: 29.

[5] العبر، مج: 6، ص: 381.

خير، وأمر له بظهائر كريمة، وانصرف إلى وطنه))[1].

وبذلك غدت هذه المدينة ثغراً وحصناً للمرابطين؛ حيث حظيت بعناية خاصة من قبل **يوسف بن تاشفين**؛ الذي باشر ببناء مدينته الخاصة في الناحية الغربية؛ وملاصقة **لأغادير** (الاسم القديم **لتلمسان**)؛ وسمّى مدينته "**تاكرارت**"[2] (**تاقرارت** أو **تاجرارت** بالجيم المصرية) **TAGRART**؛ ومعناها ــ كما فسرها **ابن خلدون: ((وهو اسم المحلة بلسان البربر))**[3]. ويبدو أن ثمة **تقرارت** أخرى في **مكناسة بالمغرب الأقصى**؛ وهي التي أبقاها **عبد المؤمن** عند فتحه **لمكناسة** سنة 543هـ/1148م[4].

ومنذ خضعت **تلمسان للمرابطين**؛ أضحت بمثابة المنطلق؛ نحو فتح بقية مدن **المغرب** الأوسط؛ **كوهران وتنس والوانشريس ومدينة الجزائر**.

---

[1] البيان المغرب، ج: 1، ص: 29.
[2] كتبها ياقوت الرومي محرفة هكذا: ((تافرزت)). معجم البلدان، مج: 2، ص: 44.
[3] العبر، مج: 6، ص: 381. لأن ابن تاشفين بناها في موضع محلته (معسكره) عند النزول لقتال تلمسان. وعليه فقد سماها تكرارت؛ باسم المعسكر.
[4] ((وخربت [أي مكناسة]، وقتل أكثر رجالها، وخمست أموالهم؛ وبقيت تاجرارت المدينة إلى الآن)). الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 134.

هذا؛ وقد أسند **يوسف بن تاشفين** ولاية **تلمسان إلى محمد بن تينعمر**[1] **المسوفي**؛ وخلفه بعد مماته أخوه **تاشفين بن تينعمر**[2]. وفي عهد هذا الأخير؛ هاجمت جيوش **الحماديين تلمسان** سنة 496هـ/1102[3] بقيادة **المنصور**[4]؛ فاحتلها وعاث جيشه فيها. ثم خرج منها عائداً إلى وطنه؛ بعد أن شفعت في أهل **تلمسان** زوجة أميرها **تاشفين**؛ المسماة **حوا**[5]. حدث ذلك؛ رداً على اكتساح والي **تلمسان محمد بن تينعمر المسوفي** لبلاد **صنهاجة** وممتلكاتها؛ عندما توغل شرقاً حتى نازل **الجزائر**. ثم سلك أخوه **تاشفين بن تينعمر** النهج نفسه؛ حين غزا

---

[1] وردت في العبر مرة ((يغمر المسوفي))، ومرة أخرى ((ينعمر))، ومرة ثالثة ((تينعمر)).

[2] كتبها ابن خلدون في بعض المرات: ((ينعمر)). العبر، مج: 6، ص: 386.

[3] هكذا في إعمال الأعلام (قسم المغرب) ص: 97. بينما حرف التاريخ في العبر، مج 6، ص: 360؛ إذ كتب: سنة ست وسبعين [وأربعمائة]. أما في ص: 386 بالمجلد نفسه فكتبت: 497هـ؛ وهذا أقرب إلى الصحة. كما حرف التاريخ أيضاً في مج: 7، ص: 115؛ حيث كتب: ((ثم نهض إلى تلمسان في العساكر؛ واحتشد العرب من: الأثبج، ورياح، وزغبة، ومن لحق به من زناتة؛ وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين)).

[4] هو المنصور بن الناصر بن علناس. (481هـ/1081م - 498هـ/1104م).

[5] ((وعاثت عساكر المنصور في تلمسان؛ فخرجت إليه حوّا؛ زوجة تاشفين أميرهم؛ متذممة، راغبة في الإبقاء، متوسلة بوشائج الصنهاجية. فأكبر قصدها إليه، وأكرم موصلها؛ وأفرج عنهم صبيحة يومه. وانكفأ راجعاً إلى حضرته بالقلعة)). العبر، مج: 6، ص: 361.

أشير، وخربها. الأمر الذي أغضب **المنصور بن الناصر الحمادي**؛ فبادر إلى حشد جيشه، وجمع أنصاره من **أعراب هلال (الأثبج، ورياح، وزغبة)**؛ بالإضافة إلى بعض الأحياء من **زناتة**؛ ثم زحف بهم جميعاً **إلى تلمسان**؛ أين استولى عليها عنوة، وأطلق العنان لجيشه كي ينهب ويفسد؛ ولكنه أمسك عن ذلك؛ بعد شفاعة زوجة **تاشفين**؛ كما ذُكِر سابقاً.

وبعد غزو **المنصور لتلمسان**؛ وعودته إلى بلاده؛ تدارك الأمر **يوسف بن تشفين**؛ الذي كان منشغلاً في تمهيد **الأندلس**؛ فلم يرد فتح جبهة أخرى ضد **بني حماد**؛ لذا فقد باشر بالصلح مع **الحماديين**؛ وعزل أمير **تلمسان تاشفين المسوفي**؛ وعين بدلاً منه **مزدلي**؛ الذي استقدمه من إمارة **بلنسية بالأندلس**.

وفي أواخر الدولة **المرابطية**؛ كان على ولاية **تلمسان**؛ **يحيى بن إسحاق** المعروف **بانكمار**. هو الذي التحق بصفوف **عبد المؤمن بن علي الكومي**[1]

---

[1] سرد ابن أبي زرع نسب عبد المؤمن بن علي هكذا: ((هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمني بن موسى بن عون الله بن يحيى بن وزجائع بن سطفون بن

ـ مع جماعة من **مسوفة** ـ سنة 537هـ/1142م[1]؛ بعد الفتنة التي وقعت بين **لمتونة ومسوفة**؛ حيث أعلنوا طاعتهم **للموحدين**. فولى **تاشفين بن علي ابن يوسف** ـ على **تلمسان** وأحوازها ـ **محمد بن يحيى بن فانوا**؛ ولكنه قتل في معركة بينه وبين **الموحدين**؛ فأسند **تاشفين بن علي** ولايتها إلى **أبي بكر بن مزدلي**؛ وهو آخر ولاة **المرابطين** في **تلمسان**.

كما شهدت هذه المدينة ومحيطها بوادر نهاية الدولة **المرابطية**. لأن عاهل الدولة **تاشفين بن علي** كان في **تلمسان**؛ حين زحف إليه **عبد المؤمن بن علي** أمير **الموحدين**؛ حيث نزل في ظاهر المدينة؛ بين ما يعرف بالصخرتين؛ أي الجبلين. وبالمقابل نزل الجيش **المرابطي** في أرض منخفضة؛ ولما التحم الجيشان؛ تغلب **الموحدون**؛ بحكم موقعهم المرتفع. فانصبوا على أعدائهم؛ وكانت هزيمة **اللمتونيين**، وفرار **تاشفين بن علي** إلى **وهران**؛ حيث هلك

نفور بن مطاط بن هود بن مادغيس بن بربر بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار بن عدنان. هكذا أثبت نسبته جماعة المؤرخين لدولته؛ وأصله منقول من خط حفيده أبي محمد عبد الواحد على ما ذكروه؛ والله أعلم. فهو زناتي الأصل...)) الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 119.

[1] العبر، مج: 6، ص: 474.

هناك؛ بسقوطه من أعلى جبل في سنة 539هـ/1144م[1].

وثمة رواية أخرى؛ ذكرها **ابن صاحب الصلاة**؛ ونقلها عنه **ابن أبي زرع**[2] أيضاً؛ ومفادها؛ أن **تاشفين** طوى المراحل نحو **تلمسان**؛ بهدف الوصول إليها قبل **عبد المؤمن**؛ حين علم برحيله نحوها. ولما دخلها **تاشفين**؛ بادر إلى تحصينها وضبط أحوالها. أما **عبد المؤمن** فقد اكتفى بمحاصرة المدينة؛ عند نزوله بجيشه بين الصخرتين؛ كما يقال. وجاء في هذا الخبر؛ أن جيشيهما اشتبكا مراراً؛ ثم بادر **عبد المؤمن** بالرحيل نحو **وهران** لفتحها؛ وترك قوة من الموحدين تحاصر **تلمسان**. عندها؛ خرج على إثره **تاشفين** ـ لحماية **وهران** ـ بعد أن استخلف في **تلمسان** حامية من **المرابطين**. وهناك حدث له ما حدث؛ من هلاكه؛ بالسقوط من المرتفع إلى البحر. عندئذ سهل على **عبد المؤمن**؛ فتح **وهران**

---

[1] الأنيس المطرب، ص ص: 107 - 108. 132. العبر، مج: 6، ص: 477. أنظر خبرا مفصلا عن هذه الوقائع كلها؛ في الحلل الموشية، ص ص: 159 - 164. وجاء في المعجب في تلخيص أخبار المغرب؛ أن مهلك تاشفين حدث في سنة 540هـ. أنظر ص: 203.

[2] الأنيس المطرب، ص ص: 131 - 132.

وتلمسان في السنة نفسها؛ أي 539هـ/1144م[1]. وواضح هنا أن هذه الرواية الأخيرة؛ يشوبها ضعف وعدم انسجام مع المنطق؛ لأن خروج **تاشفين** ـ بعد رحيل **عبد المؤمن إلى وهران** ـ غير معقول؛ خاصة وأن الجيش **الموحدي** بقي محاصراً للمدينة؛ وهذا الأمر يعرض **تاشفين** للخطر. كما أن خروجه بعد **عبد المؤمن**؛ لا يمكنه من الوصول قبله **إلى وهران**؛ خاصة وأن المسافة غير بعيدة؛ ولا تتجاوز ثلاث مراحل.

المهم؛ أن **تلمسان** ظلت في قبضة **المرابطين**؛ إثر هروب **تاشفين إلى وهران**، ومماته فيها؛ لأنه ترك فيها الأمير **محمد**؛ الشهير **بالشيور**. وبالمقابل ترك **عبد المؤمن** مفرزة من جيش **الموحدين** بقيادة

---

[1] أورد بن أبي زرع خبراً آخر عن فتح تلمسان؛ جاء فيه: ((ودخل عبد المؤمن وهران عنوة؛ وذلك في شهر محرم من سنة أربعين وخمسمائة؛ وفي شهر صفر دخل تلمسان؛ وملكها الموحدون؛ وفرّ عنها لمتونة؛ إلى أكادير؛ فحصروا بها إلى سنة أربع وأربعين؛ فدخلها عليهم الموحدون عنوة. وقال البرنوسي: فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين)). الأنيس المطرب، ص: 133. وذكر عبد الواحد المراكشي أيضاً خبراً جاء فيه: ((وخرج تاشفين ـ بعد وفاة أبيه ـ قاصداً تلمسان؛ فلم يتفق له من أهلها ما يريد؛ فقصد مدينة وهران ـ وهي على ثلاث مراحل من تلمسان ـ فحاصره الموحدون بها. فلما اشتدّ عليه الحصار؛ خرج راكباً فرساً شهباء؛ فاقتحم البحر حتى هلك)).المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 202. وهكذا تعددت الروايات حول فتح الموحدين لتلمسان وهلاك أمير المسلمين تاشفين بن علي.

ابن يحيى بن يومر؛ بغرض التضييق على **المدينة** ومحاصرتها. ولكن الحال تغير بعد وصول خبر هلاك **تاشفين إلى تلمسان**. عندها؛ سارع كل من فيها من **اللمتونيين إلى** الهروب. فدخل عبد المؤمن المدينة؛ أين قتل وسبى، ونهب وأبلى: **((ذكر ابن اليسع أنّه بلغ عدد القتلى بها إلى مائة ألف أو أزيد، ولما ملكها أقام بها سبعة أشهر، ورحل منها إلى جهة المغرب))**[1].

ـ العمران والثقافة:

أبرز الإنجازات العمرانية للمرابطين في **تلمسان**؛ هي بناؤهم لمدينة جديدة ـ غير **أغادير** القديمة ـ أحاطوها بسور حصين؛ وسموها **تكرارت (تقرارت)**. كما بُنِي في مركز المدينة المرابطية مسجدٌ جامع سنة 473هـ/1080م؛ ويقال أن أسُسَه وضعت حيث نُصِبَتْ خيمة **يوسف بن تاشفين**؛ عندما فتح **تلمسان**.

---

[1] الحلل الموشية، ص: 166. وجاء في العبر أيضاً: ((وبلغ خبر مقتل تاشفين إلى تلمسان مع فل لمتونة؛ وفيهم: أبو بكر بن يحيى، وسير بن الحاج، وعلي بن فيلو ـ في آخرين من أعيانهم ـ ففر معهم من كان بها من لمتونة)). مج: 6، ص: 477.

وشيَّد **المرابطون** أيضاً ـ بجوار المسجد ـ قصراً لسكنى أمراء المدينة؛ عرف فيما بعد باسم القصر القديم. وفي أيام الأمير **علي بن يوسف بن تاشفين**؛ أضاف للعمارة في **تلمسان** رونقاً وجمالاً؛ حينما جلب إليها ـ سنة 530هـ/1135م ـ مهندسين وعملة وفنيين من **الأندلس**؛ قاموا بتجديد عمارة بعض المنشآت بالمدينة وتزيينها بالأشكال الفنية. من تلك المنشآت: المسجد الجامع؛ الذي أضفيت عليه مسحة رائعة من الأشكال الفنية الجميلة.

ويفهم مما ورد في جُلّ المصادر التاريخية؛ أن **تلمسان** ـ في عصر **المرابطين** ـ أخذت تشهد بوادر النهضة العلمية والأدبية؛ إذ تمتَّنت الصلات ـ في تلك الفترة ـ بين العدوتين: **المغربية والأندلسية**؛ كما ازدادت الحركة العلمية ونمت بين الضفتين؛ فكان **لتلمسان** نصيب من تلك الحركة العلمية. إذ برز فيها بعض العلماء والفقهاء والأدباء الشعراء. غير أن العصر المرابطي غلب عليه ـ أيضاً ـ الاعتناء بالعلوم الدينية؛ ذات التوجه المالكي. كما أن تلمسان في هذا العصر؛ غلبت عليها ظاهرة التصوف والميل إلى الزهد بين كثير من العلماء.

وقد أوردت المصادر أسماء نخبة من أولئك العلماء والشعراء؛ بالإضافة إلى الأولياء الصالحين والدراويش. ممن عاشوا في العصرين: **المرابطي، والموحدي**. وحتى يسهل تصنيفهم؛ فقد أُخذ بالاعتبار الوقوف – في الفترة المرابطية – عند سنة 560هـ/1164م؛ لأن الدولة الموحدية قبل هذا التاريخ؛ لم يتسن لها تقديم شيء في المجال الثقافي بتلمسان؛ وكل ما وجد في هذه المدينة؛ فقد نما وترعرع في ظلّ المرابطين. وفيما يلي بعض الأسماء من علماء تلمسان وزهادها؛ على أن يترك المجال للأدباء والشعراء في أجزاء الكتاب اللاحقة:

1 – الولي الزاهد أبو زكرياء يحيى بن الصقيل، فقيه، ومحدث وحافظ للحديث؛ يميل إلى الزهد والورع؛ ومنغمس في العبادة، لا يكاد يفارق المساجد، ويكثر من زيارة القبور؛ ويفضل العزلة عن الناس. نسبت له الكرامات واطلاعات صوفية. دفن رحمه الله خارج باب العقبة، قال عنه يحيى بن خلدون: **((وله الآن بتلمسان ولد على غير هدية، نجباء فيما ولوه من أمر السلطنة))**[1]. قال فيه ابن

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 116.**

الزبير أنه ((روى عن القاضي أبي علي الصدفي[1]. ذكره أبو عبد الله التلمساني))[2]. بما أن الصدفي توفي في سنة 514هـ/1120م. يكون **ابن الصقيل** هذا عاش في زمنه ــ وفي عصر المرابطين بالتحديد ــ أما وفاته فلا تبعد كثيراً عنه؛ والله أعلم.

2 ــ أبو الحسن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن أحمد المرسي التلمساني (ابن الصقيل).

قد يكون من الأبناء الذين أشار إليهم يحيى بن خلدون؛ في الترجمة السابقة. وهو أحد رواة الحديث، ومن العدول الصالحين. لا يعرف تاريخ وفاته. فألحقت ترجمته بسلفه.

3 ــ أبو جعفر أحمد بن علي بن غزلون الأموي؛ توفي في عام 524هـ/1129م. أندلسي من أهل **تُطِيلة**. قال عنه ابن بشكوال: **((روى عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي؛ وهو معدود في كبار أصحابه. وكان من أهل الحفظ والمعرفة والذكاء؛ وقد أخذ عنه أصحابنا. وتوفي بالعدوة؛ في نحو عشرين وخمسمائة))**[3]. غير أن تعليقا في هامش

---

[1] الشهير بلقب ابن سُكَّرة.

[2] صلة الصلة، رقم الترجمة: 356.

[3] الصلة، ج: 1:، ص: 77، رقم الترجمة: 169.

الصفحة كتب فيه: **((قبره بتلمسان بأجادير؛ منها بباب العقبة؛ وكثيراً ما زرت قبره رحمه الله. ووفاته – بلا شك – سنة أربع وعشرين. "من هامش الأصل المعتمد عليه؛ وقد سقط هذا في نسخة أوروبا"))**[1]. وقبره بجوار قبر أحمد الداودي.

4 – يحيى بن يوغان "يوفْان" الصنهاجي؛ (أبو زكرياء). وهو أحد أمراء المرابطين؛ اختار خلوة الصوفيين؛ على مجالس الحكم والرئاسة. يقال أنه زار يوماً **أبا محمد عبد السلام التونسي**؛ وطلب منه أن يكون تلميذاً له؛ **((فقال له: "إنّك لا تقدر على ذلك"؛ فقال له أبو زكرياء: "أقدر إن شاء الله: فقال له: "إن كنت كما تقول؛ فاذهب إلى الجبل، واحتطب حزمة، وادخل بها رحبة القصر وهي على ظهرك؛ حتى يذهب ما فيك من الكبر والنخوة والزعامة))**[2]. فنفذ الأمير **ابن يوغان** ما اشترطه عليه **أبو محمد عبد السلام**؛ فذهب إلى الجبل واحتطب حطباً؛ جمعه في حزمة؛ ثم حملها على ظهره، ودخل بها رحبة القصر من باب وخرج من باب آخر – وهي مركز إمارته في

---

[1] الصلة، ج: 1، ص: 77.

[2] التشوف إلى رجال التصوف؛ ص: 123.

تلمسان – فلما رآه بعض الرؤساء من **صنهاجة**؛ فرّوا من أمامه؛ حياء منه، وإشفاقاً من رؤيته على تلك الحال. ولكنه واصل طريقه إلى وسط البلدة؛ حيث وضع حزمة الحطب من على ظهره، وعرضها للبيع؛ فباعها بدرهم؛ ثم عاد إلى **التونسي**. ولما حكى حكايته عليه؛ قال له: "أما الآن؛ فأنا استوهب منك الدعاء". ثم إنه كان يحيل من يأتيه في طلب الدعاء إلى **ابن يوغان**؛ ويقول له: **((اذهب إلى ابن يوغان، واستوهب منه الدعاء؛ فإنه ملك زهد في الدنيا؛ وأما أنا فكنت فقيراً وبقيت فقيراً؛ وما زدت شيئاً))**[1]. توفي بتلمسان في 537هـ/1142م.

5 – أبو عمر عثمان المعروف باسم ابن صاحب الصلاة: وهو قاضي **تلمسان**، وخطيب جامعها. من العلماء الأجلاء، والفقهاء المميزين. قام بشرح الأحكام الصغرى. تلقى عليه **عبد المؤمن بن على** العلم في صغره؛ ثم قتله بأمر **ابن تومرت**؛ الذي قال له: ((اقتله؛ **فإن صفير الصاد من قوله لي: "اشتغل بخويصة نفسك" في أذني حتى الآن))**[2]. وكان قد وبَّخ ابن تومرت على بعض تصرفاته؛ خلال

---

[1] التشوف إلى رجال التصوف؛ ص: 123.
[2] بغية الرواد: ج: 1، ص: 116.

مروره **بتلمسان** مع عبد المؤمن بن علي؛ عائداً إلى المغرب الأقصى. وتم قتله إثر فتح عبد المؤمن ابن علي تلمسان؛ في سنة 539هـ/1144م.

6 ـ عثمان بن علي بن الحسن التلمساني؛ (أبو عمرو). شيخ فاضل؛ ملتزم بدينه، صالح في أقواله وأفعاله، مواضب على تلاوة القرآن الكريم؛ بحيث كان يختمه كل ليلة. رحل للحج عبر الصحراء؛ ثم عاد. وقال يحيى بن خلدون: ((**فلما كان على مسيرة يوم عن تلمسان، سمع، هاتفاً يقول له أدرك أمّك فقد ماتت، فأغذ السير، وأدرك جنازتها على شفير القبر**))[1]. توفي رحمه الله في رمضان من عام 542هـ/1147م.

7 ـ علي بن أبي القاسم عبد الرحمن التلمساني؛ المعروف **بابن جنون "قنّون**[2]**؛ (أبو الحسن).** توفي في عام 557هـ/1161م. ولد ونشأ **بتلمسان** وتعلم بها؛ ثم عبر إلى **الأندلس**؛ أين روى على بعض علمائها. تولى القضاء **بتلمسان ومراكش.** من مؤلفاته: المقتضب الأشفى في اختصار المستصفى؛ في أصول الفقه.

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 108.**

[2] **سمي في بعض النصوص ((ابن عرجون)).**

8 ـ يعقوب بن حمود التلمساني؛ (أبو يوسف). تعود أصوله الأولى إلى أغمات. أخذ بمرسية عن أبي علي الصدفي سنة 511هـ/1117م. ثم عاد إلى **تلمسان**؛ التي باشر التعليم بها؛ ومن تلاميذه أبو يحيى بن عصفور وآخرون. ولا يعرف تاريخ وفاته. وإنما يدخل في أعلام العصر المرابطي؛ بحكم أنه أخذ العلم عن الصدفي المتوفي سنة 511هـ.

وهكذا؛ تكون **تلمسان** ـ في ذلك العهد ـ قد احتلت مكانة مرموقة بين العلماء؛ إذ أضحت مركزاً هاماً للفقه المالكي. وقد انتقل إليها **عبد المؤمن ابن علي** ـ في صغره؛ من بلدته **تاجرا** القريبة من **ندرومة** ـ بغرض استكمال تعليمه على يد العلماء فيها؛ من بينهم: **ابن صاحب الصلاة، وعبد السلام التونسي**.

* * *

العصر الموحدي

في أشهر الأقوال؛ يكون **عبد المؤمن بن علي** قد دخل إلى **تلمسان** في سنة 539هـ/1144م؛ حيث تملكها عنوة؛ إثر عودته من فتح **وهران** مباشرة:[1]

((ولما وصل عبد المؤمن إلى تلمسان؛ استباح أهل تاكرارت؛ لما كانوا أكثرهم من الحشم؛ وعفا عن أهل تلمسان؛ ورحل عنها لسبعة أشهر من فتحها؛ بعد أن ولى عليها سليمان بن محمد بن واندين؛

---

[1] الحلل الموشية، ص: 165. أورد ابن خلدون خبراً آخر أيضاً؛ حيث قال: ((وفيما نقل بعض المؤرخين؛ أنه لم يزل محاصرا لتلمسان؛ والفتوح ترد عليه. وهناك وصلته بيعة سجلماسة. ثم اعتزم على الرحيل إلى المغرب؛ وترك إبراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان؛ فقصد فاس سنة أربعين [وخمسمائة]؛ وقد تحصن بها يحيى الصحراوي. ولحق بها من فلّ تاشفين من تلمسان؛ فنازلها عبد المؤمن، وبعث عسكراً لحصار مكناسة؛ ثم رحل في أتباعه؛ وترك عسكراً من الموحدين على فاس؛ وعليهم الشيخ أبو حفص، وأبو إبراهيم من أصحاب المهدي العشرة؛ فحاصروها سبعة أشهر.... وبلغ خبر فاس إلى عبد المؤمن ـ وهو بمكانه من حصار مكناسة ـ فرجع إليها، وولى عليها إبراهيم بن جامع.... وكان إبراهيم بن جامع لما افتتح تلمسان؛ ارتحل إلى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس؛ فاعترضه المخضب بن عسكر؛ أمير بني مرين بأكرسيف؛ ونالوا منه ومن رفقته. فكتب عبد المؤمن إلى يوسف بن واندين (بن..؟) عامل تلمسان؛ أن يجهز إليهم العساكر؛ فبعثها صحبة عبد الحق ابن مَنْغفاد شيخ بني عبد الواد؛ فأوقعوا ببني مرين، وقتل المخضب أميرهم)). العبر، مج: 6، ص ص: 478 - 479.

وقيل يوسف بن واندين))[1]. ثم أشار **ابن خلدون**؛ لتضارب الآراء في الرواية.

وذكر **ابن أبي زرع** أن **عبد المؤمن بن علي** أمر ــ سنة 540هـ/1145م **((ببناء سور تاجرارت** [تكرارت أو تقرارت] **من تلمسان وبناء جامعها، وتحصين المدينة، وإعلاء سورها))**[2].

وبعد فتح **إفريقية**؛ أسند **عبد المؤمن بن علي** سنة 547هـ/1152م ولاية **تلمسان** إلى ولده **السيد أبي حفص عمر**؛ ثم وضع معه **أبا محمد بن واندين** في مرتبة وزير، **وأبا الأصبغ بن عياش** ككاتب ومعلم ومؤدب له[3]. وواضح ــ هنا ــ أنه اتخذ هذا في إطار سياسة جديدة اتبعها؛ تمكنه من السيطرة والتحكم في أوضاع الدولة؛ إذ أنه أسند أيضاً ولاية **فاس** لابنه السيد **أبي الحسن**، وولاية **سبتة** للسيد **أبي سعيد**[4]، وولاية **بجاية** للسيد **أبي محمد عبد الله**. الأمر الذي أغضب أسرة **المهدي**؛ حيث عاد أخواه

---

[1] **العبر، مج: 6، ص: 478.**
[2] **الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 133.**
[3] **الحلل الموشية، ص: 186. والعبر، مج: 6، ص: 491.**
[4] **نفسه: ((غرناطة)). ص: 186.**

إلى **مراكش**؛ قصد حبك مؤامرة ضد **عبد المؤمن** وبنيه؛ ولكنهما فشلا وقتلا[1].

وبعد أن استوزر **عبد المؤمن** ولده **السيد أبا حفص** سنة 555هـ/1160م؛ أسند ولاية **تلمسان للسيد أبي عمران بن عبد المؤمن**[2]. وذكر **عبد الواحد المراكشي**؛ أن **عبد المؤمن** أسند خطة القضاء **بتلمسان** لابنه **أبي يعقوب**[3]. وهذه الخطة أسندت ايضاً في **تلمسان** إلى **طلحة بن أبي يعقوب**. وتبين أن والي هذه المدينة سنة 581هـ/1185م هو **السيد أبو الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن**[4]. أما في سنة 584هـ/1188م فكانت ولاية **تلمسان** من نصيب **أبي إسحاق بن عبد المؤمن**؛ ولكن ابن أخيه **يعقوب بن المنصور** عزله ونكبه في السنة نفسها؛ بعد عودته من إفريقية لأمر سمعه عنه؛ فأغضبه.[5]

وفي سنة 604هـ/1207م؛ كان والياً على **تلمسان** **أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن**؛ الذي

---

[1] العبر، مج: 6، ص ص: 491 - 492. أنظر خبر هذه المؤامرة في المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 233 - 234.

[2] العبر، مج: 6، ص: 500.

[3] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 246.

[4] العبر، مج: 6، ص: 507.

[5] نفسه ، ص: 510.

توفي بها في السنة نفسها[1]. حيث أسند **الناصر** هذه الولاية – سنة 605هـ/1208م – لأبي **عمران بن يوسف بن عبد المؤمن**. **((أدال به من السيد الحسن. فوصل إلى تلمسان في عساكر الموحدين؛ وتطوف بأقطارها. وزحف إليه ابن غانية هنالك؛ فانفض الموحدون؛ وقتل السيد أبو عمران؛ وارتاع أهل تلمسان؛ وأسرع السيد أبو زكرياء من فاس إليها؛ فسكن نفوسهم. خلال ما عقد الناصر لأبي زيد بن يوجان على تلمسان؛ وسرحه في العساكر؛ فنزل بها؛ وفرّ ابن غانية))**[2].

وفي سنة 611هـ/1214م؛ عزل **المستنصر بن الناصر أبا زيد بن يوجان (يوغان أو يوڤان)** عن ولاية **تلمسان**؛ واسند ولايتها **لأبي سعيد بن المنصور**[3]. ولكن **ابن خلدون**؛ ذكر أن ولده **محمد ابن أبي زيد بن يوغان (يوڤان)**؛ بايع **للمأمون**[4]؛ بينما كان والياً على **تلمسان** سنة 626هـ/1228م[5].

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 520.
[2] نفسه، ص ص: 520 - 521.
[3] نفسه، ص: 524.
[4] هو أبو العلاء إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي. حكم من سنة 624هـ/1226م إلى سنة 630هـ/1232م.
[5] العبر، مج: 6، ص: 529.

غيـر أنـه يذكـر ـ في موضـع آخـر ـ أن الـوالي عـلى **تلمسـان** في سنـة 624هـ/1226م؛ هـو **أبـو سعيـد**[1]؛ وهـذا الأخيـر؛ هـو الـذي أجمعـت المصـادر عـلى أنـه كـان عـلى **تلمسـان** في سنـة 624هـ؛ عنـد ظهـور **بـني عبـد الـواد**؛ الذيـن استبـدوا بهـذه المدينـة وأعمالهـا؛ وشيـدوا دولتهـم بعـد اقتطاعهـا نهائيـا عـن الدولـة **الموحديـة** في سنـة 633هـ/1235م.

وجملـة القـول؛ تعتبـر **تلمسـان** مـن مراكـز الدولـة **الموحديـة** الهامـة؛ بحيـث اختـص بهـا القرابـة مـن **بـني عبـد المؤمـن**؛ وفي هـذا يقـول **عبـد الرحمـان بـن خلـدون**: **((وكانـت تلمسـان ـ لذلـك العهـد ـ نـزلاً للحاميـة، ومناخـاً للسيـد مـن القرابـة؛ الـذي يضـم نثرهـا، ويـذب عـن أنحائهـا))**[2].

---

[1] **((وكـان المامـون استعمـل علـى تلمسـان أخـاه السيـد أبـا سعيـد؛ وكـان غفلاً؛ ضعيـف التدبيـر)). نفسـه، مج: 7، ص: 152.**

[2] **العبـر، مج: 7، ص ص: 151 - 152.**

ـ العمـران والثقافـة:

شهـدت الفتـرة الزمنيـة ـ الـتي استظلـت فيهـا **تلمســان** بحمايـة الدولـة الموحديـة ـ أهـم الإنجـازات العمرانيـة؛ حيـث رُفِعَـتْ بهـا الأسـوار إلى مستويـات شاهقـة، وحصنـت بمـواد البنـاء الصلبـة المتينـة، وحفـرت حولهـا الخنـادق والحواجـز المائيـة، وأقيمـت علـى أطرافهـا التحصينـات المنيعـة. كمـا شجـع أمـراء الدولـة الموحديـة السكـان علـى إضافـة المزيـد مـن العمـران، والتوسـع في بنـاء المساكـن والقصـور. وينسـب **ابـن خلـدون** معظـم المنجـزات العمرانيـة **بتلمســان** ـ في العهـد الموحـدي ـ إلى أميرهـا السيـد **أبي عمـران مـوسى بـن يوسـف**؛ الـذي وُلِي المدينـة سنـة 556هـ/1160م: ((**واتصلـت أيـام ولايتـه فيهـا؛ فشيّـد بناءهـا، وأوسـع خطتهـا، وأدار سيـاج الأسـوار عليهـا**))[1]. كمـا اتبـع نهجـه ـ في البنـاء والعمـران ـ السيـد **أبـو الحسـن علـي بـن أبي حفـص بـن عبـد المؤمـن**؛ الـذي وُلِي **تلمســان** بعـده؛ إذ اضطرتـه الأوضـاع السياسيـة والعسكريـة، والاضطرابـات والفتـن الـتي أشعلهـا **ابـن غانيـة** سنـة 581هـ/1185م ـ إثـر احتلالـه **لبجايـة**

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 160.

والجزائر ومليانة ـ إلى إضافة المزيد من الأسوار والتحصينات: **((بإمعان النظر في تشييد أسوارها، والاستبلاغ في تحصينها، وسدّ فروجها، وإعماق الحفائر نطاقاً عليها؛ حتى صَيَّرها أمنع معاقل المغرب، وأحصن أمصاره. وتقبل ولاتها هذا المذهب من بعده في المعتصم بها))**[1]. ثم تنامى عمران **تلمسان** ـ مع الوقت ـ وتعاظم دورها السياسي والعسكري؛ فاعتبرت ـ بحكم أهميتها وموقعها وحصانتها ـ حاضرة **للمغرب الأوسط**؛ بعد تلاشي دور **تيهرت** والمدن الأخرى.

أما خبر الحركة العلمية والثقافية عموماً في مدينة **تلمسان**؛ فيتجلى بما شهدته من نموّ وتطور في العهد **الموحدي**؛ إذ فاقت ـ في مجملها ـ الأوضاع الثقافية أيام **المرابطين**. ويمكن استشفاف ذلك من خلال ما ظهر فيها من علماء وأدباء.

وثمة جزء معتبر مما هو مُثْبَت هنا؛ يمكن إدخاله ضمن الفترة المرابطية؛ ولكن المنهج ـ الذي ذكر سابقاً ـ يجعل كل من مات بعد سنة 560هـ/1164م من أعلام الدولة الموحدية؛ بينما يعود

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 160.

السابقــون مــن الرجــال لهــذا التاريــخ إلى العصــر المرابــطي.

وفيمــا يــلي أهــم العلمــاء والمتصوفــة في العهــد الموحــدي؛ باستثنــاء الذيــن لهــم مشاركــة في فنــون الأدب ونظــم الشعــرا؛ إذ خصصــت لهــم الأجــزاء المتبقيــة مــن الكتــاب:

1 ـ سليمــان بــن عبــد الرحمــن بــن المعــز الصنهــاجي، المعــروف بالتلمســاني؛ (أبــو الربيــع). مــن بيــن شيوخــه: أبــو بكــر بــن خلــف المعــروف بالمــواق، وأبــو العبــاس أحمــد بــن محمــد المعــروف بالحصــار. وكــان يميــل إلى الزهــد، ويتصــف بالــورع؛ سكــن مدينــة ســلا؛ وانشغــل بحرفــة النســخ؛ ولــم يكــن يرضيــه إلاّ قيمــة العــدل. وتــوفي بســلا ســنة 579هــ/1183.

2 ـ يوســف بــن عبــد المؤمــن الكــومي؛ (أبــو يعقــوب)؛ هــو أحــد سلاطيــن الدولــة الموحديــة العظمــاء في العلــم والسياســة. إذ كــان ـ إلى جانــب منصبــه السيــاسي ـ واســع الاطــلاع عــلى علــوم شــتى؛ منهــا: الشرعيــة، والأدبيــة، والفلسفيــة. وقــد عــرف عنــه إلمامــه بالحكمــة، والفلسفــة؛ وحبِّــه للعلمــاء، وأهــل الفكــر؛ حيــث جلــب إلى بلاطــه نخبــة مــن علمــاء عصــره آنــذاك؛ مثــل: ابــن الطفيــل، وابــن رشــد، وابــن زهــر وغيرهــم. ووصفــه

عبد الواحد المراكشي بقوله: **((كان أحسن الناس ألفاظاً بالقرآن، وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو، وأحفظهم للغة العربية... مع إيثار للعلم شديد، وتعطش إليه مفرط. صح عندي أنه كان يحفظ أحد الصحيحين ـ الشك مني: إما البخاري، أو مسلم؛ وأغلب ظني أنه البخاري ـ حفظه في حياة أبيه؛ بعد تعلم القرآن؛ هذا مع ذكر جمل من الفقه؛ وكان له مشاركة في علم الأدب، واتساع في حفظ اللغة، وتبحر في علم النحو حسبما تقدم؛ ثم طمح به شرف نفسه، وعلوٍّ همته إلى تعلم الفلسفة؛ فجمع كثيراً من أجزائها؛ وبدأ من ذلك بعلم الطب؛ فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره؛ مما يتعلق بالعلم خاصة؛ دون العمل؛ ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف منه من أنواع الفلسفة؛ وأمر بجمع كتبها؛ فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المنتصر بالله الأموي.))**[1]. توفي رحمه الله في عام 580هـ/1184م.

3 ـ ميمون بن جبارة بن خلفون الكتامي؛ (أبو تميم). من العلماء الرؤساء؛ يتحلى بخلق حميد،

---

[1] المعجب، ص ص: 237 ـ 238.

وكرم فياض أخذ عن عبد الله بن عبد الحق التلمساني. ورحل إلى الأندلس؛ أين ولي قضاء بلنسية؛ فكان عادلاً في أحكامه، وحمدت سيرته. باشر إقراء الناس أصول الدين؛ ومن الذين أخذوا عنه: أبو الذهبي، وأبو الحجاج بن مرضي. وبعد عودته إلى ديار المغرب؛ ولي قضاء بجاية؛ ولكنه أعفي فيما بعد. وتوفي رحمه الله بتلمسان سنة 584هـ/1188م أثناء عبوره بها قاصداً مراكش.

4 ـ عبد السلام التونسي؛ (أبو محمد)[1]. من الفقهاء والأولياء الصالحين. عاصر **المرابطين والموحدين** معاً. هو أحد مشائخ **عبد المؤمن بن علي**؛ حينما انتقل في صغره إلى **تلمسان** لتحصيل العلم. وهو الذي اختار **أبو مدين شعيب** الاستقرار بجواره؛ فدفن بقربه، وفي روضته. من شيوخ عبد السلام: عمّه عبد العزيز؛ درس عليه بأغمات؛ ثم انتقل إلى تلمسان فكان راهباً، عالماً، زاهداً؛ لا يحيد عن الحق بأنملة، ولا يصغي فيه للومة لائم. فضل لبس الصوف وأكل الشعير المستخرج من حرث يده،

---

[1] لقد عاش فترة طويلة في العهد المرابطي. ويمكن اعتباره من أعلام ذلك العهد؛ ولكن المنهج المتبع هنا؛ يدخله بين أعلام العهد الموحدي.

واكتفى بأكل السلاحف البرية عند الحاجة. توفي **بالعباد** سنة 589هـ/1193م.

5 ـ يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي؛ (أبو يوسف المنصور). كان من أعظم سلاطين الدولة الموحدية؛ له إلمام واسع بالعلوم الدينية والدنيوية، وله دراية بفنون الآداب. وقد ترك بصماته بارزة جلية في نظام الدولة الموحدية، ومؤسساتها الإدارية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. فقد كان ـ إلى جانب حزمه، ودهائه، وحنكته السياسية، والعسكرية ـ يتمتع بمزايا علمية، وثقافية معتبرة؛ ولكن يعيبه تعصبه للمذهب المالكي؛ مذهب الدولة. كما عرف بقمع الأفكار المتجددة النيرة، واشتهر بكبحه وقمعه لكل المحاولات التي توحي بتجدد أو اجتهاد. وقد شهدت الدولة الموحدية في عهده تشنج مذهبي خطير؛ من ذلك: إحراق كتب الفروع، والتضييق على الفقهاء من المالكية وغيرهم؛ حيث ألزمهم يعقوب المنصور حدوداً سطرها بنفسه في الإفتاء؛ جاعلاً حدود الإفتاء لا تتجاوز القرآن الكريم أو ما ثبت في الصحاح من كتب الحديث. وقد تطرق عبد الواحد المراكشي ـ في كتابه المعجب ـ لتلك الأحداث بقوله: **((وفي أيامه انقطع علم الفروع،**

وأمر بإحراق كتب المذهب؛ بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقرآن؛ ففعل ذلك، فأحرق منها جملة في سائر البلاد؛ كمدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب، ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس؛ يؤتى منها بالأحمال؛ فتوضع ويطلق فيها النار؛ وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه؛ وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة؛ وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة: (الصحيحين، والترميذي، والموطأ، وسنن أبي دود، وسنن النسائي، وسنن البرار، ومسند ابن أبي شيبة، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي) في الصلاة، وما يتعلق بها؛ على نحو الأحاديث التي جمعها محمد ابن تومرت في الطهارة؛ فأجابوه إلى ذلك؛ وجمعوا ما أمرهم بجمعه؛ فكان يمليه بنفسه على الناس، ويأخذهم بحفظه؛ وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب، وحفظه الناس من العوام، والخاصة؛ فكان

يجعل لمن حفظه الجعل السني؛ من الكسا، والأموال؛ وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك، وإزالته من المغرب مرة واحدة؛ وحمل الناس على الظاهر من القرآن، والحديث؛ وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه، وجده))[1].

ومن منجزات المنصور التنظيمية، والعمرانية: أنه أول من خط العلامة بيده من سلاطين الموحدين؛ وهي: **((الحمد لله وحده))**، وسك الدنانير اليعقوبية، وشيد الجامع الأعظم بمراكش، وبنى عدداً كبيراً من المدارس، والمساجد، والصوامع، والقناطر، والمستشفيات بالأندلس، والأقطار المغربية كلها؛ كما حفر آبار المياه، وخصَّص للعلماء، وطلبة العلم مرتبات ثابتة، وهو الذي بنى مدينة رباط الفتح. توفي رحمه الله في سنة 595هـ/1198م.

6 ـ علي بن أحمد سعيد بن عبد الله الشنتمري الكومي المعروف **بقنون** أو **(جنون)**؛ **(أبو الحسن)**. يعد من بين المحدثين الحفاظ؛ له عناية بعلم الحديث خاصة. ومن مؤلفاته: "البستان في علم القرآن"، و"فتح المنغلق وجمع المفترق"، و"الزلفة

---

[1] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 278 - 279.**

والإرشــاد إلى مــا قــرب وعــلا مــن الإسنــاد"، إلى آخــره مــن كتــب أخــرى. وكانــت وفاتــه في سنــة 599هـ/1202م.

7 ـ يوسـف بـن علي بـن جعفـر التلمسـاني. روى **بإشبيليـة** عـن القـاضي **أبي بكـر بـن العـربي**، محـدث جيـد. لا يعـرف تاريـخ وفاتـه؛ غيـر أن خبـر تلقيـه العلـم عـن ابـن العـربي؛ يفيـد أنـه عاصـره. وإذا عُـرِف أن وفـاة هـذا الأخيـر حدثـت في سنـة 543هـ/1148م؛ فمعنـاه أن وفـاة صاحـب الترجمـة حدثـت في القـرن السـادس؛ والأرجـح تكـون في العصـر الموحـدي. واللـه أعلـم.

8 ـ محمـد بـن عبـد الرحمـن بـن علـي بـن محمـد ابـن سليمـان التيجيـبي؛ (أبـو عبـد اللـه). مـن المحدثيـن الأكفـاء. مـن شيوخـه: بشطـوال، وأبـو طاهـر السلـفي، وأخـرون. أصلـه مـن إشبيليـة، وعبـر إلى المغـرب؛ فـدرس بفـاس سنـة 594هـ؛ ثـم سبتـة؛ وانتقـل بعـد ذلـك إلى تلمسـان؛ حيـث استقـر بهـا إلى أن وافـاه الأجـل في سنـة 610هـ/1213م.

9 ـ عمـر بـن العبـاس الصنهـاجي المعـروف **بالحبـاك؛ (أبـو علـي).** مـن الزهـاد الصالحيـن. حضـر جنـازة قطـب الصالحيـن الغـوث أبي مديـن في العبـاد؛ فتأثـر؛

وقـرّر سلـوك سبيـل الفقـراء، والالتـزام بطريـق الزهـاد والصالحيـن؛ فنـزع ثيابـه، وأعطاهـا لأحـد الفقـراء، ولبـس مرقعـة. ثـم عـاد إلى منزلـه؛ فلمـا رأتـه زوجتـه؛ صرخـت: "يـا ويـلاه". فقـال لهـا: "إن لـم توافقيـني عـلى هـذا؛ وإلاّ فعديـني ميتـاً"؛ وتخـلى لهـا عـن كـل مـا يملـك، وتـرك لهـا أمـر أولاده؛ ثـم سـاح في أرض اللـه؛ ولـم يعـد إلى تلمسـان؛ إلاّ بعـد أربـع سنـوات؛ فالتـقى بزوجتـه في سويقـة أجاديـر؛ فتظاهـر بالدروشـة؛ فبكـت عـلى حالـه. ثـم رحـل نحـو الحجـاز؛ فغـرق في البحـر في حـدود سنـة 613هـ/1216م.

10 ـ إسماعيـل بـن إبراهيـم التونـسي؛ (أبـو الطاهـر).

أصلـه مـن **تونـس**؛ ورحـل عنهـا إلى **مراكـش**؛ ولكنـه اختـار الاستقـرار **بتلمسـان** إلى آخـر عمـره؛ حيـث اشتغـل بتدريـس العلـم بهـا. ثـم ترهَّـب وانعـزل عـن النـاس. ويعتبـر أبـو طاهـر مـن العلمـاء الحفـاظ. أخـذ عنـه عبـد الرحمـن بـن محمـد. ومـن الروايـات المنقولـة عنـه؛ أنـه قـال؛ عندمـا دخـل عليـه في أحـد الأيـام عمـر بـن العبـاس الحبـاك: **((رأيتـك البارحـة في النـوم تنشـدني:**

أجيـراني فـإني قـد وحلـت

وفي نفـيي وإثبـاتي حصلـت

أنــزه خالــقي عن ذا وعن ذا
وأعرفــه وليس كمــن جهلــت

فمـم أجيـرك؟ فقـال: "سيـدي مـا وصلـت إليـك إلاَّ في هـذا"، فلمـا فـرغ المجلـس؛ خـلا بعمـر، فتشـاوروا في حديـث بينهمـا لـم يعرفـه أحـد))[1]. لا يعـرف تاريـخ وفاتـه؛ وإنمـا يمكـن تحديـد الفتـرة الـتي عـاش فيهـا؛ إذا مـا لوحـظ أن زميلـه المذكـور أعـلاه: عمـر بـن العبـاس الحبـاك تـوفي غريقـاً في سنـة 613هـ/1216م.

11 ـ أبـو عمـران مـوسى بـن عيـسى بـن عمـران بـن دافـال الوردميـشي (ابـن عمـران). مـن العلمـاء الأجـلاء. تـولى القضـاء في عهـدي: **الناصـر والمستنصـر**. وهـو ابـن عيـسى بـن عمـران[2] قـاضي الخلافـة الموحديـة في أيـام أبي يعقـوب يوسـف. وقـد أشـار ونـوّه بـه وبـأولاده عبـد الواحـد المراكـشي؛ وقـال في بنيـه: **((مـا منهـم إلاّ مـن ولي القضـاء؛ وهـم علـيّ. وكـان علـيٌّ هـذا رجـلاً صالحـاً؛ ولي في حيـاة أبيـه قضـاء مدينـة بجايـة؛ ثـم عـزل عنهـا، وولي مدينـة تلمسـان؛ وهـو عندنـا مـن المشهوريـن بالتصميـم والتبتـل في دينـه، وممـن لا تأخـذه**

---

[1] **بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 130.**
[2] **توجد ترجمتـه في الجزء الثـاني مـن هـذا الكتـاب.**

هـوادة في الحـق. ومـن أولاده: طلحـة؛ ولي قضـاء تلمسـان. ويوسـف؛ تركتـه قاضيـاً بمدينـة فـاس؛ بلغتـني وفاتـه؛ وأنـا بمكـة سنـة 620هـ. وأبـو عمـران مـوسى؛ قـاضي الجماعـة في وقتنـا هـذا))[1]. وتـوفي أبـو عمـران مـوسى **بمراكـش** سنـة 618هـ/1221م.

12 ـ محمـد بـن عبـد الحـق بـن سليمـان الكـومي اليعفـري التلمسـاني. مـن أهـل **تلمسـان**؛ ولـد بهـا في سنـة 536هـ/1141م؛ فقيـه ومقـرئ. ولي القضـاء في بلـده مرتيـن. عبـر إلى **الأندلـس**؛ فأكـرم بهـا. هـو مـن أئمـة الفقـة والحديـث وعلـم الكـلام. مـن مؤلفاتـه: المختـار في الجمـع بيـن المنتـقى والاستذكـار؛ في عشريـن سفـراً. وكتـاب في غريـب الموطـأ. والتسـلي عـن الرزيـة والتحـلي بـرضى بـاري البريـة. ونظـم العقـود ورقـم الحلـل والبـرود. والاقنـاع في كيفيـة الاسمـاع. والفصـل الجـازم في فضيلـة العلـم والعالـم. وفرقـان الفرقـان وميـزان القـرآن. تـوفي بتلمسـان عـام 625هـ/1227م.

13 ـ موفـق الديـن أبـو الحسـن أحمـد بـن محمـد بـن عبـد العزيـز بـن إسماعيـل الخـزرجي الأنصـاري التلمسـاني. تـوفي **بالقاهـرة** سنـة 633هـ/1236م. فقيـه

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 246.

ومحدث؛ سلك نهج المتصوفة. سكن **القاهرة**، وسمع من علمائها **كالبصيري** وغيره. من مؤلفاته: مجاميع في التصوف.

14 ـ أبو زكرياء يحيى بن محمد بن موسى التجيبي التلمساني. توفي **بالإسكندرية** في عام 652هـ/1254م. أحد فقهاء **تلمسان** ووعاظها ومفسريها البارزين زار **مكة**، وحج وجاور؛ ثم انتقل إلى **الاسكندرية**. من مؤلفاته: تفسير القرآن الكريم، وكتاب في الرقائق.

15 ـ محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الخزرجي التلمساني. ولد في **تلمسان** سنة 584هـ/1188م، ونشأ وتعلم بها. فقيه وعالم؛ انتقل إلى سبتة ثم **مصر** أين استقر **بالإسكندرية** وتوفي بها سنة 656هـ/1258م. من مؤلفاته شرح الجلاب.

* * *

بنو عبد الواد

ـ التدرج نحو الملك:

وبنو زيان[1] هؤلاء؛ ينحدرون عن القبيلة **الزناتية** الكبيرة؛ المعروفة **ببني عبد الواد**[2]. هذه القبيلة التي كانت مواطنها ـ في الأصل ـ ضمن أرض **الزاب**، وسفوح **الأوراس**؛ ثم انتقلت إلى غرب البلاد؛ انسياقاً مع تيار الحروب، وجرياً وراء الكلأ الوفير، وبحثاً عن الغنائم الثمينة؛ وتم ذلك؛ منذ الفتح الإسلامي؛ حيث تقول بعض الروايات أنهم

---

[1] ينتمي بنو زيان إلى قبيل بني عبد الواد؛ وهو أحد أحياء زناتة الأمازيغية. أنظر نسبهم في المصادر التالية: كتاب جمهرة أنساب العرب، ص ص: 495 - 498. وكتاب الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية العبد الحقية؛ ص ص: 9 - 13، وكتاب العبر، مج: 6، ص ص: 175 - 192. ومج: 7، ص ص: 4 - 12. وكتاب بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 898 - 94.

[2] ينتسبون إلى جدّهم المسمّى عابد الوادي ((رهبانية عرف بها جدهم)). (بغية الرواد، ج: 1، ص: 186). وقال يحيى بن خلدون أنهم يتفرعون إلى فخذين رئيسين؛ يشتمل الأول على خمسة أحياء؛ وهم: بنو ياتكتن (أو يكنيمن)، وبنو وللو، ومصوجة، وبنو تومرت، وبنو ورسطف. أما الفخذ الثاني؛ فهم بنو القاسم؛ وينتسبون إلى إدريس بن إدريس. وينقسمون بدورهم إلى أحياء عديدة.

رافقوا **عقبة بن نافع** إلى تلك الديار؛ التي ربما اكتشفوها لأول مرة[1].

ومعاش **بني عبد الواد** ـ قبل وصولهم إلى مرتبة الملك ـ عبارة عن معاش بدوي بسيط؛ يرتكز على الرحلة خلف أنعامهم المنتجعة عبر الفيافي والقفار؛ بحثاً عن الكلأ والماء. وكان يشاركهم في حياتهم البدوية تلك؛ إخوانهم من أحياء **سجيح بن واسين**[2]؛ حيث انطلقوا عبر السفوح المنحدرة من **جبل أوراس** الجنوبية، وبالتحديد؛ في أرض **الزّاب؛ وجبل مصاب**؛ وعلى امتداد السهوب القِبْلية **للمغرب الأوسط**؛ وحتى **سجلماسة وفقيق** غرباً[3]. وقد خلفوا بقايا لهم في مواطن **زناتة** الأولى؛ حيث أشار

---

[1] ((ومنهم بجبل أوراس بإفريقية طائفة من بني عبد الواد؛ موطنوه منذ العهد الأقدم لأول الفتح؛ معروفون بين ساكنيه. وقد ذكر بعض الأخباريين أن بني عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع في فتح المغرب؛ عند إيغاله في ديار المغرب، وانتهائه إلى البحر المحيط بالسوس؛ في ولايته الثانية ـ وهي الغزاة التي هلك في منصرفه منها ـ وأنهم أبلوا البلاء الحسن؛ فدعا لهم)). العبر، مج: 7، ص: 124. العبر، مج: 7، ص: 124. أنظر أيضاً: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 186.

[2] تندرج في هذا النمط من الحياة؛ قبائل زناتية أخرى؛ كـ: بني مرين، وتوجين، وبني راشد، ومغراوة... إلخ.

[3] العبر، مج: 7، ص ص: 120 - 121.

ابــن خلــدون؛ إلى فئــات منهــم فـي صحــراء **برقــة**، **وقصــور غدامــس**، وبــلاد **الحمــة**، وبــلاد **الــزاب**[1].

ولمــا تغلــب **الموحــدون** عــلى **المغــرب الأوســط وإفريقيــة**؛ انضــم إليهــم **بنــو عبــد الــواد**، ووقفــوا في صــف **عبــد المؤمــن بــن عــلي**. بــل سارعــوا إلى تلبيــة طلبــه؛ حينمــا نهــب **بنــو مريــن** غنائمــه؛ فلحــق بهــم شيــخ **بــني عبــد الــواد**؛ **عبــد الحــق بــن مَنَغْفــاد**؛ واستــرد أمــوال الخليفــة **الموحــدي** بعــد أن أثخــن في **بــني مريــن**. فغــدوا منذئــذ ضمــن حمــاة الدولــة وأتباعهــا المخلصيــن؛ فأقطعــم **عبــد المؤمــن** أراضي التــل الخصبــة؛ الــتي كانــت مــن أمــلاك **بــن يلــومي وبــني وامانــوا**[2]: **((كــان بنــو عبــد الــواد ــ مــن ذلــك ــ فيمــا بيــن البطحــاء والملويــة؛ ساحلــه، وريفــه، وصحــراءه))**[3].

أمــا بخصــوص دولتهــم؛ فقــد أتفــق **عبــد الرحمــن ابــن خلــدون** وأخــوه **يحــيى**، **ومحمــد بــن عبــد اللــه التنــسي**؛ عــلى روايــة واحــدة [4] تقريبــاً؛ عرضــوا بهــا الكيفيــة الــتي أوصلــت قبيــل **بــني عبــد الــواد** إلى الملــك.

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 122 - 123.

[2] نفسه، ص ص: 150 - 151.

[3] نفسه، ص:159. بغية الرواد، ج: 1، ص: 189.

[4] نفسه، ص ص: 151 - 154. بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 199 - 200. تاريخ ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان)، ص ص: 112 - 113.

وخلاصة روايتهم هكذا: كان على رأس ولاية **تلمسان** ـ سنة **624هـ/1226م** ـ **السيد أبو سعيد عثمان**؛ شقيق الخليفة **الموحدي**؛ **المأمون**[1]؛ فاعتقل بعض مشائخ **بني عبد الواد**. بسعاية ونميمة من قبل **الحسن بن حيون الكومي المعابدي**؛ عامل الدولة على **تلمسان** وأحوازها؛ الذي يُكِنّ حقداً دفيناً وضغينة ماكرة ضد **العبد الواديين**؛ بسبب تغلبهم على ضواحي **تلمسان**، وعدم خضوعهم لرغباته[2]. فسعى لفائدتهم **إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي اللمتوني**؛ متشفعاً لهم عند **السيد أبي سعيد الموحدي** والي **تلمسان**؛ ولكن هذا الأخير ردّ شفاعته، ولم يصغ إليه؛ فغضب **اللمتوني** لذلك، وأنف وتعصّب؛ ثم جمع أنصاره من **اللمتونيين**، وبادر ـ من حينه ـ فقتل عامل الدولة **الحسن بن حيون الكومي**؛ وسرَّح **بني عبد الواد** من الاعتقال؛ ووضع مكانهم في السجن؛ **السيد أبا سعيد**. حدث ذلك كله في سنة 624هـ/1226م. غير أنه تدارك

---

[1] يصفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: ((وكان غفلاً، ضعيف التدبير)). العبر، مج: 7، ص: 152.

[2] بغية الرواد، ج: 1، ص: 199. وقال عنه أيضاً عبد الرحمن بن خلدون: ((وكانت في نفسه من بني عبد الواد ضغائن؛ جرّها ما حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها)). العبر، مج: 7، ص: 152.

الأمر بعد فترة؛ إذ تطلع إلى أفق أبعد؛ حيث طمع في إعادة إحياء **الدولة اللمتونية**[1]؛ ولكنه علم أنه لا يمكنه ذلك إلاّ بإزاحة **بني عبد الواد** من الساحة؛ بحكم ولائهم للدولة **الموحدية**، ووفائهم لحكامها. وعندئذ؛ أخذ يتدبر في مكيدة يتخلص بها منهم؛ إذ أرسل إلى مشائخ ذلك القبيل؛ يدعوهم إلى وليمة داخل **تلمسان**؛ وكان غرضه؛ هو قتلهم بمجرد دخولهم البلد. ولكنه فشل في خطته؛ عندما سبقه **بنو عبد الواد** إلى الإجهاز عليه؛ بعد أن علموا بما دبره. فقبضوا عليه وعلى مرافقيه؛ حين خرج إليهم ليرافقهم إلى داخل المدينة.

وشيخ **بني عبد الواد** ــ في تلك الفترة ــ هو **جابر بن يوسف بن محمد بن زكدان** (أو **زيدان**)؛ الذي ينتمي إلى فرع من القبيل المذكور يعرف **ببني عطاء الله**. تولى **جابر** أمر **تلمسان**؛ بمجرد دخوله إليها؛ حيث رفع الدعوة على المنابر **للمأمون الموحدي**، وبعث إليه معلناً طاعته؛ فلم يجد **المأمون** بداً من إسناد عهده إليه بولاية

---

[1] ((وأجمع الانتقاض، والقيام بدعوة ابن غانية؛ مُجَدِّد ملك المرابطين من قومه بقاصية الشرق... فطيّر الخبر إلى ابن غانية؛ فأغذّ السّيْر إليه)). العبر، مج: 7، ص: 152.

تلمسان، وما يليها من بلاد **زناتة**. وحدث هذا في عام 627هـ/1229م. فاكتسب ـ بذلك ـ **بنو عبد الواد** شرعية مستمدة من دار الخلافة **الموحدية**. وبهذا؛ أصبح **بنو عبد الواد** سادة على **تلمسان** وضواحيها. وبقي **جابر بن يوسف** في منصبه إلى سنة 629هـ/1231م. وهي السنة التي قتل فيها؛ أثناء حصاره لمدينة **ندرومة**. وخلفه ـ بعد وفاته ـ ولده **الحسن بن جابر**؛ ولكنه تخلى عن الحكم ـ بعد ستة أشهر ـ لعمه **عثمان بن يوسف**[1]. فلم يبق هذا الأخير في ولايته سوى عامين تقريباً؛ إذ عزل في سنة 631هـ/1233م. وخلفه على **تلمسان**؛ ابن عمه **أبو عزة زكدان** (أو **زيدان**) **بن زيان بن ثابت بن محمد**. ولكنه قتل سنة 633هـ/1235م؛ جراء فتنة عشائرية؛ بين عشيرته من جهة، وبين **بني مطهر وبني علي، وبني راشد** من جهة أخرى[2].

***

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 153.

[2] بنو راشد؛ أولاد عمومة لبني عبد الواد؛ وجدهم هو مطهر بن يمل بن يزكن بن القاسم بن عبد الواد. أنظر العبر، مج: 7، ص: 150.

قيام دولة بني زيان

وبمقتل **أبي عزة زكدان** (أو زيدان) **بن زيان**؛ تولى أمر **تلمسان** ـ سنة 633هـ/1235م؛ ـ أخوه **يَغَمْرَاسَن**[1] **بن زيان بن ثابت بن محمد**؛ فقهر المعارضين، وأثخن في العشائر المتمردة؛ الأمر الذي ساعد على إخماد نار الثورة والعصيان؛ وبعد ذلك؛ طيّب الخواطر، وهدأ النفوس، واسترضى الإخوة والأقارب من مختلف أحياء **بني عبد الواد**؛ فسكنت ثورة **بني مطهر**، **وبني راشد**، واجتمعت كلمتهم في ظلّ السلطة **العبد الوادية**[2]. ولم يطل **بيغمراسن** الحال؛ حتى قرّر الاستبداد والتَّنصُّل ـ شيئاً فشيئاً ـ عن **الدولة الموحدية**؛ إذ قطف الثمرة المواتية عند نضوجها؛ وذلك بإعلان استقلال دولته؛ والاستبداد بالأمر؛ ولم يترك حينها **لبني عبد المؤمن** سوى

---

[1] ولد في سنة ثلاث أو خمس وستمائة هجرية؛ الموافق لعام 1206 أو 1208م. ومات في سن متقدمة؛ وصل بها إلى سن 76 سنة. وربما 96 سنة. أنظر: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 207. وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان)، ص: 129.

[2] ((فوقع التسليم والرضى به من سائر القبائل، ودان له بالطاعة جميع الأمصار، وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله؛ وكان ذلك سُلّماً إلى الملك؛ الذي أورثه بنيه؛ سائر الأيام)). العبر، مج: 7، ص: 154.

الدعـاء عـلى المنابـر تأنيسـاً للكافـة، ومرضـاة للأكفـاء؛ كمـا قـال **عبـد الرحمـن بـن خلـدون**[1].

ومنـذ أن قـرّر **يغمراسـن** الاستبـداد والإستقـلال عـن **الموحديـن**؛ ولـدت دولـة **بـني عبـد الـواد الزيانيـة**؛ متخـدة **تلمسـان** حاضـرة لهـا؛ فجعلـت منهـا مركـزاً إداريـاً وسياسيـاً؛ شمـل **المغـرب الأوسـط** كلـه. وقـد عـزَّز مكانـة هـذه الدولـة؛ مـا حظيـت بـه مـن امتـداد عمرهـا، وبقائهـا فتـرة طويلـة؛ بحيـث امتـدت حياتهـا مـن سنـة 633هـ/1235م إلى سنـة 962هـ/1554م؛ خـلال العهـد **العثمـاني بالجزائـر**. وبذلـك؛ فقـد تواجـدت في الخارطـة **المغربيـة** عمومـاً، **والجزائريـة** خصوصـاً زهـاء قـرون ثلاثـة كاملـة.

كمـا حـدّدت المصـادر التاريخيـة الفتـرة الـتي حكـم خلالهـا مؤسـس الدولـة الأول؛ **يغمراسـن بـن زيـان**؛ بـ

[1] ((واتخذ الآلة، ورتب الجنود والمسالح، واستلحق العساكر من الروم والغز؛ رامحة وناشبة، وفرض العطاء، واتخذ الوزراء والكتاب، وبعث في الجهات العمال، ولبس شارة الملك والسلطان، واقتعد الكرسي؛ ومحا من آثار الدولة المؤمنية وعطل من الأمر والنهي دستها؛ ولم يترك من رسوم دولتهم، وألقاب ملكهم إلاّ الدعاء على منابره للخليفة بمراكش؛ وتناول التقليد والعهد من يده تأنيساً للكافة، ومرضاة للأكفاء من قومه)). العبر، مج: 7، ص ص: 162 - 163.

48 سنة وخمسة أشهر واثني عشر يوماً[1]. (من 633 هـ/1236م إلى 681هـ/1283م). علماً بأن هذه السنوات كلها؛ لم تقد الدولة **العبد الوادية (الزيانية)** ـ في عهد **يغمراسن** ـ ولم تضف إليها أي شكل من أشكال الرفاهية الممكنة، أو فترة من فترات الهناء الممتعة، أو لحظة استرخاء وأمان؛ بل عانت الدولة ـ طوال عهده ـ من أهوالٍ وحروبٍ؛ ألهبت الديار **المغربية** كافة بنار الفتن والدّمار؛ حيث زُجَّت الدولة المذكورة في مواجهات دامية مع خصوم أقوياء؛ كـ: **بني مرين، وبني أبي حفص، والموحدين، وبني توجين، ومغراوة، وأعراب بني هلال**.. إلخ.

وجملة القول؛ فدولة **بني عبد الواد** ـ كغيرها من دول المنطقة في ذلك العصر ـ تكاد تكون دولة قبلية؛ تهيمن عليها روح القبيلة، وتتميز بالطابع القبلي الواضح. وعليه فقد أضحت ساحة للصراع بين نظام قبلي متحجر؛ رافض لكل جديد يقضي على مصلحة القبيلة وأبنائها، ومانع لأيّ نظام يسعى لتوحيد القبائل، وإخضاعها لسلطان الدولة التي تسهر

---

[1] **جعلها يحيى بن خلدون: 44 سنة؛ وسار على قوله التنسي؛ لأنه نقل عنه. وقد صحح ذلك الخطأ محمود بو عياد محقق الباب السابع من نظم الدر والعقيان. أنظر بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 207. وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان)، ص: 129.**

على المصلحة الجماعية للفئات المتواجدة بها؛ سواء كانوا قبائل أو أفرادا[1].

وبسبب ذلك؛ مرت الدولة **العبد الوادية (الزيانية)** بظروف قاسية، وشديدة الاضطراب؛ لم تمكنها من الاستقرار والازدهار؛ لأنها ربطت مصيرها بمصير نظام قبلي؛ لا يقبل التغيير والتجديد. وعلى هذا؛ فقد غدت جلّ القبائل المنتمية للدولة؛ تؤثر في مؤسساتها، وتتحكم في حركة نموها، ومقاس نجاعتها. ومن هنا؛ يمكن حصر أدوار حياة هذه الدولة؛ ضمن أربعة أدوار تاريخية كبرى هي:

* * *

---

[1] أنظر كتاب: دولة بن زيان (أوضاع سياسية ونظم).

الـدور الأول

وهـو دور النشـأة والعنفـوان. دام هـذا الـدور مائـة وأربـع سنـوات (633هـ/1235م ـ 737هـ/1336). بـدءاً بالتاريـخ الـذي أُعلـن فيـه قيـام الدولـة المعنيـة؛ وحـتى تاريـخ سقـوط **تلمسـان** في قبضـة **أبي الحسـن المريـني** سنـة 737هـ/1336م؛ ومقتـل السلطـان **العبـد الـوادى أبي تاشفيـن عبـد الرحمـن الأول ابـن أبي حمـو مـوسى الأول.**

وتـداول عـلى الحكـم في **تلمسـان** ـ خـلال هـذا الـدور التاريـخي ـ خمسـة ملـوك؛ هـم: **يغمراسـن بـن زيـان** (حكـم مـن 633هـ/1235م إلى 681هـ/1283م)، **وأبـو سعيـد عثمـان بـن يغمراسـن** (مـن 681هـ/1283م إلى 703هـ/1303م)، **وأبـو زيـان محمـد بـن عثمـان بـن يغمراسـن** (مـن 703هـ/1303م إلى 707هـ/1308م)، **وأبـو حمـو مـوسى بـن عثمـان بـن يغمراسـن** (مـن 707هـ/1308م إلى 718هـ/1318م)، **وأبـو تاشفيـن عبـد الرحمـن بـن مـوسى بـن عثمـان بـن يغمراسـن** (مـن 718هـ/1318م إلى 737هـ/1337م).

كما يتميز أن هذا الدور بروح العصبية **العبد الوادية** الجياشة؛ التي منحت الدولة قوة وتماسكاً عظيمين؛ ظَهَرَا في المقاومة الشديدة للأعداء، وفي وحدة الصّف، والتفاني في الدفاع عن سلامة الدولة، وفرض وجودها، وإبراز كيانها. لأن الدولة ــ هنا ــ في مقتبل عمرها، وقمة عزّها؛ إذ كانت تتميز بعصبية فياضة؛ تمتن اللُّحْمة، وتثير النُّعرة، وتشحذ الهمم. حيث كان **العبد الواديون** ــ في هذا الدور ــ غير بعيدين عن طبيعتهم الأولى؛ المتشبعة بروح البداوة الخشنة؛ والقدرة على التكيُّف مع شدائد الحياة، والصبر في الخطوب، والاكتفاء بالضروري من وسائل العيش ولوازم الحياة.

* * *

دولة يغمراسن بن زيان

أما بخصوص أول ملوكهم؛ **(يغمراسن بن زيان)**؛ مؤسس هذه الدولة؛ فقد كان يتحلى بخلال وصفات عالية، ويحظى بخلق حميدة جلية، وبساطة مظهر بادية، وسذاجة في الحياة سائدة؛ وشجاعة صادقة، ورئاسة فاعلة، وحماسة جامحة، ومواهب قيادية سامية، ويد مبسوطة بالجود جارية، وفروسية بالعظائم سائرة، وبطولة غالبة، وبسالة فائقة.[1]

تولى **يغمراسن** الرئاسة؛ بعد مقتل أخيه **أبي عزة زكدان** أو **(زيدان) بن زيان**؛ جراء الفتن المتوالية المشتعلة بين بطون **بني عبد الواد**. فتمكن بفضل حزمه وبسالته من ضبط الأمور؛ والتغلب على الصّعاب والموبقات كلها؛ حيث أخضع ـ بالقوة حيناً، وباللين حيناً آخر ـ كل المتمردين والمنشقين عن القبيلة الأم. ولمّا حقق مبتغاه في جمع الشمل،

---

[1] **وقد وصفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: ((كان يَغْمْرَاسَنْ بن زيان ابن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأساً، وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة، وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقواهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرئاسة؛ مهدت له بذلك آثار قبل الملك وبعده؛ وكان مرموقاً بعين التجلة، مؤملاً للأمر عند المشيخة، وتَعْظِمَة من أمره عند الخاصة، ويُفْزَع إليه في نوائب العامة)). العبر، مج: 7، ص: 162.**

ونجح في استرضاء أحياء **بني عبد الواد** كلهم؛ تحول إلى بناء دولتهم الخاصة؛ حيث شرع في تعزيز أسسها، وبلورة شكلها. وبدأ بالخطوة الأولى؛ التي تجلت باستبداده نهائياً، وانفراده بالحكم دون الخليفة **الموحدي**؛ جاعلاً من **تلمسان** حاضرة للمملكة، ونقل مرتبتها من مجرد مقر عمالة أو ولاية إلى دولة سيّدة؛ لا تربطها مع **الموحدين** سوى خيوط رفيعة من الولاء؛ تتمثل في الخطبة على المنابر، وكتاب التقليد الشكلي؛ ((**مرضاة للأكفاء وتأنيساً للكافة**))[1]. ومع هذا فقد وجد تفهما ـ عن مضض ـ من قبل الخليفة **الموحدي الرشيد**؛ الذي اضطر إلى مسايرة التيار؛ والحفاظ على ما بقي من روابط بين دولته **وبني عبد الواد في تلمسان**. بل تطورت علاقته مع **يغمراسن** إلى مستوى المجاملة والتراسل وتبادل الهدايا. غير أن هذا السلوك أثار غضب السلطان الحفصي **أبا زكريا**؛

---

[1] وفي هذا يقول ابن خلدون: ((ومحا من آثار الدولة المؤمنية، وعطل من الأمر والنهي دستها؛ ولم يترك من رسوم دولتهم، وألقاب ملكهم إلاّ الدّعاء على منابره للخليفة بمراكش؛ وتناول التقليد والعهد من يده تأنيساً للكافة، ومرضاة للأكفاء من قومه)). العبر، مج: 7، ص ص: 162 - 163.

نضـــراً لطمعـــه وطوحـــه في امتـــلاك **مراكـــش**، والانتصـــاب عـــلى ســـدّة الخلافـــة الموحديـــة.

ـ الغـزو الحفصي لتلمسـان:

ومـــن هنـــا؛ انطلقـــت بـــوادر الخصومـــة والاختـــلاف بيـــن هـــذا الأخيـــر **ويغمراســـن**؛ الـــذي أصـــرّ عـــلى التمســـك بعهـــوده مـــع الخليفـــة **الرشيـــد**. فانجـــر عـــن ذلـــك كلـــه؛ نشـــوب حـــرب حاميـــة الوطيـــس بيـــن السلطـــان الحفـــصي وسلطـــان **بـــني عبـــد الـــواد**. انتهـــت باستيـــلاء **الحفصييـــن** عـــلى **تلمســـان**؛ ولكنهـــم عجـــزوا عـــن حمايتهـــا بصـــورة دائمـــة؛ فاضطـــر **أبـــو زكريـــاء** إلى عقـــد صلـــح مـــع **يغمراســـن**؛ في مقابـــل رفـــع الدعـــوة عـــلى منابـــر **تلمســـان** باسمـــه. كمـــا قـــدم **ليغمراســـن** أسهمـــا وإقطاعـــات **بإفريقيـــة**؛ تصـــل قيمـــة جبايتهـــا إلى مائـــة ألـــف دينـــار؛ ترضيَـــة لـــه، ورغبـــة منـــه في إبعـــاد **يغمراســـن** عـــن الخليفـــة **بمراكـــش**.

ـ مقتل الخليفة السعيد:

وهكـــذا.. أدى هـــذا الاتفـــاق بيـــن **يغمراســـن وأبي زكريـــاء** إلى نشـــوب حـــرب أخـــرى بيـــن الخليفـــة الموحـــدي الجديـــد **السعيـــد ويغمراســـن بـــن زيـــان**؛ انتهـــت بمقتـــل الخليفـــة المذكـــور، وانتصـــار **العبـــد الواديـــين**.

ويبـــدو أن لعبـــة الحـــرب أضحـــت حيويـــة ومصيريـــة بالنسبـــة **ليغمراســـن**؛ الـــذي أدمـــن الحـــرب؛ ولـــم يعـــد يشغلـــه شـــيء عـــن ميـاديـــن القتـــال، وعويـــل الـــوغى؛ فانغمـــس في يمّهـــا راضيـــاً أم مرغمـــاً؛ حيـــث توالـــت الوقائـــع بينـــه وبيـــن خصومـــه ومنافسيـــه غربـــاً وشرقـــاً وجنوبـــاً؛ ممثليـــن **ببـــني مريـــن وبـــني توجيـــن، ومغـــراوة**، ثـــم أعـــراب **بـــني هـــلال** المجاوريـــن **لتلمســـان**.

وعـــلى الرغـــم مـــن قلـــة عـــدد **بـــني عبـــد الـــواد**،[1] وضعـــف مواردهـــم الاقتصاديـــة؛ فقـــد صمـــدوا بإصـــرار أمـــام أعدائهـــم الأقويـــاء؛ منهـــم بالخصـــوص: **الموحـــدون**،

---

[1] أشـار عبـد الرحمـن بـن خلـدون إلى هـذا؛ حيـن قـال: ((ثـم اعْتَبـر بعـد ذلـك حـال الدولتيـن ـ لهـذا العهـد ـ لزناتـة: بني مريـن، وبـني عبـد الـواد؛ لمّـا كـان عـدد بـني مريـن ـ لأول ملكهـم ـ أكثـر مـن بـني عبـد الـواد؛ كانـت دولتهـم أقـوى منهـا؛ وكـان لهـم عليهـم الغلـب؛ مـرة بعـد أخـرى. يقـال أن عـدد بـني مريـن ـ لأول ملكهـم ـ كـان ثلاثـة آلاف؛ وإنّ بـني عبـد الـواد كانـوا ألفـاً؛ إلاّ أن الدولـة، وكثـرة التابـع؛ كثـرت مـن أعدادهـم)). المقدمـة، ج: 2، ص: 645.

والمرينيون. إذ كبح **يغمراسن** جماح **الموحدين** بعد هزيمتهم أمامه، ومقتل خليفتهم **السعيد**؛ كما صدّ تحرشات وهجمات **المرينيين**، ومنعهم من الاستيلاء على **تلمسان** والتوسع شرقاً؛ فأفقدهم روح الحسم في القتال؛ بإطالة فترة الحرب معهم؛ فتأججت العداوة بين القبيلتين وتوالت الوقائع بينهم؛ إلى أن توفي **يغمراسن** سنة 681هـ/1283م. أثناء خروجه لاستقبال عروس ابنه **أبي سعيد عثمان**.

ـ الإنجازات العمرانية والثقافية:

ومن جهة أخرى؛ لا بد من الإشارة إلى بعض الإنجازات المدنية ذات الطابع الحضاري والثقافي؛ التي شارك في تحقيقها السلطان **يغمراسن**؛ على الرغم من انهماكه التام في ترتيب الشئون العسكرية لدولته، وانشغاله المستمر في حبك الحروب والانغماس في معامعها الصاخبة. ومن بين تلك المنشآت التي أنجزها هذا السلطان في **تلمسان**: أسوار باب كشوط الشامخة التي شيّدها في سنة 665هـ/1265م، ثم

الصومعتان الخاصتان بالجامعين الأعظمين بـ: **تكرارت، وأغادير**[1].

كما عرف عنه تعظيمه للعلماء، وإجلاله للأولياء والصالحين؛ حتى قيل أنه يسافر إليهم حيث يعتكفون، ويستجدي دعاءهم، ويتمسح بعتباتهم؛ ويتبرك بهم[2]. وثبت أيضاً تنقله بنفسه إلى مجالس العلماء؛ تعظيما لمرتبتهم وتقديراً لعلمهم. وهذا السلوك ورد في بعض المصادر. من ذلك؛ ركوبه للشيخ الفقيه **أبي إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي**؛ وجلوسه أمامه بين العلماء والطلبة؛ طالباً منه ـ بإلحاح ـ البقاء والإقامة في **تلمسان**؛ حيث أقطعه إقطاعات ثمينة؛ وقربه، وخصّه بسفارته[3].

---

[1] ((وقد استؤذن في كتب اسمه بهما؛ فقال بالزناتية: "يسنت ربي"؛ أي عرفه الله؛ علوّ همة، وحسن ظن بالخالق، وإعراضاً عن التفاخر الدنيوي)). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 207.

[2] ((وكان كثيراً ما يجالس الصلحاء، ويكثر من زياراتهم؛ وارتحل لزيارة الولي الشهير أبي البيان واضح في موضعه بجبل آفرشان؛ متلمساً بركته، والدعاء له ولعقبه)). تاريخ بني زيان (نظم الدر)، ص: 126.

[3] ((وله في أهل العلم رغبة عالية؛ يبحث عليهم أين ما كانوا، ويستقدمهم إلى بلده، ويقابلهم بما هم أهله. ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي؛ كانت الفتوى تأتيه من إفريقية وتلمسان إلى تنس؛ فكان أمير المسلمين يغمراسن يكاتبه كثيراً، ويرغبه في سكنى تلمسان؛ ويمتنع؛ إلى أن نشأت فتنة مغراوة؛ فورد مرة على تلمسان... فبلغ خبره أمير المسلمين؛ فركب بنفسه، وجاء إليه... فقال له أمير المسلمين: "نحن لا ندعك ترجع؛ ولكن نرسل

ونظراً لتقديره لأهل العلم؛ فقد سعى إليه بعضهم، واختاروا الاستقرار **بتلمسان**. ومنذئذ أضحت هذه المدينة تستقطب مشاهير العلماء والأدباء؛ كـ: **محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي**؛ الذي ولاه **يغمراسن** خطة الكتابة لديه، ورفع منزلته؛ فاستأنس بجوار **يغمراسن**؛ حتى أنه رفض عرضاً مغرياً؛ قدمه إليه **المستنصر الحفصي**[1]. وهذه بعض أسماء علماء الدين والمتصوفة في عصر يغمراسن بن زيان:

1 ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكتامي الشهير **بالخضار**. ولد بتلمسان في عام 609هـ/1212م. وسمع بسبتة على الرئيس أبي القاسم العزفي كتابيه: "سير رسول الله صلى الله عليه وسلم"، "والدر المنظوم. رحل إلى الأندلس والمشرق؛ أين أخذ العلم

إلى أهلك من ينقلهم إلينا"؛ فكان كذلك؛ وأقطعه أمير المسلمين إقطاعات من جملتها "تيرشت"؛ التي أقطعت ـ بعد انقراض عقبه ـ لابني الإمام. وكان عنده أثير المنزلة؛ لا يوجه في الرسائل غيره)). تاريخ بني زيان (نظم الدر)، ص ص: 126 - 127.

[1] قال لسان الدين بن الخطيب في ذلك: ((زعموا أن المستنصر أبا عبد الله ابن الأمير أبي زكريا استقدمه ـ على عادته في استدعاء الكتاب المشاهير والعلماء ـ وبعث إليه ألف دينار من الذهب العين؛ فاعتذر، ورد عليه المال. وكانت أشق ما مرّ على المستنصر؛ وظهر له علوٌّ شأنه، وبعد همته)). الإحاطة في أخبار غرناطة؛ القسم الثالث، ص: 90.

عن بعض الشيوخ في تلك الديار. وتوفي بسبتة سنة 667هـ/1268م.

2 ـ أبو الحسن علي بن الخضار التلمساني: وهو أخٌ لأبي عبد الله السابق الذكر. قالت المصادر أنه إمام ومقرئ؛ وصفه بأنه حافظ، ويحكم القراءات. أخذ على عليّ بن عبد الكريم التلمساني؛ ثم انتقل إلى مدينة سبتة؛ أين تولى الإقراء بها. وتوفِّي بين أحضانها في سنة 677هـ/1278م.

3 ـ أبو اسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي. وهو من أفاضل العلماء، والصالحين من الأولياء والزهاد؛ له منزلة جليلة، وقدر عظيم؛ في حياته ومماته، احتل مكانة سامية لدى الملوك والأمراء. له تآليف عديدة. رحل إلى الحج، ثم عاد إلى تلمسان؛ أين توفي في حدود سنة 680هـ/1281م؛ ودفن بالعباد.

4 ـ الفقيه القاضي الرئيس أبو محمد عبدون بن محمد الحباك الصنهاجي. فقيه وخطيب. ولاه يغمراسن ابن زيان خطة الحجابة في الدولة؛ فكان لدى أبي يحيى يغمرايسن بن زيان بمثابة رئيس للوزراء. فكان الرجل المناسب في المكان المناسب؛ إذ اتصف بالرأي السديد والحنكة السياسية. واعتبره يحيى بن

خلــدون المستشـــار الأنصــح والحاجــب الأقــرب للسلطــان **يغمراســـن بــن زيــان.** وقـــال أيضـــاً: **((ولـــه بالبلـــد خلـــف نمـــط التجـــار أخيـــار، رحمـــة الله عليـــه وبـــرد ضريحـــه))**[1].

لا يعــرف تاريــخ وفاتـــه؛ كمـــا لـــم تشـــر المصـــادر؛ أن **يغمراســـن** استبـــدل حاجبـــه، وكـــل مـــا في الأمـــر أنـــه لـــم يتـــول هـــذا المنصـــب في عهـــد عثمـــان بـــن يغمراســـن؛ ممـــا يـــدل أنـــه تـــوفي في عهـــد يغمراســـن. أي قبـــل 681هـ/1282م.

5 ـ أبـــو عبـــد اللـــه محمـــد بـــن عيـــسى. فقيـــه وصـــوفي مـــن أهـــل الصـــلاح؛ نشـــأ في **أقاديـــر بتلمســـان**؛ وعاصـــر **يغمراســـن بـــن زيـــان** في القـــرن السابـــع الهجـــري. ويقـــول يحـــيى بـــن خلـــدون أن يغمراســـن كـــان يـــزوره في داره؛ تبركـــاً بـــه، والتماســـاً لدعائـــه. رحـــل إلى الحـــج مـــرات عديـــدة؛ قـــدرت بخمـــس وعشريـــن حجـــة. لا يعـــرف يـــوم مماتـــه بالضبـــط.

6 ـ أبـــو الحســـن علـــي بـــن عبـــد الكريـــم التلمســـاني. هـــو مـــن أهـــل تلمســـان؛ مقـــرئ. أشـــاد بـــه كـــل مـــن عرفـــه. ونوهـــوا بقدراتـــه في القـــراءات. وقالـــوا أنـــه أخـــذ القـــراءات عـــن فتـــح بـــن عبـــد اللـــه المـــرادي صاحـــب

---

[1] بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 125. أنظر أيضـاً: ص: 205.

ابـــن هنيـــل؛ كمـــا قـــرأ عليـــه الحافـــظ أبـــو الحســـن علـــي ابـــن محمَّـــد التلمســـاني المعـــروف بابـــن الخضـــار. ونظـــراً لكـــون صاحـــب الترجمـــة قـــد قـــرأ علـــى أبي الحســـن علـــي ابـــن الخضـــار؛ الـــذي تـــوفي في عـــام 677هـ/1278م؛ يكـــون قـــد عـــاش في زمنـــه أي في الفتـــرة الـــتي حكـــم فيهـــا يغمراســـن بـــن زيـــان.

7 ـ الشيـــخ الصالـــح أبـــو عبـــد الله محمـــد بـــن محمـــد ابـــن أبي بكـــر بـــن مـــرزوق بـــن الحـــاج التلمســـاني. ولـــد في حـــدود عـــام 629هـ/1231م. استوطـــن جـــدّه ـ المدعـــو مـــرزوق ـ **تلمســـان** في عهـــد المرابطيـــن. فسكنهـــا، وخلـــف نسلـــه في ثراهـــا؛ فنشـــأوا بهـــا، وتعلمـــوا فيهـــا؛ كمـــا احترفـــوا الفلاحـــة في أراضيهـــا الخصبـــة. فكانـــوا جميعـــاً أهـــل صـــلاح ووجاهـــة، وتديـــن. وكـــان الفقيـــه أبـــو عبـــد الله ـ صاحـــب هـــذه الترجمـــة ـ مـــن الأوليـــاء وأهـــل الصـــلاح والفضـــل؛ وكـــان محدثـــاً وفقيهـــاً ومتصوِّفـــاً، زاهـــداً، عابـــداً، مجـــاب الدعـــاء؛ ويقـــال أن لـــه كرامـــات ومكاشفـــات وآثـــار في الترهـــب والعلـــم شهيـــرات. وممـــن أخـــذ عنهـــم: أبـــو زكريـــاء يحـــيى بـــن محمـــد بـــن عصفـــور العبـــدري، وأبـــو إسحـــاق إبراهيـــم بـــن يخلـــف ابـــن عبـــد الســـلام التنـــسي، والشيـــخ الصالـــح أبـــو عبـــد الله الكفيـــف، وأبـــو عبـــد الله المالـــقي، والفقيـــه أبـــو عبـــد الله

محمد بن اللجام، والفقيه أبو زيد اليزناسني. وكل هؤلاء من أبناء تلمسان؛ شُهِد لهم بالعلم والدين. وتوفي صاحب الترجمة في أوائل رجب الفرد سنة 681هـ/1282م؛ أي بعد أشهر من وفاة يغمراسن بن زيان؛ فدفن بجواره في دار الراحة من الجامع الأعظم؛ تطبقاً لوصية هذا السلطان بذلك؛ تبركا بجواره.

8 ـ الولي الصالح أبو الحسن علي بن النجارية. ذو الزهادة في الدنيا والإقبال على الآخرة، قبره إزاء قبر أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان، قصد التبرك بجواره. لا يعرف تاريخ وفاته بالضبط. وربما تكون حدثت قبل وفاة ذلك السلطان الزياني.

9 ـ الشيخ الخطيب أبو عثمان سعيد بن بن إبراهيم بن علي الخياط. عرف **بابن سبعين.** اختار سبيل التصوف؛ فلبس الخرقة ضمن طريقة أبي العباس الرفاعي، كما اختار طريقة أبي مدين شعيب في التصوف. لا يعرف تاريخ وفاته.

10 ـ الصالح أبو العباس أحمد بن الخياط. وهو أخ لصاحب الترجمة السابقة **(أبي عثمان).** ويعتبر من بين الصلحاء الاعلام. عرف بمداومة تلاوة كتاب الله تعالى؛ وكان عالماً به. قال يحيى بن خلدون:

((ثقفه السلطان أبو يعقوب المريني، فلما كُبِّل تكسرت عنه القيود، وأُلْفَى بالسجن أزيد من سبعمائة رجل؛ فأخذهم بالقراءة، والصلاة؛ فكان أمرهم في ذلك عجباً. وكان الناس يقصدونه بالسجن لتجويد القرآن))[1].

11 ـ الشيخ أبو اسحاق ابراهيم بن علي الخياط.

هو ولد صاحب الترجمة الأولى (أبي عثمان). كان رجلا صالحاً، يسترزق من مهنة الخياطة. ويحب عمل الخير، كما يشفق على أصحاب الحاجة. فكان يسعى لقضاء حاجاتهم لدى السلطان يغمراسن؛ فيقضيها له. فامتعض بعضهم منه؛ لأنه كما قال يحيى بن خلدون: **((كان يكثر الدخول على أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان؛ لقضاء حوائج الناس ـ فربما دخل عليه في اليوم الواحد سبعين مرة ـ فقيل لأمير المسلمين في ذلك؛ فقال: دعوه؛ فهو رحمة للناس؛ وما قضى الله تعالى يقضيه؛ والله لا أبرمته. رحم الله السلطان، ونفع بالشيخ))**[2]. توفي **بتلمسان** في تاريخ غير معلوم. المهم أنه في عهد يغمراسن بن زيان.

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 117 - 118.**
[2] **نفسه، ص: 118.**

12 ـ الفقيه الصالح العاكف أبو عبد الله ابن البلد.

ذكره يحيى بن خلدون؛ وصنفه بين كبار الأولياء المتقشفين، وقال أنه: **((لم يعد لباس الصوف الخشن، وأكل الشعير من فضل صدقته بثمن ما ينتسخه بيده))**[1]. وقبره رحمه الله بمسجد صالح من العباد. تاريخ وفاته غير معروف.

***

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 119.**

دولة عثمان بن يغمراسن

أما السلطان **أبو سعيد عثمان بن يغمراسن**؛ فقد خلف والده بعد وفاته؛ سنة 681هـ/1282م؛ فحرص على ضبط أمور دولته، وتمهيد الجهات الشرقية؛ حتى أسوار **بجاية**. وفي سنة 684هـ/1285م – بادر إلى مخاطبة ملك **بني مرين يعقوب بن عبد الحق**؛ عارضاً عليه السلم والمصالحة؛ عملاً بوصية والده **يغمراسن** الذي حثّه على مسالمة سلاطين **بني مرين**، وتجنب الاحتكاك بهم والابتعاد عن مخاصمتهم؛ والاكتفاء بالتوسع نحو **الشرق**[1]. فاتخذها

---

[1] قال ابن خلدون: ((حدثنا شيخنا العلامة أبو عبد الله الآبلي؛ قال: سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان - وكان قهرماناً بداره - قال: أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان - ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم - فقال له: يا بني؛ إن بني مرين؛ بعد استفحال ملكهم، واستيلائهم على الأعمال الغربية، وعلى حضرة الخلافة بمراكش؛ لا طاقة لنا بلقائهم؛ إذا جمعوا لوفود مددهم. ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم؛ لمعرة النكوص عن القرن؛ التي أنت بعيد عنها. فإياك واعتماد لقائهم؛ وعليك باللياذ بالجدران؛ متى دلفوا إليك؛ وحاول ما استطعت في الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافئ حشد العدو بحشدك؛ ولعلك تصيِّر بعض الثغور الشرقية معقلاً لذخيرتك. فعلقت وصية الشيخ بقلبه، واعتقد عليها ضمائره،

عثمان نهجاً واستراتيجية التزم به؛ ولكن النزعة التوسعية **لبني مرين** أفسدت مسعاه. إذ هادنوه في وقت احتاجوا هم فيه إلى المهادنة؛ أيام انشغالهم بالتوسع في **بالأندلس**. ولما زالت الحاجة إلى ذلك عاودوا التحرش **ببني زيان**؛ حيث قام **يوسف بن يعقوب بن عبد الحق** بخمس غزوات ضد **تلمسان**؛ انتهت كلها بالفشل؛ وانجلت عن مهلكه بيد أحد عبيده أثناء حصاره الطويل **لتلمسان**[1].

ـ حصار تلمسان الأعظم:

وبدأت حكاية حصار هذا السلطان المريني **لتلمسان** باختلاق ذرائع ومسوغات. أهمها أنه طلب من السلطان الزياني **عثمان بن يغمراسن** تسليمه بعض اللاجئين **المرينيين** إلى **تلمسان**. فأبى السلطان الزياني إخفار ذمته؛ وقال: ((**والله؛ لا أسلمه أبداً، ولا أبيع حرمتي، وأترك من استجارني حتى أموت؛ فليصنع ما بدا له**))[2].

وجنح إلى السلم مع بني مرين؛ ليفرغ عزمه لذلك)). العبر، مج: 7، ص ص: 189 - 190. أنظر أيضاً: ص ص: 443 - 444.

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 196 - 201.

[2] الأنيس المطرب، ص: 393.

ويقول **عبد الرحمن بن خلدون**؛ أن رسول السلطان المريني أغلظ في القول إلى السلطان **عثمان: ((فسطا به، واعتقله؛ فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة، وتحركت الإحن القديمة والتوترات المتواترة؛ واعتزم على غزو تلمسان))**[1]. وهذه الحادثة تثير الذاكرة، وتحيلها إلى قصة في عصر آخر؛ عرفت بقصة المروحة؛ بين داي **الجزائر** والقنصل **الفرنسي**؛ وتوكد أن من أراد الحرب، ونوى الغزو؛ لن يعدم حيلة أو ذريعة يعلن بها عن قراره.

وكانت هذه هي الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب من جديد بين الدولتين: **المرينية والزيانية.** ويبدو أن **يوسف بن يعقوب بن عبد الحق** كان ينتظر الفرصة المواتية لإعادة الكرة مع **بني عبد الواد**؛ لذا فقد اختطف هذه المناسبة الذهبية ــ ولو لم تتوفر؛ لحاول إيجاد ذريعة أخرى لتحقيق أهدافه ــ لأن نزعة التوسع شرقاً مسيطرة على السلاطين **المرينيين**؛ بل تتحكم في نواياهم وأهدافهم؛ فهي استراتيجيتهم التي يتطلع إلى تحقيقها سلاطينهم كافة؛ صغيرهم وكبيرهم. وعلى هذا؛ فقد كرّر الغزو نحو

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 442.**

تلمسان خمس مرات؛ بدأها بسنة 689هـ/1290م؛ حيث حاصر المدينة مدة أربعين يوماً دون جدوى؛ فصبّ جام نقمته على الزرع والعمار؛ فقطع الأشجار؛ وهدم الآثار، وخرب القرى في الأرياف؛ ثم عاد إلى حاضرة ملكه **بالمغرب الأقصى**. وكان قد استعان في عيثه بقبائل **مغراوة** الوافدين عليه. فلما عاد إلى بلاده؛ خرج **عثمان بن يغمراسن إلى** ديار **مغراوة**؛ فشن عليها حملة انتقام؛ أتت على الأخضر واليابس؛ وأجلاهم إلى **متيجة**؛ بعد أن ترك ابنه **أبا حمو موسى في شلف**؛ لمراقبتهم، وكبحهم.

ونظراً إلى رغبة **يوسف بن يعقوب المريني** الملحة إلى الاستيلاء على **تلمسان**؛ فقد تكررت غزواته نحوها؛ حيث توالت واحدة بعد أخرى دون جدوى، إذ فشل **هذا السلطان المريني في** تحقيق مراده خلال غزواته الخمس: أولاها سنة: 689هـ/1290م، والثانية سنة 695هـ/1295م، والثالثة سنة 696هـ/1296م، والرابعة سنة 697هـ/1297م، والخامسة سنة 698هـ/1298م. كلها خابت، ولم يتمكن بها من اختراق جدران **تلمسان** المحصنة بالأسوار العالية، والأبراج الشامخة المتينة.

غير أن الحملة الأخيرة؛ التي بدأت في سنة 698هـ/1298م؛ أضرت **بتلمسان** كثيراً؛ حيث لحق بني **عبد الواد** ضرراً عظيماً؛ إذ دام الحصار خلالها ثماني سنوات وثلاثة أشهر متوالية وبدون انقطاع. فكان هذا الحصار فريداً في نوعه؛ إذ اتصف بطول أمده وضراوته. وبالمقابل؛ تميز بشدة صبر **العبد الواديين**، وصرامتهم، وإبائهم، وصدق مقاومتهم، وتفانيهم في صدّ عدوهم. فضربوا بذلك رقماً قياسياً في شدة الاحتمال، وصدق النضال: **((واستمر حصاره [أي يوسف بن يعقوب المريني] إياهم إلى تمام ثماني سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله. نالهم فيها من الجهد والجوع ما لم ينل أمة من الأمم))**[1].

أما شكل الحصار وخطته؛ فيمكن تلخيصها هكذا: قام السلطان المريني بتطويق مدينة **تلمسان** من جميع جهاتها؛ ثم شرع في بناء مدينة محاذية لها سماها **المنصورة**؛ جعلها مستقراً له ولجيشه. والهدف من ذلك هو التمكن من مطاولة المحاصرين، وخنق **تلمسان**؛ حتى تستلم مع الزمن.

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 197.**

ومع هذا؛ لم يبق مكتوف الأيدي أمام **تلمسان**؛ حتى تفتح أبوابها؛ بل قام ـ خلال إنجاز مدينة **المنصورة** ـ بتمهيد الجهات الشرقية، وإخضاع أتباع **بني عبد الواد** في تلك الديار؛ فلم يترك مدينة إلاّ واستسلمت له، وبلغ في زحفه إلى مشارف **بجاية**؛ حيث ضمن طاعة **بني توجين** كافة، **ومغراوة** كلها. وبذلك وسّع نطاق الحصار إلى أبعد مدى، وعزل مدينة **تلمسان** عن محيطها الحيوي؛ فشمل بذلك الاستقطاب والهيمنة: **ندرومة، وتامززدكت، وهنين، ووهران، والقصبات، ومزغران، ومستغانم، ومازونة، وتنس، وبرشك، وشرشال، والبطحاء، ووانشريس، ومليانة، ولمدية، والجزائر، وتافركنيت**[1]: **((وحذره الموحدون من ورائهم بإفريقية ملوك بجاية، وملوك تونس؛ فمدوا إليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة، والمهاداة؛ وخاطب صاحب الديار المصرية ـ ملك الترك ـ وهاداه، وراجعه كما نذكره. ووفد عليه شرفاء مكة بنو أبي نمي كما نذكر. وهو في خلال ذلك مستجمع لمطاولة الحصار والتضييق))**[2].

---

[1] **الأنيس المطرب، ص: 367.**

[2] **العبر، مج: 7، ص: 458.**

ولكن الله شاء بغير ما حلم به **يوسف بن يعقوب المريني**؛ حيث قتله ـ في ليلة من الليالي ـ أحد خصيانه ـ اسمه **سعادة** ـ بواسطة خنجر؛ بعد أن تسلل إلى مخدعه؛ فهلك لوقته؛ وفي سنة 706هـ/1306م[1]. وبموته تفرق الجمع، وانفض الحصار؛ إذ سارع المتنافسون على العرش المريني للالتحاق **بفاس**؛ لترتيب شئون الحكم[2].

ومن غرائب الصدف؛ أن السلطان الزياني **عثمان بن يغمراسن** توفي هو الآخر أثناء هذا الحصار؛ وقبل السلطان المريني بسنوات ثلاث تقريباً. إذ ورد في المصادر أنه توفي في سنة 703هـ/1303م؛ عن عمر حدد بأربع وستين سنة.

أما موت السلطان الزياني **عثمان بن يغمراسن**؛ فقد اختلف المؤرخون في سببها المباشر. فبينما يعتقد بعضهم بأنه توفي جراء نزلة برد؛ بعد خروجه من الحمام؛ يقول آخرون أنه انتحر؛ والله أعلم. وإذا ما صح هذا السبب الأخير؛ فإن السلطان الزياني هذا؛ يكون قد سلك النهج نفسه الذي اختاره من قبل أسلافه من الملوك **الأمازيغ**.

---

1 **الأنيس المطرب، ص: 368. العبر، مج: 7، ص ص: 484 - 485.**

2 **العبر، مج: 7، ص ص: 485 - 489.**

الذين اختاروا وضع نهاية لحياتهم؛ منعاً للعار؛ الذي سيلحق بهم لو أسروا من قبل العدو. وبذلك يكون **عثمان بن يغمراسن** قد انسجم مع غيره من بني جنسه من الملوك في سالف الدهر؛ مثل:

ـ **يوبا الأول**؛ الذي أنهى حياته؛ بعد هزيمته أمام **القيصر سيزار** سنة 47 قبل الميلاد.

ـ **وفيرموس**؛ الذي قتل نفسه سنة 375 ميلادية؛ بعد هزيمته أمام القائد الروماني **تيودوز**، وخيانة أصحابه له.

ـ **وجيلدون** سنة 395 ميلادية؛ بعد أن تغلب عليه جيش **روما**؛ الذي قاده أخوه **مقزيل**؛ من أجل **روما**.

ـ وأمير **مغراوة محمد بن الخير بن محمد بن خزر** سنة 260هـ/873م؛ الذي ذبح نفسه؛ بعد هزيمته أمام **بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي**.

أما السلطان الزياني **عثمان بن يغمراسن**؛ فقد اتفق ـ بخصوصه ـ **يحيى بن خلدون، والتنسي** على رواية واحدة؛ مفادها أنه أصيب بنوبة برد؛ بعد خروجه من الحمام. بينما أورد **عبد الرحمن بن خلدون** رواية مغايرة؛ جاء فيها: أنه هلك بالسم؛

بعد خروجه من الديماس[1]. حدث ذلك في السنة الخامسة من سنوات الحصار، وبالتحديد، في يوم السبت، غرة ذي القعدة من عام 703هـ/1303م.

ـ العمران والثقافة:

وواضح أن السلطان **أبا سعيد عثمان** استفاد ممن كانوا في خدمة أبيه من العلماء والأدباء والكتاب، غير أنه اختص بشاعر المائة السابعة الفقيه الأديب **أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس**، الذي ولاّه كتابة الإنشاء. ومع هذا فقد وصف **أبو عبد الله محمد العبدري الحيحي** في رحلته الأوساط العلمية والأدبية في **تلمسان** ـ التي زارها في عصر **أبي سعيد عثمان** ـ بالضحالة والجدب، وهذه الصفة نعت بها مدن **المغرب الأوسط** كافة، وواضح أنه لم يكن منصفاً في

---

[1] الديماس هنا: هو الحمام. وقال عبد الرحمن بن خلدون: ((أخبرني شيخنا العلامة محمد بن إبراهيم الآبلي ـ وكان في صباه قهرمان دارهم ـ قال: هلك عثمان بن يغمراسن بالديماس. وكان قد أعد لشربه لبناً، فلما أخذ منه الديماس، وعطش، دعا بالقدح، وشرب اللبن، ونام، فلم يكن بأوشك أن فاضت نفسه. وكنا نرى معشر الصنائع أنه داف فيه السم، تفادياً من معرّة غلب عدوهم إياه)). العبر، مج: 7، ص ص: 196 - 197. أنظر أيضاً: بغية الرواد، ج: 1، ص: 201. وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 131.

أحكامه التعسفية. وفيما يلي عرض لأسماء بعض علماء الدين والمتصوفة؛ الذين عاشوا في عهد أبي سعيد عثمان بن يغمراسن وابنه أبي زيان محمد. على أن يترك أمر الشعراء والأدباء للأجزاء اللاحقة من الكتاب.

1 ـ إبراهيم الطيار الغوث؛ (أبو إسحاق). يُعد من كبار الأولياء، ومن العاملين بجد على تعليم كتاب الله عز وجل. قالوا أنه لم يضطجع أربعاً وعشرين سنة؛ اقتصر فيها على قيام الليل، وصوم النهار. وقال المقري نقلا عن محمد بن مرزوق عن أصحابِ لصاحب الترجمة: (("**إن أبا إسحاق أقام خمساً وعشرين سنة لا ينام إلاّ قاعداً". فسألت ابن مرزوق: لم لقب بالطيار؟ فحدثني عن بعض أصحابه؛ أنه نَشَرَ ذات يوم ثوبه في الشمس على بعض السطوح؛ ثم قعد هنالك. فمر به رجل؛ فقال له: "طِرِ"؛ فقال: "أعن أمرك؟"؛ قال: "نعم"؛ فطار حتى وقع على الأرض وما به باس))**[1]. ومات قبل دخول سنة 700هـ؛ فدفن بالعباد.

---

[1] **نفح الطيب، ج: 5، ص: 260.**

2 ـ الفقيه أبو زكرياء يحيى بن عصفور. تولى القضاء في عهد عثمان بن يغمراسن. وهو من قضاة العدل والفضل؛ احتل مكانة مرموقة بين القضاة الرؤساء؛ من المتصفين بالفضل والدين. وهو غير الذين عرفوا باسم "ابن عصفور كشيخ لسان الدين بن الخطيب المدعو باسم أبي زكرياء يحيى ابن عصفور؛ المحدث الساكن بتونس. أو أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر بن عصفور العبدري تلميذ أبي عبد الله بن عبد الحق، وشيخ أبي العباس الصدفي الشاطبي، وابن الأبار، وأبي عبد الله بن مرزوق.[1]

3 ـ الشيخ أبو الحسن التنسي. وهو أخو الشيخ أبي إسحاق؛ أثير يغمراسن بن زيان. ويعتبر من كبار العلماء العاملين. حظي لدى الملوك والعامة بمكانة جليلة. يتصف بالورع والتقى. كلف بالسفارة بين ملوك المغرب والمشرق؛ فلحقته أضرار من هذه المهمة؛ إذ اتهم أيام الحصار الأول لتلمسان (وقع في سنة 689هـ/1290م) بالميل إلى الأعداء؛ فخرج من المدينة، والتحق بالسلطان المريني أبي يعقوب يوسف؛

---

[1] أنظر تعليق محقق الجزء الأول من كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص: 153.

الــذي أكرمـــه وبالــغ في الاحتفــاء بـــه. وبــقي لديـــه إلى أن مـــات؛ فدفـــن بالعبـــاد.

* * *

دولـة

ابي زيـان محمـد بـن عثمـان

وبعد وفاة السلطان **عثمان**؛ خلفه ولده **أبو زيان محمد**؛ الذي يتحلى بمزايا أبيه **عثمان بن يغمراسن** من حيث الصرامة، والحزم، والصبر على المكاره، والإصرار في المواقف. تولى الأمر بعد وفاة والده في مخدعه؛ أين بعثت محظيته بنت السلطان **الحفصي أبي إسحاق** إلى ولديه: **أبي زيان محمد، وأبي حمو موسى**؛ فأعلمتهما بوفاته؛ فبدارا إلى إحضار مشيخة **بني عبد الواد**؛ للنظر في الأمر؛ ولكنهما لم يصرحا في البداية بوفاته؛ وظهر عليهما الحرج؛ فارتاب الجمع في الأمر؛ فتساءل أحدهم نيابة عن بقية المشيخة؛ قائلاً: ((**السلطان معنا آنفاً؛ ولم يمتد الزمن لوقوع المرض؛ فإن يكن هلك فخبرونا؛ فقال له أبو حمو: وإذا هلك؛ فما أنت صانع؟ فقال: إنما نخشى من مخالفتك؛ وإلاّ فسلطاننا أخوك الأكبر أبو زيان. فقام أبو حمو من مكانه، وأكبّ على يد أخيه يقبلها، وأعطاه صفقة يمينه، واقتدى**

بــه المشيخــة))[1]. وهكــذا عقــدت بيعــة **أبي زيــان محمــد ابــن عثمـــان بـــن يغمراســـن**؛ وفي يـــوم الأحـــد الثـــاني مـــن ذي القعـــدة سنـــة 703هـــ/1303م؛ فواصـــل جهـــود المقاومـــة، والتصـــدي **لبـــني مريـــن**؛ دون أن يظهـــر عليـــه الجـــزع، أو يبـــدي أي تراجـــع أو تـــراخي؛ بحيـــث لـــم يشعـــر أحـــد مـــن خصومـــه أن شيئـــاً مـــا قـــد تغيـــر بعـــد وفـــاة **عثمـــان**. **((وبلـــغ الخبـــر إلى يوســـف بـــن يعقـــوب ـ بمكانـــه مـــن حصارهـــم ـ فتفجـــع لـــه، وعجـــب مـــن صرامـــة قومـــه مـــن بعـــده))**[2]. وظـــل الحصـــار مستمـــراً في عهـــد **أبي زيـــان محمـــد**؛ وبـــقي عـــلى حالـــه زهـــاء ثـــلاث سنـــوات تقريبـــاً؛ إلى أن قُتِـــل السلطـــان **المريـــني** بيـــد خصيـــه[3]. عندهـــا؛ اندلعـــت بيـــن إخـــوة السلطـــان المريـــني وأبنائـــه وأحفـــاده منافســـة ضاريـــة عـــلى السلطـــة؛ فتسابقـــوا إلى امتـــلاك العـــرش **بفـــاس**؛ ومـــن بينهـــم **أبـــو ثابـــت**؛ حافـــد السلطـــان؛ الـــذي بعـــث رســـولاً إلى السلطـــان الزيـــاني؛ يعـــرض عليـــه الصلـــح؛ عـــلى أن يـــؤازره في مسعـــاه،

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 197.

[2] نفسه، ص: 197.

[3] اتفق الأخوان: ابن خلدون على هذا؛ بينما خالفهما التنسي؛ حيث نقل عن صاحب كتاب (درر الغرر) قوله بأن أبا زيان مات أثناء الحصار؛ وأن يوسف بن يعقوب المريني هلك في عهد أبي حمو موسى الأول. أنظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسن (نظم الدر)، ص: 135.

ويقف معه ضد بقية أعضاء الأسرة المالكة **المرينية**[1]. فوافقه، وعقد معه معاهدة صلح ومساندة؛ أنهت الحصار، وأعادت الأمل، وفتحت أمام **بني زيان** ـ من جديد ـ أبواب الملك واسعة على مصراعيها؛ فأعادوا الكرة، واجتاحوا معظم البلاد الشرقية.

وقام السلطان **أبو زيان محمد** ـ في السنوات الأولى من ولايته، وبالتحديد في سنة 705هـ/1305م؛ وقبل رفع الحصار عن **تلمسان** ـ قام بإجراء أول قطيعة بين **البلاط الزياني، والدولة الحفصية**؛ حيث أسقط الدعاء لهذه الدولة من منابر **تلمسان**؛ بعد أن وصلته أخبار دعم سلطانها **أبي عصيدة**[2] **بن الواثق**

---

[1] قال ابن خلدون: ((وكان من خبر هذه الرسالة؛ أن يوسف بن يعقوب ـ لما هلك ـ تطاول للأمر الأعياص من إخوته وولده وحفدته؛ وتحيز أبو ثابت حافده إلى بني ورتاجن؛ لخؤلة كانت له فيهم؛ فاستجاش بهم؛ فاعصوصبوا عليه؛ وبعث إلى أولاد عثمان بن يغمراسن؛ أن يعطوه الآلة، ويكونوا مفزعاً له ومأمناً إن أخفق مسعاه؛ على أنه إن تم أمره قوض عنهم معسكر بني مرين. فعاقدوه عليها؛ ووفى لهم؛ لما تم أمره؛ ونزل لهم عن جميع الأعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم، وجأجأ بجميع الكتائب التي أنزلها في ثغورهم؛ وقفلوا إلى أعمالهم بالمغرب الأقصى؛ واستمكن السلطان أبو زيان من ثغور المغرب الأوسط كلها)). العبر، مج: 7، ص: 201.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن محمد الواثق؛ المعروف بأبي عصيدة، والملقب بالمستنصر بالله. حكم من سنة 694هـ/1294م إلى سنة 709هـ/1309م.

للسلطان **المريني يوسف بن يعقوب بن عبد الحق**. وذلك بإرسال أسطول **حفصي** لمساعدته على تمهيد سواحل **المغرب الأوسط**[1]. وعندها اقتصر ملوك **بني زيان** على الدعاء لأنفسهم.

كانت أول خطوات السلطان **أبي زيان** ـ رفقة أخيه **أبي حمو**؛ بعد رفع الحصار؛ **وفي** آخر ذي الحجة من سنة 706هـ/1306م ـ هي الزحف نحو **مغراوة**[2]؛ فسلط عليهم سيف انتقامه؛ إذ عاقبهم على مساندتهم **لبني مرين**، ووقوفهم إلى جانبهم أثناء حصارهم **لتلمسان**. فدوخ أرضهم، ونسف عمارتهم، ثم عقد **لمسامح** (مولاه) على ديارهم؛ كما توجه إلى **سهل السرسوا**؛ حيث تتواجد أعراب **سويد والديالم وبني يعقوب بن عامر**؛ فأوقع بهم وأخرجهم من تلك الجهات التي غلبوا عليها **زناتة** أيام الحصار. ثم تحول إلى بلاد **توجين**؛ أين ألزمهم الطاعة، وضبط فيهم أمر **الحشم**.

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 202 - 203. 463 - 467.

[2] يخالف التنسي هذا الرأي؛ حيث يرى أن أول ما قام به السلطان الزياني ـ وهو أبو حمو عنده وليس أبا زيان ـ أنه بدأ مباشرة بعد فك الحصار؛ بتخريب المنصورة التي شيدها يوسف بن يعقوب. بينما يقول صاحب الأنيس المطرب؛ أن أبا ثابت المتولي على بني مرين بعد جده يوسف ابن يعقوب اشترط على بني زيان أن يبقوا المنصورة على حالها، وألا يخلوها، وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالإصلاح. أنظر هذا في ص: 369.

ـ العمـران والثقافـة:

وبعـد تسعـة أشهـر مـن بـدء تمهيـد البـلاد الشرقيـة؛ عـاد السلطـان **أبـو زيـان محمـد** إلى **تلمسـان**؛ حيـث انصـرف إلى إصـلاح حاضـرة ملكـه، وبنـاء مـا انثلـم مـن الأسـوار، ومـا فسـد مـن عمـار؛ كمـا انهمـك في ترميـم قصـوره ورياضـه؛ إلى أن تسـرب إليـه المـرض، واشتـدت علتـه؛ ثـم مـات في آخـر شـوال مـن سنـة 707هـ/1307م؛ عـن عمـر يقـدر بثمـان وأربعيـن سنـة؛ ودام في الحكـم أربـع سنـوات إلاّ سبعـة أيـام[1].

* * *

[1] انفـرد التنسي بـرأي آخـر؛ خالـف بـه الأخويـن (ابـن خلـدون)، وابـن أبي زرع؛ إذ يـرى أن أبـا زيـان مـات أثنـاء الحصـار؛ ولكنـه صمـت عن ذكـر التاريـخ الـذي هلـك فيـه؛ كمـا تجاهـل التاريـخ الـذي انتصب فيـه خليفتـه أبي حمـو مـوسى الأول علـى سـدة الحكـم بعـد مـوت أخيـه. أنظـر: **تاريـخ بـني زيـان ملـوك تلمسـان (نظـم الـدر)، ص: 131. العبـر، مج: 7، ص: 197. وبغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 212. والأنيـس المطـرب، ص: 367.**

دولة أبي حمو موسى الأول

وبعد وفاة **أبي زيان محمد**؛ خلفه أخوه **موسى ابن عثمان (أبو حمو الأول)**. الذي انتصب على سدة الحكم في **تلمسان** – في معظم الأقوال – يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر شوال سنة 707هـ/1307م. فنقل الدولة الزيانية من عهد السذاجة القبلية، والبساطة في الأحكام إلى الملك العضوض؛ ووصفه **عبد الرحمن بن خلدون**؛ بقوله: **((وكان صارماً، يقظاً، حازماً، داهية، قوي الشكيمة، صعب العريكة، شرس الأخلاق، مفرط الذكاء والحدّة. وهو أول ملوك زناتة. رتب مراسم الملك، وهذب قواعده، وأرهف لذلك لأهل ملكه حدّه، وقلب لهم مجن بأسه؛ حتى دلوا لعز الملك، وتأدبوا بآداب السلطان))**[1].

---

[1] **ثم أضاف: ((سمعت عريف بن يحيى (أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية لزناتة) يقول - ويعنيه - موسى بن عثمان هو معلم السياسة الموكية لزناتة؛ وإنما كانوا رؤساء بادية؛ حتى قام فيهم موسى ابن عثمان؛ فحدّ حدودها، وهذب مراسمها، ولقن عنه ذلك أقتاله، وأنظاره منهم؛ فتقبلوا مذهبه، واقتدوا بتعليمه)). العبر، مج: 7، ص: 204.**

بادر **أبو حمو الأول** ـ منذ توليه ـ إلى تجديد معاهدة الصلح بينه وبين سلطان **بني مرين**؛ اتباعاً لنهج والده **عثمان**، وتطبيقاً لوصية جدّه **يغمراسن**؛ التي ورد ذكرها فيما سبق. وبعدها؛ انطلق إلى تمهيد البلاد الشرقية من مملكته[1]؛ حيث يكون قد واصل المجهود الذي بدأه أخوه **أبو زيان محمد**؛ فجرد حملات متتابعة ضدّ **بني توجين ومغراوة**؛ فأثخن فيهم، وسلبهم المال والأرواح؛ ثم انتقل إلى بقية القبائل المتواجدة في تلك الديار؛ حتى أخضعهم، واطمأن إلى استكانتهم، وطاعتهم؛ وبذلك تمكن من السيطرة ـ منذ توليه إلى سنة 714هـ/1314م ـ على المدن والمناطق التالية: **شلف، وجبل وانشريس، والسرسو، ومازونة، مليانة، ولمدية، والجزائر، وبرشك، وتنس، ومستغانم، ووهران**. هذا؛ ولم تشغله عملياته العسكرية ضد القبائل المتواجدة بين

---

[1] خالف التنسي بقية الروايات ـ على اعتبار أنه تولى الحكم أثناء الحصار كما سبقت الإشارة إليه ـ حيث ذكر أن أول عمل قام به أبو حمو الأول هو هدم مدينة المنصورة التي بناها السلطان المريني يوسف بن يعقوب؛ فقال: ((كان أول ما بدأ به الملك أبو حمو؛ هدم مدينة يوسف، وإصلاح ما تثلم من تلمسان، وبنى الأسوار والستائر، وحفر الخنادق، وخزن فيها من الطعام والأدام والملح والفحم والحطب ما لا حد له ولا حصر؛ ثم اشتغل بتمهيد الملك)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 135 - 136.

تلمسان والجزائر عن نقل عملياته الحربية إلى ديار **الحفصيين** في **إفريقية**؛ إذ شدّد ضغطه عليهم بعد سقوط حجاب الثقة بينهم وبين **بني زيان**؛ جراء مساندتهم **لبني مرين** أثناء حصارهم **لتلمسان**. وقد استغل **أبو حمو موسى الأول** الظروف السيئة التي مرّت بها الدولة **الحفصية** في تلك الفترة؛ فاستفاد من الاضطرابات والفتن المشتعلة بين أمراء الأسرة المالكة في **تونس**؛ كما استثمر نتائج الأوضاع السياسية والاجتماعية المتدهورة؛ المتمثلة في تطاول **الأعراب** واستقوائهم على الدولة **الحفصية**، وتغلبهم على ضواحي **إفريقية** كلها. لذا فقد جرد مجموعة من الفرق المقاتلة لمحاصرة المراكز الرئيسة في **المغرب الأوسط وإفريقية**؛ التابعة لتلك الدولة؛ مثل: **بجاية، وقسنطينة، وبونة**. وهكذا؛ شرع السلطان **الزياني** في خطته بالتقدم نحو الشرق؛ والاقتراب من خطوطه الأمامية؛ حيث شيّد سنة 711هـ/1311م قصره المعروف باسمه في **وادي نهل**[1] بالقرب من **ماوزنة**؛ الذي اتخذه مركز قيادة أمامي له.

---

[1] وادي نهل: أحد روافد واد الشلف؛ وهو قريب من مازونة. وفي هذا الموقع شيد السلطان أبو حمو موسى الأول قصره المسمى باسمه؛ وعرف الآن باسم عمي موسى.

وبعد حملته الأولى سنة 710هـ/1310م ـ التي أخضع خلالها **بني توجين، ومغراوة**؛ ونصب **يوسف ابن حيون الهواري** على عمالة **وانشريس**، ثم أقام مولاه **مسامحاً** عاملاً على بلاد **مغراوة** ـ عاد إلى **تلمسان**. ولكنه ما فتئ أن عاود الكرة سنة 711هـ/1311م؛ أين ربض في قصره **بوادي نهل**؛ وبعث البعوث نحو شرق البلاد؛ فبدأها بحملة مولاه **مسامح**؛ الذي ضيق ـ بحصاره ـ على مدينة **الجزائر** حتى سلمها صاحبها **ابن علان** إلى جيش **أبي حمو** سنة 712هـ/1312م. وبذلك أضحت **متيجة** ضمن ممتلكات الدولة الزيانية.

وكالعادة؛ تململ **المرينيون**، وتضايقوا من التوسع **الزياني** على حساب **الحفصيين** شرقاً؛ فحالولوا كبح طموح **أبي حمو الأول**. وكما جرت العادة؛ لم يفتقروا إلى الوسائل والمسوغات اللازمة. وهكذا؛ ففي سنة 714هـ/1314م رجع **المرينيون** إلى عادتهم القديمة؛ في التحرش **بالزيانيين**، ومحاصرة **تلمسان**. والسبب ـ كالعادة ـ هو لجوء أفراد من العائلة المالكة **المرينية** إلى **تلمسان**؛ جراء خلافات

وخصومات على الحكم. وتبعاً لإصرار الملك الزياني على منح الحماية للاّجئين؛ تنشب الحرب بين الدولتين. وقد حدث هذا في عهود سبقت؛ فاتبع **أبو حمو الأول** نهج أسلافه في ذلك الأمر؛ بحجة أنه لن يكسر جواره أو يخفر ذمته. وكسابق العهد؛ أدى موقفه هذا إلى غضب السلطان **المريني أبي سعيد عثمان بن عبد الحق**؛ الذي سارع إلى غزو **تلمسن**، وحصارها؛ ولكنه فشل في مسعاه؛ بعد أن سرب **أبو حمو الأول** الأموال إلى وزرائه؛ وتبادل معهم الخطابات؛ ثم أعلم السلطان **المريني** بمؤمراتهم معه. فخاف **أبو سعيد** العاقبة؛ وانسحب عائداً إلى **المغرب الأقصى**.

وبعد انسحاب **المرينيين** إلى بلادهم؛ نهض **أبو حمو** لتطويع البلاد المشرقية من جديد؛ واهتم ـ بالتحديد ـ بالخارجين عنه؛ من **مغراواة** في نواحي **شلف**؛ حيث باشر ـ بعد أن التحق بقصره **بوادي نهل** ـ بإخماد فتنة **راشد بن محمد بن ثابت بن منديل المغراوي**، وطارد أتباعه في جبال **شلف**. ثم شكَّل فرقاً عسكرية؛ أسند قيادتها إلى بعض أقاربه ومواليه. فأسند قيادة الفرقة المكلفة بحصار **بجاية** إلى

ابن عمه **أبي سرحان مسعود بن أبي عامر برهوم**. فضيق عليها، وشيّد بالقرب منها **حصن أزفون** (سماه بن خلدون **أصفون** بالصاد)؛ فاتخذه بمثابة المعسكر: ((**فكان يسرح الجيوش لقتالها؛ فتجوّل في ساحتها ثم رجع إلى الحصن**))[1]. ثم وضع ابن عمه **محمد بن يوسف**، ومولاه **مسامحاً** على رأس فرقتين أخريين؛ وكلفهما بتدويخ ما وراء **بجاية**. وبعدها عقد **لموسى بن علي الكردي** على جيش ضخم بمشاركة فئة من **زغبة، وبني سباع من عرب الدواودة**؛ وبعثهم عبر طريق الصحراء؛ نحو **إفريقية**؛ بغرض كسر شوكة **الحفصيين**، وتهديد ممتلكاتهم، وترويع أمنهم. فوصلوا بزحفهم الكاسح **إلى بونة**؛ ثم تخطوها **إلى قسنطينة**؛ أين ضيَّقوا عليها أياماً، كما استباحوا **جبل بني ثابت** المطل عليها؛ وأحرقوا الضواحي والمدن المجاورة. ولم يدم نجاحهم وظهورهم ــ بعد نجاحهم الأول في مسعاهم، وتوغلهم في ديار **الحفصيين** ــ حيث دبت رياح الخلاف بينهم: ((**وحدثت بينهم المنافرة حسداً ومنافسة؛ فافترقوا، ولحقوا بالسلطان**))[2]. وكان الشنئان هذا؛ بمثابة الفتيل الذي

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 213.**
[2] **نفسه، ص: 213.**

أشعل نار الفتنة بين أفراد الأسرة المالكة **الزيانية**؛ بل ظل مشتعلاً حتى انفجر في وجه السلطان **أبي حمو الأول**؛ فقضى عليه.

ويبدو أن الدولة **الزيانية** ـ في عهد **أبي حمو الأول** ـ سلكت طريق الانحدار والسقوط؛ جراء ما أصابها من هرم، وشيخوخة، وفساد حالها من الداخل. وقد صدق **ابن خلدون** في حكمه عن صاحب الدولة الذي يضع ثقته الكلية في الموالي والمصطنعين. وبالطبع حدث ذلك في مرحلة متأخرة من عمر الدولة[1]. قد تولد عن هذه الفتن المتوالية؛ وهذا الانقسام في الأسرة المالكة؛ تضعضع أركان الدولة **الزيانية**؛ حيث تسرب الوهن القاتل إلى بيت **أبي حمو** نفسه. فدب خلاف مكتوم بينه وبين ابنه **أبي تاشفين عبد الرحمن الأول**. استغلّ هذا الخلاف بعض الموالي والمصطنعين في بلاط الدولة؛ فألهبوا النار الدفينة في نفس ولي العهد ضد أبيه؛ بحجة أنه يفضل عليه ابن عمه **مسعود بن أبي عامر**

---

[1] أنظر المقدمة، ج: 2، ص ص: 656 - 657، فصل في أن الدولة لها أعمار طبيعية كما للأشخاص.

برهوم[1]. وقد تولى إشعال نار الفتنة أحد الموالي المسمى **هلال القطلاني**؛ الذي أوهم **أبا تاشفين** بأن أبيه سيحول ولاية العهد إلى ابن عمه **أبي سرحان مسعود**. وتطورت المؤامرة من مرحلة الشحن بالكلام إلى طور التنفيذ؛ حيث نفذوا مؤامرتهم بقتل السلطان **أبي حمو** الأول، **ومسعود** معاً في يوم الأربعاء 22 جمادى الأولى من عام 718هـ/1318م.

– العمران والثقافة:

وعلى الرغم من انشغال **أبي حمو الأول** بالحروب؛ وتصديه لعيث القبائل المختلفة في ربوع بلاده؛ فإنه لم يتجاهل المنجزات العمرانية وإنشاء المؤسسات الثقافية، ورفع مراتب العلماء في مملكته. فهو الذي أنشأ في **تلمسان** المدرسة الشهيرة بمدرسة ابني الإمام[2]: وهما العالمان الجليلان: **أبو زيد عبد**

---

[1] ((وكان ـ رحمه الله ـ مؤثِراً لابن عمه أبي سرحان مسعود بن أبي عامر ابن يغمراسن بن زيان عن ابنه السلطان أبي تاشفين؛ ومفضلاً إياه عليه في السر والجهر، والنهي والأمر. فكثيراً ما كان يعيره به ويوبخه في الملأ بسببه؛ وربما أسمعه هجر القول؛ غير مبال بعاقبته)). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 214.

[2] هما: الأخوان: أبو زيد عبد الرحمن (المتوفي سنة 743هـ/) وأبو موسى عيسى (المتوفي سنة 749هـ/1348م)؛ والدهما هو محمد بن عبدالله التلمساني البرشنكي التنسي.

الرحمن، وأبو موسى عيسى؛ كما أسند خطة الكتابة في بلاطة للكاتب الشهير والأديب **ابن هدية**[1]؛ بالإضافة إلى احتضان العلامة المتفنن **أبي عبد الله الآبلي**.[2] وبذلك يكون **أبو حمو موسى الأول** هو أول من اعتنى ـ من سلاطين بني زيان ـ بالعلم النافع النبيل؛ والأدب الرفيع ذي القيمة الفنية السليمة. إذ قرب إليه العلماء المتميزين بمختلف العلوم النقلية والعقلية؛ الذين ازدهرت بهم تلمسان في عصر هذا السلطان المجتهد. كما استعان في بلاطه بكفاءات عالية في الآداب والفنون الأخرى. ولذلك؛ لوحظ في عصر هذا السلطان ترجع تهافت الناس على المتصوفة والدراويش، وحلّ محلهم علماء العمل والتنوير. أما في ميدان البناء وتشييد المنشآت والقصور؛ فقد جلب من الأندلس مجموعة متنوعة من الفعلة والبنائيين؛ بغرض بناء المنازل والقصور، وتخطيط البساتين وزراعتها[3]. وفي ما يلي بعض أسماء العلماء الذين

---

[1] هو محمد بن منصور بن علي بن هدية (توفي سنة 736هـ/1335م)

[2] هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي؛ عالم واسع الاطلاع؛ يهتم بعلوم المنطق والرياضيات. ولد في تلمسان سنة 681هـ/1280م؛ ترجع أصوله إلى مدينة آبلة الأندلسية. وكان والده في خدمة السلطان يغمراسن، بينما كان ابنه محمد قهرمانا ببلاط الدولة الزيانية.

[3] العبر، مج: 7، ص: 297.

عاصروا **أبا حمو موسى الأول**؛ بينما يستثنى منهم الذين تعاطوا نظم الشعر؛ لأن مكانهم في الأجزاء التالية من الكتاب.

1 ـ الشيخ أبو زيد عبد الرحمن ابن الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإمام.

2 ـ والشيخ أبو موسى عيسى ابن الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله الإمام:

أصلهما من **برشك**. وهما إمامان مشهوران بالعلم والرئاسة. ينتميان إلى سلف صالح. قال فيهما يحيى بن خلدون: ((**أخبرني من ثقاته؛ أن جدهما كان من أولياء الله الأبرار. وكانت له أريضة يعمرها بالخضر لمعاشه. فعمد إليها ليلة لصان ليحتفرا منها اللفت؛ فأوثقتهما أرضها، وأصبحا عبرة، ونفع الله به**))[1]. قدم الإمامان إلى تلمسان في عهد أبي حمو موسى الأول؛ فاحتفى بهما ورفع منزلتهما؛ ثم ابتني لهما المدرسة المسماة باسمهما؛ وموقعها داخل باب كشوطة. وكانت لهما رئاسة وحظوة؛ ومقاما محفوظاً في مجالس الملوك. ولهما في تلمسان خلف صالح؛ ينتحلون العلم؛ وقد وصل

---

[1] **بغية الرواد، ح: 1، ص: 130.**

بعضهم إلى مراتب التدريس والفتيا في النوازل. توفي أبو زيد عبد الرحمن في سنة 743هـ/1342م؛ أما أبو موسى عيسى؛ فقد توفي في سنة 749هـ/1348م.

3 ـ العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الأبلي. يطلق عليه اسم المعلم الأصغر. وهو عالم منطقي ورياضي؛ ولد **بتلمسان** في سنة 681هـ/1280م. بينما يعود في أصوله الأولى إلى آبلة بالأندلس. وينتمي إلى بيت نباهة من الجند. إذ كان والده من بين مساعدي السلطان **يغمراسن بن زيان.** فكانت لابنه محمد حظوظ التعلم لدى الشيخين الإمامين: أبي زيد عبد الرحمن، وأبي موسى عيسى؛ في مدرسة تلمسان المسماة باسمهما. ثم أخذ العلم كذلك بمراكش عن أبي العباس أحمد بن البناء. وبعدها رحل إلى العراق؛ أين التقى بجمع من علماء المشرق؛ فأخذ عنهم. ولما عاد من المشرق؛ ولاه أبو حمو موسى الأول قيادة بني راشد. ولكنه كره العمل في الوظائف السلطانية؛ وفضل الانشغال بالعلم؛ ففرّ إلى جبال هسكورة بالأطلس؛ أين أقام عند علي بن محمد بن تروميت. واعتكف هناك على القراءة والتأمل. وكان اعتكافه هذا؛ سبباً في سمو فكره وتفوقه في مجالات العلوم العقلية؛ بحيث

بَـزَّ كـل مـن عـرف في زمانـه في هـذا الميـدان. حـتى أنـه أضـحى شيخـاً ومعلمـاً لمعظـم العلمـاء في عصـره؛ وإذا مـا تصفحـت تراجـم ذلـك العصـر؛ ستتبيـن أن جـلّ الفقهـاء والعلمـاء ببـلاد المغـرب وإفريقيـة أخـذوا عنـه العلـوم العقليـة بالخصـوص؛ ومنهـم: عبـد الرحمـن بـن خلـدون، وأخـوه يحـيى وغيرهـم كثيـرون. وممـا قالـه عبـد الرحمـن بـن خلـدون في أستـاذه الآبـلي: **((أصلـه مـن تلمسـان؛ وبهـا نشـأ، وقـرأ، وكتـب التعاليـم، وحـذق فيهـا. وأظلـه الحصـار الكبيـر بتلمسـان؛ أعـوام المائـة السابعـة؛ فخـرج منهـا وحـج؛ ولـقي أعـلام المشـرق يومئـذ؛ فلـم يأخـذ عنهـم؛ لأنـه كـان مختلطـاً بعـارض عـرض عقلـه. ثـم رجـع مـن المشـرق؛ وأفـاق، وقـرأ المنطـق، والأصليـن عـلى الشيـخ أبي مـوسى عيـسى ابـن الإمـام... ثـم خـرج مـن تلمسـان؛ هاربـاً إلى المغـرب؛ لأن سلطانهـا ـ يومئـذ ـ أبـو حمـو؛ مـن ولـد يغمراسـن بـن زيـان؛ كـان يكرهـه عـلى التصـرف في أعمالـه، وضبـط الجبايـة بحسبانـه؛ ففـرّ إلى المغـرب، ولحـق بمراكـش، ولـزم العالـم الشهيـر أبـا**

العباس بن البناء))[1]. توفي العلامة أبو عبد الله الآبلي بفاس في ذي القعدة سنة 757هـ/1356م.

4 ـ أبو زيد عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي.

هو ولد محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد ابن أبي العيش الخزرجي (يأتي ذكره مع الشعراء في الجزء الثاني). لصاحب الترجمة هذه دراية بالتوثيق والفرائض والحساب والهندسة؛ وله أيضاً خط جميل. تولى الخطابة والإمامة بالجامع الأعظم **بتلمسان**. وقال يحيى بن خلدون: أنه جدّ الفقيه **أبي زكرياء يحيى بن محمد بن عبد الرحيم**؛ صاحب الأشغال في بلاط **أبي حمو الثاني**. وعليه؛ يكون هذا الجد أبو زيد عبد الرحيم؛ عاش في زمن أبي حمو الأول أو ابنه أبي تاشفين الأول.

***

---

[1] **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 21.**

دولـة
ابي تاشفين عبد الرحمن الاول

ولمـا قتـل **أبـو حمـو الأول** غـدراً؛ بيـن جلسائـه؛ انتقـل الحكـم إلى ولـده **أبي تاشفيـن عبـد الرحمـن بـن مـوسى**؛ الـذي أسنـد وزارتـه إلى قاتـل أبيـه **هـلال القطـلاني**. وهنـا أصبـح للمـوالي والمصطنعيـن ــ لأول مـرة ــ دوراً خطيـراً في دولـة **بـني زيـان**؛ عـلى خـلاف مـا سبـق. لأن **يغمراسـن بـن زيـان** باشـر شئـون الدولـة والجيـش بنفسـه؛ وكذلـك الحـال بالنسبـة إلى ولـده **عثمـان**؛ الـذي تـولى بنفسـه شئـون الدولـة كلهـا. أمـا في عهـد ولـده **محمـد أبي زيـان** فقـد أسنـد ــ لأول مـرة ــ القيـادة في الجيـش إلى أحـد مواليـه المسـمى **مسامحـاً**. ولمـا حكـم **أبـو حمـو مـوسى الأول** توسـع في الاعتمـاد عـلى المـوالي والمصطنعيـن؛ فكانـت نهايتـه بيدهـم؛ حيـث اقتحمـوا القصـر بمساعـدة ابنـه **أبي تاشفيـن** وقتلـوا السلطـان ومـن معـه مـن الـوزراء والجلسـاء. حـدث ذلـك في يـوم الأربعـاء الثـاني والعشريـن لجمـادى الأولى مـن سنـة 718هـ/1318م.

سلك **أبو تاشفين** نهج أبيه في تجهيز البعوث العسكرية، والاعتماد على الموالي والمصطنعين في قيادة الجيوش. فأظفى على دولته هالة من القوة المصطنعة؛ لا تتناسب مع حقيقة حاله، ولا قدرة دولته. ومع هذا؛ فقد ضيقت جيوشه على **الحفصيين**؛ واستولت على مواقع هامة من أرضهم؛ بل تمكنت من إلحاق الهزيمة بالسلطان **الحفصي أبي يحيى**[1] نفسه، ودخول عاصمة الدولة **تونس** ـ سنة 730هـ/1329م ـ وتنصيب منافسه الأمير **محمد بن أبي بكر (ابن أبي عمران الحفصي)** على سدّة الحكم فيها؛ ثم أقاموا في **تونس** أربعين يوماً؛ وبعدها عادوا أدراجهم.

ويبدو أن ما أنجزه جيش **بني زيان في تونس**؛ أثار حساسية السلطان **المريني أبي الحسن**؛ الذي اعتبر دخول جيش **أبي تاشفين** إلى عاصمة الحفصيين؛ بمثابة إنذار بالخطر؛ لأنه ـ كغيره من ملوك **بني مرين** ـ لن يسمحوا بتعاظم قوة الدولة الزيانية؛ إلى الحد الذي يمكن أن تستعصى على الدولة المرينية. ولهذا فقد أخرج من الدرج الذرائع المطلوبة؛

---

[1] **حكم الدولة الحفصية ـ من تونس وقسنطينة ـ من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 746هـ/1345م.**

ورفعها في وجه السلطان **أبي تاشفين**. وأول الذرائع؛ تتمثل في التظاهر بحميته وغيرته على صهره السلطان **الحفصي أبي يحيى**؛ وثاني الذرائع؛ سرعة استثمار ردّ الفعل الصادر عن السلطان **أبي تاشفين** بفعل استفزازه. وبالفعل؛ تم ما خطط له. وسيأتي لاحقاً شرح ذلك، وشرح الكيفية التي هجم خلالها **أبو الحسن** بجيوشه الجرارة على **تلمسان**، وتمكنه من احتلالها ـ لأول مرة في تاريخ المرينيين ـ وقتله للسلطان **أبي تاشفين** يوم الأربعاء 27 أو 28 رمضان من سنة 737هـ/1337م

ـ العمران والثقافة:

تلك هي خلاصة للوضع السياسي والعسكري أيام السلطان **أبي تاشفين عبد الرحمن الأول**؛ أما إنجازات هذا السلطان في الجوانب العمرانية والحضارية؛ فهي عديدة ومتنوعة؛ واصل بها ما شرع فيه والده أبو حمو الأول. وقد ذكرت إنجازاته العمرانية في بعض المصادر التاريخية؛ مثل كتاب العبر الذي ورد فيه: ((**ونزل** [أبو العباس بن أبي سالم المريني] **على مرحلة من تلمسان؛ بعد أن أغراه ونزمار بن**

عريف – أمير سويد – بتخريب قصور الملك بتلمسان؛ وكانت لا يعبر عن حسنها؛ اختطها السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين؛ واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس؛ لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان. فبعث إليهما السلطان أبو الوليد – صاحب الأندلس – بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس؛ فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين؛ بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله)).[1] ومن بين تلك القصور والمنشآت؛ على سبيل المثال: دار الملك، ودار السرور، و(أبي فهر)، والصهريج..[2]

كما اهتم أيضاً بنشر العلم ورعاية العلماء؛ حيث شيّد – بدوره – مدرسة جديدة[3] عرفت باسم **المدرسة التاشفينية**؛ خصَّصَها للفقيه الشيخ **أبي موسى**

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 297.**

[2] **قال يحيى بن خلدون: ((كان ـ رحمه الله ـ جانحاً للذات، ممتعاً بالنعيم العاجل، مغتبطاً بلهو الدنيا ولعبها؛ ولع ببناء الدور وتحبير القصور، وتشييد المصانع، واغتراس المنتهزهات؛ مستظهراً على ذلك بآلاف عديدة من فعلة أسرى الروم؛ بين: نجارين، وبنائين، وزليجين، وزواقين، وغيره؛ مع حذقه ـ رحمه الله ـ بالاختراع، وبصره في التشكيل والابتداع؛ فخلد آثاراً لم تكن قبله لملك، ولا عرف لها بمشارق الأرض ومغاربها نظير)). بغية الرواد، ج: 1، ص: 216.**

[3] **((وحسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير؛ التي بناها بإزاء الجامع الأعظم)). أنظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 141.**

عمـــران المشـــدالي. وأورد **المقـــري** أبياتـــاً شعريـــة؛ قـــال أنـــه رآهـــا مكتوبـــة عـــلى مجـــرى المـــاء في تلـــك المدرســـة التاشفينيـــة؛ الـــتي وصفهـــا قائـــلاً: **((وهي مـــن بدائـــع الدنيـــا))**[1]. وجـــاء في تلـــك الأبيـــات:

أُنْظُـــرْ بِعَيْنِـــكَ بَهْجَـــتي وَسَنَـــائي
وَبَدِيـــعَ إتْقَـــاني وحُسْـــنَ بِنَـــائي

وَبَديـــعَ شَكْلِي وَاعْتَبِـــرْ فِيمَا تَـــرَى
مِنْ نَشْـــأَتي بَلْ مِنْ تَدَفُّـــقِ مَـــائِي

جِسْـــمٌ لَطِيـــفٌ ذَائِـــبٌ سَيَلاَنُـــهُ
صَافٍ كَـــذَوْبِ الفِضَّـــةِ البَيْضَـــاءِ

قَدْ حَـــفَّ بِي أزْهَـــارُ وَشْيٍ نمِّقَـــتْ
فَغَدَتْ كَمِثْلِ الرَّوْضِ غِـــبَّ سَمَـــاءِ

ومـــن العلمـــاء الوافديـــن عـــلى تلمســـان؛ ووجـــدوا كـــل إكـــرام وترحـــاب مـــن قبـــل السلطـــان أبي تاشفيـــن: الشيـــخ الفقيـــه **أبي العبـــاس أحمـــد بـــن عمـــران البجـــائي.**

كمـــا نقـــل صاحـــب نفـــح الطيـــب عـــن جـــدّه؛ حديثـــاً حـــول مجالـــس العلـــم المنعقـــدة في بـــلاط **أبي تاشفيـــن**. ممـــا يفيـــد أن هـــذا السلطـــان يعتـــني بالعلـــم والعلمـــاء، ويعقـــد

[1] نفـح الطيـب، ج: 6، ص: 47.

مجالــس لهــم في بلاطــه؛ يحضرهــا بنفســه؛ حيــث تــدور في تلــك المجالــس حــوارات ومناقشــات علميــة في مختلــف الفنــون[1].

ومــن المبتكــرات الجميلــة، والحيــل الهندسيــة ــ في ذلــك العصــر ــ امتــلاك أبي تاشفيــن في بلاطــه لشجــرة مــن الفضــة؛ ثُبِّتــت عــلى أغصانهــا عــددٌ مــن الطيــور الناطقــة؛ وثُبِّــت في أعــلى الشجــرة صقــرٌ؛ ولهــذه الشجــرة منفــاخ موجــود في أصلهــا؛ فــإذا نفــخ فيــه، ووصــل الريــح إلى موضــع الطيــور؛ صوتــت بمختلــف الأصــوات؛ حســب صِنْفِهــا؛ أمــا إذا وصــل الريــح إلى موضــع الصقــر؛ فإنــه يصــوت بمنطقــه؛ فتصمــت أصــوات الطيــور كلهــا وتنقطــع[2]. وفيمــا يــلي أسمــاء بعــض علمــاء الديــن والمتصوفــة الذيــن عاشــوا في تلمســان أيــام **أبي تاشفيــن**؛ عــلى أن يتــرك الأدبــاء والشعــراء؛ للأجــزاء اللاحقــة.

1 ــ الشيــخ أبــو العُــلَى المديــوني. يعــدُّ مــن كبــار الأوليــاء الصالحيــن. يهــرع إليــه النــاس المــرضى طلبــاً للرقيــة مــن أجــل الشفــاء. تــوفي رحمــه الله في حــدود 735هــ/1234م؛ ودفــن بمسجــد الرحمــة في العبــاد.

---

[1] أنظر خبر ذلك في نفح الطيب، ج: 5، ص ص: 218 - 219.
[2] أنظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 141.

2 ـ الفقيه الحافظ أبو موسى عمران المشدالي. أحد أئمة الفقه المالكي، ومن العلماء الأخيار الصلحاء الأبرار. أصله من زواوة بجاية؛ وفد إلى تلمسان في عهد السلطان أبي تاشفين الأول؛ فرحب به، وأكرمه. كان قد أخذ ببجاية عن الشيخ أبي علي ناصر الدين، وغيره. وبالمقابل أخذ عنه الفقيه أبو العباس أحمد بن أحمد المشوش، والفقيه أبو البركات الباروني، والفقيه أبو عثمان العقباني وآخرون. قال فيه يحيى بن خلدون: ((**ولم يكن في معاصريه أحد مثله علماً بمذهب مالك، وحفظاً لأقوال أصحابه، وعرفاناً بنوازل الأحكام، وصواباً في الفتيا؛ ولقد بذّ جميع فقهاء المغرب في مسألة الركاب المموه بالذهب؛ غرابة نقل، واستدلال عقل**))[1]. أما وفاته؛ فقد وقعت في سنة 745هـ/1344م؛ أثناء عودته من مراكش.

3 ـ الشيخ الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد النور الصنهاجي. هو أصلاً من **ندرومة** التابعة لتلمسان؛ ويعتبر من أئمة الفقه المالكي المؤهلين للفتيا؛ ومن رجال الدين المتين. درس على

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 131.**

ابـني الإمـام في مدرستهمـا بتلمسـان؛ ولمـا اشتـد ساعـده غـدا مـن أصحابهمـا. ولي قضـاء بلـده؛ فاتصـف بالسيـرة الحميـدة والعـدل، وحسـن الخلـق. ولمـا استـولى أبـو الحسـن المريـني عـلى **تلمسـان**، وقَتَـل سلطانهـا أبـا تاشفيـن؛ ضَـمَّ إلى مجلسـه جملـة مـن علمائهـا؛ مـن بينهـم محمـد عبـد النـور هـذا؛ بتوصيـة مـن ابـني الإمـام. ولمـا قـرَّرَ السلطـان المريـني الزَّحْـف إلى إفريقيـة؛ أصطحـب معـه مجموعـة مـن كبـار العلمـاء؛ مـن بينهـم صاحـب هـذه الترجمـة؛ الـذي عَيَّنَـه أبـو الحسـن قاضيـاً للعسكـر في حملتـه تلـك. وكانـت وفاتـه بالطاعـون في تونـس سنـة 749هـ/1348م.

4 ـ الفقيـه أبـو الحسـن عـلي بـن عبـد النـور الصنهـاجي. وهـو أخـو أبي الحسـن. عـرف بعلمـه وفضلـه. واتصـف بالسماحـة والسخـاء والفضـل. كـان نائبـاً عـن أخيـه في ولايـة القضـاء؛ ثـم استقـل بتلـك المرتبـة بعـد مـوت أخيـه. كمـا تـولى القضـاء أيضـاً في بعـض حواضـر المغـرب. فكـان عـدلاً ومواضبـاً عـلى مجالـس الملـوك. قـال فيـه عبـد الرحمـن بـن خلـدون: **((خلـف** [أبـو عبـد اللـه] **بتلمسـان أخـاه عليـاً؛ رفيقـه في دروس ابـن الإمـام؛ إلاّ أنـه أقصـر باعـاً منـه في**

الفقـه))[1]. استخدمـة أبـو عنـان علـى قضـاء مكناسـة بعـد أن ضمَّـه إليـه حينمـا خـرج علـى أبيـه. ولكنـه سُـرِّح مـن قبـل الوزيـر عمـر بـن عبـد اللـه المتغلـب علـى الدولـة بعـد مـوت أبي عنـان. فقـرّر الرحيـل إلى الحـج؛ حيـث اصطحـب معـه أهلـه وأولاده. ولكنـه مـات لمـا أشـرف علـى البيـت العتيـق. قـال يحـيى بـن خلـدون: **((أخذتـه حالـة صوفيـة؛ فصعـق مغشيـاً عليـه؛ وطيـف بـه ـ علـى تلـك الحـال ـ طـواف القـدوم؛ فقـضى نحبـه أثنـاءه))**[2]. فدفـن بمكـة المكرمـة. وقـال يحـيى بـن خلـدون: **((ولـه الآن بمصـر ولـد مـن أعـلام فقهـاء المالكيـة هـو أبـو عبـد الله محمـد))**[3].

5 ـ الفقيـه أبـو الحسـن علـي بـن منصـور بـن علـي ابـن هديـة. وهـو ابـن أبي علـي منصـور وزيـر أبي حمـو الأول. تـولى هـو الآخـر الخطابـة بالجامـع الأعظـم أيـام أبي حمـو مـوسى الثـاني ابـن يوسـف. فسـار علـى نهـج سلفـه الصالـح؛ فالتـزم بالديـن وتشبـث بالعلـم وتحـلى بالفضـل والنزاهـة ورفعـة الهمـة. فكـان صـدراً مـن صـدور الدرايـة والتدريـس والخلـق العظيـم.

---

[1] **كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً، ص: 46.**

[2] **أما عبد الرحمن بن خلدون؛ فقال: ((فلمّا قدم إلى مكة؛ وكان به بقية مرض؛ هلك في طواف القدوم)). التعريف بابن خلدون، ص: 47.**

[3] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 122.**

لايعرف تاريخ وفاته. ويبدو أنه توفي بعد وفاة يحيى بن خلدون الذي توفي في سنة 781هـ.

6 ـ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد النور الصنهاجي: كان رفقة أبيه وأهله في رحلة الحج التي هلك فيها أثناء طواف القدوم. وقبل موت أبيه؛ أوصى أمير الحج أن يوصل ابنه محمد إلى أمير مصر يلبغا بن عبد الله الخاصكي الناصري. وفي هذا يقول عبد الرحمن بن خلدون: ((**فأحسن خلافته فيه، وولاه من وظائف الفقهاء؛ ما سد به خَلَّتَه، وصان عن سؤال الناس وجهه. وكان له ـ عفا الله عنه ـ كلف بعمل الكيمياء؛ تابعاً لمن غلط في ذلك من أمثاله؛ فلم يزل يعاني من ذلك ما يورِّطه مع الناس في دينه وعرضه؛ إلى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر؛ ولحق ببغداد؛ وناله مثل ذلك؛ فلحق بماردين؛ واستقرَّ عند صاحبها، وأحسن جواره؛ إلى أن بلغنا ، بعد التسعين ـ أنه هلك هنالك حتف أنفه. والبقاء لله وحده**))[1].

7 ـ أحمد المشدالي؛ وهو أخو أبي موسى عمران السابق الذكر. سار على نهج أخيه؛ في العلم،

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص: 47.

والاستتارة، وحفظ الرواية، والديانة، والفضل. تولى التدريس بتلمسان بعد وفاة أخيه؛ فنفع وأفاد. لا يعرف تاريخ وفاته.

8 ـ الفقيه القاضي أبو محمد عبد الحق بن ياسين ابن علي المليتي المسناوي. زول دراسته العلمية إلى أن تفقه في بلاد المشرق؛ فحج ثم رجع إلى بلاد المغرب؛ فقعد للتدريح أين أخذ عنه أبو الحسن الصغير، والقاضي ابن أبي يحيى. ودخل إلى تلمسان، وهو في كامل شهرته بالعلم والدين والورع؛ فولي بها خطة القضاء. وقال عنه يحيى بن خلدون: **((فلم يعرض لأخذ الجراية عليه. وفي أيامه قُتِل رَجلٌ حَداً. وكان يخدم نفسه بحمل خبزه إلى الفرن، وشراء نفقته من السوق، ومات في أيام السلطان أبي تاشفين، فاحتفل الناس في حضور جنازته، وحضرها السلطان وقبره عند باب زيزي، من داخل تلمسان، حرسها الله، رحمة الله عليه))**[1].

***

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 129.**

الـدور الثـاني

دولـة الأخويـن: أبي سعيـد وأبي ثابـت

تـولي الحكـم في هـذا الـدور: السلطـان **أبـو سعيـد عثمـان بـن عبـد الرحمـن بـن يحـيى بـن يغمراسـن**؛ وشاركـه في الحكـم أخـوه **أبـو ثابـت الزعيـم**. كمـا أن هـذا الـدور لا يمثـل إلاّ فتـرة قصيـرة مـن حيـاة الدولـة **العبـد الواديـة (الزيانيـة)**. وهـذه الفتـرة؛ لا تتجـاوز أربـع سنـوات (مـن 749هـ/1348م إلى 753هـ/1352م). ومـع هـذا؛ فـهي جديـرة بحملهـا اسـم "الـدور"؛ بسـب اختلافـه عـن الـدور الأول؛ في كونـه بـدأ بعـد فتـرة غيـاب دامـت تسـع سنيـن؛ انمحـت خلالهـا دولـة **بـني عبـد الـواد** مـن الخارطـة السياسيـة لبـلاد **المغـرب** الإسـلامي تمامـاً.

ثـم أن فـرع الأسـرة **العبـد الواديـة** ـ الـذي تـولى الحكـم في هـذا الـدور ـ لا يتصـل تسلسليـاً بالسلطـان **عثمـان بـن يغمراسـن بـن زيـان**، كمـا هـو الحـال في أصحـاب الـدور السابـق (مـن بـني **عثمـان بـن يغمراسـن**). بـل ينتـمي حكـام الـدور الثـاني هـذا إلى

يحيى بن يغمراسن ـ الأخ الأكبر **لعثمان** ـ وولي العهد قبل مماته.

كما يختلف هذا الدور الثاني أيضاً عن الدور الثالث الموالي؛ في أن دولة **بني عبد الواد**؛ قد انمحت كذلك من الخارطة السياسية **للمغرب الإسلامي** مدة سبع سنوات. بالإضافة إلى أن شكل النظام في الدور الثالث يختلف كثيراً عما كان عليه خلال الدور الثاني؛ إذ يتميز بالأبهة، ويتصف بالمراسيم السلطانية الواضحة؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ يُلاحظ أن سلاطين الدور الثالث؛ لا يتحدرون عن فرع **أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن** مباشرة؛ بل ينتمون إلى سلسلة أخيه **يوسف بن عبد الرحمن**.

تولى الحكم في هذا الدور الثاني؛ ملك واحد فقط؛ وهو السلطان **أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن**؛ الذي وصل إلى سدّة الملك سنة 749هـ/1348م؛ جراء هزيمة **أبي الحسن في القيروان**؛ حيث اجتمع مع **أبي سعيد** ـ المتواجد حينها ضمن الجيش المريني ـ جماعة من **بني عبد الواد**، وأحياء من **زناتة** كـ: **بني توجين ومغراوة وبني**

راشد. حينما تحالفوا جميعاً مع **أعراب إفريقية** على حرب **أبي الحسن**، وكسر شوكته، وطرد جيشه من **إفريقية**. ولما هزموا السلطان المذكور؛ اتجهوا إلى **تونس**؛ أين التأم جمع **بني عبد الواد**، ثم انضم إليهم من ناصرهم من **الأعراب**، وخرجوا إلى الضاحية؛ فاتفقوا على تقديم الأمير **عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن**، ومبايعته ملكاً على **بني عبد الواد**.[1] وإثر عقد البيعة؛ انطلقوا نحو **تلمسان**؛ لاستعادة حاضرة ملكهم. وسار معهم بقية **زناتة**؛ فلما وصلوا إلى **شلف**؛ اتجه كل فريق إلى موطنه؛ بينما واصل **بنو عبد الواد** زحفهم نحو موطنهم **تلمسان**. وكانت هذه المدينة ـ خلال تلك الأحداث ـ في قبضة **عثمان بن جرار بن يعلى بن تيدكسن بن طاعة الله**؛ وهو ينتمي إلى فرع من فروع **بني عبد الواد**؛ لم يحظ أعضاؤه ـ في أول

---

[1] ((وخلص الملأ منهم نجياً في شأن أمرهم؛ ومن يقدمون عليهم؛ فأصفقوا ـ بعد الشورى ـ على عثمان بن عبدالرحمن، واجتمعوا عليه؛ لعهده بهم يومئذ؛ وقد خرجوا به إلى الصحراء، وأجلسوه ـ بباب مصلى العيد من تونس ـ على درقة. ثم ازدحموا عليه ـ بحيث توارى شخصه عن الناس ـ يسلمون عليه بالإمارة، ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة؛ حتى استكملوا جميعاً؛ ثم انطلقوا به إلى رجالهم)). العبر، مج: 7، ص ص: 239 - 240.

أمرهـم ـ بالاحتـرام المطلـوب؛ مـن قبـل إخوانهـم مـن **بـني زيـان بـن محمـد بـن زكـدان**. وظلـوا عـلى حالهـم؛ بعـد قيـام الدولـة **العبـد الواديـة**. فكانـوا يشعـرون ـ نتيجـة لذلـك ـ بالتهميـش والاقصـاء. أمـا **عثمـان بـن جـرار** هـذا؛ فقـد التحـق بخدمـة **بـني مريـن** في عهـد **أبي سعيـد عثمـان**؛ والـد **أبي الحسـن**؛ إذ لجـأ إليـه هاربـاً مـن سجـن **أبي تاشفيـن**؛ الـذي سخـط عليـه بسبـب اتهامـه بالتطلـع للرئاسـة، والتطـاول في طموحـه. فأسنـد إليـه السلطـان المريـني قيـادة ركـب الحـج. وبـقي عـلى ذلـك؛ إلى أن حـلّ عهـد **أبي الحسـن**؛ وقـرر غـزو **إفريقيـة**؛ فرافقـه في حملتـه. ولكنـه طلـب مـن السلطـان العـودة؛ حينمـا كـان **بالقيـروان**؛ فـأذن لـه؛ فعـاد إلى **تلمسـان**؛ أيـن اتصـل **بـأبي عنـان**؛ فأوهمـه بقدراتـه التنجيميـة، وعِلْمِـه بالحدثـان. وأخبـره أيضـاً بنكبـة أبيـه قبـل أن يسمـع بهـا. كمـا أنـه هـو الـذي أغـراه بالوثـوب عـلى العـرش؛ قبـل أن يسبقـه غيـره مـن الأسـرة المالكـة؛ ثـم هـوّن عليـه شـأن أبيـه؛ وأوهمـه بنهايتـه؛ بـل بموتـه. لهـذا؛ أراحـت أقوالـه **أبـا عنـان**؛ فأودعـه ثقتـه؛ وقـرّر تنصيبـه واليـاً عـلى **تلمسـان** مـن قبلـه. استرضـاء لعصبيـة **بـني عبـد الـواد** مـن جهـة؛

ومحاولـــة لتقسيمهـــا إلى شقيـــن متنافسيـــن؛ فتضعـــف عصبيتهـــم، ويـــزول خطرهـــم.

وبوصـــول **أبي عنـــان إلى** هـــذا القـــرار؛ نصـــب **ابـــن جـــرار** واليـــاً عـــلى المدينـــة وأحوازهـــا، وأسكنـــه في القصـــر الملـــكي القديـــم؛ ثـــم نهـــض **إلى فـــاس**؛ حاضـــرة **بـــني مريـــن**، ومقـــر ملكهـــم. ولكـــن **عثمـــان بـــن جـــرار** خيـــب ضنّـــه؛ إذ نقـــض اتفاقـــه معـــه بمجـــرد خروجـــه مـــن **تلمســـان** ـ في سنـــة 749هـ/1348م ـ إذ أعلـــن عـــن استبـــداده بالحكـــم، وجاهـــر بالدعـــوة لنفســـه؛ وأعـــاد **لبـــني عبـــد الـــواد** دولتهـــم؛ ولكـــن في فـــرع أخـــر غيـــر **بـــني زيـــان**[1]. إلاّ أنـــه لـــم ينعـــم طويـــلاً بذلـــك؛ حيـــث انقضـــت عليـــه صقـــور **بـــني زيـــان**؛ بعـــد أشهـــر قلائـــل؛ قادميـــن مـــن **إفريقيـــة**؛ مـــع أنصارهـــم وحلفائهـــم؛ إثـــر مشاركتهـــم في نكبـــة **أبي الحســـن** وهزيمتـــه. ولمـــا سمـــع سكـــان مدينـــة **تلمســـان** باقتـــراب **بـــني زيـــان** وأنصارهـــم نحوهـــم؛ ثـــاروا **بعثمـــان بـــن جـــرار**؛ الـــذي استأمـــن السلطـــان **الزيـــاني عثمـــان بـــن عبـــد الرحمـــن**. فقبـــل توبتـــه عـــن مضـــض؛

---

[1] **قـال ابن خلـدون في هـذا: ((ولمـا فصل [أبو عنـان]؛ دعـا عثمـان لنفسـه، وانتـزى علـى كرسيّـه، واتخـذ الآلـة، وأعـاد مـن ملـك بني عبد الـواد رسمـا لـم يكـن لآل جـرار؛ واستبـد أشهـراً قلائـل؛ إلى أن خلـص إليـه مـن آل زيـان؛ مـن ولـد عبـد الرحمـن بن يحيى بن يغمراسـن؛ مـن طمـس معالمـه، وخسـف بـه وبـداره، وأعـاد أمـر بنـي عبـد الـواد إلى نصابـه)). العبـر، مج: 7، ص: 238.**

ثم اعتقله عند دخوله **تلمسان**، والجلوس على عرش أجداده في آخر جمادى الآخرة من سنة 749هـ/1348م. وزج به في المطبق إلى أن مات في شهر رمضان من السنة نفسها.

وبدخول **بني زيان** إلى المدينة؛ انتصب **أبو سعيد عثمان** ملكاً عليها؛ وشاركه في الحكم أخوه **أبو ثابت الزعيم**[1]؛ فبادر – من فوره – إلى تنظيم شئون الدولة: **((فاقتعد الكرسي، وأصدر أوامره، واستوزر واستكتب، وعقد لأخيه أبي ثابت الزعيم على ما وراء بابه؛ من شئون ملكهما، وعلى القبيل والحروب، واقتصر هو على ألقاب الملك وأسمائه؛ ولزم الدعة))**[2]. وواضح هنا؛ أن **أبا عنان** غض الطرف عن كل ما جرى في **تلمسان**؛ لأنه انشغل بما هو أهم؛ من ذلك:

---

[1] **((واستشعر كل واحد منهما زي الملك، ودان له الناس بالبيعة؛ ومضت في الأحكام والجبايات أوامره؛ إلاّ أن السرير والمنبر والدينار للسلطان أبي سعيد، والجيوش والألوية والحروب للسلطان أبي ثابت؛ مع تعظيمه لأخيه وبروره به)). بغية الرواد ، ج: 1، ص: 241.**

[2] **العبر، مج: 7، ص ص: 243-244.**

ـ مغالبة المنافسين من الأبناء والأحفاد على عرش **بني مرين.**

ـ المحافظة على بقاء الدولة **المرينية** وحمايتها من الأخطار التي تترصد بها.

ـ السعي لمنع والده **أبي الحسن** من العودة إلى سدّة الحكم بأي ثمن كان.

وعليه؛ فقد اضطر **أبو عنان** إلى عقد اتفاق مع السلطان **الزياني عثمان بن عبد الرحمن؛** بغرض التصدي لوالده **أبي الحسن** ومنع رجوعه إلى **فاس.** وبالفعل؛ فقد بعث إلى السلطان الزياني إعانات مادية، ومدداً بشرياً؛ من **فاس** خلال فترات متتابعة؛ لمواجهة أبيه وأخيه **الناصر** ومن معهما. فتولى **أبو ثابت الزعيم** ـ صاحب الجيش والحرب بدولة **بني زيان** ـ قيادة الجميع؛ حيث اشتبك أولاً مع **الناصر بن أبي الحسن** وأنصاره؛ ونال منهم جميعاً. ولما قدم **أبو الحسن** مرفوقاً بأحياء من: **الثعالبة، ومليكش، وسويد،** وفئة من **توجين؛** بالإضافة إلى **الناصر ابنه؛** الذي التحق بأبيه مع جمع من أحياء **زناتة والأعراب؛** وانتهت المعركة أيضاً بهزيمة **أبي الحسن** ومن معه، وقتل **ابنه**

الناصر؛ إثر جراح ألمت به. كما قبض على بناته؛ فتولى **أبو ثابت الزعيم** بإرسالهن معززات مكرمات إلى **أبي عنان بفاس**. أما السلطان **أبو الحسن**؛ فقد هرب به **ونزمار** شيخ **سويد** إلى **سجلماسة**؛ أين استؤنفت مآسيه، وفراره من مكان إلى آخر؛ حتى استقرت به الأحوال عند شيخ **هنتاتة عبد العزيز بن محمد بن علي**؛ أين بقي في ذلك الجبل إلى أن حلّ أجله بعد مرض عضال.

وبموت السلطان **أبي الحسن**؛ وفراغ الساحة من جميع المنافسين **أمام أبي عنان**؛ حينها؛ أحس أنه لم يعد عرضة للأخطار وتقلبات الأيام، وشعر برسوخ قدميه على الأرض التي يقف عليها، وأيقن بقوة فعالة تحمى ظهره.. قوة يمثلها حجم الجيوش التي تشد أزره. حينئذ؛ أدرك أنه لم يعد في حاجة إلى **بني زيان في تلمسان**، ولا لغيرهم ممن وقفوا حاجزاً لمنع والده من العودة إلى **فاس**. عندئذ شمّر على ساعديه، وهيأ نفسه للانقضاض عليهم في عقر دارهم[1]. ولكنه؛ بَحَثَ ــ كعادته ــ عن ذريعة تخول

---

[1] ((وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد، لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي سموا لاستخلاصه. ولما كان فاتح سنة ثلاث وخمسين [وسبعمائة]؛

لـــه إعــلان الحـــرب عـــلى جيرانـــه في **تلمســـان**؛ فلـــم يجـــد أمامـــه ســـوى قضيـــة **مغـــراوة**؛ القبيلـــة المتمـــردة ـــ التابعـــة لسلطـــان الدولـــة الزيانيـــة ـــ كـــان **أبـــو ثابـــت** قـــد ضيـــق عليهـــم، واكتســـح بلادهـــم؛ فشفـــع فيهـــم السلطـــان **أبـــو عنـــان** ـــ في الوقـــت المناســـب ـــ بعـــد أن تغـــاضى عنهـــم طـــوال الفتـــرة الـــتي احتـــاج خلالهـــا إلى **بـــني زيـــان**. ولمـــا تـــراخى السلطـــان الزيـــاني عـــن الاستجابـــة لمطلبـــه؛ وجدهـــا حجـــة لغـــزو بـــلاده. وتحقـــق مـــا خطـــط لـــه بالفعـــل. فأعلـــن عـــن التعبئـــة العامـــة، واستنفـــر جيوشـــه وقبائلـــه الـــتي لا تحـــصى؛ وبـــادر بالزحـــف حثيثـــاً نحـــو **تلمســـان**.

ـــ غـزو ابي عنـان لتلمسـان:

وهكـــذا؛ لـــم يرتـــدع **أبـــو عنـــان** بمصيـــر والـــده **أبي الحســـن**؛ ومـــا جـــرى لـــه مـــن هزيمـــة وانهيـــار لسلطانـــه، وتـــلاشي أحلامـــه؛ بـــل تحركـــت في داخلـــه الجرثومـــة المتوارثـــة في أسرتـــه؛ والـــتي تدفعهـــم دومـــاً للمزيـــد مـــن التوســـع عـــلى حســـاب جيرانهـــم. وعـــلى هـــذا؛ فبمجـــرد وصـــول الخبـــر بوفـــاة والـــده، والاطمئنـــان ـــ حينمـــا دفنـــه

نـادى بالعطـاء، وأزاح العلل، وعسكـر بساحـة البلد الجديـد، واعترض العسكـر، وارتحل يريد تلمسـان)). العبـر، مج: 7، ص: 598.

بنفسه ـ بادر من فوره سنة 753هـ/1352م إلى الزحف شرقاً؛ نحو **تلمسان** أولاً؛ ثم الانطلاق إلى **إفريقية**. ويبدو أنه لم يجد صعوبة كبيرة؛ في إسقاط دولة **بني زيان**؛ نظراً لحداثة عهدها الجديد؛ ـ إذ مرّ على استرجاعها أربع سنوات فقط ـ فلم يستكمل أصحابها بناء مؤسساتها بالشكل المطلوب. لذا؛ فقد خسر سلطان **بني زيان** معاركه المتوالية مع **أبي عنان** سنة 753هـ/1352م؛ بل قتل هو وأخوه **أبو ثابت**؛ واحتل **بنو مرين** ـ من جديد ـ **تلمسان**؛ وعاد **بنو عبد الواد** إلى حياة التشرّد في الأقطار؛ غرباً وشرقاً. ولم يتوقف زحف **أبي عنان** عند حاضرة الدولة الزيانية؛ بل واصل توسعه نحو الشرق؛ حيث وصلت جيوشه **إلى بجاية**؛ التي فتحها صلحاً في السنة المذكورة[1]. وأكمل زحفه نحو **تونس**؛ ولكنه نكب كما نكب والده من قبل؛ وعاد؛ فانكمش ضمن حدود **تلمسان** التي ضاعت منه أيضاً؛ كما ضاعت من يد أبيه من قبل. وسيأتي لاحقاً شرح ذلك.

---

[1] ((وفرغ السلطان من شأن المغرب الأوسط؛ وبث العمال في نواحيه، وثقف أطرافه، وسما إلى ملك إفريقية)). العبر، مج: 7، ص: 601.

ـ العمـران والثقافـة:

لـم يتسـن للأخويـن: **أبي سعيـد وأبي ثابـت** ـ في وقتهمـا ـ الإهتمـام بالقضايـا العمرانيـة أو الثقافيـة؛ إذ كـان وقتهمـا كلـه مشحونـاً بالحـروب والفتـن. كمـا أن فتـرة حكمهمـا كانـت قصيـرة جـداً؛ لـم تتسـع للبنـاء، وتشجيـع العلمـاء علـى الاستقـرار بتلمسـان. ومـع هـذا؛ فلـم تخـل **تلمسـان** في ذلـك الوقـت مـن وجـود علمـاء مـن أبنائهـا. وعليـه فهـذه أسمـاء بعضهـم؛ ممـن اهتـم بالعلـوم الدينيـة أو العقليـة. علـى أن يتـرك الحديـث عـن الشعـراء والأدبـاء للأجـزاء المواليـة مـن هـذا الكتـاب.

1 ـ الفقيـه أبـو العبـاس أحمـد بـن محمـد مـرزوق.

هـو ابـن أبي عبـد اللـه محمـد بـن مـرزوق الـذي دفـن بقـرب يغمراسـن بـن زيـان سنـة 681هـ. وقـد ولـد ابنـه أبـو العبـاس في 2 محـرم مـن سنـة وفـاة والـده؛ أي في عـام 681هـ. تعلـم في البدايـة ببلـده تلمسـان؛ أيـن أخـذ العلـم عـن الفقيهيـن العالميـن الأخويـن: أبي زيـد عبـد الرحمـن وأبي مـوسى عيـسى ابـني الإمـام الخطيـب أبي عبـد الله محمـد بـن عبـد الله ابـن الشهيـر باسـم الإمـام؛ وهمـا في ذلـك الوقـت قمـة العلـم في تلمسـان. وبعدهمـا قـرأ أيضـاً علـى الخطيـب أبي محمـد عبـد الله

ابن عبد الواحد المجاصي البكاء، والفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميمي. أما في مدينة فاس فقد أخذ عن الشيخ الولي يوسف بن يعقوب بن علي الصنهاجي؛ وأخذ الفقه عن أبي الحسن الصغير، ثم الفقيه أبي محمد خلف الله، ثم أبي إسحاق إبراهيم القاري، ثم الفقيه أبي محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي ثم الفقيه أبي عمران الزريهني، ثم الفقيه أبي عبد الله المليلي، ثم الفقيه أبي عبد الله بن عبد الرازق. وكان أبو العباس بن مرزوق هذا من أهل الصلاح والورع والزهد والتقى. رحل إلى الحج؛ حيث جاور رسول اللـه صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة؛ فمات أثناء تأدية مناسك الحج بمكة في عام 741هـ/1340م؛ ودفن بمقبرة المعلى.

2 ـ **الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد** المعروف **بالفحام.** من أهل تلمسان؛ له خبرة كبيرة بعلم الهندسة الذي يسمى آنذاك: علم الحيل". وقال عنه يحيى بن خلدون: **((أعرف أهل زماننا بفنون التعاليم؛ سبط سلف صالح؛ ظهر على يديه من الأعمال الهندسية "المنجانة" المشهورة بالمغرب؛ فأثابه عنها ملوكه بألف من الذهب مقسطة على عمال**

بلادهـم في كـل سنــة))[1]. ويبــدو أن يحـيى بــن خلــدون تجنــب ذكـر اسـم الملـك أو الملـوك الذيـن منحـوا **ابــن الفحــام** تلـك الجائـزة الماليـة الثمينـة. والراجـح ـ حسـب بعـض النصـوص ـ أن ذلـك الملـك هـو **أبـو عنـان المريـني**. الـذي اكتشـف عبقريـة **ابـن الفحـام**؛ أيـام وجـوده بتلمسـان. حيـث شجعـه علـى استكمـال اختراعاتـه. لـذا فقـد اختـرع أول ساعـة مائيـة مسمـاة بـ"**المنقانــة**"؛ وذلـك في يـوم 14 جمـادى الأولى سنـة 758هـ/1357م. وفي هـذه السنـة كـان **أبـو عنـان** هـو سيـد **تلمسـان**؛ بعـد أن انتزعهـا مـن بـني زيـان في عـام 753هـ/1352م. ولـم يستعدهـا **أبـو حمـو مـوسى الثـاني** إلاّ في سنـة 760هـ/1358م. ويبـدو أن أبـا حمـو وجـد ساعـة المنجانـة في بـلاط تلمسـان؛ بعـد دخولـه هـذه المدينـة عنـوة، وهزيمـة بـني مريـن. وسيـأتي الحديـث عـن هـذه الساعـة في الأجـزاء الخاصـة بالشعـر.

3 ـ الفقيـه الصالـح أبـو الحسـن علـي بـن محمـد بـن زاغـو. وهـو مـن كبـار أوليـاء تلمسـان المشهوريـن. تـرك خلفـا لـه في هـذا البلـد؛ وصفهـم يحـيى بـن

---

[1] **بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 119.**

خلدون بقوله: **((أهل عدالة وثقة؛ أخيار، ديناً وعلماً؛ بارك الله فيهم))**[1]. تاريخ وفاته غير معروف.

***

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 121.**

الدور الثالث

دولة أبي حمو موسى الثاني

بدأ هذا الدور بعودة دولة **بني عبد الواد (الزيانية)**؛ وإعلان قيامها ـ من جديد في عاصمتها التقليدية **تلمسان** سنة 760هـ/1358م ـ على يد **السلطان أبي حمو موسى الثاني ابن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن**: وهذا الدور؛ هو دور الأبهة والسلطان المطلق. تولى الحكم فيه ملك واحد فقط؛ هو أبو حمو موسى **الثاني**، الذي حكم من عام 760هـ/1358م إلى سنة 791هـ/1389م (سنة وفاته). كما يعتبر هذا الدور؛ بمثابة الذروة من حيث النظم: السياسية، والاجتماعية، والدينية والثقافية..الخ؛ وكذا الحال بالنسبة للسيادة المطلقة؛ التي عرفتها الدولة في هذه الفترة.

ومن الواضح أن السلطان **أبا حمو الثاني**؛ بذل خلال حكمه طاقة جبارة كي يصل بدولته إلى مصاف الدول المحترمة؛ بل حاول أن يجعل منها مناراً للعلم والأدب والفن؛ يسطع ـ بشعاعه ـ على **المغرب**

الإسلامي كله. ولو لم تخنه الأيام والأصحاب؛ لوصل بدولته إلى مراتب في منتهى الرقي والازدهار؛ ولكن عدم استقرار الأوضاع السياسية، وتفاقم الأحوال الأمنية من سيئ إلى أسوأ؛ حالا دون تحقيق أهدافه النبيلة. ولو حظي هذا السلطان بشيء – ولو يسير – من السلم والأمان؛ لَتَمَّ له ما تمناه. لأنه يتمتع بكل الصفات المحققة للنجاح؛ نظراً لما يتحلى به من علم وأدب ومواهب قيادية، وما يتصف به من حزم ثابت، وخلق سليم، وطباع خيرة، وما لديه من طموح جامح، وحوافز نشطة تؤهله للنجاح في مهامه كلها. ولكن: **((ما كل ما يتمنى المرء يدركه))**. إذ كانت أيام حكم هذا السلطان حافلة بالحروب والاضطرابات؛ التي فرضت عليه، وألزمته الدفاع عن عرشه ومصيره.

فهو من جهة؛ يحارب الدول المعادية له، ومن جهة أخرى يقاتل القبائل المتمردة عن سلطانه؛ كما يسعى لإخضاع العمالات الخارجة عن طوعة أيام المحنة، بالإضافة إلى أنه كان يتصدى للفتنة التي أشعلها ابن عمه **أبو زيان بن أبي سعيد**. وفي الأخير؛ عمل على معالجة عقوق ابنه وولي عهده **أبي تاشفين عبد الرحمن الثاني**. وكانت

نهايـــة **أبي حمـــو مـــوسى الثـــاني** بواسطـــة بـــني مريـــن؛ خـــلال معركـــة دارت بينـــه وبينهـــم؛ ـــ هـــم وحليفهـــم ابنـــه العـــاق **أبي تاشفيـــن** ـــ في موضـــع يســـمى **الغيـــران** في **جبـــل بـــني ورنيـــد** المطـــلّ عـــلى **تلمســـان**؛ وذلـــك في سنـــة 791هـ/1389م.

وقصـــة وصـــول **أبي حمـــو مـــوسى الثـــاني** إلى ســـدة الحكـــم **بتلمســـان**؛ يمكـــن تلخيصهـــا كالتـــالي: ظهـــر هـــذا السلطـــان المنتظـــر ـــ لأول مـــرة ـــ في **تونـــس** بيـــن جمـــوع **بـــني عبـــد الـــواد** النازحيـــن إلى تلـــك الدّيـــار؛ هربـــاً مـــن بطـــش **أبي عنـــان**. وتقـــول بعـــض الروايـــات أنـــه كـــان ـــ في عهـــد عمـــه السلطـــان **أبي سعيـــد عثمـــان بـــن عبـــد الرحمـــن** ـــ مقيمـــاً مـــع أبيـــه في ندرومـــة[1]؛ بعيـــداً عـــن بـــلاط الدولـــة، وزهـــداً في مراتبهـــا، وتجاهـــلاً لشئـــون السياســـة. ولمّـــا سقطـــت الدولـــة، وقتـــل عمّـــه السلطـــان **أبـــو سعيـــد**؛ ظهـــر فجـــأة مـــع عمـــه الثـــاني **أبي ثابـــت** في **الجزائـــر**؛ أيـــن يكـــون قـــد اتجـــه معـــه نحـــو الشـــرق[2]؛

---

[1] بينما يقول عبد الرحمن بن خلدون أنهما بتلمسان: ((كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في إيالة أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان؛ هو وولده أبو حمو موسى؛ وكان متكاسلاً عن مراتب الظهور، متجافياً عن التهالك في طلب العز، جانحاً إلى السكون ومذاهب أهل الخير)). العبر، مج: 7، ص: 254.

[2] بغية الرواد، ج: 1، ص: 246. ج: 2، ص ص: 49 - 50. وزهر البستان في دولة بني زيان، ورقة: 5 و. والعبر، مج: 7، ص: 254.

حيث قبض على عمه في جهات **بجاية**. وهنا تتضارب الروايات حول دور **أبي حمو**[1].

المهم؛ أنه ظهر في **تونس** سنة 753هـ/1352؛[2] بين من لجأ إليها من **بني عبد الواد**. وهناك عمل جاهداً ـ طوال خمس سنين ـ على تهيئة الظروف لاستعادة ملك أجداده. وكان عليه ـ لتحقيق حلمه ـ أن يوفر عوامل عديدة؛ منها:

ـ إيجاد أنصار وأتباع للوقوف معه في حربه ضد بني مرين.

ـ ثم إقناع السلطان الحفصي بتقديم العون له من أجل الوصول إلى غرضه.

---

[1] انفرد يحيى بن خلدون بسرد حكاية افتداء أبي حمو لعمه بنفسه؛ مفادها أنهم قبضوا عليهم بالقرب من بجاية؛ فادعى أنه السلطان؛ خوفاً عليه من نقمة العدو؛ وتحمل عنه الخطر المحدق به. وهذه القصة يمكن الرجوع إليها في بغية الرواد، ج: 1، ص ص: 246 -247. بينما تجاهل أخوه عبد الرحمن هذه الحكاية؛ وقال: ((ولما تقبض على أبي ثابت بوطن بجاية؛ أغفل أمر أبي حمو من بينهم؛ ونبت عنه العيون؛ فنجا إلى تونس، ونزل بها على الحاجب أبي محمد بن تافراكين؛ فأكرم نزله، وأحله بمكان أعياص الملوك من مجلس سلطانه، ووفر جرايته، ونظم معه آخرين من فل قومه)). العبر، مج: 7، ص: 255.

[2] قال صاحب زهر البستان في دولة بني زيان: ((فكان المولى أبو حمو في جملة من خرج [من الجزائر]؛ وعاين المشقة والحرج؛ فدخل تونس في سادس شوال من عام ثلاثة وخمسين بعد سبعمائة؛ أقام بها خمسة أعوام...)). ورقة: 5 و.

وهكـذا؛ فقـد سمحـت لـه السنـوات الخمـس ـ الـتي قضاهـا في إفريقيـة ـ بعقـد بعـض الصـلات الإيجابيـة مـع أعـراب **الـدواودة**؛ وضمـن فـرع **بـني سبـاع** منهـم بالـذات؛ نظـراً لقـدم الصـلات بينهـم وبيـن **بـني عبـد الـواد**؛ العائـدة إلى عهـد **يغمراسـن بـن زيـان**؛ ثـم **أبي حمـو الأول** وولـده **أبي تاشفيـن الأول**. وقـد وجـد تفهمـاً وعونـاً كبيريـن مـن قبـل هـذه القبيلـة؛ ذات النفـوذ الواسـع في **إفريقيـة**. وقـد عـزّز موقفـه مـع أولئـك الأعـراب عامـلان اثنـان:

أولهمـا: كرههـم لحكـم السلطـان **أبي عنـان**؛ الـذي أسقـط عنهـم منافـع كثيـرة؛ منهـا: ضريبـة الخفـارة؛ الـتي فرضوهـا علـى المـارة، ثـم أبطـل وضـع اليـد علـى مـا تغلبـوا عليـه مـن أمـلاك وإقطاعـات.

وثانيهمـا: نشـر بعـض الإشاعـات والحكايـات؛ المستمـدة مـن المنجميـن وأهـل الجفـر والحدثـان[1]؛ الغـرض منهـا

---

[1] الجفر: ضرب من التنجيم. ومعناه لغة: جلد الثور أو البعير أو ذكر المعزى ـ ذات الأربع أشهر ـ المدبوغ والمدفون تحت سطح الأرض. وينسب بعض الشيعة عمل الحفر إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ زاعمين أنه وضع الحروف العربية كلها عن طريق البسط الأعظم داخل جلد جلد الجفر؛ بغرض استخراج ما في لوح القضاء والقدر. أما المعنى الاصطلاحي لكلمة الجفر؛ فيقصد به فرع من فروع ما يسمى بعلم الحروف، أو علم توليد الحروف حسب قواعد معينة، فيقوم صاحب هذا الفن باستخراج حرف مجهول بواسطة حرف معلوم. ويقولون: أن الجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل؛ بينما الجامعة لوح القدر؛

بث الوهم في صفوف تلك القبائل؛ لتنساق مع أهداف أبي حمو[1].

ويراد به نفس الكل. أما الحدثان؛ فمفرده: حديث؛ والمقصود بها هنا؛ هي حوادث الدهر. وقد اصطلح على إطلاق هذا الاسم على كل عمل أو خبر له علاقة باستكشاف حوادث غيبية؛ تعود في أصلها إلى أعمال الزيارجية، وخط الرمل، والتنجيم وغيره. وللتوسع في فهم عمل الحدثان؛ يستحسن الاطلاع على ما كتبه عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته؛ ضمن (فصل في حدثان الدول والأمم وفيه كلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر). ج: 2، ص ص: 929 - 950.

[1] فمما ورد في كتاب زهر البستان: ((قال الراوي: سمعت من يحدث بظهور مولانا السلطان، وما يكون له من الرفعة والشان. قال: اتفق أنّ بتونس علماء بالحدثان، وآخرين يتحدثون يالجفران؛ أما أصحاب الجفرانات؛ فأجمعوا على رجوع الدولة لبني عبد الواد؛ وأما الحدثانيون؛ فيقولون في ذلك الزمن فرق الوقت أو كاد. فيروى أن المولى أبا حمو مرّ بالحدثاني المذكور؛ فجعل يتوسمه ومن معه من الجمهور. ثم سأل: من هؤلاء الفرسان. فأجيب: بنو عبد الواد الشجعان. وقال لسئوله [أي لسائله]: هذا ملك هذه العصابة، وصاحب المغرب الأوسط... فانتقل الحديث من الخاص إلى العام، وتفرع على ذلك كثير الكلام. ثم أن الحدثاني طلب على حقيقة علمه، وما يقع به من معرفة حكمه. فأتاه يوماً، وجالسه، وأخذ بالتلطف معه وآنسه، وتلطف له في السؤال عن اسمه؛ ليخبره بما ظهر له في علمه. وكان المولى أبو حمو ـ مع غربته ـ مهاباً؛ جعل الناموس ديداناً، والحزم صواباً. فقال له الحدثاني المذكور: ما اسمك. قال: موسى؛ فكبر ثلاثاً. وقال: ستكون ملكاً رئيساً. ثم قال: ما كنيتك. قال: أبو حمو. فقال: أنت الملك الذي بالمغرب يسمو. ثم سأله: هل له من ولد. قال: نعم؛ واحد من العدد اسمه عبد الرحمن. قال: يملك المغرب ويسود به بنو زيان. فاستغرب الحدثاني من شانه؛ وأشاع بكما يكون من سلطانه. فالتصل الخبر بالجفراني؛ فقصد لحينه الحدثاني؛ وقال له: سمعت عنك كيت وكيت. قال: نعم؛ هو أغرب ما رأيت. فقال الجفراني: إن توفرت شروطه المذكورة؛ فله تكون الخلافة المشهورة. ثم قال: حقق نظرك في أمره لعلك تقع على بعض سرّه. فقال الحدثاني: والله لهو عيناً واسماً؛ وقد قطعت بذلك حكماً وعلماً. فقال الجفراني لمجالسيه من جماعته؛ حين اتضح له الأمر بنصاعته: "ومجرى الماء

وبذلك؛ تمكن هذا الأخير من كسب ثقة أعراب **الدواودة** وودّهم؛ حيث انتقل للإقامة بينهم لفترة ما. وبالفعل تمكن من إقناعهم بضرورة مساندته، ووجوب دعم خططه؛ لاستعادة ملك أجداده. وكان له ما أراد؛ حينما تكفل شيوخ **الدواودة** بإقناع السلطان الحفصي أبي إسحاق[1] ووزيره **ابن تافراكين**[2] بتجهيز **أبي حمو** للعودة إلى ملك أجداده في **تلمسان**؛ حتى يكون بمثابة الحاجز الفاصل بين **إفريقة وبني مرين**؛ وبعد مشاورات ومداولات اقتنع السلطان الحفصي ووزيره بما اقترحه شيوخ **الدواودة**. وهكذا؛ تم **لأبي حمو** مبتغاه؛ بعد موافقة السلطان أبي إسحاق

في العيون، العالم بما تختلج به ضماير الظنون، إنه لحق مثل ما إنكم تنطقون". فشاع الخبر بقولهم عند أهل التوحيد [أي عند الموحدين]، واتصل الخبر بالقريب والبعيد. ثم اتفقا على واحدة بعد الأمارات؛ إن كانت فهي خاتمة العلامات؛ وهو أنّه يخرج من الزّاب في جماعته من الأعراب)). زهر البستان في دولة بني زيان، ورقات: 2 و- 2 ظ. وقال يحيى بن خلدون في هذا: ((فكم ألقي إليه من كتاب في الحدثان كريم، وكم بشرى همس له بها أولو قرعة أو تنجيم، وكم رؤيا سمعها المعبر؛ فقرأ: ((وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم)). بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 53 - 54.

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى بن أبي زكرياء بن أبي إسحاق ابن أبي زكرياء بن عبد الواحد بن أبي حفص. حكم الدولة الحفصية من سنة 750هـ/ 1350م إلى سنة 770هـ/1369م

[2] هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن تيفراجين (تفراكين أو تفراڤين) التينملي. أشهر وزراء بني أبي حفص على الإطلاق. توفي بتونس في سنة 766هـ/1364م.

الحفصي على مساعدته وتجهيزه بما يلزم من آلة وأسلحة ومال.

ويقول **يحيى بن خلدون**، أن أحاديث الناس عن **أبي حمو**، وتناقلهم أخباره، وما ذكره أصحاب الجفر والحدثان بخصوصه؛ وصلت كلها إلى **أبي عنان**؛ فحثّ والده **أبا يعقوب** – المتواجد آنذاك بفاس – على مراسلته، وإغرائه بالحضور إلى **فاس**؛ ولكنه أبى ذلك. ثم طلب من السلطان الحفصي إرساله إليه؛ ولكن هذا الأخير أغفل طلبه؛ بل اصطحبه معه في أواخر شعبان من سنة 758هـ/1356م إلى **بلاد الجريد**؛ حين استولى **أبو عنان** على **بلد العناب (عنابة)**، وهدّد أسطوله مدينة **تونس**[1].

ولما عاد **بنو حفص** إلى **تونس** – إثر انسحاب **بني مرين** إلى بلادهم – واصل **أبو حمو** مسعاه في تعبئة واستنفار **الأعراب**؛ كي يعينوه على امتلاك **تلمسان**. وعليه؛ فقد اختار التنقل مع **الدواودة** في حركاتهم المضادة **لبني مرين** في **شمال قسنطينة** سنة 758هـ/1356م. ولما قرّر **بنو سباع** – وهم فرع من **الدواودة** – التوجه إلى **الزاب**؛ رافقهم **أبو حمو**

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 53 - 55.

إلى ديارهم. وهناك؛ واصل سعيه؛ أين قابل مجموعة من **أعراب بني عامر** ـ الحلفاء التقليديين **لبني عبد الواد** ـ أثناء مروره **ببريكة**. وكان **بنو عامر**؛ قد هجروا ديارهم بضواحي **تلمسان**، ونزحوا نحو الشرق؛ بسبب الضغط المسلط عليهم من قبل **بني مرين** وحلفائهم من **أعراب سويد**. فاتفق **أبو حمو** معهم على التكاتف، والتحالف من أجل استرجاع ملك أجداده من جهة، وعودتهم إلى أراضيهم ومراعيهم المغتصبة من قبل قبيلة **سويد** من جهة أخرى. فوافقوه، وقرّروا الزحف معه **إلى تلمسان**؛ عبر الصحراء. وعند الانطلاق؛ فاضت مشاعره، وتحركت داخله أحاسيس الحنين إلى الأوطان والأحباب؛ فقال قصيدته؛ التي بعثها إلى والده **بفاس**؛ مبشراً إياه بعودته **إلى تلمسان**[1]. ومما جاء فيها[2]:

حان الفراق فكنت منه بمنزل

ودنا الرحيل فكنت فيه بأولِ

---

[1] **وردت هذه القصيدة في كتاب زهر البستان فقط. ورقات: 7 ظ - 8 و. وقد صححها عبد الحميد حاجيات؛ وأثبتها في كتابه "أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره" وهي من بحر الكامل.**

[2] **ستأتي هذه القصيدة كاملة في الأجزاء المخصصة للشعراء.**

وتَحَكَّمَ البيـن المشتـت والنّـوَى
فينـا بفتكـة سيفـه المتكلـلِ
وبَـدَا غراب البين في عرصاتهـا[1]
يـرثي عليهـا منـزلاً في منـزلِ
والوصـل ولّى راحـلاً في إثـره
قاضي الفـراق على كئيب محجـلِ[2]

وكانـت رحلـة العـودة طويلـة وشاقـة؛ إذ فصلـوا عـن أرض **الـزاب** إلى **وادي ريـغ** ثـم **ورقلـة فمـزاب**؛ **فـوادي زرقـون**؛ ثـم تسربـوا غربـاً إلى أن وقعـوا علـى حي مـن أولاد **عريـف مـن سويـد** أنصـار **بـني مريـن**؛ كانـوا منتجعيـن في **وادي مـلال** (أو **ملـول**)؛ فاشتبكـوا معهـم، وفتكـوا بهـم، واستلحمـوا رجالهـم، وغنمـوا أموالهـم. فرفعـت هـذه الموقعـة معنوياتهـم وزادتهـم تصميمـاً علـى تحقيـق هدفهـم بفتـح **تلمسـان**. ثـم قـرّر **أبـو حمـو** ــ هـو وأصحابـه ــ الإقامـة بعـض الوقـت في

[1] البيـن: هـو الفـراق. وعـرف عـن العـرب الميـل إلى التشـاؤم عنـد سماعهـم صـوت الغـراب ورؤيتهـم شكلـه؛ إذ كانـوا يعتقـدون أن نعيـق الغـراب؛ يجلـب الفـراق للأحبـة. فعبـروا عـن تشاؤمهـم بعبـارة: " غـراب البيـن" أي غـراب الفـراق. أمـا العرصـات: فـهي الساحـات الفاضيـة بيـن الـدور.
[2] محجـل هنـا: مشهـور.

ذلــك الــوادي الخصــب؛ فأراحــوا الظهــر، واستعــدوا لمــا هــو أهــم وأخطــر. وحلــت غــرة محــرم سنــة 760هــ/1358م ــ أيــام إقامتهــم للراحــة **بــوادي مــلال** ــ وفي تلــك الأثنــاء وصــل إليهــم خبــر وفــاة **أبي عنــان**؛ فانفجــرت أفراحهــم، وتعاظمــت آمالهــم، وازدادوا إصــراراً وتصميمــاً عــلى فتــح **تلمســان**؛ وإقامــة الدولــة الزيانيــة مــن جديــد.

ويبــدو هنــا؛ أن **أبــا حمــو** أبــقى عــلى خطتــه في الاعتمــاد عــلى التأثيــرات الغيبيــة التنجيمية ــ بغــرض تشجيــع أعــراب **بــني عامــر** عــلى مواصلــة دعمــه في حركتــه. فهــا هــو قــد اصطحــب معــه الشيــخ المنجــم وصاحــب الحدثــان المدعــو **أبــا زكريــاء يحــيى بــن أبي بكــر** (سبــط **عبــد المؤمــن بــن عــلي**)؛ الــذي بشّــره ــ عنــد مــروره **بجبــل عيــاض** ــ بفتــح **تلمســان** والانتصــار عــلى **المرينييــن** في حربــه. لــذا؛ فقــد صــرخ الحدثــاني المذكــور مهلــلاً ومكبــراً؛ عنــد وصــول خبــر هــلاك **أبي عنــان**[1]؛ موحيــاً للنــاس بأنــه صــادق في حدثانــه.

---

[1] **((فكبر الشيخ أبو زكرياء المذكور؛ لظهور كبرى آياته، وسر بوضح غرة حدثانه)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 66.**

ولما اقتربوا من **تلمسان**؛ وعلى ضفاف **وادي الصفيصف** بالتحديد؛ قابلهم جيش **بني مرين** بقيادة **يغمراسن بن عثمان الورسيفاني** (مع الوصي على الأمير **محمد** ابن السلطان **أبي عنان**)؛ وانتهت الموقعة بهزيمة **المرينيين**، ومقتل فارسهم **علي بن مسعود الونجاسي**. عندئذ؛ اضطر المنهزمون إلى الاعتصام خلف أسوار المدينة؛ دفاعاً عليها؛ في انتظار المدد من **فاس**. ولكن سكان **تلمسان** خيبوا آمالهم؛ إذ خرج – في ليلة من ليالي شوال – من المدينة جماعة من أهلها؛ فاجتمعوا **بأبي حمو**؛ ودلّوه على عورات البلد؛ ونصحوه بأن يقتحمها من جهة **أغادير**؛ أين سيجد من يساعده على دخول البلد. وعلى ضوء ذلك؛ وضع **أبو حمو** خطته؛ التي تقتضي: أن يُشْغِل **بني مرين** بنفسه؛ حين يتنقل مع **الأعراب** إلى الناحية الغربية من المدينة؛ بينما يتوجه وزيره المنتظر **الحاج موسى بن علي ابن برغوث** – مع **بني عبد الواد**، وأحياء من **زناتة** – إلى الجهة الشرقية. وبهذه الخطة؛ قد يكون **أبو حمو** فضل تسبيق **بني عبد الواد** وزناتة بالدخول للمدينة؛ لكي لا تتعرض للنهب والفوضى.

ولهذا اصطحب أعراب **بني عامر** معه إلى الجهة الأخرى. المهم؛ أن **ابن برغوث** ومن معه؛ دخلوا المدينة من **باب العقبة**، نحو **أغادير** بسلاسة؛ في غرة ربيع الأول من عام 760هـ/1358م؛ فتفاجأ **بنو مرين**، وسقط في أيديهم، ولم تعد أمامهم من وسيلة سوى الاستسلام، ووضع السلاح؛ فاستسلموا عن بكرة أبيهم. ويقول **عبد الرحمن بن خلدون**؛ أن الأمير الوصي استجار ــ رفقة الأمير المريني **محمد ابن أبي عنان** ــ **بصغير بن عامر** شيخ **بني عامر**؛ فأجارهما، وساعدهما على الرجوع إلى **فاس**[1]. بينما يزعم **يحيى بن خلدون** وصاحب **زهر البستان** بغير هذا[2].

وبذلك قامت دولة **بني زيان** في أزهى حللها؛ بإمرة السلطان **أبي حمو موسى الثاني**؛ الذي أبدع وتفنن في تطوير نُظمها، وتأسيس مؤسساتها. ولمّا استقرّ هذا السلطان على عرش أجداده؛ خفقت جوانحه، واهتزت مشاعره تحركت بذور الشعر في

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 256.

[2] ((واعترضه [أي اعترض أبا حمو] محمد ولد السلطان أبي عنان، وكافله يغمراسن بن عثمان، وأخوه عمر، وأعلام القوم؛ فبايعوا له بالخلافة. ودخل داره الكريمة في أيمن المطالع...)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 76. واتفق معه على هذا الرأي؛ صاحب زهر البستان. أنظر ورقة: 14 و.

داخلــه؛ فانبثقــت عنهــا قصيدتــه الغــراء[1]؛ الــتي هي بمثابــة الملحمــة؛ إذ سجــل فيهــا رحلتــه الطويلــة؛ انطلاقــاً مــن بــلاد **الــزاب إلى تلمســان**؛ حــتى دخلهــا عنــوة، وطــرد **بــني مريــن** منهــا؛ كمــا سجــل فيهــا مــا وقــع لــه مــن أحــداث أثنــاء زحفــه؛ ونــوه أيضــاً بصــدق أقــوال أهــل الجفــر والحدثــان[2]؛ ثــم أشــار إلى عامــل تعبــوي دعــوي آخــر؛ أعلنــه قصــد كســب مزيــد مــن الأنصــار؛ ألا وهــو الانتســاب إلى أهــل البيــت؛ عبــر الانتمــاء إلى بــني القاســم الأدارســة[3]:

جــرت أدمــعي بيــن الرســوم الطواســم[4]

لمــا شحطتهــا[5] مــن هبــوب الرواكــم

---

[1] **هذه القصيدة ـ حسب ما جاء في زهر البستان ـ نظمها أبو حمو قبل فتح تلمسان؛ وأثناء رحلته إليها. وليس بعد الفتح كما يستوحى من قول يحيى بن خلدون. بغية الرواد، ج: 2، ص: 76. وزهر البستان ورقة: و ظ.**

[2] **وهذه القصيدة من البحر الطويل؛ وردت ـ بالإضافة إلى بغية الرواد ـ في كتابي: زهر البستان وواسطة السلوك؛ ولكنها جاءت بشكل مخالف ـ في ترتيب أبياتها ـ على ما هي عليه في بغية الرواد. كما أن نسخة زهر البستان مليـة بالأخطاء وكتبت بخط رديء.**

[3] **سـأتي هذه القصيدة كاملة في الأجزاء المخصصة للشعراء.**

[4] **الرسم جمع رسوم وأرسم: ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الدار. وطسم طسماً الشيء: طمسه وأخفاه.**

[5] **الشّحْطُ والشّحَط: البعد.**

وقفت بها مستفهما بخطابها[1]

وأي خطاب للصلاد الصلادم[2]

وسرت على جون أقب مضمر [3]

كلمعة برق أو كلمحة صارم

وبمجرد دخول **أبي حمو إلى تلمسان**؛ واستقراره في قصره؛ أمر بخروج من بقي من **بني مرين** في المدينة؛ فخرجوا في اليوم نفسه؛ ولم يبق منهم أحد[4]. ثم بادر من فوره إلى ضبط إدارته، وترتيب شئون الحكم، وإحصاء ما وجد من إمكانات ومتاع، وجمع كل ما تركه **المرينيون** في الخزائن والأهراء، وما احتوت عليه من ذخائر وسلع وزرع؛ كما استولى على الهديَّة التي جهزها **أبو عنان** كي يرسلها إلى ملك **قطلونة** بالشمال الشرقي من

---

[1] كتبت في زهر البستان وواسطة السلوك: ((لخطابها)). ويبدو أنه الأصح. أما كلمة ((مستفهما)) فكتبت في زهر البستان: ((مستخبراً)). والراجح هي كلمة ((مستفهما)) كما جاء في بغية الرواد وواسطة السلوك.

[2] حَجَرٌ صَلْدٌ: صُلْب أملس. ويقولون: (جبينٌ صَلْدٌ)، (ورأس صلدٌ صُلادِمٌ): الذي لا ينبت فيه الشعر.

[3] في واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية): ((وسرت على جون أقب مشحب)). الجون: يقصد به الحصان الأسود اليحمومي، والأسود المشرب حمرة. والقبُّ والقَبَبُ: دقة الخصر وضمور البطن. والخيلُ القُبُّ: الضَّوامِرُ. قال هذا البيت في وصف حصانه.

[4] بغية الرواد، ج: 2، ص: 95. زهر البستان، ورقة: 14 و.

الأندلس[1]. واستفاد أيضاً من خراج عامين كاملين بقي مجمداً لدى العمال[2].

ولما اطمأن على أوضاع البلد؛ نظر في تشكيل حكومته، وتنصيب وزرائه. وخلال ذلك ـ وبالتحديد في الثالث والرابع من أيام ربيع الأول ـ بدأت الوفود تصل إلى **تلمسان** للتهنئة والمبايعة؛ من بينهم وفود: **ندرومة ووجدة وهنين**. ثم عقد مجلسه للتهنئة والبيعة؛ حرص فيه على مكافأة أنصاره؛ فبدأ **بأعراب بني عامر** الذين قدرهم **يحيى بن خلدون** بثمانية آلاف: ((**فكسا كلا منهم على قدره، ونفل خواصهم الخيل المسومة، والسروج المرفهة، والعدد المحلاة بالعسجد أو اللجين، ثم المال المتعدد**))[3]. وإثرها التفت إلى أهله وعصبته من **بني عبد الواد**؛ فجهز منهم ـ في يوم واحد ـ ألف

---

[1] ولكن صاحب زهر البستان قال أنها كانت موجهة إلى سلطان بني نصر. أنظر ورقة: 18 و. أحصى بعضها يحيى بن خلدون؛ فقال: ((من خيل عتيقة، وسوج مفرغة ركابها من ذوب اللجين، ولجم موشية، وأسباب مختارة)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 96.

[2] ((ومن العجايب أيضاً؛ أن خراج عامين عند الولاة؛ وجده عوناً على المعضلات؛ لا يخرج قائد إلا وجده بخراجه معه، ولا يعطي والٍ صفقة يده حتى يعطي ما جمعه؛ فاتسعت يده في الأموال، وظهرت امارة اليمن والإقبال؛ فاستعمل بأسباب الهدية المجال الوافرة، وركب بجيوش متظافرة؛ دائل سلطانه للحين)). زهر البستان، ورقة: 18 و.

[3] بغية الرواد، ج: 2، ص: 99.

فارس: **((يكسي الرجل منهم بقدره، ويُدفع إليه فرسٌ مسرج ملجم، ومهماز، وسيف، ورمح، وثلاثة من الذهب، وعشرون برشالة[1] من القمح، وثلاثون من الشعير. على هذا مضت سنته فيهم؛ إلى أن ركبوا من عند آخرهم))**[2].

ثم حلت ليلة الميلاد النبوي ـ أثناء انهماكه في ضبط دولته، وتنظيم إدارته، وعقد سلك جيشه وأنصاره ـ فجهز نفسه لاستقبال تلك المناسبة الكريمة بحفاوة عظيمة؛ لم تشهدها **تلمسان** قبل عهده. إذ جعل كل اهتمامه في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف؛ جاعلاً من هذا العيد؛ سنة ثابتة وعادة منتظمة؛ رسخت في وقته كعيد ديني بهيج؛ توالت واستمرت ذكراه في دولته؛ إذ أورث **أبو حمو** أولاده وأحفاده مراسيم هذا العيد عاماً بعد عام إلى أن سقطت الدولة الزيانية نهائياً[3]. وكان يحضر الحفل

---

[1] برشالة أو برجالة: وحدة قياس لكيل الحبوب. والبرشالة الواحدة تساوي - في تلمسان - 12 رطل ونصف.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص: 100.

[3] وصف يحيى بن خلدون أحد الأعياد بمناسبة المولد النبوي في بلاط أبي حمو؛ قال فيه: ((فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، ومشامع كأنها الاسطوانات القائمة على مراكز الصفر المموهة؛ والخليفة أيده الله صدر مجلسها؛ محتبئاً سرير ملكه؛ يسر الناظرين رواؤه، ويثلج الصدر عزه، وتحار في كمالات خلاله النُهَى؛ حفافيه ملأ التجلة من

بنفسه، ويفتح أبواب مشوره للاحتفالات، التي بجتمع فيها شعراء وأدباء **تلمسان**؛ إلى جانب أهل الطرب والسماع، إذ يشارك هذا السلطان أدباء المدينة في إحياء العيد، ويصوغ معهم أشعاراً تلحن وتغنى في هذه الليلة المباركة؛ فيخلد بتلك الأشعار هذه المناسبة الشريفة. ومِمَّا قاله في ليلة المولد الأولى:[1]

دمع ينهل من المقل
لقبيح كان من العملِ
وجوى في الصدر له حرق
فالقلب لذلك في شغلِ

قومه، وأعيان الطبقات ـ من أهل حضرة خلافته ـ على مقاعد عينها الاختصاص، ورتب بعضها فوق بعض المناصب؛ تخالهم قطع الرياض النضرات؛ قد أغضى الجلال من أبصرهم، وخفضت المهابة من أصواتهم؛ فلا تبصر إلاّ جمالاً، ولا تسمع إلاّ همساً؛ يطوف عليهم ولدان اشعروا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات بغيم ـ دخان عنبر تلك المفغم للأناف ـ الجو؛ فتمطر هذا الحفل وابلاً من ماء الورد المنسوب إلى نصيبين؛ وخزانة المنقانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه...)). بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 101 - 102.

[1] وردت هذه القصيدة في زهر البستان وواسطة السلوك؛ ولم يذكرها صاحب بغية الرواد. وهي من بحر المتدارك (أو المحدث). نظمها أبو حمو بمناسبة إحياء أول عيد ميلاد نبوي في تلمسان أشرف عليه بنفسه. وهذا ما ذكره صاحب زهر البستان؛ أما يحيى بن خلدون؛ فأورد قصيدة أخرى نسبها إلى هذه المناسبة الأولى؛ وهي أيضاً من بحر المتدارك، ومطلعها هكذا:

نام الأحباب ولم تنم   عيني بمصارعة الندم
والدمع تحدر كالديم   جرح الخدين فوا ألم

بغية الرواد، ج: 2، ص: 104.

ونهيت النفس فما ازدجـــرت[1]
وتـــولى الصبـــر فما حِيَـــلي[2]
ناس ركبـــوا التقـــوى ولقـــد
ركبت نفسي طـــرق الزلـــلِ[3]

وبعـــد المولـــد؛ وافتـــه أيضـــاً وفـــود المبايعيـــن والمهنئيـــن؛ إذ مثلـــت بيـــن يديـــه وفـــود: **مستغانـــم، وتمزغـــران، والبطحـــاء.** أمـــا بقيـــة المـــدن والمقاطعـــات؛ فقـــد ظلـــت في تلـــك الأثنـــاء خاضعـــة **للمرينييـــن.** وعليـــه فقـــد قـــرّر استعـــادة مـــا ضـــاع مـــن أمـــلاك الدولـــة؛ بطَـــرْدِ ولاة **بـــني مريـــن** منهـــا؛ فبـــدأ **بوهـــران**؛ حيـــث جهّـــز وزيـــره الحـــاج **مـــوسى بـــن عـــلي بـــن برغـــوث**؛ بمـــا يلزمـــه مـــن عـــدة ورجـــال؛ قصـــد التضييـــق عـــلى تلـــك المدينـــة الساحليـــة؛ لأخـــراج **المرينييـــن** منهـــا؛ ولكـــن هـــذا الوزيـــر سقـــط أسيـــراً في يـــد الأعـــداء ـــ في 8 ربيـــع الثـــاني مـــن سنـــة 760هـــ ـــ ونقـــل عـــن طريـــق البحـــر إلى **المغـــرب الأقـــصى.**

---

[1] في واسطـة السلـوك: ((فمـا قبلـت)).
[2] هكـذا في واسطـة السلـوك؛ وهـو الصحيـح. أمـا زهـر البستـان فالشطـر فيـه: ((وثنـاء الصبـر في حيـل)). وهـذا غيـر سليـم.
[3] في واسطـة السلوك (المخطوط): ((ركبـت نفسي على طـرق الزلـل))؛ وهـذا طبعـاً يخـل بالـوزن؛ والصحيـح مـا ورد في زهـر البستـان وواسطـة السلـوك (المطبـوع).

وشجعت هذه الموقعة بقية **بني مرين**؛ حيث استجاب وزير الدولة المستبد ـ **الحسن بن عمر الفودودي** ـ لتحريض أعراب **أولاد عريف بن يحيى السويديين**؛ فأرسل معهم ابن عمه **مسعود بن رحو ابن ماساي الفودودي**؛ بغرض فتح **تلمسان**؛ غير أنهم هزموا إثر مناورة تعبوية قام بها **أبو حمو** بعد خروجه من **تلمسان**؛ التي عاد إليها مكللاً بالنصر في يوم الإثنين غرة جمادى الأخرى؛ أي بعد 28 ليلة من الغياب[1]. وبعودته غانماً؛ خافه والي **وهران المريني** المدعو **أحمد بن أجانا**؛ فأسلمها وفرّ هارباً بمال كان في ذمته؛ فضبط وأسر؛ ثم نُقل إلى **أبي حمو**؛ فعفا عنه، ومنحه المال الذي وجد في حوزته، وسمح له بالعودة إلى **المغرب**. وبهذا الشكل أيضاً عامل قائد **بني مرين** على **تنس**؛ الذي أسر كذلك بعد فتح المدينة؛ فعفا عنه ومنحه المال الذي ضبط عنده.

ويبدو أن **بني مرين** مالوا إلى الصلح مع **أبي حمو**؛ بعد فشلهم في كسر شوكته وعجزهم عن الاحتفاظ **بتلمسان**؛ خاصة وأنهم كانوا يعانون من

---

[1] أنظر تفاصيل هذه المناورة في بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 124 - 129. وزهر البستان، ورقات: 18 ظ - 20 و. والعبر، مج: 7، ص ص: 256 - 258.

وهن وانقسام في صفوفهم. لذا فقد أرسلوا **أبا زكرياء يحيى بن موسى الجمي (القمي)** – وهو أحد أعيان الدولة **العبد الوادية** السابقين – أرسلوه إلى **أبي حمو**: **((بعقد مشهود إلتزموا فيه الصلح))**[1].

ونتيجة لهذا الصلح؛ سمح **المرينيون** لوالد **أبي حمو أبي يعقوب يوسف**، وابنة **عبد الرحمن** بالعود إلى **تلمسان**[2]. فاستقبلا عند وصولهما بحفاوة عظيمة؛ وظل الاحتفال قائماً سبعة عشر يوماً[3].

عندئذ؛ انتهز **أبو حمو** فرصة وجود والده؛ فجهزه بمحلة كبيرة؛ لتمهيد البلاد الشرقية؛ ثم أطلق يده على كل ما فُتِح من تلك البلاد. فخرج إليها يوم الإثنين رابع شعبان من عام 760هـ؛ فأخضع العباد ومهد البلاد؛ ودخل **لمدية** واستعد لوصلها ببقية المدن الشرقية.

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص: 128. وجاء في زهر البستان: ((وقد كان صلحهم على من بقي في البلاد الشرقية من أناسهم؛ وخوفاً من بني عبد الواد وبأسهم.)). ورقة 20 و.

[2] كان قد جلبهما أبو عنان من مستقرهما في ندرومه، ونقلهما إلى فاس؛ عندما احتل تلمسان في سنة 753هـ/1352م.

[3] خصص صاحب زهر البستان فصلاً؛ شرح فيه هذه المناسبة. ورقات: 23 ظ - 25 ظ.

وفي أواسط شوال[1] من العام المذكور؛ وصل إلى تلمسان القائد المحنك **أبو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي**[2]؛ فاستقبله **أبو حمو** بحفاوة كبيرة؛

---

[1] يرى صاحب زهر البستان أن وصول عبد الله بن مسلم إلى تلمسان كان في أواسط شهر رمضان. ورقة: 29 و.

[2] قال صاحب زهر البستان: ((اعلم أن عبد الله بن مسلم هذا؛ سيد بني زردال [من بني عبد الواد]، وشهم حماتم الأبطال؛ استوطن المغرب؛ حين خرج بنو عبد الواد من تلمسان؛ وأقام بالمغرب إلى أن ولاّه القيادة أبو عنان. وذلك لما ظهر له من نجابته، وكفايته، وخدمته، وشهامته. ولاه وادي درعة وأنحائه، وحكمه في ذلك الإقليم، واستحسن واستوطن؛ فمهدها له أتم تمهيد، وسكّن عفاتها، وأنس من التشريد، واستمال قبائل تلك الجهات بإحسانه، ولاطفهم حتى عادوا كإخوانه؛ فساد على غيره بذلك الوادي، وطاوعته أهل تلك البلاد؛ فكان بها كالأمير المطاع، والرئيس ذي الأتباع. فنمت بولايته الجبايا، وصلحت بقياده الرعايا؛ فخص عند أبى عنان؛ فأقره بذلك المكان، فلم يزل به إلى أن مات [أبو عنان]؛ فولي السعيد؛ وتمادت ولايته من بني مرين؛ كما يريد؛ إلى أن فتح الله على المولى أبى حمو البلاد، وبلغه في أعدائه مراده، واتصل علمه؛ أنه بحضرة تلمسان؛ وأنه تملك ما كان لأسلافه من الأوطان. كتب له ـ من تلك البلاد ـ يهنيه، ويعلمه أنه عبده وابن عبده؛ بما يأمره به يمضيه. فكتب له أبو حمو باستخدام أهل تلك البلاد؛ واستجلابهم لدعوة بني عبد الواد؛ وأن يجمع عليه قبيله، ويسير كثيره وقليله؛ وأن يضم لخدمته من يعتمد عليه، ويقرب من يصف للخدمة إليه، وأن يحض الأعراب على خدمة بني زيان، وأن يقوموا على دعوته في تلك الأوطان؛ وأنه إذا انقضى بالفتح بقية البلاد فيصرف وجهه لقبلة المغرب؛ بما تيسر من الأحشاد. فلم تزل المراسلات بينه وبين مولانا السلطان، والأوامر الزيانية تجري على يديه في تلك الأوطان؛ إلى أن استخدم كثيراً من أهل تلك الجهات، وطاعت له العرب، وركنت للموالاة. فطال أمره؛ إلى أن هم بالوثوب على سجلماسة. وذلك من الشهامات والرياسات. فبينما هو يحاول الوثوب عليها، ويتحايل في التوصل بمحاولة إليها؛ إذ أتاه آت؛ أخبره بقدوم أبى سالم؛ وأنه أطاع له المغرب، وخدمته جميع الأقاليم؛ فنظر؛ أن محاولته لذلك تقررت؛ لكن تلك المقدمات قد أثرت.

وأسند إليه وزارته، وأسكنه في قصر كبير وزراء **أبي تاشفين**، وخصه بقيادة جيشه. وكلفه بدعم والده **أبي يعقوب** في تمهيد النواحي الشرقية، إلى حدود **بجاية**؛ ثم أطلق يده، وفوضه فيما يراه صالحاً للدولة.

فخرج بدوره من **تلمسان** قَصْدَ تمهيد الجهات المشار إليها، وإخضاع المدن والقبائل التي كانت تابعة للدولة **الزيانية**. فبدأ **بشلف** ثم اتجه نحو **مليانة**؛ حيث تصدّى له القائد المريني المدعو **يحيى ابن علي**؛ فهزمه **عبد الله بن مسلم**، وطارده إلى **مليانة**؛ أين التقى ـ عند أطرافها ـ **أبا يعقوب**؛ فحاصراها معاً؛ ودخلاها عنوة في سابع ذي القعدة من عام 760هـ؛ حيث أسر من كان فيها من **بني مرين**؛ بالإضافة إلى **يحيى بن على** المذكور؛

وسمع أن أبا سالم عزم على ملاقاة بني عبد الواد؛ فأخذته حمية الكرام الأنجاد؛ فأخذ في شأن القدوم على مولاه؛ وذلك ما نظره ورآه؛ وأنه لا عزة إلاّ في قومه الكرام، ولا ضرب إلاّ أمامه بالحسام. فجمع أمره على القدوم، وأبرمه وعقد عقده بالخلاص وأحكمه؛ فاستعمل هدية سنية كأنها لأبى سالم؛ وهو يريد بها المولى أبا حمو ذو(؟) المكارم؛ أخرق في عملها المعتاد، ومد يده فيما يستحسن وزاد؛ وولف الرزق والعدد، وأخذ من ذلك الوادي أحسن ما وجد. ثم جمع عليه قبيله، وحمل كثيره وقليله؛ وارتحل حاكماً نفسه ومن معه)). ورقات: 28 و - 28 ظ. أنظر أيضاً الفصل الذي خصصه عبد الرحمن بن خلدون لعبد الله بن مسلم في كتاب العبر، مج: 7، ص ص: 258 - 260.

ثم أضافوا إليهم أسرى **لمدية**؛ فأضحوا زهاء خمسمائة؛ أرسلوا بكاملهم إلى **تلمسان**؛ باستثناء **يحيى ابن علي** الذي قتل.

وبينما تجري هذه الأحداث **بتلمسان**؛ كانت **فاس** حبلى بالأحداث والتغيرات؛ إذ تغلب على الحكم فيها **أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن**؛ فجمع الشمل، وضبط الأمر. ولما انتهى من تمهيد الحكم في **المغرب الأقصى**؛ انثنى لِمَا يجري في **تلمسان**؛ إذ غضب لخروج **عبد الله بن مسلم** عن الدولة المرينية؛ وانحيازه **لأبي حمو**؛ حاملاً معه خراج الدولة، وساحباً خلفه بعض أحياء **المعقل**؛ أين التحقوا جميعاً **بتلمسان**؛ كما استاء أيضاً لسقوط مجموعة من **بني مرين** أسرى في أيدي السلطان الزياني. أضف إلى ذلك كله؛ الشكوى التي وصلته من **الجزائر**.[1] وعليه؛ فقد استفاد **أبو سالم** ـ كغيره من ملوك الدولة المرينية ـ من هذه الذرائع الجاهزة؛ فأرسل **لأبي حمو** يطلب منه إطلاق سراح الأسرى، وإرجاع أحياء **المعقل** إلى ديارهم. ولما

---

[1] هذا ما أشار إليه عبد الرحمن بن خلدون، وأخوه يحيي: العبر، مج: 7، ص: 260. وبغية الرواد، ج: 2، ص: 146. أما صاحب زهر البستان؛ فحصر السبب في الشكاوى المتتالية التي بعث بها المرينيون المقيمون بالجزائر. ورقة: 36 و.

رفض السلطان الزياني تلبية طلبه؛ أعلن التعبئة العامة؛ وجهز جيشه بالعدة والعدد؛ وانطلق نحو **تلمسان** في منتصف عام 761هـ/1359م.

ولما وصلت أخبار التعبئة التي قام بها **أبو سالم** للسلطان **أبي حمو**؛ بعث لإحضار والده **أبي يعقوب** ووزيره **عبد الله بن مسلم** من شرق البلاد؛ حيث قرّر ــ بعد مشاورات ــ الخروج من **تلمسان**؛ والقيام بالمناورة المعتادة منذ **يغمراسن**؛ لإجبار **المرينيين** على العودة إلى ديارهم. وهكذا كان؛ فبمجرد دخول **أبي سالم إلى تلمسان**؛ بادر **أبو حمو** باكتساح مواطن **المرينيين**؛ إذ نازل **وطاط**، والبلاد المطلة على **ملوية، وكرسيف**؛ فخرب العمران، وأشعل النيران، وأفنى الزرع، وساق الضرع[1]. فذهل **أبو سالم**، وخاف من تعاظم الفساد، وخروج العباد؛ فسارع إلى تكليف الأمير

---

[1] ((وخيم إزاء أجرسيف [أقرسيف] من قرى ملوية، فأخذتها من الغد عنوة سيفه؛ واجتاح الناس ما كان بها من كراع، ومتاع، وزروع؛ ثم أحرقوها؛ فأمست رميماً؛ وأدلج نصره الله مع الوادي صعداً؛ ومرّ بقرى: أرجو ووطاط، وتامنصرت؛ فأغرى بها العفاء؛ وتركها حصيداً؛ كأن لم تغن بالأمس؛ وأمّ ثنية تاغروطت المفضية إلى مدينة فاس؛ مصمماً لحصارها؛ وتنادى أهل تلك القرى بالثبور حاشرين؛ وطاروا إلى ملكهم في تلمسان بالخبر؛ فلم يسعه إلاّ حماية دار ملكه)). بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 176 - 177.

محمد (القبي)[1] **بن عثمان بن أبي تاشفين** المكنى **أبا زيان**؛ بولاية **تلمسان**، وزوده بالآلة والمال، ودعمه بجماعة من **بني توجين، ومغراوة**؛ قدموا في جملته من **المغرب**؛ ثم أسكنه قصر أبيه. وعاد هو إلى **فاس**؛ بعد أن أقام في **تلمسان** خمسة أيام[2].

وكان **أبو زيان القبي** هذا مقيماً إجبارياً في **المغرب الأقصى**؛ بعد سقوط دولة جدّه **أبي تاشفين**. ولما عزم **أبو سالم** على غزو **تلمسان** اصطحبه معه. وأسند إليه ولاية بلده؛ نكاية في **أبي حمو**. ولكن جيش هذا الأخير؛ زحف نحو حاضرة الدولة؛ بعد عودة **أبي سالم** إلى **فاس**. فخافه **القبي**، وخرج مهزوماً ومتنقلاً بين: **البطحاء، ومليانة ووهران وونشريس** في حضن من بها من **بني مرين**، ومن انحاز إليهم من **مغراوة، وتوجين**. ولما خسر معاركه كلها مع جيش **أبي حمو**؛ عاد إلى **فاس**.

وإثر ذلك؛ وضعت الحرب أوزارها بين الطرفين؛ ومال **أبو سالم وأبو حمو** إلى السلم؛ فبعث هذا الأخير ولده **أبا تاشفين** إلى **فاس** سنة

---

[1] أي عظيم الرأس.
[2] زهر البستان، ورقة: 38 و.

762هـ/1360م لعقد معاهدة الصلح والاتفاق على السلم. ولكن إصرار السلطان المريني على الاحتفاظ **بوهران** أفسد النوايا، وأفشل المسعى[1]. وعاد الشنئان والخلاف بين الطرفين إلى سابق عهده؛ خاصة بعد موت **أبي سالم**. **((ورجع السلطان أبو حمو إلى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بني مرين؛ فافتتح كثيرها، وغلب على مليانة والبطحاء، ثم نهض إلى وهران، ونازلها أياما واقتحمها غلاباً، واستلحم بها من بني مرين عدداً؛ ثم تغلب على المدية والجزائر))**[2].

وفي هذه الأثناء؛ دخلت الدولة المرينية في دوامة من الصراعات والخلافات؛ حيث انتصب على عرشها عدد من السلاطين المغلوب على أمرهم. وقد أرسل السلطان **أبو حمو** دلوه هذه المرة في تلك المياه الساخنة؛ إذ استدعى الأمير **عبد الحليم ابن أبي علي بن أبي سعيد بن يوسف بن عبد الحق** من **غرناطة**؛ وواعده بمساعدته على انتزاع العرش المريني من أيدي منافسيه. وبالفعل؛ قدم الأمير المذكور؛ فاستقبله **أبو حمو** بحفاوة وإكبار في

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 197 - 198.
[2] العبر، مج: 7، ص: 261.

غـرة ذي الحجـة مـن عـام 762هـ/1360م؛ وجهـزه بمـا يلـزم مـن آلـة ومـال وعتـاد ورجـال. غيـر أنـه اشتـرط عليـه القبـض علـى **ابـن** عمـه **أبي زيـان بـن عثمـان بـن عبـد الرحمـن**، وإرسالـه إليـه. فقبـض عليـه؛ ولكنـه فـرّ كمـا سيـأتي ذكـره. وخـلال ذلـك؛ وفـد علـى بـاب **أبي حمـو؛ محمـد بـن السبيـع بـن مـوسى ابـن إبراهيـم اليرنيـاني**؛ وهـو مـن كبـار أعيـان الدولـة المرينيـة؛ قـدم لاجئـاً **إلى تلمسـان** هاربـاً مـن خصومـه في **فـاس** وكـان شاعـراً؛ فمـدح السلطـان الزيـاني بقصيـدة طويلـة؛ استهلهـا بقولـه[1]:

تطـاول ليلي فاستفـز منـامي
وطال سهادي فاستطال سقـامي

وحرم سبعاً ليس للنفـس بعدهـا
مقام فطيب العيش جـد حـرامي

منامي وعقلي والفؤاد وسلـوتي
وصبري ولبي والتذاذ طعـامي

---

[1] **بغيـة الـرواد، ج: 2، ص ص: 200 - 201. وزهـر البستـان، ورقـات: 56 ظ - 57 و.**

فأجابه السلطان **أبو حمو** بقصيدة غراء قال فيها[1]:

تَذَكَّرْتُ أطلالَ الرُّبوعِ الطَّواسمِ
وما قد مضَى من عَهْدها المُتَقادمِ
وقفْتُ بها من بَعْدِ بُعْدِ أنيسها
بصبرٍ منافٍ[2] أو بشوقٍ مُلازمِ

وبعد انقضاء عيد الأضحى؛ وفد آخرون من **بني مرين إلى تلمسان**؛ لمبايعة الأمير **عبد الحليم**، والمسير في ركابه. فأحسن إليهم **أبو حمو** – وإلى الأمير المريني – بالمال والكسي الثمينة، والأسلحة الجليلة، والظهر الفاره المناسب، كما خصّ ضيفه **عبد الحليم** بشارة الملك؛ وأمر **المرينيين** الواصلين من **الجزائر** ببيعته؛ كما أُسْنِدَتْ وزارته إلى **محمد السبيع** المذكور؛ ثم خرج **أبو حمو** بنفسه لتوديعهم؛ في يوم السبت 22 من ذي الحجة سنة 762هـ؛ وأمر

[1] سيأتي تمام هذه القصيدة في الأجزاء الخاصة بالشعراء. وهذه القصيدة من البحر الطويل؛ وهي موجودة في بغية الرواد، ج: 2، وزهر البستان، وواسطة السلوك في سياسة الملوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية). والإحاطة في أخبار غرناطة.

[2] أي بصبر زائد وطويل.

بأن تصحبهم مفرزة من **بني عبد الواد** إلى تخوم بلادهم؛ فانطلقوا معهم إلى وادي **ملوية**؛ ثم عادوا.[1]

وقد حاول **أبو حمو** استغلال فرصة ضعف **المرينيين** وميلهم إلى الهدنة ورغبتهم في وضع السلاح. فالتفت إلى بناء دولته، وتنظيم إدارته، وتعمير **تلمسان** بالمرافق اللازمة. كما حرص على تمهيد الديار الشرقية وتطويع قبائلها المتمردة. فبعث وزيره **عبد الله بن مسلم** إلى تلك الجهات؛ فمهد البلاد، وأخضع العباد: **((فاستضاف لإيالة الخليفة ـ نصره الله ـ وطني: حمزة، وبني حسن، وجاس خلالها الوادي الكبير؛ ثم عرج ذات اليسار؛ أخذاً على ثنية تاغوزت، وبيطار؛ فاستضاف أيضاً زواوة وما إليها))**[2].

وكان والد السلطان **أبي حمو** ـ **أبو يعقوب يوسف** ـ مقيماً في مدينة **الجزائر** بعد فتحها. فوافته المنية بتلك المدينة؛ في أوائل شعبان من سنة 763هـ/1361م؛ فجُهِّز، ونُقِل إلى **تلمسان** في جنازة مهيبة. ولما وصل جثمانه استقبله **أبو حمو** بحزن وخشوع؛ ثم دفنه في رياض موجودة **بباب إيلان**؛

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 213 - 214.

[2] نفسه، ص ص: 226 - 227.

ونقل جثماني أخويه: **أبي سعيد وأبي ثابت** إلى جواره. وبعدها توافدت وفود العزاء من **المغرب** وربوع الدولة. وبعد الدفن؛ أمر ببناء مدرسة وزاوية على قبور والده وأعمامه؛ خصِّصت لها الأوقاف اللازمة وعيِّنت لها الجرايات الكافية. وكان **أبو حمو** قد نظم قصيدة في رثاء والده جاء فيها:[1]

صب تذكر عهداً بالحمى سلفا

فظل يسكب دمعاً هاطلاً وكفَا

وبات من شدة الإشراف في قلق

وخامرت عقله الأفكار فانتلفا

وبعد انتهاء مراسم الجنازة؛ تفرغ **أبو حمو** لبناء دولته من جهة، ومن جهة أخرى انشغل في إطفاء نار الفتنة التي أشعلها ابن عمه **أبو زيان محمد بن أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن.**

---

[1] ستأتي هذه القصيدة كاملة في الأجزاء الخاصة بالشعراء. ولم ترد هذه القصيدة إلاّ في زهرالبستان؛ نظمها أبو حمو في بحر البسيط. ونقلها حاجيات إلى كتابه ((أبو حمو موسى الثاني حياته وآثاره)). أما يحيى بن خلدون؛ فقد انفرد بإثبات قصيدة أخرى؛ نسبها إلى هذ المناسبة؛ من بحر الكامل؛ ومطلعها هكذا:

دنفٌ تذكَّرَ حسرة التوديع وهنِيٌّ وصل بالنوى مقطوع

ولِما عرا من فقد خير أحبتي ومرارة التوديع والتشييع

فبكيت من أسفٍ لذاك كما بكت حزناً عليه منازلي وربوعي

وهذا الأمير هو ابن السلطان **أبي سعيد عثمان**؛ الذي قتله **أبو عنان** في عام 753هـ/1352م؛ بعد معركة **أنكاد**. حينها كان هذا الأمير رفقة عمّه **أبي ثابت** و**أبي حمو** والوزير **يحيى بن داود بن علي بن مجن (مقْن)**؛ في طريقهم إلى **إفريقية**؛ أين قُبِض عليهم في نواحي **بجاية**؛ بينما أفلت **أبو حمو** ـ كما قال يحيى بن خلدون ـ واستقر **بتونس**. ولما مثلوا أمام **أبي عنان**؛ قتل **أبا ثابت الزعيم**، والوزير **ابن داود**؛ وأبقى على حياة **أبي زيان**؛ واكتفى بسجنه.

ولما تولى **أبو سالم**؛ وتطلع إلى امتلاك **تلمسان**؛ اختار ـ في البداية ـ **أبا زيان بن عثمان ابن أبي تاشفين (القُبي)**؛ ولمّا فشل في مواجهة **أبي حمو**؛ عوّضه **بأبي زيان** ابن السلطان **أبي سعيد**؛ الذي سبق أن أخرجه من السجن، وضمه إلى جلسائه؛ بين الأعيان وكبار القوم. غير أن خطة **أبي سالم** ماتت بموته؛ فَزُجَّ ـ من جديد ـ **بأبي زيان** في السجن؛ خلال الصراع على السلطة بين أمراء **بني مرين**؛ ولكنه انتهز غفلة المكلفين به؛ فهرب إلى **بني حسين** من **أعراب المعقل**؛ ومنها انتقل إلى

أحد أحياء **بني عامر**؛ أين أوقعه حسن حظه في حلة الشيخ **خالد بن عامر**؛ الذي كان أيامها مغاضباً **لأبي حمو**؛ بسبب إيثاره أخاه **شعيباً** عليه في رئاسة قبيل **بني عامر**[1]. وعلى هذا؛ فقد لبى طلب **أبي زيان**؛ وأجاره، وواعده بالحماية والمناصرة ضد ابن عمه السلطان. وبالفعل؛ حاولا التقدم مع مؤيديهما نحو **تلمسان**؛ ولكن خبرهم وصل إلى **أبي حمو**؛ فبادر بتسريح عسكر لتأديبهم؛ فشتتوا شملهم، وأبعدوهم عن حاضرة الدولة. ثم أن **أبا حمو**؛ استمال شيخ **بني عامر**، وأرضاه ببعض المال؛ طالباً منه إقصاء **أبي زيان** إلى بلاد **رياح**؛ ففعل؛ ونقله إلى ديار **الدواودة**. ومنئذ؛ بدأت مرحلة مؤلمة في حياة الدولة الزيانية؛ إذ غدت ـ خلالها ـ قبائل المغرب الأوسط تتاور في عصيانها ضد الدولة؛ متخذة من **أبي زيان** واجهة وذريعة للعصيان، والخروج عن سلطة **أبي حمو**. وهكذا؛ أضحى السلطان الزياني يحارب في جبهات متعدِّدة:

ـ الأولى ضد الأطماع التوسعية **لبني مرين**.

---

[1] **بغية الرواد، ج: 2، ص: 243. وزهر البستان، ورقات: 77 و - 77 ظ. والعبر، مج: 7، ص ص: 262 - 263.**

ـ والثانية ضد خصمه **أبي زيان محمد.**

ـ والثالثة ضد القبائل المختلفة؛ التي سلكت سبيل التمرد والعصيان.

وكان النصر حليف **أبي حمو** في السنوات الأولى؛ بفضل ما يتمتع به وزيره وقائد جيشه **عبد الله ابن مسلم الزردالي**؛ من دهاء، ومواهب قتالية، وحنكة سياسية. ولكن الحال تغير إثر موت هذا الوزير؛ في آخر ذي القعدة من عام 765هـ/1363م. حيث تعرض **أبو حمو** إلى بعض الهزائم المؤلمة؛ بسبب اعتماده الكلي على **الأعراب**؛ الذين يتصفون بالتقلب وعدم الثبات، وهشاشة المواقف، وسرعة الانفضاض، والجرأة في التخلي عن الحلفاء والتنصل عن كل ارتباط لا يعود بالفائدة المادية عليهم.

ونتيجة لحاجة الدولة، واعتمادها الكلي على قبائل **بني هلال** ـ في زمن **أبي حمو الثاني** ـ فقد سمت تلك القبائل إلى مشاركة القبائل **الزناتية** في الثروة والسلطان، واقتسمت معها الأراضي التلية؛ وزاحمتها في المراعي الخصبة، والمياه الجارية؛ فكثرت أموالهم، وتعاظمت قوتهم، واتسع نفوذهم. وازدادوا قوة واستفحالاً؛ جراء الصراعات الداخلية بين أعضاء الأسرة الحاكمة في دولة **بني زيان** وغيرها؛

إذ استغلوا تلك الصراعات في ابتزاز الأطراف المتنازعة كلها؛ بحيث وضعوا قاعدة نفعية ثابتة؛ فمن يدفع أكثر، يحظى بودهم الأوفر، ودعمهم الأمتن.. لهذا؛ أصبحت ديار **المغرب الأوسط** عبارة عن ساحة واسعة للفتن والصراعات المتشعبة؛ ذات الألوان المختلفة؛ بحيث تنفجر معركة هنا بين قبيلتين شقيقتين؛ وفي الجهة الأخرى تلتهب نار الحرب بين قبيلتين متنافرتين ومتباعدتين؛ وفي الوقت ذاته تجتمع قبائل متنافرة على مقاتلة الدولة وأنصارها؛ حتى وإن كانوا أقرباء؛ لأن الفوائد المادية هي الحكم المحلل والمحرم.

ومع هذا؛ فقد استطاع **أبو حمو** ـ بفضل دهائه وإصراره وشجاعته ـ كسر شوكة أولئك **الأعراب**؛ بواسطة شن الحرب حيناً، وبواسطة الحيلة والإغراء حيناً آخر؛ ثم بواسطة النبش عن التناقضات والتضريب بينهم في كل مرة. فانتهى الأمر به سنة 770هـ/1368م إلى مسك زمام الأمر، وضرب أعدائه في مقتل، وألجأ غريمه **أبا زيان** إلى

قمـــم الجبـــال المنيعـــه لـــدى قبيلـــة **حصيـــن** في مرتفعـــات لمديـــة[1].

هـــذا هـــو مجمـــل؛ مـــا يخـــص الصـــراع بيـــن **أبي حمـــو** مـــع القبائـــل المتمـــردة مـــن جهـــة، وابـــن عمـــه **أبي زيـــان** مـــن جهـــة أخـــرى. أمـــا بخصـــوص أعدائـــه الأقويـــاء **بـــني مريـــن**؛ فقـــد خفتـــت نـــار جذوتهـــم بعـــد مـــوت **أبي سالـــم**؛ جـــراء الخلافـــات الداخليـــة والصراعـــات علـــى سريـــر الحكـــم. ولمـــا تعافـــت أحوالهـــم، والتأمـــت صفوفهـــم؛ عـــادوا إلى أطماعهـــم السالفـــة، ورغبتهـــم في التوســـع شرقـــاً، وامتـــلاك **تلمســـان** درة **المغـــرب الأوســـط**.

وعـــلى ذلـــك؛ لـــم يفتقـــر السلطـــان المريـــني الجديـــد ـ **أبـــو فـــارس عبـــد العزيـــز بـــن أبي الحســـن** ـ للذريعـــة المناسبـــة؛ إذ وجـــد بيـــن يديـــه شكـــوى؛ تقـــدم بهـــا ـ كالعـــادة ـ حليفـــه **أبـــو بكـــر** شيـــخ **بـــني عريـــف السويدييـــن**؛ ضـــد **أبي حمـــو**: **((ورغبـــوه في ملـــك تلمســـان ومـــا وراءهـــا؛ فوافـــق صاغيتـــه إلى ذلـــك؛ بمـــا كـــان في نفســـه مـــن الموجـــدة عـــلى السلطـــان أبي حمـــو؛ بقبولـــه عـــلى مـــن ينـــزع إليـــه مـــن عربـــان المعقـــل ـ أشيـــاع الدولـــة وبدوهـــا ـ ومـــا كـــان بعـــث إليـــه في ذلـــك،**

---

[1] **أنظر تفاصيل هذا في العبر، مج: 7، ص ص: 271 - 274.**

وصـــرف عـــن استماعـــه. فاعتـــزم عـــلى الحركـــة إلى تلمســـان))[1].

لـــذا؛ فقـــد بـــادر مـــن فـــوره بالتعبئـــة، والتجهيـــز، وحشـــد القبائـــل والجيـــوش؛ وجلبهـــم مـــن أقطـــار المغـــرب كلهـــا؛ مـــن الســـوس الأقـــصى ودرعـــة إلى بحـــر الزقـــاق؛ حيـــث تربـــض **سبتـــة** وغيرهـــا مـــن بلـــدان الساحـــل الشمـــالي ثـــم انطلـــق مـــن **فـــاس** بعـــد انقضـــاء عيـــد الأضـــحى مـــن سنـــة 771هــ/1369م.[2] ووصـــل خبـــر الزّحـــف **المريـــني** إلى **أبي حمـــو**؛ حينمـــا كـــان في **البطحـــاء**؛ فعـــاد أدراجـــه مسرعـــاً إلى **تلمســـان**؛ أيـــن حـــاول حشـــد أنصـــاره، والتحضيـــر لملاقـــاة الجيـــش المريـــني؛ ولكـــن قبائـــل **عبيـــد اللـــه والأحـــلاف** مـــن **المعقـــل**؛ تهاونـــوا، وتراخـــوا عـــن نصرتـــه؛ بـــل تمـــادوا فالتحقـــوا بعـــدوه ملـــك **المغـــرب**. وكـــان **أبـــو حمـــو** ــ كمـــا ذكـــر **عبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون**؛ الـــذي كـــان في **تلمســـان** آنئـــذ ــ قـــد استعـــدّ لملاقـــاة **المرينييـــن**؛ فجمـــع مـــا تيســـر لـــه مـــن **بـــني عامـــر**، وبعـــض الأحيـــاء مـــن **زناتـــة**؛ فخـــرج مـــع تلـــك الجمـــوع ظاهـــر **تلمســـان**؛ في غـــرة محـــرم مـــن

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 275 - 276.

[2] ((ونهض ميمماً تلمسان بالجراد المنتشر أو البحر الطامي أو السحاب المسخر بين السماء والأرض)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 444.

سنة 772هـ/1370م؛ استعداداً للمواجهة. فضرب معسكره، واستعرض جنوده؛ تحضيراً للزّحف نحو عدوِّه. ولكنه تراجع؛ حينما وصلته أخبار انحياز قبائل **عبيد الله والأحلاف** من **المعقل** إلى السلطان **عبد العزيز**؛ بمداخلة من **ونزمار** شيخ **سويد**[1]. فأدرك ـ عندها ـ استحالة التغلب على جمع كهذا؛ وتبين له عدم التكافؤ، واستحالة الصمود أمام هذا الحشد الهائل، والمال الواسع، والسلاح الوافر؛ إذ اختلت ـ في هذه الحال ـ موازين القوى؛ نظراً لتفوق **بني مرين** في العدة والعدد، والمال والمدد. فلم يجد **أبو حمو** ـ حينها ـ بُداً من ترك **تلمسان**، والتوجه شرقاً مع من معه من **بني عامر**؛ فانطلقوا بكاملهم نحو الشرق؛ وأبعدوا المسافة؛ حتى وصلوا إلى ديار **رياح والدواودة**.

وكان السلطان **أبو فارس عبد العزيز** قد دخل **تلمسان** بسلاسة في عاشوراء من عام 772هـ؛ بعد فترة قصيرة من خروج **أبي حمو** منها. ولم يكتف السلطان المريني بدخول **تلمسان**؛ بل استجاب

---

[1] ((وبلغ خبر تحيزهم وإقبالهم إلى أبي حمو؛ فأجفل هو وجنوده وأشياعه من بني عامر)). العبر، مج: 7، ص ص: 682 - 683.

لنصيحة شيخ قبيلة **سويد** ـ **ونزمار بن عريف** ـ فجهز جيشاً أسند قيادته إلى وزيره **أبي بكر بن غازي بن الكاس**؛ وأمره بمطارة **أبي حمو** ومن معه، والقضاء عليهم. فخرج ذلك الوزير خلفهم؛ إلى أن وصل **البطحاء**؛ أين التحق به **ونزمار بن عريف** بجمع كبير من **الأعراب** انطلقوا كلهم وراء **أبي حمو**؛ الذي أبعد السفر، واستقر في الضفة الجنوبية **لوادي جدي** القريب من **الدوسن**؛ في أرض **الدواودة**. ولكنه ابتلي في تلك البقعة بنكسة شديدة؛ جراء اكتساح **بني مرين** لمعسكره ليلاً؛ فانتهب بكامله واستلحم أتباعه، وافترق جمعهم، ونجا **أبو حمو** بنفسه **إلى وادي مزاب**؛ حيث انتظر بعض الوقت حتى التحق به الفل من أهله وجيشه. فانطلق بهم جنوباً نحو **متليلي**، ثم غرّب بهم؛ متنقلين من ماء إلى ماء، ومن وادٍ إلى آخر؛ حتى اقتربوا من قصور **بني عامر**؛ جنوب **تلمسان**؛ ثم انحرفوا نحو الجنوب. عندما تبين لهم أن جَمْعاً من **بني مرين** في تلك القصور.

ووقعت **لأبي حمو** – في تلك النواحي – حوادث ووقائع مؤلمة؛ خانه فيها الأتباع، وتخلّى عنه الحليف والمجير، ونكبه العدو والصديق؛ فصبر خلال ذلك على الشدائد، وأغضى الطرف على زلات أصحابه، وكتم غيضه عن خيانة أتباعه وحلفائه. فأفلت من فخاخ **الأعداء**، وخيانة الأصدقاء والأقارب. ثم انتهى حاله بعد اشتباكه مع **بني مرين** وحليفه القديم؛ المنحاز إلى أعدائه؛ **خالد بن عامر** إلى الهزيمة، والتسلل في ظلمة الليل؛ نحو مضارب **عبد الله بن صغير بن عامر**؛ حيث وجد منهم – بعد الجفوة – كل تكريم وتبجيل: ((**فأرحبوا وأسهلوا وأجاروا وستروا**))[1]. وأخفوه عندهم يوماً وليلة؛ ثم جهّزوه بالظّهر المناسب، والزّاد الضروري، وكلفوا من يرافقه نحو الجنوب؛ فانطلق في رحلته من موضع إلى آخر؛ حتى وصل إلى **تيقورارين بتوات**؛ في نواحي **أدرار** الحالية؛ أين وجد من سكانها كل إكرام وتعظيم؛ فأسكنوه في قصر تابع **لأولاد آدم**؛ الرابض في الشط الشمالي من السبخة الممتدة بينهم.

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص: 469.

ولما استقر في مقامه الجديد؛ فاضت قريحته بقصيدة معبرة؛ ضمنها معاناته، وأحزانه، وآلامه، واستياءه من غدر أتباعه وخيانة خدّامه؛ ثم أشبعها بالآمال والتفاؤل بالمستقبل، وشحنها بالإيمان بالله وبقدره، وحمّلها بمعاني الإيمان والرجاء في النصر والعون من الله سبحانه. نظم **أبو حمو** هذه القصيدة في البحر الكامل. ولم ترد إلاّ في بغية الرواد؛[1] ومطلعها:

قف بالمنازل وقفة المتردّدِ
ما بين نؤي بالطّلول وموقدِ
وإذا مررت على الّربوع مسلماً
فاسئلْ عَنِ القلب الغريب المفردِ

لقد تخلَّى عنه الحليف والقريب والصديق في أحلك الأيام؛ وانساقوا وراء المنافع والوعود المغرية؛ كما اختار آخرون السلامة من كل شرّ محتمل. فوجد **أبو حمو** نفسه ــ في الأخير ــ وحيداً، شريداً؛ لا حليف ولا صديق. ولكنه لم يستسلم لليأس والانكسار؛ فبَعْدَ أن بقي ــ بعض الوقت ــ في نواحي

[1] **ستأتي هذه القصيدة كاملة في الأجزاء الخاصة بالشعراء.**

مـزاب؛ ترقبـاً لمـن سيلحـق بـه مـن فلـول قومـه، وأخلـص النـاس إليـه مـن **بـني عامـر** وغيرهـم. ولمّـا التـأم جمعهـم، وانضمـت إليـه النخبـة مـن أنصـاره؛ انطلـق بهـم في رحلـة عجيبـة؛ جـاب خلالهـا **الصحـراء** والسهـوب الجنوبيـة، وتنقـل مـن مـاء إلى آخـر؛ إلى أن حـلّ بالتخـوم الجنوبيـة **لتلمسـان**؛ فشـن حـرب استنـزاف ضـد **المرينيـين** وحلفائهـم مـن **أعـراب زغبـة والمعقـل**؛ ومـن التحـق بهـم مـن **بـني عامـر**؛ الخارجيـن عنـه. وبعـد تيقنـه مـن استحالـة مواصلـة المقاومـة في تلـك الظـروف؛ عمـل بنصيحـة جماعـة **عبـد اللـه بـن شيقـر ابـن عامـر**؛ فرحـل نحـو الجنـوب؛ إلى حيـث هـو في ملجئـه في **بتيـڤورارين**.

لقـد بـقي **أبـو حمـو** ـ في وضـع الانتظـار ـ إلى منتصـف عـام 774هـ/1372م؛ حيـث تكـرَّر مـا حصـل **لبـني مريـن** مـن قبـل؛ إذ تخلَّـوا فجـأة، ـ وفي حالـة ارتبـاك عـن **تلمسـان**؛ بعـد مـوت أبي فـارس عبـد العزيـز ـ وتسابقـوا إلى عـرش **فـاس**؛ فلـم يجـد وزيـر السلطـان المريـني الهالـك ـ **أبـو بكـر بـن غـازي بـن الكـاس** ـ بـداً مـن التخـلي عـن **تلمسـان**، وتعييـن **إبراهيـم بـن أبي تاشفيـن** ـ الـذي كـان محجـوزاً لديهـم

في **فاس** ــ والياً عليها؛ ثم انطلق مرفوقاً بولد السلطان الميت ــ وكان صبياً في سن الخامسة من عمره ــ سارع به لحاضرة الدولة؛ كي يُنَصِّبه على سدَّة الحكم خلفاً لأبيه. ولكن القائد **عطية بن موسى** ــ وهو أحد موالي **أبي حمو** ــ أفشل خططهم؛ وبادر بامتلاك **تلمسان**، ورفع الدعوة على المنابر لأبي حمو: **((وفي سادس جمادى الأولى؛ ورد على الخليفة ــ نصره الله ــ بالقصر المسمى بقصر أولاد آدم؛ رسل عبد الله بن شيقر (صغير) بالبشارة))**[1]. عندها؛ بعث **أبو حمو** ــ فوراً ــ ولده **أبا تاشفين** أمامه؛ ثم لتحق به؛ ودخل إلى حاضرة ملكه في الرابع والعشرين من جمادى الأولى من عام 774هـ/1372م؛ فاقتعد السرير، وباشر الحكم والتسيير. وقد عبر عن ذلك كله عبد الرحمن بن خلدون بقوله: **((وكانت إحدى الغرائب. وتقبض ساعتئذ على وزرائه، واتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده، وظاهر عليه عدوِّه؛ فأودعهم السجن، وذبحهم ليومهم حنقاً عليهم))**[2].

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص: 486.
[2] العبر، مج: 7، ص: 281.

لقد سلط سيف القصاص على من خانه من الوزراء، ومن تآمر عليه. حيث أمر بقتل: **محمد ابن عمر البريطل، ووادفل بن عبو، وسعيد بن تصاليت.** كما أمر بنفي **الحاج موسى بن علي بن برغوث إلى الأندلس**[1]. ثم انثنى لاستعادة أملاك الدولة الشرقية؛ فجهّز وزيره الوفي **عطيّة بن موسى** بجيش وافر العدة والعدد، وبعثه إلى الجهات الشرقية لإخضاع القبائل الخارجة عن طاعة الدولة، وتمهيد البلاد المغتصبة من قبل **بني مرين**؛ فخرج في آخر جمادى الأولى؛ إذ بدأ **بمغراوة** فاستلحم أبطالهم، وشرد رجالهم، ودمّر ديارهم؛ ثم ربض في مركز دائرتهم المعروف بـ **تيمزوغت**؛ بعد أن افتك منهم ـ قهراً ـ البيعة **لأبي حمو.**

وللعبرة؛ هذه هي حال **بني مرين** في كل مساعيهم التوسعية؛ إذ عجزوا عن الاحتفاظ بما استولوا عليه غصباً في **تلمسان**، وما يتبعها شرقاً؛ منذ قيام دولتهم وإلى نهايتها. كما أن المشهد نفسه يتكرر في كل مرة؛ حين تسارع حاشية الدولة المرينية؛ إلى التخلي عن **تلمسان**، والركض نحو

---

[1] **بغية الرواد، ج: 2، ص: 491.**

فاس؛ خوفاً على عرش الدولة من سطوة الطامعين. وقد تكرر ذلك مراراً؛ كالتالي:

ـ لقد حدث هذا إثر موت **أبي يعقوب يوسف** في معسكره المحاصر **لتلمسان**؛ عندما عقد حفيده الأمير **أبو ثابت** مع **بني زيان** صلحاً؛ وسارع لاقتناص عرش **فاس**.

ـ وحدث ذلك أيضاً خلال غزوة قام بها **أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني لتلمسان** أيام **أبي حمو الأول**؛ فخدعه السلطان الزياني، وأوهمه أنه متفق مع بعض حاشيته على التآمر عليه؛ وبعث إليه الرسائل المتبادلة بينه وبينهم؛ فخاف على عرشه، وانثنى عائداً إلى **فاس**.

ـ كما أن ورود أخبار هزيمة **أبي الحسن** في **القيروان**؛ أجبر ولده **أبو عنان** على إيداع **تلمسان**، بين يدي **عثمان بن جرار**؛ الذي انتقض عليه، واستبد بالمدينة دونه، ودعا لنفسه.

ـ ووقع شبه ذلك أيضاً بعد وفاة **أبي عنان**؛ فانشغل المتنافسون على العرش، وأسلموا الحامية المتواجدة داخل مدينة **تلمسان** لمصيرها المحتوم؛ فسقطت بيد **أبي حمو الثاني**.

ـ وما حدث ـ كذلك **لأبي سالم** ـ يدخل في هذا الاعتبار؛ إذ أجبر على ترك **تلمسان** ـ بعد خمسة أيام من الإقامة بها ـ ووضعها في يد **أبي زيان القبي**، ثم سارع لنجدة مدن مملكته التي اكتسحها عدوه **أبو حمو**.

ـ وبعد موت **أبي سالم**؛ نشبت خلافات داخل الأسرة الحاكمة والحاشية ـ على من يتولى الحكم ـ فاضطر المتنافسون إلى تسليم **تلمسان** إلى **أبي حمو** بواسطة عقد صلح، ثم انطلقوا نحو **فاس**.

ـ وها هو يتكرر المشهد ذاته ـ الآن ـ إثر موت **أبي فارس عبد العزيز**؛ حيث بادر الوزير **أبو بكر ابن غازي بن الكاس** إلى إخلاء **تلمسان**، والركض نحو **فاس**؛ ليتسنى له الاستبداد، ووضع أحد أبناء سيده ذي الخمس سنين على العرش.

المهم؛ أن هذه الشواهد كلها؛ تثبت محدودية الدولة المرينية، وعدم قدرتها على التوسع أكثر مما تمتلكه. ومع هذا لم يستوعب المرينيون الدرس؛ واستمروا في غيّهم إلى أن ما لا نهاية.

وجملة القول؛ فإن المصادر التاريخية مليئة بما جرى للسلطان **أبي حمو** من معاناة، وأضرار؛ نتيجة للعوامل المذكورة. ومع ذلك، فقد استطاع التغلب

والصمود أمام الصعوبات كلها؛ ففرض على أعدائه خططه وأهدافه، وأجبرهم على تكرار مهادنته كلما وضعهم أمام الأمر الواقع. وعلى الرغم من السعي الحثيث والإصرار المرير **لبني مرين** على ضم **تلمسان إلى** ممتلكاتهم؛ إلاّ أنهم أجبروا **في** كل مرة على التسليم بوجود دولة **بني زيان في** حاضرتها **تلمسان**. وقد تكررت غزوات **المرينيين** الخائبة لهذه المدينة مرات عديدة، ربما فاقت؛ العشرين غزوة؛ انتهت كلها بالفشل؛ وبالمقابل؛ بقيت **تلمسان** حاضرة للدولة **الزيانية إلى** سنة 962 هـ/1554م؛ حيث سقطت في عهد **العثمانيين** بيد **صالح ريس**. في وقت؛ كانت الدولة المرينية قد زالت واندثرت منذ زمن.

ولفهم ما جرى **لأبي حمو**، وأسباب هزيمته أمام **المرينيين**؛ يستحسن النظر للموضوع من جوانب عدة، وعوامل شتَّى؛ كانت قد أصابت نظام الدولة الزيانية في عهد هذا السلطان في مقتل. فبالعودة بالذاكرة إلى سياق الحديث؛ بخصوص خروج **أبي حمو** عن **تلمسان**، وتَحَيُّزه إلى قبيلة **بني عامر**؛ وانطلاقهم جميعاً نحو ديار **الدواودة** من **رياح**. وبالمقابل؛ قيام

السلطان **عبد العزيز** بإرسال جيش كبير؛ كلفه بمطاردة السلطان **الزياني** ومن معه؛ والقضاء عليهم.

ففي أثناء ذلك كله؛ حدثت بعض المواقف التي تستحق الإعلان عنها، والتذكير بها، والتأمل فيها:

ـ أولها: تحول أعرب **المعقل**، وفئة من أعراب **بني عامر** ـ أتباع الشيخ **عبد الله بن شيقر (صغير)**[1] ـ وانقلابهم فجأة، وخذلانهم لحاميهم وحليفهم **أبي حمو**؛ الذي أبَى إخفار ذمته بخصوص عشائر **المعقل**؛ فرفض طلب السلطان المريني؛ القاضي بطردهم من حِمى الدولة **الزيانية**. وكان هؤلاء الأعراب من **المعقل** ـ في سابق عهدهم ـ ينتجعون في رحاب الدولة المرينية؛ ولما التحق **عبد الله بن مسلم الزردالي** ـ والي **درعة** ـ **بأبي حمو** رافقوه إلى حمى الدولة الزيانية؛ فأقطعهم **أبو حمو** الأراضي، ونظمهم ضمن حلفائه، وضمّهم إلى دولته؛ عاملاً على الاستعانة بهم؛ ضد قبائل **زغبة**؛ وخاصة **سويد**؛ حلفاء **المرينيين**. وقد حرص السلطان المريني

---

[1] قال يحيى بن خلدون: ((ميز [أبو حمو] به بني عامر، وأعطى مراتبهم المعتادة؛ سِوَى عبد الله بن شيقر [ربما صغير] ابن عامر؛ في أخلاط منهم؛ شايعوا ملك المغرب)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 449.

أبــو ســالــم عــلــى استعادتهــم؛ ولكــن ضغوطــه عــلــى **أبي حمــو** فشلــت. ولمّــا انتصــب السلطــان **أبــو فــارس عبــد العزيــز** عــلــى عــرش **فــاس**؛ أرســل إلى **أبي حمــو** يكــرِّر طلــب **أبي ســالــم**؛ في إخراجهــم مــن أراضي الدولــة الزيانيــة؛ غيــر أن هــذا الأخيــر رفــض ـ أيضــاً ـ التخــلي عنهــم. فوجــد **أبــو فــارس عبــد العزيــز** في رفضــه ذريعــة لغــزو **تلمســان**. غيــر أن أولئــك **الأعــراب**؛ لــم يــردّوا التحيــة بأحســن منهــا؛ بــل خذلــوا **أبــا حمــو** في محنتــه، وتخلــوا عنــه عندمــا احتــاج إليهــم؛ فتكاسلــوا عــن نصرتــه. والأدهى والأمــر؛ أنهــم انضمــوا إلى صفــوف عــدوِّه السلطــان المريــني؛ فــازداد قــوة وعنفوانــاً بهــم:[1] ((**وانتبــذ قبيــل عبيــد اللــه كافــة إليــه** [أي إلى السلطــان المريــني]؛ **خديعــة، ولؤمــاً، وكفــراً للإنعــام**))[2].

ـ وثانيهــا: تحــول **عبــد الرحمــن بــن خلــدون** عــن **أبي حمــو**، وقبولــه القيــام بــدور المحــرِّض ضــدّه. مــع أنــه

---

[1] ((وتحيز من كان معه من عرب المعقل الأحلاف وعبيد الله إلى السلطان عبد العزيز؛ بمداخلة وليهم ونزمار؛ واجتمعوا إليه، وسرح معهم صنائعه؛ فارتحلوا بين يديه، وسلكوا طريق الصحراء. وبلغ خبر تحيزهم وإقبالهم [إلى ملك المغرب] إلى أبي حمو؛ فأجفل هو وجنوده، وأشياعه من بني عامر، وسلكوا إلى البطحاء. ثم ارتحلوا عنها، وعاجوا على منداس، وخرجوا إلى بلاد الديالم؛ ثم لحقوا بوطن رياح؛ ونزلوا على أولاد سباع بن علي بن يحيى)). العبر، مج: 7، ص: 683.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص: 444.

لَـقِي كـل حظـوة وحُسـنى في البـلاط الزيـاني؛ حيـث كـان أخـوه **يحـيى** كاتبـاً للسِّـرِّ لـدى السلطـان **أبي حمـو**؛ كمـا وجـد عبـد الرحمـن مـن هـذا الأخيـر كـل تعظيـم وإكبـار. ولكنـه ــ مـع ذلـك ــ رضي بالتآمـر عليـه، والقبـول بتقمـص دور الدّاعيـة للسلطـان **المريـني**. وفي هـذا؛ يعتـرف **ابـن خلـدون** بنفسـه؛ أنـه توجـه إلى **ريـاح والـدواودة**؛ حاثـاً إياهـم عـلى نبـذ عهـد السلطـان الزيـاني؛ واتبـاع السلطـان المريـني **عبـد العزيـز**.[1]

والعجيـب في الأمـر؛ أن **المرينيـين** ضبطـوه في **هنيـن**؛ قادمـاً مـن **تلمسـان**؛ أيـن كـان في ضيافـة السلطـان **أبي حمـو**؛ الـذي حملـه رسالـة إلى **ابـن الأحمـر**

---

[1] يقول عبد الرحمن بن خلدون في هذا السياق معترفاً: ((وسرحني إليهم [أي الدواودة] يومئذ السلطان عبد العزيز؛ يحملهم على الطاعة، والعدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم؛ وسرح فرج بن عيسى بن عريف إلى حصين؛ لاقتضاء طاعتهم، واستدعاء أبي زيان إلى حضرته أو نبذهم عهده. وانتهينا جميعاً إلى أبي زيان؛ ففارقه أولياؤه، ولحق بأولاد يحيى ابن علي بن سباع من الدواودة. وانتهيت أنا إليهم؛ فحفظت عليهم الشأن في جواره؛ كما كانت مرضاة السلطان؛ وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر؛ وأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن غازي؛ فدلوهما على طريقه؛ وأغذوا السير وبَيَّتوهُم بمنزلهم على الدوسن؛ آخر عمل الزاب)). العبر، مج: 7، ص ص: 276 - 277. 684. 936 - 940. أنظر أيضاً تفاصيل هذا؛ في كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، ص ص: 135 - 139.

سلطـــان **غرناطـــة بالأندلـــس**[1]. فقبـــض عليـــه؛ واستعمـــل في مهمـــة دعائيـــة لصالـــح **المرينييـــن**، وضـــد مضيفـــه السلطـــان المذكـــور.

ـ وثالثهـــا: مفارقـــة **بـــني توجيـــن وبـــني راشـــد** صفـــوف **أبي حمـــو** ـ في جهـــات **منـــداس** ـ وتخليهـــم عنـــه في أحلـــك الأيـــام: ((**سِـــوَى رجـــال صبـــر منهـــم**))[2].

ـ ورابعهـــا: تحـــول **يحـــيى بـــن خلـــدون**؛ الأخ الأصغـــر **لعبـــد الرحمـــن**. عـــن الاستمـــرار في خدمـــة **أبي حمـــو**؛ الـــذي يعتبـــر صاحـــب ســـرّه وكاتـــب إنشائـــه المقـــرب لديـــه. لقـــد تخـــلى عـــن سيِّـــده عندمـــا ضاقـــت بـــه الحـــال. ويقـــول هـــو بنفســـه: ((**ومـــن هنـــا** [أي مـــن سبخـــة زاغـــر بنـــواحي الجلفـــة حاليـــاً] **فارقتـــه ـ أيـــده الله ـ لخيـــلات سوداويـــة اعتورتـــني، ونزعـــات شيطانيـــة تجاذبتـــني، وسُـــوء بخـــت تقاعـــس عـــن إدراك الفخـــر برحـــلي، وشقـــاء مكتـــوب أهـــوى إلى درك الخســـارة بي. ولا حـــول وقـــوة إلاّ بالله.**

---

[1] **وأشـار عبد الرحمـن بـن خلـدون إلى هـذا بقولـه: ((وقضى عيـد الأضحى؛ وطلبت منـه [أي مـن أبي حمـو] الإذن في الانصراف إلى الأندلس؛ لتعذر الوجهـة إلى بـلاد ريـاح؛ وقـد أظْلَـمَ الجَـوُّ بالفتنـة، وانقطعت السبـل؛ فـأذن لي، وحَمّلني رسالـة فيمـا بينـه وبين السلطان ابن الأحمر؛ وانصرفت إلى المرسى بهنين)). التعريف بابن خلدون، ورحلته غرباً وشرقاً، ص ص: 133 - 134.**

[2] **بغيـة الـرواد، ج: 2، ص: 445.**

ولـــولا أن أفضـــح مستـــوراً، وأخلـــد في بطـــن الأوراق وصمـــاً مشروحـــاً؛ لأبنـــت مـــا جـــرى، وقلـــت كيـــف كـــان؛ ولكـــن فضلـــه [يقصـــد أبـــا حمـــو] **ومجـــده محـــا السيئـــات، وجـــلا بمنصـــه العفـــو المحاســـن. والاعتـــراف إنصـــاف، والنـــدم توبـــة؛ ولا ذنـــب ــ كمـــا ورد ــ مـــع إقـــرار))**[1].

وربمـــا قصـــد **يحـــيى بـــن خلـــدون** ــ بمـــا ذكـــره في الفقـــرة الأخيـــرة ــ أنـــه تعـــرض لضغـــوط أو إغـــراءات أو مؤثـــرات مـــن جهـــات معينـــة؛ تجنـــب فضحهـــا. وقـــد يكـــون المعـــني بالأمـــر هـــو **عبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون**؛ الـــذي كـــان لـــه تأثيـــر عليـــه؛ إذ اصطحبـــه معـــه إلى **المغـــرب الأقـــصى** ثـــم إلى **بجايـــة**؛ كمـــا كـــان هـــو صاحـــب الفضـــل عليـــه في تعيينـــه في منصبـــه ككاتـــب ســـرّ لـــدى **أبي حمـــو**. وقـــد يكـــون طلـــب منـــه مفارقـــة **أبي حمـــو**؛ عندمـــا اتضـــح لـــه استحالـــة تغلبـــه عـــلى الجيـــش **المريـــني**. وربمـــا حـــاول **يحـــيى بـــن خلـــدون** إخفـــاء ســـرّ أخيـــه؛ مـــع أن أخـــاه اعتـــرف بنفســـه أنـــه قـــام بـــدور المحـــرّض ضـــد السلطـــان الزيـــاني؛ ولـــم يجـــد حرجـــاً في ذلـــك.

---

[1] **بغيـة الـرواد، ج: 2، ص: 445.**

ـ وخامسها: تحول **الدواودة**، ونكثهم **لأبي حمو**؛ مع أنهم حلفاؤه وحلفاء أجداده؛ منذ **يغمراسن بن زيان**. ووصل بهم الحال إلى إفشائهم **للمرينيين** بموضع معسكر **أبي حمو**؛ ودلوهم على المكان المتواجد به في جهات **الدوسن**[1]؛ وبالتحديد؛ في الضفة الجنوبية من **وادي جدي (وادي شدي**؛ كما يسمى أيضاً): **((وخيم سائرهم بوادي شدي؛ على قيد رحلتين منه قبلة))**[2].

ـ وسادسها: تحول **خالد بن عامر** وأتباعه من بني عامر، وانحيازهم لبني مرين أعداء **أبي حمو**[3]. وكان بنو عامر هؤلاء أتباعاً وحلفاء للدولة الزيانية منذ

---

[1] يقول عبد الرحمن بن خلدون: ((وأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن غازي؛ فدلوهما على طريقه [أي طريق أبي حمو]؛ وأغذوا السير، وبيّتوهم بمنزلهم على الدوسن؛ آخر عمل الزاب؛ من جانب المغرب؛ ففضوا جموعهم، وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو بأمواله وأمتعته وظهره؛ ولحق فلهم بمصاب)). العبر، مج: 7، ص: 277. ويضيف في موضع آخر: ((فكانوا أدلاءهم في النهوض إليه؛ ووافوه بمكانه من الدوسن؛ في معسكره؛ من زناتة، وحلل بني عامر؛ والوزير في العبئة وأمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح محدقة به؛ فأجهضوه عن ماله، ومعسكره،؛ فانتهب بأسره، واكتسحت أموال العرب الذين معه، ونجا بدمه إلى مصاب؛ وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة)). العبر، مج: 7، ص: 684.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص: 446.

[3] ((ومنه غرّبَ عنه خالد بن عامر؛ مكراً وخيانة، وركوناً إلى ملك المغرب)) بغية الرواد، ج: 2، ص: 461.

يغمراسن بن زيان؛ الذي جلبهم من مواطنهم الأولى المتاخمة **للزاب ومزاب**؛ وأسكنهم جنوب **تلمسان** ضمن السهوب المُمرعة. ولما قرّر **أبو حمو** استعادة ملك أجداده؛ وجدهم في نواحي **الزاب**؛ أين نزحوا جراء طردهم من ديارهم من قبل **بني مرين** وحلفائهم **بني سويد**. فوجدوها ـ بدورهم ـ فرصة للعودة إلى أوطانهم الغربية؛ فانضموا إلى **أبي حمو**، وشاركوه في مهمته القاضية بإخراج **بني مرين** وحلفائهم **سويد** من **تلمسان** وضواحيها. وتحققت أهدافهم كلها؛ وعادوا إلى ديارهم، وانتظموا في سلك الدولة؛ إذ أضحوا في مقدمة أنصار الدولة وحماتها الأوفياء. ولكن جرت بعض الأحداث المؤلمة؛ فأفسدت النّوايا، وقلبت الأوضاع. من ذلك؛ ما كان يجري في النفوس المريضة بالهلع والغيرة والحسد. إذ قال يحيى بن خلدون أن **صغير بن عامر** شيخ القبيلة المذكورة؛ كان قد تآمر مع سلطان **بني مرين أبي سالم** سنة 761هـ ضدَّ **أبي حمو**؛ إلاّ أن مقتله بيد رجل من **بني عامر** أفشل المسعى[1].

---

[1] **((فبإزاء وطاط؛ اشتجر بنو عامر في قسم الغنائم؛ وحجزهم شيقر [صغير] شيخهم؛ فبقر جوفه سنان رجل منهم خطأ؛ فمات؛ وذلك من**

وبموت **صغير بن عامر** انتقلت رئاسة القبيل المذكور – بتزكية من أبي حمو – إلى **شعيب بن إبراهيم بن عامر**؛ الأمر الذي شطر القبيلة إلى شقين: الأول مع **شعيب** المذكور، والشطر الثاني سار خلف أخيه المنافس له **خالد بن إبراهيم بن عامر**.[1] وقد أثّر كل هذا طبعاً؛ على القدرة الدفاعية للدولة الزيانية؛ لأن تنافس وتشاحن طرفي القبيلة المذكورة؛ زاد في طمعهما وجشعهما؛ بل وصل بهما الحال إلى البحث عمن يدفع أكثر من غيره؛ حتى وإن اقتضى الحال مدّ اليد إلى **بني مرين**. وهذا ما حدث في الأخير **لأبي حمو**؛ حيث تخلى عنه الطرفان – بالتوالي والتناوب – فمرة أتباع شيخهم الجديد **عبد الله بن شيقر** أو **(صغير)**؛ ومرة أتباع **خالد بن عامر**. ووصل بهم الحال إلى محاربته ضمن صفوف **بني مرين**؛ بل ومطاردته عبر الصحراء والفيافي الجنوبية.[2] ومع ذلك؛ فقد

سعادة الخليفة؛ أعلى الله مقامه؛ فقد كان شايع سراً ملك المغرب)). بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 179 - 180.

[1] نفسه، ص: 243.

[2] ((ثم رحل أمير المسلمين أيده الله بقومه وعربه إلى أوماكرا؛ من تل بني راشد؛ ثم إلى تاسالة؛ فمنها انخزل عنه خالد بن عامر بطائفة من - أهل الضلال - قومه؛ أشراً وكفراً للأنعام، وإظهاراً لما أبطنه من النّفاق؛

انحــاز إليــه ــ في الأخيــر ــ جماعــة **عبــد اللــه بــن شيقــر بــن عامــر**؛ حينمــا تحــول **خالــد بــن عامــر** وأتباعــه إلى **بــني مريــن**؛ وشاركوهــم في محاربــة **أبي حمــو** ومطاردتــه في الصحــراء[1]. إذ تحركــت في صدورهــم نــار الغيــرة والحميَّــة؛ فأخفــوه، أوصلــوه إلى **تيــڤورارين** في نــواحي أدرار الحاليــة.

ــ وسابعهــا: خيانــة بعــض الــوزراء وكبــار رجــال الدولــة الزيانيــة **لأبي حمــو: ((وقــد خامــر قلــوب كثيــر مــن أوليائــه** [أي أوليــاء أبي حمــو] **الزيــغ، وران عليهــم الهــوى؛ كــ: محمــد بــن عمــر البريطــل، ووادفــل بــن عبــو، وسعيــد بــن تصاليــت، وخالــد بــن عامــر)).**[2]

وانحاز إلى ملك المغرب؛ بإغراء محمد البريطل، ووادفل بن عبو، وسعيد ابن تصاليت المذكورين)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 464.

[1] ((وأدركه الخبر بنهضة بني مرين وخالد بن عامر في أثره...)). نفسه، ص: 465.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 447 - 448. وقد وصفهم يحيى بن خلدون ـ في موضع آخر ـ بقوله: ((فلقد كان كفار النعم وخونة الله ورسوله؛ رهط الضلال، وحزب الشيطان، ومغلبوا الهوى: محمد بن عمر البريطل، ووادفل بن عبو بن حمدان، وسعيد بن تصاليت. تكالبوا في الفساد عليه، وإعمال الحيل في ضرره؛ فتسري نزغاتهم إلى قلوب أنصاره سماً ناقعاً، وتخرق نمائمهم أسماعها سهاماً مصمية، وتنساب مختلقات زورهم بين الأحياء أراقم ناهشة. والله لا يهدي كيد الخائنين. وربما فاجئوه ـ نصره الله ـ بهجر القول، وأفرغوا له الغش في قالب النصيحة، وأحالوا بين يديه الكريمتين قداح الصداقة المنطوية على البغضاء؛ فيصارفهم بحسن القول، ويجازي بميدان المصانعة أهواءهم، وبغض البصر فيهم على قذاه، ويوطئ قدمه منهم شوك السعدان؛ خلقاً عظيماً، وسياسة فضلى.

فبالنسبة إلى **محمد بن عمر البريطل**؛ يكون قد تولى الوزارة؛ وبدت عليه علامات الظهور والشهرة بعد موت **عبد الله بن مسلم الزردالي**؛ ولكنه يفتقر إلى مزايا ومواهب سلفه. وقد كلفه **أبو حمو** بمهام عسكرية لم يبدع فيها؛ كما أسند إليه مهمة السفارة إلى السلطان **المريني عبد العزيز**[1]. ولكنه لم ينجح في سفارته؛ بل حامت حوله الشكوك، وارتاب بعضهم فيه؛ وقد لمح إلى ذلك يحيى بن خلدون؛ حين قال في تلك السفارة: ((**وفي أول هذه السنة** [سنة 772هـ]؛ **كان ابتداء التمحيص الأكبر، والابتلاء الأشهر... والسبب هو ما خامر رسالة محمد بن عمر البريطل إلى المغرب؛ من الغش والخديعة**)).[2]

ويبدو أن مرافقته **لأبي حمو**؛ لم تكن بنية حسنة؛ وربما تقمص ـ هو وأصحابه الذين أشار إليهم **يحيى بن خلدون** ـ دور الطابور الخامس؛ وهذا ما صرح به ـ مرات عديدة ـ صاحب **بغية الرواد**[3].

وقد علمت ـ أرشدك الله ـ أن مصارعة العدو الظاهر أهون من مصارعة العدو الباطن؛ وأن الحذار من الصديق الخائن أوجب من حذار العدو المجاهر. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله)). نفسه، ص ص: 454 - 455.

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 422. 440.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص: 443.

[3] ((إلاّ أن محمد بن عمر البريطل؛ كافر النعم، والخائن لله ولرسوله، ثم لمولانا الخليفة أيده الله؛ قد أولع بتنفير الرجال، وإعرابه بالنفاق؛

هذه هي بعض العوامل المؤثرة؛ التي رجحت كفة السلطان **المريني عبد العزيز**، وكللته بالنصر ضد عدوه **أبي حمو**. وبالمقابل؛ أفشلت خطط السلطان الزياني في دفاعه عن حاضرة ملكه، والصمود في حربه أمام عبد العزيز المريني. ومع ذلك؛ لم يهنأ **أبو حمو** بالسلم؛ بعد انسحاب بني مرين من **تلمسان**؛ إذ اشتعلت فتنة أخرى في شرق البلاد؛ أشعلها ابن عمه الأمير **أبو زيان**؛ الذي قدم من منفاه في **ورجلاء** (وَرْقْلاَ)؛ فساندته ــ كالعادة ــ بعض القبائل الهلالية **كحصين والثعالبة**. ولكن **أبا حمو** بادرهم بحزم وشدة؛ كما أطلق يده بالأموال لكسب القبائل. فانحازوا إليه أخيراً، وتخلوا عن ابن عمه الذي التجأ إلى منازل **الدَّواودة**. ثم نفطة، فتوزر، وأخيراً **تونس**؛[1] بحثاً عن مساندة السلطان الحفصي؛ دون جدوى.

ويبدو أن **أبا حمو** تعود على الاضطرابات والفتن. فها هو يتحرش **بالمرينيين** ــ بعد أن أحسّ بانفراده في الساحة ــ حينما رحل ابن عمه (أبو

مستعيناً على ذلك بما يخلفه من الإفك، ويزوره من الأباطيل؛ مواصلاً بذلك ليله ونهاره)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 379.

[1] **العبر، مج: 7، ص: 290.**

زيـان) إلى تونـس، وخمـود جـذوة الأعـراب في بـلاده ــ ولأول مـرة يكـون هـو الـذي استفـزّ المرينيـن **بفـاس**؛ حينمـا انسـاق خلـف بعـض حلفائـه مـن أعـراب **المعقـل**؛ ووقوفـه معهـم ضـد السلطـان المريـني **أبي العبـاس أحمـد ابـن أبي سالـم**؛ بـل قيامـه بغـزو ديـاره، وتخريـب بـلاده وإفسـاد عمرانـه؛ الأمـر الـذي أغضـب هـذا الأخيـر؛ فصمـم عـلى غـزو **تلمسـان**. إذ جهـز نفسـه وزحـف بجيوشـه الجـرّارة نحوهـا في سنـة 785هـ/1383م. ومـن غرائـب الأحـداث ومفارقـات الأيـام؛ أن أعـراب المعقـل الذيـن ساندهـم **أبـو حمـو** ضـد السلطـان المريـني؛ وكانـوا هـم السبـب في فسـاد الحـال بينـه وبيـن سلطـان **بـني مريـن**؛ لـم يرتدعـوا في الانضمـام إلى هـذا الأخيـر ومشاركتـه في غـزو **تلمسـان**..[1]!! ولمـا شعـر **أبـو حمـو** بتفـوق السلطـان المريـني مـن حيـث العـدة والعـدد؛ خـرج مـن المدينـة ــ كمـا جـرت العـادة ــ وقصـد **حصـن تاجحمومـت** في نـواحي **البطحـاء**؛ وتحصـن بـه؛ انتظـاراً للمعركـة الحاسمـة.

---

[1] **العبر، مج: 7، ص ص: 294 - 295.**

أما السلطان المريني فقد وجد **تلمسان** شاغرة؛ فدخلها؛ أين قام بتخريب قصور المدينة ذات الشهرة الواسعة، ونسف بساتينها الرائعة؛ حدث ذلك بتحريض **ونزمار** شيخ **سويد: ((ونزل** [أبو العباس ابن أبي سالم المريني] **على مرحلة من تلمسان؛ بعد أن أغراه ونزمار بن عريف ـ أمير سويد ـ بتخريب قصور الملك بتلمسان؛ وكانت لا يعبر عن حسنها؛ اختطها السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين؛ واستدعى لها الصناع والفعلة من الأندلس؛ لحضارتها وبداوة دولتهم يومئذ بتلمسان. فبعث إليهما السلطان أبو الوليد ـ صاحب الأندلس ـ بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس؛ فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين؛ بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله))**[1].

ولم يطل مقام السلطان المريني **بتلمسان**؛ فكعادة **بني مرين** في كرهم وفرهم؛ فقد سارع سلطانهم **أبو العباس** إلى ترك **تلمسان**، والعودة إلى **فاس**؛ عندما علم أن أحد منافسيه على الحكم **(موسى بن أبي عنان)** تغلب على **فاس**، واحتل

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 297.

عرش بني مرين. **وموسى** هذا بعثه سلطان بني الأحمر المتعاطف مع **أبي حمو** ــ وكان قد ألح على السلطان المريني **أبي العباس** بضبط النفس، وعدم غزو **تلمسان**. ولما علم بمخالفته لطلبه؛ جهز الأمير **موسى بن أبي عنان** ــ الذي كان لاجئاً في بلاطه ــ وساعده على العبور للضفة المغربية، ودخول **فاس**. فانتهز **أبو حمو** هذه الفرصة الذهبية؛ فسارع مع أتباعه إلى العودة، ودخول **تلمسان**؛ والجلوس على عرشه. ولكنه فُجع بما حصل لقصوره ومنتزهاته من دمار.

والظاهر أن المصائب لم تتخل عن **أبي حمو**؛ إذ تواصلت الأحداث المؤلمة في طريقه. فبعد انقباض **المرينيين**، وانشغالهم بمشاكلهم الداخلية، وبعد تغلبه على ابن عمه **أبي زيان**، وبعد كسره لشوكة **خالد ابن عامر** ومن معه من أعراب بني عامر وغيرهم؛ انفجر الوضع ــ هذه المرة ــ داخل الأسرة المالكة. إذ دبَّت في وسطهم عاهات الغيرة والتحاسد والتنافس الأسود. لقد كان للسلطان أبي حمو عدد كبير من الأولاد. أكبرهم **أبو تاشفين عبد الرحمن**. وقد أحصى **يحيى بن خلدون** عددهم؛ حين قال:

((وجملتهم الآن بين ذكر وأنثى، وحي وميت ثمانون))[1]. وأهمهم؛ كما ذكر عبد الرحمن بن خلدون: **((كان لهذا السلطان أبي حمو جماعة من الولد: كبيرهم أبو تاشفين عبد الرحمن؛ ثم بعده أربعة لأم واحدة؛ كان تزوجها بميلة من أعمال قسنطينة ـ أيام جولته في بلاد الموحدين ـ وكبيرهم المنتصر، ثم أبو زيان محمد، ثم عمر؛ ويلقب: عُمَيْر. ثم بعدهم أولاد كثيرون؛ أبناء علات))**[2]. لما كَبر الأولاد؛ تطلَّعوا إلى مناصب الدولة؛ فاستجاب لهم أبوهم. ولكن **أبا تاشفين** ـ الذي أسندت إليه ولاية العهد؛ وكان رديفاً للسلطان ـ انزعج من حُنُوٍّ أبيه على إخوته؛ وتقديمهم في الولايات. خاصَّة؛ عندما وزَّعهم على ولايات الدولة؛ **كالمنتصر**؛ الذي ولاّه على **مليانة** وأعمالها، **وأبي زيان محمد**؛ الذي عينة على رأس **لمدية** وما يتبعها من بلاد حصين، **ويوسف بن الزّابية**؛ الذي خصَّه **بتدلس** وأعمالها. كلّ هذا أغاظ **أبا تاشفين**؛ ولكن ما أغضبه أكثر؛ هو نقل أخيه **أبي زيان** من **لمدية**، وتكليفه بولاية **وهران**. وهنا؛ أبدى **أبو تاشفين** تذمره، اعتراضه

---

[1] **بغية الرواد، ج: 2، ص: 491.**
[2] **العبر، مج: 7، ص: 291.**

بكل شدة؛ وطلب ولاية **وهران** لنفسه. ونتيجة لهذا الصراع الداخلي في الأسرة المالكة؛ ذهب **يحيى بن خلدون** ضحية سهلة؛ إذ اغتيل بتحريض من صاحب الشرطة **موسى بن يخلف**[1]، وبأمر **أبي تاشفين** في رمضان من سنة 780هـ/1278م.[2] وتبعاً لإصرار هذا الأخير اضطر **أبو حمو** إلى تلبية طلبه؛ فأعاد ولده **أبا زيان إلى لمدية**؛ وأقطع ولاية **وهران إلى أبي تاشفين**. ولكنَّ هذا لم يقنعه؛ إذ طلب ضمَّ **الجزائر** أيضاً إليه؛ فوافقه أبوه، وأقطعه إيَّاها؛ فأنزل **أبو تاشفين** بها أخوه **يوسف بن الزابية**؛ الذي كان من شيعته.

وجملة القول؛ أن **أبا حمو** بدأ يضيق بمطالب ابنه **أبي تاشفين**؛ كما انتابته شكوك في أهدافه؛ نحوه ونحو إخوته. فتظاهر بالحركة لإصلاح حال **الأعراب** في الجهات الشرقية. وكانت نيته الحقيقية من ذلك؛ هي الاتصال بابنه **المنتصر** في **مليانة**؛ كي يمهّد له الطريق للإستقرار في مدينة **الجزائر**، بغرض اتخاذها عاصمة للدولة الزيانية؛ على أن يترك ولده **أبا**

---

[1] أورد عبد الرحمن بن خلدون قصة مقتل أخيه يحيى؛ بوشاية مغرضة من طرف صاحب الشرطة موسى بن يخلف. أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 292 - 293.

[2] نفسه، ص: 292.

تاشفين في **تلمسان** لحماية الجهة الغربية. ولكن **موسى بن يخلف** صاحب الشرطة ـ وعين أبي **تاشفين** على والده ـ اكتشف ذلك؛ وأخبره بنية والده؛ فركب من يومه، ولحق به قبل أن يصل إلى **المنتصر بمليانة**؛ فاضطر **أبو حمو** عندئذ إلى العودة من حيث أتي. وهنا؛ تلاشت الثقة بين الوالد السلطان، والإبن ولي العهد؛ الذي شدّد العيون على أبيه. وكان هذا الأخير يشعر باستبداد ولده عليه؛ فأراد التخلص من الطوق الذي فرضه عليه بالانتقال إلى **الجزائر**، والاستقرار بها، واتخاذها عاصمة للدولة.

وواضح؛ أن **أبا حمو** لم يتخل عن خطته؛ وإنما أجَّل تنفيذها إلى وقت آخر. وعليه؛ فقد جهز بعض الأحمال من المال؛ وكلَّف أحد ثقاته؛ يسمى **يعلى بن عبد الرحمن** بإيصلها إلى **المنتصر**؛ وأعطاه كتاباً ولاه فيه على **الجزائر**؛ فانطلق إلى وجهته. ولكن صاحب الشرطة **موسى بن يخلف**؛ كشف ذلك، وأخبر **أبا تاشفين** بالأمر؛ فبادر بإرسال من يتعقب القافلة، ويعيدها؛ فلحقوا بها، أعادوها؛ بعد أن اغتالوا **يعلى بن عبد الرحمن**. وكانت هذه الحادثة هي التي فجَّرَت المكتوم، وكشفت ما خفي من

خلافات وشنآن بين الوالد وولده: **((فاستشاط [أبو** تاشفين] **وجاهر أباه، وغدا عليه بالقصر؛ فوقفه عن الكتاب، وبالغ في عذله. وتحيز موسى بن يخلف إلى أبي تاشفين؛ وهجر باب السلطان، وأغرى به ابنه؛ فغدا على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه، وأسكنه بعض حجر القصر، ووكل به، واستخلص ما كان معه من الأموال والذخيرة؛ ثم بعث به إلى قصبة وهران؛ فاعتقله بها؛ واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته. وذلك آخر ثمان وثمانين** [وسبعمائة]...))[1].

ولم يقف الحال عندها هذا؛ بل تمادى **أبو تاشفين** في إبداء سخطه، والانتقام من أبيه وإخوته؛ بتحريض الشلة المحيطة به؛ وعلى رأسهم صاحب الشرطة. فهز جيشاً من **الأعراب** وزحف بهم نحو أخويه: المنتصر بمليانة، **وأبي زيان بلمدية**. وكانا قد سمعا بما فعله أخوهم **أبو تاشفين** بأبيهم؛ فالتحقوا بقبائل **حصين**؛ فأجاروهما، وحموهما في شواهق جبال تيطري. فدخل **أبو تاشفين** بجيشه **مليانة ولمدية**؛ ثم نزل على سفوح **تيطري**؛ محاصراً لأخوية. ومع

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 299.**

طول الحصار في **تيطري**؛ وسوست له شلته؛ بالتخلص من أبيه وإخوته في **وهران**؛ وأوهموه باحتمال خلاصهم من أسرهم؛ فاقتنع بذلك، وأرسل ولده **أبو زيان** مع ابن الوزير **عمران بن موسى**، **وعبد الله بن الخراساني**؛ مرفقين ببعض الفرسان؛ وأمرهم بقتل والده وإخوته في سجنهم **بوهران**. ولما سمع **أبو حمو** بقدومهم أوجس خيفة منهم؛ وصعد إلى أسوار القصبة؛ ينادي الناس، ويستنجد بأهل البلد؛ فلحقت به أفواجهم؛ فتدلى إليهم من أعالى الجدران بواسطة حبل أوصله بعمامته؛ فساعده الناس المجتمعون على الهبوط إليهم؛ وتجمَّعوا حوله. فلمّا سمع **أبو زيان بن أبي تاشفين**، ومن معه الهيعة، وأدركوا التفاف أهل البلد **حول أبي حموا** لحمايته؛ خافوا العاقبة، وفرّوا من المدينة: ((**واجتمع على السلطان أهل البلد؛ وتولى كبر ذلك خطيبهم؛ وجدّدوا له البيعة؛ وارتحل – من حينه – إلى تلمسان؛ فدخلها في أوائل سنة تسع وثمانين** [وسبعمائة]...))[1].

---

[1] **العبر، مج: 7، ص ص: 300 - 301.**

وكانت **تلمسان** في تلك الأثناء مخربة؛ بسبب ما لحقها من دمار وفساد؛ أحدثه **بنو مرين**. فلم تكن بها أسوار تقيها، ولا جند تحميها. فبعث إلى من بقي من **بني عامر**؛ فوفدوا عليه؛ وكانوا قلة؛ لأن معظمهم كان مع ابنه **أبي تاشفين**. ولما سمع **أبو تاشفين** بما حدث في **تلمسان**؛ فكّ الحصار عن أخويه **بجبل تيطري**، وعاد أدراجه بجيشه وأعرابه إلى **تلمسان**. ونظراً لعدم التكافؤ في العدة والعدد بين الإبن وأبيه، وتبعاً لتعذر محاربة **بني عامر** لبعضهم بعضاً؛ وجد **أبو حمو** نفسه مضطراً للالتجاء إلى صومعة المسجد الجامع. فصعد إليه **أبو تاشفين** بنفسه، وأنزله من المئذنة؛ ثم اعتقله ببعض الغرف. ولكن **أبا حمو** رغب من ولده أن يسمح له بالرحلة إلى الحج؛ لقضاء فرضه؛ فوافقه وطلب من بعض تجار **قطلونة**؛ أن يوصله بحراً إلى **الإسكندرية**. فأركبه السفين بأهله من ميناء **وهران**؛ ثم عاد ــ بعد إبحار السفينة ــ إلى **تلمسان**؛ لمتابعة شئون دولته. غير أن **أبا حمو**؛ راود قبطان السفينة وألح عليه في إنزاله **ببجاية**؛ فأسعفه، ورسى بميناء **بجاية**؛ فنزل **أبو حمو** من السفينة بأهله، وبالموكلين

بحراسته. ثم بعث من يخبر **محمد بن أبي مهدي** صاحب أسطول **بجاية**؛ الذي كان مستبداً على أمير البلد. فرحب به، واحتفى بمقدمه، وأنزله في **بجاية** ببستان الملك المعروف باسم "**الرفيع**" وذلك في عام 789هـ/1387م. ثم بعث بالخبر إلى السلطان الحفصي بتونس؛ فشكره على موقفه تجاه **أبي حمو**، وطلب منه: **((الاستبلاغ في تكرمته، وأن يخرج عساكر بجاية في خدمة أبي حمو إلى حدود عمله؛ متى احتاج إليها))**[1].

وكان هذا متنفساً، وفرصة ذهبية سقطت على **أبي حمو**؛ الذي خرج من **بجاية** في أبهة ووجاهة؛ حتى وصل إلى **متيجة**؛ أين استنفر قبائل الأعراب من متيجة، ونواحي أخرى؛ فلبوا نداءه، واجتمعوا حوله. وبعد استكمال التجمع؛ انطلق نحو **تلمسان**؛ حتى وصل **شلف**. أين تبين له أن **بني عبد الواد** انحازوا لولده **أبي تاشفين**؛ بما وزع عليهم من أموال، وما أغراهم به من خير عند الانتصار.

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 302.**

عندئـــذ؛ تــرك **أبـــو حمـــو** ولـــده **أبـــو زيـــان محمـــد** في **شلـــف**؛ بمـــا جمعـــه مـــن أنصـــار؛ وانتقـــل إلى الصحـــراء؛ لتعبئـــة مـــا أمكـــن مـــن قبائـــل **المعقـــل**. وكـــان **أبـــو تاشفيـــن**؛ لمـــا علـــم بوجـــود أخيـــه **أبي زيـــان** في **شلـــف**؛ جهَّـــز لـــه جيشـــاً بقيـــادة ولـــده **أبي زيـــان بـــن أبي تاشفيـــن** وبمعونـــة **محمـــد بـــن عبـــد اللـــه بـــن مسلـــم**. فالتقاهـــم **أبـــو زيـــان بـــن أبي حمـــو**؛ فانقشـــع غبـــار المعركـــة عـــن هزيمـــة شنعـــاء لجيـــش **أبي تاشفيـــن**؛ إذ قتـــل في المعركـــة ولـــده **أبـــو زيـــان**، ووزيـــره **محمـــد بـــن عبـــد اللـــه بـــن مسلـــم**، وجمـــع مـــن بـــني عبـــد الـــواد. وكـــان **أبـــو تاشفيـــن** قـــد انتقـــل بجيشـــه نحـــو الجنـــوب؛ حيـــث يتواجـــد والـــده **أبـــو حمـــو**. ولمَّـــا وصلـــه خبـــر مهلـــك ولـــده ووزيـــره، وانكســـار جيشـــه المتجـــه إلى **شلـــف**؛ خـــاف العاقبـــة، وعـــاد أدراجـــه إلى **تلمســـان**. وبعودتـــه؛ انفـــض عنـــه **بنـــو عبـــد الـــواد**، ومـــن معـــه مـــن **الأعـــراب**؛ فلـــم يجـــد مفـــراً مـــن الهـــروب إلى أحيـــاء **سويـــد**؛ الذيـــن أوصلـــوه إلى البـــلاط **المريـــني**؛ حيـــث استنجـــد **ببـــني مريـــن**. وبالمقابـــل؛ دخـــل **أبـــو حمـــو تلمســـان** في رجـــب مـــن عـــام 790هـــ/1388م؛ أيـــن التحـــق بـــه بقيـــة أبنائـــه؛

وانهمك في حل المعضلات التي تسببت فيها تلك الأحداث المؤلمة.

ولم ينته الصراع عند هذا الحد؛ بل ازداد اشتعالاً؛ بذهاب **أبي تاشفين إلى فاس**؛ إذ حرك المياه الراكدة؛ وحفز السلطان **أبي العباس المريني إلى** فتح أبواب الحنين إلى آمال الماضي، وبعث في نفسه الرغبة الجامحة للتوسع شرقاً وامتلاك **تلمسان**. فلم يتردد في قبول مساعدة **أبي تاشفين**. وبعد مدة؛ جهَّز له جيشاً بقيادة ابنه **أبي فارس**؛ وبعثه معه إلى **تلمسان**؛ فالتقوا بجيش **أبي حمو** في المكان المسمى **بالغيران**؛ أين اشتبك الجيشان؛ فكبا **بأبي حمو** فرسه؛ فقتل قصعاً بالرماح. وذلك في آخر سنة 791هـ/1388م؛ حيث دخل **أبو تاشفين تلمسان**؛ واقتعد كرسي الحكم؛ داعياً على منابره لسلطان **المغرب أبي العباس**.

مات السلطان **أبو حمو**، وبقيت أسطورته ماثلة بين الناس. لقد كان هذا السلطان أعجوبة بحق؛ إذ تفوق على معاصريه من ملوك المغرب كلهم، بامتلاكه لناصية الأدب، والشعر، وسعة الأفق، والقدرة على استيعاب مختلف العلوم. كما كان فارساً مغواراً، وسياسياً محنكاً. لقد حكم زهاء الثلاثين

سنـــة؛ عـــرف خلالهـــا أصنافـــاً متنوعـــة مـــن الشدائـــد والمحـــن؛ فلـــم ييـــأس، ولـــم ينكـــص، ولـــم تخنـــه شجاعتـــه في أحلـــك الأيـــام وأمرِّهـــا. كـــان يستعيـــد مكانتـــه في كـــل مناسبـــة يصـــاب فيهـــا بنكبـــة أو مصيبـــة. فلـــم تخنـــه عزيمتـــه ولا مـــرة. ولـــه شبـــه كبيـــر ـــ في قـــوة الإرادة، والحـــزم ـــ بجـــدِّه مؤســـس الدولـــة الزيانيـــة **يغمراســـن بـــن زيـــان**؛ وإن فاتـــه بالعلـــم وسعـــة المعرفـــة في الآداب. ومـــع هـــذا؛ فهـــو المؤســـس الثـــاني للدولـــة الزيانيـــة؛ بعـــد اندثارهـــا، وزوال أثرهـــا. وقـــد بقيـــت دولتـــه قائمـــة في ظـــل أبنائـــه وأحفـــاده؛ إلى أن قـــدر لهـــا اللـــه بالـــزوال؛ حينمـــا ظهـــر **الأتـــراك** ببـــلاد المغـــرب الأوســـط وإفريقيـــة؛ حيـــث وسقطـــت بيـــد **صالـــح ريـــس** في عـــام سنـــة962هـــ/1554م.

* * *

ـ العمـران والثقافـة:

لـم تعـرف دولـة بـني زيـان؛ منـذ قيامهـا عهـداً شبيهـاً بعهـد **أبي حمـو مـوسى الثـاني**؛ في نشـر العلـوم الدينيـة، والاعتنـاء بالأدب، والتبـاهي بالعمـران. لقـد تفـوق **أبـو حمـو الثـاني** عـن أسلافـه وأخلافـه معـاً في هـذا الميـدان. كمـا عـرف في عهـده علمـاء فطاحـل، وأدبـاء كبـار. وفي هـذا المجـال؛ سيُكْتَـفَى بعلمـاء الديـن وبعـض المتصوفـة؛ بينمـا يـأتي الحديـث عـن الأدبـاء والشعـراء في الأجـزاء الأخـرى.

1 ـ الحـاج أبـو عبـد الله محمـد المصمـودي، مـن أوليـاء اللـه والصالحيـن العلمـاء؛ رحـل إلى الحـج فمـات بصحـراء خليـص بيـن مكـة والمدينـة سنـة 724هـ/1323م.

2 ـ الفقيـه القـاضي المبـارك أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن علـي بـن أبي عمـرو التميـمي. وهـو مـن قضـاة العـدل، وعـرف بالـورع، ينتـمي إلى بيـت علـم ورئاسـة. إذ كـان جـدّه أبـو الحسـن بتونـس، في أيـام المستنصـر، قـاضي الجماعـة وصاحـب العلامـة وكاتـب الإنشـاء، وهـو مـن بيوتـات إفريقيـة المشهوريـن. درس في بلـده عـن الإمـام أبي الطاهـر بـن سـرور، وآخريـن.

وكان قد نزل تلمسان بعد رفع الحصار الأول عنها؛ فولي قضاء وجدة، ثم قضاء تلمسان. فكان عادلاً وفاضلاً. ومن تآليفه: ترتيب كتاب اللخمى على المدونة. وتوفي بتلمسان في حدود 745هـ/1344م.

3 ـ الشريف الرحالة أبو علي حسن بن أبي يعقوب يوسف بن يحيى الحسني السبتي. وهو من أهل الحديث. أخذ عن الأستاذ ابن عبيدة، وابن الشاط؛ ثم رحل إلى المشرق؛ فالتقى علماء كثيرين، وأخذ عنهم؛ منهم: ابن دقيق العيد. ثم عاد إلى تلمسان. ولي القضاء بإفريقية ثم بسواحل تلمسان. وقال عنه يحيى بن خلدون: **((واشتهر فضله، وعلم قدره، فنقل إلى تلمسان، ورأس بها الناس، وولي قضاءها، فعدل ولم تأخذه في الله لومة لائم، ثم جالس السلاطين في أعلى طبقات الحظوة. وكان حافظاً للعلم محققاً للتاريخ))**. وكانت وفاته بتلمسان في سنة 753 أو 754هـ/1353م.

4 ـ الفقيه الرئيس الوزير الحاجب أبو عبد الله محمد التميمي؛ وهو أخو صاحب الترجمة السابقة. يتحلى بهمة وسمو ورئاسة عليا. تولى خطة الحجابة في بلاط السلطان أبي عنان. قال فيه يحيى

ابن خلدون: ((**وحاز ببابه الرياستين، بما لم يعرف لمثله في زمانه، فسلك سنن الفضلاء الأمجاد**))[1].

أسندت إليه إمارة بجاية؛ فمات فيها سنة 756هـ/1355م؛ فنقل جثمانه إلى تلمسان؛ حيث دفن بزاويته القريبة من العباد.

5 ـ الإمام الفقيه الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسيني العلوي. وهو أحد العلماء الكبار في وقته؛ يتصف بالكمال والجلال؛ ويفيظ علماً وديناً؛ استوعب العلوم العقلية والنقلية. أخذ بتلمسان عن ابني الإمام؛ الشيخين: أبي زيد، وأبي موسى، وعن الشيخ الفذ أبي عبد الله الآبلي وعن آخرين، فبلغ بعلمه ورجاحة عقله؛ أقصى حداً في سلامة الإدراك، والتوسع في محصول العلم، وامتلاك الفصاحة وطلاقة اللسان. شيد له أبو حمو موسى الثاني مدرسة بتلمسان؛ كانت معلماً جليلا لنشر العلم. توفي في ذي الحجة في آخر سنة 771هـ/1369م. حيث أمر السلطان أبو حمو الثاني بدفنه بجوار قبر والده أبي يعقوب يوسف؛ تبركاً به.

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 132.**

6 ـ أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى الكومي الندرومي. وهو أحد علماء المذهب المالكي. له ثبت تناول فيه شيوخه؛ وما أجازوه له. توفي في حدود سنة 775هـ/1373م.

7 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القيسي. عرف باسم المشوش. قال عنه يحيى بن خلدون: ((**من أهل العلم والعمل. ومن بيت نباهة وشرف، معروف الدين والصلاح**))[1]. لم يذكر تاريخ وفاته؛ ويبدو أنه كان معاصراً له.

8 ـ الفقيه القاضي الأعرف أبو العباس أحمد بن أحمد القيسي بن المشوش. وهو ابن أحمد بن علي السابق الذكر. يعتبر من كبار الفقهاء، وقضاة العدل؛ هو صاحب يحيى بن خلدون؛ الذي قال عنه: ((**صاحبنا رحمه الله**))[2]. إذن فقد عاصره.

9 ـ الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن المشوش. وهو حفيد أحمد بن علي المذكور أولاً. وكان من الفقهاء الكبار ذوي الصيت الرفيع، ومن المتمسكين بالدين والمتصفين بالورع. قال يحيى ابن خلدون: ((**اختاره مولانا أمير المسلمين [أبو**

---

[1] بغية الرواد؛ ج: 1، ص: 123.

[2] نفسه؛ ص: 123.

حمو الثاني]، **أيده الله، لكتب العلامة والإمامة به، ثم للشهادة على صندوق المال، توسماً فيه للثقة والدين، بارك الله فيه))**[1].

10 ــ القاضي الإمام أبو اسحاق ابراهيم بن علي ابن اللجام. تولى خطة القضاء؛ فاتصف بالعدل والصرامة في تحقيق الحق. يتميز بخط رائع. وكان مدرساً عالي الهمة. قال يحيى بن خلدون: **((ذكر أن رجلاً من خدام المملكة استنقصه بنسبته إلى لجام؛ فقال: اللهم أره عزة الشرع؛ فبعد ثلاث جيء به سكران إليه؛ فأقام عليه الحدّ؛ فكانت هذه من كراماته رحمه الله))**[2]. لا يعرف تاريخ وفاته؛ ولكن يبدو أنه عاصر يحيى بن خلدون.

11 ــ والفقيه أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز بن رحمون. وصفه يحيى بن خلدون بـ: **((الأستاذ الأعرف الصالح))**؛ وقال أنه: **((من قضاة العدل والدين والفضل))**[3]. يبدو أنه معاصر له.

---

[1] بغية الرواد؛ ج: 1، ص: 123.
[2] نفسه، ص: 118.
[3] نفسه، ص: 122.

12 ـ الفقيه أبو العباس أحمد بن يحيى بن عبد الله بن عبد العزيز بن رحمون. وهو ابن أبي زكرياء المذكور سابقاً. تولى القضاء؛ عرف بالحزم والصرامة؛ والتمسك بالدين.

13 ـ الفقيه أبو المهدي عيسى بن عبد العزيز بن رحمون. لا يعرف عنه أكثر من هذا.

14 ـ الفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز رحمون.

وقد أجمل يحيى بن خلدون القول بخصوص أسرة **رحمون** العلمية؛ فقال: **((وكل أهل هذا البيت حتى الآن أهل علم ووجاهة وعدالة وفضل، ومنهم من كتب بباب أمير المسلمين مولانا أبي حمو أيده الله))**[1].

15 ـ الفقيه العدل أبو يوسف يعقوب بن عبد الرحمن بن أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي. من أهل الفضل، والمعرفة.

16 ـ محمد بن عبد الرحمن بن أبي زيد عبد الرحمن الصنهاجي. من الفضلاء، وأهل الدين.

---

[1] بغية الرواد؛ ج: 1، ص: 123.

17 ـ الفقيــه القــاضي أبــو العبــاس أحمــد. تــولى القضـــاء؛ فاتصـــف بالحـــزم والصرامـــة والديـــن.

18 ـ الفقيــه القــاضي أبــو الحســن عــلي المَقَّــرِي. يتصـــف بالعلـــم والديـــن. وهـــو قـــاضي حضـــرة تلمســـان في زمـــن يحـــيى بـــن خلـــدون؛ قـــال عنـــه أنـــه: **((خيِّـــر فاضـــل، عـــلى هـــدي السلـــف الصالـــح، متحـــرٍّ الصـــواب في أحكامـــه، بـــارك الله فيـــه))**[1].

19 ـ الفقيــه أبــو العبــاس أحمــد بــن محمــد التميــمي. وهـــو ولـــد أبي عبـــد اللـــه المذكـــور أعـــلاه. وكـــان مـــن العـــدول الأخيـــار في تلمســـان وفـــاس. لا يعـــرف تاريـــخ وفاتـــه.

***

---

[1] بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 121.

الـدور الرابـع

وهـو دور الضعـف والانحـدار. ودام 171 سنـة (أي مـن عـام 791هـ/1389م إلى سنـة 962هـ/1554م)؛ سنـة انهيـار الدولـة الزيانيـة وزوالهـا نهائيـاً، عـلى يـد القائـد **التـركي بـاي لاربـاي صالـح ريـس.**

ومـن خـلال النصـوص التاريخيـة المتوفـرة؛ يتبيـن مـدى ضعـف هـذا الـدور، واضطـراب أحوالـه. إذ لـم يفـده امتـداده عبـر فتـرة زمنيـة طويلـة ـ بـدأت بمقتـل السلطـان **أبي حمـو الثـاني**، وانتصـاب ولـده **أبي تاشفيـن** عـلى سـدة الحكـم في **تلمسـان**؛ تحـت الوصايـة **المرينيـة** ـ حيـث غـدت سيـادة الدولـة **الزيانيـة** في معظـم الأوقـات ـ خـلال هـذا الـدور ـ ناقصـة وتابعـة للدولـة **المرينيـة** حينـاً، والدولـة **الحفصيـة** حينـاً آخـر؛ إلى أن سقطـت فريسـة للـولاة **الأتـراك** بصـورة نهائيـة.

ومـع ذلـك؛ فقـد تخللـت هـذا الـدور فتـرات قصيـرة؛ حظيـت فيهـا الدولـة بالاستقـلال المطلـق؛ بـل استطاعـت الدولـة في عهـد السلطـان **أبي مالـك عبـد الواحـد بـن أبي حمـو الثـاني** ـ الـذي اعتـلى سريـر

الحكـم في **تلمســان** ســنـة814هــ/1411م ــ مــن انتــزاع المناطــق الشرقيــة **للجزائــر** مــن يــد **الحفصييــن**، وتمكــن كذلــك مــن احتــلال **فــاس** (عاصمــة **المرينييــن**)؛ أيــن نصــب مــن قبلــه حاكمــاً خاضــع لدولــة **بــني زيــان**.

كمــا بــذل بعـض حكـام في هــذا الــدور (**كــأبي مالــك وابــن الحَمْــرة، والعاقــل**) جهــوداً جليلــة في سبيــل اكتســاب عوامــل القــوة لدولتهــم؛ فاجتهــدوا ــ بذلــك ــ في الــذود عــن استقلالهــا وسيادتهــا؛ غيــر أن الانشقاقــات والأطمــاع العائليــة؛ أعاقــت جهودهــم، ونصــرت الأعــداء عليهــم. ونتيجــة لهــذه الانشقاقــات أضــحى السلطــان؛ لا يــدوم في حكمــه أكثــر مــن بضعــة أيــام؛ ثــم يسقــط ويتــولى الأمــر غيــره.

وعــلى هــذا؛ يتبيــن أن السلطــان **أبــا زيــان الثالــث** بــقي في الحكــم عــدة أسابيــع ثــم سقــط. أمــا **أبــو ثابــت ابــن أبي تاشفيــن الثــاني**؛ فيبــدو أنــه ظــل عــلى العــرش مــدة أربعيــن يومــاً. بينمــا استطــاع **عبــد الرحمــن بــن أبي محمــد** المعــروف **بابــن خولــة** البقــاء في الحكــم مــدة شهريــن، أمــا **السعيــد بــن أبي حمــو الثــاني**؛ فقــد كــان محظوظــاً؛ إذ تــولى الحكــم لمــدة خمســة أشهــر..إلــخ.

ملوك الدور الرابع

وملوك هذا الدور من **بني زيان** هم:

ـ **أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني ابن أبي حمو الثاني** (من 791هـ/1389م إلى795هـ/1393م). ثار على أبيه، ومدّ يده إلى أعدائه **بني مرين**؛ عاقداً معهم حلفاً؛ أدّى إلى قتل **أبي حمو الثاني**، وانتصاب **أبي تاشفين** ملكاً على **تلمسان**؛ تحت ظلّ **بني مرين** وحمايتهم[1].

ـ **أبو ثابت بن أبي تاشفين الثاني** (حكم 40 يوماً في سنة 795هـ/1393م). ولكنه قتل ـ مع وزيره وكافله **أحمد بن العز** ـ بيد عمّه **يوسف بن الزابية**.[2]

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 303 - 305.

[2] ثمة اضطراب في خبر هذا السلطان. فبينما يتجاهل ابن خلدون ذكر اسمه؛ ويصفه بـ((صبياً من أبناء السلطان المتوفي))، ثم يسمي كافله؛ فيقول: ((وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم؛ وكان يمتّ إليه بخؤولة؛ فولى بعده ـ مكانه ـ صبياً من أبنائه، وقام بكفالته)). العبر، مج: 7، ص: 307. أما التنسي فيسميه، ويقول فيه: ((ثم بويع بعده ولده المولى أبو ثابت؛ جدّ مولانا المتوكل)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 206.

ـ **أبـو الحجـاج يوسـف بـن أبي حمـو الثـاني المعـروف بابـن الزابيـة** (حكـم مـن سنـة 795هـ/1393م إلى 796هـ/1394م؛ فبـقي في الحكـم 10 أشهـر). وكـان ـ في البدايـة ـ واليـاً عـلى **الجزائـر**. ولمّـا سمـع بمـوت أخيـه السلطـان **أبي تاشفيـن**، ومحاولـة وزيـره وضـع صـبيٍّ صغيـر مـن أبنـاء هـذا السلطـان؛ والقيـام عليـه كـوصيٍّ؛ نهـض إليـه مـن **الجزائـر**؛ فدخـل **تلمسـان**؛ أيـن قتـل الوزيـر والصـبي ابـن أخيـه. ولكنـه لـم ينعـم في مسعـاه طويـلاً؛ إذ دخـل عليـه ـ بعـد فتـرة وفي سنـة 796هـ ـ الأميـر **أبـو فـارس** ابـن السلطـان المريـني **أبـو العبـاس**؛ فاحتـل **تلمسـان**، وألحقهـا بمملكـة أبيـه؛ فهـرب **ابـن الزابيـة** إلى **حصـن تاجحمومـت**؛ حيـث بـقي يترصـد الفـرص للعـودة إلى ملـك أجـداده[1]. ولكنـه قتـل مـن قبـل أنصـار أخيـه **أبي زيـان محمـد**.

ـ **أبـو زيـان محمـد الثـاني ابـن أبي حمـو الثـاني** (مـن 796هـ/1394م إلى 801هـ/1399م). وصـل إلى سـدّة الحكـم في **تلمسـان**؛ بعـد محـاولات فاشلـة؛ ضـد أخيـه **أبي تاشفيـن**؛ منـع فيهـا مـن قبـل **بـني مريـن**. ولـم يتمكـن مـن تحقيـق هدفـه إلاّ بعـد هـلاك السلطـان **أبي**

---

[1] **العبر، مج: 7، ص : 307.**

العباس المريني سنة 796هـ؛ حيث أطلق سراحه **أبو فارس المريني**، وسمح له بالعودة إلى **تلمسان**؛ والتربع على عرشها في ظل **بني مرين**. ويتميز السلطان **أبو زيان الثاني** بسعة العلم[1]، والتفوق في فنون الأدب، وحسن ركوب صهوة الشعر؛ وقد أوردت المصادر قصيدة طويلة غراء بعثها مع هدايا للسلطان **برقوق بمصر**؛ مطلعها:

لِمَنِ الرَّكَائِبُ سَيْرهُنَّ ذَمِيلُ   والصَّبْرُ ـ إلاَّ بَعْدَهُنَّ ـ جَمِيلُ
يَا أَيُّهَا الحَادِي رُوَيْدَكَ إِنَّها   ظُعُنٌ يَمِيلُ القَلْبُ حَيْثُ تَمِيلُ
رِفْقاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْق ظُهُورِهَا   فَالْحُسْنُ فَوْق ظُهُورِهَا محْمُولُ

ـ أبو محمد عبد الله الأول ابن أبي حمو الثاني (من 801هـ/1398م إلى 804هـ/1401م). حكم في ظل **بني مرين**؛ ولما شعروا بخطره على نفوذهم؛ أحضروا أخاه **أبا عبد الله محمد**؛ واصطحبوه معهم

---

[1] قال فيه التنسي: ((نسخ ـ رضي الله عنه ـ بيده الكريمة نسخاً من "القرآن" وحبسها، ونسخة من "صحيح البخاري"، ونسخاً من " الشفاء" لأبي الفضل عياض؛ حبسها كلها بخزانته التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة؛ التي هي من مآثره الشريفة المخلدة من ذكره الجميل؛ ما سرت به الركبان؛ لما أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الأوصاف. وصنف كتاباً؛ نحا فيه منحى التصوف؛ سماه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة")). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 211.

إلى **تلمسان**؛ أين أزاحوا **أبا محمد** ووضعوا مكانه أخاه **أبا عبد الله**[1]. ثم عادوا إلى **فاس** بالسلطان المخلوع أسيراً.

ـ أبو عبد الله محمد الثالث ابن أبي حمو الثاني الملقب بالواثق، والمعروف بابن خولة (من 804هـ/1401م إلى يوم وفاته في 813هـ/1411م). مرت أيامه في سكينة وسلام إلى يوم مماته. فخلفه ولده **عبد الرحمن**.

ـ عبد الرحمن الثالث ابن محمد الثالث المعروف بابن خولة (حكم مدة شهرين تقريباً؛ من 813هـ/1411م إلى 814هـ/1411م). نشبت ـ بعد توليه الحكم ـ فتنة هوجاء؛ جراء دسائس المتنافسين، وتآمر **المرينيين**؛ وختمت بوثوب عمه **السعيد بن أبي حمو الثاني** على سدة الحكم؛ فخلعه، واحتل مكانه.

ـ السعيد بن أبي حمو الثاني (حكم 5 أشهر في سنة 814هـ/1411م). لم يستطع التوفيق بين مداخيل الدولة ومصاريفها؛ الأمر الذي أفقد الخزينة توازنها، وفرغ مخزونها؛ فأراد معالجة ذلك الخلل بفرض الضرائب الجديدة وتحميل الرعية ثقل الطلب. الأمر

---

[1] **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 229.**

الذي أشعل جذوة سخطهم؛ فانتهز **المرينيون** الفرصة؛ فبعثوا إليه ـ كعادتهم ـ الأمير **أبا مالك عبد الواحد** للإطاحة بأخيه. فهرب **السعيد** إلى ملجأه؛ الذي توفي به في سنته.

ـ **أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني (**حكم فترتين؛ الأولى من 814هـ/1411م إلى 827هـ/1424م، وفي الثانية من 831هـ/1428م إلى 833هـ/1430م**)**. أحيا السلطان **أبو مالك عبد الواحد**؛ سنن أسلافه من عظماء ملوك **بني زيان**[1]؛ إذ تمكن من فرض استقلال ملكه عن **المرينيين**؛ بل تغلب عليهم، واحتل عاصمتهم **فاس**؛ ونصب من بين أفراد الأسرة المالكة هناك ملكاً عليهم؛ يأتمر بأمره. كما استرجع ممتلكات أجداده في الجهات الشرقية من

---

[1] **يقول التنسي: ((وكان يقيم ليلة مولد المصطفى، ويحتفي به غاية الاحتفاء؛ ويقيم فيها المنقانة؛ على الوجه المتقدم في رسم والده؛ ويقتفي أثره في المستحسن من عوائده. ونفق ـ في أيامه ـ سوق الأدب، وجاء بنوه إلى بابه ينسلون من كل حدب؛ فينقلبون بجرّ الحقائب؛ ظافرين بجزيل الرغائب)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 236. أما المنقانة المذكورة هنا؛ فهي آلة لقياس الوقت؛ كانت في بلاط أبي حمو الثاني؛ ووصفها يحيى بن خلدون؛ بل نظم مقطوعات شعرية عديدة تنوه بحلول كل ساعة بها.**

تلمسان[1]. وقال فيه **التنسي**: **((وازداد في رفعة ونما؛ حتى صار فيه نسيج وحده؛ لتناهي حزمه وجده. أخذ لأهل بيته من الغرب بثأرهم، وغزا ملوكهم في عقر دارهم، ووجه إليها جيوشاً جاسوا خلالها، وتفيأوا ظلالها؛ فاشتدت بذلك صولته، وامتدت له دولته))**[2].

ولما استفحل أمر **عبد الواحد**، وهدّد المناطق الشرقية **لتلمسان** ـ وكانت تابعة **لبني أبي حفص** ـ نهض **أبو فارس عزوز الحفصي** بجيش ملأ الآفاق؛ وصل تعداده 50 ألفا مقاتل؛ وسحب معه أعراب **إفريقية** في جموعهم الغفيرة. تمكن السلطان **الحفصي** ـ بعد وقائع وملاحم ـ من فتح **تلمسان**، وإخراج السلطان **عبد الواحد** منها؛ فاتجه نحو **المغرب** لاجئاً؛ ونصب **أبو فارس** عوضه ابن أخيه

---

[1] أورد التنسي (ص ص: 236 - 240) قصيدة لشاعر سماه أبا الحسن علي العشاب الفاسي؛ هنأ بها السلطان عبد الواحد على فتح مدينة الجزائر؛ وهي طويلة؛ جاء فيها:

شرف الفتى السمر الطوال الميد ... وصواهل ترد الوغى ومهند

وكتائب معقودة بكتائب ... والسمر تنظم والسيوف تبدد

ويد القسي تبث من أوتارها ... رسل المنايا والقضاء يسدد

إلى أن يقول:

هنأته فتحاً يروقك حسنه ... ذلت لعزته العدى والحسد

[2] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 236.

محمد بن أبي تاشفين (ابن الحمرة) على عرش **بني زيان**؛ على أن يلتزم بالدعاء **للحفصيين.**

وحاول **أبو مالك** ـ أثناء وجوده **بالمغرب الأقصى** ـ إيجاد مخرج لاستعادة ملكه؛ ولكنه فشل. عندها؛ أرسل أحد أبنائه إلى السلطان **أبي فارس الحفصي**؛ عارضاً عليه إعادة المياه إلى مجاريها؛ فقبل السلطان **الحفصي** مساعدته؛ نكاية في **ابن الحمرة**؛ الذي تراجع عما اتفق عليه مع **أبي فارس**؛ وفضل الاستقلال بدولته.

وبالفعل؛ فقد جهّز السلطان **الحفصي** جيشاً بقيادة العلج **جاء الخير**؛ وأمره بمرافقة **أبي مالك عبد الواحد** ـ الذي وصل من **المغرب الأقصى** ـ ومساعدته على استعادة ملكه في **تلمسان.** فتقدم الجيش **الحفصي** نحو عاصمة **الزيانيين**؛ ولما وصل إلى مشارف المدينة؛ اشتبكوا مع جيش **محمد بن الحمرة**؛ وانتهت المعركة بانهزام **الحفصيين**؛ فعادوا من حيث أتوا. ومع هذا؛ فقد عاود **أبو فارس** الزحف إلى **تلمسان** هذه المرة بنفسه؛ مصطحباً معه السلطان **أبا مالك عبد الواحد.** فحاصر حاضرة الدولة حصاراً شديداً؛ انتهى بفتح المدينة

سنة831هـ/1428م، وهروب **ابن الحمرة** إلى الجبال المجاورة؛ باحثاً عن أنصار ومرتزقة؛ فكان له ما أراد؛ إذ استطاع تجنيد بعض **الأعراب** والأحياء **الأمازيغية** المجاورة؛ فزحف بهم إلى **تلمسان**؛ أين دخلها، وقتل عمه **أبا مالك عبد الواحد** سنة 833هـ/1430م.

ـ أبو عبد الله محمد الرابع ابن أبي تاشفين الثاني المعروف بابن الحمرة (حكم فترتين الأولى من 827هـ/1424م إلى 831هـ/1428م والثانية حكم فيها 48 يوماً من سنة 833هـ/1430م). تمت الإشارة إلى الفترة الأولى من حكمه في الفقرة السابقة؛ المخصصة للسلطان **أبي مالك عبد الواحد**. أما الفترة الثانية؛ فانطلقت بدخولة **تلمسان** سنة833هـ؛ وقتله لعمه **أبي مالك** واحتلال عرش **بني زيان** عنوة. ولكن السلطان **الحفصي** لم يتركه ينعم بغنيمته أكثر من 48 يوماً؛ إذ وصل إليه بجيش مهول سنة 833هـ؛ فدخل **تلمسان** وأسر **محمد بن الحمرة**؛ ونصب في مكانه **أبا العباس أحمد (العاقل)**.

ـ **أبو العباس أحمد المعتصم بالله بن أبي حمو الثاني المعروف بالعاقل** (من 834هـ/1431م إلى 866هـ/1461م). مرّت الأعوام الأولى من حكمه في استقرار وهدوء؛ ثم اشتعل ـ فجأة ـ فتيل الثورات الداخلية؛ ولكنه تغلب على بعضها، وكبح بعضها الآخر. هذا؛ وتميز السلطان **أبو العباس أحمد** بالسيرة الحسنة، وبثّ العدل في دولته وتمكين الرعية منه، ونشر العلم، وخدمة العلماء والصالحين. وقد أضفى على دولته مسحة من الهيبة والاحترام. وامتدّ حكمه ـ في **تلمسان** ـ إلى اثنين وثلاثين سنة. أحيا خلالها ما اندثر من الأوقاف، وأضاف إليها أوقافاً أخرى. وبنى مدرسة جديدة في زاوية **أبي علي الحسن بن مخلوف**؛ وأوقف عليها أوقافاً قيمة. ويبدو أنه سلك مسلك أسلافه من ملوك **بني زيان** الرافضين للتبعية، والمتطلعين للاستقلال عن النفوذ الخارجي؛ وبذلك استنفر ضدّه **أبو فارس الحفصي**[1]؛ الذي شدّ رحاله ـ سنة 837هـ/1433م ـ بجيش سدّ الآفاق؛ قاصداً فتح **تلمسان**، وإسقاط **أبي العباس**

---

[1] قال الزركشي: ((وسار متوجهاً إلى تلمسان؛ لما بلغه عن صاحبها الأمير أحمد ابن السلطان أبي حمو موسى بن يوسف الزناتي؛ من التحدّث في الاستقلال؛ كعادة أسلافه)). تاريخ الدولتين، ص: 131.

المعتصم عن عرشه. ولكن شاءت الأقدار غير ذلك؛ حيث هلك في **وانشريس**؛ قبل وصوله إلى هدفه؛ فعاد أتباعه من حيث أتوا. وقال التنسي في المعتصم: ((**وبانت منه في ابتداء أمره شهامة ونجدة؛ توقف لها ـ رهبة ـ كل ذي صولة؛ وعرف مقداره، ولم يتجاوز حدّه. ثم عجز بعد ذلك عن النهوض وكَلّ؛ وتلاشى ما كان له من الهيبة في النفوس واضمحل؛ واستولى المتغلبون على الأوطان، وكثر الثوّار من الزناتية والعربان**))[1]. خرج عليه ـ في سنة 838هـ/1434م ـ أخوه **أبو يحيى بن أبي حمو الثاني**؛ وتبعه في ثورته بعض **الأعراب**؛ ولكنه فشل في تحقيق غرضه؛ فانثنى إلى **وهران**؛ التي استولى عليها سنة 840هـ/1437م. وحاول السلطان **المعتصم** استعادتها مراراً؛ وتم له ذلك في سنة 852هـ/1448م؛ فانهزم **أبو يحيى** عن طريق البحر إلى **بجاية**؛ ثم انتقل إلى **تونس**؛ موضع وفاته سنة 855هـ/1451م. وفي سنة 841هـ/1437م خرج من **تونس** الأمير **أبو زيان محمد المستعين بن محمد أبي ثابت بن أبي تاشفين الثاني**؛ متوجهاً غرباً؛

---

[1] **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 247 - 248.**

قاصداً مملكة أجداده؛ فبدأ ـ سنة 842هـ/1438م ـ باحتلال كل ما مرّ به من أوطان؛ فاستولى على: **الجزائر، ومتيجة، ومليانة، ولمدية، وتنس**[1]. وبذلك؛ اشتدّ الأمر على السلطان **المعتصم (العاقل)**؛ إذ غدت المصيبة مصيبتان؛ فبعد تمرد أخيه **أبي يحيى** في **وهران**؛ ظهر في **الجزائر** ومحيطها خطر جديد؛ يتمثل في **محمد المستعين**[2]. ويبدو أن أهل **الجزائر**؛ اشتد ضيقهم من أحكام **المستعين**؛ فتآمروا عليه وقتلوه سنة 843هـ/1439م[3]. ومن بين الثورات التي أزعجت ـ أيضاً ـ السلطان **أبا العباس أحمد المعتصم**؛ ثورة ابن أخيه **أحمد بن الناصر بن أبي حمو الثاني** ـ سنة 850هـ/1446م ـ ذلك الأمير الذي جمع حوله فئة من الساخطين المتمردين؛

---

[1] قال التنسي: ((فلما وصل وطا حمزة [البويرة حالياً]؛ بايعه أولاد بليل [من بني يزيد من زغبة]، ثم بايعته مليكش [من صنهاجة]، ثم بنو عمر بن موسى؛ أهل إيلي، ثم جمهور الثعالبة، وبعض حصين. وتوجه إلى الجزائر؛ فحاصرها مدة طويلة؛ حتى ضاق الأمر بمن فيها؛ ففر مقاتلوها، وأذعن من بقي فيها، وأسلموا البلد)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 250 - 251.

[2] ((وعظم سلطانه، وارتفع شأنه؛ وفرّ إليه كثير من بني عبد الواد؛ أهل تلمسان؛ وعظم أمره على صاحب تلمسان؛ حتى أنساه ذلك همّ وهران)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 251.

[3] ذكر عبد الرحمن الجيلالي أن محرك الثورة ضده؛ هو أبو يحيى بن أبي حمو صاحب وهران. أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص: 197.

فادوا باسمه ملكاً على **تلمسان**؛ ولكن ثورتهم أجهضت في مهدها؛ وقتل الأمير **أحمد بن الناصر**. وإذا كان خطر **محمد المستعين**؛ قد زال بهلاكه في **الجزائر**؛ فإن خطر ولده **أبي ثابت المتوكل** بقي ماثلاً وقائماً؛ بل قادماً بتأنٍ وثبات؛ لأن هذا الأخير؛ واصل تحقيق أهداف أبيه؛ حتى احتل **تلمسان** في سنة 866هـ/1461م. وخلع عمّ أبيه **أحمد المعتصم**؛ الذي لجأ ـ بعد خلعه ـ إلى مقام **أبي مدين شعيب**؛ في قرية **العباد**. ولكنه لم يُتْرَك في ملجئه؛ حيث نُفِي ـ إثر ذلك ـ إلى **الأندلس**. فسعى منها إلى تشكيل قوة؛ انطلق بها من مدينة **الجزائر**؛ بغرض استعادة عرشه في **تلمسان**؛ ولكنه فشل في تحقيق هدفه؛ بعد حصار دام 14 يوماً؛ وانتهى عمره طبيعياً، وختم مسعاه في سنة867هـ/1463م؛ حيث دفن في **العباد**.

ـ أبو ثابت أبو عبد الله محمد الخامس المتوكل على الله بن أبي زيان محمد المستعين بالله بن محمد أبي ثابت بن أبي تاشفين الثاني بن أبي حمو الثاني (من 866هـ/1462م إلى 890هـ/1485م)[1]. كان

[1] ثمة غموض في تاريخ وفاة أبو ثابن محمد الخامس؛ بسبب شح المصادر. ومع هذا فبارجيس يقول أنه بقي في الحكم مدة 21 سنة غير

في **تنس** عندما قتل والده **المستعين** في **الجزائر**؛ فأخطأته سهام الأعداء؛ حيث واصل مسعى والده؛ فاحتل **تنس، ومستغانم، وتمزغران، ووهران**؛ ثم قفز إلى **تلمسان**؛ التي فتحها سنة 866هـ، وخلع **أحمد المعتصم**؛ كما سبق ذكره. وواجهته منذ البداية فتن أشعلها أفراد من الأسرة المالكة. وأولى الفتن هي فتنة السلطان المخلوع **أحمد المعتصم**؛ الذي عاد من منفاه **بالأندلس**؛ ونزل **بالجزائر**؛ أين اجتمعت إليه بعض الأحياء من **الأعراب، والأمازيغ**؛ زحف بهم نحو **تلمسان**؛ فحاصرها ــ كما ذُكِر ــ 14 يوماً؛ ولكنه توفي أثناء ذلك؛ حيث دفن في **العباد**. وجاء في ركاب **المعتصم** جماعة من الأسرة المالكة؛ منهم: الأمير **محمد بن عبد الرحمن بن أبي عنان ابن أبي تاشفين الثاني**. واصل حصار **تلمسان** هو ومن معه؛ ولكنهم صُدّوا عنها؛ فانسحب مع أتباعه. وقال **التنسي** في أمرهم: ((**فارتحلوا، وتفرقت جموعهم. فمنهم من راجع خدمة أمير المسلمين، ومنهم من تمادى في غيِّه**))[1]. غير أن **التنسي**؛ يشير

شهرين. واستند في قوله على مخطوط قديم لديه؛ ولكنه لم يسمه. وأشار أيضا محمود بوعياد في تعليق له على كتاب نظم الدر؛ أن هذا القول ورد كذلك في ملحق البغية.

[1] **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 257.**

ــ فيمــا بعــد ــ إلى ثائــر آخــر سمــاه "**الأميــر محمــد بــن غاليــة**". واصــل تمــرده ضــد الدولــة؛ إلى عــام 868هــ/1463م؛ الــذي قتــل فيــه. ولــم يذكــر **التنــسي** مــن نسبــه ســوى هــذا. ولكــن يفهــم مــن بعــض عباراتــه احتمــال أن يكــون هــو **محمــد بــن عبــد الرحمــن ابــن أبي عنــان بــن أبي تاشفيــن الثــاني**[1] نفســه. مــن ذلــك قولــه مواصــلاً حديثــه السابــق: ((**وصــدر الأميــر محمــد بــن غاليــة إلى وجــدة**)). إذن؛ فقــد يكــون مــن بيــن الجيــش المحاصــر **لتلمســان**؛ ثــم صــدر ــ بعــد الفشــل ــ إلى **وجــدة**. ويواصــل **التنــسي** قولــه؛ بعــد مقتلــه: ((**ثــم جــيء مــن الغــد بجســده؛ فدفــن مــع صاحبــه بالعبــاد**))[2]. وصاحبــه طبعــاً هــو **أحمــد المعتصــم**.

في عهــد السلطــان **أبي ثابــت محمــد الخامــس (المتوكــل)**؛ زحــف الجيــش **الحفــصي** نحــو **تلمســان**. جــاء ــ عــلى رأســه ــ السلطــان **الحفــصي أبــو عمــرو عثمــان**؛ يقــال أن خروجهــم مــن **تونــس** وقــع في سنــة 866هــ/1462م؛ أي السنــة الــتي انتصــب فيهــا السلطــان **المتوكــل** عــلى عــرش **تلمســان**. ولمــا وصــل وطــن **بــني**

---

[1] يكون قد عرف بابن غالية؛ مثلما عرف آخرون باسم الأم؛ كابن الزابية، وابن الحمرة.. إلخ.

[2] الاقتباس الأول والثاني في ص: 258.

راشد؛ قابلته أحياء من **أعراب سويد، وبني يعقوب، وبني عامر، والدواودة**؛ بالإضافة إلى بعض أعيان **بني عبد الواد**؛ أبدوا جميعهم سخطهم على السلطان **الزياني**، وبالمقابل أعربوا عن ولائهم التام **للحفصيين**. ومن جهة أخرى وصل من **تلمسان** وفد؛ أرسله السلطان **المتوكل** إلى **أبي عمرو الحفصي**. ضمّ الوفد نخبة من علماء **تلمسان** وأعيانها الأجلاء؛ وهم: الشيخ **أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي القاسم العقباني، والشيخ أحمد بن الحسن**؛ وخال السلطان **أبو الحسن علي بن حمو ابن أبي تاشفين**. قدم له هذا الوفد بيعة السلطان **الزياني**، وعرض عليه الصلح. فقبل **أبو عمرو** عرضهم؛ وعاد إلى حاضرة ملكه. غير أن **أبا ثابت المتوكل**؛ تراجع عن موقفه بعد عامين؛ حيث أعلن سنة 868هـ/1463م عن إسقاط الدعوة **الحفصية**؛ وطرد عمالها من مملكته. ثم تراجع عن موقفه؛ وعاد عنها ساعياً للإستقلال. وفي هذا الوقت بالذات؛ شنّ **أعراب بني عامر وسويد** حملة تحريض ضدّه؛ لدى السلطان **الحفصي أبي عمرو**؛ فما كان منه سوى تجهيز جيش، والتحرك نحو **تلمسان** في أواخر

سنة 870هـ/1465م. حيث استقر في **المنصورة** سنة 871هـ/1466م؛ جاعلاً منها منطلقاً لقتال **تلمسان** ومحاصرتها. وبعد جولات عديدة؛ انصبّ المطر غزيراً عليهم؛ فأثقل حركتهم؛ وفي تلك الأثناء خرج قاضي **تلمسان** – مع أعيان البلد – إلى السلطان **الحفصي** عارضين عليه الصلح، والسلام. وقدموا له كتاب البيعة؛ حرّره السلطان **محمد المتوكل** بيده؛ جاء فيه: ((**شهد على نفسه؛ عبد الله المتوكل عليه؛ محمد لطف الله به؛ ولا حول ولا قوة إلاّ بالله؛ وأعطى ابنته بكراً؛ للمولى أبي زكرياء يحيى ابن المسعود**[1]**؛ دون خطبة**))[2]. وكانت هذه الحملة؛ آخر حملات التدخل **الحفصي** في شئون **تلمسان**. أما **أبو ثابت المتوكل** فقد ظل متربعاً على عرشه إلى يوم وفاته **بتلمسان** في سنة 890هـ/1485م؛ حيث خلفه ابنه **تاشفين**.

– تاشفين بن أبي ثابت محمد المتوكل بن أبي زيان محمد المستعين بالله (حكم 4 أشهر في سنة 890هـ/1485م). لم يكد يجلس على العرش؛ حتى

---

[1] **هو حفيد أبي عمرو وولي عهده؛ وسلطان بني أبي حفص بعده. تولى الحكم في تونس بعد وفاة جدّه سنة 893هـ/1488م؛ وتوفي بالطاعون في سنة 899هـ/1493م.**

[2] **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص: 158.**

وافتــه المنيــة فجــأة؛ بعــد أشهــر أربعــة. فتــولى بعــده أخــوه **محمــد الســادس ابــن أبي ثابــت المتوكــل.**

ـ أبــو عبــد اللــه أبــو ثابــت الثــاني محمــد الســادس ابــن أبي ثابــت المتوكــل (مــن 890هــ/1485م إلى 902هــ/1496م). شُغِــل ـ منــذ توليــه ـ بالفتــن المشتعلــة، وبُــؤر الفــوضى المتناويــة في دولتــه؛ فكــان ضعيــف الإرادة، عليــل النفــس؛ فبــقي هكــذا إلى أن تــوفي سنــة 902هــ/1496م؛ دون أثــر ينــوّه بــه، أو عمــل يمجــد أسمــه. وبموتــه؛ خلفــه **محمــد الثابــتي.**

ـ أبــو عبــد اللــه محمــد السابــع بــن أبي ثابــت الثــاني المعــروف بالثابــتي[1] (مــن 902هــ/1496م إلى 909هــ/1503م). اشتهــر هــذا السلطــان بالنباهــة وحســن التدبيــر؛ ولكنــه عــاش في فتــرة زمنيــة رديئــة؛ انحطــت فيهــا المجتمعــات المغربيــة إلى أبعــد الحــدود؛ وفســدت أحوالهــا: الاجتماعيــة والسياسيــة والثقافيــة، وتراجعــت قيمهــا الخلقــة، وانهــارت نظمهــا الاقتصاديــة، وانكمشــت حياتهــا المعيشيــة، وتفككــت الجيــوش التابعــة لــدول المنطقــة كلهــا. وفي هــذا الزمــن بالــذات؛ وفي سنــة 895هــ/1490م بالتحديــد؛ سقــط صــرح الإســلام في

---

[1] سماه أحمد توفيق المدني "أبو زيان الثالث الملقب بالمسعود". أنظر كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص: 108.

الأندلس، ودُكَّت أسوار **غرناطة**، إذ اجتاحتها الجيوش **النصرانية**؛ ودخلتها ملوحة بألوية النصر؛ التي أذرفت دموع آخر ملوك الإسلام ـ من **بني الأحمر** ـ في تلك الديار. فخرج من قصره طريداً شريداً نحو **وهران**؛ ثم انتقل بعدها إلى حاضرة الدولة **الزيانية تلمسان**؛ فاستقبل من قبل السلطان **محمد ابن أبي ثابت** بحفاوة وإكبار. غير أن وجود السلطان **أبي عبد الله محمد الزغل بن سعد** في تلمسان؛ أغضب الملك **الإسباني فرديناندو الخامس**[1]؛ خوفاً من تعاظم شأنه، ووقوف القبائل **المغربية** خلفه؛ من أجل نصرته، والعودة به إلى **الأندلس**. ولكن السلطان **الزياني** طمأنه، وسكّن من روعه، وأزال غضبه؛ حين سافر إليه في **إسبانيا**؛ مصحوباً بهدايا رفيعة القيمة؛ شملت بعض الخيول الأصيلة، والجواهر

---

[1] ترجم أحمد توفيق المدني نصاً؛ نقله من المجلة الإفريقية جاء فيه: ((وبعد انهيار مملكة غرناطة؛ طلب الملك أبو عبد الله أن يتسحب مع ذويه إلى بلاد المغرب؛ فتحرج فردينادوا وإيزابيلا من ذلك حرجاً كبيراً؛ خشية أن يطلب ... الملك مدداً من الشمال الإفريقي يأتي به لنجدة المسلمين. إنما تمكن الراهب خمنيس بعد من إقناعهما؛ بأن لا خطر البتة من وراء هذا الانسحاب إلى المغرب؛ لأن حالة الخلاف والشقاق المستحكمة الحلقات بالبلاد الإفريقية الشمالية؛ لن تسمح لأهلها البتة بالإقدام على مثل هذا العمل)). كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص: 68.

الكريمـــة، التحــف الثمينـــة؛ يقـــال أنهـــا عبـــارة عـــن لؤلـــؤة ملكيـــة التصنيـــف، فخمـــة المظهـــر، نـــادرة الوجـــود. ثـــم مجموعـــة مـــن الطيـــور الذهبيـــة المعـــدن، الخالصـــة التكويـــن، الرفيعـــة العيـــار؛ مـــن بينهـــا دجاجـــة مـــن الذهـــب الخالـــص؛ يحيـــط بهـــا ستـــة وثلاثـــون نقفـــاً. وهـــذا يعـــطي صـــورة صادقـــة؛ لمـــا وصـــل إليـــه البـــلاط **الزيـــاني** مـــن البـــذخ الصـــارخ، والتبذيـــر الراســـخ. كمـــا يلاحـــظ هنـــا؛ أن السلطـــان **محمـــد الثابـــتي** بذهابـــة إلى بـــلاط ــ **فردينـــادو الخامـــس** ــ قـــام بخطـــوة غيـــر موفقـــة؛ سَـــنَّ بهـــا عـــادة رديئـــة؛ قلّـــده فيهـــا غيـــره ممـــن جـــاء بعـــده؛ كمـــا أوحى لكثيـــر مـــن رعيتـــه أن الاتصـــال بالعـــدو أمـــر لا ضـــرر منـــه. وعـــلى هـــذا؛ فقـــد كثـــرت اتصـــالات الملـــوك والأعيـــان ــ فيمـــا بعـــد ــ بالبـــلاط **الإسبـــاني**، والقـــادة **الإسبـــان**؛ المحتليـــن لديـــار الإســـلام. المهـــم؛ أن السلطـــان **محمـــد بـــن أبي ثابـــت**؛ واجـــه بعـــد فتـــرة قصيـــرة؛ اضطرابـــات؛ أفقدتـــه عرشـــه؛ إذ وثـــب عليـــه عمـــه **أبـــو حمـــو الثالـــث**؛ فأطـــاح بـــه، واستـــولى عـــلى ملـــك **الزيانييـــن بتلمســـان**. وزجّ بالسلطـــان **محمـــد** ابـــن أخيـــه في السجـــن. وتعتبـــر الفتـــرة القادمـــة أســـوأ الفتـــرات الـــتي مـــرت بالدولـــة **الزيانيـــة**؛ حيـــث تـــردّت الأوضـــاع السياسيـــة، وتفككـــت الروابـــط الاجتماعيـــة، وانهـــارت القيـــم

الأخلاقيــة تمامــاً؛ حــتى أضــحى التحالــف مــع الأعــداء **الإسبانييــن** مــن الأمــور العاديــة المألوفــة؛ بحيــث كــان سلاطيــن **بــني زيــان** يتداولــون الأدوار؛ في استرضــاء الغــزاة **الإسبانييــن**، والوقــوف معهــم صفــاً واحــداً ضــد الإخــوة والأبنــاء.

ـ أبــو حمــو الثالــث المعــروف بابــن قلمــون بــن محمــد الخامــس (حكــم في فترتيــن: الأولى مــن 909هـ/1503م إلى 923هـ/1517م، والثانيــة في 924هـ/1518م سنــة وفاتــه). وصــل إلى الحكــم بانقــلاب ضــد ابــن أخيــه **محمــد بــن أبي ثابــت** في سنــة 909هـ. افتتحــت الفتــرة الأولى مــن حكــم هــذا السلطــان؛ بظهــور أخطــار خارجيــة مدمّــرة؛ بــرزت بوادرهــا ـ فيمــا سبــق ـ بالمؤامــرة الخطيــرة الــتي حبكهــا **بابــا الكاثوليــك**؛ في مؤتمــر **طــور ديــزلاس" TORDESILLAS**؛ في سنــة 899هـ/1494م؛ عندمــا حــثّ أتباعــه عــلى إزالــت الممالــك الإسلاميــة في **الشمــال الإفريــقي**. فوُزِّعــت ـ عندئــذ ـ الأدوار؛ بيــن **الإسبانييــن والبرتغالييــن**؛ بحيــث يتــولى الأولــون شــواطئ **الجزائــر**؛ بينمــا تتــرك شــواطئ **المغــرب الأقــصى للبرتغالييــن**. وتــم التطبيــق الفعــلي لخطتهــم ـ بعــد حمــلات استطلاعيــة

وعمليات تجَسُّسِيَّة[1] ــ حيث تمكن جيش الأسطول البحري **الإسباني** سنة 911هـ/1505م ــ وفي عهد **أبي حمو الثالث** بالذات ــ من احتلال **المرسى الكبير** المجاور **لوهران**. غير أنهم كُبِحوا وهُزِموا شرّ هزيمة في قرية **مسرغين**؛ حينما حاولوا التوغل داخل المنطقة. ومع هذا؛ لم تُفحم هذا الهزيمة **الإسبانيين**؛ إذ عاودوا الكرّة؛ بتحريض وتمويل **الكاردينال كسيمنس**. تمّ ذلك بانطلاق الأسطول **الإسباني** من **قرطاجنة** سنة 915هـ/1509م؛ فحلّ **بالمرسى الكبير**؛ وبعدها انتقل **إلى وهران**؛ فلم يثبت أمامهم جيش **بني زيان** في تلك الجهة؛ كما أن أولئك الغزاة؛ وجدوا عوناً ودعماً من قبل **أعراب بني عامر**[2]، **وبني شافع**، **وحميان**.. وغيرهم.

---

[1] **ترجم أحمد توفيق المدني نصاً** للمؤرخ **" ف. أبروديل"؛ قال فيه: ((أن جاسوساً من الجواسيس الذين أرسل بهم فرديناندو إلى بلاد المغرب العربي؛ قد أرسل إلى ملكه تقريراً مفصلاً؛ جاء فيه: "أن كامل بلاد شمال إفريقيا يجتاز فترة انهيار نفسي؛ يظهر معها؛ أن الله قد أراد أن يجعل هذه البلاد ملكاً لصاحبي الجلالة المسيحية.."))**. **حرب** الثلاثمائة **سنة بين الجزائر وإسبانية، ص: 68.**

[2] **كتب الشيخ أبو العباس أحمد بن القاضي عبد الله بن أبي محلي السجلماسي قصيد في هذا الغرض؛ جاء فيها:**

فمن مبلغ عني قبائل عامر ولا سيما من قد ثوى تحت كافر
وكل كمي من صناديد راشد بتيجانهم مع رأسها عبد قادر

إلى أن يقول:

أناشدكم بالله ما عذر جمعكم لدى الله في وهران أمر الخنازر

فاستولوا على **وهران**؛ بعد أن فتح أبوابها قائدان أؤتمنا على المدينه؛ فخانا الأمانة[1]. وأدت هذه الهزيمة؛ إلى خضوع واستكانة؛ أبداهما السلطان **أبو حمو الثالث**؛ الذي مال إلى استرضاء **الإسبانيين**، وتلبية مطالبهم؛ في مقابل بقائه في الحكم. ومنذئذ؛ اعتلَّت النفوس، وانقسمت الجهود، وعميت القلوب؛ بحيث أضحت هذه البؤرة الجهنمية **في وهران**؛ بمثابة الطاعون الذي يتسرب إلى الناس؛ فيقتل هذا، ويصيب هذا؛ وينتقل من محفل إلى آخر، فينشر العدوى، ويبثّ الفساد في الأعضاء السليمة؛ فتصاب بالمرض الخبيث.

---

[1] حديث شريف عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)). رواه البخاري ومسلم. وسجل أحمد توفيق المدني خبر هذه الخيانة بقوله: ((كان [قائد الإسبان في المرسى الكبير] قد اشترى بذهب وفير، وبوعود جمّة؛ لا حدّ لها؛ ذمة اليهودي اشطورا - من مهاجري الأندلس؛ من الذين انقذتهم نفس مدينة وهران من المحارق الإسبانية - وقد كان اشطورا هذا؛ قابض المكوس العام لمدينة وهران؛ واشترى هو - بنفس الوسيلة وبنفس الطريقة - ذمة اثنين من قابضي المكوس؛ الذين يعملون تحت إدارته؛ وهما القائد الخائن عيسى العريبي، والقائد الخائن ابن قانص. فبينما المسلمون على الأسوار، ووراء الأبواب؛ يستعدون للحملة الكبرى؛ تجمعت الجموع الإسبانية حول باب من أبواب المدينة؛ وقع الاتفاق من قبل عليه. وفي الساعة المعينة؛ فتح اشطورا والخونة الذين معه الباب؛ فتدفق الإسبان إلى داخل المدينة؛ كأنهم السيل الجارف...)). كتاب حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص ص: 109 - 111.

ولـم يقـف **الإسبانيـون** عنـد **وهـران**؛ بـل واصلـوا تنفيـذ مخططهـم فاحتلـوا مدنـاً شاطئيـة عديـدة؛ **كغنابـة في** سنـة 914هـ/1510م، **وبجايـة** سنـة 915هـ/1511م، **وجيجـل** سنـة 920هـ/1514م؛ ثـم **دلـس، وشرشـال، وهنيـن** في سنـة 938هـ/1531م. وبالمقابـل واجـه ملـوك **المغـرب** كلـه؛ العـدوان الخـارجي بالجبـن والخـذلان واللامبـالاة؛ إذ تخلـوا عـن مهمتهـم الأساسيـة في الـذّود عـن أراضيهـم، وحمايـة رعاياهـم؛ وعجـزوا عـن التصـدي للعـدوان الخـارجي؛ واكتفـوا بالانكمـاش داخـل قصورهـم المرفهـة، والانغمـاس في البـذخ والنعيـم الفائـض، والسقـوط في الملـذات المعيبـة؛ والحـرص كـل الحـرص علـى استخـلاص الضرائـب ونهـب قـوت الرعيـة، وتكديـس الثـروة في مخازنهـم. ومـن بيـن هـؤلاء الملـوك ـ طبعـاً ـ السلطـان **الزيـاني أبـو حمـو الثالـث**. هـذ السلطـان الـذي أحجـم عـن إنقـاذ مدينـة **وهـران**؛ الواقعـة تحـت سلطانـه. إذ صمـت علـى عـدوان صريـح ومكشـوف. فانجـر عـن انخذالـه، وتقوقعـه علـى نفسـه في قصـره **بتلمسـان**؛ أنـه شجـع بعـض الطامعيـن مـن الأسـرة **الزيانيـة** المالكـة؛ علـى العصيـان والتمـرد.

وهذا الطموح الطامع؛ هو الأمير **يحيى بن الثابتي**؛ وهو أخو السلطان السابق المخلوع **محمد ابن أبي ثابت**. ثار ضد عمّه **أبي حمو الثالث**؛ ولم يجد وسيلة أمامه؛ كي يحقق أطماعه؛ سوى الاستعانة **بالإسبانيين** المتواجدين **بوهران**؛ فدعموه في حربه؛ التي خسر بعضها وكسب أخرى؛ وانتهى به الأمر بامتلاك **تنس** سنة 912هـ/1506م، واقتطاعها من جسم الدولة **الزيانية**. وبذلك يكون هذا الأمير قد فتح باباً آخر من أبواب جهنم؛ لم يتسنى ـ بعد ذلك ـ له ولا لغيره أن يقفله أبداً؛ إذ غدا هذا التصرف الشاذ وهذا السلوك الغريب؛ عادة جارية ((موضة))؛ اتبعها السلاطين فيما بعد؛ ومنهم طبعاً؛ **أبو حمو الثالث** بالذات؛ الذي أحرز قصب السبق في هذا النهج السقيم.. كل هذا أدى إلى تفكك الشعب، وانشغال الناس بقضاياهم وهمومهم الخاصة؛ وأهملوا ما تمليه المصلحة العامة؛ حيث عملوا بمقتضى الحديث الشريف **((عليك بخاصة نفسك))**.. عند فساد الناس؛ حدث كل ذلك؛ بعدما سئم **الشعب الجزائري** من ملوكه وأمرائه؛ وانقطع حبل الصلة والوصاية بين الطرفين؛ نتيجة لتخاذل أولئك السلاطين وقعودهم عن حماية شعبهم. عندئذ قامت فئة مستنيرة من

العلمـاء والأعيـان؛ بالـدّور المنـوط بأولئـك الملـوك؛ فنظمـوا أنفسهـم ضمـن مجموعـة متماسكـة؛ تكفلـت بمفاوضـة أهـم القـوى الخارجيـة المتواجـدة في الساحـة آنئـذ كـ **(الإسبانييـن والأتـراك والجنوييـن والبندقييـن... إلـخ)**. ومـع هـذا؛ لـم تُجْـد مسـاعي أعيـان **الجزائـر** الحميـدة؛ لأن **للإسبانييـن** أهدافـاً محـددة؛ كانـوا يحققونهـا خطـوة بعـد خطـوة. بذلـك غـدت معظـم مـدن الشـاطئ **الجزائـري** تحـت أيديهـم؛ بمـا في ذلـك مدينـة **الجزائـر** نفسهـا. عندهـا تـمّ الاتصـال بالإخـوة: **عـروج وخيـر الديـن**؛ إذ طُلِـب منهـم تـرأس البـلاد؛ مقابـل حمايـة العبـاد، ورفـع لـواء الجهـاد؛ في سبيـل الإسـلام؛ ديـن الحـق والرشـاد.

وعليـه؛ فبعـد اتصـال أولئـك الأعيـان **بالإسبانييـن**[1]؛ تبينـت لهـم أطماعهـم التوسعيـة وأهدافهـم الصليبيـة؛ لـذا فقـد تحولـوا نحـو الأخويـن "**باربـاروس**" **أُرُوج (عُـروج)**

---

[1] تشكل وفدٌ من أعيان الجزائر برئاسة الشيخ سالم التومي الثعالبي؛ لمفاوضة القائد الإسباني في بجاية "بيدرو نفاري"؛ فقابلوه في شوال من سنة 916هـ/1510م. أين وقعوا على معاهدة مجحفة بشروطه التعجيزية. ولما انتقلوا إلى إسبانيا لمقابلة ملكها "فرديناند الخامس" اشترط عليهم التنازل عن إحدى الصخرات البحرية؛ من بين الصخرات الأربع؛ المقابلة لمدينة الجزائر؛ فتم له ذلك؛ وشرع الإسبان في بناء حصن بها " البنيون" سنة 915هـ/1509م.

وخير الدين[1]؛ **ابني يعقوب بن يوسف المدلي التركي**. بعد أن ذاع صيتهما، وتناقل الناس أخبارهما الجهاديّة ضد **الصليبيين**. إذ كان هذان البحّاران **التركيّان** يجولان بعمارتهما البحرية[2] في عرض **البحر الأبيض المتوسط**؛ أين قاما بإنقاذ عدد كبير من **الموركسيين**[3] الفارّين من جحيم **الصليبين في الأندلس**؛ فكان **عروج** وأخوه ينتشلانهم من هول الأمواج التي تلطم مراكبهم الصغيرة، وينقذانهم من مطاردة **الصليبين** المميتة، ويحميانهم من مهالك الأمواج ومصائب الأيام؛ حيث ترسو عمارتهم بهم على شواطئ **الجزائر وتونس**. أين يجدون المأوى الأمين، والعيش الكريم. فكانت ثمار الاستنجاد بهما؛ أنهما توصلا إلى تطهير أرض الإسلام من دنس الاحتلال الصليبي؛ حينما طردا **الإسبانيين والجنويين** من **جيجل والجزائر وشرشال**[4]؛ الأمر الذي حفّز **أحمد ابن القاضي**؛ أمير **كوكو بزواوة**؛ على الاستنجاد

---

[1] اسمه ـ في الأصل ـ خرسوف؛ فنصح بتغييره إلى خير الدين؛ ففعل.

[2] العمارة تتشكل من عدة مراكب بحرية. وقد انطلقا ـ في البداية ـ بثلاثة مراكب؛ مجهزة بأسلحة ضاربة. ثم تضاعفت مع مرور الوقت.

[3] اسم أطلقه نصارى إسبانيا على مسلمي الأندلس؛ بعد سقوط غرناطة.

[4] تم فتح جيجل سنة 920هـ/1514م. والجزائر والشرشال في سنة 922هـ/1516م

بعروج؛ إذ وجه له رسالة؛ جاء فيها: **((إن بلادنا بقيت لك ولأخيك، أو للذئب))**[1]. كل هذه الأحداث الصاخبة كانت تجري؛ وملوك **بلاد المغرب** كافة في سبات عميق، ومنشغلين باللهو الصفيق. من بينهم السلطان **أبي حمو الثالث**.

وبعد استقرار **عروج وخير الدين** في **الجزائر** فترة قصيرة؛ بغرض تنظيم الصفوف، وترتيب شئون الحكم؛ بادرا فوراً إلى الزّحف سنة 923هـ/1517م نحو **تنس**؛ لتأديب الأمير **يحيى بن محمد بن أبي ثابت**؛ الذي ارتمى في أحضان **الإسبانيين**؛ طمعاً في عونهم على استعادة ملك أبيه في **تلمسان**. واقتضت خطة الاستيلاء على **تنس**؛ أن يهاجمها **خير الدين** عن طريق البحر؛ بينما ينقض عليها **عروج** من البر. وبالفعل نجحت خطتهما في فتح المدينة، وقتل أميرها **يحيى بن الثابتي**.

وباحتلالهما لمدينة **تنس**؛ قدم إلى **عروج** وفدٌ من أعيان **تلمسان**؛ فاشتكوا من الحالة المتردية في عاصمة **الزيانيين**، وعرّفوه بما يجري بين أفراد الأسرة المالكة من صراعات، ومنافسات مريبة؛ وما

---

[1] **تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 15.**

يحدث من اتصالات ومؤامرات بينهم وبين **الإسبانيين**؛ بما فيهم السلطان **أبو حمو الثالث** نفسه[1]؛ الذي يستمد نفوذه وقوته من **الإسبانيين** في **وهران**. ثم عرضوا عليه القدوم إلى حاضرة الدولة؛ ودخول المدينة؛ فاتحاً، ومحرراً. استجاب **عروج** بدون تردد؛ لأنه كان يعلم حجم الفساد المتفشي في عاصمة **المغرب الأوسط**. وعليه؛ فقد تقدم ثابت الخطى نحو **تلمسان**؛ فدخلها سنة 923هـ/1517م؛ وأجلس على عرش الدولة السلطان **أبو زيان أحمد ابن أبي ثابت**[2]؛ وهو الذي وثب عليه **أبو حمو الثالث** ـ من قبل، وسجنه ـ بينما لجأ **أبو حمو** إلى مدينة **وهران**؛ مستنجداً **بالإسبانيين** فيها.

ـ أبو زيان أحمد الثاني ابن عبد الله الثاني (حكم وتوفي في سنة 923هـ/1517م). لم تطل مدة حكم هذا السلطان؛ لأنه أبى الخضوع للنفوذ **التركي**؛ فعمل على إخراجهم من **تلمسان**[3]، وحارب **عروج**

---

[1] تحول أبو حمو الثالث إلى مجرد تابع للملك الإسباني؛ بعد الاجتماع به في مدينة برغوس BURGOS؛

[2] تضاربت الأقوال في التعريف بهذا السلطان. إذ اكتفى أحمد توفيق المدني بتسميته بـ "أبي زيان الثالث المدعو المسعود" بينما سمّاه عبد الرحمن الجيلالي "أبا زيان أحمد الثاني ابن عبد الله الثاني".

[3] يبدو أن هذا التوجه؛ تبناه أهل تلمسان أنفسهم؛ وفي ذلك يقول أحمد توفيق المدني: ((أن أهل تلمسان الذين استنجدوا بعروج، وفتحوا له

وأتباعه؛ ولكنه قتل أثناء المعركة الدائرة بينه وبين جيش **عروج**[1]. وانتهز **أبو حمو الثالث** فرصة نشوب الحرب بين ابن أخيه **وعروج**؛ فطلب عون

أبواب المدينة، وتلقوه على الرّحب والسّعة؛ لكي ينقذهم من الملك أبي حمو صنيعة الإسبان، ولكي يجلسوا على العرش أبا زيان؛ لم يكونوا في أغلبيتهم يريدون أن يتعدى الأمر ذلك؛ لم يكونوا يريدون أن يخسروا استقلالهم، وأن يفقدوا ملكهم؛ الذي تركه لهم جدّهم يغمراسن العظيم. فما كادت تنتهي فورة الجدل الأولى؛ ولم يكادوا يعلمون أن عروج يريد أن تصبح تلمسان ومملكتها جزءاً من دولة ضخمة هي الدولة الجزائرية؛ حتى تخلوا عنه؛ بل ناصبه أكثرهم العداء)). حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص: 193. ويبدو أن السبب غير هذا في نظري؛ لأن الدولة الجزائرية لا يمكن أن تُرْفَض من قبل سكان تلمسان؛ خاصة وأن الجزائر كانت تابعة ـ يوما ما ـ للدولة الجزائرية الأم؛ وعاصمتها تلمسان. وإنما حقيقة رفضهم؛ تكمن في مسعى الأخوين عروج وخير الدين؛ لضمّ تلمسان والجزائر إلى الباب العالي في اسطمبول. وقد أشار إلى هذا ابن الضياف في كتابه إتحاف أهل الزمان؛ حينما تكلم عن ذهاب خير الدين للسلطان التركي سليم؛ حاملا معه السكة المضروبة باسمه، ومبشراً إياه برفع الدعاء باسمه على منابر الجزائر. وذكر ابن الضياف أيضاً؛ أن السلطان الحفصي محمد بن الحسن اشتد حذره من خير الدين بعد هذا؛ كما بعث للسلطان الزياني في تلمسان يحذره منه، أنظر إتحاف أهل الزمان، ج: 2، ص: 11.

[1] هذه رواية من الروايات. أما الرواية الأخرى؛ فأشار إليها أحمد توفيق المدني؛ حيث قال: ((فلم يستقر الوضع بتلمسان إلاّ قليلاً؛ حتى عادت الفتن والدسائس سيرتها الأولى؛ يغذّيها الإسبان من جهة، ويغذيها صاحب العرش والطامعون في العرش من جهة أخرى. وهكذا؛ نشبت فتنة في تلمسان ـ والإسبان يتربصون بها الدوائر ـ وتولى كبر الفتنة نفس السلطان (أبو زيان)؛ وأشياع عمه أبي حمو معاً؛ فخرج عروج من تلمسان حيناً؛ ثم عاد إليها، وقتل أبا زيان، وجماعة من قرابته وأنصاره، مع رؤوس الفتنة، ورجال المشاغبة)). حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، ص: 189.

الإسبانيين، وزحف معهم نحو **تلمسان** سنة 924هـ/1518م؛ فتقدموا إليها من محورين: الأول سار فيه **أبو حمو** مع فئة من أتباعه، وقوة من **الإسبانيين**؛ فتوجهوا في البداية إلى قلعة **بني راشد (هوارة)**؛ أين يتواجد **إسحاق بن يعقوب** شقيق **عروج**؛ ففتحوها؛ ثم قتلوا **إسحاق** بعد خروجه منها. وبعدها انطلقوا نحو **تلمسان**.

أما المحور الثاني؛ فيبدأ بساحل **أرشقون**؛ حيث انطلق منه الجيش **الإسباني** نحو **تلمسان**؛ والتقى الجمعان أمام المدينة **الزيانية**؛ فشدّدوا عليها الحصار مدّة ستة أشهر؛ اضطر بعدها **عروج** إلى تركها، والخروج منها؛ بعد أن يئس من وصول المدد إليه[1]. فخرج مع رفقائه يترصد المدد؛ ولكنه اصطدم بجيش **الإسبان**؛ فالتحم معهم في معركة غير متكافئة؛ ختمت باستشهاده في سنة 924هـ/1518م.

---

[1] اختلفت الروايات حول خبر هزيمة عروج من تلمسان؛ كما اختلفت في موضع استشهاده؛ حيث يرى بعضهم أنه توفي سنة 924هـ/1518م في زاوية سيدي موسى بجبل بني يزناسن. أما الرواية الأخرى فيرى أصحابها أنه استشهد في واد المالح؛ الواقع بين تلمسان ووهران. وقد أورد عبد الرحمن الجيلالي خبراً أجمع عليه مصدران: الأول ما ذكره أبو راس؛ إذ جاء فيه أن المعركة بين عروج والإسبان؛ وقعت في جبل بني موسى (جبل بني يزناسن) يوم عيد الفطر من سنة 935هـ/1529م. والخبر الثاني؛ ما ورد في المجلة الإفريقية؛ بتحقيق المؤرخ الفرنسي بريقجير. وجاء فيه نفس ما ذكره أبو راس.

وخلاصـــة القـــول؛ أن عــرش **تلمســـان**؛ عـــاد إلى **أبي حمـــو مـــوسى الثالـــث** لفتـــرة قصيـــرة؛ حيـــث شـــاعت الأقـــدار أن يمـــوت **هـــذا السلطـــان** التعيـــس في السنـــة الـــتي دخـــل فيهـــا إلى **تلمســـان**، وفي السنـــة الـــتي استشهـــد فيهـــا **عـــروج** أيضـــاً. فانتقـــل الحكـــم إلى **أبي محمـــد عبـــد اللـــه الثـــاني ابـــن أبي ثابـــت**؛ وهـــو الـــذي عـــرف بلقـــب **المتوكـــل عـــلى اللـــه**.

ـ أبـــو محمـــد عبـــد اللـــه الثـــاني ابـــن أبي ثابـــت الثـــاني المعـــروف بمحمـــد المتوكـــل عـــلى اللـــه (حكـــم في فترتيـــن الأولى مـــن 924هــ/1518م إلى 925هــ/1519م وعـــاد في السنـــة نفسهـــا إلى سنـــة وفاتـــه في 930هــ/1524م). حـــاول هـــذا السلطـــان مســـك العصـــا مـــن وسطهـــا؛ ولكنـــه لـــم يوفـــق؛ لأن وضـــع **الأتـــراك** وأنصارهـــم مـــن **الجزائرييـــن لا** يمكـــن تسويتهـــم بميـــزان واحـــد، أو تثمينهـــم بمعيـــار واحـــد مـــع **الإسبانييـــن**؛ لـــذا؛ كـــان فشـــل هـــذا السلطـــان حتميـــاً. لأن موقفـــه يتناقـــض مـــع رغبـــة سكـــان **تلمســـان**؛ الذيـــن يفرقـــون ـ إلى حـــدٍ مـــا ـ بيـــن **الإسبانييـــن الصليبيـــن، والأتـــراك المسلميـــن**. ويبـــدو أن بيـــت الـــداء هنـــا؛ هـــو جـــدّ السلطـــان **عبـــد اللـــه** لأمّـــه؛ وهـــو شيـــخ أحـــد أحيـــاء **بـــني عامـــر**؛ المدعـــو **عبـــد الرحمـــن بـــن رضـــوان**. فقـــد

أظهـر هـذا الشيـخ جهـلاً كبيـراً، وأبـدا عقوقـاً فاضحـاً؛ أودى بـه وبحفيـده إلى مهـاوي الهـلاك، وساقـه في طريـق جهنـم. وقـد استغـلّ هـذا الانحـراف، وهـذا التناقـض أخـو السلطـان **عبـد اللـه**؛ الـذي كـان منفيـاً **في المغـرب الأقـصى؛** والمدعـو **أبـا سرحـان المسعـود؛** فعـاد طالبـاً الملـك؛ ولكنـه صُـدّ ومُنـع؛ عنـد ذلـك لجـأ إلى **خيـر الديـن في الجزائـر؛** الـذي ساعـده عـلى الدخـول إلى **تلمسـان؛** والتربـع عـلى عـرش أجـداده.

ـ **أبـو سرحـان المسعـود بـن أبي ثابـت الثـاني** (ثـار وسقـط في سنـة 925هـ/1519م). لمـا تعـذرت عليـه العـودة مـن منفـاه ـ **بالمغـرب الأقـصى** ـ إلى **تلمسـان؛** توجـه إلى **خيـر الديـن؛** طالبـاً مساعدتـه؛ فوافـق هـذا الأخيـر؛ ولكـن بشـروط حُـدّدت في معاهـدة اعتُمِـدت مـن قبلهمـا: وتشتمـل المعاهـدة المذكـورة عـلى عـدة بنـود؛ أهمهـا: التـزام السلطـان **الزيـاني** بالانضـواء ضمـن الدولـة **العثمانيـة**، ثـم الأمـر برفـع الدعـوة للسلطـان **التـركي سليـم** عـلى منابـر **تلمسـان؛** ثـم التعهـد بدفـع ضريبـة سنويـة لخزينـة الدولـة. وبعدهـا؛ جهـزه **خيـر الديـن،** وأعانـه بقـوة أدخلتـه **تلمسـان** سنـة 925هـ/1519م. أيـن أخـرج أخـاه **أبـا محمـد** مـن

المدينة. وبقي ـ في بداية ملكه ـ على عهده المبرم مع **خير الدين**؛ غير أنه تراجع عنه بعد فترة؛ ونقض تلك المعاهدة؛ حيث أعلن استقلال دولته عن أي نفوذ أجنبي. فانهارت بذلك المعاهدة المعقودة بينه وبين **الأتراك**؛ الذين تهيأوا لردّ الصفعة بأشدّ منها. وسرعان ما جاءت الفرصة المواتية؛ حينما ظهر **أبو محمد عبد الله الثاني** من جديد في سنة 930هـ/1524م؛ حينما اتصل **بخير الدين**؛ فاستقبله هذا الأخير بحفاوة وترحاب. والتزم باحترام المعاهدة المعقودة مع سابقه. ولكنه حاول ـ بعد وصوله إلى سدة الملك ـ نكث عهده مع **خير الدين**؛ ولكن **الأتراك** كشفوا له أنياب سخطهم؛ فتراجع عن نواياه فوراً؛ ولم يدم عهده؛ إذ توفي في السنة التي انتصب فيها؛ وهي 930هـ/1524م. فخلفه ولده **محمد السابع**.

ـ أبو عبد الله محمد السابع ابن أبي محمد عبد الله الثاني ابن أبي ثابت الثاني (حكم في فترتين: الأولى من 930هـ/1524م إلى 949هـ/1542م، الثانية في سنة 950هـ/1544م). صحيفة هذا السلطان سوداء؛ في حق أمته ووطنه. افتتح عهده؛ بالانضواء تحت مظلة **الإسبانيين**؛ إذ لجأ إليهم طالباً حمايتهم، وجهر

بعدائه **للأتراك**. وقد أوردت المصادر التاريخية رسالة بعث بها هذا السلطان إلى إمبراطورة إسبانيا **"دونيا إيزابيلا"**؛ جاء فيها: ((**... بل في صحيح علمكم؛ ما هو حالنا عليه؛ من نكاية صاحب الجزائر، وما هو يرومه من تشغيبنا في الباطن والظاهر؛ فعلنا ذلك طمعاً منا في مهادنته، وحيلة لجلب محاسنته. لما أعيانا أمره، واشتد تنكيره وضرّه. أظهرنا له ما كنا نخفيه من عداوته، وقابلناه بما يليق بفساد بيته، وخبث سريرته. وقد توفر الآن عزمنا في إعمال الحركة عليه، والتوجه بكل وجه يمكن إليه؛ فجميع العرب، والقبائل على حربه متفقون، وإلى تضييق حصاره شارعون. وغرضنا منكم؛ أن تبادروا بتوجيه العمارة في الحين والوقت، بالجدّ والعزم؛ وتجتهدوا في ذلك غاية الاجتهاد، والأخذ بالحزم؛ وتكونوا عليه براً وبحراً يداً واحدة، وفئة مساعدة...**))[1]. ولم يتردّد السلطان **محمد السابع** لحظة، ولم يشك في وقوف **الإسبان** معه ضدّ

---

[1] تاريخ هذه الوثيقة يعود إلى سنة 15 جانفي 1533م الموافق لعام 940هـ. أي خلال الفترة الأولى من حكم هذا السلطان التعيس. أنظر الرسالة كاملة في كتاب تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص ص: 225 - 226. وأصلها موجود في دار المحفوظات بقلعة سيمنقا؛ القريبة من بلد الوليد في إسبانيا، وهي ضمن مجموعة الوثائق السياسية الدبلوماسية

الأتــراك. لــذا فقــد جهّــز جيشــه، وزحــف نحــو **الجزائــر**؛ أيــن التــقى بجيــش **خيــر الديــن**؛ الــذي هزمــه، وكســر شوكتــه؛ دون أن تأتيــه نجــدة **الإسبانييــن.** فانهــزم عائــداً إلى **تلمســان**؛ حيــث طلــب الهدنــة، والصفــح؛ فمكّنــه **خيــر الديــن** مــن ذلــك، وعفــا عنــه. وهكــذا.. لــم تغنــه مراسلاتــه **للإسبانييــن**، ولــم يفــده التملــق والتــودّد إليهــم؛ إذ هاجمــوه مــع حلفائهــم **بــني راشــد**؛ فاحتلــوا **تلمســان**؛ أيــن عاثــوا في الأرض فســاداً؛ ونكلــوا بالعبــاد، ونجّســوا المساجــد والأضرحــة، وعبثــوا بكتــب العلــم والتــراث الديــني. الأمــر الــذي أدّى إلى انقــلاب حلفائهــم عليهــم؛ فتحــول نصرهــم إلى هزيمــة، وانكســرت شوكتهــم، وانطفــأت جذوتهــم؛ وقتــل مقاتلوهــم، وأســر مــن بــقي منهــم؛ وأولهــم قائدهــم "**مارطــان دي آكيلــو**". عندهــا؛ جنحــوا للسلــم؛ فعقــد السلطــان معهــم معاهــدة؛ أشعلــت نــار الفتنــة في **تلمســان.** الأمــر الــذي حفــز الأميــر **أبــو زيــان أحمــد** عــلى خلــع أخيــه والقيــام بشئــون الملــك دونــه؛ وذلــك في سنــة 949هــ.

ــ أبــو زيــان أحمــد الثالــث بــن أبي محمــد عبــد اللــه الثــاني (حكــم في فترتيــن: الأولى في سنــة 949هــ/1542م والثانيــة في سنــة 950هــ/1544م). نهــض ــ كمــا سبــق ذكــره ــ ضــد أخيــه؛ فعزلــه، وتــولى الحكــم مكانــه؛ بعــد

الاضطرابات التي اجتاحت **تلمسان**؛ جراء انضواء أخيه تحت نفوذ **الإسبانيين**. ولم يجد السلطان المعزول منفذاً؛ سوى اللجوء **إلى الإسبانيين** في **وهران**؛ محرضاً إياهم على أخيه، وعلى من ناصره من **التلمسانيين**. ولم يكتف السلطان **أبو زيان أحمد** بالجلوس على عرش **تلمسان**؛ بل مدّ يده إلى **الأتراك**؛ ثم هاجم في شهر ربيع الثاني من سنة 949هـ **الإسبان في وهران والمرسى الكبير**. ولكنه لم يوفق بسبب الخيانة المتفشية آنئذ بين المسلمين. ولما عاد إلى مركز ملكه؛ حثّ **أبو عبد الله محمد** الملك **شارلكان** على غزو **تلمسان**؛ فجهز هذا الأخير جيشاً تعداده عشرة آلاف من المقاتلين؛ فاقتحم **تلمسان** عنوة سنة 950هـ/1544م؛ حيث استبيحت، وتركت لعيث وفساد جنود **إسبانيا**؛ كما انهزم السلطان **أبو زيان أحمد**؛ وتمكن من الخروج من المدينة؛ حيث بقي يتربص بأعدائه الدوائر. إلى أن ثار سكان **تلمسان** ضدّ **أبي عبد الله محمد**؛ بسبب جلبه **للنصارى** إلى ديار الإسلام، والسماح لهم بالعيث والإفساد في حاضرة الدولة. فانهزم خوفاً منهم، وترك المدينة؛ باحثاً عن مكان

آمن؛ ولكنه قتل أثناء فراره في ضاحية **أنكاد** بالقرب من **وجدة**.

وما أن عاد **أبو زيان أحمد** إلى **تلمسان**، واستعاد عرشه؛ حتى هجم عليه سلطان **المغرب محمد المهدي السعدي**؛ فدخل **تلمسان** سنة 957هـ/1550م بدون عناء؛ إذ لم يعترض عليه أحد؛ خاصة وأنه أشاع بأنه في طرقه **إلى الجزائر**؛ كي يطرد **الأتراك** منها. وبالفعل تقدم بجيشه لتحقيق هدفه المعلن؛ حيث التقى بجيش **الأتراك** عند **الوادي المالح**؛ القريب من **مستغانم**؛ فكانت الهزيمة **للسعديين**؛ الذين انسحبوا إلى **المغرب الأقصى**. فكانت حملة **السعديين** هذه؛ هي آخر محاولة لملوك **المغرب** للتوغل في أرض **الجزائر** أو الاقتراب من **تلمسان**. وبعد كسر جيش **السعديين**؛ توجه الجيش **التركي** بقيادة **حسن باشا** إلى **تلمسان**؛ فدخلها بسلاسة في السنة المذكورة؛ فعزل السلطان **أبا زيان**، وأقام بدلاً منه **مولاي الحسن**.

ـ **مولاي الحسن بن عبد الله الثاني؛ آخر ملوك بني زيان** (حكم من 957هـ/1550م إلى سنة 962هـ/1554م). لم يحظ بالملك المطلق المستقل؛ إذ وُلِيَ **تلمسان** من قبل **حسن باشا**؛ فغدا بمثابة الوالي التابع **للجزائر**. وتصفه المصادر التاريخية بالعجز في التدبير، والسوء في التسيير، والعسف في التقرير، والظلم المرير. ويقال أنه مال **للإسبانيين** في بعض مواقفه؛ لذا فقذ سخط عليه الشعب، وأجمع علماء **تلمسان** على عدم كفايته، وسوء رعايته، ووجوب عزله، وإنهاء ولايته. عندها؛ بادر **بايلارباي الجزائر صالح ريس** إلى عزله في سنة962هـ/1554م؛ فذهب **إلى وهران** حيث توفي بها سنة 1555/963م. وبذلك انطوت صفحات الدولة **الزيانية بتلمسان**؛ تلك الصفحات الذهبية التي لطخت بأيدي أبنائها في آخر عهدهم. وهكذا سقطت دولة بني زيان نهائياً على يد **الأتراك**؛ وسقط ـ مع بني زيان ـ الدور الريادي لتلمسان؛ كعاصمة للمغرب الأوسط؛ حيث همش الأتراك دور هذه المنارة المشعة بأنوار العلم على البلاد المغربية كلها؛ وبلْ.. وعلى المشرق أيضاً. وفي هذا العهد الجديد أضحت الجزائر هي محط الاهتمام كعاصمة للمغرب الأوسط؛ وحتى

عندما تطلب تخصيص مدينة تسود الجهة الغربية؛ فقد فضل الأتراك **وهران** على **تلمسان**.

* * *

ـ العمـران والثقافـة:

لـم يتسـن للأصحـاب هـذا الـدور بـذل مجهـود عظيـم في ميـدان العمـران والثقافـة. فقـد انشغلـوا بالحـروب والفتـن القبليـة. كمـا أن مواردهـم الماديـة كانـت محـدودة؛ بالإضافـة إلى الجبايـات الـتي تفـرض عليهـم مـن الجـوار. كـل هـذا أفقدهـم روح المبـادرة في ميادين الفـن والأدب والعلـوم المختلفـة. وإذا مـا استثـني بعـض العلمـاء الأفـذاذ الذيـن ظهـروا بمجهودهـم الفـردي؛ فـإن مـا يؤثـر في هـذا البـاب ليـس كثيـراً. كمـا أن ظاهـرة التصـوف والدروشـة ازدادت استفحـالاً في تلـك الأيـام المتصفـة بالإنحـدار والتخلـف. وهـذه مجـرد عينـات عمـا أمكـن تقديمـه مـن العلمـاء والمتصوفـة في الـدور الرابـع هـذا. وقـد تـرك أمـر الشعـراء والأدبـاء لبقيـة أجـزاء الكتـاب.

1 ـ أبـو إسحـاق إبراهيـم بـن محمـد المصمـودي التلمسـاني. عالـم جليـل، وولي صالـح؛ وهـو أحـد شيـوخ ابـن مـرزوق الحفيـد. ودرس في المدرسـة التاشفينيـة بتلمسان عـن سعيـد العقبـاني. تـوفي بتلمسـان إمـا في 804هـ أو في 805هـ/1402م. ودفـن في روضـة ملـوك بـني زيـان بتلمسـان.

2 ـ الفقيه القاضي أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني. ولد بتلمسان في سنة 720هـ/1320م.؛ أخذ العلم عن ولدي الإمام بمدرسة تلمسان. كما درس الأصول عن أبي عبد الله الآبلي، ودرس الفرائض عن الحافظ السطي. ويعتبر سعيد بن محمد العقباني أحد النجباء الأفذاذ؛ وأول من تفوق من أسرته. تولى تدريس العلوم في المدرسة التاشفينية بتلمسان. وولي أيضاً قضاء الجماعة طوال أربعين سنة تقريباً؛ في كل من: تلمسان، وبجاية ووهران، وهنين ومراكش، وسلا. وقال فيه يحيى بن خلدون: **((فحمدت في جميعها سيره عدلاً وجزالة وهو الآن خطيب الجامع الأعظم بتلمسان))**[1]. لقب برئيس العلماء والعقلاء. ومن مؤلفاته: "تفسير سورة الفاتحة"، وتفسير سورتي: الأنعام والفتح"، و"شرح الجمل للخونجي" في المنطق، و"شرح كتاب ابن الحاجب" في الأصول، و"شرح التخليص لابن البناء"، و"شرح قصيدة بن الياسمين" في علم الجبر والمقابلة، و"شرح العقيدة البرهانية" في أصول الدين، و"شرح البردة"، و"شرح الحوفي" في الفرائض. أما تلاميذه

---

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 123.**

فمنهم ولده العلامة القاضي أبو الفضل قاسم بن سعيد، وأبو الفضل بن إبراهيم المصمودي، وأبو يحيى الشريف، وأبو العباس بن زاغو، وغيرهم. توفي أبو عثمان العقباني في سنة 811هـ/1408م.

3 ـ أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني. توفي في حياة والده سنة 840هـ/1337م.

4 ـ أحمد بن عبد الرحمن المغراوي التلمساني؛ الشهير بابن زاغو. ولد في حدود سنة 782هـ/1380م. وهو من المتصوفة الصالحين، ومن المصنفين المحققين. أخذ عن أبي عثمان سعيد العقباني، وعن الشيخ المفسر أبي يحيى الشريف، وآخرين. من مؤلفاته: تفسير الفاتحة، وشرح التلمسانية في الفرائض؛ كما اشتمل كتابا: المعيار المغرب ونوازل المازوني على كثير من فتاويه. توفي بتلمسان في سنة 845هـ/1441م؛ بفعل الوباء.

5 ـ أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني. ولد بتلمسان، وخلف أباه في مرتبة قاضي الجماعة. توفي في سنة 854هـ/1450م. وهو من العلماء الأجلاء بتلمسان.

6 ـ أبو علي الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي المعروف بأبركان. ولي صالح ويلقب بالقطب والغوث. أخذ عن الإمامين: إبراهيم المصمودي، وابن مرزوق الحفيد. كما أخذ عنه الحافظ التنسي، وعلي التالوتي، وأخوه من جهة الأم الشيخ السنوسي؛ الذي كان يقول فيه: **((فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان؛ كان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يضحك إلاّ تبسماً، وكان رحيماً بالمؤمنين، شفيقاً عليهم، يفرح لفرحهم، ويتأسف على ما يسوءهم؛ له سبحة لا تفارقه غالباً؛ لأنه كان لا يفتر عن ذكر الله تعالى طرفة عين. وكان له قبول عظيم من العامة والخاصة؛ مثابراً على رسالة أبي زيد))**[1]. وقد تناقل الناس عنه كثير من الحكايات المثيرة. توفي في سنة 857هـ/1453م.

7 ـ الإمام العلامة داوود بن سليمان بن حسن البنبي. من أهل العلم والصلاح؛ له دراية بعلمي الحساب والفرائض؛ نقل صاحب البستان ما قاله السخاوي عنه: **((ولد سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة بتلمسان؛ ونشأ بها؛ فحفظ القرآن، والعمدة،**

---

[1] **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 74.**

والرسالة، والمختصر الفرعي، وألفية ابن مالك وغيرها. ومن شيوخه قاسم العقباني، والجمال الأقفهسي، والبساطي، والزين عبادة. وبرع في الفرائض، وشارك في العربية وغيرها. ونصدى للتدريس والافتاء؛ فانتفع به الطلبة؛ خصوصاً في الفرائض؛ بحيث أخذ عنه جماعة من الأكابر؛ وأملى على مجموع الكلاعي شرحاً مطولاً؛ فيه فوائد، وكتب على الرسالة شرحاً فيما أخبرني به جماعة. ودرس بالمنكوتمرية، والبدرية، والبرقوقية للمالكية وغيرها))[1]. توفي بالقاهرة في سنة 863هـ/1458م.

8 ـ محمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك، (أبو عبد الله). فقيه وفرضي من أهل **تلمسان**؛ ولد بها وعاش فيها. وهو من علماء الفلك المشهورين. له إلمام بالحساب والهندسة؛ ويعتبر شيخ الحسابيين والفلكيين. له أعمال عن آلة الإسطرلاب. ومن مؤلفاته أرجوزة: "بغية الطلاب في علم الإسطرلاب"؛ ثم "نيل المطلوب في العمل بربع المجيب". وهو كتاب في الأشكال الهندسية. وقام أيضاً بشرح

---

[1] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 101..

تلخيص ابن البنا؛ وله شرح آخر للتلمسانية في الفرائض. توفي في سنة 867هـ/1462م.

9 ـ محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني. سار على نهج أسلافه، في الانشغال بالعلم والتدريس وتولي القضاء. توفي في سنة 871هـ/1466م.

10 ـ الشيخ أحمد بن الحسن الغماري. وهو من الأولياء والزهاد المنقطعين للعبادة وعمل الخير. تنقل بين تلمسان والحناية وندرومة وهنين. توفي بتلمسان سنة 874هـ/1469م.

11 ـ أبو سالم إبراهيم بن قاسم. توفي في سنة 880هـ/1475م.

12 ـ الفقيه العلامة ابو زكرياء يحيى بن أبي عمران موسى بن عيسى بن يحيى المغيلي المازوني. تلقى العلم عن والده، وعن ابن مرزوق الحفيد، وقاسم العقباني، وابن زاغو، وآخرين. ولي قضاء مزونة. ومن مؤلفاته: الدرر المكنونة في نوازل مازونة. وتوفي بتلمسان في سنة 883هـ/1487م.

13 ـ الإمـام السنـوسي محمـد بـن يوسـف بـن عمـر ابـن شعيـب، (أبـو عبـد اللـه السنـوسي الحسـني). أحـد كبـار الأئمـة الذيـن جـادت بهـم **تلمسـان**. ولـد في سنـة 832هـ/1428م، وتـوفي سنـة 895هـ/1489م بتلمسـان.

14 ـ أحمـد بـن أبي يحـيى بـن محمـد الشريـف التلمسـاني. علامـة ومفسـر ومحقـق؛ أخـذ عـن ابـن مـرزوق الحفيـد؛ ولكنهمـا اختلفـا في بعـض القضايـا الفقهيـة. نقـل الونشريـسي تلـك القضايـا في معيـاره. تـوفي أحمـد بـن أبي يحـيى في سنـة 895هـ/1489م.

15 ـ عبـد الواحـد بـن أحمـد بـن قاسـم. تـوفي في سنـة 896هـ/1491م.

16 ـ أبـو عبـد اللـه محمـد بـن محمـد بـن محمـد الغمـاري الكـومي. ولـد بعـد عـام 940هـ/1533م؛ فقيـه، وتـولى الخطابـة بمكناسـة؛ وإلى جانـب الفقـه فهـو نحـوي، ويستظهـر مختصـر خليـل؛ ولـه أيضـاً مشاركـة في علـمي: الحسـاب، والفرائـض؛ إذ كـان أستـاذاً فيهمـا. لا يعـرف تاريـخ وفاتـه.

17 ـ أحمـد بـن محمـد بـن زكـري؛ مـن كبـار فقهـاء المالكيـة، ولـد بتلمسـان وعـاش بهـا حيـث تـولى القضـاء والإفتـاء واشتغـل بالعلـم والتدريـس، تـوفي عـام 899هـ/1493م

18 ـ الفقيه أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي. ولد في جبال ونشريس الجزائرية سنة 834هـ/1430م؛ ونشأ وتعلم في تلمسان. وأخذ العلم عن المفسر النحوي أبي عبد الله محمد ابن العباس، وعن قاسم بن سعيد العقباني، وولده قاضي الجماعة أبي سالم إبراهيم العقباني، وحفيده القاضي محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني؛ ثم أخذ أيضاً عن أحمد بن عيسى بن الجلاب، ومحمد بن مرزوق الكفيف؛ وأخذ أيضاً بفاس عن محمد بن محمد بن عبد الله اليفرني. تعرض في تلمسان ـ خلال كهولته ـ إلى سخط سلطانها أبي ثابت الزياني؛ الذي أمر بنهب داره؛ ففرّ إلى فاس؛ أين استقبله فقهاؤها بحفاوة وإكبار. وفي تلك الديار تولى تدريس المدونة ومختصر بن الحاجب. وللونشريسي عدد كبير من المؤلفات جلها في الفقه المالكي؛ وأهمها: كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب. توفي أحمد الونشريسي في عام 914هـ/1508م.

19 ـ الفقيه والولي الصالح بلقاسم بن محمد الزواوي. يعد من أكابر المقربين من الإمام السنوسي. وممن أخذ عنه: محمد بن عمر الملالي. توفي سنة 922هـ/1516م.

20 ـ الشريف الإدريسي أحمد بن موسى. وهو من الأولياء الصالحين؛ وتلميذ أحمد بن الحاج الورنيدي. تول تدريس القرآن الكريم، والرسالة، والعقائد، وابن الحاجب الفرعي. توفي بعد سنة 950هـ/1543م.

* * *

الحفصيون وتلمسان

دخول **الحفصيين** الأول **لتلمسان**؛ حدث في عهد السلطان **أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص**. تم ذلك؛ عندما راودته نفسه في التوسع نحو الغرب، وامتلاك عرش **الموحدين بمراكش**[1]. إذ كان كغيره من سلاطين: **بني عبد الواد، وبني مرين** في ذلك الوقت؛ يتطلع للإستحواذ على تراث **الموحدين**، ووراثة تركتهم. وقد عزز تطلع السلطان **الحفصي** إلى هذا الأمر؛ أنه يدرك الكيفية التي نشأت بها دولته من رحم الدولة **الموحدية**؛ وكيف استمدت شرعيتها منها. لذا فقد سعى لهدفه المذكور؛ انطلاقاً من ولاية شرعية أسندت إلى الشيخ **أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص**؛ بعقد أصدره الخليفة **الموحدي الناصر**[2] سنة 603هـ/1206م[3]. وعليه؛ فقد بادر **أبو**

---

[1] ((كان الأمير أبو زكرياء ـ منذ استقل بأمر إفريقية واقتطعها عن بني عبد المؤمن كما ذكرناه ـ متطاولاً إلى ملك الحضرة بمراكش، والاستيلاء على كرسي الدعوة)). العبر، مج: 6، ص: 607.

[2] هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي. حكم من سنة 595هـ/1198م إلى سنة 610هـ/1213م. وهو الذي شهد موقعة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/1212م.

[3] أنظر تاريخ الدولتين، ص ص: 18 - 26. والعبر، مج: 6، ص ص: 582 - 583. 591 - 593.

زكريـــاء يحـيى بــن عبـد الواحـد بــن أبي حفــص ــ عندمـــا تـــولى أمـــر **إفريقيـــة** ــ إلى الاستبـــداد؛ وإسقـــاط دعـــوة الخليفـــة **الموحـــدي المأمـــون** ســـنة 626هـ/1228م[1]. ومـــن هنـــا؛ شـــرع في التطلـــع إلى الخلافـــة؛ والتربـــع عـــلى عـــرش **الموحديـــن**، والاستحـــواذ عـــلى إرثهـــم؛ عوضـــاً عـــن **بـــني عبـــد المؤمـــن**. وقـــد دعـــم موقفـــه؛ كونـــه سليـــل الشيـــخ **أبي حفـــص عمـــر الهنتـــاتي**؛ صاحـــب **المهـــدي بـــن تومـــرت**، وأحـــد الأصحـــاب العشـــرة السباقيـــن إلى مبايعتـــه تحـــت شجـــرة الخرنـــوب؛ في ســـنة 515هـ/1121م. وعـــلى هـــذا؛ فقـــد حـــزّ في نفســـه مـــا كـــان يجـــري مـــن وفـــاق وتناغـــم بيـــن **يغمراســـن بـــن زيـــان** والخليفـــة **الموحـــدي المأمـــون**؛ ثـــم **الرشيـــد** مـــن بعـــده[2]. وبعـــد التفكيـــر، والتدبيـــر؛ وجـــد أن طريقـــه إلى

---

[1] تاريـخ الدولتيـن، ص ص: 23 - 24. والعبـر، مج: 6، ص: 594.

[2] ((فاستكبـر السلطـان أبـو زكريـاء اتصـال الرشيـد هـذا بيغمراسـن وآلـه؛ وهـم جـواره بالمحـل القريـب)). العبـر، مج: 6، ص ص: 607 - 608. أنظـر أيضـاً بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 205. وقـد انفـرد التنسـي بروايـة لـم يذكرهـا غيـره؛ جـاء فيهـا: ((ثـم اتفـق أن بعـث الأميـر أبـو زكريـاء بن عبـد الواحـد ابـن أبي حفـص الهنتـاتي هديـة إلى السعيـد؛ حيـن ظـن أنـه استوسـق لـه ملـك المغـرب؛ فتعـرض لهـا يغمراسـن وأخذهـا؛ فانتظـر الأميـر أبـو زكريـاء انتصـار السعيـد لنفسـه في ذلـك؛ فلـم يكـن منـه إلى ذلـك نهـوض؛ فخلـع لذلـك طاعتـه، واستقـل بنفسـه)). تاريـخ بنـي زيـان ملـوك تلمسـان (نظـم الـدر والعقيـان)، ص: 116. غيـر أن هـذه الروايـة لا تنسجـم مـع حقيقـة الأحـداث؛ لأن أبـا زكريـاء استبـد بالحكـم في سنـة 625هـ؛ كمـا أسقـط الدعـوة الموحديـة نهائيـاً مـن منابـره في سنـة 627هـ؛ ونقلهـا إلى العباسييـن في بغـداد.

مراكش؛ لا بد أن تمرّ بمملكة **بني عبد الواد** في **تلمسان**؛ وبذلك؛ شعر بحتمية إخضاع عاصمة هذه الدولة؛ قبل الوصول إلى مبتغاه في **مراكش**. فسعى ــ في بداية الأمر ــ إلى كسب ولاء **يغمراسن**[1]؛ ولكن هذا الأخير رفض التنكر للعهد المعقود بينه وبين الخليفة **الرشيد**؛ ذلك الخليفة الذي: **((ضاعف له البرّ والخلوص، وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة، وعاوده بالإتحاف بأنواع الألطاف والهدايا))**[2]. وعليه؛ قرّر **أبو زكرياء** غزو **تلمسان** وفرض مبتغاه بقوة السلاح. فنهض إلى تلك النواحي في سنة 632هـ/1234م[3]. حيث استفتح حملته بفتح **بجاية والجزائر**، ثم أخضع بلاد **مغراوة** بسهولة؛ ومع أنه وجد مقاومة كبيرة من قبل **بني توجين**؛ إلاّ أنه تمكن من التغلب عليهم؛ إذ أسَر شيخهم **عبد القوي ابن العباس**؛ ونقله معه إلى **تونس**؛ أين أطلق سراحه، بمعاهدة سُنَّت بينهما.

---

[1] ((وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له على شانه يتم له ما يسمو إليه من ذلك؛ فكان يداخل أمراء زناتة فيه، ويرغبهم، ويراسلهم بذلك)). العبر، مج: 6، ص: 607.

[2] نفسه، ص: 607. أنظر أيضاً بغية الرواد، ج: 1، ص: 205.

[3] نفسه، ص: 597. وفي كتاب تاريخ الدولتين: سنة: 636هـ.

وهنا؛ حقق **أبو زكرياء** أول أهدافه؛ بتمهيد الجهات الغربية العازلة بين **إفريقية** و**تلمسان**؛ عندها؛ لم يبق أمامه من خصم سوى **بني عبد الواد**. فاتخذ الإجراءات اللازمة؛ في تحقيق تعبئة مهولة، لكي يتمكن من الوصول إلى هدفه التالي؛ وهو احتلال **تلمسان**، وضمها لممتلكاته؛ وبذلك يجعل منها رأس جسر؛ في سبيل تحقيق هدف أسمى؛ وهو غزو **مراكش** حاضرة **الخلافة الموحدية**. وبعد فترة؛ أنجز التعبئة، وأكمل العدة؛ وكان شيوخ **توجين**، **ومغراوة ومليكش**؛ قد وفدوا إليه؛ مستنجدين به، ومحرضين على حرب **يغمراسن بن زيان**، وامتلاك **تلمسان**[1]. فوجدها **أبو زكرياء** فرصة طالما انتظرها في سبيل تحقيق حلمه؛ وعلى هذا؛ نهض فوراً إلى **تلمسان** سنة 639هـ/1241م[2]؛ محاطاً بجيش عظيم؛ جلّه من **أعراب بني هلال وسليم**، ثم قبيلة **هوارة الأمازيغية**، بالإضافة إلى قبائل **زناتة** حلفاء دولة

---

[1] العبر، مج: 6، ص: 658.

[2] هكذا ورد في كتاب تاريخ الدولتين للزركشي، ص: 29، وكتاب العبر لعبد الرحمن بن خلدون. أما صاحب الذخيرة السنية، ويحيى بن خلدون فقالا أن دخول الجيش الحفص إلى تلمسان حدث في سنة 640هـ الذخيرة، ص: 64، وبغية الرواد؛ ج: 1، ص: 205. بينما خالف التنسي جميع الأقوال؛ حيث قال أن هذه الغزوة تمت في سنة 645هـ.

الحفصيين[1]. ولما وصل **أبو زكرياء** بجيشه إلى أطراف **تلمسان**؛ تصدَّى لهم **بنو عبد الواد** خارج البلدة؛ فبادرهم **الحفصيون** برمي النبال جماعياً ودفعة واحدة، فانصبت على **بني عبد الواد** بكثافة كبيرة[2]؛ فتراجعوا خلف أسوار المدينة. ولكن الجيش **الحفصي** ـ بكثرة عدده ـ تمكن من الصعود إلى الأسوار

---

[1] ((فاستنفر لذلك سائر البدو من الأعراب الذين في طاعته من بني سليم ورياح بظعنهم... ونهض سنة تسع وثلاثين [وستمائة] في عساكر ضخمة، وجيوش وافرة، وسرح أمام حركته عبد القوي بن العباس، وأولاد منديل ابن محمد [الصحيح عبد الرحمن] لحشد من بأوطانهم من أحياء زناتة وذؤبان قبائلهم وأحياء زغبة أحلافهم من العرب؛ وضرب معهم موعداً لموافاتهم في تخوم بلادهم)). (العبر، مج: 7، ص: 165). وأحصاهم صاحب الذخيرة السنية: بأربعة وعشرين ألف رام. (ص: 64). بينما عدهم الزركشي بأربعة وستين ألف فارس)). (تاريخ الدولتين: ص: 29). أما يحيى بن خلدون فقال أن الجيش الحفصي آنذاك كان به ((اثنا عشر ألف رام مترجلة سوى الركبان)). (بغية الرواد، ج: 1، ص: 205). وأشار التنسي لهذه الغزوة فقال: ((فنزلها [أي تلمسان] سنة خمس وأربعين بجيوش يضيق عنها الفضا؛ فيها ثلاثون ألف رام)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان) ص: 117.،

[2] ((وأمر [أبو زكرياء] رماته بالرمي دفعة واحدة. فكان الهر ـ على صغر جرمه ـ تجيء فيه العشرون سهماً وأزيد؛ فهال ذلك أهل البلد من الجند وغيرهم)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر والعقيان)، ص: 117.

واقتحام البلد[1]؛ ((**وعاثوا فيه؛ بقتل النساء والصبيان، واكتساح الأموال**))[2].

ولما أيقَّنَ **يغمراسن** من استحالة المقاومة، وتأكد من عجزه ـ في تلك الظروف ـ أمام **الحفصيين**؛ قرّر الخروج من **تلمسان**، والفرار بأهله وحماته خارجها؛ فاقتحم **باب العقبة**[3]؛ أين جندل بعض أبطال **الموحدين**، واخترق جموعهم، ونجا بأهله إلى **الصحراء**[4] حسبما قاله **الزركشي، وعبد الرحمن بن خلدون**؛ وإلى **جبل وبني رنيد** أو **تيرني** كما ذكر **يحيى بن خلدون، والتنسي**[5]. بينما خالفهم ـ جميعاً ـ صاحب **الذخيرة السنية**؛ الذي زعم أن **يغمراسن** لجأ إلى **لمدية**[6]. ويبدو أن هذا القول غير معقول. لبعد **لمدية** عن **تلمسان**؛ خاصة وأن

---

[1] ذكر الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين أن الحفصيين اقتحموا تلمسان من باب كشوط؛ (أنظر ص: 29). بينما قال صاحب الذخيرة السنية أنهم دخلوا المدينة من باب إيلان، (ص: 64).

[2] العبر، مج: 6، ص: 609. مج: 7، ص: 166. أنظر أيضاً كتاب الذخيرة السنية، ص: 64.

[3] هكذا في العبر، مج: 6، ص: 609. مج: 7، 166. وبغية الرواد، ص: 205. بينما قال التنسي: أنه خرج من باب علي. أنظر تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 117.

[4] العبر، مج: 6، ص: 609. مج: 7، ص: 166. وتاريخ الدولتين، ص: 29.

[5] بغية الواد، ج: 1، ص: 205. ونظم الدر، ص: 117

[6] ((وفرّ يغمراسن ومن كان معه من قومه إلى لمدية)). ص: 65.

مفاوضات حدثت ـ بعد ذلك ـ بين **يغمراسن وأبي زكرياء**؛ اقتضت تواجده في مكان قريب. كما أن المصادر كلها أجمعت على شنّ **يغمراسن** حملات استنزافية، وانتقامية ضد **الحفصيين**، واختطافه لبعض مقاتليهم[1]؛ الأمر الذي أجبر **أبا زكرياء** على مصالحته، وتسليم **تلمسان** له من جديد.

المهم؛ أن السلطان **الحفصي** وجد نفسه مضطراً لعقد صلح بينه وبين **يغمراسن**؛ بعد أن تمكن من الإفلات، واستعادة عاملي: المبادرة والمفاجأة، ضد **الحفصيين**؛ حيث شنَّ عليهم حرب عصابات أنهكتهم، وبث في نفوسهم اليأس من ضمان الاستقرار **بتلمسان**. ومع هذا؛ فقد حاول **أبو زكرياء** إيجاد بديل **ليغمراسن**؛ يستطيع مواجهته والتصدي لحملاته المفاجئة، وغاراته المتتابعة؛ ولكنه فشل في ذلك؛ بعد أن رفض شيوخ **الموحدين** ورؤساء **زناتة** القيام بهذا الدور الخطير[2]. عندها قال لهم السلطان **الحفصي**:

---

[1] **((وسرح يغمراسن الغارات في نواحي المعسكر؛ فاختطف الناس من حوله؛ واطلعوا من المراقب عليه)). العبر، مج: 6، ص: 609. مج: 7، ص: 166.**

[2] **((ولما تجلى غشي تلك الهيعة، وحسر تيار الصدمة، وخمدت نار الحرب؛ راجع الموحدون بصائرهم، وأنعم الأمير أبو زكرياء نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الأوسط، وينزله بثغرها؛ لإقامة دعوته الدائلة من دعوة بني عبد المؤمن والمدافعة عنها. واستكبر ذلك أشرافهم،**

((إنما امتنعتم من ولايتها خوفاً من شيطانها؛ وليس لها غيره))[1]. فبادر من فوره إلى الاتصال **بيغمراسن**؛ عارضاً عليه ولاية **تلمسان والمغرب الأوسط**؛ مقابل الدعوة له، وترك الولاء **لبني عبد المؤمن**؛ فرضي **سلطان بني زيان** بذلك؛ وبعث أمه **سوط النساء** لعرض الشروط، وعقد الصلح مع **أبي زكرياء: ((فأكرم موصلها، وأسنى جائزتها، وأحسن وفادتها ومنقلبها؛ وسوّغ ليغمراسن ـ في شروطه ـ بعض الأعمال بإفريقية، وأطلق أيدي عماله على جبايتها))**[2]. ثم رحل **أبو زكرياء** عائداً بجيشه إلى **إفريقية**.

ولما علم الخليفة **الموحدي السعيد** بما تم بين **يغمراسن وأبي زكرياء**؛ من نقل الولاء **للحفصيين**، ونبذ ما كان **لبني عبد المؤمن**؛ قرّر الزّحف إلى **تلمسان**، وإخضاع أصحابها. فحشد أمة عظيمة؛ وخرج بهم من **مراكش** سنة 645هـ/1247م؛ بغرض تمهيد البلاد، والقضاء على التمرد والعصيان أينما

وتدافعوه، وتبرأ أمراء زناتة؛ ضعفاً عن مقاومة يغمراسن؛ علماً بأنه الفحل الذي لا يقرع أنفه، ولا يطرق غيله، ولا يصد عن فريسته)). العبر، مج: 6، ص: 609.

[1] الذخيرة السنية، ص: 65.

[2] العبر، مج: 6، ص: 610. مج: 7، ص ص: 166 - 167.

كـان. فبـدأ **بالمغـرب الأقـصى**؛ أيـن يتواجـد الخطـر الأكبـر؛ المتمثـل في **بـني مريـن**؛ غيـر أنهـم سارعـوا إلى تقديـم الـولاء والطاعـة **للسعيـد**[1]. بـل عرضـوا عليـه خدماتهـم؛ والتكفـل نيابـة عنـه بكسـر شوكـة **بـني زيـان**؛ ولكنـه اكتـفى منهـم بالمشاركـة وتقديـم حصـة مـن الفرسـان **المرينييـن** قدرهـم بخمسمائـة فـارس[2]. وبعـد تمهيـد **المغـرب الأقـصى**، وإخضـاع أحـوازه؛ سـار بجيشـه العظيـم نحـو **تلمسـان**؛ لتأديـب أهلهـا، وكسـر شوكـة **يَغْمُرَاسَـنْ**. غيـر أن هـذا الأخيـر؛ بـادر بالخـروج مـن المدينـة، واللجـوء بأهلـه وحاميتـه؛ إلى **(قلعـة تامززدكـت)**.[3] القريبـة مـن **وجـدة**. حيـث تحصـن بهـا؛ وتأهـب لمواجهـة جيـش **الموحديـن**. فلـم يجـد ـ عندئـذ ـ **السعيـد** بـداً مـن محاصـرة **يَغْمُرَاسَـنْ** في تلـك القلعـة المنيعـة.

---

[1] فخرج [أي السعيد] من حضرة مراكش في جيوش لا تحصى من الموحدين والعرب والروم؛ فسار حتى وصل وادي بهت؛ عرف به أمير المؤمنين أبو يحيى بن عبد الحق؛ فخرج له عن مكناسة، وأسلمها له، وسار إلى قلعة تازا... وارتحل [السعيد] إلى مدينة فاس... فأقام هناك حتى وصلته بيعة الأمير أبي يحيى بن عبد الحق؛ فسُرَّ بها (الأنيس المطرب، ص ص: 171 - 172).

[2] (الأنيس المطرب، ص: 195).

[3] اختلف المؤرخون في رسم هذه الكلمة؛ إذ كتبت في الأنيس المطرب: ((تامرجديبة))، وفي الذخيرة السنية ((تامزجدرت)).

وتقول بعض الروايات: أن **السعيد**؛ خرج مع وزيره ومرافقيه؛ في اليوم الرابع ـ أي في صفر من سنة 646هـ/1248م ـ يستطلع الأرض، ويتعرف على مواطن الضعف في القلعة المذكورة؛ فسلك بعض الشّعاب؛ المؤدية إليها؛ فرآه أحد حراس **بني عبد الواد**؛ فأعلم **يَغُمْرَاسَنْ** بمكانه؛ فهجموا عليه، فقتلوه مع وزيره ومرافقيه[1]. وأحدث خبر مقتل الخليفة **السعيد** في معسكره فوضى وهلعاً عظيمين؛ فاضطربت أحوال من فيه؛ وتسابقوا للهروب والنجاة بأرواحهم؛ حيث تحولت هزيمتهم إلى كارثة شنعاء؛ قضت على هيبة الدولة بكاملها، وأخمدت سطوتها نهائياً؛ ولم تقم للدولة **الموحدية** بعدها قائمة؛ إلى أن سقطت بصفة نهائية.

---

[1] ((ويقال: إنما كان يوم عبأ العساكر، وصعد الجبل للقتال؛ وتقدم أمام الناس؛ فاقتطعته بعض الشعاب المتوعرة في طريقه؛ فتوثب به هؤلاء الفرسان... ووقعت النفرة في العساكر لطائر الخبر؛ فأجفلوا؛ وبادر يغمراسن إلى السعيد ـ وهو صريع في الأرض ـ فنزل إليه وحيّاه وفداه، وأقسم له على البراءة من هلكته؛ والخليفة واجم بمصرعه يجود بنفسه إلى أن فاض. وانتهب المعسكر بمحلته؛ وأخذ بنو عبد الواد ما كان به من الأخبية والفازات؛ واختص يغمراسن بفسطاط السلطان؛ فكان له خاصة دون قومه. واستولى على الذخيرة التي كانت فيه؛ منها مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه)). العبر، مج: 7، ص ص: 169 - 170.

أما **يغمراسن**؛ فقد انتظر إلى أن هدأت الأحوال؛ عندئذ؛ قام بتجهيز الخليفة **السعيد**؛ فغُسِّل، وكُفِّن؛ ثم رُفِع على الأعواد، ودُفِن **بالعباد** في جوار ولي الله أبي مدين. **((ثم نظر في شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر ـ بعد أن جاءها واعتذر إليها مما وقع؛ وأصطحبهنَّ جملة من مشيخة بني عبد الواد إلى مأمنهنّ؛ ألحقوهن بدرعة؛ عند تخوم طاعتهم. فكان له بذلك حديث جميل في الإبقاء على الحرم، ورعي مراتب الملك))**[1]. ومع هذا؛ فقد أبقى **يغمراسن** بعضاً من أشكال الولاء المعنوي، والاحترام المتوارث للخليفة في **مراكش**، تسليماً له بإرثه التاريخي وانتسابه الأسري لبيت الخلافة **الموحدية**. وبالمقابل؛ حافظ **يغمراسن** أيضاً على الصلات الحسنة مع **الحفصيين**؛ والتزم بالحفاظ على روابط الودّ والاحترام؛ الواصلة بينه وبين السلطان **الحفصي**. ولم يقطع الدعاء له طوال حياته. بل سعى ـ بعد هلاك **أبي زكرياء** ـ إلى التودّد لابنه **أبي إسحاق إبراهيم**[2]؛ الذي خرج عن أخيه الخليفة **أبي**

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 169 - 171.

[2] تولى حكم الحفصيين من سنة 678هـ/1279م إلى سنة 692هـ/1283م.

عبد الله محمد المستنصر[1]. لذا؛ فقد استقبله بجفاوة عند قدومه إلى **تلمسان**؛ في طريقه إلى **الأندلس**. كما استظافه؛ عند عودته؛ بعد وفاة أخيه **المستنصر**؛ واستقبله بحفاوة سنة 677هـ/1278م؛ وواعده بالوقوف إلى جانبه لكي يستعيد ميراثه في ملك أبيه؛ بخلع ابن أخيه **الواثق**[2] **ابن المستنصر**: **((وأصهر إليه يغمراسن في إحدى بناته المقصورات في خيام الخلافة بابنه عثمان ولي عهده؛ فأسعفه، وأجمل في ذلك وعده))**[3].

وبعد ان تحقق **لأبي إسحاق** هدفه، واستعاد عرش أبيه **بتونس**؛ أرسل **يغمراسن** ولده **أبا عامر برهوم** لإحضار عروس أخيه **عثمان** من **تونس**. بل تنقل بنفسه سنة 681هـ/1282م لاستقبالها في أطراف **مليانة**؛ خوفاً عليها من غدر خصومه من **بني توجين ومغراوة**. وفي حركته هذه؛ اشتدّ به المرض؛ ثم أدركه الأجل في **وادي رهيو**؛ فكتم ولده **أبو عامر** خبر وفاته؛ زاعماً أنه مريض؛ حتى

---

[1] حكم من سنة 647هـ/1249م إلى سنة 675هـ/1276م.

[2] هو الواثق يحيى المعروف بالمخلوع. حكم من سنة 675هـ/1276م إلى سنة 678هـ/1279م.

[3] العبر، مج: 7، ص: 186. أنظر هذا الخبر أيضاً في العبر، مج: 6، ص ص: 631 - 633. 678 - 679.

لـقي ولي العهـد **عثمـان بيسـر** المتاخـم **لتلمسـان**. حينهـا أُعلـن عـن وفـاة السلطـان **الزيـاني**، فبايـع النـاس لخليفتـه **عثمـان بـن يغمراسـن**[1] في السنـة المذكـورة أعـلاه. ومنـذ هـذه الأحـداث؛ لـم يعـد **للحفصييـن** أي تأثيـر يذكـر عـلى **تلمسـان**؛ بـل أضحـوا هدفـاً لضغـوط **بـني زيـان**، الذيـن هـدّدوا ديـار **الحفصييـن** مـراراً عديـدة.

وبـقي الحـال هكـذا؛ إلى أن حلّـت سنـة 827هـ/1423م؛ خـلال الـدور الرابـع (دور الضعـف والتهالـك) في حيـاة دولـة **بـني زيـان**. وبالمقابـل؛ ازدهـرت أحـوال الدولـة **الحفصيـة**؛ بتـولي السلطـان **أبـي فـارس عبـد العزيـز الحفـصي**[2] شئونهـا. حيـث قـام هـذا الأخيـر سنـة 827هـ بفتـح **تلمسـان** عنـوة؛[3]، وانتزعهـا

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 189. وبغية الرواد، ج: 1، ص: 207. تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ص ص: 128 - 129.

[2] هو أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ابن أبي يحيى أبي بكر بن أبي يحيى زكرياء بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكرياء بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص. تولى أبو فارس هذا الحكم في سنة 796هـ/1393م إلى سنة 837هـ/1433م؛ سنة وفاته.

[3] قال الزركشي: ((افتتح المولى السلطان [أبو فارس] مدينة تلمسان في المرة الأولى، وملكها من يد صاحبها السلطان أبي حمو [؟؟] [ثمة تحريف هنا؛ أو حذف؛ لأن المقصود هو أبو مالك عبد الواحد بن أبي حمو الثاني] الزناتي؛ لما سمع عنه؛ أن سيرته غير محمودة [؟؟]؛ وبعث إليه ونهاه؛ فلم ينته. فلما وصلها السلطان أبو فارس، وانكسر ولد السلطان عبد الواحد، وفرّ هارباً لأبيه؛ علم أبوه أن لا طاقة له على

مـن يـد السلطـان **الزيـاني أبي مالـك عبـد الواحـد**[1]؛ ثـم أسنـد حكـم المدينـة وأعمالهـا إلى **محمـد الرابـع ابـن أبي تاشفيـن الثـاني**؛ (المعـروف بابـن **الحمـرة**). وبعدهـا؛ واصـل **أبـو فـارس** زحفـه نحـو **فـاس**؛ الـتي استسلـم صاحبهـا قبـل وصـول السلطـان **الحفـصي** إليهـا. وبذلـك؛ تمكـن هـذا السلطـان مـن توحيـد بلـدان **المغـرب الإسـلامي** مـن شرقهـا إلى غربهـا. غيـر أن هـذه الوحـدة لـم تـدم طويـلاً؛ إذ سرعـان مـا انفصمـت بعـد أن أعلـن **ابـن الحمـرة** استقـلال دولتـه وانفصالهـا عـن سلطـة

المقابلـة؛ فخـرج مـن تلمسـان فـاراً بنفسـه إلى الجبـال. ودخـل السلطـان أبـو فـارس تلمسـان، واستقرّ في قصبتهـا، واستـولى على جميـع مـا فيهـا. وذلـك في ثالـث عشـر جمـادى الأخـرى مـن عـام سبعـة وعشريـن [وثمانمائـة] المذكـور؛ فبقي بهـا مـدة مقيمـاً؛ ثـم نظـر مـن يقلـده أمرهـا؛ فاختـار لهـا الأميـر محمـد ابـن السلطـان أبي تاشفيـن ابـن السلطـان أبي حمـو الزنـاتي؛ فعقـد لـه عليهـا؛ ثـم ارتحـل إلى مدينـة فـاس)). تاريـخ الدولتيـن (الموحديـة والحفصيـة)، ص ص: 125 - 126. وكمـا هـو واضـح؛ لـم يوضـح الزركشي السبـب في غـزو تلمسـان؛ بينمـا الحقيقـة تتمثـل في خوفـه مـن نمـو قـوة بنـي زيـان؛ خاصـة وأن السلطـان أبـا مالـك عبـد الواحـد كـان يتمتـع بمزيـا حميـدة؛ فسـعى إلى النهـوض بدولتـه، وإصـلاح أحـوال رعيتـه؛ كمـا استرجـع مـن الحفصيين مـا استولـوا عليـه مـن بلـدان في الناحيـة الشرقيـة لمملكـة تلمسـان؛ بالإضافـة إلى أنـه تمكـن مـن التوسـع غربـا علـى حسـاب الدولـة المرينيـة؛ بـل كبـح جمـاح بنـي مريـن واستولـى على عاصمتهـم فـاس؛ ووضـع عليهـا حاكمـا مـن قبلـه. كل هذا؛ أخـاف أبـا فـارس؛ فبـادر بغـزو تلمسـان قبـل أن تشتـد قوتهـا، ويعظـم أمرهـا.

[1] تـولى الحكـم - في المـرة الأولى - مـن سنـة 814هـ/1411م إلى سنـة 827هـ/1423م؛ وفي المـرة الثانيـة: مـن سنـة 831هـ/1427م إلى 833هـ/1429م؛ سنـة مقتلـه.

الحفصيين؛ ثم أسقط الدعاء **لأبي فارس** من منابر **تلمسان**. ولهذا؛ فقد انبرى إليه ـ **أبو فارس** سنة 832هـ/1428م؛ وبعث لإسقاطه جيشاً بإمرة **جاء الخير**؛ قائد **قسنطينة**؛ وبعث معهم سلطان **تلمسان** السابق **أبا مالك عبد الواحد**؛ ولكنهم هزموا أمام **ابن الحمرة**؛ وتفرق جمعهم. فاضطر **أبو مالك** عندئذ إلى الفرار نحو الجبال المجاورة؛ أين عبأ نفسه من جديد؛ بانضمام من فيها من الأعراب إليه؛ ثم عاود الكرة؛ وهجم على **تلمسان**؛ حيث حالفه الحظ هذه المرة؛ وتمكن من احتلال المدينة، وإجبار **ابن الحمرة** على الفرار كذلك إلى جبال المنطقة المجاورة. ولكن هذا الأخير؛ استمر في إلحاحه على سدّة الملك؛ ولم يستسلم لليأس؛ حيث تمكن هو الآخر من جمع عدد لا بأس به من الأنصار؛ وهجم بهم على **تلمسان**؛ التي دخلها عنوة وقتل عَمِّه السلطان **أبا ملك عبد الواحد**؛ وذلك في سنة 833هـ/1429م. وفي السنة المذكورة أعلاه؛ وبعد مقتل **أبي مالك** بأقل من شهر؛ دخل **أبو فارس الحفصي تلمسان** عنوة؛ للمرة الثانية سنة 833هـ/1429م؛ إثر محاصرتها؛ وفرار سلطانها

ابن الحمرة؛ ولكن **أبا فارس** تمكن من مطاردته وأسره. ثم نصب عليها سنة 834هـ **أبا العباس أحمد بن أبي حمو الثاني** المعروف **بالعاقل**. وفي سنة 837هـ/1433م؛ حاول السلطان **أبو فارس** العودة إلى **تلمسان**؛ عندما علم بانفصال **تلمسان** عن دولته؛ وقطع **أبي العباس أحمد** الدعوة للسلطان **الحفصي** على منابرها. ولكنه مات في طريقة؛ قبل الوصول؛ فعادت جيوشه من حيث أتت. ولم تنته تدخلات **الحفصيين** في **تلمسان** عند هذا الحد؛ بل واصل السلطان **الحفصي أبو عمرو عثمان** سياسة جدّه **أبي فارس**؛ فبادر إلى غزو **تلمسان** سنة 867هـ/1462م؛ ولكنه عاد أدراجه؛ بعد أن سعى إليه وفد من علماء وأعيان **تلمسان**؛ عارضين عليه طاعة سلطانها **محمد بن محمد بن ثابت**؛ فعقدوا معه عقداً بالطاعة؛ ثم عاد إلى **تونس**؛ قبل وصوله إلى **تلمسان**. غير أنه عاود الكرة سنة 870هـ/1465م؛ حين اشتكى إليه **أعراب بني عامر**، **وسويد**؛ تعسف السلطان **الزياني**، ونكثه بيعة **الحفصيين**: **((فاستخار** [أبو عمرو] **الله عز وجل، ونصب لهم سلطاناً**؛

الأمير أبا جميل زيان[1] ابن **السلطان عبد الواحد ابن أبي حمو [الثاني] الزناتي**؛ وكتب له بذلك في أوائل شوال من العام المذكور، وأعطاه ما يحتاج إليه من الآلة والأخبية والجيش والأموال))[2]. ثم بعث معه قائداً من الجيش **الحفصي** يدعى "**محمد ابن فرح الجبائي**" وفوض عليهم بالرأي والتدبير أحد الشيوخ؛ وهو الفقيه **أحمد البنزرتي**. كما أمر ولده **عبد العزيز** والي **بجاية**؛ بأن يرافقهم بمعسكره إلى **تلمسان**؛ ريثما يلحق بهم بنفسه[3].

وهكذا كان؛ إذ لحق بهم ـ بعد فترة ـ فنزل بجيشه في **المنصورة** المحاذية **لتلمسان**. أين حصلت مناوشات واشتباكات ساخنة؛ فخرج إثرها إليه أعيان المدينة وقاضيها؛ طالبين الصلح، وعارضين على **أبي عمرو** مصاهرة السلطان **الزياني ـ عبد الله المتوكل** ـ بابنته للأمير **أبي زكرياء بن المسعود**؛ حفيد

---

[1] **كتب في المصدر ذاته: مرة "زيان" ومرة أخرى "أبو زيان". أنظر تاريخ الدولتين: ص: 157.**

[2] **تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية)، ص: 157.**

[3] **هذا هو كل ما ورد في المصادر عن هذا الجيش المرافق للأمير أبي جميل بن عبد الواحد. ولم تأت ـ بعدها ـ أي إشارة إلى مصير الجيش المرافق لأبي جميل أو إليه شخصياً. وكل ما في الأمر أن ثمة رواية شفوية يرددها بنو زيان بمدينة طولقة (ولاية بسكرة)؛ مفادها: أنهم يتنسبون إلى أبي جميل هذا.**

السلطان **الحفصي**. فعاد **أبو عمرو** من حيث أتى؛ وانتهى – بعد هذه الحملة – أي تأثير **للحفصيين** على **تلمسان**، وانتهى تحرشهم بها نهائياً.

* * *

بنو مرين وتلمسان

ينتمي **بنو مرين** إلى جدٍّ مشترك؛ يجمعهم **ببني عبد الواد**؛ وهو **زحيك بن واسين بن يصليتن**. لأن أبناء **زحيك** تفرعوا – في بداية أمرهم – إلى فرعين رئيسين: **بادين، وورتاجن**؛ فمن **بادين**؛ **بنو عبد الواد**، ومن **ورتاجن**؛ **بنو مرين**. وكان فرع **بني بادين** – في البداية – أقوى وأشد من **بني ورتاجن**؛ لاشتماله علي أربعة بطون؛ هم: **بنو عبد الواد، وبنو توجين، وبنو زردال، وبنو مصاب**؛ أضف إليهم إخوتهم من **بني راشد**؛ لأن **راشد** أخو **بادين**[1]. غير أن الحال تغير؛ مع مرور الزمن، وتضارب المصالح القبلية. خاصة؛ حين وصل **بنو عبد الواد إلى** مرتبة الملك، وانفردوا بعزّه وشرفه؛ دون الأحياء الأخرى من **بادين**؛ فنشبت – عندئذ – الخلافات بينهم؛ من أجل المصالح الخاصة بكل حي منهم؛ فلجأوا إلى سبل التنكر والعصيان؛ المؤديان إلى التفكك والانفراط. وبالمقابل؛ ظلت اللحمة بين قبائل **ورتاجن**

---

[1] العبر، مج: 7، 148. 343.

متينة، وعصبيتهم أشدّ قوة والتحاماً؛ فلم يطرأ عليهم ما جرى **لبني بادين**. لذا فقد حافظت دولة **بني مرين** ـ فيما بعد ـ على تماسك عشائرها؛ بفضل الأوضاع الاقتصادية المزدهرة في محيطها القبلي؛ بحيث أمكن إرضاء الأطراف كلها[1]. وواضح ـ من خلال ما ورد في المصادر ـ أن صلات القربى بين قبيلتي: **بني عبد الواد، وبني مرين**؛ لم تنقطع إلاّ في زمن متأخر[2]. وبانقطاعها؛ برزت إلى السطح علاقات أخرى بين القبيلتين.. علاقات تشوبها المنافسة الحادة، والعداوة الدائمة. وبدأت هذه الظاهرة إثر حصول **بني عبد الواد** على **تلول المغرب الأوسط**؛ واستحواذهم على تلك الأراضي الخصبة كامتياز وإقطاع من قبل الدولة **الموحدية**. ثم ازدادت

---

[1] ((كان أول شيء فعله [الأمير أبو يحيى بن عبد الحق]؛ أنه جمع أشياخ بني مرين، ورؤساء قبائلها؛ وقسم عليهم بلاد المغرب؛ فأنزل كل قبيلة في ناحية منه، وجعل لها ما نزلت فيه من الأرض، وغلبت عليه من البلاد؛ طعمة لا يشاركهم فيها غيرهم...)). (الذخيرة السنية في الدولة المرينية، ص: 68). وذكر هذا أيضاً ابن خلدون في العبر؛ إذ أضاف: ((فاستركبوا الرجل أتباعهم، واستلحقوا من غاشيتهم، وتوفرت عساكرهم)). وقد ذكر هذا أيضاً ابن أبي زرع؛ وقد يكون ابن خلدون نقل عنه هذه العبارة. العبر، مج: 7، ص: 352. والأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 194.

[2] ذكر صاحب الذخيرة السّنية أن المرينيين انفصلوا عن بني عبد الواد وبني واسين في سنة 601هـ/1204م؛ بعد أن وقعت بينهم فتنة بسبب امرأة ص: 24.

حدّة الشنآن والمنافسة بينهما إلى مستويات عليا؛ نتيجة لوصول **العبد الواديين** إلى مرتبة الملك في **تلمسان**. كما تضاعفت الأحقاد، واشتدت العداوة بينهما أكثر فأكثر؛ جراء منافستهما المحمومة من أجل امتلاك سدة الحكم في **مراكش**. وانتهت هذه المنافسة الدامية بدخول **بني مرين** مدينة **مراكش** وسيطرتهم على عرش **الموحدين** فيها. وكسبوا ــ بذلك ــ قصب السبق، فاستحوذوا على مقدرات الدولة الموحدية؛ من: إمكانات بشرية، وثروات مادية، وقيم معنوية. فمكنت هذه العوامل جميعها المرينيين من الهيمنة والاستفحال في المغرب الإسلامي كله. ومن هنا؛ يمكن القول: أن **دولة بني زيان (بني عبد الواد)** ــ حتى وإن سبقت الدولة **المرينية** في التأسيس والظهور[1] ــ إلاّ أنها كانت أضعف منها عسكرياً واقتصادياً؛ وذلك بسبب امتلاك الدولة الأخيرة لأسباب القوة؛ وسيطرتها على عاصمة الخلافة **الموحدية بمراكش**؛ فاكتسبت ــ من جراء ذلك ــ القوة المادية، والقوة الروحية.

---

[1] تأسست دولة بني زيان سنة 633هـ/1235م. بينما قامت دولة بني مرين شكلياً؛ بعد هلاك الخليفة الموحدي السعيد سنة 646هـ/1258م؛ وترسمت شرعياً في سنة 657هـ/1258م؛ سنة استيلائهم على مراكش.

ولمّا تأكد **المرينيون** من هيمنة بني عبد الواد على ضواحي **المغرب الأقصى** ـ بخيراتها الوافرة؛ اعتباراً من سنة 610هـ/1213م ـ واكتشفوا سعة الفرق، وتباين مستوى القوة بينهم وبين **بني عبد الواد**؛ تحركت أطماعهم، وحثتهم روح العصبية على التقدم خطوة فخطوة نحو تحقيق الملك. ذلك الهدف الذي سعوا إليه منذ الشروع في خطوتهم الأولى؛ عندما قرروا الاستقرار في ديار **المغرب الأقصى**، واستدعاء أحيائهم المتبقية في **الصحراء**[1]. ومنذئذ؛ أحس **بنو مرين** بأنهم متساوون مع **بني عبد الواد** في الثروة والمكانة والأنصار.. ولكنهم ازدادوا قوة ـ مع مرور الوقت ـ حتى فاقت قوتهم قوة الدولة **العبد الوادية**؛ بل تفوقوا على **دولة الموحدين** نفسها؛ حيث تمكنوا من اسقاطها وامتلاك حاضرتها، والاستحواذ على تراثها وثروتها في سنة 668هـ/1269م.[2]. وقد زاد في عنفوان **بني مرين** واستفحالهم؛ مسعاهم الجديد؛ في التطلع إلى امتلاك الأندلس؛ والاستيلاء على ما كان يمتلكه الموحدون في تلك الديار. فرفعوا شعار الجهاد لتحقيق غرضهم

---

[1] الأنيس المطرب، ص: 187. وقد ورد هذا أيضاً في الذخيرة السنية، ص: 24.
[2] الذخيرة السنية، ص ص: 133 - 134. أنظر أيضاً الأنيس المطرب، ص: 205.

الأسمى؛ الأمر الذي حرّك العواطف الدينية لدى عامة الناس، وخاصتهم. وقد ظهر هذا جلياً من خلال عبور السلطان **المريني يعقوب بن عبد الحق** مرات عديدة إلى العُدوة الشمالية؛ بحجة الجهاد. غير أن سلطان **غرناطة** تصدّى له، وكبحه.

المهم؛ أن النزعة التوسعية لم تفارق ملوك **بني مرين** أبداً؛ منذ قيام دولتهم إلى يوم سقوطها. وتبعاً لهذا؛ فقد زحفوا بجيوشهم مرات عديدة؛ بغرض احتلال **تلمسان**؛ ففشلوا في بعضها ونجحوا في أخرى.

وكان **يَغُمْراسَنْ** قد حاول جسّ نبض **المرينيين**، واختبار قوتهم؛ فاشتبك معهم مرات عديدة؛ ولكن الحظ لم يحالفه أبداً؛ إذ خسر معاركه معهم كلها؛ الأمر الذي جعله يغير هدفه الاستراتيجي نهائياً؛ ويتجه نحو التوسع شرقاً؛ لابتلاع ما أمكنه من تلك الربوع. ومع ذلك لم يقفل باب التصدي للمرينيين؛ إذ تلاحقت الوقائع بينه وبينهم؛ إلى أن قرّر ملكهم **يعقوب بن عبد الحق**؛ غزو **يَغُمْراسَنْ** في عقر داره **تلمسان**. سنة 670هـ/1271م[1]. وكانت هذه الواقعة؛ أول المحاولات **المرينية** لفتح هذه المدينة

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 177. ورد هذا الخبر أيضاً في الأنيس المطرب، ص: 207.**

الحصينة؛ ولكن السلطان **المريني** فشل في تحقيق هدفه وعاد من حيث أتى[1]. ويقول صاحب **الذخيرة السنية**؛ أن السلطان المريني حشد قوة عظيمة من **بني مرين**، **والروم**، **والأغزاز**، وقبائل **الأعراب والمصامدة**، **وصنهاجة**، **وبني ورا**، **وغمارة**، وغيرهم من قبائل **المغرب**؛ حيث زحف بهم إلى **تلمسان**[2]. وعاود **يعقوب بن عبد الحق** ـ أيضاً ـ محاصرة **تلمسان** في سنة 680هـ/1281م؛ ولكنه فشل كذلك في الدخول إليها؛ نظراً لحصانتها ومنعة أسوارها[3].

ولما توفي؛ خلفه ولده **أبو يعقوب يوسف**؛ الذي واجه ـ منذ اليوم الأول لولايته ـ اعتراضات، وحركات عصيان عديدة؛ مصدرها ـ في الغالب ـ بعض الخارجين عليه؛ من الأسرة المالكة، وفئات أخرى؛ ولكنه تغلب عليهم. غير أنه اصطدم ـ بعد ذلك ـ بعقوق وعصيان ابنه **أبي عامر**؛ الذي خرج عليه في سنة 687هـ/1288م؛ بمساندة عامله على **مراكش محمد بن عطو البربري الجناتي**[4]. فتغلب

---

[1] ((وحاصروا تلمسان أياماً؛ فامتنعت عليهم؛ وأفرجوا عنها؛ وولى كل إلى عمله، ومكان ملكه)). العبر، مج: 7، ص ص: 177 - 178.

[2] أنظر الذخيرة السنية: ص ص: 146 - 150.

[3] الأنيس المطرب، ص: 228.

[4] نفسه، ص ص: 360 - 361.

يوسف عليهما، واستعاد **مراكش؛** فهربا إلى **تلمسان** سنة 688هـ/1289م؛ محتمين بسلطانها. ولكن الأمير **أبا عامر** ندم، وطلب الصفح؛ فعفا عنه والده، ورجع إليه. أما **ابن عطو** فبقي في **تلمسان؛** مستجيراً بالسلطان **عثمان**. غير أن **يوسف بن يعقوب** صمَّمَ على جلبه ومعاقبته؛ فطلب بإصرار من السلطان **الزياني** تسليم **ابن عطو** إليه؛ فأبى **عثمان** إخفار ذمته[1]. ويقول **عبد الرحمن بن خلدون؛** أن رسول السلطان المريني أغلظ في القول إلى السلطان **عثمان: ((فسطا به، واعتقله؛ فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة، وتحركت الإحن القديمة والتوترات المتواترة؛ واعتزم على غزو تلمسان))**[2]. وهذه الحادثة تثير الذاكرة، وتنقلها إلى زمن مستقبلي؛ يتجلى في قصة المروحة بين داي **الجزائر** والقنصل **الفرنسي؛** حيث يتأكد أن من أراد الحرب، ونوى الغزو؛ لن يعدم حيلة أو مسوغ يعلن به عن قراره.

[1] وقال: ((والله؛ لا أسلمه أبداً، ولا أبيع حرمتي، وأترك من استجارني حتى أموت؛ فليصنع ما بدا له)). الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 393.

[2] العبر، مج: 7، ص: 442.

وكانت هذه الأسباب المختلقة؛ بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الحرب من جديد بين الدولتين: **المرينية والزيانية**. ويبدو أن **يوسف بن يعقوب** كان ينتظر الفرصة المواتية لإعادة الكرة مع **بني عبد الواد**؛ لذا فقد التقط هذه المناسبة الذهبية. ولو لم تتوفر؛ لحاول إيجاد مسوغ آخر لتحقيق أهدافه؛ لأن نزعة التوسع شرقاً مسيطرة على السلاطين المرينيين؛ بل تتحكم في نواياهم وأهدافهم؛ فهي استراتيجيتهم التي يتطلع إلى تحقيقها سلاطينهم كافة؛ صغيرهم وكبيرهم. ولما كان **يوسف بن يعقوب المريني** يتطلع دوماً إلى الاستيلاء على **تلمسان**؛ فقد كرّر غزواته ضدها؛ إذ قام بخمس حملات متتالية؛ فشلت بكاملها؛ الأولى سنة: 689هـ/1290م، والثانية سنة 695هـ/1295م، والثالثة سنة 696هـ/1296م، والرابعة سنة 697هـ/1297م، والخامسة سنة 698هـ/1298م. ولم يتمكن هذا السلطان المريني ـ بهذه الحملات كلها ـ تحقيق هدفه؛ المتمثل في اختراق جدران تلك المدينة الحصينة. ومع هذا فقد ألحق **ببني عبد الواد** ضرراً كبيراً؛ خاصة في الحصار الأخير؛ الذي لا شبيه له أبداً؛ حيث دام ثماني سنوات وثلاثة أشهر؛ فانفرد بطول أمده

وضراوته، واشتهر بشدة صبر **العبد الواديين**، وصرامتهم، وإبائهم، وصدق مقاومتهم، وتفانيهم في صدّ عدوهم. فضربوا بذلك رقماً قياسياً في شدة الاحتمال، وصدق النضال[1]. لقد قام السلطال المريني بتطويق مدينة **تلمسان** من جميع جهاتها؛ ثم شرع في بناء مدينة محاذية لها سماها **المنصورة**[2]؛ جعلها مستقراً له ولجيشه؛ بغرض مطاولة الحصار، وخنق **تلمسان**؛ حتى تستسلم مع مرور الزمن. وخلال إنجاز المدينة المذكورة؛ عمل على تمهيد الجهات الشرقية، وإخضاع أتباع **بني عبد الواد** في تلك

---

[1] ويقول ابن خلدون في هذا الأمر: ((واستمر حصاره [أي يوسف بن يعقوب المريني] إياهم إلى تمام ثماني سنين وثلاثة أشهر من يوم نزله. نالهم فيها من الجهد والجوع ما لم ينل أمة من الأمم)). العبر، مج: 7، ص: 197.

[2] وصفها ابن خلدون بقوله: ((واختط بمكان فساطيط المعسكر قصراً لسكناه، واتخذ فيه مسجداً لمصلاه؛ وأدار عليها السّور، وأمر الناس بالبناء؛ فابتنوا الدور الواسعة، والمنازل الرحيبة، والقصور الأنيقة؛ واتخذوا البساتين، وأجروا المياه. ثم أمر بإدارة السور سياجاً على ذلك سنة اثنتين وسبعمائة؛ وصيّرها مصراً. فكانت من أعظم الأمصار والمدن، وأحفلها اتساع خطة، وكثرة عمران، ونفاق أسواق، واحتفال بناء، وتشييد منعة. وأمر باتخاذ الحمامات والخانات والمارستان، وابتنى بها مسجداً جامعاً، وشيد له مئذنة رفيعة؛ فكان من أحفل مساجد الأمصار وأعظمها. وسماها المنصورة؛ واستبحرت عمارتها، وهالت أسواقها؛ ورحل إليها التجار بالبضائع من الآفاق؛ فكانت أحد مدائن المغرب. وخربها آل يغمراسن؛ عند مهلكه، وارتحال كتائبه عنها)). العبر، مج: 7، ص ص: 458 - 459.

الديار؛ فلم يترك مدينة إلا واستسلمت له، وبلغ في زحفه إلى مشارف **بجاية**؛ حيث ضمن طاعة **بني توجين** كافة، **ومغراوة** كلها. وبذلك توسع حصار مدينة **تلمسان**؛ فتحول إلى احتلال مدن عديدة كـ: **ندرومة، وتامززدكت، وهنين، ووهران، والقصبات، ومزغران، ومستغانم، ومازونة، وتنس، وبرشك، وشرشال، والبطحاء، ووانشريس، ومليانة، ولمدية، والجزائر، وتافركنيت**[1].

وعلى الرغم من الجهود العظيمة التي بذلها **يوسف بن يعقوب**؛ فقد حرمه الله من تحقيق حلمه بدخول **تلمسان**؛ إذ هلك سنة 706هـ/1306م[2]. أثناء الحصار؛ اغتاله عبد من عبيده؛ بطعنة خنجر؛ وهو في مخدعه. ومن غريب الصدف؛ أن السلطان الزياني **عثمان بن يغمراسن** مات أيضاً أثناء الحصار وفي سنة 703هـ/1303م. وبموت السلطان المريني؛ تفرق جمعه؛ وانفض الحصار؛ وعادت جموع الناس إلى **المغرب الأقصى**؛ إذ سارع المتنافسون

---

[1] **الأنيس المطرب، ص: 367.**

[2] **الأنيس المطرب، ص: 368. العبر، مج: 7، ص ص: 484 - 485. الحلل الموشية، ص: 229 .**

علــى العــرش **المريــني** للالتحــاق **بفــاس**؛ قصــد ترتيــب شئــون الحكــم[1].

فتنفــس **بنــو عبــد الــواد** الصعــداء، وانشغلــوا بإصـــلاح مـــا فســـد في **تلمســـان**، وترميـــم مـــا هـــدّم مـــن أسوارهـــا وقصورهـــا، وإحيـــاء مـــا أهمـــل مـــن بساتينهـــا وجناتهـــا، وتعميـــر مخازنهـــا وأهـــراء قصورهـــا. ثـــم خرجـــوا لتأديـــب المتآمريـــن عليهـــم؛ مـــن القبائـــل والإمـــارات المتواجـــدة في نطـــاق الدولـــة وحماهـــا؛ فبـــادروا بتخريـــب مدينـــة **المنصـــورة**[2]؛ وبعدهـــا اتجهـــوا شرقـــاً؛ لتمهيـــد البـــلاد الـــتي اغتصبهـــا **المرينيـــون**.

ويقـــول **التنـــسي** أن **أبـــا حمـــو مـــوسى الأول** هـــو الـــذي هـــدم **المنصـــورة**؛ المدينـــة الـــتي شيّدهـــا **يوســـف بـــن يعقـــوب** غـــرب **تلمســـان** وبمحاذاتهـــا. أمـــا **ابـــن خلـــدون** فذكـــر أنهـــا خُرِّبـــت؛ دون ذكـــر اســـم السلطـــان الزيـــاني الـــذي فعـــل ذلـــك.[3] بينمـــا يخالفهمـــا صاحـــب **الأنيـــس**

---

[1] **العبر، مج: 7، ص ص: 485 - 489.**

[2] **((فلما انصرف [أبو ثابت؛ حفيد يوسف بن عبد الحق]؛ كان أول ما بدأ الملك أبو حمو؛ هدم مدينة يوسف بن يعقوب، وإصلاح ما تثلم من تلمسان، وبنى الأسوار والستائر، وحفر الخنادق؛ وخزن فيها الطعام، والأدام والملح والفحم والحطب؛ ما لا حد له ولا حصر)). تاريخ دولة بني زيان (نظم الدر)، ص ص: 135 - 136.**

[3] **((وخربها آل يغمراسن؛ عند مهلكه، وارتحال كتائبه عنها)). العبر، مج: 7، ص: 459.**

المطـرب؛ فيقـول أن **أبـا ثابـت**؛ المتـولي عـلى **بـني مريـن** ــ بعـد جـدّه **يوسـف بـن يعقـوب** ــ اشتـرط عـلى **بـني زيـان** ــ في مفاوضـات فـكّ الحصـار ــ أن يبقـوا **المنصـورة** عـلى حالهـا، وألاّ يدخلوهـا، وأن يتعاهـدوا مساجدهـا وقصورهـا بالإصـلاح[1].

وكعـادة **المرينيين**؛ لـم يطـل بهـم الحـال؛ حـتى تحركـت داخالهـم نزعـة التوسـع؛ فتعللـوا ــ هـذه المـرة أيضـاً ــ بلجـوء أفـراد مـن العائلـة المالكـة إلى **تلمسـان**؛ نتيجـة لخلافهـم مـع السلطـان المريـني. فطلـب هـذا الأخيـر مـن السلطـان الزيـاني تسليمهـم إليـه؛ ولكـن **أبـا حمـو الأول** رفـض الطلـب؛ متبعـاً نهـج أسلافـه في هـذا الأمـر؛ بحجـة أنـه لـن يكسـر جـواره أو يخفـر ذمتـه. وكسابـق العهـد؛ أدى موقفـه هـذا إلى غضـب السلطـان **المريـني أبي سعيـد عثمـان بـن يعقـوب**[2]؛ الـذي سـارع في سنـة سنـة 714هـ/1314م إلى غـزو **تلمسـان**، أيـن حاصرهـا؛ ولكنـه فشـل في مسعـاه؛ بعـد أن سـرّب **أبـو حمـو الأول** الأمـوال إلى وزرائـه؛ وتبـادل معهـم الخطابـات؛ ثـم أعلـم السلطـان **المريـني** بمؤمراتهـم

---

[1] أنظر هذا في ص: 369.

[2] هو أبو سعيد عثمان بن أبي يعقوب. حكم من سنة 710هـ/1310م إلى سنة 731هـ/1330م.

معه. فخاف **أبو سعيد** العاقبة؛ وانسحب عائداً إلى **المغرب الأقصى**.

خفتت بعدها ضغوط **المرينيين** على **تلمسان**؛ بسبب الأوضاع الداخلية في دولتهم. ولكنهم؛ لم يتخلوا عمّا تراودهم به نفوسهم؛ إلى أن حلّ عهد السلطان **أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب**[1]؛ هذا السلطان الذي اكتسب قوة لم يصل إليها أسلافه؛ إذ استفاد من تجاربهم؛ كما ازداد فائدة بعد احتكاكه بمجريات الأحداث في **الأندلس**؛ حيث التحق بالدولة **المرينية** بعض الخبراء في اقتحام الحصون المنيعة؛ كما كان يمتلك أيضاً أسلحة فعالة مدمر؛ قاذفة للبارود.[2] ولما قرّر **أبو الحسن** مهاجمة

---

[1] حكم من سنة 731هـ/1330م إلى سنة 749هـ/1348م.

[2] حصل على بعضها جدّه أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق واستعملها في حصار سجلماسة سنة 672هـ/1273م؛ وفي ذلك يقول ابن خلدون متعجباً: ((ونصب عليها [أي سجلماسة] آلات الحصار؛ من: المجانيق، والعرّادات، وهندام النفط القاذف بحصى الحديد،؛ ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود؛ بطبيعة غريبة؛ تردّ الأفعال إلى قدرة باريها)). العبر، مج: 7، ص: 388. وقد أشار ابن الخطيب في الإحاطة إلى أحد المخترعين لهذه الأسلحة التدميرية؛ اسمه علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج؛ من مدجني إشبيلية. التحق بيعقوب بن عبد الحق المريني؛ حيث بنى له دار الصنعة بسلا، وصنع له آلة الدولاب؛ ثم قال عنه: ((من العارفين بالحيل الهندسية؛ بصيراً باتخاذ الآلات الحربية الجافية، والعمل بها؛ انتقل إلى مدينة فاس على عهد أبي يوسف المنصور بن عبد الحق، واتخذ له الدولاب المنفسح القطر، البعيد المدى، ولين المركز والمحيط، المتعدد الأكواب، الخفي الحركة؛ حسبما هو اليوم ماثل بالبلد الجديد ـ دار الملك

تلمسان؛ لم يفتقر إلى ذريعة؛ تعطيه الحق في إعلان الحرب على **بني زيان**؛ إذ بحث عن مسوغات العمل؛ فوجد بين يديه؛ الشكوى التي تقدم بها صهره **يحيى أبو بكر الحفصي**[1] ضد السلطان **الزياني أبي تاشفين عبد الرحمن الأول**. فبادر من فوره بمراسلة هذا الأخير؛ مستفزاً إياه بطلب التخلي عن مدينة **دلس للحفصيين**؛ ورفع حصار الجيش **الزياني** عن **بجاية**[2]؛ غير أنه استقبل جواباً قاسياً من **أبي تاشفين الأول**. وهذا ما كان يأمله **أبو الحسن**، وينتظره بفارغ الصبّر. لأن هذه الحركة تأخرت منذ فترة من زمن؛ إذ كانت خطتها مُعَدَّة مسبقاً؛ في عهد والده **أبي سعيد**؛ وأجِّلَت بعد موته سنة 731هـ/1330م. ثم أجلت مرة أخرى ـ خلال زحفه نحو **تلمسان** سنة 732هـ/1331م؛ جراء تآمر أخيه ومنافسه **أبي علي** أمير **سجلماسة** مع **أبي تاشفين** ضدّه؛ فانثنى نحو أخيه؛ حيث تغلب عليه وأسره ثم قتله. ويبدو أن **أبا الحسن** أجّل موضوع

بمدينة فاس ـ أحد الآثار التي تحدو إلى مشاهدتها الركّاب. وبناء دار الصنعة بسلا)). الإحاطة في أخبار غرناطة، مج: 2، ص: 429.

[1] **حكم الدولة الحفصية ـ من تونس وقسنطينة ـ من سنة 718هـ/1318م إلى سنة 746هـ/1345م.**

[2] **العبر، مج: 7، ص: 226.**

تلمسان لبعض الوقت؛ واتجه بكل قوته نحو **عدوة الأندلس**؛ أين اهتم باستعادة **جبل الفتح (جبل طارق)**، وانتزاعه من قبضة **النصارى**؛ فتحالف مع السلطان **ابن الأحمر** في ذلك؛ وبالفعل تم له تحقيق ذلك الفتح سنة 733هـ/1332م. وبعمله هذا؛ ظهر له أنه أضحى في مقام رفيع لا تطاله ملوك **المغرب والأندلس** كافة.. حينها؛ عاودته الرغبة في امتلاك **تلمسان**. فبعث – من جديد – للسلطان **الزياني أبي تاشفين**؛ مكرراً الشروط التعجيزية نفسها؛ وهي التخلي عن مدينة **تدلس (دلس) للحفصيين**، والانسحاب إلى المنطلق الأول؛ الذي كانت عليه حدود دولة **بني زيان**. وعلى هذا؛ اتبع **أبو الحسن** نهج أسلافه في وضع شروط تعجيزية؛ بحيث لن يجد – معها – السلطان **الزياني** بداً من رفضها؛ بل تُستثار حفيظته بأسلوب مستفز عند عرض الشروط؛ الأمر الذي تنجرُّ عنه ردود فعل بألفاظ قاسية؛ تفتح – حتماً – باب الحرب. وهكذا؛ زحف **أبو الحسن إلى تلمسان** سنة 735هـ/1334م – أي بعد سنوات ثلاث من محاولته الأولى – فوصلها يوم 11 من شوال سنة 735هـ/1334م. حيث شرع – كسلفه – في بناء

ميدنة؛ سمّاها باسم المدينة التي أقامها جدّه **أبو يعقوب** من قبل؛ وخربها **بنو زيان**؛ وهي **((المنصورة))**[1]. ولكنه خالف جدّه؛ عندما تبنى خطة فعالة في حصار **تلمسان**، والتضييق عليها؛ سلك في البداية مسلك سلفه **يوسف بن يعقوب بن عبد الحق**؛ ولكنه أضاف إليها تحسينات ناجعة. وقد اتبع في خطته تكتيكاً محكماً؛ حقق به هدفه. من ذلك:

ـ أنه بادر ـ كما سبق ذكره، مثل سلفه ـ إلى بناء مدينة سمّاها **المنصورة** (البلد الجديد)؛ الواقعة في الجهة الغربية من **تلمسان**؛ وهي التي اتخذها مستقراً له ولجيشه؛ أثناء الحصار؛ إذا ما طال أمده.

ـ أقام حول المدينة المذكورة أسواراً تحميها؛ ثم نصب المجانيق، والآلات الحربية، بجوار الخندق الذي حفر أمام الأسوار.

---

[1] قال فيها عبد الرحمن بن خلدون: ((واختط السلطان بقرب تلمسان البلد الجديد لسكناه؛ ونزل عساكره؛ وسماه المنصورة؛ وأدار على البلد المخروب سياجاً من سور، ونطاقاً من الخندق...)). العبر، مج: 7، ص: 534. وقال أخوه يحيى: ((ثم ابتنى غربيّها مدينة لسكناه؛ نسبها إلى النصر)). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 219. أما التنسي فكتب: ((وبنى عليها مدينته التي هي الآن محرثاً)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 146. ويعتقد محمد بوعياد أن الآثار الموجودة حالياً لمدينة المنصور هي لمدينة أبي الحسن. أنظر تعليقه في الصفحة نفسها.

ـ وبعدها أخذ يشيّد أمام كل برج من الأبراج المقامة على سور **تلمسان**؛ برجاً يقابله، وأحاطه بخندق لحمايته. ووضع به رماة كلفهم بمدامة رشق برج الأعداء المقابل بالنبل؛ بهدف إشغالهم بأنفسهم؛ ريثما يشيد برجاً آخر؛ أكثر قرباً من أسوار **تلمسان**. وهكذا تدرج في الاقتراب من سور المدينة المحاصرة؛ ببناء برج وراء برج؛ حتى لاصق خندق أعدائه المحفور بجوار أسوار البلد[1].

ـ وأثناء ذلك انشغل في تطويق المدينة بجيشه، وبأنصاره من جميع جهاتها. كما تولى ـ في الوقت نفسه ـ تمهيد البلاد الشرقية التابعة **لتلمسان**:[2]. حيث اعتمد خطة أسلافه في عزل **تلمسان** عن ممتلكات الدولة الشرقية؛ إذ استولى؛ خلال سنة 736هـ/1335م على عمالاتها كلها؛ كـ: **وجدة، وندرومة، وهنين، ووهران، بلاد مغراوة، وتوجين، وشلف، وتنس،**

[1] ((ولم يزل يتقرب بوضع الأبراج من حدّ إلى ما بعده؛ حتى اختطها من قرب على ساقة خندقهم. وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليها؛ وقربت المجانيق إلى رجمها ودكها؛ فنالت من ذلك فوق الغاية؛ واشتدت الحرب، وضاق نطاق الحصار)). العبر، مج: 7، ص: 535.

[2] ((وأحاطت بها عساكره، وضرب عليها سياج الأسوار، وسرادقات الحفائر أطبقت عليهم؛ حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا إليهم. وسرح كتائبه في القاصية من كل جهة؛ فتغلب على الضواحي، وافتتح الأمصار جميعاً)). العبر، مج: 7، ص ص: 227 - 228.

ومليانة والجزائر، ولمدية. وبذلك قطع كل مدد محتمل لحاضرة الدولة المحاصرة. وتمكن **أبو الحسن** ـ بعد عامين من بدء حصاره؛ أي في يوم الأربعاء 18 من رمضان[1] سنة 737هـ/1336م ـ تمكن من اقتحام **تلمسان.** فحقق ما عجز عنه أسلافه من قبل. حيث قتل السلطان **أبا تاشفين** مع ولديه: **عثمان ومسعود**؛ ثم ألحق بهم الوزير **موسى بن علي الكردي.** وبذلك تم القضاء على الدولة **الزيانية**[2]. وأضحت **تلمسان** ضمن ممتلكات **المرينيين** لبعض الوقت.

وبعد فتح **تلمسان** وعمالاتها؛ أظهر **أبو الحسن** ما خفي في صدره؛ من طموح ورغبة في التوسع شرقاً. فاتخذ **تلمسان** منطلقاً جديداً لاحتلال **إفريقية،** وتحقيق حلم أجداده؛ في توحيد **بلاد المغرب** كلها تحت سيادة **المرينيين**؛ خلفاء **الموحدين**[3]. وعليه؛ فقد

---

[1] اقتحام المدينة حدث ـ حسب رأي عبد الرحمن بن خلدون ـ في 17 رمضان سنة 737هـ، العبر، مج: 7، ص: 536.

[2] ((ولم يزل السلطان أبو تاشفين يقاتل هو وأولاده ووزيره بباب القصر إلى أن استشهدوا جميعاً؛ رحمة الله عليهم. وذلك يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة)). تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر). ص: 146.

[3] ((كان أبو الحسن قد امتدت عينه إلى ملك إفريقية؛ لولا مكان مولانا السلطان أبي يحيى من ولاية صهره. وأقام يتحين لها الوفاة... فلما هلك

كـــان ينتظـــر الفرصـــة المواتيـــة للإنقضـــاض عـــلى مملكـــة **الحفصيين**. وبعـد أن انـزاح المانـع المعنـوي المتمثـل في الصّهـر الواصـل بيـن السلطـان **الحفـصي أبي يحـيى وأبي الحسن** زوج ابنتـه. بوفـاة تلـك الزوجـة والتحـاق والدهـا بالملكـوت الأعـلى سنـة 747هـ/1346م. لـم يجـد أمامـه مـا يمنـع توسعـه عـلى حسـاب **الحفصيين**. وكـان عليـه إيجـاد ذريعـة تخـول لـه غـزو تلـك الديـار؛ الـتي يعتبـر أصحابهـا ـ في حقيقـة الأمـر ـ مـن حلفائـه، وأقربائـه بالصهـر[1]. ولـم يطـل بـه الحـال؛ حـتى وصلـه خبـر قَتْـلِ الأميـرُ **عُمَـرُ** لأخيـه **أحْمَـدَ** ولي العهـد الشـرعي. واغتصابـه سـدة الحكـم في **تونـس**. عندهـا قـرّر **أبـو الحسـن** تنفيـذ خطتـه المختمـرة؛ فأظهـر الامتعـاض لقتـل الأميـر **أحمـد**؛ السلطـان الشـرعي

السلطان أبو يحيى في رجب من سنة سبع وأربعين [وسبعمائة]؛ وكان من قيام ابنه عمر بالأمر؛ ونزوع الحاجب أبي محمد بن تافراكين منها في رمضان؛ ما ذكرناه. تحركت عزائمه لذلك؛ ورغّبه ابن تافراكين في ملك الموحدين؛ فرغب. وجاء على إثره الخبر بما كان من قتل عمر لأخيه أحمد ولي العهد؛ وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه... فامتعض السلطان لما أضاع عمر من عهد أبيه، وهدر من دم أخيه... فأجمع الحركة إلى إفريقية)). العبر، مج: 7، ص ص: 557 - 558.

[1] بعد هلاك زوجته ـ ابنة أبي يحيى الحفصي في موقعة طريف بالأندلس ـ خطب إحدى أخواتها؛ فأعطيت له. وتوفي والدها أبو يحيى أثناء رحلتها؛ وقبل أن تصل إلى عريسها. أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 555 - 557.

للدولة؛ بحكم كتاب العهد؛ المحرر من قبل أبيهما **أبي يحيى**.

وهكذا؛ فقد انطلق **أبو الحسن** سنة 747هـ/1346م بجيش عظيم؛ شمل قبائل **المغرب** كافة؛ وضمّ إليهم قبيل **بني عبد الواد**؛ إذ جمع قبائل **زناتة** كلها تحت لواء واحد؛ متوهماً أنه أضحى زعيمها الأكبر وحامل لوائها الأوحد.. ولكن الواقع يقول غير ذلك. وقبل أن ينطلق في حملته؛ أسند لولده **أبي عنان فارس** ولاية **المغرب الأوسط**: **((وعهد إليه بالنظر في أموره كافة؛ وجعل إليه جبايته؛ وارتحل يريد إفريقية))**[1]. تقدم **أبو الحسن** زاحفاً بجيشه الجرار نحو **تونس**؛ ساحباً خلفه معظم قبائل **المغرب**، وحاملاً في ركابه مجموعة كبيرة من علماء **المغرب**؛ قصد التباهي بهم والتعاظم، وراغباً في إضفاء مسحة من الشرعية على غزوته؛ التي ستمنحه مرتبة خلافة المسلمين؛ بفضل وجودهم في ركابه ومباركتهم لمسعاه. ولكن الأقدار شاءت غير ذلك؛ حيث كان مصيرهم الموت[2]: إمَّا

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 558.

[2] ((وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من فضلاء المغرب وأعيانه؛ هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس، وغرق جماعة

بعلة الطاعون الجارف، أو بالغرق في البحر أثناء جلاء **أبي الحسن**؛ منهزماً من **تونس**. وقد أحصى **المقري** عددهم بأربعمائة عالم[1]. سارت حملة السلطان **المريني** – في بدايتها – على أحسن ما يرام. حيث توافدت إليه وفود **أعراب إفريقية**، وعمال الدولة **الحفصية** القائمين على المدن المختلفة[2]. فدخل إلى: **بجاية وقسنطينة وبونة وباجة** بسلاسة وسلام؛ وختم نجاحه بالدخول إلى عاصمة الدولة **تونس**؛ التي فتحت أبوابها دون مقاومة تذكر؛ وذلك في يوم الأربعاء 18 جمادى الآخرة من عام 748هـ/1347م. حدث ذلك؛ إثر إحضار رأس السلطان الحفصي **عمر بن أبي يحيى**؛ المذبوح في نواحي **قابس**، ووضعه بين يديه. **((وقد كمل الفتح، وعظمت – في الاستيلاء على الممالك والدول –**

منهم في اسطوله لما غرق؛ وتخطت النكبة منهم آخرين إلى أن استوفوا من قدّر من آجالهم)). التعريف بابن خلدون. ص ص: 44 - 45.

[1] ((ثم حصلت له الهزيمة الشنعاء قرب القيروان؛ حين قاتل أعراب إفريقية؛ فغدره بنو عبد الواد - الذين أخذ من يدهم ملك تلمسان - وانتهزوا الفرصة فيه، وهربوا إلى الأعراب عند المصافة؛ فاختلّ مصافه؛ وهُزم أقبح هزيمة؛ ورجع إلى تونس مغلوباً، وركب البحر في أساطيله - وكانت نحو السمائة من السفن - فقضى الله تعالى أن غرقت جميعاً؛ ونجا على لوح؛ وهلك من كان معه من أعلام المغرب؛ وهم نحو أربعمائة عالم)). نفح الطيب، ج: 6، ص ص: 214 - 215.

[2] العبر، مج: 7، ص ص: 558 - 561.

المنَّـــة. واتسعـت ممالكــه مــا بيــن مسراتـــة والســـوس الأقـــصى مـــن هـــذه العـــدوة، وإلى رنـــدة مـــن عـــدوة الأندلـــس))[1]. ومـــن غرائـــب الأحـــداث، وعجائـــب الدّهـــر وتصاريفـــه؛ أن هـــذا الصّـــرح العظيـــم الـــذي شيّـــده **أبـــو الحســـن** انْهَـوَى واندثــر فجــأة، وفي لحظـــة قصيـــرة. فتحـــول مصيـــر هـــذا الملـــك القـــوي المتغلـــب إلى منهـــزم وشريـــد عبـــر البحـــار والآفـــاق؛ باحثـــاً عـــن ملجـــإ ومـــأوى آمـــن يسكـــن إليـــه. فتنقـــل ــ في خبـــر طويـــل ــ[2] بيـــن **الجزائـــر، وونشريـــس، وجبـــل بـــني راشـــد، وسجلماســـة، ومراكـــش، وجبـــل هنتاتـــة**؛ أيـــن تـــوفي بتلـــك الناحيـــة؛ بعـــد مـــرض؛ في 23 ربيـــع الثـــاني مـــن سنـــة 750هــ/1349م.

وجملـــة القـــول؛ فقـــد ارتكـــب **أبـــو الحســـن** أربعـــة أخطـــاء قاتلـــة؛ في تقديـــره للموقـــف؛ قبـــل زحفـــه نحـــو **تونـــس**، وعنـــد حلولـــه بهـــا:

ــ أولاهمـــا؛ أنـــه اطمـــأن **لبـــني عبـــد الـــواد**؛ واعتقـــد أنهـــم أضحـــوا في خدمتـــه؛ وهـــذا تقديـــر غيـــر سليـــم؛ لأن حقيقتهـــم؛ كمـــا وصفهـــم **يحـــيى بـــن خلـــدون: ((استخـــدم قبيـــل بـــني عبـــد الـــواد؛ فلـــم شعثهـــم، وحفـــظ عليهـــم**

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 563.**
[2] **أنظر العبر، مج: 7، ص ص: 567 - 597.**

رتبتهم، وأبقى لشعوبهم وقبائلهم المراسم التي ألفوها بأيامهم؛ تفاخراً بملك القبيلتين، وتشرفاً بإمرة زناتة أجمعين... فمضت الأيام وهُمْ بين بني مرين لهب مكفور، وصارم مغمود، والأكباد تتفطر غِيرَة، والقلوب تحتدم حنقاً، فالعيون شازرة، والألسن هامسة؛ إلاّ أن الصبر مستشعر، والخضوع والتسليم مستظهران))[1]. وعليه؛ فإنهم انتهزوا فرصة خروج **أعراب سليم وهلال** عن صف **أبي الحسن**؛ في **القيروان**؛ فبادروا بعقد صفقة معهم ضد السلطان **المريني**[2]؛ شاركهم فيها أحياء من **مغراوة وبني توجين**؛ فأثمرت صفقتهم عن هزيمة نكراء **لأبي الحسن**؛ أُسْدِل بعدها السِّتارُ عن دولته؛ وانتقل الحكم في الدولة **المرينية** لابنه **أبي عنان فارس.**

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 234.

[2] فتدامروا، واتفقوا على الاستماتة؛ ودس إليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين؛ فغلبوا بني مرين، وعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم؛ ليتحيزوا إليهم براياتهم؛ فصبحوا معسكر السلطان. وركب إليهم في الآلة والتعبئة، واحتل المصاف؛ وتحيز إليهم الكثر. ونجا السلطان إلى القيروان؛ فدخلها في الفل من عساكره... وتدافعت ساقات العرب في أثره؛ وتسابقوا إلى المعسكر؛ فانتهبوه، ودخلوا فسطاط السلطان؛ فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه؛ وأحاطوا بالقيروان، وأحدقت حللهم بها سياجاً، وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع، وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان)). العبر، مج: 7، ص: 573.

ـ أما الثاني من أخطائه؛ فيتمثل في تقديره السيء لقوة وولاء **أعراب بني هلال وسليم** في **إفريقية**[1]. إذ قاسهم بمقياس **المغرب الأقصى**؛ في التعامل مع **الأعراب** هناك؛ تلك الفئة التي تكيّفت مع أحكام الدولة هناك، وقبلت بسلطانها في بعض الحدود. وعلى هذا سرعان ما أبدى **أعراب إفريقية** سخطهم على **أبي الحسن**؛ بسبب تقليصه لحجم إقطاعاتهم، وإسقاط ما فرضوه من ضرائب على المارة؛ كضريبة الخفارة. وبذلك؛ أجمعوا على التمرّد وإشعال الفتن. فاتّصلوا ببعضهم، وأصفقوا على الخلاف والثورة. وهنا؛ تقاطعت مصلحتهم مع

[1] ((كان هؤلاء الكعوب من بني سليم رؤساء البدو بإفريقية؛ وكان لهم اعتزاز على الدولة؛ لا يعرفون غيره منذ أولها؛ بل وما قبله... ولما تغلب السلطان [أبو الحسن] على الوطن؛ وكان حاله في الاعتزاز على من في طاعته غير حال الموحدين [الحفصيين]، وملكته للبدو غير ملكتهم. وحين رأى اعتزازهم على الدولة، وكثرة ما أقطعتهم من الضواحي، ثم من الأمصار؛ نكره؛ وأدالهم من الأمصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات فرضها لهم في الديوان. واستكثر جبايتهم؛ فنقصهم الكثير منها. وشكى إليه الرعية من البدو؛ ما ينالونهم به من الظلامات والجور؛ بفرض الإتاوة التي يسمونها الخفارة. فقبض أيديهم عنها، وأوعز إلى الرّعايا بمنعهم منها. فارتابوا لذلك؛ وفسدت نياتهم، وثقلت وطأة الدولة عليهم؛ فترصدوا لها. وتسامع ذؤبانهم وبواديهم بذلك؛ فأغاروا على قياطين بني مرين، ومسالحهم بثغور إفريقية وفروجها، واستاقوا أموالهم، وكثر شكاتهم، وأظلم الجو بينهم وبين الدولة...)). العبر، مج: 7، ص ص: 567 - 570.

مصلحة بني **عبد الواد**؛ فاتفقوا جميعاً على كسر شوكة **أبي الحسن** وتقليم أظافره. وبالفعل؛ تم لهم ما سعوا إليه؛ في موقعة **القيروان**؛ حيث انسحب ـ في آخر لحظة ـ **بنو عبد الواد** من صفوف **المرينيين**، وانضموا لأعدائه؛ فحدثت الهزيمة الشنيعة في صفوف جيش **أبي الحسن**؛ الذي لم تقم له قائمة بعدها؛ حيث انتهى الأمر بهذا السلطان؛ إلى الانسحاب من **تونس** نفسها؛ هارباً عبر البحر[1]؛ أين وقعت به الكارثة العظمى؛ التي توفي فيها معظم أتباعه؛ بفعل تقلبات الأمواج؛ فنجا بنفسه؛ وحيداً طريداً إلى دياره؛ وهناك؛ وجد مفاجأة أخرى تمثلت في وثوب ولده **أبي عنان** على سدة الحكم؛ فلجأ **أبو الحسن** إلى جنوب **المغرب**؛ هرباً من شر أعدائه، ومن غدر ولده.

---

[1] **اضطر أبو الحسن لركوب البحر؛ بعد علمه بخروج العمالات الغربية؛ عليه. ويشرح ابن خلدون هذا الأمر بقوله: ((وكان أهل قسنطينة وبجاية قد برموا من الدولة، واستثقلوا وطأة الإيالة؛ لما اعتادوا من الملكة الرقيقة؛ فاشرأبوا إلى الثورة عندما بلغهم خبر النكبة... فلما وصل خبر النكبة [إلى قسنطينة]؛ اشرأبّ الغوغاء ـ من أهل البلد ـ إلى الثورة، وتحلّبت شفاههم**

ـ وخطأه الثالث؛ يتمثل في منح ابنه **أبي عنان فارس** صلاحيات واسعة، وتمكينه من مقدرات **المغرب الأوسط** الاقتصادية؛ وتنصيبه والياً مفوضاً في **تلمسان.** الأمر الذي منحه ثروة مادية فاعلة، وقوة بشرية ضاربة؛ فشجعه ذلك على الاستبداد، واغتصاب السلطة؛ بل مطاردة أبيه السلطان من مكان إلى آخر، وقطع السبل عليه منعاً لعودته إلى عرشه[1].

ـ أما الخطأ الرابع؛ فيتمثل في التوسع بشكل مبالغ فيه؛ بحيث مدّ **أبو الحسن** حدود مملكته إلى الحدّ الذي أفقده التحكم والسيطرة عليها بكاملها[2]. ولما كانت قوة دولة **بني مرين** العددية والاقتصادية؛

---

[1] ((لما اتصل خبر النكبة على القيروان بالأمير أبي عنان ابن السلطان ـ وكان صاحب تلمسان والمغرب الأوسط ـ وتساقط إليه الفل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدانا؛ وأرجف الناس بمهلك السلطان بالقيروان؛ فتطاول الأمير أبو عنان للاستبداد بملك أبيه دون الأبناء)).

[2] خصص ابن خلدون فصلين في مقدمته الأول بعنوان: "فصل في أن كل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها" والثاني: "فصل في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها على نسبة القائمين بها في القلة والكثرة"؛ شرح ضمنهما حجم الخلل الذي يطرأ على الدولة؛ حينما تتباعد ثغورها عن مركزها؛ عندئذ تأخذ قوتها في التلاشي؛ شيئاً فشيئاً، وبالتدريج؛ كلما ابتعدت عن حاضرة الدولة (مركزها)؛ ثم يقول: ((شأن الأشعة والأنوار؛ إذا انبعثت من المراكز. والدوائر المنفسحة على سطح الماء من النقر عليه)). المقدمة، ج: 2، ص: 643.

تكفي لحماية ثغورها المعروفة؛ منذ نشأتها؛ فإنها بالمقابل عاجزة عن السيطرة على مجالات أوسع من ذلك. وقد علل **ابن خلدون** هذا بقوله: **((والسبب في ذلك؛ أن الملك إنما يكون بالعصبية؛ وأهل العصبية هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة وأقطارها؛ وينقسمون عليها؛ فما كان من الدولة العامة ـ قبيلُها وأهلُ عصابتها ـ أكثر؛ كانت أقوى، وأكثر ممالك وأوطاناً؛ وكان ملكها أوسع لذلك))**[1].

ولما وصلت أخبار نكبة **أبي الحسن** في **القيروان** إلى **فاس** ـ حيث يتواجد حفيده **منصور بن أبي مالك**؛ المكلف بعمل **فاس والمغرب الأقصى** ـ تجهز للأمر؛ واستعد للوثوب على العرش. ومن جهة أخرى؛ حضَّر ولده **أبو عنان** ـ الموجود **بتلمسان** ـ

---

[1] ويضيف قائلاً؛ بعد أن يستشهد بما جرى لدول سبقت؛ كـ: الفاطميين وصنهاجة، والموحدين: ((ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة؛ لما كان عددهم أقل من المصامدة؛ قصر ملكهم عن ملك الموحدين؛ لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ أول أمرهم. ثم اعتبر ـ بعد ذلك ـ حال الدولتين لهذا العهد لزناتة: بني مرين، وبني عبد الواد؛ لما كان عدد بني مرين ـ لأول ملكهم ـ أكثر من بني عبد الواد؛ كانت دولتهم أقوى منها، وأوسع نطاقاً؛ وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى. يقال إن عدد بني مرين ـ لأول ملكهم ـ كان ثلاثة آلاف؛ وإن بني عبد الواد كانوا ألفاً؛ إلاّ أن الدولة وكثرة التابع كثّرت من أعدادهم)). المقدمة، ج: 2، ص: 645.

نفسه للإنقضاض على **فاس**، وإزاحة أي منافس يظهر؛ بما فيهم **منصور بن أبي مالك**. وعليه؛ فقد فكر **أبو عنان** في الأمر ملياً؛ فأدرك استحالة السيطرة على عرش الدولة؛ دون الالتحاق **بفاس**؛ مركز الدولة وقلبها النابض. لذا قرّر العودة إليها؛ ليسبق غيره من الإخوة والأحفاد، وقطع الطريق أمام عودة أبيه. وقبل أن يخطو خطوته الأول؛ تأمل جيداً في من سيخلفه **بتلمسان**؛ فلم يجد أفضل من صنيعتهم وتابعهم القديم **عثمان بن يحيى بن جرار ابن يعلى بن تيدكسن بن طاعة الله**[1]؛ وهو من **بني عبد الواد**. لأنه محل ثقة من جهة، ومن

---

[1] **لم يحظ بنو جرار ـ في أول الأمر ـ بالاحترام المطلوب؛ من قبل إخوانهم من بني زيان بن محمد بن زكدان. وظلوا على حالهم بعد قيام الدولة العبد الوادية. إذ كانوا يشعرون بالتهميش. وفي عهد أبي تاشفين الأول؛ اتهم شيخهم عثمان بن جرار هذا؛ لدى السلطان؛ بأنه يتطلع للرئاسة، ويتطاول في طموحه؛ فاعتقله أبو تاشفين؛ ولكنه فرّ من سجنه؛ والتحق ببني مرين؛ أيام السلطان أبي سعيد عثمان والد أبي الحسن. فألحقه بخدام دولته، وكلفه بقيادة ركب الحج. وعندما نهض أبو الحسن لفتح إفريقية؛ رافقه في حملته. ولكنه طلب من السلطان العودة؛ حينما كان بالقيروان؛ فأذن له؛ فعاد إلى تلمسان؛ حيث اتصل بأبي عنان؛ فأوهمه بقدراته التنجيمية، وعِلمِه بالحدثان. كما أخبره بنكبة أبيه قبل أن يسمع بها. وهو الذي حثه على الوثوب على العرش قبل أن يسبقه غيره من الأسرة المالكة؛ كما هون عليه شأن أبيه؛ وأوهمه بنهايته، بل بموته. لهذا؛ فقد استراح له أبو عنان؛ وأودعه ثقته؛ ونصبه والياً على تلمسان من قبله. غير أنه استبد بالأمر بمجرد وصول أبي عنان إلى فاس. فنهض بالدولة العبد الوادية من جديد؛ من خلال فرع آخر؛ غير فرع بني زيان.**

جهة أخرى ينتمي **لبني عبد الواد**؛ فيسهل ـ بذلك ـ عليه القيام بأمر الولاية دون حرج أو بلبلة. وبوصوله إلى القرار هذا؛ بادر إلى تنصيب **ابن جرار** والياً ـ من قبله ـ على **تلمسان**؛ ثم أسكنه في القصر الملكي القديم؛ ونهض بعدها إلى **فاس**؛ حاضرة **بني مرين**، ومقرّ ملكهم. فتوهم ـ بهذا التصرف ـ أنه سيرضي **بني عبد الواد** من جهة، ومن جهة أخرى يضمن بقاء **تلمسان والمغرب الأوسط** ضمن أملاك **بني مرين**. والأهم من كل ذلك؛ هو اعتقاده بأنه سيقطع طريق العودة على أبيه **أبي الحسن** بواسطته. لأنه علم بنجاته من نكبته، وثبت له حرصه على العودة إلى مقر عرشه. ولكن **عثمان بن جرار** خيب ضنّ **أبي عنان**؛ إذ نقض اتفاقه معه بمجرد خروج هذا الأخير من **تلمسان** في سنة 749هـ/1348م. تم ذلك؛ حين استبد بالحكم، وجاهر بالدعوة لنفسه؛ وأعاد **لبني عبد الواد** دولتهم؛ ولكن في فرع أخر غير **بني زيان**[1]؛ إلاّ أنه لم ينعم طويلاً بذلك؛ إذ انقض

[1] قال ابن خلدون في هذا: ((ولما فصل [أبو عنان]؛ دعا عثمان لنفسه، وانتزى على كرسيّه، واتخذ الآلة، وأعاد من ملك بني عبد الواد رسما لم يكن لآل جرار؛ واستبد أشهراً قلائل؛ إلى أن خلص إليه من آل زيان؛

عليه صقور **بني زيان**؛ بعد أشهر قلائل؛ قادمين من **إفريقية** مع أنصارهم وحلفائهم؛ بعد مشاركتهم في نكبة **أبي الحسن** وهزيمته.

حدث ذلك؛ بعدما هُزِم السلطان **المريني أبي الحسن** في **القيروان**؛ جراء تحالف **بني زيان** مع **أعراب إفريقية** ضدّه، وشاركوهم في كسر شوكته. عندها؛ ـ وبعد هزيمة السلطان المذكور ـ اتجهوا إلى **تونس**؛ حيث التأم جمع **بني عبد الواد**، ثم انضم إليهم من ناصرهم من **الأعراب**، وخرجوا إلى الضاحية؛ أين اتفقوا على تقديم الأمير **عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن**، ومبايعته ملكاً على **بني عبد الواد**.[1] وإثر عقد البيعة؛ انطلقوا نحو **تلمسان**؛ لاستعادة حاضرة ملكهم. ولما سمع سكان المدينة بتقدم **بني زيان** وأنصارهم نحوهم؛

من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن؛ من طمس معالمه، وخسف به وبداره، وأعاد أمر بني عبد الواد إلى نصابه)). العبر، مج: 7، ص: 238.

[1] ((وخلص الملأ منهم نجياً في شأن أمرهم؛ ومن يقدمون عليهم؛ فأصفقوا ـ بعد الشورى ـ على عثمان بن عبد الرحمن، واجتمعوا عليه؛ لعهده بهم يومئذ؛ وقد خرجوا به إلى الصحراء، وأجلسوه ـ بباب مصلى العيد من تونس ـ على درقة. ثم ازدحموا عليه ـ بحيث توارى شخصه عن الناس ـ يسلمون عليه بالإمارة، ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة؛ حتى استكملوا جميعاً؛ ثم انطلقوا به إلى رجالهم)). العبر، مج: 7، ص ص: 239 - 240.

ثـــاروا **بعثمـــان بـــن جـــرار**؛ الـــذي استأمـــن السلطـــان **الزيـــاني عثمـــان بـــن عبـــد الرحمـــن**. فقبـــل توبتـــه عـــن مضـــض؛ ثـــم اعتقلـــه عنـــد دخولـــه **تلمســـان**، والجلـــوس عـــلى عـــرش أجـــداده في آخـــر جمـــادى الآخـــرة مـــن سنـــة 749هـ/1348م. وزج **بعثمـــان بـــن جـــرار** في المطبـــق إلى أن مـــات في شهـــر رمضـــان مـــن السنـــة نفسهـــا.

بـــادر السلطـــان **أبـــو سعيـــد عثمـــان** ـ مـــن فـــوره ـ بتنظيـــم شئـــون الدولـــة؛: ((**فاقتعـــد الكـــرسي، وأصـــدر أوامـــره، واستـــوزر واستكتـــب، وعقـــد لأخيـــه أبي ثابـــت الزعيـــم عـــلى مـــا وراء بابـــه؛ مـــن شئـــون ملكهمـــا، وعـــلى القبيـــل والحـــروب، واقتصـــر هـــو عـــلى ألقـــاب الملـــك وأسمائـــه؛ ولـــزم الدعـــة**))[1]. وواضـــح هنـــا؛ أن **أبـــا عنـــان** غـــضّ الطَّـــرف عـــن كـــل مـــا جَـــرَى في **تلمســـان**؛ لأنـــه انشغـــل بمـــا هـــو أهـــم؛ مـــن ذلـــك؛ مثـــل:

ـ مغالبـــة المنافسيـــن مـــن الأبنـــاء والأحفـــاد عـــلى عـــرش **بـــني مريـــن**.

---

[1] **العبر، مج: 7، ص ص: 243-244.**

ـ المحافظة على بقاء الدولة **المرينية** وحمايتها من الأخطار التي تترصدها.

ـ السعي لمنع والده **أبا الحسن** من العودة إلى سدّة الحكم بأي ثمن كان.

وعليه؛ فقد اضطر **أبو عنان** لعقد اتفاق مع السلطان **الزياني عثمان بن عبد الرحمن**؛ بغرض منع والده **أبي الحسن** من العودة إلى **فاس**. وبالفعل؛ فقد بعث إليه مدداً من **فاس**؛ لمواجهة أبيه ومن معه. فوُضِعوا تحت قيادة **أبي ثابت الزعيم**؛ صاحب الجيش والحرب بدولة **بني زيان** المنبعثة من جديد. فاشتبك هذا الجيش مع جيش **أبي الحسن**؛ الذي ضمّ بعض أحياء من: **الثعالبة، ومليكش، وسويد**، وفئة من **توجين**؛ بالإضافة إلى **الناصر بن أبي الحسن** الذي التحق بأبيه مع جَمْعٍ من أحياء **زناتة والأعراب**. وانتهت المعركة بهزيمة **أبي الحسن** ومن معه، وقتل **ابنه الناصر** إثر جراح ألمت به. وقبض على بناته؛ حيث أرسلهن **أبو ثابت الزعيم** إلى **فاس**. أما السلطان **أبو الحسن**؛ فقد هرب به **ونزمار** شيخ **سويد** إلى **سجلماسة**؛ أين استؤنفت مآسيه، وفراره من مكان إلى آخر حتى استقر به

الحال عند شيخ **هنتاتة عبد العزيز بن محمد بن علي**؛ حيث بقي في ذلك الجبل إلى أن حلّ أجله بعد مرض عضال.

وبموت السلطان **أبي الحسن**؛ فرغت الساحة من جميع المنافسين **أمام أبي عنان**. ولم يعد عرضة للأخطار وتقلبات الأيام، وأحس برسوخ قدميه على الأرض التي يقف عليها، وشعر بقوة فاعلة تحمى ظهره، وأعجب بحجم الجيوش التي تشد أزره. حينئذ؛ أدرك أنه لم يعد في حاجة إلى **بني زيان في تلمسان**، ولا لغيرهم ممن وقفوا حاجزاً لمنع والده من العودة إلى **فاس**. عندئذ شمّر على ساعديه، وهيأ نفسه للانقضاض عليهم في عقر دارهم[1]. **((وعادت حليمة إلى عادتها القديمة))**. إذ لم تُثْنِ الأحداثُ التي جرت **لأبي الحسن** ـ كانهيار سلطانة، وتلاشي أحلامه ـ ولده **أبا عنان**؛ بل تحركت في داخله الجرثومة المتوارثة في أسرته؛ والتي تدفعهم دوماً للمزيد من التوسع على حساب جيرانهم.

[1] ((وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد، لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي سموا لاستخلاصه. ولما كان فاتح سنة ثلاث وخمسين [وسبعمائة]؛ نادى بالعطاء، وأزاح العلل، وعسكر بساحة البلد الجديد، واعترض العسكر، وارتحل يريد تلمسان)). العبر، مج: 7، ص: 598.

وعلى هذا؛ فبمجرد وصول الخبر بوفاة والده؛ والاطمئنان بدفنه بنفسه؛ بادر إلى الزّحف شرقاً؛ نحو **تلمسان أولاً**؛ ثم الانطلاق في اتجاه **إفريقية**.

لم يجد صعوبة كبيرة؛ في إسقاط دولة **بني زيان**، وقتل ملكها **أبي سعيد**، وأخيه **أبي ثابت**، ثم تشريد **بني عبد الواد** غرباً وشرقاً سنة 753هـ/1352م. ثم انتقل ــ بعدها ــ إلى **بجاية** التي فتحها صلحاً في السنة المذكورة أيضاً: **((وفرغ السلطان من شأن المغرب الأوسط؛ وبث العمال في نواحيه، وثقف أطرافه، وسما إلى ملك إفريقية))**[1]. وهكذا؛ فقد استمر في تقدمه شرقاً؛ فدخل بجاية ثم قسنطينة، ودخلت جيوشه بسكرة وطولقة. واستطاع جيشه من الدخول إلى تونس سنة 758هـ/1356م. وابتهج بفتوحاته. ولكن حدث له ما وقع لأبيه أبي الحسن؛ إذ عجز عن المحافظة على مكتسباته؛ وانتهت حملته بخسارة تشبه خسارة والده ــ من قبل ــ فتبخرت إنجازاته كلها في لحظة واحدة؛ ولم يبق بين يديه سوى دولته الأصلية بحدودها المعروفة. حدث ذلك؛ حينما تعرض لمصالح أعراب

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 601.**

رياح: **((وقبض أيدي العرب من رياح عن الإتاوة التي يسمونها الخفارة؛ فارتابوا؛ فطالبهم بالرهن؛ فأجمعوا على الخلاف))**[1].

ثم أن الجيش **المريني**؛ ثقلت عليه المهمة، وتململ أفراده؛ وكرهوا مواصلة الزّحف والقتال في مناطق بعيدة عن ديارهم **بالمغرب الأقصى**؛ واعترضوا على نيّة السلطان **أبي عنان** التوجه إلى **تونس**. بل تآمروا بينهم على قتله. ثم وضعوه أمام الأمر الواقع؛ إذ شرعوا في الانسحاب فئة بعد أخرى؛ تاركين الساحة، وعائدين إلى **المغرب**؛ دون إذن السلطان؛ إذ اكتفوا بموافقة الوزير **فارس بن ميمون** وبعض مشائخهم[2]. وبذلك؛ وضعوا **أبا عنان** في موقف حرج؛ حين وجد ممن كان حوله يتناقصون شيئاً فشيئاً؛ فاضطر ــ عندئذ ــ للعودة من حيث أتى؛

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 618.

[2] ((وضاق ذرع العساكر، بشأن النفقات والإبعاد في المذاهب، وارتكاب الخطر في دخول إفريقية؛ فتمشت رجالاتهم في الانفضاض عن السلطان؛ وداخلوا الوزير فارس بن ميمون؛ فوافقهم عليه؛ وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل باللحاق بالمغرب؛ حتى تفردوا؛ ونمي إلى السلطان؛ أنهم تؤامروا في قتله)). العبر، مج: 7، ص: 619.

إذ دخل **فاس** خائباً متحسراً سنة 758هـ؛ حيث انتقم من المتآمرين شرّ انتقام.[1]

والظاهر أنه لم يرتدع؛ بما جرى له ولأبيه، ولم يتراجع عن نزعته التوسعية[2]؛ حيث أسند ــ هذه المرة ــ مهمة فتح **إفريقية** إلى وزيره **سليمان ابن داود**؛ فخرج إليها من **فاس** بجيش عرمرم سنة 759هـ/1357م؛ فمرّ **بتلمسان**؛ أين ضبط أموره، ثم انطلق إلى **قسنطينة**؛ أين أعاد تمهيد ضواحيها، واطمأن على ولاء **يوسف بن مزني** أمير **بسكرة والزاب**. ثم استخلص ما أمكنه من جباية ومغارم؛ وعاد أدراجه إلى **تلمسان**؛ التي التقى بها السلطان **أبي عنان**.

ولم تنته معاناة السلطان المريني عند هذا الحد؛ بل جرى لدولته ــ في **تونس** ــ المشهد نفسه الذي وقع بعد هزيمة **أبي الحسن** في **القيروان**. حيث وقفت قبيلة **بني عامر**، وبعض الأحياء من **الدواودة**

---

[1] لم يغفر أبو عنان ـ عند عودته ـ للذين أجهضوا خطته، وبددوا حلمه؛ من خاصته وأتباعه؛ إذ قبض على المتآمرين ـ وعلى رأسهم وزيره فارس بن ميمون ـ الذي قتله قصعاً بالرماح؛ ثم تحول إلى مشائخ القبائل المتورطين؛ فقتل بعضهم، وسجن بعضهم الآخر. أنظر خبرهم في العبر، مج: 7، ص: 619.

[2] ((ولما رجع السلطان [أبو عنان] من إفريقية؛ ولم يستتم فتحها؛ بقي في نفسه منها شيء)). العبر، مج: 7، ص: 620.

خلف أبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى بن يغمراسن؛ وطلبوا من السلطان **الحفصي** مساعدته لاسترجاع ملك أجداده؛ فلبى السلطان طلبهم؛ وجهّزه بما أمكن؛ من آلة وفسطاط، وعتاد، ومركوب؛ ثم انطلقوا نحو **تلمسان**؛ في رحلة شاقة؛ عبر المسلك الجنوبي؛ فاصطدموا بحيٍّ من **سويد بن زغبة** ـ أولياء **المرينيين** ـ جنوب **تلمسان**؛ فاشتبكوا معهم؛ وهزموهم، وقتلوا **عثمان** ابن شيخهم **ونزمار**. وفي هذه الأثناء وصلهم خبر وفاة **أبي عنان**.

والغريب هنا؛ أن **أبا عنان**؛ سقط في معظم أخطاء والده **أبي الحسن**؛ من: اطمئنان **لأعراب إفريقية** واستصغار ردود أفعالهم، وسوء تقديره لمحدودية دولته في التوسع بعيداً، والاستهانة بفاعلية **ببني عبد الواد** وشدة عنادهم. لهذا؛ فقد زجّت به أوهامه في أتون الحرب؛ التي جرّت عليه ـ في الأخير ـ هزائم وانكسارات؛ خسر فيها كل ما كسبه؛ ومات بكمده في سنة 760هـ/1358م. السنة التي عاد فيها **بنو زيان** إلى **تلمسان**؛ حاضرتهم ومستقر ملكهم.

ولما سمع **أبو حمو** ومن معه من **بني عامر** بوفاة **أبي عنان**؛ هزّهم الفرح، وازداد تصميمهم على مواصلة زحفهم، وتضاعف أملهم في الدخول إلى **تلمسان** فاتحين منتصرين. وعليه فقد واصلوا تقدمهم نحو المدينة المذكورة؛ بحيث تمكنوا من الهيمنة على الضاحية المحيطة **بتلمسان**. عندها؛ سارع الوزير **المريني الحسن بن عمر** بإرسال مفرزة من الجيش لحماية **تلمسان**؛ أسند قيادتها إلى **سعيد بن موسى العجيسي**؛ الذي دخل المدينة؛ أين يتواجد **محمد المهدي** ابن السلطان **أبي عنان** الهالك في تلك السنة. ولم يستطع **المرينيون** مقاومة **أبي حمو** ومن معه؛ إذ اقتحموا عليهم **تلمسان** لثمان خلون من ربيع الثاني من سنة 760هـ/1358م؛ فلجأ القائد **المريني سعيد بن موسى العجيسي** ـ مع الأمير **محمد المهدي بن أبي عنان** ـ إلى مضارب شيخ **بني عامر صغير بن عامر**؛ فأجارهما؛ وأرسل من يؤمنهما في طريق عودتهما إلى **المغرب**. وهنا؛ عادت ـ من جديد ـ دولة **بني عبد الود** في ثوب قشيب؛ خلال دورها الثالث؛ بإمرة السلطان **أبي حمو الثاني**

موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن.

ولكن الوزير الوصي **الحسن بن عمر**؛ لم يهضم هزيمة **المرينيين**، وإجلائهم من **تلمسان**؛ لذا فقد أمر بتجهيز جيش لاستعادة المدينة؛ أسند قيادته إلى الوزير **المريني مسعود رحو بن ماساي**؛ الذي استطاع الدخول إلى المدينة بسهولة؛ نظراً لخروج **أبي حمو** ـ مع أنصاره ـ منها؛ إذ اعتمد خطة؛ ناور أعداءه بها؛ بغرض إلحاق الضّرر بهم. وبالفعل؛ نجح في ذلك؛ حين ركز هجماته ـ بعد انساحابه من **تلمسان** ـ على تخوم **المغرب**؛ وتمركز مع أنصاره من زغبة والمعقل. فانجذب إليه **المرينيون**؛ طلباً لكسر شوكته، والقضاء على أتباعه من الأعراب. والتقى الجمعان بالقرب من وجدة؛ فانقشع غبار المعركة عن هزيمة **المرينيين**؛ فاستبيح معسكرهم واستلحم مقاتلوهم: **((واستلبت مشيختهم، وأرجلوا عن خيلهم؛ ودخلوا إلى وجدة عراة))**[1].

---

[1] العبر، مج: 7، ص ص: 629 - 630.

ولما وصل خبر هذه الموقعة الخاسرة إلى **بني مرين بتلمسان**؛ قرَّروا الخروج منها، والعودة إلى فاس. عندها؛ رجع **أبو حمو** إلى حاضرة ملكه؛ أين وفد إليه **عبد الله بن مسلم الزردالي**؛ من بني عبد الواد. ترك خدمة المرينيين في عمل درعة، وانضم إلى ابن عمه **أبي حمو**.

يبدو أن انضمان **عبد الله بن مسلم الزردالي**[1] إلى **أبي حمو**؛ آخذاً معه أموال الجباية التي استخلصها لحساب الدولة **المرينية**؛ اتخذه السلطان **المريني أبو سالم** ذريعة جاهزة لغزو **تلمسان**[2].

---

[1] **يعتبر عبد الله بن مسلم الزردالي؛ من مشاهير أبطال بني عبد الواد. كان في خدمة السلطان أبي تاشفين قبل سقوط دولته وهلاكه. ونظراً لكفاءته وذيوع ذكره؛ استخدمه أبو الحسن؛ فسدّ به باباً أمنياً بجهات درعة؛ ثم ولاه أبو عنان عمالة درعة؛ فأخلص لهذا الأخير، وكبح منافسيه؛ من الأسرة المالكة؛ من بينهم أخوه أبو الفضل؛ الذي قبض عليه وسلمه إلى أخيه أبي عنان؛ فقتله. ولما عادت الدولة العبد الوادية في تلمسان، وتولى أبو سالم ـ منافس أبي عنان ورفيق أبي الفضل في المنفى ـ عرش بني مرين؛ قرّر عبد الله بن مسلم الالتحاق بأبي حمو موسى؛ بعداً عن شرّ أبي سالم من جهة، وعودة إلى أصله وبني عمّه من جهة أخرى: ((وداخل أولاد حسين ـ أمراء المعقل ـ في النجاة به إلى تلمسان؛ فأجابوه. ولحق بالسلطان أبي حمو في ثروة من المال، وعصبة من العشير، وأولياء العرب؛ فسرّ بمقدمه، وقلده ـ لحينه ـ وزارته، وشدّ به أواخي سلطانه، وفوض إليه تدبير ملكه؛ فاستقام أمره، وجمع القلوب على طاعته؛ وجأجأ بالمعقل من مواطنهم الغربية؛ فأقبلوا إليه، وعكفوا على خدمته. وأقطعهم بمواطن تلمسان، وآخى بينهم وبين زغبة؛ فعلا كعبه، واستفحل أمره، واستقامت رياسته)). العبر، مج: 7، ص ص: 259 - 260.**

[2] **العبر، مج: 7، ص ص: 260 - 645 - 646.**

كما أشار يحيى بن خلدون وصاحب زهر البستان إلى قضية ثانية؛ جعلها **أبو سالم** ذريعة أخرى لغزو **تلمسان**؛ وهي قضية الأسرى **المرينيين** لدى الدولة **الزيانية**؛ إذ طلب من **أبي حمو** تسريحهم؛ فاشترط هذا الأخير إطلاق سراح **بني عبد الواد بفاس**؛ مقابل ما لديه من أسرى **بني مرين**[1]. فلم يقبل بشرطه؛ وجهز جيشه لغزو **تلمسان**؛ بغرض استعادتها لمملكته. وعلى هذا؛ بادر من فوره سنة 761هـ/1359م إلى التقدم نحوها يجرّ خلفه قبائل **المغرب الأقصى**.

ولما سمع **أبو حمو** بخروجه قاصداً حربه؛ وأدرك أن قوته لا تعادل قوة **المرينيين**؛ قرّر اختيار الطريقة المثلى لمحاربته، واختيار الميدان الذي يحاربه فيه. لذا فقد بادر إلى الخروج من **تلمسان** مسطحباً معه كل قواته؛ من: قبيله، ومن أنصاره أعراب **المعقل وزغبة**؛ ثم اتجه نحو الصحراء؛ ولكنه تحول ــ بمناورة ــ نحو تخوم **المغرب** ــ بعد دخول **أبي سالم إلى تلمسان** ــ فاكتسح البلاد، واستلحم العباد، ونهب من المال كل طارف وتلاد، وانتسف

---

[1] أنظر بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 2، ص: 147.

الزرع والحصاد[1]. فلمّا وصل خبر المفسدة **لأبي سالم**، خاف عاقبة الأمر؛ فقرّر العودة لبلاده؛ فخرج من تلمسان بعد البقاء بها خمسة أيام لا غير؛ ولكنه أحدث أمراً ـ نكاية في **أبي حمو** ـ وذلك؛ أنه استثمر وجود الأمير **أبي زيان محمد بن عثمان ابن السلطان الزياني أبي تاشفين** المدعو **بالقبي** في ركابه؛ فنصّبه من قبله على **تلمسان**؛ وخرج عائداً إلى **المغرب**؛ غير أن هذا الأمير **الزياني**؛ هرب من المدينة؛ عند سماعه بتقدم **أبي حمو** إليها؛ فلجأ إلى أحياء **توجين**، ومن وُجد من **بني مرين** شرق **تلمسان**؛ ثم انتهى أمره بالعودة إلى **فاس**.

وهكذا؛ عاد **أبو حمو الثاني** إلى حاضرة ملكه ـ بعد أربعين يوماً من خروجه منها[2] ـ محفوفاً بهالة من البهجة بالانتصار؛ فاستثمرها في شحذ العزائم، وحفز الهمم لمواصلة قطف ثمار النّصر؛ فخرج نحو الشرق؛ يلاحق الأمير **أبا زيان القبي** أينما حلّ؛ فنازل **أبو حمو** أولاً **جبل وانشريس**

---

[1] ((ولما دخل السلطان أبو سالم تلمسان؛ خلفوهم إلى المغرب؛ فنازلوا وطاط، وبلاد ملوية، وكرسيف؛ وحطموا زروعها، وانتسفوا أقواتها، وخربوا عمرانها)). العبر، مج: 7، ص ص: 260 - 261.

[2] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 2، ص: 181.

معقل **بني توجين**؛ أين يتواجد ذلك الأمير. ولمّا هرب هذا الأخير **إلى المغرب الأقصى**؛ واصل **أبو حمو** تمهيد الجهات الشرقية؛ حيث استعاد: **مليانة، والبطحاء، ولمدية، والجزائر.**

وعندما تأكد **أبو سالم** من عدم جدوى حركة الأمير **الزياني محمد القبي**؛ وتيقن من تغلب **أبي حمو** على الأعمال الشرقية، ونجاحه في طرد **المرينيين** من معظم أعمالها؛ أمر بتثقيف **أبي زيان القبي في تاوريرت**؛ وأوعز إلى **ونزمار** شيخ **سويد**؛ بأن يتوسط في الصلح بينه وبين **أبي حمو**. وتم هذا في سنة 762هـ/1360م؛ حين ترأس وفد المصالحة الأمير أبو تشفين بن أبي حمو؛ فعقد مع أبي سالم صلحاً؛ هدّأ من أوار الخصومة بين الطرفين؛ ووضعت أوزار الحرب؛ لبعض الوقت[1]. وفي هذه السنة بالذات؛ هلك السلطان **المريني** مقتولاً؛ جراء انتفاضة أحدثها وزيره **عمر بن عبد الله**؛ الذي استبد بالدولة، ونصب أحد أبناء **أبي الحسن** المدعو **تاشفين**؛ ثم تلاه بآخرين.

---

[1] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 2، ص: 196. العبر، مج: 7، ص: 264.

ويبدو أن **المرينيين**؛ لم يستوعبوا ما جرى لهم في **تلمسان**؛ ولم يثنهم فشل **أبي زيان القبي** في الحفاظ على المدينة، والتصدي **لأبي حمو**؛ لذا؛ فقد استجابوا لنصيحة شيخ **سويد**؛ **ونزمار بن عريف**؛ بخصوص تسريح ذلك الأمير مرة ثانية وتمكينه من استعادة ملكه في **تلمسان**. خاصة وأن مستجدات ظهرت في الساحة؛ إذ نشب خلاف بين السلطان **أبي حمو**، وحليفه **أحمد بن رحّو**؛ شيخ **أولاد حسين (من المعقل)**. فكانت فرصة اغتنمها الوزير **المريني عمر بن عبد الله**؛ فعمل بنصيحة شيخ **سويد**؛ وأرسل من جديد ــ سنة 765هـ/1363م ــ الأمير **أبا زيان محمد القبي** حفيد **أبي تاشفين**. فالتحق ببعض أحياء **المعقل** في نواحي **ملوية**؛ فناصروه، وشدّوا أزره؛ ربما بإيعاز من **المرينيين**. كما حامت الشكوك حول شيخ **بني عامر**؛ **خالد بن عامر**؛ في تورطه بمداخلتهم؛ فتنبه لذلك **أبو حمو**؛ فقبض عليه، وأودعه المطبق. ثم بعث مفرزة من المقاتلين؛ بقيادة وزيره **عبد الله بن مسلم** إلى الجهة التي يجتمع فيها أعداؤه؛ فلحق بهم واستلحم رجالهم، وشتت شملهم قبل أن يصلوا إلى **تلمسان**. بل طاردهم

عند انساحبهم، ومسح الأرض خلفهم في فرارهم؛ حتى أوصلهم إلى **المسيلة** شرقاً. ولم يثن الوزير **عبد الله بن مسلم** عن مطارتهم سوى مرضه وإصابته بوباء الطاعون؛ الذي عاود فظهر في هذه السنة (765هـ)؛ فتولى عندئذ ولده بإعادته إلى تلمسان؛ ولكنه توفي أثناء الطريق؛ فواصلوا سيرهم إلى تلمسان؛ أين دفنوه بحضور السلطان **أبي حمو**.

وكان حجم خسارة **أبي حمو** مهولاً جراء مهلك **عبد الله بن مسلم**؛ الذي تكفل بمهمة الحرب؛ فأراحه، وعزّز أمن الدولة. وقد تجلت الحاجة إليه بعد موته مباشرة؛ حيث مُنِي **أبو حمو** بهزائم عديدة[1]؛ لم يشهدها في وجود وزيره المرحوم. كان

---

[1] من بينها الهزيمة التي لحقت به بعد دفن عبد الله بن مسلم: ((وخرج السلطان أبو حمو لمدافعة عدوه ـ وفتّ مهلك عبد الله في عضده ـ ولما نتهى إلى البطحاء، وعسكر بها؛ ناجزته جموع السلطان أبي زيان [القبي] الحرب، وأطلت راياته على المعسكر؛ فداخلهم العرب؛ وانفضوا، وأعجلهم الأمر عن أقنيتهم، وأزودتهم؛ فتركوها وانفضوا؛ وتسلل أبو حمو يبغي النجاة إلي تلمسان... وارتحل أبو زيان والعرب في اتباعه؛ إلى أن نازلوا بتلمسان أياماً. وحدثت المنافسة بين المعقل وزغبة؛ وأسف زغبة استبداد المعقل عليهم، وانفراد أولاد حسين برأي السلطان دونهم؛ فاغتنمها أبو حمو؛ وأطلق أميرهم خالد بن عامر من محبسه؛ وأخذ عليه المواثق من الله؛ ليخذلن الناس عنه ما استطاع، وليرجعن بقومه عن طاعة أبي زيان [القبي]، وليفرقن جموعه. فوفى له بذلك، ونفس المنخنق. وتفرقت أحزابهم، ورجع أبو زيان إلى مكانه من إيالة بني مرين)). العبر، مج: 7، ص ص: 265 - 266.

أبـو سالـم ـ قبـل وفاتـه، وإثـر فشـل **أبي زيـان القبي** في التّصـدي **لأبي حمـو** ـ كـان قـد استعـان أيضـاً بأميـر آخـر مـن **بـني زيـان**؛ ذلـك الأميـر الآخـر؛ هـو **أبـو زيـان محمـد ابـن السلطـان أبي سعيـد عثمـان** (عـمّ **أبي حمـو**) **ابـن عبـد الرحمـن بـن يحيى بـن يغمراسـن.** جهـزه **أبـو سالـم** بالآلـة، ومـا يلزمـه لانتـزاع الملـك مـن ابـن عمـه؛ فخـرج نحـو **تلمسـان**؛ ولكنـه توقـف في **تـازي**؛ حينمـا أدركـه الخبـر بمهلـك السلطـان **أبي سالـم.** وبـقي **أبـو زيـان** عـلى حالـه؛ في خضـم الفتنـة الـتي اشتعلـت في **فـاس** بيـن المتحكميـن في البـلاط، والطامعيـن في الاستبـداد والانفـراد بالدولـة. وبالمقابـل؛ اتضـح أن **أبـا حمـو** حـرّض ـ هـو الآخـر ـ أحـد الأمـراء المرينييـن؛ المنافسيـن لأبي سالـم؛ اسـم ذلـك الأميـر هـو **عبـد الحليـم بـن أبي عـلي بـن أبي الحسـن.** جهـزه **أبـو حمـو**، ومهّـد لـه سبـل الزّحـف نحـو **فـاس** لامتلاكهـا. وبالمقابـل؛ طلـب منـه كبـح ابـن عمـه **أبي زيـان.** فقبـض عليـه عندمـا دخـل **تـازي** وألزمـه الاعتقـال؛ ثـم نقلـه معـه **إلى سجلماسـة.** ولكنـه استغـل اعتـراض **بـني حسيـن المعقلييـن لعبـد الحليـم**؛ فاهتبـل انشغـال حراسـه بالموقعـة؛ فامتـطى حصانـاً، حملـه راكضـاً إلى حلـل

بني حسين؛ الذين أجاروه؛ إلى أن اتصل **بخالد بن عامر** – شيخ بني عامر – الذي ساءت علاقته بالسلطان **أبي حمو**. فوافق على نصرته، والوقوف معه ضد السلطان. غير أنهم فوجئوا بمفرزة جرَّدها **أبو حمو** لصدهم؛ فهزموهم، وشتتوا شملهم بعيداً عن **تلمسان**. وبادر هذا السلطان إلى بذل بعض المال **لخالد بن عامر**؛ مقابل إقصاء **أبي زيان محمد** إلى موطن **رياح**؛ ففعل؛ وأوصله إلى بلاد **الدواودة**؛ أين أقام بينهم.

المهم؛ أن الصراع استمرّ – سنوات وسنوات – بين السلطان أبي حمو وابن عمه أبي زيان؛ ونظراً لكون هذا المجال لا يسمح بالتوسع أكثر مما ذكر؛ فإن الحديث سيقتصر على نشاط المرينيين، وغزوهم **لتلمسان**. لهذا وجبت العودة إلى موت **أبي سالم**؛ دون أن يحقق حلمه في الحفاظ على حاضرة المغرب الأوسط. فبعد موت هذا السلطان المريني؛ تفجرت الخصومات والمؤامرات في البلاط المريني؛ وفي عمالات الدولة؛ فانشغلوا جميعهم بما يحدث في ديار المغرب الأقصى، وتناسوا بعض الشيء **تلمسان** وسلطانها؛ الأمر الذي مكّن هذا الأخير من التوسع شرقاً، وتمهيد تلك الديار، وإخضاع قبائل: **توجين**،

ومغـراوة ومليكـش وأعـراب حصيـن وغيرهـم. كمـا تفـرغ لحـرب ابـن عمـه **أبي زيـان** في خبـر طويـل.

ولمـا استقـرّت الأحـوال بالمغـرب الأقـصى؛ واستعـادت رتبـة السلطـان سطوتهـا – في عهـد السلطـان **أبي فـارس عبـد العزيـز بـن أبي الحسـن** – بحـث هـذا الأخيـر عـن ذريعـة؛ يرفعهـا في وجـه **أبي حمـو**؛ فلـم يجـد سـوى قضيـة أحيـاء **المعقـل** الذيـن انضمـوا لبـني عبـد الـواد باختيارهـم. فطلـب السلطـان المريـني عبـد العزيـز مـن أبي حمـو التخـلي عـن تلـك الأحيـاء، وإجبارهـم عـلى العـودة للدولـة المرينيـة[1]. وبهـذا؛ ينجـلي السلـوك شبـه الغريـزي لـدي سلاطيـن **بـني مريـن**. فهـم – بكاملهـم – يستعملـون الأسلـوب نفسـه في التحـرش بدولـة **بـني عبـد الـواد**؛ لتحقيـق حلمهـم في التوسـع شرقـاً. ولـم يقتصـر هـذه المـرة عـلى فـرد أو عـدد مـن الأفـراد؛ المطلـوب طردهـم مـن **تلمسـان**؛ إذ تطـور المطلـب إلى طـرد قبائـل بكاملهـا.. يضـاف إلى ذلـك؛

---

[1] ((وترددت الرسل بين أبي حمو وبين السلطان عبد العزيز. كان فيما اشترط عليه؛ التجافي عن قبول المعقل؛ عرب وطنه؛ لما فيه من الاستكثار بهم عليه. وأبى عليهم أبو حمو؛ منها لاستظهاره بهم على زغبة؛ من أهل وطنه وغيرهم. وكثرت التلاحي في ذلك؛ وأحفظ السلطان [عبد العزيز]، وهمّ بالنهوض إليهم سنة سبعين [وسبعمائة]؛ وأقصر لما أخذ بحجرته من خلاف عامر [بن محمد الهنتاتي])). العبر، مج: 7، ص ص: 681 - 682. أنظر أيضاً بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 440. 443.

نـزوح بعـض الأحيـاء مـن **سويـد**؛ فاريـن مـن **أبي حمـو**؛ فأضحـت كـل هـذه القضايـا؛ ذرائـع في يـد السلطـان المريـني لَـوَّحَ بهـا، وضـرب طبـول الحـرب مـن أجلهـا حسـب زعمهـم. في سنـة 771هـ/1369م؛ نهـض السلطـان **أبـو فـارس عبـد العزيـز** بجيـش يغـطي الفضـاء قاصـداً فتـح **تلمسـان**. ولمـا سمـع **أبـو حمـو** بأمـره، واستطلـع شأنـه؛ أدرك ألاّ قبـل لـه بقـوة هـذا الجيـش العرمـرم[1]. لـذا؛ فقـد اختـار الخـروج مـن المدينـة؛ ومطاولـة **المرينييـن** ومناوشتهـم ــ كعادتـه ــ غيـر أن مطـاردة الجيـش **المريـني** لـه؛ أفسـد خطتـه؛ إذ فرضـوا عليـه التنقـل مـن مكـان إلى آخـر هروبـاً واتقـاء. ولمـا يئـس مـن صمـود أتباعـه وثباتهـم، وعلـم بتحـول حلفائـه مـن الأعـراب إلى صـف **بـني مريـن**[2]؛ قـرّر الإصحـار في أعمـاق الصحـراء؛ حيـث استقـر لبعـض الوقـت في **تيـقورارين**؛ إحـدى قصـور **تـوات**.

---

[1] وصفه يحيى بن خلدون بقوله: ((ونهض [أي عبد العزيز] ميمماً تلمسان بالجراد المنتشر، والبحر الطامي، أو السحاب المسخر بين السماء والأرض)). بغية الرواد،ج: 2، ص: 444.

[2] يقول عبد الرحمن بن خلدون؛ أن السلطان عبد العزيز كلفه بالاتصال بقبيلة رياح؛ لكي يحثهم على ترك مناصرة أبي حمو، والتحول إلى صف بني المرينيين، ومعاونتهم على مطاردة السلطان الزياني؛ فيقول: ((وجمعت رياحاً على طاعة السلطان، ونكّبت بهم عن صريخ أبي حمو؛ فنكّبو عنه)). العبر، مج: 7، ص: 684.

فاعتكف في دار خصصها له أهل تلك البلاد: **((وعرفوا لمنصبه الملوكي قدره؛ وبايعوا له من عند آخرهم بالخلافة؛ ثم تشاحوا في إنزاله، وخيروه؛ فارتضى قصر أولاد آدم؛ من الشط الشمالي؛ فأفرجوا له عنه، وأكرموا به مثواه))**[1].

وكعادة **الأعراب**؛ لقد استاءوا من استقواء السلطان **عبد العزيز** عليهم؛ بجيوشه الضاربة؛ حين قرَّر سلبهم ما كان **أبو حمو** قد أقطعهم إياه من الأراضي. وها هو المشهد نفسه ـ الذي حدث لأبي الحسن وابنه أبي عنان ـ يتكرر. ولكنه وقع ـ هذه المرة ـ في ظروف مختلفة تماماً؛ لأن السلطان المريني لم يتوغل بعيداً؛ أكثر مما تتحمله دولته؛ إذ بقي محاطاً بحماته ورجاله الأوفياء.ومع ذلك؛ فقد تحرك بعض الأعراب، واتصلوا بأبي حمو في **تيقورارين**[2]؛ الأمر الذي حفز السلطان المريني

---

[1] بغية الرواد، ج: 2، ص: 472.

[2] ((فسخطوا أحواله، ورجوا أن يكون لأبي حمو ظهور؛ ينالون به ما أملوه... وأزمع رحو بن منصور بن يعقوب ـ أمير الخراج من عبيد الله إحدى بطون المعقل ـ الخروج على السلطان. ولما خرج العرب إلى مشاتيهم؛ لحق بأبي حمو، وأحياء بني عامر، وكاثرهم، وقادهم إلى العيث في الأوطان؛ وأجلبوا على ممالك السلطان، ونازلوا وجدة في رجب من سنة اثنين وسبعين [وسبعمائة]. وصمد نحوهم العساكر من تلمسان؛ فأجفلوا، وعادوا إلى البطحاء واكتسحوا أوطانها. ونهض إليهم الوزير في

علـى متابعتـه في تلـك الجهـات النائيـة؛ فأخـذ في تجهيـز جيـش مـن الأعـراب المواليـن لـه؛ للزحـف نحـو **تيـفوراريـن؛ إلاّ أن المـوت** سبقـه؛ وقـضى عـلى حلمـه. وكـان مهلـك السلطـان عبـد العزيـز المفـاجئ ضربـة قاصمـة للمشـروع التوسـعي المريـني؛ إذ سـارع وزيـره **أبـو بكـر بـن غـازي بـن الكـاس** إلى حمـل ولـد السلطـان ذي الخمـس سنيـن؛ والدخـول بـه إلى فـاس؛ بغـرض تفويـت انتهـاز الفرصـة مـن قبـل المتنافسيـن مـن أبنـاء الأسـرة المالكـة.

وانتهـز أحـد المقربيـن مـن السلطـان **أبي حمـو؛** واسمـه **عطيـة بـن مـوسى** فرصـة الارتبـاك الحاصـل بيـن بـني مريـن؛ فوثـب ثائـراً عـلى الوضـع، واستـولى عـلى البلـد، ورفـع الدعـاء لأبي حمـو عـلى المنابـر. وبـادرت جماعـة مـن أولاد يغمـور مـن المعقـل، وأولاد شيقـر بـن عامـر إلى الإسـراع بالبشائـر إلى أبي حمـو. وكانـت عـودة السلطـان الزيـاني ودخولـه ــ مـن جديـد ــ إلى حاضرتـه **تلمسـان** في جمـادى مـن سنـة

العساكر؛ ففروا أمامه، وأتبع آثارهم إلى أن أصحروا... ولما كانت سنة ثلاث وسبعين [وسبعمائة]. واستمال السلطان رحو بن منصور عن أبي حمو؛ وبذل له مالاً، وأقطعه ما أحب من الضواحي؛ وفعل ذلك بسائرهم، وملأ صدورهم ترغيباً)). العبر، مج: 7، ص ص: 686 - 687.

774هـ/1372م. بينما انشغل المرينيون بقضاياهم الداخلية وصراعاتهم على سدة الحكم. ولما صعد إلى سدة الحكم في فاس أبو العباس أحمد بن أبي سالم؛ كانت له وقائع مع منافسيه في الأسرة المالكة، ومع بعض الأعراب من بني حسين من المعقل؛ فقام بتخريب ديارهم بسجلماسة؛ واقتحام مراكش على منافسيه. فاتحقوا بأبي حمو مستصرخين إياه؛ فلبى دعوتهم وبعث ابنه أبا تاشفين معهم، ولحق بهم فيما بعد. فشنوا حملات دمار وإفساد على بلاد المغرب الأقصى؛ فوصلوا إلى نواحي مكناسة؛ حيث عاثوا فيها. ولما علم أبو العباس بذلك ــ بينما كان في مراكش ــ قرّر الانتقام. وكانت هذه المرة الأولى التي يحتل فيها ملك مريني **تلمسان**؛ بدافع مقنع، وحافز مشروع. لأن **أبا حمو** هنا؛ اعتدى على **بني مرين** بدون مسوغ معقول؛ اللهم إلاّ ما قيل عن الحفاظ على عهوده مع أعراب **المعقل**. أولئك الأعراب الذين سارعوا إلى الانضمام إلى حملة **أبي العباس المريني** في زحفه على تلمسان، وضد من كان يعتقد أنه حليفهم.

المهم؛ أن السلطان المريني قد تمكن من احتلال تلمسان؛ بعد أن خرج منها **أبو حمو** مع أنصاره؛ وذلك في سنة 786هـ/1384م. ولكنه اضطر إلى الخروج منها ـ كعادة أسلافه؛ حينما علم أن أحد منافسيه؛ بعثه ابن الأحمر ليستولي على عرش فاس. غير أن السلطان المريني استجاب لتحريض شيخ بني سويد؛ الذي حثه على تدمير قصور تلمسان الرائعة، نسف بساتينها اليانعة وأسوارها الشاهقة؛ فتركها قاعاً صفصفاً.[1] ولما عاد **أبو حمو** إلى تلمسان؛ فُجِعَ لما رآه من دمار وخراب. فانكبّ على إصلاح ما أمكن، وتقويم ما سقط وانهدم. وقد أحدث بوقوفه إلى جانب أولائك الأعراب شرخاً أفسد كل ما بني في السنين الطوال. ولم تنته حكاية المرينيين والزيانيين عند هذا الحدّ. وإنما خمدت جذوة خلافاتهما بسبب اشتعال نار الفتنة الأسرية في الجهتين: المرينية والزيانية. ويكمن الرجوع إلى ما جرى من أحداث في الأسرة الزيانية؛ ضمن الفصل المخصص **لأبي حمو موسى الثاني.**

---

[1] أنظر ذلك في الفصل المخصص لأبي حمو موسى الثاني.

أما الطرف المريني فقد تصارع الأبناء والأقارب؛ بتحريض من الوزراء المستبدين، وتشجيع سلطان **غرناطة ابن الأحمر**. ولم تنبعث القضية الزيانية في البلاط المريني من جديد؛ إلاّ بعد أن لجأ إليهم **أبو تاشفين بن أبي حمو**؛ جراء فشله في الاستيلاء على الحكم **بتلمسان**. وكان – آنئذ – على رأس الدولة المرينية؛ **أبو العباس أحمد**؛ الذي اضطر إلى ترك **تلمسان**؛ واللحاق **بفاس**؛ التي سقطت في يد ابن عمه **موسى بن أبي عنان**. فأضحى مصيره في معتقل ابن الأحمر بحمراء غرناطة. وتمخض الصراع الطويل في البلاط المريني عن عودة **أبي العباس** مرة أخرى إلى سدة الحكم بمساندة ابن الأحمر أيضاً. وذلك في عام 789هـ/1387م. ولما لجأ إليه **أبو تاشفين** في عام 790هـ/1388م؛ تريث قليلاً ريثما يلهي **ابن الأحمر** الذي طلب إرسال الأمير الزياني إليه. وعندما تهيأ له ما يهدف إليه، وحينما هدأت مطالب سلطان غرناطة؛ بعثه لاسترداد تلمسان؛ وأرسل معه ابنه ووزيره في سنة 791هـ/1388م؛ في جيش مجهز أفضل تجهير؛ فحالفهم الحظ؛ إذ كبا – في المعركة – **بأبي حمو** فرسه؛ فسقط؛ وكانت نهايته قصعاً بالرماح. ومنئذ أضحت

تلمسان – أيام أبي تاشفين – مجرد ولاية تابعة للمرينيين؛ أقيم على رأسها هذا الأمير الذي أبى ولاية والده عليه؛ فسقط في ولاية أعداء أبيه: **((وخيم الوزير، وعساكر بني مرين بظاهر البلد؛ حتى دفع إليهم ما شارطهم عليه من المال. ثم قفلوا إلى المغرب. وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس أحمد صاحب المغرب، ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها، ويبعث إليه بالضريبة كل سنة؛ كما اشترط على نفسه))**[1].

ومع هذا؛ لم يهنأ أبو تاشفين طويلاً؛ بولايته؛ إذ خرج عليه أخوه **أبو زيان محمد**؛ والي **الجزائر**؛ بعد أن وفدت عليه أعراب بني عامر سنة 792هـ/1389م؛ طالبين منه الرحيل معهم لاستعادة ملك أبيه. والغريب في أمر أولئك الأعراب؛ أنهم بمجرد أن سرب إليهم أبو تاشفين المال؛ انفضوا عن أبي زيان الذي جاء معهم وبدعوة منهم. ولما فشل حصاره لتلمسان لجأ أبو زيان إلى أحياء المعقل؛ فوقفوا معه؛ وضربوا حصاراً على تلمسان؛ فاستنجد أبو تاشفين بسلطان المغرب؛ الذي أنجده

---

[1] **العبر، مج: 7، ص: 757.**

بجيش؛ فك الحصار عنه. ولما أدرك أبو زيان؛ استحالة التغلب على أخيه بواسطة الأعراب؛ اتجه إلى عدو أبيه، وحليف أخيه؛ أبي العباس سلطان المرينيين: ((**فوفد عليه صريخاً؛ فتلقاه بالتكرمة وبر مقدمه، ووعده النصر على عدوّه؛ وأقام عنده إلى حين مهلك أبي تاشفين**))[1]. هذه هي السياسة المتبعة لدى معظم الحكومات في تلك المنطقة؛ الغرض منها التضريب بين أبناء الأسرة الحاكمة؛ إذ يحتفظ بأحدهم على سبيل الردع التهديد. وبالفعل؛ فقد جاءت اللحظة التي غضب حينها أبو العباس على أبي تاشفين. فجهز جيشاً في سنة 795هـ/1392م وبعثه مع أبي زيان محمد للإطاحة بأبي تاشفين. غير أنهم عادوا من حيث أتوا؛ بعد أن وصلهم خبر وفاته بمرض مزمن. وكان وزير أبي تاشفين المدعو أحمد بن العز؛ قد نصب صبياً من أبناء أبي تاشفين؛ ينتمي إليه بخؤولة. نصبه ملكاً على تلمسان. ولما سمع بذلك يوسف بن الزابية؛ الذي كان واليا على الجزائر؛ انتفظ ساخطاً وجهز جيشاً؛ دخل به تلمسان وقتل الصبي ابن أخيه، وكافله

---

[1] العبر، مج: 7، ص: 757.

الوزير أحمد بن العز. وكانت هذه الفعلة؛ مبعث خروج السلطان أبي العباس بنفسه لغزو تلمسان، والقضاء على يوسف بن الزابية. ولما وصل إلى تازي؛ حيث توقف الجيش المرافق لأبي زيان محمد. أمر بإرجاع هدا الأخير إلى فاس. ثم أمر ابنه أبو فارس بمواصلة تنفيذ مهمته، وامتلاك تلمسان. فتم له ذلك؛ إذ دخل أبو فارس إلى تلمسان؛ وأقام الدعوة لأبيه فيها. ثم بعث العساكر إلى مليانة والجزائر وتدلس إلى حدود بجاية فأمتكوها. وكعادة المرينيين؛ في سرعة عودتهم إلى فاس عندما تقع حادثة جليلة. ففي هذه المرة؛ وصل خبر وفاة أبي العباس لابنه وهو في تلمسان؛ وذلك في سنة 796هـ/1393م؛ فبادر إلى العودة والالتحاق بفاس؛ لتولي السلطنة بدل أبيه. وبعد تربعه على العرش؛ أسند ولاية تلمسان إلى أبي زيان محمد المقيم عندهم؛ على أن يتكفل بالدعوة له. فرحل من فوره إليها؛ وتولى مهامه. غير أن أخاه يوسف بن الزابية؛ وقف له بالمرصاد؛ فعبأ بعض الأعراب وزحف بهم نحو تلمسان؛ ولكن أبا زيان سرب إليهم المال الوفير؛ فتخلوا عن أخيه؛ بل قبضوا عليه،

وسلموه إلى أنصار أبي زيان؛ فقتلوه؛ بعد أن حاول بعض أنصاره انقاذه منهم.

ويبدو أن الخلاف دب بين الأمير أبي زيان محمد، والبلاط المرين؛ حيث جهز له سلطان فاس أبو سعيد جيشاً مرفوقاً بأخيه الأمير أبي محمد عبد الله بن أبي حمو؛ فاقتحموا عليه البلد وقتلوه؛ ثم نصبوا أخاه بدلاً منه. وذلك في سنة 801هـ/1398م. وبقي أخوه هذا في الحكم إلى سنة 804هـ/1401م؛ إلى أن سخطه سلطان فاس عثمان المريني؛ فبعث جيشاً بقيادة زيان بن عمر بن علي الوطاسي؛ فاعتقله، ووضع بدلاً منه أخوه أبو عبد الله محمد الشهير بابن خولة؛ فبقي إلى يوم وفاته سنة 813هـ/1411م. وتولى الحكم بعده ابنه **عبد الرحمن بن محمد بن خولة**. ولكنه خلع بواسطة عمه السعيد بن أبي حمو؛ الذي أفلت من قبضة المرينيين، وعاد إلى تلمسان؛ أين قبض على عبد الرحمن وجلس على سرير الحكم في سنة 814هـ/1411م. ولكنه لم يهنأ بالحكم اكثر من خمسة أشهر؛ حيث زحف إليه من فاس أخوه أبو مالك عبد الواحد؛ فاحتل تلمسان؛ وتربع على عرشها.

وعلى يد أبي مالك هذا انتهى النفوذ المريني في المنطقة تماماً؛ فلم يتجرأ ملوك بني مرين بعدها على غزو تلمسان. بل أضحت فاس مهددة من قبل بني زيان وبني حفص: **((حتى صار فيه نسيج وحده؛ لتناهي حزمه وجده. أخذ لأهل بيته من الغرب بثأرهم، وغزا ملوكهم في عقر دارهم، ووجه إليها جيوشاً جاسوا خلالها، وتفيأوا ظلالها؛ فاشتدت بذلك صولته، وامتدت له دولته))**[1].

***

[1] **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 236.**

الأشـراف السعديـون

في تلمسـان

ولـم تصـدر بعـد ذلـك مـن مغـرب الأقـصى أي محاولـة للزحـف نحـو **تلمسـان**؛ إلاّ بعـد 143 سنـة؛ أي في سنـة 957هـ/1550م؛ وفي عهـد **الأشـراف السعديين** بالضبـط. وواضـح أن جرثومـة التوسـع المرينيـة تحركـت داخـل السعديين. فقـام سلطانهـم **محمـد المهـدي السعـدي** بغـزو **تلمسـان**؛ فدخلهـا في سنـة 957هـ؛ بـدون مقاومـة تذكـر. والسبـب هـو أنـه جاهـر بعدائـه **للأتـراك العثمانيين**؛ ثـم أعلـن عـن نيتـه التوجـه للجزائـر؛ قصـد احتلالهـا وطـرد **الأتـراك** منهـا. ولهـذا؛ فقـد قوبـل بجفـاوة وترحـاب مـن قبـل التلمسانيين. ولكنـه لـم ينجـح في هدفـه؛ إذ اصطـدم بالجيـش التـركي بقيـادة **حسـن باشـا**؛ بالقـرب مـن **مستغانـم**؛ وعـلى ضفـاف **وادي المالـح** بالتحديـد؛ فحلّـت الهزيمـة الشنعـاء بالجيـش المغـربي؛ الـذي تراجـع مفلـولاً؛ في انكسـار شديـد نحـو حـدود المغـرب الأقـصى. وبانهـزام المغاربـة؛ أكمـل **حسـن باشـا** زحفـه نحـو **تلمسـان**؛ أيـن دخلهـا بسـلام

في السنة المذكورة؛ فقام بإزاحة السلطان **أبي زيان أحمد**، ثم نصب بدلاً منه مولاي **الحسن الزياني**.

ولم تكن هذه الخطوة من **السعديين**؛ آخر الخطوات ـ لملوك **المغرب الأقصى** ـ الهادفة لاحتلال **تلمسان**؛ بل جاءتهم فرصة أخرى؛ بعد احتلال **فرنسا** لمدينة **الجزائر**. حينها؛ استنجدت نخبة من علماء وأشراف المغرب الأوسط بسلطان المغرب الأقصى **مولاي عبد الرحمن بن هشام**؛ الذي بادر بإرسال ابن عمه المدعو **علي بن سليمان** بمفرزة من الجيش؛ استقر **بتلمسان**؛ ثم بعث جيشه شرقاً حتى وصل **إلى مليانة**. ولكن سفير **فرنسا بطنجة**؛ رفع سيف التهديد والوعيد على رأس ملك المغرب؛ وطلب منه سحب ابن عمه من المغرب الأوسط؛ وإلاّ فالحرب هي الفاصل والحكم. فخاف ملك المغرب العاقبة؛ وسحب جيشه وابن عمه؛ بعد أن أقام **بتلمسان** ستة أشهر تقريباً.

* * *

الأتراك العثمانيون

في تلمسان:

أول اتصال للأتراك بتلمسان كان في سنة 923هـ/1517م؛ حينما وفد بعض التلمسانيين على **عروج**؛ مستصرخين إياه ضد الملك **أبي حمو الثالث**؛ الذي تحالف مع **الاسبانيين**، وخلع السلطان الشرعي **أبا زيان**. فدخل **عروج تلمسان** في السنة المذكورة؛ ونَصَّب **أبا زيان** بدلاً من **أبي حمو الثالث**؛ الذي فرّ إلى **وهران** في حماية **الإسبانيين**. ومن ثم؛ أضحت زيارات **الأتراك لتلمسان** تحدث تباعاً؛ كلما حدث خلاف بين السلاطين؛ أو بسبب اتصالاتهم **بالإسبانيين**. ويتم في كل مرة خلع سلطان، وتنصيب آخر؛ إلى أن قرر **صالح رايس** إزالة الدولة من **تلمسان** نهائياً؛ فقام بخلع آخر سلاطينها **مولاي الحسن** في سنة 962هـ/1554م.

وجملة القول؛ فقد همش **الأتراك تلمسان** نهائياً؛ وجعلوها في مرتبة أقل مما أنصفها به التاريخ. إذ أنهم اتخذوا من مدينة **الجزائر** عاصمة للمغرب

الأوسط. وحتى عندما اقتضى الحال إقامة عواصم جهوية؛ فقد تجنبوا **تلمسان** تماماً؛ إذ فضلوا عليها مدناً أخرى في الجهة الغربية.

* * *

الأمير عبد القادر
في تلمسان

دخلت **تلمسان** في طاعة الأمير عبد القادر طوعاً واختياراً؛ بعد انسحاب ابن عم ملك المغرب الأقصى[1]؛ خوفاً من فرنسا؛ وبعد أن أجمع أهل المغرب الأوسط على بيعة الأمير **عبد القادر**؛ الذي خلف والده **محيي الدين**. وعليه؛ فقد تولَّى قيادة حضرة **تلمسان** في وقته رجل يدعى **ابن نونة**؛ ولكنه تطاول بعد فترة إلى الاستبداد بالمدينة؛ فنقض العهد مع الأمير عبد القادر؛ الذي بعث إليه من يعظه ويثنيه عن غيِّه؛ ولكنه تمادى في عصيانه؛ بل خرج في قوة من وسط المدينة لمحاربة الأمير. وكان في مدينة **تلمسان** فئتان متخاصمتان؛ الأولى جماعة **ابن نونة** هذا؛ والثانية فئة من أنصاف **الأتراك** يسمون "**الكول أوغلي**" (الكراغلة)؛ يقودهم رجل يسمى **ابن عودة**. انتهز هذا الأخير؛ خروج

---

[1] **ملك المغرب الأقصى في هذه الفرة هو مولاي عبد الرحمن بن هشام؛ الذي حكم من 1238هـ/1822م إلى 1276هـ/1859م.**

خصمه **ابن نونة** من **تلمسان**؛ فأعلن تبعيته **للأمير عبد القادر**؛ وشنّها حرباً على أتباع **ابن نونة**؛ فاكتسح دور من كان يتبعه وأعلنها حربا عليهم؛ فنهبت أملاكهم، وشردت أهاليهم؛ ثم خرج إلى ابن نونه في ظاهر البلد؛ فألحق به وبأتباعه العصاة هزيمة منكرة؛ هرب إثرها **ابن نونة** إلى **العباد**؛ للإحتماء بضريح **أبي مدين شعيب**. ولما دخل **الأمير عبد القادر تلمسان**؛ توجه إلى **العباد**؛ فلقي **ابن نونة** متعلقاً بأستار ضريح أبي مدين؛ لائذاً به. وبما أن الأمير عبد القادر كان من الصوفية أتباع أبي مدين القادريين؛ فقد عفا عنه؛ بل أقره في قيادته؛ وأصلح بين الفئتين المتخاصمتين. ثم بقي في **تلمسان** فترة معتبرة؛ إلى أن أصلح أحوالها، ومهّد نواحيها. ثم قررّ العودة إلى **معسكر**. وكان ذلك في ربيع الأول من سنة 1249هـ/1833م.[1]

ثم عاد **الأمير عبد القادر** إلى **تلمسان** بغرض تمهيد نواحيها؛ وإخضاع القبائل المتمردة في تلك الجهات. وذلك في ربيع الأول من سنة 1250هـ/1834م. وبقي في قلعة المشور مدة حتى

[1] أنظر هذه التفاصيل في كتاب تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج: 1، ص ص: 169 - 170.

استكمل ما جاء إليه من تقليم أظافر العصاة، وتأهيل من أطاع واستسلم، وتنظيم الإدارة المحلية في **تلمسان** وأحوازها: ((وفي أثناء ذلك؛ **ظهر قصورٌ من قائد طائفة "الكول أوغلان"؛ فعزله، وولى مصطفى باي بن الباي "المقلج"))**[1]. ولما انتهى الأمير من تمهيد النواحي الغربية؛ عاد من **تلمسان** إلى **معسكر**؛ بعد أن ولّى على مقاطعة الغرب "**محمد البوحميدي الولهاصي**". وبقيت **تلمسان** في طاعة الأمير؛ إلى أن تحول عنه المدعو **مصطفى بن إسماعيل**؛ و"الكول أوغلي"، ونقضوا عهدهم معه؛ وانضم إليهما **عرب أنكاد**؛ الذين وفدوا ونزلوا **بالمنصورة**. فناجزهم الأمير القتال؛ فانهزموا؛ ودخلوا **تلمسان**؛ متحصنين بقلعة **المشور**. فأقام الأمير **عبد القادر** عليها حصاراً شديداً. فما كان من **ابن إسماعيل** إلاّ الاستنجاد بابن أخيه المدعو **المازري** حليف **الفرنسيين بوهران**؛ طالباً عونهم. فقام بالدَّور أحسن قيام.

---

[1] **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج: 1، ص: 216.**

ولما علم الأمير **عبد القادر** بنيَّة **الماريشال كلوزال** غزو **تلمسان**؛ استعدّ للقاء، وحشد ما أمكن من عدة وعدد. وكان اللقاء حامياً في شوال من سنة 1252هـ/1837م؛ ولم يتخلص **كلوزال** من براثن تلك المعركة في ظاهر **تلمسان** إلاّ بعد أن خرج منها المخالفون أتباع **مصطفى بن إسماعيل** و"**الكول أوغلي**"؛ فقاتلوا الأمير في صف المريشال الفرنسي؛ وأدخلوه المدينة معهم؛ فاحتلها بجيوشه: ((**ولما تمكن كلوزال من زمام البلد؛ وضع ضريبة باهظة على أوليائه؛ مثل: الكول أوغلي، وابن إسماعيل، ومن معه من قومه؛ ليسد نفقات تلك الحملة؛ التي ارتكبها من غير إذن دولته. فانتدب لجمعها رئيس الكول أوغلي "مصطفى بن المقلش"؛ فألح فيها على قومه؛ حتى أن الرجل يبيع ملبوسه وفراشه، ويؤدي ما افترض عليه؛ وأن المرأة تبيع مصاغها وثيابها، وتدفع عن نفسها ما افترضوه عليها. وشاع خبر هذه الضريبة في النواحي؛ فنفرت قلوب الناس من الفرنسيس؛ لسوء تصرفاتهم**))[1].

---

[1] **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج: 1، ص: 255.**

وعاد **المرشال الفرنسي إلى وهران**؛ في رحلة شاقة، ومكلفة. وكان قد ترك في **تلمسان** حامية بقيادة ضابط يسمى "**كافنياك**". بينما ردد الأمير عبد القادر ــ الذي استقر **بندرومة** ــ عمليات الحصار على **تلمسان**؛ حتى أنهك العدو، وضيَّق عليه سبل الاتصال والامداد. وظلَّ الحال هكذا؛ إلى أن عقد صلحاً مع الجنرال **بيجو**؛ حيث كان خروج **الفرنسيين** من **تلمسان** أحد بنوده. وبالفعل؛ أمر الجنرال **بيجو** قائد الحامية الفرنسية **كافنياك**؛ التخلي عن **تلمسان**، والخروج منها. بعد أن يسلمها إلى نائب الأمير عبد القادر. وبهذا دخل إلى المدينة خليفة الأمير السيد **محمد البوحميدي**؛ وذلك في ربيع الأول من عام 1254هـ/1838م.

***

وبدخـــول **الأميـــر عبـــد القـــادر إلى تلمســـان**؛ قـــال هـــذه القصيـــدة تمجيـــداً لهـــذه المدينـــة الأزليـــة الرائعـــة:

إلى الصَّـــوْنِ مَدَّتْ تِلِمْســـانُ يَدَهـــا
وَلَبَّـــتْ فَهَذَا حُسْـــنُ صَوْتِ نِدَاهَـــا

وقَدْ رَفَعَـــتْ عَنْها الإزارَ فَلُـــجَّ بِـــهِ
وَبَـــرِّدْ فُـــؤاداً مِـــنْ زُلاَلِ نَدَاهَـــا

وذا رَوْضُ خَدَّيْهـــا تَفَتَّـــق نَـــوْرُهُ
فَلاَ تَرْض مِنْ زَاهي الرِّيَاضِ عَدَاهَا

ويَا طَالَمَـــا صَانَتْ نِقَـــابَ جَمَالِهـــا
عُـــدَاةً وَهُـــمْ بيـــن الأنـــامِ عِداهـــا

وكَمْ رَائِمٍ رَامَ الجَمَـــالَ الذِي تَـــرَى
فَـــأَوْرَدَهُ مِنْهـــا لَحْظُهـــا وَمُداهـــا

وَحَاولَ لَثْـــمَ الخَالِ مِنْ وَرْدِ خَدِّهـــا
فَضَنَّـــتْ بِمَا يَبْـــغِي وَشَـــطَّ مَدَاهـــا

وكَمْ خَاطِبٍ لَمْ يُدْعَ كُفْئـــاً لَها ولَـــمْ
يَسمْ طَرَفـــاً مِنْ وَشْيِ نَيْلِ رِداهـــا

وَآخَـــرَ لَمْ يَعْقِـــدْ عَلَيْهَـــا بِعِصْمَـــةٍ
ومَا مَسَّهَـــا مَسّـــاً أَبَـــانَ رِضَاهـــا

ولَمْ تَسْمَـــحِ العَـــذْرَا إِلَيْـــهِ بِعَطْفَـــةٍ
ولَـــمْ يَتَمَكَّـــنْ مِـــنْ جَميـــلِ سَنَاهـــا

وَشَدَّتْ نِطَاقَ الصَّدِّ؛ صَوْناً لِحُسْنِهَـــا

فَلَـــم يَتَمَتَّـــعْ مِـــنْ لَذِيـــذِ لَمَاهـــا

وَأَبْدَتْ لَهُ مَكْـــراً وَصـــدّاً وَجَفْـــوَةً

وَسَـــدَّتْ عَلَيْـــهِ مَا نَـــوَى بِنَوَاهـــا

وَخَابَتْ ظُنُـــونُ المُفْسِدِينَ بِسَعْيِهِـــم

ولَمْ تَنَـــلِ الأَعْـــدَاءُ هُنَـــاكَ مُنَاهَـــا

قَدِ انْفصَمَـــتْ مِنْ تِلِمْسَـــانَ حِبَالُهَـــا

وبَانَـــتْ وَآلَـــتْ لاَ يَحُـــلَّ عُرَاهـــا

سِوَى صَاحِبِ الإِقْدَامِ في الرَّأْيِ وَالوَغَى

وَذِي الغَيرَةِ الحَامِي حُمَـــاةَ حِمَاهـــا

ولَمَّا عَلِمْـــتُ الصِّـــدْق مِنْهَا بِأَنَّهـــا

أَنَالَتْـــنِي الكُـــرْسِي وَحُزْتُ عُلاَهـــا

ولَمْ أَعْلَمَنْ في القُطْرِ غَيْرِيَ كَافِـــلاً

وَلاَ عَارِفـــاً في حَقِّهَـــا وبَهَاهـــا

فَبَادَرْتُ حَزْماً وَانْتِصَـــاراً بِهِمَّـــتِي

وَأَمْهَرْتُهَـــا حُبّـــاً شِفَـــاءَ دَوَاهـــا

فَكُنْـــتُ لَهَا بَعْـــلاً وَكَانَتْ حَلِيلَـــتِي

وَعِـــرْسِي وَمُلْكِي نَاشِـــراً لِلِوَاهَـــا

وَوَشَّحْتُهَا ثَوْبـــاً مِنَ العِـــزِّ رَافِـــلاً

فَقَامَـــت بِإِعْجَـــابٍ تَجُـــرُّ رِدَاهَـــا

وَنَادَتْ أَعَبْـدَ القَـادِرِ المُنْقِذِ الـذِي
فَـزِدْنِي أيَا عِـزَّ الجَزَائِـرِ جَاهـا
ووَهْرَان وَالمَرْسَاةُ كُلاً بِمَنْ حَـوَتْ
غَـدَتْ حَائِزَاتِ مِنْ حِمَـاكَ منَاهَـا

ظلت **تلمسان** في يد الأمير عبد القادر؛ إلى أن هاجمها الجنرال **بيجو**؛ إثر نكثه للمعاهدة التي كانت بينه وبين الأمير؛ وذلك في 15 ذي الحجة من سنة 1257هـ/1842م. لقد كان الجيش الفرنسي من القوة؛ بحيث تتعذر أي محاولة لمواجهته في تلك اللحظة؛ لذا؛ فقد أمر الأمير السكان بإخلاء المدينة. ثم رحل إلى نواحي **ندرومة**؛ يترصد فيها الفرصة المناسبة للإنقضاض على **الفرنسيين**. ولمَّا تعذر عليه ذلك؛ اتجه لجهات أخرى برسم الجهاد، والدفاع عن المغرب الأوسط؛ المهدد بكامله من قبل **الفرنسيين**. وبذلك بقيت **تلمسان** في يد **الفرنسيين** إلى يوم الإستقلال العظيم 1662م.

* * *

فهرس الموضوعات

(جزء 1)


الناشيء



بوزياني الدراجي

أدباء وشعراء من تلمسان

الجزء الثاني






الناشيء

أدباء وشعراء من تلمسان

بوزياني الدراجي

الجزء الثاني

(نسخة منقحة)





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر

هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 1193 ـ 2011

ردمك: 2 ـ 46 ـ 858 ـ 9961 ـ 978 ISBN



بسم الله الرّحمن الرّحيم

المائة السادسة هجرية

من 500 ـ 600 هـ

جابر بن احمد
ابن ابراهيم القرشي الحسني التلمساني،
(ابو الحسن)[1].

فقيه ومحدث ولغوي وأديب. عبر إلى **الأندلس**؛ حيث سمع من بعض علماء **إشبيلية**. ومن **شيوخه:** أبو بكر بن خير وأبو القاسم السهيلي وأبو محمد ابن عبيد الله وأبو نجبة بن يحيى وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن وأبو الوليد يزيد بن بقي وأبو الحسن بن مؤمن وأبو موسى عمران بن موسى التليدي وآخرون.

وكان جابر هذا؛ من الرواة العارفين بتراجم الرجال والأنساب. ومن مصنفاته: مجموع لشيوخ ابن خير؛ وضعه على حروف المعجم. ومن تلاميذه: أبو زيد عبد الرحمن الفازازي وآخرون. له إلمام واسع باللغة والأدب؛ وراوية الحديث الشريف. قال عنه **ابن الأبار: ((ورأيت السماع منه**

---

[1] له ترجمة في التكملة لكتاب الصلة. ومعجم أعلام الجزائر. وذكر في نفح الطيب.

في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة [578]..))[1]؛ الموافق لعام 1182م. وهي السنة التي ثبت أنه كان حياً فيها. وقال **التجيبي** في معجم مشيخته: **((جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي المسفّر من أصحابي الآخذين عني بتلمسان عند قدومي من البلاد المشرقية؛ كتب عني كثيراً. وكان زكياً، جليلاً، نبيلاً؛ صاحب أدب ولغة؛ محباً في الحديث وتحصيلة؛ وكانت له إجازات من مشايخ من أهل الحديث، وعناية بفنِّه وطرقه))**[2]. وتوفي **بتلمسان** في تاريخ مجهول. وذكرت ترجمته هنا؛ لتسهيل البحث عن عينات من أعماله الأدبية مستقبلاً.

وذكر **المقري** في نفح الطيب؛ اسم **أبي الحسن جابر بن أحمد بن عبد الله الخزرجي**؛ وثمة من يكنيه بأبي الفضل. وهو من أصول قرطبية. سمع بموطنه عن أبي محمد بن عتاب وآخرين. ثم قال أنه رحل إلى الحج. وهو شاعر وأديب[3]. كما أشار **المقري** إليه في موضع آخر من نفح الطيب؛ حين ترجم لأبي زيد الفزازي؛ فقال: **((سمع من أبي**

---

[1] التكملة لكتاب الصلة، ج: 1، ص: 249.
[2] نفسه، ص: 249.
[3] أنظر نفح الطيب، ج: 2، ص: 506.

الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقِّي القاضي، ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي؛ وهو آخر من حدَّث عنه؛ ومن أبي عبد الله التجيبي كثيراً؛ وهو أول من سمع عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي؛ إذ قدم عليهم تلمسان))[1].

* * *

[1] نفح الطيب، ج: 4، ص: 468.

حسن بن ابراهيم

ابن عبد الله بن ابي سهل التلمساني المعروف بابن ركون، (ابو علي)[1]

ولد **بتلمسان** في شعبان من سنة 484هـ/1091م وتوفي في ليلة عيد الفطر سنة 553هـ/1158م. أديب فذ، وكاتب بارع؛ انتقل إلى **فاس**؛ أين تولى الكتابة **لأبي موسى عيسى بن يوسف الملجوم الفاسي**[2]. ثم عبر إلى **الأندلس**؛ حيث سمع في **قرطبة** عن أبي محمد بن عتاب؛ **وبمرسية** عن أبي علي بن سُكَّرَة، وأبي محمد بن أبي جعفر. قال عنه **ابن الأبار** أنه ألف كتاباً في الرأي[3]. لم يُعْثَرْ ـ للأسف ـ على نصوص مما كتبه؛ مع أنه مشهود له بفن الكتابة والضلوع في ميادين الأدب. والغرض من إثباته هنا؛ هو جعله منطلقاً وعلامة؛ تساعد الباحثين على

---

[1] له ترجمة في التكلملة لكتاب الصلة. وفي جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس.

[2] هو أبو موسى عيسى بن يوسف بن عيسى بن علي الأزدي الفاسي المعروف بابن الملجوم؛ ولد في سنة 476هـ/1083م وتوفي عام 543 هـ/1148م.

[3] التكلملة لكتاب الصلة، ج: 1، ص ص: 269 - 270.

استكمـــال هــذا العمــل؛ بالبحــث عــن عيّنـــات ونصـــوص خطَّهـــا هـــذا الأديـــب الكاتـــب.

* * *

الحسن بن عبد الله

ابن حسن الكاتب الاشيري، (ابو علي)[1]

فقيه، وأديب، وشاعر، ولغوي؛ له دراية بالقراءات. ولد في **تلمسان**؛ ترعرع ونما فيها؛ أين زاول تعليمه الأولي وأخذ عن الأستاذ أبي علي الخراز. ثم عبر **إلى الأندلس** قبل عام 540هـ/1145م. فسمع عن علماء **المرية**؛ كابن يَسْعُون وآخرين. قال عنه ابن الأبار: **((كان من أهل العلم بالقرآت، واللغة، والغريب؛ يغلب عليه الأدب. وكان ناظماً ناثراً))**[2]. توفي في سنة 569هـ/1174م. ومن مؤلفاته: مجموع في غريب الموطأ، ونظم مختصر في التاريخ؛ ومن شعره؛ هذه القصيدة التي وصف فيها معركة حربية وقعت في السبطاط بين المسلمين والنصارى في سنة 569هـ/1174م.

---

[1] له ترجمة في التكملة لكتاب الصلة، وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ومعجم أعلام الجزائر. وفي كتاب المن بالإمامة على المستضعفين؛ هامش الصفحة: 524. وكتاب أخبار المهدي بن تومرت؛ هامش صفحة: 105.

[2] التكملة لكتاب الصلة، ج: 1، ص: 270.

دارت رحـــا الهلكـــات بالسبطـــاط

وسطا بها ريـــب الزمان الســـاطي

وأهيـــن فيهـــا الشـــرك أي إهانـــة

شفعـــت كريـــه هياطهـــا بميـــاط

بأن لم تقـــم فيهـــا قيامـــة ملكهـــم

فلقـــد رأوا جمـــلا مـــن الأشـــراط

وأصارهـــا وطء الجيـــاد هشيمـــة

ســـوداء معتبـــر العيـــن الـــواطي

لولا خـــروج الفصـــل عن معتـــاده

لـــم يمهلـــوا مقـــدار ســـم خيـــاط

ولعاينـــة مـــن أخذهـــم بذنوبهـــم

مـــا عايـــن النعمـــان في سابـــاط[1]

جيـــش من العرب الذين إذا غـــزو

كـــووا الأعاجم في الطـــلا بمـــلاط

قـــوم إذا شمـــخ العنـــاد بأنفهـــم

وضعوا السيوف مواضع الأســـواط

من كـــل ذمـــر ينثـــني في درعـــه

فكأنـــه في الســـرب مـــن دميـــاط

---

[1] يشير ـ هنا ـ إلى ما حدث للنعمان بن المنذر في ساباط المدائـن؛ حين أمر كسرى الفرس أبرويز؛ بإعدامه.

ومــن أوصافــه الملفتــة؛ لِمَــا كــان يجــري في بــلاط الخليفــة عبــد المؤمــن بــن عــلي؛ وصفــه لشبــل أســد ينــام عنــد رجــلي الخليفــة. كمــا وصــف طائــراً ناطقــاً بالكــلام؛ فقــال:

أنِــس الشِّبْــلُ ابتِهاجاً بالأسَــدْ
وَرَأى شِبْــهَ أَبِيــهِ فَقَصــدْ
وَدَعَا الطَّائِــرُ بِالنَّصْــرِ لَكُــمْ
فَقَــضَى حَقَّكُــمُ لَمَّــا وَرَدْ[1]
أنْطَــق الخَالِــقُ مَخْلوقاتِــهِ
بِالشَّهَــاداتِ فَكُــلٌّ قَــدْ شَهِــدْ
إنَّــكَ القَائِــمُ بِالأمْــرِ لَــهُ
بَعْدَ مَا طَالَ علَى النَّاسِ الأمَــدْ

***

[1] في الحلل الموشية: ((لَمَّـا وَفَـدْ)). وجـاء هـذا الشطـر في زاد المسافر هكـذا: ((وبتأييــدٍ فكُلٌّ قدْ شَهِدْ)).

خطاب بن احمد

ابن عدي بن خطاب بن خليفة بن عبد الله ابن الوليد بن ابي الوليد التلمساني. (ابو الحسن)[1]

شاعر ولغوي وفقيه من **تلمسان**. أورد خبره صاحب معجم البلدان؛ وذكر أنه رحل إلى **بغداد** ودخلها في سنة 520هـ/1126م.[2] كما قال عنه أبو سعد السمعاني[3] في كتابه الأنساب: **((أبو الحسين خطاب بن أحمد بن خطاب بن خليفة بن عبد الله بن وليد بن أبي الوليد التلمساني؛ كان شاعراً جيد الشعر؛ ورد بغداد في حدود سنة عشرين وخمسمائة))**[4]. كما ذكره **العماد الأصفهاني** في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر؛ وقال فيه: **((كان**

---

[1] له ترجمة في خريدة القصر وجريدة العصر، والأنساب للسمعاني، ومعجم البلدان. ومعجم أعلام الجزائر. وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان.

[2] معجم البلدان، ج: 2،ص: 44.

[3] هو الإمام الحافظ المحدث أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي الشافعي. ولد في مرو عام 506هـ/1112م؛ وتوفي بها في سنة 562هـ/1166م.

[4] الأنساب، ج: 1، ص ص: 474 - 475.

إماماً فاضلاً؛ وله شعر حسن، ويد باسطة في اللغة)). وأورد من شعره هذه المقطوعة[1]:

حرامٌ على نفسي لَذاذَة عَيْشِها
إلى أن تقرّ النَّفْس عيناً بما تَدْري

بعلمٍ يُزَكّي النَّفْسَ عِنْدَ مَليكِها
وتُؤنِسُها أنْوارُه في دُجَى القَبْرِ

ويُحْشَرُ إنْ أضْحَى الأنامُ بِظِلِّها
لِواء عُلوم يومَ يُدعَى إلى الحَشْرِ

فإنْ نِلْت ما أمَّلْته أبْتُ فائِزاً
وإلاّ فَنَفْسي قد أقَمْت بها عُذْري

***

[1] **خريدة القصر وجريدة العصر، ج: 2، ص: 341.**

شعيب بن الحسين

الأنصاري الأندلسي نزيل تلمسان المالكي[1]،

(أبو مدين)[2].

فقيه ومحدث صوفي؛ يسمى في عرف الصوفية بالقطب والغوث وإمام السالكين، وسيد العارفين، وقدوة السالكين، وشيخ مشائخ الإسلام، وإمام العباد والزهاد، والنجم الساطع من أرض المغرب، التَّقِيّ النَّقيّ بلا منازع. وكان **أبو مدين** ــ أيضاً ــ أديباً فذاً، وشاعراً رقيقاً واسع الخيال. ولد في أحد الحصون الرابضة ــ على بعد ثمانية أميال ــ في الشمال الشرقي من مدينة **إشبيلية بالأندلس**؛ اسمه

---

1 ترجمة أبي مدين موجودة في كثير من المصادر والمراجع؛ أهمها: التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، وصلة الصلة لأحمد بن الزبير، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لمحمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي، وكتاب التشوف إلى رجال التصوف ليوسف بن يحيى التادلي، وأنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسنطيني، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحيى ابن خلدون، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم، وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني، ودائرة المعارف الإسلامية.. وإلى آخره من التصانيف القديمة والحديثة التي تتناول خبر أبي مدين ومذهبه الصوفي.

2 استمد لقب أبي مدين من اسم ولده مدين المدفون بمصر.

"**حصـــن قَطْنِيانَـــة**" Cantalona؛[1] وفي قـــول مـــن **حصـــن منتوحـــب**"[2] القريـــب مـــن **إشبيليـــة**. اختلفـــت الأقـــوال حـــول تاريـــخ ميـــلاد **أبي مديـــن شعيـــب**؛ فمنهـــا مـــن تجعـــل ميـــلاده في سنـــة 510هـــ/116م؛ ومنهـــا مـــن تجعلـــه في سنـــة 514هـــ/1120م، وثالثـــة تقـــول أنـــه ولـــد في سنـــة 509هـــ/115م. أمـــا وفاتـــه فوقعـــت في عـــام 594هـــ/1197م بعـــد أن جـــاوز عمـــره الثمانيـــن سنـــة. ولكـــن صاحـــب كتـــاب المـــواد الغوثيـــة يقـــول أنـــه تـــوفي في سنـــة 573هـــ/1177م[3]. وتقـــول بعـــض الروايـــات[4]؛ أنـــه لـــم يحـــظ بفـــرص التعلـــم في صغـــره[5]؛ بسبـــب فقـــره ويُتْمـــه؛ إذ زُجَّ بـــه في مشـــاق العمـــل، والسـعي وراء فـــرص الـــرزق منـــذ نعومـــة أظفـــاره؛ حيـــث أجبـــره إخوتـــه ــ في طفولتـــه،

---

[1] كتاب التشوف إلى رجال التصوف، ص: 319. بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 125. دائـــرة المعارف الإسلامية، ج: 1، ص: 399. وكتاب العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني، ص: 16.

[2] عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائـــة السابعة ببجاية، ص: 22.

[3] المواد الغوثية، ج: 1، ص: 17.

[4] أورد هذا الخبر صاحب التشوف؛ نقلاً عن محمد بن إبراهيم الأنصاري؛ الذي يقول أن أبا مدين حكى له هذه القصة. ص: 320. وقد نقلها عن التادلي ابن قنفذ في أنس الفقير، ص: 11.

[5] ذكر ألفرد بال ـ في دائـــرة المعارف الإسلامية ـ أنه حفظ القرآن في صغره؛ كعادة الصغار آنذاك. (ج: 1، ص: 399).

وبعد موت والده – على رعي مواشيهم[1]. فكان يخرج بها إلى مرعاها كل يوم. ولكنه أخذ يضيق ذرعاً بعمله هذا؛ إذ انتابته رغبة ملحة للتعلم والعبادة؛ حين لفت نظره ما يجري حوله؛ عندما يرى بعضهم يصلّي، وبعضهم الآخر يقرأ ويكتب؛ فحَنَّ إلى تعلم القراءة والكتابة، كما تشوق لمعرفة مبادئ الصلاة بقراءة القرآن. ولكن إخوته نَهَوْهُ عن التفكير بذلك؛ وأمروه بمواصلة عمله في رعي مواشيهم. فلم يرتدع، ولم يَنْثَن عن سعيه من أجل تحقيق أمنيته في تعلم القراءة والكتابة. ولم يجد مخرجاً أمامه سوى الهروب، والنجاة بنفسه، والخلاص من مهنة الرعي؛ فبادر من فوره إلى الفرار؛ ولكن أحد إخوته لحق به وأعاده إلى عمله عنوة. ولكن **أبا مدين** أعاد الكرة مرة ثانية؛ فلحق به أخ آخر؛ حاملاً سيفه؛ فهدّده به؛ فلم يستجب؛ فصمَّمَ نحوه، وضربه بذلك السيف؛ فتلقاه **أبو مدين** بعصاه؛ وهي عبارة عن عود كان يحمله بيده؛ فانكسر السَّيْف أطرافاً، وتناثر قطعاً أمامه؛ فاندهش

[1] ويخالف هذا الرأي ألفرد بال؛ إذ يرى أنه تعلم في حداثته صناعة النسيج. ثم تطلع إلى المزيد من العلم؛ فهاجر إلى فاس لتحقيق أمنيته. (دائرة المعارف الإسلامية، ج: 1، ص: 399).

أخــوه، وخــاف العاقبــة؛ فقــال لــه: "يــا أخي إذهــب حيـث شئـت".[1] ونُقِلَ عـن **أبي مديـن** قولـه: **((فسـرت حـتى وصلـت البحـر؛ ووجـدت خيمـة فيهـا نـاس؛ فخـرج منهـا شيـخ؛ فسألـني عـن أمـري؛ فأخبرتـه؛ فجلسـت عنـده؛ فـإذا جعـت رمى بخيـط في طرفـه مسمـار؛ فأخـذ حوتـاً؛ ويطعمـه لي مشويـاً ثـم قـال لي: "انصـرف إلى الحاضـرة حـتى تتعلـم العلـم؛ فـإن اللـه تعـالى لا يعبـد إلاّ بالعلـم"...))**[2]. فعلقـت نصيحـة الرجـل في ذهـن **أبي مديـن**؛ فعبـر إلى العـدوة المغربيـة[3]؛ ودخـل مدينـة **طنجـة**؛ ومنهـا انتقـل إلى **سبتـة**؛ أيـن اشتغـل بعـض الوقـت لـدى بعـض الصيّاديـن. وبعـد ذلـك توجّـه صـوب مدينـة **مراكـش** مـع شُلَّـة مـن **الأندلسييـن**؛ الذيـن سجلـوه في سلـك الجنديـة معهـم؛ مستغليـن طيبتـه؛ فأكلـوا مستحقاتـه الماديـة، وسرقـوا مـا خُصِّـص لـه مـن راتـب

---

[1] التشوف"، ص: 320. و"أنس الفقير"، ص: 12.

[2] كتاب أنس الفقير وزاد الحقير، ص: 12. وورد بصيغة أخرى في التشوف، ص ص: 321 - 322.

[3] لم يعرف ـ حتى الآن ـ بالتحديد؛ التاريخ الذي عبر فيه أبو مدين إلى الضفة المغربية. وقد استنتج ألفرد بل تاريخ الفترة التي وصل فيها أبو مدين إلى فاس؛ حيث تكهن أن تكون في عهد بداية الموحدين؛ لأن تلك الفترة شهدت ازدهاراً في تعلم علوم الحديث. وهو مطلوب أبي مدين؛ فانصب اهتمامه عليه. (دائـرة المعارف الإسلامية، **ج: 1، ص: 400).**

وعطاء[1]. فتألم لذلك، وتركهم؛ وتوجه نحو **فاس**؛ بعد أن قيل له أنَّها أصلح مكان لتلقي العلم في المغرب.

وهكذا؛ وجد **أبو مدين** ضالته في تلك المدينة العريقة؛ فواضب على حلقات التعليم **بمسجد القرويين** الشهير؛ ذي الجذور الممتدة إلى عصر **إدريس الثاني**. وفي جنبات ذلك المسجد؛ تعلم **أبو مدين** المبادئ الأولى في الوضوء والصلاة؛ كما تعلم القراءة والكتابة؛ وشرع في حفظ القرآن الكريم. فَفُتِحت ـ حينها ـ أمامه مجالات العلوم المختلفة، واكتسب حظوة الجلوس في حلقات العلم المتنوعة، والتزود بمعينه الذي لا بنضب. وفي هذا يقول بعضهم على لسان **أبي مدين شعيب**: **((وكنت أجلس إلى حلق الفقهاء والمذكرين؛ فلا أثبت على شيء من كلامهم؛ إلى أن جلست إلى شيخ؛ ثبت كلامه في قلبي؛ فسألت: من هو؟ فقيل لي: "أبو الحسن بن حِرْزهم (أو حرازهم"[2]** ـ حرازم عند العامة**]. فأخبرته**

---

[1] التشوف، ص: 320.

[2] هو الشيخ الفقيه المحدث أبو الحسن علي إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم. ولد بفاس في تاريخ غير معروف، وتوفي بها في أواخر شعبان من عام 559هـ/1163م. إمام في الحديث، وعلم التصوف؛ ومن الرجال الصالحين. له ترجمة في كتاب التشوف. وأخرى في أنس الفقير.

أني لا أحفظ إلاّ ما سمعته منه خاصة. فقال لي: "هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم؛ فلا يجاوز كلامهم الآذان؛ وقصدت الله بكلامي؛ فيخرج من القلب، ويدخل إلى القلب"...))[1]. قرأ أبو مدين على شيخه ابن حرزهم كتابَيْ: الرعاية لحقوق الله للإمام المحاسبي، وإحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي[2]؛ كما تلقى عنه دروساً أخرى في علوم الشريعة والحديث؛ فأتقن تلك العلوم وتفوق فيها. ثم اهتم ـ بشكل أوسع ـ بسنن الترميذي؛ فاستوعب الجامع الصحيح بسنده؛ الذي تلقاه عن الشيخ الحافظ المحدث أبي الحسن علي بن غالب القرشي[3]. ولا بد أن يكون أبو مدين شعيب قد درس الأدب، واطلع على دواوينه؛ كما يفهم أنه قرأ كثيراً من أشعار العرب الغزلية الرقيقة؛ لأن ما صاغه من أشعار في الحبِّ الإلهي يوحي بذلك؛ ولا يمكنه

---

[1] كتاب "التشوف إلى رجال التَّصوف"، ص: 320. ورد هذا الخبر أيضاً ـ بتصرف ـ في زاد الفقير، ص: 12.
[2] هو حجة الإسلام الفقيه الصوفي أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسبوري الشافي مذهباً، الأشعري عقيدة. ولد في سنة 450هـ/1058م، وتوفي في عام 505هـ/1111م.
[3] فقيه وحافظ للحديث الشريف. توفي في الرابع من جمادى الأخرى من سنة 568هـ/1172م. وكان عمره 83 سنة. ورد ذكره في التشوف.

صياغة ما جادت به قريحته بتلك البراعة والسلاسة؛ دون زادٍ أو ذخيرة مكتنزة في صدره.

وشرح **أبو مدين شعيب** الطريقة التي كان يحفظ بها كل ما يتلقاه من علوم؛ فقال: **((وكنت إذا سمعت تفسير آية من كتاب الله تعالي؛ ومعه حديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قنعت بهما وانصرفت إلى خارج فاس؛ لموضع خال من الناس؛ اتخذته مأوى للعمل بما يفتح عليّ من الآية والحديث؛ ثم أعود إلى فاس فآخذ آية وحديثاً وأخرج إلى خلوتي... فكنت إذا جلست بذلك المكان؛ تأتيني غزالة؛ تأوي إليّ وتشمني من قرني إلى قدمي؛ وتؤنسني)).**[1] وذُكِر على لسان أبي **مدين** أيضاً سرْدٌ لأول لقاء له مع شيخه الصوفي **أبي يعزَى: ((ثم سمعت الناس يتحدثون بكرامات أبي يَعْزَى**[2]**؛ فذهبت إليه في جماعة**

---

[1] أنس الفقير، ص: 14. أنظر أيضاً التشوف، ص: 322.

[2] توفي ودفن في جبل إيروجان في غرة شوال من عام 572هـ/1079م؛ عن عمر ناهز المائة سنة. قيل فيه؛ أنه: أبو يعزَى يلنور بن ميمون. وفي قول: بن عبد الله بن ميمون بن عبد الله بن عبد الرحمن الدكالي الهزميري. له ترجمة في كتاب التشوف للتادلي. وكان أمياً لا يقرأ؛ ولكنه يتمتع بفطنة وإدراك عجيبين. حتى أنه كان ـ كما قال أبو مدين: ((يقدم الرجل للصلاة؛ فإن كان قارئاً مجيداً؛ أقرّه؛ وإن كان لحاناً أخره)). التشوف، ص: 323.

توجهت لزيارته؛ فلما وصلنا جبل إيروجان، ودخلنا على أبي يَعْزَى؛ أقبل على القوم دوني. فلمّا أحضر الطعام؛ منعني من الأكل؛ فقعدت في ركن الدار؛ فكلما أحضر الطعام وقمت إليه؛ انتهرني. فأقمت على تلك الحالة ثلاثة أيّام؛ وقد أجهدني الجوع، ونالني الذلّ. فلمّا انقضت ثلاثة أيام؛ قام أبو يَعْزَى من مكانه؛ فأتيت إلى ذلك المكان، ومرغت وجهي فيه؛ فلما رفعت رأسي؛ نظرت؛ فلم أر شيئاً، وصرت أعمَى؛ فبقيت أبكي طول ليلتي. فلما أصبحت؛ استدعاني، وقال لي: "اقترب يا أندلسي"؛ فدنوت منه؛ فمسح بيده على عيني؛ فأبصرت؛ ثم مسح بيده على صدري؛ وقال للحاضرين: "هذا يكون له شأن عظيم"؛ أو قال كلاماً هذا معناه...))[1].

ويبدو أن تلك اللحظات كانت هي مبعث تعلق **أبي مدين** بشيخه الصوفي **أبي يَعْزَى**؛ فأضحى كثير التردُّدِ عليه في جبل **إيروجان**؛ أين شَغُفَ به، وأبهرته كراماته الصارخة؛ فاستسلم له طوعاً، ووضع إرادته بين يديه؛ في سبيل كسب التربية

---

[1] كتاب "التشوف إلى رجال التّصوف"، ص ص: 320 - 321. وكتاب أنس الفقير، ص: 15. أنظر أيضاً كتاب نفح الطيب، ج: 7، ص ص: 137 - 138.

الطاهرة منه، وسعياً لما يرجوه من تهذيب ومجاهدة للنفس. فحظي ــ نتيجة لذلك ــ بالفتح القويم، والسِّر العظيم. فنقل عنه أنه قال عن شيخه **أبي يَعْزى**: **((طالعت أخبار الأولياء من عهد أويس القرني**[1] **إلى زمننا؛ فما رأيت أعجب من أبي يَعْزَى. وطالعت كتب التذكير؛ فما رأيت كالإحياء للغزالي))**[2].

وبعد الوصول إلى عتبة التصوف، واكتساب أسرار معرفة الباطن؛ استأذن شيخه **أبا يَعْزَى** في الرحلة نحو الدِّيار المقدسة، والحج إلى بيت الله الحرام. ولمّا أذن له؛ خرج في رحلة التوفيق والبركة؛ الرحلة التي قيل أنها فتحت له الحجب المانعة والأبواب السِّرية نحو دروب الخلاص.

---

[1] هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني؛ من أهل اليمن. ومن كبار التابعين؛ أدرك عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولكنه لم يحظ برؤيته. قال عمر بن الخطاب: سمعت رسول الله يقول: ((خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر))؛ كان به بياض؛ فدعا الله؛ فأذهبه عنه؛ إلاّ موضع الدرهم في سرته. حديث صحيح. وقيل أنه استشهد في موقعة صفين سنة 37هـ/658م.

[2] أنس الفقير وعز الحقير، ص: 21. وفي معناه انظر: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ص: 23.

وفي **مكة المكرمة**[1] ـ كما قيل ـ وبعرفات بالتحديد[2]؛ قابل **أبو مدين شعيب** الشيخ الغوث **عبد القادر الجيلاني**[3] صاحب الطريقة الذائعة الصِّيت؛ فكان لهذا الشيخ تأثير كبير عليه؛ إذ قيل أنه تناول منه خرقة الزهد والتصوف[4]، وأخذ عنه طريقته، ونقلها إلى بلاد **المغرب**. وقيل أن **أبا مدين** ـ في تلك الأثناء ـ كان ملازماً لشيخه طوال مقامهما في الديار المباركة؛ حيث تَلَـقَّى عنه الحديث الشريف بروايات عديدة؛ كما منحه ثقته، وسرّ

---

[1] تبين أن معظم المصادر المغربية؛ لم تشر بتوسع إلى رحلة أبي مدين في المشرق. ويبدو أن المعلومات عن مقامه بتلك الديار؛ صادرة عن بعض تلاميذه من الشارقة؛ كأبي العباس المرسي، والشعراني، وبعض المنتسبين للشاذلية، وغيرهم. كما أن ولد عبد القادر الجيلاني وخليفته في بغداد أبا بكر عبدالرزاق بن عبد القادر (المتوفي سنة 603هـ/1206م) أشار للقاء أبي مدين مع والده في مكة. وقد نقل عنه هذا القول التاودي؛ في كتابه "قلائد الجواهر، ص: 5.

[2] أنظر كتاب "العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني"، ص ص: 22 - 23. وجاء فيه أن الشيخ محمد أبا بكر المعصوم التلمساني (المولود في سنة 1346هـ/1927م) يرى؛ أن لقاء الشيخ أبي مدين بالشيخ عبد القادر الجيلاني؛ حدث بين سنتي: 551هـ/1156م و 556هـ/1160م. مع أن هذا القول غير مُوَثَّق.

[3] هو الشيخ الصوفي الفقيه الحنبلي عبد القادر الكيلاني. ولد بجيلان (أو كيلان) الإيرانية؛ وقيل العراقية؛ بالقرب من المدائن في سنة 470هـ/1077م وتوفي ببغداد في عام 561هـ/1165م واشتهر باسم الجيلاني. وتنسب إليه الطريقة الصوفية المعروفة بالقادرية.

[4] والخرقة عبارة عن وشاح بسيط، مرقع يلبسه الزهاد والمتصوفة، تواضعاً لله، وبعداً عن بريق الدنيا ومباهجها. ويقال أن الخرقة الأولى تلقاها أبو مدين بفاس من الرجل الصالح أبي عبد الله الدقاق.

أسـراره. حـتى أن **أبـا مديـن** أعلـن عـن تبعيتـه للشيـخ **عبـد القـادر الجيـلاني**، وافتخـر بصحبتـه لـه؛ واعتبـره أفضـل مشائخـه؛ فنـال الدرجـة العليـا في الطريقـة القادريـة. وبذلـك أضـحى **أبـو مديـن شعيـب** شيـخ الطريقـة الثـاني بعـد **عبـد القـادر الجيـلاني**؛ هـذه الطريقـة الـتي تسلسـل شيوخهـا بعـده إلى **عبـد السـلام ابـن مشيـش**[1] ـ تلميـذ **أبي مديـن**، والرجـل الثالـث في تسلسلهـا ـ ثـم انتقلـت المشيخـة بعـد **ابـن مشيـش** إلى **أبي الحسـن الشـاذلي**؛ وبعـده إلى **أبي العبـاس المـرسي**[2] نزيـل **الإسكندريـة**.

وكـان **أبـو مديـن** قـد توجـه ـ بعـد **الحجـاز** ـ إلى **القـدس**؛ ثالـث الحرميـن. وهنـا تختلـف الأقـوال حـول أعمالـه في تلـك الدِّيـار؛ فمـن قائـل أنـه شـارك في حـرب الصليبييـن، وفقـد إحـدى يديـه في الجهـاد؛ ومـن أنكـر ذلـك الخبـر؛ إلى جانـب صمـت الآخريـن. أمـا

---

[1] هو الشيخ الصوفي عبد السلام بن سليمان بن أبي بكر بن علي العلمي الإدريسي؛ عرف بلقب ابن مشيش. ولد ببني عروس القريبة من العرائش في سنة 559هـ/1162م، وتوفي خارج خلوته بشمال المغرب؛ مقتولاً بأيدي أتباع مدعي النبوة ابن أبي الطواجن. في عام 626هـ/1228م.

[2] هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصارى المرسي. ولد بمرسية الأندلسية. في سنة 616هـ/1219م. تلميذ أبي الحسن الشاذلي. أقام بالأسكندرية 43 سنة؛ قضاها في نشر العلم وتهذيب النفوس؛ وتوفي بها في عام 686هـ/1287م؛ ودفن في مقبرة باب البحر.

وجود **أبي مدين** في **القدس** في تلك الأثناء، أو في سنة 583هـ/1187م بالتحديد؛ بعد فتح **صلاح الدين** تلك المدينة؛ ليس ببعيد؛ خاصة وأن جَلَّ الحجاج المغاربة؛ يتوجهون إلى زيارة بيت المقدس؛ بعد خروجهم من المدينة المنورة؛ وأثناء عودتهم إلى الديار المغربية.. وعلى هذا؛ فقد ثبت أن وقفاً باسمه وُجِد بهذه المدينة؛ لفائدة أهل **المغرب**؛ أمر به **الفضل بن صلاح الدين الأيوبي**. وهو عبارة عن مساكن تَخَصَّص للإقامة أو للإيجار؛ ثم خصص بعض المزارع المدِرَّة بالمال الضروري لسير الوقف. وجاء في وثائق الوقف أن **حائط البراق** داخل ضمن الحدّ الشرقي لهذا الوقف؛ المعروف بوقف **المغاربة**، أو وقف **أبي مدين**. وتقول المصادر أيضاً أن حفيد **أبي مدين** قام سنة 720هـ/1320م بإعادة تقييد هذا الوقف شرعاً. وتوجد وثيقة تقييد الوقف المذكور في مكتبة كلية الدراسات الشرقية بجامعة **لندن**، كما توجد نسخة منها أيضاً في مكتبة كلية **سانت أونطوني** بجامعة **إكسفورد**. وتقول الوثيقة أن حائط البراق وقف **للمغاربة** تحت اسم "أوقاف **أبي مدين الغوث**" وأن هذا الوقف قُيِّد في سنة 666هـ/1268م؛ ثم أُعيد تقييده سنة 1004هـ/1595م.

ثم أنشئت **بالقدس**؛ وفي حي المغاربة بالذات ـ سنة 730هـ/1320م ـ **زاوية للشيخ أبي مدين شعيب.**[1]

عاد **أبو مدين شعيب** من **المشرق** في تاريخ غير معروف؛ فاستقر **ببجاية**؛ التي اختارها سكناً وأنساً له؛ فتزوج فيها بجارية حبشية، وانجب منها ابنه **مدين**؛ فلقب ـ منذئذ ـ باسمه؛ وراقت له تلك المدينة الساحلية الرائعة؛ وارتاح للإقامة فيها؛ إذ قال فيها: **((إنها مُعينة على طلب الحلال))**[2]. فلازم التدريس بجامع **بجاية** ومدرستها؛ إلى أن جاوز سِنَّهُ الثمانين سنة. كان رحمه الله وسطياً في مواقفه وأحكامه؛ لا يغوص في الغلوّ، ولا يلين إلى درجة التسامح مع الخارجين عن الشرع والسنة النبوية، كما أنه لا يميل إلى التعصب والتصلب والانغلاق. ومن بين ما وقع له من أحداث، وعايشه ومن أحوال مع أصحابه وتلاميذه؛ أن صاحبه أبا علي الصباغ؛ الذي تنسب إليه حالات من المكاشفة؛ قال: **((صليت المغرب مع الشيخ أبي مدين؛ فرأيت ـ وأنا في الصلاة ـ ثلاثاً وأربعاً من الحُورِ العين يلعبن.**

---

[1] أنظر تفاصيل ذلك، ونص وثيقة وقف أبي مدين؛ المعاد تقييدها في عام 720هـ/1320م في كتاب "العالم الربّاني أبو مدين شعيب التلمسان"؛ لمحمد الطاهر علاوي.

[2] نفح الطيب، ج: 7، ص: 141.

فلمّا سلَّمْنا من الصَّلاة؛ قلت للشيخ أبي مدين ما رأيت؛ فقال: "وهل رأيتهن؟" قلت: نعم"؛ قال لي: "أعِدْ صَلاتَك؛ فإن المُصَلِّي يناجي ربَّه، وأنت إنما ناجيت الحُورَ العين"...))[1]. ونقل التادلي عن أبي علي الصواف قوله: **((سمعت أبا مدين يقول: "الملتفت للكرامات؛ كعابد الأوثان؛ فإنه إنما يصلي ليرى كرامة))**[2]. وقال يوماً في أحد مجالسه: **((إنَّ الله تعالى يعطي الدنيا كما يعطي الآخرة. فمن كانت له حاجة من أمور الدنيا؛ فليذكرها؛ لنسأل الله تعالى فيها))**[3]. وقال التادلي أيضاً أن أبا علي الصواف؛ قال: **((لما احتضر أبو مدين؛ استحييت أن أقول له أوصيني؛ فأتيت بربيبه؛ وقلت له: "هذا فلان؛ أوصه". فقال لي: "سبحان الله؛ وهل كان عمري معكم كله إلاّ وصية؟ وأي وصية أبلغ من مشاهدة الحال"...))**[4]. ولما رأى ــ يوماً ــ صاحبَه الشيخَ الورعَ الزاهدَ أبا زكرياء يحيى بن أبي علي

---

[1] أنس الفقير وعز الحقير، ص: 38. وهذه الحكاية أوردها التادلي؛ نقلاً عن أبي علي حسن بن محمد الغافقي؛ الذي قال أن أبا مدين هو الذي رواها له. أنظر التشوف، ص: 326.

[2] التشوف إلى رجال التصوف، ص: 323.

[3] أنس الفقير وعز الحقير، ص: 22.

[4] التشوف إلى رجال التصوف، ص ص: 323 - 324.

الـــزواوي يكثـــر مـــن تخويـــف النـــس بالنَّـــار، وعقـــاب اللـــه؛ قـــال لـــه: ((**لا تُقْنِـــطِ النَّـــاسَ؛ وَذَكِّرْهُـــمْ بأنْعُـــمِ اللـــهِ تعـــالى**))[1]. وثمـــة روايـــات لا تحـــصى تؤكـــد وسطيتـــه وحكمتـــه.

وقـــد احتـــل وجـــوده **ببجايـــة** قمـــة عطائـــه، وأفضـــل أوقـــات عملـــه، وأوفـــر إنجازاتـــه العلميـــة والأدبيـــة. فهنـــاك ذاع صيتـــه، وتكاثـــف الخلـــق حـــول حلقاتـــه العلميـــة والوعظيـــة؛ فوفـــدت إليـــه وفـــود الطلبـــة والمريديـــن، وتخـــرج عـــلى يديـــه جمـــع كبيـــر مـــن التلاميـــذ؛ قيـــل أن عددهـــم وصـــل حـــدّ الألـــف تلميـــذ[2]؛ لذلـــك لقـــب بشيـــخ مشائـــخ الإســـلام، وإمـــام العبـــاد والزهـــاد. وعـــلى هـــذا؛ فقـــد انتشـــرت دعوتـــه في الأقطـــار كلهـــا، وعـــمّ ذكـــره في الآفـــاق؛ حـــتى أخـــاف أهـــل السلطـــان الدنيـــوي، فَوَشَـــوْا[3] بـــه إلى الخليفـــة الموحـــدي **أبي يوســـف يعقـــوب المنصـــور**؛ وقالـــوا لـــه: ((**إنّـــا نخـــاف منـــه عـــلى دولتكـــم؛ فـــإن لـــه شبهـــاً بالإمـــام المهـــدي؛ وأتباعـــه كثيـــرون بكـــل بلـــد**))[4]. فخـــاف العاقبـــة، وأمـــر بجلبـــه وأحضـــاره أمامـــه؛ بغـــرض امتحانـــه؛ ثـــم كتـــب إلى والي **بجايـــة** طالبـــاً منـــه نقلـــه

---

[1] أنس الفقير وعز الحقير، ص: 28.
[2] نفسه، ص: 16.
[3] في دائرة المعارف الإسلامية: ((فبيتوا النية على اغتياله)). ج: 1، ص: 400.
[4] نفح الطيب، ج: 7، ص: 142.

إليه، وأوصاه بالاعتناء به: **((وأن يحمل خير محمل))**[1]. ولما حلَّ وقت سفره؛ تململ تلاميذه ورُوَّاده، وجاهروا بسخطهم واعتراضهم؛ فقال لهم: **((إنَّ مَنِيَّتي قَرُبَتْ، وبِغَيْرِ هذا المكان قُدِّرَتْ، ولا بدّ لي منه، وأنا شيخ كبير ضعيف؛ لا قدرة لي على الحركة؛ فبعث الله تعالى من يحملني إليه برفق، ويسوقني إليه أحسن سوق؛ وأنا لا أرى السلطان ولا يراني))**[2]. فارتاحوا لقوله، واقتنعوا بحكمه؛ الذي اعتبروه من الكرامات.

وارتحل الرَّكْب ـ محفوفاً بمريديه ـ في أحسن الظروف والأحوال، وساروا **بأبي مدين** في رفق وسلاسة؛ حتى بدت لهم معالم **تلمسان**؛ ووطئت قافلتهم أطراف قرية **العباد**؛ فقال **أبو مدين** لمرافقيه: **((ما أصلحه للرقاد))**[3]؛ ثم بدت عليه أعراض المرض؛ فنزلوا على ضفة **وادي يسر**؛ لتمريضه، وأخْذِ قسطٍ من الراحة. ثم اشتد المرض

---

[1] التشوف، ص: 102. ونفح الطيب، ج: 7، ص: 142.

[2] نفح الطيب، ج: 7، ص: 142. جاء في التشوف: ((فقال لهم رضي الله عنه: "شعيب رجل كبير ضعيف؛ لا قوة له للمشي؛ ومنيته قدرت بغير هذا المكان؛ ولا بد من الوصول إلى موضع المنية. فقيض الله لي من يحملني إلى مكن الدفن برفق، ويسوقني إلى مرام المقادير أحسن سوق. والقوم لا أراهم، ولا يروني)). ص: 102.

[3] نفح الطيب، ج: 7، ص: 142.

بــه؛ وكانــت آخــر كلمــة قالهــا: **((اللــه الحــق))**[1]. فكــان تاريــخ وفاتــه في سنــة 594هـ/1197م. فنقــل إلى **العبــاد**؛ أيــن دفــن في مشهــد عظيــم، ومحفــل جليــل؛ حضــره معظــم سكــان **تلمســان** ومــا حولهــا.

وبعــد موتــه؛ أضــحى مقامــه مــزاراً ومحجّــاً لكثيــر مــن أهــل الصوفيــة، والعلمــاء، والحكــام عــلى مختلــف أوجههــم. ويقــال أن الخليفــة الموحــدي **محمــد الناصــر** قــد أمــر ببنــاء قبّــة فــوق ضريــح **أبي مديــن**؛ كمــا قــام الملــوك والأمــراء؛ الذيــن حكمــوا **تلمســان** بترميــم وزخرفــة مقامــه؛ ثــم شيــدوا منشــآت عديــدة حــول المقــام؛ منهــا المسجــد الجامــع والمدرســة.

* * *

---

[1] ثمة أقوال أخرى ذُكِرت عن لحظة وفاته؛ من ذلك؛ أنه قال: "مالنا للسلطان؛ الليلة نزور الإخوان". ثم نزل وذهب إلى المسجد الجامع، واستقبل القبلة وتشهد وقال: "ها قد جئت، ها قد جئت، وعجّلت إليك ربِّ لترضَى". ثم قال: "الله الحَي"؛ وبهذه الكلمة فاضت روحه الطاهرة، وانقلت إلى رحاب الله سبحانه وتعالى؛ قبل أن يصل إلى بلاط السلطان أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي. وجاء في كتاب التشوف أن أبا علي الصَّوَّاف قال: ((سمعته عند النَّزع وهو يقول: "الله! الله! حتى رَقَّ صوته")). التشوف، ص: 324.

تلاميذ الشيخ أبي مدين

لشيخ الشيوخ **أبي مدين شعيب** عدد كبير من تلاميذ العلم ناهيك عن المريدين. وقال بعضهم أنه تخرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات[1]. وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (698 - 768هـ) في كتابه: "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان": بعض تلاميذ أبي مدين؛ فقال: **((وتخرج به جماعة من أكابر المشايخ الأصفياء؛ مثل: الشيخ أبي محمد عبد الرحيم القنادي، والشيخ أبي عبد الله القرشي، والشيخ أبي محمد عبد الله الفارسي، والشيخ أبي محمد صاحب الدكالي، والشيخ أبي غانم سالم، والشيخ أبي علي واضح، والشيخ أبي الصبر أيوب المكناسي، والشيخ أبي محمد عبد الواحد، والشيخ أبي الربيع المظفري، والشيخ أبي زيدين هبة الله وغيرهم من العلماء".اهـ))**[2].

---

[1] **قال التادلي: ((سمعت محمد بن إبراهيم الأنصاري يقول: "خرَّج أبو مدين ألف تلميذ؛ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة)). كتاب التشوف، ص: 324. أنظر أيضاً كتاب نفح الطيب، ج: 7، ص: 136. والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 108.**

[2] **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ج: 3، ص: 121.**

وقال محمد بن عبد الملك المراكشي: **((وروى عنه أبو أحمد التازي، وأبو جعفر بن السراج، وأبو الصبر أيوب الفهري، وأبو عبد الله بن عبد الحق التلمساني، وأبو علي بن زلال. وقال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري: خَرَّج أبو مدين ألف تلميذ؛ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة))**[1]. كما أورد **ابن القنفذ** في كتابه "أنس الفقير وعز الحقير عددا كبيراً من العلماء والصلحاء؛ الذين صنفهم إلى: إخوان، وأصحاب. وهم من مشاهير العلماء والأولياء في بلاد المغرب.

***

[1] الذيل والتكملة، ج: 4، ص: 128.

مـا قيـل في ابي مديـن

رثـاه الشيـخ **محـيي الديـن بـن عـربي**[1] بقصيـدة طويلـة؛ اختـار منهـا **محمـد الطاهـر عـلاوي** هـذه الأبيـات؛ الـتي نشرهـا في كتابـه "**العالـم الربـاني أبـو مديـن شعيـب التلمسـاني**". نظمـت القصيـدة في البحـر الطويـل؛ وهي كالتـالي[2]:

---

[1] **هو الشيخ الأكبر محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي. من مشاهير الصوفية. ولد بمرسية سنة 558هـ/1164م، وتوفي بدمشق في عام 638هـ/1240م؛ ودفن بجبل قاسيون المطل على المدينة.**

[2] **هذه القصيدة العينية؛ تنقل القارء إلى قصيدة الشاعر المخضرم أبي ذؤيب الهذلي الشهيرة؛ في رثاء بنية؛ وجاء فيها:**

أمن المنون وريبـه تتوجـع	**والدهر ليس بمعتبِ من يجزع**
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً	**منذ ابتذلت ومثل مالك ينفـع؟**
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً	**إلا أقض عليك ذاك المضجـع**
فأجبتهـا أما لجسـمي إنـه	**أودي بني من البـلاد فودعـوا**
أودي نبي فأعقبوني حسـرةً	**بعد السرور وعبرةً ما تقلـع**
ولقد حرصت بأن أدافع عنهم	**وإذا المنيـة أقبلـت لا تدفـع**
وإذا المنية أنشبت أظفارهـا	**ألفيـت كـل تميمـةٍ لا تنفـع**

ضياؤك نور الشمس بل هو أرفع

وكفك سيب الغيث بل هو أنفــع

وسرك سيري في الوجود خلافة

فيحفظ قسط العدل فيــه ويرفــع

أبا مدين دان الوجــود تواضعـــا

لمجدك والأسرار خرس وخشــع

نظمت جواهــر المعــاني قــلادة

فلاح إلى الأبصار سلك مرصع

وأحييت رسم الدين في الغرب فازدهى

وقدما رأته أعيــن وهــو بلقــع

وقمت بميزان الشريعــة حاكمـــا

وبيَّنت منها مـــا يضــر وينفــع

دعوت الورى لله دعوة عـــارف

به لا يرى شيئا سوى الله يصنع

ورثت النـــبي الأبطـــحي تخلقـــا

فصحبك زهر بالدجنـــة تطلــع

أبا مدين والله ما جـــاء شامـــخ

لمجدك إلا مقنع الرأس يخضـــع

سقى جدثا ضم المكارم والعـــلى

من الغيث صوب مُسْجَمٌ ليس يقلع

فلي كبد حـــرَّى وعيـــن شجيـــة

وقلب على فقد الحبيـــب يوجـــع

وإني إذا ما الليل أرخى سدولـــه

أنوح كما ناح الحمـــام المفجـــع

عليك سلام اللـــه ما حن تائـــق

إلى الملإِ الأعلى لكـــم ومـــودع

يحركه شـــوق فيهـــمي بمَدْمَـــعٍ

فلا دمعة يرقى ولا الشوق يُقْلِـــعُ

* * *

كمـــا قـــال الإمـــام السنـــوسي[1] في أبي مديـــن أيضـــاً[2]:

أبا مدين شيـــخ المشايـــخ كلهـــا
أنت الذي قطـــبٌ بغيـــر تلعثـــم

خفير تلمســـان وجيـــران أهلهـــا
ونحن وكل الناس في ظل ضيعهم

فمن يقرب الأشبال والليث حاضر
يحق له خضب الأنامـــل بالـــدم

* * *

---

[1] **هـو الإمـام أبـو عبـد اللـه محمـد بـن السيـد أبي يعقـوب يوسـف بـن عمـر بـن شعيـب السنـوسي المالـكي مذهبـاً الأشعـري عقيـدة؛ نسبـة إلى قبيلـة سنـوس بجهـات تلمسـان. ولـد بعـد سنـة 830هـ/1426م؛ وأرجـح الأقـوال أنـه ولـد بتلمسـان في سنـة 832هـ/1428م.**

[2] **منقولـة أيضـاً مـن كتـاب محمـد الطاهـر علاوي العالـم الربـاني أبـو مديـن شعيـب التلمسـاني)).**

ـ وقـــال فيـــه الـــولي الصالـــح الإمـــام بحـــر الأنـــوار أبـــو محمـــد عبـــد العزيـــز بـــن أبي بكـــر:

شعيـــبٌ وليُّ اللـــهِ سِـــرٌّ عِبـــــادهِ
أبـــو مديـــنٍ مُغْـــني الأنـــام بفخـــرهِ

فيا جنَّـــةَ المـــأوى ويا علـــمَ الهُـــدَى
ويـــا ناشـــراً علـــمَ الإلـــه بأســـــرهِ

حضرت ولم تحضرْ وغبت ولم تَغِـــبْ
ومـــا كنـــت في كلٍ بجانـــبِ طـــورهِ

فنـــورُكَ نـــور الله يهـــدي لـــه وهـــلْ
إلى أحـــدٍ في النَّـــاسِ إطفـــاءُ نـــورهِ

* * *

ـ قصيــدة في التنويــه بــأبي مديــن؛ قالهــا أحدهــم[1].

تَبَــدَّتْ لنا ذوقــاً أعــلام الهُــدَى صدقــاً
فصــارَ بشمــسِ الدِّيــن مَغْرِبُنَــا شَرْقَــا

وأشْــرَق مِنْهــا كُــلٌّ مــا كــانَ آفِــلاً
وأصبَــحَ نــورُ السَّعْــدِ قدْ مــلأَ الأُفْقَــا

سَــقَى اللَّـــهُ مِــنْ مــاءِ المَحَبَّــةِ وابِــلاً
قُلوباً بِــهِ هامَــتْ فَقُــلْ كَيْــف لاَ تُسْــقَى

لَقَــدْ زَهِــدوا فيمــا سِــواهُ فَأصبَحَــت
نُفوسُهُــمْ طَــراً تُنــادي الدُّنيَــا سُحْقَــا

لَقَــدْ غَرِقــوا في بَحْــرِ حُــبِّ إلاَهِهِــمْ
فَناهيــكَ مِنْ بَحْــرٍ وَناهيــكَ مِنْ غَــرْقَى

إذا مــا سَــرَتْ لِلسِّــرِّ أسْــرارُ شَوْقِهِــمْ
لِسَيِّدِهِــمْ زادوا لِرُؤْيَتِــهِ شَوْقَــا

قُلــوبٌ سَــرَتْ نَحْــو الهُــدَى بِمُعَسْكَــرِ
فَعــادَتْ سِهــامُ الحُــبِّ تَرْشِقُهــا رَشْقَــا

[1] تعذر معرفة قائل هذه القصيدة. وقد نقلت عن كتاب المواد الغوثية للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، ج: 1، ص: 23.

وجـــاءَ مِـــنَ التَّوْحيـــدِ جَيْـــشٌ عَرَمْـــرَمٌ
فَأَفْـــنَى الذِي يَفْـــنَى وَأَبْـــقَى الذي يَبْـــقَى

هُـــمُ القَـــوْمُ لاَ يَشْـــقَى بِحَـــقٍّ جَليسِهِـــمْ
وَهَـــلْ أحَدٌ يَحْـــظَى بِقُرْبِهِـــمُ يَشْـــقَى

أبَـــا مَدْيَـــن دانَـــتْ لِدينِـــكَ عُصْبَـــةٌ
فَوالَيْتَهُـــمْ حُبّـــاً وَأدْنَيْتَهُـــمْ رِفْقَـــا

لَـــكَ اللَّـــهُ يـــا شَمْســـاً أضَـــاءَ بِنورِهـــا
مِنَ الدِّيـــنِ ما قَـــدْ كـــانَ أظْلَـــمَ أغْسَقَّـــا

سَقَيْـــت قُلوبـــاً طَالَمَـــا عَفَاهَـــا الظَّمَـــا
فَأَمْطَرْتَهَـــا مِنْ مـــاءِ عِلْـــمِ الهُدَى ودْقَـــا

فَأَحْيَيْـــت مِنْهـــا كُـــلَّ مـــا كـــانَ مَيِّتـــاً
وَرَقَيْـــت مِنْهـــا كُـــلَّ ما كـــانَ لاَ يُـــرْقَى

فَأَخْرَجْتَهـــا مِـــنْ كُـــلِّ جَهْـــلِ وَظُلْمَـــةِ
فَمَهْمَـــا دَجَـــا لَيْـــلٌ ألَحَّـــتْ لَـــهُ بَرْقَـــا

وَأدْخَلْتَهـــا حِصْـــنَ التَّوَكُّـــلِ فَانْتَشَـــتْ
وَأمْسَكَهـــا ذو العِـــزِّ بِالْعُـــرْوَةِ الوُثْـــقَى

شَفَيْـــت بِعِلْـــمِ يـــا شُعَيْـــبُ قُلوبَنَـــا
فَإِسْمُـــكَ مِنْ شُعَـــبِ القُلُـــوبِ قَـــدِ اشْتُقَّـــا

وَقَـــدْ كَانَ سُلْطَـــانُ الهَـــوَى قَـــادَ أنْفُســـاً
فَأوْسَعَهـــا ذُلاً وَصَيَّرَهَـــا رِقَّـــا

فَأعْتَقَهَــــــا مِــنْ رِقَّـــةٍ بِتَلَطُّـــفِ

جُزِيت خَيْراً حَيْثُ مَنَحْـت الوَرَى عِتْقَــا

إذا استَبَقَـــتْ بِالْعَارِفِيـــنَ خُيُولُهُـــمْ

فَخَيْلُــكَ بِالتَّوْحِيــدِ قَــدْ حَــازَتِ السَّبْقَــا

وَإنْ رَكِبُــوا نَحْــو المَعَــارِفِ مَرْكَبــاً

رَكَبْــت إلَيْهَا في بِحَــارِ الهَــوَى عِشْقَــا

سَمَــوْت بِنُــورِ اللَّـــهِ عَــنْ كُــلِّ نَاظِــرِ

فَصِرْتَ تَرَى في الغَيْبِ ما لاَ تَرَى الزُّرْقَا

فَأنْــت إمَــامُ العَارِفِيـــنَ وَنُورُهُـــمْ

وَمَنْطِقُهُــمْ مَهْمَــا أرَدْت بِهِــمْ نُطْقَــا

عَلَيْــكَ سَــلاَمُ اللَّــهِ مــا لاَحَ كَوْكَــبٌ

وَمَــا سَبَّحَــتْ شَجْــواً لِسَيِّدِهَــا وُرْقَــا

وَصَــلِّ عَــلَى المُخْتَــارِ مِــنْ آلِ هاشِــمِ

كَما جَــاءَ في الحَــقِّ الذي أظْهَــر الحقَّــا

* * *

شعر أبي مدين شعيب

ـ قصيدة: تذللت في البلـدان[1]:

تَذَلَّلْـتُ في الْبُلْـدَانِ حِيـنَ سَبَيْتَـنِي
وَبِـتُّ بِأَوْجَـاعِ الْهَـوَى أَتَقَلَّـبُ
فَلَوْ كَانَ لِي قَلْبَـانِ عِشْـتُ بِوَاحِـدٍ
وَأَتْـرُكُ قَلْبَـاً فِي هَـوَاكَ يُعَـذَبُ
وَلَكِـنَّ لِي قَلْبـاً تَمَلَّكَـهُ الْهَـوى
فَلاَ العَيْشُ يَهْنَا لي وَلا الْمَوْتُ أَقْرَبُ
كَعُصْفُـورَةٍ فِي كَـفِّ طِفْـلٍ يَضُمُّهَا
تّـذُوقُ سِيَاقَ الْموْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَـبُ
فَلاَ الطِّفْـلُ ذُو عقْـلٍ يَحِـنُّ لِمَا بِهَا
وَلاَ الطَّيْـرُ ذُو رِيـشٍ يَطِيرُ فَيَذْهَبُ
تَسَمَّيْـتُ بِالْمَجْنُـونِ مِنْ أَلَـمِ الْهَوى
وَصَارَت بِي الأَمْثَالُ فِي الْحَيِ تُضْرَبُ
فَيَا مَعْشَرَ الْعُشَّـاقِ مُوتُـوا صبَابَـةً
كَمَا مَات بِالْهِجْـرَانِ قَيْـسٌ مُعَـذَّبُ

***

[1] هذه القصيدة الرائعة؛ تناولها العوام بالبتر والتحريف؛ خاصة عندما تَغنَّى بها أهل السماع.

ـ قصيـــدة إليـــك مـــددت الكـــف[1]:

إليكَ مَدَدْتُ الكَفَّ في كُــلِّ شِـــدَّةٍ
وَمِنْكَ وجَدْتُ اللُّطْف في كُلِّ نَائِبِ
وأنْت مـــلاَذي[2] والأَنَـــامُ بِمَعْــزَلٍ
وَهَلْ مُسْتَحيلٌ في الرَّجاءِ كواجب[3]
فَحقِّقْ رجائِي فِيكَ يا رَبِّ وَاكْفِنِي
شَمَاتَ[4] عَدُوٍّ أوْ إسَاءَةَ صَاحِـــبِ
وَمِنْ أيْنَ أخْشَى مِنْ عَـــدُوٍّ إصَابَةً[5]
وَسِتْرُكَ طَافٍ[6]مِنْ جَميعِ الجَوَانِبِ
فَكَمْ[7] كُرْبَةٍ نَجَّيْتَني مِـــنْ غِمارِهـــا
وكَانَت شَجًى بَيْنَ الحَشَا والتَّرائِبِ
فَلاَ قُوَّةٌ عِنْـــدي ولاَ لِـــي حيلَـــةٌ
سِوَى أنَّ فَقْري لِلْجَميلِ الوَاهِـــبِ[8]

---

[1] هذه القصيدة؛ نسبها لسان الدين ابن الخطيب إلى الشيخ الزاهد أبي زيد عبد الرحمن بن يخلفتن بن أحمد بن تفليت الفازازي. أنظر كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 4، ص: 520. وسيأتي الحديث عنه لاحقاً؛ بينما يجمع غيره على إلحاق القيدة بما أنتجه أبو مدين شعب.
[2] في الإحاطة: ((مَلاَذٌ)).
[3] في الإحاطة: ((كَرِّ آيب)).
[4] حرفت في الإحاطة؛ فكتبت: ((شماتة؛ وهذا يخل بالوزن)).
[5] في الإحاطة: ((إساءة)).
[6] نفسه: ((ضافٍ)).
[7] نفسه: ((وكم)).
[8] جاء هذا الشطر في الإحاطة هكذا: ((سِوَى حُسْن ظَنِّي بالجَميلِ الواهِبِ)).

فَيَا مَلْجَأَ[1] المُضْطَـــرِّ عِنْــدَ دُعائــهِ

أغِثْني فقَدْ سُدَّتْ عَــلَيَّ مَذاهِــبِي

رَجَاؤُكَ رَأْسُ المَالِ عِنْدِي وَرِبْحُهُ

وزُهْدِيَ في المَخْلُوقِ أزْكَى مَكاسِبِي[2]

إذا عَجِزُوا عَنْ نَفْعِهِمْ في نُفُوسِهِمْ

فتَأْمِيلُهُــمْ بَعْض الظُّنُونِ الكَواذِبِ[3]

ويا[4] مُحْسِناً في ما مَضَى أنْتَ قادِرٌ

على اللُّطْفِ بِي في حَالَتي وَالعَواقِبِ[5]

وإنِّي لأَرْجُــو مِنْكَ مَا أنْتَ أهْلُــهُ

وإنْ كُنْتُ خطَّاءً كَثِير المَعَايِــبِ

وَصَلِّ[6] على المُخْتارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

شَفِيعُ[7] الوَرَى عِنْدَ اشْتِدَادِ النَّوَائِبِ

* * *

---

[1] الإحاطـة: ((فيـا مُنْـجِي)).

[2] حـرف هـذا الشطـر في الإحاطـة؛ فكتـب هكـذا:
((وزُهْدٌ في المَخْلوق أسْنَى مَكاسِبي))؛ وهـذا يخـل بالـوزن.

[3] أضيـف هـذا البيـت مـن الإحاطـة.

[4] نفسـه: ((فيـا)).

[5] جاء هذا الشطر في الإحاطة هكذا: ((على اللطف في حالي وحسن العواقب)).
العواقب)).

[6] نفسـه: (فصـل)).

[7] نفسـه: ((إمـام)).

ـ موشـــح: كُــلُّ وَاحِــدٍ لَـــهُ نَصِيـــبٌ:

كُلُّ وَاحِــدٍ لَهُ نَصِيبٌ يَــأْتي وَهَـــواكَ لي نصيــبْ
يا حَيــاتي وأنْــت في ذَاتي حَاضِـــرٌ لا تَغِيـــبْ

***

أنْتَ أسْكَرْتَني على سكَــرِي مِــنْ قَديــمِ الشَّـــرابْ
ثم خاطَبْتَــني كمــا تَــدْري فَفَهِمْـــتُ الخِطَـــابْ
ثُمَّ شاهَدْتُ وجْهَكَ البَــدْرِيّ عِنْــدَ رَفْـــعِ الحِجَـــابْ

***

ثُمَّ صَيَّرتَــني رَقيــبَ ذاتي وأنْــت كُنْــت الرَّقيـــبْ
يا حَيــاتي وأنْــت في ذاتي حاضِـــرٌ لاَ تَغيـــبْ

***

أدْخل الْحانَ واشْهَد المعــنى كَيْ تَنَـــالَ الأمَـــانْ
وتَراني بَيْنَ الدّيــانْ نَفْــنى شاخِصـــاً للدّيَّـــانْ
قَدْ سَقاني ساقي المُدامْ حفْنه قبْــلَ كَـــوْنِ الزَّمـــانْ

***

أنْت تَدْري مَنْ يَمْلِي طَاسَاتي السَّميـــعُ المُجيـــبْ
يا حَيــاتي وأنْت في ذاتي حاضِـــرٌ لاَ تَغيـــبْ

***

أنا شَيْخُ الخَلاَعَــةِ عَنْ ذاتي وإمَـــامُ المُجُـــونْ
وحَبيــبي بِحُسنِــهِ الــذَّاتي حَـــازَ جَمْــعَ الفُنُـــونْ

ولِهــذا دَعــاني غايَــاتي رَاحَـــتِي في المَنُـــونْ

***

أنْت صَيَّرْتَني رَقيــبَ ذاتي وَأنْــت كُنْــت الرَّقيـــبْ
يا حَيــاتي وَأنْــت في ذَاتي حَاضِـــرٌ لاَ تَغيــــبْ

***

أنَا مِنْ عَيْنِ فَضْلِ سَــاداتي نلْــــتُ أعْــلَى الرُتَـــبْ
وعَلَى قَــدْرِ عُلُــوِّ هِمَّــتي نَجْتَهِـــدُ في الطَّلَـــبْ
حتَّى قَضَيْتُ سائرْ أوْقــاتي في الغِنَـــاءِ والطَّـــرَبْ

***

وَسَمِعتُ الخِطــابَ مِنْ ذاتي مِــنْ مكَـــانٍ قَرِيـــبْ
يا حَيــاتي وَأنْــت في ذاتي حاضِـــرٌ لا تَغيـــبْ

***

ـ زجـل: زارنــي حبيــبي[1]:

زَارني حِــبِّي[2] طابت[3] اوْقَــاتِي

وسَمَــــــعْ[4] لي الحبيـــــبْ

وعَفَــا عَــنْ جميـــعِ زَلاَّتِي

عَــلَى غَيْـــظِ الرَّقيـــــبْ

***

زَارَنِي مُنْيـــتي وَزَالَ البـــاسْ

وسَمَــــــحْ بالوِصــــــــالْ

وحضَـــرْ حضْرتِي ودار الكـــاسْ

وبلَغْــــــــتُ الآمــــــالْ

وشَرِبنــا وطابَـــتِ الأنْفـــاسْ

مِـــنْ مُـــدامِ حَـــلالْ

***

إمْــلاَ كــاسِي ففيــهْ مــزَّاتِي[5]

نَشْرَبُـــوا يــا لَبيـــــبْ

---

[1] ثمـة من نسب هذا الزجل إلى الشاعر الصوفي الششتـري. أنظر ديوان أبي الحسن الششتـري، ص ص: 89 - 91. غير أن معظمهم ينسبونـه إلى أبي مدين الغوث. خاصة وأن الششتـري عاش في بجايـة؛ المدينـة التي سكنهـا أبومديـن ودرس بهـا.

[2] أي: حبيبي. وكتب في بعض النصوص: ((حبيبي)).وهذا يخل بالـوزن.

[3] في نـص: ((وطابـت)).

[4] في نـص: ((وسمـحْ)).

[5] في نـص: ((مسـراتي)).

وحَبِيــبي أُنــسي ومشْكــاتي

مَــعي حاضِــــرْ قَرِيـــــبْ

***

أي مُدامَهْ وأي خَمْرَهْ[1] وأي خَمَّارْ

أي[2] طَـــــربْ أي غنــــا

في رِيــاضٍ تفتَّحــت أزْهــارْ[3]

وأنـــــــارَت لنَـــــــا

والْطُيــور في منابِــرِ الأشجــارْ

تختْطِـــــــبْ بيْننـــــــا

***

وزُجاجــاتِي[4] مَــلاَ وطاســاتِي

دُونْ عِنَــبْ دُونْ زَبِيـــــبْ

يَــا نُــدامَى افهمُــوا إشــاراتي[5]

إنَّ وقـــتي[6] عجِيـــــــبْ

***

[1] في نص: ((أي مدام أي نديم)).
[2] في نص: ((وأي))؛ بالواو.
[3] في نص: ((تبسّمت الأزهار)).
[4] في نص: ((وزجاجي)).
[5] في نص: ((إشارتي)).
[6] في نص: ((إن حالي)).

رَقَّ ذا الخمرُ رَاق ذَا[1] المشْروبْ[2]

في مَحَــــلٍّ سَعيـــــدْ

دَعْني نشْرَب[3] ونَعْشَق المَحبُوبْ

كُـــلَّ يَـــوْمٍ جَديـــدْ

السَّفيهُ[4] الــذي يَقُــولْ لِيِّ تُــوب

إنمـــا أنـــا رَشيـــدْ[5]

***

ونَقُــولْ لِلعَــذولِ[6] إذْ[7] يــأتِي

إنّ وقـــتي[8] عجِيـــبْ

عِلْــمِي في ما مَضى وما يــأتِي

مُمْـــرِضِ[9] هُــو الطَّبيـــب

***

أنا في ذا الْهَوى إمامْ عصــري

ومحِــــب[10] المجُــــونْ

---

[1] في نص: ((رَقّ لي))؛ في المرتين.
[2] جاء هذا الشطر في بعض النصوص: ((راق لي الخمر لذ لي المشروب)).
[3] في نص: ((دعني نسكر)).
[4] في نص: ((والسفيه))؛ بالواو.
[5] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((ليس هو برشيد)).
[6] في نص: ((للعدول))؛ بالدال المهملة. (عامية).
[7] في نص: ((حين)).
[8] في نص: ((أنا حالي)).
[9] في نص: ((ممرضي)). بالياء.
[10] في نص: ((ونحب)).

وفي عِشْقِ الْمِلاحِ فنيتُ[1] عُمْرِي

وفَنَيْـــــتُ[2] الفُنُــــــونْ

في دُجى اللَّيْــلِ زارنِي بــدْرِي

لا تَـــــراهُ[3] الْعُيــــونْ

***

وأضـــا مَنــــزِلِي وساحـــاتِي

كـــادَ عقْــــلي يَغِيــــب

في سُكُونِي سَكَــن[4] وحرَكـــاتي

حاضِـــــرٌ لاَ يَغيــــب

***

أنــا في مذْهَــبي نَهِــبُ نَفْــسي

للَّـــــذِي هِمْــــتُ[5] فيــــهْ

وحضَرْ[6] حضْرِتي حضَرْ أُنْــسي

وأضَـــا الوقْـــتُ بِيـــه[7]

---

[1] في نص: ((المليح أفنيت)).
[2] في نص: ((وفننت)).
[3] في نص: ((لم تراه)).
[4] في نص: ((ساكن)).
[5] في نص: ((هممت)).
[6] في نص: ((إن حضر)).
[7] في نص: ((به))؛ بدون الياء.

وتقُلْ لُــو يا بَــدْري يا شمــسي[1]
عِنْدمـــــا نَلْتَقِيـــــــهْ

***

زارَني حِــبِّي[2] وطابت[3] أوقاتِي
وَسَمَـــحْ لي الحَبيــــبْ
مُــذْ عَفَــا[4] عَنْ جَمِيــعِ زَلاَّتي
عَــلَى غَيْـــظِ الرَّقِيــــبْ

***

ـ قصيـدة: يـا صـاح ليـس عـلى المحـب جُنــاحُ[5]:

يا صاحِ لَيس عَلى المُحبِّ جُناحُ[6]
إِن لاحَ في[7] أُفق الوِصالِ صبَاحُ

---

[1] جاء هذا الشطر في بعض النصوص هكذا: ((ونقول يا بدري ويا شمسي)).
[2] في نص: ((حبيبي)).
[3] في نص: ((طابت))؛ بدون واو.
[4] في نص: ((وعفا)).
[5] يجعل بعضهم هذه القصيدة ضمن قصيدة أخرى لشهاب الدين السهروردي. معتقدين أنها له. وقصيدة السهروردي تبدأ بـ:
أبداً تَحنُّ إِليكُمُ الأرواحُ وَوِصالُكم رَيحانُها وَالراحُ
فأضافوا أبيات أبي مدين التي تبدأ بـ:
يا صاح ليس على المحب جُناحُ إن لاح من أُفقُ الوصال صباحُ
ويبدو أن السهروردي استهوته قصيدة أبي مدين؛ فعارضها بأخرى؛ وهي التي أدمجت بقصيدة أبي مدين؛ والله أعلم.
[6] في نص: ((ملامة)).
[7] في نص: ((من)).

لا ذَنبَ لِلعُشّاقِ إِن غَلَبَ الهَــوى

كِتمانَهُم فضـــح[1] الغَرامَ فَباحـــوا

سَمَحوا بِأَنفُسِهِم وَما بَخِلــوا بِهــا

لَمّــا دَروا أَنّ السَّمـــاح رَبــاحُ

لا يَطربونَ بِغَيرِ[2] ذِكــر حَبيبِهــم

أَبَــداً فَكُــلُّ[3] زَمانِهــم أَفــراحُ

وَدعاهُــمُ داعي المحبــة[4] دَعــوة

فَغَدوا بِها مستبشريــن[5] وَراحوا

قُــم يا نَديــم إِلى المُــدامِ فَهاتهــا

في كَأسِها قَــد دارَتِ الأَقــداحُ[6]

أَوَمَا تَرَى السَّاقي القديــمَ يُديرُهَــا

فَكَأَنَّهــا في كَأسِهَــا المِصبَــاحُ

هِي أسكَــرَتْ في الخُلْدِ آدَمَ مَــرَّةً

فَكَسَتْــهُ مِنْهَــا حُلَّــة وَوِشَــاحُ

---

[1] في نص: ((كتمانهم فنما)).
[2] في نص: ((لم يطربوا)).
[3] في نص: ((ولهم بطول)).
[4] في نص: ((داعي الحقائق)).
[5] في نص: ((مستأنسين)).
[6] جاء هذا البيت في أحد النصوص هكذا:
((قُمْ يا نديمي الى المُدامة واسقنا خمراً تُثير بشربها الأرواحُ)).

وكَذاكَ نوحٌ في السَّفِينة أُسكَــرَت

ولَــهُ بِذَلِــكَ رنَّـــــةٌ ونِيــاحُ[1]

وبِشُرْبِهَا أضْحَى الخَلِيــلُ مُنادِمــاً

فَعُهُودِهــا عِنْــدَ الإلَــهِ صِحــاحُ

لَمَّـــا دَنَى مُــوسَى إلَى تِسْماعِهــا

ألْــقَى عَصاهُ وكُسِــرّت ألْــواحُ

وكَذا ابْنُ مَرْيم في هَواهـــا هائِــمٌ

مُتَولِّــعٌ بِشَرابِهـــا سَيَّـــاحُ

ومُحمدٌ فَخرُ العُلَى شَرَفُ الهُــدَى

اخْتــارَهُ لِشَرَابِهـــا الفَتَّـــاحُ

* * *

ـ مقطوعـــة: عيـــدوا إلـيّ الوصـــال:

عِيــدُوا إلَيَّ الوِصــالَ عِيدَوا إنَّ وَصْــلِي بِكُــمْ جَدِيــدُ

وقَرِّبُــوا الوَصْــلَ والتَّــدَانِي فَالْقُــرْبُ لِلْعَاشِقِيــنَ عِيــدُ

خُــذُوا فُــؤَادِي وَفَتِّشُــوهُ وَقَلِّبُــوهُ كَمَـــا تُرِيــدُوا

فَإِنْ وَجَدْتُــمْ فِيــهِ سِوَاكُــمْ عَــلَيَّ زِيدُوا البِعَــادَ زِيــدُوا

وكُــل يَــومِ أرَاكُــمُ فِيــهِ فَــذَاكَ عِنْــدِي يَــوْمٌ سَعِيــدُ

* * *

---

[1] في نـص: ((نـواح)).

ـ مقطوعـــة: هـــو اللـــه:

فَإِذَا نَظَــرْتَ بِعَيْنِ عَقْلِكَ لَمْ تَجِدْ
شَيْئاً سِوَاهُ عَلى الذَّوَاتِ مُصـــوَّرَا
وَإِذَا طَلَبْــت حَقِيقَـــةً مِنْ غَيْـــرِهِ
فَبِذَيْــلِ جَهْلِــكَ لاَ تَــزَالُ مُعَثَّـــرَا

* * *

ـ قصيـــدة: مـــا لَـــذَّةُ العَيْـــشِ[1]:

مَا لـــذّةُ العَيْـــش إلاّ صُحْبَةُ الفُقـــرَا
هُم السّلاطِينُ وَالسّـــاداتُ وَالأُمـــرَا
فَاصْحَبْهُـــم وَتَـــأَدَّب في مَجَالِسِهِـــم
وَخَلّ حَظّـــك مَهمَـــا قَدّمُـــوكَ وَرَا
وَاستَغْنِم الوَقْت وَاحْضُر دَائماً مَعَهُم
وَاعْلَم بِأَنّ الرّضا يَخْتَصّ مَنْ حَضَرَا

---

[1] قـام الشيـخ الصـوفي محيي الديـن بن عـربي؛ بتخميس هـذه القصيـد؛ وهي طويلـة؛ ومطعها هكـذا:

يا طالِباً مِن لَذاذاتِ الدُّنَا وَطرا إذا أردتَّ جميع الخَير فيكَ يُرى
المُستشارُ أمينٌ فاسمَع الخَبرا (مالِذّةُ العَيش إلا صُحبة الفُقرا
هُم السّلاطِينُ والسَّاداتُ والأمَرا)

وَلازِم الصَّمْت إلا إِنْ سُئِلْــت فَقُــلْ
لا عِلْمَ عِندي وكُن بالجهلِ مُستَتِــرا

وَلاتَــر الْعَيْــبَ إلا فِيــكَ مُعْتَقِــداً
عَيْبــاً بــدَا بَيِّنــاً لكِنّــه استَتَــرَاَ

وَحُــطِّ رَأسَكَ و استَغْفِرْ بلا سَبَــبِ
وقُمْ علَى قَــدَمِ الإنصَافِ مُعتَــذِراً

وَإِنْ بَدا مِنكَ عَيْــبٌ فَاعتَرِف وَأَقِــم
وجهَ اعتِذَارِكَ عمّا فِيكَ مِنْكَ جَــرَى

وَقُــل عُبَيْدُكُــم أَوْلَى بِصَفْحِكُــم
فَسَامِحُوا وَخُــذُوا بِالرِّفْــق يا فُقَــرَا

هُم بِالتَّفَضُّــلِ أوْلَى وهُوَ شِيمَتُهــم
فلا تَخَف دَرَكــاً مِنْهُم ولا ضَــرَرَاً

وَبالتَّفَــنِّي على الإخوان جُــدْ أَبَــداً
حِسّاً ومَعْنى وغُضَّ الطَّرْف إن عَثَرا

ورَاقِب الشَّيخَ في أحوَالِــه فَعَــسَى
يُــرَى علَيكَ مِن استِحسَانِــهِ أثَــراً

وقَــدِّمِ الجِــدَّ وانْهَضْ عِند خِدمَتِــه
عَسَاه يَرْضَى وحَاذِر أن تَكُن ضَجِراً

ففي رِضَاهُ رِضَا الْبَارِي وطاعَتُــه
يَرضَى علَيكَ فَكُن مِن تَرْكِها حَــذِرَاً

واعلَمْ بأنّ طَرِيق القَوْمِ دَارِسةٌ مَتَى
وحَالُ مَن يَدّعِيها اليوم كيف تــرى
متى أرَاهُم وأنَّى لمثلي أن يُزَاحِمَهُم
على مَــوَارِدَ لَــمْ ألْــفِ بها خَبَــرَا
مَنْ لِي وأنَّى لِمِثْــلي أنْ يُزَاحِمَهُــمْ
علَى مَوَارِدِ لَمْ ألْف بِهَــا كَــدَرَا[1]
أُحِبُّهُــم وأُدَارِيهِــــم   وأُثِرُهُــــم
بِمُهْجَتِي وخُصُوصــاً مِنْهُــم نَقَــرَا
قَــوْمٌ كِرَامُ السّجَايَا حَيثُمَــا جَلَسُــوا
يَبْــقَى الْمَكانُ على آثارِهِم عَطِــرَا
يُهدِي التّصَوّفُ مِنْ أخْلاقِهِم طَرَفــا
حُسْنُ التّآلُــفِ مِنهُم رَاقَــنِي نَظَــرَا
هُمْ أَهْلُ وُدّي وَأحْبَــابي الذِينَ هُــم
مِمّن يَجُــرّ ذُيُــول العِــزّ مُفتَخِــرَا
لا زَالَ شملي بِهِم في الله مُجْتَمِعــاً
و ذَنبُنَــا فِيــه مَغفُــوراً وَمُغتَفَــراً
ثُمّ الصّــلاةُ على المُخْتَــارِ سَيِّدِنَــا
مُحَمَدٍ خَيــرِ مَنْ أوْفَى وَمَن نَــذَرَا

***

[1] سقط هذا البيت في بعض نسخ الديوان.

ــ قصيــدة: بكــت السحــاب:

بَكَتِ السَّحَــابُ فَأَضْحَكَتْ لِبُكَائِهَا

زَهْرَ الرِّيَاضِ وَفَاضَتْ الأَنْهَــارُ

قَدْ[1] أَقْبَلَتْ شَمْــسُ النَّهارِ بِحُلَّــةٍ

خَضْرَاءَ[2] في أسْرارِهَــا أسْــرَارُ

وَأَتَى الرَّبِيــعُ بِخَيْلِــهِ وَجُنُــودِهِ

فَتَمَتَّعَــتْ في حُسْنِــهِ الأَبْصَــارُ

وَالوَرْدُ نَادَى بِالوُرُودِ إِلَى الجَنَى

فَتَسَابَــقَ الأَطْيَــارُ وَالأَشْجَــارُ

وَالكَأسُ تَرْقُصُ وَالعُقَارُ تَشَعْشَعَت

وَالجَوُّ يَضْحَكُ وَالحَبِيــبُ يُــزَارُ

وَالعُودُ لِلْغِيدِ الحِسَــانِ مُجَــاوِبٌ

وَالطَّارُ أَخْفَى صَوتَــهُ المِزْمَــارُ

لاَ تَحْسَبَ[3] الزَّمْرَ الحَرَامَ مُرَادَنَــا

مِزْمَارُنَــا التَّسْبِيــحُ وَالأَذْكَــارِ

وَشَرَابُنَا مِــنْ لُطْفِــهِ وَغِنَاؤُنَــا

نِعْــمَ الحَبِيــبُ الوَاحِــدُ القَهَّــارُ

---

[1] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((وقد)).

[2] نفسهما: ((خضرا))؛ بدون همزة.

[3] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((لا تحسبوا)).

وَالعُــودُ عَادَاتُ الجَمِيلِ وَكَأسُنَــا

كَأسُ الكِيَاسَــةِ وَالعُقَــارُ وَقَــارُ

فَتَأَلَّفُــوا وَتَطَيَّبُــوا وَاسْتَغْنِمُــوا

قَبْــلَ المَمَاتِ فَدَهْرُكُــمْ[1] غَــدَّارُ

وَاللَّــهُ أرْحَــمُ بِالفَقِيــرِ إذا أتَى

مِــنْ وَالِدَيْــهِ فَإِنَّــــهُ غَفَّــــارُ

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى الشَّفِيعِ المُصْطَفَى

مَا غَــرَّدَتْ[2] بِلُغَاتِهَــا الأطْيَــارُ

***

ـ مقطوعــة: تحيــا بكــم كــل أرض[3]:

تَحْيَــا بِكُمْ كُلُّ أرْضٍ تَنْزِلونَ بِها

كَأَنَّكُمْ في بِقَــاعِ الأرْضِ أمْطَــارُ

وتَشْتَهي العَيْنُ فِيكُمْ مَنْظَراً حَسَناً

كَأَنَّكُم في عُيُــونِ النَّاسِ أزْهَــارُ

---

[1] في نص: ((دهرهم)).
[2] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((ما رنَّمَت)).
[3] ذاع صيت هذ القصيدة، وشاعت بين المتصوفة وغيرهم؛ حتى أضحى مطلعها مثلاً سائـراً بين الناس؛ تضرب به الأمثال؛ فيقولون: ((تحيا بكم كل أرض تنزلون بها)). كما انتحل هذه القصيدة آخرون؛ ونسبت إلى بعضهم؛ من ذلك أن ثمة من يزعم أنها لشاعر يسمى أبا عبد الله قاضي زبيد. غير أنها ـ في الحقيقة ـ لقطب العارفين أبي مدين شعيب.

وَنُورُكُمْ يَهْتَدِي السَّـــارِي لِرُؤْيَتِهِ

كَأَنَّكُمْ فِي ظَــلاَمِ اللَّيْــلِ أَقْمَــارُ

لاَ أَوْحَشَ اللهُ رَبْعاً مِنْ زِيَارَتِكُــمْ

يَا مَنْ لَهُمْ فِي الحَشَا وَالقَلْبُ تِذْكَارُ

***

ـ قصيــدة: أيا مــن تعــالى مجــده:

أَيَا مَنْ تَعَـــالَى مَجْــدُهُ فَتَكَبَّــرَا

وجَــلَّ جَلاَلاً قَــدْرُهُ أَنْ يُقَــدَّرَا

وَمَنْ حُكْمُهُ مَاضٍ عَلَى الْخَلْقِ نَافِذٌ

بِمَا[1] خَطَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ وَسَطَّــرَا

لَكَ الْحَمْدُ لاَ مُعْطِي[2] لِمَا أَنْت مَانِعٌ

وَلاَ مَانِعٌ مَا أَنْتَ تُعْطِي مُوَفَّــرَا

قَضَاؤُكَ مَقْضِيٌّ وَحُكْمُــكَ نَافِــذٌ[3]

وَعِلْمُكَ فِي السَّبْعِ الطِّبَاقِ وَفِي الثَّرَى

وَأَمْرُكَ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ كَائِــنٌ

بِأَسْرَعَ مِنْ لَحْظِ الْعُيُونِ وَأَيْسَــرَا

---

[1] في نص: ((كما)).
[2] في نص: ((لا معطٍ)).
[3] في نص: ((وحكمك جازم)).

إِذَا قُلْت كُنْ كَانَ الَّذِي أَنْت قَائِـــلٌ
وَلَمْ يَكُ مِنْكَ الْقَوْلُ فِيــهِ مُكَــرَّرَا
سَبَقْت وَلَمْ تُسْبَقْ وَكُنْت وَلَمْ يَكُنْ
سِوَاكَ وَتَبْقَى حِينَ يَهْلِكُ ذَا الْوَرَى
وَدَبَّرْتَ أَمْرَ الْخَلْقِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ[1]
فَكَانَ الَّذِي دَبَّرْتَ أمــرا مُيَسَّــرَا[2]
عَلَوْت عَلَى السَّبْعِ السَّمَاوَاتِ قَاهِرًا
وَأَنْتَ تَرَى مَا قَدْ خَلَقْت وَلاَ تُرَى
تُقِــرٌّ لَكَ الأَرْبَــابُ أَنَّــكَ رَبُّهَــا
وَلَوْ أَنْكَرَتْ ذَاقَتْ عَذَاباً مُنَكَّــرَا[3]
لَبِسْــت رِدَاءَ الْكِبْرِيَاءِ وَلَمْ يَكُــنْ
لِغَيْرِكَ يَا ذَا الْمَجْــدِ أَنْ يَتَكَبَّــرَا
وَأَنْت كَمَا سَمَّيْــت نَفْسَكَ قَاهِــرٌ
وَأَنْت إِلَهُ الْعَرْشِ حَقًّا بِلاَ امْتِــرَا
وَأَنْت رَفَعْت السَّبْعَ فِي ذُرْوَةِ الْعُلَى
وَأَمْسَكْتَهَا كَيْ لاَ تَخِرَّ عَلَى الثَّرَى

---

[1] **في نص: ((خلقهم)).**
[2] **في نص: ((عدلاً ميسرا)).**
[3] **في نص: ((ذاقت عذاب من أنكرا)).**

وَسَخَّرْت فِيهَا الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ زِينَةَ

لَهَا وَنُجُومـــاً طَالِعَاتٍ زواهـــرا[1]

وَأَنْت بَسَطْت الأَرْضَ ثُمَّ دَحَوْتَهَا

وَأَجْرَيْتَ أَنْهَـــارًا عَلَيْهَا وَأَبْحُـــرَا

وَأَرْسَيْت فِيهَا الرَّاسِيَاتِ شَوَامِخًا

وَفَجَّـــرْت مِنْهَا مَاءَهَـــا فَتَفَجَّـــرَا

وَأَنْت الَّذِي أَنْشَـــأْت مِنْهَا بِقُـــدْرَةٍ

مِنَ الْحَمَإِ الْمَسْنُونِ خَلْقًا مُصَوَّرَا

جَعَلْتَ لَهُ سَمْعًا وَعَقْلاً وَنَاظِـــرًا[2]

وَسَوَّيْتَهُ خَلْقـــاً سَمِيعًا وَمُبْصِـــرَا

وَزَوَّجْتَهُ زَوْجًا مِنِ اْحْدَى ضُلُوعِهِ

وَأَنسَلْت نَسْلاً مِنْهُمَـــا مُتَكَاثِـــرَا

فَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا الْمَجْدِ وَالْعُـــلَى

تَبَـــارَكَ رَبِّي مَا أَجَـــلَّ وَأَقْـــدَرَا[3]

لَكَ الْمِنَّةُ الْعُظْمَى عَلَى مَا هَدَيْتَنَا

وَدَيَّنْتَنَـــا دِينـــاً حَنِيفـــاً مُطَهَّـــرَا

---

[1] في نص: ((وأنورًا)).

[2] في نص: ((عقلا وسمعا)).

[3] في نص: ((وأكبرا)).

وَأَوْرَثْتَنَا[1] بَعْدَ الْجَهَالَــةِ حِكْمَــةً

وَنُــورًا مُبِينــاً لِلْقُلُــوبِ مُنَــوِّرَا

وكَــمْ[2] مِنَّــةٍ أَلْبَسْتَنَاهَــا جَلِيلَــةٍ

بِهَا قَــدْ سَتَــرْتَ عِلْمَهَا فَتَسَتَّــرَا[3]

وكَمْ كُرْبَةٍ فرجتهــا [4] وَعَظِيمَــةٍ

دَفَعْتَ وكَمْ يَسَّرْتَ مَا قَدْ تَعَسَّــرَا[5]

أَسَأْنَــا وَأَذْنَبْنَــا كَثِيرًا ولَمْ تَــزَلْ

إِلَهاً رَؤُوفــاً مُحْسِنَــا وَمُيَسِّــرَا[6]

ولَوْ[7] لَمْ يَكُنْ مِنَّا مُسِيءٌ وَمُذْنِــبٌ

لَجِئْــتَ بِقَــوْمٍ يُذْنِبُــونَ لِتَغْفِــرَا[8]

فَيا رَبِّ هَــيِّئْ تَوْبَــةً لِجَمِيعِنَــا

وحُــطَّ خطَايَانَــا بِعَفْــوٍ تَقَــرَّرَا

وَصَلِّ علَى الأُمِيِّ ثُمَّ سَلِّمْ علَى الذِي

أَتَانَا رَسُــولاً دَاعِيــاً وَمُبَشِّــرَا

---

[1] في نص: ((وأوزعتنا)).
[2] في نص: ((فكم)).
[3] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((سترت بها ذا عورة فتسترا)).
[4] في نص: ((كشفتها)).
[5] جاء هذا الشطر في أحد انصوص هكذا: ((دفعت عن العبد الذي زل وافترا)).
[6] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((رحيما بنا منا قريبا ومبصرا)).
[7] في نص: ((فلو)).
[8] في نص: ((منذنبين فتغفرا)).

وَصَلَّى إِلَهُ الْعَرْشِ مَا لاَحَ كَوْكَبٌ
عَلَى مَنْ أَتَى بِالْمُعْجِزَاتِ مُبَشِّرَا

مُحَمَّدٍ الْهَــادِي إِلَى خَيْــرِ مِلَّــةٍ
وَأَفْضَلِ خَلْقِ اللهِ طُرًّا وَأَزْهَــرَا

مَعَ الآلِ وَالأَصْحَابِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ
تَفُوحُ مَدَى الأَيَّامِ مِسْكاً وَعَنْبَــرَا[1]

* * *

ـ مقطوعــة فــلا أطلبــن[2]:

فَلاَ أَطْلُبَنْ غَيْرِي دَلِيلاً عَلَى رَبِّي
لأَنِّي دَلِيلٌ عِنْدَ مَنْ كَانَ ذَا لُــبِّ

فَفِي خِلْقَتِي كُلُّ الْعَجَائِبِ قَدْ بَدَتْ
تُشَاهِدُهَا عَيْنُ الْبَصِيرَةِ وَالْقَلْــبِ

فَلَيْسَ عَلَى تَكْوِينِ كَوْنِي قَــادِرًا
سِوَى مَالِكِي رَبِّي فَلاَ غَيْرُهُ رَبِّي

---

[1] ثمـة مـن يكتفي بهذه الأبيات؛ ولا يستمر في الأبيات الموالية؛ معتقدين أنها مستقلة. بينما يجمعها أخرون ضمن قصيدة واحدة بعنوان: ((أيا من تعالى مجده)).

[2] هـذه المقطوعـة وردت في ذيل قصيدة "يـا مـن تعـالى مجـده". ولكـني فضلت الفصل بينهما. لأسباب فنية.

وَكَوْنِي بِالتَّكْوِينِ قَدْ كُنْتُ كَائِنًـــا

أَجَلُّ دَلِيلٍ مِنْ مَشَاهِـــدِهِ شُـــرْبِ

* * *

ـ مقطوعـــة يـــا مـــن يـــرى مـــدَّ البَعـــوضِ جَنَاحـــه[1]:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَـــهُ[2]

فِي ظُلْمَةِ اللَّيْـــلِ الْبَهِيـــمِ الأَلْيَـــلِ

وَيَرَى خرير دِمَائِهَـــا مُتَسَلْسِـــلا

فِي جِسْمِهَا مِنْ مَفْصِلٍ فِي مَفْصِلِ

---

[1] يجري على هذه المقطوعة ما جرى لسابقتها. والأهم أنها نسبت إلى آخرين؛ مثل الزمخشري، والمعري. بينما يجعلها القوم؛ من المقطوعات التي قالها أبو مدين شعيب. ونثبتها هنا لكي يتسنى للباحثين ـ مستقبلاً ـ التأكد من ذلك. أما المقطوعة المنسوبة إلى المعري؛ وهي غير موجودة في ديوانه؛ فهي هكذا:

يَا مَنْ يَرَى مَدّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهـــا ... فِي ظُلْمَةِ اللَّيْـــلِ الْبَهِيـــمِ الأَلْيَـــلِ

ويرى مناط عروقها في نحرهـــا ... والمـــخ من تلك العظـــام النحـــل

ويرى خرير الـــدم في أوداجهـــا ... متنقـــلا من مفصـــل في مفصـــل

ويرى وصول غذى الجنين ببطنها ... في ظلمـــة الأحشا بغيـــر تمقـــل

ويرى مكان الـــوطء في أقدامهـــا ... في سيرها وحثيثهـــا المستعجـــل

ويرى ويسمع حس ما هو دونهـــا ... في قـــاع بحـــر مظلـــم متهـــول

أمنـــن عليّ بتوبـــة تمحـــو بهـــا ... ما كان مـــني في الزمـــان الأول

[2] في نص: ((جناحها)).

وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا فِي لَحْمِهَــا
وَالْمُــخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النُّحَّــلِ
وَيَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا هُوَ كَائِــنٌ
سُبْحَانَــهُ مِــنْ مَالِــكٍ مُتَفَضِّــلِ
أُمْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَــةٍ أَمْحُــو بِهَــا
مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَــانِ الأَوَّلِ

***

ـ موشــح: ليــلي ليــلي:

لَيْــلِي لَيْــلِي قَدْ رَجَــعْ نَهَــارِي
شَمْسِي شَمْسِي.. شَمْسِي وَأَقْمَارِي
عَرْشِي عَرْشِي قَدْ حَــوَى قَرَارِي

***

أَخِي دَعْــنِي، غَــرَامِي مُجَــدَّدْ
قُرَّةُ عَيْنِي..... مَــوْلاَيَ مُحَمَّــدْ

***

أَيَا حُضَّار صَلُّــوا على الهَــادي
إِمَامَ الأَبْــرَارِ كَنْزِي وَاعْتِمَــادي
طَــهَ المُخْتَــارُ شَفِيــعُ العِبَــادِ

***

يُنَاجيــنِي وَمِنْ حَوْضِــهِ نــوْرِدْ
قُــرَّةُ عَيْني.... حَبيــبي مُحَمَّــدْ

***

السَّاكِنُ في قَلْبي حُبُّــهُ يا كِــرامْ
حُبُّكَ يا مُحَمَّدْ.. أحَرَمَنِي المَنَــامْ

***

حَرَمَني مَنــامي وَدَمْعي يَسيــل
وَشَوْقي دَعَــاني وجِسْمي نَحِيــل
دَاوِ، قَلْـبي لأنِّي عَليــــل
حُبُّكَ يَا مُحَمَّد أحْــرَمَني المَنَــامْ

***

ـ موشــح: أنــت بمــا قــد سقيــت شــارب[1]:

أنْـــت بِمــا سقَيْــت شــاربْ
مِــنْ راحِــقٍ[2] كــانَ أو كَــدَرْ
سَهْمُكَ في الغَيْرِ فيــكَ صائِــبْ
مــا لَــكَ عَــنْ نَصْلِــهِ مَفَــرْ

---

[1] نسب عبد الصمد بن محمد التهامي المستاري الطنجي المعروف بكنون (1290هـ 1352 هـ) قصيدة أبي مدين هذه إلى صفي الدين الحلي؛ وهو خطأ بيِّن. وقد صحح بعض النقاد خطأه هذا.

[2] في نص: ((من رائق)).

***

ثِمار مـــا قَـــدْ غرَسْــت تجْــني

وهَـــــذه عــــــادةُ الزَّمـــــانْ

خُـــذِ الْحَديـــثَ الصَّحيـــحَ مِـــنِّي

كَمــــا يَدِيــنُ الفَــتَى يُــــدانْ

مَنْ بات مِنْهُ الورَى فـــي أمْـــنِ

بـــات مِـــنَ الدَّهْـــرِ في أمـــانْ

***

الدَّهْـــــرُ بَحْــرٌ لَـــهُ عَجائِـــبْ

وَهْـــــو خطيـــبٌ[1] لِمَـــنْ نَظَـــرْ

فَأطْرَحِ الْغيــرَ[2] عَنْكَ وجانِـــبْ

وَخُـــذْ عــلَى نَفْسِـكَ الْحَــذَرْ

***

يا ذا الـــذي ظَـــنَّ أنْ يُصيـــبْ[3]

بِسَهْمِــــــهِ وَهْــو لاَ يُصــــــابْ

[1] في نص: ((خطوب)).
[2] في نص: ((الغيٌ)).
[3] في نص: ((يصيبا)).

أبْعَدْت عَــنْ نَفْسِــكَ القَرِيــبْ[1]

أخْطَأتَ[2] في مَوْضِعِ الصَّــوابْ

إنْ قُلْــت قَــوْلاً فَكُــنْ لَبيــبْ[3]

وَكُـــلُّ قَــوْلٍ لَـــهُ جَــوابْ

***

مَا ضَــاعَ حَــقٌ ولَــهُ طَالِــبْ[4]

لَــوْ جَــاوَزَ الشَّمْــس وَالقَمَــرْ

مــنْ ذَكَــرَ[5] النَّــاسَ بِالمَعَائِــبْ

يُذْكَـــرُ فِيــهِ بِمَـــا ذَكَـــرْ

***

يَــا بَالِيــاً وُهــو لاَ يُبَـــالِي

وَهُــو في مَيْدانِــهِ يَجُـــولْ

يَــا سَاكِنــاً وَهُــوَ في ارْتِحَــالِ

وَكُــلُّ مَــا قَــدْ حَــوَى يَــزُولْ

تَسْــرِقُ مِــنْ عُمْــرِكَ اللَّيَــالِي

كَسِرْقَـــةِ الـــرَّاحِ لِلْعُقُـــولْ

---

[1] في نص: ((القريبا)).
[2] في نص: ((وأخطأت)).
[3] في نص: ((لبيبا)).
[4] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا:
((ما ضاع حق وراء طالب)).
[5] في نص: ((يا ذاكرَ)).

***

بِالْقَــوْمِ[1] قَدْ سَــارَتِ الرَّكَائِــبْ
وَمَــا[2] تجهـــــزت للسفـــــر[3]
وَلَسْــــتَ تَخْــشَى وَلاَ تُرَاقِــبْ
مِــنْ يَــوْمِ تُبْــلَى فيــهِ العِيَــرْ

***

ـ زجــل: طابــت أوقــاتي بمحبــوب لنــا[4]:

طَابَــتْ أوْقَــاتي بِمَحْبُــوبٍ لَنَــا
حُبُّـــــهُ ذُخْـــــرِي

[1] في نـص: ((فالقوم)).
[2] في نـص: ((ولا)).
[3] جاء هذا الشطر في بعض النصوص هكذا: ((ولا تجهزت يوماً للسفر)).
[4] يعتبر هذا الزجل من بين الأزجال الواردة في ديوان أبي مدين؛ ولكن بعضهم نسبه إلى أبي الحسن الششتري؛ بل سُجِّل في ديوانه؛ غير أن بعض الاختلاف ظهر في أبيات الزجل؛ خاصة في مطلعه. فجاء في ديوان الششتري هكذا:

طــاب وقــتي في حبيــب هُــ لنــا ذكــري دخــري
فاسألــوا مــن لا لنــا عنــه غــنى في صلاح امــري
أنا هــ شيــخ الشراب وفي المــلاح لــذٌ لي التمزيــق

إلى آخره....

نَرْغَبْ[1] مَنْ لاَ لَنَا عَنْــهُ الغِــنَى

فِــي صَـــلاَحِ أمْـــرِي

***

أنا هُوَ شَيْخُ الشَّرَاب، سَاقِي[2] المِلاَحْ

لَــــذَّ لِــي التَّمْزِيـــــقْ

ابْسطُوا سجَّادَتِي رَاحــاً بــرَاحْ

قَرِّبُـــوا الإبْرِيـــــقْ

احْمِلُوا[3] تَغْرِيدِي في الاصْطِلاَحْ

يـــا ذَوِي التَّحْقِيـــــقْ

***

يَا أنَــا مَنْــهُ[4] أنَــا حَـتَّى أنــا

هِمْـــتُ فِـــي سُكَـــرِي

سَمِّعُونِي طَيِّــبَ ألْحَــانِ الغِنَــا

فَعَـــسَى نَـــــدْرِي

***

---

[1] في نص: ((نرغبوا)).
[2] في نص: ((وفي)).
[3] في نص: ((اكتموا)).
[4] تُقْرَأ: ((مَنْ هُوَ)). أي: يا أنا من هُوَ.

كَيْ[1] نَفِيقْ، يَا فُقَـرَا مِنْ سَكْرَتِي

نَقِّـــــرُوا فِـــي العُــــودْ

وَاحْمِلُونِي فَوْق عرْشِ[2] كَرْمَــتِي

عَاشِــــقٌ مَفْقُـــــــودْ

وَاجْعَلُوا مِنْ مَائِهَــا في قِبْلَــتِي

وَاعْصِــــرُوا العُنْقُــــودْ

***

وَاجْعَلُــوا أوْرَاقَهــا لي كَفَنــاً

مَاؤُهـــــــا طُهْــــرِي

فَوْقَ أوْ مِنْ تَحْت أوْ عَن مَيْمَنـــا

إحْفِـــــرُوا[3] قَبْـــرِي

***

بِعْتُ دَنْفَــاسِي وَدَلْــقِي وَالإزَار[4]

وَبَقِيـــــتُ عُرْيَــــانْ

---

[1] في نص: ((حين)).

[2] في نص: ((نعش)).

[3] في نص: ((واحفروا))؛ بالواو.

[4] الإزار: سترة وملحفة، أو مئزر؛ يستر الجسم. الدلق: كلمة فارسية؛ وهي عبارة عن وشاح يلبسه العلماء والمتصوفة؛ يفتح في الغالب من جهة الكتف؛ وهو سهل عند خروج الإنسان منه. أما ((دَنْفاسي))؛ فيبدو أنها كلمة عامية؛ لبعض الملابس المستعملة لدى الصوفية؛ وقيل أنها من المرقعات.

وَمَشيــتُ بينَ دَوْحــاتِ الدِّيــارْ[1]

وَأَنَـــــا نَشْـــــوَانْ

بَيْنَ خــلاَّنٍ[2] وَأكْــواسٍ تُــدَارْ

تَسْحِـــرُ الأذْهـــانْ

***

لَيْسَ لي أصْلاً عَلَى[3] الشُّرْبِ غِنَى

والهَـــوَى سُكْـــرِي

وأنْتُــمُ يَــا فُقَــرَا يَــا أمنــا

أكْتمُـــوا سِــــرِّي

***

كَــان ظَــنِّي أنَّــنِي نَعْشَقُــهُ[4]

وَهُـــو لِــي يَعْشَـــقْ

أنَا نَبْعُــدْ، وَهــو يَقْــربُ لِــي

صـــارَ بــي أرْفَـــقْ

---

[1] في نـص: ((الثمــار)).
[2] في نـص: ((خـلاني)).
[3] في نـص: ((عـن)).
[4] جاء هذا الشطر في بعض النصوص هكذا: ((قلـت أني أبـداً أعشقـه)).

أنَا مُغْرِبٌ وَهــو فِي مَشْــرِقِي[1]

وَهـــــو لـــي[2] يُشْــــــرِقْ[3]

***

تَجَــلَّى الحُــبُّ تَــدَلَّى فَــدَنَى

سَاعَـــــــــةَ الذِّكْـــــرِ

فَمَحَـــتْ أحْدَاثُتَـــا أحْزَانَنَـــا[4]

وَاخْتَـــــــفَى سِـــــرِّي

***

فَسِهَـــامُ البَيْـــنِ دَعْ، ترْشُقُـــنِي

سَلِّمُـــــوا مَـــــــالِي

أنَـــا نهـــواه وهـــو يعشقـــني

سَلِّمُـــــوا حَـــــــالي

سَاقَـــنِي لَمَّـــا بَـــدَى أنْشَقَـــنِي

نَشْـــــــدَهُ الغَـــــالِي

***

[1] جاء هذا الشطر في بعض النصوص هكذا: ((وأنـا مغربـه مشرقـه)).

[2] في نـص: ((بي)).

[3] في نـص: ((وهـو ليس يشـرق)). المهم؛ أن هـذه القطعـة متباينـة. كمـا أن بعض أبياتهـا منسـوب للششتـري.

[4] في نـص: ((أزمـاننـا)).

هُــو لِي رُوحٌ أَقَــامَ البَدَنَــا
هُـــــــوَ فِـــي سِــــــرِّي
لاَ تَعُمْ، تَغْــرَقْ فِــي بَحْــرِنَــا
ذَاكَ هُــــــــو بَحْـــــــرِي

***

ـ قصيـدة: لمــا بــدا منــك القبــول:

لَمَّــا بَــدَا مِنْــكَ القَبُــولْ
أُخْرِجْت مِنْ سِجْنِ الأسَــا
وزُجَّ بي عَيْنَ الوُصُــولْ
وَصِيــرْتُ بِــكَ مُؤْنَسَــا
ولَسْــت مِنْ قَلْبِي تَــزُولْ
بَيْــنَ[1] الصَّبَــاحِ وَالمَسَــا

***

بِنَظْــرَةٍ[2] فِيــكَ يَا جَمِيــلْ
أعِــشْ بِهَا عَيْشــاً رَغــدْ
أنْــت المَحَبَّــةُ وَالدَّلِيــلْ
مَنْ ذَا يُطِيقْ عَنْكَ البُعَــادْ

---

[1] في نص: ((كُلَّ)).
[2] في نص: ((النظرة)).

يَا رَاحَــةَ القَلْــبِ العَلِيــلْ

فِيكَ اجْتَمَــعْ كُلُّ المُــرَادْ

***

أوْقَــدْتَ في قَلْبِي هَــوَاكْ

وَقُلْــتَ لي إِيَّــاك تَبُــوحْ

أَمْ كَيْــفَ لي أرَى سِــوَاكْ

وَأنْــتَ لي جِسْــمٌ وَرُوحْ[1]

وَلاَ يَخْــفَى نُــورُ سَنَــاكْ

وَقَدْ بَــدا لِلنَّــاسِ يَلُــوحْ

***

ــ قصيــدة: أتــاني زمــاني:

أَتَــاني زَمَــاني بِمَــا أرْتَــضِي

فَبِاللَّــهِ يَــا دَهْــرُ لاَ تَنْقَــضِي

أيَــا لَيْلَــةَ الوَصْلِ عُــودِي لَنَــا

لأنَّ الحَبِيــــبَ عَلَيْنَــا رَضِي

---

[1] تعرض هذا البيت، والذي يليه إلى التصحيف؛ فأضحيا في بعض النصوص هكذا:

وكَيْــف يَخْــفَى نُــورُ سَنَــاكْ وَقَــدْ بَــدَا لِلنَّــاسِ يَلُــوحْ

وكَيْــف لِي أعْشَــقْ سِــوَاكْ وأنْــت لِي جِسْــمٌ وَرُوحْ

سَقاني[1] بِكَـــأسِ الهَـــوَى شُرْبَـــةً

فَشَاهَدْتُ في الكَأسِ نُوراً يُـــضِي[2]

وَنَحْنُ علَى العَهْدِ نَرْعَى الذِّمَـــامْ

وَعَهْــــــدُ المُحِبِّيـــنَ لاَ يَنْقَـــضِي

صَدَدْتَ فَكُنْــــت مَليحَ الصُّـــدُودْ

وَأعْرَضْتَ أفْديـــكَ مِنْ مُعْـــرِضِ

فَفِي[3] حَالَةِ السُّخْطِ لاَ في الرِّضَا

بَيَـــانُ[4] المُحِـــبِّ مِنَ الْمُبْغِـــضِ

وَمَنْ كَانَ في سُخْطِـــهِ مُحْسِنـــاً

فَكَيْـــفَ يَكـــونُ إذَا مَا رَضِـــي

فَيا رَبِّ صَلِّ عَـــلَى المُصْطَـــفَى

صَـــلاَةً تَـــدُومُ ولاَ تَنْقَــــضِي

* * *

---

[1] في نص: ((سقانا)).

[2] جاء هذا البيت في أحد النصوص هكذا:

((سقانا بكأس الهَنـا شربــة فلاح من الكأس نـورٌ يُـضي)).

[3] في نص: ((وفي)).

[4] في نص: ((يبين)).

قصيــدة: غيّــاث الــورى[1]:

يَا مَنْ يُغِيثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا
ارْحَمْ عَبِيداً أكُفُّ الفقْرِ قَدْ بَسَطُوا

وَاستَنْزلُوا جُودَكَ المَعْهُودَ فَاسقِهِمْ
رَيّاً يُرِيهِمْ رَضَى لَمْ يُثْنِه سخــطُ

وعَامِلِ الكُلَّ بالفَضْلِ الذي ألِفُــوا
يَا عَادِلاً لاَ يُرَى في حُكْمِهِ شَطَطُ

إنَّ البَهَائِمَ أضْحَى التُّرْبُ مَرْتَعُهَا
وَالطَّيْرُ تَغْدُو مِنَ الحَصْبَاءِ تَلْتَقِطُ

وَالأرْضُ مِنْ حُلَّةِ الأزْهَارِ عَارِيَةً
كَأنَّهَا مَا تَحلَّــتْ بِالنَّبَــاتِ قَــطُ

وَأنْتَ أكْرَمُ مِفْضَــالٍ تُمَــدُّ لَـــهُ
أيْدِي العُصَاةِ وَإنْ جَارُوا وَإنْ قَسَطُوا

---

[1] قالها طلباً للإستسقاء. ويبدو أن أبا جعفر ابن خاتمة الأنصاري (707هـ/1303م - 771هـ/1369م)؛ قد اقتبس مطلع هذه القصيدة؛ حينما كتب: ((يَا مَنْ يُغِيثُ الوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا ارْحَمْ عَبِاداً أكُفُّ الفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا))؛ ثم قال: ((عودتهم بسط أرزاق بلا سبب سوى جميل رجاء نحوه انبسطوا)).

نَاجَوْكَ وَاللَّيْلُ حَلاَّهُ بَهَــاءُ سَنَــا

كَمَا يُحَلِّى سَوادُ اللِّمَــةِ الشَّمَــطُ

فَشارِبٌ بِذَوْبِ الذَّنْبِ غُصَّ بِــهِ

وَآخَرُونَ كَمَا أَخْبَرْتَنَــا خَلَطُــوا

ومُنَعَّمٌ في لَذِيذِ[1] العَيْشِ وَهو يَرَى

في سِلْكِ مَنْ هُوَ حَوْلَ العَرْشِ يَنْخَرِطُ[2]

وَمُلْحِدٍ يَدَّعِي رَبــاً سِــوَاكَ لَــهُ

حَيْرانَ في شَرَكِ الإشْرَاكِ يَخْتَبِطُ

كُلٌّ يَنالُ مِنَ المَقْــدُورِ قِسْمَتَــهُ

قَوْمٌ تَرَقَوْا وَقَوْمٌ في الهَوَى سَقَطُوا

حُكْمٌ مِنَ اللهِ عَــدْلٌ في بَرِيَّتِــهِ

فَــرْضٌ عَلَيْنَا لَهُ التَّسْلِيــمُ مُشْتَــرطُ[3]

ومــن تصدى لحكم الله معترضا

فقد تصدى له الخذلان والغلــط

وَمَا ذُنُوب الوَرَى في جَنْبِ رحْمَتِهِ

وَهَلْ يُقَاسُ بِفَيْضِ الأبْحُرِ النُّقَــطُ

---

[1] في نـص: ((لفيـف)).

[2] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((في سِلْكِ مَنْ حَامَ حَوْلَ العَرْشِ يَنْخَرِطُ)).

[3] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((فَرْضٌ عَلَيْنَا لَهُ الخُذْلانُ والغَلَطُ)).

فَمَا لَنَا مَلْجَأٌ غَيْرُ الكَرِيــمِ وَمَـــنْ
يُلْقَى عَلَى الحَوْضِ فَهُوَ السَّابِقُ الفَرطُ
ذَاكَ الرَّسُولُ الذي كُلُّ الأنَامِ بِــهِ
يَوْمَ القِيامَـــةِ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِــطُ
صَلَّى عَلَيْهِ صَلاَةً لاَ نَفَــادَ لَهَــا
مَنْ اسْمُهُ بِاسْمِهِ في الذِّكْرِ مُرْتَبِطُ

* * *

ـ مقطوعــة: أحــب لقــا الأحبــاب[1]:

أحِــبَ لِقَاءَ اَلأحباب في كُلِ ساعــة
لأنَّ لِقَـــاءَ اَلأَحبــابَ فِيـــهِ اَلْمَنَافِــعُ
يَـــا قـــرة العَيْـــنِ تاللـــه[2] إنَّـــنِى
عَلي عَهدِكُم بَاقٍ وَفي اَلْوَصلِ طَامِعُ
لَقد نَبَتَتْ في القلْـــبِ مِنَـــكَ مَحَبَـــةٌ
كَمَا نَبَتَتْ في الرَّاحَتَيْـــنِ الأصَابِــعُ

---

[1] ثمـة بيتـان وردا في بعض النصوص بالمطلـع. وهمـا:

تَوَاضَعْ لِرَبِّ العَرْشِ عَلكَ تُرفعُ ... فَما خَابَ عَبدٌ لِلمُهَيمِنِ يَخضَعُ
وَداوى بذِكــرِ اَللهِ قَلبــكَ إِنَّــهُ ... لأشــفي دَواءٌ لَلقُلُوبِ وَأنفَــعُ

[2] في نـص: ((الأعيـن باللـه)).

حَــرَامٌ عَلَي قَلــبي مَحَبَّـــةُ غَيْــرِكَ[1]

كَمَا حُرِّمَـــتْ يَوْماً لِمُوسَى اَلمَرَاضِعُ[2]

***

ـ قصيــدة: يــا مـــن يــرى مــا في الضميــر:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ

أَنْــتَ الْمُعَــدٌّ لِكُــلِّ مَا يُتَوَقَّــعُ

يَا مَــنْ يُــرجَّى لِلشَّدَائِــدِ كُلِّهَــا

يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَــكَى وَالْمَفْــزَعُ

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ

امْنُنْ فَإِنَّ الْخَيْــرَ عِنْدَكَ أَجْمَــعُ

مَالِي سِوَى فَقْــرِي إِلَيْكَ وَسِيلَــةٌ

وَبِالإِفْتِقَــارِ إِلَيْكَ فَقْــرِي أَدْفَــعُ

مَالِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَــةٌ

فَلَئِنْ طُرِدْتُ[3] فَــأَيَّ بَابٍ أَقْــرَعُ

وَمَنِ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِــهِ

إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يُمْنَــعُ

---

[1] في نص: ((غيركم)).

[2] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((كَمَا حُرِّمَتْ عَن مُوسَى تِلْكَ المَرَاضِعُ)).

[3] في نص: ((رُدِدْتُ)).

حَاشَا لِمَجْدِكَ[1] أَنْ تُقَنِّطَ عَاصِياً
اَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ[2] أَوْسَعُ
بِالذُلِّ قَدْ وَافَيْتُ بَابَكَ عَالِماً
أَنَّ التَّذَلُّلَ عِنْدَ بَابِكَ يَنْفَعُ
وجَعَلْتُ مُعْتَمَدِي عَلَيْكَ تَوكُّلاً
وَبَسَطْتُ كَفِّي سَائِلاً أَتَضَرَّعُ
وَبِحَقِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَبَعَثْتَهُ
وَأَجَبْت دَعْوَةَ مَنْ بِهِ يَتَشَفَّعُ
إِجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجاً
وَالْطُف بِنَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ
ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ وَءَالِهِ
خَيْرِ الْخَلاَئِقِ شَافِعٌ وَمُشَفَّعُ[3]

***

ـ قصيدة: من الحب:

تَمَلَّكْتُمُوا عَقْلِي وَطَرْفِي وَمَسْمَعِي
وَرُوحِي وَأَحْشَائِي وَكُلِّي بِأَجْمَعِي

[1] في نص: ((لجودك)).
[2] في نص: ((والواهب)). والأخرى أسلم.
[3] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((مَنْ جَاءَ بالقُرآنِ نُوراً يَسطعُ)).

وَتَيَّهتُمُــونِي فِي بَدِيــعِ جَمَالِكُــمْ
وَلَمْ أَدْرِ فِي بَحْرِ[1] الْهَوى أَيْنَ مَوْضِعِي
وَأَوْصَيْتُمُــونِي لاَ أَبُــوحُ بِسِرِّكُــمْ
فَبَــاحَ بِمَا أُخْــفِي تَفَيُّــضُ أَدْمُــعِي
وَلَمَّا فَــنَى صَبْرِي وَقَــلَّ تَجَلُّــدِي
وَفَارَقَنِي نَوْمِي وَحُرِّمْتُ مَضْجَــعِي
أَتَيْــتُ لِقَاضِي الْحُبِّ قُلْــتُ أَحِبَّــتِي
جَفَوْنِي وقَالُوا أَنْت فِي الحُبِّ مُدَّعِي
وَعِنْدِي شُهُــودٌ لِلصَّبَابَــةِ وَالأَسَــا
يُزَكُّــونَ دَعْــوَايَ إِذَا جِئْــتُ أَدَّعِي
سُهَادِي وَوَجْدِي وَاكْتِئَابِي وَلَوْعَــتي
وَشَوْقِي وَسُقْمِي وَاصْفِرَارِي وَأَدْمُعي
وَمِــنْ عَجَــبٍ أَنِّي أَحِــنُّ إِلَيْهِــمُ
وَأَسْأَلُ شَوْقــاً عَنْهُــمُ وَهُــمُ مَــعِي
وَتَبْكِيهُمُ عَيْــنِي وَهُــمْ فِي سَوَادِهــا
وَيَشْكُوا النَّوَى قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي
فَإِنْ طَلَبُــونِي فِي حُقُــوقِ هَوَاهُــمُ
فَــإِنِي فَقِيــرٌ لاَ عَــلَيَّ وَلاَ مَــعِي

[1] في نص: ((فِي مَجْرَ الهَوَى)).

وَإِنْ سَجَنُونِي فِي سُجُــونِ جَفَاهُــمُ
دَخَلْــتُ عَلَيْهِــمْ بِالشَّفيــعِ الْمُشَفَّــعِ

* * *

ـ قصيــدة: جــد بالوصـــال:

قَــدْ زَادَ فيــكَ مِنَ الغــرَامِ تَلَهــفي
فــإلى مَــتَى هَــذا الجَفَــا يَا مُتْلــفِي
ولَهِيــب نِيرَانِ الهَوىَ [1] قَدْ أَشعَلَــتْ
فمــتى بوصلــك نــار قلبى تنطــفى
فــإلى مــتى هَــذا التَبَاعــد والجَفَــا[2]
فَعَسَى المُعَــنَّى مِن وِصَالِكَ يَشتَــفِى
يــا مَالكــاً رَقَّ بِحُسْــنِ جمالــه[3]
هــل لا تَــرِق[4] لمستَهَــامٍ مدنِــفِ
فَبِعِــزِّ عِــزِّكَ فِى الهَــوَى بِتَذَلــلِى[5]
جد بالوصال فليــس لى من مُسعِــفِ

---

[1] في نص: ((في القلب نيران الجفا)).
[2] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((وإلى متى هذا التَّجَنِّي والقِلَى)).
[3] في نص: ((رقِي بعَقْدِ وَلائِهِ)).
[4] في نص: ((هلاَّ تراق)).
[5] في نص: ((وتَذلُّلِي)).

فَالصَّبْــرُ عَنى قَــد غَــدا مُتَرحِــلاً

والوجْدُ بــَاقٍ فِى الحشا[1] لاَ يَختَــفى

ووَعَدتَــنى بِالوَصــلِ ثم هَجَرتَــنىِ

حَاشَــاك توعِــد بِالوِصَالِ ولاَ تــفِى[2]

ولقد كَفَى مَا قَدْ جَــرىَ مِن أدْمــعِى

يــوم الفِــرَاق مِنَ الدمــوعِ الــذُّرَفِ

وعَواذِلِى رَامــوا سَلــواً[3] قُلــتُ: لا

أسلُــو ولاَ أصْــغِي لِقَــوْلِ مُعَنِّــفي[4]

فأنا المقِيمُ عَلَى العهــودِ ولَــن أَحُــلْ[5]

عن حُبِ مَن فــاق الجَمالَ اليُوسُــفِى

فَهُــو النــبي مُحَمــدٌ وَهُــو الــذى

تُرجَى شَفَاعتــهُ غَــداً فى المَوقِــفِ

يَــا خيــر مَبْعُــوثٍ وأَكــرَمَ شَافِــعٍ

كُن منقِذى من هَــولِ يَــومٍ مرجِــفِ

صَلَّى عَلَيــكَ اللهُ يَا خيــر الــورَى

ما لاَحَ بَرقٌ فى السَمَاءِ ومَــا خَــفِي

* * *

---

[1] في نص: ((في الهوى)). والأخرى أفضل.

[2] جاء هذا الشطر في أحد النصوص: ((حاشاكَ تُخْلِفُ مَا وَعَدْتَ وَلاَ تَفِي)).

[3] في نص: ((رَامُوا سُلُوِّي)).

[4] في نص: ((مُعَنِّفِ)).

[5] في نص: ((على الهَوَى إذ لم أحُلْ)).

ـ قصيـدة: اللـه قـل[1]:

لله قُـلْ وذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَـوى
إنْ كُنْت مُرْتَـاداً بُلُـوغَ كَمَـالِ

---

[1] هـذه القصيـدة؛ نسبها يحيى بن خلدون إلى محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش الخزرجي. وقد أثبتها في البغية بكاملها؛ حيث زادت أبياتها عما هي عليه هنا بخمسة أبيات في الأخير. جاء فيها:

لله قُـلْ وذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوى ... إنْ كُنْت مُرْتَـاداً بُلُـوغَ كَمَـالِ
فَالْكُـلُّ دُونَ اللهِ إنْ حَقَّقْتَـهُ ... عَـدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإجْمَـالِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّـكَ وَالْعَوَالِـمَ كُلُّهَـا ... لَوْلاَهُ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْـلاَلِ
فَالْعارِفُونَ فَنُـوا وَلَمَّا يَشْهَـدُوا ... شَيْئاً سِـوى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَـالِ
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكاً ... فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْإسْتِقْبَالِ
مَنْ لاَ وُجُـودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِـهِ ... فَوُجُـودُهُ لَوْلاَهُ عَيْـنُ مُحَـالِ
فَالْمَحْ بِعَقْلِكَ أَوْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرى ... شَيْئاً سِوى فِعْـلٍ مِنَ الْأَفْعَـالِ
وَانْظُرْ إلى عُلْوِ الْوُجُودِ وَسُفْلِـهِ ... نَظَـراً تُؤَيِّـدُهُ بِالْإسْتِـدْلاَلِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشِيرُ نَحْوَ جَلاَلِـهِ ... بِلِسَـانِ حَالٍ أَوْ لِسَـانِ مَقَـالِ
هُوَ مُمْسِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُلْوٍ إلى ... سُفْـلٍ وَمُبْدِعُهَـا بِغَيْـرِ مِثَـالِ
وجَـبَ الوُجودُ لِذاتِهِ وَصِفاتِـهِ ... فَـرْداً عَنِ الأكْفَـاءِ وَالأمْثَـالِ
فَاسْكُـنْ إلَيْـهِ بِهِمَّـةٍ عُلْوِيَّـةٍ ... مُتَنَزِّهاً عَمَّـا سِـوَى الفَعَّـالِ
يَبْـقَى وكُلٌّ يَضْمَحِـلُّ وُجُـودُهُ ... مَـا وَاجِـبٌ كَمُقَيَّـدٍ بِـزَوَالِ
وَهُوَ الذِي يُرْجَى وَيُخْشَى لاَ تَلُذْ ... بِسِـوَاهُ في حَـالٍ مِنَ الأحْوَالِ
فَالشَّرْعُ جَاءَ بِذَا وَأنْوارُ الهُـدَى ... قَدْ أيَّدَتْهُ فَعِـش خَـلِيَّ البَـالِ

فَالْكُـــلُّ دُونَ اللهِ إِنْ حَقَّقْتَـــهُ
عَـــدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَـــالِ
وَاعْلَـــمْ بِأَنَّـــكَ وَالْعَوَالِـــمَ كُلَّهَـــا
لَوْلاَهُ فِي مَحْوٍ وَفِي اضْمِحْـــلاَلِ
مَنْ لاَ وُجُـــودَ لِذَاتِـــهِ مِنْ ذَاتِـــهِ
فَوُجُـــودُهُ لَـــوْلاَهُ عَيْـــنُ مُحَـــالِ
فَالْعارِفُونَ فَنُـــوا وَلَمَّا يَشْهَـــدُوا
شَيْئاً سِـــوى الْمُتَكَبِّـــرِ الْمُتَعَـــالِ
وَرَأَوْا سِوَاهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هَالِكـــاً
فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْإِسْتِقْبَـــالِ
فَالْمَحْ بِعَقْلِكَ أَوْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرى
شَيْئـــاً سِوى فِعْـــلٍ مِنَ الْأَفْعَـــالِ
وَانْظُرْ إِلى عُلْوِ الْوُجُودِ وَسُفْلِـــهِ
نَظَـــراً تُؤَيِّـــدُهُ بِالْإِسْتِـــدْلاَلِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشِيرُ نَحْـــو جَلاَلِـــهِ
بِلِسَـــانِ حَـــالٍ أَوْ لِسَـــانِ مَقَـــالِ
هُوَ مُمْسِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُلْـــوٍ إِلى
سُفْـــلٍ وَمُبْدِعُهَـــا بِغَيْـــرِ مِثَـــالِ

* * *

ـ مقطوعــة: مناجــاة[1]:

يَا مَنْ عَلاَ فَرَأى مَا في الوجود[2] وما

تَحْــت الثَّــرَى وَظَلاَمُ اللَّيْلِ مُنْسَــدِلُ

أَنْت المُغيثُ لِمَنْ ضاقَت مَذاهِبُــهُ

أَنْت الدَّليلُ لِمَنْ حارَتْ بهِ الحِيَلُ

إِنَّا قَصَدْنَــاكَ وَالآمَــال وَاثِقَــةٌ

وَالكُلُّ يَدْعُوكَ، مَلْهُوفٌ وَمُبْتَهِــلُ

فَإِنْ عَفَوْت، فَذُو فَضْلٍ وَذُو كَرَمٍ

وَإِنْ سَطَوْت، فَأَنْت الحَاكِمَ العَدْلُ

***

ـ قصيــدة: إليــك مــددت يــد الــرجى:

لأَلْطَافِكَ الحُسْنَى مَدَدْتُ يَدَ الرَجَا

وحَالِي كمَا تَدْرِي، وَأَنْت المُؤَمَّلُ

قَصَدتُكَ مَلْهُوفًا فُؤَادِي لِمَــا طَرَا

وَأَنْت رَؤُوفٌ مُحسِــنٌ مُتَفَضِّــلُ

---

[1] خمسها عبد الغني النابلسي هكذا:

دَمْعِي لِخَوْفِكَ يَا مَوْلاَيَ صَارَ دَمَا

وَالقَلْبُ مِمَّا بِهِ قَدْ شَارَفَ العَدَمَا

فَاغْفِرْ ذُنُوبَ امْرِئٍ يَرْجُوكَ مُكْتَتِماً

(يَا مَنْ عَلاَ فَرَأى مَا في الغُيُوبِ وَمَا   تَحْتَ الثَّرَى وَظَلاَمُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ)

[2] في نص: ((الغيوب)).

لَجَأتُ، وشَمْلي يا رحيمُ مُشَتَّـــتٌ

وَصَبْرِيَ مَغْلوبٌ وَدائِي مُعْضِــلُ

أرومُ تَلافي الحالَ قَبْــلَ تَلاقِــهِ

وغَوْثاً أيا أملِي، ومَنَّـــكَ أسْـــألُ

فَجُدْ بأمانٍ، والأمـــالي جَميعُهـــا

فَأنْت الذي تَحْمي وَتُعْطي وَتُجْزِلُ

ولي مِنْكَ عاداتٌ حِسانٌ على المَدَى

جوارٌ مِنَ النُّعْمَى بها لَسْتُ أجْهَلُ

أبُوءُ، وَلاَ أحْصي ثَناءَ وَكَيْف لي؟

بِشُكْرٍ يُوازي ما مَنَحْت ويَعْــدِلُ

وإنِّي، وإنْ كُنْتُ المُسيءُ جَهالَـــةً

فَصِدْقُ الوَلاَ والحُـــبُّ لا يَتَبَـــدَّلُ

جُبِلْتُ على دينِ الوَلاَ قَبْلَ نَشْأتي

وَمُذْ كُنْتُ طِفْلاً لي عَلَيْكَ تَطَفُّـــلُ

ولي أمَلٌ في جودِكَ الحِلْمُ لمْ يَزَلْ

يُسامِرُني فَضْلاً بِما مِنْكَ يَحْصُلُ

إلَيْكَ عَنِ الأغْيارِ ألوت مَطامِـــعُ

فَقُمْتُ أناجي، والمَدامِـــعُ تَهْطـــلُ

فَأسْألُ مِنْكَ العَوْن، والغَوْثُ مِنَّــةٌ

بِجودِ عِناياتِ إلى القَصْدِ تُوصِلُ

إذا شَمِلَتْ أوْلَتْ وإنْ رحِمَتْ حَمَتْ

وإنْ أتْحَفَتْ حَفَّتْ وَعَمَّ التَّفْضيــلُ

فَإنِّي قَليلُ العِلْمِ والفَهْــمِ والذَّكَــا

كَثِيرُ الخطَايا بالذُّنــوبِ مُعَلـــلُ

عَسَى رحْمَةٌ فيها صَلاحُ لِحالَتي

عَسَى نظرةٌ مِنْكــمْ بِهـا أتَأهَّــلُ

إلَهِي كَمْ فَضْلٍ مَنَحْـت وَعُقْـدَةٍ

حَلَلْت، وكَمْ بِالفَتْحِ قَدْ زَالَ مُقْفَــلُ

وَكَمْ مِحْنَةٍ في طَيِّها مِنْكَ مِنْحَــةٌ

يُشاهِدُها مَنْ لَيْسَ يَلْهُــو وَيَغْفِــلُ

فَيا رَبُّ بالسِّرِّ المُحَجَّبِ رحْمَــةً

بِقُدْسِ صِفَــاتٍ نُورِهَــا يَتَهَلَّـــلُ

بِسِرٍّ تَجَلَّى السِّرُّ في كُلِّ مَظْهَــرِ

بِسِرٍّ فِعالٍ في الوَرَى لا يَتَعَلَّـــلُ

بِسابِقِ ذاكَ العَهْدِ، بالحَضْرَةِ التي

بها لأُهَيْــلِ الــوُدِّ وِرْدٌ وَمَنْهَــلُ

أغِثْنا بأمْنٍ مِنْ جَميــعِ مَخَــاوُفٍ

وَمُــنَّ بِغَــوْثٍ بالمُــنَى يَتَكَفَّـــلُ

وَمُدَّ بِفَيْضِ الفَضْلِ قَلْبِي وجُمْلَتِي
وعافِيَةٍ تَغْشَى، فَلاَ يَخْلُو مِفْصَـــلُ
بِجَاهِ نَـــبِيٍّ لاَ يُضَـــاهَى جَمالُـــهُ
وَيَحْظَى بِنَجْحٍ مَنْ بِـــهِ يَتَوَسَّـــلُ
عَلَيْهِ مِنَ المَوْلَى صَلاَةَ صَلاَتُهـــا
على عَدَدِ الأنْفاسِ بالسُّؤْلِ تُقْبَـــلُ
وَأَزْكَى سَـــلاَمٍ لاَ يَزَالُ عَبِيـــرُهُ
يَفُوقُ عَلَى المِسْكِ الذَّكِيِّ وَيَفْضُلُ
وَآلٌ وَأَصْحَابُ، بـــدُورُ وَسَـــادَةٌ
تَحَلُّوا فَكُـــلٌّ فِي حُـــلاَهُ مُكَمَّـــلُ

***

ـ قصيـــدة: لَـــوْلاَكَ مـــا كـــان وُدِّي:

لَـــوْلاَكَ مـــا كـــانَ وُدِّي وَلاَ مَنَـــازِلُ لَيْـــلاَ
وَلاَ حَـــدَا قَـــطُّ حَـــادِ وَلاَ سَـــار الرَّكْبُ مِيْـــلاَ
يَا حَادِيَ الْعِـــيسِ مَهْـــلاَ هَلْ جُزْتَ فِي الْحَيِّ أَمْ لاَ
عَشِقْتُهُـــمْ فَسَبَـــوْنِي لاَ تَحْسَبِ الْعِشْقَ سَهْـــلاَ
فأَيْـــنَ كُنْـــتُ وجِئْـــتُ حَبِيـــبٌ لِي قَـــدْ تَجَـــلَّى
عَشِقْتُـــهُ فَسَلَبَـــنِي فَصِـــرْتُ عِنْـــدَهُ أَهْـــلاَ

فَلَمْ نَسْمَــعْ ولَم نُبْصِــرْ إلاَ هَــوَاكَ لِي سَهْــلاَ

ظَهَــرْتَ لِي بِجَمَــالِ فَشُــرْبِي زَادَ وَعَــلاَّ

فَأَنْت رُوحي وجِسْــمِي لاَ فَــرْق عَنْــكَ وَإلاَّ

حَــتَّى إِذَا مَــا تَجَــلَّى هَــواكَ فِي قَلْــبي حَــلاَّ

***

ــ قصيــدة: أهــل المحبــة:

أهْلُ المَحَبةِ بالمَحْبوبِ قدْ شُغِلــوا

وفي مَحَبَّتِــهِ أرْواحَهُــمْ بَذَلُــوا

وخَرَّبوا كُلَّ ما يَفْنَى وقدْ عَمَرُوا

ما كانَ يَبْقَى فَيا حُسْنَ الذي عَمِلَوا

لمْ تُلْهِهِمْ زِينَةُ الدُّنْيــا وزُخْرُفِهــا

ولا جَناهــا ولا حِلْيٌ ولا حُلَــلُ

هاموا على الكَوْنِ منْ وجْدٍ ومنْ طَرَبِ

وما استَقَلَّ بِهِمْ رَبْــعٌ ولاَ طَلَــلُ

دَاعِي التَّشَوُّفِ نَادَاهُــمْ وأَقْلَقَهُــمْ

فَكَيْفَ يَهْنَوْا ونارُ الشَّوْقِ تَشْتَعِلُ

مِنْ أوَّلِ اللَّيْلِ قَدْ سَارَتْ عَزائِمُهُمْ

وَفِي خِيامِ حِمى المَحْبوبِ قدْ نَزَلُوا

وافَتْ لَهَمْ خِلَعُ التَّشْرِيفِ يَحْمِلُهَـــا

عَرْفُ النَّسيمِ الذي منْ نَشْرِهِ ثَمِلُوا

هُـــمُ الأحِيَّـــةُ أدْناهُـــمْ لأنَّهُـــم

عنْ خِدْمَةِ الصَّمَدِ المَحْبوب ما غَفلُوا

سُبْحانَ منْ خصَّهُمْ بالقُرْبِ حينَ قَضَوْا

في حُبِّهِ وعلَى مَقْصودِهِمْ حَصلُوا

***

ـ موشـــح: ركبـــت بحـــراً:

رَكِبْــتُ بَحْــراً مِــنَ الدُّمُــوعِ

وسُفْنُـــــهُ[1] جِسْــمي النَّحِيـــــلْ

فَمَزَّقَـــــتْ ريحُـــــهُ قُلُـــوعي

مُذْ[2] عَصَفَــتْ ساعَــةُ الرَّحيــلْ

***

يــا جِيــرَةً[3] خَلَّفُــوا عُيُــوني[4]

تَجْري عــلى الخــدِّ كالْعُيــونْ

[1] في نـص: ((سفينـه)).
[2] في نـص: ((قـد)).
[3] في نـص: ((يـا جيـرتي)).
[4] جاء هذا الشطر في أحدالنصوص هكذا: ((يا جيـرة خلفـت عيوني)).

خَيَّبْتُمُوا فــي الهَــوَى ظُنُــونِي
مَــــا هَكَــذا كانَــتِ الظُّنُــونْ
مُنُّـــوا ولا تَطْلُبُــوا مَنُـــوني
فَــإِنَّ هِجْرَانَكُــمْ مَنُـــونْ
***
وجَمِّلُـــوا الــدَّارَ بِالرُّجُـــوعِ
وَبَـــرِّدُوا لَوْعَـــةَ العَليـــلْ[1]
وسامِحُــوا الطَّــرْف بالهُجُــوعِ
وقَصِّـــرُوا لَيْـلِي الطَّوِيـــلْ
***
واللَّــهِ واللَّــهِ مَــا سَقَـــانِي
كَأسَ الــــرَّدَى غَيْــرُ هَجْرِكُــمْ
أفْنَيْــتُ في حُبِّكُــمْ زَمَــانِي
وَمَــا وَفَيْــــتُ[2] بِوَعْدِكُـــــمْ
عِنْدي مِــنَ الشَّــوْقِ ما كَفَــانِي
فَــلاَ تَزِيـــــدُوا بِصَدِّكُـــــمْ
***

[1] في نص: ((الغليل)).
[2] في نص: ((ومـا وفيتم)).

فَرَّقْتُمُــوا في الهَــوَى جُمُــوعِي
وسُؤْتُمُـــوا صُحْبَــةَ الدَّلِيــــلْ
وَمَــا نَظَرْتُــمْ إِلَى خُضُــوعِي
ووَقْفَــتِي وَقْفَــــةَ الذَّلِيــــلْ

***

يَــا سائِــق العِيــسِ بِالمَحافِــلْ
فــي طَلْعَــةِ[1] البِيــدِ وَالقِفَـــارْ
عَــرِّجْ عَــنِ الأرْبَــعِ الأوَائِــلْ
وَاقْصِــدْ بِهَــا أشْــرَفَ الدِّيَــارْ[2]
وَالمَــاءُ إنْ قَــلَّ فــي المَناهِــلْ
أوْ رُمْــتَ عِنْــدَ النُّــزُولِ نَــارْ

***

فَالْتَمِــسِ الْمَاءَ مِــنْ دُمُــوعِي
فَكَــمْ لَهَــا فــي الفَــلاَ سَبِيــلْ
وَاقْتَبِسِ النَّـــارَ مِــنْ ضُلُــوعِي
فَــفِي الحَشَــا حَشْوُهَــا شَعِيــلْ

***

[1] في نص: ((في تلعة)).
[2] في نص: ((أشرق الديار)).

بِاللَّــــهِ إِنْ لاَحَـتِ الْقِبَـــابُ

سَلِّــمْ عَــلَى سَاكِــنِي قُبَــــا[1]

وَقُــلْ لَهُــمْ حِبِّكُــمْ[2] مُصَــابُ

وَقَلْبُـــــهُ نَحْوَكُـــمْ صَبَــــا

يَــا قَمَــرٌ دُونَــــهُ[3] حِجَـــابُ

عَــنِّي سَنَـــا البَــدْرِ حُجِبَــا

***

بَـــــدْرٌ إذا لاَحَ بالرُّجُـــوعِ[4]

أَوْ بَـــانَ بالبَـــانِ والنَّخِيـــلْ

أَخْفَى سَنَـــا الشَّمْسَ في الطُّلُوعِ

جَمَالُــــهُ البَاهِـــرُ الْجَمِيـــلْ

***

ـ قصيــدة زجــل دارت علينــا كــؤوس:

دارتْ عَلَيْنَـــا كُـــؤُوسْ

مِــــنْ خَمْــرِهِ البَــــالي

---

[1] في نص: ((قُبَ))؛ بدون ألف.
[2] في نص: ((صبكم)).
[3] في نص: ((دونهم)).
[4] في نص: ((بالربوع)).

ولاَ تَطيــــبْ النُّفـــوسْ

إلاَّ بأمْثَـــــــــــالي

***

دارتْ علينـــا كُـــؤوسْ

فـــي حضـــرةِ المَحْبــوبْ

واهْل المَعــاني جُلــوسْ

ومَـــــنْ دَخــلْ يَشْــربْ

ولا تَطيــــبْ النُّفـــوسْ

إلاَّ لِمَـــــنْ يَقْـــــــرُبْ

***

بَحْر المَعــاني نَغُــوصْ

هَــذَاكَ هُـــو حَـــالي

ولاَ تَطيــــبْ النُّفـــوسْ

إلاَّ بأمْثَـــــــــــالي

***

اسْقُــــوني يا سَـــــاداتي

خَمْـــــراً لَهَـــا أَلْـــــوانْ

كَيْ تَنْقَــضي[1] حاجَــاتي

وحاجَـــاتْ[2] الإخْــــوانْ

ومَنْ حَضَـــرْ حَضْــرَتي

يَظْهَــــــرْ لَـــهُ بُرْهَـــانْ[3]

***

شَرَقَـــتْ عَلَيْنَـــا شُمُـــوسْ

فــــي الوَقْـــتِ وَالحَـــالِ

وَلاَ تَطيـــــبْ النُّفُـــــوسْ

إلاَّ بِأَمْثَـــــــــــــــالي

***

مِنْ خَمْـــرِ أَهْـــلِ التُّــقَى

اسْقُــــوني يـــا نَــــاسْ

مَحْفُوفَـــــةٌ بِالبَقَــــــا

مَمْزُوجَـــةٌ فـــي الكَـــاسْ

مِنْهَـــا شَـــرِبْ وَارْتَـــقَى

الشَّيْـــخْ أَبُـــو العَبَّـــاسْ

---

[1] في نص: ((لتنقضي)).
[2] في نص: ((واحوائج)).
[3] في نص: ((البرهان))؛ بالألف واللام.

***

مَــا هِي بِثمْــنْ الفْلُــوسْ

وَقَدْرُهَـــــا غَـــــالي[1]

ولاَ تَطيــــبْ النُّفُـــوسْ

إلاَّ بِأمثَــــــــــــــالي

***

غَرَسْــتْ في حَضْــرتَي

شَجْــرهْ[2] مِــنَ التَّوْحيــدْ

الأصْـــــلُ في قَبْضَـــتِي

وَالفَــرْعُ صـــار إيزِيــدْ

ولاَ جَــنَى[3] ثَمْـــــرتِي

إلاَّ ذَوي التَّجْريــــــدْ

وَعْــلاَتْ[4] فَوْق الـــرُّؤُوسْ

عِـــــزاً وَإجْـــــلاَلِ

ولاَ تَطيــــبْ النُّفُـــوسْ

إلاَّ بِأمثَــــــــــــــالي

***

---

[1] في نص: ((عـالي)).
[2] في نص: ((شجـراً)).
[3] في نص: ((يجـني)).
[4] في نص: ((واعلـت)).

انْوَصِّيكَ[1] يَا مَــنْ حَضَــرْ
لاَ تَقْرَبُــوا[2] الشَّجْــــرَا
إلاَّ بِلَمْــحِ البَصَــــرْ
وَصُحْبَـــةِ الفُقَـــــرَا
إذَا[3] جَنَيْـــتْ الثَّمَـــرْ
مِــنْ عِلَّتِـــكْ تَبْـــرَا

***

وانْجُــولْ[4] بَيْنَ الغُــرُوسْ
عِــــزاً وَإجْــــلاَلِ
ولاَ تَطِيـــبْ النُّفُـــوسْ
إلاَّ بِأمْثَـــــــالي

***

ـ رجــز: يــا عيــني لازمي السهــر[5]:

يا عَيْني لاَزْمِــي السَّهَــرْ
طُـــــولَ اللَّيَـــالِي

---

[1] في نص: ((نُوصيكَ)).
[2] في نص: ((لا تقرب)).
[3] في نص: ((وذا)). بالدارجة.
[4] في نص: ((تَجُولُ)).
[5] ثمة من ينسب هذا الزجل أيضاً لأبي الحسن الششتري. وهذا الزجل منشور في ديوانه؛ كما نشر في ديوان أبي مدين.

عِشْقِي في مَحْبوبي اشْتَهَرْ

رِقُــــوا لِحَـــــالِي

***

مَنْ نَعْشَقْهُ[1] مَــالي سِــوَاهْ

وَلاَ نمَلْـــــــــــــــــهْ[2]

ولَمْ نَزَلْ[3] نَتْبَــعْ رِضَـــاهْ

الدَّهْـــــــر كُلُّـــــــهْ

وَمَنْ يلُومْنِي فـــي هَـــواهْ

نَبْـــدَا نقُـــــول لُـــــهْ[4]

***

يا لاَئِـــمِي مـــا تَعْتَبَـــرْ

مِـــنْ ضُعْـفِ حَـــالي

عِشْقِي في مَحْبُوبي اشْتَهَرْ

رِقُّـــــوا لِحَـــــالي

***

يـــا لاَئِـــمِي فَـــلاَ مَـــلاَمْ

حُــــبِّي مُوَاصـــــــلْ

---

[1] في نص: ((مـن نعشقو)).
[2] في نص: ولا نملـو)).
[3] في نص: ((لا نـزل)).
[4] في نص: ((نقـول لـو)).

اسقِــنِي يا سَاقي المُــدَامْ
صــــافي الْمَناهِــــلْ
خَمْـــراً يَهِيــجَ الغَــرامْ
لِمَـــنْ هُـــو عَاقِـــلْ
***
أدِرْهُ[1] عَلَيْنـــا في السَّحَــرْ
وَالجَـــوُّ خـــــالي
عِشْقي في مَحْبوبي اشْتَهَرْ
رِقُّـــوا لِحَـــالي
***
سَكْروا جَمِيعْ أهْل الهَــوَى
يَـــا سَــاقِي الـــرَّاحْ
هَذَا انْعَكَفَ هَــذا الْتَــوَى
هَـــذا فـــي الأفْـــراحْ
لِكُـلِّ امِــرِئٍ مَــا نَــوَى
وَالسِّـــرّ قَـــدْ بَـــاحْ
***

[1] في نص: ((دِرْها)).

أنا غَــرامي قَــدْ ظَهَــرْ

بَيْـــــنَ الرِّجَـــــــالْ

عِشْقِي في مَحْبُوبي اشْتَهَرْ

رِقُّـــوا لِحَـــــــالي

***

ـ قصيــدة: استغفــارة أبــي مديــن:

أَستَغْفِــرُ اللهَ مُجْرِ الفُلْكِ فِي الظُّلَــمِ

عَلَى عُبَــابِ مِــنَ التِّيَــارِ مُلْتَطِــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مُنْجِي المُستَجِيــرِ بِـــهِ

إِذَا أَلَــمَّ بِـــهِ ضُــرّاً مِــنَ الأَلَــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ غَفَّــارَ الذُّنُــوبِ لِمَــنْ

بِالانْكِسَــارِ أَتَى وَالــذُّلِّ وَالنَّــدَمِ

أَستَغْفِــرُ اللهَ سَتَّــارَ العُيُــوبِ عَلَى

أَهْلِ العُيُــوبِ وَمُنْجِيهِــم مِنَ النَّقَــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِن نُطْــقِي وَمِنْ خُلُــقِي

وَشَينِ شَأْنِي وَمِنْ شَكْلِي وَمِن شيمي

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنْ سِــرِّي وَمِنْ عَلَــنِي

وَمِنْ تَقَلُّــبِ قَلْــبِي وَابْتِسَــامِ فَــمِي

اسْتَغْفِــرُ اللهَ مِنْ قَوْلِي وَمِنْ عَمَــلِي

ومن مجاهدتي جهدي ومن سأمي

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ سَمْعِي وَمِنْ بَصَرِي

وَمِنْ ضَمِيرِي وَمِنْ فِكْرِي وَمِنْ كَلِمِي

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ جُرْمِي[1] وَمِنْ زَلَــلِي

وَمِــنْ كَبَائِــرِ آثــامي وَمِنْ لَلَــمِي

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ مِمَّا قَــدْ جَنَتْــهُ يَــدِي

مِنَ الخطَايَــا وَمَــا قَدَّمْــتُ بِالقَــدَمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّــا لَمْ تَكُــنْ كَسَبَــتْ

كَفِّي وَمَا اكْتَسَبْتُ فِي مَبْلَــغِ الحُلُــمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ نَفْــسِي وَمِنْ نَفَــسِي

وَخَاطِــرِ وَخُطُــورِ الوَهْمِ بِالتُهَــمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ طَبْعِي وَمِنْ طَمَــعِي

وَمِنْ تَحَــوُّلِ حَــالي حَالَــةَ السَّقَــمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَــوْلِي أَنَــا وَمَــعِي

وَلِي وَعِنْدِي وَمِنْ ظَنِّي وَمِنْ قَسَــمِ[2]

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ مِمَّــا لَسْــتُ أَعْلَمُــهُ

وَمَا عَلِمْــتُ وَمَــا حَرَفْــتُ بِالقَلَــمِ

---

[1] في نص: ((من فعلي)).

[2] في نص: ((زعمي)).

استغفر من يومي ومـــن ليلـــتي

ومن غدي قبل أن يبدوا من عدم

أَستَغْفِـــرُ اللهَ مِمَّـــا لَسْـــتُ أَعْلَمُـــهُ

وَمَا عَلْمِـــتُ وَمَـــا حَرَفْـــتُ بِالقَلَـــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِنْ نَـــوْمِي وَمِنْ سِنَـــتِي

وَيَقْظَـــتِي وَبِهِ مَا عِشْـــتُ مُعْتَصِـــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مِمَّـــا كَانَ فِي صِغَـــرِي

مِنَ الخِلاَفِ لِعُمْرِ الشَّيْـــبِ وَالهَـــرَمِ

أَستَغْفِـــرُ اللهَ مِنْ مَا هَبَّـــتْ يَمَانِيَّـــةٌ

وَسَحَّتِ السُّحُبُ فِي الأَطَام وَالأَكَـــمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مَا سَـــار الحَجِيـــجُ إِلَى

مَعَالِـــمَ شُرِّفَـــتْ بِالحِـــلِّ وَالحَـــرَمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ مَا لاَحَ الصَّبَّـــاحُ وَمَـــا

تَغَنَّتِ الطَّيْـــرُ[1] فِي الأَغْصَانِ بِالنَّغَمِ

أَستَغْفِرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الحُـــرُوفِ وَمَـــا

فِي الذِّكْرِ مِنْ آيَةٍ تُتْـــلَى وَمْنِ حِكَـــمِ

أَستَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الهَـــوَامِ وَمَـــا

فِي الأُفُقِ مِنْ عَالَمٍ وَالأَرْضِ مِنْ عَلِمِ

---

[1] في نص: ((الوَرَقُ)).

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ النَّبَـــاتِ وَمَـــا

فِي البَحْرِ مِنْ نِّعْمَةٍ وَالبَرِّ مِنْ نِعَـــمِ

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الرِّيَـــاحَ وَمَـــا

تَجْرِي عَلَيْهِ مِنَ الأَقْـــوَاتِ وَالنَّسَـــمِ[1]

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الكوَاكِـــبَ فِي

تَـــاجِ الغَيَاهِبِ مِنْ بَـــاكٍ وَمُكْتَتِـــمِ[2]

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الرِّمَـــالِ وَمَـــا

يَنْهَـــلُّ فِي عَالَمِ الدُّنْيَـــا مِنَ الدِّيَـــمِ

أَسْتَغْفِرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الخَلائِـــقِ مِـــنْ

إِنْسٍ وجِنٍّ وَمِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَـــمِ

أَسْتَغْفِـــرُ اللهَ تِعْـــدَادَ الخَوَاطِـــرِ فِي

بُذورِ أُولِي النُّهَى وَالعِلْـــمِ وَالحِكَـــمِ[3]

اسْتَغْفِـــر اللهَ جَـــلَّ اللَّـــهُ قَابِضُنَـــا

مُفْنِي القُرُون ومُفني سَائِر الأمَمِ

اسْتَغْفِـــرُ اللَّـــهَ مَوْلانَـــا وَخَالِقَنَـــا

مِنْ كُلِّ تَقْصِيرِنا بالشُّكْـــرِ لِلْنِّعَـــمِ

---

[1] في نص: ((من الأوقات والقسم)).

[2] جاء هذا البيت في أحد النصوص هكذا:

استغفر الله تعداد النجزم وما   في غيهب الليل من باد ومكتتم

[3] في نص: ((صدور أولي التقى والعلم والحكم)).

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ جَــلَّ اللهُ خَالِقُنَــا

مِنَ البَرَايَا وَمُحْيِ الأَعْظُــمِ الرِّمَــمِ[1]

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ جَــلَّ اللهُ رَازِقُنَــا

المُنْعِمُ المُفضِلُ المَوْصُوفُ بِالكَــرَمِ[2]

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ جَــلَّ اللهُ بَاعِثُنَــا

مِنْ يَوْمِ[3] مُزْدَحَمِ الأَمْــلاَكِ وَالأُمَــمِ

أَسْتَغْفِــرُ اللهَ أَضْعَافــاً مُضَاعَفَــةً

مِمَّا ذَكَرْتُ مِنَ الأَجْنَــاسِ وَالقَسَــمِ

اسْتَغْفِــرُ اللهَ لاَ تُحْــصى لَــهُ نِعَــمٌ

المُنْعِمُ المُفَضَّلُ المَوْصُوف بالكَرَمِ

اسْتَغْفِرُ اللهَ لاَ أحْصِي عَلَيْــهِ ثَــنَى

أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلُ في القِدَمِ

ثُمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَــرٍ[4]

خَيْرِ البَرِيَّــةِ مِــنْ بَــاكٍ وَمُبْتَسِــمِ

* * *

---

[1] في نص: ((مُبْدِي البَرايَا ومُنْشِؤنا من العَدَمِ)).

[2] في نص: ((قبل الوجود وقبل سائر القسم)).

[3] في نص: ((ليوم)).

[4] في نص: ((على المختار سيدنا)).

ـ قصيدة: متى يا عُرَيْبَ الحَيِّ عَيْني تَراكُمُ:

زعم بعضهم ـ خطأ ـ أن هذه القصيدة لبدر الدين الجمالي (الشهير بالجيوشي)؛ وقالوا أنه كتبها في حق سيدنا الحسين. والجيوشي هذا؛ مملوك من أصل أرمني؛ وكان وزيراً للخليفة الفاطمي المستنصر؛ برع في قيادة الجيوش والتنظيم الإداري؛ ولكن؛ لم يؤثر عنه أي ولوع بالشعر. اللهم إلاّ إذا كان المقصود هو شريف الدين سليمان بن بُليمان ابن أبي الجيش؛ (المتوفي سنة 686هـ/1287م)؛ وكان يقرض الشعر. ومع هذا فالقصيدة المنسوبة إليه أو إلى غيره ـ كما تبدو ـ لا علاقة لها بسيدنا الحسين. وربما قام بعض المنتحلين بإدماج أبيات أبي مدين مع أبيات أخرى؛ ونسبوها لهذا الوزير.. والله أعلم. المهم؛ أن جُلَّ من كتب عن هذه القصيدة؛ نسبوها لقطب الصالحين أبي مدين شعيب. أما القصيدة المنتحلة؛ فقد اشتملت على أبيات من قصيدة أبي مدين. وهي كما ترى في الهامش. أما

قصيــدة أبي مديــن هــذه؛ فقــد شــاع ذكرهــا، وتناقلهــا النـــاس شرقـــاً وغربـــاً، ولحنـــت بألحـــان مختلفـــة:[1]

متَى يا عُرَيبَ الحَيِّ عَيــنِي تَراكـــمُ
وأُسمعُ من تِلكَ الدِّيـــار نِداكُـــمُ

ويَجمعنا الدَّهـــر الذي حَـــالَ بَينَنـــا
ويَحظَى بِكُم قَلبِي وعَينِي تَراكُـــمُ

---

[1] متى يا كِرَامَ الحيِّ عَيْنِي تراكمُ — واسمعُ مِن تِلــكَ الديَـــارِ نِدَاكُـــمُ

أمُرُّ علَى الأبْوَابِ مِن غَيرِ حَاجَةٍ — لعَلِّي أرَاكُـــمْ أوْ أرَى مَن يرَاكُـــمُ

حلَفْتُ يَمِيناً لَسْتُ اسْلُو هَوَاكُـــمُ — وَقَلْـــبِي حَزِيـــنٌ مُغْـــرَمٌ بِهَواكُـــمُ

سقَانِي الهَوى كَأساً مِنَ الحُبِ صَافِياً — فَيَـــا لَيتهُ لمَّا سَـــقَـــانِي سَقَاكُـــمُ

وَإِن صَاحَ صَيَّاحٌ ونَادَى بِذِكرِكُم — فَسَمعِي لَهُ صاغٍ بُـــرَاعِي نِدَاكُـــمُ

وَيَاليت قَاضِي الحُبِ يَحكُمُ بَيْنَنَـــا — وَدَاعِي الهَوى لمَّا دَعَانِي دَعَاكُـــمُ

فَإِن تَطْرُدُونِي كُنتُ عَبْداً لِعَبدِكُم — وإِن تَصِلُونِي كَانَ قَصْدِي رِضَاكُـــمُ

أيَا قُرَّتَ العَيْنِ يَا غَايَـــةَ المُنَى — جُد بِالوِصَالِ فإنَّ قَصْـــدِي لِقَاكُـــمُ

وإِنْ قِيلَ لِي مَاذَا عَلَى الله تَشْتَهِي — لقُلْتُ رِضَى الرَّحْمنِ ثُمَّ رِضَاكُـــمُ

مَتَى تَجْمَعِ الدُّنْيَا الَّتِي فَرَّقَتْ بَيْنَنَا — وَيَحْظَى بِكُمْ قَلْبِي وَعَيْنِي تَرَاكُـــمُ

فَإِنِي وَإِنْ طَالَ المَدى عِشتُ بِالرَّجَا — وجَلّ مُرَادِي بَعْدَ مَـــوْتِي أرَاكُـــمُ

لَعَلّ فَتىً مِثْلِي أبَـــرَّ بِهِ الْهَـــوَى — يَمُـــرُ عَـــلَى قَبْـــرِي عَلَيَّ يُسَلِّـــمُ

وَلَا تَدْفِنُـــونِي تَحْت قَـــرْنٍ وَإِنَّمَا — عَلَى جَبَـــلٍ عَـــالٍ لَعَـــلِّي أرَاكُـــمُ

أسْأَلُكُم بِاللهِ إِن مِـــتُ فَاكْتُبُـــوا — عَلَى لَوحِ قَـــبْرِي إِنَّ هَـــذَا مُتَيَّـــمُ

أَمرٌ علَى الأَبواب مِن غَير حَاجَـــة

لَعلِّي أَرَاكُم أَو أَرَى مَن يَراكُـــمُ[1]

سَقانِي الهَوَى كأساً مِن الحُبِّ صَافياً

فَيا لَيتــهُ لَمَّـــا سَقـــانِي سَقاكُـــمُ

فَيا لَيت قَاضي الحُبّ يَحكـــمُ بَينَنـــا

وَدَاعِي الهَوَى لَمَّا دَعانِي دَعاكُـــمُ

أَنا عَبدُكُم بَل عَبـــدُ عَبـــدِ لِعَبدكُـــم

وَمَملُوكُكُم من بيعكـــم وشَراكُـــمُ

كَتبتُ لَكُم نَفـــسِي وما مَلَكَت يَـــدِي

وَإِن قَلَّت الأَموالُ رُوحِي فِداكُـــمُ

لِسَـــانِي بِمجدكُـــم وقَلـــبِي بِحبكُـــم

وَما نَظَرَت عَينِي مَلِيحاً سِواكُـــمُ

---

[1] **المعنى العام لهذا البيت؛ مستمد من بيت قيس بن الملوح (الشهير بمجنون ليلى)؛ وفيه يقول:**

أمـــر على الديـــار ديـــار ليـــلي أقبـــل ذا الجـــدار وذا الجـــدارِ

وما حـــب الديار شغفـــن قلـــبي ولَكِنٌ حُـــبٌ من سكـــن الديـــار

ومن هنا؛ يفهم أن أبا مدين شعيب؛ يكون قد اطلع على ديوان مجنون ليلى؛ ذلك العاشق الولهان؛ الذي فقد وعيه، بفقد حبيبته.

وَما شَــرَّفَ الأَكــوان إلاَّ جَمالكُــم

وَما يَقصدُ العُشَّــاقُ إلاَّ سَنَاكُــمُ

وَإِن قِيل لِي ماذا علَى الله تَشتَــهِي

أَقُولُ: رِضَي الرَّحمنِ ثُمَّ رِضَاكُمُ

ولِي مُقلةٌ بِالدَّمع تَجــري صَبِيبــةَ

حَرامٌ علَيها النَّــومُ حتَّى تَراكُــمُ

خُذُونِي عِظاماً مُحمَّــلاً أَينَ سرتــمُ

وحَيثُ حَلَلتمُم فادفنونِي حِذاكُــمُ

وَذُورُوا علَى قَبري بِطَرف نِعَالكُــم

فَتَحيا عِظامِي حَيثُ أُصغِي نِداكُمُ

وَقُولوا رَعَاكَ الله يا مَيــت الهَــوَى

وأَسكنَك الفردوسُ قُربَ حِماكُــمُ

* * *

ـ مقطوعة: أنا يا مدير الراح[1]:

أنا[2] يا مُدير الرَّاحْ	أفْناني الغَرامْ
ويَومْ نراكْ نَرتاحْ	يا بَدْرْ التَّمامْ
وجهكَ يُغني عنْ مصباحْ	ليلة الظلامْ[3]
قُلْ لي كَيْف نْطيقْ	نَصبُرْ[4] يا صَديقْ
بْفَضلَكْ يا نُورْ عَيْني	تْكُونْ[5] لي رَفيقْ
مَليحُ الحِمَى قَدْ زارْ	وَأنْعَمْ بالوِصالْ
ورُوحي قدْ تَعطَّرْ	يَا بَدْرَ الكَمالْ
بَعْد الغَيْبْ يَا حُضَّارْ	طْلَعْ الهِلالْ
بِوجْهِ شَريقْ	مُجْلى كُلَّ ضيقْ
بِفَضلِكْ يَا نُور عَيْني	تْكُونْ لي رَفيقْ
يَا مَعْشَر الفُقَرَا	طَبِيبِي حكِيمْ

[1] هذه المقطوعة الزجلية؛ نسبها بعضهم إلى أبي الحسن الششتري. وضمّها جامع ديوانه ومحققه إلى قصائده؛ ولكنه شكك فيها. بل؛ وضعها في آخر الديوان ضمن بعض القصائد المبتورة الملحقة بالديوان الأصلي؛ معتقداً أنها من المقطوعات المتداولة بين أعضاء السادة الشاذلية. ومن هنا تكون أقرب لما أنتجه أبي مدين شعيب؛ حيث أن معظم قصائده متداولة بين مريدي الطريقة الشاذلية. كما أن ما نسب إلى الششتري ناقص ومبتور؛ ولا يضاهي ما ورد في مقطوعة أبي مدين.

[2] في نص: ((ألا)).

[3] في نص: ((ليلة الظلام)).

[4] في نص: ((أصبر)).

[5] في نص: ((تكُنْ)).

أطْلَعْـــني عَلَى الحَضْرَهْ كَـــانْ لِي نَديــمْ
سَقَـــاني مَزِيـــدَ خَمْـــرِهْ مِنْ خَمْرٍ قَدِيــمْ
سَقَـــــاني رحِيــــــقْ أبْيَــضْ كَالشَّقِيقْ
بِفَضْلِكْ يَا نُـــورْ عَيْـــنِي تَكُونْ لي رَفِيقْ

* * *

ـ قصيــدة أدرهـــا (الشهيـــرة بخمريـــة أبي مديـــن):

أَدِرْهَا لَنَا صِرْفًا وَدَعْ مَزْجَهَا عَنَّا
فَنَحْنُ أُنَاسٌ لاَ نَعْرِفُ الْمَزْجَ مُذْ كُنَّا
وَغَنِّ لَنَا فَالْوَقْتُ قَدْ طَابَ بِاسْمِهَا
لأَنَـــا إِلَيْهَا قَـــدْ رُحْـــنَا بِهَا عَنَّـــا
عَرَفْنَا بِها كُلَّ الوُجودِ ولمْ نَـــزَلْ
إلى أنْ بِها كُلَّ المَعارِفِ أنْكَرْنَـــا
هِي الخَمْرُ لَمْ تُعْرَف بِكَرْمٍ يَخُصُّهَا
ولَمْ يُجْلِهَا راحٌ ولمْ تَعْرِفِ الدَّنَّـــا
لَها كُلُّ رُوحٍ تَعْرِفُ العَهْدَ عَهْدَهَا
وفي كُلِّ قَلْبِ جَاهِلٍ لِلسِّوَى مَغْنَى
مُشَعْشَعَةٌ يَكْسُو الوُجُوهَ جَمالُهـــا
وفي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ لُطَافَتِها مَعْنَى

حَضَرْنا وَغِبْنا عِنْدَ نَوْرِ كُؤُوسِها
وَعُدْنا كَأَنَّا لاَ حَضَرْنَا وَلاَ غِبْنَا

وَأَبْدَتْ لَنا في كُلِّ شَيْءٍ إشَارَةً
وما احْتَجَبَتْ إلاَّ بِأنْفسِنا عَنَّا

فَلَمْ تُطِقِ الأَفْهَامُ تَعْبِيرَ كُنْهِهَا
ولَكِنِّها لاَذَتْ بِأَلْطَافِهَا الحُسْنَى

نَصحتُكَ لاَ تَقْصُدْ سِوَى بَابِ حَانِهَا
فَمَنْ وجَدَ الأعْلَى فَلاَ يَطْلُبُ الأدْنَى

مَوَانِعُهَا مِنَّا حُظُوظُ نُفوسِنَا
فإنْ قُطِعَتْ عَنَّا إلَيْهَا تَوَاصلْنَا

تَجلَّتْ دُنُواً وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرِ
وَجلَتْ فَما أغْنَى وَدُقَّتْ فَما أسْنَى

وما الكَوْنُ إلاَّ مَظْهَرٌ لِجَمالِهَا
أرَتْنا بهِ في كُلِّ شَيْءٍ بَدَا حُسْنَا

لَها القِدَمُ المَحْضُ الذي شفَعَتْ بهِ
بَقاءٌ غَدَا يُفْنِي الزَّمانَ وَلاَ يَفْنَى

يُعيدُ ويُبْدي فِعْلُهَا كُلَّ مُحْدَثٍ
وَكُلَّ قَدِيمٍ فَهْيَ قدْ حازَتِ المَعْنَى

فَما وَجَدَ الآباءُ مِنْ لُطْفِ صُنْعِها
على قِدَمِ الأحْيانِ ما أنْكَر الإبْنَا

أُذَاكِرُها قِفْ عِنْدَ حَـدِّكَ وَاقِفـاً

بِعَقْلِكَ عَمَّا حَيَّرَ العَقْـلَ وَالذِّهْنَـا

أَتَزْعُمُ فِيمَا قُلْـتَ أَنَّـكَ عَـارِفٌ

رُوَيْدَكَ ما العِرْفانُ قَالُوا وَلاَ قُلْنا

لَقَدْ رُمْت ما لاَ تَسْتَطِيعَ مَرَامَـهُ

وَأَنَّى لَهـا حَـدٌّ يُكَيِّفُهـا أَنَّـى

كَفاكَ بأَعْيـانِ الوُجُـودُ مُفَكِّـرَا

بِكُلِّ مَلِيحٍ يَمْلأُ العَيْـنِ وَالأُذْنَـا

فَذَلِكَ عَيْنُ العِزِّ إِنْ رُمْتَ عِزَّهَـا

فَمَنْ رَامَ أَنْ يَحْيَا بِها دَائِماً يَفْـنَى

إِلَيْها جَمِيـعُ الكَائِنَـاتِ مَشُوقَـةٌ

تُرِيدُ افْتِخَاراً وَهي عَنْهُنَّ ما أَغْنَى

لهَا مُطْلَقُ الوَجْهِ الحَسينِ الذي نَأَتْ

جِنَايَتُـهُ لَكِنَّهَـا أَبَـداً تُجْـنَى

وَمَا الْعَقْلُ إِلاَّ مِنْ مَوَاهِبِ جودِها

غداً ولَها في أمْرِها طَائِعاً عَـنَّ

يَقُولُ أُنَاسٌ قَـدْ تَمَلَّكَـهُ الهَـوَى

أَجَلْ، لَسْتُ في لَيْلَى بِأَوَّلِ مَنْ جُنَّ

جُنِنْتُ بِها عَنْ كُلِّ ما عَلِمَ الوَرَى

وَأَظْهَرَ لُبْنَى وَالمُرَادُ سِوَى لُبْنَى

وَإِنِّي كَمَا شَاءَ الغَــرَامُ مُوَحِّــدٌ
وَإِنْ مِلْتُ تَمْوِيهاً إِلى الرَّوْضَةِ الغَنَّا

يُذَكِّرُنِي مَــرُّ النَّسِيــمِ بِعُرْفِهَــا
وَيُطْرِبُنِي الحَادِي إِذَا بِاسْمِهَا غَنَّى

وَلاَ عَجَباً مِنِّي الحَنِينُ، وَذُو الهَوَى
إذا سَاقَــهُ شَوْقٌ إِلَى قَصْدِهِ حَــنَّ

فَلِلَّهِ ما أَرضَى فُؤَادي لِمَــا بِــهِ
وذا الحَالُ ما أَحْلَى وَذَا العَيْشُ ما أَهْنَا

أُوَافِقُ قَوْماً ضَمَّهُمْ مَقْعَدُ الهَــوَى
وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمُو قَاصِداً فَنَّــا

فَهذا يُــوَارِي بِالغَزَالَــةِ غَيْرَهَــا
وَهَذا بِعَيْنِ السُّكْرِ يَسْتَلْمِحُ الغُصْنَا

وَهَذَا بِلِينِ العِطْفِ يُبْدِي صَبَابَــةً
وَهَذَا يَرَى مَيْلاً إِلَى المُقْلَةِ الوُسْنَى

وَذَا فِي سُــرُورٍ بِالدُّنُــوِّ وَذَالِــهِ
غَرامٌ وَهَذَا بِالنَّوَى يُظْهِرُ الحُزْنَا

وَذَا بِاسِمٌ إِذْ نَالَ ما كَــانَ طَالِبــاً
وَهَذَا يُسِيلُ الدَّمْعَ قَدْ قَرَّحَ الجَفْنَا

وَذا خَائِفٌ مِنْ قَطْعَةٍ بَعْدَ وَصْلَةٍ
وذا بالرِّضَى منْ حالهِ وَجَدَ الأَمْنَا

وهذا مُحِـــبٌ بالصُّـــدُودِ مُنَعَّـــمٌ
وذا آخِذٌ بالصَّدِّ منْ قُرْبِهِ مُضْنَى

وهذا تَساوَى الوَصْلُ وَالهَجْرُ عِنْدَهُ
فَأَنْحَا إِلَيْها يَقْطَعُ السَّهْلَ والحَزْنَـــا

وهذا يَرَى بالسَّيْفِ مِنْها إِشَـــارَةً
فَيَشْتَاقُ سَعْياً نَحْوَهَا الضَّرْبُ وَالطَّعْنَا

وهذا يَرَى كُلَّ الجِهاتِ مَقاصِـــداً
وهذا يرَى مَهْداً علَى مَتْنِهِ يُبْـــنَى

وَمَا ضَرَّ هَذا الخَلْقُ وَالقَصْدُ وَاحِدٌ
إذا نَحْنُ أَخلَصْنَـــا إِلَيْهِ تَوَجَّهْنَـــا

دَعَا باسْمِهَا الحَادِي وَنَحْنُ على الغَضَا
فَقُلْتُ لَهُ: "بِاللهِ مِنْ ذِكْرِهَا زِدْنَـــا"

فَجادَ إِلَى أَنْ أَهْدَتِ الرَّكْبُ نَشْوَةً
وَنَحْنُ علَى الأَكْوارِ مِنْ طَرَبٍ مِلْنَا

لَعُمْرِكَ حَتَّى الْعِيسَ لَذَّ لَها السُّرَى
عَجِبْتُ لِشَوْقٍ يَشْمَلُ الرَّكْبَ وَالبُدْنَا

وَحَتَى غُصُونُ الْبَانِ مَالَتْ تَرَنُّمًا
وَغَنَّتْ عَلَيْهِ كُـــلُّ صَادِحَةٍ شَجْنَا

أَهَلْ عَائِدٌ لِي وَقْتٌ كَيْ أَرَى بِهَـــا
خَيَالَ سِوَى زَائِرِ مَضْجَعِي وهُنَا

فَإِنْ جَاءَنِي بالقُرْبِ مِنْها مُبَشِّـــرٌ

وَهَبْتُ لَهُ رُوحِي سُرُوراً وَما أغْنَى

حُيِّينَا بِها دَهْراً وَقَدْ حَكَمَتْ لَنَــا

وَنَحْنُ بِهَا نَحْيَا يَقِينــاً إِذَا مِتْنَــا

فَلَسْتُ أرَى عِنْدِي لِحالِي تَغَيُّــراً

وَلاَ مُطْرِقاً فِكْراً وَلاَ قَارِعاً سِنَّــا

وَإِنِّي علَى مَا أكَّدَ العَهْـدُ بَيْنَنَــا

مَدَى الدَّهْرِ لاَ خُنَّا العُهُودَ وَلاَ حُلْنَا

***

ـ قصيـدة: أشـواق:

تَضِيقُ بِنَا الدُّنْيَا إِذَا غِبْتُـمُ عَنَّــا

وَتَذْهَبُ بِالأَشْـوَاقِ أَرْوَاحُنَا مِنَّــا

فَبُعْدُكُـمِ مَـوْتٌ وَقُرْبُكُـمُ حَيَـا

فَإِنْ غِبْتُمُـوا عَنَّا وَلَوْ نَفَساً مُتْنَــا

نَمُوتُ بِبُعْدِكُـمْ وَنَحْيَـا بِقُرْبِكُـمْ

وَإِنْ جَاءَنَا عَنْكمْ بَشِيرُ اللِّقَا عِشْنَا

وَنَحْيَـا بِذِكْرِكُـمْ إِذَا لَمْ نَرَاكُـمُ

أَلاَ إِنَّ تِذْكَـارَ الأَحِبَّـةِ يُنْعِشْنَــا

فَلَــوْلاَ مَعَانِيكُــمْ تَرَاهَــا قُلوبُنَــا

إِذَا نَحْنُ أَيْقَاظٌ وَفِي النَّوْمِ إِنْ غِبْنَا

لمَتْنَا أَسىً مِنْ بُعْدِكُمْ وَصَبَابَــةً

ولَكِنَّ فِي المَعْنى مَعَانِيكُمْ مَعْنَــا

يُحَرِّكُنَا ذِكْرُ الأَحَادِيــثِ عَنْكُــمُ

وَلَوْلاَ هَوَاكُمْ فِي الْحَشَا مَا تَحَرَّكْنَا

فَقُلْ لِلَّذي يَنْهَى عَنِ الْوَجْدِ أَهْلَــهُ

إِذَا لَمْ تَذُقْ مَعْنى شَرَابِ الْهَوى دَعْنَا

إِذَا اهتَزَّتِ الأَرْوَاحُ شَوقاً إِلى اللِّقَا

تَرَقَّصَتِ الأَشْبَاحُ يَا جَاهِلَ الْمَعْنى

أَمَا تَنْظُرُ الطَّيْرَ الْمُقَفَّص يا فَــتى

إِذَا ذَكَرَ الأَوْطَانَ حَنَّ إِلى الْمَغْنى

يُفَــرِّجُ بِالتَّغْرِيدِ مَــا بِفُــؤادِهِ

فَتَضْطَرِبُ الأَعْضَاءُ فِي الْحِسِ وَالْمعْنى

وَيَرْقُصُ فِي الأَقْفاصِ شَوقاً إِلى اللِّقَا[1]

فَتَهْتَــزُّ أَرْبَابُ الْعُقُولِ إِذَا غَــنّى

كَذلِكَ أَرْوَاحُ الْمُحِبِّيــنَ يَا فَــتى

تُهَزِّزُهَا الأَشْوَاقُ لِلْعَالَــمِ الأَسْــنى

---

[1] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((ويرقص في الأقفاص من فرط وجده)).

أَنُلْزِمُهَا[1] بِالصَّبْرِ وَهْيَ مَشُوقَــةٌ

وَهَلْ[2] يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ مَنْ شَاهَدَ الْمَعْنى

إِذَا لَمْ تَذُقْ مَا ذَاقَتِ النَّاسُ فِي الْهَوى

فَبِاللهِ يَا خَالِي الْحَشَــا لاَ تُعنِّفْنَــا

وَسَلِّمْ لَنَــا فِيمــا ادَّعَيْنَــا لأَنَّنَــا

إِذَا غَلَبَتْ أَشْوَاقُنَــا رُبَّمَا صِحْنَــا

وَتَهْتَــزُّ عِنْــدَ الإِسْتِمَاعِ قُلُوبُنَــا

إِذَا لَمْ نَجِدْ كَتْمَ الْمَوَاجِيدِ صَرَّحْنَا

وَفِي السِّرِّ أَسْرَارٌ دِقَــاقٌ لَطِيفَــةٌ

تُرَاقُ دِمَانَا جَهْــرَةً إِنْ بِهَا بُحْنَــا

فَيَا حَادِيَ الْعُشَّاقِ قُمْ وَاحْدُ قَائِمــاً

وَزَمْزِمْ لَنَا بِاسْمِ الْحَبِيبِ وَرَوِّحْنَا

وَصُنْ سِرَّنَا فِي سُكْرِنَا عَنْ حَسُودِنَا

وَإِنْ أَنْكَرَتْ عَيْنَاكَ شَيْئاً فَسَامِحْنا

فَإِنَّا إِذَا طِبْنَــا وَطَابَــتْ نفوسنــا[3]

وَخَامَرْنَا خَمْــرُ الْغَرَامِ تَهَتَّكْنَــا

---

[1] في نص: ((أتلزمها)).

[2] في نص: ((هل))؛ بدون واو.

[3] في نص: ((عقولنا)).

فَلاَ تَلُمِ السَّكْرَانَ فِي حَالِ سُكْــرِهِ
فَقَدْ رُفِعَ التَّكْلِيف فـِ سُكْرِنَا عَنَّـــا

***

ـ مقطوعــة: جئــت مستخفيــا[1]:

جِئْتُ مُسْتَخْفِيــاً وَقَدْ عَرَفُــوني
هَا أنَا[2] تَائِـــبٌ تُـــرَى يَقْبَلُــونِي
لي على البابِ مُذْ وقفتُ زمانـــاً[3]
كُلَّما رُمْــتُ وَصْلِهِــمْ أبعــدوني[4]
لمْ أكُنْ لِلْوِصـــالِ أهْــلاً وَلَكِــنْ
أنْتُــمُ بِالْوِصـــالِ أطْمَعْتُمُــونِي
فَاجْبُـــروا كَسْـــر مُذْنبٍ قد أتَاكُمْ
يَرتجي عَفْوَكُمْ بِكُمْ فَارْحَمُــوني
في بِحارِ الهَوَى غَرِقْتُ بِوجْـــدِي
طَالَ شَوْقِي لَهُمْ وَقَـــدْ تَرَكُــونِي
يـــا ولاةَ القلُـــوب رفقـــاً بعبـــدٍ
ضَـــاعَ مِنْهُ فُـــؤادَهُ فاعْـــذُرُوني

---

[1] ثمـة مـن ينسب هـذه المقطوعـة لأبي حسـن الشـاذلي؛ مـع أنهـا للشيخ القطـب أبي مديـن شعيـب؛ في رأي كثيـر مـن المهتميـن بالشعـر الصـوفي.

[2] في نـص: ((فأنــا)).

[3] جاء هذا الشطر في أحد النصوص هكذا: ((أنَا بالبَـابِ وَاقِـفٌ لي دهـر)).

[4] في نـص: ((منعوني)).

أَيَّهَا النَّفْــسُ سَاعِدِينِي وَنُــوحِي[1]

وَيْحَ قَلْبِي وَمُهْجَــتِي هَجَــرُونِي

***

ــ مقطوعــة: طــال اشتيــاقي:

طَالَ اشْتِيــاقِي وَلاَ خلٌّ يُؤَانِسُــنِي

وَلاَ الزَّمَانُ بِمَا نَهْــوَى يُوَافِيــنِي

هَذا الحَبِيبُ الذي في القَلْبِ مَسْكَنُهُ

عَلَيْــهِ ذُقْتُ كُؤُوسَ الذُّلِّ وَالمِحَــنِ

عَلَيْهِ أَنْكَــرَنِي مَنْ كَانَ يَعْرِفُــنِي

حَتَّى بَقِيــتُ بِلاَ أهْــلِ وَلاَ وَطَــنِ

قَالُوا جُنِنْت بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُــمْ

مَــا لَــذَّةُ الْعَيْــشِ إلاَّ لِلْمَجَانِيــنِ

***

ــ مقطوعــة: اللـــه ربــي:

اللهُ رَبِّي لاَ أُرِيدُ سِــوَاهُ   هَلْ في الْوُجُودِ الْحَيِّ إِلاَّ اللهُ

ذَاتُ الإلـــهِ قِوَامُ ذَوَاتِنَ   هَلْ كَانَ يُوجَدُ غَيْرُهُ لَــوْلاَهُ

***

---

[1] في نـص: ((وجِدِّي)).

ـ قصيــدة: إني إذا ما ذكــرت ربي أو (الله الله مــالي سواه):

اللـــهْ اللـــهْ اللـــهْ

اللـــهُ اللـــهُ مـــالِي سِـــواهْ

إنِّي إذَا مَـــا ذَكَـــرْتُ رَبِ

يَهْتَـــزُّ شَـــوْقِي إلَى لِقَـــاهْ

اللـــهْ اللـــهْ اللـــهْ

اللـــهُ اللـــهُ مَـــالِي سِـــواهْ

***

طَابَتْ حيَاتِي وَضـــاءَ قَلْـــبِي

بِذِكْـــرِ رَبِّي جَـــلَّ ثَنَـــاهْ

اللـــهْ اللـــهْ اللـــهْ

اللـــهُ اللـــهُ مَـــالِي سِـــواهْ

***

مَـــا ذَاق طَعْـــمَ الغَـــرَامِ إلاَّ

مَنْ عَرَفَ الوَصْـــلَ أوْ دَرَاهْ

يَا فَـــوْزَ قَـــوْمٍ بِـــاللهِ فَـــازُوا

فَلَمْ يَرَوْا في الوَرَى سِـــوَاهْ

اللـــهْ اللـــهْ اللـــهْ

اللـــهُ اللـــهُ مَـــالِي سِـــواهْ

***

قَرَّبَهُــمْ مِنْــهُ فَاجْتَبَاهُـــمْ
فَنَزَّهُــوا الفِكْــرَ في عُــلاَهْ
لَيْسَ لَهُــمْ لِلسِّــوَى الْتِفَــاتٌ
كَيْــف وَقَدْ شَاهَــدُوا سَنَــاهْ
اللــهْ اللــهْ اللــهْ اللــهْ
اللــهُ اللــهُ مَــالِي سِــواهْ
***
أزَالَ حُجْبَ الغِطَــاءِ عَنْهُــمْ
فَاسْتَنْشَقُــوا نَفْحَــةَ هَـــوَاهْ
تَجَــلَّى بِالنُّـــورِ وَالبَهَــاءِ
لَهُمْ فَقَالُوا يَا هُو قالوا يَا هُــو[1]
فَقَــالَ إنِّي لَكُــمْ مُحِــبٌ
رَبٌ كَرِيــمٌ نِعْــمَ الإلَـــهْ
اللــهْ اللــهْ اللــهْ اللــهْ
اللــهُ اللــهُ مَــالِي سِــواهْ
***
المُلْكُ مُلْكِي والأَمْــرُ أَمْــرِي
أَنْتُمْ عَبِيــدِي وَالْجَــاهُ جَــاهْ

---

[1] في هذا الشطر خلل.

الجُودُ جُودِي وَالفَضْلُ فَضْلِي

أَنَــا الَّــذِي يُرْتَــجَى عَطَــاهْ

اللــهْ اللــهْ اللــهْ اللــهْ

اللــهُ اللــهُ مَــالِي سِــواهْ

***

أَقْبَــلُ مَنْ تَابَ مِنْ عِبَــادِي

وَلاَ أُبَــالِي بِمــا جَنَــــاهْ

الحُبُّ حُبِّي وَالقُــرْبُ قُــرْبِي

وَالعِزُّ عِــزِّي فَادْخُلْ حِمَــاهْ

اللــهْ اللــهْ اللــهْ اللــهْ

اللــهُ اللــهُ مَــالِي سِــواهْ

***

قَلْبُــكَ مُتَّسِعْ بِكَــأسِ شُــرْبِي

طَرْفُــكَ نــزِّهْ بِمَــا تَــرَاهْ

وَانْظُــرْ بِهِ نَظْــرَةَ اعْتَبَــارْ

فِي أرْضِ مَــوْلاَكَ أوْ سَمَــاهْ

اللــهْ اللــهْ اللــهْ اللــهْ

اللــهُ اللــهُ مَــالِي سِــواهْ

***

ـ قصيــدة: زاد الغــرام:

يا قلبُ زُرتَ وما انْطوَى ذاكَ الجَوَى
عَجباً لقلبٍ بالنَّعيــمِ قدِ اكْتَــوَى
زادَ الغــرامُ وزالَ كلُّ تَصبُّـــرِ
عَالَجْتُهُ قَبْلَ الزِّيــارَةِ فَانْطَــوَى
ولَهيبُ وجْــدٍ هَيَّجَتْــهُ رَوْضَـــةٌ
مِنْ أجْلِها حُلَّتْ مِنَ الصَّبْرِ القُوَى
بلْ زادَ شَوْقي لِلْحَبيــبِ وَرامَـــةٍ
وَالأبْرَقَينِ وما لِمُنْعَرِجِ اللِّـــوَى
تَاللهِ ما شَــوْقي لِطَيْبَــةَ بَعْدَمَـــا
زُرْتُ الحَبيبَ وقَبْلَــهُ إلاَّ سِــوَى
أرْضٌ أحَبُّ إلَى العَلِيِّ مِنَ العُلَى
نَزَلَ الرَّسولُ بِها وَفيها قَدْ ثَــوَى
يا تُرْبَةً مَا مِثْلُهَــا مِــنْ تُرْبَـــةٍ
فيها الشِّفاءُ لِكُلِّ عَــاصٍ وَالــدَّوَا
يا رَوْضَةً ما مِثْلُها مِنْ رَوْضَـــةٍ
يا سَعْدَ مَنْ في جَنَّةِ المَأْوَى أوَى
كمْ لي أنُوحُ على الوُصُولِ وَعِنْدَما
أوْصَلْتَني أصْلَيْتني نارَ الجَــوَى

فَكَأنَّني الظَّمْآنُ صـــادَف قَطْــرَةً

فَتَضاعَف الظَّمأُ الشَّديدُ وما ارْتَوَى

قَسَماً بِطَهَ وَهْــو ياسيــنُ الــذي

قَدْ جاءَ في النَّجْمِ العَظيمِ إذا هَوَى[1]

وَبِقَابَ قَوْسَيْنِ الذي هُوَ قَدْ دَنَــا[2]

مِنْ رَبِّهِ ذُو مِــرَّةٍ ثُــمَّ اسْتَــوَى[3]

لأُجَــدِّدَنَّ نِياحَــتي بِسِياحَــتي

أسَفاً على ذاكَ المَقامِ وما حَــوَى

حَتَّى أمُــوت وإنْ أمُــتْ مُتَيَّــراً

فَلِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ مـــا قَــدْ نَــوَى

يا رَبِّ أسْألُكَ الرِّضَى وَالعَفْوَ عَنْ

ما قَدْ مضى يا مَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى

---

[1] إحالة إلى أول آية من سورة النجم؛ وهي: ((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)).

[2] إحالة إلى قوله تعالى: ((فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ)). سورة النجم، الآية: 7.

[3] إشارة إلى قوله تعالى: ((عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۞ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ)). الآيتان: 5 - 6 من سورة النجم.

أعْتِقْ عُبَيْدَكَ مِنْ لَظَى نَارِ غـــدًا
نَزَّاعَـــةٍ يَـــوْمَ القِيامَـــةِ لِلشَّـــوَى[1]

بِمُحَمَّدِ الْمُخْتَـــارِ خَاتِـــمِ رُسْلِـــهِ
طَهَ على فَضْلِ الجَميعِ قَدِ احْتَوَى

فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّ العُـــلَى صَلَوَاتُـــهُ
وَسَلاَمُهُ ما غَرَّدَتْ وُرَقُ اللِّـــوَى

***

قصيـــدة: لســـت أنـــسى الأحبـــاب[2]:

لَسْـــتُ أَنْسَى الأَحْبَابَ مَادُمْتُ حَيَّـــاً
مذْ نَـــأَوْا لِلنَّوى مكَانَـــاً قَصِيَّـــا

وَتَلَـــوْا آيَـــةَ الـــوَدَاعِ فَخَـــرُّوا
خِيفَـــةَ البَيْـــنِ سُجَّـــداً وَبُكِيَّـــا

وَلِذِكْرَاهُـــمُ تَسِيـــحُ دُمُـــوعِي
كُلَّمَـــا اشْتَقْـــتُ بُكْـــرَةً وعَشِيَّـــا

---

[1] إحالـة إلى قولـه تعـالى: ((كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى)). الآيتـان: 15 - 16 مـن سـورة المعـارج.

[2] استمـد أبـو مدين موسيقى هـذه القصيدة مـن فيض مـا جـادت بـه موسيقى القـرآن الكريـم. فقـد تأثـر بمـا استوعبـه مـن سـورة مريـم؛ الـتي تسيـل عذوبـة في موسيقاهـا، وتفيض طـلاوة وسلاسـة في لغتهـا ومعناهـا. لـذا فقـد التـزم في قافيـة القصيـدة بنهايـات أيـات تلـك السـورة الكريمـة.

وَأُنَــاجي الإِلَهَ مِنْ فَــرْطِ وجْــدِي

كَمُنَاجَـــاةِ عَبْـــدِهِ زَكَرِيَّـــا

وَهَــنَ الْعَظْــمُ بالْبُعَــادِ فَهَــبْ لِي

رَبِّ بِاللطْــفِ مِنْ لَدُنْــكَ وَلِيَّــا

وَاستَجِبْ فِي الْهَوى دُعَــائِي فَــإِنِّي

لَــمْ أَكُــنْ بِالدُّعَــاءِ رَبِّ شَقِيَّــا

قَــدْ فَــرَى قَلْــبِي الْفِــرَاقُ وَحَقّــاً

كَانَ يَوْمُ الْفِــرَاقِ شَيْئــاً فَرِيَّــا

وَاخْتَــفى نُورُهُــمْ فَنَادَيْــتُ رَبِّي

في ظَلاَمِ الــدُّجى نِــدَاءً خَفِيَّــا

لَمْ يَــكُ الْبُعْــدُ بِاخْتِيَــارِي وَلَكِــنْ

كَــانَ أَمْــراً مُقَــدَّراً مَقْضِيَّــا

يَــا خَلِيــلَيَّ خَلِّيَــانِي وَوَجْــدِي

أَنَا أَوْلَى بِنَــارِ وَجْــدِي صِلِيَّــا

إِنَّ لِي فِي الْغَــرَامِ دَمْعــاً مُطِيعــاً

وَفُؤاداً صَبَــا وَصَبْــراً عَصِيَّــا

أَنَا مِنْ عَــاذِلِي وَصَبْــرِي وَقَلْــبِي

حَائِــرٌ أَيُّهُــمْ أَشَــدٌّ عِتِيَّـــا

أَنَــا شَيْــخُ الْغَــرَامِ مَــنْ يَتَّبِعْــنِي

أَهْدِهِ في الْهَوى صِرَاطــاً سَوِيَّــا

أَنَا مَيْــتُ الْهَــوى ويَــوْمَ أَرَاهُــمْ

ذلِكَ الْيَــوْمُ يَــوْمَ أُبْعَــثُ حَيَّــا

❋ ❋ ❋

قصيدة غوثية أبي مدين

ومن الأعمال الشعرية التي تنسب ـ كذلك ـ إلى **أبي مدين شعيب**؛ المنظومة المسماة "**بغوثية أبي مدين**" أو (غيثية أبي مدين) وتوجد نسخة من مخطوطها في معهد الثقافة والدراسات الشرقية بجامعة طوكيو باليابان. نسخت بخط مغربي متوسط الجودة. وتتخللها بعض الكلمات المستمدة من اللهجة الدارجة؛ كما تعتريها بعض الهنّات الفنية، والإملائية؛ مما يجعلها بعيدة عن روح **أبي مدين** الشعرية. على الرغم من إمكان إلصاق الخلل بالناسخ. وقد حرصت شخصياً على إثباتها هنا بكاملها ـ بعد أن قمت بنسخها من جديد، والتعليق عليها. وهي كالتالي:

باسْمِ الإلَهِ نَبْتَدي الغَوْثِيَّهْ
مُصَلِّياً مُسَلِّماً بِالنِّيَّهْ
على النَّبِيِّ الطَّاهِرِ المَقْبولِ
مُحَمَّدٍ عَوْناً على المَأْمُولِ

لما رأت[1] الحال ضاق واتضــحْ

وَاشْتَعَلَ الحَرْبُ لِوَجْـــهِ وَانْفَتَـــحْ

وَافْتَرَس العَـــدُوُّ قَلْبِ[2] وَاقْتَـــرَحْ

وَظَهَـــر الغُلْـــبُ عَلَيَّ وَاتَّضَـــحْ

إذْ ذَاكَ بِالْقَرِيحَـــةِ نَطَقْـــتْ

بِحَـــرِّ نَـــارِ الوَجْـــدِ ثُـــمَّ قُلْـــتْ

فَلَمَّـــا بَانَ العَجْـــزُ مِنِّي وَالْمَلَـــلْ

وَبَعْـــدَ الصَّبْـــرِ وقلـــة[3] الحِيَـــلْ

نَدَيْـــتُ[4] غوثـــاً يَا لِحِزْبِ اللَّـــهِ

الغَالِبِيـــنَ فِي العُـــلَى وَالْجَـــاهِ

يَـــا لِلنَّبِيِّيـــنَ، وَيَـــا لِلْمُرْسَلِيـــنْ

غَوثاً وَيَا لِبَدْرٍ يَا حُمَاةَ[5] السَّابِلِينْ

يَـــا لِلتَّصـــوُّفِ وَذَا البُرْهَـــانْ

غَوثـــاً وَيَا لِبَيْعَـــةَ[6] الرّضْـــوَانْ

---

[1] هكذا. ولكي يستقيم الوزن؛ يستحسن جعلها: ((لَمَّا رَأيتُ)).
[2] هكذا. للضرورة
[3] كتبها الناسخ: ((وكلة الحيل))؛ بالكاف. وجملة القول فهذا الشطر غير موزون.
[4] هكذا. للضرورة.
[5] في الأصل: ((حمات)). بالتاء المفتوحة.
[6] في الأصل: ((بيعت)). بالتاء المفتوحة.

يَـــا خُلَفَـــا ويَا تَمَـــامَ العَشْـــرَهْ
يَا لِعُيُـــونِ الخَلْـــقِ يَا لِلصّفْـــرَهْ[1]
يَـــا لِلإِغَاثَـــةِ وَيَـــا لِلتَّبْطِيـــــنْ
وَيَا لِرِجَـــالِ اللَّـــهِ يَا لِلْمَانِعيـــنْ
يَا غوثُ يَا أستَاذُ يا عَيْنُ الـــوُلاَةْ[2]
غِثْنِي إِنَّنِي مَعِي عَيْنَ المُهْلِكَـــاتْ
نَفْسِي وَذَنْبِي ثُمَّ إِبْلِيـــسُ الرَّجِيـــمْ
مَعَ احتِيَاجٍ، قَدْ رَمَوْنِ[3] في الجَحيمْ
سَأَلْتَكُمْ بِاللَّهِ فَانصُرُوا الْحَزِيـــنْ
وَفَرِّحُونَ[4] وَاهْزُمُوا جُنْدَ اللَّعِيـــنْ
يَا قُطُبَـــا يا نُجَبَـــا [5] يَـــا أُوتَـــادْ
يَا نُقَبَـــا يا بُـــدَلاَ [6] يَـــا زُهَّـــادْ
يَـــا فُقَهَـــا يَـــا خُطَبَـــا يَا أُمَـــرَا[7]
يَا تَابِعيـــنَ شَرْعَ سَيِّـــدِ الـــوَرَى

---

[1] هكذا رسمها الناسخ. ولعلها الصفوة.
[2] في الأصل: ((الـوُلات)).
[3] هكذا. للضرورة.
[4] أي: وفرحوني. اضطر لكتابتها بدون ياء.
[5] أي: يـا قطباء؛ ، يا نجباء؛ ألغيت الهمزة للضرورة.
[6] أي: يـا نُقبَاء يـا بُدَلاَ؛ بالهمزة.
[7] هكذا بدون همزة للضرورة.

يَـــا بُهَــلاَ يَا عُــدَلاَ[1] يَــا فُــرَادْ

يَا مَنْ لَهُمْ في الكَوْنِ شَانٌ[2] يَزْدَادْ

يَا مَنْ لَهُمْ تُطْوَى فُجُوجُ الكَــوْنِ

يَا سَادَتي بِاللَّــهِ كُونُــوا عَــوْنِي

يَا أُمَنَــاءَ اللَّـــهِ في كُلِّ الــدوال[3]

غَوْثــاً لِمُذْنِبٍ مِنْ قَيْدِ مَنْ كَسَــلْ

يَا في مَعينِ الشَّــرْعِ وَالحَقيقَــهْ

يَــا سَالِكيــنَ مَسْلَــكَ الطَّريقَــهْ

بِحَقِّكُــمْ دُلاَّني يَــا مــــوَالِي

نَدَهْتُكُــمْ كُــل[4] عــلى التَّــوَالِي

لأَنَّــنِي على طَريــقٍ تَالِــفِ

غِيْــثُ[5] خديمَكُمْ يا هْلَ[6] المَعَارِفِ

فَانْقِــذُوني واصْلِحُــوا فَسَــادِي

إِنِّي بِبَــابِ فَضْلِكُــمْ نُنَــــادِي[7]

---

[1] أي: يَـا فُقهَـاء يَـا خُطبَـاء يَا أُمَـرَا؛ وحذفت الهمـزة للضـرورة.
[2] أي: شـأن.
[3] هكـذا.
[4] هكـذا.
[5] أي: غيثـوا (أغيثـوا). ولكن الضـرورة سمحـت بمـا ورد.
[6] رسمـت هكـذا. أي: يـا أهـل المعـارف.
[7] هكـذا.

يَا أوْلِيَــاءَ[1] اللَّــهِ طُــراً بَــدرُوا

لِنُصْرَتي في كُلِّ وَقْتٍ واحْضَرُوا

كَأنِّي مَغْلُــوبٌ وَضَــاقَ حَــالِي

كُونُوا شَفِيعــاً عِنْدَ ذِي الجَــلاَلِ

عَــسَى يَمُنَّ بِالرِّضَى وَالقُــرْبِ

وَتَوْبَــةً تَمْحُــو جَميــعَ الذَّنْــبِ

يَا لِرِجَــالِ الغَــوْثِ وَالإغَاثَــهْ

يَا لِرِجَــالِ الصَّبْــرِ وَالعَفَافَــهْ

يَا لِحُمَــاةِ[2] الدِّيــنِ يَا لِلْمَشْــوَرَهْ

غَوْثــاً لِلْقَلْــبِ إنِّي في الغَمَــرَهْ

نَدَهْتُــمُ مِنْ تَحْتِ أطْبَاقِ الثَّــرَى

شُفُولِي حَالي وَانْظُرُوا كَيْف جَرَى

يَا لِلتُّــقَى وَالــدُّرِّ يَا أهْلَ العَــدَدْ

يَا لِلنُّهَى وَالنَّصْرِ يَا أهْلَ المَــدَدْ

يَــا لِلتَّجَهُّــد وَيَــا لِلأذْكَـــارِ

يَــا لِلتَّبَتُّـــل وَيَــا لِلأسْهَــارِ[3]

---

[1] رسمت هكذا: ((ياولياء))

[2] رسمت هكذا: ((حمات))؛ بالتاء المفتوحة

[3] رسمت هكذا: ((لأصهار))؛ بالصاد.

الصَّائِمُونَ الفَاتِحُونَ الخَاشِعُـــونْ
الهَارِعُونَ القَانِتُونَ الوَاصِلُـــونْ[1]
التَّائِبُونَ العَابِــدُونَ الحَامِــدُونْ
السَّايِحُونَ الرُّكَعُونَ السَّاجِــدُونْ
الآمِــرُونَ النَّاس بِالْمَعْـــــرُوفِ
تَعَاوَنُـــوا في نُصْـــرَةِ المَلْهُـــوفِ
يَــا سَــادتي عُبَيْدُكُــمْ كَايِـــبٌ[2]
وَمَـــا لَـــهُ سِواكُــمُ طَبيــــبُ
قُومُوا مَعِي لِرَبِّي يُجْلِي كَـــرْبِي
وَيَشْــفِي قَلْبِي مِنْ عُيُوبِ الذَّنْــبِ
يُصْلِحُ حَــالِي بِحَــلاَلِ الــرِّزْقِ
وَيَكْتُبُ اسْمِي في مَحَلِّ الصِّــدْقِ
لِلَّـــهِ غَوْثــاً يَا رِجَــالَ الحَــقِّ
لِمُذْنِــبٍ ذُلَّ مَــا بَيْــنَ الخَلْــقِ
ضَاقَتْ مَذاهِبٌ وَاشْتَدَّتِ الْكَــرْبْ
وجِئْتُكُمْ حَيْــرَانَ الْقَلْبِ مُلْتَهِــبْ
في سَاعَةِ الحوجِ وَضَاقَتْ حِمْلِي
حِنُّـــوا عَلَيَّ بِالْغِــنَى وَالفَضْــلِ

[1] كتبت: ((الوصلون))؛ بدون الف المد.
[2] أي: كئيب.

يَا وَرِثُونَ[1] العِلْمِ يَا أَهْلَ الحِكَـــمْ

يَا لِلسَّخَا[2] وَالحِلْمِ يَا أَهْلَ الكَـــرَمْ

يَـــا سَـــادَتِي عُبَيْدُكُـــمْ عَسِيـــرْ

جُـــدْ عَـلَـيَّ إِنَّـــنِي فَقِيــــرْ

إِنِّي سَقِيمُ القَلْبِ مِنْ ذَوِي العَـــرَجْ

غِيثُـــوا العَلِيلَ بِـــدَوَاءٍ وَفَـــرَجْ

رِقُّـــوا لِحَـــالِي إِنَّـــنِي طَرِيـــدْ

مُسْتَوْحِـــشٌ فِي غُرْبَـــةٍ فَرِيـــدْ

يَا لِرَسُولِ اللَّـــهِ يَا لِلأَصْحَـــابْ

غِيثُوا الحَزِينَ وَاقِفاً عَلَى البَـــابْ

قَصَدْتُكُـــمْ يَا لِلْجَنَابِ العَــــالِي

فُكُّـــوا وِثَاقِي وَانْظُـــرُوا لِحَـــالِي

فَحَقُّكُـــمْ عَلَيْكُـــمْ، قُـــومُ كُلُّكُـــمْ[3]

بِجَبْـــرِ كَسْرِي وَاكْتُبُونَ[4] بَيْنِكُـــمْ

وَاجْذِبُـــــونِ جَذْبَـــةً لِـــــرَبِّي

بِتَوْبَـــــةٍ وَنَفْحَـــــةٍ لِقَلْــــبِي

---

[1] هكذا كتبت للضرورة.

[2] حذفت الهمزة للضرورة.

[3] هذا الشطر مختل الوزن؛ ولا يقرأ إلاّ بالقراءة الدارجة العامية. وكلمة ((قُومُ))؛ التي حذف منها الواو والألف؛ كتبت هكذا لكي تساير الوزن.

[4] هكذا كتبت. تقرأ كأنها دارجة.

واشْهــدُون النَّظْــرَةَ العاليـــهْ[1]

كَيْ نَسْتَرِيحَ مَعْ ذَوِي الصُّوفِيَّــهْ

يَا كاتِبــاً في الدِّيــوَانِ الرَّبَّــانِي

بِاللَّـــهِ فَاكْتُبْــنِي وَلاَ تَنْسَــانِي

خُونْني[2] عِنْدَكُمْ خديماً يَا كِــرَامْ

وَنَوِّلُــونِ[3] شُرْبَةً تُحْلِ العِظَـــامْ

يَا لِلِّي خذَاتَ[4] الرَّكْبَ يَا أَهْلَ[5] النَّجْوَةِ

خَلَّفْتُمُونِي مُسْتَغِيثــاً في الحلاتِ[6]

عَــارٌ عَلَيْكُمْ يَا رِجَــالَ البَــارِي

تَرَكْتُمُــونِي تَالِــف القِفَـــارِي[7]

يَا نُصْرَتِي الإمَامَ السَّيْف الغَالِبْ

المُرْتَضَى عَلِيٌّ بْنِ أبي طَالِــبْ

---

[1] هذا الشطر مختل الوزن. ولو كانت كلمة ((العاليهْ))، بالتاء المربوطة؛ وقرأت: ((العَالِيَةْ))؛ لأضحى صدر البيت أسلم. غير أن ذلك لا ينسجم مع قافية عجز البيت.

[2] هكذا.

[3] هكذا.

[4] كتبت: ((يالخذات)).

[5] كتبت: ((ياهل))

[6] هكذا. وهذا البيت استدركه الناسخ؛ فكتبه في الهامش؛ موضحاً موضعه.

[7] كتبت الياء في الهامش استدراكاً من الناسخ.

قَلْـبٌ نَديهَـكَ مُحِـبٌ فِيـكْ

غِثْـني بِفَـوْزٍ إنَّـني أرْتجِيـكْ

بِالحَسَنَيْنِ غَوْثـاً يَا نِعْمَ الإمَـامْ

وَاحْمِ جَانِبِ[1] نَاصِراً عَلَى الدَّوَامْ

لِلَّـهِ غوثـاً يَا رِجَـالَ النَّصْـرِ

إنِّي عَميـمٌ في قُيُـودِ العُسْـرِ

يَا لِمُلُـوكِ الأرْضِ وَالسَّمَـاوَاتْ

يَا لِرُؤُوسِ الخَلْـقِ وَالْمُـرُوءَاتْ

نَادَهْتُكُـمْ بِالـذُّلِّ وَافْتِقَـارِ

غِيثُـوا عُبَيْدَكُـمْ بِأخْـذِ ثَـارِي

مِنْ كُـلِّ ظَالِـمٍ وَكُـلِّ ظَالِمَـهْ

وَزَمِّلُوني في المَـرْوِ وَالبَسْمَلَـهْ

أنَا وَأهْـلِ[2] ثُـمَّ أوْلاَدِ الصِّغَـارْ

بِحِفْظِ بِاسْمِ اللَّـهِ عِـزٌّ وَافْتِخَـارْ

لِلَّـهِ غَوْثـاً يَـا رِجَـالَ اللَّـهْ

سَألْتُكُـمْ بِالمُصْطَـفَى الأوَّاهْ

---

[1] أي: جانبي.

[2] أي: أهلي.

يَا رَبِّ يَا رَبِّ بِجَـاهِ القُــرْآنِ

أجِبْ دُعَاءِ[1] يَا عَظِيمَ السُّلْطَــانِ

هَوِّنْ عَلَى حَــالِ[2] وَمَا جَــرَى لِي

عُمْرِي مَضَى وَقَبُحَــتْ فِعَــالِي

ضـــاو....[3] وَيَا مُغِيثَ اغِثْــنِي

ومِنْــكَ فَضْــلاً كمــلا[4] أرِثْــني

أجِرْنِي مِنْ فَقْرِ يُورِثُ الفُجُــورْ

وَمِــنْ غِناً يَطْغَى وَيَطْمِسُ الصُّدُورْ

وَاجْعَــلْ مَا بَيْنَ الحَالَتَيْنِ حَالَــتِي

إنَّــنِي مِنْــكَ نَرْتَــجِي قضــتي[5]

يَـــا سَيِّــدِي بِذَاتِــكَ العَلِيَّــهْ

أجِــبْ دُعَــاءِ وَاقْبَــلِ الشَّكِيَّــهْ

* * *

---

[1] هكذا للضرورة.

[2] هكذا.

[3] كلمة تعذر استجلاؤها.

[4] هكذا.

[5] هكذا كتبت.

الأعمال

النثرية لأبي مدين شعيب

يدخل ـ في هذا الإطار ـ كل ما نسب إلى **أبي مدين** من رسائل خطية، وأقوال شفهية. إذ كان مريدوه يسجلون ما يقوله من مأثور القول، وجوامع الكلم؛ يُستفتاد بها في مجالات عديدة تخصهم؛ منها أقوال في الحكمة والوصايا والدعوة والوعظ والإرشاد. والذي يهمنا هنا؛ لا يخرج عن الجانب الأدبي المحض. لذا فأهم ما يستخلص من أقوال **أبي مدين** في هذا المجال؛ هي مجموع الكتب والرسائل التي ألفها. وكل ما اكتشف ـ حتى الآن ـ هي:

ـ **الرسالة المسماة بعقيدة أبي مدين.** وتدخل ضمن تراث أهل السنة من الأشعرية؛ قام بشرحها شمس الدين محمد بن أبي اللطف (توفي سنة 992هـ/1584م)؛ ونشرها ضمن كتاب سماه: "عقد

المتقــن والعقــد المثمــن بشــرح عقيــدة العــارف أبي مديــن"[1].

ــ ثــم الرسالــة المسمــاة: **أنــس الوحيــد ونزهــة المريــد؛ في علــم التوحيــد والحكــم.** ويســمى أيضــاً بــ" **الحكــم**"؛ شرحــه ــ في البدايــة ــ شهــاب الديــن أحمــد بــن عبــد القــادر الشهيــر باســم باعشــن؛ ونشرهــا ضمــن كتــاب عنونــه بــ: "البيــان والمزيــد المشتمــل عــلى معــاني التنزيــه وحقائــق التوحيــد"؛ قــام بطبــع المتــن مــع الشــرح في ســنــة 1300هــ/1882م. ثــم شرحــه كذلــك شمــس الديــن بــن هــلال الدمشــقي (تــوفي سنــة 1004هــ/1595م)؛ وأدمجــه في كتــاب لــه سمــاه: "فتــح الملــك المجيــد في شــرح رسالــة أنــس التوحيــد"[2]. وقــام أيضــاً أحمــد المشــن ــ في القاهــرة ــ بشــرح هــذه الرسالــة وطبعهــا مــرات عديــدة في سنــوات[3]: 1297 ــ 1300 ــ 1306 هجريــة. وشرحهــا أيضــاً شهــاب الديــن أحمــد بــن إبراهيــم الصديــقي الشهيــر بابــن عــلان (تــوفي ســنــة 1044هــ/1634م)؛ ونشرهــا تحــت عنــوان شــرح

---

[1] **جاء في هامش الصفحة 31؛ من كتاب العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني؛ أن نسخة من مخطوط هذه الرسالة موجودة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم: 1346 تصوف 20.**

[2] **العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني"، ص: 30.**

[3] **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص: 346.**

حكم أبي مدين. وتوجد نسخة منها في المكتبة الظاهرية؛ تحت رقم: 10045. كما تولى ـ حديثاً ـ خالد زَهْري؛ من المغرب الأقصى بتحقيق رسالة **أبي مدين** المذكورة، ونشرها في بيروت؛ بواسطة دار الكتب العلمية؛ سنة 2004م؛ ملحقة برسالة عنوانها "التوفيق في آداب الطريق لابن عطاء الله السكندري"؛ وهي عبارة عن شرح لرائية أبي مدين التي يقول فيها:

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمراء

وقد اختار الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي معظم الحكم الواردة في رسالة أبي مدين هذه؛ فذكر أنها 170 حكمة؛ قام بنظمها وشرحها بشكل موسع؛ ومبوبة حسب دلالاتها ومقتضى الحال. ثم نشرها ضمن كتاب سماه "**المواد الغيثية**". وهكذا؛ فكتاب أنس الوحيد ونزهة المريد؛ عبارة عن تحقيق، لمجموعة من الحكم التي قالها أبو مدين شعيب؛ فاصطلح على تسميتها فيما بعد؛ بالأقوال الغوثية أو الغيثية أو المواد الغيثية. فاشتملها هذا الكتاب.

ـ ثـم **رسالــة مفاتيــح الغيــب لإزالــة الريــب**. قــال محمــد الطاهــر عــلاوي[1] أن الزركــلي في كتــاب الأعــلام ذكــر هــذا الكتــاب؛ غيــر أن النسخــة الــتي اطلعــت عليهــا لا تشيــر إليــه. كمــا أشــار أيضــاً إلى وجــود نسخــة أصليــة مــن هــذه الرسالــة في شستربــتي؛ وهي في 92 صفحــة.

ـ **تحفــة الأريــب ونزهــة اللبيــب**. ذكــره ألفــرد بــال؛ ضمــن مراجعــه الأوربيــة. حيــث أورد عنــوان ترجمــة لهــذه الرسالــة؛ ضمــن كتــاب **LES MARABOUTS**؛ المنشــور بباريــس سنــة 1900م؛ مــن قبــل؛ **E. Doutté**

ـ **رسالــة أبي مديــن**. وهي عبــارة عــن توجيهــات تخــص آداب المريــد؛ مــع بعــض الحكــم. أشــار محمــد الطاهــر عــلاوي[2] أن نسخــة مــن مخطوطهــا موجــودة في دار الكتــب الظاهريــة؛ تحــت رقــم: 123.

ـ وفي الختــام؛ **خطــاب** مبتــور كتبــه **أبــو مديــن** لأحــد أصدقائــه مــن الأوليــاء الصالحيــن بمنستيــر إفريقيــة. نشــرت فقرتــان منــه في كتــاب أنــس الفقيــر وعــز الحقيــر لابــن القنفــذ.

***

[1] العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني، ص: 31؛ الهامش.
[2] نفسه، ص: 31؛ الهامش.

عقيدة

الشيخ الغوث أبي مدين شعيب

***

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم

الحَمْدُ للهِ الَّذِي تَنَزَّهَ عَنِ الحَدِّ وَالأَيْنِ وَالكَيْفِ وَالزَّمَانِ وَالمَكَانِ، المُتَكَلِّمِ بِكَلاَمٍ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ. صِفَةٌ[1] مِنْ صِفَاتِهِ، قَائِمٌ بِذَاتِهِ. لاَ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ[2] وَلاَ عَائِدٌ إِلَيْهِ، لاَ يَحِلُّ فِي المُحْدَثَاتِ، وَلاَ يُجَانِسُ المَخْلُوقَاتِ، وَلاَ يُوصَفُ

[1] في بعض النصوص: ((صِفَةٍ (بالكسر مع التنوين) مِنْ صِفَاتِهِ، قَائِمٍ بذاتِه)). وتقدير ما جاء أعلاه هكذا: هُوَ صِفَةٌ (بالرّفع مع التنوين) مِنْ صِفاتِهِ، قائِمٌ بذاتِهِ. لابتداء الجملة بذلك.

[2] في نص: ((لا مُنْفَصِلٍ عَنْهُ، وَلاَ عَائِدٍ إليهِ)). بينما التزم صاحب الجملة أعلاه بالرفع لابتداء الجملة؛ فاعتبرت أنها: هو لا مُنْفَصِلٌ ولا عَائِدٌ إليهِ.

بِالْحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ، تَنَزَّهَتْ صِفَاتُ رَبِّنَا عَنِ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نُوَحِّدُكَ وَلاَ نَحِدُّكَ[1]، وَنُؤْمِنُ بِكَ وَلاَ نُكَيِّفُكَ، وَنَعْبُدُكَ وَلاَ نُشَبِّهُكَ، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِخَلْقِكَ لَمْ يَعْلَمِ[2] الخَالِقَ مِنَ المَخْلُوقِ: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[3]؛ صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ؛ الَّذِي تَقَدَّسَتْ عَنِ سِمَةِ الحُدُوثِ ذَاتُهُ، وَتَنَزَّهَتْ عَنِ التَّشْبِيهِ بِصِفَاتِ[4] الجُثَثِ صِفَاتُهُ، [وَدَلَّتْ عَلَى وُجُودِهِ مُحْدَثَاتُهُ]،[5] وَشَهِدَتْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ آيَاتُهُ.

الأَوَّلُ الَّذِي لاَ بِدَايَةَ لِأَوَّلِيَّتِهِ، الآخِرُ الَّذِي لاَ نِهَايَةَ لِسَرْمَدِيَّتِهِ[6]، الظَّاهِرُ الَّذِي لاَ شَكَّ فِيهِ، البَاطِنُ الَّذِي لَيْس لَهُ شَبِيهٌ، الحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَلاَ يَفْنَى، القَادِرُ الَّذِي لاَ

---

[1] سقطت هذه الكلمة في بعض النصوص.
[2] في بعض النصوص: ((لم يعرف)).
[3] سورة الإخلاص؛ الآيات: 1 - 2 - 3 - 4.
[4] في نص: ((بصفة)).
[5] سقطت هذه الحملة في بعض النصوص.
[6] في نص: ((لأبديته)).

يَعْجزُ وَلاَ يَعْيَى[1]، المُرِيدُ الَّذِي أَضَلَّ وَهَدَى وَأَفْقَرَ وَأَغْنَى، السَّمِيعُ الَّذِي يَسْمَعُ السِّرَّ وَأَخْفَى[2]، البَصِيرُ الَّذِي يُبْصِرُ[3] دَبِيبَ النَّمْلِ عَلَى السُّفْــلَى[4]، العَالِمُ الَّذِي لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَنْسَى، المُتَكَلِّمُ الَّذِي لاَ يُشْبِهُ كَلاَمُهُ كَلاَمَ مُوسَى [عَلَيْهِ السَّلاَمُ][5] كَلَّمَ مُوسَى بِكَلاَمِهِ القَدِيمِ؛ المُنَزَّهِ عَنِ التَّأْخِيرِ[6] التَّأْخِيرِ[6] وَالتَّقْدِيمِ، لاَ بِصَوْتٍ يُقْرَعُ، وَلاَ نِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَلاَ وَلاَ حُرُوفٍ تُرَجَّعُ، كُلُّ الحُرُوفِ وَالأَصْوَاتِ وَالنِّدَاء مُحْدَثَةٌ بِالنِّهَايَةِ وَالابْتِدَاء، جَلَّ رَبُّنَا وَعَلاَ وَتَبَارَكَ وَتَعَالَى.

لَهُ العَظَمَةُ وَالكِبْرِيَاءُ، [وَلَهُ المُلْكُ][7] وَالقُدْرَةُ وَالسَّنَاءُ، وَالسَّنَاءُ، وَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى وَالصِّفَاتُ العُلَى[8]، حَيَاتُهُ لَيْس لَهَا بِدَايَةٌ؛ فَالبِدَايَةُ بِالعَدَمِ مَسْبُوقَةٌ .قُدْرَتُهُ لَيْس لَهَا

---

[1] في نص: ((ولا يَغنَى)).
[2] في نص: ((والأخفى)).
[3] في نص: ((يدرك)).
[4] في نص: ((الصفا)).
[5] سقطت هذه العبارة في بعض النصوص.
[6] جاءت العبارة في بعض النصوص هكذا: ((هو المُنَزَّهُ (بالرفع) عن التَّأَخُّر والتَّقديم)).
[7] سقطت هذه العبارة في بعض النصوص.
[8] في بعض النصوص: ((العليا)).

نِهَايَةٌ؛ فَالنِّهَايَةُ بِالتَّخْصِيصِ مَلْحُوقَةٌ. إِرَادَتُهُ لَيْسَتْ بِحَادِثَةٍ؛ فَالحَوَادِثُ بِالأَضْدَادِ مَطْرُوقَةٌ. سَمْعُهُ لَيْس بِجَارِحَةٍ؛ فَالجَارِحَةُ مَخْرُوقَةٌ. بَصَرُهُ لَيْس بِحَدَقَةٍ؛ فَالحَدَقَةُ مَشْقُوقَةٌ عِلْمُهُ لَيْس بِكَسْبِيٍّ؛ فَالكَسْبُ[1] بِالتَّأَمُّلِ وَالاسْتِدْلَالِ يُعْلَمُ. وَلاَ بِضَرُورِيٍّ؛ فَالضَّرُورَةُ[2] عَلَى الإِرَادَةِ وَالإِكْرَاهِ تَلْزَمُ[3] كَلاَمُهُ لَيْس بِصَوْتٍ؛ فَالأَصْوَاتُ تُوجَدُ وَتُعْدَمُ. وَلاَ بِحُرُوفٍ[4]؛ فَالحُرُوفُ تُؤَخَّرُ وَتُقَدَّمُ. جَلَّ رَبُّنَا عَنِ التَّشْبِيهِ بِخَلْقِهِ، وَعَنْ كُلِّ خَلْقِهِ[5] وعَنِ القِيَامِ بِكُنْهِ حَقِّهِ. بَلْ هُوَ القَدِيمُ الأَزَلِيُّ الدَّائِمُ الأَبَدِيُّ، الَّذِي لَيْس لِذَاتِهِ قَدٌّ [وَلاَ لِيَدِهِ زَنْدٌ][6] ولا لِوَجْهِهِ خَدٌّ[7]، وَلاَ لَهُ قبلٌ وَلاَ بعدٌ

لَيْس بِجَوْهَرٍ[8]؛ فَالجَوْهَرُ بِالتَّحَيُّزِ مَعْرُوفٌ، وَلاَ بِعَرَضٍ؛ فَالعَرَضُ بِاسْتِحَالَةِ البَقَاءِ مَوْصُوفٌ. وَلاَ بِجِسْمٍ

---

[1] في نص: ((فالكسبيُّ)).
[2] في نص: ((فالضروريُّ)).
[3] جاء في نص: ((عَلَى الإِرَادَةِ والانحراف وَالإِكْرَاهِ يلزم)).
[4] في نص: ((ولا بحرف)).
[5] في نص: ((عن التشبيه بخلقه، وكل خلقه)).
[6] وردت هذه العبارة بعد كلمة "خدّ" الآتية؛ في بعض النصوص.
[7] في نص: ((خَلّ)).
[8] في نص: ((لا بجوهر)).

فَالجِسْمُ بِالجِهَاتِ[1] مَحْفُوفٌ. بَلْ هُوَ خَالِقُ الأَجْسَامِ وَالنُّفُوسِ، وَرَازِقُ أَهْلِ الجُودِ وَالبُؤْسِ، وَمُقَدِّرُ السُّعُودِ وَالنُّحُوسِ، وَمُدَبِّرُ الأَفْلاَكِ وَالشُّمُوسِ، هُوَ اللهُ [الَّذِي][2] لاَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى مِنْ غَيْرِ تَمَكُّنٍ وَلاَ جُلُوسٍ، لاَ العَرْشَ لَهُ مِنْ قَبِيلِ[3] القَرَارِ، وَلاَ الاسْتِوَاءَ عَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الاسْتِقْرَارِ[4] العَرْشُ لَهُ حَدٌّ وَمِقْدَارٌ، وَالرَّبُ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. [مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَظْهَرَ فِيهِ بَعْض مَقْدُورَاتِهِ][5]، العَرْشُ تُكَيِّفُهُ خَوَاطِرُ العُقُولِ وَتَصِفُهُ بِالعَرَضِ وَالطُّولِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَحْمُولٌ، وَهُوَ الذي لا يَحُولُ وَ [القَدِيمُ][6] لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ، كَيْفَ وَالعَرْشُ بِنَفْسِهِ هُوَ المَكَانُ، وَلَهُ جَوَانِبُ وَأَرْكَانُ، وَكَانَ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُكُونَ [لا][7] مَكَانٌ وَلاَ عَرْشٌ

---

[1] في نص: ((بالجهة)).
[2] سقطت هذه الكلمة في بعض النصوص.
[3] في نص: ((من قبله)).
[4] جاءت العبارة في بعض النصوص هكذا: ((وَلاَ التَّمَكُّنُ لَهُ مِنْ جهةِ جِهَةِ ولا الاستِقْرَار)).
[5] سقطت هذه العبارة في بعض النصوص.
[6] سقطت هذه الكلمة في بعض النصوص.
[7] سقطت ((لا)) في بعض النصوص.

وَلاَ زَمَانٌ؟! خَلَقَ المَكَانَ وَالعَرْشَ وَالزَّمَانَ، وَهُوَ الآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ

لَيْس لَهُ تَحْتٌ فَيُقِلُّهُ، وَلاَ فَوْقٌ فَيُظِلُّهُ، وَلاَ خَلْفٌ فَيسْنُدُهُ، وَلاَ جوَانبَ فتَعْدِلُهُ، وَلاَ أَمَامَ فَيحُدُّهُ، لَوْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ لَكَانَ مَحْمُولاً، وَلَوْ كَانَ فِي شَيْءٍ لَكَانَ مَحْصُورًا، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَكَانَ مَخْلُوقًا، جَلَّ رَبُّنَا عَنِ التَّحْدِيدِ وَالتَّقْدِيرِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّكْيِيفِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّصْوِيرِ وَالشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ، ﴿**لَيْس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[1]

***

[1] من الآية 11، من سورة الشورى.

الأقوال العينية (نثراً)

كانت معظم أقوال **القطب الغوث أبي مدين شعيب** عبارة عن جوامع للكلم، وأمثال سائرة، وحكم ذات دلالات وعبر مؤثرة. وكان مريدوه يجمعون ويسجلون ما أمكن من أقواله؛ فوصل منها – إلى الآن – عدد يسير. وقد اعتنى بها كثير من المتصوفة، وبعض الباحثين في التصوف. ويبدو أن ما عرف – حتى يومنا هذا – لا يتعدى ما اشتمله كتاب أنس الوحيد ونزهة المريد؛ الذي ضم 177 قول.

وفي هذا الكتاب؛ المخصص والمحصور في النصوص الأدبية والشعرية؛ سيتم عرضها؛ بغرض قراءتها، والتأمل فيها؛ من زاوية أدبية لا غير. كما تم تحريرها وعزلها عن التصنيفات الداخلة عليها؛ التي لم تذكر أيام **أبي مدين**. ثم عرضت على القراء الكرام بطريقة سهلة؛ تعتمد في الأساس على ترتيب يلتزم بحروف المعجم. من الألف إلى الياء.

ولا بد من الإشارة هنا؛ أن بعض هذه الحكم موجودة في كتاب ابن القنفذ "**أنس الفقير وعز الحقير**[1]؛ فقورنت بما ورد في: كتاب "**أنس الوحيد** لأبي مدين شعيب، وكتاب "**العالم الرباني أبو شعيب التلمسان**" لمحمد الطاهر علاوي. بالإضافة إلى نصوص أخرى اشتملها مواقع ومنتديات في الأنترنات.

***

[1] **سجل ابن القنفذ في كتابه "أنس الفقير وعزّ الحقير"؛ جملة من الأقوال المأثورة عن الشيخ أبي مدين شعيب؛ ووصل عدد من ذكره من أقوال إلى أربعة أربعين حكمة. وقد ذكرها ابن القنفذ بدون ترتيب أو تصفيف كما عمل به - في هذا الزمن - شيخ الطريقة العلوية بمستغانم الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي؛ الذي جمع أقوال أبي مدين المأثورة؛ التي وصل تعدادها 170 قولاً؛ ثم صنفها طبقاً للمواضيع المعبرة عنها. أنظر أنس الفقير ، ص ص: 17 - 19.**

أقوال الغوث أبي مدين[1]

ـ أ ـ

ـ آفَـةُ الخَلْـقِ، سُـوءُ الظَّـنِّ. وآفـة الصوفية اتباع الهوى.

ـ أبنـاءُ الدُّنْيـا يَخْدُمُهُـمْ[2] العَبِيـدُ وَالإمَـاءُ، وأبْنَـاء الآخِـرَةِ يخدمهـم[3] الأحْـرارُ والكُرَمـاءُ[4].

ـ إحْـذَرْ صُحْبَـةَ المُبْتَدِعَـةِ اتِّقـاءَ عـلى دينِـك، واحـذر صحبـة النسـاء اتقـاء عـلى قلبـك.

ـ أحـرص أن تصبـح وتمـسي مفوضـاً مستسلمـاً لعلـه ينظـر إليـك فيرحمـك[5].

ـ أحـرص أن لا يكـون[6] لـك شـيء، تعـرف به كل شيء.

ـ الأحـوال مالكـة لأهـل البدايـات فـهي تصرفهـم[7]، ومملوكـة لأهـل النهايـات فهـم يصرفونهـا.

ـ الأجسـام أقـلام، والأرواح ألـواح، والنفـوس كـؤوس.

---

[1] مرتبة حسب ترتيب حروف الهجاء. ألف ولام التعريف خارج الاعتبار.
[2] في نص: ((تخدمهم)).
[3] سقطت هذه الكلمة في بعض النصوص.
[4] في نص: ((وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والكرماء)).
[5] في نص: ((ويرحمك)).
[6] في بعض النصوص: ((أن يكون)).
[7] في نص: ((لأهل البداية في تصرفتهم)).

ــ إجعــل الصبــر زادك والــرضى مطيتــك، والحــق مقصــدك[1] ووجهتــك.

ــ الإخــلاص مــا خــفي عــن النفــس درايتــه، وعــلى الملــك كتابتــه، وعــلى الشيطــان غوايته وعن الهوى إمالته.

ــ إذا أراد اللــه بعبــد خيــرا آنســه بذكــره ووفقــه لشكــره.

ــ إذا رأيتــم الرجــل تظهــر لــه الكرامــات، وتنخــرق لــه العــادات؛ فــلا تلتفتــوا إليــه؛ ولكــن انظــروا كيــف هــو؛ عنــد امتثــال الأمــر والنــهي.

ــ إذا ســلا القلــب عــن الشهــوات؛ فهــو معــافى.

ــ إذا ظهــر الحــق لــم يبــق معــه غيــره.

ــ استلــذاذك[2] بالبــلاء تحقيــق الرضــا.

ــ الأســرى[3] المقيــدون ثلاثــة[4]: أسيــر نفــس، وأسيــر شهــوة، وأسيــر هــوى.

ــ أســس هــذا الشــأن عــلى الجــد والاجتهــاد، وقطــع المألــوف والاعتيــاد[5].

---

[1] في نص: ((مقصودي)). وهو لا يستقيم.

[2] في نص: ((إلتذاذك)).

[3] في نص: ((الأسارى)).

[4] سقطت عبارة ((المقيدون ثلاثة)) في بعض النصوص.

[5] في نص: ((أسس هذا الشأن على الزهد والاجتهاد)).

ـ أسمـــاء اللـــه تعـــالى بهـــا تعلـــق وتخلـــق وتحقـــق. فالتعلـــق الشعـــور بمعـــنى الاســـم. والتخلـــق أن يقـــوم بـــك معـــنى الاســـم. والتحقـــق أن تفـــنى في معـــنى الاســـم.

ـ أضـــر الأشيـــاء عـــلى العبـــد مخالطـــة مـــن لا يـــرى حـــب ربـــه فـــي أفعالـــه، وأقوالـــه، وعقائـــده.

ـ أضـــر الأشيـــاء صحبـــة عالـــم غافـــل، أو صـــوفي جاهـــل، أو واعـــظ مداهـــن[1].

ـ اضمحـــلال الرســـوم، وفنـــاء العلـــوم[2]؛ لتحقيـــق العلـــوم؛ مِنَّتـــه عـــز وجـــل..

ـ اطـــرح الدنيـــا عـــلى[3] مـــن أقبل عليها[4] وأقبل على مولاك.

ـ أغـــنى الأغنيـــاء مـــن أبـــدى لـــه الحـــق حقيقـــة مـــن حَقَّـــه، وأفقـــر الفقـــراء مـــن ستـــر الحـــق حقـــه عنـــه.

ـ أفضـــل الطاعـــات عمـــارة الأوقـــات[5] بالموافقـــات.

ـ أفقـــر الفقـــراء مـــن ستـــر الحـــق عنـــه.

---

[1] وردت في نص هكذا: ((من أضر الأشياء على المريد صحبة عالم غافل عن مراعاة ربه بقلبه، أو صوفي جاهل بأحكام الشريعة، أو واعظ يداهن الناس ويرخص لهم طلبا لميلهم إليه)).

[2] في نص: ((الأعمال)).

[3] في نص: ((إلى)).

[4] في نص: ((إليها)).

[5] في نص: ((الوقت)).

ـ إن أقامك الحق[1] ثَبَّتَ[2]، وإن أقمت بنفسك سقطت.

ـ انزعاج القلب لروعة الانتباه، أرجح من أعمال[3] الثقلين.

ـ أنصف للناس[4] من نفسك، وأقبل النصيحة ممن هو دونك[5]، تدرك أشرف[6] المنازل.

ـ أنفع العلوم العلم بأحكام العبيد[7]، وأرفع علم[8] التوحيد[9].

ـ أنفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة، أو نبأ عن حضور.

ـ انكسار العاصي خير من صولة المطيع.

ـ إنما حرموا الوصول بترك[10] الإقتداء بالدليل، وسلوكهم إلى الهوى[11].

---

[1] سقطت كلمة ((الحق)) في عدد من النصوص.
[2] في نص: ((ثبَّتَكَ))، وآخر: ((ثبتت)).
[3] في نص: ((عمل)).
[4] في نص: ((الناس)).
[5] في بعض النصوص: ((واقبل في النصيحة ممن دونك)).
[6] في نص: ((شرف)).
[7] في نص: ((العبودية)).
[8] في نص: ((معرفة)).
[9] في نص: ((وأرفع العلوم علم التوحيد)).
[10] في نص: ((لترك)).
[11] في نص: ((بالهوى)).

ـ أهل الرياضة في المعاملة مع الالتفات إلى الأعمال إنما[1] حُجِبوا بالأعمال عن المعمول له، ولو حصل[2] المعمول له. لاشتغلوا به عن رؤية أعمالهم.

ـ أهل الصدق قليل في أهل الصلاح.

ـ أهل الغفلة والنفوس الدنسة، هم أقل أن يذكروا بأمر ونهى.

ـ الإياس راحة، والقناعة غنى.

ـ إياك أن تميل إلى غير الله؛ فيسلبك[3] لذة مناجاته.

ـ إياكم وصحبة الأحداث.

ـ إياكم والمحاكاة قبل إحكام الطريق، وتمكن الأحوال، فإنها تقطع بكم عن درجات الكمال[4].

- ب -

ـ بأعمالكم وأحوالكم؛ فالشهيد يشاهد حاله؛ فيظن به، والميت يشاهد أعماله؛ فتقلقه وتكربه؛ فهذا بالقبول والرَّد مُخوَّف؛ وهذا بالرحمة والغفران مُبشَّر ومُشرَّف. وقال تعال: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[5].

---

[1] سقطت هذه الكلمة في أحد النصوص.
[2] في بعض النصوص: ((ولولا حصول)).
[3] في نص: ((فيسلبك الله)).
[4] ((عن درجات الكمال)) ساقطة في بعض النصوص.
[5] من الآية: 2 من سورة الفتح.

فقال رضي الله عنه: الاستماع منه، والتبليغ عنه؛ وقال تعالى أيضاً: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾[1]. الدلالة عليه، والتبري من الحول والقوة إليه[2].

ـ البصيرة تحقيق الانتفاع.

ـ بالغفلة تنال الشهوات.

ـ بفساد العامة[3] تظهر ولاة الجور، وبفساد الخاصة تظهر الدجاجلة الفتانون في الدين.

ـ بقاء الأبد[4] في فنائك عنك.

ـ بالمحاسبة يصل العبد إلى درجة المراقبة.

- ت -

ـ ترك الدنيا للدنيا؛ شر من أخذها.

ـ التسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام، وترك الشفقة عليها من الطوارق والآلام.

ـ التعظيم امتلاء القلب بإجلال الرب.

---

[1] من الآية 53 من سورة الشورى.

[2] قال كل هذا رداً على سؤال طرح عليه؛ لتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾. آل عمران الآية 158.

[3] في نص: ((العارف)).

[4] في نص: ((بقاؤك الأبدي)).

ـ التوكـل وُثـوق[1] بالمضمـون واستبـدال[2] الحركة بالسكون.

ـ توكـل عـلى اللـه حـتى يكـون الغالـب عليـك ذكـره[3] عـلى ذكـرك[4]؛ فـإن الخلـق لـن يغنـوا عنك من الله شيئاً.

- ث -

ـ ثبـات الإقـدام سلـوك طريـق الإتبـاع، والائتمـام بالرسـل الكـرام.

ـ ثمـرة[5] التصـوف تسليـم كلـك.

- ج -

ـ جعـل اللـه قلـوب أهـل الدنيـا محـلاً للغفلـة والوسـواس؛ وقلـوب[6] العارفيـن محـلاً[7] للذكر والاستئناس.

ـ الجمـع مـا أسقـط[8] تَفْرِقَتـك[9]، ومَـحَى إشارتـك.

ـ الجمـع استغـراق أوصافـك[10]، وتـلاشي نعوتـك.

---

[1] في نص: ((توكل)).
[2] في نص: ((استبدل)).
[3] عبارة ((عليك ذكره)) سقطت في بعض النصوص.
[4] في نص: ((سرك)).
[5] في نص: ((ثمن)).
[6] في نص: ((وجعل قلوب...)).
[7] في نص: ((مكاناً)).
[8] في نص: ((سقط))
[9] في نص: ((تفرُّقاتك)).
[10] في نص: ((صفاتك)).

- ح -

ـ الحب أوله دوام الذكر، ووسطه الأنس بالمذكور، وأعلاه أن لا ترى شيئا سواه.

ـ حب العلو على الناس، سبب الانتكاس.

ـ الحدث[1] هو المستقبل للأمر، المبتدئ في الطريق؛ الذي لم يجب الأمور، ولم يثبت له فيها قدم؛ وإن كان ابن سبعين سنة. قال سهل[2] رحمه الله ونفع به: **((أمر أن لا يطلع الأحداث على الأسرار قبل تمكينهم؛ أما أهل الغفلة، والنفوس الدنسة فهم أقل أن يذكروا بأمر أو نهي))**. وقيل: **((الإشارة بالأحداث ما سوى الله تعالى من المحدثات))**.

ـ الحديث ما استدعيت من الجواب، والكلام ما صدقت[3] من الخطاب.

ـ حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه[4].

ـ الحق تعالى لا يراه أحدٌ إلا إذا مات[5]، ومن لم يمت لم ير الحق.

---

[1] قال هذا القول؛ بعد أن سأله بعضهم بخصوص النهي عن صحبة الأحداث.

[2] هو أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (توفي في 273هـ أو 283هـ).

283هـ).

[3] في بعض النصوص: ((صدمك)).

[4] ورد هذا القول في بعض النصوص بعد القول: ((آثار نوره مع الفقراء بالأمس....)).

[5] في نص: ((إلا من مات))، وفي آخر ((إلاّ مات)).

ـ الحـق تعـالى[1] مطلـع عـلى السرائـر والضمائـر[2] في كـل نفـس وحـال؛ فـأي قلـب رآه[3] مؤثـراً لـه؛ حفظـه مـن الطـوارئ والمحـن،[4] ومُضِـلاَّتِ الفتـن.

ـ الحـق سبحانـه مُمِـدٌّ، والوجـود مستمـد، والمـادة مـن عيـن الجـود، فـإذا انقطعـت المـادة (أي) مـادة المعـنى انْهَـدَّ الوجـود.[5]

ـ الحـق سبحانـه وتعـالى يجـري عـلى ألسنـة علمـاء كـل زمـان مـا يليـق بأهلـه.

ـ الحـق سـوط يسـوق ويعـوق؛ يسـوق إلى الطاعـة[6]، ويعـوق عـن المعصيـة[7].

ـ حليـة العـارف الخشيـة والهيبـة.

---

[1] في نص: ((الحق سبحانه)).
[2] في النص: ((والظّواهر)).
[3] في نص: ((فأيما قلب يراه)).
[4] في نص: ((من طوارئ المحسن)).
[5] ورد هذا القول في رسالة أنس الوحيد ـ مبتورة ـ هكذا: ((الحق تعالى مستبد، والوجود مستمد، والمادة عين الوجود..... فلو انقطعت المادة.... الوجود)). ص: 71.
[6] في نص: ((إلى الجنة)).
[7] في نص: ((النار)).

ـ الحميـة[1] فـي الأبـدان تـرك المخالفـة بالجـوارح، والحميـة[2] فـي القلـوب تـرك الركـون إلـى الأغيـار، والحميـة[3] فـي النفـوس تـرك الـدعوى.

- خ -

ـ الخـالي مـن الأنـس والشـوق فاقـد للمحبـة.

ـ الخمـول نعمـة عـلى العبـد لـو عـرف شكـره[4].

ـ الخـوف إذا سكـن القلـب أورثـه المراقبـة.

ـ الخـوف سـوط يسـوق ويعـوق، يسـوق إلـى الطاعـة، ويعـوق عـن المعصيـة.

- د -

ـ الدعـوى مـن رعونـة[5] النفـس.

ـ دليـل تخليطـك صحبتـك للمخلطيـن[6]، وكونـك للبطايـن دليـل قربـك للمبطليـن.

ـ الدنيـا جـرادة ورأسها حلها فإذا قطع رأس الجرادة حلـت.



---

[1] في نص: ((الحجة)).
[2] في نص: ((الحجة)).
[3] في نص: ((الحجة)).
[4] في نص: ((شكرها)).
[5] في نص: ((رعونات)).
[6] في نص: ((حبك للمخلطين)).

- ذ -

ـ الذكــر شهــود الحقيقــة وخمــود الخليقــة.

ـ الذكــر شهــود المذكــور ودوام الحضــور.

ـ الذكــر مــا غيبــك عنــك بوجوده[1]، وأخذك[2] منك بشهوده.

- ز -

ـ الزاهــد فــي راحــة.

ـ الزهــد أعــم مــن الــورع اتقــاء، والزهــذ إبقــاء قطــع الكــل.

ـ الزهــد فضيلــة، وفريضــة، وقربــة. فالفضــل في المتشابــه، والفــرض في الحــرام، والقربــة في الحــلال.

ـ الزهــد العــزوف عــن الدنيــا، والإعــراض عنهــا لحقارتهــا، وتركهــا لاستصغارهــا، ورؤيــة هوانهــا.

ـ الزهــد فريضــة وفضيلــة وقربــة؛ فالفــرض في الحــرام، والفضــل في المتشابــه، والقربــة في الحــلال.[3]

- س -

ـ السالــك ذاهــب إليــه، والعــارف ذاهــب فيــه.

---

[1] في نص: ((بوجده)).

[2] في نص: ((وأخذ)).

[3] جاء في نص آخر؛ بترتيب مغاير؛ كالتالي: ((الزهد فضيلة وفريضة وقربة؛ ففضيلة في المتشابه، وفريضة في الحرام، وقربة في الحلال)).

ـ سنته[1] عز وجل؛ استدعاء العباد لعبادته بسعة الأرزاق، ودوام المعافاة؛ ليرجعوا إليه بنعمته؛ فإن لم يفعلوا؛ ابتلاهم بالسراء والضراء؛ لعلهم يرجعون؛ لأن مراده عز وجل؛ رجوع العبد[2] إليه طوعاً أو كرهاً.

- ش -

ـ شاهده بمشاهدته[3] لك[4] ولا تشاهده[5] بمشاهدتك له.

ـ شتان ما بين[6] من هِمَّته الحور والقصور، وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور.

ـ الشيخ من جمعك بحضوره، وحفظك في مَغْيَبِه.

ـ الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم، وسرَّك بالاحترام والتعظيم.

ـ الشيخ من هذَّبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه.

---

[1] في نص: ((لسُنَّته)).
[2] في نص: ((الخلق)).
[3] في بعض النصوص: ((شاهد مشاهدته)).
[4] كلمة ((لك)) سقطت في أحد النصوص.
[5] في أحد النصوص: ((ولا تشهد)).
[6] في بعض النصوص: ((شتان بين)).

- ص -

ـ صحبتك لِلْمُخَلِطين، وركونك للمُبْطِلين؛ دليل وحشتك بالمستوحشين.

ـ الصحو والمروءة موافقة الأخوة إلا ما يحذره العلم.

ـ صراط الله المستقيم الدلالة عليه، والتبري من الحول والقوة.

ـ الصمت نجاة.

- ط -

ـ طلبك الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة.

ـ الطالب المريد الصادق مشغول عن محادثة إخوانه من أهل الطريق، فكيف بأبناء الدنيا؟

ـ الطمع في الخلق شك في الخالق.

- ع -

ـ العبادة تنجيك من طغيان العلم والزهادة.

ـ العبد من انقطعت آماله إلا من عند مولاه.

ـ العبد ييأس من الفرج إلا من عند مولاه[1].

ـ علامة الإخلاص أن يغيب[2] عنك الخلق في مشاهدة الحق.

---

[1] سقطت كلمة عنده في بعض النصوص:

[2] في نص: ((تُغَيِّب)).

ـ العلــم غنــم.

ـ عمــرك نفــس واحــدٌ؛ فاحــرص أن يكون لك؛ لا عليك.

ـ عيــش الأوليــاء فــي الدنيــا عيــش أهــل الجنــة؛ أبدانهــم تتنعَّــم بآثــاره[1]، وأرواحهــم تتنعَّــم بشهــوده ونظــره.

- غ -

ـ الغيبــة عــن الحــق خيبــة.

ـ الغيــرة أن لا تَعْــرِف ولا تُعْــرَف.

- ف -

ـ الفتْــرَةُ الاشتغــال بالخلــق عــن الخالــق.

ـ فتــوة[2] العــارف بمعروفــه، وفتــوة الغني بمُعْتَادِهِ[3] ومألوفه.

ـ الفتــون أن لا تشتغــل بالخلــق عــن الحــق.

ـ الفتــون رؤيــة[4] محاســن العبيــد، والغيبة عن مساويهم.

ـ فقــد الأســف والبكــاء فــي مقــام السلــوك، عَلَــمٌ مــن أعــلام الخــذلان.

ـ الفقــر أمــارة[5] عــلى التوحيــد، ودلالــة عــلى التفريــد.

ـ **الفقــر ألاّ تشهــد عيــن ســواه.**

---

[1] في نص: ((تتمتع بآثاره)).
[2] في نص: ((عليك قوّة)).
[3] في نص: ((وقوة الغر بمعتاده)). وفي آخر: ((وقوة الغر بمعناه)).
[4] سقطت كلمة ((رؤية)) في أحد النصوص.
[5] في نص: ((الفقر أمان)).

ـ الفقـر فَخْـرٌ، والعلـم غُنْـم، والصمـت[1] نجـاة، والإيـاس راحـة، والقـرآن[2] والإيمـان غـنى، والزهـد عافيـة، والغيبـة عـن الحـق خيبـة.

ـ الفقـر فقـر مـا دمـت تستـره؛ فـإذا أظهرته ذهب نوره.

- ق -

ـ القـرآن نـزول وتنزيـل، فالنـزول قـد مـضى، والتنزيـل بـاق إلـى يـوم القيامـة.

ـ القـرب منـه لـذة، والبعـد عنـه حسـرة، والأنـس بـه حيـاة، والايحـاش منـه مـوت.

ـ القريـب مسـرور بقربـه، والمحـب معـذب بحبـه.

ـ قـوة[3] العـارف بمعروفـه وقـوة الغيـر بمعتاده[4] ومألوفه.

ـ قيـد نفسـك بقيـود الـورع، وأطلق غيرك في ميدان العلم.

- ك -

ـ كثـرة الطعـام، المنـام، الكـلام تقـسي القلـب.

ـ كـل حقيقـة لا تمحـو أثـر[5] العبد ورسمه[1] فليست[2] بحقيقة. بحقيقة.

---

[1] في بعض النصوص: ((الصحة)).
[2] في بعض النصوص: ((العلم)).
[3] في نص: ((قوت)).
[4] في نص: ((وقوت الغني بمغناه...)).
[5] في نص: ((كل حقيقة لا توائر)).

ـ كـل فقيـر الأخذ إليه أحب من العطاء لم يشم للفقر رائحة.
ـ كمـا[3] لـم يصلحـوا لمعرفتـه؛ شغلهـم برؤيـة الأعمال.

ـ ل ـ

ـ لا تصـح للمريـد حقيقـة الإرادة إلا بغـض البصـر، وحفـظ الفـرج، وتـرك الحـرام، والخـروج مـن الريـاء السمعـة والشهـوات، والـدوام عـلى الصلـوات فـي الجماعـة، وتـرك مـا لا يعـني، ولـزوم الخلـوة عـن النـاس، والزهـد فـي الدنيـا.
ـ لا تَغْـمَّ[4] عـن نقصـان نفسـك، فتطـغى.
ـ لا تكـون لـه عبـداً ولغيـره فيـك شائبـة رق[5].
ـ لا طريـق أوصـل إلـى الحـق إلا متابعـة الرسـول صـلى اللـه عليـه وسلـم فـي أحكامـه.
ـ اللهـم فهمنـا عنـك، فإنَّـا[6] لا نفهـم عنـك إلا بـك.
ـ لا يجلـس عـلى رتبـة البيعـة إلا مـن تمسـك باثـني عشـر وصفـا: مـن عيـسى عليـه السـلام بإيـدام الحـزن والسياحـة، ومـن يوسـف عليـه السـلام بالعفـو والأمانـة،

---

[1] في نص: ((ورسومـه)).
[2] في نص: ((فليس)).
[3] في بعض النصوص: ((لمـا)).
[4] في نص: ((لا تَغمَ بالدنيـا)).
[5] في نص آخر: ((لا تكن عبداً ولغيره فيك بقيـة رق)).
[6] في نص: ((فإننـا)).

ومن يعقوب عليه السلام بالشوق والصبابة، ومن أيوب عليه السلام بالتفكر والصبر، ومن موسى عليه السلام بالإخلاص والمناجاة، ومن محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم والخلق الحسنى. فمتى عجز الشيخ عن هذه الأوصاف فبيعته حرام محض.

ـ لا يصلح سماع هذا العلم إلا لمن[1] صلحت له أربعة: الزهد، والعلم، والتوكل، واليقين.

ـ لا يكمل العمل إلا بالإخلاص والمراقبة.

ـ لا ينال الفقير مراده إلا بثلاثة أشياء: العمل بالقرآن، والسنة، واتخاذ الأستاذ.

ـ لا ينفع مع الكِبَرِ عمل، ولا يضر مع التَّواضُع بطالة.

ـ لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات، ولسان التعبد يدعو الدوام بالاجتهاد، ولسان المحبة يدعو إلى الذوبان والهيمان، ولسان المعرفة يدعو إلى الفناء والمحو والإثبات، والصحو.

ـ لكل شيء آفة، وآفة الصوفية متابعة الهوى.

ـ للأرواح[2] الرعاية، وللأشباح[3] الوقاية.

---

[1] في نص: ((بمن)).

[2] في بعض النصوص: ((وللأرواح)).

[3] في بعض النصوص: ((وللأشياخ)).

ـ ليس للقلب إلا وجهة واحدة، فمهما توجه إليها حجب عن غيرها.

ـ ليس من أُلْبِس ذُلَّ العَجْزِ كمن أُلْبِس عِزَّ الافْتِقَارِ[1].

- م -

ـ ما بان عنه أحد، ولا اتصل به أحد،

ـ ما بان عنه من حيث العلم، ولا اتصل به من حيث الذات[2].

ـ ما رأيت شيئا إلا ورأيت الباء مكتوبة عليها.

ـ ما عرف الحق من لم يؤثره، وما أطاعه من لم يشكره.

ـ ما فات لا يُستَدْرَك، لأن الوقت الثاني غير الأول.

ـ ما وصل إلى صريح الحرية، من عليه من نفسه بقية رقّ[3].

ـ المحبة: الأنس بالله والشوق إليه.

ـ المحفوظون على الطبقات: محفوظ[4] عن الكفر والشرك[5] بالهداية[6]؛ ومحفوظ عن الكبائر والصغائر بالعناية[7]، ومحفوظ[8] عن[1] الخطرات والغفلات بالرعاية[2].

---

[1] في نص: ((الاقتدار)).

[2] في أحد النصوص هكذا: ((ما بان عنه من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به من حيث الذات والصفات)).

[3] كلمة ((رق)) سقطت في عدد من النصوص.

[4] في بعض النصوص: محفوظون.

[5] في نص: ((من الشكر والكفر)).

[6] في نص: ((بالهدى)).

[7] في نص: ((بالعيان)).

[8] في نص: ((محفوظون)).

ـ مخالطة أهل البدع تميت القلب،

ـ المدعي منازع للربوبية.

ـ المدعي من أشار إلى نفسه.

ـ مروءتك إغضاؤك[3] عن تقصير غيرك.

ـ المروءة موافقة الإخوان فيما لا يحضره الشرع[4] عليك.[5]

ـ المريد: آثار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط، ويكون مع الصوفية بالأدب والارتباط، ويكون مع المشايخ بالخدمة والاتعاظ، ويكون مع العارفين بالتواضع والانخفاض، ومع العلماء بحسن الاستماع والافتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار.

ـ المريد من يجد في القرآن ما يريد.

ـ من أخلص لله في معاملته[6]، تخلص من الدعوى الكاذبة.

ـ من أراد الصفاء فلْيَلْزم الوفاء[7]. فالمُقَرَّب مَسْرورٌ بقربه، والمحب معذب بحبه.

---

[1] في بعض النصوص: ((من)).

[2] في نص: بالعناية)).

[3] في نص: ((إعطاؤك)).

[4] في نص: ((فيما لا يحذه العلم)).

[5] جاء في أحد النصوص : ((الصحوة والمروءة؛ مُوافقةُ الإخوة إلاّ ما يُحَذِّرُهُ العلم)).

[6] في نص: ((معاملة)).

[7] في نص: ((من أراد الصفي فلين من الوفاء)).

ـ مـــن استكـــن[1] لغيـــر الله تعالى نزع الله الرحمة من قلبه.

[1] في نـص: ((مـن سَكَّـنَ سِـرَّهُ إلى غيـر اللـه)).

ـ مـن اشتغـل بطلـب الدنيـا[1] ابتـلي بالـذُّلِّ فيهـا[2].

ـ مـن أعـرض عـن الأعـراض أدبـاً فهو الحكيم المتأدب.

ـ مـن أعـرض عـن تحقيـق[3] النظـر؛ لـم يجـب عليـه تغييـر المنكـر؛ لأنـه لـم يتحققـه[4].

ـ مـن اكتـفى بالكـلام فـي العلـم دون الاتصـاف بحقيقتـه؛ فقـد[5] تزنـدق، وانقطـع. ومـن اكتـفى بالتعبـد دون فقـه؛ خـرج وابتـدع. ومـن اكتـفى بالفقـه دون ورع؛ اغتـرّ، وانخـدع. ومـن قام بما يجب عليه من الأحكام؛ تخلص وارتفع.

ـ مـن أنـس بالخلـق استوحـش مـن الحـق.

ـ مـن أهمـل[6] الفرائـض فقـد ضيـع نفسـه.

ـ مـن تحقـق بالعبوديـة، نظـر أفعالـه بعيـن الريـاء، وأحوالـه بعيـن الدعـوى وأقوالـه بعيـن الافتـراء.

ـ مـن تـرك التدبيـر والاختيـار طـاب عيشـه.

ـ مـن تزيـن بزائـل فهـو مغـرور.

ـ مـن تفـرغ[7] مـن اشغـال الدنيـا أقامه الحق في خدمته.

---

[1] في نص: ((من اشتغل بالدنيا...))

[2] في نص: ((ابتلي فيها بالذل)).

[3] في نص: ((تحقق)).

[4] في نص: ((لم يتيقنه)).

[5] سقطت ((فقد)) ببعض النصوص.

[6] في نص: ضيع)).

[7] في بعض النصوص: ((ومن يتفرغ)).

ـ مــن تعلــق بدعــوى[1] الأمــاني لا يفــارق التــواني.

ـ مــن جالــس الذاكريــن انتبــه مــن غفلتــه.

ـ مــن حــرم احتــرام الأوليــاء ابتــلاه الله بالمُقْت من خلقه.

ـ مــن خــدم الصالحيــن انتفــع بخدمتــه[2].

ـ مــن خــرج إلى الخلق قبل حقيقة تدعوه إلى ذلك فهو مفتون.

ـ مــن خصــال الفقيــر أربعــة أشيــاء: قطــع العلائــق، وهجــر عن الخلائق، والأخذ في الحقائق، والكلام في الرقائق.

ـ مــن دامــت أذكــاره صفــت أســراره، ومــن صفــت أســراره كــان في حضــرة اللــه تعــالى قــراره.

ـ مــن رأيتــه يــدعي مــع اللــه تعــالى[3] حــالاً؛ لا يكــون عــلى ظاهــره منــه[4] شاهــد؛ فاحــذره.

ـ مــن رزق حــلاوة المناجــاة؛ زال عنــه النــوم.

ـ مــن سكــن إلى غيــر الله بســره، نــزع الله الرحمــة مــن قلــوب العبــاد عليــه، وألبســه لبــاس الطمــع فيهــم.

ـ مــن سمــع عنــه[5] بلــغ عنــه.

---

[1] **في نص: ((بوعد)).**

[2] **جاء في أحد النصوص: ((ارتفع)).**

[3] **((تعالى)) سقطت في أحد النصوص.**

[4] **((منه)) سقطت في أحد النصوص.**

[5] **في نص: ((منه)).**

ـ مـن سمـع[1] العلـم ليعلـم بـه النـاس أعطـاه اللـه تعـالى فهمـا[2] يعـرف بـه النـاس. ومـن تعلـم العلـم ليعامـل[3] بـه الحـق أعطـاه اللـه تعـالى فهما[4] يعرفه به.

ـ مـن سمـع عنـه[5] بلـغ عنـه.

ـ مـن شـرط المريـد أن يعـرف زيادتـه ونقصـه، وذلـك ليجـد في العمـل كلمـا طرقـه الكسـل.

ـ مـن ضيـع حقـوق إخوانه، ابتلي بتضييع حقوق الله تعالى.

ـ مـن ضيـع حكمـة وقتـه فهـو جاهـل، ومـن قصـر عنهـا فهـو عاجـز[6].

ـ مـن طلـب الحـق مـن جهـة الفضـل وصـل إليـه.

ـ مـن ظهـر لـه نقـص في شيخـه لـم ينتفـع بـه.

ـ مـن عـرف أحـداً لـم يعـرف الأحـد سبحانـه.

ـ مـن عـرف اللـه استعـان بـه[7] في اليقظـة والنـوم.

ـ مـن عـرف نفسـه لـم يغتـر بثنـاء النـاس عليـه.

---

[1] في نص: ((تعلم)).
[2] في نص: ((فيما)).
[3] في نص: ((ليعرف)).
[4] في نص: ((فيما)).
[5] في نص: ((منه)).
[6] جاء هذا القول في نص هكذا: ((من ضيع حكم وقته فهو عاجز، ومن قصر عنه فهو جاهل)).
[7] في نص: ((استفاد منه)).

ـ من علامات الفقير الصادق محبته للعلماء، وخدمته للفقهاء، وصحبته للفقراء، وتقلبه في صيامه وقيامه، لباسه ما خرق، وطعامه ما خشن، إن نظر اعتبر، وإن تكلم ذكر، وإن سكت تفكر.

ـ من علامة صدق المريد في إرادته فراره عن الخلق، ومن علامة صدق فراره عنهم وجوده للحق، ومن علامة صدق وجوده للحق رجوعه إلى الخلق، فهذا هو حال الوارث للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يخلو بغار حراء، وينقطع إلى الله فيه، ويترك بيته وأهله، ويفر إلى ربه حتى فجَأَهُ الحق فبعثه الله رسولا مرشدا لعباده، فهذه حالات ثلاث وَرَثَه فيها من اعتنى الله به من أمته، ومثله يسمى وارثا، فالوارث الكامل هو من ورثه علما وعملا وحالا.

ـ من قطع موصولاً بربه قطع به. ومن شغل[1] مشغولا بربه أدركه المقت من حينه.

ـ من كان الأخذ أحب إليه من الإخراج؛ فليس بفقير.

ـ من كان فيه أدنى بدعة، فاحذر مجالسته، لئلا يعود عليك شؤمها ولو بعد حين.

---

[1] في نص: ((أشغل)).

ـ مــن لــم[1] يأخــذ الأدب من المأدبيــن[2] أفســد من يتبعه[3].

ـ مــن لــم يجــد في قلبـــه[4] زاجــراً فهــو خــراب.

ـ مــن لــم يخلــع العــذار لــم ترفــع عنـــه الأستـــار[5].

ـ مــن لــم يستعــن باللــه عــلى نفســه صرعتـــه.

ـ مــن لم يصبــر على صحبة مولاه، ابتلاه الله بصحبة العبيد.

ـ مــن لــم يصلــح لخدمتــه شغلــه بالدنيــا، ومــن لــم يصلــح لمعرفتــه شغلــه بالآخــرة

ـ مــن لــم يصلــح للمعرفــة شغــل برؤيـــة الأعمـــال.

ـ مــن لــم يغفــل عــن ذكــرك فــلا تغفــل عــن ذكــره،

ـ مــن لــم يغفــل عــن شكــرك فــلا تغفــل عــن شكــره.

ـ مــن لــم يقــم بــآداب[6] البدايـــة[7]، كيــف تستقيــم لـــه دعــوى مقامـــات أهــل النهايـــة؟.

ـ مــن لــم يكــن بالأحــد لــم يكــن بأحــد.

---

[1] في بعض النصوص: ((لا)).
[2] في بعض النصوص: ((المتأدبين)).
[3] في بعض النصوص: ((من اتبعه)).
[4] في نص: ((نفسه)).
[5] في بعض النصوص: ((لم يرفع الأستار)).
[6] في نص: ((بأدب)).
[7] في نص: ((البدايات)).

ـ من نسب[1] لنفسه حالاً أو مقاماً[2]، فهو بعيد عن طرقات[3] المعارف.

ـ من نظر إلى المكونات نظر إرادة وشهوة، حجب عن العبرة فيها والانتفاع بها.

ـ منْ هَيَّمَهُ أثر النظر، وأقلقه سماع الخبر، تقطع في مفاوز المخاطرات ولم يلتفت إلى الآفات يقول في هيمانه: "يحيف السبيل إلى وصل أعيش به"؟

ـ المهمل في الأحوال والأعمال؛ لا يصلح لبساط الحق.

ـ الموت كرامة، والفوت حسرة وندامة،

ـ الموت انقطاع عن الخلق، واتصال بالحق، والفوت انقطاع عن الحق.

-ن-

ـ نافخ الكير إن لم يحرقك بناره آذاك بشرره. وحامل المسك[4] إن لم يحذك عطره متعك بنشره.

ـ نسيان الحق خيانة، والاشتغال عنه دناءة، الحضور معه جنة، والغيبة عنه نار.

---

[1] في نص: ((طلب)).
[2] في نص: ((مقالاً)).
[3] في نص: ((طريقات)).
[4] في بعض النصوص: ((العطر)).

- لا -

ـ همـــم العارفيـــن لا تسمـــو لغيـــر معروفهـــم.

ـ همـــم العارفيـــن لـــم تـــزل[1] عاكفـــة على مولاهـــا.

ـ الهـــوى قليـــل في أهـــل الصـــلاح[2].

- و -

ـ الوجـــد[3]: حضـــرة تلهـــب[4]، ثـــم نظـــرة تسلـــب.

ـ الوقـــوف محادثـــة الســـر[5] عنـــد اصطـــلام العبـــد بشاهـــد[6] الحضـــور؛ واستغـــراق القلـــب بالذكـــر[7] لغلبة شهود المذكور.

ـ الوصـــول استغـــراق أوصافـــك وتـــلاشي نعوتـــك.

- ي -

ـ يـــا نفـــس هـــذه موعظـــة لـــك إن اتعظـــت.

* * *

---

[1] في نص: ((لا تزال)).

[2] جاء في أحد النصوص: ((أهل الصدق قليل في أهل الصلاح)).

[3] في بعض النصوص: ((الوحدة)).

[4] في تنص: ((تلهف)).

[5] في نص: ((النفس)).

[6] في نص: بشهادة)).

[7] في نص: ((في الذكر)).

قطعة من خطاب

ـ هذه فقرتان من خطاب أبي مدين للشيخ الولي الصالح أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر بمنستير إفريقية: ((أمّا بَعْد؛ فإنَّهُ من اتَّقى اللَّهَ سُبْحانَهُ وقَاهُ؛ ومنْ توكَّلَ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوكُّلِ كَفَاهُ؛ ومَنْ اسْتَعاذَ بِهِ نَجَّاهُ؛ ومَنْ شَكَرَهُ وَالاَهُ؛ وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ؛ وَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمادَ قَلْبِكَ وَجَلاَءَ بَصرِكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ عَمَلَ لِمَنْ لاَ نِيَّةَ لَهُ، ولاَ أجْر لِمَنْ لاَ خَشْيَةَ لَهُ))... وقال أيضاً: ((ضاق صدْرِي حِينَ أَتَتْ المَرَاكِبُ؛ وَلَمْ نَر فِيهَا لَكَ كِتَاباً؛ فَرَأَيْتُكَ في النَّوْمِ وَأَنْت تَقُولُ لِي: "إنْ كُنْت تُرِيدُ بِسَلاَمِكَ عَلَى الدُّنْيَا؛ فَلاَ تُسلِّمْ عَلَيَّ، وَلاَ نُسلِّمْ عَلَيْكَ؛ وَإنْ كُنْت تُرِيدُ الآخِرَةَ؛ فَسَلاَمُكَ يَبْلُغُنِي؛ وَإنْ كُنْت لَمْ تُكَاتِبْنِي؛ وَسَلاَمِي يَبْلُغُكَ وَإنْ لَمْ أكَاتِبْكَ. فَزَالَ عَنْ قَلْبِي مَا كُنْتُ أجِدُهُ مِنَ القَبْضِ. فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لاَ يَقْطَعُكَ عَنِّي يَقظَةً، وَلاَ نَوْماً وَالسَّلاَمُ))[1].

* * *

---

[1] أنس الفقير وعز الحقير، ص: 99.

عبد المؤمن

ابن علي بن مخلوف بن يعلى[1] بن مروان الكومي، (أبو محمد).

فقيه وأديب وشاعر. أمير المؤمنين والخليفة الأول للموحدين، والمؤسس الفعلي لدولتهم ببلاد المغرب. ولد في سنة 487هـ/1094م بضيعة تابعة **لتلمسان** تدعى **تاجْرَا** (أو تاجرة) ـ التي تبعد عن **مرسى هنين** بثلاثة أميال ـ نشأ فيها وترعرع بين أسرة بسيطة الحال؛ امتهن والده صناعة الفخار. وينتمي إلى قبيلة كومية الأمازيغية الزناتية.

وقد زاول **عبد المؤمن** تعليمه الأولي في كتاتيب القرآن ببلدته **تاجرا**. ولمّا شَبّ؛ خرج من بلدته سعياً وراء المزيد من العلم؛ فانتقل إلى **تلمسان**؛ أين

---

[1] في المعجب: ((عبد المؤمن بن علي بن عَلَويٍّ الكوميّ)). ص: 196. وتخيل صاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية هذا: ((عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي بن عامر ابن الأمير أبي موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور بن ينور بن ممطماط بن خزرج بن قيس بن عيلان بن مضر)). ص: 175. أما ترجمته؛ فمتوفرة في مصادر كثيرة؛ من بينها: المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، وأخبار المهدي للبيذق، والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، وغيرها من كتب التراجم.

واظب على حلقات العلم الخاصة **بابن عبد السلام التونسي**، والقاضي **ابن صاحب الصلاة**. ولم يقتنع بما تحصل عليه من العلم في رحاب **تلمسان**؛ فرغب في المزيد؛ إذ تطلع إلى تحقيق ذلك في بلدان المشرق[1]. وعليه فقد قرر الرحيل نحو مقصده؛ فرافقه عمّه **يعلو**[2] في رحلته؛ حيث التقى **بابن تومرت المهدي** في نواحي **بجاية**[3]: **((وسأله عن اسمه فقال له: "عبد المؤمن بن علي". وسأله عن بلاده؛ فقال له: "من قطر تلمسان"؛ فقال له:**

---

[1] ثمة روايات متضاربة بخصوص موضع لقاء ابن تومرت بعبد المؤمن؛ وظروف ذلك اللقاء. من ذلك رواية ابن القطان في نظم الجمان التي تخالف ما جاء أعلاه؛ إذ يقول أن عبد المؤمن كان يزاول تعليمه بتلمسان؛ في مسجد العباد؛ فتأثر بحبّ شيخه أبي محمد التونسي لابن تومرت؛ الذي وصلت أخباره إليه. ولمّا مات أبو محمد التونسي؛ قرّر عبد المؤمن اللحاق بابن تومرت - حيث كان بملالة في نواحي بجاية - فرحل إليه طالباً المزيد من العلم على يديه. وهذه الرواية مخالفة لما ورد في كتاب البيذق: "أخبار المهدي بن تومرت"؛ الذي يقول أن عبد المؤمن كان متجهاً إلى بلاد المشرق رفقة عمه؛ ليتزود بالعلم؛ ولما وصل إلى بجاية؛ سمع الناس يذكرون ابن تومرت، وينوّهون بوفرة زاده من العلم؛ فاتجه إليه، ولازمه. وقد تم الاعتماد على ما قاله البيذق؛ لأنه عايش الأحداث وشهدها بنفسه.

[2] كتاب أخبار المهدي بن تومرت، ص: 38.

[3] ثمة رواية؛ تقول أنه التقى بابن تومرت بموضع في متيجة يسمى "فنزارة"؛ أين كان عبد المؤمن يعلم الصبيان. أنظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 182.

"أتكـون مـن تاجـرا؟" قـال: "نعـم؛ وأنـا أريـد الرحلـة ــ في طلـب العلـم ــ لبـلاد المشـرق". فقـال لـه المهـدي: "العلـم الـذي تطلبـه بالمشـرق قـد وجدتـه بالمغـرب"))[1].

وبعـد حـوار بينهمـا؛ أقنعـه بملازمتـه، والبقـاء معـه؛ فرَكَـنَ إليـه، وأبهـره بعلمـه؛ فتحالفـا علـى الإطاحـة بالدولـة **اللمتونيـة**. ثـم قـرّر **عبـد المؤمـن** العـودة مـع **ابـن تومـرت** نحـو **المغـرب**؛ أيـن أشعـلا الثـورة علـى **المرابطيـن**، وأنهكـا دولتهـم بالصبـر والمطاولـة. وكـان **ابـن تومـرت** يثـق في **عبـد المؤمـن** ثقـة تامـة، ويـرى فيـه ابنـه البـار، وسيفـه البتـار، ولسانـه اللـوذعي الحـار. ولمّـا شـرع المهـدي في تنظيـم أتباعـه؛ أسنـد قيـادة الجيـش إلى **عبـد المؤمـن بـن علـي**؛ وقـال لأنصـاره: **((أنتـم المؤمنـون، وهـذا أميركـم))**[2]. وبعـد انهـزام **الموحديـن** في إحـدى معاركهـم أمـام **المرابطيـن**. تأسـف **ابـن تومـرت**؛ وقـال **لأبي بكـر بـن علـي الصنهـاجي (البيـذق)**؛ حسبمـا ذكـر في كتابـه: **((فأسرعـت حـتى وصلـت المعصـوم؛ فأعلمتـه. فقـال لي: "عبـد المؤمـن في الحيـاة؟" قلـت: "نعـم. قـال لي: "الحمـد للـه**

---

[1] الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص ص: 129 -130.
[2] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 192.

رب العالمين؛ قد بقي أمركم")[1]. وكان **ابن تومرت** يردّد بيتين في **عبد المؤمن** كلما رآه[2]:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها[3]
فكلنا بك مسرور ومغتبط
فالسن ضاحكة والكف مانحة
والصدر منشرح[4] والوجه منبسط

ولما شعر **ابن تومرت** بقرب أجله؛ استدعى الطبقة الأولى من **الموحدين**؛ المشكلين من الجماعة، وأهل الخمسين؛ وقال لهم في بعد كلمة وموعظة: **((وقد اخترنا لكم رجلاً منكم، وجعلناه أميراً عليكم؛ هذا بعد أن بَلَوْنَاهُ في جميع أحواله؛ من ليله ونهاره، ومدخله ومخرجه؛ واختبرنا سريرته وعلانيته؛ فرأينا في ذلك كله ثَبْتاً في دينه؛ متبصراً في أمره؛ وإني لأرجوا ألاّ يُخْلِف الظَّنَّ فيه؛ وهذا**

---

[1] كتاب أخبار المهدي بن تومرت، ص: 74. ورد هذا الخبر في مصادر كثيرة؛ كالمن بالإمامة، والمعجب، والحلل الموشية، وغيره. غير أن ما جاء في كتاب أخبار المهدي بن تومرت؛ أوثق؛ لآن حديث المهدي كان موجهاً لصاحب هذا الكتاب؛ المدعو البيذق.

[2] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 197. والحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص: 145.

[3] جاء هذا الشطر في الحلل الموشية هكذا: ((تجَمّعَتْ فيك أشياء خصصت بها)).

[4] في الحلل الموشية: ((متسع)).

المشار إليه هو عبد المؤمن؛ فاسمعوا له وأطيعوا؛ ما دام سامعاً مطيعاً لربِّه؛ فإن بدَّلَ أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره؛ ففي الموحدين ـ أعزهم الله ـ بركة وخير كثير؛ والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده))[1].

وبموت **ابن تومرت**[2]؛ أسند **الموحدون** مهام الخلافة ـ من بعده ـ إلى **عبد المؤمن بن علي**؛ فأظهر قدرة فائقة، وشدة كافية، وحزماً وافٍ، وعزماً شافٍ؛ فواصل الكفاح ضد المرابطين، وتمكن بالمطاولة من إسقاط دولتهم؛ بعد تآكل أطرافها، وتمزق رقعتها؛ إذ دخل حاضرتهم **مراكش** دخول الفاتحين الغالبين، وتربع على العرش فيها تربع الخلفاء المتمكنين؛ فنظم سلك الدولة **الموحدية**، ورتب خططها ومناصبها، وشكل مؤسساتها ودواوينها، وعين وزراءها وقضاتها وكتابها، ونصب قادة جيشها وأمراء أعمالها. وكان **عبد المؤمن بن علي** ـ إلى

---

1 المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 196.

2 تضاربت الروايات حول يوم وفاة المهدي؛ فمن قائل أنها حدثت في يوم الأربعاء أو يوم الخميس شهر رمضان من عام 524هـ/1129م؛ إلى قائل أنها تمت في يوم الخميس 25 من شهر رمضان؛ بينما يقول آخرون أنها وقعت في 13 رمضان أو 14 رمضان أو 17 رمضان وكلها تجمع على سنة 524هـ؛ ما عدا عبد الرحمن بن خلدون الذي زعم أن موت المهدي وقعت في سنة 522هـ/1128م.

جانب كفاءته الحربية، وصفاته العسكرية ـ يتحلى بمزايا أخرى؛ تضعه في مراتب العلماء والأدباء والشعراء؛ كما كان محباً للعلماء والأدباء: **((وكان عبد المؤمن مُؤْثِراً لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم؛ يستدعيهم من البلاد إلى الكَوْنِ عنده، والجوار بحضرته؛ ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم. وقسم الطلبة طائفتين: طلبة الموحدين، وطلبة الحضر))**[1]. وقد تمكن **عبد المؤمن** من تشييد إمبراطوية واسعة الأطراف؛ تحدها شرقاً ديار **مصر**؛ وفي الغرب المحيط الأطلسي؛ كما تمتد شمالاً من الثغور الشمالية لبلاد **الأندلس**؛ إلى المفازة الصحراوية جنوباً. وبعد وفاة **عبد المؤمن ابن علي برباط سلا** سنة 558هـ/1162م ـ أثناء زحفه نحو الأندلس للجهاد ـ تولى الخلافة بعده ابنه **أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.** وانحصرت مرتبة الخلافة بالدولة الموحدية في بنيه الذين تداولوا على الحكم إلى أن سقطت دولتهم بواسطة **المرينيين** سنة 668هـ/1269م.

---

[1] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 200 - 201.**

ولم تقتصر مناقب **عبد المؤمن** على براعته في الحكم وإدارة الدولة، وقيادة الجيوش فحسب؛ بل يعتبر من العلماء في الفقه والشريعة، وكان ضليعاً في فنون الأدب. وقد أوردت المصادر قصيدة له يستحث فيها **أعراب بني هلال**، ويرغبهم في الجهاد. قال **عبد الواحد المراكشي** ـ وآخرون ـ أنها من نظم الخليفة **عبد المؤمن**؛ بينما ينسبها **ابن صاحب الصلاة** إلى كاتب الخليفة **ابن عياش**. المهم أن إثباتها هنا مفيد وضروري؛ خاصة إذا عُلِم أنْ لا شكَّ في شاعرية **عبد المؤمن بن علي**؛ وقد تجلى ذلك في مواقف أخرى[1].

أَقِيمُوا إِلى العَلْيَاءِ هُوجَ[1] الرَّوَاحِلِ
وَقُودُوا إِلى الهَيْجَاءِ جُرْدَ الصَّوَاهِلِ
وَقُومُوا لِنَصْرِ الدِّينِ قَوْمَةَ ثَائِرٍ
وَشُدُّوا عَلَى الأَعْدَاءِ شَدَّةَ صَائِلِ
وأَسْرُوا بَنِي قَيْسٍ إِلَى نَيْلِ غَايَةٍ
مِنَ المَجْدِ تُجْنَى عِنْدَ بَرْدِ الأَصَائِلِ[2]

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 225. تاريخ المن بالإمامة، ص: 415.
[1] في المن بالإمامة: ((عُوجَ)).
[2] سقط هذا البيت في المعجب.

فَمَا العِــزُّ إلاَّ ظَهْرُ أجْــرَدَ سَابــحٍ

يَفُوتُ[1] الصَّبَــا فِي شَدَّةِ المُتَوَاصِــلِ

وَأبْيَــض مَأثــور كَــأنَّ فِرِنْــدَهُ

عَلى المَــاءِ مَنْسُوجٌ[2] ولَيْسَ بسَائِــلِ

بَنِي العَمِّ مِنْ علْيَا هِلاَلِ بْنِ عَامِــرِ

وَمَا جَمَعَتْ مِنْ بَاسِلٍ وَابْنِ بَاسِــلِ

تعَالَوْا فَقَدْ شُــدَّتْ إلى الغَــزْوِ نِيَّــةٌ

عَوَاقِبُهَــا مَنْصُــورَةٌ[3] بالأوَائِـــلِ

هِي الغَزْوَة الغَرَّاءُ وَالمَوْعِدُ الَّــذِي

تَنَجَّــزَ مِنْ بَعْدِ[4] المَدَى المُتَطَــاوِلِ

بِهَا تُفْتَح الدنْيَــا، بِهَــا تُبْلَغُ المُــنَى

بِهَا يُنْصَفُ التَّحقِيقُ مِنْ كُلِّ بَاطِــلِ

عَزَمْنَــا وَأمْــرُ اللهِ لاَ بُــدَّ وَاقِــعٌ

على وَقْعَةٍ تُودي بديــن الفَواصِــلِ

بِجَيْشٍ يَضَــلُّ الطَّيْرُ في حُجُراتِــهِ

وتحْجبُ عنهُ الشَّمسُ سُحْب القَساطِلِ

---

[1] في المن بالإمامـة: ((تمـوت)).
[2] نفسه: ((مَحْبُوكٌ)).
[3] نفسه: ((مَقْصورَةٌ)).
[4] نفسه: ((تَنَجَّزَ في أفْق)).

وتَحْسِر فيهِ الطَّرْف مِنْ كُلِّ جَانِــبِ

بُحُورٌ دِلاَصٌ عَادِمــاتُ السَّواحِــلِ

ويُطْلِــع لَيْــلُ النَّقْــع فيهِ كَواكِيــاً

مِنَ البِيضِ أوْ مِنْ مُرْهِفاتِ المَناصِلِ

ويُضْحي بهِ بَحْــرُ الدِّمــاء مُفَجَّــراً

بِأسْمَــر عَسَّــالٍ وأبْيَــض ناصِــلِ

بِأيْدي رِجالٍ قَدُو وَفَــوْا بعُهودِهِــمْ

وخاضُوا لِنَصْرِ الدِّينِ أمْواجَ هَايــلِ

فَما وَهَنُــوا يَوْماً ولاَ فَــلَّ عَزْمُهُــمْ

ولاَ حَيَّرَتْهُــمْ مُعْضِــلاَتُ النَّــوازِلِ

فَطيــرُوا إلَيْها يا هِــلاَلَ بْنِ عامِــرِ

ثِقَــالاً خِفافــاً بَيْنَ حــافٍ وناعِــلِ

ولاَ تخْدَعُوا عَنْ حَظِّكُمْ مِنْ إجابَــةٍ

تُبَوِّئكُمْ في المَجْدِ أسْــنَى المَنــازِلِ

وتَقْطِعُكُــمْ صَدْرَ النَّــدَى إذا نَبــتْ

بِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ صُدُور المَحافِــلِ

أهَبْنَــا بكُمْ لِلْخَيْــرِ وَاللَّــهُ حَسْبُنَــا

وَحَسْبُكُــمُ وَاللَّــهُ أعْــدَلُ عَــادِلِ

فَمَــا هَمُّنَـــا إلاَّ صَـــلاَحُ جَمِيعِكُــمْ

وتَسْرِيحِكُمْ فِي ظِلٍّ أخْضَرَ هَاطِـــلِ

وتَسْوِيغُكُــمْ نُعْمَى تَــرِفُّ ظِلاَلُهــا[1]

عَلَيْكُمْ بخَيْرٍ عَاجِـلٍ غَيْــرِ آجِـلِ

فَــلاَ تَتَوَانَــوا فَالبِــدَارُ غَنِيمَـــة

ولِلْمُدْلِجِ السَّارِي صَفَــاءُ المَنَاهِـلِ

ومــع حــبّ **عبــد المؤمــن** للعلــم والعلمــاء، ومشاركاتــه الشعريــة، والأدبيــة؛ إلاَّ أنَّ عشقــه للحــرب، وفنونهــا مَلَــكَ عليــه مشاعــره. وفي هــذا أورد **عبــد الواحــد المراكــشي** خبــراً عــن **أبي جعفــر أحمــد بــن عطيــة**؛ وزيــر **عبــد المؤمــن**؛ قــال: **((دخلــت عــلى عبــد المؤمــن؛ وهــو في بستــان لــه؛ قــد أينعــت ثمــاره، وتفتحــت أزهــاره، وتجاوبــت عــلى أغصانهــا أطيــاره، وتكامــل في كــلّ جهــة حسنــه؛ وهــو قاعــد في قبــة مشرفــة عــلى البستــان؛ فسلمــت، وجلســت، وجعلــت أنظــر يمنــة، وشمــأة؛ متعجبــاً ممّــا أرَى مــن حســن ذلــك البستــان؛ فقــال لي: يــا أبــا جعفــر؛ أراك كثيــر النَّظَــر إلى هــذا البستــان؛ قلــت: يُطيــل اللــه بقــاء أميــر المؤمنيــن؛**

---

[1] **في المـن بالإمامـة: ((يَـرِفُّ نَضيرُهـا)).**

والله إنّ هذا لمنظر حسن... فسكت عني؛ فلما كان بعد يومين أو ثلاثة؛ أمر بعرض العسكر؛ آخذي أسلحتهم؛ وجلس في مكان مطل؛ وجعلت العسكر تمرّ عليه؛ قبيلة بعد قبيلة، وكتيبة إثر كتيبة... فلما رأى ذلك التفت إليَّ وقال: يا أبا جعفر؛ هذا هو المنظر الحسن؛ لا ثمارك، وأشجارك))[1].

ويقال أنهم وجدوا على ظهر كتاب الحماسة؛ الذي كان يطالعه؛ أبياتاً بخط يده جاء فيها:

وحكِّمِ السَّيْف لاَ تَعْبَأ بِعَاقِبَةٍ
وَخَلِّهَا سِيرَةً تَبْقى عَلى الحِقَبِ
فَمَا تُنَالُ بِغَيْرِ السَّيْفِ مَنْزِلَة
وَلاَ تُرَدُّ صُدُورُ الخَيْلِ بِالكُتُبِ

ومن شعره قصيدة بعث بها ــ ضمن رسالة ــ مبشراً ابنه بانتصاره على النصارى، وفتحه **للمهدية**؛ قال فيها:

وَلَمَّا قَضَيْنَا بالمَشَارقِ أمْرَنَا
وَتَمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي كلِّ مَطْلَبِ

[1] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 201 – 202.**

وَأَشْرَقَتِ الشَّمْــسُ المُنِيــرَةَ فَوْقَنَــا
وَأَصْبَحَ وجْــهُ الحَق غَيْرَ مُحَجَّــبِ
وَطُهِّرَ هَذَا الصُّقْــعِ مِنْ كُلِّ كَافِــرِ
وَعَــادَ بهَا الإسْـلاَمُ بَعْــدَ تَغَيُّــبِ
وَكُسِّــرَتِ الصُّلْبَــانُ فِي كلِّ بَيْعَــةٍ
وَنَادَى مُنَادِي الحَقِّ فِي كُلِّ مَرْقَــبِ
أَشَرْنَــا بأَعْنَــاقِ المَــطِيِّ إِلَيْكــمُ
فَطَارَ بِهَا شَــأْوُ السُّــرُورِ بِمَغْــرِبِ
فَابْشِــرْ أَبَا حَفْصٍ بِنَصْــرٍ مُــؤَزَّرٍ
كَفِيــلٍ بمَا تَبْغِيــهِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَلاَ بُــدَّ فِي يَــوْمٍ أغَــرَّ مُحَجَّــلٍ
يُسِيلُ دِمَاءَ الكُفْــرِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
وَتُشْــفى صُدُورُ المُؤْمِنِينَ بِغَــزْوَةٍ
تَكُونُ عَلى حُكْــمِ الحُسَامِ المُــدَرَّبِ
وَيَغْزُو بِلاَدَ الرُّومِ جَيْــشٌ عَرَمْــرَمٌ
تُخُيِّــر مِنْ قَيْسٍ وَأَبْنَــاءُ يَعْــرُبِ
تَصُولُ بِهِ مِنْ عُصْبَةَ الحَقِّ مَعْشَــرٌ
بِجُمْلَــةِ مَا يَلْقَــاهُ خَيْــرُ مُجَــرَّبِ
فَيُدْمَــغُ بِالصَّمْصَــامِ كُلَّ مُجَاهِــرِ
وَيُقْطَــعُ بِالبُرْهَــانِ كُــلَّ مُشَغِّــبِ

فَطُوبَى لأهْلِ الغَـرْبِ مَاذَا يَرَونَـهُ
مِنَ النَّصْـرِ وَالفَتْحِ المُبِينِ المُقَـرَّبِ

ولـم يقتصـر في معاناتـه الشعريـة عـلى أغـراض الحماسـة فحسـب؛ بـل يقـال أنـه خـرج يومـاً؛ مـع وزيـره **أبي جعفـر بـن عطيـة** في نزهـة؛ وشاهـد أثنـاء عودتهمـا جاريـة في منتـهى الجمـال؛ خلـف شبّـاك مـن الخشـب؛ تنظـر إليـه؛ فقـال مرتجـلاً:

قَـدَّتْ فُـؤَادِي مِـنَ الشُّبَّـاكِ إِذْ نَظَـرَتْ

فأجـاز **أبـو جعفـر بقولـه:**

حَـوْرَاءُ تَرْنُـو إلى العُشَّـاقِ بِالمُقَـلِ

فقـال **عبـد المؤمـن:**

كَـأَنَّ لَحْظَهَـا فِي قَلْـبِ عَاشِقِهَـا

فقـال **أبـو جعفـر:**

سَيْـفُ المُؤيـَّدِ عَبْـدُ المُؤْمِـنِ بْنِ عَلِي

كما أورد صاحب الحلل الموشية أبياتاً؛ نسبها إلى عبد المؤمن بن علي؛ قالها في جوابه على تهنئة شعريه أتحفه بها أبو محمد عبد الله الجياني؛ جاء في مطلعها:

أَضَاءَتْ لَنَا الأَيَّامُ وَاتَّصَلَ النَّجْحُ
كَأَنَّ وُجُوهَ الدَّهْرِ مُسْوَدَّةَ كلْحُ

فأجابه الخليفة عبد المؤمن بقوله:

هُوَ الفَتْحُ لاَ يَجْلُو غَرَائِبَهُ الشَّرْحُ
أَصَابَ بَنِي التَّجْسِيمِ[1] من باسه ترح
أَتَتْنَا بِهِ البُشْرَى علَى حِينِ غَفْلَةٍ
بِمَهْلِكِ قَوْمٍ كَانَ مَوْعِدُهُمَ[2] الصُّبْحُ

وثمة حكايات لها عِبَرٌ حسنة؛ من مآثر **عبد المؤمن** الجليلة. من ذلك أنه حين عاد بجيشه من **جبل الفتح**؛ قاصداً حاضرة ملكه **مراكش**؛ نزل بجيشه على أحدى ضفاف النهر الذي يصب في بحر المحيط؛ عند مدينة **سلا**. فنُصِبت القباب، وضُرِبَتِ الْخيام على شاطئ ذلك النهر؛ ثم أخذ

[1] وهذه التسمية ينبز به الموحدون المرابطين.
[2] في نص: موعدها

يتأمل في عبور جيشه الجرار لذلك النهر، ويشاهد القبائل تترى واحدة بعد أخرى؛ فتأثر؛ واستقبل القبلة ثم خرّ ساجداً لله، حامداً فضله وإنعامه؛ ولما رفع رأسه؛ شاهد أصحابه دموعه تهمي على لحيته. ولكي يبدد تعجبهم؛ قال لهم: **((أعرف ثلاثة أشخاص؛ وردو هذه المدينة؛ لا شيء لهم إلاّ رغيف واحد؛ فراموا عبور هذا النهر؛ فأتوا صاحب القارب؛ وبذلوا له الرغيف؛ على أن يعبروا ثلاثتهم؛ فقال: "لا آخذه إلاّ على اثنين خاصة"؛ فقال لهم أحدهم؛ وكان شاباً جلداً: "خذا ثيابي معكما، وأعبر أنا سباحة؛ فأخذا ثيابه معهما، وصعدا القارب؛ فجعل الشّاب يسبح؛ فكلما أعيا، دنا من القارب، ووضع يديه عليه ليستريح؛ فضربه صاحبه بالمجداف الذي معه حتى يؤلمه؛ فما بلغ البرّ إلاّ بعد جهد شديد))**[1]. وعرف السامعون أن المقصود بذلك الشاب الذي قطع النّهر سابحاً هو **عبد المؤمن** نفسه، وأن رفيقاه هما: **ابن تومرت، وعبد الواحد الشرقي**. وأراد بذلك بذل الشكر لله وحمده على نعمه. وثمة قصة مؤثرة أخرى جرت أحداثها

---

[1] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 226 - 227.**

بين **البطحاء وتلمسان**؛ أثناء عودته من فتح **إفريقية**. ففي طريق عودته مع جيشه العرمرم؛ توقف عند موضع كثير الأشجار؛ فاختار دوحة عظيمة في وسط الأشجار؛ فأمر أن يضرب خباؤه بجوارها. فنزلت العساكر لنزوله، وضربوا خيامهم للإقامة بعض الوقت. ثم التفت إلى خاصته؛ وقال لهم: (("**أتدرون لِمَ آثرت النزول بهذا المكان؟" قالوا: "لا"؛ قال: "ذلك لأني بِتُّ بهذا الموضع في بعض الليالي جائعاً مقروراً؛ وكانت ليلة ممطرة؛ فما زال هذا الدوح وقائي حتى أصبحت؛ فأردت النزول هنا على هذه الحالة لأشكر الله سبحانه على الفرق ما بين المنزلين، والفصل ما بين المبيتين**"))[1]. قال ذلك؛ ثم نهض فتوضأ وصلى ركعتين شكراً لله سبحانه وتعالى. ولما مرّ أثناء عودته بالقرب من **تاجرا**؛ القرية التي وُلِدَ فيها ونشأ بها؛ قرّر الدخول إليها كي يزور قبر والدته؛ ويَصِل الموجودين من أهله وذوي رحمه. فأطلّ على البلدة بجيشه الجرّار الذي سد الآفاق، ورفرفت راياته التي يناهز عددها ثلاثمائة راية على رؤوس

---

[1] **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 232.**

عساكــره، وفيالقــه، ودوت طبولــه كالرعــد في سمــاء القريــة؛ واستقبــل أهــل القريــة قدومــه بحفــاوة واندهــاش؛ فقالــت امــرأة عجــوز بصــوت مرتــع ـ كانــت واقفــة بيــن الجمــوع؛ وهي صديقــة لوالــدة **عبــد المؤمــن: ((هكــذا يعــود الغريــب إلى بلــده))**[1].

***

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 232.

عيسى بن عمران

ابن دافال الزناتي (ابو موسى) الورد ميشي.

ولي قضاء إشبيلية ومراكش. قال فيه ابن الزبير: ((من حوز رباط تازّى، وبها قبيله؛ يكنى أبا موسى. نشأ بتلمسان، وبها تفقه، وبمدينة فاس؛ رحل إلى الأندلس؛ فروى بالمرية عن أبي القاسم بن ورد، وغيره. كان حافظاً متصرفاً في علوم جامعاً لها؛ خطيباً مِصْقَعاً، أديباً لوذعياً؛ ولي قضاء إشبيلية مدة؛ ثم قضاء الخلافة إلى أن توفي))[1]. واختاره أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن قاضياً له[2]؛ فقيه متبحر، وخطيب مصقع، واسع الدراية بالأدب وفنونه؛ ونظم قصيدة ذائعة الصيت في الوصايا والحكم. ما زالت تحت الركام، أو تبخرت مع الزمن. توفي في سنة 578هـ/1182م. قال عنه عبد الواحد المراكشي: ((كان عيسى هذا من فضلاء أهل المغرب ونبهائهم؛ وكان خطيباً

---

[1] صلة الصلة، ص: 53، رقم الترجمة: 94.

[2] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص: 254.

مصقعاً، وبليغاً، ولسناً، وشاعراً مُفلِقاً؛ مشاركاً في كثير من العلوم؛ ونال في أيام أبي يعقوب حظوة ومكانة؛ كان يتكلم عن الوفود، ويخطب في النوازل؛ فيأتي بكل عجيب))[1]. وله أولاد؛ قال فيهم عبد الواحد المراكشي: **((ما منهم إلاّ من ولي القضاء؛ وهم عليّ. وكان عليٌ هذا رجلاً صالحاً؛ ولي في حياة أبيه قضاء مدينة بجاية؛ ثم عزل عنها، وولي مدينة تلمسان؛ وهو عندنا من المشهورين بالتصميم والتبتل في دينه، وممن لا تأخذه هوادة في الحق. ومن أولاده: طلحة؛ ولي قضاء تلمسان. ويوسف؛ تركته قاضياً بمدينة فاس؛ بلغتني وفاته؛ وأنا بمكة سنة 620هـ. وأبو عمران موسى؛ قاضي الجماعة في وقتنا هذا))**[2]. وذكره هنا واجب؛ كي يبقى علامة تسهل للباحثين اكتشاف المزيد من إنتاجه.

***

---

[1] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ص: 245 - 246.
[2] نفسه، ص: 246.

محمد بن عبد الله

ابن مروان التلمساني، (ابو عبد الله)[1]

قال **ابن سعيد** في الغصون اليانعة؛ نقلاً عن رحلة **ابن حمويه الدمشقي**: أنه من **ألمرية** بالأندلس في أصوله الأولى. وأجمعت المصادر أنه ولد **بوهران**؛ في تاريخ غير معروف. وكان والده قد امتهن الجندية؛ فولي مدينة وهران. أما نشأته وترعرعه؛ فتمت **بتلمسان**؛ مرتع صباه وشبابه؛ أين

---

[1] **له ترجمة في الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ومعجم أعلام الجزائر، وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان. وثمة أيضاً إشارة إليه في المعجب؛ ضمن فترتي حكم المنصور وابنه الناصر. ويبدو أن خطأ ما وقع فيه يحيى بن خلدون؛ حين سمّاه بأبي عبد الله محمد ابن علي بن مروان بن جبل؛ ونسبه إلى حصن شلوبين (القريب من غرناطة). ثم سرد المعلومات نفسها التي تنطبق على صاحب هذه الترجمة. قائلاً أنه ((ولي قضاء تلمسان، ثم استقدمه المنصور لقضاء الجماعة بمراكش؛ عند حركته إلى قفصة. فكان بها حميد السير، عادلاً في الأحكام. قيل: لم يجلد أحداً بسوط أيام قضائه؛ مع كونه شديد الهيبة، بصيراً بالأحكام، حظياً عند المنصور. توفي ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وستمائة)). وثمة ترجمة أخرى أوردها يحيى بن خلدون أيضاً؛ تخص ابن محمد هذا؛ وسمّاه: مروان بن محمد بن علي ابن مروان. ولي بدوره قضاء تلمسان؛ ثم سبتة، وغرناطة، ومرسية. وتوفي في هذه المدينة الأخيرة؛ دون معرفة تاريخ وفاته.**

نمت معارفه ومداركه في رحاب هذه المدينة التي زاول تعليمه بها؛ فتحصل في حلقاتها العلمية على ذخيرة جيدة من العلوم الشرعية، والفقهيه والأدبية[1].

وقد انصب اهتمامه – فيما بعد – على المذهب الظاهري؛ حيث شغف بكتب **علي بن أحمد بن حزم**. وكانت هذه هي فرصته الذهبية؛ إذ توافقت مع اللحظة التي تحول – خلالها – الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف عن كتب الفروع، وأبدى ميله إلى أهل الحديث؛ فقربه إليه، وولاه خطة قاضي الجماعة (قاضي القضاء) في سنة 583هـ/1187م. ثم عزله في سنة 592هـ/1195م.

وسرد **ابن سعيد** الكيفية التي وصل بها صاحب هذه الترجمة إلى مرتبة قاضي القضاة؛ فقال: **((ومن نادر الحكايات أنه كان قد لزم أبا جعفر ابن مضاء[2]؛ قاضي القضاة مدة؛ وكان يُثقِل عليه**

---

[1] في الترجمة التي أعدها يحيى بن خلدون - حتى وإن حصل اختلاف في اسم الأب - ذكر أنه أخذ العلم عن عيسى بن عمران؛ بينما قال أن من تلاميذه: أبو جعفر بن ثعبان.

[2] قاضي الجماعة آنئذ. **واسمه بالكامل: أبو جعفر أحمد (أبو العباس أيضاً) ابن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حريث بن عاصم بن مضاء؛ يعد بين أعلام القرن السادس.**

بالطبع، ويخف عليه بالتصنيع؛ فسأله في بعض الأوقات عن حاله؛ فارتجل هذه الأبيات:

يا مَنْ مَضَى وتَسَمَّى
وَلَمْ يَخُنْهُ زَمانُه
سَأَلْتَني كَيْف حَالي
وقَدْ كَفَاكَ عِيانُه
إنْ كانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ
يُرْجَى فَهَذَا أوَانُه

فقال: يكون خيراً إن شاء الله، ولأسْعَيَنَّ فيه جهدي. ثم جعل يستنيبه، ويرشحه لما هو أهله. فقال له بعض أصدقائه: "أراك تقدم هذا الرجل، وتعينه على نفسك". فضحك ابن مضاء، وقال: "الرأي ما ظننته؛ إنه غير رأيي. هذا رجل لاحت فيه بوارق السعادة؛ ولا بد ان يتقدم؛ رضيت أم سخطت. والأولى أن أظهر أن تقديمه بترشيحي، وسعيي له؛ فإن وفَى اشتركنا في حمد الناس؛ وإن لم يفِ؛ انفرد باللائمة". ثم أن ابن مضاء مرض في سفرة المنصور إلى إفريقية سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة؛ فاشتغل ابن مروان بالحكم بين الناس؛ فظهر منه

من حسن الخلق والسياسة ما اشتهر به اسمه، ونسي معه ابن مضاء. فما استقل ابن مضاء من مرضه؛ إلاّ وقد حاك في قلب المنصور أن يجعله قاضي الجماعة؛ فكان ذلك. وصار ابن مضاء إذا رآه والناس مقبلون عليه؛ أنشد[1]:

وَمَا يَسْتَوِي الثَّوْبانِ: ثَوْبٌ بِهِ البِلَى
وَثَوْبٌ بِأَيْدِي البائِعِينَ جَدِيدُ

أما حكاية عزله؛ فقد حدثت جراء خلاف وخصومة نشبت بينه وبين **أبي القاسم أحمد بن محمد بن بقِّي**؛ وتقول الرواية أن كلاماً جرى بينهما؛ فتفوق **ابن مروان** علَى **ابن بقِّي**؛ فقال هذا الأخير:

الدَّهْرُ لا يَبْقَى على حالِهِ لَكِنَّهُ يُقْبِلُ أوْ يُدْبِرُ
فَإِنْ تَلَقَّاكَ بمَكْروهِهِ فاصْبِرْ فَإِنَّ الدَّهْرَ لا يَصْبِرُ

ومنذئذ؛ أخذ **ابن بقِّي** في رصد المناسبة المواتية لتسديد ضربته؛ وجاء يوم التشهير به في قضية إخراج الصدقات؛ حيث نسب إليه التقصير في

---

[1] الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص ص: 31 - 32.

توزيعها. عندها؛ عزله المنصور في سنة 592هـ/1195م؛ وولّى ابن بقِّي بدلاً منه: ((**فلقيه ابن مروان في إثر ذلك ـ وكان مفاكهاً، حسن الخلق، طيب النفس؛ فقال له: أفْتَرَى؟ لقد أقبل وأدبر؛ ونحن نصبر كما صبرت**))[1]. فبدا الحياء على وجه **ابن بقِّي**، ولم يجبه. ومن عجائب الأحداث أن الحال لم يطل به كثيراً؛ إذ عاد إلى منصبه بعد صبره ـ كما تكهَّن ـ وذلك بعد وفاة **المنصور**، وانتصاب خلفه **الناصر**؛ الذي بادر إلى عزل **ابن بقِّي**، وتعيين **ابن مروان** في مرتبة قاضي القضاة؛ حيث ظلَّ في منصبه إلى أن وافته المنيّة سنة 601هـ/1204م.

ومن الروايات التي نشرها خصومه ضده للتشنيع به؛ أنهم زعموا أنه قَبِلَ ضيافة يهودي في تلمسان؛ فنزل بداره؛ فأكرمه ذلك اليهودي أيّما إكرام، ووفّر له كل ما استطاع. فزعموا أنه اختلى به؛ وحاوره في أمور دينه؛ ثم ادَّعَوْا أنه قال له: ((**يا إسرائيلي؛ دياركم نظيفة، وطعامكم طيب، وشرابكم رائق؛ ما أظنكم إلاّ على الحق**))[2].

---

[1] **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص: 33.**

[2] **نفسه، ص: 33.**

ومن شعره قوله واصفاً دعوة صنعها بعض أصدقائه؛ كان هو المتصرف بين أيديهم:

يَا حَبَّذَا دَعوتُكَ المُرْتَضَى جَميعُها مِنْ كُلِّ فَضْلٍ عَمِيمْ

كَأَنَّنَا الأغْصانُ سُكْراً بِها وأنْت فِيمَا بَيْنِنَا كَالنَّسِيمْ

وجاءَنَا خُبْزٌ رَأَيْنَا بِهِ في هَالَةِ الخَيْرِ وُجوهَ النَّعِيمْ

وعلَّق ابن سعيد على هذ البيت الأخير فقال: **((وقوله؛ وهو في غاية الحسن؛ ولم أسمع في معناه مثله))**[1]. وأشار أيضاً إلى أحد أولاد صاحب الترجمة؛ ولقبه **بأبي زكرياء**؛ وقال إنه كاتب وحافظ للأدب وشاعر. وتولى قضاء **ألمرية**. ولكنه وصفه بالبخل. ثم أضاف: **((وهو شاعر تقف على ترجمته في سنة اثنين وخمسين وستمائة))**[2]. ولعلَّ هذا الشخص هو ابنه الذي ذكره يحيى بن خلدون في بغية الرواد؛ مع تغيير في اسم الأب؛ وسماه: أبا علي مروان بن محمد بن علي بن مروان بن جبل. وقد يكون أحد أبنائه الآخرين.

***

[1] الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص: 34.
[2] نفسه، ص: 34.

يوسف بن محمد،

ابن يوسف. الشهير بابن النحوي

(أبو الفضل).[1]

فقيه مجتهد، وداعية مؤثر، وأديب لبيب وشاعر مفلق. ولد **بتوزر** – وفي قول **ببسكرة** – في حدود سنة 433هـ/1041م. نشأ وتلقى تعليمه في مسقط رأسه؛ ثم رحل إلى **تلمسان**؛ أين استقرَّ بها، وشبَّ في أحضانها؛ وفي رحابها انشغل بالتدريس ونشر العلم؛ ثم انتقل – بعدها – إلى **فاس**، ثم **سجلماسة**؛ التي رحل منها إلى **مصر**؛ ولكنه قرَّر العودة إلى **بلاد المغرب**؛ حيث استوطن **قلعة بني حماد**؛ أين توفي ودفن سنة 513هـ/1119م. قال عنه القاضي **أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي**[2]: **((هو في بلادنا بمنزلة الغزالي؛ في**

---

[1] له ترجمة في: التشوف إلى رجال التصوف. والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. وجذوة الاقتباس. ونيل الابتهاج على هامش الديباج. والإعلام. وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان. وله بعض المقطوعات في خريدة القصر وجريدة العصر. ووردت مقطوعة عن فاس في الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ مع نبذة عنه؛ ص: 16.

[2] صاحب كتابَيْ: النبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية، وكتاب أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ولد في حدود عام 548هـ/1105م، وتوفي في سنة 628هـ/1231م.

العلم والعمل))[1]. وقال فيه القاضي عياض: **((أخذ هو والمازري عن اللخمي؛ وكان من أهل العلم والفضل؛ شديد الخوف من الله تعالى في غالب أحواله؛ كثير الحضور من الله تعالى؛ لا يقبل من أحد شيئاً؛ إنما يأكل ما يأتيه من توزر))**[2]. أخذ العلم عن أبي عبد الله المازري، وأبي زكرياء الشقرطيسي، وعبد الجليل الربعي. ومن تلاميذه: أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بابن الرمامة، وأبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي. وذكر من أصحاب أبو الفضل؛ أبو موسى اللخمي.

---

[1] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص: 300.

[2] نفسه، ص ص: 300 - 301.

وقال التادلي: ((ولما أفتى فقهاء أهل المغرب بإحراق كتب الغزالي، وأمر السلطان بإحراقها؛ انتصر لأبي حامد رحمه الله تعالى؛ وكتب إلى السلطان في ذلك))[1].

قال أحمد بن القاضي: ((وكان أبو الفضل من أهل العلم والعمل؛ وكان ممن انتصر لعدم إحراق الإحياء للغزالي؛ وكتب علي بن يوسف إلى مدينة فاس بالتحرج على الناس في كتاب الإحياء؛ وأن يحلف الناس بالأيمان المغلظة؛ أن الإحياء ليس عندهم؛ فقال أبو الحسن بن حرزهم: "لمّا وقع هذا؛ ذهبت إلى أبي الفضل أستفتيه في تلك الأيمان؛ فأفتاني بأنها لا تلزم. وكانت عل محمله أسفار؛ فقال لي هي من الإحياء؛ ووددت أني لا أنظر في عمري سواها"))[2].

---

[1] التشوف، ص: 96.

[2] جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام فاس، ص: 552.

مــن شعــره

ومـــن شعـــر أبي الفضـــل؛ القصيـــدة الشهيـــرة باســـم **((المنفرجـــة))**[1]؛ وجـــاء فيهـــا[2]:

اشتَـــدِّي أزمـــةُ تَنفَـــرِجي
قَـــد آذَنَ لَيلُـــكِ بِالبَلَـــجِ

وَظَلامُ اللَّيـــلِ لَـــهُ سُـــرُجٌ
حتَّي يَغشَـــاهُ أبُـــو السُـــرُجِ

وَسَحَابُ الخيـــرِ لَهَا مَطَـــرٌ
فَـــإِذَا جَـــاءَ الإِبّـــانُ تَـــجي

وَفَوائِـــدُ مَولانـــا جُمَـــلٌ
لِسُرُوحِ الأَنفُـــسِ والمُهَـــجِ

ولَهـــا أَرَجٌ مُـــحيِ أَبَـــدا
فَاقصُـــد محيَـــا ذاكَ الأَرَجِ

---

[1] نظمهـا جراء مـا وقـع لـه؛ حين أخذ واحد مـن أهل السلطان مالـه؛ ولكن ذلـك المتسلـط رأى في منامـه رجـلاً؛ هدَّده بحربـة في يـده؛ وقـال لـه: إن لـم تـرد أمـوال مـن اغتصبتـه قتلتـك؛ فاستيقـظ مذعـوراً؛ وردهـا.

[2] قـام بعض العلمـاء والأدبـاء بشرحهـا وتخمسهـا؛ منهـم: الشيـخ الفقيـه أبـو محمـد عبـد اللـه بن نعيـم الحضـرمي القرطـبي (ت: 636هـ/1236م)؛ الـذي خمـس قصيـدة المنفرجـة؛ وتخميسـه منشـور في "عنـوان الدرايـة فيمـن عـرف مـن العلمـاء في المائـة السابعـة ببجايـة"؛ ص: 326 - 332.

فَلَرُبَّمَــا فــاضَ المحيَــا

بِبحُــورِ المَوجِ مِنَ اللُّجَــجِ

وَالخَلــقُ جَميعــاً في يَــدِهِ

فَــذَوُو سِعَــةٍ وذَوُو حَــرَجٍ

وَنزُولهُـــمُ وَطُلُوعُهُـــمُ

فَعَــلى دَرَكٍ وَعَــلَى دَرَجِ

ومَعائِشُهُـــم وَعَواقِبُهُـــم

لَيستَ في المَشيِ عَلى عِوَجِ

حِكَمٌ نُسِجَت بِيَــدٍ حَكَمَــت

ثُــمَّ انتَسَجَــتْ بِالمُنتَسَــجِ

فَإذا اقتَصَدت ثُم انعَرَجَــت

فَبِمقتَصِــدٍ وبِمُنعَـــرِجٍ

شَهِــدت بِعَجائِبِهــا حُجَــجٌ

قامَت بِالأَمرِ عَلى الحِجَــجِ

وَرِضاً بِقَضَــاءِ اللَهِ حَــجِيَ

فَعَلَى مَــر كُوزَتِــهِ فَعُــجِ

وَإذا انفَتَحَــت أَبوَابُ هُــدى

فاعجِــل لِخَزائِنِهَــا ولِــجِ

وَإذا حاولَـــت نِهايَتَهــــا

فاحــذَر إذ ذاكَ مِنَ العَــرَجِ

لِتَكُــونَ مِــنَ السُبَّـــاقِ إذا

ما جِئْــتَ إِلى تِلْكَ الفُــرَجِ

فَهُنَــاكَ العَيْــشُ وَبَهجَتُــهُ

فَلِمُبْتَهِـــجٍ ولِمُنْتَهِـــجِ

فَهِجِ الأَعمَــالَ إِذا رَكَــدَتْ

فَــإِذا ما هِجْــتَ إِذاً تَهِــجِ

ومَعَــاصِي اللَهِ سَماجَتُهــا

تَزْدَانُ لذِي الخُلُــقِ السَمِــجِ

ولِطَاعَتِـــهِ وَصَبَاحَتِهـــا

أَنْــوَارُ صَبَــاحٍ مُنْبَلِــجِ

مَن يَخطِبْ حُور الخُلدِ بِهـا

يَظْفَــرْ بِالحُــورِ وَبالغُنُــجِ

فَكُنِ المَرضِيَّ لَهَــا بِتُــقَىً

تَرضَاهُ غَداً وَتَكُــونُ نَــجِي

واتْــلُ القُــرآنَ بِقَلْــبٍ ذِي

حَزَنٍ وَبِصَوتٍ فِيهِ شَــجِي

وَصَــلاةُ اللَّيْــلِ مَسافَتُهــا

فاذهَب فِيهَــا بِالفَهــمِ وجِي

وَتَأَمَّلْهـــا وَمَعَانِيهَـــا

تَــأْتِ الفِــرْدَوسَ وَتَنفَــرِجِ

وَاشرَب تَسنيـــمَ مَفُجَّرِهـــا

لا مُمتزِجـــاً وَبممتـــــزِجِ

مُدِحَ العَقــلُ الآتيـــهِ هُـــدىً

وهَوىَ مُتَولٍّ عَنـــهُ هُـــجى

وَكِتَـــابُ اللَـــهِ رِياضَتُـــهُ

لِيقُـــول الخلـــق بِمُنـــدَرِجِ

وَخِيـــارُ الخَلـــقِ هُداتُهُـــمُ

وَسِوَاهُم مِن هَمَـــجِ الهَمَـــجِ

واذا كُنـــت المِقـــدَامُ فَـــلا

تجزَع في الحَربِ مِنَ الرَّهَجِ

وَإِذا أَبصَرت مَنَـــارَ هُـــدىً

فاظهَـــر فَرداً فَـــوق الثَبَـــجِ

وَإِذا اشتاقَـــت نَفسٌ وَجَـــدَت

أَلَمـــاً بالشَّـــوقِ المُعتَلِـــجِ

وَثَنايـــا الحَسنـــا ضاحِكَـــةٌ

وَتَمامُ الضِّحكِ عَلى الفَلَـــجِ

وَعِيابُ الأَسرَارِ قَدِ اجتَمَعَت

بِأَمانَتِهـــا تحَـــت الشَّـــرَجِ

والرِّفـــقُ يَـــدُومُ لِصَاحِبِـــهِ

وَالخَرقُ يَصيرُ إِلى الهَـــرَجِ

صَلَوَاتُ اللَهِ عَلى المَهــدِيِّ

الهادِي النـــاسِ إِلي النَّهَــجِ

وَأَبي بكــرِ في سِيرَتِـــهِ

ولِسَـــانِ مَقَالَتِـــهِ اللَهَـــجِ

وَأَبي حَفــصٍ وَكَرَامَتِـــهِ

في قِصـــةِ سارِيَـــةِ الخُلُـــجِ

وَأَبي عَمــرٍ وَذِي النُّورَيْـــنِ

السْتَحيي المستَحيَـــا البَهِـــجِ

وَأَبي حَسَـــنٍ في العِلــمِ إذا

وافى بِسَحائِبِـــهِ الخُلُـــجِ

ـ ولـــه أيضـــاً:

أصْبَحْـــتُ فيمَـــنْ لَهُـــمْ[1] ديـــنٌ بِـــلاَ أَدَبِ

وَمِـــنْ لُـــهُ أَدَبٌ عَـــارٍ مِـــنَ الدِّيـــنِ

---

[1] في جذوة الاقتباس: ((لــه)).

أصْبَحْــتُ فيهِمِ غريـــبَ[1] الشَّكْلِ مُنْفَــرِداً[2]
كَبَيْــتِ حَسَّـــانِ في دِيــوَانِ سَحْنُــونِ[3]

ـ وقولــه كذلــك في مدينـــة فـــاس:

يَا فَـــاس مِنْكِ جَمِيعُ الحُسْــنِ مُسْتَــرِقُ
والساكنـــوك أهنيهـــم لقـــد رزقـــوا[4]

هـــذا نسيمـــك أم راح[5] لراحتنـــــا
مـــاؤك السلسبيـــل[6] الصـــافي أم ورق[7]
أرض تخللتهـــا[8] الأنهـــار داخلهـــــا
حتى المجالـــس والأســـواق والطـــرق[9]

---

[1] في التشـوف: ((فقيـد)).
[2] جاء هذا الشطر في جذوة الاقتباس هكذا: ((وقـد غـدوت لفقـد الشكـل منفـرداً))
[3] البستـان في ذكـر الأوليـاء والعلمـاء بتلمسـان، ص: 301. والتشـوف إلى رجـال التصـوف، ص: 97. وقد أشـار ابن النحـوي هنـا؛ إلى بيت حسـان بن نعمـان في حـرق نخيل بـني نضير؛ إذ اقتبـس في بـاب الجهـاد بمدونـة الإمـام سحنـون. وجـاء بيت حسـان هكـذا:
"وهـان على سـراه بني لؤي حـريق بالبويـرة مستطيـر"
[4] جاء هذا الشطر في جذوة الاقتباس هكذا: ((وساكنـوك أهنيهـم بمـا رزقـوا)).
[5] في جـذوة الاقتبـاس: ((روح)).
[6] نفســه: ((السلـس)).
[7] جاء هذا الشطر في جذوة الاقتباس هكذا: ((وماؤك السلس الصافي أم الورق)).
[8] نفســه: ((تخللهـا)). وهـذا أفضـل.
[9] الأنيـس المطـرب بـروض القرطـاس، ص: 16.

ـ وقــال في مــدح مصــر[1]:

أَيْــنَ مِصْــرُ وَأَيْــنَ سُكَّــانُ مِصْــر
بَيْنَنــا شُقَّــةُ النَّــــوَى وَالبعـــاد

حَدِّثَــاني عــنْ نيــلِ مِصْــر فَــإِنِّي
مُنْــذُ فارَقْتُــهُ إِلَى المَــاءِ صـــاد

والرِّيــاضُ الــتي عــلى جانِبَيْـــهِ
وَاجْعَــلاَهُ مِــنَ الأحاديـــثِ زادي

رَقَّ قَلْــبِي حَــتَّى لَقَــدْ خِلْــتُ أَنِّي
بَيْــنَ أَيْــدي الـــزُوَّارِ وَالعُـــوَّاد

مَــا تَــرَانِي أَبْـكِي على كُــلِّ رَبْــعٍ
مَــا تَــرَانِي أَهِيــمُ في كُــلِّ وَادي

رَوْشَـــنٌ مِــنْ رَوَاشِــنِ النِّيــلِ خَيْــرٌ
بَعْــدُ مِــنْ دَجْلَــةٍ وَمِــنْ بَغْـــدَاد

وَمِنَ القَصْــرِ قَصْــرُ شَــدَّاد ذاكَ الـــ
ـــمُشْــرِفِ المُرْتَــقي عــلَى سِنْــداد

إِنَّ مِصْــر لَهــا مَعــانٍ لَعَمْــري
قَــدْ تَأَبَّــتْ عــلَى جَميــعِ البِــلاَد

[1] خريـدة القصـر في جريـدة العصـر، ج: 1، ص: 325.

هَــذِهِ الأَرْضُ إِنَّمَـــا هِيَ نَـــادٍ
مِصْــرُ مِــنْ بَيْنِهَـــا سِــرَاجُ النَّـــادي
أَسْعَدَتْــنِي يَـــا صَاحِــبَيَّ عَــلَى هَــــ
ــذا البُكَـــا حَاجَــتِي إِلَى الإِسْعَــاد

ــ وقـــال في حجـــة الإســـلام الإمـــام أبي حامـــد الغـــزالي[1]:

أَبُو حَامِــدٍ أَحْيَـــا مِنَ الدِّيــنِ عِلْمَـــهُ
وجَـــدَّدَ مِنْـــهُ مَا تَقَـــادَمَ مِـــنْ عَهْــدِ
وَوَفَّقَـــهُ الرَّحْمَـــنُ فِيمَـــا أَتَى بِـــهِ
وَأَلْهَمَـــهُ في مَـــا أَرَادَ إِلَى الرُّشْـــدِ
فَفَصَّلَهَـــا تَفْصِيلَهَـــا فَـــأَتَى بِهَـــا
فَجَاءَتْ كَأَمْثَالِ النُّجُــومِ التي تَهْــدِي

ــ وطلــب منــه بعــض أقاربــه أن يتشفــع لــه عنــد ظالــم مــن أهــل السلطــان؛ كي يسمــح لــه بالعــودة إلى ديــاره بعــد فــراره منهــا. فأجابــه أبــو الفضــل: سأفعــل، وأتضــرع إلى اللــه تعــالى؛ ثــم قــال في تجهــده:

[1] خريـدة القصـر في جريـدة العصـر، ج: 1، ص: 326.

لبست ثوب الرجا والناس وقد رقــدوا

وقمــت أشكــو إلى مــولاي ما أجــد

وقلــت يــا سيــدي يــا منتهى أمــلي

يــا مــن عليه بكشف الضــر أعتمــد

أشكــو إليــك أمــورا أنــت تعلمهــا

مــالي عــلى حملها صبــر ولا جلــد

وقــد مــددت يــدي للضــر مشتكيــا

إليــك يا خير مــن مــدت إليــه يــد

* * *

المائـة السابعـة هجريـة

من 600 ـ 700 هـ

ابراهيم بن ابي بكر

ابن عبد الله بن موسى الانصاري التلمساني، (ابو اسحاق)[1].

وهو فقيه وأديب وشاعر؛ ولد **بتلمسان** في عهد الموحدين ـ ليلة غرة رجب من سنة 609هـ/1213م ـ ثم عبر به والده؛ وهو ابن تسع سنين إلى **الأندلس**؛ حيث سكن معه في **غرناطة** مدّة ثلاث سنين؛ ثم تحول إلى **مالقة** أين استقر بها وتلقى فيها دروس العلم؛ واتسعت في حضنها معارفه؛ وتنوعت مداركه في علوم شتى.ثم عاد إلى الضفّة المغربية؛ فعبر إلى سبتة؛ فتزوج بها أخت **مالك ابن المرحل**[2]؛ وكانت وفاته بهذه المدينة العريقة بعد عام 690هـ/1291م[3].

---

[1] له ترجمة في الإحاطة في أخبار غرناطة، وفي بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. وكتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة.

[2] هو أديب وشاعر بارز، ولد بمالقة سنة 604هـ/1207م وتوفي في سنة 699هـ/1299م. وتلقى تعليمه في إشبيلة وسبتة وفاس. تميّز في نظمه في وزن الدوبيت.

[3] جاء في الإحاطة؛ أنه توفي بسبتة سنة تسعين وستمائة.

ويعرف به **ابن الخطيب** أيضاً فيقول: **((وهذا الشيخ جدّ صاحبنا وشيخنا أبي الحسين التلمساني لأبيه، وهو ممن يطرز به التأليف، ويشار إليه في فنون لشهرته))**[1]. كما نسب إليه **لسان الدين ابن الخطيب** حسن المعرفة بعقد الشروط؛ والتفوق في علمي: العدد والحساب والفرائض. وقال: **((كان فقيهاً ماهراً، عارفاً بعقد الشروط، مبرزاً في العَدَدِ والفرائض، شاعراً محسناً، ماهراً في كلِّ ما يحاول))**[2]. وقد نظم أرجوزة في الفرائض أيام شبابه؛ وفي سن 28 سنة[3] بالتحديد. وصف **ابن الخطيب** تلك المنظومة بقوله: **((أرجوزة محكمةَ بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع))**[4]. وقال عنها أيضاً: **((الأرجوزة الشهيرة في الفرائض لم يُصنَّف في فنّها أحسن منها))**[5]. وإلى جانب تلك الأرجوزة في الفرائض؛ أنجز **أبو إسحاق إبراهيم التلمساني** ـ كذلك ـ منظومات أخرى في: السِّيَرِ وأمْداح النبيّ صلى الله عليه

---

[1] الإحاطة، قسم: 1؛ ص: 666.

[2] نفسه، ص: 663.

[3] جاء في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: أن عمره ـ حينما نظم أرجوزة الفرائض ـ كان عشرين سنة. ص: 56.

[4] الإحاطة، قسم: 1، ص: 663.

[5] نفسه، ص: 664.

وسلم. ومن ذلك المعشّرات على أوزان العرب، كما نظم قصيدة في التنويه بالمولد النبوي الشريف وتمجيد ذكراه؛ ثم ألف بعض الرسائل في العروض؛ من بينها عروض الدَّوبَيْتي[1]. ومن مؤلفاته أيضاً نتيجة الخير ومزيلة الضَّيْر. وذكره **أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي** في كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة؛ فقال: ((**وخبرت منه في تكراري عليه؛ تيقُّظاً، وحضور ذهن، وتواضعاً، حسن إقبال وبرٍّ، وجميل ولقاء ومعاشرة، وتوسطاً صلحاً فيما يناظر فيه من التواليف، واشتغالاً بما يعنيه من أمر معاشه، وتخاملاً في هيئته ولباسه؛ يكاد ينحطُّ عن الاقتصاد؛ حسب المألوف والمعروف بسبتة**))[2]. أما **أحمد بن الزبير** فقال عنه: ((**كان أديباً لغوياً، فاضلا، إماماً في الفرائض**))[3].

---

[1] يقصد بعلم العروض الدوبيت: القالب الشعري الفارسي الأصل؛ اقتبسه العرب من فارس. والدوبيت بالفارسية تعني (بيتين). واصطلح عليه بالرباعية. وكمثال على ذلك؛ يقول الصوفي الشهير عفيف الدين التلمساني:

الدّهْرُ رياضٌ، نحنُ فيها الزَّهَرُ   والكَوْنُ غصونٌ، نحنُ فيها الثمَرُ

والمُلْكُ لنا، وما علينا حَرَجٌ   والعيشُ صفا، فما الذي ننتظِرُ؟

[2] الإحاطة، قسم: 1، ص: 663.

[3] نفسه، ص: 664.

شعره

شعره وافر وغزير؛ غير أن ما وصل إلينا منه لا يشكل إلاّ الفتات. ووصف **ابن الخطيب** مكانته الشِّعرية بقوله: ((**مبرَّز الطبقة؛ بين العالي والوسط؛ منحازاً أكثر إلى الإجادة؛ وتقع له الأمور العجيبة فيه؛ كقوله:**))[1].

الغدر في الناس شيمة سلفت
قد طال بين الورى تصرفها
ما كل من سرَّبت له نِعمٌ
منك يرى قدرها ويعرفها
بل ربما أعقب الجزاء بها
مضرةً عنك عزّ مصرفها
أما ترى الشمس تعطف بالنُّـ
ـورِ على البدر وهو يكسفها

---

[1] الإحاطة، قسم: 1، ص: 665.

ولــه مطــولات وصفهــا **ابــن الخطيــب** بــ**((مجيــدة، وأمــادح مبديــة فــي الإحســان معيــدة))**[1]. فمــن قولــه يمــدح الفقيــه **أبــا القاســم العــزفي أميــر سبتــة:**

أرأيت من رحلــوا وزمــوا العيســا[2]

ولا نزلــوا على الطلــول حسيســاً

أحسبت سوف يعود نســف ترابهــا

[يومــاً][3] بما يشــفي لديــك نسيســاً

هل مؤنــسٍ ناراً بجانــب طورهــا

لأنيسهــا أم هــل تحــس حسيســاً

***



[1] الإحاطـة، قسـم: 1، ص: 666.

[2] زمـوا: ربطـوا بالخطـام؛ وهـو الحبـل الـذي يربـط بـه عنـق البعيـر ويشـد إلى أنفـه ليقـاد. ويقصـد هنـا: ربطـوا خطـام الإبـل بغـرض الرحيـل.

[3] أضيفـت هـذه الكلمـة مـن الملكيـة.

أحمد بن أحمد

البرشاني أصلا التلمساني داراً وموطناً

(أبو العباس)[1]

قال ابن سعيد؛ نقلاً عن والده: ((أنه من صدور الكُتَّاب. كتب بن أبي زيد بن يوجان "يوقان" ملك تلمسان. وله رسالة يخاطب بها ابن عياش[2] المذكور: "يا سيدي؛ ولا يُنَادَى غيرُ الكرام، وعمادي ولا يُعْتَمَدُ إلاّ على مَنْ يَصْرف صُروف الأيَّام؛ نداءَ من يَمُتُّ بالجوار القديم، ويَشْفَعُ بِنَسَبِ الأدب الذي لا يرعاه إلاّ كريم؛ مع ولاءٍ لوْ وَالَى به الصَّباح ما غَرَبَ عن ناظره، وصفاءٍ لوْ صَافَى به الدَّهْرَ؛ ما كَدَّر من خاطره"))[3]. كما أورد ابن سعيد هذي المقطوعة الشعرية التي نظمها أبو العباس البرشاني:

---

[1] خبره في كتاب المغرب في حلى المغرب، وكتاب باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان.

[2] هو أحد كتاب الدولة الموحدية المخضرمين. كتب عن المنصور يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن، وكتب أيضاً لولده محمد الناصر، ثم ليوسف المستنصر. وتوفي في عام 619هـ/1222م.

[3] المُغرب، في حُلَى المَغرب، ج: 2، ص: 82.

قُــمْ هَاتِهَــا ذَهَبِيَّــــةَ
تَجْلُو دُجَى اللَّيْلِ البَهِيــمْ
تُجْلَى كَما تُجْلَى العَــرُو
سُ وَفَوْقَها عِقْــدٌ نَظِيــمْ
حَلَبُ الكُــرُومِ وَمَا يُخَـــ
ــصٌّ بِشُرْبِها إلاّ كَرِيــمْ
ما زِلْــتُ فيهــا بــاذِلاً
نَشَبي الحَديثَ مَعَ القَديــمْ
وَأعدُّهــا ذُخْــراً لِمَــا
أَلْــقَى مِنَ الألَــمِ الأليــمْ
عَجَباً لَهَا تَشْــفي السَّقَــا
مَ ولَوْنُهَا لَــوْنُ السَّقِيــمْ

هــذا كــل مــا ذكــر بخصوصــه مــن معلومــات؛ ولــم يشــر **ابــن سعيــد** إلى تاريــخ ميــلاده أو وفاتــه. غيــر أن عملــه ككاتــب **لأبي زيــد بــن يوجــان (يوقــان) الهنتــاتي**؛ يفيــد أن صاحــب هــذه الترجمــة مــن أعــلام القــرن السابــع الهجــري؛ لأن ابــن يوجــان المذكــور؛ وُلِي عــلى **تلمســان** في سنــة 605هــ/1208م؛ وانتهــت ولايتــه في عــام 613هــ/1216م. وهــذه الفتــرة؛ هي الــتي كتــب فيهــا أحمــد البرشــاني عــن ابــن يوجــان. بالإضافــة أن

هــذا الأخيــر قتــل فــي عــام 626هـ/1228م. كمــا أن رسالــة البرشــاني المذكــورة سابقــاً؛ والــتي وجههــا إلى ابــن عيــاش تــدل أنــه عاصــره. وابــن عيــاش ــ كمــا هــو معلــوم ــ تــوفي في سنــة 619هـ/1222م.[1]

* * *

---

[1] أنظر المغرب في حلى المغنرب، ج: 2، ص: 81.

إدريس بن يعقوب

ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي

(ابو العلاء – المامون)[1]

أجمعت المصادر التاريخية؛ أن هذا الأمير؛ يتميز بالشهامة والحزم، والشجاعة، والجرأة، والإقدام، وبعد الهمة، ونفاذ العزيمة، وشدة الشكيمة، والنباهة، والجود، والإباء، وسعة المعرفة، والفصاحة، والبلاغة، والشاعرية؛ والتمكن من العلوم الشرعية والأدبية. وله إلمام ومعرفة بالقراءات، وضبط الروايات؛ وحسن التلاوة، وله أيضاً قدرة متميزة على الحفظ، بالإضافة إلى حسن استيعابه لكتب الحديث النبوي الشريف؛ إذ كان خلال أيام حكمه؛ يُقْرِئ كتبها؛ مثل: الموطأ، وصحيح البخاري، وسنن أبي داود. كما أشاد المختصون ببلاغته، وجودة إنشائه، وامتلاكه مفاتيح علوم اللغة العربية وآدابها.

---

[1] له ترجمة في الإحاطة في أخبار غرناطة، والبيان المغرب (قسم الموحدين)، والحلل الموشية، والأنيس المطب بروض القرطاس، وتاريخ الدولتين، وكتاب العبر، ورايات المبرزين، والأعلام، والاستقصا. وعدد كبير من كتب التاريخ والتراجم.

ونقل لسان الدين بن الخطيب عن **ابن عسكر**؛ حين وصف إدريس بن يعقوب في كتابه عن تاريخ **مالقة**؛ قوله: ((**دخل مالقة – من قبل أخيه – فوصل إليها في الحادي عشر من محرم؛ وهو شاب حدث؛ فكان منه من نباهة القدر، وجلالة النفس، وأبهة الملك؛ ما يعجز عنه كثير من الملوك. ولحين وصوله؛ عقد مجلس مذاكرة؛ استظهر له نبهاء الطلبة. وكان الشيخ علي بن عبد المجيد يحضره؛ وكان يبدو منه – مع حداثة سنه – من الذكاء، والنبل، والتفطن؛ ما كان يبهت الحاضرين**))[1].

ومقابل هذه الصفات الحميدة التي يتحلى بها؛ فثمة صفات أخرى تعكس له صورة مغايرة ومتناقضة مع الأولى. إذ عرف عنه – فيما بعد – الميل إلى الشدّة والجبروت، والتعطش لسفك الدماء. كما تميّز – من بين أسلافه – بأنه أول من أدخل الفرنجة إلى البلاد المغربية. قام بذلك تحت شدة الحاجة إليهم؛ من أجل قمع شيوخ الموحدين؛ الذين نقضوا عهده، ورجعوا عن بيعتهم له. حدث هذا؛

---

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 1، ص ص: 822 - 823.

نتيجة لما كانت تعانيه الدولة الموحدية من الضعف والاضطراب. حيث غاب الاستقرار والاطمئنان في قمة الدولة؛ حتى أنهم ثاروا على أخيه العادل وخلعوه. وفي هذه الأثناء؛ كان الأمير **أبو العلاء إدريس** والياً على **إشبيلية**؛ فلما وصله خبر خلع أخيه؛ دعا لنفسه؛ فأجابه أكثر أهل **الأندلس**. ولما علم الموحدون **بمراكش** وقوف أهل الأندلس خلف الأمير **إدريس**؛ بعثوا ببيعتهم إليه. ولكنهم تراجعوا وخلعوا البيعة؛ نتيجة لتخبطهم واضطراب أحوالهم؛ ثم أسندوا مقاليد الحكم إلى عمه أبي زكرياء ابن الخليفة الناصر. فلما تبينت له خيانتهم؛ صمَّم على كسر شوكتهم، وتأديبهم. وعمل من فوره على العبور إليهم، والتنكيل بهم. ولكنه أدرك تفاوت القوة بينه وبين أعدائه؛ لذا فقد شكل قوة عسكرية من أبناء إمارته في إشبيلية بالأندلس؛ جعل عمودها الفقري فرقة من فرسان الفرنجة؛ الذين اشتهروا باسم الروم؛ استعان بهم؛ لكي يكونوا بمثابة القوة الفعالة لوحداته الأندلسية. ولكنه ــ في المقابل ــ تنازل لهم عن قضايا جليلة، ومواقع ثمينة؛ إذ خضع لشروطهم الثقيلة؛ ومن تلك الشروط: تنازله عن عددٍ من الحصون والقلاع **بالأندلس**، ثم السماح لهم

ببناء كنيسة للنصارى **بمراكش**. وهكذا؛ فقد رضي بمطالبهم؛ ثم عبر بهم بحر الزقاق، أين اشتبك بجيش أعدائه؛ فشتت شمله، وقتل أبطاله؛ ثم زحف إلى **مراكش** حاضرة الدولة؛ أين دخلها عنوة؛ فنكل بأعدائه شرّ تنكيل. ثم أمر بالقبض على شيوخ الموحدين؛ وعقد محاكمة سريعة لهم؛ انتهت بقتلهم شرّ قتلة. قال ابن الخطيب أن عدد من أعدمهم مائة[1] بينما ترى مصادر أخرى أن من أعدموا تجاوز عشرة ألفاً[2].

---

[1] الإحاطة، قسم: 1، ص: 824.

[2] يقول ابن عذاري في كتاب البيان المغرب؛ أن الذين قتلوا أمم لا تحصى. بينما يقدر صاحب الحلل الموشية عددهم فيرى أنهم تجاوزوا أربعة عشر ألف فارس. أما صاحب الأنيس المطرب فيقول: ((فأمر بقتل جميع أشياخ الموحدين، وأشرافهم؛ فقتلوا عن آخرهم، ولم يبق منهم أحد، ولم يراع والداً ولا ولداً؛ حتى أنه أوتي بولد أخته وهو صبي صغير ابن ثلاث عشرة سنة، وكان قد حفظ القرآن؛ فلما قدم ليقتل قال له يا أمير المؤمنين أعف عني لثلاث؛ قال ما هي؟ فقال: صغر سني، وقرب رحمي منك، وحفظي لكتاب الله العزيز؛ فنظر إلى القاضي المكيدي كالمستشير له؛ ثم قال له: كيف رأيت قوة جأش هذا الغلام، وإقدامه على الكلام في هذا المقام؟ فقال له القاضي: يا أمير المؤمنين إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً؛ فأمر به فقتل. ثم أمر بتعليق الرؤوس على أسوار المدينة؛ فعلقت بدائرها؛ فكانت حِسْبَتُها أربعة آلاف رأس وستمائة رأس؛ كان زمان الصيف؛ فنتنت منها المدينة؛ وتأذى الناس من روائحها؛ فرُفِعَ إليه ذلك؛ فكان من جوابه أنْ قال: هنا مجانين، وتلك رؤس لهم أحراز؛ لا يصلح حالهم إلاّ بها؛ وإنها لعَطِرَة عند المُحِبِّين، ونَتِنَة عند المبغضين)). ص: 168.

ولم يقف عند ذلك الحد؛ بل غير مذهب الدولة الموحدية، وعطل مراسيمها الممجدة للمهدي؛ كما غير رموز الدولة المُنوِّهَة بالإمام المهدي؛ من: سكَّة، وخطبة وأذان؛ إذ حذف منه العبارات المضافة لها؛ مثل: ((تاصليت الإسلام))، و((منسوب رب))، و((بادري)).

وفي عهد إدريس المأمون؛ ازدادت محن الدولة الموحدية نمواً تعقيداً، وأضيفت إليها أمراض على أمراضها التي أصابتها من قبل؛ فدبَّت في أوصالها عاهة الانشقاق والتفكك والانحلال؛ حيث تتهلهل حالها في الداخل، وسقطت أطرافها في الخارج. وعليه؛ فقد سمحت هذه الفتنة المشتعلة بين إدريس المأمون والموحدين في بلاد المغرب؛ بظهور انشقاقات وتصدعات في رحاب الدولة الموحدية بالأندلس وإفريقية؛ إذ تغول في الأولى ابن هود الثائر ضد الدولة؛ بالإضافة إلى ازدياد تحرشات النصارى في تلك الديار. ومن جهة أخرى تصدعت الدولة الموحدية ببلاد المغرب؛ فانقسمت إلى دولتين؛ الأولى في مراكش؛ وعلى رأسها بني عبد المؤمن، والثانية في تونس بقيادة أبي زكرياء الحفصي.

اعماله النثرية والشعرية

أورد لسان الدين بن الخطيب عينات من نثريه. مثل ذلك الخطاب الذي وجهه إدريس المأمون إلى أهل الأندلس آخذاً إياهم ببيعته، صادعاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حضاً الناس على الالتزام بالصلوات، وإيتاء الزكاة، وإعطاء الصدقات؛ بالإضافة إلى النهي عن شرب الخمر وكل المسكرات. ومما قاله في خطابه؛ وهو طويل؛ وقد اختار ابن الخطيب فقرات منه؛ هي كالتالي[1]:

((الحمد لله الذي جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلين يتفرع منهما مصالح الدنيا والدين، وأمر بالعدل والإحسان، إرشاداً إلى الحق المبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الكريم، المبعوث بالشريعة التي طهرت الجيوب من الأدران، واستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان، طوراً بالشدة، وتارة باللين، القائل، ولا عدول عن قوله: "ومن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه" تنبيهاً على ترك الشك لليقين، وعلى آله أعلام الإسلام،

[1] أنظر الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 1، ص ص: 826 - 829.

الملقين راية الإسلام باليمين، الذين مكنهم الله في الأرض، فأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر[1]، وفاء بالواجب لذلك التمكين)). ثم أضاف: **((وإذا كنا نوفي الأمة تمهيد دنياها، ونعنى بحماية أقصاها وأدناها، فالدين أهم وأولى، والتَّهَمُّم، بإقامة الشريعة وإحياء شعائرها، أحق أن يقدم وأحرى، وعلينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع وندع، ونتبع السنن المشروعة ونذر البدع. ولنا أن لا ندخر عنها نصيحة، ولا نغبنها أداة من الأدوات مريحة، ولنا عليها أن تطيع وتسمع)).** وأضاف أيضاً: **((وأول ما يتناول به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، والأداء لها على أكمل صفاتها، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعتها. فقد قال عليه الصلاة والسلام: "أحب الأعمال إليّ الصلاة لأوقاتها". وقال: "أول ما ينظر فيه من أعمال العبد الصلاة". وقال عمر: إن أهم أموركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها وحافظ عليها**

---

[1] إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾. سورة الحج؛ الآية: **41.**

حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع)).

وقال أيضاً: **((لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة وهي الركن الأعظم من أركان الإيمان، والسور الأوثق لأعمال الإنسان، والمواظبة على حضورها في المساجد، وإيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمرٌ لا يضيعه المفلحون، ولا يحافظ عليها إلا المؤمنون. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد رأينا، وما يتخلف عنها إلا المنافق، معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرجلين، حتى يقام في الصف. وشهود الصبح، وعشاء الآخرة شاهد بمحضر الإيمان. ولقد جاء: حضور الصبح في جماعة يعدل قيام ليلة، وحسبكم بهذا الرجحان. ومن الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، ويأخذ بها في جميع الأمصار الصغيرُ والكبيرُ من المسلمين، ونيط في إلزامها قوله عليه الصلاة والسلام: "مُرُوا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر سنين")).**

وكتب بخط يده كاتباً لأهل **أندوجر**[1] بالأندلس قال فيه[2]: **((إلى الجماعة والكافة من أهل فلانة، وقاهم الله عثرات الألسنة، وأرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة، أما بعد؛ فإنه قد وصل من قبلكم كتابكم الذي جدد لكم أسهم الانتقاد، ورماكم من السهاد، بالداهية السّاد، أتعتذرون من المحال بضعف الحال، وقلة الرجال؛ إذاً نلحقكم بربّات الحجال، كأنّا لا نعرف مناحي أقوالكم، وسوء منقلبكم وأحوالكم، لا جرم أنكم سمتعم بالعدو قصمه الله، وقصده إلى ذلك الموضع عصمه الله، فطاشت قلوبكم خوراً، وعاد صفوكم كدراً، وشممتم ريح الموت ورداً وصدراً، وظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب، وأن الفضاء قد غص بالتفاف القنا واصطفاف المناكب، ورأيتم غير شيء فتخيلتموه طلائع الكتائب، تباً لهمتكم المنحطة، وشيمتكم الراضية، بِأَدْوَن خطة، أحين ندبتم إلى حماية إخوانكم، والذب عن كلمة إيمانكم نسقتم الأقوال وهي مكذوبة، ولفقتم الأعذار**

---

[1] اندوجر: بلدة في الأندلس تسمى بالإسبانية **Andujar**؛ تتواجد شمال شرقي قرطبة؛ على ضفاف النهر الكبير. والرسالة المذكورة موجودة أيضاً في البيان المغرب (قسم الموحدين).

[2] أنظر مقتطفات منها في الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 1، ص ص: 830 - 832.

وهـي بالباطـل مشوبـة. لقـد آن لكـم أن تتبدلـوا جِـلَّ الخُرْصَـان[1]، إلـى مغـازل النسـوان، ومـا لكـم ولصهـوات الخيـول؛ وإنمـا علـى الغانيـات جـر الذيـول. أتظهـرون العنـاد تخريصـاً، بـل تصريحـاً وتلويحـاً، ونظـن أن لا يجمـع لكـم شتًّـا، ولا يـدني منكـم نزوحـاً. أيـن المفـر وأمـر اللـه يدرككـم، وطلبنـا الحثيـث لا يترككـم، فأزيلـوا هـذه النزعـة النفاقيـة مـن خواطركـم، قبـل أن نمحـو بالسيـف أقوالكـم وأفعالكـم، ونستبـدل قومـاً غيركـم ثـم لا يكونـوا أمثالكـم[2]. ونحـن نقسـم باللـه لـو اعتسفتـم كـل بيـداء سملـق[3]، واعتصمتـم بأمنـع معقـل، وأحفـل فيلـق، مـا ونينـا عنكـم زمانـاً، ولا ثنينـا عـن استيصـال العـزم منكـم عنانـاً فـلا يغرنكـم الإمهـال، أيهـا الجهـال)).

---

[1] الخرصـان: هي الرمـاح الدقيقـة والقصيـرة السنـان.

[2] إشـارة إلى قولـه تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾. سـورة محمـد، مـن الآيـة: 38. وقـال سبحانـه وتعـالى في سـورة التوبـة أيضـاً: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. الآيـة: 39.

[3] السملـق: القـاع الصفصف، والأرض المستويـة.

ومن توقيعاته الموجزة الشهيرة؛ ما أورده **ابن عسكر**؛ حين قال: ((**وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة. فمنها أن امرأة رفعت رقعتها بأحد من الأجناد ممن نزل دارها، وصدر لها أمر يُنْكر؛ فوقع على رقعتها: "يُخْرج هذا النازل، ولا يعوض بشيء من المنازل"**))[1]. وتوقيع آخر ورد ذكره في **المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب**؛ ردَّ فيه **أبو العلاء المأمون** على أحد كتابه[2]؛ كان قد تركه ثم عاد إليه؛ ولكنه أكثر عليه في الطلب والشكوى. وجاء في نص المُغْرِب: ((**وتسبب إلى المأمون؛ وأنشده قصيدة؛ منها:**

مـوْلاَيَ إنَّ بَلِيَّـتْي مـعَ خِدْمَـتِي

خصْمَـانِ فَاحْكُـمْ لِلَّـتِي هِيِ أقْـدَمُ

ثم اكثر عليه في الرِّقَاعِ في ذلك. فوقّه له المأمون: " يا هذا؛ قد أكثرت علينا من الرِّقاع؛ وقد أمضينا لك حكم ابن الرِّقاع"))[3].

وجاء في الأنيس المطرب بروض القرطاس؛ أنه اعتلى منبر جامع المنصور في **مراكش**؛ بعد إخماده

---

[1] **الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 1، ص: 834.**

[2] **اسمه أبو يحيى أبو بكر بن هشام.**

[3] **المغرب في حلى المغرب، ج: 1، ص: 74.**

لفتنـــة الموحديـــن، والقضـــاء عـــلى خصومـــه؛ فقـــال بعـــد أن لعـــن المهـــدي: **((أيهـــا النـــاس لا تدعـــوه بالمعصـــوم وادعـــوه بالغـــوي المذمـــوم؛ أنـــه لا مهـــدي إلاَّ عيـــسى؛ وأنـــا قـــد نبئنـــا أمـــره النحيـــس))**[1]. ثـــم أمـــر ــ مـــن يومهـــا ــ أن يسقـــط اسـم المهـــدي مـــن الخطبـــة؛ كمـــا قـــرر تغييـــر هيئـــة الدرهـــم مـــن الشكـــل المربـــع المعمـــول بـــه في الدولـــة الموحديـــة الأولى؛ إلى الشكـــل الدائـــري.

ــ ومـــن شعـــره هـــذه المقطوعـــة الـــتي ارتجلهـــا في ختـــام خطبتـــه:

أَهْلُ الحَرَابَةِ وَالفَسَادِ مِنَ الـــوَرَى
يُعْـــزَوْنَ فِي التَّشْبِيـــهِ لِلذُّكَـــارِ
ففَسَـــادُهُ فِيهِ الصَّـــلاَحُ لِغَيْـــرِهِ
بِالقَطْـــعِ وَالتَّعْلِيـــقِ بِالأَشْجَـــار
مَرْآهُـــمُ ذِكْرى إِذَا مَا أَبْصـــرُوا
فَوْقَ الجُذُوعِ وَفِي ذُرَى الأَسْـــوَارِ
وَكَذَا القِصَاصُ حَيَاة أَرْبَابِ النُّهَى
وَالعَدْلُ مَأْلُـــوفٌ بِكُـــلِّ جِـــوَارِ
لَوْ عَـــمَّ حِلْم اللَّـــهِ كَافَّة خَلْقِـــهِ
مَا كَانَ أَكْثَرُهُـــمْ مِنْ أَهْلِ النَّـــارِ

[1] ص: 167 .

وتوفي **أبو العلاء المأمون** في ليلة الخامس عشر لمحرم سنة 630هـ/1232م؛[1] في وادي أم الربيع أثناء عودته من نواحي سبتة إلى مراكش؛ فكتمت زوجه حبابة الرومية ـ أم ابنه وخليفته الرشيد ـ خبر وفاته؛ وادعت مرضه. ولما دخلو حاضرة الدولة، واستقروا في بلاط الحكم؛ أظهرت وفاته؛ وقدم ابنه الرشيد لخلافته.

***

[1] ورد في البيان المغرب (قسم الموحدين): ((توفي يوم السبت منسلخ ذي الحجة من سنة تسع وعشرين وستمائة؛ فكانت دولته خمسة أعوام وثلاثة أشهر)). ويتفق صاحب الحلل الموشية مع هذا القول.

سليمان بن عبد الله

ابن عبد المؤمن بن علي، (ابو الربيع)[1]

هو الأمير الأديب الشاعر **أبو الربيع الموحدي**؛ حفيد الخليفة الموحدي **عبد المؤمن بن علي**. ويعود في أصوله الأولى إلى أحواز **تلمسان**، وينتمي إلى قبيلة **كومية الأمازيغية**. وربما يكون والده عبد الله، هو أكبر أبناء عبد المؤمن[2]؛ وتقول المصادر أنه قام بمحاصرة مدينة تونس سنة 553هـ/1158م دون جدوى. فعاد من حيث أتى. ولمّا توفي عبد المؤمن؛ اتفق أخواه: أبو حفص وأبو يعقوب ـ وهما من أم واحدة ـ على تجاوزه، ونقل الخلافة إلى أبي يعقوب. وتقول بعض الروايات أنهما دسَّا له السُّمَّ بواسطة جارية له[3].

---

[1] له ترجمة في نفح الطيب، وفي المعجب في تلخيص أخبار المغرب، والغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، والأعلام، ومعجم أعلام الجزائر، والقبائل الأمازيغية.

[2] قال هذا ابن سعيد في كتاب الغصون اليانعة. بينما قال عبد الواحد المراكشي في المعجب: أن أكبر أولاد عبد المؤمن هو محمد.

[3] الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص: 131.

وكان **أبو الربيع** ـ في البداية ـ والياً على **بجاية**؛ أين انشغل في مواجهة الفتنة التي أشعلها **علي بن إسحاق بن غانية المسوفي**؛ فانتهى الأمر بتغلب ذلك الثائر على المدينة، وخروج **أبي الربيع** منها. ولكن الخليفة **أبا يعقوب** استعادها بعد فترة قصيرة. وبعد ذلك؛ تنقل **أبو الربيع** إلى ولايات أخرى؛ **كبلنسية بالأندلس، وسجلماسة** في جنوب المغرب؛ أين سهر على مطاردة قُطَّاع الطُّرُق، وناهِبي القوافل التجارية، ولصوص الصحراء؛ حيث اعتنى بتمهيد السُّبُل، وتأمين التجارة من وإلى إفريقيا السوداء. ونقل **المقري** عن كتاب رحلة **ابن حمويه السرخسي الدمشقي**؛ خَبَر لِقَاء صاحب الرحلة بالأمير **أبي الربيع**؛ جاء فيه: **((وكان ـ في تلك المدة ـ يلي مدينة سجلماسة وأعمالها؛ اجتمعت به حين قدم إلى مراكش؛ بعد وفاة المنصور يعقوب؛ لمبايعة ولده محمد. فرأيته شيخاً بَهيَّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين: العربية، والبربرية))**[1].

---

[1] **نفح الطيب، ج: 3، ص: 105.**

ثم نقل **المقري** نصاً لخطاب بعث به الأمير **أبو الربيع** إلى أحد ملوك **غانة**؛ يستنكر فيها المضايقات التي يتعرض لها التجار الوافدين إلى دياره من بلاد المغرب. ثم نقل ذلك الخطاب أيضاً من رحلة **السرخسي**؛ وجاء فيه: **((نحن نتجاور بالإحسان؛ وإن تخالفنا في الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعية؛ ومعلوم أن العدل من لوازم الملك في حكم السياسة الفاضلة؛ والجور لا تعانيه إلاَّ النفوس الشريرة الجاهلة؛ وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده؛ وتردد الجلاَّبة إلى بلد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها؛ ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية؛ لكننا لا نستصوب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهَى عن خلق ونأتي مثله؛ والسلام))**[1].

ولأبي **الربيع** مختصر كتاب الأغاني، وديوان شعر. ويزعم **المراكشي**؛ في معجبه؛ أن بعض شعره قد يكون منحولاً. ونسب ذلك العمل إلى كاتبه أبي عبد الله محمد بن عبد ربه. وهو حفيد أبي عمر

---

[1] **نفح الطيب ، ص: 105.**

ابن عبد ربه الأندلسي. ولكن ما شهد به **الشُّقَندي** ـ في معجمه ـ يخالف هذا المزعم. وقال فيه أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (ابن سعيد): **((وذكره الشَّقُنْدي في مُعْجَمِه؛ فأطنبَ في الثَّناءِ عليه؛ وقال: هو من مفاخِرِ بني عبد المؤمن؛ وأحلَّه منهم مَحَلَّ ابن المُعْتَز من بني العبَّاس، وابن المُعِزِّ من العُبَيْديين. وقال: كان قديراً على النظم، حافظاً للآداب، جواداً لمن يتعلَّق بأدنَى سببٍ يجبُ رَعْيه. وخَبِرْتُهُ؛ فوجدْتُه يجود في أكثر الأوقات بما لا يساعد عليه الزَّمان. قال: "ولقد قلت له يوماً: يا سيدنا؛ تكلفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت". فضكك، وقال: "إنا نغالب الزمان فيما نتكلف، ونرجو من فضل الله ألاَّ يغلبنا"))**[1].

ومن شعر **أبي الربيع**؛ هذه المقطوعة التى أرسلها لابن عمه؛ الخليفة **يعقوب المنصور**؛ بعد جفوة حدثت بينهما؛ فانتهز مناسبة قدوم وفد من العرب، والغُزِّ؛ من بلاد الشّام؛ فاستأذنوا المثول بين يدَيِ الخليفة؛ فكتب إليه **أبي الربيع** هذه الأبيات:

---

[1] **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة، ص: 132.**

يَا كَعْبَـــةَ الجُودِ التي حَجَّـــتْ لَهَـــا

عَــرَبُ الشَّــآمِ وَغُزُّهَـــا وَالدَّيْلَــمُ

طُوبَى لِمَنْ أمْسَى يَطُوف بهَا غــداً

وَيَحِــلُّ بالبَيْــتِ الحَــرَامِ وَيحْــرِمُ

وَمِنَ العَجَائِــبِ أنْ يَفُــوزَ بِنَظْــرَةٍ

مَنْ بالشَّــآمِ وَمَــنْ بمَكَــة يُحْــرَمْ

فاستحســن المنصــور قولــه، وعفــا عنــه. وطلــب منــه أن يتــولى أمــر استقبالهــم، والدخــول بهــم عليــه؛ وأن يكــون هــو مــن يرافقهــم أثنــاء الخــروج مــن عنــده.

ـ وفي مناسبــة أخــرى قــال يخاطــب المنصــور:

فَلأمْــلأنَّ الخَافِقَيْــنِ بِذِكْرِكُــمْ

مَا دُمْتُ حَيًّا نَاظِمــاً وَمُرَسِّــلاَ

وَلأَ بْذلَنْ نُصْحِي لَكُمْ جَهْدِي وَذا

جَهْدَ المُقلِّ وَمَا عَسَى أنْ أفْعَــلاَ

وَلأخْلِصَنَّ لَكَ الدُّعَاءَ، وَمَا أنَــا

أهْــلٌ لَــهُ، وَلَعَلَّــهُ أنْ يُقْبَــلاَ

ـ ولمـا فتحـت قفصـة؛ قـال هـذه القصيـدة؛ مهنئـا بهـا الخليفـة المنصـور:

هَبَّـتْ بِنَصْرِكُـمُ الرِّيَـاحُ الأرْبَـعُ
وَجَـرَتْ بِسَعْدِكُـمُ النُّجُـومُ الطُّلَّـعُ

وَاسْتَبْشَـرَ الفُلْـكُ الأثِيـرُ تَيَقُنـاً
إِنَّ الأمُـور إلى مُـرَادِكَ تَرْجِـعُ

وَأَمَـدَّكَ الرَّحْمَـنُ بِالفَتْـحِ الَّـذي
مَـلأَ البَسِيطَـةَ نُـورُهُ المُتَشَعْـشِـعُ

لِمَ لاَ وَأَنْـتَ بَذَلْـتَ فِي مَرْضَاتِـهِ
نَفْسـاً تُفَدِّيهَـا الخَلائِـقُ أجْمَـعُ

وَمَضَيْتَ فِي نَصْرِ الإلَـهِ مُصَمِّمـاً
بِعَزِيمَـةٍ كَالسَّيْـفِ بَـلْ هِي أقْطَـعُ

لِلَّـهِ جَيْشُكَ وَالصَّـوَارِمُ تُنْتَـضَى
وَالخَيْـلُ تَجْـرِي وَالأسِنَّـةُ تَلْمَـعُ

مِنْ كُلِّ مَنْ تَقْـوَى الإلَـهِ سِلاَحُـهُ
مَـا إنْ لَـهُ غَيْـرُ التَّوَكُّـلِ مَفْـزَعُ

لاَ يُسْلِمُـونَ إلى النَّـوازِلِ جارَهُـمْ
يَوْمـاً إذا أضْـحَى الجِـوارُ يُضَيَّـعُ

ـ إلى أن يقــول في وصـــف انهــزام الأعــداء:

إنْ ظَــنَّ أنَّ فِــرَارَهُ مُنْــجٍ لَــهُ
فبِجَهْلِــهِ قَــدْ ظَــنَّ مَا لاَ يَنْفَــعُ

أيْنَ المَفَــرُّ وَلاَ فِــرَارَ لِهَــارِبٍ
وَالأرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ

أخَلِيفَــةَ اللَّـــهِ الــرِّضَى هُنِّيتَــهُ
فَتْــحٌ يُمَــدُّ بِمَا سِــوَاهُ وَيُشْفَــعُ

فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِــزاً شَامِخــاً
وَلَبسْــتَ مِنْهُ أنْــتَ مَا لاَ يُخْلَــعُ

هَيْهَاتَ سِــرٌّ اللَّـــهِ أودِعَ فِيكُــمُ
وَاللَّـــهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَــعُ

لَكُمُ الهُــدَى لاَ يَدَّعِيــهِ سِوَاكُــمُ
وَمَنِ ادَّعَــاهُ يَقُولُ مَا لاَ يُسْمَــعُ

إنْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ الخَلاَئِــقِ كُلِّهَــا
فَإلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُومِي الإصْبَــعُ

إنْ كُنْتَ تَتْلُــو السَّابِقِيــنَ فَإنَّمَــا
أنْتَ المُقَــدَّمُ وَالخَلاَئِــقُ تُبَّـــعُ

خُذْهَا أمِيــرَ المُؤْمِنِيــنَ مَدِيحَــةً
مِنْ قَلْبِ صِدْقٍ لَمْ يَشِنْهُ تَصَنُّــعُ

واسلَــمْ أمير المُؤمنيــنَ لأمَّــةٍ

أنْت المَــلاذُ لَها وأنْت المَفْــزَعُ

فَالْمَدْحُ مِنيٍّ فِي عُــلاَكَ طَبيعَــةٌ

وَالمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إلَيــْكَ تَطَبُّــعُ

وعَلَيْــكَ يــا عَلَــمَ الهُــداةِ تَحِيَّــةٌ

يَفْنَى الزَّمَانُ وَعَرْفُهــا يَتَضَــوَّعُ

ـ ولــه أيضــا هــذه الأبيــات الغزليــة الشهيــرة:

أقُولُ لِرَكْــبٍ أدْلَجُــوا بِسُحَيْــرَةٍ

قِفُوا سَاعَــةً حَتىَّ أزُور رِكَابَهَــا

وَأمْلأُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِ وجْهِهَــا

وَأشْكُو إلَيْهَا أنْ أطَالَــتْ عِتَابَهَــا

فَإنْ هِي جَادَتْ بِالْوِصَالِ وَأنْعَمَتْ

وَإلاَّ فَحَسْبِي أنْ رَأيْــتُ قِبَابَهَــا

قبلتهــا فــوق اللثــام فقــال لي

هِي الخَمْرُ أُرْشِفْت الغَدَاةَ حَبَابُهَا

ـ ومن ألغازه الشعرية؛ قوله في جارية اسمها ألوف:

خَلِيلَيَّ قُولاَ أيْنَ قَلْبي ومَنْ بِهِ
وكَيْفَ بَقَاءُ المَرْءِ مِنْ بَعْدِ قَلْبِهِ
ولَوْ شِئْتُمَا إسْمَ الذي قَدْ هَوَيْتُهُ
لَصَحَّفْتُمَا أمْرِي لَكُمْ بَعْدَ قَلْبِهِ [1]

ويشير صاحب الغصون اليانعة إلى ولوع أبي الربيع بنظم الألغاز الشعرية؛ ومن تلك الألغاز؛ قوله في الدَّواة والقلم:

وَمَيْتٍ بِرَمْسٍ طُعْمُهُ عِنْدَ رَأسِهِ
فَإنْ ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا
يَمُوتُ فَيَحْيَا ثُمَّ يَفْرُغُ زَادُهُ
فَيَرْجِعُ لِلْقَبْرِ الذِي فِيهِ يُتِّمَا

---

[1] جاء هذا البيت في الغصون اليانعة هكذا:
((فَإنْ شِئْتُمَا إظْهَارَ سِرِّ كَتَمْتُهُ فَقَدْ بَانَ في أمْرِي لَكُمْ بَعْدَ قَلْبِهِ)).
وواضح أن ما ورد أعلاه ـ في نفح الطيب ـ هو الأصح؛ لأنه يفسر منطق اللغز. الذي يقصد منه أن تصحف كلمة الأمر ((قولا))؛ بعد قلب حروفها؛ فتكون بعد ذلك هي كلمة: ((ألوف)). فالتصحيف هنا مس حرف القاف؛ الذي أضحى فاء. بعد قلب حروف كلمة الأمر كلها.

فَلاَ هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ كَرَامَــةً
وَلاَ هُوَ مَيْتٌ يَسْتَحِقُّ تَرَحُّمَــا

ـ وقــال في مقطوعــة أخـرى عــن الصابــون:

وَأسْمَرَ يَصْرِفُ السُّودَانَ بِيضاً
وَيَخْشَى الشَّمْسَ أنْ تَعْدُو عَلَيْهِ
لَهُ في صُنْعِــهِ سِــرٌّ مَلِيــحٌ
وَكُلُّ النَّــاسِ مُحْتَــاجٌ إلَيْــهِ

ـ وقــال ملغــزاً في موضــوع العيــن:

وَطَائِــرَةٍ تَطِيــرُ بِلاَ جَنَــاحٍ
تَفُــوتُ الطَّائِرِينَ وَمَا تَطِيــرُ
إذَا مَا مَسَّهَا الحجَرُ اطْمَأنَّــتْ
وَتَألَــمُ أنْ يُلاَمِسَهَا الحَرِيــرُ

ـ وقــال أيضــاً في القمــر والنجــوم:

وَمَا سَابِقٌ لاَ يُــرَى صَاعِداً
تُــرَاهُ إذَا مَا سْتَقَامَ انْحَــدَرْ
لَهُ مِنْكَ رُبْــعٌ وَمِنْهُ الحَيَــاةُ
وَذَلِكَ حَــظٌّ جَمِيــعِ البَشَــرْ

إِذَا مَـــا جَلَسْـــتَ لَـــهُ لَيْلَـــةً
حَكَى لَكَ أَنْجُمُهَـــا وَالقَمَـــرْ

ــ وشفــع لـــه في أحـــد الأشخـــاص؛ ممـــن يجيـــدون الكـــلام؛ فأحســـن إليـــه، وولاه في إحـــدى الخطـــط. ولكنـــه أظهـــر رداءة وقبحـــاً في الأفعـــال. فنقـــل الشُّقَنْـــدي في معجمـــه مـــا شاهـــده بنفســـه؛ فقـــال: **((فَذُكِـــرَ أمـــره وأنـــا حاضـــر؛ ثـــم قـــال:**

لاَ تَصْنَعِ الْمَعْرُوف إلاَّ لِمَـــنْ
رَأَيْتَهُ أَهْلاً لِشُكْـــرِ الصَّنِيـــعِ
كَمْ مِنْ شَرِيفِ القَوْلِ قَدْ غَرَّنِي
بِقَوْلِهِ وَالفِعْـــلُ مِنْهُ وَضِيـــعُ
وَلَمْ أَكُـــنْ أَغْلَـــطُ فِي مِثْلِـــهِ
لَكِنْ رَمَتْنِي ثِقَـــتِي بِالشَّفِيـــعِ

وكتـــب **أبـــو الربيـــع** توقيعـــاً إلى عامـــلٍ لديـــه؛ كثـــرت شكـــاوى النـــاس منـــه: **((قـــد كثـــرت فيـــك الأقـــوال، وإغضـــائي عنـــك رجـــاء أن تتيقـــض؛ فتنصلـــح الحـــال؛ وفي مبـــادرتي إلى ظهـــور الإنكـــار عليـــك؛ نسبـــة إلى شـــرّ الاختيـــار، وعـــدم الاختبـــار؛ فاحـــذر فإنـــك عـــلى شفـــا**

جـرف هــار))[1]. وكانــت وفاتــه ــ كمــا جــاء في الغصــون اليانعــة ــ في سنــة 604هــ/1207م. أمــا كتــاب جــذوة الاقتبــاس؛ فجــاء فيــه أنــه تــوفي في سنــة 610هــ.

* * *

[1] نفـح الطيـب، ج: 3، ص: 105.

سليمان بن علي
ابن عبد الله بن علي التلمساني الكومي العابدي،
(ابو الربيع عفيف الدين)

هو من كبار المتصوفة؛ ومن أبناء قبيلة كومية الزناتية – التي ينتمي إليها خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي – وديار هذه القبيلة في أحواز **تلمسان**؛ وتابعة للمملكتها آنئذ. ولد **سليمان بن علي** هذا في **العباد** – سنة 610هـ/1213م؛ وفي قول سنة 613هـ/1216م – أين يتواجد ضريح ولي الله **أبي مدين شعيب**. وعلى هذا لقب **عفيف الدين بالعابدي**؛ نسبة إلى **العباد**. وتقول المصادر أن صاحب الترجمة رحل إلى بجاية ثم القاهرة فدمشق الشام. وكان قد أقام مدة بآسيا الصغرى: (**(قال الجزري في تاريخه: إنه عمل ببلاد الروم أربعين خلوة؛ يخرج من واحدة ويدخل في أخرى. وله في كل علم تصنيف؛ وشرح "الأسماء الحسنى"، وشرح "منازل السائرين"، وشرح "مواقف النفزي". وحكى بعضهم؛ قال: طلعت يوم قبض؛ فقلت له: كيف**

حالك؟ قال: بخير؛ من عرف الله كيف يخافه؟ والله منذ عرفته ما خفته؛ وأنا فرحان بلقائه))[1].

ولما حلّ **بالقاهرة** نزل في بخانقاه سعيد السعداء. في ضيافة صديقه **شمس الدين الأيكي**. أما طرقته الصوفية؛ فهي الطريقة التي اتبعها سلفه **محمد بن علي بن عربي**؛. ومن هنا؛ وجهت إليه بعض الانتقادات والمآخذ؛ حيث اتهموه أحياناً بالزندقة، وأحياناً أخرى برقة الدين. وكان قد التقى في آسيا الصغرى بصدر الدين الرومي؛ محمد بن إسحاق ابن يوسف بن علي (ت: في سنة 673هـ/1274م)؛ وهو الذي قربه من فكر ابن عربي؛ الذي تزوج أمه ورباه.

ويعتبر **سليمان بن علي الكومي** (عفيف الدين) من أبرز الكتاب والشعراء المتصوفين. إذ تأثر بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة. وقد تجلَّى ذلك في شعره؛ الأمر الذي فتح عليه باب الاعتراض والاستنكار. كما حفز شيوخ السلفية وأئمتهم إلى اتهامه بالزندقة؛ بل بالكفر أحياناً. وكان من أشدهم نقداً لأقواله وأفعاله: **الإمام ابن تيمية**.

---

[1] فوات الوفيات، ج: 2، ص: 72.

ولعفيف الدين مؤلفات عديدة؛ منها: شرح مواقف النفزي، وشرح الفصوص لابن عربي، وكتاب في العروض، وديوان شعر كبير.

توفي عفيف بدمشق في سنة 690هـ/1291م.

* * *

شعر عفيف الدين

ـ مقطوعة: شَهِدْت نَفْسَكَ فِينَا وهي وَاحِدَةٌ:

شَهِدْت نفسَكَ فِينَا وهي وَاحِدَةٌ
كَثِيرةٌ ذَاتُ أَوْصَافٍ وَأَسْمَاءِ
وَنَحْنُ فِيكَ شَهِدْنَا بَعْدَ كَثْرَتِنَا
عَيناً بِهَا اتَّحَدَ المَرْئيُّ والرَّائي
فَأَوَّلٌ أَنْت مِنْ قَبْلِ الظُّهُورِ لَنَا
وَآخِرٌ أَنْتَ عِنْدَ النَّازِحِ النَّائِي
وَبَاطِنٌ فِي شُهُودِ العَيْنِ وَاحِدُهُ
وَظَاهِرٌ لامْتَيازَاتٍ بِأَسْمَاءِ
أَنْت المُلَقِّنُ سِرّاً لاَ أَفُوهُ بِهِ
وأَنْت نُطْقِي وَالمُصْغِي لِنَجْوَائي

ـ قصيدة: عَيْنَاكِ إنْ سَلَبَتْ نَومي بِلاَ سَبَبِ:

عَيْنَاكِ إِنْ سَلَبَتْ نَوْمِي بِلاَ سَبَبِ
فَالنَّهْبُ يَا أُخْتَ سَعْدٍ شِيمَةُ العَرَبِ
وَقَدْ سَلَبْتِ رُقَادَ النَّاسِ كُلِّهُمُ لِذَاكَ
جَفْنُكِ كَسْلاَنٌ مِنْ التَّعَبِ

هَلْ ذاكَ لاَمِعُ بَرْقٍ لاَحَ مِنْ إِضَـــمٍ
أَمْ ابْتَسَمْتِ فَهَــذَا بَـــارِقُ الشَّنَـــبِ
وَتِلْكَ نَارُكِ بِالجَرْعَاءِ سَاطِعَـــةٌ أَمْ
ذَاكَ خَـــدُّكِ وَهَّـــاجُ مِـــنَ اللَّهَـــبِ
لاَ أَنْقَذَ اللهُ مِنْ نَارِ الجَوَى أَبَداً قَلْبى
الَّذى عَنْ هَوَاكُـــمْ غَيْـــرُ مُنْقَلِـــبِ
إِنْ عَذَبَتْـــهُ بِنَـــارِ مِـــنَ مَحَبَّتِهَـــا
نُعْمَ فَذَاكَ نَعِيـــمٌ غَيْـــرُ مُحْتَجُـــبِ
منْ رامَ ذِكْر سِوَاهَا يَلْتَمِسْ أَحَـــداً
غَيْرِى فَذِكْرُ سِوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبى
إِنْ حَدَّثَتْهُ الأَمَانِى أَنَّنِى أَبداً أَسلُـــوا
هَوَاهَا فَقَـــدْ أَصْـــغَى إِلى الكَـــذِبِ

ـ مقطوعـــة: يَـــا حَبَـــذَا الكَـــاَسُ بِكَـــفِّ الحَبِيـــبْ:

يَا حَبَذَا الكاَسُ بِكَـــفِّ الحَبِيـــبْ
أَذَابَت الأَنَـــوْارَ وَسْـــطَ اللَّهِيـــبْ
وحَبَذَا الـــرَّاحُ الَّـــتِي لَمْ تَـــزَلْ
تَصْرِفُنِي بِالسُّكْرِ حَـــتَّى أَغِيـــبْ
يَـــا غُصْـــنَ البَـــانِ أَدِرْ وَرْدَهُ
والوَرْدُ في البَانِ لَعَمرِي عَجِيبْ

وَنَاوِلِ الأَقْمَارَ شُهْــبَ الــدُّجَى

يَا شمْسُ والأَمْرُ أَيْضاً غَرِيــبْ

أَفْدِيــكَ مَا فِي صَبْــوَتِي رَيْبَــةٌ

وَلاَ لِسُلْــوَانِي بِقَلْــبِ تَصِيــبْ

فَاحْكُمْ بِمَا شئْت سِوَى جَفْــوَتِي

فِعْلُ حَبِيــبي كُلُّــهُ لي حَبِيــبْ

ـ قصيــدة: أَفِي ولَــهِي بِاسْــمِ المَلِيحَــةِ تَعْتِــبُ:

أَفِي ولَهِي بِاسْمِ المَلِيحَــةِ تَعْتِــبُ

وتُعْرِضُ إِنْ وَحَّدْتُهَا ثُمَّ تَغْضَــبُ

ولَوْ فُزْت مِنْ ذَاكَ الجَمَالِ بِنَظْرَةٍ

لأَصْبَحَ مِنْكَ العَقْلُ يُسْبَى وَيُسْلَبُ

وَهَبْتُكَ سُلْوَاني وَصَبْرِي كِلاَهُما

وَأَمَّا غَرَامِي فَهْوَ مَا لَيْس يُوهَبُ

وَقَيَّدْتُ أَشْوَاقِي بِإِطْلاَقِ صَبْــوَةٍ

إِليْهَا صَبَابَاتُ المُحِبِيــنَ تُنْسَــبُ

فَهَا أَنَا والسَّاقِي يُنَــاوِلُ كَأْسَهَــا

فَأَشْرَبُ صِرْفاً أَوْ يُغَنيٍّ فَأَطْــرَبُ

فَإِنْ لاَمَ فِيهَا الشَّيْخُ طِفْلَ غَرَامِهَا

عَلَى سُكْرِهِ فَالشَّيْخُ كَالطِّفْلِ يَلْعَبُ

تُذَكِّرُنِي الحَلاَّجَ وَالكَأْسُ تُجْتَــلَى

وَلَكِنَّهَــا عَنْهُ تُصَــانُ وَتُحْجَــبُ

وَلَوْ لَمْ يَرَوْا رَاووُقَهَــا كَصَلِيبِــهِ

لَمَا عَذَروُا حلاَّجَهَا حِينَ يُصْلَــبُ

ــ مقطوعــة: لِمَعْنَــايَ قَلْــبِي نَحْوَكُــمْ أَبَــداً يَصْبُــو:

لِمَعْنَايَ قَلْبِي نَحْوَكُمْ أَبَداً يَصْبُــو

وَعِنْدِي لَكُمْ وجْدٌ جَمِيعِي لَهُ نَهْبُ

وَمَا زَالَ سَلْبِ فِيكُمُ وَاجِبــاً لَكُــمْ

وَفِي حُبِّكُمْ يَا سَادَتِي يَجِبُ السَّلْبُ

غَدَا وَصْفُكُمْ لِلْحُسْنِ ذَاتاً فَشَمْسُكُمْ

بكُمْ مِنْكُمُ فِيْكُمْ لَهَا الشَّرْقُ والغَرْبُ

تُحَرِّكُهَا الأَشْوَاقُ نَحْــو جَمَالِكُــمْ

فَتَمْنَعُهَا تِلْكَ المَهَابَــةُ والحُجْــبُ

فَلاَ هِيَ يَغْشَاهَا سُكُونٌ وَلاَ تَرَىَ

سَبِيلاً لِذَاحَارتْ فَدَارتْ فَلاَ تَنْبُــو

تَدُورُ عَلَى بُعْدِ مِنَ المَرْكَزِ الَّذِي

بِهِ أَنْتُمُ إِذْ كَانَ شَخْصُكُمْ القُطْــبُ

فَلَوْ قِيْسَتْ الأَبْعَادُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

تَسَاوَتْ فَلاَ بُعْدٌ يُرَامُ وَلاَ قُــرْبُ

ـ مقطوعـــة: لِي فِي هَوَاكُـمْ مَذْهَــبٌ مُذْهَــبُ:

لِي فِي هَوَاكُمْ مَذْهَبٌ مُذْهَــبُ   ومَطْلَــبٌ مَا مِثْلُــهُ مَطْلَــبُ
أَصْبَحْتُ عَبْداً رَاضِياً بالَّـــذِي   تَرْضُونَ لاَ أَرْجُو ولاَ أَرْهَبُ
إِذَا تَجَـــلَّى كَـــاسُ سَاقِيكُـــمُ   كُنْتُ لَـــهُ أَوَّلَ مَـــنْ يَشْـــرَبُ
وَإِنْ تَغَـــنَّى بِاسْمِكُـــمْ مُنْشِـــدٌ   فَإِنَّـــنِي أَوَّلُ مَـــنْ يَطْـــرَبُ
يَا قَمَراً في مُهْجَتِي لَمْ يَـــزَلْ   مَطْلَعُهُ المَّشْـــرِقُ وَالمَغْـــرِبُ
وَيَا غَـــزَالاً في فُـــؤادِي لَـــهُ   مَرْعىً وَمِنْ دَمْعِي لَهُ مَشْرَبُ
مَا العَيْشُ إلاَّ في هَوَاكَ الَّذِي   كُـــلٌّ نَعِيـــمٍ فَلَـــهُ يُنْسَـــبُ

ـ قصيـــدة: عُيُـــونَ الحَيَـــا جُـــوْدِي لِتُرْبَـــةِ يَثْـــرِب:

عُيونَ الحَيَا جُوْدِي لِتُرْبَـــةِ يَثْـــرِبِ
بِدَمْـــعٍ هَتُـــونٍ وَدَفْقُـــهُ مُتَصَـــوِّبِ
وَعُودِي بِطِيبٍ مِنْ سَلاَمِي طِيبُـــهُ
نَسِيمُ الصِّبَا النَّجْدِيِّ يَا خَيْرَ طَيِّـــبِ
بِلاَدٌ بِهَا لِلْـــوَحْيِ مَرْبَـــاً وَمَرْبَـــعٌ
وَمُنْتَجَعُ الغُفْرَانِ عَنْ كُـــلِّ مُذْنِـــبِ
وَحَيْثُ الكَمِالُ الطَّلْقُ والمَرْكَزُ الَّذِي
إِلَيْهِ انْتَهَى دَوْرُ المُحِيطِ المُكَوْكَـــبِ
أَفَاضَتْهُ أَنْوارُ الغُيُوبِ عَلَى الوَرَى
إِفَاضَةَ وَهْبٍ خَارِجَ عَـــنْ تَكَسُّـــبِ

فَأَخْبَرَ عَمَا غَابَ بِالشَّاهِـدِ الـذِّي

يُبَرْهِنُ بِالإِعْجَازِ فِي كُـلِّ مَطْلَـبِ

إِذَا نَظَـرَتْ عَيْنَـا بَصِيرَتِـهِ إِلى

حَقِيقَتِهِ المُثْـلَى فَأَحْسِـنْ وَأَطْيَـبِ

يَرَى بَرْزَخ البَحْرَينِ كَوْناً مُكَوَّنـاً

وَمَطْلَعَـهُ فِي حَـدِّهِ المُتَرَتِّـبِ

فَيَأْخُـذُ مِـنْ هَـذَا لِهَـذَا بِحَقِّـهِ

عَلَى نِسْبَـةٍ مَحْفُوظَـةِ الأُمِّ وَالأَبِ

عَلَى يَـدٍ مَعْنَـاهُ يَمُـرُّ وُجُوبُـهُ

لإِمْكَانِهِ مَرَّ السَّحَـابِ المُصَـوِّبِ

فَيَقْبَـلُ مِنْهُ قَابِـلٌ حُكْـمُ فَاعِـلِ

بِمَضْمُونِ مِيَرَاثِ الكَمَالِ المُهَـذَّبِ

وَلَمْ يَكُ فِي هَـذَا التَّوَسُـطِ مُثْبِتـاً

عَلَى النَّاسِ حَقّاً أَوْ تَمَيُّزَ مَنْصِـبِ

وُمَا ذَاكَ أَنْ لَيْـس حَـولٌ وَقُـوَّةٌ

بِغَيْرِ الجَوَادِ المُطْلَقِ الجُودِ فَاعْجَبِ

وَلَكِـنْ يَرَى إِلاَّ أَنَّ نُكْتَـةَ قَلْبِـهِ

أُزِيلَ بِهَا دَاعِي الهَوَى وَالتَّحَـوُّبِ

فَهَذَا لَـهُ مَعْـنَى المَقَـامِ مُغَيَّـبٌ

وَلَـمْ يَـكُ عَنْهَـا أَهْلُـهُ بِمُغَيَّـبِ

إِذَا صُفَّــتِ الأَقْــدَامُ مِنَّــا وَأَمَّنَــا
صَلاَةَ شُهُــودٍ لاَ صَــلاَةَ تَحَجُّــبِ
مَضَى لَمْ يُعَقِّبْ دَانِياً مِنْ شُهُــودِهِ
بِنَا وَمَضَيْنَــا خَلْفَــهُ لَــمْ نُعَقِّــبِ
أُولئِــكَ وُرَّاثُ النَّــبِيِّ شَهَــادَةً
وَغَيْباً وَلَيْسَ البَرُّ مِثْــلَ المُقَــرَّبِ
وَتِلْكَ سَبِيــلٌ قَــدْ دَعَــا بِبَصِيــرَةٍ
لَهَا ودَعَوْنَا كُلَّ شَــرْقٍ وَمَغْــرِبِ
فَذَلِــكَ دَاعِي اللهِ بِالمَنْهَــجِ الَّــذي
بِهِ صُورَةُ التَّكْمِيلِ فِي كُلِّ مَذْهَــبِ
شَرِيعَةُ حَقٍّ حَــقٌّ كُــلِّ شَرِيعَــةٍ
مَقَامُ خُصُوصٍ عَنْ عُمُومٍ مُرَتَّــبِ
مُشَاراً إِلَيْهِ صُورَةً مِــنْ جِهَاتِهَــا
جَمِيعاً وَمَعْنىً مِنْ حَقَائِــقِ غُيَّــبِ

ـ قصيــدة: أَيُنْكِــرُ الوَجْــدُ أَنِّي فِي الهَــوىَ شَحِــبُ:

أَيُنْكِرُ الوَجْدُ أَنِّي فِي الهَوىَ شَحِــبُ
وَدُونَ كُــلِّ دُخَــانٍ سَاطِــعٍ لَهِــبُ
وَمَا سَلَوتُ كَمَا ظَــنَّ الوشَــاةُ وَلاَ
أَسْلُو كَمَا يَتَــرجَّى العَــاذِلُ التَّعِــبُ

فَإِنْ بَكَى لِصَبَابَاتِي عَــذُولُ هَــوىَ

فَلى بِمَا مِنْهُ يَبْكِي عَــاذِلِي طَــرَبُ

نَاشَدْتُكَ اللَّهَ يَا رُوحي اذْهُبَى كَلَفــاً

بِحُبِّ قَوْمٍ عَنِ الجَرْعَاءِ قَــدْ ذَهَبُــوا

لاَ تَسْأَلِيْهُــمْ ذِمَامــاً فِي مَحَبَّتِهِــمْ

فَطَالَمَا قَــدْ وَفَــا بِالذِّمَــةِ العَــرَبُ

هُمْ أَهْلُ وُدِّي وَهَــذَا وَاجِــبٌ لَهُــمُ

وَإِنَّمَــا وُدهُــمْ لي فَهْــو لاَ يَجِــبُ

هُمْ أَلْبَسُــونِي سِقَامــاً مِنْ جُفُونِهِــمُ

أَصْبَحْتُ أَرْفُلُ فِيهِ وَهْــو يَنْسَحِــبُ

وَصَيَّرَتْ أَدْمُعي حُمْــراً خُدُودُهــمُ

فَكَيْفَ أَجْحَدُ مَا مَنُّــوا وَمَا وَهَبُــوا

هَلِ السَّلاَمَــةُ إِلاَّ أَنْ أَمُــوت بِهِــمْ

وجْــداً وَإِلاَّ فبُقْيَــاىَ هُــو العَطَــبُ

إِنْ يَسْلُبُوا البَعْضَ مِنِّي فَالجَميعُ لَهُمْ

وَإِنّ أَشْرفَ أَجْزَائي الَّــذِي سَلَبُــوا

لَوْ تَعْلَمُ العَذَبَــاتُ المَايسَــاتُ بِمَــنْ

قَدْ بَانَ عَنْهَا إِذَنْ مَا اخْضَرَّتِ العَذَبُ

ولَوْ دَرَى مَنْهَلُ الوَادِي الذَّي وَرَدُوا

مَنْ وَارِدُوا مَائِهِ لاَهْتَــزَّهُ الطَــرَبُ

إِنِّي لأَكْتُــمُ أَنفَــاسِي إِذَا ذُكِــرُوا
كَلَيْلاَ يُحرِّقَهُمْ مِنْ زَفْــرَتي اللَّهَــبُ
وَتُرْسِلُ الدَّمْعَ عَيْــني فِي مَنَازِلِهِــمْ
كَيْلاَ تُسَابِقَهَــا فِي سَحِّهَــا السُّحُــبُ
كَــذَا لِكُــلِّ مُحِــبٍّ غَيْــرَةٌ لَهُــمُ
وَعِنْدَ كُــلِّ غَيُــوُرٍ فِطْنَــةٌ عَجَــبُ
أُسَائِلُ البَانَ عَنْ مَيْلِ النَّسِيــمِ بِهِــمْ
سُؤَالَ مَنْ لَيْس يُدْرَى فِيهِ مَا السَّبَبُ
وَتِلْــكَ آثَــارُ لِيــنِ مِــنْ قُدُودِهِــمُ
مَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ فَاهْتَزَّتْ لَهَا القُضُبُ

ـ مقطوعــة: قُــمْ فاسْقِــنِي مِــنْ يَدَيْــكَ صَافِيَــةً:

قُمْ فاسْقِنِي مِنْ يَدَيْكَ صَافِيَــةً خَدُّكَ يَكْسُــو شُعَاعَهَــا لَهَبــا
كَــأَنَّ مَــاءَ الصَّفَــاءِ قَابَلَهَــا مِنْكَ ابتِســامٌ فَمَثَّــلَ الحَبَبــا
فَهَا أَنَا فِي الخُضُــورِ مُنْتَهِــز يا مُنْيَةَ النَّفْسِ غَيْبَــةَ الرُّقَبــا
مِنْ عَجَبٍ أنَّنِي أَزِيُــدك مِــنْ شُرْبِي وَسُكْرِي على قدْ غَلَبَ

ـ قصيــدة: مَــا هَــبَّ مِــنْ نحوكُــمْ نَسِيــمُ صَبَــا:

مَا هَب مِنْ نحوكُمْ نَسِيمُ صَبَا إِلاَّ وَأَذْكَى بِمُهْجَــتِي هَبــا
وَلاَ شَدَا مُطْــرِبٌ بِذِكْرِكُــمْ إِلاَّ وَنَادَى المَشُوُقَ واطرَبا

وَلاَ تَذكُرْتَ عِيشَــةَ سَلفَــتْ بالخِيفِ إلاَّ وَقلْتُ وَاحَرَبَــا

لا نَالَ مِنْكَ المَشُوُقُ بُغْيَتَــهُ إنْ كان يَوْماً إلى سِوَاكَ صَبَا

يَا حَبْذا لَوْعَتي عَلَيْــكَ وَيَــا بُشْرَاىَ إنْ مُتُّ فِيكَ مُكْتَئِبــا

أحْبَابَنا هَــلْ بقُرْبِكُــمْ أَمَــلُ أَمْ هَلْ بوَصْلِكُمُ أَرَى سَبَبــا

آهــاً لأَيَّامِنَــا بقُرْبكُـــمُ وطِيبِ عَيْشٍ بِوَصْلِكُمْ ذهَبــا

يَا سَائِق العِيسِ نَحْوَ كاظِمَةٍ أَبْلِــغْ سَلامِي لِنَازِليــنَ قَبــا

وقلْ قضَى ذلِكَ المَشُوُقُ بِكُمْ وَمَا قضَى مِنْ وِصَالِكُمْ أَرَبَا

ـ قصيــدة: بَــدَا عَلَــمٌ لِلحُــبِّ يَمَّمْــتُ نَحْــوَهُ:

بَدَا عَلَمٌ لِلحُــبِّ يَمَّمْــتُ نَحْــوَهُ
فَلَمْ أَنْقَلِبْ حَتَّى احتَسَبْتُ بِهِ قَلْبِي

بَلَوْتُ الهَوىَ قَبْلَ الهَوىَ فَوَجَدْتُهُ
إِسَاراً بِلاَ فَكٍّ سُقَاماً بِــلاَ طِــبٍّ

بِرُوحِي حَبِيبٌ لاَ أُصَرِّحُ بِاسْمِــهِ
وَكُلُّ مُحِبٍّ فَهْوَ يُكْنِ عَنِ الحُــبِّ

بَرانِي هَوَاهُ ظَاهِراً بَعْــدَ بَاطِــنٍ
فَجِسْمِي بِلاَ رُوحٍ وَقَلْبِي بِلاَ لُــبِّ

بِحُبِّكَ هَلْ لِي فِي لِقَائِكَ مَطْمَــعٌ
فَإنِّي مِنْ كَرْبٍ عَلَيْكَ إلى كَــرْبِ

بِكُــلِّ طَرِيــقٍ لي إِلَيْــكِ مَنِيَّـــةٌ

كَأَنِّي مَعَ الأَيّامِ بَعْدَكَ فِي حَــرْبِ

بَكَيْتُ فَقَالُوا أَنْت بِالحُــبِّ بَائِـــحٌ

صَمَتُّ فَقَالُوا أَنْت خُلْوٌ مِنَ الحُبِّ

بَوَارِقُ لاَحَتْ لِلْوِصـــالِ فَثَمَّهَـــا

فَيَا بَعْدَ بُعْدٍ قَدْ دَنَا زَمَنُ القُــرْبِ

بَقِيتُ وَهَلْ يَبْقَى صَبٌّ بِهِ لَوْعَـــةٌ

تُقَلِّبُهُ الأَشْوَاقُ جَنْبــاً إِلى جَنْـــبِ

بَلَغْتُ المُنَى مِمَّنْ أُحِــبُّ بِحُبِّـــهِ

ولاَ بُدْ لِلمَرْبُوبِ مِنْ رحْمَةِ الرَّبِّ

ـ قصيــدة: تُــرَى يَـــا جِيــرَةَ الشِّعْــبِ:

تُرَى يَا جِيرَةَ الشِّعْــبِ	يُسَرُّ بِوَصْلِكُــمْ قَلْــبِي
وَتَجْمَــعُ بَيْنَنَـــا دَارٌ	عَلى الإِكْرَامِ وَالرَّحْــبِ
أُهَيْــلَ الحَيِّ وَا عَطَشِي	لِذَاكَ المَنْهَــلِ العَــذْبِ
وَيَا شَوْقِي إِلى عَيْــشٍ	مَضَى فِي ظِلِّهِ الرَّحْبِ
وَأَيّــامِ بِــلاَ عَتْــبِ	تَقَضَّتْ فِي هَوَى عُتْبِ
إِذَا ذُكِــرَتْ لَيَالِيــهِ	تَهِيجُ لَوَاعِــجُ الصَّــبَ
وَيُحْيِي قَلْــبَ عَاشِقِــهِ	حَدِيث نَسِيمِهِ الرَّطْــبِ
وَمُحْتَجِــبِ تَبَسُّمُـــهُ	يُمَزِّقُ ظُلْمَــةَ الحُجْــبِ

يُصَانُ حِمَاهُ بِالإِجْــلاَلِ   لاَ بِالسُّمْــرِ وَالقُضْــبِ
مِنَ الأَقْمَــارِ مَنْزِلَتَــاهُ   فِي طَرْفِي وَفِي قَلْــبِي
وَظَبْيٍ نَقاً وَبِالأَسْــرَارِ   يَأْنَسُ لَيْــسَ بِالْســرْبِ

ـ قصيــدة: نَــدَىً فِي الأَقْحِوانَــةِ أَمْ رِضَــابُ:

نَدَىً فِي الأَقْحِوانَةِ أَمْ رِضَابُ   وَطَلٌّ فِي الشَّقِيقَةِ أَمْ سَــرَابُ
فَتِلْــكَ وَهَــذِهِ ثَغْــرٌ وَكَــأْسٌ   بِذَا ظَلْمٌ وَفِي هَــذَى شَــرَابْ
وَخُضْرُ خَمَائِلٍ كَسَجُومِ غِيــدٍ   قَدْ انْتُقِشَتْ وَرَقَّ بِهَا الخِطَابُ
يُرِيكُ بِهَا الشَّقِيقُ سَوَادَ هُــدْبٍ   وَحُمْرَةَ وجْنَةٍ فِيهَــا الْتِهَــابُ
وَوُرْقُ حَمَائِمٍ فِي كُــلِّ فَــنٍ   إِذَا نطقَتْ لَهَا لَحْــنٌ صــوَابُ
لَهَــا بِالظِّــلِّ أَزْرَارٌ حِسَــانٌ   وَأَطْــوَاقٌ وَمِنْ وَرَقٍ ثِيَــابُ
كَأَنَّ النَّهْــر سَيْــفٌ مَشْــرِفِيٌّ   لَهُ فِي كَفِّ صَيْقَلِهِ اضْطِرَابُ
تُجَرِّدُهُ يَمِينُ الشَّمْــسِ طَــوْراً   وَطَوْراً بِالظِّلاَلِ لَــهُ قِــرَابُ
يُعَابُ السَّيْــفُ إِذْ فِي جَانِبِيــهِ   فُلُولٌ وَهْــو مِنْهَــا لاَ يُعَــابُ
فَإِنْ قُلْت الحبَابُ انْسَابَ ذُعْراً   وَرُمْت الرَّقْش صَدَّقَكَ الحبَابُ
وَلِلأَغْصَانِ هَيْنَمَــةٌ تُحَــاكِي   حَبَايِبَ رَقَّ بَيْنَهُــمُ العِتَــابُ
تَثَنَّتْ وَالحَمَــامُ لَهَــا يُغَــنِّي   كَشَرْبٍ مَدَامُةٍ شَرِبُوا وَطَابُــوا

ـ قصيــدة: أُحْكُــمْ فَفِيــكَ العَــذَابُ عَــذْبُ:

أُحْكُمْ فَفِيكَ العَذَابُ عَــذْبُ   مَا بَعْدَ حُلْوِ الخِطَابِ خطْبُ

لِي ولَهُ فِي هَـوَاكَ فَـارَ وَدَمْعُ صَبٍّ عَلَيْكَ صَـبٌّ

وَمَا تَنَزَّهْتُ فِيـكَ حَـتَّى فِيكَ نُزِّهْـتُ حِينَ أَصْبُـو

وَأَمْكَنَنِي مِنْ لَمَاكَ بَـرْقٌ مِنَ الحَيَا لاَ يَكَـادُ يَخْبُـو

يَا سَائِلِي عَنْ شَـذَا نَسِيـمٍ قَمِيصُهُ بِالوِصَالِ رَطْـبُ

ذَاكَ سَلاَمُ الحَبِيـبِ وَافَى فِي عَهْـدِهِ لِلْثَّـامِ قُـرْبُ

إِذَا تَجَـلَّى عَلَى النَّـدَامى فَهْوَ لَهُمْ خُضْرَةٌ وَشُـرْبُ

وَعَاذِلِي عَـادَ لِي بِلُطْـفٍ تَكَـادُ مِنْهُ الصَّبَـا تَهِـبُ

أَضْمَرَ غَدْراً فَعَادَ عُـذْراً إِذْ رُفِعَتْ لِلْمُحِـبِّ حُجْـبُ

ـ قصيـدة: أَمَالِـكَ رِقِّي لاَ تَلُـمْ عَاشِقـاً صَبَـا:

أَمَالِـكَ رِقِّي لاَ تَلُـمْ عَاشِقـاً صَبَـا
فَحُسْنُـكَ لِلأَلْبَـابِ يَا مُنْيَـتِي سَبَـا

وَإِنْ يَكُ ذَنْبِي فَرْطَ عِشْقِي فَطَاعَـتِي
هَـوَاكَ شَفِيـعٌ لِي إِذَا مِـتُّ مُذْنِبـا

وَهَبْ أَنَّ ذاكَ الحُسْـنَ عَنِّي مُحَجَّـبٌ
أَلَيْسَ بَرَيَّـاهُ سَـرَتْ نَسْمَـةُ الصَّبَـا

فَدَيتُ حَبِيبـاً رَنَّـحَ السُّكْـرُ عِطْفَـهُ
فَمَاس بِغُصْـنٍ مَا رَأَتْ مِثْلَـهُ الرُّبَـا

يُجَـرِّدُ مِنْ أَجْفَانِـهِ السُّـودِ أَبْيَضَـاً
أَرَاق دِمَـا العُشَّـاقِ طُـرّاً وَمَانَبـا

جَــلاَ خَـــدُّهُ لي كَـــاسَ رَاحٍ وَإِنَّمَـــا
بِدُرِّ اللَّمَى المَعْسُــولِ حُسْنــاً تَحَبَّبَـــا
تَسَتَّـــرْتُ بِالأَسْقَــامِ فِيـــهِ فَمُـــذْ بَـــدَاَ
ظَهَرْتُ كَمَا في الشَّمْسِ قدْ يظْهَرْ الهَبا
وَأَكْسَبَـــنِي حُسْنــاً وَلاَ غَــرْوَ إِنَّمَـــا
لِكُــلِّ مَليــحٍ مِنْـــهُ مَـــا قَـــدْ تَكَسَّبَـــا
وَإِنِّي لَذَاكَ المُغْـــرَمُ العَاشِــقُ الَّـــذِي
إِلَى غَيْرِ ذَاكَ المُطْلَقِ الحُسْنِ مَا صَبَا
يُرَنِّحُـــهُ بِالأَبْـــرَقِ الفَـــرْدِ بَـــارِقٌ
وَيُصْبِيْـــهِ فِي نَعْمَانَ مِنْ عَلْـــوَةٍ نَبَـــا
إِذَا رُمْتَ أَنْ تُبْدِي مَصُونَـــاتِ سِـــرِّهِ
فَحَـــدِّثْ بِذْاكَ الحَيِّ عَـــنْ ذَلِكَ الخِبَـــا

ـ قصيـــدة: أَيَـــا عَـــرَبَ الجَرْعَـــاءِ مَـــنْ أَيْمَـــنِ الشِّعْـــبِ:

أَيَا عَرَبَ الجَرْعَاءِ مَنْ أَيْمَـــنِ الشِّعْـــبِ
بِكُمْ لاَ بِشَيءٍ غَيْرِكُمْ شَغَـــفُ الصَّـــبِّ
أَلَمْ تَعِدُونَـــا أَنْ نَرَاكُـــمْ بِـــذِي الفَضَـــا
أَظُنُّكُـــمُ تَعْنُـــونَ أَنَّ الغَضَـــا قَلْـــبِي
غَرَاماً بِكُمْ والنَّـــارُ يَضْرِمُهَـــا الصَّبَـــا
أَقُولُ عَلى نَـــارِي بِكُـــمْ للصَّبَـــا هُـــبِّي

وَوَجْـدَاً إذا مِلْتُـمْ إليَّ مـعَ الهَـوَى

أقولُ اعتذاراً يَحْسُـنُ الميـلُ للقُضْـبِ

وَإنْ تُوقِدُوا نَار الحَرِيـقِ فَكَـمْ أَضَـا

وَنَارُ فُؤادِي فِي حَشَا الْوَالِـهِ الصّـبِّ

وَإنْ تَجِـدُوا بِالشِّعْـبِ سَيْـلاً ولُجَـةً

فَأَنْتُـمْ بِمَجْرَى الدَّمْعِ يَا سَاكِـني قَلْـبِي

سَبَتْنَـا الجُفُـونُ البَابِلِيَّـاتُ مِنْكُـمُ

وَإنَّ لُبَانَـاتِ اللُّبَـاءَةِ فِي الحَـبِّ

نُصَيْـصٌ فَهـلاَّ لِلرَقِيـبَ وَعَـاذِلٍ

لِكَيْمَا يَبِيتَـا فِي عَـذَابِ وَفِي نَصْـبِ

غَزَالُكُـمُ ذَاكَ المُمَنَّـعُ وَصلُـهُ

أَبَاحَ حِـمى دَمْـعِي وَبَالَـغَ في نَهْـبى

هُوَ الظَّبْيُ لاَ بَلْ صَائِدُ الظَّـبْيِ لَحْظُـهُ

وَيَا مَا أُحَيْلاَ الصَّيْدَ في شَرَكِ الهُـدْبِ

حَـلاَ لَحْظُهُ وَالمُرُّ فِي الحُـبِّ وَصلُـهُ

ولَمْ تَحْلُ حَتَّى مَـرَّ فِي رِيقِـهِ العَـذْبِ

عَلَى عِطْفِهِ حَتَّى مِنَ الـوُرْقِ غَيْـرَتِي

أَلَمْ تَرَهَا هَاجَتْ عَلَى الغُصُنِ الرَّطْـبِ

فَـإنْ ذَبَلَـتْ أَجْفَانُهَـا وَهْي نَرْجِـسٌ

فَمِنْ طُولِ مَا أَدْمَنْتُ فِيهِـنَّ مِنْ شُـرْبِ

وَمِنْ عَجَبٍ وَهْي الكُــؤُوُسُ فَمَــا لَهَــا

إِذَا كُسِّرَتْ صحَّتْ وَدَارَتْ عَلى الشَّربِ

فَهَــلْ عَــوْدَةٌ فِي لَيْلَــةٍ مِــنْ ذَوَابَــةٍ

عَنِ البَــدْرِ مِنْ ظَلْمَائِهَــا دَائِمــاً تُنْــبى

تَــرَقَّى بِهَــا قَلْــبِي إلى سِــرٍّ وَقْــدِهِ

سَلاَمٌ على مَنْ تَحْتَــهُ سُبَــحُ الرَّطْــبِ

أَرَادَ تَــولَّى الحَــلَّ وَالعَقْــدَ عِنْــدَهُ

فَجَارَ عَلَى المسَجْوْنِ مَنْ مُقْتَضَى الجَذْبِ

دَعَانِي انْكِسَــارُ الجَفْــنِ مِنْــهُ لِضَمَّــةٍ

فَجَاوَبَنِي مَا لِلغُصُونِ سِــوَى الهُضْــبِ

وَغَــرَّدْتُ تَغْرِيــدَ الحَمَــامِ تَوَصُّــلاً

إِليْــهِ لِمَــا بَيْــنَ الحَمَائِــمَ وَالقُضْــبِ

وَقُلْتُ زَكَاةُ الحُسْنِ فَرْضــاً فَقَــالَ مَــا

تَمِيلُ الغُصُونُ الوُرْقُ إلاَّ على النُّــدْبِ

ــ مقطوعــة: لِمَعْنَــايَ قَلْــبِي نَحْوَكُــمْ أَبَــداً يَصبُــو:

لِمَعْنَايَ قَلْبِي نَحْوَكُمْ أَبَداً يَصبُــو

وعِنْدِي لَكُمْ وجْدٌ جَمِيعِي لَهُ نَهْبُ

وَمَا زَالَ سَلْبٍ فَيكُمُ وَاجِبــاً لَكُــمْ

وَفِي حُبِّكُمْ يَا سَادَتي يَجِبُ السَّلْبُ

غدَا وَصفُكُمْ لِلْحُسْنِ ذَاتاً فَشَمْسُكُمْ

بكُمْ مِنْكُمُ فِيْكُمْ لَهَا الشَّرْقُ والغَرْبُ

تُحَرِّكُهَا الأَشْوَاقُ نَحْــو جَمَالِكُــمْ

فَتَمْنَعُهَا تِلْكَ المَهَابَــةُ والحُجْــبُ

فَلاَهِى يَغْشَاهَا سُكُونٌ وَلاَ تَــرىَ

سَبِيلاً لِذَاحَارتْ فَدَارتْ فَلاَ تَنْبُــو

تَدُورُ عَلَى بُعْدٍ مِنَ المَرْكَزِ الَّذِي

بِهِ أَنْتُمُ إِذْ كَانَ شَخصكُمْ القُطْــبُ

فَلَوْ قِيْسَتْ الأَبْعَادُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

تَسَاوَتْ فَلاَ بُعْدٌ يُرَامُ وَلاَ قُــرْبُ

ــ قصيــدة: أَفِي وَلَــهِي بِاسْــمِ المَلِيحَــةِ تَعْتِــبُ:

أَفِي ولَهِي بِاسْمِ المَلِيحَــةِ تَعْتِــبُ

وَتُعْرِضُ إِنْ وَحَّدْتُهَا ثُمَّ تَغْضَــبُ

وَلَوْ فُزْت مِنْ ذَاكَ الجَمْالِ بِنَظْرَةٍ

لأَصْبَحَ مِنْكَ العَقْلُ يُسْبَى وَيُسْلَبُ

وَهَبْتُكَ سُلْوَانِي وَصَبْرِي كِلاَهُما

وَأَمَّا غَرَامِي فَهْوَ مَا لَيْسَ يُوهَبُ

وَقَيَّدْتُ أَشْوَاقِي بِإِطْلاَقِ صَبْــوَةٍ

إِلَيْهَا صَبَابَاتُ الْمُحِبِيــنَ تُنْسَــبُ

فَهَا أَنَا والسَّاقِي يُنَــاوِلُ كَأسَهَــا

فَأَشْرَبُ صِرْفاً أَوْ يُغَنِّي فَأَطْــرَبُ

فَإِنْ لاَمَ فِيهَا الشَّيْخُ طِفْلَ غَرَامِهَا

عَلَى سُكْرِهِ فالشَّيْخُ كالطِّفْلِ يَلْعَبُ

تُذَكِّرُنِي الحَلاَّجَ وَالكَأْسُ تُجْتَــلَى

وَلَكِنَّهَا عَنْــهُ تُصَــانُ وَتُحْجَــبُ

وَلَوْ لَمْ يَرَوْا رَاوُوقَهَــا كَصَلِيبِــهِ

لَمَا عَذَرُوا حلاَّجَهَا حِينَ يُصْلَــبُ

ـ قصيــدة: لَــوْلاَ الحِــمَى وَصَبَايَــا بِالْحِــمَى عُــرُبُ:

لَوْلاَ الحِمى وَصَبَايَا بِالْحِمى عُرُبُ

مَا كَانَ فِي البَارِقِ النَّجْدِيِّ لي أَرَبُ

حَلَّتْ عُقُودَ اصْطِبَارِي دُونَهُ حُلَلٌ

حُقُوقُهَا كَارِثِيَا حاتِي لَهَــا تَجِــبُ

وَفِي رِيَاضِ بِيوُتِ الحَيِّ مِنْ إِضَمِ

وَرْدٌ جَنِيٌّ وَفِي أَكْمَامِهَا القُضُــبُ

يَسْقِي الأَقَاحِي مِنْهَا قُرْقُفٌ فَــإِذَا

لاَحَ الحَبَابُ عَلَيْهَا فَاسْمُهُ الشَّنَــبُ

يَقْضِي بِهَا لِعُيُونِ النَّاظِرِيــنَ عَلَى

كُلِّ القُلُوبِ قَضَاءٌ مَا لَــهُ سَبَــبُ

إِلاَّ تَمَارُضَ أَجْفَــانٍ إِذَا سَلَبَــتْ

فَمُقْتَضَى هَمِّهَا المَسْلُوبُ لاَ السَّلَبُ

وَلِي لَدَى الحِلَّةِ الفَيْحَاءِ غُصْنُ نَقَا

يَهْفُو فَيَجْذِبُــهُ خَفْــقٌ فَيَنْجَــذِبُ

لاَ يَقْدِرُ الحِبُّ أَنْ يُخْفِي مَحَاسِنَهُ

وَإِنَّمَا فِي سَنَاهُ الْحُجْبُ تَحْتَجِــبُ

أُعَاهِــدُ الــرَّاحَ أَنِّي لاَ أُفَارِقُهَــا

مِنْ أَجْلِ أَنَّ الثَّنَايَا شِبْهُهَا الحَبَــبُ

وَأَرْقُبُ البَرْق لاَسُقْيَــاهُ مِنْ أَرَبَى

لَكِنَّــهُ مِثْــلُ خَدَّيْــهِ لَــهُ لَهَــبُ

يَا سَالِماً فِي الهَوَى مِمَــا أُكَابِــدُهُ

رِفْقاً بِأَحْشَاءِ صَبٍّ شَفَّهَا الوَصَبُ

فَالأَجْرُ يَا أَمَلِي إِنْ كُنْت تَكْسِبُــهُ

مِنْ كُلِّ ذِي كَبِدٍ حَــرَّاءَ تَكْتَسِــبُ

يَا بَدرَ تَــمٍّ مُحَــاقِي فِي زِيَادَتِــهِ

ما أَنْ تَنْجَلِي عَنْ أُفْقِكَ السُّحُــبُ

صَحَا السُّكَارَى وَسُكْرِي فِيكَ دَامَ وَمَا
للسُّكْرِ من سَبَبٌ يُرْوَى ولاَ نَسَبُ
قَدْ أَيَّسَ الصَّبْرَ وَالسُّلْوَانَ أَيْسَــرُهُ
وَعَاقَبَ الصَّبَّ عَنْ آمَالِهِ الوَصَبُ
وَكُلَّمَا لاَحَ يَا دَمْعِي وَمِيضُ سَنىً
تَهْمِي وَإِنْ هَبَّ يَا قَلْبِي صَباً تَجِبُ

ـ مقطوعــة: لَــوْ سَقَيْتَــا الرُّبُــوعَ مَــاءَ الشَّبَــاب:

لَوْ سَقَيْنَا الرُّبُوعَ مَاءَ الشَّبَّــابِ مَا وَفَيْنَا فَكَيْف مَاءُ التَّصَــابِي
فَاسْقِنِي مِنْ مَنَازِلِ الحَيِّ وجْداً يَا رُبُــوعَ دُمُــوعَ السَّحَــابِ
يَا ثُغُور الأَقَاحِ كُونِي رِضَاباً إِنَّ أَشْهَى الأقَاحِ ذَاتُ الرِّضَابِ
وَبِكأْسِ الشَّقِيقِ كُونِي شَرَابــاً أَنْتِ فِي حُمْرَةٍ كَلَوْنِ الشَّرابِ
أَوَثَقْتَنَا بِالنَّرْجِسِ الغَضِّ مِنْهَــا أَعْيُــنٌ لاَ كَأَعْيُــنِ الأَحْبَــابِ
تِلْكَ فِيهَا مِنْ فَتْرَةِ الحُسْنِ جَمْعٌ فَــارِقٌ لِلجُسُــومِ والأَلْبَــابِ

ـ مقطوعـة: رَوَتْ نَفَحَـاتُ الطِّيـبِ عَـنْ نَسْمِـةِ الصِّبَـا:

رَوَتْ نَفَحَاتُ الطِّيبِ عَنْ نَسْمِةِ الصِّبَا
حَدِيثَ غَرَامٍ عَـنْ سُوَيْكِنَـةِ الخِبَـا
وَأَهْدَى النَّسِيمُ الحَاجِـرِيُّ سَلاَمَهَـا
فَيا لُطْفَ مَا أَهْدَى النَّسِيمُ وَمَا حَبَـا
أَيَا صَاحِبِي مَا لِلْحِمَى فَـاحَ نَشْـرُهُ
فَهَلْ سَحَبَتْ لَيْلَى ذيولاً عَلَى الرُّبَـا
فماذا الشَّـذا إلاَّ وقـد زَار طَيْفُهَـا
فأهْلاً بطَيْـفٍ زارَ مِنْهَـا وَمَرْحَبَـا
فَيا طِيبَ عَيْـشٍ مَـرْ لِي بِفِنَائِهَـا
ولَوْ عَاد يَوْماً كَـأنَ عِنْـدِي أَطْيَبَـا
لَيَـاليَّ أُنْـسٌ كُلُّهَـا سَحَـرٌ بهـا
وَأَيَّامُ وَصْـلٍ كُلُّهَـا زَمَـنُ الصبّـا
مُمُنْعَةٌ رَفْـعُ الحِجَـابِ وَضَوْءُهُـا
كَفَاهَـا فَمَـا نْحتَـاجُ أَنْ نَتَنَقَّبَـا
هِي الشَمْـسُ إلاَّ أَنْ نُـور جَمَالِهَـا
يُنَزِهُهَـا في الحُسْـنِ أَنْ تَتَحَجْبَـا
لَئِنْ أَخْلَفَ الوَسْمِيُّ مَا حِـلَ تُرْبِهَـا
فقَدْ رَاحَ مِنْ دَمْعِ المُحِبْيِنَ يَخْصِبَـا

ـ قصيـــدة: تَذَكَّــرَ بِالحِــمَى قَــلْبي الطَّــرُوبُ:

تَذَكَّر بِالحِمَى قَلْبي الطَّرُوبُ   لَيَالي غَابَ عَنْهُنَ الرَّقِيــبُ
وَأَيَّاماً صَفَا عَيْشُ التَّصَــابي   وَمَنْ أَهْوى نَدِيمى وَالحَبيبُ
غَرِيبُ الحَيِّ قَلْبي في حِمَاكُمْ   نَزِيلٌ في دِيَاركُــمُ غرِيــبُ
رَحَلْتُمْ عَنْ حِمى الوَادِي سُحَيْراً   وَسِرْتُمْ وَهْوَ خَلْفَكُمُ جَنِيــبُ
عَجِبْتُ لِنَارِكُمْ بِرُبَا المُصَلَّى   وَمِنْهَا الصَّبُّ فِي نَجْدٍ يَذُوبُ
وَنَشْرِكُمُ على بُعْــدٍ وقُــرْبٍ   إلى المُشْتَاقِ تَحْمِلُهُ الجَنُوبُ
وَإِنْ أَرْجُوكُمُ وَأَخِيبُ كُــلاًّ   سِوَاكُمْ قَصْدُ رَاجِيه يَخِيــبُ
وَبِي مَنْ لا أُسَمِّيــهِ حَيَــاءَ   بِحُكْمِ حُضُورِهِ فَهْوَ الرَّقِيــبُ
يَمِيسُ قَوَامُهُ فَيكَــادُ قَلْــبي   يَطِيرُ مِنَ اللَّذَاذَةِ إِذْ يَطِيــبُ

ـ قصيــدة: أَيَــا عَــرَبَ الجَرْعَــاءِ مَــنْ أَيْمَــنِ الشِّعْــبِ:

أَيَا عَرَبَ الجَرْعَاءِ مَنْ أَيْمَــنِ الشِّعْــبِ
بِكُمْ لاَ بِشَيءٍ غَيْرِكُمْ شَغَــفُ الصَّــبِّ
أَلَمْ تَعِدُونَــا أَنْ نَرَاكُــمْ بِــذِي الفَضــا
أَظُنُّكُــمُ تَعْنَــونَ أَنَّ الغَضَــا قَلْــبِي
غَرَاماً بِكُمْ والنَّــارُ يَضْرِمُهَــا الصَّبَــا
أَقُولُ عَلى نَــارِي بِكُــمْ لِلصَّبَــا هُــبِّي

وَوَجْـدَاً إذا مِلْتُـمْ إليَّ مـعَ الهَـوَى

أقولُ اعتذاراً يَحْسُـنُ الميـلُ للقُضْـبِ

وَإِنْ تُوقِدُوا نَار الحَرِيـقِ فَكَـمْ أَضَـا

وَنَارُ فُؤادِي فِي حَشَا الْوَالِـهِ الصِّـبِّ

وَإِنْ تَجِـدُوا بِالشِّعْـبِ سَيْـلاً ولُجَـةً

فَأَنْتُـمْ بِمَجْرَى الدَّمْعِ يَا سَاكِـني قَلْـبِي

سَبَتْنَـا الجُفُـونُ البَابِلِيَّـاتُ مِنْكُـمُ

وَإِنَّ لُبَانَـاتِ الَّلبَـاءَةِ فِي الحَـبِّ

نُصَيْـصٌ فَهـلاًّ لِلرقِيـبَ وَعَـاذِلِ

لِكَيْمَا يَبِيتَـا فِي عَـذَابِ وَفِي نَصْـبِ

غَزَالُكُـمُ ذَاكَ المُمَنَّـعُ وَصلُـهُ

أَبَاحَ حِـمى دَمْـعِي وَبَالَـغَ في نَهْـبِى

هُوَ الظَّبْيُ لاَ بَلْ صَائِدُ الظَّـبْيِ لَحْظُـهُ

وَيَا مَا أُحَيْلاَ الصَّيْدَ في شَرَكِ الهُـدْبِ

حَـلاَ لَحْظُهُ وَالمُرُّ فِي الحُـبِّ وَصلُـهُ

ولَمْ تَحْلُ حَتَّى مَـرَّ فِي رِيقِـهِ العَـذْبِ

عَلَى عِطْفِهِ حَتَّى مِنَ الـوُرْقِ غَيْـرَتِي

أَلَمْ تَرَهَا هَاجَتْ عَلَى الغُصُنِ الرَّطْـبِ

فَـإِنْ ذَبَلَـتْ أَجْفَانُهَـا وَهْيَ نَرجِـسٌ

فَمِنْ طُولِ مَا أَدْمَنْتُ فِيهِـنَّ مِنْ شُـرْبِ

وَمِنْ عَجَبٍ وَهْيَ الكُـؤُوسُ فَمَــا لَهَــا

إِذَا كُسِّرَتْ صَحَّتْ وَدَارَتْ عَلى الشَّربِ

فَهَــلْ عَــوْدَةٌ فِي لَيْلَــةٍ مِــنْ ذَوَابَــةٍ

عَنِ البَــدْرِ مِنْ ظَلْمَائِهَــا دَائِمــاً تُنْــبى

تَــرَقَّى بِهَــا قَلْــبِي إلى سِــرٍّ وَقْــدِهِ

سَلاَمٌ على مَنْ تَحْتَــهُ سُبَــحُ الرَّطْــبِ

أَرَادَ تَــوَلَّى الحَــلَّ وَالعَقْــدَ عِنْــدَهُ

فَجَارَ عَلَى المسَجُوْنِ مَنْ مُقْتَضَى الجَذْبِ

دَعَانِي انْكِسَــارُ الجَفْــنِ مِنْــهُ لِضَمَّــةٍ

فَجَاوَبَنِي مَا لِلغُصُوْنِ سِــوَى الهُضْــبِ

وَغــرَّدْتُ تَغْرِيــدَ الحَمَــامِ تَوَصُّــلاً

إِلَيْــهِ لِمَــا بَيْــنَ الحَمَائِــمَ وَالقُضْــبِ

وَقُلْتُ زَكَاةُ الحُسْنِ فَرْضــاً فَقَــالَ مَــا

تَمِيلُ الغُصُونُ الوُرْقُ إلاَّ على النُّــدْبِ

ـ قصيــدة: هَــذا المُصَــلَّى وَهَــذِهِ الكُثُــبُ:

هَــذا المُصــلَّى وَهَــذِهِ الكُثُــبُ

بِمِثْــلِ هَــذَا يَهُــزُّكَ الطَّــرَبُ

فَالْحَيُّ قَــدْ شُرِعَــتْ مَضَرِبُــهُ
وَحُسْنُهُ عَنْــهُ زَالــتِ الحُجُــبُ
وَكُــلُّ صَــبٍّ صَبَــا لِسَاكِنِيــهِ
يَسْجُــدُ شَوْقــاً لَــهُ وَيَقْتَــرِبُ
أَنِــخْ مَطَايَــاكَ عِنْــدَ رَبْعِهُمُــوُ
كَيْ لاَ تَطَاكَ الرِّحَــالُ والنُجُــبُ
وَاسْعِ عَلى الجَفنِ خَاضِعاً فَعَسى
يَشْفَــعُ فِيــكَ الخُضُــوعُ وَالأَدَبُ
وَارْجِ قِرَاهُــمْ إِذَا نَزَلْــت بِهِــمْ
فَأَنْت ضَيْفٌ لَهُــمْ وَهُــمْ عُــرُبُ
وَاسْجُدْ لَهُمْ وَاْقتَــرِبْ فَعَاشِقُهُــمْ
يَسْجُــدُ شَوْقــاً لهُــمْ وَيَقْتَــرِبُ
عِنْــدِي لَكُــمْ يَا أُهَيْــلَ كَاظِمَــةٍ
أَسْــرَارُ وجْــدٍ حَدِيثُهَــا عَجَــبُ
أَرَى بِكُــم خَاطِــرِي يُلاحِظُــنِي
مِنْ أَيْــنَ هَذَا الإِخَــاءُ وَالنَّسَــبُ
وَإِنْ تَشَوَّقْتُكُــمْ بَعَثْــتُ لَكُــمْ
كُتْبَ غَــرَامِي وَمِنْكُــمُ الكُتُــبُ
وَأَشْرَبُ الــرَّاح حِيــنَ أَشْرَبُهَــا
صِرْفاً وَأَصْحُو بِهَا فَمَا السَّبَــبُ

خَمْرَتُهَا مِـــنْ دَمي وَعَاصِرُهَـــا

ذَاتي وَمِن أَدْمُعِي لَهَـــا الحَبَـــبُ

إِنْ كُنْتُ أَصْحُو بِشُرْبِهَـــا فَلَقَـــدْ

عَرْبَدَ قَـــوْمٌ بِهَـــا وَمَـــا شَرِبُـــوا

هِي النَّعِيـــمُ المُقِيـــمُ في خَلَـــدِي

وَإِنْ غَدَتْ في الكُؤُوسِ تَلْتَهِـــبُ

فَغَـــنِّ لي إِنْ سَقَيْـــت يَا أَمَـــلي

بِاسْـــمِ الـــتِّي بي عَلَيَّ تَحتَجِـــبُ

عَيْنَاكِ إِنْ سَلَبَتْ نَوْمي بِلاَ سَبَبِ

فَالنَّهْبُ يَا أُخْت سَعْدٍ شِيَمةُ العَرَبِ

وَقَدْ سَلَبْتِ رُقَـــادَ النَّـــاسِ كُلِّهِـــمُ

لِذَاكَ جَفْنُكِ كَسْلاَنٌ مِـــنْ التَّعَـــبِ

هَلْ ذاكَ لاَمِعُ بَرْقٍ لاَحَ مِنْ إِضَمِ

أَمْ ابْتَسَمْتِ فَهَذَا بَـــارِقُ الشَّنَـــبِ

وَتِلْكَ نَـــارُكِ بِالجَرْعَـــاءِ سَاطِعَـــةٌ

أَمْ ذَاكَ خَدُّكِ وَهَّـــاجُ مِـــنَ اللَّهَـــبِ

لاَ أَنْقَذَ اللهُ مِنْ نَارِ الجَـــوَى أَبَـــداً

قَلْبي الَّذي عَنْ هَوَاكُمْ غَيْرُ مُنْقَلِـــبِ

إِنْ عَذَبَتْـــهُ بِنَـــارٍ مِـــنَ مَحَبَّتِهَـــا

نُعْمَ فَذَاكَ نَعِيـــمٌ غَيْـــرُ مُحْتَجِـــبِ

مَنْ رامَ ذِكْر سِوَاهَا يَلْتَمِسْ أَحَــداً
غَيْرِي فَذِكْرُ سِوَاهَا لَيْسَ مِنْ أَرَبي
إِنْ حَدَّثَتْــهُ الأَمَــانِي أَنَّــنِي أَبــداً
أَسْلُوا هَوَاهَا فَقَدْ أَصْغَى إِلى الكَذِبِ

ـ مقطوعــة: بَعَثَــتْ فِي طَيٍّ أَنْفَــاسِ الجَنُــوبِ:

بَعَثَــتْ فِي طَيٍّ أَنْفَــاسِ الجَنُــوبِ
لِينَ عِطْفَيْهَــا إِلَى بَــانِ الكَثِيــبِ
فَغَــدَتْ أَكْمَــامُ أَزْهَــارِ الــرُّبَى
طَرَبــاً تَفْتُــقُ أَزْرَار الجُيــوُبِ
فَعُمــوُمُ الكَــوْنِ يَهْــوىَ حُسْنَهَــا
وَخُصُوصاً صاحِبُ القَلْبِ الطَّروْبِ
وَإِذَا يَــا سَعْــدُ جَــاوَزْتَ النَّقَــا
فَاحْبِسْ العِيس تَرَى نَهْبَ القُلُــوبِ
فَبِذاكَ الــحَيِّ كَــمْ مَيْــتِ هَــوَى
قَدْ بَراهُ السُقْمُ عَنْ عَيْــنِ الطَّبِيــبِ
يَــا بِــرُوحِي أَنَــا أَفْــدِي شَادِنــاً
فَاتِنــاً أَمْــسَى نَدِيــمِي وَحَبِيــبي

ـ قصيـــدة: لاَ تَلُــمْ صَبْــوَتِي فَمَــنْ حَــبَّ يَصْبُــو:

لاَ تَلُمْ صَبْوَتِي فَمَنْ حَـبَّ يَصْبُـو
إِنَّمَـا يَرْحَـمُ المُحِـبَّ المُحِـبُّ

كَيْفَ لا يُوقِـدُ النَّسِيـمُ غـرَامِي
ولَــهُ فِي خِيَـامِ لَيْـلَى مَهَـبٌّ

مَا اعْتِـذَارِي إِذَا خَبَـتْ لِي نَـارٌ
وَحَبِيـبي أَنْـوَارُهُ لَيْـسَ تَخْبُـو

هَــذِهِ الحُلَّــةُ الــتَّي حُــلَّ فِيَهــا
عَقْدُ صَبْـرِي وَحَلَّهَـا لِي حِـبٌّ

مَــلأَ الكَــوْنَ حُسْنُــهُ فَلِهَــذَا
كُــلُّ قَلْـبِ إِلى مَعَانِيـهِ يَصْبُـو

عَايَنَتْ حُسْنَــهُ القُلُــوبُ فَأَمْـسَى
ولَهُ فِي القُلُـوبِ سَلْـبٌ وَنَهْـبُ

نَصَبُـوا حَــانَ حُبِّـهِ ثُـمَّ نَــادُوْا
يَا نِيَــامَ القُلُــوبِ لِلــرَّاحِ هُبُــوا

بِنْــتُ كَــرْمٍ زُفَّــتْ لِكُــلِّ كَرَيـمِ
مَا عَلَى نَفْسِـهِ النَّفِيسَـةِ صَعْـبُ

ـ قصيـــدة: يَــا نَسْمَــةَ البَــانِ هُــبِّي:

يَا نَسْمَــةَ البَــانِ هُــبِّي عَــلَى رُسُــومِ المُحِـبِّ

وَمَـــا عَلَيْـــكِ إِذَا مَـــا وَقَّـــدْتِ نِيْـــرَانَ قَلْـــبِي
إِنْ تَكْتُـــمِي سِـــرَّ لَيْـــلَى فَطِيبُهَـــا عَنْهَـــا يُبْـــنِي
أَوْ لاَ فَمَـــا لَشَذَاهَـــا يُسْـــبِي العُقُـــولَ وَيُصْـــبِي
أَهْـــدَتْ إِلَيَّ حَدِيثـــاً فَهِمْتَـــهُ دُونَ صَحْـــبِي
فَحَلَّ فِي الحَـــالِ سَلْـــبِي دُونَ الجَمِيـــعِ وَنَهْـــبِي
يَـــا طَالِبـــاً حَيَّ لَيْـــلَى ذَاتِي حِمَاهَـــا فَطُـــفْ بِي
وَنَـــادِ بَاسْـــمِي تَجِدْهَـــا عَـــلَى لِسَـــانِي تُلَـــبِّي

ـ قصيـــدة: يَـــا ساكِنِيـــنَ بِقَلْـــبِي:

يَا ساكِنِيـــنَ بِقَلْـــبِي مَتَى أَفُـــوزُ بِقُـــرْبِ
سَلَبْتُمُـــونِي وَلَكِـــنْ أَنَا السَّعِيـــدُ بِسَلْـــبِي
يَا عُرْبَ وَادِيَ المُصَلاَّ لأَنْتُمُ خَيْـــرُ عُـــرْبِ
نَزِيلُكُـــم مُسْتَهَـــامُ مُوَلَّهُ القَلْبِ مَسْـــبِي
وَلَسْتُ أَسْلُو هَوَاكُمْ حَاشَا غَرَامِي وَحُبِّي
إِذا رَضِيتُمْ تَـــلاَفِي فَذَاكَ مَطْلُوبُ قَلْـــبِي
رُوحِي لَكُمْ إِنْ قَبِلْتُمْ وَالرُّوحُ جَهْدُ المُحِبِّ
أَنْتُمْ ذَخِيـــرَةُ قَلْـــبِي يَوْمَ المَعَادِ وحَسْبِي
عَشِقْتُكُـــمْ وَبِحَـــقِّي إِنْ تِهْتُ مِنْ فَرْطِ عُجْبِي
وَمِلْتُ سُكْراً وَلِمْ لاَ وَمِنْكُمُ كَانَ شُـــرْبِي

وَقَدْ سَقَانِي حَبِيــبي وَخصَّنِي دُونَ صحْبِي
وَلَسْتُ بَعْدَ عَيَــانِي جَهْراً سَنَا وَجْهِ رَبِّي
أَصبُو لِرَنْــدٍ وَبَــانٍ وَذِكْرِ غَارٍ وَكُثْــبِ

ـ مقطوعــة: نَعَــمْ هَــذِهِ الــدَّارُ الَّــتي أَنْــت تَطْلُــبُ:

نَعَمْ هَذِهِ الدَّارُ الَّتي أَنْت تَطْلُــبُ
إِلَى أَيْنَ عَنْهَا يَالَكَ الخَيْرُ تَذْهَــبُ
أَعَنْ دَارِ لَيْلَى بَعْدَ مَا بَانَ بَانُهَــا
وَفَــاحَ شَــذَا أَنْفَاسِهَــا تَتَحَجَّــبُ
لَقَدْ سَمَحَتْ رُوحِي بُقْربِ مَزَارِهَا
بفُرْقَةِ جِسْمٍ لَمْ تَزَلْ فِيهِ تَرْغَــبُ
وَهَلْ كَانَتِ الأَجْسَــادُ إِلاَّ مَطِيَّنَــا
تُقَرِّبُهَا مَعْنىً لَهَا حِيــنَ تَقْــرَبُ
نَعَمْ ذَلِكَ المَعْنَى الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ
بُدُورُ سَنَاهَا بَعْدمَا عَنْكَ تَغْــرِبُ
وَلاَحتْ وَهَلْ يَوْماً تَوَارَتْ وَإِنَّمَــا
بِتَنْزِيهِهَا عَنْ ذَاكَ طَرْفِي يُكَــذِّبُ

ـ قصيــدة: عَــلَى حُبِّكُــمْ أَنْفَقْــتُ حَاصِــلَ أَدْمُــعِي:

عَلَى حُبِّكُمْ أَنفقتُ حَاصِلَ أَدْمُـــعِي
وَغَيْرَ وَلاَكُمْ عَبْدُكُــمْ مَــا تَكَسَّبَــا
وحَاشَكُمُ أَنْ تُبْعِــدُوا عَنْ جَنَابِكُــمْ
حَلِيفَ هَوىً بالرُّوحِ فِيكُــمْ تَقَرَّبَــا
وَأَنْ تَهْجُروا مَنْ وَاصلَ السُّهْدُ جَفْنَهُ
وَهَــذَّبَ فِيْكُــمْ عِشْقَــهُ فَتَهَذَّبَــا
وَأَحْسَنْتُــمُ تَأْدِيبَــهُ بِصُدُودِكُــمْ
فَلاَ تَهْجُروهُ بَعْــدَ مَــا قَــدْ تَأَدَّبَــا
وَلِي مُهْجَةٌ دِيــنُ الصَّبَابَــةِ دَيْنُهَــا
فَكَيْفَ تَرى عَنْكُمْ مَدَى الدَّهرِ مَذْهَبَا
وَلِي فِي ظِلاَلِ السِّرحَتَيْــنِ تَنَــزُّلٌ
لَبِسْنَا بِهِ بُرْداً مِنَ الوَصْلِ مُذْهَبَــا
يَرُوقُكَ أَنْ يَرْوِي أَحَادِيــثَ وُرْقِــهِ
وَتَصْبُوا إِلى الأَلْحَانِ شَجْواً فَتَطْرَبَا
وَتَسْتَنْشِــقَ الأَنْفَــاسَ مِنْ نَسَمَاتِــهِ
فَتَفْهَمَ مَعْنَى الزَّهْرِ مِنْ مَنْطَقِ الصَّبَا

ـ ولـــه هـــذان البيتـــان:

وفي الحي هيفاء المعاطف لو بدت

مع البان كان الورق فيها تغنت

عجبت لها في حسنها إذ تفردت

لأيـــة معنًى بعـــد ذاك تثنـــت

ـ مقطوعـــة: أَيَـــا طَلْعَـــةَ القَمَـــرِ المُبْهِـــجِ:

أَيَا طَلْعَـــةَ القَمَـــرِ المُبْهِـــجِ

وَيَا فِتْنَةَ المُسْتَهَـــامِ الشَّجِي

بِمَا بَيْنَنَا مِنْ عُهُودِ الهَـــوَى

إِذَا جُزْتِ جَيْرُوت بِي عَرِّجِ

بَنَفْسَجُ صُدْغَيْـــكَ قَدْ لاَحَ لِي

فَبَشَّـــرَنِي بالَّـــذِي أَرْتَـــجِي

فَـــإِنَّ البَنَفْسَـــجَ تَفْسِيـــرُهُ

كَمَا قَدْ عَلِمْتُ بِنَفْـــسِي أَجِي

فَكَمْ لَيْلَةٍ بِتُّ أَطْـــوِي يَـــدِي

عَلَى كَبِدِي مِنْ جَوَىً مُنْضِجِ

فلاَ تَمْزِجَـــنْ بِدَمِي عَبْـــرَتِي

وَرِيقُكَ لِي بِالكُؤُوسِ امْـــزِجِ

ـ قصيـدة: عَـسَى لَيْـلُ آمَـالِي بِوَجْهِـكَ يُصْبِـحُ:

عَسَى لَيْلُ آمَالِي بِوجْهِـكَ يُصْبِـحُ
وَيُسعِفُنِي الدَّهْرُ البَخِيـلُ ويَسْمَـحُ
وَيَسْكُنُ قَلْبٌ قَـدْ تَمَـادَى خُفُوقُـهُ
ويَخْلُصُ طَرْفٌ رَاحَ لِلدَّمْعِ يَسْفَـحُ
أُؤَمِلَ أَنْ يَبْـدُو لِعَيْـنِي جَمَالُهـا
عَسى لَحْظُهَا في رَوْضَةِ الحُسْنِ يَسرَحُ
فَلَما بَدَتْ أَطرَقْتُ في الحِينِ هَيْبَـةً
وَمَنْ ذا لِعَيْنِ الشَّمْسِ بالعَيْنِ يَلْمِـحُ
تَعَـرَّضْ لآرامِ الصَّرِيـمِ لَعَلَّهَـا
بِأَلْحَاظِهَا تَرْمِي حَشَـاكَ وتَجْـرَحُ
فَمَا عَـاش إِلاَّ مَيِّـتٌ في حِمَاهُـمُ
ومَا مَات إِلاَّ مَن لأَهْليـهِ يَصلُـحُ
إِذَا أَسَرَتْ قَلْـبِي عُيُـونُ أُهَيْلِـهِ
فَلاَ عِشْتُ إِنْ أَمَّلْـتُ أَنِّي أُسَـرْحُ
وَأَيْنَ جَمِيلٌ مِنْ غرَامِي وقَدْ غَـدَا
لَدِيهِ جَمِيلُ الصَّبْرِ فِي الحُبِّ يَقْبُـحُ

ـ مقطوعـــة: مُحَيَّـــاكَ يَهْــوَاهُ المُحَيَّـــا أمَا تَـــرَى:

مُحَيَّـــاكَ يَهْوَاهُ المُحَيَّـــا أمَا تَـــرَى
حَشَـــا الكَأسِ فِيهِ جَمْـــرَةَ تَتَوَقَّـــدُ
ولَوْلاَ بُكَاهَا مَا بَـــدَا فَوْقَ خَدِّهَـــا
دُمُـــوعٌ حكَاهَـــا اللُّؤْلُـــؤُ المُتَفَـــرِّدُ
وَمَا كُنْتُ أدْرِي فِتْنَةَ الفِسْقِ فِعْلَهَـــا
إلى أنْ رَأت عَيْنَايَ حُسْنُك يَبْعُـــدُ
إنَّمَا ارْتَشَفْتُ الرَّاحَ مِنْ ثغْرِ كَأسِهَا
ألَسْتَ تَرَاهَا نَحْوَ وجْهِـــكَ تَسْجُـــدُ
ولَوْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاكَ فِي الكَوْنِ مُطْلَقاً
لَدَلَّ عَلَيْـــهِ مِنْـــكَ حُسْـــنٌ مُقَيَّـــدُ
لَمَّا أبْصَرَتْ عَيْنِي جَمَالَكَ جَهْـــرَةَ
وَمَنْ لَمْ تُشَاهِدْ عَيْنُهُ كَيْـــف يَشْهَـــدُ
عَجِبْتُ لِكَأسٍ قَدْ صَحَوْت بِشُرْبِهَـــا
أبْـــرَأ صحْـــواً عَـــلي يُعَرْبِـــدُ

ـ وقـــال في رثـــاء ولـــده شمـــس الديـــن؛ الـــذي تـــوفي قبلـــه. وأثنـــاء ذلـــك أشـــار إلى أخيـــه الميـــت أيضـــاً:

مَـــالِي بِفَقْـــدِ المُحَمَّدَيْـــنِ يَـــدُ
مَـــضَى أخِي ثُمَّ بَعْدَهُ الوَلَـــدُ

يَا نـــَار قَلـــبِي وَأيْنَ قَلْـــبِيَ أوْ

يَا كَبدِي لوْ يَكُونُ لِي كَبــدُ

يَا بَائـــِعَ المَوْتِ مُشْتَرِيـــهِ أنـــَا

فَالصَّبْرُ مَا لاَ يُصَابُ وَالجَلـــدُ

أيْـــنَ البَنَـــانُ الَّتِي إذَا كَتَبَـــتْ

وَعَايَـــنَ النَّاسُ خطَّهَا سَجَـــدُوا

أيْـــنَ الثنَايَـــا التِي إذَا ابْتَسَمَتْ

أوْ نَطقَـــتْ لاَحَ لُؤلُـــؤ نَضَـــدُ

مَا فَقَدَتْكَ الإخْـــوَانُ يَا وَلَـــدِي

وَإِنَّمَا شَمْـــس أنْسِهِمْ فَقَـــدُوا

مُحَمَّـــدٌ يَـــا مُحَمَّـــدٌ عَـــدَداً

وَما لمَـــا لَيْـــسَ يَنْتَـــهِي عَـــدَدُ

إلى أن يقــول:

مَاذَا عَلَى الغَاسِلِينَ إذَ قَرُبَ الأمْـــ

ـــلاَكُ مِنْـــهُ لَـــوْ أَنَّهُـــمْ بَعـــدُوا

قَدْ حَمَلَتْ نَفْسُهُ العُلُومَ إلَى الــ

فِرْدَوْسِ وَالنَّعْـــشُ فَوْقَـــهُ الجَسَـــدُ

أبْكَيْت خَالاَتكَ الضَّوَاحِكِ مِـــنْ

قَبْلُ وَمَا مِـــنْ صِفَاتِـــكَ النَّكَـــدُ

بِي كِبَــرٌ مَسَّــنِي وَأَمُّــكَ قَــدْ

شَاخَتْ فَمِنْ أَيْنَ لِي يُــرَى وَلَــدُ

وَهَبْــهُ قَدْ كــَانَ لِي فَمِثْلُــكَ لاَ

يُــرْجَى وَأَيْــنَ الزَّمَــان وَالأَمَــدُ

ـ مقطوعــة: بِذِمَــامِ الحُــبِّ يَــا أَهْــلَ زَرُودِ:

بِذِمَامِ الحُــبِّ يَا أَهْــلَ زَرُودِ

مَنْ تُرَى عَلَّمَكُمْ نَقْض العُهُودِ

أَتُرَاكُــمْ قَــدْ مَلَلْتُــمْ عَبْدَكُــمْ

أَمْ سَمِعْتُمْ فيه أَقْوَالَ الحَسُــودِ

هَكَــذَا كُــلُّ مُحِــبٍّ لَكُــمُ

أَمْ أَنَا المخصوصُ وحْدِي بِالصُّــدُودِ

كَيْف مَا شِئْتُ فَكُونُوا سِــادَتِي

أَنا في حُبِّي لَكُمْ بَعْضُ الْعَبِيدِ

وَلَكُــمْ عُهْــدَةُ رِقِّي كُتِبَــتْ

بِمِدَادِ الدَّمْعِ في رَقِّ الخُــدُودِ

كُلَّمَا رُمْتُ تَقَاضِي وَصْلِكُــمْ

وَقَفَ الإِجْلاَلُ بِي دُونَ وُرُودِ

ــ مقطوعــة: لَــوْلاَكَ يَــا غَايَــتي وَقَصْــدِي:

لَوْلاَكَ يَا غَايَتي وَقَصْــدِي
مَا هِمْتُ وجْداً بِرَبْعِ نَجْــدِ

أَسْقَيْتَنِي في الهَوىَ حَدِيثــاً
يُسْكِرُ لِلْعَاشِقِيــنَ بَعْــدِي

وَمُذْكِــرِى للسُّلُــوِ عَهْــداً
بِذِكْرِ غَيْرِي نَسِيت عَهْدِي

وَرُبَّ مُهْدِي الصِّبَا سُحَيْراً
أَغْنَتْهُ عَنْ نَشْرِهَــا بِبُــرْدِ

لاَ تَذْكُرُوا للنَّسِيمِ سُكْــرِي
فَقَدْ أَتَى مُبْشِــراً بِوجْــدِي

ــ قصيــدة: نَسِيَــمَ الصَّبَــا أَذْكَرْتَــنِي العَهْــدَ بِالْــوَادِي:

نَسِيَمَ الصَّبَا أَذْكَرْتَنِي العَهْدَ بِالوَادِي
وَهَيَّجْتَ أَشْوَاقــاً شَقَقْــنَ فُــؤَادِي

فَإِنْ كُنْت تُحْيِي مَيِّت الهَجْرِ والجَوَى
بِقَتْلِ الهَــوَى أَحْيِيَتَــنِي بِمُــرَادِي

فَإِنِّي مُذْ فَارَقْتُ أَحْبَــابَ مُهْجَــتِي
وعُوضْتُ مِنْ قُــرْبٍ لَهُــمْ بِبُعَــادِ

جُفُونِي جَفَتْ نَوْمَ الدُّجَى لِمَضاجِعِي

وَصِرْتُ جَلِيسا للسُّهَـــا بِسُهَـــادِي

فَيَا ذَلِكَ الدَّانِي إلى ذَلِـــكَ الحِـــمَى

إِذَا ما أَنَخْتَ العِيس في ذَلِكَ الوَادِي

فَنَـــادِ بِهِ السُّكَانَ أَسْكَنْتُـــمُ الحَشَـــا

وَقُودَ لَظىً فَالجَمْرُ صَارَ مِهَـــادِي

فَلَمْ أَسْتَطِعْ في اللَّيْلِ مَيْلاً لِمَضْجَعِي

أَأَهْجَعُ والنِّيـــرَانُ حَشْـــوُ وِسَـــادِي

رَعَى اللهُ أَيَّامـــاً بِمُنْعَـــرِجِ اللِّـــوَى

ولَيْلاً نفَى فِيهِ الوِصَـــالُ رُقَـــادِي

ـ مقطوعـــة: قِمْرِيَّـــةُ الأَسْحَـــارِ لِي تُسْعِـــدُ:

قِمْرِيَّةُ الأَسْحَـــارِ لِي تُسْعِـــدُ

أُنْشِدُ في غُصْنِي كَمَّا تُنْشِـــدُ

بِي شَادِنٌ قَلْبي شَـــقِيٌّ بِـــهِ

وجْداً وَطَرْفِي نَظَراً يَسْعَـــدُ

وَا عَجَبـــاً مِنْ رَمَـــدٍ نَالَـــهُ

وَخِلْتُ أَنَّ البَـــدْرَ لاَ يَرْمَـــدُ

كَيْف اكْتَسَتْ مُقْلَتُـــهُ حُمْـــرَةً

وَالنَّرْجِسُ الأَحْمَرُ لاَ يُعْهَـــدُ

هَارُوتُها أَضحَى وَمَارُوتُهـــا
عِلْمَهُمَا بِالسِّحْــرِ لاَ يُجْحَــدُ

ـ مقطوعــة: يَــا أُهَيْــلَ الــحَيِّ مِــنْ ذَاكَ الحِــمَى:

يَا أُهَيْلَ الحَيِّ مِنْ ذَاكَ الحِمَى
أَنْتُمُ المَقْصُودُ مِنْ كُلِّ الوُجُودْ
ظَــبْيٌ أَبْيَاتِكُــمُ ذَاكَ الَّـــذي
لاَ تَسَلْ مَا حَلَّ مِنْهُ بالأُسُــودْ
وَسَقِيمُ الجَفْنِ قَــدْ صَــحَّ لَــهُ
سُنَّةُ المَنْعِ وَإِبْطَـــالُ الوُعُــودْ

ـ قصيــدة: لَــوْ كُنْــتُ فِيــهِ هَائِمــاً وَحْــدِي:

لَوْ كُنْتُ فِيهِ هَائِمــاً وحْــدِي
لَعَذَرْتُ عُذَّالِي علَى وجْــدِي
أَمَا وكُــلُّ الكَــوْنِ يَعْشِقُــهُ
فَعَلاَمَ أُخْفِي فِيه مَا عِنْــدِي
هَامَ النَّسِيــمُ بِلُطْفِــهِ فَلِــذَا
ظَهَرَ اعْتِلاَلٌ فِي صَبَا نَجْــدِ
ولَهُ عُيُونُ الزَّهْــرِ رَامِقَــةُ
بِنَوَاظِرِ مُلِئَتْ مِــنَ السُّهْــدِ

وَأَبِيــكَ لَــوْلاَ لِيــنُ قَامَتِــهِ
مَا اشْتَقْتُ لِينَ مَعَاطِفِ الرَّنْدِ
يَا قَاتِــلي وَجَوَانِــحِي أَبَــداً
تَشْتَاقُهُ فِي القُــرْبِ والبُعْــدِ
لَكَ أَنْ تَجُور عَلَيَّ يَا أَمَــلِي
وَعَلَيَّ أَنْ أَرْضَى بِمَا تُبْــدِي
ولَئِنْ أَرَاق دَمِي هَوَاكَ فَيَــا
شَرَفِي وَيَا حَظِّي وَيَا سَعْدي
أَخْفَيْتُ حُبَّكَ إِذْ خَفِيت ضَنَــاً
فَكَأَنَّنَــا كُنَّــا عَــلى وَعْــدِ
لَكَ نَاظِــرٌ أَبَــداً لَحاجِبِــهِ
يَشْكُــو ظُلاَمَةَ عامِلِ الغَــدِّ
لَكَ عَارِضٌ لَمَّا أَعْتَرَضْتُ رَأْي
إِطْلاَق جَارِي الدَّمْعِ في نَقْدِي

ـ قصيــدة: وَحَقِّــكَ مَــا الجُفُــونُ السُّــوْدُ رُمْــدُ:

وَحَقِّــكَ مَا الجُفُونُ السُّــوْدُ رُمْــدُ
وَلاَ سَلَّــتْ بِهَــا الهِنْــدِيَ هِنْــدُ
ولَكِــنَّ الفُتُــور بِهَــا فُتُــونٌ
وَفِي الوَسَنِ الَّــذِي تُبْدِيــهِ سُهْــدُ

لَقَدْ أَطْرَبْــت سَمْعــي يَا عَــذُولِي
بذِكْراَهَــا كَأَنَّــكَ كُنْــت تَشْــدُو
وَسُقْت رِكَــابَ أَشْــوَاقِي وَدَمْــعِي
فَعَــذْلٌ ذَاكَ لِــي أَمْ أَنْــتَ تَحْــدُو
وأَغْيَدَ فِي المَنَاطِــقِ مِنْــهُ غَــوْرٌ
أَهِيــمُ بِــهِ وَفِي الأَعْطَــافِ نَجْــدُ
شَهِــدْتُ بِوجْهِــهِ بَــدْراً وَأَنْثَــى
وَقَائِــعِ لَحْظِــهِ بَــدْرٌ وَأُحْــدُ
وقالُــوا خَــدُّهُ مَــاءٌ وخَمْــــرٌ
وَكُــلٌّ مِنْهُــــا لأَخِيــهِ ضِــــدٌّ
فَقُلْتُ وَمَقْصِــدِي بِالقَــوْلِ خَــالٌ
هُنَــاكَ نَعَــمْ وَفَــوْقَ الضِّــدِّ نَــدٌّ
وَأَعْجَــبُ مِنْهُمَــــا وَرْدٌ وآسٌ
وَلَيْــس بِكَــائِــنٍ فِــي الآسِ وَرْدُ
سَــقَى عِلْــمِ غَدَائِــرَهُ دُمُــوعِي
فَحُسْنُ الطَّــلِّ فَــوْقَ الآسِ يَعْــدُو
وَحَــيَّــا الأَبْــرقَيْــنِ وَلَيْــسَ إِلاَّ
ثَنَايَــاهُ وجِيــــدٌ فِيــهِ عِقْــــدُ

حلَــتْ أَلْفَاظُـــهُ لِـــمْ لاَ وَثَغْــرُ

المَلِيحَـــةِ سُكَّــرٌ والرِّيـــقُ شَهْــدُ

ـ قصيــدة: أَتَرْغَــبَ فِي الحَيَــاةِ ولَحْــظُ هِنْــدِ:

أَتَرْغَبَ في الحَيَاةِ ولَحْظُ هِنْـــدِ

عَلَيْنَا مِنْـــهُ سُلَّـــتْ أَيُّ هِنْـــدي

تَعَرَّضْنَـــا لِمُقْلَتِهَـــــا إِلى أَنْ

تَرَاضَعْنَا كُؤُوسَ هَوىً ووَجْـــدِ

فَهَاتِ على اسْمِهَا كاسِي فَـــأَنَّى

تُعَدِّى الكَأْس مَعْ ظَمْـــآنَ بَعْـــدِ

ووَالِ كُؤُوسَهَـــا حَـــتَّى تَـــرَانِي

وَعَيْنِي لاَ تَرَاكَ وأَنْت عِنْـــدي

مُدَاماً مَا الحَبَابُ بِهَـــا سِوَاهَـــا

لَهَـــا مِنْهَـــا عَلَيْهَـــا أَيُّ عقْـــدِ

أُنَاوِلُهَـــا نَدِيـــمي فَهْـــو مِثْـــلِي

وَفِيـــتُ بِعَهْـــدِهِ وَوَفَى بِعَهْـــدِي

كَتُومُ السِّـــرِّ لاَ أَلْقَـــاهُ غَيْـــرِي

إِذَا مَا كَانَ عِنْدِيَ كُنْتُ وحْـــدِي

تَفَرّقَنَـــا نَـــوَىً فَأَمَـــرَّ حُلْـــوِي

وَكَدّرَ بِالتَّفَـــرُّقِ صفْـــو وُدِّي

فَلَمْ أَرَ ذَا تَهُورٍ مِثْــلَ طَــرْفِي

عَصَرْتُ الدَّمْعَ مِنْهُ فَجَاءَ وِرْدِي

وَلاَ كَحَشَايَ تُقْــدَحُ فِيــهِ نَــارٌ

تُذَكَّــرُ مَالِكِيــهِ بِغَيْــرِ زَنْــدِ

أَمَا مِنْ مُسْعَدٍ يَا سَعْــدُ أَشْكُــو

صَبَابَاتِي إِلَيْهِ وَفَــرْطَ وجْــدِي

شَرِبْتُ مُدامَ نُعْــمَى مِنْ قَدِيــمٍ

مُرَوَّقَــةً وَلَيْسَــتْ ذَاتُ دُرْدِي

فَأَعْجَزَ بَعضُ أَيْسَرِهَــا بَنَــانِي

عَلَى بَذْلِي لَهَا مَا فَوْق جُهْــدِي

فَدَيْتُــكَ جَامِعــاً لِلْفَضْــلِ فِيــهِ

يُؤَذِّنُ دَائِمــاً مَــدْحِي وَحَمْــدِي

وَمُشْتَاقٍ ذَكَرْتُ لَهُ اســمَ لَيْــلَى

فَهَامَ بِهَا وَذِكْرُ الحُــبِّ يُعْــدِي

عَلَيٍّ لَــهُ وعِنْدِي مَــا يُــرجَّى

وَبُشْرَى مِنْ عَلِيٍّ لَــهُ وَعِنْــدِي

لأَنِّي قَبْلُ مَنْ قَــدْ جَــاءَ قَبْــلِي

هُنَاكَ وَبَعْدُ مَنْ قَدْ جَاءَ بَعْــدِي

وَلِي فِي مَا يُقَــالُ كَــلاَمُ حُــرٍّ

وَفِي مَالاَ يُقَــالُ سُكُــونُ عَبْــدِ

ـ قصيـــدة: لَمَـــاهُ وَحُمْـــرَةِ الخَـــدِّ:

بَيْـــنَ لَمَـــاهُ وحُمْـــرَةِ الخَـــدِّ
خَالٌ حَكَى نَحْلَـــةً عَلى شَهْـــدِ

عَجِبْتُ مِنْهُ والتُّـــرْكُ تُشْبِهُـــهُ
كَيْفَ اعْتَزَى لَحْظُهُ إلى الهِنْدِ

نَابِغَـــةً صِـــرْتُ في مَحَبَّتِـــهِ
مِنْ فَرْطِ وجْدِي بِصُدْغِهِ الجَعْدِ

دُونَ وِصَـــالِي لِلَثْـــمِ وجْنَتِـــهِ
دِرْعُ عِـــذَارٍ مُقَـــدَّرِ السَّـــرْدِ

هَبْ أَنَّهَا لاِخْضِرَارِهِ مَنَعَـــتْ
كَمْ جُهْدِ مَنْعِ الرَّبِيـــعِ لِلـــوَرْدِ

سَأَلْتُهُ والرِّيـــحُ يَعْبِـــقُ مِـــنْ
وجْنَتِـــهِ تَـــارَةً وَمِـــنْ رَنْـــدِ

ذَا الطِّيبُ مِنْ أَيْنَ لِلشَّقِيقِ أَتَى
فَقَـــالَ مِنْ نَـــدًا خَـــالِي النَّـــدِّ

يَا لاَئِمِي فِي مَدَامِـــعٍ سُكِبَـــتْ
قَدْ نَثَرَتْ دُرَّهَـــا عَلى العِقْـــدِ

أَضْيَعُ شَيءٍ مَلاَمَـــةٌ بُذِلَـــتْ
لِحَاضِرِ الغَيِّ غَائِبِ الرُّشْـــدِ

فَأَيْنَ عَقْــلِي يَا قَاتِــلِي خطَــأً
أَوْ دِيَــتِي إِنْ قَتَلْــت بِالعَمْــدِ
لِي مُقْلَةٌ سَمْحَـــةُ القِيَــادِ لَهَــا
مَدَامِــعٌ قَصْرُهَــا عَلى المَــدِّ
زِيَادَةُ النِّيلِ بَعْــضُ نَاقِصِهَــا
فَهَلْ أُمْدَّتْ مِنَ النَّدَى السَّعْدِي

ـ قصيــدة: لَــكَ الخَيْــرُ دَاعِي الخَيْــرِ أَسْعِــدِ يَــا سَعْــدُ:

لَكَ الخَيْرُ دَاعِي الخَيْرِ أَسْعِدِ يَا سَعْــدُ
إِذَا ما نَهَى عَنْه النُّهَى وَدَعَــا الوَجْــدُ
فَإِنَّ عِقَالَ العَقْلِ يَدْعُــو إِلى السِّــوَى
وَوَصْلُ السِّوى قَصْــلٌ وَوِجْدَانُهُ فَقْــدُ
إِلى الذِّكْرِ فارْجِعْ وَاْتُرِكِ الفِكْر في السِّوى
إِذَا كُنْت مِمَّنْ قَصْــدُهُ العَلَــمُ الفَــرْدُ
وَلاَ تَــكُ غَيْرَانــاً إِذَا ذُكِــرَ أُسْمُهَــا
فَذَاكِرُهــا حَــادٍ إِلى حُبِّهَــا يَحْــدُو
تَجَلَّى مُحَيَّاهَــا لِغَيْــرِ بَــنِي الهَــوَى
فَصُدُّوا كَذَاكَ الشَّمْسُ والأَعْيُنُ الرُّمْــدُ
ولاَ حَظهَا لَحْظُ المُحِــبِّ فَــإِنْ بَــكَى
سرُوراً فَرَائِي الشَّمْسِ أَدْمُعُــه تَبْــدُو

فَدَعْ ثَمَــنَ النَّفْــسِ النفيســةِ عِنْدَهَــا

فَلَيْــسَ لَهَــا إِلاَّ بِــلاَ ثَمَــنٍ عَبْــدُ

قَرِيبَــةُ وَصْــلٍ لِلْمُحِــبِّ وَإِنَّمَــا

إِذَا وَصَلَتْ لَمْ يَبْــقَ قُــرْبُ وَلاَ بُعْــدُ

تَثَنَّــتْ فَظَنُّــوا أَنَّهــا ثَنَوِيَّـــةٌ

وَقَــدْ يَتَثَــنَّى قَدُّهــا وَهُــو الفَــرْدُ

وَقَدْ نَطَقَتْ حُسْناً مَنَاطِــقُ خصْرِهَــا

فَظَنُّوا حمَامــاً فَــوْق بَانَتِــهِ يَشْــدُو

وَقَالــوُا لها خــالٌ مِــنَ النَّــدِّ فَاتِــنٌ

صدَقْتُمْ لَهَا خــالٌ بَــلى مَالَهَــا نِــدُّ

فَإِنْ كُنْت ذَا وَعْــدٍ بوَصْــلِ جمَالِهَــا

فَبَعْــضُ مُحِبِّهَــا لَدَيْــكَ لَــهُ عَــدُّ

فَــلاَ تَقُــلِ الدُّنْيَــا استَمَالَتْــهُ إِنَّمَــا

تَجَلَّــتْ مِــنَ الدُّنْيَــا لِمُقْلَتِــهِ هِنْــدُ

يُذَادُ عَنِ الوِرْدِ العَذِيبِ سِــوَى امْــرُءٍ

غَرِيــبٍ لَــهُ فِي كُــلِّ مَنْهَلَــةٍ وِرْدُ

ــ قصيــدة: سَلَبْتُــمْ رُقَــادِي فِي الهَــوَى وتَجَلُّــدِي:

سَلَبْتُمْ رُقَادِي فِي الهَوَى وتَجَلُّدِي

وَزِدتُمْ بِدَمْعِي فِي ظَمَا قَلْبِي الصَّدِي

وَأَلْبَسْتُمُونِي مِنْ جُفُونِكُـمُ ضَنَـاً

فَـوَا عَجَباً مِنْ لاَبِـسٍ مُتَجَـرِّدِ

أَأَحْبَابَنَـا لاَ والْغَرَامِ الَّـذِي لَـهُ

ورُودِي وَمَالِي مَصْدَرٌ بَعْدَ مَوْرِدِي

لَئِنْ كُنْتُمُ أَنْبَتُّمُو رَسْـمِي الَّـذِي

مِنَ السُّقْمِ لَوْلاَ الوَصْلُ لمْ يَتَجَسَّدِ

فمَا نَبَتَـت تِلْكَ الرُّسُومُ بِغَيْرِكُـمْ

ولَوْلاَكُـمُ كَانَ الفَنَـاءُ بِمَرْصَـدِ

دَعُوا أَدْمُعِي تَسْقِي مَعَاهِدَ أَرْضِكُمْ

فَفِي غَيْثِهَا الهَامِي رِضَا كُلِّ مَعْهَدِ

وَلاَ تَسْأَمُوا مِنْ نَاحِلٍ أَشْبَهَ الضَّنَا

سِقَامـاً وَأَنْفَاسـاً وَفَـرْطَ تَـرَدُّدِ

فَمَا حَقُّ أَنْفَاسِ الصَّبَا أَنْ تَمَلَّهَـا

غُصُونُ النَّقَا مَعْ لِينِهَـا وَالتَّـأَوُّدِ

وَلا تَسْأَمُوا مِنْ نَاحِلٍ أَشْبَهَ الضَّنَا

سِقَاماً وَأَنْفَاسـاً وَفَـرْطَ تَـرَدُّدِ

فَمَا حَقُّ أَنْفَاسِ الصَّبَا أَنْ تَمَلَّهَـا

غُصُونُ النَّقَا مَعْ لِينِهَـا وَالتَّـأَوُّدِ

وَلاَ تَعْتِبُوا فِي النَّوْحِ كُلَّ مُطَـوَّقٍ

عَلَى هَيْفِ أَعْطَافِ الغُصُونِ مُغَرِّدِ

لأَنَّكُـمُ طَوَّقْتُـمُ كُـلَّ عَاشِـقٍ

بِدَمْعٍ فَرَاحُوا بَيْنَ بَـاكٍ وَمُنْشِـدِ

فَيَا سَاقِي الأَجْفَانِ خَمْرَكَ عَاطِنِي

وَيَا سَكْرَتِي مِنْهَا عَلَى الصَّحْوِ عَرْبِدِي

ـ مقطوعـة: أسكـرت بـان الحـمى يـا نسمـة السحـر:

أسكرت بان الحمى يا نسمة السحر

فهل أتيت عن الأحباب بالخبـر

نعم مررت بذاك الحي فالتبسـت

ذيول بردك ريّا نشـره العطـر

يا نوق روحي بروحي للحمى وقفي

به فديتـك بين الضال والسمـر

ففي بيوت الحمى سمراء قد حجبت

بالسمر عنـا وبالهنديـة البتـر

شمس ومطلعها ذاتي ومغربهـا

بين السوادين من قلبي ومن بصري

تبدي معالـم مغناهـا محسنهـا

فيكتسي الروض بالغدران والزهر

ـ وقـــال في مـــدح بعــض بـــني الزبيـــر الـــوزراء:

وَبَنُو الزُّبَيْرِ كَمَا عَلِمْتَ حَدِيثُهُــمْ

وَقَدِيمُهُمْ سَــادَ الأنَــامَ وَطَالُــوا

أوْلادُ عَمَّــاتِ النَّبِيِّ أمَــا تَــرَى

أخْلاقَهُــمْ لا يَعْتَرِيهَــا الحَــالُ

أقْعَدَهُمْ شُغِلُــوا بِنِيــرَانَ القِــرَى

ولَهُمْ بِنِيــرَان الــوَغَى أشْغَــالُ

ـ مقطوعــة: ريــاض بكاهــا المــزن فــهي بواســم:

ريـــاض بكاها المزن فهي بواسم

وناحت لغير الحزن فيها الحمائم

وأودعت الأنواء فيهــنَّ سرهــا

فنمّت عليهنَّ الريـــاح النواســم

يبيت الندى في أفقها وهو ناثــرٌ

ويضحي على أجيادها وهو ناظم

كأنّ الأقاحي والشقيــق تقابــلا

خدودٌ جلاهنَّ الصبــا ومباســم

كأن بها للنرجس الغــض أعينــا

تنبه منها البعض والبعض نائــم

كأن ظلال القضب فوق غديرها

إذا اضطربت تحت الرياح أراقم

كأن غناء الوُرْقِ ألحـــانُ مَعْبَـــدِ

إذل رقصت تلك القدود النواعـــم

كأن نثار الشمس تحت غصونها

دنانير في وقتٍ ووقـــت دارهـــم

كأن ثماراً في غصون توسوست

لعارض خفـــاق النسيـــم تمائـــم

كأن القطوف الدانيات مواهـــبٌ

ففي كل غصن ماس في الدوح حاتم

ــ قصيـــدة: وقفنـــا عـــلى المعـــنى قديمـــا فمـــا أغـــنى:

وقفنا على المعنى قديما فما أغنى

ولا دلت الألفاظ منه على معـــنى

وكم فيه أمسينــــا وبتنــــا بربعـــه

حيارى وأصبحنا حيارى كما بتنا

ثملنا وملنــــا والدمـــوع مدامنــــا

ولولا التصابي ما ثملنا ولا ملنــــا

فلم نر للغيد الحسان بهـــم سنــــا

وهم من بدور التَّمِّ في حسنها أسنى

نسائل بانات الحمى عن قدودهم

ولا سيما في لينها البانـــة الغنّـــا

ونلثم ترب الأرض أن قد مشت بها

سليمى ولبنى؛ لا سليمى ولا لبنى

فوا أسفا فيه على يوسف الحمى

ويعقوبه تبيــضُّ أعينـــه حزنـــا

وليس الشجي مثل الخليّ لأجل ذا

به نحن نحنا والحمـــام به عـــنَّى

ينادي مناديهم ويصغي إلى الصدى

فيسألنا عنهم بمثـــل الـــذي قلنـــا

ـ مقطوعـــة: أفـــدي الـــتي ابتسمـــت وهنـــا بكاظمـــة:

أفدي التي ابتسمت وهنا بكاظمة

فكان منها هدى الساري بنعمـــان

وواجهتها ظباء الرمل فاكتسبـــت

منها محاســـن أجيـــاد وأجفـــان

يسري النسيم بعطفيها فيصحبـــه

لطفا يميل غصون الزند والبـــان

مرت على جانب الوادي وليس به

ماء ففاض بدمعي الجانب الثاني

موهت عنها بسلمى واستعرت لها

من وصفها فاهتدى الشاني إلى شاني

تجنى عليَّ وما أحلى أليمَ هــوًى

في حبها حين أجاني إلى الجاني

ـ قصيــدة: إنْ كَــانَ قتْــلِي في الهَــوَى يتعيَّــنُ:

إنْ كَانَ قتْــلِي في الهَــوَى يَتعيَّــنُ

يا قاتلي فَبسَيْــفِ طرْفِــكَ أهْــوَنُ

حَسْبي وَحَسْبُكَ أنْ تكونَ مَدامِــعي

غُسْلي وفي ثَــوْبِ السَّقــامِ أُكفَّــنُ

عَجَبــاً لِخــدِّكَ وَرْدَة في بانــــةٍ

وَالوَرْدُ فَوْقَ البَانِ مَــا لا يُمْكِــنُ

أدْنَتْــهُ لي سِنَــةُ الكَــرَى فلثمْتُــهُ

حَتىَّ تَبَــدَّلَ بِالشَّقيــقِ السَّوْسَــنُ

وَوَرَدْتُ كَوثَــرَ ثغْــرِهِ فَحَسَبْتُــني

في جَنــةٍ مِــنْ وجْنَتَيْــهِ أسْكُــنُ

مَا رَاعَــنِي إلاَّ بــلالُ الخــالِ فَــوْ

ق الخــدِّ في صُبْح الجَبينِ يُــؤَذنُ

فَنَشَرْتُ مِنْ خوْفِ الصَّبَاحِ ذؤابــةً

هِي كَالدُّجَى وَظَلَلْتُ فِيهَا أكَمُــنُ

يا نظرة كم رمت أسرق أختها

من مقلـــةِ هي للنعـــاس معيـــدن

ــ مقطوعـــة: أشتـــاق مـــن ساكـــني ذاك الحـــمى سكنـــا:

أشتاق من ساكني ذاك الحمى سكنا

عليه خفق فؤادي قـــطُّ ما سكنـــا

ولي غرام وصبـــر في محبتـــه

هذا أقـــام بأحشـــائي وذا ظعنـــا

أطلعتمُ يا أهيلَ المنحـــنى قمـــراً

بدا على الكون منه بهجةٌ وسنـــا

سبى عيون محبيه الكـــرى فلـــذا

أجفانه لم تـــزل مملـــوءة وسنـــا

إن قلت غصنٌ تجلَّى وجهه قمرا

أو قلت بدرا تثنَّى قـــدُّه غُصُنـــا

نادى ضنى خصره مَن يشتري سقما

منّي ليفنى به في الحب قلت أنـــا

فيا غَـــنِيَّ جمال بـــات مفتقـــراً

لحسنه البدر ما لي عن هواك غنى

ـ قصيـدة: هَلُمُّـوا فَعِنْـدي لِلمَحَبَّـةِ وَالهَـوَى:

هَلُمُّوا فَعِنْدي لِلمَحَبَّـةِ وَالهَـوَى
سِقَامُ غَرَامٍ لَسْتُ أُحْسِـنُ طِبَّـهُ

هِبُوا لِي جَفْناً يَمْلِكُ العَقْلُ دَمْعَـهُ
وَإِلاَّ فقَلْباً يَحْكُـمُ الصَّبْـرُ لُبَّـهُ

هَوَتْ قَدَمي فِي الحُبِّ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ
فَأَلْفَيْتَـهُ حُلْـو التَّجَـرُّعِ عَذْبَـهُ

هُوَ الشَّهْدُ مَمْزُوجاً بِسُمٍّ وَعلْقَـمِ
أُؤَمِّـلُ عَتْبَـاهُ وَأَحْـذَرُ عَتْبَـهُ

هَوَيْتُ حَبِيباً لَسْتُ أَهْـلاً لِحُبِّـهِ
وَأَنَّي لِمِثْـلِي أَنْ يَكُـونَ مُحِبَّـهُ

هَلاَكُ فؤَادِي كُلَّمَا ذُقْـتُ غَفْـوَةً
وَصُبْـحُ عَيَـانِي كُلَّمَـا أَتَنَبَّـهُ

هَمَمْتُ بِإِدْرَاكِ فَقَصَّـرتُ هَيْبَـةً
وَعَجْزِي عَنِ الإِدْرَاكِ أَوْلَى وَأَشْبَهُ

هَفَا بِكَ قَلْبٌ أَنْتَ أَوْرَيْتَ زَنْـدَهُ
وَنَالكَ طَرْفٌ أَنْتَ أَهْمَلْتَ سَحْبَـهُ

هَنِيئاً لِهَذِي النَّفْسِ إِنْ كُنْت حيَّهَـا
وَطُوبَى لِهَذَا القَلْبِ إِنْ كُنْت حِبَّهُ

ـ قصيـدة: لاَ تُخْدَعَـنَّ بِرِقَّـةٍ فِي خَـدِّهِ:

لاَ تُخْدَعَـنَّ بِرِقَّـةٍ فِي خَـدِّهِ
فَالسَّيْـفُ قَتَّـالٌ بِرِقَّـةِ حَـدِّهِ

وَدَعِ الجُفُـونَ فَإِنَّمَـا وَسْنَانُهَـا
أَضْحَى سِنَانـاً فِي مُثَقَّـفِ قَـدِّهِ

ظَبْيٌ حكَى نَـوْمِي دَوَامُ نفَـارِهِ
عَنِّي فَواصلَ ضِدَّهُ مَـعَ صـدِّهِ

وَسَرَى إِلى جِسْمِي الضَّنَا مِن خصرِهِ
فَهَوِيتُ ذَاكَ لإِنَّـهُ مِـنْ عِنْـدِهِ

عَجِبَ الحَسُودُ وَقَدْ رَأَى سُكْرِي بِلاَ
حَـدٍّ وقَلْـبِي فِي عُقُوبَـةِ حَـدِّهِ

خَفِّضْ عَلَيْكَ أَلَيْس خَفْقُ وِشَاحِـهِ
يَحْكِي فُـؤَادِي أَوْ تَلَهُّـبُ خَـدِّهِ

هِيَ نِسْبَةٌ لَـوْ أَنَّ قَلْـبِي نَالَهَـا
مُتَوَقِّـداً لَعَذَرْتُـهُ فِي وَقْـدِهِ

شُكْرِي لِصَبْرِي عَنْهُ إِذْ هُوَ خَانَنِي
وَرَأَى الخِيَانَةَ كَالْوَفَـاءِ بِعَهْـدِهِ

ولَمْدَمَـعِي بُعْـداً وَسَحْقـاً إِنَّـهُ
دُرٌّ لَدَيَّ ولَـمْ يَكُـنْ فِي عِقْـدِهِ

مَنْ مُنْصِفِي مِنْ قُرْبِهِ فَلَقَــدْ أَبَى

قُرْبِي وَمَنْ ذَا مُنْقِذِي مِنْ بُعْــدِهِ

يا بَانَةَ الــوَادِي وَيَــا وَرْقَــاءَهُ

نُوحِي لِغُصنِكِ إِذْ أَنُــوحُ لِفَقْــدِهِ

أَنْتِ الحَزِينَةُ والحَزِينُ أَنَا كِلاَنَــا

اليَــوْمَ مَعْــذُورٌ يَنُــوحُ بِوجْــدِهِ

حَالِي كَحَالِــكِ وَالمُجَــاوِرُ كَفُّــهُ

لِلمَاءِ يَعْرِفُ حَــرَّهُ مِــنْ بَــرْدِهِ

ـ قصيــدة: لَمَّــا انْتَهَــتْ عَيْــني إِلى أَحْبَابِهَــا:

لَمَّا انْتَهَــتْ عَيْــني إِلى أَحْبَابِهَــا

شَاهَدْتُ صِرْفَ الرَّاحِ عَيْنَ حَبَابِهَا

أَأَرَى سِوَى لَيْلَى إِذَا حَكَمَ الجَفَــا

مِنْهَــا عَلَيَّ بِبُعْدِهَــا وحِجَابِهَــا

والكَوْنُ مِنْ عُشَّاقِهَــا وَيَفُوتُــنِي

أَدَبٌ يَرَاهُ الحُــبٌّ مِــنْ آدَابِهَــا

لاَ وَالَّذي جَعَلَ الضَّنَا وَالحُــزْنَ

جِلْبَابِي بِهَا وَالحُسْنَ مِنْ جِلْبَابِهَــا

وَنَعِمْتُ مِنْ أَكْوَانِهَا وَرَأَى السِّوى

غَيْرِي فَأَصْبَحَ قَلْبُهُ يُكْــوَى بِهَــا

وَلَقَدْ طَرَقْتُ الحَيَّ بَيْــنَ خِيَامِــهِ

فَكَأَنَّــنِي لِلسُّقْــمِ مِــنْ أَطْنَابِهَــا

وَقَرأْت هَاتِيكَ البِيُــوتَ تَصَفُّحــاً

فَكَأَنَّنِي المَسْئُــولُ عَنْ إِعْرَابِهَــا

حَتَّى إِذَا جَذَبَ الصَّبَــاحُ لِثَامَــهُ

وَرَمَتْ مَلِيحَــةُ شَمْسِــهِ بِنَقَابِهَــا

رَأَتْ الدُّجَيْنَةُ أَنَّــنِي مِنْ بَعْضِهَــا

فَذَهَبْتُ بِالأَنْــوَارِ عِنْــدَ ذِهَابِهَــا

وَشَهِدْتُ لَيْلَى لاَ يَرَاهَــا غَيْرُهَــا

وجَمَالُهَا قَدْ شَــفَّ مِــنْ جِلْبَابِهَــا

وَطَلَبْتُهَا فَوَجَــدْتُ أَسْبَابَ المُــنَى

مَوْصُولَةً بِالْيَــأْسِ مَنْ أَسْبَابِهَــا

إِلاَّ لِمَنْ أَعْطَى الصَّبَابَــةَ حَقَّهَــا

وَأَتَى بيــوُتَ الحَيِّ مِنْ أَبْوَابِهَــا

وَوَفَى بِعَهْــدِ رَسُولِهَا فِي أَمْــرِهِ

عَنْهَــا فَقَــامَ مَقَامَــهُ فِي بَابِهَــا

ـ مقطوعــة: هَــاكَ قَلْــبِ فَسِــرْ بِــهِ:

هَاكَ قَلْبِ فَسِرْ بِــهِ　　لِلحِمِى دُونَ سِرْبِــهِ

فَلَكَــمْ فِي خِيَامِــهِ　　مِــنْ فَقِيــدٍ لِقَلْبِــهِ

وَتَعرَّضْ بِذَى النَّقَـا   لِلصبِّـا فِي مَهَبِّـهِ
فَهْوَ نَشْـرٌ مُعَطَّـرٌ   بِشَذَا نَشْـرِ عُرْبِـهِ
وَإِذَا مَـا دَعَـاكَ   دَاعِي هَوَاهُمْ فَلَبِّـهِ

ـ مقطوعـة: قِفَـا بالمَطَايـا بَيْـنَ نَجْـدٍ وَشِعْبِـهِ:

قِفَا بالمَطَايا بَيْنَ نَجْـدٍ وَشِعْبِـهِ
نُوْدِي تَحِيَّاتِ الغـرَامِ لِصبِّـهِ
فبَيْنَ رُبَا تِلْكَ الرُّبُـوع منَـازِلٌ
لِعلْوَة مَاءَ الدَّمْع أكْثَـرُ شربِـهِ
إذَا مَا التَثَمْنَا بِالنَوَاظِـرِ تُرْبَـةً
تَمَسَّكَتِ الأَجْفَـانُ مِنَّـا بِتُرْبِـهِ
أَحِنُّ إِلَيْهَا وَهَيْ قَلْبي وَهَلْ تَرَى
سِوَايَ أَخُو وجْدٍ يَحِـنُّ لِقَلْبِـهِ
وَيُحْجَبُ طَرْفِي عَنْهُ إِذْ هُوَ نَاظِرِي
فَمَا بُعْـدُهُ إلاَّ لإِفْـرَاطِ قُرْبِـهِ

ـ قصيـدة: خُـذُوا عَـنْ تَثَـنِّي الغُصْـنِ أَخْبَـارَ قَـدِّهِ:

خُذُوا عَنْ تَثَنِّي الغُصْنِ أَخْبَارَ قَدِّهِ
وَلاَ سِيْمَا عَنْ بَانِ نَجْـدٍ وَرَنْـدِهِ

وَلاَ تَسْأَلُوا عَنْ فَاتِكَـاتِ لَحَاظِـهِ
وَأَسْيَافِهَـا إِلاَّ حُشَاشَـةَ عَبْـدِهِ

تَعَشَّقْتُهُ عِشْـقَ السِّقَـامِ لِجَفْنِـهِ
وعِشْقَ الصَّدِي الظَّمْآنِ مَنْهَلَ وِرْدِهِ

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ وَسْنَانِ جَفْنِهِ
بِأَنَّ كَلاَلَ السَّيْفِ أَمْضَى لِحَـدِّهِ

وَلاَ لَذَّةَ لِلسُّكْرِ مِنْ قَبْـلِ عِشْقِـهِ
إِلى أَنْ سَقَانِي نَاظِرِي كَأْسَ خَدِّهِ

وَدَانٍ ولَكِنْ بَيْنَ نَوْمِي وَنَاظِـرِي
مِنَ البُعْدِ مَا بَيْنَ الوَفَاءِ وَوَعْـدِهِ

وكَيْـفَ تَدَانِيـهِ وَبَيْـنِي وَبَيْنَـهُ
مَسَافَةُ هَجْرٍ وَاصَلَتْ نَقْضَ عَهْدِهِ

وَقَدْ كُنْتَ أَرْجُو أَنَّ طَرْفِي يُطِيعُنِي
إِلى أَنْ رَأَيْتُ القَلْبَ مِنْ بَعْضِ جُنْدِهِ

فَلاَ طَرْفَ إِلاَّ تَحْتَ رَايةِ شَعْـرِهِ
وَلاَ قَلْبَ إِلاَّ تَحْتَ مَعْقُـودِ بَنْـدِهِ

* * *

الشوذي الاشبيلي

المعروف بالحلوى، (الشيخ الولي ابو عبد الله)[1]

يعتبر من كبار الصوفية، ومن أعلام العارفين العابدين. استوطن **تلمسان**، ودفن بها. اشتهر باسم **الحلوي**؛ لأنه كان يصنع الحلوى، ويبيعها؛ ثم يتصدق بثمنها. كان قد ولي القضاء **بإشبيلية**؛ في أواخر الدولة **الموحدية**؛ غير أنه ترك منصبه، ونأى بنفسه عن وظائف الدولة، وفرّ **إلى تلمسان**؛ أين سلك طريقاً آخر؛ مغايراً لما نشأ عليه؛ حيث اتخذ زي الدراويش ستاراً له. وكانت وفاته **بتلمسان** في تاريخ غير معروف؛ إلاَّ أنه يدخل في عداد رجال المائة السابعة هجرية؛ لأنه عاش في أواخر الدولة **الموحدية**.

---

[1] له ترجمة في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. وباقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان.

وثمة من يرى أنه مات بعد سنة 737هـ/1337م؛ دون توثيق[1]. غير أن هذا التاريخ يتعارض مع تاريخ وفاة تلميذه **أبي إسحاق إبراهيم ابن يوسف بن محمد بن دهاق** (سنة 611هـ/1314م)؛ خاصة وأن عبارة كتبها **يحيى بن خلدون**؛ تفيد أن موته سبقت وفاة **ابن دهاق**؛ إذ قال: ((**فكلانا يأويان [أي الحلوي وابن دهاق] تبتلاً إلى كهف؛ خارج باب كشوط؛ إلى أن مات الشيخ؛ ودفن خارج باب علي؛ وقبره الآن هناك مزاراً مقصوداً**))[2]. كما وصف **ابن دهاق** ما تعلمه من الحلوي؛ فقال: ((**كل ما تسمعونه من أدبي؛ فمنه استفدته، وعنه أخذته في مدة حولين كاملين؛ لم ينتقل فيها عمّا عهدته**))[3]. كل هذا يوحي بأن موته سبقت موت تلميذه. وكان **أبو عبد الله الشوذي (الحلوي)** يدرك جيداً ـ حسبما يبدو ـ ما يقوم به. ولم يكن يضيره جري الأطفال خلفه، والتطبيل له؛ بل كان يرقص على إقاعاتهم؛ لبعث السعادة في نفوسهم. ويعتبر ذلك من الأهمية بمكان؛

---

[1] باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ص: 486.
[2] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 128.
[3] نفسه، ج: 1، ص: 128.

حتى أنه انتقد في أحد المرات تلميذه **ابن دهاق**؛ حين رآه يدرس في المسجد باب الطَّهارة. ولما اقتنع التلميذ بمكانة الحلوي، ورضي بالتتلمذ عليه واتباع نهجه؛ طلب منه تقليده في حركاته الغريبة؛ كأن ركب قصبة وجرى بها؛ فكسر **ابن دهاق** مزراقه، وركب على ما بقي منه، ولحق به.[1] وقد استطاع **الحلوي الشوذي** – من خلال تلاميذه – أن ينشر فكره؛ بحيث أضحى منهجه في الحياة؛ طريقة صوفية؛ اتبعها جملة من تلاميذه؛ وأولهم **أبو إسحاق إبراهيم بن دهاق الأوسي**؛ الشهير **بابن المرأة** (الذي توفي سنة 611هـ/1314م)، **وأبي عبد الله بن محمد بن علي بن أحلى اللورقي**؛ كما أن **عبد الحق بن سبعين** (المتوفي سنة 669هـ/1270م)؛ قد التحق بالطريقة الشوذية التي جاهر بها ابن دهاق. وقال المحققون؛ أن الطريقة الشوذية؛ عبارة عن امتداد لفكر ابن مسرة؛ القائل أصحابها بوحدة الوجود.

---

[1] بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1، ص: 128.

وإدراج ترجمة الحلوي هنا؛ لا علاقة لها بمذهبه الصوفي؛ وإنما أخذ بالإعتبار؛ كونه من الأدباء والشعراء. ومن شعره هذه الأبيات:

إذا نَطَق الوُجُودُ أصاخ قَوْمٌ
بِآذانٍ إِلَى نُطْقِ الوُجُودِ
وَذَاكَ النُّطْقُ لَيْس بِهِ انْعِجَامٌ
ولَكِنْ دَقَّ عَنْ فَهْمِ البَلِيدِ
فَكُنْ فَطِناً تُنَادَى مِنْ قَرِيبٍ
وَلاَ تَكُ مَنْ يُنَادَى مِنْ بَعِيدِ

* * *

عبد الرحمن بن يخلفتن

ابن احمد اليجنشي الفازازي،

(ابو زيد)[1]

وهو من مواليد مدينة **قرطبة**؛ ثم هاجر إلى **تلمسان** أين استقر بها. ويعتبر من علماء الحديث المتمكنين بمسائله؛ وله مشاركة في أصول الفقه؛ إلى جانب سعة اطلاع بعلم الكلام؛ كما يتسم بالكفاءة العالية في ميدان الأدب، وله شعر بديع. وكان له التفوق في شعر التصوف والزهد. قام بالتجوال والسياحة عبر البلدان الأندلسية والمغربية. ذكره ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة؛ فقال: أنه ولد ونشأ بقرطبة؛ ثم سكن **تلمسان**. ثم أشار إلى أساتذته؛ وهم: أبو الوليد بن بقّي، والسهيلي، وأبو عبد الله ابن الفخار، وأبو عبد الله التجيبي وغيرهم. أما وفاته فوقعت بمراكش سنة 627هـ/1229م.

---

[1] **له ترجمة في التكملة لكتاب الصلة، والإحاطة في أخبار غرناطة، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، والمقتضب من كتاب تحفة القادم، وبغية الوعاة، واختصار الفتح المعلى؛ أين حرف على أنه ((الفزاريي))؛ بالراء المهملة. ونيل الابتهاج، والأعلام.**

وذكره **المقري** أيضاً؛ فقال: أنه الأخ الأصغر لمحمد بن يخلفتن الفازازي؛ ستأتي ترجمته. ثم أضاف. **((وهو؛ كما قال فيه بعضهم: صاحب القلم الأعلى، والقدح المعلى، أبرع من ألَّف وصنَّف، وأبدع من قَرَّط وشَنَّف؛ فقد طاع القلم لبنانه، والنظم والنثر لبيانه؛ كان نسيج وحده رواية وأخباراً؛ وصدر عصره إيراداً وإصداراً؛ صاحب فهوم، ورافه ألوية علوم؛ أما الأدب فلا يسبق فيه مضماره، ولا يشق غباره؛ إن شاء إنشاء أنشى ووشى؛ سائل الطبع، عذب النبع؛ له في مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم بدائع قد خضع لها البيان وسلم؛ أعجاز بتلك المعجزات نظماً ونثراً، وأوجز في تحبير تلك الآيات البينات فجلا سحراً؛ ورفع للقوافي راية استظهار؛ فعجم، وعشر، وشفع، وأوتر. وأما الأصول فهي من فروعه في متفق منظومه ومنثور مجموعه؛ وأما النسب؛ فإلى حفظه انتسب، وأما الأيام والدول؛ ففي تاريخه الأواخر والأول؛ وقد سبك من هذه العلوم في منثوره وموزونه؛ ما يشهد بإضافتها إلى فنونه؛ وله سماع في الحديث ورواية، وفهم بقوانينه ودراية؛ سمع من**

أبي الوليد اليزيد بن عبد الرحمن بن بقِّي القاضي، ومن أبي الحسن جابر بن أحمد القرشي التاريخي؛ وهو آخر من حدَّث عنه، ومن أبي عبد الله التجيبي كثيراً؛ وهو أول من سمع عنه في حياة الحافظ أبي الطاهر السلفي؛ إذ قدم عليهم تلمسان؛ وأجازه الحافظ السهيلي، وابن خلف الحافظ، وغيرهما. وولد بعد الخمسين والخمسمائة، وتوفي بمراكش سنة 627هـ رحمه الله))[1].

وخصص له لسان الدين بن الخطيب ترجمة في كتاب الإحاطة؛ فقال عنه: ((كان حافظاً نظاراً ذكياً ذا حظ وافر من معرفة أصول الفقه وعلم الكلام، وعناية بشأن الرواية، متبذلاً في هيئته ولباسه، قلما يرى راكباً في حضر إلاّ لضررة، فاضلاً، سنياً، شديد الإنكار والإنحاء على أهل البدع، مبالغاً في التحذير منهم، عامر الإتاء، يطلب العلم شغفاً به، وانطباعاً إليه، وحباً فيه، وحرصاً عليه، آية من آيات الله في سرعة البديهة، وارتجال النظم والنثر وفور ماده، وموالاة استعمال، لا يكاد يقيد، ولا يصرفه عنه، إلاّ نسخ أو مطالعة

---

[1] نفح الطيب، ج: 4، ص ص: 468 - 469.

علم، أو مذاكرة فيه، حتى صار له ملكة، لا يتكلف معها الإنشاء، مع الإجادة، وتمكن البراعة. وكان متلبساً بالكتابة عن الولاة والأمراء، ملتزماً بذلك، كارهاً له، حريصاً على الانقطاع عنه، واختص بالسيد أبي إسحاق بن المنصور، وبأخيه أبي العلاء، وبملازمتهما))[1].

وصف ابن الخطيب مؤلفات عبد الرحمن الفازازي؛ فقال: **((له: "المعشرات الزهدية"؛ التي ترجمها بقوله: المعشرات الزهدية والمذكرات الحقيقية الجدية، ناطقة بألسنة الوجلين المشفقين، شايقة إلى مناهج السالكين المستبقين. نظمها متبركاً بعبادتهم متيمناً بأغراضهم وإشاراتهم، قابضاً عنان الدعوى عن مداناتهم ومجاراتهم، مهتدياً إهداء السنن الخمس، بالأشعة الواضحة من إشاراتهم، مخلداً دون أفقهم العالي، إلى حضيضه، جامعاً لحسن أقواله، وقبح أفعاله، بين الشيء ونقضيه... وله المعشرات الحبية، وترجمتها النفحات القلبية، واللفحات الشوقية، منظومة على ألسنة الذاهبين وجداً، الذايبين كمداً وجهداً، الذين غربوا، وبقيت أنوارهم، واحتجبوا**

---

[1] **الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 4، ص ص: 513 - 514.**

وظهرت آثارهم، ونطقوا وصمتت أخبارهم، ووفوا العبودية حقها، ومحضوا المحبة مستحقها، نظم من نسج على منوالهم، ولم يشاركهم إلاّ في أقوالهم فلان. والقصايد، في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، التي كل قصيدة منها عشرون بيتاً، وترجمتها الوسايل المتقبلة، والآثار المسلمة المقبلة، مودعة في العشرنية النبيوية، والحقايق اللفظية والمعنوية، نظم من اعتقدها من أزكى الأعمال، وأعدها لما يستقبله من مدهش الأهوال، وفرع خاطره لها، على توالي القواطع، وتتابع الأشغال، ورجال بركة خاتم الرسالة، وغاية السؤدد والجلالة، محو ما لسلفه من خطأ في الفعل، وزلل في المقال، والله سبحانه ولي القبول للتوبة، والمنان بتسويغ هذه المنة المطلوبة، فذلك يسير في جنب قدرته، ومعهود رحمته الواسعة ومغفرته))[1].

[1] الإحاطة، قسم: 4، ص ص: 515 - 516.

شعره[1]

ـ قصيـدة: إذا أمَّلْـت في مَوْلاكَ قُرْبَـا:

إذا أمَّلْت مِنْ مَوْلاَكَ قُرْباً
فَجَدِّدْ ذِكْرَ خَيْرِ الأنْبِيَـاءِ
وَصلِّ عَلَيْهِ أوَّلَ كُلِّ قَوْلٍ
وَآخِرِهِ بِصُبْحٍ وَالمَسَـاءِ
فَإنَّ مُحَمَّداً أعْلَى البَرَايَا
محَلاً في السِّيادَةِ والعلاَءِ
لُوَاءُ الحَمْدِ في يُمْنَى يَدَيْهِ
وَكُلُّ النَّاسِ مِنْ دُونِ اللِّوَاءِ
فَحَدِّثْ عَنْ دَلاَئِلِهِ فَفِيهَـا
شِفَـاءٌ لِلنُّهَى مِنْ كُلِّ دَاءِ
وَلَسْتُ بِنَاقِلٍ لِلْعشْرِ مِنْها
وَهَلْ تَفْنَى الزَّوَاخِرُ بِالدِّلاَءِ
فَقُلْ لِلسَّامِعِينَ قِفُـوا فَهَذَا
مُحالٌ لَيْس يُحْصَرُ بِانْتِهَاءِ

---

[1] **توجد هذه الأشعاره في الإحاطة؛ قسم: 4، ص ص: 517 - 523. ونفح الطيب، ج: 7، ص ص: 507 - 512.**

بَراهينُ البَسيطَةِ لَيس تُحْصى

فَدُونَكُمُ بَراهينَ السَّمَــاءِ

ـ قصيــدة: أمَّــا يَميــنُ مُحَمَّــدٍ:

أمَّــا يَميــنُ مُحَمَّــدٍ

ويَسَــارُهُ فَهُمَــا سَمَــاءُ

كِلْتاهُما إنْ صــوَّحَ الــ

مَرْعَى لَنا طَعْــمٌ وَمــاءُ

وَإذا أضَــرَّ بِنــا السَّقــا

مُ وَغَيْــرُهُ فَهُما شِفــاءُ

فَاعْجَبْ لِكَفٍّ في الوَرَى

فِيها عَنِ المُزْنِ اكْتِفَــاءُ

فَاقْطَــعْ بِــأنَّ مُحَمَّــداً

في الخَلْــقِ لَيْسَ لَهُ كَفــاءُ

فَــإذا أُصَخْــتَ لآيَــةٍ

فَالنُّورُ فيهَــا وَالضِّيَــاءُ

هَــذا الصَّبَــاحُ الهاشِمِــ

ــيُّ بَدَا فَلَيْس بِهِ خَفَــاءُ

فَالأرْضُ قَد فُتِحَت بِمَبْــ

ــعَثِــهِ وَفُتِّحَتِ السَّمــاءُ

سَبَــق القَضَـــاءُ بِسَبْقِـــهِ
وَاللهُ يَفْعَـــلُ مَـــا يَشَـــاءُ

ـ قصيــدة: عَجَبــاً لِمَنْ تَرَكَ الحَقِيقَــةَ جَانِبــاً:

عَجَبــاً لِمَنْ تَرَكَ الحَقِيقَــةَ جَانِبــاً
وَغَــدَا لأرْبَابِ الصَّوَابِ مُجَانِبَــا
وَابْتَــاعَ بالْحَقِّ المُصَحّحِ حاضِــراً
ما شَــاءَ لِلزُّورِ المُعَلَّــلِ عَايِبَــا
مِنْ بَعْدِ ما قَدْ صَـــارَ أَنْفَذَ أَسْهُمــاً
وَأَشَــدَّ عَادِيَـــةٍ وَأَمْضَى قَاضِبَــا
لاَ تَخْدَعَنْــكَ سَوَابِــقٌ مِنْ سَابِــقٍ
حَتَّى تَرَى الإحْضَـــارَ مِنْهُ عَوَاقِبَا
فَلَرُبَّمَـــا اشْتَـــدَّ الخيــالُ وَعاقَــهُ
دُونَ الصَّوابِ هَوًى وَأَصْبَحَ غَالِبَا
وَلَكَــمْ إمَـــام قَــدْ أَضَـــرَّ بِفَهْمَتِـــهْ
كُتْبٌ تَعُــبٌ مِنَ الضَّلاَلِ كَتَائِبَـــا
فَانْحَــرِف بِأَفْلاَطُــونَ وَأَرِسْطَــا
طَالِيسَ وَدُونَهُمَا تَسْلُكْ طَرِيقاً لاَحِيَا[1]

---

[1] أي: تسلك طريقاً واضحاً. وهذا البيت مختل الوزن.

وَدَعِ الفَلاَسِفَــةَ الذَّمِيــم جَمِيعهِــمَ

وَمَقَالَهُــمْ تَأْتي الأحَــقَّ الوَاجِبَــا

يَا طَّالِبَ البُرْهــانِ في أَوْضَاعِهِــمْ

أَعْــزِزْ عَلَيَّ بِــأَنْ تُعَمِّــر جَانِيَــا

أَعرَضْــت عَنْ شَطِّ النَّجَاةِ مُلَجِّجــاً

في بَحْرِ هَلْكٍ لَيْسَ يُنْجي عَاطِبَــا

وَصَفَا الدَّلِيــلُ فَمَا نَفَعَتْ بِصَفْــوِهِ

حَتَّى جَعَلْــت لَهُ أَلْحبْــر شَايِبَــا

فانْظُــرْ بِعَقْلِكَ هَلْ تَرَى مُتَفَلْسِفــاً

فِيمَــنْ تَــرَى إلاَّ دَعِيّــاً كَاذِبَــا

أَعْيَتْــهُ أَعْبَــاءُ الشَّرِيعَــةِ شِــدَّةً

فَارْتَــدَّ مَسْلُوبــاً وَيَحْسَبُ سَالِبَــا

وَاللــه أَسْــأَلُ عِؤصمَــةً وكِفَايَــةً

مِنْ أَنْ أَكُــونَ عَنِ المَحَجَّةِ نَاكِبَــا

ـ أما قصيدة "إِلَيْكَ مَددْتُ الكَفَّ"؛ فقد نسبها بعضهم إلى أبي مدين شعيب؛ بينما جعلها ابن الخطيب ضمن قصائد عبد الرحمن الفازازي وسَيُكْتَفَى هنا بمطلعها؛ وسيجدها القارئ كاملة فيما سبق؛ ضمن شعر أبي مدين:

إِليكَ مَدَدْتُ الكَفَّ في كُلِّ شِدَّةٍ
وَمِنْكَ وجَدْتُ اللُّطْف في كُلِّ نَائِبِ

وأنْت مَلاَذٌ[1] والأنَامُ بِمَعْزِلٍ
وَهَلْ مُسْتَحِيلٌ في الرَّجاءِ كرّ آيب[2]

فَحَقِّقْ رجائِي فِيكَ يا رَبِّ وَاكْفِنِي
شَمَاتَ عَدُوٍّ أَوْ إِسَاءَةَ صَاحِبِ

وَمِنْ أيْنَ أخْشَى مِنْ عَدُوٍّ إِساءة[3]
وَسِتْرُكَ طَافٍ[4] مِنْ جَمِيعِ الجَوَانِبِ

.... إلخ

---

[1] **في نص: ((وأنت ملاذي)).**
[2] **في نص: ((كواجب)).**
[3] **في نص: ((إصابة)).**
[4] **في الإحاطة: ((ضافٍ)).**

ـ قصيـدة: نِعَـمُ الإلَـهُ بِشُكْـرِهِ تَتَقَيَّـدُ[1]:

نِعَـمُ الإلَـهُ بِشُكْـرِهِ تَتَقَيَّـدُ
فَاللهُ يُشْكَـرُ في النَّوالِ وَيُحْمَـدُ
مُـدَّتْ إِلَيْهِ أكُفُّنَـا مُحْتَاجَـةً
فَأنَالَهَـا مِنْ جُـودِهِ مَا نَعْهَـدُ
وَأغَاثَنَـا بِغَمَايِـمٍ وَكَّافَـة
بِالْبِشْرِ تَشْرُقُ وَالبَشَايِرِ تَرْعَـدُ
حَمَلَتْ إلَى ظَمَإِ البَسِيطَةِ رِيَّـةً
فَلَهَـا عَلَيْـهِ مِنَّـة لاَ تُجْحَـدُ
فَالجَوُّ بَرَّاقٌ وَالشُّعَاعُ مُفَضَّضٌ
وَالمَاءُ فَيَّاضُ الأثِيرِ مُعَسْجَـدُ
وَالأرْضُ في حُلِي الأتي كَأنَّمَا
نُطَـفُ الغَمَـامِ ولُؤْلُؤٌ وَزَبَرْجَدُ
وَالرَّوْضُ مَطْلُولُ الخمايلِ بَاسِمٌ
القُضْـبُ لينُـهُ الحَمايـلُ مِّـدُ

[1] قال شاكراً الله سبحانه وتعالى، بعد غيث هطل؛ فأزال القحط:

تَاهَتْ[1] عقُولُ النَّاسِ في حرَكَاتِهَا

أَلِشُكْرِهَــا أَمْ سُكْرِهَــا تَتَــأَوَّدُ[2]

فَيَقُــولُ أَرْبَــابُ البطَالَةِ تَنْثَنِي

وَيَقُولُ أَرْبَابُ الحَقِيقَةِ تَسْجُــدُ[3]

وَإِذا اهْتَدَيْت إِلى الصَّوَابِ فَإِنَّهَا

في شُكْرِ خَالِقِهَــا تَقُومُ وتَقْعُــدُ

هَذا هُوَ الفَضْلُ الذي لاَ يَنْقَضِي

هذا هُوَ الجُــودُ الذي لاَ يَنْفَــدُ

احْضِــرْ فؤَادَكَ لِلْقِيَامِ بِشُكْــرِهِ

إِنْ كُنْــتَ تَعلَــمُ قَدْرَ مَا تَتَقَلَّــدُ

وَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ العِبَادِ فَكُلُّهُــمْ

عَجِزُ الحَلِّ وَأَنْت جَهْلاً تَعْقِــدُ

وَإِذا افْتَقَرْت إِلَى سِوَاهُ فَإِنَّمَا الــ

ــذِي بِخَاطِرِكَ المَجَالُ الأَبْعَــدُ

---

[1] في الديوان: ((تَاهَتْ)).

[2] هذا البيت، والبيت الذي يليه مباشرة؛ انتحلهما أبو العباس بن مكنون. وتصدّى لذلك ابن رُشَيْد؛ مُكَذِّباً إِيَّاهُ؛ وقال؛ أنهما من نظم أبي زيد الفازازي؛ وهما في ديوانه. أنظر نفح الطيب، ج: 4، ص: 122.

[3] ثمة بيت سقط من هذه القصيدة؛ يقول المقري (نفح الطيب، ج: 4، ص: 122.): أن ابن الخطيب اثبته في كتاب روضة التعريف؛ وهو:

وإذا أردت الجمع بينهما فقلْ في شكر خالقها تقوم وتقعد

نِعْمَ الإلَــهُ كمَا تُشَاهِدُ حُجَّــةً

وَالغَائِبَــاتُ أجَــلُّ مِمَّــا يُشْهَــدُ

فَانْظُرْ إلَى آثارِ رحْمَتِــهِ الَّتِي

لاَ يُمْتَــرَى فِيهَــا وَلاَ يُتَــرَدَّدُ

يَا لَيْت شِعْرِي وَالدَّلِيــلُ مُبَلِّــغٌ

مِنْ أيٍّ وجْهٍ يَسْتَرِيبُ المُلْحِــدُ

مَنْ ذَا الَّذِي يَرْتَــابُ أنَّ إلَهَــهُ

أَحَدٌ وَألْسِنَــةُ الجَمَــادِ تُوَحِّــدُ

كُلٌّ يُصَــرِّحُ حَالَــهُ وَمَقَالَــهُ

أنْ لَيْــس إلاَّ اللَّــهُ رَبٌّ يُعْبَــدُ

ـ قصيــدة: تَــأَدَّبْ إذَا ذُكِــرَ المُصْطَــفَى:

تَأَدَّبْ إذَا ذُكِر المُصْطَفَى

بِصَمْتِ اللِّسَانِ وَغضِّ البَصَرْ

فَإنَّ التَّأَدُّبَ عِنْدَ السَّمَاعِ

يُفْهَمُ في النُّطْقِ أوْ في النَّظَرْ

وَرَدِّدْ أحَادِيثَهَــا إنَّهَــا

دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ خَيْرِ البَشَرْ

وَصَلِّ عَلَيْهِ مَدَى ذِكْــرِهِ

فَذَلِكَ أفْضَــلُ مَا يُدَّخَــرْ

وَلاَ تَستَرِبْ في بَرَاهِينِهِ

فَتَسْلُكَ مَسْلَكَ قَوْمٍ أخَــرْ

فَكَــمْ آيَةٍ ظَهَرَتْ لِلنَّــبِيٍّ

وكَم أَثَرٍ عِنْدَهُ قَدْ ظَهَــر

وَمَنْ شَكَّ في نُورِ بُرْهَانِهِ

عَلَى أنَّ بُرْهَانَهُ قَدْ بَهَــرْ

فَكَبِّرْ عَلَى عَقْلِــهِ أرْبَعــاً

وَقُلْ فَوْق طورِكَ هَذَا الخَبَرْ

ـ قصيــدة: أصْــخِ فَلِخَيْــرِ العَالَمِيــنَ مَنَاقِــبٌ:

أصْخِ فَلِخَيْرِ العَالَمِينَ مَنَاقِــبٌ

تَدُلُّ عَلَى التَّمْكِينِ وَالشَّرَفِ الأسْرَى

أتَى وَالوَرَى أسْرَى فَكَانَ غَيَّاثُهُمْ

بِنُورِ سَمَاءٍ يَنْقُلُوهُ عَنِ الإِسْرَا

وَعَفَى رُسُومَ الكَافِرِينَ وَأهْلَهَا

فَلاَ قَيْصَرٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَلاَ كِسْرَى

تَقَدَّمَ كُلُّ العَالَمِينَ إلَى مَــدَى

تَظِلُّ بِهِ الأوْهَام ظَالِعَةً حَسْرَى

وَخَصَّ بِتَشْرِيفٍ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ

وَمَنْ لَمْ يَقُلْ هَذَا تَقُولُهُ قَسْــرَا

تَرَقَى إِلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ تَرَقِّياً
حَقِيقاً وَلَمْ يَعْبُرْ سَفِيناً وَلاَ جِسْرَا
وَبِالْجِسْمِ أَسْرَى اللهُ وَهْوَ دِلاَلَةٌ
يُمَحِّلُهَا مَنْ لاَ يُيَسَّرُ لِلْيُسْــرَى
فَسُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى إِلَيْهِ بِعَبْدِهِ[1]
وَبُورِكَ فِي السَّارِي وَبُورِكَ فِي المَسْرَى
وَكَمْ عَجَبٌ أَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ بِهِ
فَدُونَكَ تَجْمِيلاً وَلاَ تَطْلُبِ الفَسْرَا

ـ قصيــدة: قَبَّــحَ الإِلَــهُ المُلْحِدِيــنَ:

قَبَّحَ الإِلَــهُ المُلْحِدِيــنَ
فَإِنَّهُمْ جَحَدُوا الضَّرُورَهْ
وَالمُعْجِزَاتُ تَوَاتَــرَتْ
عَنْ أَحْمَدٍ فِي كُلِّ صُورَهْ
وَاللَّــهُ أَعْــلَى كَعْبَــهُ
فِي خَلْقِــهِ وَأَمَّ نُــورَهْ

---

[1] إحالة إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. سورة الإسراء، الآية: 1.

كَثُرَ الطَّعَامُ مَعَ الشَّــرَا

بِ بِكَفِّهِ عِنْدَ الضَّرُورَهْ

وَتَكَنَّفَتْـــــهُ عِنَايَـــــةٌ

مِنْ رَبِّهِ أعْلَتْ أمُــورَهْ

نَادَى البَرِيَّـــةَ فَالْقُلُــو

بُ إِلَى إِجَابَتِهِ مَصُورَهْ

وَحَمَى الشَّرِيعَةَ بِالدَّلِيــ

ــلِ فَدَعْ مُعَانِدَهَا وَزُورَهْ

قُلْ لِلْمُشَكِّــكِ حِينَ يُبْــ

ــدِي فِي تَشَكُّكِهِ قُصُورَهْ

بَيْــنِي وَبَيْنَكُــمُ الكِتَــا

بُ فَدُونَكُمْ فَأْتُوا بِسُورَهْ[1]

ـ وقـــال في مـــن ادَّعَى قـــراءة الخـــط دون نظـــر:

وَأدور مَيَّـــاس العَوَاطِفِ أصْبَحَـــتْ

محَاسِنُهُ في النَّاسِ كَالنَّوْعِ في الجِنْسِ

[1] إحالـة إلى قولـه تعال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. سورة البقرة، الآيـة: 23.

يُدبّرُ علَى القرطـــاس أُنْمُـــل كَفِّـــهِ

فَيُدْرِكَ أخْفَى الخَطِّ فِي أيْسَرِ اللَّمْسِ

فَقَالَ فَرِيـــقٌ سِحْـــرُ بَابِـــل عِنْـــدَهُ

وَقَال فَرِيقٌ لَيْس هَـــذَا مِـــنَ الإنْسِ

فَقُلْتُ لَهُـــمْ لَمْ تَفْهَمُوا سِـــرَّ دَرْكِـــهِ

عَلَى أنَّهُ لِلْعَقْـــلِ أجْلَى مِنَ الشَّمْـــسِ

سَتَكْفِـــهِ حُـــبُّ القُلُـــوبِ فَأصْبَحَـــتْ

مَدَارِكُهَـــا أجْفَـــان أنْمُلِـــهِ الخَمْـــسُ

ـ مقطوعـــة: يَـــا ذَا المُعَـــنَّى بِهَـــذَا الذِّكْـــرِ تَسْمَعُـــهُ:

يَا ذَا المُعَنَّى بِهَذَا الذِّكْرِ تَسْمَعُهُ

فِي المَدْحِ تَأثُّرُهُ في سَيِّدِ النَّاسِ

هَذَا النَّبِيُّ وَمِنْ آيَـــاتِ أثْرَتِـــهِ

فِي الطِّيبِ وَالطُّولِ لاَ تَجْرِي بِمِقْيَاسِ

قَدِ انْقَضَت مُعْجِزَاتُ الغَيْبِ وَافِيَةً

صَحِيحَةً بِاسْتِفَاضَاتِ وَإحْسَاسِ

وَهَاكَ نَوْعاً مِنَ الإعْجَازِ مُنْتَزِهاً

عَنْ نَقْدِ مُنْتَقِدٍ أوْ صَفْحِ قِرْطَاسِ

لاَ نَعْدَمِ النَّقْلَ عَنْ آثَارِ سَيِّدِنَـــا

فَإنَّمَا نَحْنُ فِيهَا بَيْــنَ أعْــرَاسِ

تَنَقُّلَ الأنْفِ في النَّـــوَّرِ يُنْشِقُـــهُ

مِنْ يَاسَمِيــنٍ إلَى وَرْدٍ إلَى آسِ

إنَّ القُلُوبَ إذَا اعْتَلَّتْ خَوَاطِرُهَا

فَذِكْرُ أحْمَدَ فِيهَا المُبْرِىءُ الآسِي

ـ مقطوعــة: هَــاكَ عَــنْ هَــذَا النَّــبِيُّ المُصْطَــفَى:

هَاكَ عَنْ هَذَا النَّبِيُّ المُصْطَفَى

خَبَــراً يَقْبَلُــهُ مَنْ سَمِعَـــهْ

سَبَّحَتْ صُمُّ الحَصَى فِي كَفِّهِ

ثُمَّ في كَفِّ الهُدَاةِ الأرْبَعَهْ

وَإذَا أبْــدَى نَــبِيٌّ عِبْــرَةً

فَهْوَ لاَ يُنْكَــرُ فِيمَنْ تَبِعَـــهْ

أيُّ نُطْقٍ قَدْ رَوَى إعْجَازُهُ

عَنْ سَمَاعٍ كُلَّ مَنْ كَانَ مَعَهْ

حُجَجُ الرُّسْلِ التي قَدْ سَلَفَتْ

أصْبَحَتْ في أحْمَدٍ مُجْتَمِعَهْ

فَاعْتَقِدْ صِحَّتَهَا وَاعْمَلْ بِهَا

فَدَعَاوَى ضِدِّهَا مُنْقَطِعَـــهْ

مُمْكِنَاتُ العَقْلِ لاَ يَجْحَدُهَا

غَيْرُ أهْلِ الطَّبْعِ وَالمُبْتَدِعَهْ

ـ مقطوعــة: بَرَكَــاتُ رُسْــلِ اللهِ غَيْــرُ خَفِيَّــةٍ:

بَرَكَاتُ رُسْلِ اللهِ غَيْرُ خَفِيَّـــةٍ

وَمُحَمَّدٌ خَيْرُ البَرِيَّـــةِ أبْـــرَكُ

هَذَا النَّبِيُّ الهَاشِمِيُّ هُـــو الذِي

هُدِيَ الأنَامُ بِهِ وَبَانَ المَسْلَـــكُ

كَمْ آيَةٍ لِمُحَمَّـــدٍ كَـــمْ حُجَّـــةٍ

عَزَّ الوَلِيُّ بِهَا وَذُلَّ المُشْـــرِكُ

دَعَوَاتُهُ مَسْمُوعَـــةٌ مَرْفُوعَـــةٌ

وَالْحِسُّ لَيْسَ يَصِحُّ فِيهِ تَشَكُّكُ

لاَ شَيْءَ أعْجَبَ مِنْ دَلِيلٍ وَاضِحٍ

يَحْيَا بِهِ بَعْضٌ وَبَعْضٌ يُهْلَـــكُ

أمْسِكْ بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الوَرَى

تَظْفَرْ بِقَصْدِكَ أيُّهَا المُسْتَمْسِكُ

وَإذَا عَجِبْت لِغَايَةٍ في رِفْعَـــةٍ

فَمَحَلُّ أحْمَدَ غَايَة لاَ تُـــدْرَكُ

ـ مقطوعــة: إذَا بَهَــرَتْ لِلْهَاشِــمِيِّ دلاَلَــةٌ:

إذَا بَهَــرَتْ لِلْهَاشِمِيِّ دلاَلَــةٌ

فَكَمْ حُجَجٌ في طَيِّهَا وَدَلاَئِــلِ

فَكَمْ مَرَّةٍ آتَى الغِنَى كَفَّ سَائِلِ

وَكَمْ مَرَّةٍ أعْطَى المُنَى فِكْرَ سَائِلِ

لَهُ تَحْت أسْتَارِ الغُيُوبِ شَهَادَةٌ

مُعَدَّلَةٌ لَمْ تُبْــقِ قَــوْلاً لِقَائِــلِ

يَحْدُثُ عَمَّا كَانَ أوْ هُوَ كَائِــنٌ

فَقِسْ آخِراً مِنْ صِدْقِهِ بِالأوَائِلِ

إذَا الصِّدْقُ لَمْ يُعْوِزْكَ في غَدَوَاتِهِ

فَلاَ شَكَّ في تَصْدِيقِهِ بِالأصَائِلِ

وَحَسْبُكَ في الأنْبَاءِ بِالْغَيْبِ أنَّهُ

سَتَسْمَعُهَا بِالنَّقْلِ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ

ـ قصيــدة: أيُّ نُــورٍ كَشَــفَ اللهُ بِــهِ:

أيُّ نُــورٍ كَشَــفَ اللهُ بِــهِ

سُدُفَ البَاطِلِ عَنَّا أجْمَعِيــنْ

خَتَــمَ اللَّــهُ بِــهِ أنْــوَارَهُ

عِنْدَمَا أكْمَلَ سِنَّ الأرْبَعِيــنْ

وَأَتَانَـــــا بِدَلِيـــــلِ بَيِّـــنِ
عَجِزَت عَنْهُ دضوَاعِي المُدَّعِينْ
فَهْوَ للنَّاسِ جَمِيعـــاً مُرْشِـدٌ
وَهْوَ بِاللهِ تَعَـــالَى مُسْتَعِيـــنْ
تَرَكَتْ دَعْوَتُهُ وَهْوَ الرِّضَى
سَائِر الخَلْقِ إِلَيْهَا مُهْطِعِيـــنْ
فَأَعِـــدْ أَنْبَـــاءَهُ فَهْـــو مُـــنَى
أَنْفُـــسِ القَائِلِ وَالمُسْتَمِعِيـــنْ
وَالذي يُهْـــدَى إِلَى شِرْعَتِـــهِ
فَهو مَجَّاجٌ مِنَ العَذْبِ المَعِينْ
وَالذي يَرْغَـــبُ عَنْ سُنَّتِـــهِ
فَهو مِنْ شِيعَةِ إِبْلِيس اللَّعِينْ

ـ قصيـــدة: اعْمَـــلْ بِآثَـــارِ النَّـــبِي:

اعْمَـــلْ بِآثَـــارِ النَّـــبِـــ
ـــيِّ فَإِنَّهَا النُّورُ المُبِيـــنُ
وَاقْبَلْ نَصِيحَتَهَا فَـــفِي
هَا العِزُّ وَالشَّرَفُ المَكِيـــنُ
وَاشْدُدْ يَمِينَكَ بِالشَّرِيـــ
ـــعَةِ إِنَّهَا السَّبَبُ المَتِينُ

خَيْــرُ البَرِيَّـــةِ أحْمَــدُ

وَالحَقُّ يَصْحَبُهُ اليَقِيــنُ

ذُو قُــوَّةٍ عِنْــدَ الإلَــ

ـــهِ مُقَرَّبٌ مِنْهُ مَكِيــنُ

زَانَ النَّبِيُّــونَ الــوَرَى

وَمُحَمَّــدٌ لَهُــمْ مَزِيــنُ

هَـــادٍ إلَى طُرُقِ النَّجَــا

ةِ مُؤَيَّــدٌ فِيهَـــا أمِيــنُ

وَالْهَــجْ بِمَدْحِ الهَاشِمِـــ

ـــيِّ فَإِنَّهُ الحِصْنُ الحَصِينُ

ولَئِنْ فَعَلْت فَلَــنْ تَفُــو

تكَ بَعْدَ ذَا دُنْيَا وَدِيــنُ

ـ مقطوعـــة: كَمُلــتْ بنِعْــتِ مُحمــدِ خَيْــرِ الــوَرَى:

كَمُلَتْ بنِعْتِ مُحمدِ خَيْرِ الوَرَى

غُرَرُ القَصائِدِ كُلِّها وحُجولِهَـــا

وَاخْتَصَّ دُونَ الأنْبِيَاءِ بِدَعْــوَةٍ

وَسِعَ العِبَادُ عُمُومُها وَشُمُولِهَـــا

فَاضَتْ عَلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْهُ أشِعَّةٌ

طَلَعَتْ وَمَا عَقبَ الطُّلُوعَ أفُولهَا

فَالإِنْسُ تَعْلَـــمُ أَنَّهُ مَقْصُودُهَــا
وَالجِــنُّ تُوقِــنُ أَنَّهُ مَأمُولُهَــا
كَمْ آيَةٍ بِالصِّدْقِ كَانَ ظُهُورهَــا
كَمْ آيَةٍ بِالسَّبْــقِ كانَ نُزولهَــا
وَكَفاكَ هذا الوَحْيُ فَهْوَ شَهَــادَةٌ
لِمُحَمَّــدٍ لَــزِمَ العِبَــادُ قَبُولهَــا
جَمَعَ الإلَــهُ المَكْرُمَاتُ لأمَّــةٍ
هَذا النَّــبِيُّ الهاشِمِيُّ رَسُولُهَــا

أمـا وفـاة **أبي زيـد عبـد الرحمـن الفـازازي**؛ فكانـت **بمراكـش**؛ في ذي القعـدة مـن سنـة 627هـ/1229م. إثـر قدومـه إليهـا؛ تلبيـة لطلـب الخليفـة الموحـدي **المأمـون**؛ الـذي كـان مستـاء منـه. وبموتـه دفـن بجبانـة الشيـوخ بجـوار أخيـه.

❋ ❋ ❋

علي بن سعد[1]

ابن مسعود بن سهل الانصاري القلي[2]

(ابو الحسن)[3]

يعتبر من أعلام المائة السابعة؛ بحكم أنه درس على **أبي الحسن بن قنون** (قنون)، الذي توفي سنة 557هـ/1161م؛ وأبي عبد الله التجيبي المتوفي سنة 610هـ/1213م. تنقل بين **مراكش وإشبيلية**. وكان فقيهاً متمكناً، وشيخاً في الإقراء؛ تولى الإقراء بجامع **قرطبة** مدّة. ومما يؤسف له؛ أن ما عرف عنه لا يعدو ما قدم للقراء في هذا المجال. ولعل ما سيأتي من أقلام شابة، صابرة، ومواضبة؛ يوصل إلى البقية من تراث هذا الأديب الشاعر. ومن مؤلفاته: "مختصر لاشراف ابن المنذر وله إلمام بالأدب ودراية بنظم الشعر. ومن شعره:

---

[1] في نسخة: ((سعيد)).

[2] في نسخة: ((القلعي)).

[3] له ترجمة في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

ورائعـــة للشيـــب راع طلوعهـــا

فأنزلتها بالقص في المنزل الأقصى

فنـــادى لسان الحال مهـــلا فإنهـــا

بريـــد لجمع خلفها جـــاء لا يحصى

* * *

علي بن عمر

ابن عبد المؤمن الكومي (ابو الحسن)[1]

هو أمير وشاعر أيضاً. كان معاصراً للأمير السيد **أبي الربيع**؛ وهو ـ كذلك ـ حفيدٌ لخليفة الموحدين؛ عبد المؤمن بن علي. ولي ـ هو الآخر ـ **بجاية**؛ ولكنه عزل عنها؛ بسبب ما اتهم به من إهمال، وغفلة، وميله إلى الملاذ والشهوات، ومجالس الطّرب. فنقل إلى ولايات أخرى؛ منها **تلمسان**. وكان السيد **أبو الحسن** هذا أديباً، وشاعراً. قال فيه **ابن سعيد** صاحب كتاب الغصون اليانعة: **((السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن؛ وقفت على ترجمته في معجم الشَّقُنْدي، ومعجم والدي، ورحلة ابن حَمَّويه الدِّمَشْقي. وتلخيص أمره؛ أنه كان من أجلّ بيته قدراً، وأطيبهم ذكراً، وأسفحهم يداً، وأمنعهم سنداً. وكان مؤلفاً للشهر والأدباء))**[2].

---

[1] له ترجمة في نفح الطيب، والقبائل الأمازيغية.

[2] الغصون اليانعة: ص: 150.

ولما ولي إمارة **بجاية**؛ طال بقاؤه بها؛ إلى أن حصل خلاف بينه وبين قاضيها **أبو العباس أحمد ابن عبد الرحمن بن عثمان التميمي الخطيب**؛ فَخُلِعَ القاضي جراء تلك الخصومة؛ الأمر الذي شحنه ضد الأمير؛ فنهض إلى **مراكش**؛ شاكياً ومتظلماً.

ويقول ابن سعيد: **((فجمع القاضي جميع ماله ـ اثني عشر ألف دينار ـ فأخذه معه وطلع إلى مراكش؛ فنزل في جوار ابن مُثَنَّى؛ فأراه أنه لم يقصد سواه؛ وهو حينئذ يجر الدنيا جراً. فقال له فبما جئت؟ أتطلب أن ترجع إلى ولايتك؟ قل: لا؛ ولكن جئت في أن أعزل الذي عزلني، وأغلب من غلبني. قال: وبأي شيء تفعل ذلك؟ قال: بك، وباثني عشر ألف دينر جئت بها معي. قال: الآن حصحص الحق. فسعى ابن مثنى في عزل السيد واستعان بالمال في الحاشية؛ إلى أن كتب للسيد بالعزل))**. ولما وصل إلى السيد **أبي الحسن** كتاب عزله عن بجاية؛ قال شعراً:

لاَ تَحْقِرَنَّ حَقِيراً وَتُهَمِّلَنَّ غَمُوضَهْ[1]

[1] **غموضة: خامل ذليل.**

فَــرُبَّ سَيِّــدَ قَــوْمٍ أَوْدَى بِسَعْيِ بَعُوضَـهْ
إنِّي خَمْــرٌ ولَكِــنْ قَدْ أعْقَبَتْهَا حُمُوضَـهْ

ولــم تــدم فتــرة عزلــه طويــلاً؛ لأن الخليفــة **الناصــر** ولاه مــن جديــد علــى **تلمســان**. وهي ــ كمــا هــو معــروف ــ لا تقــل مــن حيــث الأهميــة عــن **بجايــة**. وقــد بــذل **أبــو الحســن** جهــداً معتبــراً في نشــر العمــران **بتلمســان**، وبنــاء الــدور، وغــرس البساتيــن، وريٍّ الــزروع. وكــان لهــذا الأميــر ولــوع بالبنــاء وشئــون الــرَّي. وقــد تــرك بصماتــه في هــذا المجــال أينمــا حــلّ. لذلــك اختــاره الخليفــة المنصــور ــ بعــد رجوعــه مــن **بجايــة** ــ لتدبيــر مبانيــه في **مراكــش**؛ أثنــاء سفــره.

وذكــر ابــن سعيــد بعــض مزايــا أبي الحســن؛ فقــال: **((وممــا يعــدّ مــن محسنــه؛ حمايتــه لأصحابــه، وخدامــه، ومــن انقطــع إليــه. وكــان لا يسمــع فيهــم قــول ســاع؛ ويقــول: "إنّ الواحــد منهــم يخدمنــا في الرخــاء، ويصحبنــا في الشــدة؛ حيــن لا نــرى أحــداً، ولا نجــده لأمــر يَعِــنُّ لنــا؛ فــإذا عــاد اللــه بالخيــر، وأسهمناهــم فيــه؛ حُسِــدُوا، ويُسْــعَى بِهِــمْ))**[1].

---

[1] الغصون اليانعة: ص: 152.

كما اشتهر أبو الحسن بالكرم والحلم. وقد أشار ابن سعيد إلى عفوه عن شاعر **بجاية أبي طاهر عمارة بن يحيى بن عمارة الشريف الحسني** لمَّا هجاه. وقد اعترف قاضي بجاية **أبو عبد الله محمد بن إبراهيم النهري الشهير بالأصولي**؛ بسخاء **أبي الحسن**؛ وقدر ما وصله منه ـ أيام خدمته معه ـ بأربعين ألفاً.

كتب يوماً إلى الخليفة يعقوب المنصور يمدحه، ويطلب عونه؛ لتسديد ديونه؛ فقال:

وُجُوهُ الأَمَانِي بِكُمْ مُسْفِرَهْ
وَضَاحِكَةٌ لِي مُسْتَبْشِرَهْ
وَلِي أَمَلٌ فِيكُمُ صَادِقٌ
قَرِيبٌ عَسَى اللَّهُ قَدْ يَسَّرَهْ
عَلَيَّ دُيُونٌ وَتَصْحِيفُهَا
وَعِنْدَكُمُ الجُودُ وَالمَغْفِرَهْ

ونقل صاحب نفح الطيب[2] عن السرخسي: **((كان هذا السيد أبو الحسن قد ولي مملكة تلمسان، وبجاية؛ وله حكايات في الجود برمكية،**

---

[2] **نفح الطيب، ج: 3، ص: 109. أنظر أيضاً الغصون اليانعة، ص: 154.**

ونفس عالية زكية؛ كتب إليه السيّد أبو الربيع يوماً:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَهْ يَوْمُ سُرُورٌ وَدَعَهْ
وَشَمْلُنا مُفْتَرَقٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نجْمَعَهْ

فأجابه بقوله:

اليَوْمُ يَوْمُ الجُمُعَهْ وَرَبُّنَا قَدْ رَفَعَهْ
وَالشُّرْبُ فِيهِ بِدْعَةٌ فَهَلْ تَرَى أنْ نَدَعَهْ

ـ ومما قاله أيضاً في فتى أرسلة لقضاء بعض الحاجات؛ ولكنه فشل في مهمته:

أنْعَمَ اللهُ صَبَاحاً لِلَّذي عَادَ إلَيْنَا
وَأَقَرَّ اللَّهُ فِيهِ لِلَّذي يَهْوَاهُ عَيْنَا
لاَ رَأَيْنَا بَيْنَنَا يَا مجْمَعَ الآمَالِ بَيْنَا

وأشار **ابن سعيد** إلى نهاية السيد **أبي الحسن علي بن عمر** بقوله: **((ثم ولاه النّاصر بعد ذلك تلمسان؛ وبنى بها المباني المشهورة. ثم اشتدّ مرضه؛ فاستغفر؛ ورغب في أن يصل إلى الحضرة؛ فأسعف. فوصل إليها؛ ونزل بها داره المشهورة**

بعظـــم النباهـــة، وعلـــو الهمـــم في التدبيـــر؛ إلى أن مـــات هنالـــك في سنـــة خمـــس وستمائـــة))[1].

* * *

[1] الغصون اليانعة، ص: 151.

عيسى بن يوسف
ابن ابي بكر الصنهاجي المعروف بابن تامحجلت، (ابو موسى)[1]

كاتب وأديب وشاعر وراوية. تولى خطة الكتابة لدى الأمير **أبي زيد بن يوقان الهنتاتي**، وابنه **محمد بن يوقان**؛ ثم انتقل إلى **الأندلس**؛ أين تولى الكتابة لدى السلطان **النَّصْري محمد بن يوسف بن نصر**[2]. ولكنه عاد إلى **مراكش**؛ أين كانت وفاته ومدفنه في عام 641هـ/1244م. من أساتذته: أبو عبد الله التجيبي، وأبو عبد الله بن عبد الحق. قال عنه يحيى بن خلدون: ((**كان ذا حظ نبيه في: الرواية، والأدب، والكتابة، وقرض**

---

[1] له ترجمة في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

[2] هو أول ملوك بني الأحمر؛ ومؤسس دولتهم. واسمه بالكامل: الغالب بالله أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري. انتصب ملكاً على مدينة غرناطة في رمضان من عام 635هـ/1237م؛ ووافته المنية في سنة 671هـ/1272م. لم يشر ابن الخطيب إلى أبي موسى عيسى بن يوسف بن تامحجلت؛ عندما سرد أسماء كتاب هذا السلطان في كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ولا في الإحاطة في أخبار غرناطة. وربما يكون قد اهتم بمشاهير الكتاب منهم.

الشعـــر؛ جيـــد الخـــط ضابطـــاً))[1]. والأمـــر المؤســـف؛ هـــو غيـــاب نصـــوص لـــه: نثـــراً أم شعـــراً. وإثباتـــه هنـــا؛ ربمـــا ساعـــد عـــلى تذكـــره مـــن قبـــل الباحثيـــن؛ وحفزهـــم عـــلى النبـــش في المكتبـــات ومخـــازن الكتـــب في سبيـــل إيجـــاد شـــيء مـــن إنتـــاج هـــذا الأديـــب الشاعـــر التلمســـاني المغمـــور.

***

[1] **بغيـة الـرواد في ذكـر الملـوك مـن بـني عبـد الـواد، ج: 1، ص: 102.**

محمد بن ابراهيم الغساني[1]

(ابو عبد الله)

ولـد **بتلمسـان** في تاريـخ مجهـول؛ وتعلـم بهـا، ثـم **بسبتـة وإشبيليـة**. مـن شيوخـه في تلمسـان: أبـو عبـد اللـه التجيـبي، وابـن عبـد الحـق، وآخـرون. أمـا شيخـه في سبتـة؛ فهـو: أبـو العبـاس أحمـد العـزفي، وفي إشبيليـة: أبـو بكـر بـن طلحـة، وأبـو عـلي الشلوبيـن. ولكنـه اختـار في الآخيـر الاستقـرار في **آسـفي بالمغـرب الأقـصى**. أيـن تعـاطى مهنـة التجـارة. لـه اهتمـام ومشاركـة في علـوم شـتى؛ مثـل: الفقـه والحديـث واللغـة والأدب والتاريـخ والأنسـاب. ولـه أيضـاً حـظ وافـر في قـرض الشعـر. ويتصـف بمتانـة الديـن؛ كمـا اشتهـر بالانقبـاض عـن أهـل الحكـم السلطـان.

قـال فيـه يحـيى بـن خلـدون: **((كـان ذا خـطٍ حسـن، عـدلاً في روايـة الحديـث، ضابطـاً للغـة، ذاكـراً بالأدب والتاريـخ، عالمـاً بالأنسـاب، مشاركـاً في الفقـه، ضاربـاً في قـرض الشعـر بخـط وافـر))**[2]. ومـع هـذا لـم

---

[1] لـه ترجمـة في بغيـة الـرواد في ذكـر الملوك مـن بـني عبـد الـواد، وتعريـف الخلـف برجـال السلـف.

[2] بغيـة الـرواد، ج: 1، ص: 103.

يصل إلينا شيء من إنتاجه الأدبي أو الديني. لذا؛ فقد أثبتت ترجمته هنا؛ بغرض التذكير به، وتحفيز الباحثين على السبر والتنقيب عن أعماله النثرية والشعرية. توفي محمد بن إبراهيم الغساني رحمه الله في عام 663هـ/1264م.

* * *

محمد بن أحمد

ابن محمد اللخمي المعروف بلقب أبيه، ابن الحجام، (أبو عبد الله)[1]

أديب وشاعر وواعظ. ولد **بتلمسان** سنة 558هـ/1162م. اشتهر بالزهد والصلاح؛ وله حظ وافر في فنون الأدب. استدعاه الخليفة الموحدي **يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن** إلى بلاطه **بمراكش**؛ فقدم إليه؛ أين حظي عنده وعند ابنه **الناصر** ثم **المستنصر** بمقام رفيع. له مكانة عالية في الوعظ. وله تأثير عظيم على الناس. قال يحيى بن خلدون أنه توفي **بمراكش** في يوم الجمعة[2] في منتصف شعبان من سنة 614هـ/1217م.

قال فيه التادلي: **((كان حسن الوعظ، طيب النغمة، دائم العبرة؛ وكان مجلسه كهفاً للمريدين؛ وأهل الخير يأوون إليه. وكان إذا أنشد بحسن صوته بديع الشعر؛ شاق وراق، وأثار كامن الأشواق. إذا نص صحيح الخبر؛ لم يبق ولم يذر.**

---

[1] له ترجمة في: التشوف، وبغية الرواد.

[2] في التشوف: يوم السبت.

وكان وعظه بجامع القصر في أيام الجمع؛ فتاب على يديه من أراد الله به خيراً، وانتفع به. ومات يوم السبت السادس عشر من شهر شعبان من عام أربعة عشر وستمائة. فَطُوِيَ بموته بساط التذكير، وأوحشت عرصات التخويف والتحذير))[1].

ألف ابن الحجام كتاباً في الوعظ عنونه بـ: حجة الحافظين ومحبة الواعظين. اختصره فيما بعد **أبو زكرياء يحيى بن محمد بن طفيل**؛ ضمن سفر واحد عنوانه: مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار. هذا ما أمكن الوصول إليه من أخباره؛ وقد أرد صاحب التشوف، ويحيى بن خلدون هذه المقطوعة من شعر صاحب الترجمة؛ قال فيها:

غَريبُ الوَصْفِ ذو عِلْمٍ غَريبِ
عَلِيلُ القَلْبِ مِنْ حُبِّ الحَبيبِ
إذا ما اللَّيْلُ أظْلَمَ قامَ يَبْكي
ويَشْكو ما يَكِنُّ من الوَجيبِ
يَقْطَعُ لَيْلَهُ فِكْراً وذِكْراً
ويَنْطِقُ فِيَّ بِالعُجْبِ العَجيبِ

[1] التشوف إلى رجال التصوف، ص ص: 439 - 440.

بـــه مـــن حُـــبِّ سَيِّـــدِهِ غـــرامٌ

يَجِـــلُّ عَـــنِ التَّطَبُّـــبِ والطَّبيـــبِ

ومـــن يَـــكُ هكَـــذَا عَبْـــداً مُحِـــبّاً

يَطيـــبُ تُرابُـــهُ منْ غَيْـــرِ طِيـــبِ

* * *

محمد بن عبد الرحيم

ابن محمد بن ابي العيش الخزرجي

(ابو العيش)

فقيه، أصولي، ضليع في فنون الأدب؛ وشاعر جيد. يعود في أصوله الأولى إلى إشبيلية؛ ثم استوطن تلمسان، وأنجب فيها ذرية نجباء. روى في إشبيلية عن أبي بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة، وأبي عبد الله بن عبد الرحمن التجيبي، وأبي عبد الله بن عبد الحق، وأبي محمد بن حوط الله. وصفه يحيى بن خلدون فقال: **((وكان رحمه الله أديباً بارع الكتابة، شاعراً مجيداً، رائق الخط، ذا مشاركات في فنون العلم، مؤلفاً متقناً، فسر الكتاب العزيز، وشرح الأسماء الحسنى، وصنف عقائد أصولية في الدين، وكتباً في أصول الفقه؛ وله في التصوف نظم حسن كثير؛ في الزهد وسبل الخير والوعظ))**[1].

---

[1] **بغية الرواد ، ج: 1، ص: 103.**

ومــن شعــره في الزهــد الــذي أورده يحــيى بــن خلــدون في بغيــة الــرواد[1]:

لله قُــلْ وذَرِ الْوُجُودَ وَمَا حَوى
إِنْ كُنْت مُرْتَــاداً بُلُــوغَ كَمَــالِ
فَالْكُــلُّ دُونَ اللهِ إِنْ حَقَّقْتَــهُ
عَــدَمٌ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالإِجْمَــالِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّــكَ وَالْعَوَالِــمَ كُلَّهَــا
لَوْلاَهُ فِي محْوٍ وَفِي اضْمِحْــلاَلِ
فَالْعارِفُونَ فَنُــوا ولَمَّا يَشْهَــدُوا
شَيْئاً سِــوى الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَعَــالِ
ورَأَوْا سِوَاهُ علَى الْحَقِيقَةِ هَالِكاً
فِي الْحَالِ وَالْمَاضِي وَالْإِسْتِقْبَالِ
مَنْ لاَ وُجُــودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِــهِ
فَوُجُــودُهُ لَوْلاَهُ عَيْــنُ مُحَــالِ
فَالْمَحْ بِعَقْلِكَ أَوْ بِطَرْفِكَ هَلْ تَرى
شَيْئاً سِوى فِعْــلٍ مِنَ الْأَفْعَــالِ

---

[1] وردت هذه القصيدة مبتورة في ديوان أبي مدين شعيب إذ سقط منها خمسة أبيات في آخرها. وبما أنها وجدت كاملة ضمن ما نُسِب إلى أبي العيش؛ فهذا يرجح ويعزز احتمال نسبتها إلى هذا الأخير. خاصة وأن كثيرَ المقطوعات الشعرية؛ نسبها مريدوا أبي مدين وبعض الشاذلية إليه؛ دون سند.

وَانْظُرْ إِلى عُلْوِ الْوُجُودِ وَسُفْلِـــهِ
نَظَــراً تُؤَيِّــدُهُ بِالْإِسْتِـــدْلاَلِ
تَجِدِ الْجَمِيعَ يُشِيرُ نَحْوَ جَلاَلِـــهِ
بِلِسَـــانِ حَالٍ أَوْ لِسَـــانِ مَقَـــالِ
هُوَ مُمْسِكُ الْأَشْيَاءِ مِنْ عُلْوٍ إِلى
سُفْـــلٍ وَمُبْدِعُهَـــا بِغَيْـــرِ مِثَـــالِ
وجَـــب الوُجودُ لِذاتِهِ وَصِفاتِـــهِ
فَـــرْداً عَنِ الأكْفَـــاءِ وَالأمْثَـــالِ
فَاسْكُـــنْ إِلَيْـــهِ بِهِمَّـــةٍ عُلْوِيَّـــةٍ
مُتَنَزِّهاً عَمَّـــا سِـــوَى الفَعَّـــالِ
يَبْـــقَى وَكُلٌّ يَضْمَحِـــلُّ وُجُـــودُهُ
مَـــا وَاجِـــبٌ كَمُقَيَّـــدٍ بِـــزَوَالِ
وَهُوَ الذِي يُرْجَى وَيُخْشَى لاَ تَلُذْ
بِسِـــوَاهُ في حَـــالٍ مِنَ الأحْوَالِ
فَالشَّرْعُ جَاءَ بِذَا وَأَنْوارُ الهُـــدَى
قَدْ أيَّدَتْهُ فَعِـــش خَـــلِيَّ البَـــالِ

ومن شعره أيضاً هذه المقطوعة التي يصف فيها اعتزاله، واختياره الانقطاع إلى خالقه سبحانه وتعالى:

قنعت بما رزقت فلست أسعى
لدار أبي فلان أو فلان
وآثرت المقام بكسر بيتي
ولا أحد أراه ولا يراني
ولا ألفي خليلا خليلا غير حبر
معين في المعارف أو مُعان
وقد ايقنت أن الرزق آت
وإن لم أته سعياً أتاني
وقد حققته فهما وعلما
وقد شاهدته رأي العيان
فلازم ذا بإخلاص تمكن
هنا وهناك من أسنى مكان

أما وفاة محمد بن عبد الرحيم أبي العيش فقد اختلف فيها؛ بينما صمت عنها آخرون.

* * *

محمد بن (خميس)[1]

ابن محمد بن عمر بن محمد عمر بن محمد الحجري بن خميس التِّلمساني، (ابو عبد الله).

هو أحد فحول الشعراء في المائة السابعة. فقيه ومتصوف؛ عارف بأسرار اللغة العربية وغريبها. يقال أنه اشتغل بالسيمياء والتنجيم. وُلِّي كتابة السلطان **أبي سعيد عثمان بن يغمراسن** سنة 681هـ/1282م؛ ولكنه فرّ إلى **الأندلس** لأسباب قال عنها **لسان الدين ابن الخطيب: ((كتب بتلمسان عن ملوكها من بني زيان؛ ثم فرّ عنهم؛ وقد أوجس منهم خيفة؛ لبعض ما يجري بأبواب الملوك))**[2].

---

[1] في نصوص كثيرة: ((محمد بن عمر بن محمد...)). وكتب هنا هكذا؛ اعتباراً لشهرته الواسعة باسم (ابن خميس) وقد جعل ـ في هذا المجال ـ من شعراء المائة السابعة؛ لأن معظم وأهم ما أنتجه يدخل في هذا الاعتبار زمنياً. توجد ترجمة محمد بن خميس التلمساني في: الإحاطة في أخبار غرناطة، وبغية الوعاة، وأزهار الرياض، ونفح الطيب. وبغية الرواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. وكتاب المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس؛ لعبد الوهاب بن منصور (تلمسان 1965م).

[2] الإحاطة، قسم: 3، ص ص: 318 - 319.

ويقول **ابن الخطيب** أنه استقبل في **غرناطة** بحفاوة عظيمة، وإجلال كبير، وترحيب واضح؛ من قبل ذي الوزارتين الأديب **أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ابن الحكيم) اللخمي الرندي**. ثم أضاف: **((فاهتز الوزير ابن الحكيم لتلقيه، ومتَّ إليه بالوسيلة العلمية، واجتذبه بخطبة التلميذ، واستفزه بتأنيسه وبرّه، وأقعده للإقراء بجواره))**. ولما سمع بنيته في الرحلة من جديد، والانطلاق سائحاً في أرض الله؛ شق عليه فراقه؛ فأوصى بعض الوزراء ببدء الإشارة إلى ذلك والتصريح به في مجلسه؛ كي يتدخل ويثنيه عن السفر؛ ولكن **ابن خميس** أجابهم بقوله: **((أنا كالدم بطبعي، أتحرك في كل ربيع))**[1]. ولكن شاءت الأقدار أن يموت قبل سفره.

ومن خلال ما ثبت عن وصول **ابن خميس** إلى **غرناطة** سنة 703هـ/1303م؛[2] يجعل الفترة التي هرب خلالها من **تلمسان**؛ تنحصر في بداية عهد **أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن** (الذي حكم من سنة 703هـ إلى سنة 707هـ)؛ وبالتحديد؛ أثناء

---

[1] **الإحاطة؛ مج: 2، ص: 529.**

[2] **الإحاطة، قسم: 3، ص: 391. وأزهار الرياض، ج: 2، ص: 302.**

حصار **يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان**؛ ذلك الحصار الذي انفض سنة 706هـ. وقد قام ـ بعد خروجه من **تلمسان** ـ بزيارة مدينة **سبتة**؛ وأقام بها بعض الوقت؛ أين مدح رؤساءها من **بني العزفي**؛ بقصائد تناقلها الناس.

ولم يرد ـ حتى الآن ـ ما يشير إلى تاريخ ميلاده؛ أما وفاته فوقعت **بغرناطة**؛ إذ قتل في الفتنة التي حدثت ببلاط الدولة **النصرية** في عيد الفطر من سنة 708هـ/1308م. قتل ـ عن عمر يناهز الستين سنة ـ مع صديقه ذي الوزارتين الأديب الشاعر **أبي عبد الله محمد بن الحكيم**. أما قاتله فهو الرئيس **علي بن نصر** المعروف **بالأبكم**؛ قتله بسبب حقده على صديقه **ذي الوزارتين**. وقد ورد في المصادر أن **ابن خميس** قال له: أنا دخيل رسول الله عليه السلام؛ ومع ذلك؛ لم يرتدع؛ وطعنه برمح في يده. فقال له **ابن خميس**: لم لم تقبل الدخيل بيني وبينك..؟ وآخر ما نطق به **ابن خميس** قوله تعالى: **((أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله))**[1]؛ ثم فاضت روحه. ويقال أن قاتله أصيب ـ

---

[1] **من الآية: 28 من سورة غافر.**

فيما بعد ـ بعاهة أرهقته حتى مات بعد أيام فقط. إذ أنه حين طعن **ابن خميس** برمحه؛ شعر ـ هو الآخر ـ بطعنة معاكسة سدّدت إليه فجأة. ويقول **يحيى بن خلدون**: ((**أصابته من يد قدرة الله سبحانه؛ بالمكان الذي طعن فيه ابن خميس؛ حرم لأجلها النوم والأكل؛ ولم يزل يتأوه، ويقول: "ابن خميس طعنني" إلى أن مات. وذلك من أكبر البراهين على عظم قدر ابن خميس رحمة الله عليه**))[1].

ووصف لسان الدين ابن الخطيب؛ **ابن خميس** بقوله: ((**حسن الشيبة، جميل الهيئة، سليم الصدر، قليل التصنع، بعيد عن الرِّيا والهوادة**[2] **عاملاً على السياحة والعزلة، عالماً**[3] **بالمعارف القديمة. مضطلعاً بتفاريق النّحل، قايماً على صناعة العربية والأصلين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في النظم المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، ومزج**

---

[1] بغية الرواد؛ ج: 1، ص: 109. ذكر هذا أيضاً ابن الخطيب حين قال: ((وساء بأثر قتله إياه حال تلك الرجل وفسد فكره، وشرد نومه، وأصابته علة ردية، فكان يثب المرّة بعد الأخرى؛ يقول: ابن خميس يقتلني؛ حتى مات لأيام من مقتل المذكور)). الإحاطة؛ قسم: 3، ص: 392. وذكر المقري أنه أصيب بفالج شديد: ((فكان يصيح ويستغيث: ابن خميس يطلبني، ابن خميس يعذبني، ابن خميس يقتلني؛ وما زال الأمر يشتد به حتى قضى نحبه على تلك الحال)). أزهار الرياض، ج" 2، ص: 304.

[2] في أزهار الرياض: ((والهوى)).

[3] في النفح وأزهار الرياض: ((عارفاً)).

الجزالة بالسلاسة، ووضع الألفاظ البيانية مواضعها))[1]. وقال فيه **أحمد بن علي (ابن خاتمة)**[2]: **((إنه نظم في الوزير ابن الحكيم القصائد التي حليت بها لَبّات الآفاق، وتنفست عنها صدور الرفاق. وكان من فحول الشعراء، وأعلام البلغاء؛ يصرف العويص، ويرتكب مستعصيات القوافي، ويطير في القريض مطار ذي القوادم الباسقة والخوافي؛ حافظاً لأشعار العرب وأخبارها؛ وله مشاركة في العقليات، واستشراف على الطلب))**[3].

وكان السلطان **أبو عنان المريني** شديد الإعجاب **بابن خميس**، ويعتني بشعره، ويحفظه، ويرويه. ونقل في مروياته؛ عن العلامة **أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي** خبراً يخص الشيخ **أبي إسحاق التنسي**. ومفاد الخبر أن هذا الشيخ قابل ـ في رحلته إلى المشرق ـ قاضي القضاة **تقي الدين ابن دقيق العيد**؛ فسأله: **((كيف حال الشيخ العالم أبي عبد الله بن خميس))**؟ ثم واصل حديثه واصفا إياه بأوصاف جليلة، ورافعاً من شأنه. فبهت الشيخ

---

[1] الإحاطة؛ قسم: 3، ص: 318.

[2] نقلها المقري من كتاب "مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية" لابن خاتمة.

[3] نفح الطيب، ج: 5، ص: 360.

أبو إسحاق وتعجب؛ ثم أجابه: **((من يكون هذا الذي حليتموه بهذا الحلْي؛ ولا أعرفه في بلدي؟!!؛** فقال له **تقي الدي**: هو القائل: "عجباً لها أيذوق طعم وصالها" فقال **أبو إسحاق: ((إن هذا الرجل؛ ليس هو عندنا بهذه الحالة التي وصفتم؛ إنما هو عندنا شاعر فقط))**. فقال **تقي الدين: ((إنكم لم تنصفوه؛ وإنه لحقيق بما وصفناه))**[1].

ونقل **أبو عنان** عن **الآبلي** أيضاً: أن قاضي القضاة **تقي الدين بن دقيق العيد**؛ عندما وصلته قصيدة **ابن خميس** المذكورة، نهض واقفاً ليقرأها. وكان يحتفظ بها في خزانة قريبة من موضع جلوسه للمطالعة؛ فكان يخرجها في كل مرة ويتأملها.

* * *

---

[1] أنظر هذا الخبر في أزهار الرياض، ج: 2، ص: 322.

عينات من شعره

قال القصيدة التالية في مدح صديقه ذي الوزارتين **أبي عبد الله حمد بن الحكيم**[1]. وقد تعرض فيها لما جرى في **تلمسان** من حصار قاتل أليم؛ وبث في قصيدته أمنياته بانجلاء الكرب والفرج السريع، والخير العميم؛ فجاء الفرج بعد أشهر أربعة:

سلِ الرِّيحَ إنْ لم تُسعدِ السفْنَ أنْواءُ

فَعِندَ صِباها من تِلمسان أنْباءُ

وفي خفقان البرق منها إشارةٌ

إليك بما تنمي إليها[2] وإيماء

تمر الليالي ليلة بعد ليلة

وللأذن إصغاء وللعين إكْلاء[3]

وإني لأصبو للصبا كلما سرت

وللنجم مهما كان للنجم أصباء[4]

---

[1] توجد هذه القصيدة في: الإحاطة، ونفح الطيب، وأزهار الرياض. واعتبرها ابن الخطيب؛ من مشاهير أمداحه.

[2] في أزهار الرياض: ((إليك)).

[3] أكلأ عينه: أسهرها. وأكلأ إكلاء بصره في الشيء: ردده فيه مصوباً ومصعداً.

[4] في أزهار الرياض: ((إسراء)).

وأُهْدي إليهــا كلّ حين[1] تحيــةً

وفي ردّ إهــداء التّحية إهــداء

واستجلب النَّوم الغرارَ ومضجــعي

قتادٌ كما شاعتْ نواهــا وسُــلاَّءُ[2]

لعــلَّ خيالاً من لدنها[3] يمر بي

ففي مرِّهِ بي من جَوَى الشَّوق إبــراء

وكيف خلوص الطيف منها وحولهــا[4]

عيــونٌ لها في كل طالعــةٍ رَاءُ

وإنّي لمشتــاقٌ إليهــا ومُنْــبِئٌ

ببعض اشتياقي لو تَمَكَّنَ إنْبــاءُ

وكم قايــلٍ تَفْنَى غراماً بحبِّهــا

وقد أخلفت[5] منها مِلاءٌ وأمْــلاءُ

لعشــرةِ أعوامٍ عليها تَجَرَّمَــتْ

إذا مضَى قَيْظٌ بها جــاء إهْــراءُ

---

[1] **في النفـح، وأزهـار الريـاض: ((كـل يـوم)).**

[2] **القتـاد: نبـات علـى شكل أشجـار صلبـة؛ ذات أشـواك حـادة. والسُّلاء؛ مفردهـا سُلاءة: شـوك النخل.**

[3] **في أزهـار الريـاض: ((مـن لديهـا)).**

[4] **في النفـح، وأزهـار الريـاض: ((ودونـهـا)).**

[5] **في الإحاطـة ونفـح الطيـب: ((وقـد أخْلقـتْ))؛ بالقـاء الموحـدة الفوقيـة. ومعنـى أخلفت: تغيـرت. والأمـلاء: النبـلاء والأشـراف.**

يُطْنّب فيها عائثــون وخُــرَّبُ[1]

ويرحلُ عنها قاطنــون وأحْيــاءُ[2]

كَــأنَّ رماحَ الناهبين[3] لملكهــا

قِــداحٌ وأمــوالَ المَنــازلِ أبْــداءُ

فلا تَبْغيَــنْ فيها مُناخاً لِراكــب

فقــدْ قَلَّصَتْ منها ظِلالٌ وأفيــاءُ

ومن عجبي[4] أن طالَ سُقْمي ونَزْعُهــا

وقُسِّــمَ أضْناءٌ علينــا وإطْنــاءُ[5]

وكم أَرْجفوا غيظاً بها ثم أرْجأوا

فيكذبُ إرجافٌ ويَصْدُقُ إرْجــاءُ

يرددها عيــاً بهــا[6] الدَّهْر مِثْلَمــا

يردِّدُ حَرْف الفاءِ في النُّطْقِ فَأْفاءُ

فيا منزلاً نالَ الرَّدَى منه ما اشتــهَى

تُرَى هَلْ لَعُمر الأُنْــسِ بعدك إنســاءُ[7]

---

[1] في الإحاطة: ((عابثون وَحُـزَّبٌ)).
[2] في أزهار الرياض: ((وثنّـاء)).
[3] في الإحاطة: ((الذّاهبين)).
[4] في الإحاطة ونفح الطيب: ((ومن عَجَبٍ)).
[5] أي استحياء وانقباضاً.
[6] في النفح، والأزهار: ((عُيَّابُها)).
[7] أي تأخيراً.

وهل للَظَى الحرب التي فيك تَلْتظِي

إذا ما انقضتْ أَيَّامُ بُؤسكَ إطفـــاءُ

وهلْ لي زمانٌ أرْتَجي فيه عودةً

إليـــك ووجه البِشْرِ أزْهَرُ وُضَّاءُ[1]

فَيَـــا هَيَّ مالي[2] إن هلكتُ ولم أقــلْ

لِصحْبي بها الغُرُّ الكِرامِ ألاَ هَاؤُا

ولم أطْرُقِ الدَّيْرَ[3] الذي كنت طارقـــاً

كعادي[4] وبَدْرُ الأفْق أسْلَعُ مِشْنــاءُ[5]

أُطيـــفُ به حتَّى تَهِـــرَّ كِلابُـــه

وقـــد نام عُسَّـــاسٌ وهَـــوَّمَ سُبَّـــاءُ

ولا صاحـــبٌ الاّ حُسامٌ ولَهـــذَمٌ

وطِرْفٌ لخدِّ الليل مُذْ كان وَطَّـــاءُ

---

[1] هنـا انتـهى الاقتبـاس في نفـح الطيـب؛ حيث تواصل بعد ذلك عند ((أحنّ لها ما أطّتِ النيب حولهـا...)).

[2] في الإحاطـة: ((فـواسيء حـالي))، وفي نسخـة أخـرى: ((فواجـر بـالي)). وفي أزهـار الريـاض: ((فيـا هيَّ مـالي)).

[3] نفسه: ((الديـن))؛ فجعلـه المحقق: ((الـدَّرب))؛ لاعتقـاده في التحريـف.

[4] نفسه: ((لِعـادٍ)). كتـب في نـص أشـار إليـه عنـان: ((بليـل)).

[5] والأسلـع بالعين المهملـة: نعت للمصاب بالبـرص؛ الأحمـر اللـون. أمـا المِشْنـاء: فهـو الـذي يبغضـه النـاس. وكتـب في الإحاطـة: ((أسْلعُ مسناء)). والمنسـاء: المتباعـد.

وأسْحَمُ قاريٌّ كشَعْـرِيَ حُلْكَـةً

تَلألأ فيه من سَنَى الصُّبحِ أضْـواءُ

فما لِشَرابي في سِواكَ مـرارة[1]

ولا لِطعامي دون مائك[2] إمْـراءُ

ويا داريَ الأولى بدربِ مغيلـة[3]

وقد جَدَّ عَيْثٌ في بِلاهـا وإرْداءُ

أما آن أنْ يُحْمَى حِماكِ كَعَهْـدِه

وتَجْتاز أحماسٌ عليـك وأحمـاءُ[4]

أما آن أن يَعْشو لنارِك طـارقٌ

جَنيـبٌ لـه رَفْـعٌ إليـكِ وبِئْداء[5]

يُـرَجِّي نوالاً أو يُؤَمِّـل دَعْـوةً

فما زال قارٍ في ذُراكِ وقُـرَّاءُ

---

[1] في الأزهار: ((مزازة)).
[2] في الإحاطة: ((بابك)).
[3] نفسه: ((حلاوة)).
[4] كتب هذا الشطر في أزهار الرياض هكذا: ((ويجتال أحماس عليه وأحماء)).
[5] أي له سرعة فائقة، وعدو حثيث شديد.

أحن لها ما أطَّتِ النِّيبُ[1] حولها

وما عاقها عن مورد المــاء أظــاء[2]

فما فاتها منِّي نزاعٌ على النَّـــوَى

ولا فاتني منها على القرب إجشــاء[3]

كذلك جَدِّي في صِحابي وأسرتي

ومن لي به من[4] أهل وُدِّي إنْ فــاؤوا[5]

ولولاَ جِوارُ ابنِ الحكيمِ محمـــدِ

لما فات نَفْسي من بَني الدَّهْرِ إقْمــاءُ

حَمـــاني فَلَمْ تَنْتَبْ[6] مَحَلِّي نوائبٌ

بِسوءٍ ولم تَـــرْزَأْ فُـــؤادِيَ أَرْزاءُ

وأكفـــأ[7] بيتي في كفالَةِ جاهِـــهِ

فصاروا عَبيداً لي وهمْ لِي أكْفـــاءُ

---

[1] أي مـا صوتـت الإبـل.

[2] اعتبـارا مـن هـذا البيـت؛ عـاد الاقتبـاس في نفـح الطيـب. الإظمـاء: هي المـدة الـتي تنقطـع فيهـا الإبـل عن ورود المــاء.

[3] أي شوقـاً.

[4] في النفـح: ((في)).

[5] في الأزهـار: ((مـن أهـل وُدِّي إرفـاء)).

[6] نفسه: ((تَنْبُـتْ)).

[7] في الإحاطـة: ((وأكفـاء)). وأكفـــا البيـت: سـتره بكاملـه مـن أعـلاه إلى أسفلـه.

يَؤُمُّــونَ قَصْدي طاعَةً ومَحَبَّــةً

فما عِفْتُهُ عافوا وما شِئْتُهُ شــاءُوا[1]

دَعاني إلى المجدِ الذي كنتُ آمــلاً

فلم يَكُ لي عن دعوةِ المجدِ إبْطــاءُ

وبَوَّأني من هَضْبَةِ العِــزِّ تَلْعَــةً

يُناجي السُّها منها[2] صعودٌ وطَأْطــاءُ[3]

يُشَيِّعُــني مِنْها[4] إذا سِرْتُ حافِــظٌ

ويكلــؤني منها إذا نِمْــتُ كَــلاَّءُ[5]

ولا مِثْل نَوْمي في كَفالَةِ غَيْــرِهِ

ولِلذِّئْــبِ إلْمامٌ ولِلصِّــلِّ إيمــاء[6]

بغَيْضَةِ لَيْثٍ أو بِمَرْقَــبِ خالــبِ[7]

تبــزُ[8] كُســاً فيه وتُقْطَعُ أكْســاءُ

إذا كان لي من نائِبِ المُلْكِ كافِلٌ

ففي حَيْثُما هَوَّمْتُ كِــنٌّ وإدْفــاءُ

---

[1] في الإحاطة ((شاءُ)). وما جاء أعلاه أسلم.
[2] نفسه: ((منه)).
[3] الطأطأ: المنخفض من الأرض.
[4] في الإحاطة: ((يشايعني فيها)).
[5] أي الحافظ.
[6] في أزهار الرياض: ((إلماء)).
[7] نفسه: ((خارب)).
[8] في الإحاطة: ((تندُّ)).

وإخوانُ صِدْقٍ من صَنائعِ جاهِــهِ

يُبــادِرُني مِنْهُــمْ قِيــامٌ وإيِــلاَءُ

سِراعٌ لما يُرْجَى من الخيرِ عندهــمْ

ومن كل ما يُخْشَى من الشَّرِّ أبْــراءُ[1]

إليــكَ أبــا عبد الإلــه صَنَعْتُهــا

لُزوميــةً فيهــا لِوَجْــدِيَ إفْشــاءُ

مُبَــرَّأة ممــا يَعيــبُ لُزومَهــا

إذا عابَ إكْفاءٌ سِواهــا وإيطــاءُ[2]

أذَعْتُ بها السرَّ الذي كان قبلهــا

عليه لأحْنــاءِ الجَوانِحِ إضْنــاءُ

وإن لم يكمن كل الذي كنــت آمــلاً

وأعْــوَزَ إكْلاَءٌ فما عــاز إكْماءُ[3]

ومن يَتَكَلَّف مُفْحَماً شُكْــر مِنَّــةٍ

فما لي إلى ذاك التَّكَلُّفِ إلْجــاءُ

إذا مُنْشِــدٌ لم يَكْنِ عَنْكَ ومُنْشِئٌ

فلاَ كــان إنشادٌ ولا كــان إنْشــاءُ

---

[1] أي في حكم البراءة.

[2] الإكفاء، والإيطاء: عيبان من عيوب القافية في علم العروض.

[3] أكمأ إكماء المكان: كثر به الكمء. والكمأة ضرب من الفطر؛ يكمن تحت الأرض؛ فيستخرج في فصل الأمطار. يسمى بالعامية الجزائرية ((الترفاس)).

ومــن شعــره أيضــاً[1]:

أنبـــت ولكــن بعــد أي عتـــاب[2]
وطـــول[3] لجـــاج ضـــاع فيـــه شبـــابي

ومـــا زلـــت والعليـــا تُعَـــنِّي غريمهـــا
أعلـــل نفـــسي دائمـــاً بمَتَـــابِ

وهيهـــات مـــن بعـــد الشبـــاب وشَرخِـــه
يلَـــذُّ طعـــامي أو يســـوغُ شـــرابي

خُدِعْـــت بهـــذا العيـــش قبـــل بَلائِـــه
كمـــا يُخْـــدَع الصَّـــادي بلمـــعِ ســـرابِ

تقـــول هـــو الشهـــد المَشُـــور جَهالـــةً
ومـــا هـــو إلاّ السُّـــمُّ شيـــبَ بِصـــابِ

ومـــا صحِـــبَ الدُّنيـــا كَبَكْـــرِ وتَغْلِـــب
ولاَ كَكُلَيْـــبِ رِيءَ فَحْـــلُ ضِـــرابِ

إذا كَعَّـــتِ الأبْطـــالُ عنهـــا تقدَّمـــوا
أعاريـــبَ غُـــراً في متـــون عِـــرابِ

---

[1] هذه القصيدة من نظم ابن خميس؛ رواها السلطان أبو عنان المريني؛ نقلا عن الشيخ القاضي الخطيب الراوية أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن عبد الرزاق. وقد وردت في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج: 1. ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج: 5. وأزهار الرياض في أخبار عياض، ج: 2.

[2] في النفح والأزهار: ((أنبت ولكن بعد طول عتاب)).

[3] في النفح والأزهار: ((وفَرْطِ)).

وإنْ نـــابَ خطْــبٌ أو تَفاقَــمَ مُعْضِــلٌ
تَلَقَّــاهُ مِنهــم كُــلُّ أصْيَــدَ نَـــابِ
تــراءَتْ لِجَسّــاسٍ مَخيلَــةُ فُرْصَـــةٍ
تَأَتَّــتْ لــه في جَيْئَـــةٍ وذهـــابِ
فجــاء بهــا شَنْعــاء[1] تُنْــذِر قومهـــا
بتشييــد أرْجــامٍ وهـــدم قبـــابِ
وكان رُغــاءُ السَّقْــب[2] في قــوم صالــح
حديثــاً فأنســاه حديـــث[3] ســـراب
فمـــا تسمـــع الآذانُ في عرصاتهـــم
ســوى نــوح ثَكْــلَى أو نعــاب غــراب[4]
وسَــلْ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ عن صــدق بأســه
وعــن بيتــه في جَعْفَــرِ بْــنِ كِــلاَبِ
وكانــت عــلى الأمــلاك منــه وفــادةٌ
إذا آبَ منهــا آبَ خيــر مَـــآبِ
يجيــر عـــلى الحيَّيْــنِ قيــسٍ وخِنْــدِفٍ
بفضــلِ يَســارٍ أو بفضــلِ خطــابِ

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((شَوْهـاء))؛ وهي صفـة للطعنـة.
[2] السقب بالسين معنـاه: ولـد الناقـة. في بغيـة الـرواد كتب ((الصّقب)) بالصّاد. بمعنى قـرب الـدار أو صوت الطائـر.
[3] في النفـح، والأزهـار: ((رغـاء سـراب)).
[4] في النفـح، والأزهـار: ((أو نعيـب غـراب)).

زعامــةُ مَرْجُــوٍّ النَّـــوالِ مُؤَمَّـــلِ

ودَعْــوَةُ[1] مسمــوعِ الدُّعــاءِ مُجــابِ

فمــن ذا يزجيهــا[2] حَواسِــر ضُلَّعـــاً

بمــا حَمَّلوهــا مــن مُــنًى ورِغــابِ

إلى فَــدَكٍ والمَــوتُ أقْــرَبُ[3] غايــةً

وهــذا المُــنَى يــأتي بكــلِّ عُجــابِ

تَبَــرَّض صَفْــو العَيْــشِ حَــتَّى اسْتَشَفَّــهُ

فَــدَافَ لــه البَــرَّاضُ قَشْــبَ حُبــابِ

فأصبــحَ في تلــك المَعاطِــفِ نُهْــزَةً

لنهــبِ ضِيـــاعٍ أو لِنَهْــشِ ذِئـــابِ

ومــا سهمــه عنــد النِّضــال بأهْــزَعٍ

ولا سيفــه عنــد المِصــاعِ[4] بنـــابي

ولكنهــا الدُّنيــا تَمُــرُّ[5] عــلى الفَــتَى

وإنْ كــان منهــا في أعــزِّ نِصـــابِ

وعادتهـــا ألاَّ تَوَسُّـــطَ عندهـــا

فإمَّــا سمـــاءٌ أو تُخـــومُ تُـــرابِ

---

[1] في النفح، والأزهار: ((وعَزْمَـةُ)).

[2] في النفح، والأزهار: ((فمرَّ يزَجِّيها)).

[3] في النفح: ((أغْرَبُ)).

[4] المصاع: المجالدة بالسيوف. وكتب في النفح: ((الصراع)).

[5] في النفح، والأزهار: ((تَكِرُّ)).

فــلا تــرجُ مــن دُنيــاكَ وُداً وإنْ يَكُــنْ
فمــا هــو إلاَّ مثــلُ ظِــــلٍّ سَحــــابِ
ومــا الحَــزْمُ كُــلُّ الحــزم إلاّ اجتنابُهــا
فأشــقَى الــوَرَى من تَصْطَــفي وتُحــابي
أبَيْــتُ لهــا ما دام شَخْــصِي أنْ تُــرَى
تَمُـــــرُّ بِبــــابي[1] أو تَطُــورُ[2] جَنــــابي
فكــمْ عَطَّلَــتْ مــن أربُــعٍ ومَلاعِــبِ
وكــمْ فَرَّقَــتْ مــن أسْــرَةٍ وصِحــابِ
وكــمْ عَفَّــرَتْ مــن حاسِــرٍ ومُدَجَّــجٍ
وكــمْ أثْكَلَــتْ مــن مُعْصِــرٍ وكَعــابِ
مَثالــبُ مِثْــلُ الرَّمْــلِ لاَ تَقُــلْ أنَّهــا
تُعَــدُّ فَتُحْصيهــا غُــروبُ حِســـابِ[3]
إليكــمْ بــني الدّنيــا نَصيحَــةَ مُشْفِــقٍ
عليكــمْ بَصيـــرٍ بالأُمــــورِ نِقــــابِ[4]

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((تمـرّ ببـالي)).
[2] أي تقتـرب.
[3] هذا البيت وارد في بغيـة الـرواد، وساقط في نفـح الطيـب وأزهـار الريـاض.
[4] أي العَلاّمَـة.

طويلِ مِــراسِ الدَّهْــرِ جَــذْلٍ[1] مُماحِــكٍ

عريــضِ مَجــالِ الهَــمِّ حِلْــسِ رِكــابِ

تأتَّــتْ لــه الأهْــوال[2] أدْهَــمَ سابقــاً[3]

وغَصَّــتْ بــه الأيّــام أشْهَــبَ كــابي

ولا تحسبــوا أنِّي عــلى الدَّهْــرِ عاتِــبٌ

فأعظَــمُ مــا بي منــه أيْسَــرُ مــا بي

ومــا أسَــفي إلاَّ شَبــابٌ خَلَعْتُــه

وشَيْــبٌ أبَى إلاَّ نُصــولَ خِضــابِ

وعُمْــرٌ مَــضَى لم أحْــلَ منــه بطائــلٍ

سِــوَى ما خَــلاَ[4] مــن لَوْعَــةٍ وتَصــابِ

ليــالي شَيْطــاني عــلى الــغَيِّ قــادِرٌ

وأعْــذَبُ مــا عِنْــدي ألِيــمُ عَــذابي

عَكَسْنــا قَضايانــا عــلى حكــمِ عادنــا

ومــا عَكْسُهــا عِنْــدَ النُّــهَى بِصــوابِ

---

[1] في أزهار الرياض: ((جزل)) بالزاي.

[2] في بغية الرواد: ((الأهواء)).

[3] نفسه: ((سابغاً)).

[4] في أزهار الرياض: ((حلا)) بالحاء المهملة.

على المُصْطَــفَى المُخْتَــارِ أزْكَى تَحِيَّـــةٍ[1]
فتلــكَ الــتي أعْتَــدُّ يـــومَ حســـابي[2]
فــذاك[3] عَتَــادي أو ثنــاءٌ أصوغُـــــه
كَــدَرٍّ سَحــابٍ أو كَـــدُرٍّ سِخــــابِ[4]

وقــال في قصيــدة أخــرى مــدح بهــا ابــن الحكيــم[5]:

كَبَــت العِدَى إنعامَــك البغــت
فــلي الهنــاءُ وللعــدَى الكبــتُ
يا مـــن إلى جــدوى أناملــه
يُزجَى[6] السفيــن وتزجر البُخْتُ[7]
لولاك لــم يوصــل بناحيــة
وخــدٌ ولــم يقطــع بها دَشْــتُ[8]
لــولاك لم يطلِــعْ بهــا نشــرٌ
منــه ولم يَهْبِــط بهــا خبــتُ

---

[1] نفسه: ((أزكى تحيتي)).
[2] في بغية الرواد، ونفح الطيب: ((حساب)) بدون الياء.
[3] في النفح والأزهار: ((فتلك)).
[4] السخاب: هي القلادة. وما زالت إلى الآن هذه الكلمة تطلق في الجزائر على العقد الذي تتحلى به المرأة.
[5] هذي القصيدة موجودة في الإحاطة، قسم 3.
[6] في نص: ((يرجي)).
[7] البُخت: هي الإبل الخراسانية.
[8] الدشت هنا هي الصحراء.

خوَّلتــني مــا لــم تَسِعْــهُ يدِي

فأصابــني مــن كثــره غَمْــتُ[1]

شــتّى أيــاد كلَّمــا عظمــتْ

عِنْــدي تَلَكأَ خاطــري الْهَــتُّ[2]

يَعْــيا لســاني عــن إذاعَتِهــا

ويَضيقُ عن شُكري لها الوَقْــتُ

وطــأتْ لي الدُّنيا فــلا عِــوَجٌ

فيمــا أرَى منهــا ولا أمْــتُ

أمكنتــني منهــا فمــا لِيَــدي

رِدْءٌ ولا لمقالـــتي عــتُّ

بالغتْ فــي بــرِّي ولا نَسَــبٌ

أُدْلـــي إليــكَ بــه ولا حَسَبُ[3]

لكــنَّ حَسْــبي إنْ مَتَــتُّ بــه

يومــاً إليــك ودادِيَ البحْــتُ

بوركت مــن رجــلٍ برؤيتــه

يُوَسَّى الضَّنــا ويُعالِــجُ الغَــتُّ[4]

---

[1] أي تخمـة.

[2] أي خاطـري المكسـور.

[3] هـذا البيـت مختلـف في رويـه عن بقيـة أبيـات القصيـدة.

[4] أي يعالـج الحـزن والغـم.

لــو سار فــي بهْمــاءَ مُقْفَــرَةٍ

فــي حيــث لا ماءٌ ولا نبــتُ

لتَفْجُــر المــاءَ النَّميــر بهــا

ولاعْشَبَّتْ أرجاؤُهــا[1] المــرْتُ

لا تحسبنَّ البَخْــت نَيْــلُ غــنًى

نَيْــلُ الرِّضــا منه هو البَخْــتُ

آلــتْ جلالتُــه وحَقَّ لهــــا

أنْ لا يحيــطُ بِكُنْهِهــا نَعْــتُ

أظْهَرْت ديــنَ الله في زَمَــــنٍ

مــا زالَ يَغْلــبُ حقَّــه البهْــتُ

شيَّــدْتــهُ وهَــدَّدْت مُمْتَعِضــاً

لضَياعِــهِ مــا شيَّــد الجِبْــتُ[2]

أمَّنْــتَ أرْض المسلمينَ فــــلا

ذِئْبٌ يُخــاف بهــا ولا لِصْــتُ[3]

وحَفَظْتَهــا مــن كــلِّ نائِبَــةٍ

تُخْشَى فأنْــت حَفيظُها الثبْــتُ

---

[1] في موضع هذه الكلمة؛ ترك بياض في الأصول. وقد نقل عنا كلمة ((أرجاؤها))؛ من المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس.

[2] أي من لا خير فيه.

[3] أي: ولا لِص.

ونَهَجْت سُبْــلَ المَكْرُماتِ فمــا

لمُؤَمِّــلٍ عــن غايَـــه ألْــتُ[1]

لم تُبْــقِ غفْــلاً مــن مَتالِعِهــا

إلاَّ وفيــــه لحائِـــرٍ بُـــرْتُ[2]

هادِنْ طُغــاةَ الكُفْــرِ مــا هَدَأتْ

حــتَّى يَجيءُ نَهارُهــا المَحْــتُ[3]

دَعْها تُــــوَدِّعُ في معاقلهــا

ما لــم تعــدْ جُفاتهــا العَفْــتُ[4]

كــم ذدتهــا عنّــا وقــد هبرتْ

لهــراشنــا أشداقهــا الهَــرْتُ[5]

بوقــوف طرفــك عنــد شدّتــه

يبــأى ويفخــر ملكهــا الــرَّتُّ[6]

والشكر[7] ما أظهرت من كــرم

في ذاك تفصح عجمها المَــرْتُ

---

[1] الألـتُ، وألتـه: حبسـه وصرفـه.
[2] البُرْت: هـو الدليل الماهـر.
[3] أي: نـهارهـا الحـارّ.
[4] أي: فـي حـال الالتـواء والانكسـار.
[5] أي: أشداقهـا الواسعـة.
[6] أي: ملكهـا الرئيـس.
[7] جعلهـا د. طويـل: ((والشكـر)).

لك من ممالكهــا وإن رغمــت

ما جــال فيه جــوادك الحَــتُّ[1]

ولكــل أصيــد مــن بطارقهــا

فــي كــلِّ أري لــــه دَعْــتُ

لولا لبــاك البيــض ما أرقــت

للقائهــــا أفراسنــا الكُمْـــتُ

عنــدي لمــن ينتابــــه مَقَّـــة

ولمن ينيــب لغيــره مَقْـــتُ[2]

ولَوَ أنْ بيضـــك لم تســل لمــا

ذلت أنــوف طغاتهــا السَّلْــت

يا ابن الحكيم أمنت صــرف ردى

أبــداً لــه في أثلــتي نَحْــتُ[3]

وبيمنـــــه أنســت مــن أملي

ما لم يكــن يومــاً لــه عَــرْتُ[4]

مثنَى الــوزارة موئــلي ولــه

ما دمــت أملك قــدرتي أقْــتُ[5]

---

[1] أي: الساقط.

[2] في نص: ((المقت)).

[3] أي: أبداً له في أصلي طعن.

[4] أي: شدة واضطراب.

[5] الأقت: الوقت المعين.

وببأســـه أطـــفي شـــرارة من

يعثو وأقدح أنـــف مـــن يَعْتُـــو

عَمَّ الورى جوداً وفضلَ غِـــنًى

حتى تَســـاوى العَـــدُّ والغَلْـــتُ[1]

وهمّى على عـــال ومنخفـــض

لـــم يبـــق فـــوقٌ لا ولا تَحْـــتُ

ظـــلٌّ إذا نَصْطـــاف مُعتـــدل

عطـــر الشّـــذا وحيـــاً إذا نَشْتُـــو

يتضـــاءلُ الصُّبْـــحُ المُنيـــرُ إذا

لاقَـــى سَنـــاه جبينَـــك الصّلتُ

حتى كـــأنّ شمس الضُّحَى قَمَرٌ

وكأن ضوءَ شعاعهـــا فَخْـــتُ[2]

وغريبـــة في لطـــف صنعتهـــا

يمضي الزّمـــان وما لهـــا أُخْتُ

يَنْـــأى النَّـــدَى بهـــا إذا لَبِسَـــتْ

ويَتيـــه إن طويـــت بها التَّخْـــتُ

---

[1] أي: غلـط.

[2] الفَخْت: ضـوء القمـر في أول مبدئـه.

زِنْجيــةٌ لكــــن لمحتدهــــا

في الرّوم يَعْنو القسَّ والشّنْــتُ[1]

مثــلُ العَروسِ على مِنَصَّتِهــا

منْ شأنِهــا التَّزْييــنُ والــزَّتُّ[2]

لأكونَ أنْحَــلَ ما أكونُ هُــدَى

فيهــا فَيعْبَــلُ جِسْـمي الشّخْــتُ

وبِمِثْــلِ شَيْبي فَــوق حِلْكَتِهــا

يَبْدو الوقــارُ ويحْفَظُ السَّمْـتُ

تُظْهِرُنَــــني بلِباسِهــــا وبــــه

عِنْــدي لها الإيثــار ما عِشْــتُ

لا زِلْــت تُؤثِــرُني بهــا أبَــداً

ولا تَــفِ من يَشْقَى[3] بذا السَّلْتُ

وبَقيــتَ تُــدْرِكُ ما تُريــدُ وما

تَهْــوَى بَقــاءَ مــا لــه فَــتُّ

***

[1] كلمت ((شنت)) أو ((سنت))؛ ترمز إلى القداسة؛ مثل: شنت مرية. وبالإسبانية: Santo.

[2] زَتُّ العروس: تزيينها.

[3] في نص: ((يشجى)).

ومـــن أمداحـــه ــ كذلـــك ــ هـــذه القصيـــدة الـــــتي افتخـــــر فيهـــا بأصولـــه اليمانيـــة[1]:

طَرَقَتــك وهناً أخْــت آل علاجِ
والرَّكْـب بين دكادكٍ وحراجِ

فـــي ليلـــةٍ ليـــلاءَ لم يَنْبح بهـــا
كلبٌ ولم يصرخْ أنيـــنُ دَجـــاجِ

أنّى اهتــدتْ لمضلِّلين توهّنــوا
منها لِهَتْــكِ دياجــر وديــاجِ

مُتَسَرْبــلي بُــرْدِ الظَّلامِ كأنَّهــمْ
فيــه قِــداحٌ في رِمايَـــةِ ســـاجِ

وثِقوا بمَحمودِ السّرَى وتَسَلَّمــوا
لمخـــارمِ مجْهولـــةٍ وفِجـــاجِ

ومنـــازل درس الرُّسوم بلاقِـــع
أخْوَين من هيجٍ ومن هَجْهـــاجِ

محْـــت معالمهنَّ غيـــر مثلـــمِ
كســـوارِ تـــاجٍ أو كدملـــجِ عاجِ

ومَواثـــل مثل الحَمـــامِ جَواثـــم
وُرْق وأسمـــج دائـــم التشْحـــاجِ

---

[1] توجد هذه القصيدة في الإحاطة.

ومشجـــج ما زال منهل الحيـــا

يبكي صـــداه بدمعـــه الثَّجـــاجِ

حـــتى أعـــاد لعـــوده أوراقـــه

خُضْـــر الظِّـــلالِ ذَكيَّـــة الآراجِ

وكسا عُراةَ عِراصِه من وشْيِـــهِ

حُلَـــلاً تُبَـــوِّرُ صَنْعَـــةَ الدِّيبـــاجِ

لا مثل لَيْلاتٍ مَضينَ سريعـــةٍ

بَـــردَتْ حرارةُ قلـــبي المُهْتـــاجِ

أدْرَكْتُ منها في صِبايَ مَطالِبي

وقَضَيْتُ مِنها في شَبابي حاجِي

كمْ لَيْلَـــةٍ مَرَّتْ ولمْ يَشْعُرْ بهـــا

غَيْري وغَيْرَ مُنادِمي وسِـــراجِي

بِتْنا نُديرُ إلى انبِـــلاجِ صَباحِهـــا

كَأسَ الهوَى صِرْفاً بِغَيْرِ مـــزاجِ

وتُديرُ أعيُنُنـــا حَديـــثَ غَرامِنـــا

بِمَرامِـــزِ من فِضِّهـــا[1] وأحـــاجِ

بمآرِجِ[2] النَّفَحاتِ من دارَيْـــنِ أو

بمـــدارِجِ النَّسَمـــاتِ مـــن دَرَّاجِ

---

[1] في نص: ((فضة)).

[2] في نص: ((بموَرج)).

وخُلــوصِ وُدٍّ في نَقــاءِ سَريرَةٍ

كَسُلافِ راحٍ في صَفاءِ زُجــاجِ

أمْحَضْتُهُ حَظْيٌ مِنَ الزَّمَنِ الَّذي

أعْيَى مِراسي أهْلُــهُ وعِــلاجِي

واخترتُ قُربَ جِوارِهِ لخُلوصِــهِ

وتَرَكْتُ كُــلَّ مُمــاذِقٍ[1] مــراجِ

ما في زَمانكَ غَيْرُهُ فاخلِصْ لَــهُ

غَيْبــاً وداهِــنْ مَنْ أرَدْتَ وداجِ

لا تَحْلِفَــنَّ بِغَيْــرِهِ واستَعْفِيَــنْ

بِوَقــارِهِ عنْ كُلِّ غَمْــرٍ مــاجِ

أتْرُكْ بَني الدُّنْيا وأعْرِضْ عَنْهُــمُ

فَعَســاكَ تُطْعَــمُ لَــذَّةَ الإثْــلاجِ

نَزَّهْتُ نَفْــسي عَنْهُــمُ بِنَوالِــهِ

وَحَفِظْتُهــا مِــنْ جاهِــهِ بِسِياجِ

أصْبَحْــتُ مِنْ آلائِــهِ وَوَلائِــهِ

في عِــزَّةٍ ضَحْيــاً وَعِــزٍّ داجِ

ولَوَ انَّنِي عجْتُ الرِّكابَ مُيَمِّمــاً

أحداً سِــواهُ ما حَمِدْتُ مَعــاجِي

---

[1] أي غير مخلص.

طَلْقٌ إذا احْتَلَكَ الزَّمانُ أنـــارَ في
ظُلْمائِـــهِ كالْكَـــوْكَبِ الوَهَّـــاجِ
طَوْدُ الرَّصَانَةِ وَالرَّزَانَةِ والحِجَـــا
بَحْرُ النَّـــدَى المُتَلاَطِمِ الأمْـــوَاجِ
وغمامُـــهُ الهامي على آمالِـــهِ
مِنْ غَيْـــرِ إرْعَـــادٍ ولا إزْعَـــاجِ
وهِزَبْرُ آجـــامِ القَنَى الضَّاري إذا
سَقَطَتْ عَواتِمُها على الأزْجاجِ
ضَمِنَ الإلهُ لـــه عـــلى أعْدائِـــهِ
ما شاء مِنْ ظَفَـــرٍ ومِنْ إفْـــلاجِ
أبقَى أبـــو عَبْـــدُ الإلَـــهِ مُحَمَّـــد[1]
ما شَـــادَ والِـــدُهُ أبُـــو الحَجَّـــاجِ
وبَنَى أبو إسْحاق قَبْلُ وَصِنْـــوِهِ
ركنَا الضَّعيفِ ومعدنَا[2] المُحْتَاجِ

---

[1] قد يكون هو محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر النصري؛ وهو ثالث ملوك بني الأحمر؛ الذي عاصره ابن خميس. حكم من سنة 701هـ/1301م إلى سنة 708هـ/1308م. وربما كان المقصود هو أحد رؤساء بني إشقيلولة؛ لأن الأبيات الموالية تفيد بذلك. منها ذكر اسم أبي إسحاق. الذي يكون هو أبو إسحاق إبراهيم بن إشقيلولة. ثم ورود ما جرى في موقعة العقاب.

[2] في نص: ((مـــؤلا)).

وجَرَى على آثارِ أسْلافٍ لهـمْ
درَجـوا وكُلّهـمْ على مِنْهـاجِ
ما مِنْهُـمُ إلاَّ أعَـــزٌّ مُبــارِكٍ
مصْباحُ لَيْلٍ أو صَباحُ عَجـاجِ
بَيْتٌ بَنُوهُ مِنْ سَـــراوَةِ حِمْيَــرٍ
في الذُّرْوَةِ العَلْياءِ مِنْ صنْهــاجِ
كمْ كان في الماضيــنَ من أسْلاَفِهِــمْ
مِنْ رَبِّ إكْليــلٍ وصاحِبَ تــاجِ
أسَــاسُ كُلِّ رِياسَــةٍ ورؤس كلــ
ــلِّ سِياسَةٍ ولُيــوثُ كُلَّ هِيــاجِ
أعْيَتْ نجوم الليل من سهر وما
أعْيـا أبــو موسَى مِنَ الإدْلاَجِ
حــتَّى أصارَتْهُ لِرَحْمَــةِ رَبِّــهِ
يَوْمَ العقابِ وقيعَــةَ الأعْــلاَجِ
وأقيمَ نَجْلُ أخيــهِ بعــدَ مُقامِــه
فيهــمْ يُطاعِــنْ مثلــه ويُــواجِ
فَــرداً يلــفُّ كتائِبــاً بكتائِــبٍ
ويكــبٌّ أفواجــاً على أفْــواجِ

حتى تَجلَّى دجْــنُ كُلِّ عجاجَــةٍ

عَنْهــم وأمْسك رعدَ كلِّ ضِجاجِ

مَنْ مِثْل يوسف في قِراعِ[1] كتائِبِ

ولقاءِ أعــداءٍ وخــوْضِ لُجــاجِ

أو من يَشُــقُّ من الأنامِ غُبــارَهُ

في رَدِّ آراءٍ ونَقْــضِ حِجــاجِ

إنْ خاض يوماً في بَيانِ حَقيقَــةٍ

أنْهَى عَنِ[2] الثَّــوْرِيِّ[3] والحَــلاَّجِ[4]

وإذا تَكَلَّمَ في الغَريبِ وضَبْطِــهِ

لمْ يَعْبَــأ بالعُتْــبِيِّ[5] والزَّجَّــاجِ[6]

---

[1] في نص: ((نزال)).
[2] في نص: ((أربى على)).
[3] هو الإمام المحدث سفيان بن سعيد الثوري (توفي سنة 161هـ/777م).
[4] في نص: ((الحجاج)). والحلاج هو الزاهد المتصوف الحسين بن منصور. المتوفي سنة 309هـ/921م.
[5] هو محمد بن عبد الله بن عمرو العتبي؛ اشتهر بفصاحة اللسان. توفي سنة 228هـ/842م.
[6] هو ابراهيم بن محمد بن السري؛ نحوي. توفي سنة 310هـ/922م.

أنْســتْ قَصائِدَ جَرْوَلٍ[1] أشْعارُهُ

وَأرَازِجَ العَجَـلِيِّ والعَجَّــاجِ[2]

جَمَعَ الفَصَاحَةَ والصَّبَاحَةَ والتُّقَى

والجودَ في وجْـدٍ وفي إحْــراجِ

تَخْشَاهُ أسْدُ الغَابِ في أجَمَاتِهَــا

والرُّومُ في الأسْـوارِ والأبْــراجِ

إنَّــا بَني قَحْطَانَ لَمْ نُخْلَقْ لِغَيْـــ

ــرِ غِيَاثِ مَلْهُوفٍ ومنْعَــةِ لاجِ

نُبْري طُلَى[3] الأغراب في الهَيْجا وفي اللـــ

ــأواء[4] سَوْفَ نُماري[5] الأعْراجي

بِسُيوفِنــا البِيضِ اليَمانِيَّــةِ التي

طُبِعَتْ لِحَــزٍّ غَلاَصِـمِ وَوداجِ

---

[1] جرول: هو الحطيئة؛ واسمه بالكامل هو جرول بن أوس بن مالك؛ شاعر الهجاء الشهير. توفي سنة 30هـ/650م.

[2] والعجلي: هو أبو النجم الفضل بن قدامة العجلي؛ من شعراء العصر الأموي؛ يقال أنه أول من كتب الرجز. أما العجاج فهو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر. من كتاب الرجز أيضاً. توفي في حدود 590هـ/1193م.

[3] الطُّلى مفردها؛ طلية: وهي العنق.

[4] الأواء: الشدة والمحنة.

[5] أي نجادل.

تَأبَى لنــا الإحْجامُ عنْ أعْدائنــا

يومَ اللِّقــاءِ طَهــارَةَ الأمْشــاجِ

أنْصارُ خَيْرِ العالَمينَ[1] وحِزْبُــهُ

وحُماتُهُ في الجَحْفَلِ الرَّجْــراجِ

وفُداتُــهُ بِنفوسِهِــمْ ونَفيسِهِــمْ

مِنْ غَــدْرِ مُغْتــالٍ وَسُبَّةِ هــاجِ

هُمْ صَفْوَةُ الخَلْقِ التي اخْتيرَت له

وسِواهُــمُ همــجٌ من الأهْمــاجِ

إلاّ الأُلَى سبَقــوا بِباهِرِ فَضْلِهِــمْ

مِنْ سائِــرِ الأصْحابِ والأزْواجِ

وكَــفَى بِحِكْمَتِنــا إقامَةَ حُجَّــةٍ

وبِرُكْنِنَــا مِنْ كَعْبَــةِ الحُجَّــاجِ[2]

ولنا مَفاخِــرُ في القَديمِ شَهيــرَةٌ

كالصُّبْــحِ في وَضَحٍ وفي إبْلاَجِ

مِنَّــا التَّبابِعَــةُ الذيــنَ بِبابِهِــمْ

كانَتْ تُنيــخُ جِبــاةُ كُلِّ خــراجِ

ولأمْرِهِمْ كانَتْ تُدينُ مَمَالِكُ الـــ

ـــدُّنْيــا بِلاَ قَهْــرٍ ولاَ إحْــراجِ

---

[1] ورد في نـص: ((ديـن الهاشـمي)).

[2] يقصد بـه الركـن اليمـاني في الكعبـة المشرفـة.

مَنْ يَقْتَــدِحْ زَنْداً فَــإنَّ زِنَادَهُــمْ

في الجودِ وارِيَة بــلا إخْــراجِ

أبْوابُهُــمْ مَفْتوحَــةٌ لِضُيُوفِهِــمْ

أبَــداً بــلا قُفْــلٍ ولا مِــزْلاجِ

ومــن شعــره أيضـــاً هـــذه القصيـــدة الـــتي ضمنهـــا معاناتـــه، ومــا جــرى لــه مــن أحــداث؛ وتعــرض فيهـــا لمــدح الشيــخ الفقيــه الأديــب أبي عبــد اللــه محمــد بـــن رُشَيْــد السبــتي[1]:

أطــار فُــؤادي بــرق ألاحــا

رقمٌ ضم بعــد لو كــر جناحَــا

كــأنّ تألُّقَــهُ فــي الــدُّجَى

حُسام جبــان يَهــاب الكِفاحَــا

أضَـــاءَ ولِلْعيــنِ إغْفــاءَةٌ

تَلَــذُّ إذا ما سَنَى الفَجْرُ لاحَــا

كمعــنًى خــفِيٍّ بَــدَا بَعْضُــهُ

وزِيــدَ بَيانــاً فَــزادَ اتِّضاحَــا

---

[1] هـذه القصيـدة موجـودة في الإحاطـة.

كـــأنّ النُّجـــومَ وقـــد غَرُبَـــتْ

نَواهِـــلُ مـــاءٍ صـــدَرْنَ قُماحَـــا[1]

لَواغِـــبُ باتَـــتْ تَجِـــدّ السّـــرَى

فأدْرَكها الصُّبْح روحي طِلاحَـــا[2]

وقـــد لَبِـــس اللَّيـــلُ أسْمالَـــهُ

فمحـــتْ عليه بـــلاً وانْصِياحَـــا[3]

وأيْقَـــظَ رَوْضَ الرُّبـــا زَهْـــرُهُ

فَحَيَّـــا نَسيـــمُ صِبـــاه الصَّباحَـــا

كَـــأنَّ النَّهـــارَ وقـــد غَالَهـــا

مُبَيِّـــت مـــال حَـــواه اجْتِياحَـــا

أتَى يَسْتَفيضُ دُموعي امْتِياحـــاً

ويُلْهِـــب نار ضُلوعي اقْتِداحَـــا

فلم يلق دجْـــنَ انْتِحابي شَحيحـــاً

ولم يلف زَنْدَ اشْتِيـــاقي شِحاحَـــا

ولَـــولا تَوَقُّـــد نـــار الحَشَـــا

لأنْفَـــدْتُ مَـــاءَ جُفـــوني امْتِياحَا

---

[1] قمح البعير: إذا رفع رأسه وامتنع عن الشراب.
[2] لواغب. روحي. طلاحا؛ كل ذلك بمعنى: أعيا.
[3] مح الثوب إذا بلي؛ وانصاح الثوب: إذا انشق.

ومِمَّــا يُشَــرِّدُ عَــنِّي الكَــرَى
هَديــلُ حَمــامٍ إذا نِمْتُ صاحَــا
يَنــوحُ عَــلَيَّ وأبْــكِي لَــــهُ
فَأَقْطَــعُ لَيْــلِي بُكــاً أو نِياحَــا
أعَيْــن أرِيــحِي أطَلْــتِ الأسَى
عَلَيْــكِ ومَا زِدْتِ إلاَّ انْتِزاحَــا
دَعيــنِي أردْ مــاءَ دَمْعي[1] فلَــمْ
أردْ بَعْدَ مائِــكِ مــاء قُراحَــا
أحِــنُّ إلَيْــكَ إذا سفْــت ريحــاً
وأبْكي عليك إذا ذُقْــت راحَــا
وأفْــني النِياحــاً إليــك وكَــمْ
أشَحْــتُ بِوجْــهي عَنْكِ اتِّشاحَا
ولَــوْلاَ سَخايــم قَــوْمٍ أبَــــوْا
إيَــابي ركَبْتُ إلَيــك الرِّيَاحَــا
أباحُــوا حِمــايَ وكَــمْ مَــرَّةٍ
حَمَيْتُ حِمَى عِرْضِهِمْ أنْ يُباحَــا
وَدافَعْتُ عَنْهُمْ بِشِعْرِي انْتِصــاراً
فَكانَ الجَــزاءُ جَــلاَيَ المُتاحَــا

[1] كتب في نص: ((عيني)).

أَبَاعُــــوا ودَادِيَ بَخْســـاً فَسَــلْ

أَكَـــانَ سَماحَهُـــمُ بِي رِباحَـــــا

وأغْــرَوْا بِنَفْــسِي طُلاَّبَهَــــا

سِــرَاراً فَجَــاءُوا لِقَتْلِي صَراحَا

وآلَــوْ يَميناً على أنَّ مـــا

تَوَهَّمْــتُ لمْ يَــكُ إلاَّ مِزَاحَــا

فَشَــاوَرْتُ نَفْـسِي في ذا فَمــا

رَأَتْ لِي بِغَيْــرِ الفَــلاَةِ فَلاَحَــا

فَبِــتُّ أُنَاغِي نُجُــومَ الــدُّجَى

نجــاءً فَلَــمْ أَلْــقَ[1] إلاَّ نَجاحَــا

أجُــوبُ الدَّياجيــر وحْــدِي ولاَ

مُؤانِــسِ إلاَّ القَطَــا والسَّرَاحَــا[2]

وإلاَّ الثَّعَــالِــبَ تَحْتَــسُّ في

مَبيــتِي فَتَمْــلأُ سَمْعِي ضُبَاحَــا[3]

أجُــوزُ الأفاحِيصَ[4] فَيْحاً قِفَــاراً

وأعْــرُو الأدَاحِيَّ[5] غبْــراً فِساحَا

---

[1] كتب في نص: ((ألف)).

[2] مفردها سرحان: وهو الذئب.

[3] الضباح: هو صوت الثعلب.

[4] الأفاحيص؛ مفردها: أفحوص: وهو المكان الذي تبيض فيه القطا.

[5] الأداحيّ؛ مفردها أدحيّ: وهو المكان الذي تبيض فيه النعام.

فَــأُعْيِي شَــوارِدَ هَــذِي عــدَاءً
وَأعْلُــو لَوَاغِيَ تِلْــكَ صِيِاحَــا
وَجَــوّابُ بَــدْوٍ إذا استنبحــوا
أجَابُــوا عُواءً وَأمُّــوا النُّباحَــا
يَــرَوْنَ قِتالِي في الحجْرِ حَــلاً
وإذْهَــابُ نَفْسِي فِيــهِ مُباحَــا
قَصَــدْتُ هَنَاهُــمْ[1] فَلَــمْ أُخْطِهِمْ
أعاجِــمُ شَــوس العُيونِ قِباحَــا
فَسَــلْ كَيْف كانَ خَــلاَصِي مِنْ
أسَارِهِــمُ أسَــرَى أمْ سَرَاحَــا
ولاَ مثــل بيْــتٍ تَيَمَّمْتُــــهُ
فَلَــمْ ألْــف إلاَّ الغِنَا والسَّمَاحَــا
عيابَــاً[2] مِــلاءً ونيبــاً سِمانَــاً[3]
وغِيــداً خِــدالاً[4] وعُوداً أقاحَــا
وإلاَّ أعاريــب شُــمّ الأنُــوفِ
كِــرام الجُدودِ فِصاحاً صِباحَــا

---

[1] كتب في نص: ((سناهم)).
[2] العِياب؛ مفردها: عَيْبَة؛ عبارة عن وعاء يوضع فيه الثياب.
[3] أي نوق مسنة وسمينة.
[4] كتب أيضاً في نص: ((حسانا)). وغيداً خدالاً: ممتلآت ضخام.

وإلاَّ يَعافِيــر سُــود العُيُـــونِ

يَرَيْنَ فَســادَ المُحِــبِّ صَلاحَــا

يُــرَدِّدْنَ فينــا لِحاظاً مِراضــاً

يُمَرِّضْنَ مِنَّا القُلُوبَ الصِّحاحَــا

وتحْــت الوِجَــاجِ طَــلاً ربــرب[1]

لَــو أنَّ القِيــانَ رَفَعْــنَ الوجاحَــا

أراني محاسِـــنَ مِنْــه فلــمْ

أطِقْ عَنْ حِماهُ بِقَلْــبِي بَراحَــا

مُحَيــاً وَسِيمــاً وفَرْعــاً أثِيثــاً

وقَدّاً قَوِيمــاً وَرِدْفــاً رداحَــا

وأبْــدَى لِعَيْــنِي بَدَائِــع لــمْ

يَــدَعْ لِي عَقْلاً بِهَا حِينَ راحَــا

إذاً لَــمْ يُــرِدْ غَيْرَ سَفْكَ دَمِــي

فَحِــلٌ وَبِــلٌ[2] لَــهُ مَا استَبَاحَــا

ومَا زِلْــتُ سَمْحــاً بِنَفْسِي كَــذَا

مَتَى مَا رَأَيْتُ الوُجُوهَ المِلاَحَــا

---

[1] الطَّلى؛ جمعها أطلاء: ولد الظبية. ورَبْرَب: قطيع من بقر الوحش.

[2] أي حلال ومباح.

وَبِابْـــنِ رُشَيْــدِ[1] تَعَــوَّنْتُ مِــنْ

هَــوَاهُ فَقَــدْ زِدْتُ فِيهِ افْتِضاحَا

وقدْ ضَــاق صَـــدْرِيَ عَنْ كَتْمِهِ

وأوْدَعْتُهُ جَفْــنَ عَيْني فَباحَــا

وبِابْـــنِ رُشَيْــدِ تَعَــوَّنْتُ مِــنْ

خُطُــوبِ أجَلْــنَ عَلَيَّ القِداحَــا

أَلَـــحَّ الزَّمـــانُ بِأحْداثِـــهِ

فَأَلْقَيْتُ طَوْعــاً إلَيْــهِ السِّلاحَــا

أعَــادَ شَبَــابِي مَشِيبــاً كَمَــا

سَمِعْــت وَصَيَّرَ نُسْكِي طَلاحَــا[2]

وفَــرَّق بَيْــنِي وبَيْــنَ الأُهَيْــلِ

ولَــمْ يَــرَ ذا عَلَيْه جنــاحَــا[3]

أخِي وَسَمِــيِّى أصِــخْ مُسعــداً[4]

لِشَجْوِ حَزِينٍ إِلَيْــكَ استَــراحَــا

[1] هو الشيخ الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري السبتي المعروف بابن رُشَيْد. ولد بسبتة سنة 657هـ/1258م. وتوفي بفاس سنة 721هـ/1321م.

[2] في نص: ((صلاحا)). والطّلاح: الفساد؛ وهو ضد الصّلاح.

[3] هذا الشطر غير مستقيم. ويبدو أن حرفاً بعد ((ذا)) سقط. والأفضل أن تكتب ((ذاك))؛ فيغدو الشطر هكذا: ((ولَمْ يرَ ذاك عليه جناحَا)).

[4] في نص أيضاً: ((مسمعاً)).

فقَدْ جَــبَّ[1] ظَهْرِي عَلى ضعفِهِ

كُداماً[2] وأذْهَى شــواتي نطاحَــا

وطَــوَّحَ بي عَــنْ تِلِمْســانَ ما

ظَنَنْــتُ فُرَاقي لَهــا أنْ يُتاحَــا

وأعْجَــلَ سَيْــرِيَ عَنْــهُ ولَــمْ

يَدَعْــنِي أُوَدِّعُ تِلْــكَ البِطاحَــا

نَــأى بِصَدِيقِــكَ عَــنْ رَبْعِــهِ

فَكانَ لَهُ النَّأْيُ مَوتــاً صَراحَــا[3]

وكَــانَ عَزِيــزاً عَــلَى قَوْمِــهِ

إذا هَــاجَ خَاضُوا إِلِيهِ الرّماحَــا

فَهــا هــو إنْ قــالَ لــمْ يَلْتَفِتْ

إلَيْــه امْتِهانــاً لــه واطِّراحَــا

عَجِبْــتُ لِدَهْــرِيَ هَــذا ومَــا

ألاَقِي مَســاءً بــه وصَباحَــا

لقدْ هَــدَّ مِــنِّي رُكْنــاً شَدِيــداً

وَذَلَّــلَ مِــنِّي حَيــاءً لُقــاحَــا

---

[1] أي قطع.

[2] أكدام: نبات في المراعي يتكسر على الأرض.

[3] أي موتاً خالصاً.

وُقِيتُ الرَّدَى مِـــنْ أخٍ مُخْلِـــصٍ

لَوِ اسْطَعْتُ طِرْتُ إليـــهِ ارتِيَاحَـــا

وإنِّي على فَيْـــحِ مـــا بَيْنَنـــا

لأتْبَـــعُ ذاكَ الشَّـــذَا حَيْثُ فَاحَـــا

أحِـــنُّ إلَيْـــهِ حَنِيـــنَ الفُحُـــولِ[1]

ونَوْحِ الحَمَـــامِ إذا هُـــو نـاحَـــا

وأسْـــألُ عَنْهُ هُبُـــوبَ النَّسِيـــمِ

وَخَفْـــقَ الوَمِيضِ إذا ما ألاَحَـــا

إنْ شِئْـــت عَرْفـــان حَالي ومـــا

يُعانِيه جِسْمِي ضَنًى أو صِحاحَا

فَقَلْـــبٌ يَـــذُوبُ إلَيْـــكَ اشْتِياقـــاً

وصَـــدْرٌ يُفاحُ إلَيـــكَ انْشِراحَـــا

وَغَـــرْسُ وِدادٍ أصابَ فَضـــاءً

نَدِياً وصـــادَفَ أرْضـــاً بَراحَـــا

كَراسِـــخِ مَجْـــدٍ تَأثَّلْتَـــه

فلَـــمْ تَخْشَ بَعْدُ عليهِ امْتِصاحَـــا

وعَلْيـــاء بَوْئتِهـــا لَـــوْ بَـــغَى

سُمُـــواً إليهـــا السَّماكُ لَطاحَـــا

---

[1] في نص: ((العجول)).

مَكــارِمِ جَمَعَــتْ أفْــذَاذَهـــا

فكانَــتْ لِعَطْفِ[1] عُلاكَ وِشاحَــا

ودَرْس عُلـــومٍ تَهيــمُ بهـــا

عمــرْتَ الغُدُوِّ بـــه والرّواحَــا

نَشَــأت عَنِ الخَيْــرِ واعْتَدْتَــهُ

فلــمْ تَــدْرِ إلاَّ التُّقَى والصَّلاحَــا

وَقُمْــت لَهــا أيّمَــا رِحلَــةٍ

كَسَحْــت المَعارِف فِيها اكْتساحَا

بَهَرْت رِجَــالَ الحَديــثِ اقْتِدَاءً

وَفُتَّ رِجــالَ الكَمَــالِ اقْتِرَاحَــا

فَما إنْ جَلِيــسٌ إذا قُلْــت قــالَ

أوَ انَّ الخطِيبَ إذا لُحْــت لاَحَــا

ولَــوْ لَــمْ تَحِــجَّ بهــا مَكَّــةً

لَحجَّ المَلائِــكُ عَنْــكَ صرَاحَــا

وأمَّـــا أنا بَعْــد نَــهْيِ النُّــهَى

فَما زَادَني الطَّبْــعُ إلاَّ جِمَاحَــا

أُديــرُ كُؤُوس هَــوَايَ اغْتِباقــاً

وأشْرَبُ مَاءَ دُمُوعي اصْطِباحَــا

---

[1] في نص أيضاً: ((العضب)).

فَبَــرْدُ جَــوَايَ بِــرَدِّ جَــوَابِ

تُوَبِّــخُ فِيــهِ مَــشْيِ الوقاحَــا

وهُــنَّ بُنَيَّــات فِكْــري وقَــدْ

أتَيْنَــكَ فاخْفِــضْ لَهُنَّ الجَناحَــا

وهــذه القصيــدة الشهيــرة؛ كتبهــا ابــن خميــس في بلــده تلمســان؛ جــاء فيهــا[1]:

تِلِمْســانُ جادَتْــكِ السَّحــابُ الدَّوَالِــحُ

وأَرْســتْ بِوادِيــكِ الرِّيــاحُ اللَّوَاقِــحُ[2]

وسَـــحَّ عَــلَى ساحــاتِ بَــابِ جِيادِهَــا

مُلِــثٌ يُصــافِي تُرْبَهــا ويُصافِــحُ

يَطيــرُ فُــؤَادِي كُلَّمَــا لاَحَ لاَمِــعٌ

ويَنْهَــلُ دَمْــعِي كُلَّمَــا نَــاحَ صــادِحُ[3]

---

[1] هذه القصيدة موجودة بكاملها في بغية الرواد، ج: 1، ونفح الطيب، ج: 6. بينما اكتفى المقري - في كتابه أزهار الرياض - بالثلاث أبيات الأولى. معللاً ذلك بأنه ترك مخطوطها في تلمسان؛ ولم يعد يذكر منها سوى تلك الأبيات الثلاث؛ التي رواها محرفة.

[2] جاء هذا البيت في أزهار الرياض هكذا:

تلمسان جادتك الغوادي الروائح وأرست بواديها الرياح اللواقح

وفي نفح الطيب:

تلمسان جادتكِ السحاب الروائح وأرست بواديك الرياح اللواقح

[3] جاء هذا البيت في أزهار الرياض هكذا:

يَطيرُ فؤَادِي كُلَّمَا لاَحَ بارِقٌ ويَزدادُ شَوْقي كُلَّمَا مَرّ سانِحُ

فَــفِي كُــلِّ شَفْــرٍ مــن جُفــونِي مَائِــحٌ
وفي كُــلِّ شَطْــرٍ مــنْ فُــؤَادِيَ قــادحُ

فَمــا المـــاءُ إلاَّ مــا تَسُـــحُّ مَدامِــعِي
ولاَ النَّـــارُ إلاَّ مــا تَجِـــنُّ الجَوانِـــحُ

خَليــلَيَّ لا طَيْـــفٌ لِعُلْـــوَةَ طـــارقٌ
بِلَيْــلٍ ولاَ وجْـــهٌ لِصُبْــحِي لاَئِــحُ

نَظَــرْتُ فَــلاَ ضَــوْءٌ مِنَ الصُّبْــحِ ظَاهِــرٌ
لِعَيْــنِي ولاَ نَجْــمٌ إلَى الغَــرْبِ جَانِــحُ

بِحَقِّكُمَـــا كُفَّـــا المَـــلاَمَ وَسامِحَـــا
فَمــا الخِــلُّ كُــلُّ الخِــلِّ إلاَّ المُسامِــحُ

ولاَ تَعْـــذِلاَنِي وَاعْـــذُرَانِي فَقَلَّمَـــا
يَــرُدُّ عِنَـــانِي عَــنْ عُلَيَّــةَ ناصِـــحُ

كَتَمْــتُ هَوَاهَــا ثُــمَّ بَــرَّحَ بي الأَسَى
وَكَيْــفَ أُطِيــقُ الكَتْــمَ وَالدَّمْــعُ فَاضِــحُ

لِسَاقِيَـــةِ الـــرُّومِيِّ عِنْـــدِي مَزِيَّـــةٌ
وإنْ رَغَمَــتْ تِلْــكَ الــرَّوَاسِي الرَّوَاشِــحُ

فَكَــمْ لِي عَلَيْهــا مِــنْ غُــدُوٍّ وَرَوْحَـــةٍ
تُساعِـــدُنِي فيهــا المُـــنَى وَالمَنائِـــحُ

فَطــرْفٌ عــلى تِلــكَ البَساتيــنِ سَابِــحٌ
وطــرْفٌ إلى تلــكَ المَياديــنِ جامِـــحُ
تَحَــارُ بِهَــا الأذْهـــانُ وَهي ثَواقِـــبٌ
وتَهْفُــوا بِهــا الأحْــلاَمُ وَهي رَواجِـــحُ[1]
ظُبَــاءٌ مَغانيهَــا عَـــوَاطِ عَواطِـــفٌ
وَطَيْــرٌ محانِيهَـــا شَـــوَادِ صَـــوادِحُ
تقَتّلهُـــمْ فِيهـــا عُيـــونٌ نَواظِـــرٌ
وتَبْكِيهُـــمُ مِنْهَـــا[2] عُيُـــونٌ نوَاضِـــحُ
عــلى قَرْيَــــةِ العُبَّـــادِ مِــنّي تَحِيَّـــةٌ
كَمَــا فَــاحَ مــنْ مِسْــكِ اللَّطِيمَــةِ فَائِــحُ
وجَــادَ ثَــرَى تَــاجِ المَعَــارِفِ ديمـــةٌ
تَغُــصٌ بهــا تلــكَ الــرُبَى والأبَاطِــحُ
إلَيْــك[3] شُعَيْــبُ بْــنُ الحُسَيْــنِ قُلوبُنـــا
نَـــوَازِعُ لَكِــنَّ الجُسُـــومَ نَـــوَازِحُ
سَعَيْــت فَمَــا قَصَّــرْت عَــنْ نَيْــلِ غايَــةٍ
فَسَعْيُـــكَ مَشْكــورٌ تَجْــرُكَ رَابِـــحُ

---

[1] في نفح الطيب: ((وهي بَوارحُ)).
[2] نفسه: ((منهم)).
[3] في بغية الرواد: ((إليها)).

نَسيــتُ ومــا أنْـسَى الوَريــطَ ووقفـــةً
أنافـــحُ فيهـــا رَوْضَـــهُ وأفــاوِحُ
مُطِــلاً عــلى ذاكَ الغَديـرِ وقــدْ بَــدَتْ
لإنْســانِ عَيْـني مِــنْ صَفــاهُ صَفائـــح[1]
أمـــاؤكَ أمْ دَمْـعي عَشِيَّــةَ صَدَّقَـــتْ
عُلِيَّـــةُ فينــا مــا يَقـــولُ المُكاشـــحُ[2]
لَئِــنْ كُنْــت مَلآنــاً بِدَمْـعِي طَافِحـــاً
فَـــإنِّي سَكْـــرانٌ بِحُبِّـــكَ طافِـــحُ
وإنْ كــان مُهْــري في تِلاعــكَ سائِحـــاً[3]
فَــذاكَ غَـــزالي في عُبابِـــكَ سابِـــحُ
قِــراحٌ أتَى يَنْصــبُ مِــنْ رَأسِ شَاهِـــقٍ
بِمِثْـــلِ حَـــلاَهُ[4] تُسْتَحَـــثُّ القَرَائِـــحُ
أرَقُّ مِــنَ الشَّـــوْقِ الــذي أنــا كاتِـــمٌ
وأصْــفَى مِــنَ الدَّمْـعِ الــذي أنــا سافِـــحُ

---

[1] في بغيـة الـرواد: (((طفائـح)) بالطـاء.
[2] جاء هذا الشطر في بغية الرواد هكذا: ((عُلِيّـةُ مـا قـال العَـذولُ المُكاشـحُ))
[3] نفسه: ((سابحـاً)).
[4] نفســه: ((جـلاه)).

أمــا وهَــــوَى مــن لا أسَمِّيـــــهِ إنَّــني

لِعــرْضي كمــا قــال النَّصيــحُ لَنَاصِــحُ

أبَعْــدَ صِيــامي واعْتِكــافي وخلْـــوتِي

يُقــالُ فُــلانٌ ضَيِّــقُ الصَّـــــدْرِ بَائِـــحُ

لَبِعْــتُ رَشــادي فِيـــهِ بالْــغَيِّ ضلَّـــــةً

وكــمْ صالِــحٍ مِثْــلي غَــدَا وهــو طالِــحُ

وأيٌّ مَقـــــامٍ لَيْـــس لي فيـــهِ حاسِـــدٌ

وأيٌّ مَقــــالٍ لَيْـــسَ لي فيـــهِ مَـــادِحُ

ألاَ قُــلْ لِفُرْســانِ البَلاَغَــةِ أسْرِجُـــوا

فَقَــدْ جَاءَكُــمْ مِــنِّي المُكَــافِي المُكافِــحُ

أيُخمَّــلُ ذِكْــري عِنْدَهُــمْ وَهْــو نابِـــهٌ

ويُغْمَــطُ شَجْــوِي عندهــم وَهْــو شائِــحُ[1]

بُـــــدورٌ إذا جَــنَّ الظَّــلامُ كَوامِــــلٌ

وَأُسْـــــدٌ إذا لاَحَ الصَّبَــاحُ كَوالِــــحُ

تَركْتُــكَ سُــوق البَــزِّ لا عــنْ تَهــاوُنٍ

وَكَيْــف وظَبْــيٌ سَانِــحٌ فِيــكَ بـــارِحُ

وإنِّي وقَلْـــبِي في وَلاَئِـــكَ طَامِـــعٌ

وناظِــرُ وَهْــمي في سِماطِــكَ طامِـــحُ

[1] جاء هذا الشطر في بغية الرواد هكذا: ((ويُغمَضٌ شَبْحي عندهم وهو شابحُ)).

أيَــا أهْــــلَ وُدِّي والعَشِيـــــرُ[1] مُؤَمَـــــنٌ
أتُقْــضَى دُيُـــوني أمْ غَرِيــمِي فالِـــــحُ

وهَـــلْ ذلـــكَ الظَّــبْيُ النَّصـــاحِيُّ لِلَّـــذِي
يُقَطِّـــعُ مِـــنْ قَلْــبِي بِعَيْنَيْـــــهِ نَاصِـــــحُ

كُنِيــتُ بِهــا عَنْــهُ حَيَـــاءً وحِشْمَــــــةً
ووَجْـــهُ اعْتِــذَارِي في القَضِيَّـــةِ وَاضِـــحُ

وممــا قالـــه أيضـــاً ابـــن خميـــس في تلمســـان وأشواقـــه إليهـــا وحنينــــه لمعالمهـــا ومغنيهـــا؛ هـــذه القصيـــدة[2]:

تلمســـانُ لـــو أن الزّمـــانَ بهـــا يَسْخُـــو
مُنَى النَّفــسِ لا دارُ السَّلامِ ولا الكَــرْخُ

وداري بهـــا الأولى التي حِيــلَ دونَهـــا
مثـــارُ الأسَى لـــو أمْكنَ الحَنِـــق اللَّبـــخُ[3]

وعَهـــدي بهـــا والعُمْـــرُ في عُنْفُوانِـــهِ
ومـــاءُ شَبـــابي لاَ أُجَيْــنٌ ولا مَطْــــخُ[4]

قَـــرارَةُ تِهْيَـــامٍ وَمَغْـــنَى صَبابَــــةٍ
ومَعْهَـــدُ أُنْـــسٍ لا يَلَـــذُّ بِـــهِ لَطْـــخُ

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((المشيـر)).
[2] هـذه القصيـدة موجـودة في نفـح الطيـب، ج: 5. وأزهـار الريـاض، ج: 2.
[3] اللَّبْـخ: الاحتيـال.
[4] المطـخ: هي الرواسـب الباقيـة في حـوض المـاء أو الغديـر.

إذِ الدَّهْــــرُ مَثْــنِيُّ العِنَــانِ مُنَهْنَــهٌ

ولا رَدْعَ يُثْــني من عِنَــاني ولا رَدْخُ[1]

لَيَــالي لا أُصْــغي إلى عَــذْلِ عَــاذِلٍ

كَــأنَّ وُقُــوعَ العَــذْلِ في أُذُنِي صَمَــْخُ[2]

مَعاهِــدُ أُنْـــسٍ عُطِّلَــتْ فَكَأَنَّهَـــا

ظَوَاهِــرُ أَلْفَـــاظٍ تَعَمَّدَهَــا النَّسْــخُ

وأربُــعُ أُلاَّفٍ عَفَـــا بَعْــضُ آيِهَـــا

كَما كانَ يَعْــرو بَعْضَ أَلْواحِنَــا اللَّطْــخُ[3]

فَمَــنْ يَــكُ سَكْرانـــاً مِنَ الوَجْــدِ مَــرَّةً

فَــإنِّي مِنْــهُ طَــولَ دَهْــري لَمُلْتَــخٌّ[4]

ومَــنْ يَقْتَــدِحْ زَنْــداً لِمَوْقِــدِ جَــذْوَةٍ

فَزَنْـــدُ اشْتِيَــاقِي لاَ عَفَــارٌ ولا مَــرْخُ[5]

أَأَنْــسَى وُقُــوفي لاَهِيــاً في عِراصِهَـــا

ولاَ شَاغِــلٌ إلاَّ التَّــوَدُّعُ وَالسَّبْـــخُ[6]

---

[1] أي: لا يلذ بـه ردع.

[2] الصمـخ: خـراج الأذن.

[3] أي: مـا يعلـوا الألـواح مـن الأوسـاخ.

[4] الملتـخٌّ: هو الذي يختلـط عقلـه، بحيث لا يفهم شيئاً كالسكيـر مثـلا.

[5] أي: لا شجـر العفـار ولا شجـر المـرخ. وقد عرفا بسرعة اشتعالهما.

[6] السَّبـخ: هـو الفـراغ.

وإلاَّ اخْتِيـــالِي مَاشِيـــاً فِي سِماطِهَـــا

رَخِيّــاً كمــا يَمْــشي بُطُرَّتِــهِ الــرُّخُّ[1]

وإلاَّ فَعَــدْوِي مِثْلُمَــا يَنْفِــرُ الطَّــلاَ

وَليداً وَحَجْــلِي مِثْلُمــا يَنْهَــضُ الفَــرْخُ[2]

كَــأنِّي فيهــا أرْدَشِيــرُ بْــنُ بَابِــكٍ

ولاَ مُلْــكَ لي إلاَّ الشَّبيبَــةُ والشَّــرْخُ[3]

وإخْــوانُ صِــدْقٍ مــن لِــداتي كَأنَّهُــمْ

جَــآذِرُ رَمْــلٍ لا عِجَــافٌ ولا بُــزْخُ[4]

وُعَــاةٌ لِمــا يُلْــقَى إلَيْهِــمْ مِنَ الهُــدَى

وعَــنْ كُــلِّ فَحْشَــاءٍ وَمُنْكَــرَةٍ صُلْــخُ[5]

هُمُ القَــوْمُ كُلُّ القَــوْمِ سِيَّــانَ في العُــلاَ

شَبَابُهُــمُ الفُرْعَــانُ والشِّيخَــةُ السُّلْــخُ[6]

مَضَــوْا ومَضَى ذاكَ الزَّمــانُ وأُنْسُــهُ

وَمَــرَّ الصِّبَا والمَالُ والأهْــلُ والبَــذْخُ[7]

---

[1] اسم خرافي لأحد الطيور الضخمة.
[2] الفرْخ؛ جمعها فِراخ: وهو ولد الطائر. وكل صغير من النبات أو الحيوان.
[3] الشرخ: أول الشباب وريعانه.
[4] البزخ: تشوه في الجسم؛ يكون فيه الظهر غائراً والصدر خارجاً.
[5] صُلخ؛ مفردها أصلخ: أي منتهى البكم والطّرش.
[6] السلخ: شديد الصلع والحمرة.
[7] البذخ: الشموخ والعلو والتفاخر والتكبر.

كَــأنْ لم يكُــنْ يومــاً لأقْلامِهِــمْ بهــا

صَرِيــرٌ ولَــمْ يُسْمَــعْ لأَكْعُبِهِــمْ جَبْــخُ[1]

ولَــمْ يَــكُ في أرْواحِهــا مِــنْ ثَنائِهِــمْ

شَميــمٌ ولا في القُضْبِ مِنْ لِينِهِمْ مَلْــخُ[2]

ولا في مُحَيَّا الشَّمْسِ مِنْ هَدْيِهِــمْ سَنــاً

ولا في جَبِيــنِ البَدْرِ مِنْ طِيبِهِمْ ضَمْــخُ[3]

سَعَيْتُــمْ بَنِي عَمُّــور في شَــتِّ شَمْلنــا

فما تَجْرُكُــمُ رِبْــحٌ ولا عَيْشُنــا رَبْــخُ[4]

دُعيتُــمْ إلى ما يُرْتَــجَى من صَلاحِكُــمْ

فَرَدَّكُــمُ عنــه التَّعَجْــرُفُ والجَمْــخُ[5]

تَعالَيْتُــمُ عُجْبــاً فَطَــمَّ عَلَيْكُــمُ

عُبــابٌ لــه في رأسِ عَلْيائِكُــمُ جَلْــخُ[6]

وَأوْغَلْتُــمُ في العُجْــبِ حــتى هلكتُــمُ

جمــاحَ غُــواةٍ مــا يُنَهْنِهُهُــمْ قَفْــخُ[7]

---

[1] أي لم يسمـع لأكعبهم جولـة في الميسر.

[2] الملـخ: اللين والتثني والتغنـج بانكسـار.

[3] الضمـخ: المبالغـة في تلطيـخ الجسم بالطيـب؛

[4] ربـخ: وقـع في الشدائـد.

[5] أي التعجرف والتكبر.

[6] جَلَخَ جلخاً السيل: اكتسح وكسر حرفيه. وعند هذا البيت انفقطع الاقتباس في أزهار الرياض؛ أين علق المقري قائلاً: ((وهي طويلة جداً؛ ألمَّ فيها بمدح سبتة وملوكها من بني العزفي)).

[7] أي: ضرب على الرأس.

كَفاكُــمْ بها سِجْنــاً طويــلاً وإنْ يَكُــنْ

هَــلاَكٌ لَكُــمْ فيهــا فَــهْيَ لَكُــمْ فَــخٌّ[1]

فَكَــمْ فِئَــةٍ مِنَّــا ظَفَرْتُــمْ بِنَيْلِهــــا

بِأبْشارِهــا من حُجْــنِ أظْفارِكُــمْ بــرخُ[2]

كأنَّكُـــمْ مــن خَلْفِهــــا وأمَامِهـــا

أسُــودُ غِيــاضٍ وَهْي مــا بَينِكُــمْ أرْخُ[3]

فَلِلسُّــوقِ منها القَيْــدُ إنْ هِي أغْرَبَــت

وَلِلْهَــامِ إنْ لمْ تُعْــطِ ما رَعَــتِ النَّقْــخُ[4]

كــأنَّ تَحْتَهــا من شِّــدَّةِ القَلَــقِ القَطَــا

ومنْ فَوْقِهــا من شِــدَّةِ الحُــذْرِ الفُتْــخُ[5]

وَأقْــرَبُ ما تَهْذي به الهُلْــكُ والتــوَى

وأيْســر ما تَشكــو بــه الــذُّلُّ والفَنْــخُ[6]

فمــاذا عَــسَى نَرْجــوهُ من لَمِّ شَعْثِهــا

وقد حُــزَّ منها الفَــرْعُ واقْتُلِــعَ الشَّلْــخُ[7]

---

[1] أي كمين أو جهاز للصيد.
[2] البرخ: قطع اللحم.
[3] الأرخ: فتِيُّ البقر.
[4] النقخ: الضرب على الهام.
[5] الفتخ؛ جمع فتخاء: وهي صفة من صفات العقاب.
[6] الفنخ: شج الرأس بالعصا.
[7] أي الأصل.

وما يُطْمِــعُ الرَّاجــون من حِفِــظِ آيهــا

وقـــد عَصَفَــتْ فيهـــا رِياحُهُــمُ النَّبْــخُ[1]

زَعانِـــــفُ أنْكـــــادٌ لِئـــامٌ عَناكِـــــلٌ

مَتَى قَبَضُــوا كَفــاً على إثْــرِهِ طخُّــوا[2]

ولمّـــا اسْتَقَلُّــوا من مَهــاوي ضَلالِهــمْ

وأوْمَــوْا إلى أعْــلامِ رُشْدِهِــمُ زَخُّــوا[3]

دَعاهُــمْ أبُو يَعْقُــوبِ لِلشَّــرَفِ الــذي

يُـــذَلُّ لـــه رضْـــوَى ويَعْنُــو له دمْــخُ[4]

فلــم يَسْتَجِيبُـــوهُ فَذاقُـــوا وبَالَهَــمْ

وما لامْــرِئٍ عــنْ أمْــرِ خالقِــه نَــخُّ[5]

ومـــا زِلْــتُ أدْعُــو لِلْخُــروجِ عَلَيْهِــمُ

وقَدْ يسمعُ الصُّــمُّ الدُّعــاء إذا أصْخَــوا[6]

وأبْـــذُلُ في اسْتِئْصالِهِــمْ جَهْــدَ طاقَــتِي

ومَـــا لِظَنابِيـــبِ ابــنِ سابِحَـــةٍ قفْــخُ[7]

---

[1] أي الغليظة.

[2] طخ الشيء: رماه بعيداً من يده.

[3] أي: باندفاع.

[4] دمخ: اسم جبل يتواجد بنجد. وكذلك رضوَى المتواجد في الحجاز.

[5] النخ: السير العنيف.

[6] أي إذا صوتوا بصوت شديد.

[7] الظنابيب؛ مفردها ظنبوب: وهو عظم الساق. والقفخ: هو الكسر والشدخ.

تَرَكْتُ لِمينَا سَبْتَةٍ كُلَّ نُجْعَةٍ

كَما تُرِكَتْ لِلْعِزِّ أهْضَابُها الشُّمْخُ[1]

وآليتُ أنْ لاَ أرْتَوي غَيْر مائِها

وَلَوْ حَلَّ لي في غَيْرِهِ المَنُّ والمَذْخُ[2]

وأنْ لا أحُطَّ الدَّهْر إلاّ بِعُقْرِهَا

ولَوْ بَوَّأتْني دَارَ إمْرَتِهَا بَلْخُ[3]

فكمْ نَقَعَتْ من غُلَّةٍ تِلْكُمُ الأضَا

وكمْ أبْرَأتْ من عِلَّةٍ تِلْكُمُ اللَّبْخُ[4]

وحَسْبِي مِنْها عَدْلُها واعْتِدالُها

وأبْحُرُها العُظْمى وأرْيافُها النُّفْخُ[5]

وأملاكُها الصِّيدُ المقاوِلَةِ الأُلَى

لِعِزِّهُمُ تَعْنُو الطَّراخِمَةُ البُلْخُ[6]

كَواكِبُ هَدْيٍ في سَماءِ رِئاسَةٍ

تُضِيءُ فما يَدْجو ضَلالٌ ولا يَطْخُو[7]

---

[1] في نفح الطيب. ((أهضامها شمخ)). وهنا استمرّ الاقتباس في أزهار الرياض بعد الانقطاع.

[2] ضرب من العسل يمتصه الناس من جلنار الرمان البري.

[3] بلخ مدينة، بالقرب من مزار شريف بأفغانستان. وهي اليوم ولاية.

[4] الطراخنة: هم المتكبرون. واللبخ: ضرب من الشجر ذي المنفعة الطبية. الطبية.

[5] أي: أريافها الخصبة. يقال: نفخة الربيه: بمعنى خصبه وازدهاره وإعشابه.

[6] أي: المتكبرون والمتعجرفون.

[7] يقولون: طخا الضلال: أي اشتدت ظلمته.

ثَواقِــبُ أَنْــوارِ تُــرِي كُــلَّ غامِــضٍ
إذا النَّــاسُ في طَخْيَــاءِ غَيِّهِــمُ الْتَخُّــوا[1]

ورَوْضَــاتُ آدابِ إذا مــا تَأَرَّجَــتْ
تَضَــاءَلَ في أَفْيــاءِ أَفْنانِهــا الرِّمْــخُ[2]

مجامِــرُ نَــدٍّ في حَدائِــق نَرْجَــسٍ
تَنِــمٌّ ولا لَفْــحٌ يُصِيــبُ ولا دَخٌّ[3]

وأَبْحُــرُ عِلْــمٍ لا حِيــاضُ رِوايَــةٍ
فَيَكْبُرُ منها النَّضْــحُ أو يَعْظُــمَ النَّضْــخُ[4]

بنــو العَزَفِيِّــنَ الأُلَى مــن صُدُورِهِــمْ
وأَيْدِيهِــمُ تُمْــلاَ القَراطِيــسُ والطُّــرْخُ[5]

إذا مــا فَــتًى منهــمْ تَصَــدَّى لِغايَــةٍ
تأخَّــر من يَنْحُــو وأَقْصَــر من يَنْخُــو[6]

رِئاسَــةُ أَخْيــارٍ ومُلْــكُ أَفاضِــلٍ
كِرامٍ لَهُــمْ في كُــلِّ صالِحَــةٍ رَضْــخُ[7]

---

[1] أي في ظلمة غيّهم الشديدة اضطربوا
[2] أي: في ظلال أفنانها الملتفة.
[3] الدخ: الدخان.
[4] النضخ: أثر الطيب العالق في الثوب وغيره.
[5] الطُّرخ؛ مفردها طرخة: الأحواض.
[6] أي: من يتعاظم ويفتخر.
[7] أي عَطَاءُ نَوَّال.

إذا مــا بــدَا مِنّــا جَفــاءٌ تَعَطَّفُــوا

عَلَيْنــا وإنْ حلَّــتْ بِنــا شِّــدَّةٌ رَخُــوا[1]

نَزورُهُــمْ حُـــذّاً[2] نِحافــاً فَتَنْثَــنِي

وَأجْمالُنــا دُلْــحٌ[3] وأبْدانُنــا دُلْــخُ[4]

يُرَبّونَنــا بالعلــمِ والحِلْــمِ والنُّــهَى

فمــا خرجْنــا بَــزٌ ولا حَدُّنــا بَــرْخُ[5]

وما الزُّهْــدُ في أمْلاكِ لَخْــمٍ ولا التُّــقَى

بِبِــدْعٍ ولِلدُّنْيــا لُــزُوقٌ بمــنْ يَرْخُــو[6]

وإلاَّ فَــفِي رَبِّ الخَوَرْنَــقِ[7] غُنْيَــةٌ

فمــا يَوْمُــهُ سِــرٌ ولا صِيتُــهُ رَضْــخُ[8]

تَطَلَّــعَ يَوْمــاً والسَّدِيــرُ أمَامَــهُ

وقدْ نــالَ مِنهُ العُجْبُ ما شــاءَ والجَفْــخُ[9]

---

[1] أي لانـوا.

[2] أي ضمـر.

[3] الدلـح؛ مفردهـا الدلـوح: وهـو المتثاقل بسبـب نقـل حملـه.

[4] أي سميـن.

[5] البـز: هـو الابتـزاز. والبـرخ: القهـر.

[6] يرخـو: يليـن.

[7] الخورنـق: قصـر أسطـوري بـنـي للنعمـان بن امرئ القيس اللخمي

[8] الرضـخ هنـا: خبـر غيـر مؤكـد.

[9] الجفـخ: الفخـر والتكبـر.

وَعَــنَّ لَــهُ مــنْ شِيعَــةِ الحَــق قائِــمٌ

بِحُجَّــةِ صِــدْقٍ لا عَبَــامٌ ولا وَشْــخُ[1]

فأصبــحَ يَجْتَــابَ المُســوحَ[2] زَهــادَةً

وقدْ كانَ يُــؤْذي بَطْــنَ أخْمَصِــهِ النَّــخُّ[3]

وفي واحِــدِ الدُّنْيــا أبي حاتِــمٍ لَنــا

دواءٌ ولكــنْ مــا لأدْوائِنــا نَتْــخُ[4]

تَخَــلَّى عَــنِ الدُّنْيــا تَخَــلِّي عَــارِفٍ

يَــرَى أنَّهــا في ثــوبِ نخوَتِــهِ لَتْــخُ[5]

وأَعْــرَضَ عَنْهــا مُسْتَهِينــاً بِقَدْرِهــا[6]

فلمْ يُثْنِــهِ عَنْهَــا[7] اجْتِــذابٌ ولا مَصْــخُ[8]

فكانَ لــه من قَلْبِهــا الحُــبُّ والهَــوَى

وكانَ لهــا من كَفِّــهِ الطَّــرْحُ والطَّــخُّ[9]

---

[1] العبام: العيّ الثقيل. الوشخ. الرديء الضعيف

[2] المسوح: ضرب من ثياب الزهاد الغليظة؛ تصنع من الشعر.

[3] النخ: ضرب من البسط.

[4] النتخ: الانتزاع.

[5] أي لطخة أو بقعة في ثوبه.

[6] في نفح الطيب: ((لقدرها)).

[7] في أزهار الرياض: ((منها)).

[8] المصخ: شد ونزع أي شيء وجذبه من من داخل أي شيء.

[9] الطخ: قذف الشيء ورميه بعيداً.

وما مُعْــرضٌ عَنْهــا وَهِيَ في طِلابِــهِ

كَمَــنْ في يَدَيْــهِ مــن مُعاناتِهــا نَبْــخُ[1]

ولا مُــدْرِكٌ مــا شــاء مــنْ شَهَواتِهــا

كَمَــنَ حَظُّــهُ منهــا التَّمَجُّــعُ والنَّجْــخُ[2]

ولكنَّــا نَعْــمى مِــراراً عَــنِ الهُــدَى

ونَصلَــجُ حــتَّى مــا لآذانِنــا صُمْــخُ[3]

وما لامْرِئٍ عَمَّــا قَــضَى اللهُ مَزْحَــلٌ

ولا لِقَضــاءِ اللهِ نَقْــضٌ ولا فَسْــخُ

أبــا طالِــبٍ لــمْ تَبْــق شيمَــةُ سُــؤدُدٍ

يُســادُ بِهــا إلاَّ وأنْــت لهــا سِنْــخُ[4]

لسوَّغْــت أبْنــاءَ الزَّمــانِ أياديــاً

لدِرَّتِهــا في كــل سامِعَــةٍ شَــخٌّ[5]

وأجْرَيْتَهــا فيهــمْ عَوائِــدَ سُــؤْدَدٍ

فما لهــمْ كَسْــبٌ سِواهــا ولا نَــخٌّ[6]

---

[1] النبخ: قروح تصيب اليد جراء العمل.
[2] التمجع: الاكتفاء بأكل خفيف كالتمر واللبن. والنجخ: التخمة والسأم.
[3] أي: نصاب بالصمم حتى تفقد آذاننا صماخها.
[4] أي أصل.
[5] الشخ: صوت اللبن (الشخب) عند خروجه من الضرع.
[6] النخ: السير العنيف. وسق الإبل وزجرها.

غَذَتْهُـمْ غواديهـا فَـهِي في عُروقِهِـمْ
دِمـاءٌ وفي أعمـاقِ أعْظُمِهِـمْ مُـخُّ[1]
وعَمَّتْهُـمُ حَزْنـاً وسَهْـلاً فأصبَحُـوا
ومَرْعاهُـمُ وَزْخٌ ومَرْعِيُّهُـمْ وَلْـخُ[2]
بَـني العَزَفِيِّيـنَ ابْلُغُـوا مـا أرَدْتُـمُ
فمـا دونَ ما تَبْغُـونَ وحْـلٌ ولاَ زَلْـخُ[3]
ولاَ تَقْعُـدُوا عَمَّـنْ أرادَ سِجالَكُـمْ
فَما غَرْبُكُمْ جُـفٌّ ولاَ غرْفَكُـمْ وَضْـخُ[4]
وخَلُّـو وراءَ كُـلَّ طالِـبِ غايَـةٍ
وتيهُـوا على مَنْ رامَ شَأوَكُـمُ وانْخُـوا[5]
ولا تَـذَروا الجَـوْزاءَ تَعْلُـوا عَلَيْكُـمُ
فَفي رَأسِهـا من وَطْءِ أسْلافِكُـمْ شَـدْخُ[6]
لأَفْـواهِ أعْـدائي وأعْيُـنِ حُسَّـدي
إذا جُلِيَـت خَائِيَـتِي الغضُّ[7] والفَضْـخُ[8]

---

[1] المـخ: (النخـاع).
[2] الوزخ: ضـرب مـن الشجـر. والولـخ: العشـب الطويـل.
[3] الزلـخ: المزلقـة بسبـب الوحل والطيـن وغيـره..
[4] الغـرب، والجـف: الدلو العظيمـة. والغـرف: انتشال المـاء. وضخ: قليل.
[5] أي: افتخـروا وتعاظمـوا.
[6] أي: كسـر.
[7] في أزهـار الريـاض: ((الغـصُّ))؛ بالصـاد المهملـة.
[8] أي: الكسـر والشـدخ

دَعُوهَـــا تَهـــادَى فِي مُـــلاَءَةِ حُسْنِهـــا

ففِي نَفْسِهـــا مِنْ مَـــدْحِ أَمْلاَكِهـــا مـــدْخُ[1]

يَمانِيَّـــةٌ زارَتْ يَمانِيـــنَ فَانْثَنَـــتْ

وقَدْ جَدَّ فيها الزَّهْـوُ واسْتَحْكَـمَ الزَّمْـخُ[2]

وقـــال في قصيـــدة أخـــرى[3]:

إِنْ كُنْــت تَجْهَــلُ أَنَّــنِي لا أَرْقُــدُ

فَاسْــأَلْ يُخَبِّــرْكَ السُّــهَى والفَرْقَــدُ[4]

وإِن اتَّهَمْتَهُمَـــا لِبَعْـضِ تَناسُـــب

بَيْــنِي وبَيْنَهُمَـــا فَطَيْفُــكَ يَشْهَـــدُ

ولقَــدْ أَبِيــتُ اللَّيْــلَ لا أَدْرِي بِـــهِ

نَوْمـــاً كَمــا بـــاتَ السَّلِيــمُ الأرْمَــدُ

أَرْعَى كَواكِبَـــهُ وأَرْقُـــبُ صُبْحَـــهُ

والصُّبْـــحُ أَنْـــأَى مِنْ هَـــوَايَ وَأَبْعَـــدُ

فَـــرْداً أُكابِـــدُ لَوْعَـــتِي وظَلاَمَـــهُ

حَـــتَّى يَقُـــومَ لِـــوِرْدِهُ المُتَهَجِّـــدُ

---

[1] أي: عظمـة.

[2] أي استحكم الكبر والشمـوخ.

[3] وردت هـذه القصيـدة في بغيـة الـرواد في ذكر الملوك من بـني عبـد الـواد، ج: 1. 1.

[4] السُّهَى: كوكـب مـن بنـات نعش الصغـرى. والفرقـد: نجـم قريـب مـن القطـب القطـب الشمـالي. وثمـة نجـم آخـر بجانبـه خفـي؛ فسميـا: الفرقـدان.

بَـــانَ الخَلِيـــطُ وبَـــانَ   قَلْـــبِي إِثْـــرَهُ
سَحـــراً كَمـــا زَعَـــمَ الغُرابُ الأسْـــوَدُ
وتَبايَنَـــتْ أغْراضُنُـــــا وجُسومُنُـــــا
فَالجِسْـــمُ يُتْهَـــمُ والعَزيمَـــةُ تُنْجَـــدُ
وكَـــذاكَ ما صحْـــبي الذيـــنَ أَلِفْتُهُـــمْ
إلاَّ سُـــرَايَ وَعَزْمَـــتِي والفَرْقَـــــدُ
ونَهَضْـــتُ لَـــوْ وافَى نُهُـــوضِي قُـــوَّةً
مِـــنِّي وساعَـــدَني الشَّبـــابُ المُسْعِـــدُ
لاَ تَعْجَبَـــنَّ لِعَزْمَـــتِي وَتَثَبُّـــــطِي
فَالشَّـــوْقُ يُنْهِـــضُ وَالزَّمانَـــةُ تُقْعِـــدُ
أَوْدَى صِباي وَغَـــاضَ مـــاءُ نَعيمِـــهِ
وَذَوَى قَضِيـــبُ قِـــوَامِي المُتَـــــأَوِّدُ
وَأَتَى المَشِيـــبُ يَـــزُورُني مُتَفَقِّـــداً
وَالشَّيْـــبُ أَبْغَـــضُ زَائِـــرٍ يَتَفَقَّـــــدُ
وَلَّى الشَّبـــابُ وَشَرْخُـــهُ، لَمْ يَبْـــقَ لِي
بَعْـــدَ الشَّبَـــابِ وَشَرْخِـــهِ مَـــا أَفْقِـــدُ

خَلَّتْ شَـوَاتِي رُبْـدَةُ الشَّعْـرِ[1] الـتي
وَلَّـتْ كَمـا خـلَّى لَبِيـداً أرْبُـدُ[2]
وَتَكاءَدَتْـنِي رَيْثَـةٌ لَـمْ أدْرِهَـا
في نَهْضَـتِي، ولِكُـلِّ شَيْءٍ مَوْعِـدُ

وقـال أيضـاً[3]:

نظـرتُ إليـكَ بِمثـلِ عَيْنَيْ جُـؤذَرِ
وتَبَسَّمَـتْ عن مِثْـلِ سِمْطَيْ جَوْهَـرِ
عـنْ ناصِـعٍ كالـدُّرِّ أو كالبَـرْقِ أوْ
كالطَّلْـعِ أو كالأُقْحُـوَانِ مُؤَشَّـرِ
تَجْـرِي عَلَيْهـا[4] مِـنْ لَماهـا نُطْفَـةٌ
بـلْ خَمْـرَةٌ لَكِنَّهـا لَـمْ تُعْصـرِ
لـوْ لمْ يَكُـنْ خَمْـراً سُلافـاً رِيقُهـا
تُـزْرِي وتَلْعَـبُ بالنُّـهَى لمْ تُحْظَـرِ

---

[1] ربـدة الشعـر: غبرتـه وميلـه إلى لـون الرمـاد.
[2] لبيـد: أحـد شعـراء المعلقـات؛ دخـل الإسـلام في شيخوختـه. أمـا أربـد فهـو أخـوه؛ هلـك بصاعقـة؛ أحرقتـه بعـد يـوم أو يومين مـن الخطبـة الـتي هاجـم فيهـا لبيد الإسـلام. فاعتبر ذلـك سخطـاً مـن اللـه؛ فرحـل إلى رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم، ودخـل الإسـلام.
[3] وردت هـذه القصيـدة في بغيـة الـرواد في ذكـر الملـوك مـن بـني عبـد الـواد، ج: 1. ونفـح الطيـب مـن غصـن الأندلـس الرطيـب، ج: 5. وأزهـار الريـاض في أخبـار عيـاض، ج: 2.
[4] في نفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض: ((عليـه)).

وكَـــذاكَ سَـــاجِي جَفْنِها لَـــوْ لمْ يَكُــنْ

فيـــهِ مُهَنَّـــدُ لَحْظِهـــا لَـــمْ يُحْـــذَرِ

لَوْ عُجْتَ طَرْفَــكَ في حَدِيقَـــةِ خَدِّهَـــا

وأمِنْــتَ سَطْـــوَةَ صُدْغِهـــا المُتَنَمِّـــرِ

لَرَتَعْــتَ مِـــنْ ذاكَ الحِـــمَى في جَنَّـــةٍ

وكَرَعْــتَ مِنْ ذَاكَ اللَّـــمَى في كَوثَـــرِ

طَرَقَتْــكَ وَهْنـــاً والنُّجـــومُ كَأَنَّهـــا

حَصْبَـــاءُ دُرٍّ في بِســـاطٍ أخْضَـــرِ

والرَّكْـــبُ بيـــنَ مُصَعِّـــدٍ ومُصَـــوِّبٍ

والنَّـــوْمُ بيـــنَ مُسَكِّـــنٍ ومُنَفِّـــرِ

بَيْضـــاً إذا اعْتَكَرَتْ ذَوائِـــبُ شَعْرِهَـــا

سَفَـــرَتْ فَـــأزْرَتْ بالصَّبَـــاحِ المُسْفِـــرِ

طَرَحَـــتْ[1] غَلائِلَهَـــا فَقُلْـــتُ سَبيكَـــةٌ

مِـــنْ فِضَّـــةٍ أوْ دُمْيَـــةٌ مِـــنْ مَرْمَـــرِ

مَنَحَتْـــكَ مـــا مَنَعَتْـــكَ يَقْظَانـــاً فَلَـــمْ

تُخْلِـــفْ مَواعِدَهـــا ولَـــمْ تَتَغَيَّـــرِ

وكَأنَّمـــا خافَـــتْ بُغَـــاةَ وُشَاتِهَـــا

فَأتَتْـــكَ مِـــنْ أرْدَافِهَـــا في عَسْكَـــرِ

---

[1] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((سرحت)).

وَبِجِــزْعِ ذاكَ المُنْحَــنَى أدْمانَـــةٌ

تَعْطُــو فَتَسْطُــو بِالْهِزَبْــرِ القَسْــوَرْ

وتَحِيَّـــةٌ جاءَتْــكَ في طَيِّ الصَّبَــا

أذْكَى[1] وأعْطَــرُ مِــنْ شَمِيــمِ العَنْبَــرِ

جَــرَّتْ عَلَى وَاديــكَ فَضْــلَ رِدائِهَــا

فَعَرَفْــت فِيــهِ عَــرْفَ ذَاكَ الإذْخِــرِ

هَاجَــتْ بَلابِــلَ نــازِحٍ عــنْ إلْفِــهِ

مَتَشَــوِّقٍ ذَاكِي الحَشَــا مُتَسَعِّــرِ

وإذا نَسيــتِ لَيــالِي العَّــدِ الــتي

سَلَفَــتْ لَنــا فَتَذَكَّرِيهــا تَذْكُــرِي

رُحْنَــا تُغَنِّينَــا وَنَرْشُــفُ ثَضغْرَهَــا

وَالشَّمْسُ تَنْظُــرُ مِثْلَ عَيْــنِ الأَخْــزَرِ

والــرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضَّــضٍ وُمُعَسْجَــدٍ

الجَــوُّ بَيْــنَ مُمَسَّــكٍ وَمُعَصْفَــرِ

ومــن شعــره أيضــاً قولــه[2]:

سَحَّتْ بساحِكَ يا مَحَلَّ الأدْمُــعِ

وتَصَرَّمَتْ سَفاً عَلَيْكَ الأضْلُــعُ

---

[1] في أزهار الرياض: ((أزوكى))؛ بالزاي.

[2] هذه القصيدة موجودة في الإحاطة.

وَلَطالَما جَادَتْ ثَرَى الأمالُ مِــنْ

جَاوِي مُؤمّلكِ الغَيُــوثِ الهُمَّــعُ

لِلَّـــهِ أيَّـــامٌ بِهَــا قضيتُهــا[1]

قَدْ كُنْـــتُ أعْلَمُ أنّها لا تَرْجِــعُ

فَلَقَدْ رَشَفْتُ بها رُضابَ مُدامَــةٍ

بِنَسيمِ أنْفاسِ البَديــعِ تُشَعْشِــعُ

في رَوْضَةٍ يُرْضيكَ منها أنَّهــا

مَرْعَى لأفْكارِ النِّدَام[2] ومَشْــرَعُ

تَجْري بها فقرٌ سكَنْت[3] رهانهــا

أجْــدَى بمَيْــدانِ الكَلامِ وأسْرَعُ

فقُــرٌ كَريعانِ الشَّبابِ وعَهْدُنــا

بِجَنابِها وَهو الجَنَــابُ الأمْنَــعُ

نُفاثَــةُ الأنْواءِ في عقْدِ الثَّــرَى

والنَّفْثُ في عقْد الثَّرَى لا يَمْنَــعُ

حتَّى إذا حاكَ الرَّبيــعُ بُرُودَهــا

وكَســا رُباهَــا وشْيَــهُ المُتَنَوِّعُ

---

[1] لعلها: ((فقضيتها)).

[2] في نص: ((الندامى)).

[3] في نص: ((كميت)).

بَدَأَتْ كَمائِمُ زَهْرِها تُبْـدِي بِهـا

بِدَعـاً تُفَـرِّقُ تَـارَةً وتُجَمِّـعُ

قَدْ صُمَّ مِنْهَـا ما تَجَمَّعَ مُغْلَـق

إذْ بُتَّ مِنْها ما تَفَـرَّق مُصْقِـعُ

وَكِلاهُمـا مَهْمـا أرَدْت مُسالِـمٌ

وَمُحـارِبٌ ومُؤَمِّـنٌ وَمُـرَوِّعُ

كُلٌّ لَـهُ شَرْع البَيـانِ مُحَلِّـل

المُنْكَـر في مثْلِ هـذا مُدْفَـعُ

حيثُ ازْدَهَتْ أنْوارُ كُلِّ حَديقَـةٍ

أدَبـاً يُنظِّـمُ تَـارَةً ويُسْجَـعُ

فَمُرَجَّـلٌ منْ رَقْمِهـا ومُهَلَّـلٌ

ومُسَمَّـطٌ من نَظْمِهـا وَمُصَرَّعُ

أبْدَى البَديعَ بها بَدائِـعَ صُنْعِـهِ

فَمُجَنَّـسٌ ومُبَـدَّلٌ ومُرَصَّـعُ

ومُوَشَّـحٌ ومُرَشَّـحٌ ومُصَـدَّرٌ

ومُكَـرَّرٌ ومُفَـرَّعٌ ومُتَـبَّـعُ

كلُّ بـروقُ بها حُسْنُ[1] رُوائِـهِ

وإذا تُزِينُ به كَلامَـك تبْـرعُ

---

[1] في طبعة عنان من الإحاطة: ((بحسن)).

ولقدْ غدَوْت بهـــا وفي وكَناتِهـــا
طَيْرٌ لها فَوْق الغُصُون تُرَجِّــعُ
بِمُطَهَّــمِ الفِكْــرِ الذي ما إنْ لَهُ
إلاَّ بِمُسْتَــنِّ الأدِلَّـــــةِ مَرْتَــعُ[1]
قَيْــدُ المطالِــبِ لا نزالُ نُحيُّــهُ
بَيْــنَ الجِيادِ لِعَتْقِــهِ أو يُوضِــعُ
أرْمِي بـــه الأمَــدَ البَعيــدَ وإنَّهُ
حمِلٌ يضلُّ به الدَّلِيل الأصْمَــعُ
مِنْ بَعْدِ ما عَفَتِ السَّوارِي سُبْلَهُ
وَمَحَتْ مَعالِمَهُ الرِّياحُ الأرْبَــعُ[2]
لَكِنَّني جَــدَّدْتُ دَاثِــر رَسْمِــهِ
فَطَرِيقهُ منْ بعــدِ ذلــكَ مَهْيَــعُ[3]

---

[1] في نص: ((مصرع)).
[2] هي رياح: الشمال والجنوب والصبا والدبور. والرياح الأربع التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ سورة الحاقة، الآية: 6. ثم: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾. سورة الذاريات، الآية: 41. ثم: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾. سورة الأنبياء الآية: 81. ثم: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾. سورة يوسف؛ الآية 94.
[3] المهيع؛ جمعه مهايع: الطريق الواسع الواضح.

أوْضَحْت فهــمَ حُدودِهِ وضُرُوبِهِ
والكُــلُّ في كلِّ المَسالِكِ يَنْفَــعُ
حتّى ورَدْتُ منَ السَّماعِ مَوارداً
فيها لِظَمْــآنِ المَباحِثِ مكْــرعُ
مَعَ كُلِّ مَصقولِ الذَّكاءِ فَحَدْسُــهُ
لذَكاء أسْــرارِ الطَّبائعِ مَطْلَــعُ
يَرْتادُ من نَجْعِ العَناصرِ نَجْعَــة
فيها مَصيفٌ لِلْعُقــولِ ومَرْبَــعُ
لاَ شَيْءَ أبْدَع منْ تَجاوُرِها وما
يُبْــدَى بها ذاكَ التَّجــاوُر أبْــدَعٌ
فإذا تَشَعْشَعَ مَزْجُها أوري بهــا
نار الحَباحِبِ مَرْجَها المُتَشَعْشِــعُ
فَمَكِيــنُ سِــرِّ حَياتِهِ بِحُبابِهــا
منْ بَعْدِ قَدْحِ زِنادِهــا مُستَــوْدَعُ
وهُنا تُفــاضُ عليهِ صورَتِهِ التي
لِبَهائِها شُــمُّ الطَّبائِــعِ تَخْضَــعُ
منْ واهِبِ الصُّور التي قد خصَّهــا
ببَديعِ حِكْمَتِــهِ الحَكيمُ المُبْــدِعُ
رَبٌّ لَهُ في كُــلِّ شَيْءٍ حِكْمَــةٌ
يَقْضِي بها البَــدْعِيَّ والمُتَشَــرِّعُ

وحَلَلْتُ منْ أرْضِ الرِّياضَةِ أرْبُعــاً
نَفْسي الفِداءُ لها وهَذِي الأرْبَــعُ
قامَــتْ زَوَاياهــا فَما أوْتادُهــا
إلاَّ تُقَــوِّمُ مــا تُقيــمُ الأضْلُــعُ
وتَناسُــبٌ أقْدارُها نِسَبــاً لَهــا
لَوْ كُنْتَ تُبْصِرُهــا فُــروعٌ فُرَّعُ
فأجَــلّ مــا قدْ سَمَتْهُ بحُلولِهــا
منْ بارِقٍ لجَنــابَ رُشْدِي يَلْمَعُ
لاَ شَــكَّ أنَّ وَراءَهُ مَطَــراً لَــهُ
في كُلِّ ضَرْبٍ مِنْ قِياسِي موقعُ
بَحْــرٌ رَوِيٍ مُتْــرَعٌ مَلاَّحُــهُ
منْ فَيْضِهِ هَذا الرَّوِيِّ المُتْــرَعُ
لم لاَ أضيعُ بها عِهــادَ مَدامِعي
إنِّي إذاً لِعُهُودِهــا لَمُضيِّــــعُ
خِلِّيَّ لوْ لمْ تُسْعِداني في البُكَــا
لَقَطَعْتُ منْ حَبْلَيْكما ما يُقْطَــعُ
أرَأيْتُما نَفْســاً تُفــارِقُ جِسْمَهــا
وبــهِ تَنَعُّمُهــا ولاَ تَتَوَجَّـــعُ
عَظُمَــتْ رَزِيَّتُهــا وَأيّ رَزِيَّــةٍ
ظَلَّــتْ لَهــا أكْبادُنــا تَتَصَــدَّعُ

هَذي حَمامُكَ يا عليٌّ سَواجِـعٌ

وأخَالُهَـا أسَفاً علَيْهَـا تُسْجَـعُ

إنْ طَارَحَتْنِي ورقُهـا فَبِأضْلُعِي

شَوْقٌ يُطارِحُهُ ادِّكَـارٌ مُوجِـعُ

آهِ على جِسْمِي الـذِي فَارَقْتُـه

لاَ كُنْتُ مِمَّنْ جِسْمُهُ لاَ يَرْجِـعُ

ومِنَ العُجابِ رُجوعُ ما أودى بـه

دَهْـرٌ بِتَشْتِتِ[1] الأحِبَّـةِ مُولَـعُ

الجُـورُ منهُ إذا استَمَرَّ طَبيعَـةٌ

والعَدْلُ منهُ إذا استَقـامَ تَطَبُّـعُ

هَذي عُقوبَـةُ زَلَّـةٍ سَلَفَتْ بهـا

مِنْ أكْلِ طُعْمَتِهِ التي لا تُشْبَـعُ

قَدْ كُنْتُ أمْنَعُ رَسْخ نَفْسي قضبْلَها

واليَـوْمَ أوْجَبُ أنَّـهُ لاَ يُمْنَـعُ

لم لا وقَـدْ أصبَحْتُ بَعْدَ مَحلَّـةٍ

فيهـا السَّحَائِبُ بالرَّغائِبِ تُهْمَعُ

دارٌ يـدرٌ الرِّزْقُ من أخلاقِهَـا

ولَكَمْ دَعَا دَاعٍ بها من يُوضَـعُ

---

[1] في نـص: ((بتشتّت)).

وكَأنَّ مجلِسَهــا البَهِيَّ بِصَدْرِهــا
مَلِــكٌ بِأعْلَى دَسْتِــهِ[1] مُتَرَبِّــعُ
وكَأنَّ مَجْمَــر عضنبْرٍ بِفِنائِهــا
يُذْكي ما قدْ ضاعَ[2] منه يسْطَــعُ
وكَأنَّهــا المُتَوَكِلِيَّــة[3] بَهْجَــةً
وعَلِيٌّ بْــنُ الجَهْــمِ فيها يُبْــدِعُ[4]
في حجْرِ ضَبٍّ خافِضٍ بِجِــوارِهِ
مَنْ كانَ قَبْلُ له العَوامِلُ تُرْفَــعُ
يا نَفْثَةَ المَصْدُورِ كَمْ لَكِ قضبلَها
مِنْ زَفْــرَةٍ بَيْنَ الجَوانِحِ تَسْفَــعُ
وعَساكَ تَنْقِــعُ غُلَّــةً بِكَ إنَّهــا
بِجَحيــمِ مــا أسْبَلْتُــهُ لا تُنْقَــعُ
لِلَّــهِ أنْــت مذاعَــةً أوْدَعْتهــا
مِنْ كُلِّ سِــرٍ بِالضَّمائِرِ يُــودَعُ

---

[1] في نص: ((دستها)).
[2] في نص: ((سيف)).
[3] نسبة إلى الخليفة العباسي المتوكل.
[4] هو أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي؛ شاعر مبدع؛ له اختصاص بالخليفة العباسي جعفر المتوكل. ولد في سنة 188هـ/803م وتوفي في سنة 249هـ/863م.

بَدَوِيَّـــةٌ في لَفْظِهـــا وَنِظامِهـــا

حَضَرِيَّـــةٌ فيمـــا بـــه يُتَرَجَّـــعُ

لِم لا تَشْفَعُ في الذِي أَشْكُو بِهَـــا

ومِثَـــالُهـــا في مِثْلِـــهِ يُتَشَفَّـــعُ

كَمُلَتْ وما افْترعَت فأي خريـــدَةٍ

لَـــوْ كانَ يَفْرَعُها هُمـــامٌ أَرْوَعُ

بَـــارَتْ عَلَيَّ فَأَصْبَحَتْ لِحَيائِهـــا

مِـــنِّي بِضَـــافِي مِرْطِهـــا تَتَلَفَّـــعُ

ومـــن بديـــع مـــا نظـــم أيضـــاً هـــذه القصيـــدة الرائعـــة[1]:

تُراجِعُ من دُنْياكَ ما أَنْت تـــارِكُ

وتَسألها العُتْـــبَي وها هي فارِك[2]

تُؤَمل بَعْدَ التَّرْكِ رجْعَ ودادهـــا

وشَـــرٌّ وِدادِ ما تَـــوَدُّ التَّرائِـــك

---

[1] الأبيات الأربعة الأولى وردت في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ ثم قفز المقري بعدها إلى الأبيات الستة الأخيرة؛ معللاً ذلك بقوله: أزهار الرياض: ((وهي من القصائد الطنانة؛ وتركتها لطولها)). (ج: 2، ص: 305) ومن حسن الحظ أن ابن الخطيب قد أثبتها بكاملها في الإحاطة، قسم: 3.

[2] العُتْبَى: الاسترخاء. أما كلمة ((فارك))؛ فمن الفرك: أي بغض المرأة زوجها. وقد فركته تفركه فهو فارك.

حَلاَلَكَ مِنْها ما حلاَ[1] لَكَ في الصِّبَا

فَأَنْـــت على حَلْوائِــهِ مُتَهالِــك

تَظاهَرُ بالسّلْوانِ عَنْهـــا تَجَمُّـــلاً

فَقَلْبُكَ مَحْزونٌ وثَغْرِكَ ضاحِـك

تَنَزَّهْتُ عَنْها نضخْـــوةً لاَ زَهـــادَةً

وَشَعْرُ عِذاري أسْوَدُ اللَّوْنِ حالِك[2]

ليالي تُغْري بي وإنْ هي أعْرَضَـــت

زَنانِـــب من ضَوَّاتها وعَواتِــك

غُصونُ قُدودٍ في حِقافِ رَوادِفٍ

تَمايَـــلُ منْ ثِقَـــلٍ بين الأرائِــك

تُطاعِنُني مِنْهُـــنَّ في كُلِّ مَلْعـــبِ

ثُدِيٌّ كأسْنانِ الرِّمـــاحِ فَواتِــك

وكَـــمْ كِلَّةٍ فيها هَتَكْتُ ودونَهـــا

صُدورُ العَوالي والسُّيوف البَواتِــك

ولا خِدْنُ إلاّ ما أعَدْت رَدينَـــهُ

لِطالبِهـــا أوِ ما تَحَيَّـــر هالِــك

تُضِلُّ فُؤادَ المَرْءِ عَنْ قَصْدِ رُشْـــدِهِ

فَواتِـــرُ ألْحَـــاظٍ لِلظُّبَا الفَواتِــك

---

[1] في الإحاطة: ((مـا خَـلاَ لـك)).

[2] عنـد هـذا البيـت انقطـع اقتبـاس المقـري في نفـح الطيـب وأزهـار الريـاض.

وفي كُلِّ سِنٍّ لابْنِ آدَمَ وإنْ تَطُلْ

سِنُــوهُ طِبَاعَ جمَّــة وعَوائِــك

وإلاَّ فَمالي بَعْدَ ما شابَ مَفْرِقي

وَأعْجَز رَأيي عَجزٌ من الرَّكارِك[1]

أجُوبُ إلَيْها كُلَّ بَيْــداءَ سَمْلَــقٍ

تُرافِقُني فِيها الرِّجــالُ الحَواتِــك[2]

واستَرْشَد الشُّهبُ الشَّوابِكُ جــارِ

إذا اشْتُبِهَت فيها عَلَيَّ المَسالِــك

نُهــازِرُ أمْثالَ الجِيــادِ تَــؤُودَةً

أغَوارِبُ أمْثالِ الهِضابِ تَوامِك

ظَمَــا وَمَا غَيْرُ السَّمَاوَةِ مَــوْرِدِ

وَيَنْحَى وما دونَ الصُّواةِ مبــارِك

نَواهِلُ[3] عنْ عَضٍّ الرِّجــالِ ظُهُورها

إذا ما اشْتَكَتْ عَــضَّ السُّروجِ المَــوارِك

إذا ما نَبَا عنْ سُنْبُــكِ الأرْضِ سُنْبُــك

هَلَعْنَ فَلانَتْ تَحْتَهُــنَّ السَّنابِــك

---

[1] هكذا ورد النص الذي حققه عنان في الإحاطة؛ بينما تصرف د. طويل؛ في طبعته؛ فصوب هذا الشطر؛ حيث أضحى هكذا:
((وَأعْجَز رأيي عَجْزُهُنّ الرّكارك)). وذلك بحجة سلامة الوزن.

[2] أي الرجال المسرعون في السير.

[3] حرفت في نسخة عنان؛ فكتبت: ((ذو أهل)).

تَقُــدُّ بِنَـــا في كُلِّ قَـــاعٍ وَفَدْفَــدِ
بَوائِكُهـــا والمُنْغِياتُ الدَّراهِــك
فأمامُها رَيٌّ كالسَّحـــابِ مَوالِـــع
وأمامَها رَكاً كَالرِّيـــاحِ بَواشِــك
قِــلاَصٌ بِأطْوافِ الجُديلِ بَوالِع
وجُــرْدٌ لأوساطِ الشَّكيمِ عَوالِــك
تَرامَى بها ليد النُّوقِ كُلّ مُرْتَمَى
فَهُنَّ نُــوَّاح لِلرَّدَى أوْ هَوالِــك
وكَـــمْ مَنْــزِلٍ خَلَّيْتُـــهُ لِطُلاَّبِهـــا
تُعَفِّيهِ تَعَدِّي السَّافِيَاتِ السَّوَاهِــك
يَمُـــرُّ بـــه زُوَّارُهُ وعُفَـــاتُـــهُ
وَمَا إنْ بِهِ إلاَّ لُصوق الحَبائِــك[1]
وآثارتُنـــا تُقـــادِم عَهْدِهِـــمْ
وَهُنَّ عليـــهِ جاثِيـــات بَـــوارِك
لوارِبُ أفْـــراسٍ ونُـــؤى حـــذاة
ثَـــلاثُ أثافٍ كَالحَمامِ سَـــوادِك
تَمُـــرُّ عليهِ نسْمةُ الفَجْرِ مِثْلَمـــا
تَمُرُّ على طيبِ العَرُوسِ المـــداوِك

[1] في نسخة عنان: ((ومـا آن بـه إلا الصّووق الحبايـك)).

وَأركب كالشَّهْـدِ يَنْفَـحُ بُـرْدَهُ

لِمَجْهول حَسِيٍّ مَا لَهُ لِلدَّهْرِ مُبانِك

يَطْلُبُهـا مِنِّي غَرِيمٌ مُماحِـكٌ

ويَمْطُلُني مِنْها عَديـمٌ مُماعِـك[1]

أحَاوِلُ مِنْها لِمَا تَعَـذَّرَ في الصِّبَا

وَمِنْ دُونِهِ وَقْعُ الحمامِ المُواشِك

يَسْلَى الفَتَى مِنْها وإنْ راق حُسْنُهـا

حَسائـف لا تُحْصى ومَبـارِك

فَمِنْهـا مـلاَلٌ دَائِـمٌ لاَ تَمَلُّـه

وتُزُورُ إفْكٍ عَنْ رِضى الحَـقِّ آفِـك

تهاون بالإفِـكِ الرِّجالُ جَهالَـةً

وما أهْلَكَ الأحْيـاءَ إلاَّ الأفائِـك

تزن طُولَ تسْهادي وقدْرى تَمَلْمـلي

طِوالَ اللَّيالي والنُّجومُ النَّوابِـك

تَغير عَلَى الدَّهْرِ مِنْـهُ جَحافِـلٌ

كَـأنَّ مُدَوَّمُ الرَّجْمِ فيها نَيـازِك

فَلَيْت الذي سَوَّدْتُ فِيها مُعَـوَّضٌ

بما بَيَّضَت مِنِّي نُجاها الحَوالِـك

---

[1] مماعك: المماطل؛ والمعك: اللجاج؛ ومعك: أي مطله، ودافعه.

ألاَ لاَ تُذَكِّريني تِلِمْسانَ وَالهَـوَى

ومَا دَهَكَتْ مِنَّا الخُطُـوبُ الدَّوَاهِـك

فإِنَّ ادِّكارَ ما مَضَى مِنْ زَمانِهـا

لِجِسْمي ولِلصبَّرِ الجَمِيلِ لَناهِـك

ولاَ تَصِفَـنَّ أمْوَاهَهَـا لي فَإنَّهـا

لِنِيـرَانِ أشْواقِي إلَيْها محَـارِك

ومَنْ حالَ عنْ عَهْدٍ أوْ أخفَرَ ذِمَّةً

فَإنِّي علَى تِلْكَ العُهودِ لَرَامِـك

سَقَى مَنْزِلي فيها وإنْ مَحَّ رَسْمُهُ

عِهادُ الغَوادي والدُّموعُ السَّوافِك

وجادَتْ ثَرَى قَبْرٍ بِمَسْجِدِ صالِحِ

رَواعِدُهـا والمُدْخِماتُ الحَواشِك

ولاَ أقْلَعَتْ عَنْ دارِ يُونُسَ مُزْنَـةٌ

يُرْوَى صَداهُ لِقَطْرِها المُتَـدارِك

إلَى أنْ يَرُوق النَّاظِرينَ رُوَاؤُهَـا

ويُرْضِي الرُّعَاوَى نَبْتُهَـا المُتَلاحِـك

ويُصبِحُ مِنْ حَوْلِ الحَيا في عِراصِها

زُرّاق تَحْكي بُسْطَها ودَرانِـك[1]

---

[1] الدرانك: ضرب من البسط.

ولاَ بَرِحَت مِنْهُ مَلاَئِكَةُ الـــرِّضَى

تُصَلِّي علَى ذاكَ الصَّدَى وتُبَـــارِك

وطُوبَى لِمَنْ رَوَى مَنَازِلَهُ الحَيَـــا

وَبُشْرَى لِمَنْ صلَّتْ عَلَيْـــهِ المَلاَئِـــك

ألاَ لَيْت شِعْرِي هَلْ تُقَضَّى لُبانَـــتي

إذا ما انْقَضَتْ عَشْرٌ عَلَيْهـــا نَكـــادِك

وَهَلْ تَمَكَنَّ الطَّيْف المغِبُّ زيارةً

فَيرقبُ أو تُلْقَى إِلَيْـــهِ الرَّوامِـــك

وهلْ تَغْفَلُ الأَيَّامُ عَنْها بِقَـــدْرِ مَا

تُــودي إِلَيْهـــا بالعِتابِ الحالِـــك

ويا لَيْت شِعْــراي أَرْضٌ تُقِلُّــني

إذَا كَلَّ عَنْ رحْلي الجَلاَلُ اللَّكالِك

وأيُّ غـــرارٍ منْ صَفاها يَحُثُّني

إذَا فقدَتْــــني مَسَّهـــا والدَّكـــادِك

إذا جَهِلَ النَّـــاسُ الزَّمـــانَ فإنَّني

بِدونِهِـــمْ دُونَ الأَنـــامِ لَحاتِـــك

تَثَبَّتْ إذا ما قُمْت تَعْمَـــلُ خُطْـــوَةً

فإنَّ بِقاعَ الأَرْضِ طُرّاً شَوائِـــك

ولاَ تَبْذِلَنَّ وجْهاً لِصاحِبِ نِعْمَـــةٍ

فَمَا مِثْلُ بَذْلِ الوَجْهِ لِلسِّتْرِ هاتِك

تَجَشَّمْ ما استَطَعْت واحْذَرْ أذَاهُمٌ

ولاَ تَلْقَهُــمْ إلاَّ وَهــرّك شانِــك

فَكُــلٌّ علَى ما أنْعَمَ اللهُ حاسِــدٌ

وكُلٌّ إذا لَمْ يَعْصِــمِ اللهُ حاسِــك

ولاَ تَــأسَ رِيبَــةَ الزَّمانِ فإنَّــهُ

بِمَنْ فات مِنًّا لاَ مَحالَــةَ فاتِــك

تَمَنَّى مُصــابَ بَرْبَــرِ وأعــارَه

وتَرْضَى نَكامى فــارسِ والهنــادِك

وبدرت الليــل[1] الجون حَوضي لجاجُها

وتَعْرِف إقْدامِي عَلَيْهــا المُهالِك

فَمَــا أذْعَنَــتْ إلاَّ إلَــي عُشــارِ

وَلاَ أصْفَقَتْ إلاَّ عليَّ الشَّكاشِك

ولاَ قَصــدت إلاَّ فَنــائي وقُودُها

ولنْ أملت إلاَّ قتــامى الضَّرارِك

بِــهِ شَرُفَتْ أنْوَاؤُهَا وَمُلُوكَهــا

كَما شَرُفَتْ بالنَّوْيهار البَرامِــك

---

[1] في نسخة عنـان: ((وبـدرت الليـالي))

فَلاَ تَدْعوَنَّ غَيْرِي لِدَفْـــعِ مُلِمَّـــةٍ

إِذَا ما دَهَى مِنْ حادِثِ الدَّهْرِ دَاهِــكُ[1]

فَما إِنْ لذاكَ الصَّوْتِ غَيْرِيَ سامِــعُ

وما إِنْ لِبَيْتِ المَجْدِ بَعْدِيَ سَامِكُ[2]

يَغَصُّ وَيَشْجَى نَهْشَلٌ وَمُجاشِــعٌ[3]

بِما أَوْرَثَتْني حِمْيَرٌ وَالسَّكاسِــكُ[4]

تُفارِقُنِي الرُّوحُ[5] التي لَسْتُ غَيْرَهــا

وَطِيبُ ثَنائِي لاَصِقٌ بِي صَائِــكُ[6]

وَماذا عَسَى تَرْجُو لِداتِي وأَرْتَــجِي

وقَدْ شَمِطَت مِنِّي[7] اللِحى والأَفَانِكُ[8]

---

[1] في نفح الطيب: ((داعك)). والداهك: هو الكاسر الطاحن؛ من دهك الشيء؛ أي طحنه وكسره. وهنا استمر المقري في الاقتباس؛ وأثبت ذلك في كتابيه: نفح الطيب، وأزهار الرياض.

[2] السَّامِك: هو الرافع لقواعد البناء. من ذلك؛ قوله تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴾. سورة النازعات؛ الآيتان: 27 - 28.

[3] نهشل بن مُرْهِبَة: بطن من قبيلة همدان القحطانية. أما مُجاشع بن دارم: فبطن من قبيلة حنظلة العدنانية.

[4] حِمْيَر بن سبأ: قبيلة قحطانية عظيمة. أما السَّكاسك؛ فهم بطن من قبيلة حمير.

[5] في الإحاطة: ((روحي)).

[6] أي لاحق بي.

[7] في الإحاطة: ((منا)).

[8] الأفانك؛ مفردها إفنيك: وهو مجمع اللحيين. وقد كتبت هذه الكلمة في النفح: ((الأفائك)).

يَعودُ لنا شَرْخُ الشَّبابِ الذي مــضَى

إذا عادَ لِلدُّنْيا عَقيلٌ ومَالِــك

ومــن شعــره الشهيــر قولــه[1]:

أَرَقَّ عَيْني بــارِقٌ مِــنْ أَثَــالْ

كَأَنَّــهُ في جُنْــحِ لَيْلي نُبَــالْ

أَثَارَ شَوْقــاً في ضَميــرِ[2] الحَشَــا

وعَبْرَتي في صحْنِ خَدِّي أَسَــالْ

حَكَى فُــؤَادي قَلَقــاً واشْتِعَــالْ

وجَفْــنَ عَيْنِي أَرَقــاً وانْهِمــالْ

جَوَانِــحٌ تَلْفَــحُ نِيرَانُهَــا

وأَدْمُــعٌ تَنْهَــلُّ مِثْــلَ العَــزَالْ[3]

قُولُوا وُشَــاةُ الحُــبِّ ما شِئْتُــمُ

ما لَــذَّةُ الحُبِّ سِــوَى أنْ يُقَــالْ

عــذراً لِلُوَّامِي[4] ولاَ عُــذْرَ لِــي

فَزَلَّــةُ العَالِــمِ مــا إنْ تُقَــالْ

---

[1] هذه القصيدة توجد في الإحاطة، قسم: 3. ونفح الطيب، ج: 5. وأزهار الرياض ج: 2.

[2] في أزهار الرياض: ((من صميم)).

[3] يقصد بكلمة ((العزالْ)): العَزالي: وهو مصب الماء من الراوية.

[4] في أزهار الرياض: ((أعذر لوامي)).

قُــمْ نَطْــرُدُ الهَــمَّ بِمَشْمُولَـــةٍ

تُقَصِّــرُ اللَّيْلَ إذا اللَّيْــلُ طَــالْ

وَعَاطِهــا صَفْــرَاءَ ذِمِّيَـــةٍ

تَمْنَعُهــا الذِّمَّـــةُ مِــنْ أنْ تُنَــالْ

كَالْمِسْكِ رِيحاً وَاللَّــمَى مَطْعَمــاً

والتِّبْرِ لَوْنــاً وَالهَــوَا في اعْتِدَالْ

عَتَّقَهَــا فـــي الــدَّنِّ خَمَّارُهَــا

وَالبِكْرُ لاَ تَعْرِفُ غَيْرَ الحِجَــالْ

لاَ تُثْقِــبِ الْمِصْبَــاحَ[1] لا وَاسْقِنِي

عَلَى سَنَى البَرْقِ وَضَوْءِ الهِلاَلْ

فَالْعَيْش نَــوْمٌ والــرَّدَى يَقْظَـــةٌ

والمَــرْءُ ما بَينهُمــا كالخَيَــالْ

خُذْهــا علَى تَنْغيــمِ مِسْطارِهــا[2]

بَيْــنَ خوابيهــا وبَيْــن الــدَّوالْ

فـــي رَوْضَـــة باكِــرُ وسَمِيِّهــا[3]

أخْمَــلَ دارَيْــنِ وَأنْــسَى أَوَالْ[4]

---

[1] أي لا تجعل ضوء المصباح ساطعاً.

[2] أي خمرها المؤثرة؛ التي تصرع شاربها.

[3] الوسميّ: هي مطر الربيع الأول.

[4] أوال: هو الاسم القديم للبحرين.

كَـــأَنَّ فَـــارَ المِسْـــكِ مَغْبُوقَـــةٌ[1]

فِيها إذا هَبَّتْ صَبَـــاً أو شَمَـــالْ

مِنْ كَفِّ[2] سَاجِي الطَّرْفِ أَلْحَاظُـــهُ

مُفَوَّقَـــاتٌ أَبَـــــداً لِلنِّضَـــالْ

مَنْ عَـــاذِرِي والكُلُّ لي عَـــاذِرٌ[3]

مِنْ حَسَنَ الوَجْهِ قَبِيـــحُ الفِعَـــالْ

مِـــنْ خُلَّـــبِيِّ الوَعْـــدِ كَذَّابِـــهُ

لَيَّـــانَ لاَ يَعْرِفُ غَيْرَ المِطَـــالْ

كَأَنَّـــهُ الدَّهْـــرُ وأيُّ امْـــرِئٍ

يَبْقَى علَى الدهر[4] إذا الدَّهْرُ حَـــالْ

أَمَـــا تَـــرَانِي آخِـــذاً نَاقِضَـــاً

علَيْـــهِ ما سَوَّغَـــنِي مِـــنْ مُحَـــالْ

وَلَـــمْ أكُـــنْ قَـــطُّ لَـــهُ عَائِبَـــاً

كَمِثْـــلِ مَـــا عَابَتْـــهُ قَبْلِي رِجَالْ

يَأبَى ثَرَاءَ المَـــالَ عِلْمِي وَهَـــلْ

يَجْتَمِـــعُ الضِّـــدَانِ عِلْـــمٌ وَمَالْ

---

[1] في النفـح والأزهـار: ((مفتوقـة)).

[2] في الإحاطـة: ((مِـنْ كُـلِّ)).

[3] نفسـه: ((عـاذل)).

[4] في الإحاطـة: ((عـلى حـال)).

وتَأْنَــفُ الأرْضُ مُقَــامِي بِهَــا

حَتَّى تَهــادانِي ظُهُورُ الرِّحَــالْ

لَوْلاَ بَنُو زَيَّــانَ مَا لَــذَّ لِي الْـ

ـعَيْشُ وَلاَ هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَــالْ

هُمْ خَوَّفُوا الدَّهْــر وَهُمْ خَفَّفُــوا

عَلَى بَنِي الدُّنيَــا[1] خُطَاهُ الثِّقَــالْ

وَرِثْـــتُ[2] مِنْ عَامِرِهِــمْ سَيِّــداً

غَمْرَ رِدَاءِ الحَمْدِ جَــمٌّ[3] النَّــوَالْ

وكَعْبَــةً لِلْجُــودِ مَنْصُوبَـــةً

يَسْعَى إِلَيْهَا النَّاسُ من[4] كل حال[5]

خُذْهَــا أَبَــا زَيَّــانَ مِنْ شَاعِــرٍ

مُسْتَمْلَحِ[6] النَّزْعَةِ عَــذْبِ المَقَــالْ

يَلْتَقِــظُ الألْفَــاظَ لَفْــظ النَّــوَى[7]

وَيَنْظِــمُ الآلاَءَ نَظْـــمَ الــلآلْ

---

[1] في الإحاطــة: ((الدّهْــر)).
[2] في النفـح: ((لقيت))، وفي الأزهـار: ((ألفيت)).
[3] في الإحاطـة: ((غمْـر)).
[4] في الأزهـار: ((في)).
[5] في النفـح: ((بـال)).
[6] في الأزهـار: ((مُستَعْذَبِ)).
[7] جـاء هـذا الشطـر في نفـح الطيـب هكـذا: ((يلتقِطُ الألفـاظ لقْط النَّـوَى)).

مُجَارِيـاً مِهْيَـارَ[1] في قَوْلِـهِ

(مَا كُنْتُ لَوْلاَ طَمَعِي فِي الخَيَالْ)[2]

قـال في مدحـه **لأبي سعيـد بـن عامـر**؛ هـذه القصيـدة؛ الـتي اعتبـرت مـن غـرر القصائـد؛ حيـث تعـرض أيضـاً فيهـا إلى الوحشـة الواقعـة بينـه وبيـن كاتـب البـلاط **الزيـاني** أيـام **يغمراسـن**؛ الشاعـر الأديـب **أبـو بكـر بـن خَطَّـاب**[3]:

مَشُـوقٌ زارَ رَبْعَـكَ يا إمامـا

محـا آثـارَ دِمْنَتِهـا التثامـا[4]

تَتَبَّـعَ ريقَـةَ الطَّـلِّ ارتشافـاً

فمـا نَفَعَـتْ ولا نَقَعَتْ أُوَامـا

وقَبَّـلَ خـدَّ وَرْدَتهـا جِهـاراً

وما راعَـى لِضُرَّتِهـا ذِمامـا

---

[1] هو أبو الحسن مهيار بن مروزية الديلمي. كاتب وشاعر فارسي؛ كان ماجوسياً فأسلم سنة 494هـ/1100م؛ على يد شيخه الشريف الرضي. ولد بوطنه الديلم في حدود 428هـ/1036م وتوفي ببغداد.

[2] مطلع قصيدة مهيار التي عارضها ابن خميس جاء هكذا:

مَا كُنْتُ لَوْلاَ طَمَعِي فِي الخَيَالْ   أَنْشُدُ لَيْلى بَيْنَ طولِ اللَّيَالْ

[3] ورد في أزهار الرياض البيتان: الأول والثاني فقط من هذه القصيدة. بينما وردت القصيدة كلها في الإحاطة.

[4] في أزهار الرياض: ((الشآما)).

ومـــا لِحَريـــمِ بَيْتِـــك أن يدانَى

ولا لعُـــلاَ[1] قَـــدْرك أنْ يُسامـــا

ولكـــن عـــاش في رسم لمغنًى

تجشمـــه سلامــــــاً واستلامـــاً

تنفس روضة المطـــول وهنـــا

فحـــن وشـــمّ ريّـــاه فهـــامـــــا

تلقَّى طيبَ بـــ.....تـــه[2] حديثـــا

روت مسنـــداً عنـــه النّعامـــــا

فيا نفس الصبا إن جيت ساحـــا

ولـــم تعـــرف لساكنهـــا مقامـــا

وأخطأت الطريـــق إلى حماهـــا

فردتـــك العـــرادة والخزآمـــا

فلا تبصـــر بسرحتها قضيبـــاً

ولا تذعـــر بمسرحهـــا سوامـــا

وعانـــق قربانتهـــا ارانباطـــاً

وصافح كـــف سوسهنها التزاما

ونافـــح عـــرف زهرتهـــا كبـــاً

تعاطـــك مـــاء ريقتهـــا مدامـــا

---

[1] جعلها د. طويل: ((لِعَليّ))؛ من أجل الوزن.
[2] كلمة ممحاة بعض أحرفها في االأصول.

ويــا برقــاً أضـــاء على أوال

يمانيــاً مـــتى جيـــت الشآمـــا

أثغـــر إمامـــة أنـــت ابتسامـــاً

أم الــــدر الأوامى انتظامـــا

خفقـــت ببطـــن واديهـــا لـــواً

ولحت عـــلى ثنيتهـــا حسامـــا

أمشبـــه قلبي المضنى احتدامـــا

على مَ ذدت عن عيني المنامـــا

ولِمَ أسهرتني وطـــردت عني

خيـــالاً كـــان يأتيـــني لمامـــا

وأبلـــغ منـــه تأريقـــاً لجفني

كـــلام أثخـــن الأحشـــا كلامـــا

تعـــرض لي فأيقظـــت القوافي

ولو تـــرك القطـــا يوماً لنامـــا

وقيـــل وما أرى يومي كأمسي

جدعت رواطبـــا وقلبت هامـــا

وجرعت العـــدو سمـــاً زعافـــاً

فكـــان لحســـد موتـــاً زوامـــا

دعوت زعيمهـــم ذاك ابتياســـا

ورعت خميسهـــم ذاك اللمامـــا

نزعــت شــواه كبشهــم نطاحا

ولم أتــرك لقرمهــم سنامــا

أضــام وفي يــدي قلبي لمــاذا

أضــام أبــا سعيــد أو علامــا

بــه وبمــا أذلــق مــن لساني

أفــل الصارم العضــب انهزاما

وغــرام الوزيــر أبي سعيــد

أصرفــه إذا شيــت انتقامــا

بــه وبنجله البــر انتصــاري

لمــا أكلــوه من لحمي حرامــا

أعثمــان بن عامــر لا تكلــني

لدهــر علــم الشـــح الغمــام

وردت فلــم أرد إلا سرابــا

وشمــت فلــم أشــم إلا جهاما

قطعت الأرض طولاً ثم عرضاً

أزور بــني ممالكهــا الكرامــا

وجا جانبي على كــرم نداهــم

وأعجلــت الخــوافي والقــداما

وذللــت المطامــع مــن إبايي

وقبلــت البراجــم والسلامــا

ومـــن أدبي نصبت لهم حبـــالا

أصيـــد بها النعـــام ولا النعامـــا

فلـــم أر مثـــل ربعي دار أنـــس

ولـــم أر مثـــل عثمـــان إمامـــا

ولا كأبيـــه أو كـــنى أبيـــــه

أبـــي يحيى غيوثـــاً أو رهامـــا

كفاني بابن عامر خفض عيـــش

ورفـــع مكـــاتبي إلا أضامـــا

وإني مـــن ولايـــك في يفـــاع

أقابـــل منهـــم بدرهـــم التمـــام

وقـــال **ابـــن الخطيـــب** في تقديـــم مقامـــة **لابـــن خميـــس**؛ مستهلـــة بالقصيـــدة الموالـيـــة؛ فعلـــق قائـــلاً: ((**وهـــذا الرجـــل مغـــرب النزعـــة، في شفـــوف نظمـــه عـــلى نثـــره**))[1]:

عجباً لها أيذوق طعم وصالهـــا

من ليس يطمأن [2] يمـــر ببالهـــا

وأنـا الفقيـــر إلى تعلـــة ساعـــة

منها وتمنعـــني زكـــاة جمالهـــا

---

[1] **هذه القصيدة موجودة في الإحاطة، والنفح، والأزهار.**

[2] **في النفح، والأزهار: ((يأمل)).**

كم ذا وعن[1] عيني الكرى متأنِّف

يبـــدو ويخفى في خفي مطالهـــا

يسمو لها بدر الدجـــا متضايـــلاً

كتضاءل الحسناء في أسمالهـــا[2]

وابن السبيل يجيء يقبس نارها

ليـــلاً فتمنحـــه عقيلـــة مالهـــا[3]

يعتادني في النوم طيف خيالهـــا

فتصيبـــني ألحـــاظهـــا بنبالهـــا

كم ليلـــة جادت بـــه فكأنمـــا

زُفَّتْ عليّ ذُكاء[4] وقت زوالهـــا

أسْرى فَعِطْرُهَا وَعَطْلُ شُهْبِهَـــا

يَأْبَى شذا المعطـــار من معطالها[5]

وســـواد طرته كجنح ظلامهـــا

وبياض غرته كضوء هلالهـــا

---

[1] كتبت نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((كم ذاد عن)).

[2] اقتبس هذا الشطر بتصرف عن أبي تمام؛ الذي قال:

((كسيت سبائب لؤمه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء في الأطمار)).

[3] عقيلة المال: أكرمه.

[4] ذكاء: اسم الشمس.

[5] ورد هذا البيت في نفح الطيب وأزهار الرياض هكذا:

((أسْرَى فَعَطَّلَهَا وعَطَّلَ شُهْبَهَا بأبي شذا المعطار من معطالها)).

دعني أشــم بالوهم أدنى لمحــة[1]

من ثغرها وأشــم مسكة خالهــا

ما راد طرفي في حديقة خدهــا

إلا لفتنتــه بحســـــن دلالهــا

أنسيب شعري رق مثل نسيمها

فشمول راحك مثل ريح شمالها

وانقل أحاديث الهوى وأشرح غريــ

ــبَ لغاتها وأذكر ثقــات رجالهــا

وإذا مررت برامة فتـــوق مـــن

أطلايهــا[2] وتمــش في أطلالهــا

وانصب لمغزلها حبالة قـــانص

ودع الكرى شركا للصيد غزالها

وأسل جداولها بفيض دموعهــا

وانضح جوانحها بفضل سجالها

أنا من بقيـــة معشـــر عَرَكَتْهُـــمُ

هذي النَّوَى عَرْكَ الرَّحَى بثقالها[3]

---

[1] في النفح، والأزهار: ((لمعة)).

[2] الأطلاء؛ مفردها: طلا؛ وهو ولد الظبية.

[3] في النفح والأزهار: ((بثفالها)). وهو أصح؛ لأنه اقتبس هذا عن زهير ابن أبي سلمي في قوله:

((فتعرككم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم)).

أكرم بها فئـــة أريـــق نجيعهـــا

بغياً فراق العين حسن جمالهـــا[1]

حلت مدامة وصلها وحلت لهـــم

فإن انتشـــوا فبحلوها وحلالهـــا

بلغت بهرمس غايـــة ما نالهـــا

أحـــد ونـــاء بها لبعـــد منالهـــا

وَعَدَتَ على سُقْـرَاطَ[2] صورة[3] كأسها

فهريق ما في الدن من جريالهـــا

وسَرَتْ إلى فارابَ منها نفحـــة

قدسيـــة جـــاءت بنخبـــة آلِهـــا[4]

ليصوغ من ألحانـــه في حانهـــا

ما سوغ القسيس مـــن أرمالهـــا

---

[1] في النفـح، والأزهـار: ((مآلهـا)).

[2] هـو الفيلسـوف اليونـاني الأول؛ (469- 399)؛ لـم يتـرك كتابـات تعرف بفلسفتـه؛ وإنمـا نقـل تلاميـذه أفكـاره؛ ومـن أهـم تلاميـذه أفلاطـون.

[3] في النفـح، والأزهـار: ((سَوْرة)).

[4] فـاراب: مدينـة تتواجد في بـلاد مـا وراء النهـر؛ وتعـرف اليوم بتركستـان. وينسب إليهـا الفيلسـوف المعلم الثاني؛ شـارح أريسطـو أبـو نصـر محمـد الفـارابي؛ ولـد سنـة 257هـ/870م؛ وتـوفي سنـة 339هـ/950م. ويلمـح الشاعـر هنـا إلى الفـارابي؛ كونـه ألـف في الموسيقـي؛ بـل طـوّر الآلـة المسمـاة بالقانـون؛ كمـا أنـه أول مَـن قـدم وصفـا لآلـة الرّبـاب ذات الوتـر الواحـد، والوتريـن المتساوييـن في الغلظـة، بالإضافـة إلى أنـه أول مَـن عـرّف الموسيقـي ومصطلحهـا، إلى جانـب أنـه قد ابتكر بعض المصطلحات الموسيقيـة؛ وأسمـاء الأصوات التي بقيـت مستعملـة إلى الآن.

وتعلقت[1] في سَهْرَوَرْدَ[2] فأسْهَرَتْ

عيناً يُؤَرِّقُهَا طروقُ خيالها

فخبا شهاب الدين لما أشرقت

وخبا[3] فلم يثبت لنور جلالها

ما جن مثل جنونه أحد ولا

سمحت يد بيضاء بمثل نوالها

وبدت على الشُّوذِيِّ[4] منها نفحة[5]

ما لاح منها غير لمعة آلها

بطلت حقيقته وحالت حاله

فيما يعبر عن حقيقته[6] حالها

---

[1] في النفح والأزهار: ((وتغلغلت)).

[2] هي بلدة تقع في الجبال القريبة من زنجان؛ شمال غرب إيران. ينسب إليها الشيخ الصوفي شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حَبَش بن أمِيرك السهروردي؛ يكون قد ولد في حدود سنة 554هـ/1150م أو 550هـ/1155م. وقتل في عام 587هـ/1190م؛ بأمر من الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين. وهو مؤسس حكمة الإشراق؛ التي يتضمنها كتابه الشهير "حكمة الإشراق"؛ وهو الذي يشير إليه الشاعر في البيت الموالي.

[3] في النفح والأزهار: ((وخوى)).

[4] هو الشيخ الولي الصالح الزاهد أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي؛ لأنه كان يبيع الحلوى للصبيان. ويقال أنه تولى القضاء في إشبيلية أيام الدولة الموحدية؛ فترك ذلك وهاجر إلى تلمسان؛ التي استوطنها، ودفن بها. سبق الحديث عنه.

[5] في النفح، والأزهار: ((نشوة)).

[6] نفسهما: ((حقيقة))؛ وهو أسلم.

هذي صبابتهـم تـرق صبابــة

فيــروق شاربها صفاء زلالهــا

إعلم أبا الفضل بن يحيى أنــني

من بعدهــا أجري على آسالهــا[1]

فإذا رأيــت مُوَلَّهاً[2] مثــلي فخــذ

في عذله إن كنــت من عذالهــا

لا تعجبن لما ترى من شأنهــا

في حلهــا إن كان أو ترحالهــا

فصـــلاحهــا بفسادها ونعيمهــا

بعذابهــا ورشادهــا بضلالهــا

ومن العجايب أن أقيــم ببلــدة

يوماً وأسلــم من أذى جهالهــا

شغلــوا بدنياهــم أما شغلتهــم

عني فكم ضيعت من أشغالهــا

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهــم

شمس الهدى عشوا[3] بضوء ذبالها

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((أحرى على آمالهـا)). ومـن هنـا؛ وحتى آخر القصيـدة غير وارد في نفـح الطيـب؛ بينمـا هـو موجـود في أزهـار الريـاض.

[2] في الأزهـار: ((مُتَلَّهـا)).

[3] في أزهـار الريـاض: ((عبثـوا)).

وإن انتسبت فإنني من دوحة

تتقيل الأقيال بـرد[1] ظلالها

من حِمْيَرٍ من ذي رُعَين من ذُرَى[2]

حَجْرٍ من العظماء من أقيالها

وإذا رجعت لطينتي معنى فما

سَلْسالُهُمْ[3] بأرق من صلصالها

لله درك أي نجل كريمة

ولدته فاس منك بعد حبالها[4]

ولأنت لا عدمتك والد فخرها

وسماك سؤددها وبدر كمالها

أغلظ على من عاش من أنذالها

واخشع لمن تلقاه من أبدالها

والبس بما أوليتها من نعمة

حلل الثناء وجر من أذيالها

خذها أبا الفضل بن يحيى تحفة

جاءتك لم ينسج على منوالها

---

[1] ورد هذا الشطر في أزهار الرياض هكذا: ((يتفيأ الإنسان بَرْدَ ظلالها)).

[2] في الأزهار: ((ذوي)).

[3] نفسه: ((سلساله)).

[4] نفسه: ((حبالها)).

ما جال في مضمارها شعر ولا

سمحت[1] قريحة شاعــر بمثالهــا

واتــل أبا البركات من بركاتها

وادفــع محال شكوكــه بمحالهــا[2]

***

[1] في الأزهـار: ((سحـت)).
[2] نفسـه: ((مـن آلـهـا)).

نثر ابن خميس

هـذه أمتـع اللـه ببقايـك، وأسعـد بلقايـك. وأراهـا بمـا تؤملـه مـن شريـف اعتنايـك، وترجـوه مـن جميـل احتفايـك، مـا تعـرف بـه مـن احتذايـك، وتعتـرف لـه ببركـة اعتقايـك، كريمـة الأحيـاء، وعقيلـة الأمـوات والأحيـاء، بنـت الأذواء والأقيـال، ومقصـورة الأسـرة والحجـال؛ بـل أسيـرة الأساويـر والأحجـال. علـى أنهـا حليفـة آلام وأوصـاب، وأليفـة أشجـان وأطـراب، صبابـة أغـراب وصُيَّابـة أعـراب، جـاورت **سيـف بـن ذي يـزن** فـي رأس **غُمـدان**، وجـاوزت **مسلمـة بـن مخلـد** يـوم **جابيـة الجـولان**، وذلقـت لسـان ابـن أختـه **حسـان**، فتضاءلـت لرقـة حـده جسـوم **بـني عبـد المُـدان**، وقربـه وماشيـم مـن غمـده قيـد **ابـن الإطنابـة بيـن يـدي النعمـان**، قربـت **ببـني جفنـة** مـزار **جلـق**، وسعـرت **لبـني تميـم** نـار محلـق؛ ومـرت علـى معتـاد **غالـب**، فمـا أنسـت نـاره، وطافـت ببيـت **عبـد اللـه بـن دارم**، فلـم تـرض جـواره، ولـو حلـت بفنايـة، واستحلـت مـا أحـل لهـا مـن مبـذول حبائـه، لاغتفـر لهـا مـا جنتـه ببطـن أواره، ولحلـت لهـا حبوتـاً **مجاشـع وزرارة**، مزقـت

علـى مزيقيـا حلــلاً، وأذهبــت **يــوم حليمــة** مثــلا، وأركبـت **عـزاً** شـر يومهـا يجـدع[1] جمــلا، وناطــت بـأذن **ماريــة** قرطهـا، وجـرت عــلى أثــر **الكنــدي** مرطهـا، وقفهـا بيـن **الدخـول فحومـل** فوقفــت، وأنفهـا **يـوم دارة جلجـل** فأنفـت منـه ومنـا ألفـت، عقــر ناقتــه وانتهـس عبيطهـا، ودخـل خـدر **عنيـزة** وأمـال غبيطهـا، وأغـرت **أبـا قابـوس بزيـاد**، واسرجـت **للزبيـدي** فــرس **أبـي داود**[2]، ونافـرت **بحاتـم طيّ كعـب إيـاد**، وســاورت للمســاور بمثـل جـوده السايـر. ولئــن بلــت **الجعفــري لبيـدا**، فلقـد استعبـدت **الأسـدي** عبيـداً، وقطعـت بـه فـي أثـر **سليمـاه الأسديـة**[3] بيـداً، أرتـه المنيـة عـلى حربـة هندهـا الملحـوب، ومـا حـال **قريضـه** دون جريضـه، وأقفـر مـن أهلـه ملحـوب، ومـا زالـت تخبـط فـي شعـاب الأنسـاب، فترشـد، وتنشد ضالتها اليمانية، فتنشـد:

إن كنــت من سيــف بن ذي يــزن

فانــزل بسيــف البحــر من عــدن

---

[1] **في نص كما ذكر عنان دون تحديد: ((يحدج)).**
[2] **في نص أيضاً: ((أبو اد)).**
[3] **في نص أيضاً: ((الأمهرية)).**

وذر الشـآم ومـا بنـاه بـه الـر
ـرومي مـن قصـر ومـن فـدن

تعلـف **سيـل العـرم**، وتـرد **غسـان**، وتمهـد لهـا أهضـام تبالـة، فتقـول **(مَـرْعًى ولا كالسَّعْـدان)**[1]، تساجـل عـن **سميحـة بابـن خـرام**، وتناضـل بسميـر يـوم خـزام، وتنـسى قاتـل ستـة آلاف، وكـاسي بيـت اللـه الحـرام ثلاثـة الأفـواف، فلـو ساجلـت بنبعهـا **أبـا كـرب**، وأرتـه ضراعـة خدهـا التـرب، لساجلـت بـه أخضـر الجلـدة فـي بيـت **العـرب**، ماجـداً يمـلا الدلـو إلـى عقـد الكـرب، بـل لـو حطـت بفنـاء بيتهـا الحجـري رحلهـا[2]، وساجلـت بفنـاء حدهـا **ذي رعيـن**، لاستوفـت سجلهـا. كـم عـاذت بسيفهـا اليـزني، فأدركـت ذحلهـا، ولانت بركنهـا اليمـني فأجـزل محلهـا. ولـو استسقـت بأوديتهـا، لأذهبـت محلهـا. كافحـت عـن دينهـا الحنيـفي، فمـا كهـم حسامهـا، ونافحـت عـن **نبيهـا الأمـي**، فأيـدت بـروح القـدس سهامهـا. سـدت بـاب الـدرب دون **بـني الأصفـر**، وشـدت

---

[1] مَرْعًى ولا كالسَّعْدان: والسعدان عشب جيد للرعي؛ إذ يخثر اللبن، ويكثر دسمه. وهذا المثل يضرب للشي الذي يفضل أقرانه وأشباهه. وأول من قال هذا المثل هي الخنساء بنت عمرو. والمراد هو: هذا مرعى جيد؛ ولكنه ليس كالسعدان في جودته.
[2] في نص: ((رجلها)).

لموته ثوب موت أحمر، وما شغلها كسر تاج **كسرى** عن فرع هامة **قيصر**. ولقد حلت من سنام نسبها اليعربي باسمك ذروة، وتعلقت من ذمام نبيها **العربي** بأوثق عروة. تفرد صاحب **تيماء** بأبلقه الفرد فعز، وتمرد ربٌّ **دومة الجندل** لما كان من مارد في حرز، فما ظنك، أعزك الله، بمن حل من قدسي عقله، بمعقل قدس، يطار إليه فلا يطار، وراد من فردوس أدبه، في جنة لا يضام رايدها ولا يضار. زها بمجاورة الملك فازدهى رؤساء الممالك، وشغف بمجاورة الملك، فاشتغل عن مطالعة المسالك، أيشق غباره، وعلى جبين المرزم مثاره، أو ينتهك ذماره، وقلب الأسد بيته، ودار أخيه **أسامة** زاره. ولما قضت من أنديتها العربية أوطارها، واستوفت على أشرف منازعها الأدبية أطوارها، وعطرت بنوافح أنفاسها الذكية آثارها، وأطلعت في ظلم أنفاسها الدجوجية كواكبها النيرة وأقمارها، عطفت على معقلتها الشاذليلة فحلت عقالها، وأمر لها فراق الوطن. فلما استمر لها حلالها، استودعت بطنان تبالة آلها، وتركت أهضامها المخصبة وحلالها. أطلت على دارات **العرب** فحيت أطلالها، ودعت لزيارة أختها **اليونانية**، أنواء **حمير**

وأقيالهـا. أطمعتهـا بلمعيـة ألمعيتهـا الأعجميـة، ومثلهـا يطمـع، وجـاء بهـا مـن قدمـاء الحكمـاء كـل أوحـدي الأحونيـة، فباتـت تخـب إليـه وتوضـع، باحثـة عـن مركـز دارتهـم[1] الفيثاغوريـة؛ آخـذة فـي إصـلاح هيئتهـم الإنكساغوريـة[2]، مؤثـرة لمـا تـدل عليـه دقائـق حقائـق بقايـا علـوم مقايسهـم البراهانيـة، وتشيـر إليـه رمـوز كنـوز وصايـا علمـاء نواميسهـم **الكلدانيـة**، مـن مأثـور تأثيـر لاهوتيـة قواهـم السيماويـة، راغبـة فيمـا يفـاض علـى مادتهـا الجسمانيـة، ويطـرأ علـى عاقليتهـا الهيولانيـة، مـن علويـات آثـار مواهبهـا الربانيـة، موافقـة لمثلهـم المفارقـة أفضـل موافقـة، موافقـة لمـا وافـق مـن شـوارد آرايهـم الموفقـة أحسـن موافقـة. وتحـت هـذه الأستـار محـذرات أسـرار أضـرَّ بهـا الإسـرار، وطالمـا نكـر معارفهـا الإنكـار، ونقلـت مـن صـدور أولئـك الصـدور، إلـى بطـون هـذه الأوراق، فـي ظهـور فـوق دفاتـر فلسفيـات معـاني علومهـم الرقـاق. وفـي تلـك المغـاني، أبكـار معـاني، سكـن الجوانـح والصـدور، بـدل الأرايـك والخـدور، ولحـن فـي ديـاجي ظلـم هـذه الأحـاجي، كأقمـار فـي أطمـار، بهـرن ومـا ظهـرن،

---

[1] في نص لم يحدده عنان: ((دائرتهم)).
[2] في نص: ((الإنكسارية)).

وسطعن وما لمعن، فعشقن وما رمقن، واستملحن وما ملحن؛ أدرن خمور أجفانهن على ما خوريات ألحانهن، فهيجت البلابل نغم هذه البلابل، واستفرغته الأكياس، مترعات تلك الأكواس. ما سحر **بابل**، كخمر بابل، ولا منتقى أغانيهن الأوايل، كحمايمكم الهوادل، إن وصلت هديلها بحفيف، وصلن ثقيلهن بخفيف. إيه أيها الشمري المشمعل، دعنا من حديثك المضمحل، سر بنا أيها الفارس النَّدْس[1]، من حظيرة النفس، إلى حضرة القدس، صرح بإطلاق الجمال، وجل من عالميتك الملكوتية في أفسح مجال، تمش بين مقاصر قصورها، ومعاصر خمورها، رخي البال، مرخي السربال، فما ينسج لك على منوال، نادم عليها من شغف دن **سقراط**، إن استحسنت لها حسان، فما يصلح لك، **صالح بن علاط**. بت صريع محياها، فقد أوصت بمعالجة عقير معاقرة عقارها بقراط، لا تخش صاحب شرطتها، فلا شرط له عليك ولا اشتراط، مالك غير مبديك الأول، من قال امتثل الأمر، وما عليك من أمر وال؛ على رسلك ما هذا العجل، لا خطأ

---

[1] **أي الفارس السريع في الطعن.**

تتوقعه ولا خطل، أمكره أنت في هذه الكريهة، أم بطل. لو علم أنك ضبارية هذا الخميس، وخبعثة ذلك الخميس، لما عانى اليمٌ رسيس، شوقاً إليك **محمد بن خميس**، على أن لا غالب اليوم لأني غالب، ولا طالب يدرك شأو هذا الطالب، فقه بلا تفهيق، وحذق في تحذلق. أقسم **أبا الفضل** بمالك على **أبي البركات** من الفضل، ذلك العراقي الأرومة، لا هذا الفارس الجرثومة، وإن يك ذلك، **إسرايلي** الأصل، وهذا **إسمعيلي** الجنس، علوي الفضل. فلتلك الذات، شرف تلك الأدوات. قدم لي غالبنا المذكور، من بأسه الغر لأرفع، وأسمى من مقعد، وقوطيهم المشهور، من **إغرناطة** الحمراء، ومن متبوأ أبي أميتهم المرحوم، من جنات **جزيرتهم الخضراء**، فيما لنت **أبا الفضل** من هذه العربجة[1]، وألوك[2]. أرأيت في عمرك، مثل هذا الصعلوك، لا والله ما على ظهر هذه الغبراء، من يتظاهر بمثل هذه المعرفة في بني غبرا. فأي شيء هذا المنزع إيش، لا حال لنا معك ولا عيش، من يضحك على هذا الطيش. ما هذا الخبل،

---

[1] **في نص: ((العجرته)).**
[2] **في نص: ((والدك)).**

أخمار بك أم ثمل، إرجع إلى ما كنت بصدده، وقيت الزلل، خذ في الجد فما يليق بك الهزل. رق عن ذلك فحك لنا منه أرق غزل، ماذا أقول، وأي عقل يطاوعني على هذا المعقول. أفحمتني والله عن مكالمتكم هذه المحن، ومنعتني من طلب مسالمتكم، ما لكم علي في دنياكم هذه من الإحن. إن تكلمت كلمت، وإذا استعجمت عجمت. أما لهذه العلة آس، أم على هذه الفيلة مواس؛ ما حيلتي في طبع بلدكم الجاسي. أما يلين لضعفي أما يرق قلب زمانكم القاسي. ما هذه الدّمن يا بني خضروات الدّمن، أظهرتم المحن، فقلب لكم ظهر المِجَن[1]؛ إن مر بكم الولي حمّقتموه، وإن زجركم العالم فجرتم عليه ففسقتموه، وإذا نجم فيكم الحكيم، غصصتم به، فكفرتموه وزندقتموه، كونوا فوضى، فما لكم اليوم مَسْراً سِواه واذهبوا من مراعيكم المستوبلة، حيث شئتم، فقد أهملكم الرعاة. ضيعتم النص والشرائع، وأظهرتم في بدعكم العجايب والبدايع. نفقتم النفاق، وأقمتم سوق الفسوق على ساق. استصغرتم الكباير، وأبحتم الصغاير. أين غنيكم الشاكر، يتفقد فقيركم

---

[1] قلب له ظهر المجن: مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على حال من المودة؛ ثم تغير حاله، وانقلب عليه.

الصابر، أين عالمكم الماهر، يرشد متعلمكم الحاير. مات العلم بموت العلماء، وحكم الجهل بقطع دابر الحكماء. جرد لنا شريعتك يا أفضل الشارعين. أتم فيها موعظتك يا أفصح التابعين. لا والله ما يوقظكم من هذا الوسن، وعظ الحسن، ولا ينقذكم من فتن هذا الزمن، إلا سيف معلمه **أبي الحسن** والسلام.

ـ مقتطفات من روضة ابن خميس:

قيل أنه صنع قدحاً من الشمع؛ بديع الشكل، جيد الصنعة، له رونق ولطافة. ثم كتب على حافته؛ وفي الموضع الذي تلامس شفتا الشارب ذلك القدح:

وَمَا كُنْتُ إلاَّ زَهْرَةَ في حَديقةٍ   تَبَسَّمَ عَنِي ضاحِكات الكَمائِمِ

فَقُلِّبْتُ مِنْ طَوْرٍ لِطَوْرٍ فَها أنَا   أُقَبِّلُ أفْوَاهَ المُلُوكِ الأَعَاظِمِ

ثم أهدى ذلك القدح إلى صديقه الوزير ابن الحكيم.

كما كتب على ظهر كتاب لابن سبعين وعنوانه "الفقرية":

الفَقْرُ عِنْدي لَفْظٌ دَقَّ مَعْناهُ   مَنْ رَامَهُ ذَوي الغاياتِ عَناهُ

كَمْ مِنْ غَبِيٍّ بَعيد عَنْ تَصَوُّرِهِ   أرادَ كَشْف مَعْمَاهُ فَعَمَاهُ

وهــذان البيتــان اختلــف النــاس حولهمــا؛ فمــن قائــل أنهمــا لابــن الــرومي؛ وقائــل أنهمــا لابــن خميــس:

رب قوم في منازلهم　　عرر صاروا بها غررا

ستر الإحسان ما بهم　　سترى لو زال ما سترا

وهــذه أبيــات مــن القصائــد الطويلــة الــتي كتبهــا لــوالي ألمريــة أبي الحســن ابــن كماشــة:

العشي تعييــا والنوابــغ　　عن شكر أنعمك السوابغ

ثــم قــال:

ودسائــع ابن كماشــة　　مع كل بازغة وبــازغ

تأتي بما تهوى النغانغ　　من شهيــات اللغالــغ

ومنهــا أيضــاً:

ما ذاق طعــم بلاغــة　　من ليس للحوشي ماضغ

وقيــل أن الوزيــر ابــن الحكيــم طلــب منــه نظــم قصيــدة هائيــة؛ فبــدأ بطمطلعهــا؛ ولكنــه لــم يكملهــا؛ إذ مــات قــد إكمالهــا. ومطلعهــا هكــذا:

لمن المنازل لا يجيب صداها　　محيت معالمها وصم صداها

***

فهرس الموضوعات

(الجزء الثاني)


الناشيء



بوزياني الدراجي

أدباء وشعراء من تلمسان

الجزء الثالث






الناشيء

أدباء وشعراء من تلمسان

بوزياني الدراجي

الجزء الثالث

(نسخة منقحة)





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة
تلمسان عصمة الثقافة الإسلامية

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع
شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر
هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 1193 ـ 2011
ردمك: ISBN 978 ـ 9961 ـ 858 ـ 46 ـ 2



بسم الله الرّحمن الرّحيم

محمد بن سليمان

ابن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الكومي، الشهير بابن العفيف التلمساني، وبالشاب الظريف، (شمس الدين)[1].

ينتمي هذا الشاعر المبدع الرقيق إلى القبيلة الأمازيغية الزناتية المعروفة **بكومية**؛ المتواجدة في أعمال **تلمسان الجزائرية**. أما مولده فحصل **بالقاهرة** في 10 جمادى الآخرة من عام 661هـ/1262م. بينما توفي **بدمشق** – قبل موت والده **سليمان** – في سنة 688هـ/1289م عن عمر لا يتجاوز الثلاثين سنة؛ ودفن في مقبرة للصوفيين؛ بحكم انتماء والده إلى هذه الفئة. ويعتبر الشاب الظريف هذا – كما كان يطلق عليه – من بين الشعراء المشاهير في عصره. وكان يمتاز برقة شعره، ورونق طبعه، وسلاسة ألفاظه؛ وجمال نظمه، ورهافة حسه، ولطافة معانيه، وأناقة سبكه. أشار إلى وفاته **ابن تغري بردي الأتابكي** في

---

[1] له ترجمة في والوافي بالوفيات، وفوات الوفيات، وتعريف الخلف، والنجوم الزاهرة، وشذرات الذهب، والبداية والنهاية، وكشف الظنون، والأعلام.

كتابه النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة؛ فقال: **((وفيها** [أي سنة 688هـ] **توفي الشيخ الأديب البارع المتفنن شمس الدين محمد بن سليمان بن علي التلمساني؛ الشاعر المشهور؛ كان شاباً فاضلاً، ظريفاً؛ شعره في غاية الحسن والجودة؛ وديوان شعره مشهورٌ بأيدي الناس))**[1]. اهتم هذا الشاعر **الكومي**؛ ذي الأصول **التلمسانية** ــ في نظمه ــ بصياغة الأبيات القصيرة؛ ذات المنحَى الغنائي الجميل. ولم يبالغ في نظم المطولات؛ فما عرف منها ــ حتى الآن ــ يمكن عدّه على الأصابع. والظاهر أن هذا السلوك؛ أملاه عليه واقعه ومحيطه. وهذا الشاعر الظريف هو ابن الأديب الشاعر الصوفي **سليمان ابن علي التلمساني الكومي**؛ الشهير باسم **عفيف الدين التلمساني**. توفي في حياة والده. وقد رثاه والده عفيف الدين بقصيدة مطلعها:

ما لي بفقد المحمدين يد

مضى أخي ثم بعده الولد

[1] النجوم الزاهرة، ج: 7، ص: 381. وقال فيه صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ((كان ظريفاً، لعاباً، معاشراً؛ وشعره في غاية الحسن)). ج: 5، ص: 405.

يا نـــار قلــبي وأيـــن قلــبي أو

يا كبـــدي لـــو يكـــون لي كبـــد

يا بائـــع المـــوت مشتريـــه أنـــا

فالصبـــر ما لا يصـــاب والجلـــد

وجـــاء في كتـــاب فـــوات الوفيـــات؛ نقـــلاً عـــن القـــاضي شهـــاب الديـــن بـــن الفضـــل؛ قولـــه في **محمـــد بـــن سليمـــان العفيـــف التلمســـان: ((نسيـــم ســـرى، ونعيـــم جـــرى، وطيـــف؛ بـــل أخـــف موقعـــاً منـــه في الكـــرى. لـــم يـــأت إلاَّ مـــا خـــف عـــلى القلـــوب، وبـــريء مـــن العيـــوب؛ رقَّ شعـــره فكـــاد أن يشـــرب، ودقَّ فـــلا غـــرو للقضـــب أن ترقـــص والحمـــام أن يَطْـــرب، ولـــزم طريقـــة دخـــل فيهـــا بـــلا استئـــذان، وولـــج القلـــوب ولـــم يقـــرع بـــاب الآذان. وكـــان لأهـــل عصـــره، ومـــن جـــاء عـــلى آثارهـــم افتتـــان بشعـــره؛ وخاصـــة أهـــل دمشـــق؛ فإنـــه بيـــن غمائـــم حياضهـــم رُبـــيَ؛ وفي كمائـــم رياضهـــم حُـــبِيَ؛ حـــتى تدفـــق نهـــره، وأينـــع زهـــره. وقـــد أدركـــت جماعـــة مـــن خلطائـــه؛ لا يـــرون عليـــه تفضيـــل شاعـــر، ولا يـــروون لـــه شعـــراً إلاَّ وهـــم يعظمونـــه كالمشاعـــر؛ لا ينظـــرون لـــه بيتـــاً إلاّ كالبيـــت، ولا يقدمـــون عليـــه سابقـــاً؛ حـــتى لـــو قلـــت،**

ولا امــرأ القيــس لمــا باليــت؛ ومــرت لــه ولهــم بالحـمى أوقــات؛ لــم يبــق مــن زمانهــا إلاّ تَذَكُّــرُهُ، ولا مــن إحسانهــا إلاّ تشكــره. وأكثــر شعــره ـ لا بــل كلــه ـ رشيــق الألفــاظ، سهــل عــلى الحفــاظ؛ لا يخلــو مــن الألفــاظ العاميــة، ومــا تحلــو بــه المذاهــب الكلاميــة؛ فلهــذا عَلــق بكــل خاطــر، وولــع بــه كــل ذاكــر))[1].

وقــال عنــه **خليــل الصفــدي** صاحــب كتــاب الــوافي بالوفيــات: **((شمــس الديــن بــن عفيــف الديــن التلمســاني محمــد بــن سليمــان بــن عــلي شمــس الديــن بــن عفيــف التلمســاني؛ شاعــر مجيــد بــن شاعــر مجيــد؛ تعــانى الكتابــة؛ وولي عمالــة الخزانــة بدمشــق؛ ومــات شابــاً سنــة ثمــانٍ وثمانيــن وستمائــة. وكــان فيــه لعــب وانخــلاع ومجــون. ولــد بالقاهــرة فيمــا أخبــرني بــه الشيــخ أثيــر الديــن أبــو حيــان. قــال: ولــد في عاشــر جمــادى الآخــرة سنــة إحــدى وستيــن وستمائــة؛ لمــا كــان والــده صوفيــاً في خانقــاه سعيــد السعــداء))[2].**

هــذا؛ وللشــاب الظريــف ديــوان شعــر؛ تــم نشــره مــرات عديــدة، كمــا أخــرج لــه حــجي خليفــة مقامــات العشــاق في ورقتيــن. وهــذه عينــات مــن شعــره:

---

1 فـوات الوفيـات ج: 3، ص: 373.

2 الـوافي بالوفيـات، ج: 3، ص: 109.

ـ قصيــدة يــا راقــد الطــرف مــا للطــرف إعفــاء:

يَا رَاقِدَ الطَرْفِ ما لِلطَّرْفِ إغفاءُ
حَدّثْ بِذاكَ فما في الحُبِّ إخْفــاءُ

إنّ اللّيالي والأيــامَ مِنْ غَــزَلي
في الحسنِ والحُبّ أبناءٌ وأنبــاءُ

إذْ كلّ نافــرةٍ في الحُبّ آنِســة
وَكُلّ مَائِسَة في الحَيِّ خضْــرَاءُ

وصفوة الدَّهر بحرٌ والصّبا سفنٌ
وللخلاعــة إرســاءٌ وإســراءُ

يا ساكِني مِصرْ شَمْلُ الشّوْقِ مُجْتَمِعٌ
بعدَ الفراقِ وشولُ الوصلِ أجزاءُ

كأنّ عَصْرَ الصِّبَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ
عصرُ التصابي به للهــو إبطاءُ

نارَ الهَوَى لَيس يَخْشَى مِنْكِ قُلْبُ فَتَى
يكــون فيــه لإبراهيــم أرجــاءُ

نَدْبٌ يَرَى جُودَهُ الرّاجي مُشافَهَة
والجُودُ مِنْ غَيْرِهِ رَمْــزٌ وإيماءُ

ذُو هِمَّة لو غدتْ للأُفْــقِ ما رَحَلَت
له ثريــا ولا جَازتــهُ جــوزاءُ

لَوْلاَ أخُوكَ ولا أَلْــفَى مَكَارِمَـــهُ

لَمْ تَحْو غَيْرَ الذي تَحْوِيهِ بَطْحَـــاء

لَكِنْ تَعَوَّضْتُ عَنْ سُحْبٍ بِمُشْبِهِهِ

إِذْ سُحْبُ هذا وهَذا فِيهِما المَـــاءُ

وعنـــدَ ذلك طَـــلٌّ بـــاردٌ شبـــمٌ

وعندَ ذا منهـــلٌ صافٍ وأهـــواءُ

إلَيْكَ أَرْسَلْـــتُ أبياتـــاً لِمَدْحِكُمـــا

في ساحتيهن إســـراءُ وإرسَـــاءُ

لم يَقـــو مِنهـــنّ إقْـــواءٌ لِقَافِيَـــة

ولم يطأْهُـــنّ في الترتيبِ إيطـــاءُ

فـــإن نظـــمي أفـــرادٌ مُعـــدّدةٌ

ونَظْمُ غَيْري رُعاعاتٌ وَغوغـــاء

فـــلا يُقـــاسُ بِدُرٍّ مِنْه مُخْشَلَـــبٌ

هذا دواءٌ وقولُ الجاهِـــل الـــدّاءُ

عَلَيْكَ مِنّي سَلامٌ ما سَرَتْ سَحراً

نُسَيْمَةٌ عِطْرُها في الكَـــوْنِ دَرَّاءُ

ـــ مقطوعـــة: يـــومَ أتانـــا بـــردُه في بـــردة:

يـــومَ أتانـــا بـــردُه في بـــردة

أَضْحَى بِها مِثْلَ الحَديـــدِ المـــاءُ

والأَرْضُ قَدْ بُسِطَتْ لِحُسْنِ صَنِيعِهِ

بالثلج في الأرضِ اليدُ البيضـــاءُ

فاحْضُر فَنَحْنُ كما تُحِبّ بِمَجْلِسٍ

لَوْ لَمْ تَغِـبْ تَمـتْ بهِ السّـرّاءُ

ـ مقطوعـة: لا خَلَـتْ مِـنْ سَنَاكُـمُ الأَحْيَـاءُ:

لا خَلَـتْ مِنْ سَنَاكُـمُ الأَحْيَـاءُ

فَبِكَـمْ تَنْجَـلي بهـا الظَّلْمَـاءُ

كانَ دَمْعُ الحَيَـا عليهـنَّ سَقيـاً

فَهـو مُـذْ غِبْتُـمْ بِهـنَّ بُكَـاء

مَنْ تَلَـتْ مِنْكُـمْ عَلَيْـهِ مَعَـانٍ

كيـف تَحْـوي قيـادهُ أسمـاءُ

ما مُرَادي بالرَّبْعِ أَسمَاءُ أَنْ تَسْـ

ـخُو بِوَصلٍ أَوْ أنْ يَدُومَ لِقَـاءُ

بَيْنَمَا نَحْـنُ بِالدّيَـارِ وقَـدْ طـا

لَ وقـوفٌ مِنا وطـالَ رجـاءُ

إذ سَرَتْ مِنْ دِيارِهِـمْ نَسمـاتٌ

بَسمـات في إِثرهـا إرضـاءُ

مَرْحباً مَرْحبـاً عليهـا سُتُـورٌ

مِـن وِدادٍ أذيالهُـنَّ الوَفَـاءُ

ـ مقطوعــة: وافى الحبيــبُ بطلعــة غــرّاءُ:

وافى الحبيــبُ بطلعــة غــرّاءُ

من فوقِ قامةِ صُعــدَةٍ سمــراءِ

وبمقلة خفــق الفُؤادُ وقدْ أتَــتْ

إن الجنون يكــونُ في السَّــوداءِ

ـ مقطوعــة: مَنَعَــتْ جُفُــوني لَــذَّة الإغْفَــاءِ:

مَنَعَتْ جُفُــوني لَــذَّة الإغْفَــاءِ

عَلــقُ المُنَى وتَقسُّــمُ الأَهْــوَاءِ

عَجلَ الزّمانُ عليَّ في شرخِ الصبّا

بتشتُّــتِ القُرنــاء والقُرَبــاءُ

وسوادُ عيشي لمْ يــدعْ لي لــذةً

افتضُّهــا باللِّمَّـــة السَّــوداءِ

يا صاحبيَّ توجَّعا لِهــوى فــتًى

ألِف الضّنى ولَواعِــجَ البُرَحَــاءِ

هلْ غِيثَ رَبْعُ الحَيّ بَعْدَ مَدامِعي

أمْ أَمْسَكَتْ عَنْــهُ يَــدُ الأَنْــوَاءِ

أَحْبَابَنا قُضِي الفِــرَاقُ ولِي يَــدٌ

لِفِرَاقِكُــمْ لَكِــنْ على أُحْشَــائِي

فمروا الرّياحَ بأنْ تقصَّ حديثكـــمْ

عندي فما يبدي الكتابُ شِفــائي

ودليلُ ذلك أنَّ طـــرفي غاسِــلٌ

قَبْــلَ القِــرَاءَة نَقْشَـــهُ بِبُكــائي

ـ مقطوعـــة: قُلْـــتُ وَقَـــدْ أَقْبَـــلَ في حُلّـــة:

قُلْــتُ وقَــدْ أَقْبَــلَ في حُلّـــة

سَـــوداء مـــن حَـــلٍّ بأحشَـــائِي

عرَّفـــتُ كـــلَّ النـــاسِ ياسيـــدي

أنَّـــكَ أصبحــــت بســـودائِي

ـ مقطوعـــة: وافى بأحمـــر كالشقيـــقِ وقـــد غَـــدا:

وافى بأحمر كالشقيقِ وقد غَـــدا

يهتـــزُّ فيـــه بقامـــةٍ هيفـــــاء

فَعَجِبْتُ مِنْهُ وقَدْ غَـــدا في حُلَّـــة

حمُرَاءَ إذْ مَا زَالَ في سَـــوْدَائي

ـ مقطوعـــة: وافى بوجـــهٍ قـــد زَهَى بالطَّلعةِ:

وافى بوجـــهٍ قد زَهَى بالطَّلعـــة

الغَرَّاءِ فَـــوْقَ القَامَـــة الهَيْفَـــاء

وبمقلة خفق الفُـؤادُ وقدْ رَنَـتْ

إنَّ الخُفُـوق يَكُونُ عَنْ سَـوْدَاءِ

مقطوعـة: وافى بوجـهٍ كالهـلالِ مركَّـبٍ:

وافى بوجـهٍ كالهـلالِ مركَّـبٍ

في قَامَـةٍ غضيِّـة هَيْفَـاءِ

وبمقلة خفق الفـؤادُ وقد رَنَـتْ

وكذا الجنونُ يكُون عن سـوداءِ

ـ مقطوعـة: لَهْـفِي عَـلَى شَـادِنٍ في حُسْـنِ طَلْعَتِـهِ:

لَهْفِي عَلَى شَادِنٍ في حُسْنِ طَلْعَتِهِ

وشعرُهُ صارَ إصباحي وإمسائي

قَدْ بَرَّدَ القَلْبَ في تَمُّوزَ مَرْشِفُـهُ

وظَلَّ يحرقُ في كانونَ أحشـائي

ـ قصيـدة: وَافِي الرَّبِيـعَ فَسِـرْ إلى السَـرَّاءِ:

وَافِي الرَّبِيـعَ فَسِـرْ إلى السَـرَّاءِ

واسْـقِ النَّديـمَ سُلافـة الصَّهبـاءِ

هـاتِ المشعشَعَـةَ التي أنوارهُـا

تمحُـو ظـلامَ اللَّيلـة الظَّلمـاءِ

راحـــاً تــروحُ بجســم نـــارِ لابــسِ

في رَاحَـــة السَّـــاقِي قَمِيــصَ هَــوَاءِ

وَدَعِ الـهُمُــومَ إِذَا هَمَمْــت بِوَصْلِهَــا

عَــذْرَاءَ مِــنْ يَــدِ غَـــادَةٍ عَــذْرَاءِ

فِي حَيْثُ قَيْنَـــاتُ الغُصُـــونِ سَوَاجِـــعٌ

فَغِنَاؤُهُـــــنَّ لَنَـــا بِغَيْـــرِ غِنَــــاءِ

وَعَرَائِسُ الأَشْجَـــارِ تُجْــلَى في حُــلَّى

صيغــتْ مِنْ البيضـــاءِ والصَّفْــراءِ

وَغَلائِــــلُ الأَوْرَاقِ فَـــوْق قُدُودِهـــا

تنقــدُّ عِنْــد تطـــرُّب الورقـــــاءِ

والأرضُ يضحـــكُ ثغرُهـــا عَجبـــاً إذا

مـــزجَ الغَمـــامُ تبَسُّمـــاً ببُكـــــاءُ

والعَيْــش غَــضٌ والزَّمَـــانُ مُسَاعِــدٌ

والشَّمْــلُ مُشْتَمِــلٌ عَلَى السَـــرَّاءِ

ـ مقطوعـــة: تَدْبِيـــجُ حُسْنِـــكَ يـــا حَبِيـــبي قَـــدْ غَـــدَا:

تَدْبِيـــجُ حُسْنِكَ يا حَبِيبي قَدْ غَــدَا

في النَّاسِ أَصلَ بَلِيَّـــتي وبَـــلائِي

بالطُّرَّة السَّوْدَاءِ فَوْق الغُرَّة الـــ

ـــبَيْضَاءِ فَوْق الوَجْنَة الحَمْـــرَاءِ

ـ قصيـــدة: صـــدودكَ هَـــلْ لـــهُ أمـــدٌ قريـــب:

صدودكَ هَلْ لــهُ أمــدٌ قريــبٌ
وَوَصْلُكَ هَلْ يَكُــونُ وَلاَ رَقِيــبُ

قُضاة الحُسْنِ ما صُنْعِي بِطرْفٍ
تَمَــنَّى مِثْلَــهُ الرَّشــأُ الرَّبِيــبُ

رَمى فأصــابَ قلــبي باجتهــادٍ
صَدَقْتُــمْ كُلُّ مُجْتَهِـدٍ مُصِيــبُ

بِأيِّ حُشاشَـــةٍ وَبِــأَيِّ طَـرْفٍ
أحاولُ في الهَوى عيشاً يطيــبُ

وهذي فيــكَ ليــسَ لها نَصيــرٌ
وَهَذَا مِنْكَ لَيْــسَ لَــهُ نَصِيــبُ

وفي تلــكَ الهــوادجِ ظَاعنــاتٌ
سرينَ وكــلُّ ذي ولَــه حبيــبُ

إذا أَسْفَــرْنَ فانْكَسَــرَتْ عُيُــونٌ
لَهُنَّ فَتَكَــنَّ فانكَسَــرَتْ قُلُــوبُ

فيا تلكَ الذَّوائــب هــل صبَــاحٌ
فَــلِي في لَيْلِكُــنَّ أَسًّى مُذِيــبُ

ويا تلــك اللِّحــاظِ أرى عجيبــاً
سِهاماً كُلَّمــا كُسِــرَتْ تُصِيــبُ

ويـــا تلــكَ المعاطـــفِ خبِّرينـــا

متى يتعطَّف الغُصنُ الرّطيــبُ

فيا قاضي القُضاة مــتى يُــوفِّي

حُقوق صفاتكَ اللَّســنُ الأريــبُ

فتى رقَّــتْ خلائِقُــه كشِعــري

حَوى وصفيــنِ كلُّهمــا عَجيــبُ

فــفي كَــرمٍ لأشرفــهِ مديــحٌ

وفي حُسْــنٍ لأَلْطَفِــهِ نَسيــبُ

ـ قصيــدة: أضــحى لــهُ في اكتئابــه سببــبُ:

أضحى لــهُ في اكتئابــه سبــبُ

بمبســمٍ في رُضابــهِ شَنَــبُ

قَلْبٌ كمَا يُفْهَــمُ السُّلــوٌّ جَــرَى

فِيهِ كمَــا يُعْلَــمُ الهَــوَى لَهَــبُ

لاَ يَــدَّعِي العَاشِقُــونَ مَرتَبَــتي

مَتَى تَساوَى التُّــرابُ والذَّهــبُ

أَبكي إذَا مَا شَكَــوْا وأَنْــدُبُ إنْ

بَكَوْا وأَقْضِي نَحْبِي إذَا انْتَحَبُــوا

فيمــن بأعطافــــهِ وأعينــهِ

جُــرَّ قضيبٌ وجُــردتْ قُضُــبُ

مُنْتَقِـــمٌ بالصُّــدُودِ مُنْتَقِـــلٌ

عــنْ ودِّه بالجمـــالِ منتقــبُ

مُعْــرِضٌ بالــوِدَادِ مُعْتَــرِضٌ

مُحْتَجِــرٌ في الغَــرَامِ مُحْتَجِــبُ

يــا حبــذا دارهُ وإن بعــدت

وحبّــذا أهْلَـــــهُ وإنْ غَضِبُـــوا

وَحَبَّذا الشَّـــامُ إنْ سَمــتْ بِحُســا

مِ الدّين مِنْهَا البِطَـــاحُ والكُثُــبُ

لا أَخْتَشِي الحادِثَاتِ والحَسَنُ المُــ

ــحســنُ لي في جنابــهِ أُربُ

مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ سَموْا وَقَدْ كَرُمُــوا

فعلاً وطَابــوا أصلاً إذا انتسبــوا

إنْ أَظْلَمَ الدَّهْرُ ضـــاءَ حُسْنُهُــمْ

وإنْ أُمــرَّت أَيَّامُنـــا عَذُبُــوا

وإن أرادوا مكارمـــاً بلغــوا

وإن أرادُوا مَكارهـــاً غَلَبُــوا

ما إن سعوا في محامــدٍ رَفَعُــوا

لهـــا بِنـــاءَ فعاقَهُـــم نَصَــبُ

قَوْمٌ يَشُقُّــونَ كُلَّمـــا شَعَــب الــ

ــخَطْبُ وَمَنْ ذا يَشُقُّ ما شَعَبُــوا

وتَستَقِــرُّ العُيُــونُ إنْ نَزَلُــوا

وَتَستَقِــرُّ القُلُــوبُ إنْ رَكِبُــوا

وَتَخْجَــلُ السُّحْــبُ مِــنْ أَكُفِّهِــمِ

مِنْ أَجْلِ هَذَا تُبْدِي الحَيَا السُّحُبُ

مِنْ فِضَّــةِ عِرْضُهُــمْ وَنَشْرُهُــمْ

يُعطِّــرُ الكَــوْنُ أَيَّــةً ذَهَبُــوا

ما أَشرَقُــوا في ذُكــاء مَعْرِفَــة

إلا ذِكَــا مِــنْ ذُكائِهِــمْ غُــرُب

إن حضروا في مجالسِ خطبــوا

وإنْ نأوا عن مجالــسِ خُطبــوا

وكَــمْ عُــدَاةٍ أَقْوالهــم كَتَبُــوا

وَكَمْ عِــداةٍ وَفَــوا بِهــا كَتَبُــوا

سابقهــم في عُلومهــم نفــرٌ

فما لقــوا شأوهُــم ولا قرُبُــوا

قُلْ لأَجَــلِّ الــوَرَى إذا انْتَسَبُــوا

حَسْبُــكَ ما يَقْتَضِي لَكَ الحَسَــبُ

يَا ضَاحِكــاً والحَيَــاةُ عَابِسَــة

وثابتــاً والجبــالُ تضطــربُ

الدَّهْــرُ دَوْحٌ وأَنْت فِيــهِ قَضِيــ

ــبُ البَانِ غُصناً وَغَيْرُكَ الحَطَبُ

خذ مِدحـــاً لَـــم أردْ بِهـــا مِنحـــاً

حســـبي أني إليـــكَ أنتسِـــبُ

ــ قصيـــدة: دَعَـــاهُ وَرَقْـــمُ اللَّيْـــلِ بالبَـــرْقِ مُذْهَـــبُ:

دَعَاهُ وَرَقْمُ اللَّيْلِ بالبَرْقِ مُذْهَـــبُ

هوى بكَ لبَّاهُ الفُـــؤادُ المعـــذَّبُ

لَطيفٍ لَطيفٍ من خيالِكَ طـــارِقٍ

بليلٍ بليلٍ فيه للسُّحـــب مسحـــبُ

بِرُوحي يا طَيْف الحَبيبِ مُحافِظاً

على العهدِ يدنو كيف شئت ويقرُبُ

ومن كُلَّمـــا عاتبتُـــه رقَّ قلبُـــهُ

وأقســـم لا يجـــني ولا يتجنَّـــبُ

يُعلمـــهُ فـــرطَ القســـاوة أهلُـــهُ

فيعطفهُ الخُلُقُ الجميـــلُ فيغلـــبُ

يشقُّ جلابيب الدُّجنَّـــة زائـــري

على رغم مَنْ يلحى ومَنْ يترقَّبُ

فأُخْجِلُـــهُ مِمَّـــا أَبـــثُّ عِتابـــهُ

ويخجلـــني مِنْ فَرطِ ما يتـــأدَّبُ

فلو رمْتُ أني عنهُ أثني أعنَّـــتي

لَشَوقي يُنادي لُطْفَـــهُ أَيْنَ تذهَـــبُ

أَرَى كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ يأتي مُحبَّبـــاً

وَلاَ سِيَّما ذَاكَ الرُّضَابُ المُحَبَّـــبُ

عَلَى أَنَّني ما الوَجْدُ يَوْماً بِشاغِلِي

عَنِ المَجْدِ لَكِنِّي امْرُؤٌ مُتَطَــرِّبُ

وما أنا إلا شمسُ كــلِّ فضيلــةٍ

لَهَا مَشْرِقٌ لكنَّ أَصْـــلِي مَغْــرِبُ

وكلّ كلامٍ فيـــه ذكـــراي طيـــبٌ

وَكُلُّ مكانٍ فيه شَخْصِي أَطْيَـــبُ

وَلَمْ يُغْنِ عَنْي أنّني السّيْف ماضِياً

إذا لم يكن لي من بحدّي يضربُ

أما والمَعَـــالِي والأميـــر وإنَّـــني

لأُقْسِمُ فيه صادِقاً لَسْـــتُ أَكْـــذِبُ

لَقَدْ قَلَّدُوني فَـــوْق ما لا أُطِيقُـــهُ

وَقَدْ قَلَّـــدُوني فَـــوْق ما أَتَطَلَّـــبُ

ـ قصيـــدة: لِحـــاظُ الظُّبَـــا تَحْـــكَى الظُّـــبي في المَضَـــارِب:

لِحاظُ الظُّبَا تَحْكَى الظُّبي في المَضارِبِ

على اَنَّها أَمْـــضى يقطـــع الضّرائـــبِ

فَتَاهِيـــكَ مِـــنْ رَوْضِ ثُغُـــورُ أَقاحِـــهْ

لهُـــنَّ ابتســـامٌ في وُجُـــوهِ الغَيَاهِـــبِ

ظُبي مُقَــلِ سالمتهــنَّ لَــدى الهَــوَى
وأفعالُها في القَلْــبِ فِعْــلَ المُحــاربِ
وقَــدْ جرّدتْ لِلفتْــكِ فينا فَــلا تــرى
ســوى دمٍ مضروبٍ على خدّ ضَــاربِ
فَلاَ تَحذَرُوا بِيضَ القَواضِبَ واحْذَرُوا
قَواضِبَ سودِ في جُفون الكَواعِــبِ
وليــلِ شَربْنــا فيه كأساً من اللَّــمى
عَــلى جُلّنــار مِنْ خُدودِ الحَبائِــبِ
تُرِيــكَ بِهِ ضَحِكاً بُــرُوقُ ثُغُــورِهِ
إذَا مَا بَكَتْ فِيهِ عُيُــونُ السَّحَائِــبِ
ودوح كسا عاريه منبجــسُ الحيــا
محاســنَ نَــوْرٍ لم تــرغْ بمعائــب
فأبدى من النُــوارِ بيــض مباســمٍ
وأَرْخى من الأَغْصانِ خُضْرَ ذوائِبِ
لَدى وَجَنــاتٍ من شَقيــقٍ يَزِينهــا
من المِسْكِ أمثالَ اللّحى والشّــواربِ

ــ بيــت منفــرد:

أَيَجْمُلُ سُلْوَانِي إذَا هَجَرَ الحِــبُّ
أَم الصَّبْرُ أَوْلَى بِي إذَا ولَّه الحُبُّ

ـ قصيـدة: تَحَـرَّش الطَّـرْفُ بَيْـنَ الجِـدّ واللَّعِـبِ:

تَحَرَّش الطَّرْفُ بَيْنَ الجِدّ واللَّعِبِ

أَفْنَى المَدَامِعَ بَيْنَ الحُزْنِ والطَّرَبِ

إلى متى أنا أدعُـو كلّ مقتـربِ

داني المزارِ وأبكي كُلَّ مُغتـربِ

وكم أرَدّدُ في أرضِ الحِمى قدمي

تَرَدُّد الشكِّ بَيْنَ الصّدْقِ والكَـذِبِ

لَوْ أَنْكَرَتْني بُيُوتُ الحيِّ لاعتَرَفَتْ

مواطئُ العِيس لي في ربعها اليَبَبِ

كأنني لم أُعرس في مضاربهـا

ولم أحُطَّ بها رحـلي ولا قتـبي

ولم أغازِلْ فتاة الـحيِّ مائِسـةً

في رَوْضِهَا بين ذاكَ الحَلْي والذَّهَبِ

تبدي النّفـار دلالاً وهي آنسـة

يا حُسْنَ مَعْنَى الرِّضَا في صورةِ الغَضَبِ

ليت الليالي التي أولتْ بشاشتُهـا

إن لم تُدمْ هبة اللّـذاتِ لم تَهِـبِ

ما بالها غلّبت حُزني على فَرحي

وألْقتِ الحدّ بَيْنَ النّجْحِ والطّلَـبِ

ما اختصَّ بي حادثٌ مِنها فاغبَنُها

كَـــذاكَ شِيمَتُهَـــا في كُلِّ ذِي أَدَبِ

وقائل والمطايـــا قد أخـــذ بهـــا

سير الدليل بجدٍ غير ذي لَعـــبِ

حَتامِ تُنْضِي وتُفْنِي العيسُ قُلْتُ لَهُ

نيلُ المناصب موقوفٌ على النَّصبِ

مالي وللشعراء المُنكري شـــرفي

وَفَوْقُ دُرِّهم ما تَحْتَ مُخْشَلَـــبي

إن غبتُ عنهم تباهوا في قصائدهمْ

بِغَيْبَةِ الشمسِ تَبْدُو زِينَةُ الشهُبِ

ـ مقطوعـــة: وَلَقَـــدْ وَقَفْـــتُ ضُـــحًى بِبابِـــكَ قَاضِيـــاً:

وَلَقَدْ وَقَفْتُ ضُحًى بِبابِكَ قَاضِيـــاً[1]

باللَّثْـــمِ للعَتَبَـــاتِ بَعْض الوَاجِبِ

وأتيتُ أطْلُب[2] زَوْرَةً أحـــظَى بِهَا

فَرَدَدْت ـ يا عيني ـ هُناكَ بِحَاجِبِ

---

[1] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات هكذا: ((ولقدْ أتَيتُ إلى جَنابكَ قاضِياً)).
[2] في الـوافي بالوفيـات: ((أقْصِدُ)).

ـ قصيــدة: كيــف يُلــحَى عَــلى هَــواكَ الكَئِيــبُ:

كيفَ يُلحَى علَى هَواكَ الكَئِيــبُ

لَــكَ حُسْــنٌ ولِلأَنَــامِ قُلُــوبُ

كَمْ تَجَنَّيْت والمُحِــبُّ مع الوَجْــ

ــدِ وإنْ لَمْ يَجِــدْ لِقَــاكَ حَبِيــبُ

كَانَ يُرْجَى السُّلُوُّ لَوْ كَانَ غيري

وَسِــواكَ المُحِــبُّ وَالمَحْبُــوبُ

عَجَــبِي مِنْ قَويمِ قامَتِــكَ الهَيْــ

ــفَــاءِ قاسٍ وقِيلَ عَنْهُ رَطِيــبُ

وكَذا الحُسْنُ كُلّ مَنْ في الوَرَى بَعْــ

ــضُ رَعَايَاهُ وَهُوَ فيهمْ غريــبُ

سَلبتْني الرُّقَــادَ أَعْيُنُــكَ السُّــو

دُ وَتحلُــو فِعَالُهــا وَتَطِيــبُ

يا أَخا الظَّبيِ هَكَذا يَحْسُنُ السَّلْــ

ــبُ إذا ما ارْتَضَى بِهِ المَسْلُوبُ

وأَخَا الغُصْنِ لا عَــراكَ ذُبُــولٌ

وأَخَا البَدْرِ لا دَعَــاكَ غُــرُوبُ

ـ قصيـدة: عَـذَابِي مِـنْ ثَنَايَـاكَ العِـذَابِ:

عَـذَابِي مِنْ ثَنَايَـاكَ العِـذَابِ
فَهَلْ شَفَعَ الرِّضَا عِنْدَ الرُّضَـابِ
تَكَلُّـفُ مَـنْ تَكَلَّـف مِنْـكَ وُداً
طِـلابٌ لِلشَّـرَابِ مِنَ السَّـراب
نشبت إلى الجمـال وفيك بعـدٌ
أَضَافَ لَكَ الجَمَالَ إلى الحِجَـابِ
أَمَا وَهَـوَاي فِيـكَ لغَيـرِ عـارٍ
كَمَا زَعَـمَ الوُشَـاةُ ولا بِعَـابِ
وَمَـا يُوحِيـهِ صَبٌّـكَ لإجْتِنَـاءٍ

***

ومدحي حاكماً في الجود أنـهى
وأدنى في السخاء من السحـاب
لأنْت وإنْ هَجَرْت فَدتْـكَ رُوحِي
أَلَـذُّ إليَّ مِـنْ صِلَـةِ الشَّبَـابِ
فَـتًى فيهِ المعـارِف والمَعَـالي
جمعـن له العراب إلى الغـراب
فيطرب حين يضرب في خطوب
ويعرب حين يغرب في خطـاب

أموضح ثغــر غامض كل علــمٍ

إِذَا مَا عَنْـــهُ أُغلِــق كُــلُّ بــابِ

وكَاشِــف كُــلِّ مُظْلِمَـــةٍ وَظُلْــمٍ

بِـــآراءٍ خُلِقْـــنَ مِــنَ الصَّــوابِ

رَمَيْت عِدَاكَ في حَــرْبٍ بِبَــرْحٍ

بِأَمثَـــالِ البِحَـــارِ مِنَ الحِــرَابِ

فطـــارت أنفـــسٌ فـــوق الثريـــا

وَغَارَتْ أَرْؤُسٌ تَحْــت التُّــرَابِ

وحســـبي أن تطلبـــت المعـــالي

بِـــأَنَّ إلى مَحبَّتِـــكَ انْتِسَـــابِي

ـ قصيــدة: إنْ دَامَ هَذا التَّجَنِّي مِنْكَ والغَضَبُ:

إِنْ دَامَ هَذا التَّجَنِّي مِنْكَ والغَضَـــبُ

فَلا تَسَلْ عَنْ فُؤَادِي كيـــف يَلتَهِـــبُ

جَعَلْت فَرْطَ غَرَامِي فِيـــكَ لِي نَسَبـــاً

فِي الهَجرِ قُلْ لي فَدتْكَ النَّفسُ ما السَّبَبُ

يا شَعْرَهُ كمْ دُمُـــوعٍ فيـــكَ أَنثُرُهَـــا

وَهَكذا اللَّيْلُ فيـــهِ تظهَـــرُ الشُّهـــبُ

تَـــرَاهُ عَيْـــني فتُخفيـــهِ مَدامِعُهـــا

كأَنَّهُ حيـــن يَبْـــدُو حيـــنَ يَحْتَجِـــبُ

وَمَا بدا قَــطُّ يومـــا   وهو مقتـــربٌ

إلا ومـــن دونـــه   واشٍ ومرتقِــبُ

يا ليلُ مَنْ لي يصبحِ بـــتُّ أرقبـــه

تَالله قَدْ فَنِيَـــتْ مِنْ دُونِـــهِ الحِقَــبُ

إنَّ الذينَ فُؤادِي في الهَـــوَى نَهَبـــوا

لِنَاظِرَيَّ سُهَادي في الدُّجَى وَهَبُـــوا

الله   جَارُهُـــم   في   أَيَّـــةٍ   سَلَكُـــوا

إن اعتبوا عاشقاً في الحب أو اعتبوا

ـ مقطوعـــة: فمـــا أنـــا في الحضـــورِ منتهـــزٌ:

فمـــا أنا في الحضـــورِ منتهـــزٌ

أمينـــةُ النَّفـــسِ غيبـــةٌ الرُّقبـــا

وَمِنْ عَجِيبٍ أَنْ أَسْتَزِيـــدَكَ مِـــنْ

شربٍ وسكري عَلَيَّ قـــد غلبـــا

ـ قصيـــدة: غَـــرَامي فِيكـــمْ مَـــا أَلَـــذَّ وأَطْيَبَـــا:

غَرَامي فِيكـــمْ مَا أَلَـــذَّ وأَطْيَبَـــا

وأَهْلاً بِسُقْمِي مِنْ هَوَاكُمْ وَمَرْحَبَا

غزالكُمُ ذاكَ المَصـــونُ جَمالُـــهُ

إلَى غَيْرِهِ في الحُبّ قلبي ما صَبَا

تجلّى على كلٌّ القُلــوبِ فَعِنْدَمــا

سَبى حُسْنُهُ كُلَّ القلــوبِ تحجَّبــا

أَأَحْبابنـــا هَلْ عائِـــدٌ في حِماكُــمُ

أُويْقات أُنْس كلّها زَمَــنُ الصبِّــا

على حُبِّكم أفنيتُ حاصِلَ مدمَعي

وغير ولاكمْ عبدكُــم ما تكسّبــا

وَحَاشَاكُمُ أن تُبعدوا عن جُمالِكــم

حَليفَ هوى بالرّوحِ مِنْكُمْ مُعذَّبا

وإن تهجروا مَنْ واصلَ السّهدَ جَفْنُهُ

وَهَــذَّب فِيكــم عِشْقَـــهُ فَتَهذّبــا

وأحسنتُــم تأديبَـــهُ بِصُدوكــمْ

فــلا تهجروه بَعدَمــا قــد تأَدَّبــا

ولي مُهْجَةٌ دينُ الصَّبابة دِينُهــا

فَكَيْف تَرى عَنْكُمْ مَدى الدَّهْرِ مَذْهَبا

ـ مقطوعــة: لمــا درت أن المحــب بغيرهــا:

لمـــا درت أن المحـــب بغيـــره

وبغير ذكرى حبها لـــم يطـــرب

هَجَرتْهُ حِينـــاً ثُمّ لمّـــا أَنْعَمَـــتْ

جَاءَتْهُ في رَمَضان قَبْلَ المَغْرِبِ

ــ مقطوعــة: هُــوَ الصَّبْــرُ أَوْلَى ما اسْتَعَــانَ بِهِ الصَّــبُّ:

هُوَ الصَّبْرُ أَوْلَى ما استَعَانَ بِهِ الصَّبُّ
لولا تجنِّي الحبِّ ما عَــذبَ الحُــبُّ
إِذَا كُنْتُ لا أَهْوَى لِغَيْــرِ تَوَاصُــلِ
فعشقي لروحي لا لمن قلت ذا الحِبّ
وما أنا إلا مغرمُ القلــبِ لــو بــقى
عَلَى ما أُعانِيهِ مِنَ الوَجْدِ لي قَلْــبُ
يَــدُومُ عَلى بُعْــدِ المــزارِ بِحَالِــهِ
غَرامِي ويَقْوَى إِنْ تَدانى بِهِ القُــرْبُ
كذا شيمــتي فليقتــدِ العاشقــون بي
وإلاَّ فدعواهم ــ وحاشاهُم ــ كَــذِبُ
أجيبُ الجوابَ السَّهلَ عمَّــا سُئلْتُــه
وإن الذي يُشكي إليهِ الهوى صعــبُ

ــ مقطوعــة: تسلطــن في المــلاح بُخــا نــقي:

تسلطن في الملاح بُخا نــقي فلم يرضَ ببدرِ التَّــمَّ نائــبْ
وَقَدْ صَفّتْ لهُ الأتراكُ جُنْــداً وأصبح راكباً تحت العصائِب

ــ قصيــدة: أكــذا بــلا سبــبِ ولا ذنــبِ:

أكــذا بــلا سبــبِ ولا ذنــبِ تُبدي الصُّدودَ لمغرم صــبِّ
أَصْبَحْتَ بالهِجْــرَانِ تَقْتُلُــهُ أو ما اكْتَفَيْتَ بِلَوْعَةِ الحُــبِّ

لا بتَّ مِثْـلَ مَبِيـتِ مُهْجَتِـهِ مأْوَى الهُمُومِ وَمَجْمَعِ الكُرَبِ
صَبٌّ يُقلِّبـه الجَـوَى فِكْـراً وَيُديـرُه جَنباً إِلى جَنْـبِ
ما زِلْت تَنْـدُبُ بالبِعـادِ وَمَـا تَنْفَـكُّ بالتَّفْنيـدِ والعَتَـبِ
وأَرَاكَ يا أَمَـلي مَلَلْـت وَمَـا طَالت ـ فديتكَ ـ مُدَّةُ القُرب
يا عـاذلي فيمـن كلفتُ بـهِ عـدِّ الملامَ وعدِّ عنْ عَتَـبِ
هُوَ مَنْ علَمْت وَقَدْ رَضِيتُ بِهِ اللـه يَحْفَظُـهُ على قَلْـبِي

ـ مقطوعـة: اسْـمُ حَبِيـبي وَمَـا يُعَـانِي:

اسْمُ حَبِيبي وَمَا يُعَـانِي قد شغلا خاطري ولـبي
قالوا علي فقلت قـدراً قالوا كَوَافِي فَقُلْتُ قَلْـبِي

ـ مقطوعـة: مـن شـاءَ بعـد رضى الأحبّـة يغضـبُ:

من شاءَ بعد رضى الأحبّة يغضـبُ
مَا بَعْدَ بَهْجَة ذَا السُّفُـور تَحَجُّـبُ
أُنْـسٌ لَـهُ في كُـلِّ قَلْـبٍ مَوْقِـعٌ
ورضى لديـهِ كلُّ عيـشٍ طيـب
لا يصدقُ التخويف من واشٍ سـعى
حَسَداً وَلاَ قَـوْلُ الأَمَـانِي يَكْـذِبُ

فَاليَــوْمَ أَيٌّ مَنَــازِلٍ لا تُشْتَــهَى

سُكْــنَى وأَيٌّ مِياهِهَــا لا تَعْــذُبُ

وَبِمُهْجَتِي القَمَرُ الذي القَمَــرُ الــذي

بِتَمَامِــهِ لِتَمَامِـــــهِ لا يُحْجَـــبُ

مُتَمَنِّــعٌ مِــن أَنْ يُــرَى مُتَمَنِّعــاً

مُتَجَنِّــبٌ عَــنْ أَنَّــهُ مُتَجَنِّـــبُ

ـ قصيــدة: لا غَــرْوَ إنْ هَــزَّ عِطْــفي نَحْــوكَ الطَّــرَبُ:

لا غرْوَ إنْ هَزَّ عِطْفي نحْوَكَ الطَّرَبُ

قَدْ قَامَ حُسْنُكَ عَنْ عُذْرِي بِمَا يَجِــبُ

مَا كَانَ عَهْــدُكَ إلا ضَــوْءُ بَارِقَـــةٍ

لاحت لنا وطوت أنوارها الحُجُــبُ

تَمِيلُ عَنِّي مــلالاً مَــا لَــهُ سَبَــبٌ

سِوَى اعْتِرَافي بِأَنِّي فِيــكَ مُكْتَئِــبُ

فَرَاعــني في ودادٍ كُنــتُ رَاعيــهُ

أَنِّي بَعُدْتُ وَغَيْرِي مِنْــكَ مُقْتَــرِبُ

لِلْعَيْــنِ عِنْــدَكَ رَاحَــاتٌ مُوَفَّــرَةٌ

ولِلْفُــؤَادِ نَصِيــبٌ كُلُّــهُ نَصَــبُ

فإنْ عَشِقْت فَهذا الحُسْــنُ لِي وَطَــرٌ

وإنْ سَلَوْت فهَذَا الهَجْــرُ لي سَبَــبٌ

وإنْ سلَوْت فهذَا الهَجْــرُ لي سَبَــبٌ

ذَاكَ الحَيَـــاءُ وذَاكَ الفَضْـــلُ والأَدَبُ

وبَيْنَنَا مِنْ عَلاقـــاتِ الهَــوَى ذِمَــمٌ

ومِنْ رِضَاعَة أَخْلاَقِ الصِّبَا نَسَــبُ

قِسْنِي وقُساً وقَيْساً مَنْطِقـــاً وهَــوى

وانْصِفْ تَجِدْ رُتْبَتي مِنْ دُونِها الرُّتَبُ

ولا يغرنّـــكَ مِــنْ فــوديَّ شيبهمـــا

فَصُبْحُ عَــزْمِي بادٍ لَيْــس يَحْتَجَــب

كَمْ مَهْمَــهٍ جُبْتُـــه واللَّيْــلُ مُعْتَكِــرٌ

ووجهُ بدرِ الدُّجَى بالغنيــمِ مُنتقِــبُ

أقــولُ والبـــارقُ العُلْــوِيُّ مُبتسِــمٌ

والرِّيحُ مُعْتَلَّـــةٌ والغَيْــثُ مُنْسَكِــبُ

إذا سَقَى حلَــبٌ مِنْ مُــزْنٍ غَادِيَــة

أَرْضاً فَخُصَّتْ بِأَوْفَى قَطْرِهِ حلَــبُ

أَرْضٌ إذا قُلْت مَنْ سُكَّــان أَرْبُعِهــا

أجابَكَ الأَشرفَانِ الجُــودُ والحَسَــبُ

قومٌ إذا زُرْتَهُــمْ أصفْــوكَ وُدَّهُــم

كأنَّمـــا لَـــكَ أُمٌّ مِنْهُـــمُ وأَبُ

ــ قصيــدة: قــف بالركائــبِ أو سُقْهــا بترتيــبِ:

قف بالركائبِ أو سُقْها بترتيــبِ

عَسى تَسير إلى الحيّ الأعاريبِ

واسْأَلْ نَسيما ثَنَتْ أَعْطَافَنَا سَحَراً

من أينَ جاءتْ ففيها نفحَةُ الطِّيبِ

وفي الركائبِ مطويٌّ على حُرَقٍ

يَلْحقْنَ مُرْد الهَوَى العُذْرِي بالشِّيبِ

يَلْقى الفُرَاق بِصَبْرٍ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ

على النَّوَى وبِوجدٍ غير مَغْلــوب

يا ربة الهودج المحــميّ جانبــه

إلام حُبّــك يُغريني ويُغــري بي

ظننْتُ إنّ شبابي فيكَ يضفــعُ لي

وإنَّ جُود يدي يقضي بتقريــبي

وقعــتِ بي وبآمالي على خِــدعٍ

مِنَ المُنَى بَيْنَ تَصْدِيقٍ وتَكْــذيبِ

وأنّ أبْعَــدَ حــالاتِ المحبّــةِ أنْ

يَلْقَى الوَفاءَ مُحِبّ عِنْدَ مَحْبُــوبِ

كمْ قدْ شقيتُ بعذّالي عليكَ وكــمْ

شقوا بصدي وإعراضي وتقطيبي

أسعى إليكَ ويسعى بي مَلامُهُــمُ

فإنّـــني بَيْــنَ تأويـــبِ وتأنيــبِ

صدَّتْ بلا سببٍ عني فقُلتُ لَهَـــا

يا أُختَ يُوسف مالِي صَبْرَ أيُّوبِ

ترحَّلي أو أقيمي أنتِ لي سكّــنٌ

وأَنْتِ غايةُ آمـــالي وَمَطْلُــوبي

شَيْئانِ قَدْ أمِنا مِنْ ثالــثٍ لَهُمـــا

وجْدي عليكِ واحسانُ ابن يعقوبِ

أَغرّ لا الوَعْدُ مَمْطُولٌ لديـــهِ وَلاَ

أُسلوبه في النَّدى عنِّي بمسلـــوبِ

إذا سَطَا قُلْتُ يا أُسْدَ العَرينِ قِفي

وإنْ بَدا قُلتُ يا شمس الضُّحى غيبي

يبيت بالبأسِ مِنهُ البشرُ مبتسمـــاً

والسّيْفُ غَيْرُ صَقيلٍ غَيْرُ مَرْهوبِ

صمّ المسائلِ في يومِ الجِدالِ لـــهُ

أمضى وأنفذ مِنْ صُمّ الأنابيـــب

يا مَنْ لهُ الودّ من سري ومن علَني

وَمَنْ إلَى بابِهِ شــدّي وتَقْرِيــبي

كم رُمتُ لولا اشتياقي ان تُباعندي

لكي ترى صدق ودّي بعد تجريبي

بك انتصرتُ على الأيَّام مُقتــدراً

فَبِتْنَ مِنْي بحــدٍّ جِــدّ مَرْهُــوبِ

وأَنْتَ أَتْقَنْت بالإحْسانِ تَرْبِيَــتي

وأَنْتَ أَحْسَنْت بالإتْقــانِ تأديــبي

وأنت اكسبتني رأياً غنيــتُ بــه

عَنْ أَنْ أُكابِدَ مِنْ هَوْلِ التّجارِيب

فاسأل معانيك عنّي فهي تخبرني

تَخْبِرُكَ عَنْ كَرمٍ مِنْهُنَّ مَوْهُــوبِ

منْ سير الشهب مِن نظمي الشُموس ضُحىً

أَضاءَ ما بَيْنَ تَشْريقٍ وتَغْرِيــبِ

قَدْ جَرَّد البِيض مِنْ ذِهْني وَمِنْ هِمَمي

وَقُلِّدَ البيضَ مِنْ مَدْحي وَتَشْبيــبي

ومن محمد إقــدامي ومعرفــتي

ومن مُحمّد إعــرامي وتهذيــبي

لا رأي لي في جيادِ الخيلِ أَرْكَبُها

إذا نهضتُ فعزمي خيرُ مركوبِ

أَعَــاذَكَ الله مِــنْ هَــمٍّ أُكابِــدُهُ

أقولُ كرهــاً لأحشــائي بهِ ذُوبي

مُلئت بالدّهر عِلْماً وَهُوَ يَمْلأُ بي

جهلاً وَيَحْسَبُ مِني غير مَحسوبِ

إحْدَى الأعاجِيبِ عِنْدِي مِنْهُ لو وُصِفَتْ

لكانَ وصفي لها إحدى الأعاجيبِ

لكانَ وصفي لها إحدى الأعاجيبِ

ولا يَسيرُ بِعرْضٍ غير مَثْلـــوبِ

ولا يبيتُ له جـــارٌ بـــلا فـــرقٍ

ولا يُسَرُّ لَـــهُ ضَيْــفٌ بِتَرحَيــب

يصدّ عـــني إذا قابلتُـــه غضبـــاً

ككافرٍ صدّ عنْ بعضِ المحاريبِ

ولو ضربتُ بأدنى الفكر قُلتُ لَهُ

قَتَلْت في شرّ ضَرْبِ شَرّ مَضْرُوبِ

فِـــدا نِعَالِكَ ما ضَمَّـــت أَسِرتُّـــهُ

وإنْ فُدينَ بممقـــوتٍ ومسبُـــوبِ

إن المعالي براءٌ مِـــنْ تجشُّمهـــا

تَلبَّس المَجدُ فِيهـــا بالأكانيـــبِ

فَلَيْت كُلّ مُريبٍ غـــابَ عاتِبُـــهُ

فداء كل بريء العِرضِ معتـــوبِ

ولَيْـــتَ أنّي لَمْ أُدْفَـــعُ إلى زَمـــنٍ

ألقى الأُسُودَ بهِ طَوْعَ الأرانيـــبِ

إنْ يحْجِبُ الأضْعَفُ الأَقْوَى فَلاَ عَجَبٌ

فَرُبَّ عَقْلٍ بِسَتْرِ الوَهْمِ مَحْجُـــوبِ

والدهرُ ليس بمأمونٍ على بشـــرِ

يُديـــرهُ بيـــنَ تنعيـــمٍ وتعذيـــبِ

فلا يرقْ مسكـــنٌ فيـــهِ لساكنِـــه

ولا يثقْ صاحبٌ فيهِ بمصحُـــوبِ

وإنَّما الناسُ إلاّ أنْـــت في سِنَـــةٍ

معلليـــن بترغيـــبِ وترهيـــبِ

أَلَسْت مِنْ نَفَـــرٍ لَمْ يُثْـــنَ دُونَهُـــمُ

عادٍ بنتجحٍ ولا عـــافٍ بتخييـــبِ

عالِينَ في رُتَبٍ عافينَ عَنْ رِيبِ

دانينَ من شرفٍ نائينَ عن حُوبِ

كريمٌ ما أَظهرُوه مِـــنْ شمائلهـــم

كريمٌ ما ستـــروه في الجلابيـــبِ

صَاغَتْ عِيَارتُهُمْ حُسْنَ البديع بها

مِنَ البلاغة في أَسْنَى القَوَالِيـــبِ

مِنْ كلّ مُنتهجٍ جُـــوداً ومُبتهـــجٍ

بِشْرا إلى حَلْب الفَيْحاءِ مَنْسُـــوب

عَفٍّ كريمُ السّجايا مُحْسن عَلَـــمٌ

مِنَ الهُدى في سبيل الله مَنصوبِ

فيهم لِكلّ فـــتًى يَغْشاهُـــمُ أَبـــداً

إنْصافُ مَعْدلـــة في كُلّ أُسلْـــوبِ

لكلِّ ذي كَبــرِ إكبــارُ تكرُمــة

وكلِّ ذِي صِغَر تَصْغير تَحْبيــبِ

فاهنأ بذا العيــدِ يا عيــداً تُقلّلــهُ

وابْشِرِ بِسَعْدِ وأجر فيه مَجْلــوبِ

وأسلم على ما بهذي الناسِ من عَطبِ

في العلمِ أو في الحجى أَو في التَّراتيبِ

فَلَيْسَ مَجْدُكَ في مَجْدِ بِمُحْتَجَــبِ

وليس مدْحُكَ في مدْحِ بمكــذوبِ

وليسَ تلقى الليالي غير مُنصرفـ

وليس ترقى المعالي غير مَخْطوبِ

دعني وشعري ومَنْ في جَفْنِهِ مَرضٌ

نُوني يُزلْ مرض الأجفانِ تطبيبي

وخُذْ شواهد ما أمليتُ مِنْ فِكــرِ

تُثْني عَلَيْكَ بِمَلْفُــوظِ وَمَكْتُــوبِ

فالدرُّ يحْسُــنُ مثقوبــاً لناظمــهِ

وَحُسْنُ لَفْظِي دَرّ غَيْــرُ مَثْقُــوبِ

وكُلَّما قِيلَ شِعْــرٌ أَوْ يُقــالُ فمــا

أَراه إلا رَذاذاً مِــنْ شآبيــبي

ـ مقطوعــة: هجرت فتى ً أدنى الأنامِ محَبَّةً:

هجرت فتى ً أدنى الأنامِ محَبَّــةً

إلَيْكَ وأَوْفَى مَنْ إلَى العَهْدِ يُنْسَبُ

وأبقيتُ من لا يرتضي حينَ ترتضي

ولاَ هُوَ غَضْبَانٌ إذَا أَنْت تَغْضَبُ

ـ مقطوعــة: يــا زَائِــراً جَعَــلَ الدٌّجُنَّــةَ مَرْكِبــا:

يا زَائِــراً جَعَــلَ الدٌّجُنَّــة مَرْكِبــا

أَهْلاً على رُغْمِ الوُشَــاة وَمَرْحَبَــا

أمط اللثــامَ وألــقِ بُــردكَ يتضــحْ

وجهٌ وعِطفٌ كالصَّبّــاحِ وكالصبِّــا

وكفْتَــرّ مُبْتسمــاً فَدَمْــعِي ضامــنٌ

أنْ لا يكــنُ بريــقُ ثغــركَ خُلَّبــا

أفــنى هــواكَ تمسَّــكي بتنسُّــكي

فَخَلَعْتُ فِيكَ عِــذَارَ عِلْــمي أَشْيَبــا

فــأدرْ عليَّ شبيــهَ ثغــركَ رقَــةً

تَهْــدِي إليَّ شَــذاً كَعَرفِــكَ طَيِّبــا

صَهْباء كَمْ نَهَبَــتْ نُــهىَ وَصِيانــةً

منــا وأعطــتْ صبــوة ً وتطرٌبــا

في حلبـــةٍ مــا جَــالَ في أرجائهـــا
طِــرْفُ الحَــجَى مُتأَنيــاً إلا كَبـــا

ـ قصيــدة: يــا حبَّــذَا نَهــرَ القَصِيــرِ ومَغْرِبَــا:

يا حبَّذَا نَهر القَصيــرِ وَمَغْرِبَــا
ونسيمَ هَاتيــكَ المَعالِــم والرُّبَــا
وسقى زماناً مَــرَّ بي في ظلهــا
مــا كَانَ أَعْذَبَــهُ لَــديَّ وأَطْيَبَــا
أَيَّــامَ أُولَــعُ بالخُــدُودِ نَقِيَّــةً
والقَــدٌّ أهيــف والمقَّبــل أشنبَــا
وأزورُ حاناتِ المــدام ولا أرَى
غَيْرَ الذي قَضَتِ الخلاعةُ مَذْهَبا
مَالي ـــ وَمَا قاتَت سِنيِّ أصابعي ـــ
لَمْ أَقْض بِاللّذات أوطار الصِّبَــا
فلأَهْجُرنَّ أخــا الوَقَــارِ وَشأْنِــهِ
ولأَرْكَبَنَّ مِنَ الغِوَايَــة مَرْكِبَــا
ولأَطْلَعَــنَّ شُمُــوسَ كُلّ مَســرّة
وَأَكونَ مشرقَ أُفقِهَــا والمَغْرِبَــا
يَا صَاحِبِيّ ـــ جُعِلْتُمَا بَعْدِي ـــ خُذا
قول امرِئ عَرَف الأُمور وجَرّبا

لَمْ يَخلُـقِ الرَّحمَنُ شَيْئَـاً عَابِثـاً
فَالخَمْـرُ ما خُلِقَـتْ لأن تَتَجَنَّبـا
وتغنيَّـا لا بالحَطِيـمِ وَزَمْـزَمِ
بَلْ بِالحِـمَى وَبساكِنِيـهِ وَزَيْنَبَـا

ـ مقطوعـة: هَوَيْـتُ مَـنْ رِيقَتُـهُ قَرْقَـف:

هَوَيْـتُ مَـنْ رِيقَتُـهُ قَرْقَـفٌ
وَمَالَـهُ في ذَاكَ مِـنْ شَـارِبِ
قَلَنْدَرِيّـاً حَلَقُـوا حَاجِبـاً
منه كنـونِ الخـط من كاتـب
سلطـان حسـنٍ زاد في عدلـه
واخْتَارَ أَنْ يَبْـقَى بِـلاَ حَاجِـبِ

ـ مقطوعـة: أَضْـرِمْ لمِـنْ رَامَ وَصْـلاً مِنْـكَ أَوْ خَطَبـا:

أَضْرِمْ لمِنْ رَامَ وَصْلاً مِنْكَ أَوْ خطَبا
نـاراً جَعلـت لها أحشـاءهُ حطَبـا
وأْمُرْ غُصُونَ النَّقا أَنْ تَنْثني خَجَـلاَ
وقل لشمسِ الضُّحى أن تبتغي حُجُبا
واطْلُبْ مِنَ الحُسْنِ شُكْراناً فَوَجْهُكَ قَد
أعطاهُ منبعضـهِ كلَّ الـذي طَلَبَـا

ـ قصيـدة: صبَـا وهزَّتــهُ أيـدي شوقــه طَربــا:

صبَـــا وهزَّتهُ أيدي شوقه طَربـــا

وجدٌّ من بعدما مانَ الهوى لَعِبـــا

لا تعتبوه فما أبــقى الغــرامُ لــهُ

مِنْ سَمْعِهِ ما بِهِ يُصْغي لِمَنْ عَتَبا

وَلاَ ثَنَاهُ وأَمْرُ الحــبِّ في يَــدِهِ

عذلٌ فكيف وأمرُ الحُبّ قدْ غَلَبـــا

يهوى بروق الحِمى لكنْ يُخالفها

فكلما ابتسمت منْ جوِّها انتحبـــا

يا قلبُ حتَّام تَهْوَى مَنْ سَلاكَ وَيا

جَفْنَيَّ كَمْ تَبْكِيانِ الجيرة الغَيَبـــا

أعيذُ قَلْباً ثَوَى حُبُّ الأميــرِ بِـــهِ

من أنْ يرى بسوى حُبِّيهِ ملتهبـــا

لا تَنْظُر العَيْنُ مِنْهُ السَّيْف مُنْصَلِتاً

إنْ فَارَق الغِمْدَ حَلَّ الهامَ فاحْتَجَبَا

لَوْ أَقْسَمَ المُدْلِجُ السَّارِي علَى قَمَرٍ

باسم الأمير دَعاهُ قَــطُّ ما غربَـــا

ولو وضعت على الهنديّ سطوتهُ

طاحَتْ رُؤوسُ الأَعَادِي وَهْوَ ما ضَرَبَا

ولو وضعت الذي تُبدي فُكاهتــهُ

للعلقمِ المُرِّ أضحى طعمهُ ضَرِبا

وَلَوْ تَلــوْت على مَيْــتٍ مَنَاقِيَــهُ

ردّ الآلهُ لَهُ الــرُّوح التي سَلبــا

ولو مزجت بماءِ المُزنِ ما اكتسبتْ

مِنْ لُطْفِهِ شيمي ما غَصَّ مَنْ شَرِبَا

مِنَ الأكــارِمِ أبنـــاءِ الأكـــارم آ

بـــاءِ شيــمي لا زُوراً ولا كذِبَـــا

يسعى لنيلِ العُلى من معشرٍ وَهُمْ

تَسْعَى المعالي إلى أَبْوابِهِمْ أدبــا

يُعلمونَ الـــورى آدابهـــم ولَهُــمْ

بيضٌ إذا غَضِبُوا لا تَعْرِفُ الأَدَبا

لَوْ لُقِّبُوا بالغُصونِ السُّمْرِ صَدَّقَهُمْ

جَعلَ الرُّؤوس لها يوم الوغى كُثُبا

المُنْجِدينَ أَخا المُوجِدِيــنَ سَخــاً

والماجديـــن أباً والواجديـــن إيـــا

لمَّا انتسبتُ إلى أبوابِـــهِ كَبُـــرت

بي هِمَّةٌ صغرتْ في عيني الرُّتَبا

لَوْ رُمْتُ أَسْحَبُ أَذْيَالي على فَلَكٍ

لَمدَّ لي سَبَـــبٌ مِنْ جُـــودِهِ سَبَبَـــا

ــ قصيــدة: بِعَيْنَيْــك هَــذِي الفَاتِــرَاتُ الــتِّي تسْــبِي:

بِعَيْنَيْــك هَذِي الفَاتِرَاتُ التِّي تسْــبِي
يَهُــونُ عَلَيَّ اليَوم قَتْــلِي يَا حُــبِّي
إِذَا مَا رَأتْ عَيْــنِي جَمَالَكَ مُقْبِــلاً
وَحَقِّكَ يَا رَوحِي سَكِرْتُ بِلاَ شُرْبِ
وَإِنْ هَــزَّ عَطْفَيْكَ الصِّبَــا مُتَمَايِــلاً
أضَاعَ الهَوَى نُسكِي وَغُيِّبْتُ مِنْ لُــبِّي
فَدَعْنِي وَهَذَا الخَــدَّ أعْصِــرُ فِي فَمِي
عَنَاقِيــدَ صُدْغَيْهِ وحَسْبِي بِهِ حَسْــبِي
لَوَ أنَّ تُجَارَ اللُّؤلُؤِ الرَّطْبِ شَاهَــدُوا
ثَنَايَاك مَا عنُوا عَلَى اللُّؤلؤِ الرَّطْــبِ
أيَا سَــاقِي الكَأسِ الَّذِي زَادَ خَــدُّه
عَلَيْهَا احْمِرَاراً عد بِالكَاسِ عَنْ صحْبِي
وَمَــا ذَاكَ بُخْــلاً بِالمُــدَامِ وَإِنَّمَــا
إِذَا لُحْت لَمْ آمَنْ عَلَيْهمْ مِنَ السَّلْــبِ
وَباللَّهِ قُلْ لِي أيُّهَا الظَّبْيُ كَيْف قَــدْ
تَعَلَّمْت صَيْد الأسْدِ فِي شَرَكِ الهُــدْبِ
وَمَا الَّذِي قَدْ بِعْت فَاسْتَرْهَنْــت بِــهِ
لَدَيْكَ الربى رَهْنــاً كَثِيباً مِنَ الكثْــبِ

فَخُذْ قِصَّةَ الشَّكْوَى مِنَ الأعْيُنِ الَّــتِي
نَفَيْــتَ لَذِيذَ النَّــوْمِ عَنْهَا بِلاَ ذَنْــبِ
وَلاَ تَعْتَبَــنْ صَبَّـــا تَهَتَــكَ سِتْــرُهُ
عَلَيْكَ فَهتْكُ السِّتْرِ أَلْيَــقُ بِالصَّــبِّ

ـ مقطوعــة: أُحِــبُّ عَلِيّــاً وهــو سُــؤْلي وَبُغْيــتي:

أُحِبُّ عَلِيّاً وهو سُؤْلي وَبُغْيــتي وَمَا زَارَ إلاّ قُلْتُ أَهْلاً وَمَرْحَبَا
فيا ليت شعري عندما راحَ مُغرماً بقتلي مغرىً ظنّني فيه مرحِباً

ـ مقطوعــة: يــا رب نحــوي لــه مبســمٌ:

يا رب نحــوي له مبســمٌ تَقْبِيلُــهُ غايــةُ مَطْلُــوبي
قد صغر الجوهر من ثغرهِ لكنــه تصغيــر تحبيــبِ

ـ مقطوعــة: شَــدَا حَــالِي لِيُطْرِبَهُــمْ:

شَــدَا حَــالِي لِيُطْرِبَــهُ بلفــظٍ للهــوى يعــربْ
فَقَــالَ لِســانُ حَالهُــمُ مُغَــنِّي الحَيِّ ما يُطْــرِبْ

ـ مقطوعــة: أهــلاً بمعتــلِّ النَّسيــم ومرحبــا:

أهــلاً بمعتــلِّ النَّسيم ومرحبــا
وَمُذكِّرِي عَهْدَ الصَّبَابةِ والصِّبَــا

حملَ التَّحيّة من أهيل المنحـــنى

وأبـــان عنهم بالمقـــال وأعربـــا

فعرفـــتُ عرفهـــمُ بـــه لكنَّـــني

أَنْكَرْتُ صَبْراً عَنْ عُهُودي نَكَّبَـــا

يا عاذلي كن عاذري في حبِّهـــم

لم ألـــق للسّلوان عنهـــمْ مَذْهَبـــا

لا تَلْحُ فِيهِمْ بَعْدَمَا أَلِف الضَّـــنَى

يجدُ الغرام بهـــم لذيـــذاً طيبـــا

غِبْتُمْ وأَنْتُمْ حَاضِرُونَ بِمُهْجَـــتي

فبمهجتي أفدي الحضور الغيَّبـــا

ـ مقطوعـــة: يـــا فَاضِـحَ البَـدْرِ حُسْنـــاً:

يا فَاضِحَ البَدْرِ حُسْناً ومخجلاً للقضيـــبِ

وَيَا غَـــزالاً شَـــرُوداً مرعاهُ حضبَّ القلوبِ

ويا هـــــلالاً تبـــدَّى على قضيبِ رَطيـــبِ

عليكَ لَـــجَّ عـــذولي وَفِيـــكَ لَـــجَّ رَقِيـــبي

قد زدتُ والله عُجبـــاً على مُحـــبٍّ كَئيـــبِ

ـ قصيـدة: صدَقْتُـمْ قَـدُّه يَحـكي القَضِيبـا:

صَدَقْتُـمْ قَـدُّه يَحـكي القَضِيبـا
ألم تـرهُ حوى زهـراً وطيبـا
ولكنْ تحمـلُ الكثبـانُ بانـاً
ولَـمْ أَرَ بانـةً حَملـتْ كثيبـا
ولَمَّـا أَنْ تَلاقَيْنـا وأَبْـدَى
لَنا شَفقُ الضُّحَى كَفَّـا خضِيبـا
ملأت يديه من ياقـوت دمـعي
وكنـتُ محقـتُ لؤلـؤَهُ نَحيبـا
ذهلـتُ عَن النَّسيـبِ به فباتـتْ
محاسنُـه تُعلّمـني النَّسيبـا
وَبِتُّ أَهَابُ سُـودَ الأُسْـدِ لمَّـا
دَنَـا وعَهِدْتُـهُ ظَبْيـاً ربَيبـا
فيـا للـه لَحْظُـكَ مِـنْ عَـدوّ
أراك لأجلـه أبـداً حَبيبـا
أيا قمراً أعـد عنـدي طُلوعـاً
وإلاَّ فاتخـذ عنـدي مَغيبـا
ويَا لَيْلَ الذَّوائبِ طلْت فاقْصُـرْ
وَكُنْ مِنْ تَحْتِ أَخْمصِـهِ قَرِيبـا

ـ قصيـدة: حيـاكَ الجَمـالُ وأوفَى النّصِيبَـا:

حياكَ الجَمـالُ وأوفَى النّصِيبَـا
فَصِرْت إلَى كُـلّ قَلْـبِ حَبِيبَـا
وَرَدَّ جَلالُـكَ عَنْـكَ العُيُـونَ
فكنت الحَبيـبَ وَكُنْـت الرَّقِيبـا
مَنعت دُمُـوعِي أنْ لا تَصُـوبَ
وأَسْهُـمَ عَيْنَيْـكَ أَنْ لاَ تُصِيبَـا
وَأَقْسَمْـتَ أَنْ لا يَـراكَ امْـرُؤٌ
سِوَى نظرةٍ ثُمَّ يدعـو الطَّبِيبَـا
وَحُسْنُـكَ أَقْبَـلَ فِي جَحْفَـلٍ
فَلِمْ فِيكَ أَضْحَى فَريـداً غَريبـاً
حَبيبَ القُلـوبِ أَذَبْـتَ العُيـونَ
حَبِيـبَ الفُـؤَادِ أَذَبْـتَ القُلوبَـا
أيا كَعْبَةَ الحُسْـن إنّي جعلْـتُ
على سَلْوَةَ الحُـبِّ منّي صَلِيبَـا
أجابَـتْ فَلَـمْ تَلْـق مِـنّي نِـدا
وَنَادَتْ فَلَـمْ تَلْـق مِنْي مُجِيبَـا

ـ مقطوعـة: يـا مـن هجـر المحـب مـن غيـرِ سبـب:

يا من هجر المحب من غيرِ سبب

واستبدلَ بالوصلِ صدوداً وغضب

إن مت من الهجر فما ذاك عجب

بل إن سلمت روحي فهذاك عجبْ

ـ قصيـدة: تُـرى باجيـرة الشعـبِ:

تُــرى باجيــرة الشعــبِ

يُسَــرُّ بِوَصْلِكُــمْ قَلْــبِي؟

وتَجْمَـــعُ بيننـــا دارٌ

عَلَى الأَكْــرَامِ والرُّحْــبِ

أُهَيْــلَ الحَيِّ واعطَــشِي

لِــذَاكَ المَنْهَــلِ العَــذْبِ

ويــا شــوقِي إلى عيــشٍ

مضى في ظِلِــهِ الرحــبِ

وأَيَّـــامٍ بَــلا عَتَــبِ

تقضَّــت في ذرا عَتَــبِ

إذا ذُكِــرَتْ لَيالِيـــهِ

تهيَّــج لاعــجُ القلـــبِ

ويحـــكى قلـــبُ عاشقـــهِ

حَديثَ نَسيمِـــهِ الرَّطْـــبِ

فغـــنٍّ بِذِكْرِهَـــا سَعْـــدٌ

وأثْـــنِ مَعَاطِـــفَ الرَّكْـــبِ

ومحتجـــبٍ بمبتســـمٍ

يمـــزق ظلمـــة الحجـــبِ

مِـــنَ الأَقْمَـــارِ مَنْزِلتـــا

هُ في طـــرفي وفي قلـــبي

وظـــبي نفـــار بالأســـرارِ

يأنـــسُ ليـــس بالتّـــربِ

ـ مقطوعـــة: بَعَثْـــتُ إِلَيْـــكَ ما يَجْلِيـــكَ ثَغْـــراً:

بَعَثْـــتُ إِلَيْـــكَ ما يَجْلِيـــكَ ثَغْـــراً

ولَفْظـــاً إذْ تَهَـــنَّى بالرَّغَائِـــبْ

ولستبقانـــعٍ إن لـــم تـــزرني

لأني لســـت آمـــل بالرغائِـــبْ

ـ قصيـــدة: أَرْض الأحبّـــة مِـــنْ سَفْـــحٍ وَمِـــنْ كُثُـــبِ:

أَرْض الأحبّة مِنْ سَفْحٍ وَمِنْ كُثُبِ

سَقاكِ مُنْهَمِـــرُ الأنواء مِنْ كَثَـــبِ

وَلاَ عَدَتْ أَهْلَكِ النائينَ مِنْ نَفْسِ الـــ

ـــصِيَا تحيّة عَاني القلب مُكْتَئِــبِ

قَوْمٌ هُمُ العُرب المَحْمي جارُهُـــم

فَلاَ رَعَى الله إلا أَوْجُهَ العَــربِ

أعزّ عِنْدِي مِنْ سَمْعِي وَمِن بَصَرِي

ومِنْ فؤادي ومن أهلي ومِنْ نشبي

لَهُمْ عَلَيَّ حُقــوقٌ مُــذْ عَرَفْتُهُــمْ

كأنّــني بَيْــن أمّ مِنْهُــمُ وأبِ

إنْ كان أحسنُ ما في الشعر أكذبهُ

فحسنُ شعري فيهمْ غيرُ ذي كَذِبِ

حياكَ يا تربة الهادي الشّفيع حياً

بمنطق الرّعدِ بادٍ من فم السُّحبِ

يا ساكِنِي طَيْبَة الفَيْحَاء هَلْ زَمنٌ

يُدني المحب لنيل السؤلِ والأربِ

ضممت أعظمَ من يدعي بأعظم منْ

يَسْعَى إليه أُخو صِدْقٍ فَلَمْ يَخِــبْ

وحُزتَ أفصحَ من يهدي وأوضح مَنْ

يُبْدِي وأَرْجَحَ مَنْ يُعْزى إلى نَسَبِ

تَحْدُو النِّياقُ كِرامٌ نَحْــو تُرْبَتِــهِ

فَتملأ الأرْضَ مِن نُجب وَمِنْ نُجبِ

يَسْعَوْنَ نَحْوَ هِضَابِ طابَ مَورِدُها

كأنّما العذبُ مُشتــقٌّ مِن العَــذَبِ

أرضٌ مع الله عينُ الشمسِ تحرسُها

فإنْ تَغِبْ حَرَسَتْها أَعْيُنُ الشّهُــبِ

يا خير ساعٍ بباعٍ لا يُــردُّ ويـــا

أجلَّ دَاعٍ مُطاعٍ طاهرِ الحسَــبِ

مَا كَانَ يرضى لَك الرَّحمَنُ منزلة

يا أَشْرَفَ الخلقِ إلا أشرفُ الرّتبِ

لي منْ ذنوبي ذنب وافرٌ فَعَــسى

شَفَاعَةً مِنْكِ تُنْجِيني مِنَ اللَّهَــبِ

جَعَلْتُ حُبَّك لي ذُخْراً ومعتمــداً

فكانَ لي ناظراً مِنْ ناظرِ النُّوبِ

إِلَيْكَ وَجّهْتُ آمالي فَلاَ حُجِبَــتْ

عَنْ بَابِ جُودِكَ إنْ المَوْت في الحُجُبِ

وَقَدْ دَعَوْتُكَ أَرْجُو مِنْكَ مَكْرُمَــةَ

حاشاكَ أن تُــدعي فلــم تُجــب

ـ قصيــدة: حَمــوا بِكُعُــوبِ السّمْــرِ بِيــضَ الكَواعِــب:

حَموا بِكُعُوبِ السّمْرِ بِيض الكَواعِبِ

وصانُوا من الأَتْرابِ دُرَّ الترائبِ

وَهَزّوا العَوالي مِنْ اكفٍّ قَوابِضٍ

رِقَابَ المعالي بالسُّيُوفِ القَواضِب

فكم حَاجبٍ يَلْقَاكَ مِنْ دُونِ أَعْيُنٍ

وكم أعينٍ تلقاك من دون حاجب

وَكَمْ بِتُّ أرعى مِنْ بُدُورٍ طَوَالِعٍ

وأَرْعَى عُهوداً مِنْ شُمُوسٍ غواربِ

وساروا فيا الله كـم من حبائـل

تَصيدُ قُلُوباً مِنْ عُيونِ الحَبائِـبِ

جَلَوْنَ على الأَحْدَاقِ خَيْرَ سَوالفِ

وكُنَّ على العُشَّاقِ شَرَّ سَوالِـبِ

بحمرة خد لا تصاب بعـارضٍ

وخمرة ثغر لا تعـاف لشـارب

ألا في سبيل الحب يا علو مهجةٌ

عليها لك الأشواق ضربة لازب

قفي ودعينا قد بدت غربة النوى

وآذننا بِالبَيْـنِ سَيْـرُ الركائـبِ

ــ مقطوعـة: لَـوْ لَـمْ تَكُـنْ ابنَـةُ العُنْقُـودِ في فَمِـهِ:

لَوْ لَمْ تَكُنْ ابنَةُ العُنقُودِ في فَمِـهِ

ما كان في خده القاني أبو لهـب

تبت يدار عـــاذلي فيه فوجنتــــه

حَمَّالةُ الوَرْدِ لا حَمَّالة الحَطَـــبِ

ـ مقطوعـــة: تهيــم بــدرٍ ثــم ترجــو لـــه قربـــا:

تهيــم بدرٍ ثم ترجــو له قربـــا

لَعَمْرِي لَقَدْ حَاوَلْت مُمْتَنِعاً صَعْبا

إذا كنت تهوى البدر فاقنعْ بأنْ ترى

سَنَاهُ عَلَى بُعْدٍ وإلاَّ فَمُـــتْ كَرْبَـــا

وإن لم يدعك الدمع فانظرْ جمالهُ

بِقَلْبِكَ إنْ أَبْــقَى الغَرامُ لَكَ القَلْبَـــا

وإلاَّ فَيَكْفِيــكَ الخيـــالُ مُسلِّمـــاَ

وإن كنت من تجفو مضاجعهُ الجَنبا

وكُنْ قانِعاً مِنْهُ وحَسْبُكَ مَفْخَــراَ

بِأَنَّكَ تَضْحَى مُستَهَاماً بِهِ صَبّــا

ـ موشــح: بَــدْرٌ عَــنِ الوَصْــلِ في الهَــوَى عَــدْلاُ:

بَدْرٌ عَنِ الوَصلِ في الهَوَى عَدْلاً * مَالي عَنْهُ إنْ جَارَ أوْ عَدَلاَ مَذْهَبْ

مُتَرّك اللَّحْظِ لَفْظُــهُ خَنِــثُ

إليه تصبو الحشا وتنبعــث

أشكو إليه وليس يكتــرث

دعا فـــؤادي بأن يذوب قـــلـى * ألمَوْتُ واللهِ إذِ دَعــا وَقــلَـى أقرب

لم يَبْقَ لي مُقلَةٌ ولا كَبِـدُ

والقلْبُ فيهِ أوْدَى بهِ الكَمَـدُ

ولَيْس يلــفَى لهَجْــرِهِ أمَـدُ

لا تَعْجَبوا أنْ غدَوتُ مُحْتَمِلاً * لَكِنَّ قلْبي إنْ كانَ عَنهُ سَلاَ أعْجَــبُ

بالحُسْنِ كُلَّ العُقولِ قدْ نهَبَا

وَالحُزْنِ كُلَّ القُلوبِ قدْ وَهَبَا

شَمْسٌ ولَكِنَّني لَدَيْــهِ هَبَــا

فانْظُرْ لِذاكَ القَوَامِ كَيْف جَلاَ * غُصْنٌ وكَمْ بالجَمالِ مِنْهُ جَلاَ غَيْهَــبُ

ـ **مقطوعـــة: أنتــمْ لِعبْدِكُــمُ أحبَّــهْ:**

أنتــمْ لِعبْدِكُــمُ أحبَّــهْ وَلَهُ عَلَيْكُمْ حَــقٌّ صُحْبَــهْ

يا نَائِميــنَ عَــنِ المُسهَّـدِ فارغيــنَ عَــنِ المَحَبَّــهْ

واللهِ ما عِنْــدِي مِنَ السُّلْــوَانِ عَنْكُــمْ وَزْنَ حَبَّــهْ

قَــدْ كُنْتُــمُ أُنْــسِي فَهَــا أنا بَعْدَكُمْ في دارِ غُربَــهْ

لاَ فُرِّجَــتْ عَنْ مُهْجَــتي إنْ مِلْتُ لِلسُّلْــوانِ كُرْبَــهْ

ـ **مقطوعـــة: عِــذارٌ فيـــهِ قَــدْ عَبِثُــوا:**

عِذارٌ فيهِ قَدْ عَبِثُــوا مُحِبُّوه وقَدْ عَنِتُــوا

يَخافُ عُيُونَ وَاشِيه فَيَمْشي ثُــمَّ يَلْتَفِــتُ

ـ مقطوعــة: يــا أهْــلَ نجــدٍ عــلى هَــوائي:

يا أهل نجدٍ على هَوائي سددتُمُ سَائِر الجِهــاتِ
واعجباً ترضونَ قَتــلي وأَنْتُمْ في الهَوَى حَيَاتِي

ـ مقطوعــة: وحــقِّ هــذي الأعيــن السَّاحِــرهْ:

وحقِّ[1] هذي الأعين السَّاحِرهْ وَحُسْنِ هَذي الوَجْنَةَ الزَّاهِرَهْ
لَوْ واصلتني في الدُّجَى لَمْ يَبِتْ[2] قَلْبِي مِنْهَا وَهْوَ بالهَاجِــرَهْ[3]
بِالله خَفْ إِثْمِي يا قَاتِــلي[4] فاليَوْمُ دُنْيا وغــداً آخِــرَهْ
قلــبي مِصرٌ لكَ ما بَالــهُ قَدْ ذَابَ مِنْ أَخْلاَقِكَ القَاهِرَهْ
خيلان ذاكَ الخَدِّ مِنْ مُقْلَتي فَهِيَ لِذا في حُسْنِه حَائِــرَهْ[5]

ـ مقطوعــة: عَلِــق القَلْــبُ بِسَمَّــل:

عَلِق القَلْــبُ بِسَمَّــ ــلِ رشيقِ الَحركاتِ
بَرَدِيِّ الثَّغْرِ يَفْتَــرُّ عنِ العَذبِ الفُــراتِ

[1] في فـوات الوفيـات: ((بحـق)).
[2] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات هكذا: ((لَـوْ أنهـا واصِلَـتِي لَـمْ يَبِـتْ)).
[3] سقـط هـذا البيـت في فـوات الوفيـات.
[4] جاء هذا الشطر في فوات الوفيات هكذا: ((خَـفْ في الهوى إثْمِي يا قاتِـلي)).
[5] سقـط هـذا البيـت في الـوافي بالوفيـات، وفـوات الوفيـات.

ـ مقطوعـــة: وَحُرْمَـــة الذَّاهِـــبِ مِـــنْ عَيْشِنـــا:

وَحُرْمَةَ الذَّاهِبِ مِنْ عَيْشِنا وَطِيبِ أيَّــامِي التي وَلَّتِ
إني على ما تعهدوني وفيٌّ وَعُقْــدَةُ المِيثَاقِ مَا حُلَّــتِ

ـ مقطوعـــة: عُـــودي إلَى حُسْـــنِ التـــأتي:

عُودي إلَى حُسْنِ التأتي فلقدْ جَهلتِ من اجتنبتِ
كَــمْ تُظْهرين مُحجبّــاً مهلاً فما هي عَينُ بنتِ
فلَقَــدْ علِمْنـــا بالـــذي قَدْ كَانَ مِنْكِ وقَدْ علمْتِ
قالتْ ألستُ مِنَ الحرَائرِ قُلتُ بل يا ستّي كُنــتِ
ما أَنْتِ ذَاكَ السَّمْهَرِيّ قوامُهُ فلــمَ احْتَجَبْــتِ
وجْــهٌ إذا ما لاَحَ قُلْـــتُ لقُبْحِــهِ ما بُلتُ تحتي

ـ مقطوعـــة: وأقـــوامٍ لهـــمُ في العشـــق:

وأقوامٍ لهــمُ في العشـــقِ حُكْمُ القَطْعِ والبَــتِّ
يلُوطــونَ علَى الإبْــنِ وَيَزْنُــونَ مَعَ البِنْــتِ
ومَنْ يسلــمُ مِنْ قــومٍ يدُبــونَ علَى الكفــتِي

ـ قصيـــدة: أبـــداً بذكـــرك تنقـــضي أوقـــاتي:

أبداً بذكرك تنقضي أوقــاتي
ما بين سمَّاري وفي خلــواتي

يَا وَاحِدَ الحُسْنِ البَدِيعِ لِذاتِـــهِ

أنا واحد الأحزان فيك لـــذاتي

وَبِحُبِّكَ اشْتَغَلَتْ حَوَاسِي مِثْلَمَا

بِجَمَالِكَ امْتَلأَتْ جَمِيعُ جِهَاتي

حسبي من اللَّذاتِ فيكَ صَبَابةً

عندي شُغِلْتُ بها عن الَّـــذَّاتِ

ورضاي أني فاعلٌ برضاك ما

تَخْتَارُ مِنْ مَحوِي وَمِن إثْبَاتِي

يَا حَاضِراً غَابَتْ بِهِ عُشَّاقُـــهُ

عن كلِّ ماضٍ في الزّمانِ وآتِ

حَاسَبْتُ أَنْفَاسِي فَلَمْ أَرَ واحِداً

مِنْهَا خَلاَ وَقْتاً مِنَ الأَوْقَـــاتِ

ومدلَّهينَ حجبت عنك عقولهم

فهُـــمُ من الأحياء كالأمـــواتِ

تَتْلُو على الهَضَبَاتِ تَطْلُبُ ناشِداً

مِنهُمْ كأَنّكَ في ذُرَى الهَضَبَاتِ

لمَّا بكوا وضحكت أنكر بعضهم

شأْني وقَالُوا: الوَجْدُ بالعَبراتِ

فأَظنُّهُمْ ظَنُّوا طَرِيقَكَ واحِـــداً

وَنَسوْا بِأَنَّكَ جَامِعُ الأَشْتَـــاتِ

ما تستعدُّ لما تفيض نُفُوسُهُــمْ

فَتَغَيضُ مِنْ كَمَدٍ وَمِنْ حَسَراتِ

يا قَطْرُ عُمَّ دِمَشْق واخْصُصْ مَنْزِلاً

في قاسيُــون وحلِّــهِ بنبــاتِ

وَترَنَّمي يا وُرْقُ فيهِ ويا صَبَا

مُرِّي عَلَيْهِ بِأَطْيَبِ النَّفَحَــاتِ

فيه الرِّضَى فيه المُنى فيه الهُدى

فيهِ أُصُولُ سَعَادَتي وحَيَــاتي

فيه الذي كَشَفَ العمَى عَنْ ناظري

وجلا شُموسَ الحقِّ في مرآتي

فيهِ الأَبُ البّرُّ الشَّفُوقُ فديتُــهُ

من سائرِ الأسواءِ والآفــاتِ

كَفٌّ تُمَدُّ بِجُودِهِ نَحْوِي وأُخْــ

ــرَى لِلسَّماءِ بِصَالِحِ الدَّعَواتِ

وإذَا جَنَيْتُ بِسَيِّئَــاتي عَدَّهَــا

ــ كَرَماً وإحْساناً ــ مِنَ الحَسَناتِ

وإذَا وَقَيْتُ بِوجْنَــتَيَّ نِعَالَــهُ

عَدَّدْتُ تَقْصِيري مِنَ الزَّلاَّتِ

لَمْ يَرْضَ بالتَّقْلِيدِ حَتَّى جَاءَ في

التَّوْحِيدِ بالبُرْهَــانِ والآيــاتِ

نَفْسٌ زَكَت وزَكَتْ بِهَا أَنْوَارُها
في صُورَةٍ نَسَختْ صَفَاءَ صِفَاتِي
بهرتْ ــ وقد طَهُرَتْ ــ سَناً وتقدَّست
شرفاً عنِ التشبيه والشُّبهَــاتِ
في كلِّ أرضٍ للثَّناءِ عليهِ مَــا
يُرْوَى بِأَنْفَاسِ الصَّبَّا العَبِقَــاتِ
أأبي وإنْ جَلَّ النِّداءُ وَقَلَّ مِقْــ
ـــداري نِداءُ العَبْدِ للسَّــاداتِ
أنّى التفتُ رأيتُ مِنكَ محاسناً
إنْ مِلْتُ نَشْواناً فَهُنَّ سُقَــاتي
وَبِسِرِّكَ استَأْنَسْتُ حَتَّى أَنَّــني
لَمْ أَشْكُ عَنْكَ تَغرُّبي وشَتَــاتي
وإذَا ادَّخرْتُكَ لِلشَّدائِدِ لَمْ تَكُــنْ
يوماً لِغَمْزِ الحادثــاتِ قنــاتي
وإذا التقيتُ أو اتّقيتُ ببأسكَ الـــ
ـــخطبَ المُلِمَّ وجدْتُ فيهِ نَجاتي
وأرى الوُجُودَ بأسرِهِ رجعَ الصَّدى
وأَرَى وُجُودَكَ مَنْشأً الأصْوَاتِ
فعَلَيْكَ مِنْكَ مَعَ الأَصَائِلِ والضُّحَى
تُتْــلَى أَجَلَّ تَحِيَّــةٍ وَصَــلاة

ـ مقطوعــة: بــأبي أهيــفٌ لَــدنٌ قــدُّهُ:

بأبي أهيــفٌ لَــدنٌ قــدُّهُ
قامَ يسعى للنَّدامى بالمُدامهْ
جَاءَ بالكأسِ وَفي وجْنَتِــهِ
شامةٌ مِنْ أجلها قُلنا بشامَهْ

ـ مقطوعــة: قَامَــتْ حُــرُوبُ الزَّهْــر:

قَامَــت حُرُوبُ الزَّهْــرِ ما
بيــنَ الرِّيــاضِ السُّنُدُسيَّــهْ
وأتــتْ جُيــوشُ الآسِ تَغْــ
ــزُو رَوْضَةَ الوَرْدِ الجَنِيَّهْ
لَكِنَّهــا كُسِــرَتْ لأ
نَّ الــوردَ شوكَتُــهُ قويَّــهْ

ـ مقطوعــة: أحــلى مــن الشهــد مــن هويــت وكَــمْ:

أحلى من الشهد من هويت وكَمْ
شُقَّتْ[1] بِهِ في الهَوَى مــرارتُ

---

[1] في الـوافي بالوفيـات: ((فُتِّـتْ)).

وَكَيْــف لا تُستَطَــاب رِيقَتُــهُ

وثَغْــرُهُ سُكَّـــرٌ سُنيْنَــاتُ

ـ مقطوعــة: يَــا نَاتِفــاً شَعْـرَاتِ عَارِضِــهِ الــتى:

يَا نَاتِفاً شَعْرَاتِ عَارِضِهِ الــ

ــتي سَاقَـــتْ وشَقَّـتْ

أَخَشِيــت طُــولَ حَدِيثِهــا

فَقَطَعْتَها مِنْ حَيْــثُ رَقَّــتْ

ـ مقطوعــة: مــن حيــن جــلا العِــذَار في الخــدِّ نبــاتْ:

من حين جلا العِذَار في الخدِّ نباتْ

أحيَــا بوصالهِ وبالهجــرِ أمــاتْ

وحياة هواكَ طلّق النّوم ثلاث كذا

مَنْ تهجُرُه فلا تسل كيــف يبــاتْ

ـ مقطوعــة: قلــبي بحــبٍّ سِواكُــمُ لا يعبــث:

قلبي بحبٍّ سِواكُــمُ لا يعبــثُ

وفمي بغيرِ الحُبِّ ليس يُحدِّثُ

وحياتِكُم لا حُلتُ عنكمْ في الهوى

وإذا حلَفْتُ بحقكمْ لا أَحنُــثُ

يا نَازِحِينَ ونازِلِينَ بِمُهْجَــتي
لهواكُم سِحِــرٌ بقلبي ينفُــثُ
إنْ لمِ تجودوا بالوصالِ فعلِّلوا
بالوعدِ قلبي ثمّ مِنْ بَعدِ انكثوا
لامَ العذُولُ على هَواكُمْ جاهلاً
ما طابَ سمعي بالذي يتحدَّثُ
وأعرتُه أُذني للــذّة ذِكركُــمْ
لا لِلّذي بالصَّــدِّ فِيهِ يَبْحَــثُ
أَنْتُمْ أَحِبَّــائِي وأَنْتُــمْ غَايَــتي
إنْ شِئتُمُ حُثُّوا الرّكَابَ أَو البثوا

ـ مقطوعــة: يــا سَاكِــنِي مُهْجَــتِي وَقَــلْبِي:

يا سَاكِنِي مُهْجَتِي وَقَلْبِي
أَقْسَمَ قَلْبِي ولَيْسَ يَحْنَــثْ
إنْ متُّ في حبِّكُم فــإنِي
أحيا على عشقكُمْ وأُبعَثْ

ـ مقطوعــة: قَــدْ قُلْــتُ لَمَّــا مَــرَّ بِي مُعْرِضــاً:

قَدْ قُلْتُ لَمَّا مَرَّ بِي مُعْرِضاً
كالبدرِ تحت الغَسقِ الدَّاجي

يهتــزُّ في مشيتــهِ مُتعبــاً

مِنْ كَفَلٍ كالموجِ رجَّــاجِ

وَيْلِي عَلى حلٍّ سَرَاوِيلِــه

فإنَّـــهُ شُــدَّ على عَــاجِ

ـ قصيــدة: قافيـــة الجيممَــنْ كَحَّلَ المُقْلَةَ السَّوْدَاءَ بالدَّعَجِ:

قافية الجيممَنْ كَحَّلَ المُقْلَة السَّوْدَاءَ بالدَّعَجِ

وَخضَّــبَ الوَجْنَـــة الحَمْــراءَ بالضَّــرَجِ

ومــنْ على ذلــكَ الــورْدِ الجــنيِّ جــنى

وَمَنْ بِسَيْــفِ التَّجَــنِي خَاض في المُهَــجِ

كأنمــــا قلــــمٌ أجــــراهُ كاتِبُـــــهُ

فخــطَّ لامــاً عــلى الياقــوتِ بالسَّبَــجِ

يــا عــاذلي كُــنْ عذيــري في محبَّتــهِ

فَمَــا على العاشــقِ المفتــونِ مِنْ حَــرَجِ

تَبَــارَكَ الله مــا أَحــلاَكَ في نَظَــرِي

وجَــلَّ خَالــقُ هــذا المَنْظَــرِ البَهِــجِ

وإنْ بــدا روض خدَّيــهِ ووجنتِـــــهِ

أَغْنَــتْ بأَزْهَارِهَــا عَــنْ سَائِــر الفُــرَجِ

بِوجْنَتَيْــكَ الــتي خضَّبتهــا بِـــدَمي

وأَشْرَقَــتْ باحْمِــرَارِ مِــنْ دَمِ المُهَــجِ

لا تَقْتُــل الصَّــبَّ بالهِجْــرَانِ يــا أَمَــلي
وارْفُقْ بِقَلْــبِ مُحــبٍّ في هَــوَاكَ شَــجِي

ـ مقطوعــة: مــرَّت عــلى طــولِ المَــدَى حجَــجي:

مرَّت على طولِ المَــدَى حجَــجي
وكمْ شكوتُ فَلَمْ تُصغوا إلى حُجَجِي
يَا ساكِنِي جِلَّــق قَدْ طَابَ عِنْدكُــمْ
نَشْرُ الفَرَاديِسِ فأْتُوا الصَّبَّ بالفَرَجِ
بَاب السلامــة مــردودٌ لِعَاشِقِكُــم
والنَّصرُ مِنْكُمْ علَيْه في الهَوَى الحَرج
خطبتُ وصلكم في جامعٍ لهــوى
وقمتُ مبتــدر الساعات والــدرجِ
طَابَتْ بِذِكْرِكُــمُ الدُّنْيــا بِأَجْمعِهَــا
لِمَا تَحمَّــل مِنْكُــمْ عَاطِــر لأَرجِ
أَنْتُمْ وأَنْتُــمُ مَسْمَعِي نَظَــرِي
قلبي فإن ترتضوا ما قلت يا فَرَجي

ـ مقطوعــة: كســاهُ ثــوبُ الجَمَــالِ حُسْــن:

كساهُ ثوبُ الجَمَالِ حُسْن
لِطَرْزِ خَدَّيْهِ لَمْ يُبَهْــرِجْ

وحُسْنُ ذَاكَ العِذَارِ نَادَى

إنْ لَمْ يَكُنْ مُعْلَماً فَدحْرِجْ

ـ مقطوعــة: دَبَّ نَمْــلُ العِــذَارِ في الخَــدِّ يَبْــغِي:

دَبَّ نملُ العِذَارِ في الخَدِّ يَبْغِي

شَهْدَ ريقٍ يَجْلو بهِ ما تأَجَّــجْ

كانَ يَمْشِي بِخــدِّه مُسْتَقِيمــاً

مُذْ رأى في خدُودِهِ النارَ عرَّجْ

ـ قصيــدة: ناوليــني الكــأس في الصُّبَــحِ:

ناوليني الكأس في الصُّبَح

ثم غنِّي لي على قَدَحِي

وأديري شمسَ وجهكِ لِي

فضياءُ الشمسِ لمْ يَلُــحِ

واشْغلي كفَّيك فِي وترِ

لا تمُدِّيها إلى السُّبــح

وإذا أطربيــتي وبَــدا

بِانْتِشَائِي حَالَ مُفْتَضَحِ

عانقيني باليديــنِ كَمــا

يَفْعَلُ الأَحبابُ مِنْ فَرَحِ

وإذا عَانقتُ مِنْ طَربِ

غُصْنَ قَدٍّ مِنْكِ مُتَّشـــحِ

فَضعِي أَزْرَارَ أَطْوَاقَكِ عَنْ

صَدْرِكِ الفتَّانِ بالمُلـــحِ

وإذَا ما الأَمْرُ كَانَ كَذَا

فانزعي السُّروالَ واطَّرحي

وَخُـــذِي ذا... أَجْمعُـــهِ

واطْلُبي ما شِئْتِ واقْتَرِحِي

ثم رُوحِي بالأَمَانِ فَمِثْـــ

ـــلي بسرٍّ قطّ لمْ يَبُـــحِ

ـ مقطوعـــة: وبَيْـــنَ الخَـــدِّ والشَّفَتَيْـــنِ خَـــالٌ:

وَبَيْنَ الخـــدِّ والشَّفَتَيْـــنِ خـــالٌ

كَزُنْجِيٍّ أَتَى رَوْضـــاً صَبَاحـــاً

تَحيَّر في الرِّيَاضِ فَلَيْس يَدْرِي

أَيجْنِي الوَرْدَ أَمْ يَجْنِي الأَقَاحَـــا

ـ مقطوعـــة: مـــولايَ إنَّـــا في جـــوراكَ خمســـةٌ:

مولايَ إنَّا في جوراكَ خمسةٌ

بتنـــا ببيـــتٍ ما بِهِ مِصبـــاحُ

مَا فِيهِ لا لَحْمٌ وَلاَ خُبْـزٌ وَلاَ

مَــاءٌ وَلاَ شَيْءٌ لَــهُ نَرتَــاحُ

كُلٌّ تَرَاهُ مِنَ الكَآبَةِ والطَّوَى

شبحاً فنحنُ الخمسةُ الأشباحُ

مَا فَاتَنَــا إلاَّ التَّجَلُّــلَ بالعَبَــا

فجُسومُنَا لَعبتْ بِهَا الأريَــاحُ

ـ مقطوعــة: بَــدَا وَجْهُــهُ مِــنْ فَــوْقِ أَسْمَــرِ قَــدِّهِ:

بَدَا وجْهُهُ مِنْ فَــوْقِ أَسْمَــرِ قَــدِّهِ

وَقَدْ لاَحَ مِنْ لَيْلِ الذَّوَائِبِ في جُنْحِ

فَقُلْتُ عَجيباً كَيْفَ لَمْ يَذْهَب الدُّجَى

وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ على رُمْحِ

ـ مقطوعــة: أخجلــت بالثَّغــرِ ثنايــا الأقــاحْ:

أخجلت بالثَّغرِ ثنايــا الأقــاحْ

يا طُرَّةَ اللَّيلِ وَوَجْهَ الصَّبَاحْ

وأَعْجَمَتْ أَعْيُنَكَ السِّحْرَ مُــذْ

أَعْرَبَتْ مِنْهُنَّ صِفَاحاً فِصَــاحْ

فيا لها سُوداً مِراضــاً غَــدَتْ

تَسُلّ لِلعاشِقِ بِيضــاً صِحَــاحْ

يا للهوى مَنْ مُسْعِـــدٌ مُغْرَمـــاً

رأى حَمامَ الأيكِ غَنَّى فَنَــاحْ

يا بانـــةً مالـــتْ بِأَعْطافِـــهِ

ها قَدْ عَرَفنا مِنْكِ هَزّ الرِّماحْ[1]

وَأَنْـــتِ يَـــا أسْهُـــمَ أَلْحاظِـــهِ

أَثْخَنْتِ واللهِ فُـــؤادي جِـــرَاحْ

ـ مقطوعـــة: صَـــاحِي الجَوانِـــحِ لَسْـــتُ مِنْـــهُ بِصَـــاحِي:

صَاحِي الجَوانِحِ لَسْتُ مِنْهُ بِصَاحِي

سلبَ الجُسومَ وهـــمَّ بالأرواحِ

يا بدرُ قدْ سدَّ العَـــزامُ مسالكي

فأَنِرْ بِوجْهِكَ مَسْرَحِي وَمَرَاحي

قَدْ حِرْتُ فِيكَ بِمَنْ أَرُومُ تشفّعاً

حَتَّى تَفُـــوزَ مَقَاصِدِي بِنَجَـــاحِ

بِفُؤَادِي المُرْتَاحِ أَمْ بِسُهَادِيَ الـــ

ـــفضَّـــاحِ أم بِودادي الوضَّاحِ

فبِعرفكَ الفيَّاحِ أو فبطرفكِ الـــ

ـــسَفَّـــاحِ أَوْ فَبِعَطْفِكَ الرَّمَّـــاحِ

---

[1] جاء هذا الشطر في النجوم الزاهرة هكذا: ((عَلَّمَتْنِي كَيْـفَ تُهَزُّ الرِّمَـاحْ)).

لا تَرْقُدَنْ عَنْ سَاهرٍ في لَيْلَـــةٍ
مُذْ غَابَ وجهُكَ لم يَفُز بصباحِ

ـ مقطوعــة: إيَّـــاكَ يــا طائــرَ قلــبي فَــفي:

إيَّـــاكَ يا طائرَ قلبي فَــفي وجنتِهِ مَعْنَى الجَمالِ نَسَخْ
كَمْ حائمٍ حَوْلَ الحِمى صَادَهُ فَخَالُهُ الحَبَّةُ والصُّدْغُ فَخْ

ـ مقطوعــة: كَتَــبَ الجمــالُ بِخَــدِّهِ نُسَخَــا:

كَتَبَ الجمالُ بِخَدِّهِ نُسَخــا بِمُحَقَّقٍ حُسْنَ الوَرَى نَسَخَا
لو عاينَتْهُ العَابداتُ صَبَتْ أو باخِلٌ صانَ اللُّهى لَسَخَا

ـ مقطوعــة: يَــا مَــنْ أطَــالَ التَّجَــنِّي:

يَا مَنْ أطَالَ التَّجَــنِّي وَقَدْ أسَا فِي التَّـــوَخي
أسْرَفْتَ تِيهاً وَعُجْبـــاً وَكُثْرَةَ الشَّدِّ يُـــرْخِي[1]

ـ قصيــدة: وِصَالُــكَ أَنْــهَى مَطْــلَبِي وَمُــرَادِي:

وِصَالُكَ أَنْهَى مَطْلَبِي وَمُرَادِي
وَحُسْنُكَ أَبْهَى مَرْتَعي وَمَزادي

---

[1] في الـوافي: ((تـرخي)).

وَدُونَكَ لَوْ وافَيْتُ رَبْعَكَ زَائِراً

خِطابُ جدالٍ في خُطوبِ جلادِ

حبيبي لقد روَّيت عيني بدمعها

وغادرت قلبي للتَّصبّرِ صادي

ونقّصت في حظّي كما زدت في الهَوى

صدودي ـ يا كلَّ المُنى ـ وبُعادي

فو الله لم أُطلِقْ لغيركَ مهجتي

غراماً ولمْ أمنحْ سِواكَ ودادِي

بعيشكَ نبِّهْ ناظريــكَ لعلَّهــا

تَرُدُّ عَلَى طَرْفِي لَذِيذَ رُقَــادِي

إِلَى الله أَشْكُو في الغَرَامِ مُحَجَّباً

بقلبي فلا تلقـاهُ عيني بــادي

أُحَاذِرُ طُولاً مِنْ ذُؤَابَة شَعْرِهِ

فَقَدْ وَصَلَتْ مِنْ قَدِّهِ لِفُـؤَادِي

ـ قصيـدة: أَمَــا وَلآلٍ مِــنْ شَتَيــتِ ابْتِسَامِــهِ:

أَمَا وَلآلٍ مِنْ شَتَيتِ ابْتِسَامِــهِ

وما خُطَّ في ياقوتِهِ منْ زَبَرجدِ

لَقَدْ يُجْرِي لُؤلُؤاً فَوْق عَنْــدَمٍ

كما بِتُّ أُجْرِي عَنْدَماً فَوْق عَسْجَدِ

فهذا عقيقٌ ذائبٌ في مُعصفرٍ

وهذا جُمَانٌ سائلٌ في مُــورَّدِ

فَيا فرْقَدَ الحيِّ الذي مُذْ هَوِيْتُهُ

تَكَفَّلَ طَرْفي رَعْي نَسْرٍ وَفَرْقَدِ

تأَنّ فَلَوْ أَرْسَلْت سَهْمَكَ في الصَفَا

غدا مارقاً من كل صمَّاء جلمدِ

لو بسوى سهم الفِرَاقِ رمتني

حنانيكَ لم ينفُذْ بدرعٍ تجلُّــدي

صَدَدْت فَلَمْ تَبْعَثْ رُقاداً لَسَاهِرٍ

وصددت فلم تتركْ فؤاداً لمكمدِ

نصبت حبالاتِ الكَرَى لاقتناصِهِ

فَعَاقَبْت جَفْنِي بالسُّهَادِ المُؤبَّــدِ

وأقبلَ تحت الشَّعرِ كالبدرِ في الدُّجى

على مِثْلِ غصنِ البانة المُتأَوِّدِ

ـ مقطوعــة: إن صـــدَّ وأضـــحى للجفـــا يعتمـــدُ:

إن صدَّ وأضحى[1] للجفا يعتمدُ

أو زال ودادُهُ الذي أعتقــدُ

[1] في فوات الوفيات: ((وراح)).

فالأمرٌ لهُ وَمَا عليهِ حَرَجٌ

لاَ يَدْخلُ بَيْنَهُ وَبَيْنِي أَحَــدُ

ــ قصيــة: فَضَحْــت جِيــدَ الغَــزَالِ بالجَيَــدِ:

فَضحْتَ جِيدَ الغَزَالِ بالجَيَــدِ

وَفُقْتَــهُ بالــدَّلالِ والغَيَــدِ

وَكُنْتَ أَوْلَى مِنَ الغُصُونِ بِما

يُعْزَى لأَعْطافِهَــا مِنَ المَيَــدِ

لستُ أطيعُ العذُولَ فيكَ عَلَى

غَيٍّ لَدَيْــهِ وَلاَ عَــلَى رَشَــدِ

لا أنت مِمَّنَ يدي على كَبِــدِ

أتلفها بل يــدي على كبــدي

يا ساقياً مهجتي كؤوسَ هوىَ

وسائقــاً مُقْلَــتِي إلى السَّهَــدِ

وَمُــودِعي صَبْــوَةً أَوَائِلُهَــا

يُقَصِّــرُ عَنْهَا أَوَاخِــرُ العَــدَدِ

عِنْدِي مِنَ الوَجْدِ ما بِهِ أَجَــلِي

يَفْــنَى وَلَــمْ أُبْــدِهِ إِلَى أَحَــدِ

قَدْ نَضَجَتْ مُهْجَتي هَوىً فإذَا

قَالَتْ قِــدْ للغَــرَامِ قَالَ قِــدِي

وَجَدْتُ مِنْكَ القَلَى بِلاَ طَلَـبٍ

فكمْ طَلَبْتُ اللّقـا فلـم أجِـدِ

أَوّلُ عَهْدِي بالحُبِّ فِيكَ غَـدَا

آخِرِ عَهْدِي بالصَّبْرِ والجَلَـدِ

يا شعرهُ قد أعنت ليلي في الطّو

ل عـلى ناظـريَّ فاتئّـدِ

وأنت يا خـدَّهُ نُسِبْتَ الى الـ

ـرقّـة إلا علَى أخي الكَمَـدِ

وأنت يا طرفهُ السَّقيـمَ أمـا

تَرْحَمُ مَا قَدْ حَكَاكَ مِنْ جَسَدي

يميـل قلبي لرشـفِ ريقتِـهِ

من أيـن للنَّـارِ نسبةُ البَـرَدِ

هَلْ لِقَتِيلِ الخُـدُودِ مِنْ دِيَـةٍ

أَو لِطَعِينِ القُـدُودِ مِنْ قَـوَدِ

يا من لحظِّي ما راحَ منعكساً

إلا بِهَجْرِ في الحُـبِّ مُطَّـرِدِ

تـالله يا ليلي الطَّويـلَ لقـدْ

قَصَّـرْتَ فَلَـمْ يَعْـدْ يُفِـدِ

حسبي وحسبُ الهَوَى وحَسْبُكَ مَا

يَفْعَلُه الهَجْـرُ بِي فَـلاَ تَـزِدِ

يَا نَاسِياً عَهْدِي القَدِيـــمَ وَمَـــا
غَيْرُ هَواهُ يَمـــرٌّ في خلـــدِي
أين اللَّيالي وأنت عنـــدي قـــد
حواكَ طرفي وأنت طوعُ يَدِي
حَيْثُ أُنـــادي وأَنْـــت مُبْتَسِـــمٌ
يا عَيْنُ رُودِي وَيَا شِفَاهُ رِدِي
واليوم لي أدمعٌ تسَرِّبُ في الـــ
ـــخَدِّ كَوَرَقٍ في كَفِّ مُنْتَقِـــدِ
لقد نوى العاذلُ المُسيءُ بِنـــا
بِظاهِرِ النُّصْحِ وباطِنِ الحَسَدِ

ـ مقطوعـــة: شَكَـــوْتُ إلى الحَبِيبَـــةِ مـــا أُلاقي:

شَكَوْتُ إلى الحَبِيبَةِ ما أُلاقي
لِسُوءِ الحَظِّ مِنْ أَلَمِ البُعادِ
فَقالتْ إنّ حَظّكَ مِثْلُ عَيْنِي
فقلت نعم ولكن في السَّواد

ـ مقطوعـــة: مســـكٌ وخمـــرٌ وبـــردْ:

مسكٌ وخمرٌ وبردْ رضا به لذا رفـــدْ
فلو رأى بدر الدجى ضِيَاءَ خَدَّيْهِ سَجَدْ

والحسن لو أبصرهُ لمات من فرطِ الحسدْ
يَقْتُلُ بِاللَّحْظِ وَمَـا عَلَيْهِ في ذَاكَ قَوَدْ
أُعِيذُهُ مِنْ نَاظِرِي بقلْ هو الله أحــدْ

ـ مقطوعــة: هــلْ جابــرٌ جائــرٌ بالوصــلِ لــم يجــدِ:

هلْ جابرٌ جائرٌ بالوصلِ لم يجدِ
أَمْ نَاصِرٌ نَاصِرٌ جَفْنِي عَلَى السَّهَدِ
منعمُ البالِ لا تُثــني معَاطِفَــهُ
يَدُ الغَرامِ وتُثْنيهــا يَــدُ المَيَــدِ
في جسمهِ ترفٌ يندى به صلِفٌ
إنْ هزَّهُ هيفٌ هزَّ الضَّنى جسدي
تَقَسَّمَ اسْمُكَ تَقْسيماً أَرَدْت بِــهِ
الصَّادُ عينكَ والباقي على كبدي

ـ قصيــدة: حُيِّيــت يــا رَبْــعَ الحِــمَى بِــزَرُودِ:

حُيِّيت يا رَبْعَ الحِمَى بِــزَرُودِ
مِنْ مُغْرَمٍ دَنِفِ الحَشَا مَعْمُودِ
يا نزهتي الكبرى ومعدن لذَّتي
وَمَحَلَّ أَهْلِ مَوَدَّتِي وَعُهُــودِي

عوجُوا عليه فلست أُبردُ غُلَّةَ

حتّى أُعفرِّ في ثَراهُ خُــدُودي

ولو كنتُ إذ أدعو أُجابُ لقلتُ يا

أيّامَ وصلي بالأَحبَّـــةِ عُـــودي

أَيّامُ ذاتِ الخالِ لَيْسَ تَخِلّ في

وعدٍ وذاتِ الجيدِ ذاتِ الجُودِ

ورَشيقَةُ الأَعْطَافِ ذاتُ مُقَبَّلٍ

يفترٌ عن عذبِ الرّضابِ برود

ناديتُها والرَّكبُ بيـــنَ مـــودَّعٍ

يَهْدِي الجوَى ومُودِّعٍ مَكْمُـــودِ

يا ظبيةَ الوعساءِ ما ضرّ الهوىَ

لَوْ كُنْتِ مِنْ قَنْصِي وبَعْضِ صيُودِي

لَوْ كُنْتِ مِنْ قَنْصِي وبَعْضِ صيُودِي

مَالي رَجَعْتُ بِشَافِعٍ مَــرْدُودِ

قَالُوا الثَّرَاءُ يَزِينُهُ فاعْمَـــدْ إلى

ظِلِّ ابنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ المَمْدُودِ

فَخرجْتُ أُظْهِرُ هِمَّتي ومحبَّتي

ومطيَّتي ومَقاصدي وقَصيدي

وسريتُ مُدَّلجاً إليهِ ومدلِجـــاً

والشّوْقُ يُدْني مِنْهُ كُلَّ بَعِيـــدِ

لا وَعْرُ أَهْلِ الشّام يُبْعِدني وَلاَ
الرَّمْلُ المدِيدُ ولا اتِّسَاعُ البيدِ
حتى أنختُ بمن بهِ اتَّضحَتْ لَنا
طُرُقُ الهُدَى وأَدلَّةُ التَّوْحِيــدِ
عَظِّمْ وَمَجِّدْ ما استَطَعْت فإنَّهُ
أَعْلَى مِنَ التَّعْظِيمِ والتَّمْجِيــدِ
لا تنقضي أوصافُهُ الحُسنى ولا
أَوْصَافُ آبَــاءٍ لَــهُ وَجُــدُودِ
خُلِقَ النَّدَى خَلْقاً لَهُ وَكَذَا لَهُــمْ
طِيبُ الثّمارِ دَليلُ طيبِ العُودِ
عَشِقَتْهُــمُ العليــاءَ إلا أنَّهــا
أمنتْ جنايةَ هجرهِم وصُدُودِ
رَفَعَتْهُمُ وازْدَانَ مَنْظَرُها بِهِــمْ
فَهِي السَّماءُ وَهُمْ بُدُوُ سُعُــودِ
أوقوالهُمْ للصِّدقِ والأفعالِ لِلِـــ
ــتَّأييــدِ والآراءُ للتَّسْديــدِ

ـ مقطوعــة: فَكَــمْ جَمَــعَ الحُسْــنُ النَّفِيــسُ مِنَ العُــلَى:

فَكَمْ جَمَعَ الحُسْنُ النَّفِيسُ مِنَ العُلَى
وكم فرَّق الجيشُ الخميسُ من العدَى

وَكَمْ قَدْ نَضَا سَيْفاً بِكَفٍّ كَرِيمَـــةٍ
فأَحْسَنَ وَضْعَ السَّيْفِ في مَوْضِعِ النَّدَى

ـ مقطوعــة: قالــوا: حبيبــكَ فيــه:

قالوا : حبيبكَ فيه حبٌّ يلــوحُ بخــدٍّ
فقلتُ ما هو حــبٌّ لكنَّـــهُ زِرٌّ وردِ

ـ مقطوعــة: رأى المسيحيــون منـــهُ دُميـــة :َ

رأى المسيحيون منهُ دُميةً تعطو كبدرٍ فوق غُصنٍ مايدِ
فَبَرْهَنُوا تَثْلِيثَهُــمْ بِشَكْلِــهِ لَمَّا رَأَوا ثَلاثَــةً في وَاحِدِ

ـ مقطوعــة: ماســت فقيــل هي القضيــب الأميــدُ:

ماست فقيل هي القضيب الأميدُ
ورنت فقيل هي الغزال الأغيدُ
ورأت بديــع جمالها فتبســمــتْ
عــن لؤلــؤٍ بمثالــه تتقلــدُ
بَيْضاءُ رَوْضُ الحُسْنِ فيها أَخْضَرٌ
وَمَدامِعي حُمْرٌ وَعَيْشي أسْــوَدُ
فعلت السيوف السحر من أجفانهــا
ما يفعلُ الهنديُّ وهــو مجــردُ

ـ مقطوعـــة: أنفقــتُ كنـــز مـــدائحي في ثغــرهِ:

أنفقتُ كنز مدائحي في ثغرهِ   وجمعت فيه كل معنىً شاردِ
وطلبتُ منهُ جَزَاءَ ذَلِكَ قُبْلَةً   فأبى وراح تغزّلي في الباردِ

ـ قصيــدة: عِذَارُكَ مِنْ نَدّ يَجِلُّ عَنِ النِدّ

عِذَارُكَ مِنْ نَدّ يَجِلُّ عَــنِ النِــدّ
وريقك شهدٌ لا كرامــة للشهــدِ
ولحظك سيفٌ كيفَ أصبح قاطعاً
وليس له والله في الحسن من حدِّ
حبيبي شرفــني بكتبــك مُنعمــاً
فَقَدْ حَسُنَتْ شَرْعاً مُكَاتَبَةُ العَبْــدِ
رَعَى الله بَدْراً زَار مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
سَأَشْكُرُ محبُوباً يَزُورُ بِلا وَعْــدِ
وَيُصبْحُ للإخْلاَصِ قَلْــبِي تاليــاً
ويمسي لساني تالياً سورة الحمدِ
ولله جيرانٌ على أيمــن الحــمى
لهم أبــداً مني حنــوٌّ على بــدي
لقد حملت ريحُ الصبا من ديارهم
أَحَادِيثَ تَرْويهنّ عَنْ عَذَبِ الرَّنْدِ

فَأَهْدَت إلى قَلْبي سُرُوراً عَلى النَّوى

فيا حُسْنَ ما تُمْلي ويَا طِيبَ ما تُهْدِي

أيا ســادةً ملّــوا فَمِلْــتُ إليهــم

وخانوا ولي قلبٌ مقيم على العهدِ

ترى يسمح الدَّهرُ الضنين بقربكم

وأحظى بكم يا جيرة العلمِ الفــردِ

إذا لم يكن لي عندكم يا احبــتي

مَحَلٌّ وَلاَ قَدْرٌ فإنّ لَكُــمْ عِنْــدي

ـ مقطوعــة: سيــوفٌ مــواضٍ مُرهفــاتٌ قَواطــعٌ:

سيوفٌ مواضٍ مُرهفــاتٌ قَواطــعٌ

قواضٍ يروحُ الموتُ فيها ويغتــدي

إذا جُرِّدَتْ في الحربِ صالتْ كأنّها

عُيُــونُ عَــليٍّ في فُــؤَادِ مُحَمَّــدِ

ـ مقطوعــة: كَلِفْــتُ بِحُــبٍّ مُسْتَــوْفي:

كَلِفْتُ بِحُبٍّ مُسْتَــوْفي فَهَلْ مِنْ آخذٍ بِيَــدي

إذا استُدِعي علَى تَلَفِي تَجهيه عَلَى كَبدِي كَذا

ـ مقطوعـــة: لـــه مِـــنّي المَحَبَّـــةُ والـــوِدَادُ:

له مِنّي المَحَبَّةُ والـــوِدَادُ   ولِي مِنْهُ القَطِيعَةُ والبُعَادُ

فقلبي لا يُلائمُهُ اصطِبارٌ   وجَفْنِي لا يُفارِقُهُ السُّهَادُ

كَلِفْتُ بِحبّهِ صُوفيَّ وَصْلٍ   فَمَاضيهِ إليـــهِ لا يُعـــادُ

ـ مقطوعـــة: كَلِفْـــتُ بِمَحْبُـــوبِ كَثيـــرِ حَيَـــاؤهُ:

كَلِفْتُ بِمحْبُـــوبِ كَثيـــرِ حَيَـــاؤهُ

لهُ وجنةٌ من حُسنها خجِلَ الوردُ

فَأَوَّلُ مَا تَلْقَـــاهُ يَحْمَـــرُّ وجْهُـــهُ

كَذَاكَ تَكُونُ الشَّمْسُ أَوَّلَ مَا تَبْدُو

ـ مقطوعـــة: بنفســـجُ جـــاءت وحيَّـــتْ بـــه:

بنفسجُ جاءت وحيَّتْ بـــه   من قدُّهَا يحكي القَنَا الأملدا

كأنَّـــهُ في كفِّهـــا أدمُـــعٌ   مِنْ أَعْيُنٍ قَدْ مُلِئَت إثْمِـــدَا

ـ مقطوعـــة: عُريـــبٌ كـــانَ لي مَعَهُـــمْ عُهُـــودٌ:

عُريبٌ كانَ لي مَعَهُمْ عُهُودٌ

ظَنَنْتُ بقاءَهـــا ولَهُـــمْ ودَادُ

عَهِدْتُ لَدَيْهِمُ خُلُقـــاً جميـــلا

وَقَدْ غَضِبُوا وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا

ـ **مقطوعــة: ومــا فيــه مــن حســن ســوى أن طرفــهُ:**

وما فيه من حسن سوى أن طرفهُ[1]

لكــلِّ فــؤادٍ في البَرِيَّــةِ صَائِــدُ

وأَنَّ مُحَيَّــاهُ إِذَا قَابَــلَ الــدُّجَى

أَنَارَ[2] بِهِ جُنْحٌ من الليــلِ راكِــدُ

وأَنَّ ثَنايــاهُ نُجُــومٌ لِبَــــدْرِهِ

وهُنَّ لعقــدِ الحُسنِ فيــهِ فَرائِــدُ[3]

فكم يتجافى خصرُهُ وهو نَاحِــلٌ

وَكَمْ يتَحَالَى رِيقُــهُ وَهْــو بــارِدُ

وَكَمْ يَدَّعِي صَوْناً وَهذِي جُفُونُــه

بفترتهــا للعاشِقيــنَ تُواعِــدُ[4]

ـ **مقطوعــة: أَهْــدَى لَنَــا بَنَفْسَجــاً مَنْثُــورُهُ:**

أَهْدَى لَنَا بَنَفْسَجــاً مَنْثُــورُهُ

يروقنا من كفِّهِ الغضِّ النَّدي

---

[1] جاء صدر البيت في فوات الوفيات هكذا:
((وهلْ فيه منْ شيءٍ سِوَى أنَّ طرْفهُ)).
[2] في فوات الوفيات: ((أَضـاءَ)).
[3] سقط هذا البيت في فوات الوفيات.
[4] في فوات الوفيات: ((مواعد)).

كأنَّــهُ مدامــعٌ منْ أعيــنِ
قدْ كُحِلَــتْ جُفُونُهــا بإِثِمــدِ

ـ قصيــدة: أَلِيــنُ فَيَقْسُــو ثُــمَّ أَرْضَى فَيحقِــدُ:

أَلِينُ فَيَقْسُو ثُمَّ أَرْضَى فَيحقِــدُ
وأَشْكُو فَلاَ يُشْكَى وأَدْنُو فَيَبْعِدُ

يهزُّ قواماً ناضراً وهو ذابــلٌ
إِذَا ما تَثَنَّى فَهْوَ في الحُسْنِ مُفْرَدُ

يقولُ لي الواشي تعدَّ عن الذي
تَبيتُ بِهِ مُضْنَى الفُؤَادِ وَيَرْقَدُ

ودع عنك ذكرى من غدا لك ناسياً
مَلُولاً فَكَمْ في العَالمينَ مُحمَّدُ

فقلت اتَّئد يا عاذلي ليس في الورى
يُرى مثلُ من قد همتُ فيه ويوجدُ

فَما كُلُّ زَهْرٍ يُنْبِتُ الرَّوْضُ طَيِّبٌ
ولا كُلُّ كحلٍ للنَّواظِرِ إثمــدُ

وَزَوَّرُوا قَوْلَهُمْ وَمَا صَدَقُــوا
في نَقْلِ شَيْءٍ ضُرِّي به قَصَدُوا

حاشا لمثل الأمير يسمع مــا
قالوهُ عَنِّي وما بــه شهــدوا

مـــالي إلا بيـــتي أُقيـــمُ بـــه

فلا يراني من بعدهـــا أحـــدُ

أو أنَّني أحرف الفيافي مـــن

خلـــفي ولا يستقـــرٌّ بي بلـــدُ

والأَرْضُ إلاّ دِمَشْق لِي وَطَنٌ

والنَّاسُ إلا الأميـــر لي سَنَـــدُ

ـ مقطوعـــة: كَيْـــف خَـــلاصِي مِـــنَ الـــذي أَجِـــدُ:

كَيْف خَلاصِي مِنَ الذي أَجِدُ

قد أعوزَ الصَّبْرُ عَنْهُ والجَلَدُ

ما قُلتُ يوماً قد انقضى عَدَدٌ

مِنَ الأعادي إلا أتَى عَـــدَدُ

قد عَرفُـــوا من أنا وعَاقهُـــمُ

عَنْ اعترافِ بفضلي الحَسَدُ

ما بَلغُوا ما حَوَيْتُ مِنْ أَدبِ

فَبالغُوا في أذايَ واجْتَهَـــدُوا

ـ مقطوعـــة: أيهـــا المُـــودعُ قلـــبي:

أيها المُودعُ قلـــبي نَارَ وجْـــدِ تَتَوَقَّـــدْ

كَيْفَ تَسْتَأهِلُ نَـــاراً مُهْجَةٌ تَهْوَى مُحَمَّدْ

نجمٌ حسنٌ لفُــؤادي   فيهِ وجــدٌ يتجــدَّدْ
نَوْؤهُ بِالطَّرْفِ والنَّا   رُ بقلبي ليس تخمَدْ

ـ مقطوعــةَ: مـــا عذلــكَ في الهَــوَى لـــهُ مُسْتَنَــدُ:

ما عذلكَ في الهَوَى لهُ مُسْتَنَدُ
هيهات يرى لي سلوَةً أو جَلَدُ
في قلبي ما ثَلَّثْتْــهُ تعرِفُهُــمْ
اللـــه ومـــنْ أُحبُّـــهُ والكمــدُ

ـ مقطوعــة: يـــا مـــن لجمـــالِ وجهـــهِ البـــدرُ سَجــدْ:

يا من لجمالِ وجهِهِ البدرُ سَجدْ
مَا تَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمهُ كُلّ أَحَــدْ
إن قيلَ بأنّ لي على الهجرِ جلَدْ
ما أن صدّقُوا قد قيل لِلّه ولَــدْ

ـ مقطوعــة: حَــكَى وَجْهُــهُ النَّقْدَيْــنِ والجَوْهَــرَ الــذي:

حكَى وَجْهُهُ النَّقدَينِ والجَوْهَرَ الذي
بمنظَرهِ قلبُ الشَّجِي يَتلــذَّذُ
لُجينٌ ثناياهُ عَقيــقٌ شِفاهُــه
وَخَدَّاهُ تِبْرٌ والعِذارُ زُمــرُّدُ

ـ مقطوعــة: ربَّ قــاضٍ لنَــا مليــحٍ:

ربَّ قاضٍ لَنَا مليــحٍ يُعْرِبُ عَنْ مَنْطِقٍ لَذِيذِ
إذَا رنَا لِي بِسَهْمِ لَحْظٍ قُلنا لَهُ دائــمَ النّفــوذِ

ـ مقطوعــة: لي فــودٌ وفُــؤادٌ يرتــجي:

لي فــودٌ وفُــؤادٌ يرتــجي طيب وصلِ مِنكمْ بالهجرِ لاذَا
فَاعْجَبُوا بِالله مِنْ أَمْرَيْهِما شابَ هَذاكَ وَمَا أدركَ ذا

ـ مقطوعــة: بِحَقّــكَ لا تَهْجُــرْ فَهَجْــرُكَ قَاتِــلٌ:

بِحَقِّكَ لا تَهْجُرْ فَهَجْــرُكَ قَاتِــلٌ
وإني مِنْ جورِ النَّوى بِكَ عائــذُ
وَكَنْزُ اصْطِبَارِي عِنْدَ فَقْدِكَ نافِــذٌ
كما أنَّ سهمَ اللَّحظِ في القلبِ نافِذُ

ـ مقطوعــة: دمــعي وقلــبي مطلــقٌ وأسيــرُ:

دمعي وقلــبي مطلــقٌ وأسيــرُ
وعَظِيــمُ مطلوبي عليك يسيــرُ
يا من له في الحسنِ غُرّةُ عزّةٍ
شوقي ــ وحقِّكَ ــ في هواكَ كثيرُ

ـ مقطوعــة: لَعَمْــرُكَ مــا الفَخْــرُ العِــرَاقِيُّ مَيِّــتٌ:

لَعَمْرُكَ ما الفَخْرُ العِرَاقِيُّ مَيِّتٌ

وإنْ كَانَ ما بَيْنَ القُبُورِ لَهُ قَبْرُ

ولكنَّها الأُخرى أتت وتَزَيَّنَتْ

وفاخرتِ الدُّنيا وكان لها الفخرُ

ـ مقطوعــة: قالــوا غــداً ينــدمُ مــن لثمِــه:

قالوا غداً يندمُ من لثمِه في ثَغْرِهِ إذْ يغْلِبُ السُّكْرُ

فقال لي مبسمُهُ دَعْهُــمُ (اليَوْمَ خَمْرٌ وَغَداً أَمْرُ)[1]

ـ مقطوعــة: منيــرُ وجــدي بــه:

منيرُ وجــدي بــه أَكْتُمُــهُ وَيَظْهَــرُ

وكَيْفَ تَخفَى لَوْعَتي وقَــدْ غــدا يُنيِّــرُ

ـ مقطوعــة: أراكَ فَيَمْتَــلِي قلــبي سُــرُوراً:

أراكَ فَيَمْتَــلِي قلبي سُــرُوراً

وأَخْشَى أنْ تَشُطَّ بِنَــا الدِّيَــارُ

---

[1] مقتبس عن امرئ القيس.

أُقِمْ واهْجُرْ وَصُدَّ وَلاَ تَصِلْنِي

رَضِيتُ بِأَنْ تَجُور وأَنْت جَارُ

ـ مقطوعـــة: أُقَلِّـــبُ قَلْــبيَ شَوْقـــاً إليـــهِ:

أُقَلِّـــبُ قَلْبي شَوْقـــاً إليـــهِ

وأَذْرِي علَيْهِ دُمُوعاً غِزَارَا

وأَرْعَى الكَواكِبَ أَنَّى سَرَيْنَ

وأُرْقِبُ بَدْرَ الدُّجَى حَيْثُ سَارَا

والغَيْثُ مِنْ نَاظِرِيَّ السُّهَادَ

وألقيتُ في القلب نوراً ونارا

ـ قصيـــدة: لَمَـــا حَـــدَا بِالأَيْمَنِيـــنَ يَسَـــارُ:

لَمَا حَدَا بِالأَيْمَنِيـــنَ يَسَـــارُ

وسَرَى اليمانُونَ العشيَّ وسَارُوا

طَلَبَتْ عُيُونُكَ دمعَها فأجابها

قانٍ وللحزنِ الدِّمـــاءُ تُعـــارُ

ودمٌ ودمعٌ حين يختلطان في

إثر الخليطِ فجُرحُهُنَّ جُبَـــارُ

وتغيَّر الرَّسمانِ جسمُكَ والحِمى

لا أَنتَ أنت ولا الدّيارُ ديارُ

وَغَدَوْتَ يُسْعِدُكَ الحَمامُ وكَيْف لا

وحَشَاكَ وَهْيَ كِلاهُمَا أَطْيَارُ

وَحَشَاكَ وَهْي كِلاهُمَا أَطْيَارُ

فِيهِمْ وَمَا مِنْ شَأْنِكَ الإِشْعَارُ

تضعُ الخدودَ على مواضعَ قــد

سقتها العينُ وهي جميعُها آثارُ

وَيَرِقُّ جُنْحُ اللَّيْلِ مِنْكَ عَلَى فَتىً

في إِثْرِهَا يَقْسُو عَلَيْكَ نَهَــارُ

إنْ غبت وجداً لا أذى هذا ولا

تدري برقّة ذا فما هو عَارُ

ما فيكَ بعدَهُمُ لصحوٍ فضلةٌ

هَيْهَاتَ أَفْنَى صَحْوَكَ الإِسْكَارُ

ما زِلْت تُلْقي مَا تَقُولُ عواذِلٌ

حَتّى استَوَى الإِقْلالُ والإِكْثَارُ

ــ مقطوعــة: أنــا لِلْمَجَالــسِ والجَلِيــسِ أَنيســةٌ:

أنا لِلْمَجَالسِ والجَلِيسِ أَنيسةٌ

أزهَى بحُسنِ ناظرِ للنَّاظــر

أَصفُو فأُظْهِرُ ما أُجِنُّ ولَمْ يَكُنْ

في باطِني شَيْءٌ يخالف ظاهِري

ـ مقطوعـــة: لا تنكِـروا إحراقـــهِ في الهــوى:

لا تنكِروا إحراقهِ في الهوى

قلبي فَما في ذاكَ مِنْ عَــارِ

قلتُ لــهُ أنـــت لـــهُ مالــكٌ

فَكَــانَ فيـــهِ خـــازِنَ النَّـــارِ

ـ مقطوعـــة: يــومٌ تكاثــف غيمُـــهُ فكأنَّـــهُ:

يـــومٌ تكاثــف غيمُـــهُ فكأنَّـــهُ

دُونَ السَّماءِ دُخَانُ غَيْمٍ أَخْضَــرِ

والطلُّ مثلُ برادةٍ مِن فِضَّـــةٍ

منثورةٍ في تُربَة مِــنْ عَنْبَــرِ

والشَّمْسُ مِنْ خَلَلِ السَّحابِ كأنَّها

أمةٌ تُعرِّضُ نفسها لِلمُشْتَــري

ولديَّ صِرْفُ مُدامـــةٍ مشمُولـــةٍ

تَلْقَى الظَّلامَ بِوجْهِ صُبْحٍ مُسْفِــرِ

فَكأنَّها مِمَّـــا تُحِبُّـــكَ أَقْسَمَــتْ

أن لا تطيبَ لَنَا إذا لَمْ تحضُــرِ

ـ قصيـدة: أَوَائِـلُ حُـبٍّ مـا لَهُـنَّ أَوَاخِـرُ:

أَوَائِـلُ حُـبٍّ ما لَهُـنَّ أَوَاخِـرُ
خَوَاطِرُ لا تَنْفكُّ عَنْهَا الخَوَاطِـرُ

فَفِي الحُبِّ مَعْنًى يَنْثَنِي عَنْكَ فِكْرُهُ
وفي القلبِ مأوى يلتوي عنكَ نَاظِرُ

فقلبي في بحر الصِّبَابَـةِ وَاقِـعٌ
غَرِيقٌ ولُبِّي في فَضَا الوَجْدِ طائِرُ

ولي نَفَسٌ من لوعتي متصاعِـدٌ
ودمعي على شطِّ النَّوَى مُتَحـادِرُ

وَمُعْتَدِلٍ قَدْ أَنْصَفَ الحُسْنُ خَلْقَهُ
ولكنَّهُ في مذهبِ الحُـبِّ جائِـرُ

يُبَرِّدُ قلبي خَـدُّه وَهُـو جَمْـرَةَ
وَيَحْرِقُ قَلْبي طَرْفُهُ وَهُـو فَاتِـرُ

أبوحُ وأخفي هكذا سُنَّةُ الهَـوَى
وللصَّبِّ في الشَّكْوَى عذُولٌ وعاذِرُ

ولِلْوَجْدِ ما أَنْشَا لِسَانِي وَمَدْمَـعِي
ولِلْودِّ ما ضَمَّت عليه السَّرَائِـرُ

ـ مقطوعــة: إليكــم خمركــمْ عــني مــع الوتــر:

إليكم خمركمْ عــني مــع الوتــر

ليس المدامة والألحانُ من وطري

فَما يعقرٌ سُرور عِنْدَ ذي حُــزْنِ

ولا يَسرٌ قَــرارٌ عِنْــدَ ذِي فِكَــرِ

لو أن بالأفق ما لاقيت من حرقٍ

إذاً لَفَرَّق شَمْلَ الأنْجُــمِ الزُّهْــرِ

إن رمتموني نديماً فارفعوا كمدي

واستنجدوا جلدي واستوقفوا سهري

لا أَستَلِــذُّ كؤوس الخَمْرِ دائــرةً

حَتّى أرَى كَأْس خَمْرِ الهَجْرِ لَمْ يَدُرِ

ـ مقطوعــة: يــا غُصــنَ نقــا عليــه طائــرْ:

يا غُصــنَ نقــا عليــه طائــرْ

مَهْجُورُكَ يا حَبِيبَ قَلْبِي صابِرْ

فارْحَمْ واعْطِفْ عليَّ قَدْ مِــتُّ

باللهِ أما لِذا الجَفا مِنْ آخرْ جوَى

ـ مقطوعــة: يَــا مَــنْ بِصُــدُودِهِ أَلِفْــتُ الفِكْــرَا:

يَا مَنْ بِصُدُودِهِ أَلِفْــتُ الفِكْــرَا
في حُبِّكَ مُذْ نأيت لم ألف كرَى
كَمْ أَحتَمِلُ الغَرامَ والهَجْرَ تُــرَى
يا بدرُ بِدَارِي بَعْدَ ذَا البُعْد تَرَى

ـ مقطوعــة: أَسِيــرُ لِحَــاظٍ كَيْــف يَنْجُــو مِــنَ الأَسْــرِ:

أَسِيرُ لِحَاظٍ كَيْف يَنْجُو مِنَ الأَسْرْ
وَعَاشِقِ ثَغْرٍ كَيْف يَصْحُو مِنَ السُّكْرِ
وَلاَ سِيَّما صَبٌّ يَــذُوبُ صَبَابَــةً
بِمَا جَلَّ عَنْ حَصْرٍ بِما دَقَّ مِنْ خصْرِ
يُهدّده الواشي ويبــكي صَبَابَــةً
فَيَفْرِقُ مِنْ نَهْرٍ وَيَغْرَقُ في نَهْــرِ
تألَّق في أفــقِ الملاحــةِ كوكبــاً
تألــق دُريّ وضاحِــكٍ عــن دُرّ
ففي كُلِّ جوٍّ منهُ نقعٌ مِنَ الهَــوى
وفي كُلِّ قُطر مِنه وقعٌ من القطرِ

ـ مقطوعــة: قُولُــوا لِزَجَّاجِكُــمْ ذَا الــذّي:

قُولُــوا لِزَجَّاجِكُــمْ ذَا الــذّي
لــه محيَّــا بالسَّنــا مسفــرُ

إنْ كُنْت في الصَّنْعَة ذَا خِبْرَةٍ
وكـــان معروفـــك لا ينكــــر
فَمَـــا لأَحْدَاقِـــكَ أَقْدَاحُهـــا
في صحَّة مِنْ حُسْنِها تُكْسَــرُ

ــ مقطوعـــة: يَـــا بَاعِثـــاً شَعْـــرَهُ انْتِشـــاراً:

يَا بَاعِثـــاً شَعْرَهُ انْتِشـــاراً
بِقَامَـــة مـــا لَهَـــا نَظِيـــر
المَوتُ من ناظريكَ لكـــن
مِنْ شَعْرِكَ البَعْثُ والنُّشُور

ــ مقطوعـــة: أَمَـــا وتَماوِيـــلُ الغُصْـــنِ النَّضِيـــرِ:

أَمَا وتَماوِيلُ الغُصْـــنِ النَّضِيـــرِ
وَحُسْنِ تَلَفُّـــتِ الظَّـــبْيِ الغَرِيـــرِ
وخالٍ عمَّـــهُ في الخـــدِّ حُســـنٌ
يجول بصفحة الخدّ الحريـــري
وصُدْغٍ قـــد حَـــكى لمَّـــا تبـــدَّى
خيالَ الروضِ في صفوِ الغَديـــرِ
لقـــد نشطَـــتْ لواحظـــهُ لقتـــلي
بعـــزمٍ وهي توصـــفُ بالفُتُـــورِ

كما جَهِلَــتْ ذَوَائِبُـــهُ غَـــرَامِي
عَليــه وهي تُنْسَـــبُ لِلشُّعُـــورِ
هَـــلالٌ في التَّبَاعُـــدِ والتَّـــداني
غـــزالٌ في التَّلفُّـــتِ والنُّفُـــورِ
أُعايِـــنُ مِنْ محاسِنِـــهِ ودَمْـــعِي
طُلُوعُ الشمسِ في اليومِ المطيـــرِ

ـ مقطوعـــة: زارَ وجنـــحُ الظَّـــلامِ مُنسَـــدلٌ:

زارَ وجنحُ الظَّـــلامِ مُنسَـــدلٌ
فانشقَّ ثوبُ الدُّجى عنِ الفجرِ
وبتُّ من صدغِـــهِ ومبسَمِـــهِ
أَجْمَعُ بَيْنَ الحَشِيشِ والخَمْـــرِ

ـ قصيـــدة: خـــذ مِـــنْ حَديـــثي مـــا يُغْنِيـــكَ عَـــنْ نَظَـــرِي:

خذ مِنْ حَديثي ما يُغْنِيكَ عَنْ نَظَرِي
فَإِنَّه سَمَرٌ ناهيـــكَ مـــن سَمَـــرِ
كَمْ مِنْ أَبٍ قَدْ غَدا أُمّاً لِمَعْشَـــرِهِ
فأعجَبْ لإعطَاءِ لفظِ الأُمِّ للذَّكَـــرِ
وَناطِحٍ بقـــرونٍ لا قـــرون لـــه
وكبش قومٍ بنقلِ العِلْـــمِ مُشْتَهَـــرِ

وَرُبَّ حَامِلِ وِزْرِ غَيْرَ مُجْتَــرِمٍ

ولائطٍ وَهُوَ عَفٌّ الذَّيْلِ والنَّظَــرِ

يـــدب للفـــرج أحيانـــاً وآونـــةً

منَ التَّخلُّفِ يأتي المُرْدَ في الدُّبرِ

وضـــاربِ لي أهـــواهُ وأكرمُـــهُ

أَراهُ يَحضُرُ عِنْدِي وَهْوَ في السَّفَرِ

وكمْ بليدٍ بظهـــرِ الغيـــب حدَّثنـــا

وَذِي ذَكَاءٍ رأَيْنـــاهُ مِـــنَ الحُمُـــرِ

وَكَمْ بَدا عَاقِلٌ يَوْماً وَلَيْـــسَ لَـــهُ

فِكْرٌ وليسَ بمنسوبِ الى البَشَـــرِ

وكم نظرت لوجهٍ ليس في بـــدنٍ

وَكَمْ سَمِعْتُ بِصَخْرِ لَيْس مِنْ حَجَرِ

وربَّ ناظِمِ أشعـــارِ وليـــسَ لـــهُ

شِعرٌ فهلْ مِثْلُ هذا سار في السِّيَر

وَمُمْسِـــكٍ بِيَدَيْـــهِ النَّجْـــمَ يَقْلَعُـــهُ

وليسَ لِلمرْءِ نيل الأنجُمِ الزُّهُـــرِ

ولابسِ وهو عـــارِ لا رداء لـــهُ

كسوته أطلساً من أخشنِ الشَّعَـــرِ

وَعَابِدينَ مِنَ المِحْرَابِ قَد هَرَبُوا

ترَى المَسيحُ يُوافِيهمْ على قـــدرِ

وَمُدْبِرِينَ وَما وَلُّوا ولا اجْتَرمُــوا

وَيُنْسَبُــونَ بــلا شــكٍّ إلى دبَــرِ

وَصالِحينَ رأيتُ الخَمْرَ عِنْدَهُــم

قَدْ حَلَّلوهُ بِلا خَــوْفٍ ولا حَــذَرِ

وسَالِحينَ وما زالــتْ طَهارَتُهُــمْ

وآمِنِينَ وَقَدْ أَمْسُــوا ذوي خطَــرِ

وَتَارِكٍ كَرْشاً في البَيْتِ مُنْفــرداً

من بطنِهِ وهو لا يخشى مِنَ الضَّرَرِ

وَجَالِسِينَ على ظَهْرِ الهَرِيسَةِ قَدْ

وافاهُمُ السّمْنُ ما فيها مِنَ الشَّجَرِ

ونازِلِينَ بِــأَرْضٍ قَــدْ أَصَابَهُــمُ

غَيْمٌ بِلا بَلَلٍ والقَــوْمُ في مَطَــرِ

وتابعينَ إماماً وهُو مِــن خَشَــبٍ

وَقَدْ يُؤَنَّثُ في وَصْفٍ وفي خَبَــرِ

عجائبٌ ما لها حَدٌّ فَقُــلْ وَأَطِــلْ

إن شئت أو فاقتصِدْ في القولِ واقتصِرِ

كأَنَّها لابْنِ يَعْقُوبِ صِفات عُــلاً

لِذَالَ إحصاؤها أعيا على البشــرِ

ـ قصيـدة: أهْـلاً بِوَجْهِـكَ لا حُجِبْـت عَـنْ نَظَـرِي:

أَهْلاً بِوجْهِكَ لا حُجِبْتَ عَنْ نَظَرِي

يا فِتْنَةَ القَلْبِ بَلْ يا نُزْهَةَ البَصَرِ

أَهْنَى المحبَّةَ أَنْ تَرْضَى بِلاَ عَتب

وأطيبُ العيشِ أنْ يصفُو بلا كَدرِ

لا تَخْفِرنَّ عُهُوداً قَدْ نَطَقْت بِهَــا

تَكَفَّل الصدقُ فيها شاهِدَ الحضــرِ

في ليليةٍ بكَ وافتني على قــدرٍ

فما نقمْــتُ على حُكْمٍ مِنَ القَــدَرِ

فَلاَ نُهَدَّدُ بالإبْصـــارِ مِنْ حَــرَسٍ

ولا نُروَّعُ بالإسفَــارِ من سَحَــرِ

ولاثِــمٍ فِيــكَ ما أَعْطَيْتُــهُ أُذُني

ولا شغلتُ بشيءٍ قالَــهُ فِكْــري

إنّ الحِجَاءَ على تركِ الحِجَى خُلُقٌ

أُثَبِتُ ما قيلَ فيهِ عُــذر مُعتَــذرِ

لا سَيْرَ إلا بلَيلاَتِ الشَّبابِ عــلى

مضيٍّ عزمٍ للهوِ غيرِ مختصــرِ

ولا مدايــحَ إلا في مُحمَّــد بــن
الافتخارِ المُرجى دافعِ الضَّـــررِ
مَعْنى ً لِمُبْتَكِــرِ أُنْــسٌ لِمُفْتَكِــرِ
فجــرٌ لمعتكِــرِ بالنَّقــعِ مُعتكــرِ
أَكْرِمْ بِهِ مُنْصِفٍ بالعَدْلِ مُتَّصِــفٍ
لِلدِّينِ مُنْتَصِفٍ لِلْحَــقِّ مُنْتَصِــرِ
أَدْرَكْت في عَصْرِكَ العَلْيَاءَ ذَا صِغَرٍ
وفتَّ أسبقَهَــا إذ أنــت ذا كبــرِ
شَكَا لأَسْيَافِهِ قَلْبُ الــوَغَى لَهَبــاً
فجاوَبَتهُ استعرْ بَردا أو استعــرِ
يا خير منتسبٍ للمجدِ مُحتســبِ
بالعَزْمِ مُكْتَسِبٍ مَدْحاً مِنَ البَشَــرِ
في حَيْثُ تَشْتَغِلُ البِكْران عَنْ وَلَدٍ
بِكْرٍ ويذْهَلُ نُورُ العَيْنِ عَنْ بَصَرِ

ـ مقطوعــة: لعمــرُكَ لــمْ أدرْ بالشِّــرب إلاَّ:

لعمرُكَ لمْ أدرْ بالشِّرب إلاَّ
عَلَى كَلِفي بِتَقْبِيلِ الثُّغُــورِ

وَمَنْ نَزلتْ بِهِمْ غُمَمٌ فإنّي
أُبَدِّلُهَا سَرِيعَــاً بالسُّــرُورِ

ـ قصيــدة: يَــا راقِــداً لَــمْ يَــدْرِ عُمْــرَ الــدُّجَى:

يَا راقِداً لَمْ يَدْرِ عُمْرَ الــدُّجَى
درى ـ وحاشاكَ ـ به السَّاهرُ
غِبْت فَلاَ والله لَــمْ يَبْــق لِي
قَلْــبٌ وَلاَ سَمْــعٌ وَلاَ نَاظِــرُ
يا زهرة الآدابِ مِنْ لُطفــهِ
وجدي فيكَ المَثَــلُ السَّائِــرُ
رفقاً بعانٍ فيكَ طاوٍ على الــ
ــجمرِ حَشا فيها الجوى ناشرُ
اللــه في قتــلي ظُلمــاً أمــا
آمنــت أن يظهــرَ لي ثائــرُ
يا طرفهُ الحامِي حِمى خــدِّه
بِمُهْجَتِي ذا الحَارِسُ الساحِــرُ
إن قيلَ مضفوراً غدا شعــرُه
فَهو بِقَتْلي في الهَوَى ظَافِــرُ

ـ قصيـدة: جَيْـشُ المَلاَحَـة مقْـرُونٌ بِـهِ الظَّفَـرُ:

جَيْشُ المَلاَحَة مَقْرُونٌ بِهِ الظَّفَرُ
كذاكَ قالتْ لَنا الأحداقُ والطُّـررُ

فاذهبْ إذا أراكَ الحُسـنُ بارِقَـة
فإنَّ دَمعكَ إن تستسقهـا المَطَـرُ

وَنَادِ ظَبْي النَّقَـا إنْ عَنَّ مُلْتَفِتـاً
يا نُزهةَ العينِ لولا الدَّمعُ والسَّهرُ

إنّي أَبُثُّكَ مِنْ شَرحِ الهَوَى طُرَفاً
فبعضُ أيسره عندي لـهُ سِيَـرُ

سهلٌ وُقُوعُ الفتى لكنْ تخلُّصـهُ
صَعْبُ المَرامِ بِطيءٌ سَيْرُهُ عَسِرُ

حَتَّى إذَا لَمْ يَفُزْ بالصَّبْرِ حَامِلُـهُ
رام السلو وقد لا يسعـد القـدرُ

فإن يفته يمتْ وجداً وإنْ ظَفَرَتْ
بـهِ يـداهُ تبـقَّى عنـهُ أثـرُ

إنّي وإنْ كُنْتُ أَنْهَى النَّاس عَنْ كَلَفٍ
فإنَّ لي في الهوى شأناً لهُ خَبَـرُ

وناظراً بـتُّ في تسهيـدهِ قلقـاً
أَلُومُـهُ ثُـمَّ أستحـيي فاعتـذرُ

يا حبَّذا معهدٌ للحسنِ ما دَرَسَــتْ

رُسُومُهُ وسقــاهُ الــدَّلُّ والخَفَــرُ

يروقُ للحسنِ حتَّى تُجتلى غُــرَرٌ

بِسُوقِهِ وَهُوَ لَوْ يَدْرِي بِهَا غَــرَرُ

ساقتْهُ نحو أباطيلِ المُنى صــوَرٌ

مِنْ حُسْنِهَا تُلِيَتْ في حُبِّهِ سُــوَرُ

لا ذَنْبَ لِلْعَيْنِ بَلْ لِلْقَلْبِ ما خُلِقَتْ

إلا لِيُدْرِكَ مَا يُبْدِي لَــهُ البَصــرُ

فَالقَــدُّ فالجِيــدُ فالخَــدُّ المُــوَرَّدُ

فالأَصْدَاغُ فالثَّغْرُ فالأَجْفَانُ فالحَوَرُ

مَنَازِلٌ مَا سَرَتْ في حَيِّها مُهَــجٌ

إلاَّ وأَوْقَفَهــا في حُبِّــهِ الفِكَــرُ

وأَهْيَف كُــلُّ قَلْــبٍ في مَحَبَّتِــهِ

عانٍ وكُــلُّ دمٍ في حُبِّــهِ هَــدَرُ

أفكرتُ مُذْ غابَ عني وجهُهُ سَهَري

حَيْثُ الكَرَى مُذْ تَغيبُ الشَّمْسُ يُنْتَظَرُ

سهلُ العريكة مِثْلُ البدرِ في عُمرٍ

فَمَــا أَلَــمَّ بِــهِ كِبْــرٌ ولاَ كِبَــرُ

لَوْلاَ النُّهَى وَظُنون الكاشِحين بِنا

لَكانَ وِرْدُ الهَوى ما عنهُ لي صدرُ

لَيْسَ السِّيَادَةُ في سُودِ العُيونِ وَلاَ

بالخمرِ يرفعُ عنْ وجهِ النُّهى الخُمُرُ

يا ساقي الشرب عطِّلْها فقدْ جُليتْ

بغيرِ ذاتِ الحبابِ النفسُ والفِكَــرُ

وَيَا ظِبَاءَ الحِمى لا السِّرْبُ يُطْمِعُني

منهُ السَّرابُ ولا مِنْ جيرة الحَورُ

وَيَا غُصُونَ النَّقا لا أَصِلُكُنَّ هُوَ الـــ

ـــظِلُّ الظَّلِيلُ ولا الحُلْوُ الجَنَى الثَّمَرُ

وَيَا دِيَار الحِمَى شُطِّي أَوْ اقتربي

إِنْ شَـــاءَ أَوْ لاَ جَـــادَكِ المَطَـــرُ

لي همةٌ في العُلى لا طالَ لي عُمرٌ

إن كانَ في ساعدي عن نيلها قِصرُ

وليسَ تضمرُ لي خيلٌ ولا إبــلٌ

ما تضمرُ المُعزماتِ البيضُ والسُّمرُ

قالوا الشَّيْبَةُ عَنْ دَعْوَاهُ تَزْجُــرُهُ

لقد صدقتُمْ ولكنْ ليـــسَ يزدجِـــرُ

إنَّ الذي لَمْ يَزَلْ في عَزْمِهِ كِبَـــرٌ

ما ضرَّهُ إنْ يَكُنْ في سنِّهِ صِغَـــرُ

لي بالأميـــرِ أدامَ اللـــه رِفعتَـــهُ

عزٌّ منيفٌ بـــهِ أسطُـــو وأقتـــدِرُ

وإنَّكَ ابْنُ جَلا لكنْ عُرِفْتَ فَــلاَ
تُلْقِ العَمَامَةَ أَنَّى يُجْهَــلُ القَمَــرُ

ـ **مقطوعــة: رُبَّ طَبَّـاخٍ مَليــحٍ:**

رُبَّ طَبَّــاخٍ مَليــحٍ فاتِرِ[1] الطَّرْفِ غريرِ
مالِكي أَصبَحَ لكــنْ شغلــوهُ بالقُــدورِ

ـ **مقطوعــة: وكــأنَّ سَوسَنَهَــا سَبائِــكُ فِضَّـــةٍ:**

وكأنَّ سَوسَنَهَــا سَبائِــكُ فِضَّـــةٍ
وكأنَّ نرجِسَهَــا عُيــونٌ تنظُــرُ
حَملتْ سُقوطَ الطلِّ مِنْهُ عُيونُـــهُ
فكأنَّهــا عــن جوهــرٍ تستعبــرُ

ـ **مقطوعــة: قــال الحبيــبُ معاتبــاً لي في الهــوى:**

قال الحبيبُ معاتباً لي في الهوى
صبّرت قلبك إذ صدُّوا وإذ هَجَروا
فأَجَبْتُــهُ قَلْــبِي بِحُبِّــكَ مَيِّــتٌ
ولذاك بعــضُ الميِّتِيــنَ يُصَبَّــرُ

---
[1] **في الـوافي بالوفيـات: ((فاتـن)).**

ـ مقطوعــة: يــا خالــهُ خُضــرَةَ بعارِضِــه:

يا خالهُ خُضــرَةَ بعارِضِــه

حَرَسَتْها[1] عن مُتيَّــمٍ مُغْــرَى

كُفَّ عَنِ العاشِقِينَ مُقْتَصِــراً

هَلْ أنْت إلاَّ حُوَيْرِسُ الخُضْرَا

ـ مقطوعــة: يَــا مَــنْ بِفُــؤَادِي نــار وَجْــدِي غَــادَرْ:

يَا مَنْ بِفؤَادِي نار وجْدِي غَادَرْ

مَنْ قاس إِلَيْــكَ حُسْنَهُ مَنْ فاخر

لا تَخْش إذا مَا قِيلَ هذا حَســنٌ

عنْ غيركَ فالشَّيخُ غدا شيء آخرْ

ـ مقطوعــة: لا أَسْهَــرَ الله طَرْفــاً نَــامَ عَــنْ سَهَــري:

لا أَسْهَرَ الله طَرْفاً نَامَ عَنْ سَهَري

وعذَّبَ القلبَ بالأشجانِ والفِكِــرِ

ولا سقى دارهُ يوماً ـ إذا سُقِيَتْ

دَارِي بِدَمْعِي ـ إلا وابِلُ المَطَــرِ

يا وقومُ قد شفَّني وجدي ببدرِ دُجىً

عَلَى قَضيبِ أراكٍ ناعــمٍ نَضِــرِ

---

[1] في الـوافي بالوفيـات: ((حَبَسَتْهـا)).

ظَبْيٌ مِنَ الإنْسِ لَوْلا سِحْرُ مُقْلَتِهِ

ما بتُّ فيهِ بليلِ غير ذي سَحَـــرِ

في حَاجِبَيْـــهِ وَعَيْنَيْـــهِ ومَنْطِقِـــه

شِبْهٌ مِن القِسْي والأَسْهَامِ والوتَـــرِ

رَوْضُ الجَمالِ وأُفْقُ الحُسْنِ فَهْوَ لِذَا

قد راحَ يجمعُ بينَ الغُصنِ والقَمرِ

ـ قصيـــدة: رَأى الحُسْـــنَ في العُشَّـــاق مُمْتَثَـــلَ الأَمْـــرِ:

رَأى الحُسْنَ في العُشَّاقِ مُمْتَثَلَ الأَمْرِ

فَجَارَ وَنَابَتْ عَنْهُ عَيْنَاهُ في الغَدْرِ

وَقَالَ خُذِ الهَجْرَ المُبرِّحَ بالحَشَـــا

فقلتُ خُذ الصَّبر المُبرِّحَ بالهجـــرِ

وَلِي فِيكَ بَيْنَ القُرْبِ والبُعْدِ مَشْهدٌ

يريني صدق الهجرِ في كذبِ السِّرِّ

أمثلُ ما أختارُ منـــكَ بخاطـــري

فيمنحني وصلاً وإنْ كُنت لا تدري

أَأَحْبَابَنَا بِنْتُـــمْ وَخَلَّفْتُـــمُ الهَـــوَى

يُملل حَرَّ الشَّوْقِ مِنَّا على الجَمْـــر

هلّـــم إلى العهـــدِ القديـــمِ نُجِـــدُّهُ

وننشي به ميت الهوَى طيب النَّشرِ

فنحنُ قبلناكُــم على كُــلِّ حَالــةٍ

أَحبَّاءَ لا نَسْلوكُــمْ آخِــر الدَّهْــرِ

ونَحْنُ فَعلْنَا ما يَليقُ مِــنَ الوَفَــا

فَلا تفعلوا ما لا يليقُ من الغَــدْرِ

وإنا وإن أغرى بنا الحُسنُ عَامداً

نؤمِّلُ أن يُجري بنا اليُسرُ ما يُجري

أُسائِلُكُمْ هَلْ رَوَّضَ الشِّعْبُ بَعْدَنَا

وهل سحَّ في ساحاتِهِ وابلُ القطرِ

وهل سنحتْ فيه جــآذِرُهُ الــتي

تُعوِّضُ بالألباب مرعىً عن الزَّهرِ

كَوَاكِبُ قَالَ النَّاسُ هُنَّ كَواعِــبٌ

تقلدنَ بالأحــداقِ منَّــا وبالــدُّرِّ

نَحرْنَ جُفُونِي بالدُّمُــوعِ وإنَّمــا

سلَبْنَ عُقُودَ الدُّرِّ مِنْ ذَلِكَ النَّحْــرِ

رَعَى الله نَفساً كم أُكَلِّفُها الهَــوَى

وأَجْنِي بِهَا حُلْوَ الأُمُورِ مِنَ المُرِّ

وأَلْقَى صُرُوفَ الدَّهْرِ مُسْتَقبِلاً لَها

فَلَسْتَ تَرَى تأْثِيرَها في سِوَى صَدْرِي

وقد شاب فودي قبل أن ينقضي لهُ

سِوَى الخَمْسِ والعِشْرِينَ مِنْ مُدَّةِ العُمْرِ

أحبُّ ورودَ الماءِ يُخرسُ بالظُّبى

وأهوى ازديارِ الحيِّ يُمنعُ بالسُّمرِ

ولي بابن عبد الظَّاهرِ الهمَّةُ التي

أَجَادَ بِهَا جَدِيٍّ وأَعْلَى بِهَا قَدْرِي

هُو البرُّ إلا أنَّـــهُ إتـــن قصدتـــهُ

تيقَّنتَ أنَّ البحر مِنْ ذلـــكَ البـــرِّ

يُقَاسِمني قَلْـــبِي إِلَيْـــهِ اشتِيَاقُـــهُ

فَيَرْجَحُ شَطْرُ الشَّوْقِ مِنْهُ عَلَى الشَّطْرِ

ـ مقطوعـــة: حـــتى مَـــتَى أنـــا صابـــرٌ يـــا هَاجِـــرُ:

حتى مَتَى أنا صابرٌ يـــا هَاجِـــرُ

أتَرَى لهذا الهَجْرِ عِنْـــدَ ك آخِـــرُ

ما كُنْتُ لَوْلاَ نَظْمُ ثَغْرِكَ ناظِمـــاً

وبوصفِ ثغرِكَ صَحَّ أنِّي شاعِرُ

ولَقَدْ عَلاَنِي لاحْمِـــرَارِ خُـــدُودِهِ

فرطُ اصفرارٍ حار منهُ الناظـــرُ

فاعْجَبْ لَهُ عَرَضاً يَقُـــومُ بِذَاتِـــهِ

إذْ لَيْسَ لِي جَسَدٌ بِسُقْمِي ظاهِـــرُ

قَلْبِي إِلَيْكَ يَمِيلُ طَبْعاً في الهَـــوَى

فـــالام يثنيـــهِ العـــذول القاســـرُ

ولقد عهدتُ النارَ شيمتها الهـدَى

وَبنارِ خَدِّكَ كُـلُّ قَلْـبِ حَائِـرُ

لا تَخْش مِنْ نَارِ بِخَدِّكَ أُضْرِمَتْ

فالبدرُ للفلـكِ الأثيـر مجـاورُ

ـ مقطوعـة: فَـرَّق بَيْـنِي وبَيْـنَ مُصْطَبَـرِي:

فَرَّق بَيْنِي وَبَيْنَ مُصْطَبَـرِي

بالجمعِ بينَ الجُفونِ والسَّهـرِ

أَسْمَرَ قَـدْ بـات في مَحَبَّتِـهِ

وجدي سميري وذكرهُ سَمَري

أَقَـلُّ ما في جَمَـالِ طَلْعَتِـهِ

أجلُّ ما في محاسِـنِ القَمـرِ

منطِقُهُ في الهوَى وناظِـرُهُ

أَرَّقَـنِي بالحِـوَارِ والحَـوَرِ

كمْ قُلتُ للقلبِ عَنْهُ حينَ رَنَـا

إيَّاكَ مِـنْ كَاسـرِ بمُنكسِـرِ

ـ مقطوعـة: أَأَحْبَابَنَـا إنّي وإنْ رُمْـتُ سَلْـوة:

أَأَحْبَابَنَا إنّي وإنْ رُمْتُ سَلْـوةً

وقَامَ بِهَا مِنْ جُورِكُمْ لِي إعْذَارُ

لَعِنْدِي التِفَاتٌ نَحْوَكُمْ وَتَشَــوُّقٌ
إِليكمْ ومِنْكُمْ بعدُ في القلبِ آثارُ

ـ مقطوعــة: أنعِــمْ إليَّ سريعــاً:

أنعِــمْ إليَّ سريعــاً مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَزورِ
فثّــمَّ أمــرِ مُهــمٌّ وثمَّ شغلٍ ضـــروري

ـ مقطوعــة: بيــنَ بــان الحِــمَى وبــانِ المُصــلَّى:

بينَ بان الحِمى وبانِ المُصـــلَّى
فاتناتِ مِنَ الظِّبــاءِ الجــوازي
كلّ هيفاء رِدفُهــا في ارتجــاجٍ
حينَ تَمْشِي وَعِطْفُها في اهْتِزَازِ
غادةٌ وعدُها مجــازٌ ومَــنْ ذا
يَتَــرَجَّى حَقِيقَــةً مِــنْ مجــازِ
هَتَكَتْنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ استِتَــارِ
ذلَّلتني مِنْ بعدِ طُــولِ اعتــزازِ
أَسلبتْ دمعي كجُودِ المُقرئِ الــ
ــعَالِم العَادِلِ الكَبِيرِ المُغَــازِي

ـ مقطوعـــة: سُلُـــوِّي عـــنْ هَواكـــمْ لا يجـــوزُ:

سُلُوِّي عنْ هَواكمْ لا يجــوزُ

وَبَعْضُ هَوَاكُمُ كُــلِّي يَحُــوزُ

ولَوْمُ عَواذلي في الحُبِّ فيكــمْ

وحَقِّكــمُ بــأنني لا يجــوزُ

ولي ظبيٌ غريرٌ في حماكُــمْ

لَهُ حُسْنٌ عَلَى قَلْــبِي عَزِيــزُ

فَمَيِّتُ حُبِّـــهِ يَرْجُــو نُشُــوراً

إذا لَمْ يَأْتِ مِنْ خَلْــقٍ نُشُــوزُ

وَكُلُّ هَوَى البَرَايــا مُستَعَــارٌ

ولَكنْ حُبُّكمْ عِنــدي غَرِيــزُ

ـ مقطوعـــة: أهــوَى قمــراً مــرَّ بنــا مُجتــازا:

أهوَى قمراً مــرَّ بنـــا مُجتـــازا

باللُّطْفِ لكِّ مهجَةٍ قــدْ حَـــازا

ما استعرض جيش حُسنِهِ عَارِضُه

حَتَّى جَعَلَ الطَّرْفَ لَهُ غَمَّــازَا

ـ مقطوعـــة: أهبــب وأطــبْ يــا ريـــحَ وادي القـــدسِ:

أهبب وأطبْ يا ريحَ وادي القدسِ

عن جيرتِكَ الحلُــولِ في نَابلِــسِ

بالله عَلَيْكَ هَلْ لِعَهْــدِي ذَكَــرُوا

أم طال به طُولُ التَّمادِي فَنُــسِي

ـ مقطوعـــة: مـــن يعطِــف نحـــو قلـــبِ هَـــذا القَـــاسِي:

من يعطِف نحو قلبِ هَذا القَاسِي

كم أذكُره وهُو لِعَهْدِي نَـــاسِي

أشكو لِعذَارِهِ سُقَـــامِي وكـــذا

يَشْكُو دَنِـــفٌ سُقَامَـــهُ لِـــلآسِ

ـ مقطوعـــة: يُنـــوِّر الطَّـــرفُ كَيسَـــا:

يُنـــوِّر الطَّـــرف كَيسَـــا إنْ نـــاولَ الكـــفَّ كاسَـــا

وإنْ تَقَـــدَّمَ حَيَّـــا وإنْ تَحَـــدَّثَ كَـــاس

ـ مقطوعـــة: صفَـــا بَاطِـــنِي حُسْنـــاً كَمَـــا رَقَّ ظاهِـــرِي:

صفَا بَاطِنِي حُسْناً كَمَا رَقَّ ظاهِرِي

وَصَاحَبْتُ فِتيَاناً مِن الشَّرْبِ أَكْيَاسَا

إذا نَهضُوا كُنتُ الرَّفيق لَهمْ وإنْ

هُمُوا جلسوا أمسيتُ في الوسطِ جلاَّسَا

ـ مقطوعــة: قالــوا سَمعنَــا في البــلادِ قضيَّــةً:

قالوا سَمعنَا في البــلادِ قضيَّــةً

مضمونها أنْ قَدْ قَضى القِسيسُ

فأَجَبْتُ قَدْ كَانَ الذي خبَّرتُمــوا

عَنْهُ وَخــرَّبَ رَبْعَــهُ إبْلِيــسُ

ـ مقطوعــة: سَــاقٍ يُريــني قَلْبَــهُ في الهَــوَى:

سَاقٍ يُريني قَلْبَهُ في الهَوَى قَساوةً شَــابَ لَهــا راسِي

ولَيْسَ بِدْعاً ذَاكَ مِنْ مِثْلِــهِ فكــلُّ ســاقٍ قلبــه قــاسِ

ـ مقطوعــة: لِمَــا عَتَبْــتُ فُلانــاً حِيــنَ وَلَيْتُــه كــذا:

لِمَا عَتَبْتُ فُلاناً حِينَ وَلَيْتُه كذا

... في أَحْشَائِــهِ مَنْسُــوسُ

أَوْمى بمَبْعرِه وقــالَ بنفْــرَةٍ

مِنْ هَهُنَــا يتَعَــوَّجُ الفقُّــوسُ

ـ مقطوعــة: أسْكَــرني باللَّفْــظِ والمُقْلَــةِ الــ:

أسْكَرني باللَّفْظِ والمُقْلَــة الــ

ــكَحْلاَءَ والوَجْنَة والكــاسِ

سَــاقٍ يُرِيــني قَلْبُــهُ قَسْــوَةً

وَكُــلّ ســاقٍ قَلْبُــه قَــاسِي

ـ مقطوعــة: أدورُ لتقبيــلِ الثَّنايــا ولَــمْ أزَلْ:

أدورُ لتقبيلِ الثَّنايــا ولَــمْ أزَلْ

أجودُ بنفسي للنَّدامَى وأنفــاسي

وأَكْسُوَ كَفَّ الشَّرْبِ ثَوْباً مُذَهَّباً

فَمَنْ أجلِ هذا لقَّبُوني بالكــاسِ

ـ مقطوعــة: مــن خــدٍّ أهيــف كالقضيــبِ المايــسِ:

من خدٍّ أهيف كالقضيبِ المايسِ

يَرْنُو بِطَرْفٍ كالغَزَالَة نَاعِــسِ

مُتباعِـــدٍ بدلالِهِ مُتقـــرِّبِ

مُستَوحِــشٍ بِنفــارِهِ مُستَأْنِــسِ

يُبْدي لَنَا مِنْ حُسْنِـــهِ وَحَدِيثِـــهِ

أَبْهَى وأَبْهَجَ مَجْلِــسٍ وَمُجَالِــسِ

وَغدا بَديعاً في الجَمَالِ بما بَــدَا

مِنْ حُسْنِهِ المُتطابِقِ المُتَجَانِــسِ

ـ مقطوعــة: فديــت مؤذنـــاً تصبــو إليــه:

فديت مؤذنـــاً تصبـــو إليه

بجامعِ جلقِ منا النفـــوسُ

بطيرُ النسرُ من شوقٍ إليه

وتَهْوَى أَنْ تُعَانِقَهُ العَرُوسُ

ـ مقطوعــة: قُلْــتُ وَقَــدْ أُبْــرِزَتْ بِنَعْــشٍ:

قُلْتُ وقَدْ أُبْــرِزَتْ بِنعْــشٍ

فَوْقَ رِقَابِ الأَنَامِ تَمْــشِي

مِنَ البُــدُورِ التَّمام كانـــت

فَلِمْ غدَتْ مِنْ بَنَاتِ نَعْــشِ

ـ مقطوعــة: مــذْ سيَّــجَ الــوَرْدَ مِنْــهُ آسٌ:

مذْ سيَّــجَ الــوَرْدَ مِنْــهُ آسٌ

طارَ فــؤادي لـــهُ وَعَشَّـــش

فَصـــادهُ فُـــخٌ عَارِضَيْــهِ

بِحَبَّةَ الخـــالِ حيـــنَ أَدْهَــش

والذَّنبُ لي في الهَوَى لِجَهْلي

لأَنَّ قلــبِي بِــهِ تَحَــرَّش

ـ مقطوعــة: قلــتُ لــهُ لمّــا انثــنى وانتشــا:

قلــتُ لهُ لمّــا انثــنى وانتشــا

جُدْ بِوِصَالٍ مِنْــكَ لِي إنْ تَشَــا

فقالَ لِي تَبغِي وِصــالَ الرَّشّــا

وأنت لا تبــذُلُ مِنــكَ الرُّشّــا

فقلتُ هذِي مهجــتي والحَشَــا

قَالَ انظُرُوا بالجَهْلِ كَيْفَ انْحَشا

ـ مقطوعــة: في الــرَّاحِ والزَّهــرِ قــد رأينــا:

في الرَّاحِ والزَّهرِ قد رأينــا

معنىً لديه العُقُولُ تُدهَــش

فَساقُ كأسِي غــدا خضيبــاً

وَمِعْصَمُ الــدَّوْحِ قَدْ تَنَقَّــش

ـ مقطوعــة: هَــذَا الفَقِيــرُ الــذي تَــراهُ:

هَذَا الفَقِيــرُ الذي تَــراهُ

كالفرخِ ملقًى بِغَيْرِ رِيشِ

قَدْ قَتَلَتْهُ الحَشِيش سُكــراً

والقتلُ مِنْ عادةِ الحَشِيشِ

ـ مقطوعــة: في الــرَّاحِ ســرٌ بالسُّــرور يُحَصَّــصُ:

في الرَّاحِ سرٌ بالسُّرور يُحَصَّصُ

فلذا الحَبابُ إذا تبــدَّتْ يَرقُــصُ

قُمْ هَاتِهَا مِنْ عَيْــنِ دارا قَهْــوة

أَقْوَالُهُــمْ فيهــا تَزيــدُ وتَنْقُــصُ

لم يُغْلِهَــا ثَمَــنٌ لَــدَى خُطَّابِهَــا

إذْ كُلُّ غَالٍ في اللَّذاذَة يَرْخُــصُ

واستجلها من كفٍّ معسولِ اللَّمى

حُلْوُ الفُكاهَــةِ للتَّــودُّدِ يُخلِــصُ

واغنم لذاذة عيشِكَ الفاني فَطْــر

ف الدَّهْرِ نحْوَ الغَدْرِ طَرْفٌ أَخوصُ

ـ مقطوعــة: ودِّي لكُــم ســادتي بالبُعْــدِ مــا نَقَصَــا:

ودِّي لكُم سادتي بالبُعْــدِ ما نَقَصَــا

والقَلْبُ في حُبِّكُمْ بالحَبِّ قَد قُنِصــا

غاليتُ فيكم وعاصيتُ العذول وقد

أَطَعْتُمْ واشِياً قَــدْرِي بِهِ رَخُصــا

متى أرى النَّصرَ منكمْ مُقبِلاً وأرَى

شيطَان ضِدِّي على أعقابِهِ نَكَصـــا

ـ مقطوعــة: يــا مــن لهــمْ عَــلَيَّ وَحْـدِي فــرضُ:

يا من لهمْ عَلَيَّ وحْدِي فرضُ

لم يبقِ تهتُّكِي بكُمْ لِي عِرْضُ

أَحْبَابِي مُذْ نأَيْتُمُ عَنْ بَصـــرِي

ضَاقَتْ وحياتِكُمْ عليَّ الأرضُ

ـ مقطوعــة: أَحْبَابَنَــا أَيْــنَ ذَاكَ العَهْـدُ قَــدْ نُقِضَــا:

أَحْبَابَنا أَيْنَ ذَاكَ العَهْدُ قَدْ نُقِضَـــا

وأين عصرٌ بأَيَّامِ الوِصَالِ مضى

وأَيْــنَ أَيْمَانُكُــمْ بِاللّـــه أَنَّكُمــوا

لا تمزجُونَ بِسخطٍ في الغَرامِ رِضَا

عُودُوا فَقَدْ أَوْحَش النادي لِغَيْبَتِكُمْ

عَنْهُ وأَظْلَمَ ما قَدْ كَانَ مِنْهُ أَضَـــا

لَمَّا رَمَيْتُم سِهَامَ البَيْنِ عَــنْ مَلَــلِ

صَيَّرْتُمُوا كُلَّ قَلْبٍ في الهَوَى غرَضا

أَشْكُو إِلَيْكُمْ سُقَامِي مِــنْ فِرَاقِكُــمُ

تاالله لا جَوْهَراً أَبْقَى ولاَ عَرَضـــاً

حسبي محافظة اني أمُوتُ بكُـــم

وجداً ولستُ أرجّي عنكمُ عوَضا

ـ مقطوعــة: للعاشقيــن بأحكــامِ الغَــرَامِ رِضَــا:

للعاشقين بأحكامِ الغَــرَامِ رِضَــا

فَلاَ تَكُنْ يا فَتَى بالعَذْلِ مُعْتَرِضَــا[1]

روحي الفداءُ لأحبابي وإن نقضوا

عهد المحِبِّ[2] الذي للعَهْدِ ما نَقَضَا

قِف واستَمِعْ سِيرَةَ الصَّبِّ الذي قَتَلُوا

فمات في حُبِّهِمِ لم يبْلُغِ الغَرَضَــــا

رَأَى فَحبَّ فَسامَ[3] الوَصْلَ فامْتَنَعُوا

فَرامَ صَبراً فأعْيا نَيْلُــهُ فَقَــضَى

ـ مقطوعــة: يَــا مَــنْ بِبُعَــادِهِ لِقَلْــبِي قَرَضَــا:

يَا مَــنْ بِبُعَــادِهِ لِقَلْــبِي قَرَضَــا

ظُلمــاً وبحبّــهِ لقَتْــلي فَرَضَــا

---

[1] جاء هذا الشطر في فوات الوفيات هكذا:
((فَلاَ تَكُنْ في الهوى بالعَذْلِ مُعْتَرِضَا))

[2] في فوات الوفيات: ((الوَفِيِّ)).

[3] في فوات الوفيات: ((فَرَامَ)).

مُذْ غِبت مدامعي بخدِّي انكَسَبَتْ
والله وجفنُ مُقلِـتي ما غَمَضـا

ـ مقطوعـة: خليـليَّ هـل مـن حامـلٍ لي تَحيَّـةٍ:

خليليَّ هل من حامـلٍ لي تَحيَّـةٍ
إلى قَمرٍ نَجمُ الثُّريَّـا لـهُ قُـرطُ
أَتَى بَيْنِ حَقْـفٍ مائـجٍ وأَرَاكــة
مُنعَّمة أوراقُهَا الشَّعَـرُ السَّبْـطُ
فأبدى عَلى كافورِ خـدٍ سوالفـاً
عَلى الجُلَّنارِ الغَضِّ مِنْ مِسْكِها نَقْطُ
ونارُ شِفَاهِ حـولَ جَنَّـة مبسـمٍ
مِزَاجُهما شَهْـدٌ جَـنيٌّ وإسْفَنـطُ
فَلا ولماهُ العَذْبُ لا كُنْتُ ناقِضـاً
عهودَ هَـواهُ لا ولا ناسِيـاً قَـطُّ

ـ مقطوعـة: يَـا دَايَـةً في حُسْنِهَـا أَرْتَضِي:

يَا دَايَةً في حُسْنِهَـا أَرْتَـضِي
أنَّ عَـذُولي دائمـاً يسْخُـطُ
تـداركي من مهجَـتِي حَامِـلاً
حُبَّكِ مِنْ خوفِ النَّـوى تُسْقِـطُ

ـ مقطوعـــة: غـــدا نافـــراً يـــدني وهـــو ساحِـــطُ:

غدا نافراً يـــدني وهـــو ساحِـــطُ

وكَمْ جَهْدَ ما أُرْضى الهَوَى وَهْوَ سَاخِطُ

تَرحَّل عنا وَصْلُهُ وهـــو عَـــادِلٌ

وَخَيَّمَ فينا هَجْـــرُهُ وهـــوَ قاسِـــط

يُغَالِطُني بالبَدْرِ عَنْـــهُ عـــواذِلي

وَعَنْ مِثْلِهِ بالبَدْرِ كَيْـــفَ أُغَالِـــطُ

غَزالٌ يَبيتُ الصَّبُّ في ليلِ صَدِّه

يخبُّ اعتسافاً وهو حيرانُ خابطُ

شرائطهُ في الحُبِّ غيـــرُ وَفيَّـــة

وكيف تُوفي مِنْ حَبيبٍ شَرائِـــطُ

يَسلُّ عَلَيْنـــا مُرْهَفـــاتِ لَواحِـــظِ

لها كلَّ يومٍ من يدِ السِّحْرِ خارِطُ

ـ مقطوعـــة: قَمَـــرٌ يُحَجِّبُـــهُ دَلالٌ مُفْـــرِطُ:

قَمَرٌ يُحَجِّبُـــهُ دَلالٌ مُفْـــرِطُ

سُلطَانَـــهُ أبداً عَليَّ مُسلَّـــطُ

عهدي بِهِ مُتناهياً في حُسْنِهِ

لَكِنَّـــهُ فِي قتلَـــتِي مُتَوسِّـــطُ

ـ مقطوعـــة: وظـــبيٍ قـــد ســـبى عقـــلي ولـــبِّي:

وظبيٍ قد سبى عقــلي ولـــبيّ

بِكَاسَـــاتِ المُـــدَامِ وَبِاللَّواحِـــظْ

أَطَعْتُ العِشْق في وجْدِي عَلَيْـــهِ

وقلبي قد عَصى فيه المَواعِـــظْ

ـ قصيـــدة: مـــا كنـــتُ أنـــدُبُ رامـــةً وطويلِعـــاً:

ما كنتُ أندُبُ رامـــةً وطويلِعـــاً

لَوْ كُنْت يا قَمَرِي عليَّ طُوَيْلِعَـــا

ولَقَدْ رَأَيْتُ بِرَامَـــةٍ بَيْـــنَ النَّقَـــا

فَمَنَعْتُ طَرْفِي مِنْـــهُ أَنْ يَتَمتَّعـــا

ما ذاكَ مِنْ روعٍ ولكنْ من رأى

أَشْبَاهَ عِطْفِكَ حُـــقَّ أَنْ يَتَورَّعـــا

يا ساكِني نُعْمانَ لا اصْطَنَعَ الهَوَى

صبّاً يكونُ بِكـــم هَـــواهُ تصنُّعـــا

قَد أَزْعَجَ القَلْبَ الغَرامُ وأَعْجَزَ الـــ

ـــطَرْفَ المنامُ فَحَقَّ لي أَنْ أَجْزَعَا

أضمرتُموه هَجراً وأمرضتُمْ حشّى

مِنّي وأَضْرَمْتُـــمْ بِنـــارِ أَضْلُعـــا

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلى حِمَاكُــمْ مُجْدِيــاً

فجَرى بهِ دمعي إلى أن أمرَعَــا

وَحَفِظْتُ عَهْدَكُمُ وَضَيَّعْتُــمْ فَــلاَ

أدعو لأجلكُم عَلى مــنْ ضيَّعــا

قَالَ العَــوَاذِلُ إنَّ مَــنْ أَحْبَبْتَهُــمْ

لَمْ يَتْرِكُوا لَكَ في وِصَالِ مَطْمَعَــا

أَنَا قَدْ رَضِيتُ بِمَا ارْتَضُوهُ فَمَا عَسَى

أن يبلغَ الواشي لديَّ بما ســعى

من أنت يا ظبي الصريمِ دعوتَــهُ

هيهات عنكَ بسلوةٍ أنْ يرجِعَــا

لابُدَّ يا قَمَــر الملاحــةِ بعــدَ أنْ

تُبدي السِّرارَ وتحتفي أنْ تطلُعــا

وَلَرُبَّما يَا ظَــبْيُ تَرْتَــاعُ الظِّبَــا

مِثْلَ ارْتِيَاعِكَ ثم تأْنَــسُ مَرْتَعَــا

ما سِحْرُ هَارُونَ المُفَرِّق غيْرُ ما

في مُقْلَتَيْكَ مِنَ الفُتُــورِ تَجَمَّعــا

أَخْلَيْت مَرْبَع كُلِّ قَلْبٍ في الهَوَى

منْ صَبْرِهِ وجعلتَهُ لــكَ مربَعــا

وهي القلوبُ الطائراتُ فَمَا لَهَــا

أبــداً نراهــا في حِبالِــكَ وُقَّعَــا

ما صدَّ عني في الغــرامِ فديتــهُ

لمَّــا بذلــتُ لــهُ دمي فتمَنَّعــا

لكــنْ رأى قلــبي يزيــدُ بقُربــهِ

صَدْعاً فأَشْفَقَ إنْ دَنَا أَنْ يُصْدَعَا

يا عاذلي دَعــني وعلِّــم مُقلَــتِي

لترى خيالَ مُعــذِّبي إن تهجعــا

مَنْ كانَ مدمَعُهُ نجيعاً في الهَوى

هيهات عذْلكَ عِنــدَهُ أنْ ينجَعَــا

أم كيف ريقَتُكَ التي أرِقــتْ لَهــا

عيني ومَا راقتْ تُكَفِكِف أدمُعــا

ـ **مقطوعــة: ركَائِــبُ سُهْــدِي مِــنْ قَراهــا المَدامِــعُ:**

رَكَائِبُ سُهْدِي مِنْ قَراها المَدامِعُ

هَدَاهَا لَهِيبٌ أضرَمَتْهُ الأضالِــعُ

أبيتُ أبيــتُ اللَّيْــلَ إلا بلوعــةٍ

أَقضَّتْ بِهَا وجْداً عليّ المَضاجِعُ

كأنَّ الدُّجَى يبكي لِحالي رحْمــة

فتلك النُّجُومُ الزّاهــراتُ مَدامِــعُ

يا ربِّ هَلْ طيفُ الحبيبة زائــرٌ

وَهَلْ عَهْدُ لَيْلَى بِالأُجَيرع رَاجِــعُ

وَيَا رَبَّةَ الخَالِ الخَلَيَّة مِنْ جَوَى

مُحِـــبٍّ لَهُ دُونَ التَّصبُّـــرِ مَانِــعُ

هَجَرَت فلم يستغرق الطَّرْف هَجعَةٌ

فَنَاظِرُه صَادٍ وهجْــرُكَ صـــادِعُ

وما ذنبُ من لا عِنْدَهُ الحُبُّ ذائِعٌ

ولا السِّرٌّ مبذولٌ ولا العَهْدُ ضَائِعُ

ـ قصيــدة: طــرفٌ تعــرَّض بعدكُــمْ لِهجــوعِ:

طرفٌ تعرَّض بعدكُمْ لِهجــوعِ

لا زالَ شرقٍ بفيــضِ دُمُــوعِ

وَجَوانِحٌ جَنَحَتْ لِغَيْرِ جَمالكُــمْ

لا بُشِّرَتْ مِنْ عَوْدِكُمْ بِرُجُــوعِ

يا غائبونَ وهم بُدُورٌ هَلْ لكـــم

أَنْ تَسْمَحُوا لِطُوَيْلِـــعٍ بِطُلُــوعِ

أوطانُـــهُ ليســـتْ بأوطـــانٍ إذا

غِبْتُمْ ولَيْــسَ رُبُوعُـــهُ بِرُبُــوعِ

وإذا حللتُــم في محــلٍّ مُمحــلٍ

كُسيتْ مَحَاسِنُـــهُ بكـــلِّ ربيـــعِ

مَنْ لي بهـــا قمريَّـــةٌ قمريَّـــةٌ

تسبيكَ بالمنظــورِ والمَسمُــوعِ

زادت بطرَّة شعرها المفروق فــو

ق جَبِينِها في حُسْنِهَا المَجْمُــوعِ

فَعَجِبْتُ مِنْ تِلْكَ الذَّوائِبِ بَعْضُهَا

المَحْمُولُ جَاذِبَ بَعْضَهَا المَوْضُوعِ

قَدْ نُزِّهَ البَدْرُ المُنِيــرُ وَوَجْهُهَــا

والشمسُ بالتثليثِ عــن تربيــعِ

بَخِلَ الخيالُ بِهَا وَزَارَتْ يَقْظَــةً

فَحَظِي بِهَا سَهَرِي وَخَابَ هُجُوعي

وأَلَذُّ ما كَانَ الوِصَــالُ إِذَا أَتَى

شَفْعاً كمَا تَهْوَى بِغَيْــرِ شَفِيــعِ

فَرَفَعْتُ عَنْ تِلْكَ العُقُودِ قِنَاعَهــا

شرهاً ولــم أكُ دونَــهُ بقنــوعِ

فتبسمتْ عنْ مثلِ ما في جيدِهَا

لُطفاً ففاضتْ للسُّرورِ دُمــوعي

فَتَوَهَّمَتْ أَنِّي بَكَيْــتُ تَخَضُّعــاً

فتواضعتْ جبراً لفرطِ خُضوعي

فَضَمَمْتُهَا ضَمَّ اللِمَــامِ لِوِرْدِهَــا

أَحْنُو على مَجْمُوعِهَا بِجَمِيــعي

لَوْلاَ الضُّلوعُ ـ عدِمتُهُنَّ ـ مَنَعْنَنِي

لَجَعَلْتُهَا بِالضَّمِّ تَحْتَ ضُلُــوعِي

مَا كَانَ أَحْلَى في المَزَارِ دُنُوُّهَا

لَوْ لَمْ تَشُبْـــهُ مَـــرَارَةُ التَّوْدِيــعِ

كالرُّوحِ فِيهَا لِلنُفــوسِ حَيَاتُهـــا

ونِزاعُهـــا إِن آذنــتْ بنـــزوعِ

كَمْ مَيِّتٍ بَعْــدَ الفِــرَاقِ حَيَاتُـــهُ

في قُرْبِ حَيٍّ بالعَقِيــقِ جَميــعِ

في منزلٍ كهلِ الثمارِ مراهِقِ الأز

هارِ مِنْ ثدي الغَمـــامِ رضيــعِ

عاقَتْ سريعَ نسيمـــهِ عذباتُـــهُ

بالميلِ فهو بهنَّ غيــرُ سريــعِ

عُربٌ أعاجِمُ ورقُهُم تشدوا على

أَسْماعِهِمْ بالمَنْطِـقِ المَسْجُــوعِ

يَحْمُونَ سُمْرَهُمُ بِسُمْــرٍ مِثْلَهَـــا

في كُلِّ ضَنْكٍ لِلْكُمَـــاةِ وَسِيـــعِ

مُزجتْ دُموعُ العَاشقينَ بأرضهم

نَادَى العواذلُ فِيكَ غَيْرَ مُجَاوِبِ

بأبي بديعٍ راقــني مـــن قـــدِّهِ

والثَّغــر بالتوشيــحِ والتوشيــعِ

ودعوا إلى السلوانِ غير سَميعِ

كمْ من معينِ للدُّمـــوعِ بذلتُـــهُ

بمصونِ ربعٍ من حِمَاكَ منيـــعِ

لَمْ أَدْرِ كَيْف كَسَرْت قَلْبِي وَهُوبَيْـــ

ـــتُ هَواكَ حَتَّى بَات في التَّقْطِيعِ

ـ قصيـــدة: خَافَـــتْ مِـــنَ الرُّقَبَـــاءِ يَـــوْمَ وِدَاعِي:

خَافَتْ مِنَ الرُّقَبَاءِ يَوْمَ وِدَاعِي

لَمَّا دَعَا بِنَـــوى الأَحِيَّـــةِ دَاعِ

قَامَتْ تُوَدِّعُـــنِي بِقَلْـــبٍ آمِـــنٍ

مِمَّا أَجُـــنُّ وَنَاظِـــرٍ مُرْتَـــاعِ

للهِ ركبٌ ليس عهـــدُ وِدادِهـــمْ

عِنْدَ المُحِبِّ وإنْ نأى بِمُضَاعِ

مَنَحُوا النَّواظِرِ بَهْجَةً وَملاحَةَ

وجَنَتْ حُداتُهمْ على الأسمــــاعِ

بانُوا فغصنُ البانِ فوق هوادجٍ

وسروا ببدرِ التَّمِّ تحت قِنـــاعِ

كمْ كادَ يقضي عاشقٌ لِفراقِهِمْ

لَولاَ الرَّجَا وَتَعَلُّقِ الأَطْمَـــاعِ

أَعذُولُ مِنْ عَلَقِ الهَوَى بِي عادةٌ

فلقدْ أُمرتُ بأمرِ غير مُطَـــاعِ

أَوَ مَا كَفَاهُ نِزَاعُهُ مِمَّــا بِــهِ
فأَتَيْتَــهُ مِــنْ عَذْلِــهِ بِنَــزَاعِ

ـ مقطوعــة: إنَّ الــذي مَنْزِلُــهُ:

إنَّ الــذي مَنْزِلُــهُ مِنْ سُحْبِ دَمعي أمرَعَا
لَمْ أدرِ مِنْ بعدي هــلْ ضَيَّعَ عَهْــدِي أَمْ رَعَى

ـ مقطوعــة: يــا جَامــعَ المــالِ وهــوَ يَمنعُــهُ:

يا جَامعَ المالِ وهو يَمنعُــهُ عنْ راغبٍ في نوالِهِ طَامِــعْ
أصبحت في البخلِ إذ عُرفت بهِ كأَنَّــكَ الحَــدُّ جامِعٌ مانِــعْ

ـ قصيــدة: أَرَاكُ الحِــمَى لمــا شَدَتْــهُ السَّواجِــعُ:

أَرَاكُ الحِمَى لما شَدَتْهُ السَّواجِــعُ
تَثَنَّى كَما هَبَّتْ عليــه الزَّعــازِعُ
فأَطْرَبَهُ مِنْ شَدْوِهَا لَحْنُ ساجِــعٍ
ينوحُ على أحبابِهِ فهــو سَاجِــعُ
فَسِرٌّ الهَوَى لِلصَّبِّ بِالدَّمْعِ ذائــعٌ
كَمَا قَلْبُهُ بَيْنَ المَحَامِــلِ ضائِــعُ
على أنّ أيــامَ الوِصَــالِ وَدائِــعٌ
ولا بُدَّ يومــاً أن تُــرَدَّ الوَدائِــعُ

وَلَيْلٍ جَلا فِيه الطَّلا أَنْجُم الطِــلاَ

وهُــنَّ أُفُــول بيننــا وَطَوالِــعُ

وقَدْ غَابَ واشِينا ونَــامَ رَقِيبُنــا

وَقَدْ صَدَقَتْنَــا بِاللّقــاءِ المَطالِــعُ

ونَحْنُ سُجُودٌ في جَوَامِــعِ لَــذَّةٍ

مِنَ الأُنْسِ والإبْرِيقُ لِلكأْسِ رَاكِعُ

وَطَرْف الصّبا في حلبة الروض راكضٌ

وَطَرْفُ النَّدى في وجنــةِ الــورْدِ دَامِــعُ

إلى أَنْ تَجَــلَّى صُبْحُــه فَكَأَنَّــهُ

وُجُوهُ العَذَارَى أَبْرَزَتْها البَرَاقِــعُ

فودَّعنا لا عن مــلالٍ ولا قِــلىً

وَقُلنا دَنَا التَّفْرِيقُ والشَّمْلُ جَامِــعُ

ـ مقطوعــة: يــا أيهــا الصــد الــذي وجــه العــلى:

يا أيها الصد الذي وجه العلى

منه يزان بمنظــرٍ مطبــوعِ

لا تَعتَقِدْ قَلْبي يُحبُّــكَ وحــدَهُ

هَا قَدْ بَعَثْتُ لسيِّدي مَجْمُوعي

ـ مقطوعــة: رَأَتْ شَغَــفِي عِنْــدَ ارْتِشَــافِ رِضَابِهَــا:

رَأَتْ شَغَفِي عِنْدَ ارْتِشَافِ رِضَابِهَا

وتقبيلها الشافي لما في الأضالــعِ

فَقَالَتْ تُرَى ماذا الذي كُنْتَ قانِعاً

بِهِ مِنْ هَوَانَا قُلْتُ مَقلــوبَ قانــعِ

ـ مقطوعــة: لِلْمَنْطِقِيِّــنَ أشْتَــكِي أبَــداً[1]:

لِلْمَنْطِقِيِّــنَ أشْتَــكِي أبَــــداً

عَيْــنَيْ رَقِيــبي فَلَيْتَــهُ هَجَعَــا

حاذَرَهــا مــنْ أُحِبُّــهُ فَــأبَى

إنْ نَخْتَــلي ساعَــةً وَنَجْتَمِعَــا

كَيْف غَدَتْ دَائمــاً وَمَا انْفَصَلَــتْ

مانِعَــةَ الجَمْــعِ وَالخُلُــوِّ مَعــاً

ـ مقطوعــة: قُولُــوا لِمَــنْ صَــدَّ وَمَــنْ حَظُّنَــا:

قُولُوا لِمَنْ صَدَّ وَمَــنْ حَظُّنَــا

في الحُبِّ أَضْحَى عِنْدَهُ مُلْغَى

[1] لم تعجب هذه المقطوعة صاحب الوافي بالوفيات؛ إذ رأى فيها خللا في المعنى. أنظر ج: 3، ص: 110.

نَحْــنُ سلَوْنَــا عَنْــكَ لَكِنَّنَــا

نُبصــرُ مِــنْ يُنــدَمُ يابَغّــا

ـ مقطوعــة: وأَلْثَــغَ زَارَ لَكِــنْ:

وأَلْثَــغَ زَارَ لَكِــنْ رأى رقيبي أصــغَى

فقالَ ادخلُ أو امضِي إلى مَتَى أنــت بَغّــا

ـ مقطوعــة: مَــوْلاَيَ كَيْــف انْثَــنَى عَنْــكَ الرَّسُــولُ ولَــمْ:

مَوْلاَي كَيْف انثَنى عَنْكَ الرَّسُولُ ولَمْ

تكن لــوردةِ خدَّيــهِ بمُرتَشِــفِ

جَاءَتْكَ مِنْ بَحْرِ ذَاكَ الحُسْنِ لُؤلُؤة

فَكَيْف رُدَّتْ بِلاَ ثُقْبِ إلى الصَّدَفِ

ـ قصيــدة: كــفَى شرفــاً أنّي بحُبّــكَ أعــرِفُ:

كفَى شرفاً أنّي بحُبّــكَ أَعــرِف

فَمَا آنَ أَنْ تَحْنُو عَليَّ وتَعْطِــف

عَمَرتُ جِهاتِي في هــواكَ ولا أرى

سواكَ ومالي عنكَ ما عشتُ مصرف

فَزِدْ في التَّجَنّي حَيْثُ شِئْت فإنَّــهُ

وحقِّكَ أنت المالِــكُ المتصَــرِّفُ

ومِثْلي أَولَى مَنْ يَموتُ صَبَابـــةً
وَمِثْلُكَ أَوْلَى مَنْ يَحنُّ وَيُسْعِـــفُ
أَيا مَنْ لَهُ الحُسْنِ الّذي بَهَرَ الوَرَى
وَمَنْ حَازَ مَعْنًى لا يُحَدُّ وَيُوصَفُ
تَجَلَّيْت لي في كُلّ شَيْءٍ تَكَرُّمــاً
فَلَسْــتُ لِهَجْــرٍ وَاقــعٍ أَتخــوَّف
وحُزْت جَمالاً ليس في الخَلق مِثْلُـــهُ
بِهِ دائِماً قَلْــبِي يَهيــمُ وَيُشْغَــفُ
فَخَدُّكَ وَرْدٌ واللَّواحِــظُ نَرْجِــسٌ
وشَخصُكَ نِدْمانٌ وريقُكَ قرقَــف
وَجَفْنُكَ نَبَّــالٌ وَشَعْــرُكَ مُسْبَــلٌ
وقَدّك حظّيٌ ولحظُــكَ مُرهَــف

ـ قصيــدة: بالغــت بالإعــراضِ في إتــلافي:

بالغت بالإعــراضِ في إتــلافي
ووَصلْت بينَ قَطِيعَــةٍ وتَجــافي
لست الملومَ بما اجتنيت فإنَّ مِنْ
شَرْطِ المَحَبَّة قِلَّــة الإنْصــافِ
أشكوكَ أم أشكو إليــكَ صَبَابــةً
مَا مِثْلُهَا عَنْ عِلْمِ مِثْلِــكَ خــافِي

حَمَّلْتَنِي بهواك أضعــاف الــذي
يكفيكَ مِنْهُ البَعْضُ في إضعَــافي
وَطَلَبْتُ مِنْكَ السُّخْطَ أَطْمَعُ في الرِّضَا
عِلْمــاً بِأَنَّــكَ آخِــذٌ بِخِــلافي
هَلاَّ تَرِقُّ كَوَجْنَتَيْــكَ عَلَى فَــتَى
يجدُ المُنَى في الوَجْدِ وَهْوَ مُنَافِ
أسرفت في هجري ولَيْتَكَ حَيْثُ قَدْ
أَسْرَفْت لا أَسْرَفْت في الإسْرَافِ
يا طَالباً قتــلِي ولَســتُ بِوَاجِــدِ
أَنّي وَعَنْهُ حِمَى التَّصبُّرِ عَــافِي

ـ مقطوعــة: أرى نــارَ وجــدي أطفأتــني ولا تُطــفَى:

أرى نارَ وجدي أطفأتني ولا تُطفَى
وَسِرَّ غَرامي قَدْ خَفِيْتُ وَلاَ يَخْفَى
كَأَنَّ الصَّبَــا أَهْــدَتْ إلَيَّ تَحيَّــةً
تُعَرِّفها نَشْــراً وَتَنْشُرهَــا عَرْفــا
وبينَ بُيرتِ النَّازِلينَ على الحِمَى
غزالٌ أبى أن يعرف الوصلَ والعَطْفَا

ـ مقطوعــة: إذا انتقــدَ الدينـــارَ شبهــتُ كفــهُ:

إذا انتقدَ الدينـــارَ شبهـــتُ كفـــهُ

لدى واضح الدينار في وضح الكف

بنرجسة صفراءَ قدْ طلها الندى

يخاف عليها مجتنوها مِنَ القطفِ

ـ مقطوعــة: تَبَسَّــمَ زَهْــرُ اللَّــوْزِ عَــنْ دُرٍّ مَبْسَــمٍ:

تَبَسَّمَ زَهْرُ اللَّوْزِ عَنْ دُرٍّ مَبْسَـمٍ

وأصبح في حُسنٍ يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ

هلمَّ إليـــه بيـــن قصـــفٍ ولـــذَّةٍ

فإنَّ غُصُونَ الزَّهْرِ تَصلُحُ لِلْقَصْفِ

ـ مقطوعــة: قَبِّــل المَحْبُــوبَ مِــنْ قَبْــل:

قَبِّل المَحْبُــوبَ مِنْ قَبْـــلِ تَرى لِلدَّهـــرِ حيـــف

فلَكـــمْ قَالـــتْ لنا تِـــلْـــكَ العُيونُ: الوَقْتُ سَيْـــف

وَغَدَا الحُـــبُّ يُنـــادِي يـــا كِرَامَ الـــوِرْدِ ضيْـــف

ـ مقطوعــة: يــا مَــنْ بِقَلْــبِي غَــرَامٌ:

يا مَـــنْ بِقَلْـــبِي غَـــرَامٌ عليـــه ليـــس بخـــافي

أضحى هـــواك وفـــائي فَكَيْـــفَ أَنْـــت خِـــلاَفي

ـ مقطوعــة: يَــا رَبِّ قَــدْ عُلِّقْتُــهُ:

يَــا رَبِّ قَــدْ عُلِّقْتُــهُ لدنِ المَعاطِــف أهيفَــا
والنَّرْجِسُ الغَضُّ الذي في ناظِرِيــهِ تألَّفَــا
هو مضعف لكــن بكســـر العين أصبح مضعفا
إن كان أذنب بالصُّــدو دِ فإنّ صَبْرِيَ قَدْ عَفَــا
كم رُمتُ رِقَّة خضــرهِ فأبان لي منهــا جَفَــا
وَطَلَبْتُ مِنْ ذَاكَ العِــذَا رِ تَعَطُّفــاً فَتوقَّفــا

ـ مقطوعــة: كَــأَنَّ عُيُونَهَــا لَمَّــا استــدَارتْ:

كَأَنَّ عُيُونَهَا لَمَّـــا استـــدَارتْ
بِحَرْفِ الكأْسِ صَفّاً بَعْدَ صَفٍّ
وَصَائِفُ حَوْلَ جَارِيَةٍ عَرُوسٍ
عَقَدْنَ ـ مَلاَحةً ـ كَفاً بِكَف

ـ مقطوعــة: شَكَــوْتُ إِلَى ذَاكَ الجمـــالِ صَبَابَــةً:

شَكَوْت إِلَى ذَاكَ الجمـــالِ صَبَابَـــةً
تُكَلِّفُ جَفْـنِي أَنَّـــه قَـــطُّ لا يَغفُــو
فَلاَنَتْ لِي الأَعْطَافُ والخصرُ رَقَّ لِي
ولَكِنْ تَجَافَى الشَّعْرُ واثَّاقَلَ الرِّدْفُ

ـ مقطوعـــة: لا عـــذر للصَّـــبِّ إن لـــم يألـــفِ التَّلَفـــا:

لا عذر للصَّبِّ إن لم يألفِ التَّلَفا

وللأحبَّةَ إن لم يألفــوا الصَّلَفـــا

من أين لي نسبةٌ للعـــزِّ عندهُـــمُ

أَبْغِي بِهَا شَرَفاً في الحُبِّ أَوْ شَغَفَا

ـ مقطوعـــة: ولَقَـــدْ كَتَبْـــتُ إِلَيْـــكَ لَمَّـــا جَـــدَّ بِي:

ولَقَدْ كَتَبْتُ إِلَيْـــكَ لَمَّـــا جَـــدَّ بِي

وجدي عليـــكَ وزادتِ الأشـــواقُ

وشكوت ما ألقاه مِنْ ألمِ الجـــوى

فَبَـــكَى اليَـــراعُ ورَقَّـــتِ الأَوْرَاقُ

ـ قصيـــدة: بتثـــني قوامـــك الممشـــوق:

بتثـــني قوامـــك الممشـــوق

وَبِأَنْـــوَارِ وجهِـــكَ المَعْشُـــوقِ

وبمعنى للحسنِ مبتكـــرٌ فيـــ

ـــكَ وخصرٍ كقلبي المَسْرُوقِ

صِلْ مُحبّاً من ناظِرِيْكَ وَمِـــنْ

قَدِّكَ يُرْمى بِرَاشِقٍ وَرَشِيـــقِ

ومن الخال والمقبل ما بيــن

حَريقٍ يُفْــني وَبَيْــنَ رحيــق

جُدْ بِوَصْلٍ أَو زَوْرَةٍ أَوْ بِوَعْدٍ

أو كلامٍ أو وقفة في الطريقِ

أو بإرسالكَ السلامَ من الريحِ

وإلا فبالخيــال الطــروق

أَتمنَّــاكَ كُلَّمــا سَــارَ بَــرْقٌ

ليس مثلي وجداً على التحقيقِ

بَيْنَنا في الهَوَى اخْتِلاَفٌ وإنْ كا

ن اتفــاقٌ فربما في الخفــوقِ

يا عريبَ العقيق من لي وهيها

ت بِأَيّامِنَــا بِــوَادِي العَقيــق

حَيْثُ غُصْنُ الوصالِ رَطْبٌ وَرَوْضُ

وروض الحبِّ زاهٍ وبدرهُ في شروقِ

وحبيب قد لان عطفاً وعطفــاً

فهو يزري بكلّ غصنٍ وريقِ

يَمْلأُ الكَــأْسَ لي بِمُــزٍّ قَديــمٍ

وَحَديثٍ حُلْوٍ ولَحْــظٍ وَرِيــقِ

وإذا نقطت دمــوعي غِــنًى

ما عهدنا كذا بكاءَ المشــوق

ـ مقطوعــة: يــا غصـــنَ نقــاً يميــسُ في الأوراق:

يا غصنَ نقاً يميسُ في الأوراقِ

يا بدر دجى يطلعُ في الأطواقِ

إن تهجر أو تصد يا بدرٌ أفــلْ

ذا هجركَ محمولٌ على الاحداقِ

ـ مقطوعــة: مُــذْ مَــالَ دَلالاً قَــدُّكَ المَمْشُــوقُ:

مُذْ مَالَ دَلالاً قَدُّكَ المَمْشُــوقُ

لم يبق بلا صبابـــةٍ مخلــوقُ

قَدْ حُزْتَ مَلاَحَةً ولُطْفاً وحَيَا

ما أسعدَ من أنت لهُ معشــوقُ

ـ مقطوعــة: أنظــر إلى الأفــق تبــدى بــدرهُ:

أنظر إلى الأفقِ تبدى بدرهُ

وحَوْلَهُ مِنْ كُلِّ نَجْمٍ شارِقُ

كرقعة الشطرنجِ إلا أنهــا

لم يبق إلا النقش والبيادقُ

ـ مقطوعـــة: جـــدد عهـــودَ تواصـــلِ وتـــلاقِ:

جدد عهـــودَ تواصـــلِ وتـــلاقِ

واستبقِ لي رمقاً فليـــسِ ببـــاقِ

وأشفعْ إلى ما رقَّ مِنْ ترَفـِ الصبِّا

في وجنتيـــكَ برقـــةِ الاخـــلاقِ

ـ مقطوعـــة: ومجتمعيـــن مـــا اجتمعـــا لإثـــمِ:

ومجتمعين ما اجتمعـــا لإثـــمِ

وإنْ وُصِفَا بِضَـــمٍّ واعْتِنَـــاقِ

لَعَمْرُ أَبِيكَ ما اجْتَمَعا لِمَعْـــنًى

سِوَى مَعْنَى القَطِيعَة والفِراقِ

ـ مقطوعـــة: يـــا ذا القمـــر المنيـــرُ في الآفـــاق:

يا ذا القمـــر المنيـــرُ في الآفـــاقِ

الصَّبْرُ فُنِي فِيكَ وَوَجْـــدِي بـــاقي

كَمْ تَلْسَعني عَقْرَبُ صُدْغَيْكَ عَسَى

أَنْ تَسْمَحَ لي مِنْ فِيكَ بالدِّرْيـــاقِ

ـ مقطوعــة: مــا عهدنــا كــذا تكُــونُ الرِّفــاقُ:

ما عهدنا كذا تكُونُ الرِّفــاقُ
كُــلّ يــومٍ تَجَنُّــبٌ وَفِــرَاقٌ

يــا قَضِيبــاً تَهــزُّهُ نَشــواتٌ
زُرْ مُحِبّــاً تَهــزُّهُ الأَشْــوَاقُ

ليس يصبو إلى سِــواكَ وَأَنَّى
ولَهُ في الهَوى بِكَ استغــراقُ

لكَ يا فِتنَةَ العُقــول التَّجَــنِّي
والتَّجَافِي وتَصبُّــرُ العُشَّــاقُ

غير أنّي أرى الجَفَا مِنْكَ بدعاً
حَيْثُ تِلْكَ الأَعطَاف مِنْكَ رِقَاقُ

يا أميراً له لِواءٌ مِــنَ الشَّعــ
ـــرِ عَلَيْهِ وكُلّ قَلْــبِ وِطَــاقُ

ـ قصيــدة: لَمَّــا رَأَتْ عُشّاقَهَــا قَــدْ أَحْدَقُــوا:

لَمَّا رَأَتْ عُشّاقَهَا قَدْ أَحْدَقُــوا
مِنْ حُسْنِهَا بِحَدائِقِ الأَحْــدَاقِ

شغلت سواد عيونهم في شعرها
وتوشحت بياضهــن البــاقي

وارجع إلى حسن الوفاء فإن قُبْــ

ــحَ الغدْرِ حجةَ سلوةِ المشتــاق

والحسنُ ليسَ بحافظٍ لَكَ ذمــةً

إلا بحفظــكِ ذمــة العشــاق

يا عاجلاً بالهجر مِنْهُ وجاعلاً

بَيْنَ الجوَانِحِ لاعِجَ الأَشْـوَاق

ما حقٌ قلبٍ قدْ صفا لــكَ وده

تَقْطيعُــه بِقَطِيعَــةٍ وَفِــرَاق

مَعْ ذَا وَذَا كَيْف اشْتَهَيْت فَكُنْ أنا

الموثوقُ بي في صحة الميثاق

وَعَلَى مَذَاقِ المُرِّ مِنْ ثَمَرِ الجَفَا

يَبْلَى الصَّحيحُ هَوَىً مِنَ المُذَّاقِ

ــ مقطوعــة: يــا قلــبُ كــمْ ذا الخفــوق والقلــقُ:

يا قلبُ كمْ ذا الخفوق والقلقُ

هَا قَدْ رَثوْا رحْمَةً وَقَدْ رَفَقُوا

نِلْتَ أَمَانِيكَ والأَمَانَ بِهِمْ

وزالَ ذاكَ الفراقُ والفرقُ

فاذعُ إلى الله يَدومُ لَكَ الــ

ــودٌ وَمَا شَاءَ بَعْدُ يَتَّفِــقُ

وأنت يا طرفي القريح أسى

بشراكَ زالَ البكاءُ والأرقُ

قد غفرت زلةُ الزَّمانِ وقدْ

لانَ لَنَا مِنْهُ ذَلِكُ الخُلُــقُ

وَقَدْ صَفَا وُدٌّ مِنْ كَلِفْتَ بِهِ

ولاح برقُ الوصالِ يأتلقُ

وَظَلْتُ إذْ زَارَني أُقبِّلُــهُ

وأجتلي حسنهُ وأعتنــق

ـ مقطوعــة: لَمَّــا حَكَــمَ الزَّمـــانُ بالتَّفْرِيــق:

لَمَّا حَكَــمَ الزَّمـــانُ بالتَّفْرِيــقِ

واستبطنَ ناديهمْ ظهور النــوق

أَطْلَقْتُ دُمُوعي إثْرَهُمْ في قَبَسِ

مِنْ نارِ زَفيري خَشْيَةَ التَّغْرِيق

ـ مقطوعــة: لَــمْ تَجْــرَحِ السِّكِّيــنُ كَــفَّ مُعَــذِّبي:

لَمْ تَجْرَحِ السِّكِّينُ كَفَّ مُعَــذِّبي

إلاَّ لِمَعــنًى حُسْنُــه مُتَحَقِّــقُ

هي مثل ما قد قيلَ جارحةٌ لهُ

ولِكُلِّ جَارِحَــةٍ إلَيــه تَشَــوّقُ

ـ مقطوعــة: أَوْحَشْتُمُــوا نَظَــرِي فَكَــمْ مِــنْ عَبْــرَةٍ:

أَوْحَشْتُمُوا نظَرِي فَكَمْ مِنْ عَبْرَةٍ

سَمحَتْ بِهَا الأجفانُ والآمَــاقُ

لا اخْضَرَّ بَعْدَكُمُ العَقيقُ ولاَ حَلاَ

مِنْ مَائِـــهِ للواردِيــنَ مَــذَاقُ

حَتّى يراكُم ناظِري وتَضُمُّنَــا

بِكُم الدِّيارُ ويَسْعَــد المُشْتَــاق

لَمْ أَجْنِ ذَنْباً مُذْ عَرفْتُ هَوَاكُمُ

فعلامَ كاسات الصُّــدود أذاقُ

ـ قصيــدة: لا تُخْــفِ مــا صَنَعَــتْ بِــكَ الأَشْــواقُ:

لا تُخْفِ ما صَنَعَتْ بِكَ الأَشْواقُ

واشْرَحْ هَــوَاكَ فَكُلُّنَــا عُشَّــاقُ

قد كانَ يخفِي الحُبّ لو لا دمعكَ الـــ

ــجَارِي ولَــولا قَلْبُــكَ الخَفَّــاقُ

فعَسَى يُعينُكَ مَنْ شَكَوْتَ لَهُ الهَــوَى

في حَمْلِــهِ فالعَاشِقُــون رِفَــاق

لا تجزَعَنَّ فَلَسْــتَ أَوّلَ مُغْــرَمٍ

فَتَكَتْ بِهِ الوَجْنَــاتُ والأَحْــدَاقُ

واصبر على هجرِ الحَبيبِ فَرُبَّما

عَادَ الوِصالُ وللهــوى أخـــلاقُ

كم ليلةٍ أسهرتُ أحــداقي بِهَــا

مُلــقى وللأفْكَــارِ بي إحـــدَاقُ

يا رَبّ قَد بَعُــدَ الذيــن أُحِبُّهُــمْ

عَنِّي وقَدْ ألِــفَ الرّفــاق فِــراقُ

واسودَّ حظّي عندهُم لَمَّا سَــرى

فِيــهِ بِنَــارِ صَبَابَــتِي إحْــرَاقُ

عربٌ رأيتُ أصَحَّ ميثــاقٍ لهــم

أن لا يصِــحَّ لديهــم ميثــاقُ

وَعلى النّياقِ وفي الأكلَّةِ مَعْرِضٌ

فِيــهِ نِفــارٌ دائــمٌ وَنِفــاقُ

مَــا نَــاءَ إلاّ حَارَبَــتْ أردافُــهُ

خصْراً عَلَيْهِ مِنَ العُيونِ نِطَــاقُ

تَرْنُو العُيُونُ إليــهِ في إطْرَاقِــهِ

فــإذَا رَنَــا فَلِكُلّهــا إطْــرَاقُ

ــ مقطوعــة: الشَّيْــخُ قَالــوا قــد غَــدا سَالكــا:

الشَّيْخُ قَالوا قد غدا سَالكــا فَقُلْتُ لِلنّــارِ غَــدا سَالِكــا

لا تغترِرْ بالزورِ منْ فعلهِ كَمْ فَاتِكٍ تَحْسَبُــهُ نَاسِكَــا

ـ مقطوعــة: أيهــا الهاجــر حدّثْــني:

أيهــا الهاجــر حــدّثْــ ــنِي مَا أوجبَ هجــرَكْ

ما الذي لوْ جُدْتَ بِالوَصْــ ــلِ حَبيبي كانَ ضَــرَّكْ

أيُّهــا الصَّابِــرُ عَــنِّي ليتني أُعطيــتُ صَبْــرَكْ

أَيُّهَــا الجاهِــلُ قَــدْرِي أَنا لا أَجْهَــلُ قَــدْرَكْ

أَيُّهــا الشاغِــلُ أسْــرا رِيَ مــا أَفْــرَغَ سِــرَّكْ

يَــا مُحَيَّــاهُ أنَــارَ اللّــ ــهُ في العَالــمِ بــدرَكْ

قَدْ يَئِسْنَــا مِنْــكَ خَيْــراً فكفانــا اللــه شــرَّكْ

ـ مقطوعــة: أَحْبَابَنَــا إِنْ بَــاحَ فِيكُــمْ بالهَــوى:

أَحْبَابَنا إِنْ بَاحَ فِيكُمْ بالهَــوى

صَبٌّ بَكَى وجْداً بِكُمْ وتَهتّكَــا

قَدْ كَانَ يَسْتَحْي فَيُخْفِيــهِ وقَــدْ

نَزَحَ الحَيَا مِنْ عَيْنِهِ لَمَّا بَــكَى

ـ مقطوعــة: قَــدْ مَــالَ سَمْــعِي إلى عُذَّالــهِ فِيكَــا:

قَدْ مَالَ سَمْعِي إلى عُذَّالــهِ فِيكَــا

يَكْفِيكَ تَلْويحُ هَذا القَــوْلِ يَكْفيكَــا

كَمْ بِتَّ تَفْكُرُ بُغْضاً كَيْفَ تُسْخِطُني

وَبِتُّ أُفكرُ حُبّاً كَيْــف أُرْضِيكَــا

يا نَاظِرَيَّ ارقُدا لا لِلخيـــالِ وَيـــا

قَلْبي استَرِحْ مِنْ هَوَى مَنْ كَادَ يُفْنِيكا

وكَيْفَ أَرْضى لِنَفْسي أَنْ أُسوِّدَ مَنْ

لَمْ يَرْضَ أَنِّي لَهُ أَصبَحْتُ ممْلُوكَا

ـ مقطوعــة: يــا مالــك رقّ الصــبّ بــالله عَلَيْــكَ:

يا مالك رقّ الصبّ بالله عَلَيْــكَ

ارْحَم حائراً يُسايل الدمع عليــك

واسمح بخيال في الدجى يطرق من

أضحى دنفاً أذابَهُ الشّوْقُ إليــك

ـ مقطوعــة: خيــالي أخــاف الهجــر منــهُ:

خيــالي أخــاف الهجــر منــهُ

ولست أراه يرغب في وصــالي

وكنت عهدتــني قدمــاً شجاعــاً

فَما لي اليَوْمَ أَفْزَعُ مِــنْ خَيَــالي

ـ مقطوعــة: قَــدْ كَــانَ مَــا عَلِــمَ الــلاَّحي وَمَــا جَهِــلا:

قَدْ كَانَ مَا عَلِمَ اللاَّحِي وَمَا جَهِــلا

وصَار ما كتمَ الواشي ومــا نقــلا

كَانَ التَّكَتُّــمُ يُــرْجَى قَبْــلَ بَيْنِكُــمُ

أَمَّا وَقَدْ حكَمَتْ أَيْدِي الفِــرَاقِ فَــلاَ

وفي الرَّكَائِبِ من زوَّدتُــهُ نَظَــراً

ولو أَمنتُ العِــدى زودتــهُ قبــلا

أودى بقلــبي عــذارٌ زارَ وجنتــه

حُسْناً وَمِنْ بَعْضِ نَبْتِ الرَّوْضِ مَا قَتَلا

ـ مقطوعــة: أسرفــت في اللَّــومِ ولــم تقتَصِــرْ:

أسرفتَ في اللَّومِ ولم تقتَصِــرْ

وَزِدْتَ في لَوْمِكَ يا ذا العَذُولْ

قَدْ رَضِيَتْ نَفْسِي بِمَحْبُوبِهَــا

وإنَّما المَوْلَى كَثِيرُ الفُضُــولْ

ـ قصيــدة: بــلا غَيْبَــةٍ للبــدرِ وجْهُــكَ أَجْمَــلُ:

بِلاَ غَيْبَــةٍ لِلْبَدْرِ، وجْهُــكَ أَجْمَــلُ

وَمَــا أنــَا فِيمَــا قَلْتــهُ مُتَجَمِّــلُ

وَلاَ عَيْبَ عِنْدي فِيكَ لَوْلاَ صِيانَــةٌ

لَدَيْــك بِهَا كُــلُّ امْــرِئٍ يَتَبَــذلُ[1]

[1] سقط هذا البيت في الوافي بالوفيات.

وَحَجبك حتى لو عن الحجبِ تَتَّقي

حَجابــاً ولا تبدو لها كنت تفعــلُ[1]

لِحَاضُك أسْيَــافٌ ذكُورٌ فَمَا لَهَــا

كَمَا زَعَمُوا مِثْلَ الأرَامِــلِ تَغْــزِلُ

وَمَا بَالُ بُرْهَــانِ العذارِ مُسَلِّمــاً

وَيَلْزَمُــــهُ دُورٌ وَفِيــهِ تَسَلْسُــلُ[2]

وَعَهْدِيَ أنَّ الشَّمْس بِالصَّحْوِ آذنَتْ

فَمَا بَالُ سُكْرِى مِنْ مُحَيَاك يُقْبِــلُ[3]

كَأنَّــك لَمْ تُخلَــقْ لِغَيْــرِ نَوَاظِــرِ

تُسَهِّدُهَــا وجْــداً وَقَلبــاً تُعَلِّــلُ

عَليَّ ضَمَانٌ أَنَّ طَرْفَــكَ لا يَــرَى

مِنْ الحُسْنِ شَيْئاً عِندَ غيرِكَ يجمُلُ[4]

وإنَّ قُلُوبَ العَاشِقِيــنَ وإنْ تَجُــرْ

عَلَيْهَا إلى سُلْوَانِهَــا لَيْــسَ تَعْــدِلُ

---

[1] سقط هذا البيت في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات.
[2] سقط هذا البيت في الوافي بالوفيات.
[3] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات هكذا:
((وسُكْري أراهُ في مُحَيَّاكَ يُقْبَلُ)).
[4] هذا البيت، والبيت الذي يليه؛ سقطا في فوات الوفيات. بينما سقطت الأبيات الأخيرة كلها في الوافي بالوفيات.

حَبيبي لِيَهْنِ الحُسْــنَ أَنَّكَ حُزتـَــهُ

وَيَهْــنِ فُــؤَادِي أَنَّـــهُ لَكَ مَنْــزِلُ

إِذا كُنت ذَا ودٍّ صحِيــحٍ فَلَمْ يَكُــنْ

يَضُــرُّنِيَ[1] العُــذالُ حَيْثُ تقوَّلُــوا

رَأوْا مِنْكَ حَظِّي فِي المَحَبَّةِ آخــراً

لِــذَا حَرَّفُوا عَنِّي الحَدِيثَ وَأَوَّلُــوا

ـ مقطوعــة: تعــدَّ عــنِ الغَــرامِ فلســت تقــوى:

تعدَّ عنِ الغَرامِ فلست تقوى

على ما فيهِ مِنْ كمــدِ وذلٍّ

فَكَمْ مِنْ مُغْرَمٍ قَدْ مَات عِشْقاً

بمنْ تعني ولمْ يظفــرْ بــدلِّ

ـ مقطوعــة: أدام الله أيــام الوصــال:

أدام الله أيـــام الوصـــال

وخلدَ عُمر هاتيكَ الليـــالي

وأَسْبَغَ ظِلَّ أَغْصَانِ التَّدَانِي

وَزَادَ قُدُودَها حُسْنَ اعتِدَالِ

---

[1] في نص: ((يضر بي)).

ولا زالت ثمارُ الأنْسِ فيها

تزيد لطافةً في كُلِّ حـــالِ

ولا برحت لنا فيها عيونٌ

تغازلُ مقلتي خشفِ الغزالِ

لَقَدْ مَرَّتْ لَنَا فيهـــا لَيـــالِ

كأن نظامهـــا عقـــدُ الآلي

أَقَمْنَا في جَنَابِ أَميرِ حُسْنِ

عقدن عليه ألويةُ الجمالِ

ــ قصيـــدة: مَلامُـــكَ لا ربـــطٌ لديـــهِ ولاَ حَـــلُّ:

مَلامُكَ لا ربـــطٌ لديـــهِ وَلاَ حَـــلُّ

دمي للهوى إن كانَ يرضي الهوَى حِلُّ

إِلَيْكَ وَمَا موَّهْت عَنِّي فإنَّمـــا الـــ

ـــتَّجَاهُلُ عِنْدَ العَارِفِيـــنَ بِهِ جَهْـــلُ

بِرُوحِي وأَهْلِي مَنْ إذَا عَرضُوا لَها

بِذِكْرِي قَالتْ دُونَهُ الرُّوحُ والأَهْـــلُ

تُحدِّثَ في النَّادِي بِذكرِي وَذِكْرِهـــا

وصار لأهلِ الحَيِّ مِنْ ذِكْرنا شُغْلُ

وَمَا الحُبَّ إلا أَنْ يُقِلُّـــوا ويُكثِـــروا

بِنَا وَيَصحوا في الظُّنُونِ ويعتلُّـــوا

أَبتْ رِقّتي إلاّ الذي يَقْتَضِي الهَوَى

وَعَزْمِي إلا ما اقتَضَى الرَّأيُ والعقْلُ

فواعَجباً أني خفِيتُ وكمْ أَبِنْ

وقَدْ رَاحَ مَمْلُوءَ بي الحَزْنُ والسَّهْلُ

طريدٌ ولي مأوى مباحٌ ولي حِمىً

وحِيدٌ ولِي صحْبٌ غَريبٌ ولِي أَهْلُ

سأَجْهَدُ إمَّا للِمَنَايا أو المُنَى

فُصَارَاي إمّا النَّصرُ أَو ما جَنَى النَّصلُ

فَإنْ لَمْ تَصِلْ بِي هِمَّتي بِمَطالِبي

ولم ينتسجْ لِلشَّيْبِ في لِمَّتي غَزلُ

فلا نَظَرَتْ عَيْنِي وَلاَ فَاهَ مِقْوَلي

ولا بَطَشَتْ كَفِّي وَلا سَعَتِ الرِّجْلُ

وَمَنْ عَرَفَ الأَمْرَ الذي أَنَا عَارِفٌ

رَأَى كُلَّ صَعْبٍ كُلّ إدْرَاكِهِ سَهْلُ

خُذِ العزّ مِنْ أيِّ الوُجُوه رَأَيتَهُ

فَلا خير في عَيْشٍ يكونُ بِهِ الذّلُّ

وَلِلمَرْءِ مِنْ داعِي الطَّبيعَةِ قائِدٌ

إذَا لَمْ يَذده دُونَهُ الحِلْمُ والنُّبْلُ

مِنَ التُّربِ هذا الطَّبْعُ والنَّفْسُ مِنْ عُلاً

فَلِلْمَرْءِ أَنْ يَدْنُو وَلِلْمَرْءِ أَنْ يَعْلُو

ـ قصيـدة: فديتـكِ كـمْ عـليَّ عليـكَ عـذلُ:

فديتكِ كمْ عليَّ عليكَ عــذلُ

وليسَ لديكَ للعُشّــاق عَــدْلُ

وكَمْ أطوي إذا وافيت شوقاً

كأنّي عِنْدَ شَمْسِ سَنَاكَ ظِــلُّ

وِصَالُكَ مُضْمِرٌ لِلْعَبْدِ هَجْــرٌ

وَهَجْرُكَ مُظْهِرٌ لِلودّ وَصْــلُ

حبيبي كيف قيلَ الشَّعرُ فرعٌ

وشعركَ للملاحة فيكَ أصلُ

بِرُوحي مَنْ عَلَى خَدَّيْهِ وَرْدٌ

سَقَاهُ بِأَدْمُعِي وَبْــلٌ وَطَــلُّ

شَبِيهُ الرِّيمِ ضَنَّ بِطِيبِ وَصْلٍ

فَحَدِّثْ عَنْ كَرِيمٍ فِيهِ بُخْــلُ

إذَا حَاوَلْتُ حلَّ البَنْدِ قَالَــتْ[1]

مَعَاطِفُــهُ حِمَانَــا لا يُحَــلُّ

وإنْ جُلِيَتْ بِوجْنَتِــهِ مُــدامٌ

يُرى لِعــذارهِ دَوْرٌ ونَــزْلُ

---

[1] هذا البيت، والبيت الذي يليه؛ وردا وحدهما في الوافي بالوفيات. أين جاء صدر البيت الأول هكذا: ((إذا ما رُمْتُ حَلَّ البَنْدِ قالتْ)).

وأرسلَ صُدغهُ عَرفاً نثـــاراً

بخدٍّ مَالَهُ في الـــوردِ مِثــلُ

فَلَيْس الفَضلُ والحَسنُ بنُ سَهْلٍ

وإن يكُ فيهما منـــحٌ وبَـــذلُ

كجودِكَ أو كخُلقِكَ يومَ سِلمٍ

فَذَا فَضْلٌ وَذَا حَسْنٌ وَسَهْــلُ

ـ مقطوعـــة: فِي غَــزَلِي مِــنْ لَحــظِ ذَاكَ الغَــزَالْ:

فِي غَزَلِي مِنْ لَحظِ ذَاكَ الغَزَالْ

أخْبارُ صَبٍّ قَتَلَتْـــهُ النِّبـــالْ

غصنٌ سقتهُ أدمعي ثُمَّ مَـــا

أَثْمَرَ لَمَّا مَـــالَ إلاَّ المَـــلالْ

وَهَبْتُه ياقُـــوت دَمْـــعي وَلاَ

يسمـــح لي مبسمـــهُ باللـــآلْ[1]

حـــلَّ ثلاثـــاً يـــومَ حمَّامـــهِ

ذوائباً تَعْبقُ مِنْهـــا الغَـــوَالْ

---

[1] سقط هذا البيت في فوات الوفيات.

فَقُلْــتُ والقَصْــدُ ذُؤاباتُــهُ

يا سهري[1] في ذي الليالِ الطوالْ[2]

ـ مقطوعــة: عَــنَّ لِي دُمْيَــةً وَلاَحَ هِــلاَلا:

عَنَّ لِي دُمْيَةً وَلاَحَ هِــلاَلا

وانْثَنَى صَعْدَةً وَفرَّ غَــزَالا

فتذَلَّلتُ حيــنَ أبــدى دلالاً

وَرأى رُخْصَ أَدْمُعي فَتغَالا

يَا غَنِيّاً بالحُسْنِ أَسْأَلُكَ الوَصْــ

ــلَ وَحَاشَاكَ أَنْ تَرُدَّ السُّــؤالا

رشأٌ قدْ أطعتُ فيهِ غــرامي

وَعَصَيْتُ اللُّــوَّامَ والعُــذَّالا

قَتَلَتْني جُفُونُهُ وَهْي مَرْضى

سَلَبَتْني قِوَايَ وَهْي كَســالاَ

ـ مقطوعــة: كــانَ مــا كــانَ وزالا:

كانَ ما كانَ وزالا فَاطَّرِحْ قِيلَ وَقَالاَ

أَيُّها العاتبُ ظُلماً حَسْبُكَ الله تَعَالَى

---

[1] في الـوافي بالوفيـاتت: ((وا سهـري)).

[2] لـم يـرد مـن هـذه المقطوعـة في الـوافي بالوفيـات سـوى هذيـن البيتيـن الأخيريـن.

ـ مقطوعـــة: أَرَاكَ تَشُـــمُّ الخَـلّ في زَمَـــنِ الوَبـــا:

أَرَاكَ تَشُمُّ الخَلّ في زَمَنِ الوَبـــا
فَخلِّ حديثاً للأَطِّبَـــاءِ يـــا خِـــلِّي
فإن يك بالطاعونِ ربكَ قد قضى
تموتُ إذاً رغماً وأنفك في الخَلِّ

ـ مقطوعـــة: العـــاذلُ في هـــواكِ قـــد زادَ وقـــال:

العاذلُ في هواكِ قـــد زادَ وقـــال
والصّبُّ لما يقولُ مُلقيـــه وقـــال
لا تَحْسَب أَنّ الحُسْنَ في وجْهِكَ حَالْ
قَدْ عَمَّ جَمَالَ خَدِّكَ الـــوَرْدُ بِحَـــال

ـ قصيـــدة: مـــتى بالقُـــرب يُخبـــرني الرسُـــولُ:

متى بالقُرب يُخبرني الرسُولُ
ويسمحُ باللّقـــا دَهـــرٌ بخيـــلُ
وَيَرْجِعُ فِيكَ سَتْرُ الحُبِّ جَهْراً
ويشفى منكَ بالوصلِ الغَليـــلُ
ودادٌ لا تُغيِّـــره الليـــالي
وحـــبٌّ لا يُنهنهـــهُ العَـــذُولُ

وعهدٌ كُنتُ تعهــدهُ صحيــحٌ
وَقَلْبٌ كُنْــتَ تَسْكُنُــهُ عَليــلُ
وما بين الضُّلوعِ إليكَ شــوقٌ
تَزُولُ الرّاسيــاتُ وَلاَ يَــزُولُ
ألا يا ظاعناً هلْ مِنْ رُجــوعٍ
فَتَجْمَعُنَا المنــازِلُ والطّلــولُ
فَقَدْ فَقَدَ الكرى جَفْــنٌ قَرِيــحٌ
وَقَدْ ألِف الضَّنَا جِسْــمٌ نَحِيــلُ
وصبُّكَ قد قَضى سوقاً ووجداً
يَكُونُ لِوَجْهِكَ العُمْرُ الطَّوِيــلُ

ـ قصيــدة: أرح يمينــكَ مِمَّــا أنــت مُعتَقِــلُ:

أرح يمينــكَ مِمَّــا أنــت مُعتَقِــلُ
أَمْضَى الأَسِنَّةِ ما فُولاذُهُ الكَحَــلُ
يَا مَنْ يُرِيني المَنَايَا واسْمُهَا نَظَــرٌ
مِنَ السُّيُوفِ المَوَاضِي واسْمُهَا مُقَلُ
مَا بَالُ أَلْحَاظُكَ المَرْضَى تُحارِبُني
كأَنَّما كُلُّ لَحْــظٍ فــارِسٌ بَطَــلُ
وَمَا لِقَوْمِكَ سَاءَتْ بِي ظُنُونُهُــمْ
فليتهم عَلِموا مني الــذي جَهِلــوا

فِي ذِمّةَ اللهِ نــاءِ حُسنُـــه أَمَـــمٌ
وَفَارِغُ القَلْبِ فِي قَلْبِي بِهِ شُغْـــلُ
مِنْ دُونِهِ كُثُبٌ مِنْ دُونِهَا حَـــرَسٌ
مِنْ دُونِهِ قُضُبٌ مِنْ دُونِهَا الأَسَلُ
ومَعْشَرٍ لمْ تزلْ في الحربِ بِيضُهُمُ
حُمرُ الخدود وما منْ شأنِهَا الخجَلُ
إذا انتضوْهَا بروقاً ردَّها سُحُبــاً
بِهَا دمٌ سالَ مِنها عارضٌ هَطَــلُ
بِهَا دمٌ سالَ مِنها عارضٌ هَطَــلُ
كأنَّ ذِكر المَنَايـــا بينهـــمْ غَـــزَلُ
كَم نَارِ حَرْبٍ بِهِمْ شبَّتْ وَهُمْ سُحبٌ
وأرضِ قومٍ بهم فاضت وهم شُعَلُ
مِنْ كلِّ ذي طرَّةٍ سوداء يلبسُها
غَيْمٌ بِهَا مِنْ عُبَابِ النَّقْعِ مُتَّصِــلُ
ضاعت بحسنهم تِلْكَ الخِيامُ كَمَــا
ضاعَت بوجه ابن عبد الظّاهِر الدُّولُ
كأنَّما كَفُّ فَتْـــحِ الدِّيـــنِ وجنَّتُـــهُ
لذاكَ يحسن في ساحاتِهَـــا القُبَـــلُ
أَغرُّ ما أَبْدَتِ السُّحْبُ الحَيا لِسِوَى
تقصيرها عن نداه حينَ ينهمـــلُ

إِنْ قُلْتُ يُمْنَاهُ مِثْلُ البَحْرِ صَدَّقَنِي
بِهَا مَنَاهِلُ مِنْهَا تَشْــرَبُ القُبُــلُ
يدٌ لَهَا كم يدٍ من قبلهــا سبقــتْ
يَدٌ وكَمْ مِنْ يَدٍ مِنْ بَعْدِهَا تَصِــلُ
تُوحي إلى كُلِّ قِرْطَاسٍ بَلاَغَتُــهُ
سحرُ البيانِ ومنْ أقلامِهِ الرُّســلُ
سُمرٌ تروقكَ رأي العينِ عاريــة
وَمِنْ بَدِيــعِ مَعَانِيــهِ لَهَــا حُلَــلُ
من الأسنَّـــةِ في أطرافهــا سنــةٌ
لَوْلا النَّضَارَةَ قُلْنَــا إنَّهَــا ذَبــلُ
من كل معتدلٍ كالميلِ إنْ رَمَدَتْ
عَيْنُ المَعَالي فَفِيها نَقْسُــه كَحَــلُ
فللعــداة لديــهِ كُلّ ما حــذروا
ولِلْعُفَــاة عَلَيْــهِ كُلّ مَا سَأَلُــوا
أضحتْ يداهُ لعقدِ الجود واسطــةً
فليس يُدرى لجودٍ بعدَها عَطَــلُ
يَجُودُ حَتّى يَملَّ النّــاسُ أَنْعُمَــهُ
وليس يُدركُــه من بذلهــا ملــلُ
سَادَتْ وَسَارَتْ بِهَا الأَفْوَاهُ مُعْلِنَةَ
فَقَدْ غَدَتْ مَثَلاً يَغْدُو بِهَــا المَثَــلُ

بَنى لأبنائِه بيت العــلُى وثَــوى

فيمــا بَنَــاهُ لـــه آبـــاؤهُ الأُوَلُ

كَانُوا أَتمَّ الورَى جُوداً وإنْ صَمَتُوا

وأعظم النَّاسِ أحلاماً وإن جهلوا

زَالُوا فأُوْدِعَ في الأَسْمَاعِ ذِكْرُهُمُ

مَحَاسِناً أُوْدِعتهــا قَبْلَهَــا المُقَــلُ

امْدحْ وقلْ في معانيهِ فَقَد كَرُمَتْ

لا يَحْسُنُ القَولُ حَتَّى يُحسنُ العَمَلُ

يَا مَعْدِنَ الجُودِ لا أَبْغِي سِوَاكَ وَلَوْ

فعلت ذلك سُدَّت عــني السُّبُــلُ

إنْ ابْنَ بابِكَ مَحْسُوبٌ عَلَيْكَ ولِي

حَقٌّ العبودة مَشْفُوعٌ بِــهِ الأَمَــلُ

ـ قصيــدة: خُــذُوا قُــودِي مِــنْ أَسيــرِ الكِلَــلْ:

خُذُوا قُودِي مِنْ أَسيرِ الكِلَلْ

فَوَاعَجبــاً لأسيــرِ قَتَــلْ

وقولــوا عــليّ إذا نحتــمُ

قتيل العيونِ جريحَ المُقــل

ولي جلدٌ عندَ بيضَ الظُّبَى

وبلأعين النُّجلِ ما لي قبل

وَلي قَمرٌ ما بَدا في الدُّجَى

وأَبصرَهُ البَــدْرُ إلاَ أفَــلْ

فيا خجلة الظَّبي لمــا بــدا

شَبيهاً لَهُ في اللَّمَى والكَحَلْ

ويا خجلة الشَّمسِ لما بدتْ

ألم تَرَ فيها احْمِرَارَ الخجَلْ

يضلّ بطرَّتِــهِ مــن يشــا

ويهدي بغرَّتِهِ منْ أضَــلْ

وقد عدلَ الحسنُ في خلقهِ

على أنَّهُ جارَ لمّــا عــدلْ

فَعُمَّتْ مَعاطِفُــهُ بالنَّشــاطِ

وخصَّت روادفُه بالكسَــلْ

وَقَدْ عَلمَ النّاسُ أَنِّي امْــرُؤٌ

أحبُّ الغزال وأهوى الغزلْ

فلا تنكرُ اليوم يا عــاذلي

فلستُ أميل إلى من عــذلْ

فألْحَفْــتُ قامَتَــهُ بالعنــاقِ

وأَنْبَلْــتُ مَرْشفــهُ بالقُبَــلْ

وكم تهتُ في غورِ خصرٍ لهُ

وأَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ ذاك الكَفَلْ

وأَنَّنتُ حينَ تجلَّى الصَّباحُ

بِحيٍّ على خَيْرِ هذا العَمَلْ

وَهَا أَثَرُ المِسكِ في رَاحتِي

هداه فمي فيه طعمُ العَسَل

دعاني إلى رشفِ تلكَ القُبلْ

غرامٌ صحيحٌ ومالي قبــلْ

إذا فتكــت فِيَّ ألحاظُــهُ

بقَدٌّ يقُــدٌّ فكيــف العَمــلْ

هُنَاكَ تَرى أدمعي المُنْحَني

وقلبي برمي الجِمارِ اشتعلْ

ودمعي مِنَ الشَّوقِ يا ما جرى

عَقيقاً وبالله عَقْــلِي ذَهــلْ

فما ضرَّهُ لو سَمح بالكَرَى

ولو ساعةً بعد ما قد فعــلْ

وسَكَّنتهُ في لظَى مهجــتي

وَذاكَ لَعَمْرِي جَرا مَنْ قَتَلْ

وَمِنْ عَجبِ زَارَ في لَيْلَــة

وَعمَّا جَرى بَيْنَنَا لا تَسَــلْ

فَصِرْتُ أشاهِدُ تِلكَ الرِّياضِ

على وجنتيه أنا في خجلْ كذا

واقطــفُ ورداً بأغصانِــه

ولم يكُ هذا بغيــرِ المُقــلْ

فللَّـــه دَّرُكَ مـــنْ لَيلــة

تعادلُ أرواحنَا بَــلْ أجــلْ

تُريكَ إذا أسفَــرَتْ بَهْجَــةً

وروض السُّروُرِ بها قد حَصَلْ

ولا عَيْبَ فيها سِوَى أنَّهــا

خَلت مِنْ رقيبٍ لنَا أو عذل

ألا قَلَّلَ الله سَيْــف المُقَــلْ

فكم ذا تعدَّى وكم ذا قتــلْ

وَمَا مِنْ قتيلٍ لأَهْلِ الهَوى

سوى ألف راضٍ بما قد فعل

لقد نصر اللهُ جيش الملاحِ

ببدرٍ لنا حسنُه قــد كمــلْ

وما بَطلٌ في الوغى فارسُ

إذا قابلَ الغِيــدَ إلا بَطــلْ

إذا قاتَلَتْني عُيــونُ الظِّبــا

فوا فَرحِي لَوْ بَلغْتُ الأمْــل

رَعَى الله لَيلةَ زَارَ الحَبيبُ

وغابَ الرقيبُ إلى حيثُ ألْ

فَخَبأْتُهُ في سَوادِ العُيــونِ
وَقَدْ غسلَ الدَّمْعُ ذَاكَ المَحَلْ
وألصقتُ خــدّي بأقدامِـــه
وأَنْبَلْتُ أخْمَصَـــهُ بالقُبَـــلْ
فَـــرَقَّ وَمـــالَ بِأعطَافـــهِ
فَدبَّتْ برُوحِي ذاك الميَـــلْ
وعانقتُهُ وخَلَعْــتُ العِــذارَ
وَمَزَّقْتُ ثَوْبَ الحَيَا والخجَلْ
وما زلتُ أشغلهُ بالحديـــثِ
وسترُ الظلامِ علينا انســدل
إلى أن غفا جفنُـــه بالمنـــامِ
وعنِّي تغافل أوقـــد غفَـــلْ
وخلَّيتُ عن خصرِه بَنْـــدَهُ
وأجفيتُ عن مِعطفيهِ الحُلَلْ
وَبتُ أُشاهِدُ صُنْـــعَ الإلـــهِ
تبارك رَبُّ البَرايا وجـــلْ
فظُنَّ بِنَا الخير أو لا تظنَّ
فَلا تَسْألِ اليَوْمَ عَمَّا حَصَلْ

ـ مقطوعــة: وَفَقِيــهٍ كالبَــدْرِ زَارَ بِلَيْــلِ:

وَفَقِيــهٍ كالبَــدْرِ زَارَ بِلَيْــلِ
فَجَلاَ نُورُهُ الدُّجَى إذْ تَجَــلَّى
مَا دَرَى مَوْضِعي ولَكِنَّ قَلْبِي
بضرامِ الحَشَــا هــداهُ ودلاَّ
وَعَجِيــبٍ مِنْــهُ فَقِيــهٌ ذَكِيٌّ
بمحلِّ النِّزاعِ كيف استــدَلاَّ

ـ مقطوعــة: كُنَّــا حُروفــاً عاليــاتٍ لــمْ نُقــلْ:

كُنَّــا حُروفــاً عاليــاتٍ لــمْ نُقــلْ
مُتعلِّقــاتٍ في ذُرَى أعــلى القُلَــلْ
أَنَا أَنْت فيهِ وَنَحنُ أَنْت وأَنْت هُــوْ
والكلُّ في هو هُوْ فَسلْ عَمَّنْ وَصَلْ

ـ مقطوعــة: وَيَحْمَــرُّ شَقِيقُهَــا خَجَــلاً:

وَيَحْمَــرُّ شَقِيقُهَــا خجَــلاً
ويصفــرُّ بَهارُهَــا وجَــلاَ
وَيَبْــدُو حُسْنُهــا خضِــراً
وَيَبْــدو زَهْرُهــا خضِــلا

إِذَا مَـــا الصَّـــبُّ شَاهَــدَهُ

صَبَــا واستأنــف الغَــزلا

وتحســـبُ جنَّـــة الفـــردوْ

سِ عنـــهُ حُسنُهَـــا نقِـــلا

ـ قصيــدة: أأَطْلُــبُ يــا مُحَمَّــدُ أَنْ يَــؤولاَ:

أَأَطْلُبُ يا مُحَمَّدُ أَنْ يَــؤولاَ

لِغَيْرِكَ وِدٌّ قَلْــبي أَوْ يَمِيــلا

وأرجو غير بابكَ لي مراماً

وأقصدُ غير رَبعِكَ لي مقيلا

واخطبُ شمسكَ أن تُجــلَّى

وأسألُ غير مائكَ أن يسيــلا

وقد أنجحت لي بنداكَ مسعًى

وقَدْ حَقَّقْت لي أَملاً وَسُــولا

جَعَلْت بِجَاهِكَ العَلْياءَ دُوني

ورُعْت ببأسِكَ الخطْبَ المَهُولا

وَمَا أَنَا مُنْكِرٌ تِلْــكَ العَطَايَــا

وما أنا جاحِدٌ ذاكَ الجميــلا

وَلاَ أَنَا قانِعٌ لَـــكَ مِـــنْ وِدَادِ

بِأَنْ أُثْنِي عَلَيْكَ وأَنْ أَقُــولا

عَلى أَنّي فتى َ فَطِـــنٌ بَلِيـــغٌ

بلوغٌ ما سَلَكْتُ لَـــهُ سبيـــلا

بألفاظٍ تخـــرٌّ لَهَـــا القـــوافي

وَيَنقادُ القَرِيضُ لهـــا ذَلُـــولا

إذا مَرَّتْ عَلى أُذُنَيْ فَصيـــحٍ

سِواكَ يعضٌّ إصبعَه طويـــلا

ومَا أنا بالغٌ بكثيـــرِ مـــدحي

من الكرمِ الذي تحوي قليلا

وأَنْتَ أَعزّ أَنْ تُدْعَى عَزِيزاً

وأَنْتَ أَجلّ أَنْ تُدْعَى جَلِيـــلا

وأَنْتَ أَخٌ لِكُلّ غَريـــبِ دارٍ

إذا عدمَ القرابـــةَ والخليـــلا

يُسلي لفظكَ الصَّبَّ المُعَـــنَّى

ويَشفي ذِكرُكَ الدَّنف العليلا

إذَا وَهَبَ الإلهُ لنـــا عُقُـــولاً

وَهَبْت لِما وَهِبْنـــاهُ عُقُـــولا

فداؤكَ مَنْ من تدينُ لهُ الأمان

بأنْ يلقى إليكَ لَهُ وصـــولا

وَمَنْ هُوَ دُونَ أَنْ يَرْنُو بِطَرْفٍ

إلَيْكَ فَكَيْفَ تَنْظُـــره عَدِيـــلا

تُرى شمسُ الضُّحى إبان تبدو
وتُنْظَرُ حِينَ تُنْتَسِبْ الأُصُولا
فَمَنْ وَافَى يَعِيبُ الشَّمْس يَوْماً
كفـــاهُ على جهالتــــهِ دَليــــلا

ـ قصيـــدة: أَسيـــرُ أَلْحَـــاظٍ بِخَـــدٍّ أَسيـــلْ:

أَسيرُ أَلْحَـــاظٍ[1] بِخَـــدٍّ[2] أَسيـــلْ
كَلِيمُ أَحْشَاءِ بِطَـــرْفٍ[3] كَلِيـــلْ
في حُبِّ مَنْ حَظِّي مِنْ شِعْرِهِ[4]
لَكِنْ قَصيرٌ ذَا وهَـــذا طَوِيـــلْ
ليـــس خليـــلاً لي ولكنــــه
أَضْرَمَ في الأَحْشَاءِ نَارَ الخَلِيلْ
ظَبْيٌ مِنَ التُّرْكِ هَضِيمُ الحَشا[5]
يهـــز عطفيـــه دلالاً جميـــلْ

---

[1] في الـوافي بالوفيـات: ((أجفـان)).
[2] في فـوات الوفيـات: ((لِخَـدٍ)).
[3] في الـوافي بالوفيـات، وفـوات الوفيـات: ((لِطرْفٍ)).
[4] جـاء هـذا الشطر في الـوافي بالوفيـات، وفـوات الوفيـات هكـذا:
((فِي حُبِّ مَنْ حَظِّي كَشَعْرِ لَـهُ)).
[5] هـذا البيـت؛ والأبيـات الثلاثـة المواليـة؛ لـم تـرد في الـواف بالوفيـات، وفـوات الوفيـات.

ذُو وجْنَة تَوْرِيدُهــا شاهِــدٌ
إنْ أَنْكَرَتْ قَتْلِي بِطَرْفٍ كَحيلْ
تلاعبُ الشعــرِ على رِدفــهِ
أُوقع قلبي في العريضِ الطويلْ
كم قلت من وجدي به مشفقــاً
ولي حشا من هجرة في غليلْ
يَا ردْفَــهُ جُــرْت عَلَى خصْرِهِ
رِفْقــاً بِهِ مَا أنْــت إلاَّ ثَقِيــلْ

ـ قصيــدة: بِمَــنْ أَبَاحَــكَ قَتْــلي:

بِمَــنْ أَبَاحَــكَ قَتْــلي علامَ حرَّمت وَصْــلي
فَكَيْــفَ أَقْــوَى لِهَجْــرِ وكَيْفَ أُصْغِي لِعَــذْلِ
أَنَــا لَــكَ المُتَمَــنِّي وغيــــرِي المتمــلِّي
يا أَكْرَمَ النَّاسِ عِنْــدِي قَدْ لَــذَّ لِي فِيــكَ ذُلِّي
ملكت يا نُــور عيــني قَلْــبي ولُــبِّي وكُــلِّي
يــا نافــراً متجــنٌّ كُــنْ سافِــراً مُتَجَــلِّي
يا أحسن الناس طُــراً في حُسْنِ خُلْقٍ وَشَكْــلِ
في كُلّ نَــوْعٍ وجِنْــسِ مِنَ الجَمَــالِ وَفَضْــلِ
أرى معانيــك تبــدُو حُسناً فتحجبُ عَقْــلي
وليس مثلكَ تهوى فواصلْ في الحبّ هِجْرَانَ مِثْلِي

ما دُمْتَ تَهْوَى فَواصِلْ فَــذَا رَبيــعٌ مُــولِّي
حسبي وحسبــكَ ذقــنٌ تــأتي بفرقــةِ شمــلي
وبَعْـــــدَ ذَاكَ إذَا مَــا رَأَيْت وجْــهِي فَــولٍّ

ـ قصيــدة: قُــلْ لِي بِعَيْشِــكَ هَــلْ عَــلَى هَــذا الجَفَــا:

قُلْ لِي بِعَيْشِكَ هَلْ عَلَى هَذا الجَفَا
تَبْقَى قُلُوبٌ أَوْ تَــدُومُ عُقُــولُ
ما بَالُ خَدُّكَ جَارَ في تَقْسِيمِهِ
لِي نَــارُهُ ولِغَيْــرِيَ التَّقْبِيــلُ
يا طَرْفَهُ والرُّمْحُ فيهِ نَضَــارَةَ
فَعلامَ في حَدِّ السِّنَــانِ نُبُــولُ
يا مَنْ جَعَلْتُ إخاءهُ لي عــدَّةً
في يَوْمِ يدَّخرُ الخَليــلَ خليــلُ
ما بال قلبُكَ ما دَعتْهُ صبَابــة
مَا بَالُ دَمْعُكَ ما عَرَاهُ هُمُولُ
أينَ المَــودَّةُ إنَّهــا لَعَزيــزة
أيــن التَّــودُّدُ إنَّــهُ لَقَليــلُ
أين المّعينُ عَلَى الصَّبَابةِ أهلها
لِيَخِفَّ عِبْءُ الوَجْدِ فَهْوَ ثَقِيــلُ

أَيْنَ الذي يَحْوي صِفَاتِ مُحَمَّدٍ

هَيْهات عَزَّ فما إليـــه سَبِيــلُ

ـ قصيــدة: ســَرَى لأرْضِ الكَــرَى فَمــا وَصَــلاَ:

سرَى لأرْضِ الكَرَى فَما وَصَلاَ

ورَام كتمَ الهوى فَمَا حَصَلا

مستغرقُ الحالِ بالصَّبابة لو

أراد نطقاً بغيرهــا جَهــلا

الناسُ فِيمــا تُحبُّــه فِــرَقٌ

ما منهُم من لشأنـــهِ عَقَــلا

فكم يُراعي وكمْ يُراع لقــدْ

جَارَ عَلَيهِ الغَرامُ مُذْ عَــدَلا

طالَ نزاعُ العذولِ فيهِ كَمـــا

طالَ نزاعُ الفــؤادِ فاعتــدلا

ما بالُ قلبي وشأنُهُ عجــبٌ

أمالهُ الوجدُ حينَ قُلتُ سَــلا

إنَّ مِنَ العَذْلِ دَائِمـــاً جَــدلاً

ليس يرى في الهوى به جَدَلا

يا صَاحِبَ الصّدْقِ نَهْضَةٌ عُرِفَتْ

مِنْكَ فقَدْ رُمْت حادثاً جَلَــلا

يا بن عُبيدِ عبيدكَ الدَّنفُ الـــ

ـــمشتاقُ حقق له بك الأمَلا

ما لي عِـــزٌ إلاَّ بِجُـــودِ يَـــدِ

منكَ كحالِ السحابِ إنْ هَطلاَ

يا مَنْ غدا باهتِمَامِهِ بَطَـــلا

بغير ما حقٍّ منه   أو بَطَـــلا

مُذْ عُدمت عيني لـــه مَثَـــلاَ

أرسلتُ مَدحي بجودهِ مَثَـــلا

لأنظمن المديـــحَ مِـــنْ دُررِ

لمْ تدرِ علياكَ بعدهُ عطـــلاَ

اليَوْمَ يَقْضِي الكَرِيمُ مَوْعِـــدَهُ

والحرّ لَوْ قالَ ما عسى فعلا

ــ مقطوعـــة: مِـــنْ سحـــرِ طرفِـــك يـــا عـــلي:

مِنْ سحرِ طرفِك يا علي   قلبُ المتيَّـــم قـــد بُـــلي

يا زهـــرةً يـــا نُزهـــةً   للمُجتـــنِي   والمجتـــلي

يَا مَنْ يَـــرُوقُ جَمَالُـــهُ   لنواظِـــــر   المتأمِّـــــلِ

إنْ لمْ تجـــدْ   لي باللّقَـــا   كُنْ بالوُعُـــودِ مُعَلِّـــلي

يَا سَاكِناً طُولَ المَـــدَى   في القلـــبِ لمْ يتحـــوَّلِ

أهـــلاً بأكـــرمِ نـــازلِ   قَدْ حلّ أَشْـــرَف مَنْـــزلِ

ـ مقطوعـــة: عجبـــاً وطرفـــكَ لِلدِّمـــاءِ مُحلّـــلُ:

عجباً وطرفـــكَ لِلدِّمـــاءِ مُحلّـــلُ

لِـــدَوامِ دَولَتِـــكَ الـــتي لا تَعْـــدِلُ

وإذا أَتَى خـــطُّ العِـــذار مُجـــدّداً

لكَ في الولايةِ يا تُرى من يعزلُ

لامَ العَذُولُ على هَـــواكَ جَهالـــةً

تَبّـــاً لَـــه أَعْـــلَى مِثَالـــكَ يَعْـــذِلُ

فَعليه أَنْ يُبْدي المَلامة جاهِـــداً

وعلى المُحـــبِّ بِأَنَّـــهُ لا يَقْبَـــلُ

يا طَلْعَة القَمـــر الذي لا أَنْثَـــني

عـــن حُبِّـــهِ أبـــداً ولا أتبَـــدَّلُ

شَخِصَ الأنامُ إلى جَمَالِكَ وانثَنُوا

عَنْهُ وقَدْ أَثْنُـــو عليـــه وأَجْملـــوا

فَحَدِيثُهُمْ عَنْ حُسْنِ وجْهِكَ مُسْنَـــدٌ

وَحَديثُهُمْ عَنْ طيبِ ريقكَ مُرسَلُ

ـ مقطوعـــة: يَقُـــولُ وَقَـــدْ رنَـــا عَـــنْ لَحْـــظِ ظَـــبْيٍ:

يَقُولُ وَقَدْ رنَا عَنْ لَحظِ ظَـــبْي

وهزَّ الغصن في ورقِ الغلائلْ

أأقتلكم بِطَــرْفي أَمْ بِعِطْــفِي
فقلتُ بما تَشَــا فالكُــلّ ذابِــلْ
سَلــاَمُ الله ما هَبَّــتْ شِمــالٌ
عَلَى تِلْكَ المَعَاطِفِ والشَّمَائِلْ

ــ قصيــدة: بَــانَ الخَيَــالُ وإنْ أَبَــانَ نَزَيــلا:

بَانَ الخَيَالُ وإنْ أَبَانَ نَزَيــلا
وسرى شذاك وإنْ منعت رسولاَ
فهممْتُ أن أجفو خيالَكَ غيرةً
فَمَنَحْتُــهُ قُبَــلاً لَــهُ وَقُبُــولا
وَحَفِظْتُ نِسبْتَهُ إلَيْــكَ مَحبّــةً
مِــنْ ظَنّــهِ أني أراك بَديــلا
وزعمت أن العهد ليس بضائعٍ
وأَرَى الصُّدُودَ لِضدٍّ ذَاكَ دَلِيلا
وَوَعَدْتَني باللَّحْظِ مِنْــكَ زيارةً
فوَجدْتُ ميعادَ العَلِيــلِ عَلِيــلا
لله عِيسُكَ يَوْمَ حَنَّــتْ لِلنَّــوى
لم يُبقِ مَطلقُها لَنَــا معقُــولا
بِنْتُمْ بِكُلِّ حَمُولَة قَدْ أُوْدَعَــتْ
قَلباً كَمَا شَاءَ الغَرامُ حَمُــولا

كَمْ لَفظة خَفَّت على الحَادِيَ وَقَدْ

أَلْقَتْ جَوى بَينَ الضّلوعِ ثَقِيلا

يا هِنْدُ لَمْ تَتْرُكْ جُفُونُكِ بالحِمى

إلاَّ جريحاً منــكِ أو مقتــولا

هل أودعتْ لأبي المحاسن يُوسفِ

فِيهنَّ أَحكامٌ قُسِمْــنَ فُصُــولا

ـ قصيــدة: قَابَلْــتُ عِــزَّ هَوَاكُــمُ بِتَذَلُّــلِ:

قَابَلْتُ عِــزَّ هَوَاكُــمُ بِتَذَلُّــلِ

مع أنني في ذاك لست بــأولِ

يَا جَائِرِينَ وَعَادِلِينَ إلى النَّوَى

ما دُونَ معْدِلِ حُسْنِكُمْ مِنْ مَعْدِلِ

وحياتكم أنتم على إعــراض

عندي أعزّ منَ الشبابِ المقبلِ

إنْ تَذْكُرُونَ فإنَّني لَمْ أَنْسَكُــمْ

أَوْ تَسْمَحُونَ فإنني لَمْ أَبْخــلِ

يا علوْ أينَ زماننا إذا جاركمْ

جاري ومنزلكم برامةَ مَنْزِلي

مَا كَانَ أَسْرَعَ ما تَقَشَّعَ غَيْمُكُم

ومنعتُم الوسمي عنِّي والــولِي

كَمْ كُنْتُ أَخْشَى البَيْنَ قَبْلَ وُقُوعِهِ

فأتَى الذي حَاذَرْتُ في المُسْتَقْبَلِ

وحذرتُ سهمَ فراقكمْ حتى إذا

أرسلتموه أصابني في المقتـــل

اليَومَ لَسْتُ أُجابُ بَعْدَ سُؤَالِكُمْ

كَمْ كُنْتُ قَبْلُ أُجابُ إذْ لَم أَسْأَلِ

فالدّارُ لمْ تبعدْ وفودي لمْ يشبْ

والمالُ لَمْ يَنْفَدْ وحُبُّكِ ما سُلِي

ـ مقطوعـــة: كَـــمْ يَشْمَـــتُ بِي في حُبِّـــكَ العُـــذَّالُ:

كَمْ يَشْمَتُ بِي في حُبِّكَ العُذَّالُ

كم يكثرُ فيكَ القيلُ بي والقَالُ

الصَّبْرُ بِكُلِّ حَالــةٍ أَلْيَــقُ بِي

أحتاجُ أداريكَ ويَمشي الحَـــالُ

ـ مقطوعـــة: هـــاتِ قُـــلْ لي كـــمِ الجَفـــا والـــدَّلال:

هاتِ قُلْ لي كمِ الجَفا والدَّلال

لَسْت مِمَّنْ يُمْسِي لَدَيْهِ مُحَـــالُ

لو أردت الوصالَ ما صدَّكَ الوا

شِي وَلاَ رَدّ عَزْمَـــكَ العُـــذَّالُ

أنا لي منك قسوةٌ وصـــدودٌ

ولِغَيْرِي تَعَطُّــفٌ وَوِصَـــالُ

دع دلال الجمالِ وانصفْ وقلْ لي

أَيٌّ شَيْءٍ مِنَ الصُّدُودِ حَـــلالُ

أنا ذاك الذي عهدت وإنْ حَــا

لَ تجنِّيــكَ بيننـــا والمَــلالُ

يا كحيلَ الجُفُونِ لي فيكَ جفنٌ

ما لَهُ مِنْ سِوَى السُّهَادِ اكْتِحَالُ

ـ مقطوعــة: بــأبي ومــا ملكــتْ يــدي مــن سمتُــهُ:

بأبي وما ملكتْ يدي من سمتُهُ

وصلاً فلمْ يكُ لِي إِليهِ وُصُولُ

يهوى الخِلاف وقدْ هويتُ مقالَ لا

إذْ لَمْ يَزَلْ أَبداً بفيـــهِ يَجُــولُ

ـ قصيــدة: حللــت بإحْشَــاءٍ لَهَــا مِنْــكَ قَاتِــلُ:

حللت بإحْشَاءٍ لَهَا مِنْــكَ قَاتِـــلُ

فَهَلْ أَنْت فيها نَازِلٌ أو مُنَـــازِلُ

أرى اللَّيْلَ مُذْ حُجِّبت ما حال لَوْنُهُ

على أنّهُ بيني وَبَيْنَــكَ حائِـــلُ

وَمَا كُنْتُ مجْنُونَ الهَوَى قَبْلَ أَنْ يُرَى

لِقَلْبِي مِنْ صُدْغَيْكَ في الأسْرِ عَاقِلُ[1]

ولولا سِنَانٌ مِنْ لحاظِكَ قَاتِـــلٌ

لَما كُنْتُ أَدْرِي أَنّ طَرْفَكَ ذَابِلُ

وَلِمْ لاَ يَصِحُّ الوَجْدُ فِيكَ وَنَاظِرِي

لِنَسْخَةِ حُسْنٍ مِنْ سَنَاكَ يُقَابِـــلُ

وَلِي مَنْطِقٌ مِنْ نَحْوِ شَوْقِي أَطُولُه

بِعِلْمِ المعاني منْ خِلاَفِكَ شَاغِلُ

أيسعِدُني يا طَلْعَةَ البَدْرِ طَالِــعٌ

وَمِنْ شَقْوتي خَطٌّ بِخَدَّيكَ نَـــازِلُ

بَخِلْت وَلَمْ تَسْمَعْ فَمَا مِنْكَ نائِـــلٌ

وَصَانَكَ إعْرَاضٌ فَمَا لَكَ نَائِـــلُ[2]

وَلَوْ أَنَّ قِسّاً واصِفٌ مِنْكَ وجْنَةً

لأَعجَزَهُ نَبْتٌ بِهَا وَهْـــو باقِـــلُ

وَلِي مِنْكَ عَرْفٌ مِنْ وِدَادِكَ عَاطِرٌ

وَحَالي مِنْ عِرْفَانِ وَصْلِكَ عَاطِلُ[3]

---

[1] هذا البيت، والأبيات الثلاثة الموالية سقطت في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات.

[2] سقط هذا البيت في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات.

[3] سقط هذا البيت في فوات الوفيات. بينما سقطت بقية الأبيات كلها في الوافي بالوفيات.

على كلّ أمرٍ مِنْكَ عَوْنٌ فَرُبَّمـــا

يُعين الذي أَبْلى بِمَا أَنْت فَاعِـــلُ

وَبي ساحِرٌ في اللَّحْظِ[1] للخَدِّ حارِسٌ

وَذَابِل أعْطافٍ لِدَمْــعِي بـــاذِلُ[2]

وشَعْرٍ كليلي كان طولاً فما لَـــهُ

قصيراً[3] كَحَظِّي هل لِذَاكَ دَلائِلُ

نَعْمْ قَد تَنَاهى في الظَّلامِ[4] تَطاوُلاً

((وَعِنْدَ التَّنَاهي يقصرُ المُتطاوِلُ))[5]

ـ مقطوعــة: يــا أَقْتَــلَ النـــاسِ أَلْحاظــاً وأَعْذَبَهُــم:

يا أَقْتَلَ الناسِ أَلْحاظاً وأَعْذَبَهُـــم

رِيقاً مَتَى كَانَ فيكَ الصَّابُ والعَسَلُ

في صحن خدِّكَ وهي الشَّمسُ طالعةً

وردٌ يزيدكَ فيهِ الرَّاحُ والخَجَلُ

---

[1] في فوات الوفيات: ((باللحظ)).

[2] نفسه: ((نازل)).

[3] نفسه: ((قصيرٌ)).

[4] نفسه: ((في الغرام)).

[5] عجز البيت هذا لأبي العلاء المعري؛ جاء فيه:

فإن كنْتَ تَبْغي العِزّ فابْغِ تَوَسّطاً فعندَ التّناهي يَقْصُرُ المُتطاول

إيمانُ حُبِّكَ في قَلــبي تُجَــدِّدُه
مِنْ خدِّك الكتبُ أو من لَحظِكَ الرُّسلُ
إن كنت تنكر أَنّي عبدُ دَولَتِكُــم
مُرني بما شِئتَ آتيــهِ وأمتَثِــلُ
لَوِ اطَّلعْت على قلبي وجَدْت بِهِ
مِنْ فِعْلِ عَيْنَيْكَ جُرْحاً لَيْس يَنْدَمِلُ

ـ مقطوعــة: لي مــنْ جمالــكَ شاهــدٌ وكفيــلُ:

لي منْ جمالكَ شاهدٌ وكفيــلُ
أني عن الأشواقِ لستُ أحولُ
يا مَنْ تقاصرَ ليلهُ لســرورِه
ليلي كَمَا شاءَ الغَرامُ طويــلُ
غادرتني بحشىً تذوبُ ومقلةٍ
عبرى وقلبٍ حظُّــه التعليــلُ
في كُلِّ جَفْنٍ لِلتَّسَهُّدِ مَوْطِــنٌ
وَبِكُلِّ خــدٍّ لِلدُّمُــوعِ مَسِيــلُ

ـ مقطوعــة: تِــهْ كَيْــف شئــت فللحبيــبِ تدلُّــلُ:

تِهْ كَيْف شئت فللحبيبِ تدلُّــلُ
ولِصَبِّهِ المُضْنَى إِلَيْــهِ تَذَلُّــلُ

واحكمْ بما ترضى فأنت أحقٌّ مَنْ

ملكَ الفؤاد يجوز فيهِ ويعــدلُ

إنّي وإنْ عَذَلُوا علَيْكَ وأَطْنَبُوا

لتزيدُ أشواقي إليــكَ العُــذَّلُ

لكنني أبــدي السّلــوَّ تجمّــلاً

للعاذليــنَ وللمُحــبِّ تجمّــلُ

وإلَيْكَ أوّل ما انْثَنَيْتُ مع الهَوَى

إنَّ الحبيبَ هو الحبيبُ الأوّلُ

يا مَنْ يَصُونُ عَنِ العُيُونِ تَحرُّزاً

حسناً عليه كــلٌّ روحٍ تبــذَلُ

كم ذا ألينُ وتعتريكَ قســاوةٌ

وإلاَمَ أَسْمَحُ بالوِصَالِ وَتَبْخَــلُ

يَا مَعْدِنَ الآمَالِ أَيْنَ لِعَاشِــقٍ

كَلِفٍ بِحُبِّكَ عَنْ جَمَالِكَ مَعدِلُ

ـ مقطوعــة: مُــذْ رأتــهُ الشمــسُ في الحمــلِ:

مذ رأتهُ الشمــسُ في الحملِ

لمْ تكد تبــدو مــن الخجــلِ

غصــنُ بــانٍ مثمــرٌ قمــراً

يخجــلُ الأغصــانَ بالميــلِ

وَرْدُ خَدَّيْــــهِ يُضَرِّجُـــــهُ
خجلٌ مـــن نرجـــسِ المقـــلِ
وســــوى ذا أنَّ مبسمـــهُ
جَامِـعٌ لِلخَمْـــرِ والعَسَـــلِ
مَنْ مُجِيــرِي مِــنْ لَوَاحِظِــهِ
إنّـــني مِنْهَـــا عـــلى وَجَـــلِ
كُلَّمـــا سُلّـــتْ صَوَارِمُهـــا
قَالَ قَلْـــبِي قَـــدْ دَنَـــا أَجَـــلِي

ـ مقطوعـــة: طالـــت إليـــك رسائـــلي ووسائـــلي:

طالت إليك رسائلي ووسائلي
يا ذا الملاحة والعذار السَّائلِ
أنجزْ بوصلِ منك لي فإلى متى
يَا نُور عَيْنِي بِالوُعُودِ مُمَاطِلِي

ـ مقطوعـــة: يـــا ذا الـــذي نـــام عـــن جفـــوني:

يا ذا الذي نام عن جفوني ونبه الوجـدَ والجوى لي
جَفْونِي[1] خَرَاجِيَّهُ دُمُـــوعٌ شوقاً إلى وجهكَ الهلالي

---

[1] في نص: ((جفني)).

ـ مقطوعــة: بِمُهْجَـتي سُلطــانَ حُسْــنٍ غَـدَا:

بِمُهْجَتي سُلطانَ حُسْنٍ غــدَا   يجورُ في الحبِّ ولا يعــدلُ
يا عاشِقيهِ إحذروا[1] صُدغيهُ   فَهْــو الحَشِيشِيُّ الذي يَقْتُــلُ

ـ مقطوعــة: قُلْــتُ لِلاَّئِــمِ في الدَّمْــع:

قُلْــتُ لِلاَّئِــمِ في الــدَّمْــ   ــعِ وَقَــدْ نَــمَّ بِحَــالي
منــذ أحببـــت عليــاً   صــارَ دَمْــعِي مُتــوالي

ـ مقطوعــة: مــا نــاح عــلى الغصــون في الــدوحِ حمــامْ:

ما ناح على الغصون في الدوحِ حمامْ
إلا ولقيتُ مِنْــكَ بالشَّــوْقِ حِمَــامْ
فارْحَمْ دَنِفاً قَدْ زَادَهُ البُعْــدُ سِقَــامْ
لا يعرف مُذْ هجرتهُ طعــمَ منــامْ

ـ مقطوعــة: صبــوتُ إلى الصَّبابــةِ والغــرام:

صبوتُ إلى الصَّبابة والغرام
ووَدَّعَ ناظري طيــب المنــامِ

[1] في الـوافي بالوفيـات: ((حَـاذِرُوا)).

وَسامَ القَلْبَ مِــنْ أَولادِ ســـامِ

غزالٌ طرفـــهُ مِــن آل حَـــامِ

يريني المَوت في سيفٍ ورمحٍ

مُقيمٍ في اللَّواحِــظِ والقَــوامِ

جَعلتُ تَصبُّري عَنْـــهُ وَرائي

وَصيّرتُ الغَرامَ بِـــهِ أمـــامي

فَهَلْ لِي مُسْعِدٌ في الحُبِّ يَرْثي

لما ألقـــاه مـــن ألـــمِ السقـــامِ

ـ مقطوعـــة: العـــاذل قـــد عنـــف في الحـــب ولامْ:

العاذل قد عنف في الحب ولامْ مذ عاين قدْ بدا على خدك لامْ

يا بدر دجى ً قدمتَ في عشقتهِ الهَجْرُ حَلالٌ مِنْكَ والوَصْلُ حَرامْ

ـ مقطوعـــة: أيـــرعى في مَحبَّتِكُـــمْ ذِمَـــامُ:

أيرعى في مَحَبَّتِكُمْ ذِمَـــامُ وَيَعْدِلُ في رعيَّتِهِ الغَـــرامُ

وينصفُ ظَالِمٌ مِنّا ومِنْكُـــمْ ولا قلنا وَلا سَمِعَ الأنـــامُ

وَيَرْجِعُ عَيْشُنا الماضي وتَدْنو خيانمُ لِلوصالِ لها خِتـــامُ

ويصدقُ مِنكُمُ وعدٌ مَقـــالاً ويحوي مَنْ له ... مقامُـــد

ويسفرُ عَنْ ثَنَايا الدُرِّ ظَلْمٌ يُرى حِساً ـ وحُبكمُ ـ المدامُ

فإنّا خَبَّرَتْنا عَنْ رِضاكُـــم أمانينـــا بِأَنَّكُـــمُ كَـــرامُ

وأقمارٌ تضيء لِكلِّ ســارٍ   لَهَا من نُورِ حُسنِكُمُ تَمــامُ

ــ مقطوعــة: ولي واحــدٌ مــا زالَ باثنيــن مغرمــا:

ولي واحدٌ ما زالَ باثنين مغرما

على واحِدٍ مَا زَالَ باثْنَيْنِ مُغْرَمَا

رأى جسَدي وَالدَّمْعَ وَالقَلْبَ والحَشَى

فأضنَى وأفنى واستَمال وتيَّمــا

ــ مقطوعــة: وَذِي ثَنَايَــا لم تَــدَعْ عَاشِقــاً:

وَذِي ثَنَايَا لــم تَــدَعْ عَاشِقــاً

إلا عصى في حبها من يلــوم

كم بت أرعى في لمى ثغرها

وشيمةُ العاشقِ رعيُ النجومْ

ــ مقطوعــة: بــأبي أفــدي حَبيبــاً:

بــأبي أفــدي حَبيبــاً   تيَّــمَ القَلــبَ غَرامَــا

عَــذَرَ العَــاذِلُ فيــهِ   مُذْ رأى العارِضَ لاما

ـ قصيـدة: أحـلى الهـوى أن يطـول الوجـدُ والسَّقَـمُ:

أحلى الهوى أن يطول الوجدُ والسَّقَمُ

وأصدقُ الحبِّ ما جلَّتْ بِهِ التُّهَمُ

ليت اللَّيالي أحلاماً تعـودُ لنـا

فَرُبَّما قَدْ شَفَى دَاءَ الهَوَى الحُلُمُ

لا آخذَ اللهُ جِيران النَّقـا بِدَمِي

هُمْ أَسلَمُونِي لِوَجْدٍ مِنْهُ قَدْ سَلِمُوا

وَحَرَّمُوا في الهَوَى وَصْلِي وَمَا عَطَفُوا

وَحَلَّلُوا بِالنَّوى قَتْلِي وَمَا رَحَمُوا

وفَّيتُهُمْ حَقَّ حِفْظِ العهدِ مُغتبِطاً

بِهِمْ وَمَا رُعِيَتْ لي عِنْدَهُمْ ذِمَمُ

يا غائبينَ وَوَجدي حاضِرٌ بهـم

وَعَاتِبِينَ وَذَنبي في الغَرامِ هُـمُ

لا أَوْحَشَتْ مِنْكُمُ دارٌ بِكُمْ شَرُفَتْ

ولا خَلَتْ مِن مَغَانِي حُسْنِكُمْ خِيَمُ

بِنْتُمْ فلا طَرْف إلا وَهْو مُضْطَرِبٌ

شَوْقاً ولا قَلْبَ إلاَّ وَهْوَ مُضْطَرِمُ

فَكُلُّ أَرْضٍ وَطِئتُمْ تُرْبَها فَلَـكٌ

وَكُلُّ وادٍ حَلَلْتُـمْ رَبْعَـهُ حَـرَمُ

هل عائدٌ ــ والأماني قَلَّما صَدَقتْ ــ

دَهْرٌ مَضَى وَمغانِي حُسْنِكُمْ أُمَمُ

فالجسمُ مُذْ غبتُمُ بِالسّقحِ مُتَّشـــحٌ

وَالقلبُ مضطربٌ بالشَّوق مُضطَرِمُ

لم يُنْسِنا سَالِفاً مِنْ عَهْدِكُمْ قِـــدَمٌ

ولا سَعَتْ بالتَّسَلِّي نحونا قَـــدَمُ

أَستَوْدِعُ الله رَكْباً في هَوَادِجِهِــمْ

مُحجَّبٌ ليسَ تُرعى عِندَهُ الذممُ

لهُ من الغُصنِ قَدٌّ زانَهُ هَيَــفٌ

ومن غزالِ الحِمَى طرفٌ بِهِ سَقَمُ

يبيتُ قلبي عليه حرقةً وجَــوًى

وَقَلْبُهُ باردٌ مِنْ لَوْعَــتِي شَبِــمُ

ظَلِلْتُ فِيهِ وأَمْسَى قَلْبُهُ حَجَــراً

لَمْ يَشْفِ قَطّ مُحِبّــاً شَفَّــهُ أَلَــمُ

فَوا الذي زَانَهُ مِنْ طَرْفِهِ سَقَــمٌ

وأودعَ السِّحــرَ فيهِ أَنَّــهُ قَسَــمُ

لولا تثنِّي رديــني القــوامِ بِــهِ

حلفتُ ألفَ يميــنٍ أنَّــهُ صنَــمُ

ـ مقطوعـــة: لله كِفْـــتيٌ أَطـــاعَ صَبَابَـــتِي:

لله كِفْـــتيٌ أَطـــاعَ صَبَابَـــتِي

فيه الفُؤادُ وَخَالَـــفَ اللُّوَّامـــا

مَدَّ الشّرِيطَ على الحَديدِ فَخِلْتُهُ

قَمراً يُطرِّزُ بالبُرُوقِ غمَامَـــا

ـ مقطوعـــة: مَـــا رَأَيْنَـــا ضَرْبَـــةً مِـــنْ صَـــارِمٍ:

مَا رَأَيْنَا ضَرْبَةً مِنْ صـــارِمٍ

يومَ حربٍ نكست ألف علَـــم

بلْ رَأَيْنا مَشقَّـــةً مِن كاتِـــبٍ

في سِجِلٍّ كَسَرَتْ أَلْـــف قَلَـــمْ

ـ مقطوعـــة: مـــن للخـــلافِ وللوفـــاقِ مَسائـــلاً:

من للخلافِ وللوفاقِ مَسائـــلاً

وخصائِلاً أو لِلْعُـــلى لولاكُـــمُ

حسبُ المُرجِّي في المعادِ شَفاعة

مِنكمْ ومِنْ قبل المعادِ نَداكُـــمُ

لو أُطْلِق اسْمُ النيّراتِ ما سَرَى

ذهنُ الذي هُوَ سامعٌ لِسِواكُـــمُ

أو كان وحيٌ بعد أحمدَ مرسل

لبدتْ لكُـــمْ آيٌ بِـــهِ وَعَلائِـــمُ

تَتَسابقُ الأذهانُ في إدراككُـــمْ

ويفوتُ أسبقُهَا أقَــلَّ مداكُـــمُ

عُثمانُ جَدّكُم وَذَلــك حَسبـــهُ

وكَفى وَذَلِكَ حسبُكُم وكَفاكُـــمُ

لا أَوْحَشَت شَمْسُ الشَّرِيعَةِ مِنْكُمُ

فَبقاؤُهـــا مُتعلِّـــقٌ بِبقاكُـــمُ

ــ قصيـــدة: لَـــوْ أَنَّ قَلْبَــكَ لِي يَــرقّ وَيَرْحَـــمُ:

لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ لِي يَرقّ وَيَرْحَـــمُ

ما بِتُّ مِنْ خوفِ الهَوى أتألَّمُ

وَمِنَ العَجَائِبِ أنّني والسُّهْمُ لي

مِن نَاظِرِيكَ وفي فُؤَادِي أَسْهُمُ

دَارَيْتُ أَهْلَكَ في هَوَاكَ وَهُمْ عِدىً

ولأَجْلِ عَيْنٍ ألف عَيْنٍ تُكــرَمُ

يا جامِعَ الضِّدّينِ في وَجَناتِـــهِ

ماءٌ يَشِفُّ عليه نـــارٌ تُضْـــرَمُ

عَجبي لطَرْفِكَ وَهْوَ ماضٍ لَمْ يَزَلْ

فَعلامَ يكســرُ عِندَمَـــا تَتَكَلَّـــمُ

أمِنَ المروءة والتَّواصُل مُمكِنٌ

والدَّهْرُ يَسْمَحُ والحَوَادِثُ نُوَّمُ

أني أروحُ وَسَلْبُ رَدِّي في الهَوَى

قَدْ حَلَّ والإيجابُ مِنْكَ مُحــرَّمُ

وابيتُ مبذُولَ الدُّموعِ مُعذَّبــاً

كَلِفاً وأَنْــت مُمنَّـــعٌ وَمُنَعَّـــمُ

يا مُتْهِماً قَلْبي بِسَلْــوَة حُبِّـــهِ

هيهات ينجِدُه وأنـــت المُتْهِــمُ

ــ مقطوعــة: قُولُــوا لِرسَّامِكُــمْ:

قُولُـــوا لِرسَّامِكُــمْ بِــكَ الفُــؤَادُ مُغْــرَمُ

قَالُــوا مَــتَى تُذِيبُــهُ فَقُلْــتُ حَــتَّى يَرْسُــمُ

ــ قصيــدة: حَدِيــثُ غَــرَامِي في هَــوَاكَ قديــمُ:

حَدِيثُ غَرَامِي في هَوَاكَ قديــمُ

وفرطُ عذابِي في هواكَ نَعيــمُ

بِمَت شِئت عَذِّبْ غير سُخْطِكَ إنَّهُ

ــ وَصدِّق ولائي في هَوَاكَ ــ أليمُ

تُمَثِّلُكَ الأشواقُ وهماً لخاطِري

فَيُدْرِكُني بالخوفِ مِنْكَ وُجُــومُ

وتقنعُ منك الرُوحُ لمــحَ توَهُّــمِ

فتَحْيَا بِهَا الأَعْضَاءُ وَهْي رَمِيمُ

هنيئاً لطرفِ فيكَ لا يعرِفُ الكَرى

وَتَبّاً لِقَلْبِ فيــكَ لَيْــسَ يَهيــمُ

ولمَّا جَلاكَ الفِكْرُ ــ يا غَايةَ المُنَى ــ

فظَــلَّ بقلــبِي مُقْعِــدٌ ومُقيــمُ

وَمَا الكَوْنُ إلا صُورةً أنْت رُوحُها

وجِسْمٌ بغيرِ الرُّوحِ كيف يقُــومُ

تَوَّهَم صحْبي أَنَّ بِي مَسُّ جِنَّــةً

وأنكر حَالي صَاحِــبٌ وَحَميــمُ

فَبُحْتُ بِما أَلقاهُ مِنْــكَ مُصَرِّحــاً

وَمَا نالَ لَــذَّاتِ الغَــرامِ كتُــومُ

أغصنَ النَقا إنِّي أغارُ إذَا غــدَا

يُلاعِبُ عِطفيكَ الرّشاق نَسيــمُ

ولَمَا بَدَتْ في طَوْرِ خدِّكَ جَذْوة

ولاحتْ لِقَلبي عَادَ وَهُــوَ كَليــمٌ

يَلَذُّ لِقَلــبي في هَــوَاكَ عَذابُــهُ

ولَمْ لا وبالأَحوالِ أَنْــت عليــمُ

يميناً بأصواتِ الحَجيجِ على مِنى

وَصَحْبٍ لَهُمْ بالمأْزمين زَميــمُ

لأَنْت وإنْ أَصبَحْت بالوَصلِ باخِلاً

عليَّ احْتِقاراً بي لَـــديَّ كَرِيـــمُ

ويا شرفي لمَّا غَدَوت وللهـــوى

عَلى جَسَدِي المُضنْى النَّحيل رُسُومُ

وَيَا سائِقاً يُضنِي الرّكائِبَ طلَّحاً

لَهَا في الرُّسوم المُقفراتِ رَسيمُ

إِذَا عَايَنَتْ عَيْنَاكَ بارِق أَبْــرَقٍ

يَلُوحُ كَمَا في الأُفُقِ لاح نُجُــومُ

وَبَاحَت بأسرارِ الرُّبَا نسْمَةُ الصَّبا

وَعطَّر أقطـــارَ القفـــارِ شَميـــمُ

وَعَايَنْت سلْعاً قِف وسائِلْ أَحِبَّتِي

فهَذا الذي أصبحتُ مِنـــكَ أرومُ

فثمَّ رَشاً شـــوقي إليـــه مُبَـــرِّحٌ

وَريم فُؤادي عنهُ ليـــس يَريـــمُ

أُغَالِطُ عَنْهُ بالكـــلامُ مُجالـــيسي

وَفي القَلب مِن ذِكري سِواه كُلُومُ

لَهُ مِنْ سُوَيداءِ الفـــؤَادِ مَعاهِـــدٌ

وبَينَ سَـــوادِ المُقْلَتَيْـــنِ رُسُـــومُ

وقل يا غريب الحُسنِ رِقّ لِنازِحٍ

غَريبٍ لَهُ قَلْـــبٌ لَدَيـــكَ مُقيـــمُ

تَرحَّلَ عنهُ مُذْ تَرَحَّلْــت نافِــراً

فليس لهُ حــتى القُــدوم قُــدومُ

عَلَيْــكَ سَلامٌ مِنْ كَئِيــبٍ مُتَيَّــمٍ

تَظَلُّ سليماً وهو مِنْــكَ سَليــمُ

ـ مقطوعــة: مــا ذاب سقامــاً في الهــوى لولاكــم:

ما ذاب سقاماً في الهوى لو لاكم

ما أتلف قلبهُ جوى إلاَّ كُــمُ

مَا أَعْتَبَكُمْ ما الذَّنْبُ والله لَكُمُ

الذَّنْبُ لإنسانٍ غَــدا يهواكُــمُ

ـ مقطوعــة: يــا مَــنْ شَغَلْــتُ بِــهِ سِــرِّي وأَوْهَــامِي:

يا مَنْ شَغَلْتُ بِهِ سِرِّي وأَوْهَامِي

ومَنْ لمغناهُ إنجادي وإتهــامي

وَمَنْ ألفتُ رضاهُ الرَّحْبَ جانبهُ

وَفُزْتُ مِنْهُ بِإِحْسَــانٍ وإِنْعَــامِ

لم أنسَ أقدامكَ اللاتي سعت وَمَشَت

بهن حيناً على العلياءِ أقــدامي

وحسنَ أيامكَ الغُرِّ التي حَسُنَتْ

بها ليالي من دهــري أيــامي

فما المدارسُ حتَّى كَدَّرتْ نَهْلاً

وَرَدْتُهُ صافِياً مِنْ بَحْرِكَ الطامي

وغيرت خلقاً ما زالَ يمنحـــني

بضاحكٍ مِنْ ثنايا الـــودِّ بســـامِ

كنْ كيف شِئْت فداكَ الناسُ كُلهُمُ

فالنّاسُ كُلُّهُمُ في ظِلّكَ السَّـــامِي

ـ مقطوعـــة: لا أُجـــازِي حَبيـــبَ قَلْـــبِي بِظُلْمِـــهْ:

لا أُجازِي حَبيبَ قَلْبِي بِظُلْمِـــهْ

أَنَا أَحْنَى عَلَيْهِ مِنْ قَلْـــبِ أُمِّـــهْ

جورهُ مثلَ عدلهِ عندَ منْ يهـــ

ـــواهُ مِثْلِي وَظُلْمُهُ مِثْلُ ظِلِّمِهْ

ـ مقطوعـــة: فيـــا شعـــرَهُ هـــل فيـــكَ ليـــلي ينقـــضِي:

فيا شعرَهُ هل فيكَ ليلي ينقضِي

وَيَا صُبْحَهُ هلْ فيكَ صُبْحِي بَاسِمُ

وَيَا طَرْفَهُ كَيْف السبيلُ لِمُغْــرَمٍ

عليكَ إلى وصلٍ وَسَفكَ صارِمُ

تحكَّمْ بِما تهــوَى فمَا أنا مائِـــلٌ

وَلاَ عَنْكَ يُثْنِينِي مِنَ الوَجْدِ لائمُ

وَلِي مُقْلَةٌ قَدْ أُمْطِرَ الشَّوْقُ سُحبَهَا
فَفِي دَمْعِهَا حَتّى تراكُمْ تَراكُــمُ

ـ مقطوعــة: لاَعَبْــتُ بالخَاتَــمِ إنْسَانَــةً:

لاَعَبْــتُ بالخَاتَــمِ إنْسَانَــةً
كالبدرِ في جُنحِ الدُّجى الفاحِمِ
حتّى إذا ما رُمْتُ أخذي لَــهُ
مِنَ البَنَــانِ التَّــرفِ النَّاعِــمِ
خَبَّتَهُ في فيهَا فَقُلْتُ انْظُــروا
قَــدْ خبَّــت الخاتــم بالخاتــمِ

ـ مقطوعــة: أنــا مــن لطــفِ مــزاجي:

أنا مــن لطــفِ مــزاجي وَصَفَــا رُوحِي وجِسْــمي
دائــرٌ بَيْــنَ النَّــــدامَى والتِئَــامِ الثغــرِ رَسْــمِي

ـ مقطوعــة: لمَّــا سَمِعْــتُ بِفَضْــلِ جودِكُــمْ:

لمَّا سَمِعْــتُ بِفَضْلِ جودِكُــمْ
وبما يرام من النــدى منكــم
وافيْتُ أطرقُ بــابَ فَضْلِكُــمُ
فَتَصَدَّقُوا دُفِــع البــلا عَنْكُــمْ

ـ مقطوعــة: وافَى وواصَــلَ عِنْدَمـــا:

وافَى وواصــــلَ عِنْدَمـــا
أجــرَى المَدامِــعَ عَندمَـــا
ورَنَـــــا إليّ فسلَّمـــــا
لِلْوَجْـــدِ قَلْــبِي سلَّمـــــا
وثَــنَى القَــوَامَ فَهزَّمـــــا
لجيُــوشِ صبْــرِي هَزَّمـــا
وحَــمَى مَرَاشِــفَ ثَغْــرِهِ
أَرَأَيْتُــمُ بَــــرْق الحِـمَى

ـ قصيــدة: عفَــا الله عَــنْ قَــوْمٍ عفَــا الصَّبْــرُ مِنْهُــمُ:

عفَا الله عَنْ قَوْمٍ عفَا الصَّبْرُ مِنْهُمُ
فلو رُمت ذكرى غيرهم خانني الفَمُ
تجنُوا كأن لا ودَّ بيني وبينهم
قديماً وَحَتَّى ما كأَنَّهُــمُ هُــمُ
فأَعْظَمُ وَصْلاً مَنْ يُشِيرُ بِطَرْفِهِ
إليَّ وأوفى ذِمَّةً مــن يسلِّــمُ
وبالجزعِ أحبابٌ إذا ما ذكرتُهُم
شرِقْتُ بِدَمْعٍ في أوَاخِــرِهِ دَمُ

ألم وما في الرَّكبِ مِنَّ مُتيّـمٌ

وَعَادَ وما في الرَّكْبِ إلا مُتيَّمُ

وليس الهوَى إلاَّ التِفاتَةُ طامحٍ

يرُوقُ لعينيهِ الجَمَالُ المُنَعَّـمُ

خَليليَّ مَا لِلْقَلبِ هَاجَت شُجُونُهُ

وَعَاوَدَهُ داءٌ مِنَ الشَّوْقِ مُؤلِمُ

ومَا راعَهُ إلاَّ لأمرٍ غرامُـه

ولا اعتادَهُ إلاّ هــوىً متقــدِّمُ

أَظنُّ دِيَارَ الحيِّ مِنّــا قريبــةً

وإلا فَمِنْهَــا نَفْحَــةٌ تَتَنَسَّــمُ

ـ مقطوعــة: يــا حَبَّــذا طَيْفُــكَ مِــنْ قــادِمِ:

يا حَبَّــذا طَيْفُــكَ مِــنْ قــادِمِ

يا أحسنَ العالــم في العالــمِ

طَيْفٌ تَجَلَّى نُــورهُ ساطِعــاً

حــتى رأتــهُ مقلــةُ النائــمِ

يا غائباً يحكــمُ في مُهْجَــتي

عَليَّ طالــتْ غَيْبَــةُ الحَاكِــمِ

عارٌ على حسنكَ أن أشتــكي

حــظي مِنــهُ أنَّــهُ ظالــمي

ـ مقطوعــة: هــذا الــذي أنــا قــدْ سمحــتُ لحبــهِ:

هَذا الذي أنا قَدْ سَمَحْتُ لِحُبِّهِ

كرماً بلؤلؤِ دمــعي المتنظــمِ

لا تَحْرِمُوني ضَمَّ أَسْمَرَ قَــدِّه

لَيْس الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحَرَّمِ

ـ مقطوعــة: يــا ذا الَّــذي يــروي الحديــث:

يا ذا الَّذي يَرْوي الحَدِيــ ــثَ ولَيْس يُرْوَى بالقديمِ

عِنْــدِي مُــدامُ نَهَارِهــا عنــدي كَجَنَّــاتِ النَّعيــمِ

ولقــدْ شربــتُ حَبابَهــا في عِقْــدِ كَاسَاتِ النَّظيــمِ

فانهــض إليّ بهمَّـــةٍ نخلي حَشَاكَ مِنَ الهُمــوم

أحلى مــدامٍ قــد طلبــ ــتُ لشربها أحلى نديــمِ

ـ قصيــدة: الدَّمــع هــامِ والَحشــا هائــمْ:

الدَّمع هــامِ والَحشــا هائــمْ

والجفن دامَ والجــوى دائِــمْ

يا مَنْ خلا من حُسنهم ناظري

في القلب مغناكُــم ومعناكُــمْ

والله ما سارت بأرض الحِمى

ركابُنـــا إلا ذَكَرْنَاكُـــمْ

ولا سرتْ من نحــوهِ نسمـــةٌ

إلاّ عرفناهـــا بريَّاكُـــمْ

سَــقى ليالينـــا على حاجــرِ

غَيْــثٌ وَحَيّاهَـــا وحيَّاكُـمْ

لَياليــاً بالوَصْــلِ قَضَيْتُهــا

ما كـــان أحْلاهـــا وأَحْلاكُــمْ

أَحْبَابنا ما الجَزْعُ ما المُنْحَنى

ما رَامةُ ما الشعبْ لولاكُــمْ

ما قَامَ هَذا الكَــوْنُ إلا بِكُــمْ

ولا الوُجودُ المَحْضُ إلاَّ كُــمْ

ولي بجرعاءِ الحِمى شــادنٌ

بِقَتْلِ أَرْبَــابِ الهَــوى عالــمُ

ما القَلْبُ عَنْهُ في الهَوَى مائِلٌ

ولا لَـــهُ في حُبِّــهِ لائـــمُ

يَصْرِمُ حَبْلَ الودِّ مَنْ مُنْصِفي

منْ صارِمٍ في لحظهِ صـــارمُ

أَشْكُو إليه مِنْــهُ مـــا ألتـــقي

وَيْلاهُ مِنْ خصمٍ هُو الحاكِــمُ

ـ قصيـدة: وافَى وأرْواحُ العُذَيْـبِ نَواسِـمُ:

وافَى وأرْواحُ العُذَيْبِ نواســمُ

والليلُ فيه من الصباحِ مباسمُ

أهلاً بمن أسرى بهِ وعدٌ لَـهُ

مُتأخرٌ وهوىً لنـا مُتقـادِمُ

قد كنتُ أقنعُ عِندَ رؤيَتِهِ بِمَـا

يَهْدِيهِ في التَّأْوِيبِ طَيْفٌ قَادِمُ

غِضّ الشَّبيبةِ والمَلاَحَة يَعْذُرُ الـ

ـمُضني بهِ ويُلامُ فيهِ اللاَّئِـمُ

النضرُ مِنْ أعطافِـهِ وكنانـةٌ

بلحاظِهِ ولمهجتي هُو هاشـمُ

فرعٌ به أصلُ الصبابةِ هل ترَى

بالقُرْبِ مِنْهُ لِجَمْعِ شَمْلٍ نَاظِمُ

وَنَوَاظِرٌ هُنّ الذَّوَابِلُ لَوْ دَرَى

مَنْ قَالَ حِينَ فَتَكْنَ هُنَّ صوارِمُ

أَمُعَنفِّينَ عَلى الغَـرَامِ وَقَلَّمـا

يُصْغِي لأَوْهَامِ العَوَاذِلِ هَائِـمُ

هُوَ نَاظِرٌ مُتَعَشِّـقٌ وَجَوَانِـحٌ

فيها مواطنُ للجوَى ومَعالـمُ

وَهَوَىً لِقَلْبِي غَارِمٌ أَنَا غَارِمٌ

صَبْرِي به وأَخُو المَلاَمَةِ رَاغِمُ

هَيْهَاتَ أَنْ أَثْنِي عَنَانِي والصِّبَا

غَضٌّ وَغُصْنُ العُمْرِ رَطْبٌ نَاعِمُ

أو اشتكي حالي ومَنْ أحببتُــهُ

أَبَداً لإِخْلاَفِ القَبُــولِ مُــلازِمُ

أَوْ أَخْتَشِي خطْبــاً أَراهُ بِبَلْــدَة

وبها بهاءُ الدينِ يُوسفُ حاكمُ

يا خير منْ نيطتْ عليهِ للعُلى

ومنْ المَهابة والجَلالِ تمائِــمُ

ما كانَ قبلكَ مِنْ كريمٍ يُرتجى

ــى مِنْهُ وَلاَ وَلِدَت سِوَاكَ أَكَارِمُ

لَكِنْ تَجَسَّمَ قَبْلَ خَلْقِكَ جُودُكَ الــ

ــبَادِي وَسَمَّاهُ البَرِيَّةُ حَاتِــمُ

حاشا لعزمك أنْ تقومُ لهمَّــة

والدَّهرُ عن إتمامها لَكَ نائــمُ

أو أنْ تلوحَ وليس يخفى عاقلٌ

أو أن تقولُ وليسَ يخرسُ عالمُ

أو أنْ تجودُ وليسَ يثرى مملقٌ

أو أنْ تُشير وليسَ يعدِلُ ظالمُ

أبني الزَّكِّي سُقيتُـم ووقيتـمُ
وبَقِيتُـمُ والأَكْرَمُـونَ فِدَاكُـمُ
نَسَبٌ إِذَا مَا قِيلَ مَنْ هُوَ أَعْرَبتْ
أحسابُ أعرابٌ لَكُمْ وأكـارِمُ

ـ قصيـدة: إِذَا بَعـدُوا وَافُـوكَ أَسْـرَى وإِنْ دَنَـوا:

إِذَا بَعُدُوا وَافُوكَ أَسْرَى وإِنْ دَنَوا
لغزوكَ وافتهُمُ قناً وصـوارِمُ
وَلاَ غَائِبٌ إِلا أَتَى وَهْوَ تَائِبٌ
وَلاَ قَادِمٌ إِلا أَتَى وَهْـو نـادِمُ
لأعناقهِمْ بالبيضِ منكَ معانقٌ
لِغَيْرِ هَوًى فِيهِمْ وبِالسُّمْرِ لاثمُ
تفتَّحَ منهم بالسُّيـوفِ شقائقـاً
عَلَيْهَا الدُّرُوعُ الضَّافِياتُ كَمائِمُ
بحربٍ تكونُ البيضُ مِنها بوارقاً
نجيعهم فيها الغُيومُ السَّواجِـمُ
قتلهُم بالذُّعـرِ حـتَّى كأنَّمـا
تُحَارِبُهُم فيهِ وأَنْـت مُسَالِـمُ
وَقَدْ عَلِمَ الأَعْدَاءُ أَنَّكَ إِنْ تَقُـمْ
بِقائِمِ سَيْفٍ فَهو بالنَّصرِ قائِـمُ

إذا رُمتَ أن ترقَى إلى المجدِ سُلَّماً

صعدت إليهِ وصَعا وسلالِمُ

وَحَفَّ بِكَ الجَيْشُ الذي بِكَ نصرُهُ

ومِنكَ لهُ إقدامهُ والعزائِمُ

وسارَ ببيدرِ من سَنا وجهكَ الذي

بهِ ظُلماتٌ تنجلي ومظالمُ

علَى الأعوَجِياتِ العِتَاقِ التي لها

حوافرُ للهاماتِ مِنها عَمائِمُ

تمدُّ بها في السيرِ أجيادُها التي

كأنَّ لحى الأعداء فيها براجِمُ

سِهَامٌ علَى مَثْلِ السِّهَامِ تَبسَّمَتْ

سيوفُهُم حيثُ الوجُوهُ سَواهِمُ

وليس بِناجٍ مِنكَ جَانٍ بجرمِهِ

إذا أعوزتهُ من يديك المَراحمُ

يكِرُّ بِمَا تَهْوى الجَديدانِ في الوَرَى

وتسري بما ترضي الرِّيَّاح النَّواسِمُ

وَتَحْتَقِرُ الفُرْسَانَ حَتَّى كأنَّهُمْ

وهم بهمٌ يوم الهياجِ بَهائِمُ

وَتُعْطِي أيادِيكَ التي يَدَكَ احتَوَتْ

ولو جمعت في راحتَيكَ الأقالِمُ

كَأَنَّــكَ أُمٌّ والأَنَــامُ بِأَسْرِهِــمْ

يتامى وبعــلٌ والأنــامُ أَيائِــمُ

تَؤمٌّ رِمَاحُ الخطِّ بِيضَكَ في الوَغى

كما قابلت بيض الوُجُوه المعاصِمُ

وتغِضِي عن الفحشاءِ لا عن جهالةٍ

ولكنْ لِمَعْنَى آثَرَتْهُ المكَــارِمُ

ولِي مُدَحٌ بالَغْتُ فيها بَلاغَــة

وأَثْنَيْتُ فيها بالذي أَنَا عَالِــمُ

ولِي فيكَ آمالٌ عَلَيْكَ بُلُوغُهــا

فلا دافعَ دُون الذي أنت حاكِمُ

أَبْعَدَك يَحْوِي المَجْدُ مَنْ هُو فاخِرٌ

وبعدي يقولُ الشِّعر مَنْ هُوَ ناظِمُ

وإنَّ لِسَانِي ذو الفِقَــارِ علِيُّــهُ

عُلاكَ فَمَنْ مِثْلِي ومِثْلُكَ غَانِمُ

أجِر وأَجِزْ واعطف وأعطِ فَإنَّما

يَخُصُّ كَرِيماً بالنَّوالِ الأَكَارِمُ

ــ مقطوعــة: أنــا كــاسٌ فيَّ كيــسٌ:

أنــا كــاسٌ فيَّ كيــسٌ لحديــثٍ أو قديــمِ

لما أزل في كفِّ ســاقٍ أو عــلى ثَغْــرِ نَديــمِ

ـ قصيــدة: لَيْــت شِعْــرِي مَـــنْ قَـــدْ أَحَـــلَّ الخِيامـــا:

لَيْت شِعْرِي مَنْ قَدْ أَحَلَّ الخِياما

حَفِظَ العَهْدَ أم أَضَاعَ الذِّمامَــا

عُرْبٌ بالحِمى حموا أن يسامَ الــ

ـوَصْلُ مِنْهُمْ وعِزُّهُم أن يُسامَى

رحلوا بالفُؤادِ وَالطَّرفِ لكــنْ

رَجَعَ الطَّرْفُ والفُــؤادُ أَقَامَــا

حَملوا بالبُعــادِ إِثْمــاً وَزُورا

وحَمَلْنــا صَبَابَــةً وهِيَامَــا

وَرَأَيْنَا تِلْكَ الخُــدودَ رِياضــاً

فَجَعَلْنا لَهَا الجُفُــونَ غَمَامَــا

وأطَعنَا دواعِي الوَجْــدِ فيهــم

وعَصَيْنَا الوُشَــاة   واللُّوامــا

أَيُّ صَبٍّ قَدْ غَادَرَ الوَجْدُ مِنْهُ

مُستَقَــراً بِقَلبِــــهِ وَمُقَامَــا

رَشَقَتْهُ العُيونُ مِنْ أَسْهُمِ السِّحْــ

ــرِ فأَصْمَتْ فُؤادَهُ المُسْتَهَامَا

فهو منْهُنَّ بِابنِ مُصْعَبِ أضحَى

مستجيراً بِعَدْلِــهِ أن يُضَامَــا

ـ مقطوعـــة: أفي مِثْــلِ هَــذا الحُسْــنِ يُعْــذلُ مُغْــرَم:

أفي مِثلِ هَذا الحُسْنِ يُعْذلُ مُغْرَم
لقدْ تَعِبَ اللاَّحِي بِهِ والمُتيَّــمُ
أعِدْ نَظراً فيهِ عَساكَ جَهِلتَــهُ
تَجِدْ ما بِهِ تَشقَى العُيونُ وَتَنْعَمُ
أُعِيذُ مُحَيَّاهُ إذا رُمْــتُ إنّــني
أُعيــد إليــهِ ناظِــراً يتوسَّــمُ
وألقى سَناً لو كانَ قَلْبُ حُروفِهِ
لِعيني بِهِ لم يَشْكُ وحْشَتهُ فَــمُ

ـ مقطوعـــة: يــا مَــنْ دَعَــوْتُ لَــهُ غَــداةَ دَعَــوْتُهُ:

يا مَنْ دَعَوْتُ لَهُ غَداةَ دَعَوْتُهُ
فأبى يُجيبُ ولِلصُّدودِ علائِــمُ
قصدِي أراكَ فإن أبيت فَإنَّمــا
قَصدِي أخبِّرُ عَنْكَ أنَّكَ سَالِــمُ

ـ مقطوعـــة: إمْنَــعْ جُفونَــكَ أنْ تُريــق دَمي:

إمْنَــعْ جُفونَكَ أنْ تُريق دَمي
إن الجُفــونَ مِظَنَّـــةُ التهــمِ

وأبِنْ جَبينكَ تَتَّضِــحْ طُــرُقي

وأمِطْ لِثامكَ تَنْكَشِفْ ظُلَــمِي

يا رَوْضَةً أَجْــنِي أَزَاهِرَهـــا

باللَّحْظِ لاَ بِيَــدِي وَلاَ بِفَــمِي

مالي حُرِمْتُ لذيذَ وَصْلِكَ في

أيامِ هــذي الأشهــرِ الحُــرمِ

لو أَنْ قُرْبَــكَ يُبْتَــغَى بِشِــرا

بالغــت فيــه بأنفــسِ القيــمِ

ــ مقطوعــة: كأنَّــنِّي واللَّــواحي في مَحَبَّتِــهِ:

كأنَّنِّي واللَّواحي في مَحَبَّتِــهِ

في يومِ صفين قدْ قُمنا بصفِّينِ

وكيف يطلبُ صُلحاً أو مُوافقةً

ولحْظهُ بيْنَنَا يســعى بسيفيــنِ

ــ مقطوعــة: مُلْبِــسِي مِــنْ هَجْــرِهِ ثَــوْبَ الضَّــنَى:

مُلْبِسِي مِنْ هَجْرِهِ ثَوْبَ الضَّنَى

وَمذيب القَلْبَ حُزْنــاً وعَنَــا

فبمن أعطاك يا كــل المــنى

قامةً تزري بأعطافِ القنــا

ومحيــاً جــلَّ مَــنْ صــورهُ

مُخجلَ البَــدْرِ سَنــاءً وَسَنــا

يا مليكَ الحسنِ كن لي محسناً

لا يــراك اللـــه إلا محسنــا

ـ مقطوعــة: يَــا سَاكِنــاً قَلْــبِي المُعَــنَّى:

يَــا سَاكِنــاً قَلْــبِي المُعَــنَّى

ولَيْــس فيــه سِــوَاه[1] ثَــانِي

لأيٍّ مَعْــنَى كَسَــرْتَ قَلْــبِي

وَمَــا الْتَــقَى فيــهِ ساكِنَــانِ

ـ قصيــدة: حتّــامَ حَــظّي لَدَيْــكَ حِرْمَــانُ:

حتّامَ حَظّي لَدَيْــكَ حِرْمَــانُ

وَكَمْ كَــذَا جَفْــوَةٌ وَهِجْــرَانُ

وأين ليالٍ مضتْ ونحنُ بهــا

أحبــة في الهــوى وجيــرانُ

وأيْــنَ وِدٌّ عَهِــدْتُ صِحَّتَــهُ

وأيــن عهــدٌ وأيْــنَ أيْمــانُ

---

[1] في النجوم الزاهرة: ((سواك)).

أَعانَكَ الهَجْرُ والصُّدُودُ عَـلى

قتلي ومالي عليـكَ أعـوانُ

يا غائباً عاتبـاً تطـاول هــ

ذا الهجرُ هل للدنـو إمكـانُ

قَدْ رَضِيِ الدَّهْـرُ والعـواذِلُ

والحسادُ عنيٍّ وأنت غضبانُ

فاسْلَمْ ولا تَلْتَفِـتْ إلى مُهَـجٍ

بها جوى قاتـلٌ وأشجـانُ

ونم خليا وقـلْ كـذا وكـذا

مِنْ كُلِّ ما أطْلَعَـتْ تِلمسـان

ـ مقطوعـة: إنْ شَكَوْنـا لَـهُ ظَمانـا وَجَدْنـا:

إنْ شَكَوْنا لَهُ ظَمانـا وَجَدْنـا

مِنهُ بالري للحديـثِ ضَمانَـا

ما سبانا لينُ المعَاطف منـهُ

مُذْ تَثَنَّى إلا وقَدْ مَـاس بَانَـا

ـ مقطوعـة: ونَحْـويٍّ لَـهُ نغَـمٌ:

وَنَحْـوِيٍّ لَـهُ نَغَـمٌ

يَحَـارُ بِوَصْفِـهِ الذِّهْـنُ

فَيَـــا لِلَّـــهِ نَحْـــويّ
جميـعُ حديثـهِ لحـــنُ

ـ قصيـدة: إنْ تبـدُّوا أَوْ تَثنُّـوا:

إنْ تَبـدُّوا أَوْ تَثنُّـوا فبُـدورٌ في غُصـونِ
أو رَنـوْا ظَبْي كِنـاسِ أو سطـو ليـثَ عريـنِ
مزجوا الوصـل بهجـرِ لمنايـا ومُنـونِ
ولكـم بالهجـرِ أجـروا لعيـونِ مِـنْ عُيـوني
حُبُّهُـمْ رُوحي ورَاحِي وهـو دُنيـاي وديـني
أَنَـا لاَ أَسْمَـعُ عَـذْلاً فيهـمُ إنْ عذولـوني
الأمـاني خبَّرتـني براهـم عـنْ يقيـنِ
إنهـمْ عَـرَبٌ كـرامٌ في هواهـم يُنصفُـوني
كَـمْ أَضلُّـوني بِشَعْـرِ وَمَـدُوني بِجَبيـنِ

ـ مقطوعـة: لا تَعْتَقِـدُوا عِـذارُهُ الفَتَّـان:

لا تَعْتَقِـدُوا عِـذارُهُ الفَتَّـان
قَدْ وَشَّحَ وَرْدَ الخَدِّ بالرَّيحـان
ذا خالِقهُ قد خَطَّ في وجنتـه
لاماً كتبت بالقَلَـمِ الرَّيحـاني

ـ مقطوعـــة: تَمَــشَّى بِصَحْـــنِ الجامِـــعِ اليَـــوْمَ شـــادِنٌ:

تَمَشَّى بِصحْنِ الجامِعِ اليَوْمَ شادِنٌ

عَلَى قَدِّهِ أغصانُ بانِ النَّقا تُثْـــني

فَقُلْتُ وَقَد لاحتْ عليـــهِ حـــلاوةٌ

أَلا فانْظُروا هَذي الحَلاوَةَ في الصَّحْنِ

ـ مقطوعـــة: كَـــانَ بِعَيْنَيْـــنِ فَلمَّـــا طَـــغَى:

كَـــانَ بِعَيْنَيْـــنِ فَلمَّـــا طَـــغَى

بِسِحْـــرِهِ رُدّ إِلَى عَيْـــنِ

وذاكَ مِـــنْ لطـــفِ لعشاقـــهِ

مَـــا يَضْـــرِبُ الله بِسَيْفَيْـــنِ

ـ مقطوعـــة: لاَ طَـــلّ صَـــوْبَ الغَـــوادِي سَاحَـــتِي قَطْنـــا:

لاَ طَلّ صَوْبَ الغوادِي سَاحَتِي قَطْنا

وَلاَ رَعى الله مَنْ في أَرْضِها قطنا

ما أنصفوا الخضر الباني جارهم

لَمَّا أَرَادَ بِأَنْ يَنْقَضَّ حيـــنَ بَـــنَى

فاستطعما أهلها موسى وصاحبه

فلم يضيفوهما شيئاً فكيـــف لنـــا

هجاهم الله في القــرآن فاهجهــم

والعنهم الدَّهْرَ واشكرْ كل من لعنا

ـ مقطوعــة: مــا نــاحَ حمــامُ الأيْــكِ في الأغْضـــانِ:

ما ناحَ حمامُ الأيكِ في الأغضانِ[1]

إلاّ وتزايــدتْ بكُــم أشجــاني

عُوذُوا لِمُعَنًى هَجْرُكُــمْ أَسْقَمَــهُ

فالصَّبّ بِكمْ مُضنَى كئيبٌ عَــاني

ـ مقطوعــة: بَــدَوِيٌّ كَــمْ جَدَّلَــتْ مُقْلَتَــاهُ:

بَــدَوِيٌّ كَــمْ جَدَّلَــتْ مُقْلَتَــاهُ

عَاشِقاً في مقاتِــلِ الفُرْســانِ

ذو محيــاً يصيــحُ يا لِهِــلالٍ

ولِحــاظٍ تقُــول يــا لِسِنــانِ

[1] ((الأغضـان))؛ بالضـاد الموحـدة الفوقيـة. ويبـدو أن الشـاعر تعمـد وضعهـا هكـذا؛ لإبـراز قدراتـه اللغويـة، وميـلاً للغرابـة والغمـوض. وإلاّ لكـان مـن السهـل عليـه جعلهـا: "في الأغصـان": بالصـاد المهملـة؛ وربمـا أعطـت معنـى أوضـح وأجمـل. و((الأغضـان))؛ بالضـاد: مفردهـا: :الغِضَـان؛ وجمعهـا: غُضُـون؛ وليـس أغضـان كمـا ورد. وتعنـي: كل تجعـد، أو تثنـي.

ـ مقطوعـــة: يَــا مَــنْ إذَا وَعَــدَ الوِصَـــالَ لِمُغْــرَمٍ:

يَا مَنْ إذَا وَعَدَ الوِصَالَ لِمُغْرَمِ

يلوي ويقني موضعَ الهجرانِ

لا تظهرنَّ لي الــودادَ تكلُّفــاً

مَا الآلُ مِثْلُ المـــاءِ لِلظَمــآنِ

ـ مقطوعـــة: إنِّي لَــفِي كَنْــفِ مَــوْلّى جُــودُ راحَتِــهِ:

إنِّي لَفِي كَنْفِ مَوْلًى جُودُ راحَتِهِ

كَمْ رَاحَةٍ وَصَلَتْ مِنْهُ لإنْســانِ

ما أسكنتني بالمعروفِ منهُ يــدٌ

إلاّ وَسَرَّحَ تَسريحــا بإحســانِ

ـ دوبيــت: قاسَيْــتُ بِــكَ الغَــرامَ والوَجْــدَ سِنِيــنْ:

قاسَيْتُ بِكَ الغَرامَ والوَجْدَ[1] سِنِينْ

ما بينَ بُكــاءٍ وحنيــن وأنيــنْ[2]

أُرْضيكَ وَمَا[3] تَزْدادُ إلاَ غَضَبــاَ

اللهُ كَما أبْلَى بكَ القلْـــبَ يُعيــنْ

---

[1] في فـوات الوفيـات: ((والهجـر)).

[2] جاء هذا الشطر في فوات الوفيات هكذا: ((مـا بيـنَ بُكـاءٍ وأنيـنٍ وحنيـنْ))

[3] في فـوات الوفيـات: ((ولا)).

ـ مقطوعـــة: سَمَحْــت بَيْعــاً لِمَملُــوكٍ يُعانِــدُني:

سَمَحْتُ بَيْعــاً لِمَملُوكٍ يُعانِدُني

ولَوْ تَعَدَّى عِنَادِي ما تَعَــدَّاني

قَالُوا: أَيُنْسَبُ لِلْعِلاَنِ قُلْتَ لَهُمْ:

ما كُنْتُ بائِعَهُ لَوْ كَانَ عَلاَّني

ـ مقطوعـــة: حتّـــامَ يَلْــحَى عَلَيْــكَ مَـــنْ خَلَــتِ:

حتّامَ يَلْحَى عَلَيْكَ مَنْ خَلَــتِ

الأَحْشَاءُ مِنْهُ مِنْ لاَعِجِ الحُزْنِ

هَبْه أَطَال الملامَ فِيــكَ فهــلْ

يَدْخُلُ ما قَــالَ قــطُّ في أُذْنِي

كم جهْدَ مَا تفعلُ المَواشِطُ فَي

وجهِ قبيحٍ من آلـــةِ الحُسْــنِ

ـ قصيــدة: يَمينـــاً بِطيــبِ شَبَــابِ الزَّمـــانِ:

يَمينـــاً بِطيبِ شَبابِ الزَّمـــانِ

غَداة الشبابِ وَنَيْلِ الأمـــاني

وَبُرْدِ الشّبابِ وبَرْدِ الشـــرابِ

وَوَصْلِ الكِعَابِ وَظِلِّ الأمـــانِ

وَرُوحِ الجِنَانِ وَرَاحِ الدّنَــانِ

غَداة التَّعطُّفِ مِنْ خَيْــزُرانِ

وَمَا رَقّ مِنْ نَسَمــاتِ الصَّبّــا

وَمَا راق مِنْ نَغَماتِ المَثَــاني

وَكُلْ رَشــاً فاتِــر المُقْلَتَيْــنِ

تَكَوَّنَ بَدْراً عَلَى غِصْنِ بــانِ

أَلِيّــة بَــرٍّ قَشيــبِ العُـلَى

رحيبِ الفناءِ خصيبِ المَجَاني

أبيّ الأبــاءِ وَفيٍّ الوفــاءِ

سَنِيّ السَّنــاءِ مُبيــنِ البَيَــانِ

لأسعَى إلى المَجْدِ أسمو بِــهِ

عَلَى رَوْقِ عَزٍّ مَكِينِ المَكــانِ

ـ مقطوعــة: يــا طائــراً إذ طــاح الحمــامُ بــهِ:

يا طائراً إذ طاح الحمامُ بــهِ

هَيَّجْت للصبِّ يَوْمَ الحُزْنِ أَحْزَانَا

فَبات بالبانِ مَشْغُوفاً ولَيْس بهِ

شوقٍ إليه ولكن من حكى البانا

يا مُخْجِلَ الغُصنِ إذْ يَهتَزُّ ناعِمُهُ

لِيناً ويُوسِعُ مَنْ نَهْــواهُ إليانــا

لو لاك ما هاجتِ الورقاء لي فنناً

وَلاَ أَرِقْتُ لِظَبْيٍ بات وَسْنانـــا

وَرُبَّ لَيْلٍ صحِبْنا في دُجُنَّتِـــه

مِنَ الكواعب أقماراً وأغصانا

بِحَيْثُ نَلْثُم تُفَّاحَ الخُــدودِ على

بانِ القُدودِ ونَجْني مِنْهُ رُمَّانَـــا

بكلِّ صافٍ لدى صافٍ يريك على

لجينهِ مِنْ سقيطِ النَّورِ عقيانَـــا

ـ مقطوعــة: مِثْــلُ الغَــزالِ نَظْــرَةً وَلَفْتَــةً:

مِثْلُ الغَـــزالِ نَظْــرَةً وَلَفْتَــةً

مَنْ ذا رآهُ مقبــلاً ولا افْتَتَــنْ

أَحْسَنُ[1] خَلْقِ الله وجْهاً وفمــاً[2]

إنْ لَمْ يَكُنْ أَحقَّ بالحُسْنِ فَمَــنْ

في جسمهِ وصُدغه وشكلــهِ[3]

الماءُ والخُضرةُ والوجْهُ الحَسَنْ

---

[1] في فـوات الوفيـات: ((أعْـذبُ)).

[2] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات هكذا: ((أعْذَبُ خَلْق اللهِ ثَغْراً وَفَماً)).

[3] جاء هذا الشطر في فوات الوفيات هكذا: ((في ثَغْرِهِ وَخَدِّهِ وَشَكْلِهِ)). وهي أحسن. وفي الوافي بالوفيات: ((في ثغرهِ وَخَدِّهِ وَصُدْغِهِ)).

ـ مقطوعـــة: أعــزَّ اللهُ أنصـــارَ العُيــونِ:

أعــزَّ اللهُ أنصـــار العُيــونِ
وَخَلَّــدَ ملْكَ هَاتِيكَ الجُفُــونِ

وَضَاعَفَ بالفُتُور لَهَا اقْتِــدَاراً
وَجَدَّد نِعْمَةَ الحُسنِ المَصونِ[1]

وأبْــقَى دَوْلَة الأعْطَافِ فِينــَا
وَإنْ جَارَت على القَلْبِ[2] الطَّعِينِ

وأَسْبَغَ ظِلَّ ذَاكَ الشَّعْرِ مِنْــهُ[3]
عَلَى قَدٍّ بهِ هَيَــفُ الغُصــونِ

وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَايــا
وإن ثنَتِ الفُؤَادَ إلَى الشُّجــونِ[4]

فَكَمْ في الحُبّ مِنْ تِلْكَ المعاني
وإنْ جَعَلَتْ دُمُوعي كالمَعيــنِ

حَملتُ تَسهُّدي والشّيْبُ هَــذا
عَلَى رأسي وَذَاكَ على عُيُوني[5]

---

[1] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات هكذا: ((وَإنْ تَكُ أضْعَفَتْ عَقْلِي وَدِينِي)).
[2] في نص: ((قلبي)).
[3] في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات: ((يوماً)). وهو أسلم.
[4] في فوات الوفيات: ((شجون))؛ بدون الألف واللام.
[5] البيتان الأخيران لم يردا في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات.

ـ مقطوعــة: فَغَــدا كُـلُّ مُحــبٍّ في الهَــوَى:

فَغَدا كُلُّ مُحــبٍّ في الهَــوَى

ولهُ قلبٌ مِنَ الوجــدِ طعيــنُ

يا لَهُ مَعْرِكُ حَــرْبٍ عَجــب

كُسِرت فانتصرتْ فيهِ الجُفونُ

ـ مقطوعــة: يــا قمــراً رأيتــهُ في ماتــمٍ:

يــا قمــراً رأيتــهُ في ماتــمٍ

من حزنهِ شــقَّ على شقيقــهِ

لا تَلْطُمِ الخــدَّ عَلَيْــهِ أَسَفــاً

فَرُبَّمــا شَــقَّ عَــلى شَقِيقِــهِ

ـ مقطوعــة: يَــا مَــنْ غَــدَتِ القُلُــوبُ في طَــوْعِ يَدَيْــهْ:

يَا مَنْ غَدَتِ القُلُوبُ في طَوْعِ[1] يَدَيْهْ

ذا صبُّكَ كمْ تهدي تجنيكَ إليــهْ

عذلٌ وتَسْهيــدٌ[2] ووجــدٌ وقِــلَى

مَا تَمَّ عَلَى العُشّاقِ[3] مَا تَمَّ عَليهْ

[1] في فوات الوفيات: ((في حُكْم)).
[2] في نص: ((وتَسَهُّدٌ)).
[3] في فوات الوفيات: ((على الكلاب)).

ـ مقطوعـــة: يـــا رُبَّ عَطَّـــارٍ بِسُكَّـــرِ ثَغْـــرِهِ:

يا رُبَّ عَطَّـــارٍ بِسُكَّـــرِ ثَغْـــرِهِ

سَكِرَ المُحِبُّ ولَمْ يَفِقْ مِنْ سُكْرِهِ

عَقَدَ الشَّرَابَ لذِي السَّقَامِ وكَيْفَ ما

عَقَدَ الشَّراب لِجَفنِهِ مِنْ ثَغْـــرِهِ

ـ قصيـــدة: لَـــوْ رُمْـــت إبْقَـــاءَ الـــوِدَادِ بِحَالِـــهِ:

لَوْ رُمْت إبْقَاءَ الوِدَادِ بحَالِـــهِ

لَمْ تُغْرِ طَرْفَكَ بارْتِيَادِ نِيَالِـــهِ

أَمّا وقَدْ سلَّمْتَ نفسَكَ لِلْهَـــوَى

فأنتْ بما تلقاهُ مـــنْ أهوالِـــهِ

حَدَقُ الجَآذِرِ كُنَّ أَوَّلَ شَافِـــعٍ

للعقْلِ حتى فكَّ أســـرُ عقالِـــهِ

يا منْ يلومَ الصب في برحَائهِ

إبغِ السَّلامةَ لا بُليت بحالِـــهِ

مَنْ شُغْلُهُ بِالحُبّ عَنْ محبُوبِهِ

كيف الفراغُ لَـــهُ إلى عُذَّالِـــهِ

هُوَ ذَلِكَ القَمَرُ الذي القَمَرُ الذي

مُتَنَاقِصٌ بَدْرُ الدُّجَى لِكَمَالِـــهِ

لَوْ كُمْتَ أَمْلِكُ خــدَّهُ أَفْنَيْتُــهُ

باللثمِ أو أنبلت ورد جَمَالِــهِ

الحَرْبُ بَيْنَ عُهُودِهِ وَوَفَائِــهِ

كالسِّلْمِ بَيْنَ وُعُودِهِ وَمُطَالِــهِ

طَالَتْ مَسافَةُ هَجْرِهِ فَكَأَنَّهَــا

مِنْ لَيْلِ عَاشِقِهِ وَمِــن آمالِــهِ

داني المزار يروع قلبي صدّه

يَا قُرْبَ شُقَّتِهِ وَبُعْــدَ مَنَالِــهِ

كيْف الخَلاَصُ لِمَنْ تَقَسَّمَ قَلْبُهُ

ما بين بدرِ المُنحنى وغَزالــه

بالله يا ريح الشمــالِ رسالــةً

فسواكِ لم أركن إلى إرسالــهِ

قولي لتيَّاهِ الشمائلِ لــم يــزلْ

بيدي لنا مللاً بشرعِ مِطالــهِ

عان التعطُّفِ حين تبصر عانياً

وإذا ظفرت بوالهِ بــك والــهِ

يَجْنِي عَلَيَّ كَما جَنَى الأَثْمَارَ مَنْ

امَّ ابن يعقــوب على إقلالــه

لولا التقى وهو الذي وهب التقى

لَعَبدتُهُ وَعَبَدْتُ حُسْنَ خِلاَلِــهِ

وجْهٌ تَغارُ الشَّمْسُ مِنْهُ إِذَا بَدَا

وتودٌ لو طبعت على أمثالــهِ

متهلل القسمات يؤذن بالرِّضا

وجْهُ الكَريمِ يبِينُ عَنْ أَفْعَالــهِ

سَمَتِ العُلَى عِشْقاً لَهُ وَدَنَا لَهَا

متواضعاً فتمنعــت بوصالــهِ

إن رمت مجداً فاستدل بفعلــه

أَوْ رُمْت رُشْداً فاستَفِدْ بِمَقَالــهِ

أَوْ حَارَبَتْكَ صرُوفُ دَهْرِكَ فاستَتِرْ

بحماه منها واعتصمْ بحبالِــهِ

أَوْ شِئت تَلْقَى البَحْرَ عِنْدَ هِياجِهِ

فانْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْهُ يَوْمَ جِدَالِــهِ

يَدْرِي مَقَالَ الخصْمِ قَبْلَ سَماعِهِ

لكلامه فيجيبُ قبــلَ سؤالــهِ

لِمُحَمّدٍ في المَجْدَ مُعْجِزُ سُؤدَد

عَجِزَتْ بِهِ الأَيّامُ عَنْ أَمثَالِــهِ

بمبخلٍ في عرضهِ وذمامــهِ

سَمْحِ اليَدَيْنِ بِجَاهِــهِ وَبِمَالِــهِ

مغضٍ عن الفحشاء يشفع حلمُه

حِذْقُ الذكيِّ بِغَفْلَــةِ المُتَبَالِــهِ

وَيُمَارِسُ الدُّنْيَا بِهِمَّةِ مَنْ يَرى

أيامها – شرفاً – لوقعِ نصالهِ

أنى التفتُّ رأيتُ من إحسانِــهِ

أثراً مُشاهــدَة ومن إجمالــهِ

مَنْ مُقْتَــدٍ بِكَمَالِــهِ أَوْ مُهْتَــدٍ

بِجَلالِــه أَوْ مُجْتَــدٍ لِسُؤَالِــهِ

اللّيْثُ بَيْــنَ أَمَامِــهِ وَوَرَائِــهِ

والبَحْرُ بَيْنَ يَمِينِــهِ وَشِمَالِــهِ

أَعَطَى بَنِيهِ حُسْنَ سِيرتِهِ التي

عَنْ وَالِدَيْهِ فاعْجَــبْ لِفَعالِــهِ

شَهِدَتْ مَنَاقِبُ آلِه في مجْــدِهِ

معنى مناقب مجــدهِ في آلــهِ

مِنْ مَعْشَرٍ يُهْدَى الدَّلِيلُ بِنُورِهِمْ

وَيَضِلُّ رُشْداً عَنْ طَرِيقِ ضَلالَهِ

وإذَ استَعَنْت بِهِمْ علَى كَيْدِ العِدا

نهضوا بأبطالٍ على إبطالــهِ

جلسوا على الفلك المحيطِ ودُونَهُم

هذا الزمانُ بشمسهِ وهِلالــه

مِن كُلِّ مَنْ يَلْقَاكَ قَبلَ لِقَائِــهِ

ما شاء بل ما شئت من أفضَالهِ

تتأخرُ القُبُلاتُ عــن أقدامِــهِ

من هيبةٍ فتوءمٌ تــربَ نعالــهِ

مستغرق بالله يظهر بعضــهُ

للعالمينَ ظهور طيفِ خيالــهِ

لَوْلاَ مَهابتُهُ التي ثَنَتِ الــوَرَى

عَنْ قُرْبِهِ صلَّوا على أَذْيَالِــهِ

لا يعرف الفحشاء لا عن ركَّة

بل عن تكرمهِ وعن إهمالــهِ

أَغْنَاهُ عَنْ وَصْفِ الشَّجَاعَةِ نُبْلُهُ

لا عَاجِزٌ ما رَامَ في إهْمَالِــهِ

ولمن يحاربُ في الأنامِ بأسرهِمْ

عُتَقاءُ رأْفَتِهِ وبَعْــضُ عِيَالِــهِ

هيهات يبلغ وصفه مدح ولــو

أَفْنَى البَليغُ الجُهْدَ في أَفْعَالِــهِ

يا من لهم همم تفلٌّ شَبا الظُّبي

ظبةُ الحسامِ بحدِّه وصقالــهِ

خذ شهرك الآتي بهجةِ عالــمِ

بنهايــة الأقبــال في إقبالِــهِ

شهراً حويت ثوابه وحكيت ما

في حُسْنِ مَقْدَمِه وَشَيْهِ هِلالِــهِ

وقرنتـــهُ بالبـــرِّ في شعبانِـــهِ

وبه يكون الـــزّّادُ في شوّالِـــهِ

لو لم يؤمل عوده لـــك ثانيـــاً

لَمْ يَرْضَ مِنْكَ بِبَيْنِهِ وَزَوَالِـــهِ

خذ بنت ليلتها ومهّد عُذر مَن

لَمْ يَسْتَفِقْ لِلنَّظْمِ مِـــنْ أَشْغَالِـــهِ

مصفي الوداد يعدُّ بأسك قـــوةً

ويعدُّ ذكرك فرصة في فالِـــهِ

بصفاتك العُليا محطُّ رجائِـــهِ

وَبِبَابِكَ الأَعْلَى مَحَطُّ رِحَالِـــهِ

ـ قصيـــدة: هـــذا الـــذي أُحبُّـــهُ:

هـــذا الـــذي أُحبُّـــهُ قَـــاسٍ عَـــليَّ قَلْبُـــهُ

نَـــامَ وَلَـــمْ يَعْلَـــمْ بِمـــا بـــاتَ يُقـــاسي صبُّـــهُ

واعجبـــاً كم عـــاجَ بي دلالُـــهُ وعُجْبُـــهُ

آهـــاً لِمُضْـــنًى والـــه لـــمْ يـــدرِ كيـــف ذنبُـــهُ

ســـارَ بـــهِ ميمِّمـــاً مِـــنَ العَقيـــقِ سِرْبُـــهُ

إنْ لاحَ برقٌ ظـــلَّ يـــرْ جُـــو ايـــنْ يلُوحَ قُلبـــهُ

أَوْ أَسْعَـــدتْ أَوْ أَعْتَبَـــتْ سُعـــادُهُ وَعُتْبُـــهُ

قدْ بـــات ظمآنـــاً وَمَـــا سِـــوَى الدُّموعُ شُرْبُـــهُ

ما سَــارَ وهنــاً رَكبــهُ إلاّ وزّادَ ربُـــــهُ
بوالحمى ســقى الحِـمى عَــنْ كَثــبٍ وَكُثْبُـــهُ
غَيْثٌ غدتْ تَسْحَــبُ في أذيالهـــنَّ سُحبُـــهُ
مــن عِفّــتِي وَصَوْنُــه مِــنْ دونــه وَحُجْبُــهُ
في ثَغْــرِهِ ونَاظِــريـ ـــهِ عَذْبُــه عَضبُــهُ
فمــن بصــبٍّ دمعــه يَفيــضُ وجْـداً صَبُّــهُ
قُطّــع إربـــاً دُون أنْ يقــضي بوصل اربــهُ
يُحبُّ من أجــلِ الحبيـ ـــبِ كُلَّ مَــنْ يُحبُّــهُ
فقصـــدُهُ مُحمّـــدٌ وآلــــهُ وصحبُــــهُ

ـ قصيــدة: أَمَــلٌ سَعَيْــتُ أَجــدٌّ في إتْمَامِــهِ:

أَمَلٌ سَعَيْتُ أَجــدٌّ في إتْمَامِــهِ
فعلامَ حل الدهرُ عقدَ نظامـــهِ
وإلَى مَتى يَسْعَى الزّمانُ لَنَقْضِ مَا
أسعى بكلِّ الجهدِ في إبرامـــهِ
وإذا الفتى قَعدتْ قَوائِمُ حَظّـــهِ
قام الردى مِن خلفهِ وأمامـــهِ
دام الوزير ممتعــاً بخلــوده
فدوامُ تشييدِ العـــلى بدوامـــهِ

السعد في أبوابه والأمـــنُ في
إقليمهِ والـــرزق في أقلامـــهِ
والشمسُ مَنْ قسماتهِ والجود في
تَقْسيمِـــهِ والبـــرُّ في أَقْسامِـــهِ
والبأس في يقظاته والحلم في
غفلاته والعلمُ مـــلءُ كلامـــهِ
والصدق في أقواله والحق في
أفعالهِ والعـــدل في أحكامـــه
والله من حفائظه والنصر منْ
أعوانِهِ والدَّهْرُ مِـــنْ خُدَّامِـــهِ
مَلكتْ سَجيّتُه الجَميلَ بجيمـــهِ
وَبِميمِـــهِ وَبيائِـــهِ   وبلامِـــهِ
جاءَ الكِرامُ بِبَدْءِ جُودِهم وَقَـــدْ
جاءَ الوزيرُ بِبَدْئِـــهِ وَخِتَامِـــهِ
مُسْتَعْصِـــمٌ بالله في حَركاتِـــهِ
وسكونـــه وقعـــودهِ وقيامـــه
مغرى باعطاءِ المكارم حقها
في حال يقظته وحالِ منامـــه
ما بالُ حَظّي كُلَّمـــا قَدَّمتـــه
دفعته أيـــامي إلى إحجامـــهِ

أأُذَلُّ في أيامِ مَنْ قد كـــان لي

ظنٌّ بنيــلِ العــزِّ في أيامـــهِ

حاشا الرياسة والسيادة والندى

حاشا الذي عودتُ من انعامهِ

يا ابْنَ العُلَى وأبا العُلى وأخا العُلى

ومَنِ النُّجوم الزهُّرْ دُون مَقامِهِ

أيكون مِثْلي في الهَوَى مُتَظلّماً

يَشْكو الزّمانَ وأَنْتَ مِنْ حُكّامِهِ

أين المروؤة والقيام بحقٍّ من

ألقى إليــك ذمامــهُ بزمامـــه

لا تحقرنَّ صغير قومٍ ربمـــا

كبرت فضائله على أقوامـــه

تعس الشباب فما سعدت بشرخه

ولقد شقيت بظلمه وظلامـــه

أمكلفي ذنبَ الزمان وليس لي

ذَنْبٌ يُؤاخِذُني على إجْرَامِـــهِ

الرِّزْقُ أَحقَرُ أَنْ أُضيِّعَ مُدّتي

بالعذرِ عندَ سواكم وملامِـــهِ

ـ مقطوعــة: مليــحٌ كــأن الحســنَ أصبــحَ حاديــاً:

مليحٌ كأن الحسنَ أصبحَ حادياً

يَسُوقُ إِلَيْهِ كُلَّ صَبٍّ يَشُوقُــهُ

تَحَمَّلَ مِنْهُ الخصْرُ رِدْفاً يقلُّــه

وحملَ منه الصبٌّ ما لا يطيقهُ

وحكّمَ فيــهِ طَرْفَــهُ وقَوَامَــهُ

فَراشِقُه يُــودِي بِهِ وَرَشِيقُــهُ

ـ مقطوعــة: مَلِيــحٌ حكَــاهُ البَــدْرُ عِنْــدَ طُلُوعِــهِ:

مَلِيحٌ حكَاهُ البَدْرُ عِنْدَ طُلُوعِهِ

فلا سر أن يحكيه عند سراره

أَغَرٌّ غِرَارُ الجَفْنِ مِنْهُ إِذَا سَطا

جفا فيه جفنُ الصبٍّ طيبُ غرارهِ

أبيت ولي جفنٌ غريق بمائــهِ

عليهِ ولي قلبٌ حريقٌ بنــارهِ

ـ مقطوعــة: لَــوْ أنَّ مَــنْ أحَبَّــهُ:

لَــوْ أنَّ مَــنْ أحَبَّــهُ قَــرَّبَ مِــنِّي بَدَنَــهْ

قربــتُ شكــراً للإلــه ألــفَ ألــف بدنــــهْ

ـ قصيـدة: رَشِيـقُ القَامَـةِ النَّضِـرَهْ:

رَشِيـقُ القَامَـةِ النَّضِـرَهْ

لقَـدْ أصْمَيْـت بالنَظْـرَهْ[1]

وقـد سـوَّدت حـظّي مِنْـ

ـكَ يا أَبْهَى الـوَرَى غُـرَّهْ

سَـوَادُ الخـالِ المُقْـلَـ

ـةِ والعَـارِضِ والطُّـرَّهْ[2]

قَديـمَ الهَجْـرِ مَـنْ لِفـتًى

قَديـمٍ في الهَـوَى هِجْـرَهْ

فَكَـمْ تَلقـاهُ بالإبْعَـا

دِ والإيعـادِ والنَّفْـرَهْ

وَكَـمْ[3] يَشْكُـو وَلاَ تُطْـر

حُ في قُفَّتِـهِ كسـره

رَأَيْنَـا مَـنْ جَـنَى وَجَفـا

ولَكِـنْ زِنْت في كَـرَّهْ

---

[1] هذا البيت الذي أتى كمطلع للقصيدة هنا؛ لم يرد في الوافي بالوفيات. كما أن هذا الشطر ورد في ذلك المصدر هكذا: ((وقد سَوَّدَ حَظّي مِذْ ...)).

[2] جاء هذا البيت في الوافي بالوفيات هكذا:

((سَوَادُ الخَالِ وَالعَار ضِ وَالمُقْلَةِ وَالطرَّهْ)).

[3] في الوافي: ((ولا)).

فَقَــدْ أَصبَحْــتُ لا أَمْـلِــ

ــكُ من صبَــرِي وَلاَ ذَرَّهْ

وَقَــدْ صيَّــرَنِي هَجْـــرُ

كَ في...[1] أُخْــتِ ما أَكْــرَهْ

عَذِيــرِي فِيــهِ مِــنْ قَمَــرِ

يُرِيــكَ بِخــدِّهِ الزّهـــرَهْ

إذا قـــارَنَ بالأَكْـــؤ

س إذْ يَمْزِجُهـــا[2] ثَغْـــرَهْ

أَرَاكَ الذَّهَـــبَ المِصْـــرِ

يَّ فَــوْقَ الفِضَّـــةِ النُّقْــرَهْ

ـ قصيــدة: غَــادَرَني بِغَــدْرِهِ:

غَـــادَرَني بِغَـــدْرِهِ   عــلى هَجِيــرِ هَجْــرِهِ

غَــنِيّ حُسْــنٍ مــا رَثَى   لـــذي الهَــوى وفقــرِهِ

صـــبٌّ كئيــبٌ بحــرُهُ   مِــنْ ثغــرِهِ ونحــرِهِ

غــدا وحــظٌّ شعــرِهِ   فِيــهِ كَلَــوْنِ شَعْــرِهِ

أفــنى هَــواهُ صبــرهُ   لمَّــا نــآى بصـــدرِهِ

فَلَمْ يُحــرِّكْ في الهَــوَى   لِسانَـــهُ بِذكـــرِهِ

---

[1] كلمـة نابيـة.

[2] في الـوافي: ((يشربهـا)).

كَيْــف يَــذُوقُ عَاشِــقٌ   حَـــلاوةَ   في   صَبْــرِهِ
أَفْدِيهِ مِـــنْ غُصْـــنِ نَقَـــا   غُـــضٌّ القـــوامِ نَضْـــرِهِ
يَمِيـــــسُ في   مُلَـــوَّنٍ   مبتسمـــاً عَـــنْ ثغـــرِهِ
فاعجبْ لنـــورِ زَهْـــرِهِ   واعجبْ لنـــورِ زُهْـــرِهِ
يـــا عاشقـــونَ حـــاذروا[1]   مِـــنْ غـــدره ومكـــرِهِ
وَطَرْفِــهِ السَّاحِـــرِ مُـــذْ   شكَكْتُـــمُ في أمـــــرِهِ
يُرِيـــدُ أَنْ يُخْرِجَكُـــمْ   من أرضكـــمْ بسحـــرِهِ[2]

ـ **مقطوعـــة: جَرَحْـــت فُـــؤَادَ المُسْتَهَـــامِ فَـــدَاوِهِ:**

جَرَحْتَ فؤَادَ المُسْتَهَامِ فَــدَاوِهِ
وَمَاثِلْهُ في حِفْظِ الوِدَادِ وَسَاوِهِ
وأَوْصِ بِهِ ضَعْفَ الجُفُونِ فإنَّهُ
يُقاوِي من العُشاقِ مَنْ لَمْ يُقاوِهِ
غرِيبُ هَوى ً يَأْوِي إلى الوَجْدِ قَلْبُهُ
فأَنْزِلْهُ في مَغْنَى رِضَاكَ وآوِهِ
وَبِي مَبْسَمٌ أَلمى فُتِنْتُ بِمِيمِـــهِ
غراماً وصُدغٍ قدْ فُتِنتُ بواوِهِ

---

[1] هكذا.

[2] اقتبـاس مـن القـرآن الكريـم؛ إذ جـاء في قولـه تعـالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾. الآيـة: 35 مـن سـورة الشعراء.

ـ مقطوعـــة: لَعِبْـــتُ بالشَّطْرَنْـــجِ مَـــعَ شَـــادِنٍ:

لَعِبْتُ بالشَّطْرَنْجِ مَـــعَ شَــادِنٍ

رَشَاقَةُ الأَغْصانِ مِـــنْ قَـــدِّهِ

أَحُلُّ عَقْدَ البَنْدِ مِـــنْ خصْـــرِهِ

وأَلْثُمُ الشَّامَـــاتِ مِـــنْ خـــدِّهِ

ـ مقطوعـــة: بَعَـــثَ الكِتَـــابَ بِرُقْعَـــة مُحْمَّـــرَةٍ:

بَعَثَ الكِتَابَ بِرُقْعَة مُحْمَّـــرَةٍ

جاءَتَ تُهدِّدُنا بفـــرطِ جفائِـــهِ

فسَأَلْتُهَـــا عَنْـــهُ فَقَالَـــتْ إِنَّـــهُ

ذبَحَ الودَادَ فكنتُ بعض دِمَائِهِ

ـ مقطوعـــة: أسْـــرِعْ وسِـــرْ طالِـــبَ المَعَـــالي:

أسْـــرِعْ وسِـــرْ طالِبَ المَعالي

بكـــلِّ وادٍ وكـــلّ مَهمـــهْ

وإنْ لَـــحَى عَـــاذِلٌ جَهـــولٌ

فقلْ لهُ يا عـــذولُ مـــهْ مَـــهْ

ـ مقطوعــة: كَتَبْـتُ ولَــوْ أنّي مِــنَ الشَّــوْقِ قَــادِرٌ:

كَتَبْتُ ولَوْ أَنّي مِنَ الشَّوْقِ قَادِرٌ

لَسَارَعْتُ فيهِ نَحْوَ مَنْ أَنَا رِقُّــهُ

ولو أنني أسعى إلى ذلك الحمى

على الرَّأْسِ ما أَدَّيْتُ ما تَسْتَحِقُّهُ

ـ مقطوعــة: لَنَــا صَاحِــبٌ لا يَرْعَــوِي لِفَضِيلَــةٍ:

لَنَا صَاحِبٌ لا يَرْعَوِي لِفَضِيلَةٍ

فــلِيَ لــهُ عقــلٌ ولا لذويــهِ

أَلَسْتَ تَرَى مِنْ عُظْمِ ما هُوَ جَاهِلٌ

يُحبُّ أبا بكرٍ ويطعــنُ فيــهِ

ـ قصيــدة: مَــنْ لي بــهِ كالبــدرِ في إسفــارِهِ:

مَنْ لي بهِ كالبدرِ في إسفــارِهِ

نَفَرَ المُحِبُّ عَنِ الكَرَى بِنِفــارِهِ

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو جَنَّــةً بِمُحَمَّــدٍ

واليَوْمَ أَخْشَى في الهَوَى مِنْ نَارِهِ

يا نجمُ بل يا بدرُ يا شمسُ بَــلْ

كُــلٌ أَراهُ يَلُــوح مِــنْ أَزْرَارِهِ

ما في صُدودِكَ رحمـــةٌ لمتيَّـم

إلا احتمالكَ عَنْــهُ مِــنْ أوزارِهِ

فارفقْ بهِ واحذر فديتــكَ أهلَــهُ

في الحُبِّ أَنْ يتطلَّبــوكَ بِثـــارِهِ

وافى هواك فلمْ يزلْ عَنْ قَلبِــهِ

جلَدٌ وزَالَ الصَّونُ عنْ أسرارِهِ

هيهات يطمَعُ في لِقاكَ ودُونَــهُ

خَطْرُ القَنَا الميَّادِ مِنْ خُطَّــارِهِ

حاشاهُ يا أملَ النُّفوسِ بأنْ يُرى

مُتعدياً في الحُــبِّ عــنْ مِقــدارِهِ

ـ مقطوعــة: يــا ثَغْــرَهُ المَحْــمِيَّ مِنْــه بِنَابِــلٍ:

يا ثَغْرَهُ المَحْمِيَّ مِنْــه بِنَابِــلٍ

من طرفه وبسائفٍ من خـــدّهِ

وبمترف منْ صدغهِ وبناصرٍ

من خاله وبعامــل من قـــدهِ

أرْفُقْ بِمَا فَعَلَ الغَرامُ فقَدْ أَتَى

حظُّ العــذار موقعــاً في ردهِ

ــ مقطوعــة (أ): الصــبٌّ بحبِّــهِ عليــهِ ولَــهُ:

الصــبٌّ بحبِّــهِ عليــهِ ولَــهُ

والعاذلُ في هَواكَ ما لي ولَهُ

إيضاحُ غَرَامِــهِ لَــهُ تَكْمِلَــهُ

إن كانَ مفصَّل الهوى مُجمَلَهُ

ــ مقطوعــة (ب): يــا مَــنْ أمــرُ الغــرام والقلــبُ لَــهُ:

يا مَنْ أمرُ الغرام والقلبُ لَــهُ

قَدْ أَسْقَمَ جِسْمِي في هَواهُ ولَهُ

كَمْ يَعْذِلني اللاَّئِمُ فيــهِ سَفَهــاً

اللائمُ في هواكَ مــالِي ولَــهُ

ــ مقطوعــة (جــ): قــد أصبــح آخــر الهــوى أولــه[1]:

قــد أصبح آخر الهوى أولــه

فالعاذل في هواك ما لي ولــه

بالله عليــك خــلّ ما أولــه

وارْحَمْ دنفاً حَشْوُ حشاهُ ولَــهُ

---

[1] هذه المقطوعات الثلاث: (أ ـ ب ـ ج) قريبة من بعضها. لعل يداً أدخلت عليها تلك التغييرات.

ـ مقطوعـــة: حَيٍّ غَـزالاً سَــلَّ مِـــنْ أجْفَانِـــهِ:

حَيِّ غَزالاً سَلَّ مِـــنْ أَجْفَانِـــهِ

غَضْباً غَدا يَقْتُلُ في أَجْفَانِـــهِ

فالسحرُ ما استنبطَ منْ لحَاظِهِ

والدُّرُّ ما ساتودعَ في مرجانِهِ

كمْ بتُّ أجني من جنى خـــدِّه

ورداً نما فوق غصون بانِـــهِ

حَيْثُ أَسُوغُ العَذْبَ مِنْ مَرْشفِهِ

وأرشفُ الواضحَ منْ جُمانِـــهِ

منازلاً كنـــتُ بهـــا مُصرِّفـــاً

أعنَّةَ اللَّهـــو لَـــدَى ميدانـــه

فيا رَعَى الله زَماناً قَدْ مَضى

والعَيْش مَنْسُوبٌ لِذِي زَمَانِـــهِ

ـ مقطوعـــة: قَمَـــرٌ رَأَيـــتُ الكَـــوْنَ ضَـــاءَ بِبِشْـــرِهِ:

قَمَرٌ رَأَيتُ الكَوْنَ ضَاءَ بِبِشْرِهِ

لَمَّا سَرَى حُسْناً وَضَاعَ بِنَشْرِهِ

ظَبْيٌ وَمَا لِلظَّبْي لَفْتَـــة يَـــدِهِ

غُصْنٌ وَمَا لِلغُصْنِ دِقَّةُ خصْرِهِ

يبدو اعتدال قوامه في مثلــه

وتبينُ صحةُ جفنه في كسرهِ

ـ مقطوعــة: ظَــبْيٌ لَــهُ في كُــلِّ قَلْــبٍ هَــوىً:

ظَبْيٌ لَهُ في كُلِّ قَلْــبٍ هَــوًى

قَــدْ حَكَــمَ اللــه بِتَخْلِيــدِهِ

قلده الحســنَ الــذي يشتــهي

وهــذه نسخـــــةُ تقليـــــدهِ

ـ قصيــدة: مــا لامــهُ عليكُــمُ عذولــهُ:

مــا لامــهُ عليكُــمُ عذولــهُ

إلا وزادَ نحوكــمْ عُذُولُــه

مغرَى الفؤادِ صبُّه عاني الحشا

أَسيرُه مُضْنَى الهَوى عَلِيلُــه

قد أوقعــت عُيونُــه فــؤادُهُ

في عَثْرَةٍ فَمَــنْ لَــهُ يُقِيلُــهُ

وافى بشوقٍ نحوكــم مديــدهُ

سَرِيعُ وجْــدٍ فيكُــمُ طَوِيلُــهُ

فَمَا الذي يُضيرُ قُدْس وَصْلِكُمْ

أن الذي هَــامَ بكــمْ خليلُــهُ

واعجبا والقلبُ يشكو وحشــةً

إليكـــمْ وأنتـــمُ حلُولُـــــهُ

وَبِي رَشِيقُ القَــد لا يَعْطِفُــه

تعطُّــفٌ نحــوي ولا يُميلُــهُ

لا واخــذ الله بدمــعي خــدَّه

فَهُــو الــذي أَسَالَــهُ أَسيلُــهُ

فَلِلْقَنَــا ولِلنقَّــا قَوامُــهُ

ولِلظُّــبَى ولِلظِّبَـا كَحيلُـهُ

عجبتُ مِنــهُ إذ بــدا جَمَالُــهُ

لِنَاظِري كَيْف اختَفى جَمِيلُــهُ

إنْ ناظروا ناظِرهُ في قَتْلَتي

يَقُــومُ مِــنْ دَلالِــهِ دَلِيلُــهُ

ـ قصيــدة: لي مــن هــواكَ بعيــدهُ وقريبُــهُ:

لي من هواكَ بعيدهُ وقريبُــهُ

ولَكَ الجمالَ بديعُه وغَريبــهُ

يا مَنْ أُعيذُ جَمالــهُ بجلالــهِ

حَذراً عليه من العُيونِ تُصيبهُ

إنْ لم تكن عيني فإنَّكَ نُورها

أَوْ لَمْ تَكُنْ قَلْبي فأَنْت حَبيبُــهُ

هل حُرمةٌ أو رحمةٌ لمُتيَّـــم[1]

قَدْ قَلَّ فِيكَ[2] نَصِيرُهُ ونَصِيبُــــهُ

ألِف القَصَائِدَ في هَوَاكَ تَغزُّلاً

حتى كأنَّ بكَ النَّسيبَ نسيبــــهُ

هَبْ لي فؤاداً بِالغَرَامِ تُشِيُّــــهُ

واستبق فوداً بالصدود تُشيبُهُ[3]

لَمْ يَبْق لِي سِرٌّ أقُولُ تُذِيعُـــهُ[4]

عنِّي ولا قلبٌ أقــولُ تُذيبُــهُ

كم ليلـــة قضيتهـــا متسهِّـــداً

والدَّمْعُ يَجْرَحُ مُقلَتي مَسْكُوبُهُ

والنَّجمُ أقربُ من لقاكَ منالُـــهُ

عِنْدِي وأبْعَدُ مِنْ رِضَاكَ مَغِيبُهُ

والجَوٌّ قَدْ رَقَّتْ عليَّ عُيُونُـــهُ[5]

وجُفونُــــهُ وشمالُـــه وجَنُوبُـــهُ

هي مقلةٌ سهمُ الفراقِ يُصيبها

ويَسِحُّ وابِلُ دَمْعِها فَيَصُوبُـــهُ

---

[1] في النجوم الزاهرة: ((هل رحمـة أو حُرمـةٌ لمُتيّم)).
[2] نفسه: ((منـك)).
[3] سقط هذا البيت في النجوم الزاهرة.
[4] في النجوم الزاهرة: ((لـم تبق لي سـراً أقـول تذيعـه)).
[5] نفسه: ((عليّ شمالـه)).

وجوى تَضرَّمَ جَمْرُهُ لَوْلا نَدَى

قاضِي القُضاةِ قَضى عَليَّ لَهِيبُهُ

ـ مقطوعـــة: ولَمَّـــا التَقَيْنَـــا لِلْـوَدَاعِ ولِلْجَــوَى:

ولَمَّا التَقَيْنا لِلْوَداعِ وَلِلْجَــوَى

بقلبي سكونٌ طالَ منهُ خفوقهُ

لَثمْتُ ثَنايـــاهُ وَقَبَّلْــتُ فَرْقَــهُ

وقدْ جدَّ وجدٌ بالفؤادِ يشوقــهُ

فقدْ راقني يومَ الوداعِ وراعنـي

بحسنٍ وحزنٍ فرقه وفريقـــه

ـ مقطوعـــة: هَيْهَـــاتَ أَنْ يَسْخُــو ولَــوْ بِسَلاَمِـــهِ:

هَيْهَاتَ أَنْ يَسْخُو ولَوْ بِسَلاَمِهِ

من لم يزل للحربِ لابس لامهِ

متعرضٌ للعاشقيـــن بلحظـــهِ

نظر الكمي إلى محط سهامهِ

قَمَرٌ جَنَيْتُ الوَرْدَ أَوَّلَ بَدْئِـــهِ

وَجَنَى عَليّ الوَجْدُ عِنْدَ تَمَامِهِ

وألفتهُ مذ كان يألــف مهــدهُ

ورضعتُ ثديَ هواهُ قبلَ فطامه

تسْديدُ أمري سدَّ فيــه بلثمــةٍ

وَقِوَامُ حَالِي ضَمَّ غُصْنَ قَوامِهِ

ومتيمٌ ذهب الغــرامُ بحلمــهِ

وجنت صبابته على أحلامــهِ

أَخَذَ الهَوَى بِيَمِينِــهِ وَشِمَالِــهِ

واغْتَالَهُ مِنْ خَلْفِــهِ وأَمَامِــهِ

ـ مقطوعــة: مــا إن رأى روحي تحــنُّ لقربــهِ:

ما إن رأى روحي تحنُّ لقربهِ

حتى تعجل بالبعــادِ فراقهــا

تالله ما نظرت عيوني مذ نأى

أبداً سواهُ مِنَ الأنــامِ فَراقَهــا

ـ مقطوعــة: خُــذُوا خَبَــراً عَــنْ نَظْــمِ دَمْــعِي وَنَثْــرِهِ:

خُذُوا خبَراً عَنْ نَظْمِ دَمْعِي وَنَثْرِهِ

عنِ الحبِّ يُنبيكُم بغامِضِ سِرِّهِ

وَلاَ تَسْأَلُوا عَمَّنْ هَوَيْتُ فَإِنَّني

أَغَارُ عَلَيْهِ أَنْ أَبُــوحَ بِذِكْــرِهِ

وإنْ رُمْتُمُ وَصْفِي بَدِيعَ جَمَالِهِ

فأيسرُ ما فيهِ الجمالُ بأســرِهِ

مليحٌ جلا لِي ضوء بدرٍ كمالهُ

ولَكِنْ أَرَانِي يَوْمَ بَدْرٍ بِهَجْــرِهِ

أَمِيرُ جَمالٍ ما انْتَضَى سَيْف ناظرٍ

على عاشِقٍ إلاَّ وقام بنصــرِهِ

غزالٌ غزا قلبي بفاتِرِ طَرْفِــهِ

وأَحْرَقَ أَحْشَائِي بِبَارِدِ ثَغْــرِهِ

وَقَدْ كَانَ عَهْدِي الدُّرُّ في البَحْرِ قَبْلَما

رأيتُ رضاباً مِنهُ يجري بدرِّهِ

ـ مقطوعــة: يــا مُمْــرِضَ جِسْمِــهِ ويــا مُتلِفَــهُ[1]:

يا مُمْرِض جِسْمِهِ ويا مُتلِفَــهُ

كم تتلفهُ هجــراً ولا تنصفُــهُ

رِقُّوا لِمُتَيَّــمٍ بكم حِلــف أسَى

في حبِّكُــم المنامُ لا يعرفُــهُ

---

[1] جاءت هذه المقطوعة في فوات الوفيات هكذا:

يا مُمْرِضَ جِسْمِ وصبه بالتيه أوردت فؤاده بحار التيه

لا يطلب مضنى مغرم فيه سوى إبلاغ حويجة له في فيه

ـ مقطوعـــة: ومـــا اســـمٌ بـــلا جســـمٍ وتُمْسِكُـــه يـــدٌ:

وما اسمٌ بلا جسمٍ وتُمْسِكُه يدٌ

وأَحقَرُ شَيْءٍ فيهِ أَشْرَفُ ما فيهِ

يُقابِلُهُ بالكَسْرِ مَنْ رَامَ جَبْـــرَهُ

وَيُضْعِفُه بالضَّرْبِ حِينَ يُقوِّيهِ

ـ مقطوعـــة: أشَـــدُّ الهَـــوَى العُـــذْرِيّ عِنْـــدِي ألَـــذُّهُ:

أشَدُّ الهَوَى العُذْرِيّ عِنْدِي ألَذُّهُ

ووقدُ الهوى سهلٌ لديَّ ووَقذُهُ

وقفتُ بطرفي والدُّموعُ تُذيبهُ

أُشاهدُ قَلْبي والغَـــرَامُ يَجُـــذُّهُ

وَذِي قَامَة كالرُّمْحِ ثُقِّفَ قَـــدُّهُ

لهُ ناظرٌ كالسيفِ أُحكِمَ شحذُهُ

يُنَابِذُ في حَرْبِ الهَوَى بِصُدُودِهِ

وأسرعُ شيءٍ في المواعيدِ نبذُهُ

تَفَرَّدْتُ حُبّاً مُذْ تَفرَّد في الهَوَى

جَمالاً كِلانَا واحِدُ الدَّهْرِ فَـــذُّهُ

سَقَتْ رَبْعَهُ وَطْفَاءُ رَخْوٌ مِلاطُها

تَجُودُ بِهِ طُوراً وَطَوْراً تَـــرذُّهُ

ـ مقطوعـــة: غَنيــتُ بالمحبــوبِ عمَّـــا يُشتـــهَى:

غنيتُ بالمحبوبِ عمَّا يُشتهى

والدَّهرُ قد آمنني مِنْ نزْغِــهِ

فَخَمْـــــرهُ وَوَرْدُهُ وآســـــهُ

مِنْ ريقِــهِ وَخــدِّهِ وَصُدْغِــهِ

ـ مقطوعـــة: وَشَــادِنٍ يَسلُــب العُقُــولَ وَلا:

وَشَادِنٍ يَسلُــب العُقُــولَ وَلا

يُمْهِلُهَا فِي الهَــوَى فَيُهْمِلُهـــا

تَغْزِلُ ألحاظُه وكَــمْ فَتَكَــتْ

في القلبِ مَنْ راقَــهُ تأمُّلُهَـــا

جَديدةُ السِّحْرِ لم تَــزَل أبــداً

حَديثُها في الهَــوَى ومَنْزَلُهـــا

ـ مقطوعـــة: غَنينَـــا بِـــه عَـــن كُــلِّ لَهْــوِ ولَــذَّةِ:

غَنينَا بِه عَن كُلِّ لَهْــوِ ولَــذَّةِ

وَقَدْ كَمُلَتْ أَوْصَافهُ وَنعُوتُـــهُ

فَمَنْ صدَّ عَنَّا حَسْبهُ الصَّدُّ والقِلَى

ومن فاتنا يكفيه أنـــا نفوتُـــهُ

ـ مقطوعـــة: جَفْـــنِي بِكُـــمْ مَنَامُـــهُ طَلَّقَـــهُ:

جَفْـــنِي بِكُـــمْ مَنَامُـــهُ طَلَّقَـــهُ
كم أرفو فؤاداً هجركمْ مزقـــهُ

يا من هجروا طرفي محبوه كرًى
بالله عَسَى الخيالُ أَنْ يَطْرُقَـــهُ

ـ مقطوعـــة: يـــا ذا الـــذّي صَـــدَّ عَـــنْ مُحِـــبٍّ:

يا ذا الذّي صَدَّ عَـــنْ مُحِـــبٍّ
بـــه أَذَابَ الغَـــرامُ قَلْبَـــهْ[1]

مَالكَ في الهَجرِ مِـــنْ دَلِيـــلِ
لَكِـنْ هـــذا عُلـــوُّ قُبَّـــهْ

ـ مقطوعـــة: لَـــمْ يُبْـــقِ في قَلْـــبِ عَاشِـــقٍ رَمَقـــاً:

لَمْ يُبْقِ في قَلْبِ عَاشِقٍ رَمَقـــاً
لمـــا بـــدا والعيـــونُ ترمقـــهُ

وَكَان عَزْمِي عَنِ السُّلـــوِّ إِذَا
عنفـــني العاذلـــون يوثقـــهُ

[1] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات هكذا: ((أَذَابَ فيـه الغَرامُ قلبَـهْ)).

وَكَيْفَ يَسْلُوه مُغْـرَمٌ دَنِـفٌ

يَرى جَميعَ الوُجـودِ يَعْشَقُـهُ

ـ مقطوعـة: أَتـراهُ لَمَّـا جَـارَ في أَخْلاَقِـهِ:

أَتراهُ لَمَّا جَـارَ في أَخْلاَقِـهِ

عَلِمَ الذي يجري على مُشْتَاقِهِ

ظَبِيٌ يَزِيدُ على الظَّبَى في فَتْكِها

وَعَلَى هِلاَلِ الأُفْقِ في إِشْرَاقِهِ

كَمْ حَيّ صَبٌّ مُغْرَمٍ في حُبِّـهِ

ومحبةُ قد مـات في أشواقِـهِ

أَسر القُلوبَ بأسْرِها في حُبّـهِ

فـالله يحفظُـهُ عَلَى عُشَّاقِـهِ

ـ مقطوعـة: كـم قلـتُ مُغالطـاً لـكي أسألَـهُ:

كم قلتُ مُغالطاً لـكي أسألَـهُ

بِالله دَمُ المُحِـبِّ مَـنْ حَلَّلَـهُ

قتلي لكَ بالصُّدودِ من سبَّلَـهُ

مَنْ يَعذِلني عَلَيْكَ فالسَّبٌّ لَـهُ

ـ مقطوعـــة: قُلْـــتُ وَقَـــدْ أَقْبَـــلَ يَسْـــعَى بِهـــا:

قُلْتُ وَقَدْ أَقْبَـــلَ يَسْـــعَى بِهـــا

صَفْرَاءَ تَحْكي فِعْـــلَ عَيْنَيْـــهْ

إنْ قِستَهُ بالشَّمْسِ في حُسْنِـــهِ

فالشَّمْـــسُ في قَبْضَـــةِ كَفَّيْـــهْ

ـ مقطوعـــة: قَلَـــقٌ يَحـــنٌ إلى الأُجيْـــرِعِ قَلْبـــهُ:

قَلقٌ يَحنٌ إلى الأُجيْرِعِ قَلْبـــهُ

وَتَشُوقهُ مِنْ حُبّـــه هَضبَاتُـــهُ

أخفى الهوى فخفاهُ دمعُ جفونهِ

والحبُّ تظهـــر ســـرهُ آياتـــهُ

صبٌّ يجنٌ بحيٍّ أهـــلِ ودادِهِ

ويلـــذُّ فيهـــم حيفـــه ومماتـــهُ

ما قَيْسُ قَيْسٌ في الغرامِ بِهِ وَلاَ

عبرتْ بطرفِ كثيرِ عبراتـــهُ

ـ مقطوعـــة: خَـــطُّ العِـــذَارِ إنْ بَـــدَا:

خطُّ العِـــذَارِ إنْ بَـــدَا أَسْعَـــدُ مِنْـــهُ حَظُّـــهُ

مِنْ بَـــدْرِ تَـــمٍّ زَاهِـــرٍ يَسْبِي العُقُولَ لَحْظُـــهُ

لَمَّا جَلاَ الحُسْنَ حَـــلاَ مرشَفُـــهُ وَلَفْظُـــهُ

لاَمَ عَلَيْــهِ عَــاذِلِي فَلَمْ يَرُقْ لِي وَعْظُــهُ

ـ مقطوعــة: كَــمْ شَمْــلُ صَبْــرٍ هَجْرُكُــمْ فَرَّقَــهْ:

كَمْ شَمْلُ صَبْرٍ هَجْرُكُمْ فَرَّقَــهْ

وناظــرٍ بعدكــمُ أرقـــــهْ

فكم رنا طرفُ عليــلٍ بكــمْ

وكمْ تركتــمْ مهجــةً شيقــهْ

طوراً تجودونَ بوصـــلٍ أرى

أيامهُ مــنْ قربكــمْ مشرقــهْ

وَتَارَةً تُبْــدُونَ هَجْــراً فَيَــا

وأيُّ حَشَى نَحوكُمُ سيِّقَهْ

نشفتموني في هواكــمْ وقدْ

أخذتمــوا رأسي في جردقــهْ

ـ قصيــدة: لاَ وَلِيــنِ المَعَاطِــفِ المَيَّالَــهْ:

لاَ وَلِينِ المَعَاطِــفِ المَيَّالَــهْ

وحبيبٍ حَكى الهلالُ جمالَــهْ

ليس هتكُ المُحبِّ في الحبّ عاراً

حِينَ تَرْنُو اللواحِــظُ القتَّالَــهْ

وبروحي ظبيٌ أطاعَ فـؤادي

وجْدَهُ فِيهِ إذْ عَـصَى عُذَّالَـهْ

قَمَـرٌ زادَهُ العِـذَارُ جَمـالاً

فلهذا أمسى بـهِ بـدر هالـهْ

صنمٌ ناطقٌ هُـداي غـرامي

في هواهُ والعذْلُ عندي ظِلالَه

عبـد النَّـاسُ خالَـهُ فأتتـهُ

أنبياءٌ من صُدغِـهِ برسالـهْ

إن رنا مِنـهُ طرفُـه فغـزالٌ

أو بدا منـهُ وجْهُـهُ فغزالَـهْ

قالَ لمَّا دَنَا الرّحيلُ وفاضـتْ

مِن جُفوني سَوَابِقُ الدَّمْعِ، مَاله؟

أرتـراهُ بِمَـا ألاقيـهِ غـرٌّ

أَمْ دَرَى مـا أَجنُّـه وَتَبالَـهْ

ـ مقطوعـة: دَمْـعٌ تَنَاثَـرَ عِقْـدُهُ:

دَمْـعٌ تَنَاثَـر عِقْـدُهُ وَهَـوَىً تَحكَّـم عَقْـدُهُ

يا للهـوى من معـرضٍ يصلُ التَّعتُّـب صـدُّهُ

لَـوْلاَ مُدامَـة رِيقِـهِ مـا مَـالَ سُكْـراً قَـدُّهُ

ثغـرٌ يبـاحُ شهيـدُهُ فَعـلامَ يُحْـمَى شهـدُهُ

لَمْ يَكْسِنِي بُــرْد الضَّنَــا وأَبِيــكَ إلاَّ بَــرْدُهُ

إِنِي لأشكو في الهــوى[1] مــا راح يفعــلُ خــدُّهُ

ما كان يعرف ما الجفــا حَــتَّى تَفَتَّــحَ وَرْدُهُ

ـ مقطوعــة: فدتــكَ نُفــوسٌ قــدْ حَــلا بــكَ حَالُهــا:

فدتكَ نفوسٌ قدْ حَلا بكَ حَالُها

وأَضْحَى صحِيحاً في هَواكَ اعْتِلاَلُها

مَلَكْت قُلوبَ العَاشِقِينَ بِطَلْعَــةٍ

يروقُ جميعَ الناظرين جَمالُها

وَزَادَ بِكَ الحُسْنُ البَدِيعُ نَضارةً

كأنكَ في وجهِ الملاحة خالُها

سَلَبْت فُؤادَ الصَّبِّ مِنكَ بِقَامةٍ

حَكَى الغُصْنَ مِنْها مَيْلَها واعْتِدَالَها

فصِلْ مُغرماً حمَّلْتَهُ منكَ في الهَوَى

بَلابِلِ وجدٍ لا يُطاقُ احتِمالُهــا

---

[1] هـذان البيتـان الأخيـران وردا لوحدهمـا في شـذرات الذهـب.

ـ قصيـــدة: يـــا دَهْــرُ قَـــدْ سَمَـــحَ الحَبِيـــبُ بِقُرْبِـــهِ:

يا دَهْرُ قَدْ سَمَحَ الحَبِيبُ بِقُرْبِهِ
بَعْدَ النَّوَى وأَمِنْتُ عَتْبَ مُحبِّهِ

تاللهِ لا آخَذْتُ صَرْفَكَ بَعْدَمَـــا
صَرِف البُعَادُ ولا جَنَحْتُ لعَتْبِهِ

أبدى النوى غدراً فأبدى الملتقى
إحْسَانَ صَفْحِي عَنْ إسَاءَةِ ذَنْبِهِ

بتنا وكـــلٌ يشتـــكي لرفيقـــه
بَعْضَ الَّذِي فَعَلَ الهَوَى في قَلْبِهِ

لَفْظٌ يَرِقُّ كما تَـــرِقُّ مُدامَـــة
أم بخلق زين الدين رق لصحبه

ذو غرةٍ ود الزمانُ لو انـــه
يجلو بنيرهـــا دجنـــة خطبـــه

وَمَنَاقِبٌ عُلْوِيَّـــةٌ لمـــا بَـــدَت
فرح الظلامك وظنها من شهبه

مَوْلاَيَ دَعْوَةَ مَنْ لَوْ اقْتَرَحَ المُنَى
وما كان إلا أنت غايـــة إربـــه

وافى إلى حفظ الوداد فوفـــه
وَدَعَا يُرجِّي العَهْدَ مِنْكَ فَلَبِّـــهِ

ــ مقطوعــة: سَــلاَمُ مَشْــوقٍ مُغْــرَمِ القَلْــبِ صَبِّــهِ:

سَلاَمُ مَشُوقٍ مُغْرَمِ القَلْبِ صَبِّهِ

إلى حرم القدس الشريف فقربه

سلام محب كلما هب طــارقٌ

مِنَ الرِّيحِ يَلْقَى نَشْرَكُمْ في مَهَبِّهِ

تَذَكَّرَكُمْ والشَّوْقُ يَجْرِي بِدَمْعِهِ

على خده والوجد يسري بقلبه

لقد كان يرجو أن يبث اشتياقه

شِفَاهَاً فَلَمْ يَقْــدِرْ فَبَــثَّ بِلِبِّــهِ

وقد كان يهديه من النجمِ نُورُهُ

فَمُذْ غابَ عَنْهُ ضَلَّ ما بَيْنَ صحْبِهِ

ــ مقطوعــة: سكــنَ الزِّيــادَة وهــو بــدرٌ كامِــلٌ:

سكنَ الزِّيادَة وهو بدرٌ كامِلٌ

يَسبْي عُقُولَ العَاشِقِينَ بِحِرْصِهِ

كَمُلتْ محَاسِنُه بِخطٍّ عِــذَارِهِ

وَبِهِ الأمانُ لِحُسْنِه مِنْ نَقْصِهِ

ـ قصيـدة: مَـنْ لي بِـهِ رَقٌ مُعَـنَّى فِيـه رَوْنَقُـهُ:

مَنْ لي بِهِ رَقٌ مُعَنَّى فِيه رَوْنَقُهُ

ما كان أكملهُ لو صحَّ موثقـهُ

لدنُ القوامِ حلتْ ألفاظهُ فسبى

قلبي ممنطقهُ الزاهي ومنطقهُ

استنظرُ الدهر يغفو عن ممانعتي

فِيهِ كأنّي مِنَ الأيّـامِ أَسْرِقُـهُ

يا حُسْنَهُ أنْت تَدْرِي فَرْطَ جَفْوَتِـهِ

فَلِمْ أَمَرْت قُلُوبَ النّاسِ تَعْشَقُهُ

بالله يا راقدَ الأجفانِ رِفْعْ على

ذي ناظرٍ لم يزَلْ هَمٌ يُؤرّقُـهُ

مجددُ مطل ميعادي ومخلفـهُ

مُجَرِّدُ ثَوْبَ سُلْوَاني ومُخْلِقُـهُ

ما ضنَّ بالدمعِ يوم البينِ فيكَ فهلْ

إنْ ظَنَّ مِنْكَ له وَصْلاً تُحَقِّقُـهُ

يا آخذ القلب أردده على جسدي

أَوْ حَاذِرْ الله فيهِ أَنْ تُحرِّقَـهُ

لا أَشْتَكِي مِنْكَ في وجْدٍ تَخُصُّ بِهِ

يا رَبِّ قَدْ ضَاعَ قَلْبِي في مَحَبَّتِهِ

فإن لي بعضُ صبرٍ أستعينُ بهِ
ترفوهُ كفٌّ التأسي إذا تمزقُــه
ما بَيْنَ غَدْرٍ وعُذْرٍ لي الفِقُهُ

ـ مقطوعــة: يــالله، يــا ذا النُّفُــورِ رِقَّ عَــلَى:

يالله، يا ذا النُّفُورِ رِقَّ عَــلَى
مُغرى الحشا في هَواكَ مُضناها
وعامـــل الله في مواصلـــتي
ما خـــابَ عَبْـــدٌ يُعَامِــلُ الله

ـ مقطوعــة: قَامَــتْ حُرُوبُ الزَّهْــرِ مــا:

قَامَتْ حُرُوبُ الزَّهْرِ مــا بين الرِّياضِ السُّنْدُسيَّــهْ
وأتتْ جُيوشُ الآسِ تَــغْــ ــزو روضةَ الورد الجنيَّهْ
لكِنَّهــا كُسِــرَتْ لأنَّ الــوردَ شوطَتُــهُ قويَّــهْ

ـ مقطوعــة: لا تطلُبَــنَّ القُــوت مِــنْ مَعْشَــرٍ:

لا تطلُبَنَّ القُــوت مِنْ مَعْشَــرٍ
ما عندهُم لطــفٌ ولا رحمــهْ
مَنْ لَيْس في لُحْمهُــمُ فَضْلَــةٌ
فَلَيْــسَ في فَضْلِهِــمُ لَحْمَــهْ

ـ مقطوعـــة: يـــا مُـــدَّعٍ أَنَّ الغَـــرامَ بِقَلْبِـــهِ:

يا مُـــدَّعٍ أَنَّ الغَـــرامَ بِقَلْبِـــهِ
أَفْـــنَى تَجلُّـــدَهُ وَطَـــارَ بِلبِّـــهِ

مَنْ كَانَ في دَعْوَى المحَبَّة صَادِقاً
أَخفَى الحَبيبَ وَلَنْ يَبُوحَ بِحبِّه

أيروم وصل محجبٍ من دونه
بِيضٌ تُسَـــلُّ بأَسْوَدٍ مِنْ هُدْبِـــهِ

هِيهات مُتْ كَمداً بِمَا قَدْ ضَـــمَّ
منكَ الحشا واخفِ الهوى أو ذع بهِ

ـ قصيـــدة: مَـــا شِئْـــتَ مِـــنْ عِـــبْءِ الغَـــرَامِ وَحَمْلِـــهِ:

مَا شِئْـــتَ مِنْ عِبْءِ الغَرَامِ وحَمْلِهِ
دَعْ عَنْكَ وَبْلاً لا يَقُومُ بِطلِّـــهِ

يا مُسعدي في حمل أثقالِ الهوى
مُتَجَمِّلاً تَبْغِي مَعُونَةَ حَمْلِـــهِ

هَوِّنْ عَلَيْكَ مِنَ التَّكَلُّفِ واسْتَرِحْ
لَيْسَ الفَقِيدُ كَمَنْ يَنُوحُ بجُعْلِـــهِ

يا من له سوق الجمال يدلـــه
في حب معشوق الفؤاد بد لـــهِ

مُتَحَكِّمٌ أَعْطَاهُ مُلْكَ جَوانِـــحِي

مَلِكُ الجمـــالِ أَقَلّـــهُ وأجلّـــه

يا بدر رق لذي ودادٍ صـــادقٍ

لم تبله الأشجان لو لـــم تُبلـــهِ

فبِمَاءِ حُسْنٍ قَدْ عَزَزْتَ بِصَوْنِهِ

وبماءِ دمعٍ قد ذلـــلت بمذلـــهِ

جد لي بعيشٍ بالرضا منكَ انقضى

وإذَا اسْتَحَالَ بِعَيْنِـــهِ فَبِمِثْلِـــهِ

قَدْ كُنْتُ أَشْكُو مِنْ صُدُودِكَ بَعْضَهُ

فَالآنَ كَيْفَ وقَدْ بُلِيـــتُ بِكُلِّـــه

يا موقف البين الذي قد كان لي

علماً بنارِكِ الهوى من قبلـــهِ

كم ليلـــة قضيتهـــا بشكايـــةٍ

أخذت على ليلي مجامع سبلهِ

مُتَنَصِّلاً مِنْ ذا الزَّمَانِ وَجَوْرِهِ

مُتَوَصِّلاً لابْنِ الأثير وَعَدْلِـــهِ

حَتَّى نَفَى ظُلْمَ الضَّلال بِشَمْسِهِ

عَنِّي وَحَرَّ الحَادِثَـــاتِ بِظِلِّـــهِ

عَرِّفْ بِهِ الشَّرفُ المُنِيفُ بِبابِهِ

لتكون جئت بجنسه وبفضلِـــهِ

الْمُحْسِنِينَ لِمَنْ أَسَـــاءَ زَمَانُـــهُ
وتغرَّبتْ أَوْطَانُهُ عَـــنْ أَهْلِـــهِ

في الفرع ما في أصلهِ وزيادة
كالغُصْنِ خُصَّ بِما جَنَى مِنْ أَكْلِهِ

والسهم يرسله الذي يرمي به
فإذا أَصَابَ رَمِيَّـــةً فَبِنَصْلِـــهِ

ـ مقطوعـــة: أَمْـــسَى الفُـــؤَادُ عَـــلَى تَلهُّـــبِ جَمْـــرِهِ:

أَمْسَى الفُؤَادُ عَلَى تَلهُّبِ جَمْرِهِ
كَلِفاً بِمَنْ فَتَنَ الأَنَامَ بِسِحْـــرِهِ

قَمَرٌ غَنِيتُ بِرِيقِهِ عَنْ قَرْقَـــفٍ
وكذا غَنِيتُ بنوره عن بـــدره

أَفْنَى الفُؤادُ بِحُسْنِـــهِ وَجَمَالِـــهِ
فالعَاشِقُونَ بِأَسْرِهِمْ في أَسْـــرِهِ

فَكَأَنَّ ضَوْءَ الصُّبْحِ نُورُ جَبِينِهِ
وَكَأَنَّ ظُلْمَةَ لَيْلِهِ مِنْ شَعْـــرِهِ

ـ قصيـــدة: مَـــتَى يَعْطِـــفُ الجـــانِي وَتُقْـــضَى وَعُـــودُهُ:

مَتَى يَعْطِفُ الجانِي وَتُقْضى وَعُودُهُ
فَقَدْ طَالَ منهُ هَجرُهُ وصُدودُهُ

أُشدُّ نِفَاراً مِنْ مَنَامي عَطْفُــهُ

وأكذبُ من طيف الخيال وُعُودُهُ

هلالٌ بعيدُ النَّيلِ من ذا يرومُه

وَمَرْعَى خصيبُ الرَّوْضِ مَنْ ذَا يَرُودُهُ

يَسُلُّ سُيُوف اللَّحْظِ مِنْهُ فَبِيضُهُ

إِذَا رَامَ فَتْكاً في المُحبِّينَ سُودُهُ

إِذَا أَسَرَتْ صَبّاً سَلاَسِلُ شَعْرِهِ

فَذَاكَ الذي ما أنْ تُفَكَّ قُيُــودُهُ

يَسُوقُ إلى قَلْبِي الضَّنَا ويقُودُهُ

ويطردُ عن جفني الكَرَى ويذُودُهُ

يريني قضيب البان منهُ نهوضُهُ

ويحكي كثيبَ الرَّملِ منهُ قُعُودهُ

وإن جئتُ أبغي وصلهُ زادَ صدَّهُ

كأني من هجرانِــهِ استزيــدُهُ

كأنا قسمنا نصف شعبان بيننا

علَى حُكْمِ ما يُرْضِي الهوَى ويُرِيدُهُ

حلاوتُهُ في ثغــرِهِ وكَلامِــهِ

ونيرانُهُ في مُهْجَتِي ووَقِيــدُهُ

ـ مقطوعـــة: مالِـــكٌ قَـــدْ أَحَـــلَّ قَتْـــلِي بِرُمْـــحِ القَـــدِّ:

مالِكٌ قَدْ أَحَلَّ قَتْلِي بِرُمْحِ الــ

ــقدِّ مِنْهُ وراحَ قلبي طعينــهْ

ليس يفتي سواهُ في قتلِ صبٍّ

كيف يفتي ومالكٌ في المدينهْ[1]

ـ مقطوعـــة: لَـــوْ رَقَّ فُـــؤادُه عـــلى مُغْرَمِـــهْ:

لَوْ رَقَّ فُــؤادُه على مُغْرَمِــهْ

ما ضنَّ بنظمِ الدُّرِّ مِنْ مبسمهْ

ما قصدي لثمه ولكن غرضي

إبلاغ حويجة لــه في فمــهْ

ـ قصيـــدة: أَأَخَـــافُ صَـــرْفَ الدَّهْـــرِ أَمْ حِدْثَانِـــهِ:

أَأَخَافُ صَرْفَ الدَّهرِ أَمْ حِدْثَانِهِ

والدَّهرُ للمنصورِ بعضُ عبيدِهِ

مَلِكٌ نَـــداهُ فَكَّـــنِي وانْتَشَـــانِي

مِنْ مِخلَبيهِ وَمِنْ أَسَارِ قُيُـــودِهِ

---

[1] المأثور هو: ((لا يفتى ومالك في المدينة)). قالوا هذا؛ في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ حين قال: "يُوشِكُ أَنْ يَضْرِبَ النَّاسُ أَكْبَادَ الْإِبِلِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَلَا يَجِدُونَ عَالِمًا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ". رواه الترميذي. وقد رأى كثير من أئمة المسلمين؛ أن المقصود هو الإمام مالك.

مَلِكٌ إذا حَدَّثْــت عَنْ إحْسانِــهِ

حَدَّثْت عَنْ مُبْدِي النَّدَى وَمُعيدِهِ

سَادَ المُلُوكَ بِفَضْلِــهِ وَبِنَفْسِــهِ

والغُــرَّ مِنْ آبائِــهِ وجــدُودِهِ

وإذا ترنَّمتِ الــرُّواةُ بمدحــهِ

وثنائه اهتزَّتْ معاطف جوده

لأَبِي المَعَالِي رَاحَةٌ وَكَّافَــةٌ

كالغيثِ يومَ بروقِهِ ورُعُــودِهِ

صبٌّ بتحصيلِ الثَّناءِ وجمعهِ

كَلِفٌ بِبَــذْلِ المَالِ أَوْ تَبْدِيــدِهِ

مَا زَالَ يَشْمُلُ حَاسِدِيهِ نَوالُــهُ

حَتَّى أقرَّ بِهِ لِسَــانُ حَسُــودِهِ

سَلْ عَفْوَهُ وحُسَامُهُ في غِمــدِهِ

وحذارِ ثُمَّ حَذارِ من تجــرِيدِهِ

يَغْشَى الوَغَى مُتَلَفِّعاً بِرِدَائِــهِ

ويَخُوضُهَا متسربلاً بحديــدِهِ

فَتَرَى الشُّجَاعَ يَفِرُّ مِنْهُ مَهَابَةً

والموتُ بينَ لُهاتِــهِ ووريــدِهِ

يَتَقَهقَرُ الجَيْش اللهام مَخَافَــةً

مِنْهُ إذَا وَافَى أَمَــامَ جُنُــودِهِ

وَتَعُودُ مُخْفقةَ الرَّجَاءِ عِدَاتُــهُ

وقلوبهَــا خفاقــةٌ كبنُــودِهِ

في مَعْرَكٍ إنْ كُسِّرت فيهِ القَنَا

وَصلَ الحُسامُ رُكُوعَهُ بِسُجُودِهِ

جَارَى الغَمَامَ فَفَاتَــهُ بِنَوَالــِهِ

كَرماً وَفاق كَثيــرَهُ بِزَهِيــدِهِ

والدِّينُ أَثَّلــهُ وشَــادَ منــارَهُ

حين اعتنى بحقوقِهِ وحُــدودِهِ

والملكُ لمْ ينفكّ يُعملُ عزمَــهُ

في نصرِ ظاهرهِ ونُصحِ سعيده

إنَّ المنَايا والأماني لمْ تَــزلْ

طَوْعاً لسَابقِ وَعْدِهِ ووَعِيــدِهِ

وأَرَى الحيَاةَ لَذيذَةً بِحيَاتِــهِ

وأرى الوجودَ مشرَّفاً بوجودهِ

هَاجَرْتُ نَحْوَ مُحَمدٍ لَمَّا رَأَيْـــ

ــتُ العَالَمَ العُلْوِيَّ في تأْييــدِهِ

ــتُ العَالَمَ العُلْوِيَّ في تأْييــدِهِ

وَنَظَمْتُ دُرَّ مَدائِحِي في جِيدِهِ

وَنَظَرْتُ نُور جَلالِهِ وَوَرَدْتُ بَحْـ

ــر نَوالِهِ ولبستُ وشي بُرُودِهِ

وَمَلأْتُ عَيْنِي مِنْ مَحَاسِنِه التي

ملأتْ عُيونَ عَدُوِّهِ وحَسُــودِهِ

وَجَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَجلٍّ زَمَانِهِ

قدراً وواحدِ عصرهِ وفريــدِهِ

وأَفَدْتُ سَمْعِي مِنْ فُكَاهَةِ مُمْتِع

الألفَاظِ مَقْبُولِ الكَــلاَمِ مُفِيــدِهِ

فصدرتُ عنْ صدقاتِ مشكورِ النَدَى

والجُودِ مَشْكُورِ الفِعَالِ حَمِيدِهِ

فلو أنني خُيِّرتُ منْ دهري المُنى

لاختَرْتُ طُولَ بَقَائِهِ وَخُلُــودِهِ

يا آلَ أيوبِ جزيتم صالحــاً

عَنْ مُحسِنٍ مَدْحِ المُلُوكِ مُجيدِهِ

ونعمتمُ ما أفترَّ عن ثغرِ الضُّحى

صُبْحٌ وَما فَضَحَ الدُّجَى بِعَمُودِهِ

يا أيها الملكُ الذي حَازَ العُلى

فثنى عِنانَ الفكرِ عن تحديــدِهِ

أَمّا الزَّمانُ فأَنْت دُرَّةُ عِقْــدِهِ

وسنانُ صعدتِهِ وبيتُ قصيــدِهِ

والشِّعْرُ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَهتَزُّ عِنْــ

ــدَ سَماعِهِ ويَمِيلُ عِنْدَ نَشيدِهِ

فاسلمْ لِمُلكٍ بل لمجدِ أنـــت في

تأْسِيسِـــهِ واللـــه في تأْيِيـــدِهِ

ـ مقطوعـــة: يَشْكُـــو إلَيْــكَ مُتيَّـــمٌ:

يَشْكُـــو إلَيْـــكَ مُتيَّـــمٌ صـــبٌّ جفـــاهُ هُجُوعُـــهُ

يَعْصِي العَذُولَ على هَوَى بِـــكَ لا يَـــزَالُ يُطِيعُـــهُ

يكفيـــكَ من ألم الجـــوَى مـــا ضُمِّنَتْـــهُ ضُلُوعُـــهُ

إنْ لمْ تـــرقّ لَـــهُ فَقَـــدْ رقَّـــتْ عليـــهِ دُمُوعُـــهُ

ـ قصيـــدة: تَداركْـــهُ قَبْـــلَ البَيْـــنِ فَالْيَـــومَ عَهْـــدُهُ:

تَداركْهُ قَبْلَ البَيْنِ فاليَومَ عَهْدُهُ

وجُدْ معهُ بالدَّمْعِ فالدَّمعُ جُهدُهُ

له كلَّ يومٍ في الوداعِ مواقفٌ

يذوبُ لَهَا رخْوُ الجمادِ وصلدُهُ

خليلي من بان المصلى ورنده

سُقي بالحيا بانُ المُصلَّى ورَنْدُهُ

علام رَمَتْ قلبي هُناك ظِباؤهُ

وقد كُنْتُ قدماً تتّقيـــني أُســـدُهُ

بُلِيتُ بحظٍّ كُلَّما رُمْتُ مَقْصِداً

يساق من جانب الدَّهر ضـــدُّهُ

أَجِيرَاننا إنَّا وإنْ بَرَّح الهَــوَى

وعزَّ علينا بعدُ من طال بعدُهُ

لنأسو جراحاتِ الهوى بتعلُّــلٍ

يُشَارُ بِأَطْرَافِ الأَمَانِي شُهْــدُهُ

يَلَذّ بِكُمْ سَهْلُ الغَرَامِ وَصَعْبُــهُ

وَيَحْلو بِكُمْ هَزْلُ العِتَابِ وجِدُّهُ

تعالوا تعيدُ الوصلَ نحنُ وأنتمُ

فلا رأي مِنَّا عِنْدَ من دامَ صَدُّهُ

ولا تفتحُوا للعتب بابٌ فرُبَّمـــا

يعزُّعليكم بعـــد ذلـــك سَـــدُّهُ

وَمُنْتَقِـــمٍ منِّي وَذَنْـــبِي عِنْـــدَهُ

مَقَالِي: وهَذا الحُرُّ قلبي عَبْدُهُ

ولو كان لي عقلٌ كتمت فإنَّمَا

بِلُبِّ الفتَى يُدْرَى ويُدْرَكُ رُشْدُهُ

سَكِرْتُ بِأَقْدَاحٍ وَعَيْنَاهُ خَمْرُها

وهمتُ ببستانٍ وخـــدَّاهُ وَرْدُهُ

رَعَى الله لَيْلاً زَارني فيهِ والدُّجَى

يكتِّمـــه لـــولا تضـــوُّعُ نـــدُّهُ

وَقَدْ نَظَمْتُ صَدْرِي عِناقاً وَصَدْرَهُ

عُقُودَ الرِّضَا حَتَّى تَنَاثَر عِقْـــدُهُ

فَقَابَلْتُ وجْهاً مُجْتَلَى العَيْنِ بَدْرُهُ

وَقَبَّلْتُ ثَغْراً مُشْتَهَى النَّفْسِ بَرْدُهُ

ترقرق درُّ الدَّمعِ من متنِ لحظهِ

فَحَقَّقتُ أَنّ السَّيْف فيـــهِ فَرْنْدُهُ

فَما بَالُهُ مِنْ بَعْدِ عُرْفٍ تنكَّرت

خَلائقُـــهُ حَتَّى تَغَيَّـــر عَهــدُهُ

كَذَاكَ رأَيْتُ الدَّهْرَ إنْ يَصفُ مَنْهلاً

تَكَدَّرَ مِنْ حَوْضِ الحَوَادِثِ ورْدُهُ

أقولُ لقلبي والغــرام يقــوده

وسيف التجنّي والتمنّي يقــدُّه

لك الله دع قول الأماني وخلّهِ

فَمَا كُلُّ مَقْدُوحٍ يُرَى لَكَ زِنْدُه

إذا لم تدم للرُّوحِ والجسمِ صُحْبة

فأيٌّ حبيـــبٍ دائـــمٌ لـــك وُدُّهُ

سأسري وجنحُ اللَّيلِ يسطو ظلامُهُ

وأَسْعَى وقَلْبُ الشَّمْسِ يلْفَحُ وَقْدُه

أُعنِّي على نَيْلِ العُلَى إنَّني بِهَا

أخو كَلَفٍ لا شيء عنها يصُدُّه

أَرُومُ بِعَزْمِي فَوْق ما دُونَ نَيْلِهِ

لِوَاءُ المَنَايَا خَافِقُ الظِّلِّ بَنْـــدُهُ

وما شرفي إلا بنفسي وإن يكن
لقومي فخارٌ طاول النَّجم مجدُهُ
ولَوْ كَانَ تَحْصِيلُ الفَخَارِ بِنِسْبَةٍ
تساوى إذاً حَدُّ الحُسام وغمدُهُ
ولا ذنب لي إلاَّ الكمال على الصِّبا
فَمَنْ لِي بِعَيْبٍ أَوْ بِشَيْبٍ يردُّه

ـ مقطوعـة: المُغْـرَمُ مَـنْ ذِكْراكُـم يُقْلِقُـهْ:

المُغْرَمُ مـنْ ذِكْراكُـم يُقْلِقُـهْ
والعاني منْ أشواقكمْ تحرقـهْ
والعاني منْ أشواقكمْ تحرقـهْ
والعاشقُ فيـكَ بلـة تخنقـهْ

ـ مقطوعـة: مـا للحشيـش فضـل عنـد آكلهـا:

ما لِلْحَشِيشة فضل عنـد آكِلِهـا
لَكِنَّـهُ غير مصروفٍ إلى رُشْدِهِ
صَفْراءُ في وجْهِهِ خضْرَاءُ في فَمِهِ
حَمْرَاءُ في عَيْنيه سَوداءُ في كَبِدِهِ[1]

---

[1] جاء هذا البيت في شذرات الذهب هكذا:
((حمراء في عينه خضراء في يده * صفراء في وجهه سوداء في كبده)).

ـ مقطوعــةُ: يَــا رُبَّ أحْــوَى أحْــوَرٍ لَــمْ يَــزَلْ:

يَا رُبَّ أحْوَى أحْــوَرٍ لَمْ يَــزَلْ

يَعْطِفُنِي الحُــبُّ عَلى عِطْفِــهِ

كأنَّ رَوْضَ النَّيْرَبَيْــنِ انْثَنَــتْ

تَرْوِي كَمالَ الحُسْنِ عَنْ وَصْفِهِ

مَنْ عايَــنَ الدَّهْشَــةَ في وجْهِهِ

دَرَى بِأنَّ السَّهْــمَ مِنْ طَرْفِــهِ

ـ مقطوعــةُ: لَــوْ كُنْــتَ فينــا وَلِهــاً مُغْرَمــاً:

لَوْ كُنْــتَ فينا وَلِهــاً مُغْرَمــاً

شُغِلْتَ بالحُبِّ عَنِ الشَّكْــوَى

حَتَّى تَرَى أيْسَرَ مــا نَلْتَــقِي

أَعْظَمَ ما تَحْكِي مِنَ البَلْــوَى

ما عزَّ صبٌّ قطٌّ في صبــوةٍ

إلاَّ إذَا ذَلَّ لِمَــنْ يَهْــوَى

ـ مقطوعــةُ: لَنَــا سكْــرَةٌ مِــنْ خَمْــرِ مُقْلَتِــكَ النَّشْــوَى:

لَنَا سَكْرَةٌ مِنْ خَمْرِ مُقْلَتِكَ النَّشْوَى

تحوذُ على ضعفِ العُقولِ فلا تقوى

بها العقلُ معقولٌ وحَالي تحوَّلــتْ
وماَلَكَ مِنْ مَنٍّ فسـل لَــهُ سلَــوى

ـ **مقطوعــة: مَــا بَيْــنْ هَجْــرِكَ والنَّــوَى:**

مــا بَيْــنْ هَجْــرِكَ والنَّــوَى
قَدْ ذُبْتُ فِيــكَ مِــنَ الجَــوَى
يَــا فَاتِــني بِمَعَاطِـــفٍ
سَجَدَتْ لَهَا قُضُــبُ اللِّــوَى[1]
وحَيَــاةِ وجْهِــكَ لا سَــلاَ
عَنْـكَ المُحِــبٌّ وَلاَ نَــوَى
يــا مَــنْ حَــكَى بقوامِــهِ
قَــدَّ القضيــبِ مُــذ[2] الْتَــوى[3]
مــا أَنْــت عِنْــدِي والقَضيــ
ـــبُ اللَّـــدْنُ في حــدٍّ سِــوَى[4]

---

[1] سقط هذا البيت في فوات الوفيات.
[2] في شذرات الذهب: ((إذا)).
[3] جاء في شذرات الذهب ـ بعد هذا البيت مباشرة ـ بيت كما يلي:
((مــاذا أثـرت على القلـو * ب مـن الصبابـة والجوى)).
[4] جاء هذا البيت في فوات الوفيات، وشذرات الذهب هكذا:
((ما أنْـتَ عِنْدِي والقضيـ بَ اللَّدْنَ في حـالٍ سَوَا)).

هــــذاك حركـــــه الهــوا

ءُ وأنـــت حرَّكْــت الهَــوَى[1]

ـ مقطوعـــة: لــمْ أنســهُ لمَّـــا أتى مُقبــلاً:

لــمْ أنســهُ لمَّـــا أتى مُقبــلاً[2]

أَوْلاَنِي الوَصْلَ وَمَــا أَلْــوَى

وقعتُ بالرَّشــفِ على ثغــرِهِ

وقعَ المساطيلِ على الحَلْــوَى[3]

ـ مقطوعـــة: رأى رُضابــاً عَــنْ تسليّــه:

رأى رُضاباً عَنْ تَسلِّــيـــــــهِ أُولو العِشْــقِ سَلَــوْ

مــا ذاقَــــهُ وَشَاقَــــهُ هذا وَمَــا وكَيْــف وَلَــوْ

ـ مقطوعـــة: قـــامَ يســـعى ليـــلاً بكـــأْسِ الحُميَّـــا:

قامَ يسعى ليلاً بكأْسِ الحُميَّـــا

شادِنٌ أَحْوَرَ جَميــلُ المُحَيَّـــا

---

[1] جاء هذا البيت في شذرات الذهب هكذا:
((هذاك حركه النسيـــــم وأنت حركت الهوى)).

[2] جاء هذا الشطر في الوافي بالوفيات، وفوات الوفيات هكذا:
((لَمْ أنْسَ لَمَّا زَارَنِي مُقْبِلاً))؛ والآخر أسلم.

[3] في الوافي بالوفيات: ((حَلْوَى))؛ بدون ألف ولام.

بَدْرُ عِزّ في كَفِّهِ شَمْــسُ رَاح
نُقِّطَــتْ مِنْ حَبابِهَــا بالثُّرَيَّــا
ملكَ القلبَ مِنهُ ظُرفٌ وَطَرفٌ
وضعيفــانِ يغلبــان قويّــا

ــ مقطوعــة: يَــا قَلْــبُ صَبْــراً لِنَــارِ:

يَــا قَلْــبُ صَبْــراً لِنَــارِ كَوَتْــكَ في الحُبِّ كَيَّــا
هَيْهَــات تَأْمَــنُ مِنْهَــا وأنــت طالــبُ دُنيَــا

ــ مقطوعــة: جَــلاَ ثَغْــراً وَأَطْلَــعَ لي ثَنَايَــا:

جَــلاَ ثَغراً وَأَطْلَعَ لي ثَنَايَــا
يَسُوقُ إلى المُحبِّ بِهَا المَنَايَــا
وأَنْشَدَ ثَغْرُهُ يَبْــغِي افْتِخَــارا
أنا ابنُ جــلا وطلاَّع الثَّنَايــا

ــ مقطوعــة: وَمُسْتَتِــرٍ مِــنْ سَنَــا وَجْهِــهِ:

وَمُسْتَتِــرٍ مِنْ سَنَــا وجْهِــهِ
بشمسٍ لَهَا ذلكَ الصُّــدغُ فيْ
كَوَى القَلْبَ مِنْي بِــلاَمِ العِــذَا
رِ فَعَرَّفَــني أَنَّهــا لامُ كَيْ

ـ مقطوعــة: وخمــريٌّ الخُــدودِ يُريــدُ بُعــدي:

وخمريٌّ الخُدودِ يُريــدُ بُعــدي

وقلبي بالصُّــدودِ كــواهُ كيًّــا

فَقَالَ الوَجْدُ يا نَــارُ استَزِيــدي

وَقَال الشَّــوْقُ للأَجْفَــانِ هَيَّــا

* * *

محمد بن عبد الحق

ابن سليمان اليعرفي الكومي، ويقال البطوي، (ابو عبد الله)[1]

كان فقيهاً، وحافظاً، ومتكلماً، وراوية محصلاً. له براعة في العلوم، وتفنن في الخط الجميل؛ وهو قويم الضبط سليم النظر؛ عُرِف بحسن الخلق، وأناقة الملبس، وطيب النفس؛ له حظوة لدى الأمراء والسلاطين؛ وولي قضاء تلمسان مرتين. قال عنه ابن الأبار: **((دخل الأندلس؛ وولي قضاء بلده؛ وكان حميد السيرة؛ مشاركاً في الفقه، وعلم الكلام، معتنياً بالحديث وروايته؛ معظماً عند الخاصة والعامة))**[2]. وله مصنفات عديدة؛ منها: "المختار في الجمع بين المنتقى والإستذكار قال عنه ابن الأبار أنه في عشرين سفراً، وتتراوح عدد ورقاته نحو ثلاثة آلاف ورقة. و"كتاب في غريب الموطَّأ"، "التسلّي عن الرزيَّة والتحلّي برضا باري البريَّة"، و"نظم العقود في رقم الحلل والبرود"، و"الفيصل الجازم في

---

[1] له ترجمة في التكملة لكتاب الصلة، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

[2] التكملة لكتاب الصلة، ج: 2، ص: 623.

فضيلة العلم والعالم". كما صنف ـ في علوم القرآن ـ كتابين؛ هما: "الإقناع في كيفية الإسماع"، و"فرقان الفرقان وميزان القرآن. ولد **أبو عبد الله بتلمسان** سنة 536هـ أو 537هـ/1142م؛ أي في زمن احتلالها من قبل الموحدين. وتوفي بها عام 625هـ/1227م. عن سن تجاوزت الثمانين. ومن شيوخه: والده أبو محمد، ثم عمران التليدي، وأبو بكر بن عصفور، وأبو بكر اللقنتي، وأبو الحسن جابر بن محمد، وأبو الحسن ابن أبي قنون، وأبو علي الحسن بن الخراز. كما صحب الوليين الزاهدين: أبا مدين شعيب بن الحسين، وأبا عبد الله محمد بن محيو الهوري؛ وقد تلقى منهم علماً غزيراً، وزهداً فائضاً، وورعاً صادقاً؛ أخذ عنهم بفاس ومراكش وسبتة وإشبيلية. ومما وصل إلى الآن من نظمه؛ هذان البيتان؛ شملت عدد حديث البخاري:

جَميعُ أحاديثِ الصَّحيحِ الذي رَوَى
البَخارِيُّ خَمْسَة وسَبْعون في العَدِّ
وسَبْعَة آلافٍ تُضافُ وما بَقي
إلى مائَتَيْنِ عَدَّ ذاكَ أولُو الجِدِّ

***

محمد بن عبد الله
ابن داود بن خطاب الغافقي[1]، (ابو بكر).

أديب وكاتب من أئمة الأدب والكتابة. وهو من أصول نبيلة في **مرسية** بشرق **الأندلس**. انتصب أخوه **أبو بكر عزيز** والياً على تلك المدينة سنة 636هـ/1238م؛ ولكنه خُلِعَ وقُتِل في ثورة قام بها العامة؛ فخرج أخوه **محمد** هذا لاجئاً إلى **تلمسان**؛ التي استوطنها واستقر بها نهائياً إلى يوم وفاته. من شيوخه: أبو بكر بن جهور، وأبو بكر بن محرز، وأبو بكر الغافقي، وأبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن الرفاء. وأبو عيسى محمد بن محمد ابن أبي السداد، وأبو المطرق بن عميرة، وآخرون؛ كما أجازه أبو الربيع بن سالم. ذكره **أحمد بن الزبير** في كتاب **صلة الصلة**؛ فوصفه بالكاتب البارع والشاعر المجيد. وقال أن له مشاركة في علوم عديدة ذكر منها: أصول الفقه وعلم الكلام. كما وصفه

---

[1] ورد ذكره في: العبر، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ونظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان.

بخلال عديدة منها: النباهة، وحسن الإدراك، والفهم، والتعقل؛ بالإضافة إلى حسن السمت. خرج ـ في بداية الأمر ـ من بلده الأول إلى **غرناطة**؛ حيث خدم في بلاط سلطانها مدّة؛ فاحتل مرتبة بين الكتاب والمحرِّرين؛ إذ كان فيهم: **((معلوم القدر، معظماً عند الكافة))**[1]. ولكنّه أنف عن ذلك؛ بعد خلاف بينه وبين كبير الكتاب آنذاك الفقيه **عمر اللوشي**.

ونقل **لسان الدين ابن الخطيب** هذا الخبر عن أستاذه **أبي الحسن الجيّاب**؛ الذي وصمه بصعوبة الخلق، والمشاكسة، وأخذ عليه حبّ الذات، والزّهوّ بالنّفس. ثم سرد ما حدث بينه وبين كبير الكتاب: ومجمل قوله: أن **محمد بن خطَّاب** كُلِّف بكتابة خِطابٍ؛ فصاغ خطبته؛ ثم تركه؛ لقضاء ما عنّ له من حاجة. وفي غيابه؛ نظر الفقيه **عمر اللوشي** ـ كاتب السلطان ـ إلى ما خطه **ابن خَطَّاب**؛ فرأى عبارة "**عفوة العفوة**"[2] التي وصف بها صحابة رسول الله صلى عليه وسلم؛ فتوهَّم أن ذلك زلة قلم أو خطأ عارض؛ فأصلح العبارة؛ وجعلها: "**صفوة الصفوة**". ولمّا عاد **أبن خطاب**، واطلع على ما

---

[1] الإحاطة؛ قسم: 3، ص: 88.

[2] أي خيرة الخيرة.

غيَّره **عمر اللوشي**؛ غضبَ، ومزق الخطاب، وكسر القلم؛ وقال: ((**لا أقيم بموضع بلغ فيه الجهل إلى هذا القدر**)). وفي الحين ترك الخدمة؛ ثم عاد إلى **بلنسية**؛ ومن هناك سافر إلى **تلمسان** مع **ابن وضاح**؛ حيث استقبلهما السلطان **يغمراسن** بحفاوة وإكرام. وقال **عبد الرحمن بن خلدون** في هذا: **((ووفد في جملته[1] أبو بكر بن خطاب؛ المبايع لأخيه بمرسية. وكان مرسلاً بليغاً، وكاتباً مجيداً، وشاعراً محسناً))**[2]. وذكره **التنسي** أيضاً؛ فقال: **((ولمّا اشتهر اعتناؤه بالعلم وأهله[3]؛ وفد عليه من الأندلس؛ خاتمة أهل الأدب، المبرّز في عصره على سائر الكتاب؛ أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود ابن خطاب؛ فأحسن نزله ومثواه، وقربه من بساط العز وأدناه، وجعله صاحب القلم الأعلى. ومقام ابن خطاب هذا في العلم شهير؛ لا سيما الأدبيات؛ واستوفى التعريف به بن رُشيد. قال: وبوفاته انقرض علم الكتابة))**[4].

---

[1] أي في جملة ابن وضاح.

[2] العبر، مج: 7، ص: 163.

[3] المقصود هنا هو السلطان يغمراسن بن زيان.

[4] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 127 - 128.

ونظـــراً لذيـــوع ذكـــره، وشيـــوع نثـــره وشعـــره، واشتهـــار مخاطباتـــه السلطانيـــة؛ ســـعَى سلطـــان إفريقيـــة بتونـــس إلى إغرائـــه ليلتحـــق ببلاطـــه؛ واعـــداً إيـــاه بأســـمى المناصـــب؛ ولكنـــه رفـــض عرضـــه؛ وأعـــاد إليـــه هديتـــه. وهـــذا منتـــهى الوفـــاء لسطانـــه الزيـــاني. وقـــد علـــق **ابـــن الخطيـــب** عـــلى هـــذا بقولـــه: ((**وزعمـــوا أن المستنصـــر أبـــا عبـــد اللـــه ابـــن الأميـــر أبـــي زكريـــا، استقدمـــه ــ عـــلى عادتـــه فـــي استدعـــاء الكُتّـــاب المشاهيـــر، والعلمـــاء ــ وبعـــث إليـــه ألـــف دينـــار مـــن الذهـــب العيـــن؛ فاعتـــذر وردَّ عليـــه المـــال. وكانـــت، أشـــقّ مـــا مـــرّ عـــلى المستنصـــر، وظَهَـــرَ لـــه عُلُـــوٌّ شأنـــه، وبعـــد همّتـــه**))[1].

أمـــا وفاتـــه؛ فقـــد وقعـــت **بتلمســـان**؛ في تاريـــخ اخْتُلِـــف فيـــه. فبينمـــا يقـــول **لســـان الديـــن ابـــن الخطيـــب**؛ أنـــه تـــوفي **بتلمســـان**؛ يـــوم عاشـــوراء؛ سنـــة 686هـــ/1287م[2]. يـــرى **يحـــيى بـــن خلـــدون**؛ أنـــه تـــوفي في يـــوم عاشـــوراء 636هـــ/1338م.[3] واتفـــق معـــه في هـــذا **ابـــن مريـــم**؛ صاحـــب **كتـــاب البستـــان في ذكـــر الأوليـــاء والعلمـــاء بتلمســـان**. لأنـــه ــ كمـــا يبـــدو ــ نقـــل عنـــه.

---

[1] **الإحاطة؛ مج: 2ح ص: 427.**

[2] **الموافق لـ 1287م.**

[3] **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ ج: 1، ص: 129. والراجح أن قول ابن الخطيب أقرب للواقع.**

غير أن قول ابن الخطيب أقرب للصحة؛ على اعتبار أن رفض **محمد بن خطاب** لخدمة **المستنصر الحفصي**؛ وقعت بعد تولي هذا الأخير للحكم؛ سلطاناً بالدولة الحفصية؛ وهذا الأمر لم يحدث إلاّ في سنة 646هـ/1249م. أي بعد موت والده أبي زكرياء مباشرة. إذن؛ في هذا التاريخ؛ وما بعده؛ ما زال **ابن خطاب** على قيد الحياة. أما تاريخ مولده فغير معروف حتى الآن.

* * *

شعره

ـ أجاب أبا عبد الله بن خميس عن قصيدة بعث بها إليه أولها:

رد في حدائق مائها مرتاد[1]

قد لذ مورود وطاب مراد

زرق الأسنة دون زرق حمامها

وظبىً كما رنت العيون حداد

ـ ثم هذه الأبيات:

نعم المراد لمن غدى يرتاد[2]

مرعى يرف نباته ومهاد

سالت على العافي جداوله كما

صالت على العادي ظُبىً تَتَادُ

فشددت رحل مطيتي منه إلى

حيث السيادة تُبْتَنَى وتشاد

---

[1] **هنا خلل في الوزن؛ بسقوط سبب خفيف (/0)؛ إذ يبدو أن الناسخ حَرّف كلمة ((مرتاده))؛ بحذفه لحرف ((الهاء)).**

[2] **يجري على هذا الشطر ما جرى في التعليق السابق مباشرة.**

وركبت ناجيـــة مباريـــة الصبـــا

خضراء فـــوق خضارة تعتـــاد

يغتادهـــا سكانهـــا قُلَّـــب عـــلى

من كـــان من سكانهـــا استبـــداد

عجبـــاً لهـــم أحلامهـــم عاديـــة

تمضي عليهـــم حكمهـــا أعـــواد

خبـــر تلمسانـــاً بـــأنِّي جيتهـــا

لمـــا دعـــاني نحوهـــا الـــرواد

وأعاقهـــا سمعـــاً ولم أر حسنهـــا

إلا أنـــاســـاً حدثـــوا فأجـــادوا

ولـــرب حســـن لا ثـــواه ناظـــر

ويـــراه لا يخـــفى عليه فـــؤاد

ودخلتهـــا فدخلـــت منهـــا جنـــة

سكّانُهـــا لا تخـــفى ولا حيـــاد[1]

ورأيـــت فضلاً باهـــراً ومكارمـــاً

وعُلا تغاضـــر دونهـــا التعـــداد

أهل الروايـــة والدرايـــة والنـــدا

في نورهـــم أبـــداً لنا استمـــداد

---

[1] **هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى.**

فهم إذا سُئِلــوا بحــار معــارف

ولدى السكينـــة والنهى أطــواد

درجاتهــا ينحــط عنها غيرهم

ومن الــورى قتــر ومنه وهــاد

فأجلهــم وأحلهــم من مهجــتي

بمكانـــة مــا فوقهـــا مــزداد

وأود حين أخــط أطيب ذكرهم

لــو أن أســود مقلــتيّ مــداد

ـ ومــن قولــه كذلــك:

أقْنِــعْ بما أُوتيتــهُ تَنَــلِ الغِـنَى

وإذا دَهَتْـــكَ مُلِمَّــةٌ فَتَصَبَّــرِ

واعلمْ بأنَّ الــرِّزْق مَقْسومٌ فَلَــوْ

رُمْنَــا زِيــادَةَ ذَرَّةٍ لــم نقــدرِ

واللهُ أرْحَــمُ بالعِبــادِ فَلاَ تَسَــلْ

أحداً تَعِــش عَيْش الكِرَامِ وتُؤْجَر

وإذا سَخِطْــت لِبُؤسِ حَالِكِ مَرَّةً

وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ قدْ غَوَتْ فَلِتُبْصِــرِ [1]

---

[1] في نص: ((قد ثبت فاستغفر)).

وانْظُرْ إلى من كانَ دونَكَ[1] تذَّكِـرْ

لِعَظيمِ نِعْمَتِـــهِ علْيْـكَ وتشكــرِ

ـ وقــال يخاطــب ابــن خميــس أيضــاً؛ وقــد وقــف عــلى مــا جــاء في قصيــدة لـــه[2]:

رَقَّتْ حَواشي طَبْعِكَ ابنَ خمــيسِ

فَهَفا قَريضُكَ لي[3] وهاجَ رَسيسى

ولِمِثْلِه يَصْبُــو الحَليمُ ويَمْتَــري

ما للشُئون[4] به وسَيْــرُ العيــسِ

لك في البَلاَغَةِ والبَلاغَةُ بَعْض ما

تحْويــه من أثــرِ محــلٌ رئيــسي

نَظْــمٌ ونَثْــرٌ لا تُبــارَى فيهمــا

عززْتَ[5] ذاك وذا بعلم الطُّــوسِ[6]

[1] في نـص: ((إلى مـن دون حالـك)).
[2] هذه الأبيات موجـودة في الإحاطـة، قسـم: 3. ونفـح الطيـب، ج: 5.
[3] في الإحاطـة: ((بي)).
[4] نفسه: ((مـا للشـروق)).
[5] نفسه: ((تمـهّـدْت)).
[6] قصـد بالطـوسي: الإمـام أبـا حامـد الغـزالي.

ـ وهـذه القصيـدة؛ قالهـا فـي صبـاه:

يـا دَعْـوَةَ شـاكٍ[1]
ما قَدْ دَهـاه منْ لِحـاظِ رَشـاكِ

ظَبْيٌ تَصَدَّى لِلْقُلُـوبِ يَصيدُهـا
منْ نَاظِرَيْهِ في سِـلاَحِ شَـاكِ

ورَمَى وَإنْ قالوا رنَا عَنْ فَاتِـرٍ
سـاجٍ عليـهِ سِيمـةُ النُّسَّـاكِ

قَدْ كُنْـتُ أحـذر بطشه لو أنني
أبصـرت منه مخايـل الفتـاك

أو ما عليـهِ ولا عليـهِ حاكـمٌ
يَحْمي ثُغورَك أوْ يَحوطُ حِمـاكِ

أو ما لِجـارِك ذِمَّـةٌ مَرْعِيَّـةٌ
أبِذَا يَطَـلُّ دَمُ الغَريـبِ طِـلاَكِ

إنِّي استَتمْـتُ إلى ظِلالِك ضلَّة
فـإذا ظباؤُكَ ماضيات ظبـاكِ

ما لي أخاطِب بانةً ما أن تَـعي
قـولاً ولا تـرْثي لِدَمْعَةِ بـاكِ

---

[1] جاء هذا الشطر في نسخة الإحاطة المحققة من قبل عنان هكذا:
((يا دعوة شاك ما قد)). وهو غير سليم في الوزن، وقاصر في المعنى.
كما أن بعض الأبيات في القصيدة انتابها بعض الخلل؛ لذا فقد تم الاعتماد هنا على ما جاء في النسخة التي صححها د. طويل.

أكريمـــة الحييـــن هـــل لمتيـــم

رحمَى لديك فأرتجي رحمـــاك

أصبتني بعد المشيب وليس من

عـــذر لمن لـــم يصبـــه ثـــراك

ولولاك ما جذبـــت عناني لوعة

واللـــه يشهـــد أنـــني لـــولاك

لما دعـــا داعي هـــواك أجبته

من لا يجيب إذا دعت عينـــاك

أصليتـــني نـــار الصدود وإنني

راض بأن أصـــلى ولا أســـلاك

وأبحت ما منع التشرع من دمي

باللـــه مـــن أفتـــاك قتل فتـــاك

وتركـــت قلبي طايراً متخبطـــا

بشباك ختلـــك أو بطعن سبـــاك

ومنعت أجفـــاني لذيـــذ منامهـــا

كي لا يتيح لي الكـــرى لقيـــاك

ولقد عجبـــت وأنت جد بخيلـــة

كأن أعرت الشمس بعض حلاك

إني لأيـــأس من وصلك تـــارة

لكـــن أعلـــل مطمعي بعـــلاك

أسماك أنك قد خفضت مكانــتي

هــلاَّ خلعت علي من سيمــاك

إني مُعنَّــاك المتيــم فليكــن

حظــي لديك مناسبــاً مغنــاك

تثـــني معاطفــك الصبا خوطية

وكذا الصبا فصباك مثل حماك

أبعدتـــني منها بطعنـــة رامــح

ألذاك سمَّتْــك الــورى بسمـــاك

أأموت من عطش وثغرك مورد

فيه الحياة استـــودعتها فـــاك

هلا تـــني عـــن حلـــوة فلِعِلَّـــة

وضعت أداة النفي في اسم لماك

وقـــال أيضـــاً:

رب أنت الحليم فاغفر ذنـــوبي

ليس يغفـــو عن الذنوب سواكـــا

رب ثَبِّــت عند الســؤال لساني

وأقمـــني على طريـــق هداكـــا

رب كـــن لي إذا وقفت ذليـــلا

ناكـــسَ الرأي أستحي أن أراكـــا

رب من لي والنار قد قربت لي

وأنا قـــد أبحـــت عهـــد حماكـــا

رب مـــالي من عـــدة لمـــآلي

غير أني أعددت صدق رجاكـــا

رب أقررت أنني عبـــد ســـوء

حلمك الجـــم غـــره فعصاكـــا

رب أنـــت الجواد بالخير دومـــاً

لم تزل راحماً فهب لي رضاكا

رب إن لم أكن لفضلـــك أهـــلاً

باجترايي فأنـــت أهـــل لذاكـــا

* * *

نثره

أشاد **عبد الرحمن بن خلدون** بقلم وترسل **ابن خطاب**، ونوه بمكانته الأدبية؛ فقال: ((**وكان مرسلاً بليغاً، وكاتباً مجيداً، وشاعراً محسناً؛ فاستكتبه** [أي يغمراسن]. **صدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ**)). ومع هذا؛ لم يبق من آثاره الإنشائية ومراسلاته الذائعة الصيت آنذاك؛ سوى بعض الفقرات القليلة. وقد أورد **لسان الدين ابن الخطيب** في كتاب الإحاطة عيِّنة من نثر محمد **بن خطاب**؛ الذي قال عنه: ((**كان كاتباً بارعاً، وشاعراً مجيداً؛ له مشاركة في أصول الفقه، وعلم الكلام، وغير ذلك؛ مع نباهة، وحسن فهم؛ ذو فضل، وتعقل، وحسن سمت**))[1].

وقد أثبت في كتابه قطعة من ترسل **محمد بن خطاب**؛ بعث بها حينما كان بمدينة **إشبيلية إلى** صديقين له في **مرسية**؛ جاء فيها: ((كتبتهُ؛ كتب الله لكما فوزاً بالحسنَى، وأجْناكما من ثمرات

---

[1] **الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم 3، ص: 88.**

إحسانــه أكثــر مــا يُجـنى. مــن **إشبيليــة**؛ وحــالي بحمـد اللـــه حسنـــة، ونفــسي بحــبٍّ قربكمــا مُرْتَهَنَــة، وعــليّ بمــا لديكمــا مــن السَّــراوَة الــتي جُبِلْتُمــا عــلى فِطْرَتِهــا، وامْتَزَتُمــا فــي الاجْتِــلاء بِغُرَّتِهــا، علــم لا يدخلــه الشَّــكُّ، ونِسبَــتي إلــى وُدِّكمــا الــذي لَبِستّــه مَعْلَمــاً وتَقَلَّدْتُــه مَحْرَمــاً، لا يُعَبَّــر عــن مَعناهــا إلاّ بمــا لا يَــزال، ولا يَنْفَــكُّ. فَلِنثْــن عنــان القلــم عــن مِــداده، ونأخُــذ فــي حديــث سِــواه. وَصلْنــا **إشبيليــة** ضَحْــوَة يــومِ الثلاثــاء خامــس ربيــع الآخــر، ولَقينــا **الإفَانْــت**[1] عــلى مِيلَيْــن، وفُزْنــا بمــا ظَهَــر مــنْ بِشْــرِهِ واعْتِنائِــهِ بِقَــرارِ الخاطِــرِ، وقُــرَّةَ العَيْــن، ونزلنــا فــي الأخْبِيَــةِ؛ خــارج البلــد؛ مَوْضِعــاً يُعْــرَف **بالقنــب**[2]؛ قــدْ تَفَجَّــر عُيونــاً، وجَمَــعَ مــاؤُهُ وهَــواؤُهُ مِــنَ المَحاسِــنِ فُنونــاً، وعَــرَضَ عَلَينــا النُّــزولَ فــي الدِّيــارِ داخِــل المدينــة، فرأيْنــا المُقــام فيــه؛ أحَــد الأسبْــاب المُسْعــدة عــلى حِفــظِ الصِّحَّــة المَعينــة، ورَغِبْنــا عَــنِ المدينــة لِحَرِّهــا الوَهَّــاج، وغُبارِهــا العَجــاج، ومائِهــا الأجــاج. ولمــا ثــاب مــن النَّشــاط البــارِح،

[1] يقصد الإفانتي Infante؛ وهو لقب يطلق على وليّ العهد في مملكة قشتالة. وكان ابن خطاب قد زار إشبيلية في زمن احتلالها من قبل القشتاليين. إذ أنها سقطت في قبضتهم في شهر شعبان من سنة 646هـ/1248م. وغدت عاصمة لدولتهم.

[2] يسمى بالإسبانية: El Campo؛ أي الحقل أو الميدان.

واستَقَلَّ مِن المَطيِّ الرَّازح. طُفْتُ في خارِجِها وداخِلِها، ووَقَفْتُ على مَبانيها المُشَيَّدَة ومَنازِلِها؛ ورأَيْتُ انسِياب أراقِشِها[1]؛ وتَقَصَّيْتُ آثار طُرْيانَتِها[2] وبَراقِشِها؛ فشاهَدْتُ مِنَ المَباني العَتيقَة، والمَنارَةَ[3] الأنيقَة، ما يَمْلأُ أعْيُنَ النُّظَّار، ويَنْفَسِحُ فيه مَجال الاعْتِبار. على أنِّي ما رَأيْتُها إلاّ بَعْدَ ما استَوْلَى عليها الخسْفُ؛ وبان عنها الظَّرْف، ونَبا عنها الطَّرْفُ؛ فَلا تَرَى مِن مَغانيها إلاّ طَلَلاً دارِساً، ولا تَلْمَحُ مِن بَدائِعِها إلاّ مُحْيَاً عابِساً. لَكِن الرَّائي إذا قَدَّرَ وَضْعَها الأوَّل، وركِب وَهْمَه مِن مَبائِنها ما تَحلَّل، وتَخَيَّلَ في ذِهْنِه حُسْنَها وتَمَثَّل؛ تَصوَّرَ حُسْناً يَدْعُو إلى المُجونِ، ويُسْلِي عَنِ الشُّجونِ. لَوْلاَ أنَّها عُرِضَتْ لأشْمَط راهِبٍ؛ لَمَا دانَ إلاَّ بِدَن، ولا تَقَرَّبَ بِغَيْرِ قارِب. وحَسْبي أنْ أصِفَها بما يَقيها مِن القبول، وأقولُ إنَّها في البِلادِ بِمَنْزِلَةِ الرَّبيعِ مِنَ

---

[1] أي ألوان نقوشها. ويرقش معناه: تزين بألوان مختلفة.

[2] المقصود بها: طريانة Triana؛ وهي ضاحية إشبيلية الجميلة؛ الممتدة على الضّفّة الغربية من نهر الوادي الكبير.

[3] يقصد منارة الجامع الأعظم الشهيرة؛ التي شُرِعَ في بنائها أيام الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف سنة 584هـ/ 1188م، ودُشِّنَت في عهد ابنه المنصور عام 593هـ/ 1196م. وتعتبر الآن من أهم المعالم السِّياحية في إشبيلية؛ وتسمى عندهم La Giralda؛ أي الخيرالدا؛ بعد أن حُوِّلَ ذلك المسجد إلى كنيسة، واستعملت المنارة كبرج للأجراس.

الفُصــولِ، ولَــوْلاَ أنَّ خاطِــرِي مُقَسَّــمٌ وفِكْــرِي حَــدّه مُثَلَّــمٌ، لَقَضَيْــتُ مِــنَ الإطْنــابِ وَطَــراً، ولَــمْ أدَعْ مِــنْ مَعاهِدِهــا عَيْنــاً إلاَّ وَصَفْتهــا ولا أثَــراً))[1].

* * *

[1] الإحاطة في أخبار غرناطة، قسم: 3، ص ص: 99 - 102.

محمد بن عبد الله

ابن عبد العزيز بن عمر الزناتي

جمال الدين التلمساني ـ محي الدين النحوي)

المعروف بحافي راسه

ينتمي إلى قبيلة زناتة الأمازيغية. هو إمام وعلاَّمة بارز في العربية. ولد بتلمسان في سنة 606هـ/1209م؛ ونشأ بها، وتعلم في مدارسها. درس في البداية على الشيخ محمد بن المنداسي، وعبد الرحمن الزيات؛ وبالإسكندرية على تاج الدين الفاكهاني. وذلك بعدما رحل إلى المشرق؛ فاستقر بالإسكندرية. وكان يعتبر في وقته من كبار أئمة اللغة؛ حيث يقال أنه ثالث ثلاثة من المحمدين المالكين لزمام اللغة والنحو في عصره؛ وهم: محمد ابن النحاسي في مصر، ومحمد بن مالك في دمشق، ومحمد حافي رأسه في الإسكندرية. أما لقبه: **((حافي رأسه))**؛ فقد تضاربت الآراء حوله؛ فمن قائل: أن السبب في ذلك؛ وجود حفرة في رأسه، وقائل: أنه سمي بذلك؛ لكونه مكشوف الرأس، وقول ثالث يرى فيه أصحابه: أنه مَثُلَ أمام بعض الحكام؛

فمنحـــه ثيابـــاً دون غطـــاء للـــرأس؛ فقـــال لـــه: ((هـــذا لبـــدني؛ ورأسي حـــافي))[1]؛ فأعطـــاه عمامـــة؛ ومـــن يومهـــا لقـــب بحـــافي الـــرأس.

أمـــا وفاتـــه فقـــد ذكـــر صـــاحـــب فـــوات الوفيـــات؛ أنهـــا حدثـــت في سنـــة 680هـــ/1281م بينمـــا جعلهـــا صـاحـــب البـــدر السافـــر في سنـــة 691هـــ/1291م.

* * *

[1] فـوات الوفيـات، ج: 3، ص: 410.

شعـره

ـ هــذه المقطوعــة؛ كتبهــا إلى الأميــر نــور الديــن بــن مسعــود الصــوابي:

شَكَــوْتُ إِلَيْــكَ نُــور الدِّيــنِ حَــالي
وحَسْــبِي أَنْ أرَى وجْــهَ الصَّــوابِ
وكُتْــبي بِعْتُهــا ورَهَنْــتُ حَــتىَّ
بَقيــتُ مِــنَ المَجــوسِ بِــلاَ كِتَــابِ

ـ ولــه أيضــاً هــذه المقطوعــة:

وَمُعْتَقِــدٍ أَنَّ الرِّياسَــةَ في الكِيَــرِ
فَأَصبْــحَ مَمْقوتاً بِها وَهْوَ لاَ يَــدْرِي
يَجُــرُّ ذُيُــولَ الكِيــرِ طالِبَ رِفْعَــةٍ
ألاَ فَاعْجَبُوا مِنْ طالِبِ الرَّفْعِ بِالجَــرِّ

ـ ومــن شعــره أيضــاً هــذه المقطوعــة:

يَا مُنْكِراً مِنْ بُخْــلِ أَهْلِ الثَّغْــرِ مــا
عُــرْفُ الوَرَى أَنْكَــرت مَا لاَ يُنْكَــرُ

أقْصِــرْ فَقَــدْ صحَّــتْ نَتَانَـــةُ أهْلِــهِ
وَمِنَ الثُّغُــورِ كَمَــا عَلِمْــتَ الأبْخَــرُ

ـ ولـــه كذلــك هـــذيـــن البيتيـــن:

وَمُعَلِّــمِي الصَّبْــرَ الجَميلِ بِهَجْــرِهِ
فَثَــنَى فُؤَاداً عَنْــهُ لَمْ يَــكُ يَنْثَــني
لاَ بُـــدَّ مِـــنْ أجْــرٍ لِكُــلِّ مُعَلِّــمٍ
وَإِلَى السُّلُــوِّ ثَــوَابُ مـــا عَلَّمْتَــنِي

* * *

محمد بن يخلفتن

ابن أحمد بن يتفليت الفازازي، ثم اليجعشني التلمساني، (أبو عبد الله)[1]

ينتمي إلى أسرة علم وفضل ونباهة. أخوه الأصغر هو شاعر الزُّهْد والتَّصوُّف **أبو زيد عبد الرحمن الفازازي**. وكان **محمد** هذا فقيهاً ومحدثاً، ومؤرخاً، ولغوياً، وشاعراً جيد الشعر، وكاتباً بليغاً؛ له خط جميل، وهيأة راقية. انتقل إلى **قرطبة ومراكش**. إذ كان كاتباً لدى الخليفة الموحدي محمد الناصر؛ ثم نقله من خطة الكتابة وأسند إليه ولاية القضاء **بقرطبة** ثم **بمرسية** ثم **بغرناطة**؛ على التوالي. وقال **المقري**: **((وهذا الفازازي؛ أخو الشاعر الشهير والكاتب الكبير أبي زيد عبد الرحمن الفازازي؛ صاحب الأمداح في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم))**[2]. توفي سنة 621هـ/1224م[3]. ذكره

---

[1] له ترجمة في بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ونفح الطيب، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، والأعلام، كما تمت الإشارة إليه في المعجب ككاتب للخليفة الموحدي محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن.

[2] نفح الطيب، ج: 4، ص: 468.

[3] قال الزركلي أنه توفي بقرطبة - حيث كان قاضياً بها - وذلك في عام 621هـ.

عبد الحي بن العماد، بين من مات في سنة 621هـ، فقال: **((وفيها الفازازي محمد بن يخلفتن ابن أحمد البربري التلمساني، الفقيه المالكي، الأديب الشاعر، ولي قضاء قرطبة))**[1]. ولكن، الذي يؤسف له أن أعمال هذا الفقيه الأديب الشعرية والنثرية غير متوفرة الآن، ما عدا الأبيات الموالية. ولعل بقية أعماله الشعرية والنثرية تظهر مستقبلاً، بفضل جهود الباحثين الصابرين. وكل ما وصل من شعره، عبارة عن مقطوعة شعرية، يقال أنها وجدت في جيبه حين وفاته، جاء فيها:

الرُّومُ تَضْرِبُ في البِلاَدِ وتَغْنَمُ والجُورُ يَأْخُذُ مَا بَقِي والمَغْرَمُ
والمَالُ يُورَدُ كلُّهُ قَشْتَالَة والجُنْدُ تَسْقُطُ والرَّعِيَّةُ تسلَمُ
وذَوُو التَّعَيُّنِ لَيْس فِيهِمْ مُسْلِمٌ إلاَّ مُعِينٌ في الفَسَادِ مُسَلِّمُ
أسَفِي عَلَى تِلْكَ البِلاَدِ وأَهْلِهَا اللَّهُ يَلْطِفُ بالجَمِيعِ ويَرْحَمُ[2]

* * *

[1] **شذرات الذهب، ج: 5، ص: 96.**
[2] **قال المقري في هذه الأبيات: ((وقيل: أن هذه الأبيات رفعت إلى سلطان بلده، فلما وقف عليها، قال ـ بعدما بكى ـ: "صدق رحمه الله تعالى، ولو كان حياً ضربت عنقه")). نفح الطيب، ج: 4، ص: 467.**

المائة الثامنة هجرية

من 700 ـ 800 هـ

احمد بن شعبان
(ابو العباس)

لا يعرف عن صاحب هذه الترجمة الكثير؛ وكل ما توفر حتى الآن؛ هو ما ورد في كتاب زهر البستان في دولة بني زيان. إذ سمي فيه: **((الطالب أبو العباس أحمد بن شعبان))**. وقد أثبت له صاحب الكتاب قصيدة؛ قالها هذا الشاعر في سنة 762هـ/1360م؛ بمناسبة الحفل المنعقد ببلاط السلطان أبي حمو الثاني بتلمسان؛ إحياء لذكرى المولد النبوي الكريم. وفي ما يلي بعض المقاطع منها:

حاز المكانة في الشهور ربيعْ
وتأسست للدين فيه ربوعْ
فلليلتين به وعشر قد خلت
منه لأحمد مولد وطلوعْ
في ليلة الإثنين حسبك ليلة
فحلوها فخر الرشاد صديعْ[1]

---

[1] الصديع: الصبح. وصدع الأمر: كشفه وبينه. وصدع بالحق: تكلم به جهاراً.

جاءت بإكـــرم منتـــقى من هاشـــم

وهُـــمُ الذيـــن لبيتهـــم ترفِيـــعْ

كبـــر المزا يـــا مـــا الإلـــه أنالـــه

وله المدى في المعجزات وسيـــعْ

سطعت كما ومضت بوارق أو بـــدا

للشمس في زاد النهـــار منـــوعْ

كإعـــادة الشمـــس التي عن أمـــره

عادت وأنى بالضـــحى سيطيـــعْ

وســـعى له نخـــل وعـــاد مكانـــه

فكأنـــه ما كـــان منـــه فـــروعْ[1]

وبِنَبْـــعِ عذب المـــاء بيـــن بنانـــه

عمَّ الجيوش من الميـــاه نبـــوعْ

وبتفلـــه[2] عـــاد الأجـــاج سلاســـلا[3]

فانساغ منـــه مـــورد وشـــروعْ

ولـــه ذراع الشـــاة كلّـــم معلمـــا

بالسّـــمّ وهـــو لأكلـــه موضوعْ

---

[1] فرع فروعاً الأرض: جول فيها.

[2] تفل تفلاً: بصق.

[3] السلسل والسلسال والسلاسل: الماء العذب.

وكمد(د)[1] يمنـــاه الكريمـــة سهمـــه[2]

فاض الزلال وطاب فيه كــروعْ

وكـــردّه في الحيـــن عيـــن قتـــادة

فاحتل منها في المكـــان رجـــوعْ

وبلمســـه شـــاة تمنـــــع رسلهـــــا

عادت ومنها في الشياع ضريـــعْ

[وتقوتـــوا لبنـــا بها جمعـــا سقـــا][3]

فكفى الجميـــع [ملاءة][4] وقنـــوعْ

ودعاؤه أسمى المواطـــن فارتـــقى

[وهدى بهـــدي للسماء رضيـــعْ][5]

---

[1] هذه الدال زائدة.

[2] هكذا.

[3] هذا الشطر مختل الوزن ومضطرب المعنى؛ فجاء بزهر البستان هكذا: ((وبقوت مرئـهمُ شبعا كثرة))؛ ولتسهيل الفهم؛ وضعنا شطراً بدلا منه؛ كما ورد أعلاه.

[4] في الأصل: ((تملوا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب؛ بوضع الكلمة الواردة بين حاصرتين.

[5] هذا الشطر غامض في معناه، رديء النسخ، مختل الوزن؛ ونسخ؛ هكذا: ((وهد بعنان السماء وريع)). وعليه؛ فقد عوضناه بما ورد أعلاه؛ بين حاصرتين؛ لكي يوضح سياق البيت.

ومـــن الـــذي كـــفّ الإلـــه عذابـــه

[ولواضع من منهم المرفـــوعْ][1]

ومن الذي حـــاز الفضائـــل جملـــة

ومن الذي هو في العباد شفيـــعْ

إلا محمـــد الـــذي فـــاق الـــورى

[و][2]بحقـــه للعالميـــن نجـــوعْ

صلى الإله عليـــه ما بحـــر طمـــا

[وبدت بروق[3] في السماء] سطوعْ[4]

وأدام مولانـــا أبـــو[5] حمـــو الـــذي

بقيـــام مولـــده لديـــه ولـــوعْ

للـــه فيـــه قيامـــه ودعـــاؤه

وتـــلاوة وتبتـــل وخضـــوعْ

---

[1] جاء هذا الشطر في الأصل بزهر البستان هكذا: ((عنه ولواضع منهم المرفوع))؛ فاختل وزنه؛ حيث زادت كلمة: ((عنه)) في بدايته؛ كما وضعت في غير محلها. كما سقط سبب خفيف (/0)؛ في بداية التفعيلة الثانية. وعليه فقد وضعنا شطراً بدلا منه - بين حاصرتين - أعلاه.

[2] أضفنا الواو؛ من أجل تصويب الوزن؛ لأن التفعيلة الأولى في الأصل ينقصها حرف متحرك.

[3] البرق جمعه: بروق: ومضة نور تلمع في غيم السماء.

[4] جاء هذا الشطر - في الأصل - مخل الوزن هكذا:

((وبدا البرق في السماء سطوع)). وعليه فقد عوضناه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[5] هكذا.

وإقامـــــة لشعائـــــر وإنابــــة

فرضى الإله مكانهـــا وخشـــوعْ

كـــفّ العـــداة بسعـــده وبسيفـــه

ففـــرا وفـــرق منهم المجمـــوعْ

أعداؤه شـــرب وشـــرب [في إفكهم][1]

ســـم تفجـــره الحـــروف نقيـــعْ

يختار في النظـــر الجميل الشهـــادة

فلـــه علينـــا منـــــة وصنيـــعْ

ويبيـــد كـــل معانـــد بحروبـــــه

فيشيب منها الطفل وهو رضيـــعْ

فمن الجيوش على العـــداة حماســـة

وسنانـــة وجيوشـــه وهلـــوعْ

[لولا أبو حمـــو تلمســـان انمحـــت

في ظل عدوان بـــلاه فضيـــعْ][2]

لكنـــه حفـــظ الأقـــاصي فاعتـــرى[3]

أملا بمـــن المـــرء وهو بديـــعْ

---

[1] الكلمة هنا غير واضحة في الأصل؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين أعلاه.

[2] هذا البيت بالكامل غير مفهوم؛ بسبب النسخ الرديء؛ إذ كتب هكذا:
((لولا بوا حبه تلمسان خلت سلبا * ولم يكن بالديار كيع)). وبذلك يظهر الخلل في المعنى والوزن معاً. وعليه فقد نظمنا بيتاً يعوضه؛ وورد أعلاه بين حاصرتين.

[3] إعترى إعتراء فلاناً: غشيه طالباً معروفاً.

بالحزم ـــفاق على الملوك تفاضـــلا

والجيش فيه من الأسود جمـــوعْ

فمن اقتفى طرف الرشـــاد كمثلـــه

فله القصيّ يطيـــع وهـــو منيـــعْ

في وصفـــه عظـــم يقـــص مسهـــم[1]

ولو انتقـــاه إلى الزمـــان بديـــعْ

دامـــت له نجـــم العـــداة سواجـــدا

وعلى طلاهـــمْ للسيوف ركـــوعْ

ودماؤهـــم أفواههـــا نجاحـــة

بدوي الضلالة والرشـــاد مريـــعْ

ثم السلام عليـــك ما هبـــت صبـــا

وأتى ربيـــع أول وربيـــعْ

* * *

[1] هكذا.

أحمد بن يحيى

ابن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني

الشهير بابن أبي حجلة

(أبو العباس - شهاب الدين)

هو عالم في اللغة والأدب، وشاعر جيد النظم. ينتمي إلى أسرة متصوفة من تلمسان؛ كان لجدّه عبد الواحد بن أبي حجلة زاوية في تلمسان. كني بأبي حجلة؛ نظراً لتعلق الحيوانات بأذياله؛ ومنها أن حجلة باضت على كمِّه؛ فلقب بها. ولد صاحب هذه الترجمة في تلمسان سنة 725هـ/1325م؛ ودرس بمسقط رأسه مبادء الفقه واللغة، والمنطق. ثم رحل مع والديه وإخوته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ثم رحل بعدها إلى **دمشق**؛ أين بقي لبعض الوقت لدراسة الأدب. ومنها انتقل إلى **مصر**؛ حيث استقر في القاهرة. كان يميل إلى المذهب الحنبلي؛ وربما للمذهب الحنفي في قول آخر. وعليه فقد شدَّدَ الحملة على القائلين بـ(وحدة الوجود)؛ ومنهم بصفة خاصة **ابن الفارض**. ويقال أنه امتحن بسببه.

وفي **مصـــر**؛ وُلِّي **ابـــن أبي حجلـــة** مشيخـــة الصوفيـــة بصهريـــج منجـــك؛ خـــارج **القاهـــرة**. وكانـــت اهتماماتـــه محصـــورة في: الفقـــه، والحديـــث، والطـــب. ثـــم الشعـــر الصـــوفي ذي الاتجـــاه الســـني المعتـــدل؛ وبهـــذا تـــولَّى الدفـــاع عـــن معتقـــده؛ والهجـــوم عـــلى القائليـــن بوحـــدة الوجـــود.

ــ مؤلفاتـــه:

أمـــا مؤلفاتـــه فقـــد تجـــاوزت الثمانيـــن مصنفـــاً في مختلـــف الفنـــون؛ كالأدب، والتاريـــخ، والطـــب، والتصـــوف، والفقـــه؛ منهـــا:

1 ــ "المقامـــات".

2 ــ "ديـــوان الصبابـــة".

3 ــ "سكـــردان السلطـــان"[1] الناصـــر حســـن بـــن قـــلاوون"؛ في أســـرار الرقـــم سبعـــة.

4 ــ "الطـــارئ عـــلى السكـــردان".

5 ــ "الأدب الغـــض".

6 ــ "ديـــوان شعـــر".

---

[1] سكردان السلطان الناصر حسن بن قلاوون. أنظر عجائـــب الآثـار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي، ج: 1؛ ص: 62.

7 ـ "حاطب الليل"؛ في الأدب؛ ضمن مجلدات عديدة.

8 ـ "سلوة الحزين في موت البنين".

9 ـ "طوق الحمامة".

10 ـ "الطب المسنون في دفع الطاعون".

11 ـ "منطق الطير".

12 ـ "السجع الجليل فيما جرى في النيل".

13 ـ "غرائب العجائب، وعجائب الغرائب"؛ الذي استوحاه من تأمله في أبي الهول.

14 ـ "مغنطيس الدُّر النفيس".

15 ـ "أطيب الطيب".

16 ـ "أسنى المقاصد في مدح المجاهد".

17 ـ "أنموج القتال في نقل العوال"؛ شرح فيه منصوبات الشطرنج.

18 ـ "تسلية الحزين في موت البنين".

19 ـ "جوار الأخبار في دار القرار".

20 ـ "دفع النقمة وقيل رفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة".

21 ـ "رسالة الهدهد".

22 ـ زهر الكمام وسجع الحمام.

23 ـ "سلوك السنن إلى وصف السكن".

24 ــ "عنوان السعادة ودليل الموت على الشهادة".

25 ــ "قصيرات الحجال".

26 ــ "مجتبي الأدباء".

27 ــ "مواصل".

28 ــ "المقاطيع".

29 ــ "النحر في أعمدة البحر

30 ــ "النعمة الشاملة في العشرة الكاملة".

31 ــ "هرج الفرنج".

32 ــ نقل الكرام في مدح المقام.

إلى غيره من الكتب النادرة في محتواها المبتكرة في معناها. ومات ابن حجلة في القاهرة بوباء الطاعون في سنة 776هـ/1375م.

وورد في مطلع كتابه المعنون بـ" غرائب العجائب، وعجائب الغرائب"؛ الذي وخطه بعد تأمل وتعجب من تمثال ((أبو الهول)) الضخم:

هذا الكتاب ذكرت فيه عجائبا
تغني النديم عن المدامة والطرب
يهتز سامعها لطيب حديثها
إلاّ حسوداً ليس يعجبه العجب

وأشهر كتب **ابن أبي حجلة** على الإطلاق؛ هو كتاب "**ديوان الصبابة**". وقد حظي هذا الكتاب بعناية وافرة في بلاد **الأندلس**؛ فتناقله الناس، وشغفوا به إلى أبعد الحدود. فطلب سلطان **غرناطة** من وزيره الأديب الشاعر **لسان الدين بن الخطيب**؛ تأليف كتاب؛ يسلك فيه مسلك **ابن حجلة**؛ بحيث ينقده ويعارضه. فقام بذلك على أحسن وجه؛ فألَّف كتاباً سماه "روضة التعريف بالحب الشريف". قال في مستهله:

((أما بعد: فإنه لَمّا ورد على هذه البلاد الأندلسية المحروسة ـ بحدود سيوف الله تعالى؛ حدودها الصادقة بنصر الله للفئة القليلة على الفئة الكثيرة وعودها، وصل الله تعالى عوائد صنعه الجميل لديها، وأبقاها دار إيمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ـ "ديوان الصبابة؛ وهو الموضوع الذي اشتمل ـ من أبطال العشّاق ـ على الكثير، واستوعب ـ من أقوالهم القديمة والحديثة ـ كل نظم ونثير، وأسدَى في غزل غزلهم وألحم، ودلَّ على مصارع شهدائهم من وقف وترحم؛ فصدق الخبر المخبر... فعمر المحافل والمجالس، واستجلس

الراكب، واستركب الجالس؛ يدعو الأدباء إلى مأدبته؛ فلا تتوقف، ويلقي عصا سحره المصري؛ فتلقف؛ ما شئت من ترتيب غريب، وتطريب من بيان أريب؛ يشير إلى الشعر فتنقاد إليه عيونه، ويصبح بالأدب النثر؛ فتلبيه فنونه؛ ويلمّ بالحديث العذب؛ فتثير الشجون شجونه؛ وأنهى خبره للعلوم الشريفة المقدّسة، ومدارك العز الموطّدة المؤسسة. وسما به الجد صعدا إلى المجلس السلطاني؛ مقر الكمال، ومطمح الأبصار والآمال؛ حيث رفاف العز قد انسدلت، وموازين القسط قد عدلت، وفصول الفضل قد اعتدلت، وورق أوراق المحامد والممادح قد هدلت مجلس السلطان المجاهد، الفاتح الماهد، المتحلي في ريعان العمر الجديد، والملك السعيد... أمير المسلمين أبو عبد الله ابن مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدّس أبي الحجاج ابن مولانا السلطان الإمام المجاهد المقدس أبي الوليد إسماعيل بن فرج ابن نصر الأنصاري الخزرجي... فخصته عين استحسانه – أبقاه الله – بلحظة لحظ؛ وما يلقاها إلا ذو حظ؛ فصدرت إليّ منّه الإشارة الكريمة بالإملاء في فنّه، والمنادمة على بنت دنّه، وحسب الشحم. والله

(سبحانه) يجعلني عند حسن ظنّه... لكنني امتثلت، ورشت ونثلت؛ ومكرهاً لا بطلاً مثلت. وكيف يتفرغ للتأليف، ويتبرع بالوفاء بهذا التكليف؛ من حمل الدنيا في سن الكهولة على كاهله؟ وحمى طير الكرى عن مناهله، وركض طرف الهوى بين معارفه ومجاهله، واشترى السهر بالنوم، واستنفد سواد الليل وبياض اليوم؛ في بعث يجهّز، وفرصة تنتهز، وثغر للدين يسدّ، وأزر للملك يشدّ، وقصة ترفع، ووساطة تنفع، وعدل يحرص على بذله، وهوى يجهد في عذله، وكريم قوم ينصف من نذله، ودين تزاح الشوائب عن سبله، وسياسة تشهد للسلطان بنُبلِه، وإصابةِ نَبْلِه؛ ما بين سيف وقلم، وراحة وألم، وحرب وسلم، ونشر عَلَمٍ أو عِلْمٍ، وجيش يعرض، وعطاء يفرض، وقرض حسن لله (تعالى) يقرض، في وطن توفر العدو على حصره، ودار به دور السوار على خصره، وملك قصر الصبر والتوكل على قصره، وعدد نسبته من العدو العظيم الإطاقة، الشديد الإضاقة؛ نسبة الشعرة من جلد الناقة. وبالله نستدفع المكروه، وإليه نمد الأيدي ونصرف الوجوه. وسألت منه – أيده الله –

القنوع بما يسره الوقت، مما لا يناله المقت، والذهاب بهذا الغرض لما يليق بالترتيب والسن، ويؤمن من اعتراض الإنس والجن... وقلت معتذراً أخاطب مؤلف كتاب الصبابة، بما يعتمده جانب إنصافه، ويغضى عن نقص إن وقع فيه كمال أوصافه:

يا من أدار من الصبابة بيننا
قدحا ينم المسك من رياه
وأتى بريحان الحديث فكلما
صبح النديم براحه حياه
أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى
لكن أهيم بذكر من أحياه))[1].

***

وكلام ابن الخطيب ـ هنا ـ طويل؛ لا يسعه مجال كهذا؛ وعليه؛ يمكن الرجوع إليه في كتاب روضة التعريف بالحب الشريف.

---

[1] روضة التعريف بالحب الشريف، ص ص: 4 - 11.

المهم؛ أن كتاب ديوان الصبابة **لابن حجلة**؛ قد أحدث حركة واسعة في ميادين الأدب مشرقاً ومغرباً. وفي ما يلي عرض لهذا الكتاب؛ الذي يدرس قضايا العشق، وأحوال الحب. ويشتمل على أبواب وفروع كثيرة؛ تمثلها: **مقدمة وخمسة فصول**؛ ثم **ثلاثين باباً** بفصولها المختلفة. ومضمون الفصول تجليه العناوين؛ مثل:

ـ الفصل الأول: رسم العشق ورسمه وما قيل في اسمه.

ـ الفصل الثاني: أسبابه وعلاماته.

ـ الفصل الثالث: مراتبه وأسمائه.

ـ الفصل الرابع: مدحه وذمه.

ـ الفصل الخامس: اختلاف الناس فيه؛ هل هو اضطراري أو اختياري؟

أما الأبواب؛ فتشتمل على ما يلي:

ـ **الباب الأول:** ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيلي وإجمالي.

ـ **الباب الثاني:** ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء.

الباب الثالث: ذكر من عشق على السماع ووقع مع الحبيب في النزاع. ثم: ذكر ما ينخرط في سلك العشق على السماع والشهاه على الغائب.

الباب الرابع: ذكر من نظر أول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة. ثم: ذكر سحر الجفون ونبل العيون. ثم: وصف العيون الضيقة وغيرها.

الباب الخامس: ذكر تغير الألوان عند العيان من صفرة وجَل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان. ثم: التفضيل بين البيض والسود والسمر ذوات النهود. ثم: ذكر ما يعتري الحب من اصفرار لونه عند رؤية محبوبه وخفقان قلبه وطيران عقله.

ـ **الباب السادس:** ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وقرع من ديك الجن.

ـ **الباب** السابع: إفشاء السر والكتمان عند عدم الإمكان.

ـ **الباب الثامن:** مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه.

ـ **الباب التاسع:** الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل.

ـ **الباب العاشر:** الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه.

ـ **الباب الحدي عشر:** قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما في معنى ذلك.

ـ **الباب الثاني عشر:** قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول.

ـ **الباب الثالث عشر:** ذكر الإشارة إلى الوصول والزيارة. ثم: نم الطيب على الحبيب.

ـ **الباب الرابع عشر:** الرقيب النمام والواشي الكثير الكلام. ثم النمام والواشي وما أظرف ما سمعت في ذلك.

ـ **الباب الخامس عشر:** العتاب عند اجتماع الأحباب وما في معنى ذلك من الرضى والعفو. ثم: فصل في العفو والرضى والصفح عما مضى.

ـ **الباب السادس عشر:** إغاثة العاشق المسكين إذا وصلت العظم السكين.

ـ **الباب السابع عشر:** ذكر دواء علة الجوى.

ـ **الباب الثامن عشر:** تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من أقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر.

ـ **الباب التاسع عشر:** الدعاء على المحبوب وما فيه من الفقه المقلوب.

ـ **الباب العشرون:** الخضوع وانسكاب الدموع.

ـ **الباب الحادي والعشرون:** الوعد والأماني وما فيهما من راحة المعاني.

ـ **الباب الثاني والعشرون:** الرضا من المحبوب بأيسر المطلوب.

ـ **الباب الثالث والعشرون:** اختلاط الأشباح اختلاط الماء بالراح.

ـ **الباب الرابع والعشرون:** عود المحب كالخلال وطيف الخيال وما في معنى ذلك من رقة خصر الحبيب وتشبيه الردف بالكثيب.

ـ **الباب الخامس والعشرون:** ذكر ما يكابده الأحباب من الأمور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق وألم الفراق.

ـ **الباب السادس والعشرون:** طيب ذكر الحبيب.

ـ **الباب السابع والعشرون:** طرف يسير من المقاطع الرائقة والأغزال الفائقة مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك.

ـ **الباب الثامن والعشرون:** ذكر طرف يسير من أخبار المطربين المجيدين؛ من الرجال وذوات الحجال، وما في معنى ذلك؛ من نلك موالاتهم، ووصف آلاتهم.

ـ **الباب التاسع والعشرون:** ذكر من ابتلي من أهل الزمان بحب النساء والغلمان. ثم: النظر إلى وجه الأمرد. ثم: ذكر الحافظ محمد بن ناصر.

ـ **الباب الثلاثون:** ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الأوصاف ومنهم شهيد، ومنهم قتيل.

***

توضيح لابد منه

وفيما يلي: سيتم عرض أهم ما جاء في كتاب ديوان الصبابة"؛ إذ يختصر إلى الحد الذي يسمح به المجال هنا. بحيث يُقتطع ما فاض وزاد عن الحد. وعليه؛ سترد في هذا الحيز؛ كل الشروح التي صاغها **ابن أبي حجلة** بقلمه؛ ثم الاكتفاء بعدد محدود من الشواهد الشعرية الشائعة؛ التي نظمها مختلف الشعراء العرب؛ على أن يثبت كل ما نظمه ابن أبي حجلة بنفسه. وهكذا؛ فقد افتتح ابن أبي حجلة ديوان الصبابة بقوله:

***

مختارات
من ديوان الصبابة

((الحمد لله الذي جعل للعاشقين بأحكام الغرام رضا، وحبب إليهم الموت في حب من يهوونه؛ فلا تكن يا فتى بالعدل معترضاً؛ فكم فيهم من عاشق ومحب صادق:

رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا

فسام صبراً فاعياً نيله فقضا

أحمده من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، وشبب يذكر محبوبه إن كان تهامياً في حجازاً وشامياً في نوى:

طور إيمان إذا لاقيت ذا يمن

وإن لقيت مَعدِّياً فعدناني

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحميد المجيد؛ شهادة من أصبح موته لبعده أقرب من حبل الوريد؛ وقال لعاذله: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد[1]:

ولو أن ما بي من حبيب مقنع

عذرت ولكن من حبيب معمم

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ شهادة من أخلص في موالاته وتبرأ من الإثم؛ حين تولى عنه محبوبه بخاتم ربه وبراءته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه؛ الذين يحبهم ويحبونه ويقفون عند ما أمرهم، ولا يتعدونه؛ ما ذر شارق، وهام عاشق.

أما بعد: فإن كتابنا هذا كما قيل: كتاب حوى أخبار من قتل الهوى، وسار بهم في الحب في كل مذهب مقاطعيه؛ مثل المواصيل؛ لم تزل تشبب فيه بالرباب، وزينب؛ فهم ما هم؛ تعرفهم بسيماهم؛ قد تركهم الهوى كهشيم عقال المحتظر؛ وأصبحوا من علة الجوى على قسمين: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ

---

[1] إقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾. سورة هود، الآية: 79.

﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[1]. فهم ما بين قتيل وشهيد، وشقي وسعيد؛ على اختلاف طبقاتهم وأشكالهم، وتباين مراتبهم وأحوالهم؛ وغير ذلك مما تصبح به أوراقه يانعة الثمر؛ وتُمْسي به صفحاته في كل ناحية من وجهها قمر؛ فإذا نظرت إلى الوجود بأسره؛ شاهدت كل الكائنات ملاحاً على أنَّ جماعة من العصريين غلبوا من تقدم بالتأليف في هذا الباب؛ ولم يفرق غالبهم في التشبيب بين زينب والرباب:

وكل يدعى وصلا بليلى
وليلى لا تقر لهم بذاكا

فربع كتابنا هذا بذكر العامرية مغمور؛ وهو بالنسبة إلى ما أَلَّفه الشهاب محمود[2] مشكور ومن وقف عليه علم صحة هذا الكلام وأنشدني تصديق هذه الدعوى ــ إذا قالت حذام ــ[3] مؤلف طوق

---

[1] من الآية: 23، من سورة الأحزاب.
[2] هو الشهاب محمد بن سليمان بن فهد الحلبي توفي في سنة 725هـ/1324م.
[3] البيت هكذا: ((إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام)).
وهذا القول لجيم بن مصعب؛ الذي أيد زوجته حذام حين حذرت قومها قائلة:
((ألا يا قومنا ارتحلوا وسيروا فلو ترك القطا ليلاً لناما)).

الحمامــة بالنسبــة إلى حجلتــه يحجــل، وصاحـــب منــــازل الأحبــاب ممــن عــرف المحــل؛ فبــات دون المنــزل.

وعــذرت طيفــك في الجفــاء

يسري فيصبــح دوننــا بمراحــل...))

((... فــإن قلــت: الفضــل للمتقــدم "وهـــل غــــادر الشعــراء مــن متــردم"[1]. قلــت نعــم؛ في الخمــــر معـــنى ليــس في العنــب، وأحســن مــا في الطــاوس الذنــب؛ فـــدع كــل صــوت بعــد صــوتي؛ فأنــني أنــا الصائــح المحـــكي؛ والآخــر الصــدا؛ فكــم تــــرك الأول للآخـــــر؛ ولا اعتبـــــار بقــول الشاعــر:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفة الفتى وحنينه أبداً لأول منـــزل

فقــد سقــط في يديــه وقيــل في الــرد عليــه:

أفخر بآخر من كلفــت بحبــه

لا خيــر في الحبــيب الأول

[1] هذا صد بيت (ومطلع) لمطقة عنترة بن شداد العبسي. والبيت كاملا هكذا:
((هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم))

أتشك في أن النبي محمداً

ساد البرية وهو آخر مرسل...))

((على أنني لم أجحد ما في منازل الأحباب من ذكر حبيب ومنزل، ولا تحملت على منصفه؛ فوا عجباً من قلبي المتحمل؛ ولكن قصدت التنبيه على أن حسن التأليف مواهب، وأن للناس فيما يعشقون مذاهب. ومعلوم أن الجنون فنون، و﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾[1] ولم يزل كتابنا هذا في مسوداته منذ حججج[2]؛ وبيوته من بحورها في لجج؛ لا أبيح ما فيه ـ من منازل الأحباب ـ لساكن، ولا أمكن عاشقاً من المرور بتلك الأماكن:

أغار إذا آنست في الحي أنة

حذاراً وخوفاً أن تكون لحبه

---

[1] من الآية: 32؛ من سورة الروم.

[2] كتب في الأصل: ((حجج)). ويبدو أنه تحريف؛ فلخترنا كلمة: ((حَجْحَج))؛ التي تعني: الإمساك عن الكلام، أو الإقامة في المكان، أو الرجوع على العقب والنكوص. وهي كلها أقرب إلى المعنى؛ بخلاف كلمة: ((حجج))؛التي لا تعني شيئاً.

حتى برز لطلبه المرسوم الشريف الملكي الناصري؛ أدام الله نشر أعلامه، ولا أخلى كنانة من سهامه؛ ما نفذت مراسيم سهام المقل، وتَثَنّي قوام الحبيب الذي طاب به الزمان، واعتدل؛ فبادرت إلى تجهيزه، وسبك إبريزه؛ حسب المرسوم، والمعدن الشريف؛ من غير تسويف، ولا تكليف؛ ولم أبح زهر منثوره لغير حضرته الشريفة من الأنام؛ لأنه كان يقال: كل ما يصلح للمولى على العبد حرام؛ لا جرم؛ أنه جاء بنظره السعيد نزهة للنظر؛ وقال الواقف على عتبة بابه: إن السعادة لتلحظ الحجر؛ فهو للسلطان بستان، وللعاشق سلوان، وللمحب الصادق جبيب موافق، وللمهجور نجوة، وللنديم قهوة، وللناسي تذكرة، وللأعمى تبصرة، وللشاعر المجيد بيت القصيد، وللأديب الماهر مَثَلٌ سائر، وللمحدث قصص، وللحاسد غصص، وللفقيه تنبيه، وللحبيب بالقمر تشبيه[1]:

تبادره بالبدر منه بوادرهْ

وتحلو له عند المرور نوادرهْ

---

[1] القصيدة الموالية من نظم ابن أبي حجلة؛ وهي في 45 بيتاً:

ففيـــه لـــه في كـــل يـــوم وليلـــة

حبيـــب ملـــم أو نديـــم يسامـــرهْ

ولي فيـــه نظـــم أن تضـــوع نشـــره

فـــفي طيـــه حلـــو الكـــلام ونـــادرهْ

ولي فيـــه منثـــور غـــدا في مقامـــه

وعرف سناه مشرق الروض عاطرهْ

ولي فيه من سحـــر البيـــان رسائـــل

إذا ما جفاني أحور الطرف ساحـــرهْ

ولي فيـــه أســـرار الحـــروف لأنـــه

ينقطـــه دمـــعي فتبـــدو سرائـــرهْ

فنثور دمعي مثـــل نظيـــم سطـــوره

خـــدودي إذا ما خـــط فيهـــا دفاتـــره

تمـــد مـــداد الدمـــع أقـــلام هديـــه

فدمـــعي حبـــري والســـواد محابـــره

خدمـــت بديـــوان الصبابـــة عامـــلا

فباشـــر قتـــلي من سبـــاتي ناظـــرهْ

فلولا الهوى ما مات مثـــلي عاشـــق

ولا عمـــرت بالعامـــري مقابـــرهْ

وفي غزلي ذكـــر الغـــزال ومربـــع

تطـــار حتى فيـــه الحديـــث جـــآذرهْ

أنزهـــه عن وصـــف خـــدر عنيـــزة

ومنزل قفـــر ســـرن عنـــه أباعـــره

تجـــر قوافيـــه معـــال غـــدا بهـــا

جريـــر كعبـــداً وثقتـــه جرائـــره

يشيـــب بهـــا فـــود الوليـــد لأنـــه

يسيـــر وجنـــح الليل سود ضفائـــرهْ

ولســـت أرى يومـــاً بـــدارة جلجـــل

ســـوى شاعـــر دارت عليه دوائـــرهْ

إذا ما نـــسي ذكـــر حبيـــب ومنـــزل

فإني لمن أهـــواه ما عشـــت ذاكـــرهْ

أجـــاور في سفـــح المقطـــم جيـــرة

فيا حبذا المحبـــوب حيـــن تجـــاورهْ

فيا طيف من أهـــواه طرفي إن غفـــا

أتهجـــره بـــاللـــه أم أنـــت زائـــرهْ

وحقـــك لـــو سايرتـــه بعـــض ليلـــة

لسايرت صيامات في الحب سائـــرهْ

ويا تيه طيـــف من خيالـــك طـــارق

فيطـــرق إجـــلالاً كأنـــك حاضـــرهْ

وبي من يحج الغصـــن رمح قوامهـــا

إذا بات في الروض النضير بناظـــرهْ

إذا قبلت في الحلي والطيب قيـــل لي

حبيبـــك بستـــان تضـــوع أزاهـــرهْ

وإن رمت منها وهي غضبى التفاتـــة

ثنت عواطفها نحـــو الغزال تشـــاورهْ

أيبـــرد ما ألقـــاه من حـــر هجرهـــا

وقـــد حميـــت يومـــاً علي هواجـــرهْ

تحصنت في حصن الهوى من عواذلي

وبات لقلبي جيـــش هـــم يحاصـــرهْ

ولو لم يكـــن أعمى البصيرة عـــاذلي

لما عميت عمـــن هويـــت نواظـــرهْ

يشبهها بالغصـــن والغصـــن عندهـــا

يشاهدها يغـــضي ويطـــرق ناظـــرهْ

أللغصـــن خـــد كالشقيـــق إذا بـــدا

وشعـــر كجنح الليـــل سود غدائـــرهْ

لئن طـــاب ذلي في هواهـــا فإنـــني

وحقـــك ممن عز في مصر ناصـــرهْ

مليك يهـــز الرمـــح أعطـــاف قـــده

كما اهتز غصن طار في الحب طائرهْ

مليك تريه قبـــل ما صار هو كائـــن

بصيرته أضعـــاف ما هـــو ناظـــرهْ

مليــك إذا مــا جئتــه حســن اللقــا

جميل المحيــا بارع الحسن باهــرهْ

مليك إذا ما صار كالبدر في الـــدجى

فــأولاده مثــل النجــوم تسايــرهْ

مليك أرى مــن حولــه كــل عالــم

يذكــره في العلــم ما هــو ذاكــرهْ

مليــك لــه في كــل يــوم وليــة

بشيــر توالــت بالهنــاء بشائــرهْ

مليــك أسود الغــاب تحــذر بأســه

لأن ملــوك الأرض طُــراً تحــاذرهْ

تروعهــم شهــب السمــاء وبروقــه

ومــا هي إلا سمــره وبواثــرهْ

إذا افترعت أشكال حــال اجتماعهــم

فــأي ضمير لم يــدس فيه ضامــرهْ

أي كمــاة لم بحرها يرعهــم نزالــه

وأيّ مكــان مــا علتــه منابــرهْ

وأي قصيــد بخرها لــم يــرق لــه

وغائص فكري ناظــم الــدر ناثــرهْ

ولي فيه من غر التصانيــف خمســة

وهذا الذي طوق الحمامــة عاشــرهْ

يضوع به المنثور كالزهـــر عندمـــا

تراوحـــه ريـــح الصبـــا وتباكـــرهْ

فكم فيه لي من مرقص حول مطرب

بتشبيبه في الـــحي يطـــرب زامـــرهْ

ولو لم يكن مثل السكر دان ما غـــدا

بحضرته يومـــاً تطيـــب حواضـــرهْ

نعـــم؛ أَلَّفْتُـــه باســـم مولانـــا السلطـــان عـــلى الوجـــه المشـــروح، وتوليـــت ــ لأجلـــه ــ عملـــه بنفـــسي؛ فجـــاء كمـــا قيـــل: عمـــل الـــروح للـــروح:

أهيـــم بمـــن هـــام الحبيـــب بحبـــه

ألا فاعجبـــوا من ذا الغـــرام المسلســـل

وسلكـــت في تأليفـــه الاختصـــار والاقتصـــار عـــلى النـــوادر القصـــار؛ لأنـــه كـــان يقـــال: الوضـــع وضعـــان: وضـــع لـــه افتخـــار ووضـــع لـــه نجـــار. وقـــال يحـــيى بـــن خالـــد[1] لولـــده: اكتبـــوا أحســـن مـــا تسمعـــون، واحفظـــوا أحســـن مـــا تكتبـــون، وحدثـــوا بأحســـن مـــا تحفظـــون،

---

[1] **هو يحيى بن خالد بن برمك؛ وزير الخليفة العباسي ومربيه هارون الرشيد. انتهى عهده بالهلاك في سجن الرقة ـ عن عمر بلغ السبعين. وذلك في سنة 190هـ/805م.**

وخذوا من كل شيء طرفاً؛ فإنه من جهل شيئاً عاداه. وسميته "ديوان الصبابة"؛ ليصبح الواقف عليه مولهاً؛ ويعلم أنه إن لم أكن أنا للصبابة من لها:

ما يعلم الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يعانيها

أي والله

قلما يبرح المطيع هواه

كافا ذا صبابة وجنون

❋❋❋

ـ رسم العشق، ورسمه، وما قيل في اسمه:[1]

أقول: هذا الفصل؛ عقدناه لذكر رسم العشق وحده، وجزر بحره المتلاطم ومده؛ وما للناس فيه من الكلام الباين، والقول المتباين؛ إذ فيهم مَنِ التبس عليه؛ فسماه باسم سببه، أو باسم ما يؤول لغيه؛ وغير ذلك؛ مما التبس عليهم فيه الجواب، وإصابة الصواب؛ وعذرهم الظاهر؛ قول الشاعر:

---

[1] اكتفِي بما سبق من مقدمة الكتاب؛ وفيما يلي المباحث التمهيدية؛ وهو أول فصولها.

يقـــول أنـــاس لو نعت لنـــا الهـــوى

واالله مـــا أدري لهـــم كيـــف أنعـــت

فليـــس لـــشيء منـــه حـــد أحـــده

وليس لـــشيء منـــه وقـــت مؤقـــت

فمـــن حـــدود المليحـــة ورسومـــــه الصحيحـــــة؛ قـــول فيثاغـــورث[1]؛ الـــذي أخـــذ عـــن أصحـــاب سليمـــان بـــن داود عليهمـــا الصـــلاة والســـلام؛ فيمـــا ذكـــره صاعـــد[2] في كتـــاب الطبقـــات: "العشـــق طمـــع يتولـــد فـــي القلـــــب، ويتحــــرك، وينمـــو، ثـــم يتـــربى؛ وتجتمـــع إليـــه مـــواد مـــن الحـــــرص. وكلمـــا قـــــوي؛ زاد صاحبـــــه فـــي الاهتيــــاج، واللجـــــاج، والتمـــادي في الطمـــع، والفكـــر، والأمـــاني، والحـــرص عـــلى الطلـــب؛ حـــتى يؤديـــه ذلـــك إلى الغـــــمّ المقلـــــق؛ ويكـــــون احتـــراق الـــدم ــ عنـــد ذلـــــك ــ باستحالـــــة الســـــوداء، أو

[1] يسمونـه: فيثاغورث أو فيثاغورس أو فيتاغورس الساموسي. وهو من فلاسفة الإغريق؛ عالم في الرياضيات. عاش في القرن السادس قبل الميلاد. وتنسب إليه براهين فيثاغورث في الرياضيات. ومفادها: ((في مثلث قائم الزاوية، مربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي طولي الضلعين المحاذيين للزاوية القائمة))؛ تم ذلك عن طريق حساب مساحة المربعات التي تقابل كل ضلع من أضلاع المثلث قائم الزاوية. ربما تكون وفاته حدثت في سنة 500 قبل الميلاد.

[2] هو أبو القاسم صاعد بن أحمد القرطبي الأندلسي. توفي في عام 462هـ/1070م. اشتهر بكتابه المعنون بـ"طبقات الأمم)).

التهاب الصفراء، وانقلابها إليها. ومن طبع السوداء إفساد الفكر؛ يكون زوال العقل، ورجاء ما لا يكون؛ وتمني ما لا يتم؛ حتى يؤدي ذلك إلى الجنون؛ فحينئذ؛ ربما قتل العاشق نفسه؛ وربما مات غماً؛ وربما نظر إلى معشوقه؛ فمات فرحاً؛ وربما شهق شهقة؛ فتختنق روحه؛ فيبقى أربعاً وعشرين ساعة؛ فيظنون أنه مات؛ فيدفنونه؛ وهو حي؛ وربما تنفس الصعداء؛ فتختنق نفسه في تامور قلبه؛ وينضم عليها القلب؛ ولا ينفرج حتى يموت. وتراه إذا أذكر من يهواه؛ هرب دمه؛ واستحال لونه".

قال الإمام ابن الإمام محمد بن داود الظاهري[1]: وتكرار وإذا كان ذلك كذلك؛ فإن زوال المكروه عمن هذه حالته؛ لا سبيل إليه بتدبير الأدوية، ولا شفاء له في نسخة. وقال فزاري إلاَّ بلطف ربٍّ العالمين. وذلك إن المكروه العارض من سبب واحد قائم بنفسه؛ يتهيأ التلطف فيه؛ بزوال سببه. فأما إذا وقع السببان؛ وكان كل واحد منهما سبباً؛ فإذا كانت السوداء[2] سبباً لاتصال الفكر،

---

[1] **هو أبو بكر محمد بن داود بن علي. ولد ببغداد في سنة 255هـ/868م، وتوفي بها في عام 297هـ:909م. وهو ابن الإمام داود بن علي الظاهري؛ مؤسس المذهب المنسوب إليه.**

[2] **في الأصل: ((الصوداء))؛ وهو تحريف.**

وكـــان اتصـــال الفكـــر سببـــاً لاحتـــراق الـــدم، والصفـــــراء، وقلبهمـــا إلى تقويـــة الســـوداء؛ فهـــذا هـــو الـــداء العضـــــال؛ الـــذي يعجـــز عـــن معالجتـــــه الأطبـــــاء. ومنهـــــا قـــــول أفلاطـــون[1]؛ الآخـــذ للحكمـــة عـــــن **فيثاغـــورس**؛ المتقـــــدم ذكـــره: العشـــق قـــوة غريزيـــــة متولـــــدة مـــــن وســـــواس الطامـــع، وأشبـــاح التخيـــل؛ نـــام بإيصـــال الهيكـــل الطبيـــعي؛ محدث للشجـــاع جبنـــاً[2]، وللجبـــان شجاعـــــة؛ يكســـــو كـــــل إنســـان عكـــس طباعـــه؛ حـــتى يبلـــغ بـــه المـــرض النفســـاني والجنـــون الشـــوقي؛ فيؤديانـــه إلى الـــداء العضـــال؛ الـــــذي لا دواء لـــه. ومنهـــا قـــول **أرسطاطاليـــــس**؛[3] الآخـــــذ للحكمـــــة عـــن أفلاطـــون؛ المتقـــدم ذكـــره: العشـــق عـــــمى العاشـــــق عـــن عيـــوب المعشـــوق. وهـــذا كقولـــه صـــــلى الله عليـــــه وسلـــم: (حبـــك الـــشيء؛ يعـــمي، ويصـــم)؛ وقـــول الشاعـــر:

---

[1] أفلاطـون Plato؛ وترجمتهـا "واسـع الأفـق": هـو الفيلسـوف اليونـاني الشهير. ولـد في أثينـا سنـة 427 أو 428 قبـل الميـلاد، ومـات بهـا في عـام 347 أو 348قبل الميـلاد.

[2] في الأصل: ((جنباً))؛ وهو تحريـف.

[3] أرسطاطاليـس أو أرسطوطاليـس أو أرسطـو: فيلسـوف يونـاني؛ تلميذ أفلاطـون، وأستـاذ الأسكنـدر المقـدوني. ولـد في 322 قبـل الميلاد وتـوفي في سنـة 384 قبـل الميـلاد. شـاع ذكـره بيـن المفكريـن المسلميـن؛ وكـان يسمـى "المعلـم الأول".

فلست براء عيب ذي الود كلّه

ولا بعض ما فيه إذا كنت راضياً

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

ولكن عين السخط تبدي المساويا...))

((ومنها؛ ما مشى عليه أبو علي بن سينا[1] وغيره من الأطباء؛ العشق مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا[2]؛ يجلبه المرء إلى نفسه؛ بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والتماثيل؛ وقد يكون معه شهوة جماع؛ وقد لا يكون. وقال بعض الأدباء الظرفاء: العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل المخصوص من شخص مخصوص. وهذا ظريف.

---

[1] هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. وُلِدَ ببلدة "أفشنة؛ القريبة من بخارى؛ في أوزباكستان الحالية؛ ووالده من مدينة بلخ بأفغانستان الحالية؛ أما أمه فقروية من الأرياف. ولد في سنة370هـ/980م. وتوفي بمدينة همدان الإيرانية في عام 427هـ/1037م. وهو من أبرز الفلاسفة الأطباء. بحيث لقب بالشيخ الرئيس، وأمير الأطباء، وأبي الطب الحديث. ألف زهاء 200 كتابا في مختلف الأغراض.

[2] المانخوليا أو المليخوليا: مرض نفسي؛ يصاب صاحبه بقلق شديد، وتشاؤم حاد، وانقباض مفرط. يسميه بعضهم: "النكوصية" و" السوداء". يؤدي بالمريض إلى الصرع.

وقـال الجنيـد[1]: العشـق ألفـة رحمانيـة، وإلهـام شـوقي، أوجبها كـرم الله تعـالى عـلى كـل ذي روح؛ لتحصـل بـه اللـذة العظـمى؛ الـتي لا يقـدر عـلى مثلهـا إلاَّ بتلـك الألفـة؛ وهي موجـودة في الأنفـس؛ بقـدر مراتبهـا عنـد أربابهـا؛ فمـا أحـد إلاَّ عاشـق لأمـر يسـتدل بـه عـلى قـدر طبقتـه مـن الخلـق. ولأجـل ذلـك؛ كـان أشـرف المراتـب في الدنيـا مراتـب الذيـن زهـدوا فيهـا؛ مـع كونهـا معاينـة؛ ومالـوا إلى الآخـرة[2]؛ مـع كونهـا مخبـراً لهـم عنهـا بصـورة اللفـظ. وقـال الأصمـعي: سألـت إعرابيـة عـن العشـق؛ فقالـت: جـل الله عـن أن يـرى، وخـفي عـن أبصـار الـورى؛ فهـو في الصـدور كامـن؛ ككمـون النـار في الحجـر؛ إن قدحتـه أورى، وإن تركتـه تـوارى. وقـال بعضهـم: إن الجنـون فنـون؛ والعشـق فـن مـن فنونـه؛ واحتـج بقـول قيـس:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم

العشق أعظـم مما بالمجانيـن

---

[1] هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري؛ أحد الأئمة السنيين الكبار، ومن المتصوفة الأوائل؛ عاش في القرن الثالث الهجري؛ ولد ونشـا وتوفي ببغداد في سنة 297هـ/909م.

[2] في الأصل: ((الآخر)).

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين

إني جننت فهاتوا من جننت بـه

إن كان ينفي جنوني لا تلوموني

وقيل لأبي زهير المدايني: ما العشق؟ فقال: الجنون، والذل؛ وهو داء أهل الظرف. وقيل لأبي وائل الأوضاحي: ما تقول في العشق؟ فقال: إن لم يكن طرفاً من الجنون؛ فهو عصارة من السحر. وقالت إعرابية: هو تحريك الساكن، وتسكين المتحرك. وقال المأمون[1] ليحيى بن أكثم[2]؛ ما العشق؛ فقال: سوانح تسنح للمرء؛ فيهيم بها قلبه،

---

[1] **هو الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد. ولد في سنة 170هـ/786م. وتوفي في سنة 218هـ/833م.**

[2] **هو الفقيه العلامة أبو محمد يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي؛ قاضي القضاة في الدولة العباسية؛ وُلد في عهد الخليفة العباسي المهدي. ولاه المأمون خطة قاضي القضاة؛ وكان له تأثير كبير على المأمون؛ بحيث أقنعه بنبذ كثير من القضايا التي سنها قاضي الدولة قبله؛ مثل زواج المتعة، وبعض الشعائر الشيعية. وقد تعرض لحملات دعائية ضده؛ غرضها تشويه صورته، والإساءة إليه. وتوفي في سنة 242هـ/856م؛ بعد أن فاق الثمانين من عمره.**

وتؤثر بها نفسه. فقال له ثمامة[1]: أسكت يا يحيى؛ إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق، أو محرم صاد صيداً؛ فأما هذه فمن مسائلنا نحن. فقال له المأمون: قل يا ثمامة؛ قال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مالك، وملك قاهر؛ ملك مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة؛ ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها؛ قد أعطي عنان طاعتها، وقوة تصرفها، وقياد ملكها؛ وتوارى عن الأبصار مدخله، وعمي عن القلوب مسلكه. فقال له المأمون: أحسنت يا ثمامة؛ وأمر له بألف دينار. وهذا القدر كافٍ في معرفة العشق ورسمه.

***

---

[1] هو ثمامة ـ بالثاء المثلثة الفوقية ـ وليس بالتاء كما حرفت في الأصل ـ ابن أشرس النميري؛ من المعتزلة المؤثرين على المأمون. وتدعى طائفته ((الثمامية)). ونسبت إليه الخلاعة، وقلة الدين، توفي سنة **213هـ/828م**.

ـ أسبابــه وعلاماتــه[1]:

أقــول: هــذا الفصــل عقدنــاه للكــلام عـــلى أسبـــاب العشــق النفسانيــة، وعلاماتــه الجسمانيــة؛ عـــلى أن هـــذا النـــوع الأخيــر كثيــر؛ والمتصــف بـــه مـــن المحبيـــن جـــمٌ غفيــر. وسنـــورد مـــن ذلـــك مـــا يعـــذب وروده، وتخفـــق ـ كقلـــب العاشــق ـ بنـــوده؛ إن شـــاء الله تعـــالى.

قـــال بعـــض الأطبـــاء: سبـــب العشـــق النفســـاني الاستحســـان والفكـــر؛ وسببـــه البـــدني ارتقـــاع بخـــار رديء إلى الدمـــاغ؛ عـــن مَـــنْيٍ مُحْتَقـــن؛ ولذلـــك؛ أكثـــر مـــا يعتـــري العـــزاب؛ وكثـــرة الجمـــاع تزيلـــه بسرعـــة. وقـــال ابـــن الأكفـــاني[2] في كتابـــه غنيـــة اللبيـــب عنـــد غيبـــة الطبيـــب: إن أكـــل الطيـــور المسموعـــة يـــورث العشـــق. وقـــال أيضـــاً في الخلاصـــة: علامتـــه نحافـــة البـــدن وخـــلاء الجفـــن للسهـــر؛ وكثـــرة مـــا يتصعـــد إليـــه مـــن الأبخـــرة، وغـــور العيـــن، وجفافهـــا؛ إلاّ عنـــد البكـــاء، وحركـــة الجفـــن ضاحكـــة؛ كأنـــه ينظـــر إلى شـــيء لذيـــذ؛ ونفـــس كثيـــر الانقطـــاع والاستـــرداد؛ والصعـــداء، ونبـــض غيـــر منتظـــم؛

---

[1] يتبع للفصل الثاني من التمهيد.

[2] هو أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله ابن الأكفاني الأمين الأنصاري الدمشقيّ، ولد في سنة 1052/444م. من أهل الحديث، وله مشاركة في كتابة التاريخ. توفي بدمشق في عام 1129/524م.

لا سيما عند ذِكْرِ أسماء وصفات مختلفة؛ فأيها اشتد عنده اختلاف النبض، وتغير الوجه؛ فهو.

وقال أرسطاطاليس: الفلكي للعشق من النجوم: زحل، وعطارد، والزهرة؛ جميعاً؛ ولذلك؛ إذا اشتركوا في أصل المولد، أو اجتمعوا وتناظروا في أشكال محمودة؛ وقع بينهم العشق والمحبة في بيت أحدهم، أو في حده؛ وكان رب البيت، أو صاحب الحد ناظراً إليه، أو كانت الكواكب المذكورة ناظرة في أشكال محمودة، أو متقارنة؛ فزحل يهيئ الفكرة، والتمني، والطمع، والهم، والهيجان، والأحزان، والوسوسة، والجنون. وعطارد يهيئ قول الشعر، ونظم الرسائل، والملق، والخلاعة، وتنميق الكلام، والتذلل، والتلطف. والزهرة تهيئ للعشق، والوله، والهيمان، والرقة؛ وتبعث في النفس التلذذ بالنظر، والمؤانسة بالحديث، والمغازلة التي؛ تبعث على الشبق، والغلمة، وتدعو إلى الطرب، وسماع الأغاني، وما شابهه.

وقال بطليموس[1]: سببه أن تكون الشمس والقمر في برج واحد، أو متناظرين؛ من تثليث، أو تسديس؛ فمتى كان كذلك؛ كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما؛ لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد، أو يتناظر السهمان من تثليث، أو تسديس؛ بعد أن يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة؛ فذلك يدل على أن هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة؛ ومنفعتهما من جهة واحدة؛ وإن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه؛ فتجلب المنفعة ما بينهما المحبة، والمودة؛ ويمتزجان، ويؤيد هذا؛ قول الخيزارزي:

ولكن أرواح المحبين تلتقي
إذا كانت الأجساد عنهن نوّما
وأحسب روحينا من الأصل واحداً
ولكنه ما بيننا منقسما

[1] ثمة 15 بطليموس حكموا مصر: فالأول هو (سوستر أو المنقذ)؛ ولد في سنة 367 قبل الميلاد ومات في عام 283 قبل الميلاد. وهو أو ملوك البطالمة في مصر. ولكن المقصود هنا غير هؤلاء؛ بل المقصود هو بطليموس الفلكي اليوناني الذي ولد في عام 90م وتوفي في سنة 168م.

ولو لم يكن هذا كـذا مـا تألّمـت

له مهجـتي بالغيـب لمـا تألمـا

ومـن علاماتـه؛ إغضـاء المحـب عنـد نظـر محبوبـه إليـه، ورميـه بطرفـه نحـو الأرض؛ وذلـك مـن مهابتـه لـه، وحيائـه منـه، وعظمتـه في صـدره؛ ولهـذا يستهجـن الملـوك مـن يخاطبهـم؛ وهـو يحـدّ النظـر إليهـم؛ بل يكـون خافـض الطَّـرْف إلـى الأرض. قـال الله تعـالى؛ مخبـراً عـن كمـال أدب نبيـه صـلى الله عليـه وسلـم؛ في ليلـة الإسـراء: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[1]. وهـذا غايـة الأدب فـإنَّ البصـر لـم يـزغ يمينـاً، ولا شمـالاً، ولا طمـح متجـاوزاً إلـى مـا وراء. ومنهـا اضطـراب يبـدو للمحـب عنـد رؤيـة مـن يشبـه محبوبـه، أو عنـد سمـاع اسمـه؛ كمـا قيـل:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى

فهيـج أشجان الفـؤاد وما يـدري

دعا باسـم ليـلى غيرهـا فكأنمـا

أطار بليلى طائراً كان في صـدري

---

[1] سورة النجم؛ الآيـة: 17.

دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
وليلى بأرض الشام في بلدٍ قفر

ومنها؛ أنه يستدعي سماع اسم محبوبه، ويستلذ الكلام في أخباره، ويحب أهل محبوبه، وقرابته، وغلمانه، وجيرانه، ومن ساكنه؛ كما قال الشاعر:..))
((وقال آخر:

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب

ومنها؛ كثرة غيرته عليه، ومحبة القتل والموت ليبلغ رضاه؛ والإنصات[1] لحديثه إذا حدث؛ واستغراب كل ما يأتي به؛ ولو أنه عين المحال؛ وتصديقه وإن كذب؛ وموافقته وإن ظلم؛ والشهادة له وإن جار، واتباعه كيف يسلك؛ والإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه؛ والتَّعَمُّد للقعود بقربه، والدنوٌّ منه؛ وإطراح الأشغال الشاغلة عنه، والزهد فيها، والرغبة عنها؛ والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقته؛ والتباطؤ في المشي عند القيام عنه؛ وجوده بكل ما يقدر عليه؛ مما كان يتمتع به قبل ذلك؛ حتى

---
[1] في الأصل: ((الإنصاف))؛ وهو تحريف.

كأنه هو الموهوب له؛ وهذا قبل استعار نار الحب؛ فإذا تمكن؛ أعرض عن ذلك كله؛ وبدله سؤالاً، وتضرعاً؛ كأنه يأخذه من المحبوب؛ حتى أنه يبذل نفسه؛ دون محبوبه؛ كما كانت الصحابة يفدون النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ في الحرب بنفوسهم؛ حتى يُصرَّعوا حوله؛ كما قيل:

بفديك بالنفس صب لو يكون له

أعز من نفسه شيء فداك به

ومنها؛ الانبساط الكثير الزائد؛ والتضايق في المكان الواسع؛ والمحاربة على الشيء؛ يأخذه أحدهما؛ وكثرة الغمز الخفي؛ والميل والتعمد للمس اليد عند المحادثة، ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة؛ وشرب ما أبقى المحبوب في الإناء. قلت: ومنها تقبيل نعله في غيبته. وقد رأيت من فعل هذا؛ فعنفته على ذلك؛ فقال: أسكت يا فلان؛ ما تعلم ما في هذا من اللذة. ثم إني وجدت هذا المذكور بمكة؛ وأرسل معي كتاباً إلى محبوبه المذكور؛ لأنه جاور. فقلت له: كيف أمكن الصبر يا زيد عن عمرو. فأنشد:

وللهِ مــني جانــب لا أضيعــه

وللهــو مــني والخلاعة جانــب

ومنهـــا تقبيـــل جـــدار الـــدار كمـــا قيـــل:

أمــر على الديــار ديــار ليــلى

أقبِّــل ذا الجــدار وذا الجــدار[1]

ومـــا حـــب الديار شغفــن قــلبي

ولكـــن حـــب من سكـــن الديـــارا

ومنهـــا؛ الاتفـــاق الواقـــع بيـــن المحـــب والمحبـــوب؛ ولا سيمـــا إذا كانـــت المحبـــة محبـــة مشاكلـــة، ومناسبـــة؛ فكثيـــراً مـــا يتكلـــم المحبـــوب بكـــــلام، أو يريـــــد أن يتكلـــــم بـــــه؛ فيتكلـــم المحـــب بـــه بعينـــه؛ وكثيـــراً مـــا يمـــرض المحـــــب بمـــرض محبوبـــه. قلـــت: وقـــد اتفـــق هـــــذا غيـــــر مـــــرة للسلطـــان الملـــك الناصـــر أحمـــد؛ لمَّـــا كـــان بالكـــرك مـــــع محبوبـــه الشهيـــب؛ فإنـــه كـــان يمـــرض لمرضـــه، ويصـــــح لصحتـــه. أخبـــرني بذلـــك مـــن لا أرتـــاب في قولـــه؛ ممـــــن كـــان في خدمتـــه ملازمـــــاً لـــــه؛ وأمـــــا وقـــــوع ذلـــــك للمتقدميـــن فكثيـــر...))

[1] قُلِبَ هذا البيت في الأصل؛ فكان الصدر في موضع العجز؛ فصوبناه.

((... ومنها؛ أنه إذا سئل عن أمر؛ أجاب بخلافه؛ وكثرة التثاؤب، والتمطي، والتكسل؛ إذا نظر إلى محبوبه؛ ونكثه في الأرض بإبهام رجله. وهذا كثير ما يقع للنساء؛ وعضها على شفتها السفلى، وضربها على عضديها، أو ثدييها؛ وإظهار محاسنها لمن تهواه؛ توهمه أنها تري ذلك لبعض أهلها؛ ونظرها إلى أعطافها؛ ووضعها الحديث في غير موضعه (إياك أعني واسمعي يا جارة)[1]. ومنها الانقياد للمحبوب في جميع ما يختاره؛ من خير وشر؛ فإن كان المحبوب مشغوفاً بالعلم؛ اجتهد المحب في طلبه، أشد من اجتهاده؛ وإن كان مشغوفاً بالنوادر، والحكايات الحسان، والأخبار المليحة المستحسنة؛ بالغ المحب في طلبها، وحفظها؛ وإن كان

---

[1] هذا مَثلٌ قاله سهل بن مالك الفزاري. قيل أنه قصد أحد معارفه؛ أثناء رحلته؛ فنزل بخيمته؛ فوجده غائباً؛ فرحبت به أخته وأضافته. ولما رأى جمالها انبهر بها؛ ولم يستطع صبراً؛ فقال شعراً؛ أراد أن تسمعه بصورة غير مباشرة:

يا أخت أهل البدو والحضارهْ
ماذا ترين في فتى فزارهْ
أصبح يهوى حرة معطارهْ
إياك أعني واسمعي يا جارهْ!!!

فأضحى عجز هذا البيت الأخير مثلاً سائراً.

مشغوفـاً بحرفـة، أو صناعـة؛ اجتهـد في تعلمهـا؛ إن أمكنـه ذلـك.

فالمحبـة النافعـة أن يقـع الإنسـان علـى عشـق كامـل؛ يحملـه عشقـه علـى طلـب الكمـال. والبليـة كـل البليـة؛ أن يُبْتَـلَى الإنسـان بمحبـة فـارغ بطـال؛ صفـر مـن كـل خيـر؛ فيحملـه حبـه علـى التشبُّـه بـه.

وفي أخبـار العشـاق أن عاشقـاً عشـق السراويـلات مـن أجـل سراويـل معشوقتـه؛ فوجـد فـي تركتـه اثنـا عشـر حمـلاً وفـردة من السراويـلات. ذكـره الصيمـري[1]. وعشـق آخـر الهاونـات؛ مـن أجـل صـوت هـاون[2] محبوبتـه؛ فوجـد في تركتـه عشـرة آلاف منهـا. وقـد وقفـت مـن هـذا علـى أشيـاء كثيـرة؛ والجنـون فنـون.

* * *

[1] هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، الحنفي. ولد في سنة 351هـ/962م، وتوفي في عام 436هـ/1045م. ولي قضاء بغداد.

[2] الهاون: إناء نحاسي أو معدني لطحن مواد الطعام الصلبة بواسطة الدك. اسمه في الجزائر : المهراس.

ـ مراتبــه وأسمائـــه:[1]

أقــول: هــذا الفصــل عقدنـــاه لذكــر مراتــب الحــــب، وسياقــه، وأسمائــه، واشتقاقــه؛ عـــلى اختــــلاف لغاتــــه، وإنفــاق رواتــه. ومــن المعلــوم أن الــشيء إذا كــان عنـــد العــرب عظيمـــاً، وخطـــره جسيمــــاً ـ كـــ: الهزبـــر، والرمــح، والخمــر، والسيــف، والداهيــة، والمحبــة المحرقــة؛ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾[2] ـ وضعــوا لــه أسمـــاء كثيـــرة؛ وكانـــت عنايتهــم بــه شهيــرة؛ ولا شيء يعـــدل اعتناءهـــم بالحــب؛ الــذي يسلــب اللُّــبَّ.

فــأول مراتبــه الهــوى: وهــو ميــل النفـــس؛ وقـــد يطلــق؛ ويــراد بــه نفــس المحبــوب. قــال الشاعــر:

إن الــتي زعمــت فــؤادك ملهــا

خلقت هواك كما خلقت هوى لهـا

ثــم العلاقــة؛ وهي الحــب الـــلازم للقلـــب؛ كمــا قـــال الشاعــر:

ولقــد أردت الصبر عنك فعاقــني

علــق بقلــبي مــن هــواك قديــم

---

[1] مـن الفصـل التمهيـدي.

[2] سـورة القارعـة؛ الآيـة: 10.

وسميت علاقة؛ لتعلق القلب بالمحبوب. **ثم الكلف:** وهو شدة الحب؛ وأصله من الكلفة؛ وهي المشقة. يقال: كلفة، تكليفاً؛ إذا أمره بما يشق عليه؛ فكان الحبيب يكلف المحب ما لا يطيق؛ ويتغافل عن قوله تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[1]؛ وقيل: هو مأخوذ من الأثر؛ وهو شيء يعلو الوجه؛ كالسمسم؛ والكلف[2] أيضاً لون بين السَّواد،[3] والحمرة؛ وهي حمرة كدرة. **ثم العشق:** وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب. وفي الصحاح[4]: العشق فرط الحب؛ وهو عند الأطباء: من جملة[5] أنواع الماليخوليا. والمراد بالماليخوليا: تغير الظنون، والفكر؛ عن المجرى الطبيعي؛ إلى الفساد؛ وهو أمر هذه الأسماء. وقلما نطقت به العرب؛ وكأنهم ستروا اسمه؛ وكنوا عنه بهذه الأسماء؛ فلم يكادوا يفحصون به؛ ولا تكاد تجده في شعرهم القديم؛ وإنما أولع به المتأخرون. ولم يقع هذا اللفظ في القرآن،

---

[1] من الآية 286؛ من سورة البقرة.

[2] في الأصل: ((الكف))؛ وهو تحريف؛ فصوبناه.

[3] في الأصل: ((المواد))؛ وهو تحريف بين؛ فصوبناه.

[4] هو معجم في اللغة العربية. يسمى: "تاج اللغة وصحاح العربية"؛ ألفه أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي؛ المتوفي سنة 400هـ/1009م.

[5] في الأصل: ((جلة))؛ وهو تحريف فصوبناه.

ولا في السنة؛ إلا في حديث ابن داود الظاهري؛ كما يأتي بيانه. وقال ابن سيده[1]: العشق عُجبُ المُحِبِّ بالمحبوب؛ يكون في عناف الحب وذعارته. وقيل: العِشْقُ الاسم، والعَشَقُ المصدر، وعشيق كثير العشق، وامرأةٌ عاشقٌ. وشجرة يقال لها العَشَقَةُ[2]؛ وقيل عشقة[3]؛ تَخْضَرُّ، ثم تَدِقُّ، وتَصْفَرُّ[4]؛ قال الزجاجي: واشتقاق العاشق؛ من ذلك. وقال الفراء: العشق نبت لزج؛ فسمي العشق الذي يكون بالإنسان للزوجته[5] ولصوقه بالقلب. وقال ابن الأعرابي[6]: العاشقة اللبلابة؛ تخضر[7]، وتصفر؛ وتعلق وتعلق بالذي يليها من الشجرة؛ فاشتق من ذلك العاشق؛ ذكره في ديوان العاشقين. والعشيق يكون للفاعل والمفعول؛ وجمع العاشق: عشق وعشاق.

---

[1] هو علي بن إسماعيل؛ الشهير باسم ابن سِيدَه. ولد في مرسية بالأندلس سنة 398هـ/1007م، وتوفي بها في عام 458هـ/1065م. وهو من أئمة اللغة؛ وكان كفيف النظر؛ أخذ العلم عن أبيه الذي كان كفيفاً أيضاً.

[2] يبدو أن كلمة سقطت هنا. وقد تكون ((العشقة))؛ التي أضفناها من لسان العرب.

[3] في الأصل: ((عاشقة))؛ وهو تحريف فصوب.

[4] في الأصل: ((تصغر))؛ بالغين الفوقية الموحدة؛ وهو تحريف؛ فصوب.

[5] في الأصل: ((لزوجته))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

[6] هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي. توفي بسامرا في في عام 231هـ/942م. يعتبر من أئمة اللغة؛ وله مؤلفات أدبية عديدة.

[7] في الأصل: ((تحضر))؛ بالحاء المهملة؛ وهو تحريف فصوب.

ويقـال في المـرأة: عاشقـة، وامـرأة عاشـق أيضـاً؛ وقـد تقـدم ذكـر ذلـك والله أعلـم. **ثـم الشغـف:** قـال العزيـزي[1] في غريـب القـرآن: ﴿**شَغَفَهَا حُبًّا**﴾[2]؛ أصـاب حبـه شَغَـاف قلبهـا؛ والشَّغَـافُ: غـلاف القلـب؛ ويقـال: هـو حَبَّـة القلـب؛ وهي علقـة سـوداء في صميمـه؛ وشَغَفَهَـا حُبـاً: ارتفـع حُبُّـه إلى أعـلى موضـع في قلبهـا؛ مشتـق مـن شغـاف الجبـال: أي رؤوسهـا؛ وقولهـم: فـلان مشغـوف؛ أي ذهـب بـه الحـب أقـصى المذاهـب؛ وأمـا الشعـف ـ بالعيـن المهملـة ـ فهـو: إحـراق الحـب القلـب. قـال: في الصحـاح: شعفـه الحـب؛ أي أحـرق قلبـه؛ وقـد قـرئ[3] بهمـا جميعـاً ﴿**شَغَفَهَا حُبًّا**﴾؛ وشغفهـا وكذلـك: اللوعـة. **واللاعـج:** أعـني مثـل الشغـف في الإحـراق؛ فاللاعـج: اسـم فاعـل؛ مـن قولهـم: الضـرب لعجـه؛ إذا آلمـه، وأحـرق جلـده. ويقـال: هـوى لاعـج؛ لحرقـة الفـؤاد مـن الحـب. وفي الصحـاح لوعـة الحـب: حرقتـه؛ فهـذا هـو الهـوى المحـرق. **ثـم الجـوى:** وهـو الهـوى الباطـن. وفي الصحـاح: الجـوى: الحرقـة، وشـدة الوجـد؛ مـن عشـق أو

---

[1] هو أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني العزيزي. ولد ببغداد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وتوفي في عام 330هـ/941م. اشتهر بكتابه غريب القرآن.
[2] من الآية: 30؛ من سورة يوسف.
[3] في ألأصل: ((قرى))؛ وهو تحريف.

حزن. **ثم التتيم**: وهو أن يستعبد الحب؛ ومنه سمي: تيم الله؛ أي عبد الله؛ ومنه قيل: رجل متيم. **ثم التبل**: وهو أن يسقمه الهوى؛ ومنه: رجل متبول. وفي الصحاح: تبلهم الدهر، واتبلهم: إذا أفناهم. **ثم التدلة**: وهو ذهاب العقل من الهوى؛ ويقال: دلهه الحب؛ أي حيره. **ثم الهيام**: وهو أن يذهب على وجهه؛ لغلبة الهوى عليه؛ ومنه: رجل هائم؛ والهيام ـ بالكسر ـ الأبل العطاش؛ وقوم هيم: أي عطاش. **والصبابة**: رقة الشوق وحرارته. **والمِقَّةُ**: المحبة؛ والوَامِقُ: المُحِبُّ. **والوجد والحسران**: الحزن؛ وأكثر ما يستعمل في الحزن. **والدنف**: لا تكاد تستعملـه العرب في الحب؛ وإنما وُلِعَ بـه المتأخرون؛ وإنما استعملته العرب في المرض. **والشجو**: حب يتبعه هم وحزن. **الشوق**: سفر القلب إلى المحبوب. قال في الصحاح: الشوق والاشتياق: نزاع النفس إلى الشيء. وقد جاء في السنة: "وأسألك النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك". واختلف في الشوق؛ هل يزول بالوصال، أو يزيد؟ فقالت طائفة: يزول؛ لأنه سفر القلب إلى المحبوب؛ فإذا وصل إليه انتهى السفر؛ فألقت عصاها، واستقر بها النوى.

كمـا قـرَّ عينـاً ـ بالإيـاب ـ المسافـر. وقالـت طائفـة: بـل يزيـد؛ واستدلـوا بقـول الشاعـر:

وأعظم ما يكـون العشـق يومـاً

إذا دنـت الخيـام مـن الخيـام

قالـوا الآن: الشـوق هـو حرقـة المحبـة، والتهـاب نارهـا[1] في قلـب المحـب؛ وذلـك ممـا يزيـده القـرب والمواصلـة. والصـواب أن الشـوق الحـادث عنـد اللقـاء؛ والمواصلـة غيـر النـوع الـذي كـان عنـد الغيبـة عـن المحـب؛ قـال ابـن الـرومي:

أعانقهـا والنفـس بعد مشوقـة

إليها وهل بعد العنـاق تـداني

وألثم فاها كي تزول صبابـتي

فيشتـد ما الـقي من الهيمـان

كان فؤادي ليس يشـفى غليلـه

سوى أن ترى الروحين يمتزجان

[1] وقع اضطراب، وزيادة في الكلام؛ فحذفت العبارة الزائدة: ((في حرقة المحبة، والتهاب نارها)). فأضحت هكذا: ((... والتهاب نارها في قلب المحب)).

والبلبال: الهم؛ ووسواس الصدر، والبلابل: جمع بلبلة. يقال: بلابل الشوق؛ وهي وساوسه. **والتباريح:** الشدائد والدواهي. يقال: برح به الحب، والشوق إذا أصابه؛ منه البرح: وهو الشدة. **والغمرة:** ما يغمر القلب من حب، أو سكر، أو غفلة. **والشجن:** الحاجة حيث كانت؛ وحاجة المحب أشد إلى محبوبه. وقال الراجز:...))

((... تحمل أصحابي ولم يجدوا وجدي

وللناس أشجان ولي شجن وحدي

والوصب: ألم الحب، ومرضه؛ فإن أصل الوصب المرض، والكمد، الحزن المكتوم. **والكمد:** تغير اللون، والأرق: والسهر؛ وهو من لوازم المحبة. **والحنيني:** الشوق؛ أصل مادته الستر. والحب المفرط يستر العقل فلا يعقل المحب ما ينفعه، ولا ما يضره؛ فهو شعبة من الجنون؛ ومن الحب ما يكون جنوناً. **والود:** خالص الحب، وألطفه، وأرقه؛ وهو من الحب؛ بمنزلة الرأفة من الرحمة. **والخلة:** توحيد المحبة؛ فالخليل[1] هو الذي

---

[1] في الأصل: ((الخيل))؛ وهو تحريف بَيِّن.

يوحد حبه لمحبوبه؛ وهي مرتبة لا تقبل المشاركة؛ ولهذا اختص بها من العالم الخليلان: إبراهيم، ومحمد؛ صلوات الله عليهما؛ كما قال: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[1]؛ وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه قال: ((إن الله اتخذني خليلاً؛ كما اتخذ إبراهيم خليلاً)). وفي الصحيح؛ عنه: ((لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً؛ لاتخذت أبا بكر خليلاً)). وقيل: إنما سميت خلة؛ لتخلل المحبة جميع أجزاء الروح. قال الشاعر:

قد تخللت موضع الروح مني

وبذا سمي الخليل خليلا

زعم من لا علم عنده؛ أن الحبيب أفضل من الخليل؛ وقال محمد حبيب الله، وإبراهيم خليل الله؛ وهذا الزعم باطل؛ لأن الخلة خاصة؛ وهي توحيد المحبة كما تقدم؛ والمحبة عامة. قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]. وقد صحَّ أن الله

---

[1] من الآية: 125؛ من سورة النساء.
[2] من الأية: 222؛ من سورة البقرة.

تعالى اتخذ نبياً خليلاً؛ فحصل من أنعام الحب العام على الخاص والعام:

حللت بهذا حلةً ثم حلة

بهذا فطاب الواديان كلاهما

والغرام: الحب اللازم. يقال: رجل مغرم بالحب؛ وقد لزمه الحب. وفي الصحاح: الغرام الولوع؛ والغريم: الذي يكون عليه الدين؛ وقد يكون الذي له الدين. قال كثير:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه

وعزة ممطول معنى غريمها

والوله: ذهاب العقل، والتحير من شدة الوجد؛ وله أسماء غير هذه؛ أضربت عنها خوف الإطالة **والمحبة:** أم باب هذه الأسماء كلها. وقيل **الشوق** جنس؛ والمحبة نوع منه. ألا ترى أن كل محبة شوق؟ وليس كل شوق محبة. وخالف ذلك صاحب المنظوم والمنثور؛ فقال: زعموا أن العشق، والوجد، والهوى؛ أن يهوى الشيء؛ فيتبعه؛ غياً كان، أو رشداً. والحب حرف؛ تنتظم هذه الثلاثة فيه. وقد يقال للعاشق، والواجد والذي يهوى: الأمر محب.

وللناس في حد المحبة كلام كثير. فقيل: هي الميل الدائم بالقلب الهائم. وقيل: هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك. وقيل: ذكر المحبوب على عدد الأنفاس؛ كما قال المتنبي:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل...))

((... وفي اشتقاقها أيضاً أقوال: فقيل هي مشتقة من حبة القلب؛ وهي سويداؤه. ويقال: ثمرته؛ فسميت المحبة بذلك؛ لوصولها إلى حبة القلب. وقيل: هي مشتقة من اللزوم، والثبات؛ ومنه: أحب البعير؛ إذا برك؛ فلم يقم. وقيل من حباب الماء ـ فتح الحاء وهو معظمه ـ أو يعلو الماء عند المطر الشديد؛ فعلى هذا: المحبة غليان القلب. وقيل: من حب الماء الذي يوضع فيه؛ لأنه يمسك ما فيه من الماء؛ ولا يسع غيره إذا امتلأ به؛ كذلك إذا امتلأ القلب من الحب؛ فلا اتساع فيه لغير المحبوب. وعلى ذكر حب الماء؛ الذي يسميه المصريون الزير؛ ما أحسن قول القاضي محيي الدين عبد الظاهر ملغزاً في كوز الزير؛ وفيه اعتراض يشينه، وحسن نظم يزينه:

وذي أذن بلا سمع له قلب بلا قلب
إذا استولى على حب فقل ما شئت في الصب

* * *

ـ مدحه وذمه[1]:

أقول: هذا الفصل عقدناه لمدح العشق وذمه؛ وترياقه وسمه؛ فكم مدحه عاقل، وذمه متعاقل؛ هيهات؛ فات من ذمه المطلوب، ومن أي للوجه المليح ذنوب؛ فمن خصاله المحمودة، وفضائله الموجودة؛ ما قاله العلامة قدامة[2]: العشق فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع الجبان، وتسخي كف البخيل، وتصفي ذهن الغبي، وتطلق بالشعر لسان العجم، وتبعث حزم العاجز وهو عزيز؛ يذل له عز الملوك، وتضرع له صولة الشجاع؛ وهو داعية الأدب، وأول باب تفتق به الأذهان والفطن، وتستخرج به دقائق المكايد والحيل؛ وإليه تستريح الهمم، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم؛ يمتع جليسه، ويؤنس

---

[1] من الفصل التمهيدي.

[2] هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي. ترك النصرانية في عهد المكتفي بالله ودخل الإسلام. وهو من الفلاسفة، وعلماء البلاغة والأدب. توفي ببغداد سنة 337هـ/948م.

أليفه؛ وله سرور يجول في النفوس، وفرح يسكن في القلوب. وقيل لبعض العلماء: أن ابنك قد عشق؛ فقال: الحمد لله؛ الآن رقت[1] حواشيه، ولطفت معانيه، وملحت إشاراته، وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجادت رسائله، وجلت شمائله؛ فواظب على المليح، واجتنب القبيح. وقيل لآخر كذلك: فقال: لا بأس إذا عشق؛ لطف، وظرف، ودق، ورق. وقيل للبزرجمهر: متى يكون الفتى بليغاً؛ فقال: إذا صنف كتاباً، أو وصف هوى، أو حبيباً. وقد صدق فيما قال العباس ابن الأحنف:

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى ولا خير فيمن لا يحب ويعشق...))

((.. وقال المتنبي:

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقلت أنا؛ مضمناً لقول المتنبي هذا؛ مع زيادة التورية:

إن تسألوا عما لقيت من الهوى

فأنا الذي مارسته وعرفته

---

[1] في الأصل: ((وقت))؛ وهو تحريف.

خالفت في رشف الرضاب وطعمه

وعذلت أهل العشق حتى ذقته

حُكِيَ: أن الملك بهرام جور كان له ولد واحد؛ فأراد ترشيحه للملك بعده؛ فوجده ساقط الهمة دنيء النفس؛ فسلط عليه الجواري، والقيمان؛ فعشق منهن واحدة؛ فأعلم الملك بهرام بذلك؛ ففرح، وأرسل إلى التي قيل أنه عشقها؛ أن تجني عليه، وقولي أني لا أصلح إلا لشريف النفس عالي الهمة؛ ملك، أو عالم؛ فلما قالت ذلك؛ راجع العلم، وما عليه الملوك؛ من شرف الهمة؛ حتى برع في ذلك؛ وتولى الملك؛ فكان من خيرهم، وأثبت ذلك في حكمة إلى كسرى؛ إن الملك لا يكمل؛ إلا بعد عشقه؛ وكذلك العالم. قالوا والعشق المباح؛ مما يؤجر عليه العاشق؛ كما قال شريك؛ وقد سئل عن العشاق؛ فقال: أشدهم حباً؛ أعظمهم أجراً. قالوا: وأرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم ضعيفة، وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها؛ حاشى سكنها الذي سكنت إليه، وعقدت حبها عليه. وكلام العشاق ومنادمتهم؛ تزيد في العقول، وتحرك النفوس، وتطرب الأرواح، وتجلب الأفراح، وتشوق إلى مساع أخبارهم الملوك

فمن دونهم؛ ويكفي العاشق المسكين ـ الذي لم يذكر مع الملوك، ومع الشجعان الأبطال ـ أنه يعشق، ويشتهر بالعشق؛ فيذكر في مجالس الملوك، والخلفاء فمن دونهم؛ تدور أخباره، وتُروَى أشعاره؛ ويُبْقي له العشقُ ذكراً مخلداً؛ ولولا العشق لم يُذْكَر له اسم، ولا جرى له رسم، ولا رُفِع له رأس ولا ذكر مع الناس. وقال المرزباني[1]: سئل أبو نوفل: هل سلم أحد من العشق؛ فقال: نعم؛ الجلف الجافي؛ الذي ليس له فضل، ولا عنده فهم؛ فأما من في طبعه أدنى ظرف، أو معه دماثة[2] أهل الحجاز، وظرف أهل العراق؛ فلا يسلم منه. وقال بعضهم: لا يخلو أحد من صبوة؛ إلاَّ أن يكون جافي الخلقة، ناقصاً، أو منقوص البنية، أو على خلاف تركيب الاعتدال:...))

((... وقال أبو النجاب: رأيت في الطواف فتًى نحيف الجسم؛ بين الضعف؛ يلوذ، ويتعوذ؛ ويقول:

---

[1] هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله، الكاتب المرزباني الخراساني، ولد ببغداد وتوفي بها في سنة 385هـ/995م.

[2] في الأصل: ((مائـة))؛ وهو خطأ مطبعي.

وددت بأن الحب يجمع كلــه فيقذف في قلبي وينفلق الصدر
لا ينقضي ما في فؤادي من الهوى ومن فرحي بالحب أو ينقضي العمر

فقلــت: يــا فــتى؛ أمــا لهــذه البنيــة حرمــة؛ تمنعــك مــن هــذا الكــلام. فقــال: بــلى والله؛ ولكــن الحــب مــلأ قلــبي؛ فتمنيــت المــنى؛ والله مــا ســرني مــا بقلــبي منــه؛ مــا فيــه أميــر المؤمنيــن مــن الملــك؛ وإنــي أدعــو أن يثبتــه الله في قلــبي عمــري، ويجعلــه ضجيــعي في قبــري؛ دريــت بــه أم لا أدري؛ هــذا دعــائي؛ ولــه قصــدت؛ وفيــه ترغبــت ممــا يعــطي الله سائــر خلقــه. ثــم مــضى. قلــت: ذكــرت ـ هنــا ـ مــا قالــه الأخطــل؛ وقــد لامــه عبــد الملــك عــلى الخمــر؛ فقــال:

ليت شعري ما يعجبك فيها وأولها مراراً وآخرها خمار

فقــال: لكــن بينهمــا ـ والله ـ نشــوة لا أبيعهــا بخلافتــك يــا أميــر المؤمنيــن؛ أخــذه الشعــر [1] فقــال:

إن يكن أول المدام كريهاً أو يكن آخر المدام صداعاً
فلهــا بين ذا وذاك هنات وصفها بالسرور لن يستطاعا..))

[1] في الأصل: ((الشاعر))؛ فصوبت.

((... قالوا: وكم عاشق هرب من الحب إلى مواقف التلف؛ ليتخلص من التلف بالتلف. وعلى هذا حكاية دِعْبل الشاعر؛ قال: كنت بالثغر؛ فنودي بالنفير؛ فخرجت مع الناس؛ فإذا أنا بفتى يجر رمحه بين يديه[1]. فالتفت؛ فنظر إليَّ؛ فقال: أنت دِعْبل؛ قلت: نعم؛ قال: اسمع مِنِّي؛ ثم أنشد:

أنا في أمري رشاد   بين حب وجهاد

بدني يغزو عدوي[2]   والهوى يغزو فؤادي

ثم قال: كيف ترى؛ قلت: جيد والله؛ قال: فوالله ما خرجت إلاَّ هارباً من الحب؛ ثم قاتل حتى قُتِل...))... ((... تنبيه، الهوى أكثر ما يستعمل في الحب المذموم. قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[3]. وقد يستعمل في الحب الممدوح استعمالاً مقيداً؛ ومنه الحديث: ((لا يؤمن أحدكم؛ حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)). وقال ابن عباس: الهوَى

---

[1] **في الأصل: ((بني يدي))؛ وهو تحريف؛ فصوب.**
[2] **في الأصل: ((وعدوي))؛ وهو تحريف؛ فصوب.**
[3] **سورة النازعات؛ الآيتان: 40 - 41.**

إلـــهٌ معبـــودٌ؛ وقـــــرأ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[1] فَتَلَخَّصَ مـــن الآيـــــة الكريمـــــة، والحديـــــث الشريـــــف؛ أن الهـــوى ينقســم إلى قسميـــن: هـــوى محمـــــود؛ وهــــو فـــي الخيـــر والصـــلاح، وهـــوى مذمـــوم؛ وهو في الشـــر والفســـاد. وفي كتـــاب السهـــل المـــواتي في فضائـــل ابـــن ممـــــاتي: أن بعـــض الصوفيـــة قـــال: إنمـــا ســـمي الهـــوى هـــوى؛ لأنــــــه يهـــوي بصاحبـــه إلى النــــار. قلـــــت: لــــــو قــــــال: يهــــــوي بصاحبـــه إلى الهاويـــة لكــــــان أنســــــب. وقــــــال بعضهـــــم: الهـــوى الهـــوان؛ زيـــدت فيـــه النـــون كمـــا قيـــل:

فسألتهـــا بإشـــارة عن حالهـــا
وعـــليَّ فيهـــا للوشـــاة عيـــون
فتنفست صعداً وقالت ما الهوى
إلا الهـــوان أزيل عنـــه النـــون

وقولــــه تعـــــالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[2]. قيـــل: أخلـــد إلى الأرض؛ أي: ســـكـــن إليهـــا، ونـــزل ــ بطبعـــه ــ عليهـــا؛ وكانـــت نفســـه أرضيـــة سفليـــة؛ لا سماويـــة علويـــة؛ وبحســب مـــا يخلـــد العبـــد إلى الأرض؛ يهبـــط مـــن

[1] مـن الآيـة: 23؛ مـن سـورة الجاثيـة.
[2] مـن الآيـة: 176؛ مـن سـورة الأعـراف.

السماء. قال سهل: قسم الله للأعضاء ـ من الهوى ـ لكل عضو حظاً؛ فإذا مال عضو منها إلى الهوى؛ رجع ضَرَرُهُ إلى القلب. وللنفس سبع حجب سماوية، وسبع حجب أرضية؛ فكلما دفن العبد نفسه أرضاً أرضاً؛ سما قلبه سماء سماء؛ فإذا دفن النفس تحت الثرى؛ وصل قلبه إلى العرش. وحاصل القضية؛ أن العشق والهوى؛ أصل كل بلية؛ وفيه ذل كل نفس أبية. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا ينبغي للمرء أن يذل نفسه)). قال الإمام أحمد: تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق؛ وهذا مطابق لحال العاشق؛ فإنه أذل نفسه لمعشوقه؛ كما قيل:

اخضع وذل لمن تحب فليس فيّ شرع الهوى أنف يشال ويعقد

وقال آخر:

مساكين أهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

وقال الشيخ شرف الدين بن الفارض:

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خالياً فالحب راحته عنا
فأوّله سقم وآخره قتل

***

ـ الفصل الخامس[1]:

اختلاف الناس فيه: هل هو اضطراري، أو اختياري. أقول: هذا فصل عقدناه لما تقدم ذكره، وأسفر كالصباح سفره؛ إذ للناس فيه كلام من الطرفين، وتبختر بين الصفين. فقائل: بأنه اضطراري، وقائل: بأنه اختياري؛ ولكل من القوانين وجه مليح، وقَدرٌ رجيحٌ. ونحن نذكر من ذلك ما يعم به الانتفاع؛ ونتكلم في طوله، وعرضه؛ بالباع، والذراع. فمن ذلك ما قاله القاضي أبو عمر، ومحمد بن أحمد النوفاني؛ في كتابه تحفة الظراف: العشاق معذورون على كل حال؛ مغفور لهم جميع الأقوال والأفعال؛ إذ العشق إنما دهاهم على غير اختياري؛ بل اعتراهم على جبر واضطرار؛ والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور؛ لا في المقضي...))... ((... وجاء في تفسير قوله تعالى

[1] من الفصل التمهيدي.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾[1]. أي رأينه في أعينهن كبيراً...))... ((... وقال وهب: كن أربعين امرأة؛ فمات منهن تسعٌ؛ وجداً بيوسف، وكمداً عليه. وما أحسن قول بعض بني عذرة؛ وقد قال له بعض العرب: ما لأحدكم يموت عشقاً في هوى امرأة يألفها؟ إنما ذلك ضعف نفس، ورقة، وخور تجدونه فيكم يا بني عذرة. فقال: أما والله؛ لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج؛ تحتها المباسم الفلج؛ لأتخذتموها اللاَّت والعُزَّى. وقال الفضيل بن عياض: لو رزقني الله دعوى مجابة؛ لدعوت الله بها: أن يغفر للعشاق؛ لانَّ حركاتهم اضطرارية؛ لا اختيارية. ورؤي أبو السائب المخزومي ـ وكان من أهل العلم والدين بمكان ـ متعلقاً بأستار الكعبة؛ وهو يقول: اللهم ارحم العاشقين، وقوِّي قلوبهم، واعطف عليهم قلوب المعشوقين. فقيل له ذلك؛ فقال: والله لَلدُّعاء لهم أفضل من عمرة من الجغرانة؛ ثم أنشد:

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى

للعاشقين يطيب يا هجر

---

[1] من الآية: 31؛ من سورة يوسف.

مـــاذا تريـــد من الذيـــن جفونهـــم

قـــرحى وحشـــو قلوبهـــم جمـــر

متذبليـــن مـــن الهـــوى ألوانهـــم

ممـــا تجـــن قلوبهـــم صفـــــر

وسوابق العبرات فـــوق خدودهـــم

درر تفيـــض كأنهـــــا قطـــــر..))

((... والظاهـــر أن الحامـــل لـــه عـــلى هـــذا مـــا ذهـــب إليـــه الشافـــعي؛ في أن الميـــــت عشقـــــاً مــــن الشهـــــداء. للحديـــث الـــوارد في ذلـــك؛ وسيـــــأتي ذكـــــره فـــي بـــــاب العفـــاف؛ إن شـــــاء الله تعـــــالى...))... ((... وقـــــال أبـــــو محمـــد بـــن حـــزم: قـــال رجـــل لعمـــر بـــن الخطـــاب: يـــــا أميـــر المؤمنيـــن؛ إني رأيـــت امـــرأة فعشقتهـــا؛ فقـــال عمـــر: ذلـــك ممـــا لا يملـــك. وقـــال كامـــل في سلـــمى:

يلومونني في حب سلمى كأنمـــا

يرون الهـــوى تمنيتـــه عمـــداً

ألا إنما الحب الذي صدع الحشا

قضاء من الرحمن يبلو به العبدا

وقـــال الشيـــخ شمـــس الديـــن بـــن قيـــم الجوزيـــة: وقـــد فســـر كثيـــر مـــن السلـــف قولـــه تعـــالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[1]؛ بالعشـــق؛ وهـــذا لـــم يريـــدوا بـــه التخصيـــص؛ وإنمـــا أرادوا بـــه التمثيـــل؛ وأن العشـــق مـــن تحميـــل مـــا لا يطـــاق؛ والمـــراد بالتحميـــل ــ ههنـــا ــ التحميـــل القـــدري؛ لا الشـــرعي الأمـــري. انتـــهى كلامـــه. وقـــال عبيـــد الله بـــن طـــاووس في قولـــه تعـــالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾[2]؛ قـــال: إذا نظـــر إلى النســـاء؛ لـــم يصبـــر. نقلـــه عنـــه سفيـــان بـــن سعيـــد؛ في تفسيـــره. وقالـــوا قـــد رأينـــا جماعـــة مـــن العشـــاق يطوفـــون عـــلى مـــن يدعـــو لهـــم؛ أن يعافيهـــم الله مـــن العشـــق؛ ولـــو كـــان اختياريـــاً؛ لأزالـــوه مـــن نفوسهـــم. ومـــن هنـــا؛ يتبيـــن خطـــأ كثيـــر مـــن العاذليـــن؛ ويظهـــر أن عزلهـــم ــ مـــن هـــذا الحـــال ــ بمنزلـــة عـــذل المريـــض في مرضـــه..))... ((... وذهـــب جماعـــة مـــن الأطبـــاء ــ وغيرهـــم ــ إلى أنـــه اختيـــاري؛ لا اضطـــراري. وقـــد تقـــدم في حـــد العشـــق الـــذي ذكـــره ابـــن سينـــا، وغيـــره؛ أنـــه مـــرض وســـواسي؛ يجلبـــه المـــرء إلى نفســـه؛ بتسليـــط فكرتـــه عـــلى استحســـان بعـــض الصـــور

---

[1] مـن الآيـة: 286؛ مـن سورة البقـرة.

[2] مـن الآيـة: 28؛ مـن سـورة النسـاء.

والشمائل. فهذا تصريح منهم؛ بأن الإنسان هو المختار في العشق؛ بتسليط فكرته الواقع؛ في بحار سكرته. قالوا: ولأن المحبة إرادة قوية؛ والعبد يحمد ويذم على إرادته؛ ولهذا يحمد مريد الخير؛ وإن لم يفعله. وقد ذمَّ الله تعالى الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؛ وأخبر أن عذابهم أليم؛ ولو كانت المحبة لا تملك؛ لم يتوعدهم بالعذاب على ما لا يدخل تحت قدرتهم. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[1]؛ ومحال أن ينهى الإنسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته. قالوا: والعقلاء قاطبة مُطبقون على لوم من يحب ما يتضررُ بمحبته؛ وهذه فطرة فطر الله عليها الخلق؛ فلو اعتُذِر بأني لا أملك قلبي؛ لم يقبلوا له عذراً.

قلت: والقول الصحيح؛ الذي ليس فيه ردّ، ولا عن محبوبة صدٌّ؛ التفصيل في ذلك؛ وهو: أن العشق يختلف باختلاف بني آدم؛ وما جبلوا عليه من اللَّطافة، ورقة الحاشية؛ وغلظ الكبد، وقساوة القلب، ونفور الطباع، وغير ذلك. منهم من إذا رأى الصورة الحسنة؛ مات من شدة ما يرد على قلبه من

[1] من الآية: 40؛ من سورة النازعات.

الدهش؛ كما تقدم في حق النسوة اللاتي متن؛ لما رأين يوسف عليه الصلاة. وقد كان مصعب بن الزبير إذا رأته المرأة خاضت[1]؛ لحسنه. وفيه يقول الشاعر:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت بنوره الظلماء...))

((... فهذا وأمثاله؛ عشقه اضطراري؛ والمخالفة فيه مكابرة في المحسوس. ومنهم من يكون أول عشقه الاستحسان للشخص؛ ثم تحدث له إرادة القرب منه؛ ثم المودة؛ وهو أن يود لو ملكه؛ ثم يقوى الود فيصير محبة؛ ثم يصير خلة؛ ثم يصير هوى؛ ثم يصير عشقاً؛ ثم يصير تَتَيُّماً؛ والتَّتَيُّمُ حالة يصير بها المعشوق مالكاً للعاشق؛ ثم يزيد التتيم[2] فيصير ولَهاً؛ والولَهُ: الخروج[3] عن حدِّ الترتيب، والتعطل عن التمييز. فهذا وأمثاله؛ مبدأ عشقه اختياري؛ لأنه كان يمكنه دفع ذلك، وحسم مادته. على أن هذا النوع ــ أيضاً ــ إذا انتهى بصاحبه إلى ما ذكرناه؛ صار اضطرارياً. كما قال الشاعر:

---

[1] ربما: ((خارت)).
[2] في الأصل: ((التقيم))؛ وهو تحريف بيِّن؛ فصوب.
[3] في الأصل: ((والخروج))؛ فالواو هنا في غير محلها؛ فحذفت.

العشق أول ما يكون مجانة   فإذا تمكن صار شغلاً شاغلاً

ولهذا؛ قال بعض الفلاسفة: لم أرَ حقاً أشبه بباطل، ولا باطلاً أشبه بحق؛ من العشق؛ هزله جد، وجده هزل، أوله لعب وآخره عطب. قال الشاعر:

تولع بالعشق حتى عشق   فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة   فلما تمكن منها غرق

قال صاحب روضة المحبين: وهذا بمنزلة السكر مع شرب الخمر؛ فإن تناول المسكر اختياري؛ وما يتولد عنه من السكر اضطراري؛ فمتى كان السبب واقعاً باختياره؛ لم يكن معذوراً فيما تولد عنه بغير اختياره. ولا ريب أن متابعة النظر واستدامة الفكر؛ بمنزلة شرب المسكر؛ فهو يلام على السبب. ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور؛ لم يلم عليه صاحبه؛ كمن كان يعشق امرأته، أو جاريته؛ ثم فارقها؛ وبقي عشقها غير مفارق له؛ فهذا لا يلام على ذلك. كما في قصة مغيث وبريرة[1] المشهورة. وقد ظهر بهذا أن

[1] في الأصل: ((مغيت ـ بالتاء المثناة الفوقية ـ وبريرة ـ بالباء الموحدة التحتية)) وهو تحريف بَيِّن؛ فصوِّب. وقصة مغيث ـ بالثاء المثلثة الفوقية ـ مع بريرة ـ بالياء المثناة التحتية؛ تتلخص كالتالي: في أنهما من الصحابة؛ وقد وردت حكايتهما في صحيح البخاري: ومفادها أن مغيثاً

العشـــق يكــون اضطراريــاً تــارة؛ وتـــارة اختياريـــاً؛ وذلـــــك بحســب كمالـــة العاشـــق؛ كمــا تقــدم؛ فحينئـــذ يكــون ادعـــاء مـــن قـــال: أنــــه اضطــراري مطلقـــاً، أو اختيـــاري مطلقـــــاً؛ غيــر مقبــول عنــد ذوي العقــول. والله تعـــالى أعلــم. أقــول: وإلى هنـــا؛ انتـــهى الكـــلام عـــلى هــــذه الفصــــول؛ الــــتي طـــاب زمانهـــا، واعتـــدل، وظهـــر بهـــا فـــي جنـــــة الــــورد حمـــرة الخجـــل؛ ومـــا بـــقي إلا الدخـــول في الأبـــواب؛ عـــلى الوجـــه المقتـــرح، والإتيـــان بمـــا فتـــح الله سبحانـــــه؛ ومـــــن دق بـــاب كريـــم فتـــح.

* * *

□

وبريـرة تزوجـا في ظل العبوديـة؛ ولمـا تحـررت بريـرة؛ تحـررت مـن زواجهـا بمغيث شرعـاً؛ بينمـا كـان هـذا الأخير يحبهـا حبـاً شديـداً؛ فكـان يسير خلفهـا ودموعـه تنـزل علـى لحيتـه؛ مستعطفـاً إياهـا؛ ولكنهـا أبـت الرجـوع إليـه. ولمـا شفـع فيـه الرسـول صلـى اللـه عليـه وسلـم؛ قالـت لـه: أنهـا تكـرهـه؛ فقـال لهـا عليـه السـلام: "اتـق اللـه في مغيـث يـا بريـرة"؛ فأجابـت: "تأمــرني يـا رسـول اللـه"؛ فقـال: "لا"؛ ولكـن أشفـع"؛ فقالـت: "لا أحبـه" ورفضـت العـودة إليـه.

الباب الأول

ذكر الحسن والجمال وما قيل فيهما من تفصيلي وإجمالي

أقول: هذا باب عقدناه للكلام على الحسن وأقسامه، والحبيب وكلامه. ولا سيما إذا ابتسم عن حبب. واضطرب في ثغره الصرب؛ فعذب مقبله، وتساوى من حسنه في الحالين: ماضيه ومستقبله. هنالك يحتوي من الجمال على القسمين الذين هما الظاهر والباطن، والظاعن والقاطن. فالجمال الباطن المحمود لذاته كالعلم والبراعة، والجود والشجاعة. والجمال الظاهر ما ظهر من غصن قوامه الرطيب، ووجهه الذي فاق البدر بلا غيبة للشمس عند المغيب. فعند ذلك يشمت بالبدر بشاماته، ويقول لخدة الذي ازداد بها حسناً؛ من زاد زاد الله في حسناته. فلذلك قيل: الحسن الصريح ما استنطق الآفواه بالتسبيح. وقيل: بل هو كما قيل: شيء به فتن الورى؛ غير الذي يدعي الجمال؛ ولست أدري ما هو. قلت: وهو الصحيح؛ لأنه لا يدري كنهه، ولا يعرف شبهه؛ حتى كأنه فكرة لا تتعرف، ومجهول لا يعرف. ولذلك قال بعضهم: للحسن معنى لا تناله العبارة، ولا يحيط به الوصف. وقيل: الحسن مشتق من الحسنة. قلت: والذي يظهر أنه لهذا المعنى؛ قيل: للشامات حسنات...))... ((... وقيل الحسن أمر مركب من أشياء وضاءة،

وصباحة، وحسن تشكيل، وتخطيط، ودموية في البشرة. وقيل الحسن تناسب الخلقة، واعتدالها، واستواؤها؛ ورب صورة متناصبة الخلقة؛ وليست في الحسن بذاك. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا تم بياض المرأة في حسن شعرها؛ فقد تم حسنها. وقالت عائشة رضي الله عنها: البياض شطر الحسن. وقالوا في الجارية: جميلة من بعيد، ملحية من قريب؛ فالجميلة التي تأخذ جملة بصرك؛ فإذا دنت منك؛ لم تكن كذلك؛ والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها؛ زادتك حسناً. وقيل الجميلة السمينة؛ من الجمال؛ وهو أشحم؛ والمليحة ــ أيضاً ــ من الملحة؛ وهي البياض؛ والصبيحة ــ كذلك ــ من الصبح لبياضه. وقال بعضهم: الظرف في القدر، والبراعة في الجيد، والرقة في الأطراف والخصر؛ والشأن كله في الكلام وأحسن الحسن؛ ما لم يجلب بتزيين. وقال امرؤ القيس:

((وجدت بها طيباً وإن لم تطب))

وقال آخر:

إن المليحة من تزين حليها　　لا من غدت بحليها تتزين

وقال بعض أهل اللغة: العرب تقول: الحلاوة في العينين، والملاحة في الفم، والجمال في الأنف، والظرف في اللسان. ومنه قول الحسن رضي الله عنه: إذا كان اللص ظريفاً؛ لا يقطع. أي: إذا وقع؛ دفع عن نفسه بطلاقة لسانه ومنطقه. وما أحسن قول بعضهم: البدن فيه الوجه، والأطراف؛ وفي الوجه المحاسن وإليها

الاستشراف. وفي المحاسن النكت؛ التي هي الغاية في الاستحسان والاستظراف. كالملاحة في العين، ونكتة الملاحة: **الدعج**؛ وكالحسن في الفم؛ ونكتة الحسن: **الفلج**؛ وكالطلاوة في الجبين؛ ونكتة الطلاوة: **البلج**؛ وكالرونق في الخد؛ ونكتة الخد: **الضريح**. وما يستحسن في المرأة؛ طوال أربعة وهي: أطرافها، وقامتها، وشعرها، وعنقها. وقصر أربعة: يديها، ورجليها، ولسانها، وعينيها؛ والمراد بهذا القصر المعنوي: فلا تبذر ما في بيت زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيع بلسانها، ولا تطمع بعينها. وبياض أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها؛ وسواد أربعة: أهدابها، وحاجبها، وعينيها، وشعرها. وحمرة أربعة: لسانها، وخذها، وشفتيها؛ مع لعس، واشراب بياضها بحمرة. وغلظ أربعة: ساقها، معصمها، وعجيزتها؛ وما هنالك. وسعة أربعة: جبهاتها، وجبينها، وعينها، وصدرها؛ وضيق أربعة: فمها، ومنخرها، ومنفذ أذنيها، وما هنالك؛ وهو المقصود الأعظم من المرأة...))... ((... **فصل:** قال روضة المحبين: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى جمال الباطن؛ بجمال الظاهر. كما قال جرير بن عبد الله؛ وكان عمر بن الخطاب يسميه يوسف هذه الأمة؛ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت امرؤ حسن الله خلقك" وقال بعض الحكماء: ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرآة؛ فإن رأى صورته حسنة؛ فلا يشنها بقبيح فعله؛ وإن

رآها قبيحة؛ فلا يجمع بين قبح الصورة والفعل. وقد نظم بعضهم هذا فقال:

يا حسن الوجه توق الحنا   لا تفسدنّ الزين بالشين
ويا قبيح الوجه كن محسناً   لا تجمعن بين قبيحين

ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس، معظماً في القلوب؛ لم يبعث الله نبياً إلاّ[1] جميل الوجه، كريم الحسب، حسن الصوت. كما قال علي بن أبي طالب؛ وقد سئل: أكان وجه الرسول صلى الله عليه وسلم مثل السيف؟ قال: لا؛ بل مثل القمر وفي صفته صلى الله عليه وسلم؛ كأن الشمس تجري في وجهه؛ فكان كما قال شاعرة حسان بن ثابت:...))... ((... وقال أيضاً:

فأجمل منه لم تر قط عيني   وأكمل منه لم تلد النساء
خلقت مبراء من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء...))

((... وفي الجملة؛ فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن في الذروة العليا. وروى بعض الصحابة؛ لقي راهباً فقال: صف لي محمداً؛ كأني أنظر إليه؛ فإني رأيت صفته في التوراة والإنجيل. فقال: لم يكن بالطويل البائن، ولا بالقصر فوق الربعة، أبيض اللون مشرباً بالجمرة، جعد الشعر؛ ليس بالقطط

---

[1] في الأصل: ((لا جميل))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

جمته إلى شحمة أذنه؛ صلب الجبين؛ واضح الحد؛ أدعج العينين؛ أقنى الأنف؛ مفلج الثنايا؛ كأن عنقه إبريق فضة، وجهه كدائرة القمر؛ فأسلم الراهب. وكان صلى الله عليه وسلم ــ مع هذا الحسن ــ قد ألقيت عليه المحبة، والمهابة؛ فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه؛ وقد كمل الله سبحانه له مراتب الكمال؛ ظاهراً وباطناً؛ فكان أحسن خلق الله خلقاً وخلقاً، وصورة ومعنى. وهكذا كان يوسف عليه الصلاة والسلام. قال ربيعة: قسم الحسن[1] نصفين؛ فبين سارة ويوسف نصف الحسن؛ ونصف الحسن بين سائر الناس. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم: أنه رأى يوسف ليلة الإسراء وقد أعطى شطر الحسن. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستحسن أن يكون الرسول حسن الوجه، حسن الاسم؛ وكان يقول: إذا أبردتم بريداً؛ فليكن حسن الوجه، حسن الاسم. وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن أبي مليكة؛ يرفعه من آتاه الله وجهاً حسناً، واسماً حسناً؛ وجعله في موضع غير شائن له؛ فهو من صفوة الله من خلقه. وقال وهب: قال داود: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: مؤمن حسن الصورة. فقال: أي عبادك أبغض إليك؟ قال: كافر قبيح الصورة. ويذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كان ينتظره نفر من أصحابه على الباب؛ فجعل ينظر في المرآة، ويسوي شعره، ولحيته؛ ثم خرج إليهم؛ فقالت: يا رسول

---

[1] في الأصل: ((الحسين))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

الله؛ وأنت تفعل هذا؛ فقال: نعم: "إذا خرج الرجل إلى إخوانه؛ فليجملن نفسه؛ فإن الله جميل يحب الجمال". وقال معاوية لرجل دخل عليه؛ فرأى في وجه ما يكرهه؛ مما يمكن إزالته: ما يمنع أحدكم إذا خرج من منزله؛ أن يتعاهد أديم وجهه.

***

ـ **فصل**: قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ**[1] **خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾[2]؛ أي في أحسن تعديل لقامته، وصورته، وحسن شارته؛ منتصباً؛ يتناول مأكوله بيده؛ مزيناً بالعقل؛ لا كالبهائم. وعلى هذا؛ حكاية الرشيد؛ لما خلا بزوجته؛ في ليلة مقمرة؛ فقال لها: إن لم تكوني أحسن[3] من هذا القمر؛ فأنت طالق؛ فأفْتَى علماء زمانه بالحنث؛ إلاَّ يحيى بن أكثم؛ فإنه قال: لا يقع عليه الطلاق؛ فقيل له: خالفت شيوخك؛ فقال: الفتوى بالعلم؛ ولقد أفتى به من هو أعلم منا؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ حيث قال: لقد خلقت الإنسان في أحسن تقويم. وجاء تفسير قوله تعالى: ﴿**يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ**﴾[4]؛ أنه الصوت الحسن، والوجه الحسن، ولهذا قال أبو فراس:

---

[1] حرفت في الأصل؛ فكتب: ((ولقد))؛ فصوبت.
[2] سورة التين؛ الآية: 4.
[3] في الأصل: ((أحسم))؛ بالميم؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[4] من الآية: 1؛ من سورة فاطر.

قد فاق بدر السماء حسناً والناس في حبه سواء
فزاده ربه عذاراً تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير يزيد في الخلق ما يشاء...))

((... وحكي أن المأمون استعرض جيشاً؛ فمر رجل قبيح؛ فاستنطقه؛ فرآه ألكن؛ فأمر بإسقاطه؛ وقال: إن الروح إذا وقع أثرها في الظاهر؛ كانت صبَّاحة؛ وإذا وقع أثرها في الباطن؛ كانت فصّاحة؛ وهذا الرجل؛ لا ظاهر له، ولا باطن؛ ولكنه[1] شخص له حكمان: أحدهما من جهة جسمه؛ وهو منظره، والآخر من جهة نفسه؛ وهو مخبره؛ وكثيراً ما يتلازمان؛ ولذلك فرغ أصحاب[2] الفراسة من معرفة أحوال النفس ــ الهيئة البدنية ــ حتى قال بعض الحكماء: قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة. وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((أطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه)). فهذا كله يدل على أن الحسن، وكمال الجسم من الفضائل؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[3]. والحسن أول سعادة الإنسان؛ لأن الله تعالى ــ بلطف حكمته ــ لم يخلق الصورة مختارة الصفات، سليمة من الآفات؛ إلاّ وأضاف إليها ما يناسبها من العقل، والصفات. وقلما تجد الخلق؛ إلاَّ تبعاً للخلقة؛ تناسباً،

[1] في الأصل: ((ولكن))؛ وهو تحريف؛ فصوب
[2] في الأصل: ((أصحابه))؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[3] من الآية: 247 ؛ من سورة البقرة.

مطرداً؛ وأصلاً لا ينعكس، وإجماعاً لا ينفرد؛ وما خلق الله نبياً قط؛ إلا وقد بهر أهل زمانه؛ بحسنه، وإحسانه؛ فإذا نظرته أول مرة؛ رأيته أحسنهم صورة، وأتقنهم بنية؛ فهو أولاهم مرتبة، وأعلاهم منقبة. وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يعذب الله حسان الوجوه سود الحدق)). قال الإمام فخر الدين الرازي في أسرار التنزيل ما ملخصه: حسن الصورة ــ وإن كان أمراً مرغوباً فيه ــ فإن حسن السيرة من مطالب الحكمة؛ ولا شك أن الحكمة أفضل من الشهوة؛ فكان حسن السيرة؛ أفضل من حسن الصورة لا محالة. ومنها أن يوسف عليه الصلاة والسلام؛ اجتمع له حسن الصورة، وحسن السيرة؛ ثم إنه بسبب حسن الصورة؛ وقع في أنواع من البلايا؛ منها أن أباه كان يحبه أزيد من أخوته؛ بدليل قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا**﴾[1]؛ فلهذا[2] قصدوا قتله بدليل حكايته عنهم: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾[3]. ومنها أنه وقع بسب الحسن في أسْرِ الرّق؛ ومراودة امرأة العزيز، وإدخاله السجن بسبب ذلك؛ فلما علم الملك ــ بعد ذلك ــ حسن سيرته؛ اصطفاه لنفسه؛ وقال له: ﴿**إِنَّكَ الْيَوْمَ**

---

[1] من الآية: 8؛ من سورة يوسف.
[2] في الأصال: ((فهذا))؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[3] من الآية: 9؛ من سورة يوسف.

لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[1]؛ ولم يقل صبيح مليح؛ فدل ذلك على أن حسن السيرة أفضل من حسن الصورة. ومعلوم أن حسن الصورة لا يبقى إلاّ أياماً قلائل؛ وأما حسن السيرة؛ فإنه لا يزول أثره، ولا تبطل نتيجته. قلت وممن حصل له الأذى بسبب حسن صورته؛ نصر بن حجاج[2]؛ وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ليلاً فسمع امرأة[3] تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

فدعا نصر بن حجاج ــ وهو من بني سليم ــ فرآه أحسن الناس وجهاً، وله شعر حسن؛ فحلق شعره؛ فكان أحسن منه بِشَعْرٍ؛ فقال: لا تُساكِنِّي في بلد؛ فتشفَّعَ نصر إليه؛ أن لا يخرجه من المدينة؛ فلم يقبل عمر رضي الله عنه؛ فلما وَدَّعه نصر؛ قال له: يا أمير المؤمنين؛ لقد سمتني قتل نفسي؛ فقال عمر: كيف ذلك؛ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ

---

[1] من الآية: 54؛ من سورة يوسف.

[2] نصر بن حجاج السلمي؛ من بني سليم؛ عاش في المدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب؛ فنفاه إلى البصرة؛ سداً لباب الفتنة؛ خاصة ـ كما قيل ـ أنه كان نصر بن حجاج يقول في تلك المرأة هو الآخر:

ليتني في المؤذنين نهاراً إنهم يبصرون ما في السطوح

فيشيرون أو يشار إليهم حبذا كل ذات دل مليح

[3] قيل أنها أم الحجاج بن يوسف الثقفي؛ والله أعلم.

اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾[1]؛ فقرن هذا بهذا. فقال عمر: ما أبعدت؛ لكن أقول ما قال شعيب عليه السلام: **﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ﴾**[2]؛ ولقد أضعفت لك يا نصر عطاءك؛ ليكون ذلك عوضاً لك. أقول ذكرت بحلقة شعره فكان أحسن منه بشعر قول بعضهم في ذلك[3]:

حلقوا رأسه ليزداد قبحاً غيرة منهم عليه وشحا

كان صبحاً عليه ليل بهيم فمحوا ليله وأبقوه صبحاً...))

((... **ــ فصــل:** قد تقدم ذكر ما يستحسن من المرأة؛ فلنذكر هنا ما قالته الشعراء في تشبيه الأعضاء بالحروف؛ لأنهم أكثروا من ذلك؛ فشبهوا الحاجب بالنون، والعين بالصدغ بالواو، والفم بالميمي والصاد، والثنايا بالسنين، والطرة المضفورة بالشين...))

((... وقول ابن مطروح:

قالت لنا ألف العذار بخده

في ميم مبسمه شفاء الصادي

وقول ابن نقاده:

ضم الجمال فصاده من عينها

والنون حاجبها بخال ينقط

---

[1] من الآية: 66؛ من سورة النساء.

[2] من الآية: 88؛ من سورة هود.

[3] صاحبة هذا الشعر هي نفسها؛ قائل الأبيات الأولى؛ ويقال أنها أم الحجاج بن يوسف الثقفي.

والميم فوهاً فالحروف تألفت

مكتوبة والصبر عنها يكشط...))

((... وقلــت أنـــا:

حبيب تعالي قد حين سمتـــه

وقال قوامي رمحه ما يقـــوم

وخط عذاري أعجم الخال لامـــه

ولم أدر أن اللام في الخط يعجم

وقلــت أيضـــاً:

يرنو إليّ بعين نون حاجبها

كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقلــت أيضـــاً: في عكس هذا المعنى[1]؛ وهـــو تشـــبيه الحـــروف بالأعضاء؛ في تقريظ قصيدة؛ مدحت بها مولانا الســلطان الملــك الناصر حسن.

فكم ألف بهـــا أمـــسى	رشيق القامة النضـــره
وكم شين بحاشية الـــ	ـــكتاب تخالهـــا طـــرّه
وعين أصبحت في العين	مثـــل العيـــز والنقـــرة

[1] كتب هنا كلمة مبهمة: ((أشارة))؛ فحذفت.

وقلت أيضاً: في تقريظ كتاب ورد على بعض الأحباب؛ من رسـالة افتتحها بقصيدة منها:

رفضت النوم بعدك يا علـي
فلا تعجب لدمعي أن توالا
ووافاني كتاب منـك عـال
حكت الفاته السمر الطوالا
وكم شاهدت من خطا ولكـن
مثالـك ما رأيت له مثـالا
لين أمست به الفـات قطـع
فكم وصل به ضمن الوصالا
وكم ألف به للوصل لاحـت
كغصن البان ليناً واعتـدالا
تعانق لامها طـوراً يمينـاً
وآونـة تعانقـه شمـالا
ظننت اللام فيه عـذار خـدّ
وخلت النقط فوق الخدخـالا
وامسى طالع الطـاآت فيـه
يعلم لينـه غصـن الكمـالا

وقال القاضي الفاضل؛ من رسالة كتب بها إلى موفق الدين خالد القيرواني؛ وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب؛ جاء منها: فمن ألفات ألفت الهمزات؛ غصونها حمائم؛ ومن لامات بعدها؛ يحسدها المحب على عناق قدودها النواعم؛ ومن صادات نقعت غلة القلوب الصوادي، والعيون الحوائم؛ ومن واوات ذكرت ما في وجنة الأصداغ من العطفات؛ ومن ميمات دنت الأفواه من ثغرها لتنال جنى الرشفات؛ ومن سينات كأنها الثنايا في تلك الثغور؛ ومن دالات على الطاعية لكاتبها بانحناء الظهور؛ ومن جيمات كالمناسر تصيد القلوب؛ التي تخفق لروعات الاستحسان كالطيور؛ وفيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين؛ وخالد فيها خالد؛ وتحيته فيها المحامد، ويده تضرب في ذهب ذائب؛ والناس تضرب من حدي بارد.

* * *

الباب الثاني
ذكر المحبين الظرفاء من الملوك والخلفاء

أقول: هذا باب عقدناه لذكر أحسن الملوك طباعاً، وأطولهم باعاً، وأطيبهم عيشاً، وأكثرهم طيشاً، وأرقهم شعراً، وأدقهم فكراً، وأقربهم مرجوعاً، وأكثرهم بالحبيب ولوعاً؛ إذ هم في الحقيقة أَوْلَى الناس بذلك، وأحقهم بالنوم على تلك الأرائك؛ وذلك بحسب ما سولته لهم نفوسهم، وزينه لهم جليسهم...))... ((.. ومنهم من نال بالراح اللذة المحظورة، وأخرج بها وجنة الحبيب من صورة إلى صورة؛ فجارى النديم في الجِرْيَالِ[1]، وسما إلى الحبيب سمو حباب الماء حالاً على حال؛ فأفضى به ذلك إلى هلكه، وفساد ملكه؛ كما اتفق للأمين بن الرشيد، وغيره. قال الربيع: قعد الأمين يوماً للناس؛ وعليه طيلسان أزرق، وتحته لبد أبيض؛ فوقع في ثمانمائة قصة؛ فوالله لقد أصاب وما أخطأ، وأسرع فما أبطأ؛ ثم قال يا ربيع أتراني لا أحسن التدبير والسياسة؟ ولكن وجدت شم الآس، وشرب الكاس، والاستلقاء من غير نعاس؛ أشهى إلى مقابلة الناس. وكذلك؛ خلع قبله الوليد بن يزيد، وبعده المتوكل، وغيرهم من الخلفاء، والأمراء؛ ممن آثر راحة النفس؛ على تعب السياسة. والذي أراه؛ إطلاق ما ذهبوا إليه بالصريح، ومفارقة الجميع على وجه مليح؛ كما قيل:

---

[1] الجريال: الخمرة.

لو رأى وجه حبيب عاذلي

ولتفارقنا على وجه مليح

وما أحسن قول أبي الفتح البستي:

إذا غدا ملك باللهـو مشتغلاً

فاحكم على ملكه بالويل والحـرب

أما ترى الشمس في الميزان هابطة

لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ومن هنا؛ نشرع في ذكر من ذل لمحبوبه من الملوك؛ فصبَّحَ مع كونه مالكاً له كالملوك؛ وهم ــ في ذلك ــ لشدة البأس علـى خلاف ما عليه الناس. وهذا، وذلك؛ لأن العشق، وأصحابه طبقات؛ فمنهم من لا يطيب له العشق إلا بالذل؛ هو الغالب علـى العشـاق الصادقين في المحبة؛ كما قال الشيخ شرف الدين بن الفارض:

ولو عز فيها الحب ما لذ لي الهوى ولم يك لولا الذل في الحبّ عزتي...))

((... وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار:

ملك الثلاث الآنسات عناني

وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلّها

وأطيعهنّ وهنّ في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى

وبه قوين أعزّ من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الأموي؛ أحد خلفاء المغرب وأجاد:

عجباً يهاب الليث حدّ سناني

وأهاب لحظ فواتر الأجفــان

وأقارع الأهــوال لا متهيبــاً

منها سوى الأعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى

زهر الوجوه نواعم الأبــدان

حاكمت فيهنّ السلو إلى الصبا

فقضى بسلطان على سلطان

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني

في عزّ ملكي كالأسير العاني

لا تعذلوا ملكاً تذلل للهــوى

ذلّ الهوى عزّ وملك ثــاني

ما ضرّ أني عبدهنّ صبابــةً

وبنو الزمان وهن من عبداني

وحكي عن المأمون؛ أنه غضب على جاريته عريب المغنية[1]؛ وكان كلفا بها؛ فأعرض عنها، وأعرضت عنه؛ ثم أسلمه الغرام، وقلقه الشوق؛ حتى أرسل إليها يطلب مراجعتها؛ فلما اجتمعا؛ لم تلتفت إليه؛ وكلمَّها فلم ترد عليه؛ فأنشأ يقول:

تكلم ليس يوجعك الكلام ولا يزري محاسنك السلام

أنا المأمون والملك الهمام ولكني بحبك مستهام

يحق عليك أن لا تقتليني فيبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت له: يا أمير المؤمنين؛ والدك أمير المؤمنين هارون الرشيد أعشق منك؛ حيث يقول: "ملك الثلاث الآنسات" الأبيات المتقدمة...))... ((... ومن غريب ما يحكى؛ أن يزيد بن عبد الله بن مروان كان صباً بحبابة جاريته؛ فخلا ــ يوماً ــ في لهو معها؛ وقل: لا كذبن قول من قال: أن الدهر لا يصفو لأحد يوماً؛ وأحضر حاجبه، وقال له: لا تأذن لأحد يدخل علي، ولا تعلمني بخبر؛ ولو كان فيه ذهاب ملكي مدة هذا اليوم. وأقام معها في أتم حال؛ فتناولت رماناً فشرقت فماتت لوقتها؛ فعرض له عليها طرف من الوله؛ فحال بينه وبين الصبر؛ ومنع من دفنها؛ حتى سأله جماعة من بني أمية في دفنها، ولاطفوه في ذلك؛ فأمر بدفنها، وقال:

[1] في الأصل: ((المعنية))؛ بالعين المهملة؛ وهو تحريف؛ فصوب.

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فباليأس تسلو عنك لا بالتجلد

وقيل: أنه لم يقم بعدها إلاّ سبعة أيام، ومـــات أســـفاً عليهـــا. ومثل فعله هذا؛ في عدم دفنه لمحبوبته؛ ما حكيته في نقل الكرام في مدح المقام؛ في الباب الرابع؛ عن السلطان جلال الـــدين خـــوارزم شاه؛ لما مات مملوكه؛ فلج؛ منع من دفنه؛ فكان يحمل معـــه فـــي محفة؛ وكلما حضر بين يديه طعام. قال: احملوا هذا إلى فلج. فقال له بعض الأمراء: أيها الملك؛ قد مات فلج. فضرب عنقه. فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله. وتمام حكايته ذكرتها في الكتاب المذكور.

* * *

الباب الثالث

ذكر من عشق على السماع ووقع مع الحبيب في النزاع

أقول هذا باب عقدناه لذكر من عشق قبل أن يرى؛ فتم عليه ما تم لما جرى؛ من دمعه ما جرى؛ فأصبح لا يقر له قرار؛ بعد أن كان قرير العين؛ وشهد على عينيه بما لم تريا؛ فكان كمن كلف أن يعقد بين شعيرتين؛ كم ليلة رقص فيها على السماع، وجمعة سهر من لياليها؛ مثنى وثلاث ورباع؛ فهوا على طبقة ممن عشق؛ باللمس أو غيرها من بقية الحواس الخمس؛ والظاهر أن ذلك لمشاكله بينه وبين المحبوب في نفيس الأمر، أو تعارف سابق في عالم الذر...))... ((... وقال أبو الهذيل العلاف: لا يجوز في دور الفلك، ولا في تركيب الطبيعة، ولا في القياس، ولا في الحس، ولا في الممكن، ولا في الواجب؛ أن يكون محب ليس لمحبوبه إليه ميل؛ والظاهر أن هذا للسر؛ الذي ذكرناه من وجود[1] ما بينهما من المشاكلة، فإن قلت: فقد رأينا من أحب من لا يحبه، ولا يلتفت إليه. قلت: ذكر عن ذلك أجوبة؛ أحسنها أن يقال: المحبة على قسمين: **القسم الأول:** محبة غرضية؛ فهذه لا يجب الاشتراك فيها؛ بل يقابلها مقت المحبوب، وبغضه للمحب كثيراً؛ إلا إذا كان له معه غرض نظير غرضه؛ فإنه يحبه لغرضه منه؛ كما يكون بين الرجل

---

[1] في الأصل: ((وجودج))؛ وهو تحريف.

والمرأة؛ لأن لكل منهما غرضاً مع صاحبه. **القسم الثـاني:** محبـة روحانية؛ سببها المشاكلة، والاتفاق بين الروحين؛ فهذه لا تكون إلاَّ من الجانبين...)) ((... وذكر بعضهم: أن سبب المحبة ثلاثة أشياء أما رؤية صورة، أو سماع نغمة، أو سماع صفة؛ فهذه الثلاثة هـي أصل ينبوع المحبة؛ إذ لا يخلو حب أحد من أن يستند إلـى شـيء منها. وقد قيل: ثلاث محبات: فحب علاقة، وحب تملاق، رحب هو القتل...))... ((... وقال بعض الحكماء: أن الله عز وجـل؛ جعـل القلب أمير الجسد، وملك الأعضاء؛ فجميع الجوارح تنقاد له؛ كـل الحواس تطيعه؛ وهو مديرها؛ وبإرادته تنبعـث؛ ووزيـره العقـل، وعاضده الفهم، ورائده العينان، وطليعته الأذنان؛ وهما فـي بـاب النقل سيان؛ لا يكتمانه شيئاً، ولا يطويان عنه سراً؛ يعنـي العـين والأذن. وقيل لأفلاطون: أيهما أشد ضرراً؛ السمع أم البصر؛ فقال: هما للقلب كالجناحين للطائر؛ لا ينهض إلاَّ بهمـا، ولا يسـتقل إلاّ بقوتهما؛ وربما قص أحدهما؛ فتحامل بالآخر على تعـب ومشـقة. قيل: فما بال الأعمى يحب وما رأى، والأصم يحب وما سمع. فقال له: لذلـك قلت: أن الطائر قد ينهض بإحدى جناحيـه؛ ولا يسـتقل طيراناً؛ فإذا اجتمعا كان ذهابه أمضى، وطيرانه قوي. وكان يقـال الحب أوله السماع، ثم النظر؛ كما أن أول الحريـق الـدخان، ثـم الشرر...)) ((... وما أحسن قول المهذب بن الشحنة؛ من قصـيدة مدح بها مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدين أيوب مطلعها:

وإني امرؤ أحببتكم لما رم   سمعت بها والأذن كالعين تعشق

وقالت لي الآمال إن كنت لاحقاً   بأبناء أيـــوب أنت الموفـــق

وقلت أنا من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان الملك الناصر حســـن وفيه زيادة حسنة مطلعها:

وحياة وجهك وهو بدر مشرق   قلبي عليك كما عملت واشفق

يا مـــن إذا لاح آس عـــذاره   أمسي ولي بالعيش غصن مورق

ما لاح خدك بالعذار مكاتبـــاً   إلا ظننـــت بأنـــه معتـــق

ومنهـــا:

كم ذا رقصت على السماع بذكره   والأذن قبل العين قالوا تعشق

وحاصل القضية؛ أن من الناس من يعشـــق علـــى الســـماع، ويفني في محبة من لا رآه؛ لكن وصف له؛ ولهذا نهى النبي صـــلى الله عليه وسلم؛ أن تنعت المرأة لغير زوجها؛ حتى كأنه ينظر إليها؛ والحديث في الصحيح؛ قال في الواضح المبين: ومنهم من يعشـــق أثراً رآه. يحكى أن رجلاً عشق أثر كف امرأة؛ رآه في حائط؛ فلما آيس أهله من صلاحه؛ تركوه حتى مات. ومنهم من يحب في النوم شكلاً لا يعرفه فيهم به...))... ((... ومنهم من يعشق باللمس؛ قيل وهو رأس الشهوة. ومنهم من يعشق بالشم؛ كما قيل:

والعين تعشق ما تهوى وتبصره   كذلك يعشق فيك الأنف والأذن

ومنهم من أخبرني؛ أنه دخل إلى حمام؛ فرأى فيه شعرة طويلة سوداء لبعض النساء؛ ولم يعلم لمن هي؛ فأخذها، وأقامت عنده زماناً؛ وأصابه من حب صاحبتها ما أشرف به على التلف؛ كما قيل:

تلفت بشعرة وسمعت غيري   يقول سملت من تلفى بشعره

ومنهم من يعشق جنية رآها في نومه، ووصفت نفسها له، وجاءته غير مرة؛ على زعمه. كما حكى أبو الفرج الأموي: أن جعفر المنصور كان يتعشق من الجن؛ حتى كثر ولعه بذلك؛ فصار يصرع في النوم مرات؛ حتى مات من ذلك؛ فحزن عليه أبو جعفر حزناً شديداً. وكان جعفر خليعاً، ماجناً؛ ولما نهى المنصور مطيع بن أياس عن صحبة ابنه جعفر؛ قال: وأي مستصلح فيه؛ وأي غاية لم يبلغها في الفساد؛ فقال ويلك!! وبأي شيء هذا؟ قال يزعم أنه يعشق امرأة من الجن؛ وهو مجتهد في خطبتها؛ ودأبه جمع أصحاب العزائم عليها؛ وهم يعدونه ويمنونه؛ فوالله ما فيه فضل لغير ذلك؛ جد ولا هزل، ولا كفر، ولا إيمان...)) ((... قلت: هذا الذي يقال في حقه: "الجنون فنون". ومثل هذا ما أخبرني به صاحبنا جمال بن عبد الله قال: قال الثعالبي في فقه اللغة: زعموا أن التناكح قد وقع بين الأنس والجن؛ لقوله تعالى: ﴿وَشَارِكهُمْ

﴿فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[1]؛ لأن الجنيات إنما تصرع الرجال من الأنس؛ على العشق؛ وطلب[2] الفساد؛ وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم...))... ((... قلت: وبقي هنا حكاية تتعلق بمن عشق على السماع؛ من الحمقى والمغفلين؛ وهي ما حكاه الجاحظ. قال: عبرت يوماً على معلم؛ فوجدته في هيئة حسنة، وقماش مليح؛ فقام إليَّ، وأجلسني معه؛ ففاتحته في القراآت؛ فإذا هو فيها ماهر؛ ففاتحته في شيء من النحو؛ فوجدته فيه ماهراً؛ ثم في أشعار العرب واللغة؛ فإذا به كامل في جميع ما يراد منه. فقلت: والله قوي عزمي على تقطيع دفتر المعلمين؛ فكنت كل يوم أجالسه، وأزوره. قال: فأتيت في بعض الأيام إلى زيارته؛ فوجدت الكتاب مغلقاً؛ فسألت عنه جيرانه؛ فقالوا: مات عنده ميت؛ فقلت: أروح أعزيه؛ فجئت إلى بابه؛ فطرقته؛ فخرجت إليّ جاريته؛ فقالت: ما تريد؛ فقلت: أريد مولاك؛ فقالت: مولاي جالس وحده في العزاء؛ ما يعطي لأحد الطريق إليه؛ فقلت: قولي له صديقك فلان يطلبك؛ فدخلت وخرجت إلي وقالت: بسم الله؛ فعبرت إليه؛ فإذا هو جالس وحده. فقلت: أعظم الله أجرك: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. وهذا سبيل لا بد منه؛ فعليك بالصبر. ثم قلت له: هذا الذي توفي ابنك؟ قال: لا؛ قلت: فوالدك؟ قال: لا؛ قلت: فأخوك؟ قال: لا؛ قلت: فمن؟ قال: حبيبتي. فقلت في نفسي: هذه أول المناحس؛ ثم قلت: سبحان

---

[1] من الآية: 64؛ من سورة الإسراء.

[2] في الأصل: ((وطاب))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

الله النساء كثر؛ وتجد غيرها، وتقع عيناك على أحسن منها؛ فقال: وكأني بك قد ظننت أني رأيتها. فقلت في نفسي: هذه منحسة ثانية؛ ثم قلت: وكيف عشقت من لا رأيته؟ فقال: أعلم أني كنت في الطارمة؛ وإذا برجل عابر وهو يغني ويقول:

يا أم عمر جزاك الله مكرمة   ردي علي فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي: لولا أن أم عمرو هذه ما في الدنيا مثلها؛ ما قيل فيها هذا الشعر؛ فهويتها؛ فلما كان بعد يومين؛ عبر ذلك الرجل وهو يغني، ويقول:

إذا ذهب الحمار بأم عمر   فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت؛ فحزنت وقعدت في العزاء ثلاثة أيام بهذا اليوم. قال الجاحظ: فعادت عزيمتي...[1]

* * *

[1] وقع اضطراب وخلط في العبارة التالية؛ وهي هكذا فيما ذكره الجاحظ: ((قد قوّيْتَ عزمي على إبقائه؛ وأول ما أبدأ؛ أبدأ بك إن شاء الله تعالى)).

الباب الرابع

ذكر من نظر اول نظرة فاحترق من خد الحبيب بجمرة

أقول: هذا باب عقدناه؛ لذكر من أوقعه النظر في الضرر المؤدي إلى السهر؛ إذ هو داعية الأرق، وزناد الحرق؛ كم دعا إلى الجماع المحرم بالإجماع. فهو سهم مسموم، وفعل مذموم، وفي مبدئه يمكن استدراكه، وأسيره يرجى فكاكه؛ فإذا تكرر؛ أدى إلى ما صورته كيت وكيت؛ أما ترى الحبل بتكراره البيت؛ كما قيل:

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها

في أعين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضرّ مهجته

لا مرحباً بسر ورجاء بالضرر

قولي: وفي مبدئه؛ يمكن استدراكه إلى آخره؛ وذلك أن الرجل؛ تمر به المرأة؛ فيكون ظاهر هيئتها، وشكلها، وصورتها؛ مشاكلاً لطبعه؛ فتتحرك نفسه، وتنبعث همته من أول نظرة؛ فإذا

تكرر نظره إليها؛ ازداد حبه لها؛ وإن جلس حتى يراها؛ صار الذي به أضعاف ما كان؛ فإن نظرت إليه نظرة؛ افتتن بجمالها، ووقع في أسر حبالها، ودخل في عدد العاشقين؛ وهذا مما يؤيد قول من ذهب إلى أن العشق اختياري؛ لأنه لم يَصِرْ عاشقاً؛ إلاّ بعد وقــوع هــذه المقدمات. وكان يمكنه حسم مادة ذلك؛ بعد النظرة الأولى؛ اللهم إلاَّ فيما ندر؛ كما تقدم في ذكر النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام؛ ففتنَّ من أول نظرة؛ وكان يقال: النظر من المحب؛ موت عاجــل، ومن المحبوب سهم قاتل. وكان يقال: رب عشق غرس من لحظه، وحرب جنى من لفظه. وكان يقال: من أطلق طرفه[1]؛ كثر أسفــه. وكان يقال: من كثرت لحظاته دامت حسراته. وقال إعرابي: العشق نبت بذره النظر، وماؤه المزاورة، ونماؤه الوصل، وقتلــه الهجــر، وحصاده التجني. وقال الصوري:

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته

وأهملته مستأنساً متسامحــا

ولم تدر حتى أينعت شجراته

وهبت رياح الوجد فيه لواحقا

فأمسيت تستدني من الصبر عازباً

عليك وتستدعي من النوم نازحــاً..))

---

[1] في الأصل: ((طرفة))؛ بالتاء المربوطة.

((... ــ فصــــل: ذكر سحر الجفون ونبل العيون:

فمن ذلك؛ قول بشاره؛ وهو أغزل بيت قالته الشعراء؛ فيمـــا حكاه قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان:

أنا والله أشتهي سحر عينيـــ ـــك وأخشى مصارع العشاق.

ونقل شيخنا الشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي؛ في تاريـــــخ الإسلام؛ عن ابن حيوس؛ أنه قال من أغزل ما أعلـــم قـــول عبـــد المحسن الصوري:

بالذي ألهم تعذيبي ثنايـــاك العذابـــا

ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابـــا

قلت: وهما من قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور يقتلننا ثم لا يحيـيـــن قتلانـــا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا..))

((... ــ فصــــل: وصف العيون الضيقة وغيرها

وقال محمد بن العفيف التلمساني:

لحاظك أسياف ذكور فما لها

كما زعموا مثـــل الأرامـــل

ولـــه أيضــاً:

يا عاشقين حـــاذروا مبتسماً عن ثغــره
فطرفه الساحر مــذ شككتــم في أمــره
يريدان أن يخرجكم من أرضكم بسحره...))

((... وقلـــت أنـــا مـــن قصيـــد:

حبيب نازل في كــل قلـــب
وسيف لحاظه يهوى النـــزالا
يرى قتل المحب بـــلا دليـــل
ولا سيما إذا أبـــدى الـــدلالا
إذا استقبلت سيف اللحظ منه
رأيت الموت من ماضيه حالا

وقلـــت أيضـــاً مـــن قصيـــد:

تغار الشمس منها حين تبـــدو كغصن البان في خضر البرود
بأطراف من الحناء حمـــر وألحاظ كبيض الهند ســـود

وقلـــت أيضـــاً مـــن قصيـــد:

آلت لواحظه على أهل الهوى إن لا ترى قتلاً بغير مهنـــد
يرنو وصارم لحظه في جفنه ماضي الغرار ولم يمسي بأثمـــد

فإذا تجرد للمحب فلا تسـل عن سيف جفن كالحسام مجـرد

وقلـت أيضـاً مـن قصيـدة:

غزالي غزاني باللحاظ لأنه إذا ما بدا في حومة الحرب ضيغم

تكلمني ألحاظـه بسيوفهـا ولم ترى قبلي ميتاً يتكلـم

وقلـت مـن قصيـدة:

تسل سيوفاً من لواحظ طرفها ولكن من عادة الجفن غامد

تجردها والدمع كالنيل سائح فما تنثني إلا وسيحان جامد..))

* * *

))... الباب الخامس

ذكر تغير الألوان عند العيان من صفرة وجل وحمرة خجل وما في معنى ذلك من عقد اللسان وسحر البيان

أقول: هذا باب عقدناه لذكر تغير لوني المحبين؛ إذا وقعت العين في العين، وهرب الدم إلى شبكة الدماغ. فقال له الحاجر: إلى أين؟ وقد نصت الأطباء على السبب في ذلك، وجلو من اصفرار المحب، واحمرار المحبوب؛ سواد كل حالك. وأنا أورد هنا؛ ما قالوه بنصه، وأصوغه كالخاتم بفصه، وأعقبه بذكر ألوان الحسان؛ بأحسن بيان، وأوضح تبيان. هذا مع ما ينجر في ذيل ذلك؛ من التفصيل بين السمر، والبيض؛ ووقوع محب السمان، من الشعور والأرداف، في الطويل والعريض؛ واختم ذلك؛ بفصل في ذكر ما يعتري المحب من خفقان قلبه، وطيران عقله ولبه؛ فأقول وبالله التوفيق: قال بعض الأطباء: سبب اصفرار وجه العاشق؛ الفزع؛ فإن الدم لا يأوي مع الفزع؛ وربما نظر المعشوق إلى العاشق فجأة؛ فيضطرب قلبه، وتشتعل الحرارة ثم تخمد؛ فإذا خمدت؛ برد التامور[1]؛ فإذا برد التامور؛ جمد الدم، واستحال اللون إلى السواد، والخضرة؛ ثم يستقر؛ فيصفر. وأما احمرار وجه المعشوق؛ فمن

---

[1] أي الإنسان.

الخجل؛ والخجل عرض؛ من حركة تامور القلب؛ فتحيل الدم وتلطفه؛ فيظهر في أرق مكان في الوجه؛ وذلك عند معالجة الحرارة العرضية، ومجاهدتها الدم؛ لما يندفع؛ فيطلب الخلاص؛ حتى ينتهي إلى تحت الرأس؛ فيمنعه الحاجز من النفوذ؛ فيهبط إلى الوجه؛ فيحمر الوجه. قالوا والوجه الرقيق البشرة، الصافي الأديم؛ إذا خجل يحمر، وإذا فزع يصفر. ومنه قولهم: "ديباج الوجه"؛ يريدون تلونه، من رقته. قال الشاعر:

حمرة خلط صفرة في بياض   مثل ما حاك حائك ديباجاً

وقالوا حمرة لون الإنسان؛ يولدها الفرح، والصحة، والنعمة. وصفرة لونه؛ يولدها الفزع، والبؤس، والغم، والسقم. وأما أحسن الألوان؛ فإنه الأحمر؛ بدليل أن الدم صديق الروح، والحمرة لونه. وأفضل الياقوت وأفخره الأحمر، وأجود الذهب أحمره، وأفضل العسل الذهبي والياقوتي؛ وتمدح الأرض بحمرة التربة؛ وأكرم الخليل أشقرها، وهب ديباجها. وأكرم الأبل حمرها؛ وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهو يعظم مقدار ذلك: ((لو أن لي حمر النعم، ولو أن لي طلاع الأرض ذهباً)). وأحسن الأنوار الورد والشقائق والجلنار. وأحسن الحلل المصبوغة المعصفرة؛ وأحسنها ما كان صبغة القرمز؛ وأحسن الخمر الحمراء؛ ولذلك وصفتها الشعراء بلون النار، والعندم، والعصفر، والياقوت، والعبقر. وأحسن الألوان المخلوقة النار؛ ومن أجل ذلك اكتنى عبد العزى بن عبد

المطلب باللهب؛ وكان يكنى قبل ذلك أبا عتبة؛ لأنه كان من أحسن الناس وجهاً؛ وكانوا يشبهون احمرار وجهه بلهيب النار؛ لأنه كان مشرق الوجه ملتهبة. كما كنى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أهلك الرجال الأحمران، وأهلك النساء الأحامرة. والأحمران الخمر اللحم، والأحامرة الذهب والزعفران..))

* * *

((... الباب السادس

ذكر الغيرة وما فيها من الحيرة وفرع من ديك الجن

أقول: هذا باب عقدناه؛ لذكر غيرة المحب على المحبوب؛ حتى من نفسه، وأبناء جنسه. والمحبون فيها نوعان، والمضروبون بسوطها ضربان: فالأول يحبه الله ورسوله؛ ويتم به للعاشق رسوله، والثاني مذموم؛ وصاحبه ملوم. فالنوع المحبوب منها أن يغار عند قيام الريبة؛ والنوع المذموم أن يغار من غير ريبة؛ بل من مجرد سوء الظن؛ وهذه الغيرة تفسد المحبة، ولا تترك منها حبة؛ لأنها توقع العداوة بين المحب والمحبوب؛ وربما حملته على الوقوع فيما اتهمه به؛ ويترتب عليها مفاسد كثيرة؛ مما يؤدي إلى فساد الصورة. والحكايات في هذا الباب مشهورة. وقد روى النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح: ((أن من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره الله. فالغيرة التي يحبها الله؛ أن تكون في ريبة، والغيرة التي يكرهها الله؛ الغيرة في غير ريبة". وقال عبد الله بن شداد: الغيرة غيراتان: غيرة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخل النار. وقال صاحب روضة المحبين: الذي يحب الله ورسوله يغار لله ورسوله؛ على قدر محبته وإجلاله؛ وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ورسوله؛ فهو من المحبين؛ فكذب من أدعى محبة محبوب من الناس؛ وهو يرى غيره ينتهك حرمته، ويسعى في إذاءه ومساخطه،

ويستخف بأمره؛ وهو لا يغار لذلك؛ بل قلبه بارد؛ فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله؛ وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت؟ ولا لحقوقه إذا ضيعت؟ وأَقْوَل الأحوال؛ أن يغار له من نفسه؛ بترك ارتكاب معاصيه، والتفريط في حقه. وأما الغيرة على المحبوب؛ فإنما تحمد حيث يحمد الاختصاص به؛ ويذم الاشتراك فيه شرعاً وعقلاً؛ كغيرة الإنسان على زوجته، وأمته، والشيء الذي هو يختص به. وهذه الغيرة تختص بالمخلوقين؛ ولا تتصور في حق الخالق؛ لأنه سبحانه وتعالى يجب على جميع المخلوقين أن يحبوه، ويذكروه، ويعبدوه، ويحمدوه؛ خلافاً لبعض[1] جهلة الصوفية؛ ممن كان إذا رأى من يذكر الله، أو يحبه؛ يغار منه. وربما سكته؛ إن أمكنه. ويقول: غيره: الحب تحملني على هذا؛ وإنما ذلك حسد وبغي، وعدوان، ونوع معاداة الله، ومراغمة لطريق رسله؛ أخرجوها في قالب الغيرة؛ وشبهوا محبته بمحبة الصورة. وهذه الغيرة إنما تحسن في محبة من لا تحسن المشاركة في محبته؛ كغيرة الإنسان على محبوبه من الآدميين؛ كما تقدم ذكره. قال القشيري: قيل لبعضهم: أتحب أن تراه؟ قال: لا؛ قيل: ولم؟ قال: أُنَزِّهُ ذلك الجمال عن نظر مثلي. قال الشيخ شمس[2] الدين بن قيم الجوزية: وهذه أيضاً غيرة فاسدة؛ وغاية صاحبها أن يعفى عنه، وأن يُعَد[3] ذلك من شطحاته[4]

---

[1] في الأصل: ((خلافاً فالبعض))؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[2] في الأصل: ((شسم))؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[3] في الأصل: ((بعد))؛ بالباء الموحدة التحتية؛ وهو تحريف؛ فصوب.
[4] في الأصل: ((سطحاته))؛ بالسين المهملة؛ وهو تحريف؛ فصوب.

المذمومة؛ وأن يُعد في مناقبه وفضائله؛ أن يقال له: أتحب أن ترى حبيبك؛ فيقول: لا؛ فلا؛ ورؤيته أعلى نعيم الجنة؛ وهو سبحانه وتعالى؛ يحب من عبده أن يسأله النظر إليه. وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه كان من دعائه: ((اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك)). وقول هذا القائل: أُنَزِّهُ ذلك الجمال عن نظري[1]؛ مثل من خدع الشيطان، والنفس؛ وهو شبه ما يحكى عن بعضهم: أنه قيل ألا تذكره[2]؟ فقال: أنزهه أن يجري ذكره على لساني. وقد وقع بعضهم في شيء من ذلك؛ فلاموه فأنشد[3]:

يقولون زرنا واقض واجب حقنا
وقد أسقطت حالي حقوقهم عني
إذا هم رأوا حالي ولم يأنفوا إليها[4]
ولم يأنفوا مني[5] أنفت لهم مني

وبعضهم من ترك الحج؛ غيرة على بيته أن يزوره مثله. وقد لمت شخصاً على ترك الصلاة؛ فقال لي: أني لا أرى نفسي أهلاً أن أدخل بيته. فأنظر إلى تلاعب الشيطان بهؤلاء. وأما الغيرة على

---

[1] في الأصل: ((نظر))؛ بدون الياء؛ فصوب.
[2] أي: ألا تذكر الله؟
[3] هي للقاضي أبو العباس أحمد بن محمد البدجاني البصري.
[4] في نص آخر: ((لها))؛ وهو أسلم.
[5] في نص آخر: ((منها))؛ وهو أصح.

المحبوب؛ من الآدميين فلنا فيهـــا ضـــروب، وحســـنات؛ غالبهـــا ذنوب...))

* * *

((..الباب السابع

إفشاء السر والكتمان عند عدم الإمكان

أقول: هذا باب عقدناه لذكر إفشاء السر وضده، وهـزل كـل منهما وجده؛ إذ للمحبين فيهما مذهبان: فمنمهم من أبـاح إباحتـه، ورأى في إفشائه راحته؛ ومنهم من رأى كتمانه من الديانـة؛ فحـل من مراتب الحب في أعز مكانة؛ حيث قال:

بـاح مجنون عامـر بهـواه وكتمت الهوى فمت بوجـدي

فإذا كان في القيامـة نـودي من قتيل الهوى تقدمت وحدي

نعم؛ من الناس من كتمه؛ فأراه كتمانه عدمه؛ ومـنهم مـن أفشاه؛ فوقع فيما يخشاه. ولكل من المذهبين شاهد، وبحر دمع زائد؛ لا ينجو غريقه، ولا تسلك طريقه؛ فالعاشق منهمـا بـين داعيـن؛ كلاهما الأخطر، وسيفين؛ لا بد من قتله بإحدهما؛ على الصحيـح الأشهر. كما قال شهاب الدين السهروردي:

وارحمتا للعاشقين تحملـوا سر المحبة والهوى فَضَّاحُ

بالسر إن باحوا تباح دمائهم وكذا دماء العاشقين تُبـاحُ

وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفَّاحُ..))

* * *

((... الباب الثامن

مغالطة الحبيب واستعطافه وتلافي غيظه وانحرافه

أقول: هذا باب عقدناه لذكر مغالطة الحبيب في نفسه، وإلحاق يومه بأمسه؛ وهو من أعظم الأبواب حشوهْ، وأكثرها رشوهْ، وأحسنها اختراعاً، وأكثرها خداعاً، وأبلغها حطابة، وأكثرها إصابة، وسنورد من ذلك ما يعذب إيراده، ويحسن عند أهل الإنشاء إنشاده؛ ليعلموا أن الأديب على الحبيب يحتال، ويجاري برقة ألفاظه الجريال؛ فمن ذلك؛ وهو من أحسن ما سمعته في مغالطة الحبيب:

قم بنا يا نور عيني نجعل الشك يقينا

فإلى كم يا حبيبي يأثم القاتل فينا

ومثله قول الآخر:

ما أنس لا أنس قولها بمنى ويحك إن الوشاة قد عملوا

ونمّ واش بنا فقلت لها هل لك يا هند في الذي زعموا

قالت لماذا ترى فقلت لها كي لاتضيع الظنون والتهم..))

* * *

((... الباب التاسع

الرسل والرسائل والتلطف في الوسائل

أقول: هذا باب عقدنا لذكر مراسلة الأحباب، وشكوى الجوى في الجواب؛ وهو باب مطروق؛ نافق السوق؛ طالما عـرض فيـه المحب على الرسول سلعة النحول؛ لا سيما مـن عيـل صبـره، واشتهر أمره؛ فأصبح ــ وهو في البيت ــ طريح، واستعمل فـي مراسلة الحبيب حتى الريح؛ كما قيل:

فيا نسيم الصبا أنت الرسول له   والله يعلم أني منـك غيـران

بلغ سلامي إلى من لا أكلمـه   إني على ذاك الغضبان غضبان

لا يا رسول لا تذكر له غضبي   فـذاك مني تمويـه وبهتـان

وكيف أغضب لا والله لا غضب   إني لما رام من قتلي تفرحـان

أكل يوم لنـا رسـل مـرددة   وكل يوم لنا في العتب ألـوان

أستخدم الريح في حمل السلام لكم   كأنما أنا في عصـر سليمـان

فهو من الهوى على شطر، ومن إقامة الهجر على سـفر؛ لا يقر له قرار، ولا يصلي لوجنة محبوبه بنار؛ لا جـرم أنـه يتعلـل بالنسيـم العليل؛ ويقول: لاستنشاق اليسير منه قليلك؛ لا يقـال لـه قليل. ومن أحسن ما سمعته في هذا الباب قول الواو الدمشقي:

بالله ربكما عوجا على سكنى وعاتباه لعل العتب يعطفـــه

وحدثاه وقولا في حديثكمـــا مابال عبدك بالهجران تتلفه

فإن تبسم قولا في ملاطفـــة ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وإن بدا لكما في وجهه غضب فغالطا وقـــولا ليس نعرفـــه..))

((... وقد ذَكَرْتُ؛ في النسيم أشياء مليحـــة؛ فـــي كتـــابي "ســـلوك السنـــن" المذكور؛ واقتصرت منها على هذا القدر ــ هنا ــ خـــوف الإطالة. ويجب أن يكون الرسول من أهل الصيانة، وممـــن يرجـــع إلى ديانة؛ لئلا يطمع؛ فيصير خليلاً، بعد أن كان رسولاً؛ كما اتفـــق لرسول ابن سناء الملك؛ الذي قال فيه:

راح رسولاً وجاءني عاشق وعاقه عن رسالتي عائـــق

وعاد لا لي بالجواب بل بجوى أخرسه والهوى به ناطـــق

وقال المتنبي:

مالنا كلنا جو يا رســـول أنا أهوى وقلبك المتبـــول

وكلما عاد من بعثت إليها غار مني وخان فيما يقول

أفسدت بيننا الأماني عينا ها وخانت قلوبهن العقول..))

* * *

((... الباب العاشر

الاحتيال على طيف الخيال وغير ذلك مما قيل فيه على اختلاف معانيه

أقول: هذا باب عقدناه لذكر طيف الخيال الزائر، وما قيل في سيره من المثل[1] السائر؛ الحلوب إذاً للشعراء في اقتناصة تحيل، وحسن نحيل طالما كثروا من ذكره، واستخرجوه من وكره؛ فقربوا عليه بعد المسافة، ولم يعافوا إلحاق زجره بالعيافة. ومن المشهورين فيه بالإجادة: أبو عبادة ــ وغيره:...))

((... وقال البحتري: وهو من المكثرين في وصف الخيال؛ المجيدين فيه؛ ولكثرة ولوعه به واشتهاره ضرب به المثل؛ فقيل: "خيال البحتري". ومن ذلك قوله:

إذا ما الكرى أهدى إلي خيالها

شفى قربه التبريح أو نقع الصدى

إذا انتزعته من يدي انتباهة

ظننت حبيباً راح مني أو عدا

فلم أر مثلينا ولا مثل شأننا

نعذب أيقاظاً وننعم هجداً..))

---

[1] في الأصل: ((ممثل))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

((... وقال عبد الصمد بن المعدل:

واصل النوم بيننا بعد هجر   فاجتمعنا ونحن مفترقـــان

غير أن الأرواح خافت رقيباً   فطوت سرها عن الأبدان

منظر كان لــذة القلب إلا   أنه منظر بغيــر عيـــان..))

((.. وأول من طرد الطيف طرفة بن العبد حيث قال:

فقل لخيال الحنظلية ينقلـــب   إليها فإني واصل سبل من وصل

وتبعه جرير فقال:

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا   وقت الزيارة فأرجعي بسلام

وأعجب من جرير في طرد الخيال الراعي حيث هجاء؛ فقال:

طاف الخيال بأصحابي فقلت لهم   أتلك ليلى أتت ليلاً أم الغـــول..))

وقلـــت أنـــا:

واخجلتـــا لك يا جـــر   ير في المحافل والمشاهد

طرقتك صائدة الفــؤاد   فكنت صباً غير صائد

فرددت طيف خيالهـــا   هذا خيال منك فاســـد

الطيف أعشق منـــك إذ   وافى إليك وأنت راقـــد

فلا عاد مثلك ما بـــقى   في الناس للعشاق عائد

وقلت أيضاً من قصيدة:

يطالبني قلـــبي به فكأنـــني   غريم وقلبي في تقاضيه مغرم

ولي منه في ليل الكرى ونهاره   خيال ملم أو حبيـــب مسلـــم..))

* * *

((... الباب الحادي عشر

قصر الليل وطوله وخضاب شفقه ونصوله وما في معنى ذلك

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من طال سهاد جفنه القصير؛ فأمس وما له إلا إسفار الصباح سفير؛ فهو ينشد من شدة الحرق؛ وكثرة الأرق:

يا ليل طل ولا تطل   لا بد لي من أن أسهرك
لو بات عندي قمري   ما بت أرعى قمرك

ولم تزل العشاق تشكو من الليل وطوله، ويصفونه بسواد الوجه عند حلوله؛ وعذرهم في ذلك ظاهر؛ وكيف لا؟ وقد قال فيه الشاعر:

مات الظلام بليل   أحييته حين عسعس
أحييته حين عسعس   يعيش كان تنفس..))

((... قلت: وقبل الشروع في إيراد مقاطيع هذا الباب؛ نذكر هنا حكاية لطيفة؛ تتلعق بطول الليل وقصره؛ وهي ما حكاه أبو محمد إسماعيل بن منصور الجواليفي؛ قال: وقف على والدي ــ وهو جالس في حلقة يقرأ فيها عليه الطلبة ــ شاب؛ فقال يا سيدي؛ قد سمعت بيتين من الشعر؛ ولم أفهم معناهما.

فقال له: قل؛ فأنشد:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها   وهجرة النار يصلينا به النـــار

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة   إن لم يزرني وبالجوزاء إن زارا

قال: فلما سمعها[1] والدي؛ قال له: يا ولدي؛ هذا شيء من معرفة النجوم، وتسييرها؛ لا من صنعة أهل الأدب؛ فانصرف الشاب من غير حصول فائدة؛ فاستحيا والدي؛ لكونه سأل عن شيء ليس عنده منه علم؛ وآلى على نفسه أن لا يجلس في حلقة؛ حتى ينظر في علم النجوم...))... ((.. قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس: قال لي شيخنا تقي الدين بن دقيق العيد: قل لهؤلاء علماء المعاني والبيان والبديع: أتحسنون أن تقولوا مثل قول المتنبي؟ "أزورهم وسواد الليل" البيت؛ فإذا قالوا لا؛ قل فأي فائدة فيما تصنعونه؟ يريد بذلك؛ أن العمل غير العلم؛ والمباشرة دون الوصف. ومثل قوله ــ هذا ــ ما حكاه بعضهم عن بعض الوعاظ؛ أنه كان على منبره يتكلم في المحبة، وأمور العشق، وأحواله، ومديد أطناب الأطناب في ذلك؛ فقام إليه بعض الجماعة؛ فقال:

بعيشك هل ضممت إليك ليلى   قبيل الصبح أو قبلــت فاهــا

وهل زفت عليك فروع ليــلى   زفاف الأقحوانــة في نداهــا

---

[1] في الأصل: ((سمعهما))؛ وهو تحريف؛ فصوب.

فقال الواعظ لا والله؛ فقال له فابشر؛ وقال المتنبي:

وكم لظلام الليل عندك من يد   تخبــر أن المانويــة تكـذب

وقاك ردى الأعداء تسري إليهــم   وزارك فيه ذو الدلال المحجــب

المانوية؛ قوم يعتقدون أن الخير كله من النور، والشر كله من الظلام؛ فكذبهم؛ بأنه وجد الخير في الظلام؛ حيث ستره عن أعدائه، ووقاه شرهم، وكان عوناً له على زيارة من يحبه..))

***

((.. الباب الثاني عشر

قلة عقل العذول وما عنده من كثرة الفضول

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من أكثر القيل والقال من العذال؛ واستحق بإمساك لحيته ــ عند عذله ــ نتف السبال؛ وكيف لا؟ وهو لكثرة فضوله، وقلة محصوله؛ يدخل الروح والجسد، والوالد والولد؛ طالما أصبح بين المحبين؛ قفا بين صفا عين؛ لا يفتح له باب، ولا يرد عليه جواب:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وما التيه خلقي في الهوى غير أنني   بغيض إلي الجاهل المتعاقل..))

((.. وما أحسن قول شهاب الدين ابن الخيمي رحمه الله:

وعذول رابني في نصحه   كلما زدت إبا زاد لجاجا

ما عذولي قط إلا عاشقاً   ستر الغيرة بالعذل وداجى..))

((.. وقال أبو العتاهية: لقيت أبا نواس في المسجد الجامع؛ فعذلته؛ وقلت له: ما آن لك أن ترعوي، وتزدجر؛ فرفع رأسه إلي؛ وقال:

أتراني يا عتاهي   تاركاً تلك الملاهي

أتراني مفسد بالـ   ـنسك عند القوم جاهي

فلما ألححت عليه في العذل؛ أنشأ يقول:

لاترجع الأنفس عن غيهـــا ما لم يكن منها لها زاجـــر

فوددت أني قلت هذا البيت؛ بكل شيء قلته...))... ((... قلت: والذي أقوله أنا ــ في هذا المقام ــ أن صاحب هذا الكلام؛ غريم الغرام ونديم كؤس المدام؛ ألا تراه كيف بالغ؟ حـــتى جعل للعذول جعاله؛ فأصبحت حالته كما قيل ضغث على أباله؛ فهو كما قال بعض السادات من أهل الولايات: لو لم تعلم العوام ما في قلوبنا؛ من حلاوة العفو؛ لتقربوا إلينا بالجنايات. ومثل قوله هددت بالسطان قول الآخر:

وإن نذرت فيك العشية قتلتي فللموت عندي في هواك سلام

فللموت عندي في هواك سلام ولي كل يوم في حماك حمـــام

وقلـــت أنـــا:

عاذل بالـــغ في عذلـــه وقال لما هـــاج بلبـــالي

بعارض المحبوب ما تنتهي قلت ولا بالشيب والوالي

وقلـــت أيضـــاً:

عذلوا على من رام قتلي في الهوى

فكلامهم ضرب من الهذيـــان

جهلوا وما علموا بأن الطعن في المح

بوب غير الطعن في الميـــدان..))

((... وقلـــت:

أقول لظبي قلبه يشتكي الأسى

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل

نصحتك علماً بالهوى والذي أرى

مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو

وقلـــت مـــن قصيـــدة:

وازنت ميلي للعـــذول وقـــده

فرأيت ميلي للقـــوام رجيحـــا

يا عاذلي لا صافحتك يد النوى

حتى توسد في التراب صفيحا

ولقد نصحت بني الصبابة في الهوى

لكنهـــم لا يقبلـــون نصيحـــا

وقلـــت من قصيدة مدحت بها مولانا السطان الملك الناصر.

فيا من جاء يعدل مستهاما على حلو الشمائل ما أمرك

وقلت: أيضاً من قصيدة أمدحه بها خلد الله ملكه مطلعها.

لك من حبيبك ما تحب وتشتهي

فاجعل مدامك من مقبله الشهي

وإذا بـــدا لك ثغـــره متبسمـــاً

فاضحك على ذقن العذول وقهقه..))

* * *

((... الباب الثالث عشر

ذكر الإشارة إلى الوصل والزيارة

أقول: هذا باب عقدناه لذكر الزائر والمزور؛ وما قيل فيهما من منظوم ومنثور، وغير ذلك من عيادة الحبيب؛ وما يستدل به عليه من روائح الطيب؛ كما قيل:

لو أن ركباً يممــوك لقادهــم   نسيبك حتى يستدل بك الركب

نعم؛ طالما أهدى الحبيب بزيارته سروراً، وأمسى[1] له الفضل؛ زائراً ومزوراً؛ كما قيل: فلفضله فالفضل في الحالين له؛ فالزيارة من الحبيب لا تمل؛ ولو ألحق فيها الوابل بالطل؛ ومن أحسن ما قيل في زيارة الحبيب، وعوده من قريب؛ قول العكوك:

بــأبي مــن زارني مكتتمــا   خائفاً من كل شيء جزعــا

زائــراً نــم عليــه حسنــه   كيف يخفي الليل بدراً طلعا

رصد الغفلــة حتى أمكنــت   ورعى السامر حتى هجعــا

ركب الأهوال في زورتــه   ثم ما سلــم حــتى ودعــا..))

***

[1] في الأصل: ((أمس))؛ وهو تحريف. فصوب.

ــ فصـــل نـــم الطيـــب عـــلى الحبيـــب:

مـــا أحـــلى قـــول ابـــن سكـــرة:

أهلاً وسلهلاً بمن زارت بلا عدة   تحت الظلام ولم تحذر من العسس

تسترت بالدجى عمداً فما استترت   وناب إشراقها ليلاً عن القبس

ولو طواها الدجى عنا لأظهرها   برق اللثام وعطر النحر والنفس..))

...((ــ فصـــل

ومن أحسن ما سمعته في العيادة قول الطغرائي:

خبروها أني مرضت فقالت   أضنى طار فاشكا أم تليـــدا

وأشاروا بأن تعود وســـادي   فأبت وهي تشتهي أن تعودا

واتتني في خفية وهي تشكو   ألم الشوق والمزار البعيـــدا

ورأيتني كذا فلـــم تتمالـــك   أن أمالت علي عطفاً وجيدا

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين بن نباتة:

وملولة في الحب لما أن رأت   أثر السقام بعظمي المنهاض

قالت تغيرنا فقلت لها نعم   أنا بالسقام وأنت بالإمراض..))

* * *

((... البـاب الرابـع عشـر
الرقيـب النمـام والـواشي الكثيـر الكـلام

أقول: هذا باب عقدناه لذكر كل رقيب غائر العين، كثير المين؛ يرى المحب بعين المقت في كل وقت؛ ويرميه في الحضرة والمغيب بكل سهم مصيب؛ فكم ترك المحب مضنى، وأفقره فيمن أحب وما أستغنى؛ فهو كالصبح قاطع اللذات، تعيس الحركات، قبيح المنظر، سيء المخبر، كثير اللجاج، حجر في دكان زجاج؛ فهو والنمام في الأذى فرسا رهان، رضيعـــا لبان؛ ومن أبلغ ما سمعته في الرقيب:

أنا والحب ما خلونا ولا طر
فة عين إلا علينـــا رقيـــب
ما خلونا بحيث أن يمكن الدهر
بأن أقـــول أنـــت الحبيـــب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت
ألح فراقي فقلت كيم الطبيب

وقـــول ابن المعتـــز:

وإبـــلائي في محضر ومغيـــب

لم تر دماء وجهـــه العيـــن إلا

لم تـــر دماء وجهـــه العين إلا

شرقـــت قبل شربهـــا برقيـــب...))

((... وقلـــت أنـــا مـــن قصيـــدة:

فديتك قد غاب الرقيب فغن لي وقل في ثقيل نحسه متغيـــب

رقيب نفى عن أرض ليلى عشية وأخرج منها خائفـــاً يترقـــب

وقلـــت أيضـــاً:

عاذلي في الحبيب دعني فإني برحت بي في حبه البرحـــاء

راقب الله في محـــب حبيـــب من نجـــوم السمالـــة رقبـــاء

وقلـــت أيضـــاً مـــن قصيـــدة:

فبت ولي شغل عن العذل شاغل

يذود الكري عني من السهد ذائد

وقلـــت أيضـــاً مـــن رسالـــة:

وأمـــا الرقيـــب فأمـــره عجيـــب

وغلق الباب في وجهه؛ ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[1]؛ فهو بالنهار من الذين يراؤون، وبالليل ابن فاعلة؛ لا ينام، ولا يخلي الناس ينامون؛ فأذاه إذا ورد من بعيد أقرب من حبل الوريد؛ والعاشق بينه وبين العذول ما يلفظ من قول؛ إلا لديه رقيب عتيد؛ فهو إن قعد قامت القيامة، وإن راح؛ لا كتب الله عليه سلامة.

* * *

ـ فصل: النمام والواشي وما أظرف ما سمعت في ذلك:

قال لي عودي غداة رأوني ... ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي

قلت مقلي به لسان وشاة ... قطعوه فيه بصنع عجيب

وأضافوا إليه كبد حسود ... فقئت فوقها عيون رقيب

وهذا مأخوذ من كلام بعض العشاق؛ وقد قيل له: ما الذي تشتهيه؟ فقال أعين الرقباء، وألسن الوشاة، وأكباد الحساد.

---

[1] من الآية: 13؛ من سورة الفتح.

وقــال آخــر:

لي عندهم يوم التواصل دعوة يا معشر الجلساء والندمــاء

أشوي بها قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

وقال صلى الله عليه وسـلم: ((أبغضـكم إلـي المشـاعون بالنميمة؛ المفرقون بين الأحبة)). وقال صـلى الله عليـه وسـلم: ((أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى؛ منهم: رجل يأكـل لحوم الناس، ويمشي بالنميمة))...))

* * *

((... الباب الخامس عشر

العتاب عند اجتماع الاحباب وما في معنى ذلك من الرضى والعفو

عن ما مضى أقول: هذا باب عقدناه لذكر معاتبة الذمن[1] الأماني، وبث هوى؛ أرق من النسيم المتواني. نعم في العتاب فوائد جمة، وإزالة كرب؛ فلا يكن أمركم عليكم غمة؛ وهو على أقسام: عتاب هو في تأكيد المودة؛ يحصل الحاصل؛ وعتاب لتكذيب الناقل، وعتاب التمييز؛ الحق من الباطل؛ ومن المعلوم:[2] أن للعتاب بين الأحباب أصلاً، وفضلاً، وقطعاً، ووصلاً؛ لا بد منه، ولا غناء عنه؛ اللهم إلا عند من لا يراه البتة، ولا يعاتب الحبيب إلا فلتة؛ كالبحتري حيث يقول:

أعاتب الحب فيما جاء واحدة ثم السلام عليه لا أعاتبه

وفي أمثال العرب أسوأ الآداب كثرة العتاب: وقال الأحنف: العتاب مفتاح التقالي والعتاب خير من الحقد.

---

[1] كلمة غير مفهومة.

[2] في الأصل: ((العلوم)).

وقد قال بشار في تقليل العتاب:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

إذا كنت لم تشرب مراراً على القذي ظمئت وأي الناس راقت مشاربه..))

* * *

ـ فصـــل في العفـــو والـــرضى والصفـــح عما مضى:

جاء عن علي رضي الله عنه؛ في قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[1]: إنه الرضا بغير عتاب. وقال تعالى: ((وليعفــوا وليصفحــوا ألا تحبــون أن يغفــر الله لكــم)). وقال صلى الله عليه وسلم: ((من لم يقبل من معتذر صادق وكاذب لم يرد على الحوض)). وقال الشاعر:

ذنــبي إليــك عظيــم وأنــت أعظــم منــه

فخــذ بحقـــك أولاً فاصفح بفضلــك عنــه

إن لم أكن في فعــالي مــن الكــرام فكنــه

[1] مـن الآيـة: 85؛ مـن سـورة الحجـر.

وقال آخر:

ما أحسن العفو من القادر   لا سيما عن غير ذي ناصر

يا غاية القصد وأقصى المنى   وخير مرعى مقلة الناظر

إن كان لي ذنب ولا ذنب لي   فما له غيرك من غافر

أعوذ بالود الذي بيننا   أن تفسد الأول بالآخر

كان أبو محمد اليزيدي، ينادم المأمون، فغلب عليه الشراب ذات ليلة، فعربد، فأمر المأمون بحمله إلى منزله برفق، فلما أفاق استحيا، وانقطع عن الركوب أياماً، فلما طال عليه ذلك، كتب إلى المأمون أبياتاً منها.

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع   ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما   كرهت وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما أن كنت عند خليفة   وفي مجلس ما أن يجوز به اللغو

فلما قرأها المأمون، وقع في الرقعة "سر إلينا فقد عفونا عنك، فلا عتب عليك، وبساط النبيذ يطوي معه. أخذه الشاعر فقال:

إنما مجلس الشراب بساط   فإذا ما انقضى طوينا بساطه...))

* * *

((... الباب السادس عشر

إغاثة العاشق المسكين إذا وصلت العظام السكين

أقول: هذا باب عقدناه لذكر أكثر الناس فتوة، وأغزرهم مروة، وأرقهم قلباً، وأحسنهم مربى؛ ممن أصبح بين المحبين؛ قديم هجر وهجرة؛ وأمسى[1] له ــ بكؤس المحبة ــ ألف سكرة؛ لا جرم أنه أعان ذوي المحبة، ووازن بنفسه؛ من في قلبه من الغرام مثقال حبة؛ فسعى في إصلاح حاله، وساواه بنفسه وماله؛ ولله القائل[2] في هذا المعنى: قف مشوقاً، أو مسعداً، أو حزيناً، أو معيناً، أو عاذراً، أو عذولاً؛ فإن كنت خالياً من ذلك كله ــ أعني بأطماع كذوب على النوى ــ إذا لم تقاتل يا جبان فشجع. قلت أولا؛ أقل من ذلك؛ يا ابنة مالك؛ ولله[3] القائل في ذلك:

لو تعلم الناس من شوقي ومن كافي ما بت أعلمه استسقوا بميعاد

واستشفعوا لي إلى إلفي بأجمعهم وجاء عائدهم في ذي قوّاد

---

[1] في الأصل: ((أمس)).

[2] في الأصل: ((والله القائل))؛ وهو تحريف.

[3] في الأصل: ((والهل القائل))؛ وهو تحريف بين.

ومن أعجب ما سمعته في إغاثة العاشق، والأخذ بثأره؛ ما[1] حكاه الجاحظ؛ قال: بلغني أن عاشقاً مات بالهند عشقاً؛ فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله. وقال الخرائطي كان رجل نخاس[2] عنده جارية؛ لم يكن له سلوة غيرها؛ وكان يعرضها في المواسم فتغالي الناس فيها؛ حتى بلغت مبلغاً كثيراً من المال؛ وهو يطلب الزيادة؛ فعلقها رجل فقير؛ فكاد عقله أن يذهب. فلما بلغه ذلك وهبها له؛ فعوتب في ذلك؛ فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3]؛ أفلا أحيي الناس جميعاً؟

وحكى الخرائطي: أنه كان لبعض الخلفاء غلام وجارية؛ من غلمانه وجواريه متحابين؛ فكتب الغلام إليها يوماً:

ولقد رأيتك في المنام كأنما عاطيتني من ريق فيك البارد

وكأن كفك في يدي وكأننا بتنا جميعاً في فراش واحد

فطفقت نومي كله متراقدا لأراك في نومي ولست براقدا

فأجابته الجارية:

خيراً رأيت وكل ما أبصرته ستناله مني برغم الحاسد

---

[1] في الأصل: ((وما)).
[2] في الأصل: ((نحاس))؛ بالحاء المهملة؛ وهو تحريف.
[3] من الآية: 32، من سورة المائدة.

إني لأرجو أن تكون معانقي فتبيت مني فوق ثدي ناهـــد
وأراك بين خلاخلي ودمالجي وأراك فوق ترائبي ومجاسدي

فبلغ الخليفة خبرهما، فأنكحهما وأحسن إليهما، على شدة غيرته. وقال أبو الفرج بن الجوزي: سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له، فقال المهلب:

لعمري إني للمحبين راحم وإني ببر العاشقين حقيـــق
سأجمع منكم شمل ودّ مبدّد وإني بما قد ترجوان خليق

ثم وهبها له، ومعها خمسة آلاف دينار. وروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنه جاءته جارية تستعدي على رجل من الأنصار، فقال لها عثمان: ما قصتك، فقالت: يا مير المؤمنين، أحب ابن أخيه، فما أنفك أراعيه، فقال له عثمان: أما أن تهبها لابن أخيك، أو أعطيك ثمنها من مالي، فقال: أشهدك يا أمير المؤمنين، أنها لابن أخي. وأتى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بغلام من العرب، وجد في دار قوم بالليل، فقال له: لست بسارق، ولكني أصدقك:

تعلقت في دار الرياحي خودة يذل لها من حسنها الشمس والبدر
لها في بنات الروم حسن ومنصب إذا افتخرت بالحسن صدقها الفخر
فلما طرقت الدار من حر مهجة أبيت وفيها من توقدها جمـــر

تبادر أهل الدار بي ثم صيحوا   هو اللص محتوماً له القتل والأسر

فلما سمع علي شعره؛ رق له؛ وقال للمهلب: اسمح له بها؛ ونعوضك عنها؛ فقال يا أمير المؤمنين إسأله لنعرف نسبه؛ فقال النهاش بن عتبة العجلي؛ فقال: خذها فهي لك. وحكى التميمي في كتابه "امتزاج النفوس" أن معاوية بن أبي سفيان؛ اشترى جارية من البحرين؛ فأعجب بها إعجاباً شديداً؛ فسمعها ــ يوماً ــ تنشد أبياتاً منها:

وفارقته كالغصن يهتز في الثرى   طريراً وسيما بعدما طــر شاربه

فسألها؛ فقالت له هو ابن عم لي؛ فردها إليه؛ وفي قلبه منها شرر النيران...))

***

((... البـاب السـابع عشـر
ذكـر دواء علـة الجـوى

أقول: هذا باب عقدناه لذكر دواء الحب؛ الذي أعجز أهل الطب؛ فهم فيه حيارى سكارى؛ وما هم بسكارى؛ على أن الذي أجمعوا عليه، وأشاروا إليه؛ أنه لا شفاء من هذا الداء العضال؛ إلاّ بطيب الوصال؛ مثل غمز النهدين، وقرع الشفتين، والتصاق البدنين.

رأيت الحب ليـــس لـــه دواء   سوي وضع الصدور على الصدور

ولا سيما ممن بدت نهوده وتوردت خدوده وعذب مذاقه وطاب عناقه.

اعانقه والنفـــس بعد مشوقـــة   إليه وهل بعد العناق تـــداني

وألثم فاه كي تزول حرارتي   فيشتد ما ألـــقى من الهيمـــان

كأن فؤادي ليس يشفى غليله   سوى أن ترى الروحان يمتزجان

وقال الآخر:

شفـــاء الحب تقبيـــل وشـــمّ   ووضع للبطون على البطون

ورهز تذرف العينان منـــه   وأخـــذ بالمناكب والقـــرون

وقال آخر:

أسقـــم قلـــبي ثم لم يبـــره

عاقد زنار على خصـــره

لا تلتقي روحي مع جسمه

حتى أرى صدري على بطنه...))

وأما نكاح الطيف؛ فاختلفوا فيه؛ فذهب أبو تمام الطائي إلى أنه لا يفسد الحب؛ بخلاف نكاح الحقيقة؛ وخالفه في ذلك جماعة؛ ومنهم من إذا أفضى إلى معشوقه؛ اقتصر على الرشف، وعفة النفس، وخوف الوقوع في الكبيرة؛ إذا كان محبوبه ممن لا يجوز له نكاحه؛ كما قيل:

ولرب لذة ليلة قد نلتهـــا وحرامها بحلالها مدفوع

وقال آخر:

أتأذنـــون لصب في زيارتكـــم

فعندكم شهوات القلب والبصـــر

لا يضمر السوء إن طال الوقوف به

عف الضمير ولكن فاسق النظر

وقـــال آخـــر:

خود حرائر ما هممن بريبـــة

كظباء مكة صيدهـــن حـــرام

يحسبن من لين الحديث زوانيا ويصدهن عن الخنا الإســـلام

وسيأتي ما ورد في هذا المعنى؛ في باب العفاف؛ والثاني مـــا قالـــه العلماء في أسباب الباه؛ وهو أن شهوة القلب ممتزجة بلـــذة العـــين، وحب النفس معقودة باختيار الطبائع؛ إلاّ أن يكـــون الحـــب تكلفـــاً؛ لاستفراغ ماء الشهوة؛ فيصير الحرص على الجماع؛ علـــى قـــدر الهوى؛ والهوى على قدر المؤانسة؛ فيمن وافقت عينه قلبه، ونفســـه طباعه؛ ممن يحب تمكن حبه، وارتفعت عنه شهوة الجماع؛ فوقـــع فيما تكره المرأة من الرجل...))

***

((... فصل:

اختلف الفقهاء؛ هل يجب على الزوج مجامعة امرأته؟ فقالت طائفة لا يجب عليه ذلك؛ لأنه حق له؛ فإن شاء استوفاه، وإن شاء تركه؛ بمنزلة من استأجر داراً[1]؛ إن شاء سكنها، وإن شاء تركها. وهذا من أضعف الأقوال؛ لأن القرآن، والسنة، والعرف، والقياس؛ يرده. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ[2] بِالْمَعْرُوفِ﴾[3]. فإذا كان الجماع حق الزوج عليها؛ فهو حق لها على الزوج؛ بنص القرآن؛ وقال الله تعالى: ((وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ))[4]. ومن ضد المعروف؛ أن يكون عنده شابة؛ شهوتها تعدل شهوته، أو تزيد عليها بأضعاف مضاعفة؛ ولا يذيقها لذة الوطء مرة واحدة. ومن زعم أن هذا من المعروف؛ كفاه طبعه في الرد عليه. وقالت طائفة: يجب عليه أن يطأها في كل أربعة أشهر؛ وتخير المرأة ــ بعد ذلك ــ إن شاءت تقيم معه، وإن شاءت تفارقه؛ فلو كان لها حق في الوطء أكثر من ذلك؛ لم يجعل للزوج تركه في تلك المدة؛ وهو أمثل القولين؛ مع ما فيه. وقالت طائفة: يجب عليه أن يطأها بالمعروف؛ كما ينفق عليها ويكسوها، ويعاشروها بالمعروف. قالوا: وعليه أن يشبعها وطأ إذا أمكنه؛ كما

---

[1] في الأصل: ((دار))؛ بدون الألف؛ وهو تحريف.

[2] في الأصل: ((علين))؛ وهو تحريف بيِّن.

[3] من الآية: 228؛ من سورة البقرة.

[4] من الآية: 19؛ من سورة النساء.

عليه أن يشبعها قوتاً. وكان ابن تيمية يرجح هذا القـول ويختـاره. قال تلميذه ابن قيم الجوزية: وقد حض النبي صلى الله عليه وسـلم على استعمال هذا، ورغب فيه، وعلق عليه الأجر، وجعله صـدقة لفاعله. فقال: وفي بضع أحدكم صدقة؛ ففي هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان، وحصول الأجر، وفرح النفس، وذهاب أفكارها الرديئـة عنها، وخفة الروح، وذهاب كثافتها وغلظها، وخفة الجسم، واعتدال المزاج، وجلب الصحة، ودفع المواد الرديئة؛ فإن صـادف[1] ذلـك وجهاً حسناً، وخلقاً دمثاً ــ أي سهلاً ــ وعشقاً وافراً، ورغبة تامة، واحتساء بالثواب[2]؛ فذلك اللذة التي لا يعادلها شـيء؛ ولا سـيما إذا وافقت كمالها؛ فإنها لا تكمل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسـطه من اللذة؛ فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن بسماع كلامـه، والأنف بشم رائحته، والفم بتقبيله، واليد بلمسه؛ وتنعكف كل جارحة على ما تطلبه من لذاتها؛ ويقابله المحبوب بنظير ذلك؛ فإن فقد مـن ذلك شيء؛ لم تزل النفس متطلعة إليه، متقاضية له؛ فلا تسكن كـل السكون؛ ولذلك تسمى المرأة سكناً؛ لسكون النفس إليهـا؛ ولذلـك فضل جماع النهار على جماع الليل؛ وله سبب آخر طبيعي؛ وهـو أن الليل وقت تبرد فيه الحواس، وتطلب حظهـا مـن السكـون. والنهار محل انتشار الحركات؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

---

[1] في الأصل: ((صاف)).
[2] في الأصـل: ((باللثاب)).

جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾[1]. وكان محمد بن المنكدر يدعو في صلاته ويقول: "اللهم قوم لي ذكري؛ فإن فيه صلاحاً لأهلي". وقال عبد الله بن صالح: كان الليث بن سعد؛ إذا غشي أهله؛ يقول "اللهم شد لي أصله، وارفع لي صدره، وسهل علي مدخله ومخرجه، وارزقني لذته، وهب لي ذرية صالحة؛ تقتل في سبيلك". قال وكان جهورياً؛ فكان يسمع ذلك منه. وقال علي بن عاصم: حدثنا خالد الحذاء؛ قال: لما خلق الله آدم، وخلق حواء؛ قال: يا آدم أسكن إلى زوجك؛ فقالت حواء: يا آدم؛ ما أطيب هذا؛ زدنا منه.

* * *

---

[1] **سورة الفرقان؛ الآية: 47.**

الباب الثامن عشر

تعنت المعشوق على الصب المشوق وغير ذلك من اقسام الهجر وصبر القابض فيه على الجمر

أقول: هذا باب عقدناه لذكر الجني، وقول المحبوب إليك عني؛ فهو باب ـ لمن مرّ به ـ حلو المذاق، عطر الخلاق بالاتفاق؛ لا يعرف طعمه إلاّ من ذاقه، وعرف وصل الحبيب، وفرقه. ولم تزل العشاق تستحلي تجني الحبيب، وتقول:

ضرب الحبيب زبيب شرط المحبة عند أرباب الهوى

إن المليح على التجني يعشق؛ لا يصدهم حد، ولا يقفون من سيوف اللحاظ عند حد. فكم رأوا جور الحبيب عدلاً؛ وقالوا لخده إذا أقبل أهلاً وسهلاً؛ لا يأخذهم فيه لومة لائم، ولا يعدون جور بارد الظلم من المظالم:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلواً فقد جهل المحبة وادعى

والعلم المشهور في هذا الباب؛ قول علية بنت المهدي:

جُبِلَ الحب على الجور فلو أنصف المحبوب فيه لسمج

ليس يستحسن في شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج...))

((... وقد قسموا الهجر على أربعة أقسام؛ فقالوا: هجر دلال وهجر ملال وهجر مكافأة على الذنب وهجر يوجبه البغض المتمكن في الصدور فأما هجر الدلال فهو ألذ كثير من الوصال وعليه عقدت هذا الباب قال كشاجم:

لولا أطراد الصيد لم تـــك لـــذة فتطاردي لي بالوصـــال قليـــلا
هذا الشراب أخو الحياة وما له من لذة حتى تصيب غليـــلا

وأما هجر الملال؛ فيثبطه مرور الأيام والليالي؛ إما بتنائي الدار، أو بطول الاختبار. حكي أن متيم الهاشمية؛ لما اشتراها على ابن هشام؛ حظيت عنده وأحبها حباً شديداً؛ فاتفق أنها غضبت عليه في وقت من الأوقات، وتمادت في غضبها؛ فترضَّاها؛ فلم ترض؛ فكتب إليها: الإدلال يدعو إلى الملال؛ ورب هجر دعا إلى الصبر؛ وإنما سمي القلب قلباً؛ لتقلبه. وقد صدق عندي قول العباس بن الأحنف:

ما أراني إلا سأهجر من ليس يراني أقوى على الهجـــران
ملـــني واتـــقى بحسن إخـــاء ما أضـــر الإخاء بالإنســـان

فلما قرأت الرقعة؛ خرجت إليه من وقتها، ورضيت. وأما الهجر الذي يتولد عن الذنب؛ فالتوبة تزيله من القلب؛ عند الاعتراف بالذنب؛ ولا سيما إذا كان المحبوب:

ملكه ملك رحمة ليس فيـــه

جبروت منـــه ولا كبريـــاء

يتقي الله في المحب وقد أفلـــ

ـــح من كان همـــه الاتقــاء

وأما الهجر الذي يوجبه البغض الطبيعي؛ فهو الذي لا دواء له. قال الحصري: وهذا لا يصح بيـــن ذوي الإخلاص، وذوي الاختصاص؛ إذ حقيقة المشاكلة؛ تمنعه وصحة المناسبـــة تدفعه؛ والذي أقوله أنا أيضاً: أن هذا القسم؛ مرضه مما لا يمكن علاجه؛ ولا يعذب أجاجه؛ فالمحبوب فيه لا يلام، ومحبته كمن يرقص في الظلام، ويسلم على من لا يرد عليه السلام:

أحبابه كم يفعلون بقلبه   ما ليس يفعله به أعداؤه

❃ ❃ ❃

...((البـاب التاسـع عشـر
الدعـاء عـلى المحبـوب ومـا فيـه مـن القلـه المقلـوب

كقــولي:

دعوت من الحبيب بعشق ظبي   أقاسي منه أنــواع الجفــاء
فواصله وبالغ في صـــدودي   فكان إذاً على نفسي دعــائي

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من قارب حلول رمسه، وأراد أن يدعو على روحه؛ فدعا على نفسه. فهو يتشهى ويشتكي، ويتشفى وينتكي؛ لا يثبت على حال، ولا يفرق ـ بسيف اللحظ ـ بين الماضي والحال. فبينا هو يشكو من محبوبه؛ إذا هو يشكو اليه. وبينا هو يدعو له؛ إذا هو يدعو عليه. فمن أحسن ما قبل في الدعاء للمحبوب؛ قول بلدينا محمد بن العفيف التلمساني؛ رحم الله شبابه، وجعل من الرحيق المختوم شرابه. "أعز الله أنصار العيون"[1]...))

***

[1] لقد كتبت هنا بشكل قلب أبياتها. ومع هذا يمكن مراجعتها في الباب المخصص بالشاب الظريف؛ في هذا الجزء من كتابنا.

...((الباب العشرون
الخضوع وانسكاب الدموع

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من أصبح دمعه مسكوباً على مسكوب؛ فبات وهو من جريانه كالرمح؛ كما قيل: أنبوب على أنبوب؛ وإلا إذا تمادى الهجر، أو كان عليه بعض حجر؛ هنالك يرى من انسكاب عبرته العبر، وينشد إذا عزم الخليط على السفر:

ومفارق سكن القلوب   فلا خلت منه الربوع

بعث الرسول وقال لي   وأنا السميع له المطيع

بالله قل لي ما جرى   بعدي فقلت له الدموع

وقال الآخر:

قال لي من أحببت والبين قد جدّ

وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي

قلت ابكي عليك طول الطريق...))

((... وقلـــت مـــن قصيـــدة حجازيـــة:

خليلي روض الرقمتين طرازه

إذا لمع البرق الحجازي مذهب

فلا تعجبا من سحب دمعي إذا همت

فما كل برق لاح للعين خلب

وقلـــت مـــن أخـــرى حجازيـــة:

تزنى جفني القريح على الخدين قد وكفا

فحسبه ما جرى من أدمعي وكفا

إن عز نظم دموعي حين أنثـــر

فالدر ما عز حتى جاوز الصدفا

لا تعجبوا من وقا دمعي غداة جرى

من عينيه ما جرى فالبحر فيه وفا

ما زلت أبكي على وادي العقيق إلى

أن قيل هذاك من عينيه قد رعفا

وقلـــت أيضـــاً مـــن قصيـــدة:

بكيت على أرض بها كنت ماشياً

فأشبهت في دمعي صخرها الخنسا

تجرأت يا دمعي فلم تجرأ دائمـــاً

فيا دمع ما أجرى ويا قلب ما أقسى

وقلـــت أيضـــاً مـــن قصيـــدة:

إن عيني على العقيق إذا لـــم

يحك دمعي بلونــــه حمـــراء

منذ أمسى لجين دمعي نضارا

صح عندي لعيـــني الكميـــاء

لا تسل ما جرى من الدمع لما

صار من عاذلي على اجتراء

أطلع الليل أدمعي فوق خدي

مثل ما تطلع النجوم للسمـــاء

وقلـــت مـــن قصيـــدة:

لأن فترت عيني بحر دموعها

فثغر الذي أهوى كما قيل بارد

وإن حل طرفي بالدموع وكاءه

فنهد الذي حيث بطرفي عاقد

وقلــت مــن قصيــد:

سقيت ببحر الدمع بارد أرضها

وأرسلتها فيها على حين فترة

فيا طرف إن لم تسعف الصب بالبكى

قطعت حبال الدمع من حيث رقت

وقلــت مــن قصيــدة:

خالفت فيك معنفــاً ونصيحــا

وأطعت جفناً بالدموع قريحــاً

فاعمل لقتلي محضراً فمدامعي

كتبت لقلبي بالدما مشروحــاً

صب على سفح المقطم دمعه

تجري العيون به دماً مسفوحاً

لو شاهدت عيناك أحمر دمعه

زكيت شاهد قلبه المجروحــا

وقلــت أيضــاً:

الطرف من فقد الكــرى يشكــو الأسى إليــه

والخد من فــرط البــكى يــا مــا جــرى عليــه

وقلــت:

ومن أرحـــم لوعـــتي وابعث خيالاً في الكرى

ودمع عيــني لا تســل عن حاله يا ما جــرى...))

* * *

((... البـاب الحـادي والعشـرون

الوعـد والأمـاني ومـا فيهمـا مـن راحـة المعـاني

أقـــول: هذا باب؛ عقدناه لذكر الأماني؛ التي لا بد منها، ولا غنى عنها؛ فلا أقل منها:

أعلل بالمنى قلـــبي لعـــلي

أروح بالأماني الهم عـــني

وأعلم أن وصلك لا يرجى

ولكن لا أقل من التمـــني

ولم يزل المحبون يعللون بالأماني نفوسهم، ويترعون براح راحتها كؤسهم؛ فمنهم من فاز بالأمنية قبل حلول المنية، ومنهم من مات بأعظم غصة، وما وقع له الحبيب على قصة:...))

((... وقلـــت أنـــا مـــن قصيـــدة حجازيـــة:

يهددني بالهجر في كل ليلة

أصدق فيها وصله وأكذب...))

((... وقلـــت أنـــا:

رقي لصب غدا مما يكايـــده

من دمعه الصب يجري في مجاريه

لم يبق فيه سوى روح يرددها

لولا المنى مات يا أقصى أمانيه

وقلـــت أيضـــاً:

يا طيب ريح سرى من نحوهم سحرا

لولا تلافيه قلبي في الهوى تلفا

كم ذا أعلل قلبي بالنسيم ومـــا

أرى لداء غرامي في هواء شفا

وقال ابن زيدون:

لأسرحـــن نواظـــري في ذلك الروض النضير

ولآكلنـــــك بالمـــني ولأشربنـــك بالضميـــر

وقـــال آخـــر:

علليـــني بموعـــد وامطلي ما حييت به

ودعيني أفوز منـــك بنجـــوى تطلبـــه

فعسى يعثر الزمان بحـــظي فينتبـــه...))

* * *

((... البـاب الثـاني والعشـرون

الرضـا مـن المحبـوب بايسـر مطلـوب

أقول: هذا باب عقدناه لذكر المحب المطبوع، والعاشق القنوع؛ ممن يقنع الحبيب بالنظر إذا حضر، ويرضى منه بالسلام؛ ولو مرة في العام؛ فهو في الرضا منه بالنزر اليسير؛ كما قيل: "قليلك لا يقال له قليل":

أنا راض منكم بأيسر شيء

يرتضيه من عاشق معشوق

بسلام على الطريق إذا مـــا

جمعتنا بالاتفـــاق الطريـــق

وقال المعري:

لاقاك في العام الذي ولى ولم

يسألـــك إلا قبلـــه في القابـــل

إن البخيل إذا تمد له المـــدى

في الجود هان عليه بذل الباذل

وقال جميل:

أقلب طرفي في السماء لعلـــه

يوافق طرفي طرفه حين ينظر

وقال أيضاً:

وإني لأرضى من بثينة بالذي

لو استقين الواشي لقرت بلابله

بلا وبأن لا أستطيع وبالمـــني

وبالأمل المرجو فد خاب آمله

وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي

أوآخـــره لا تلتـــقي وأوائلـــه

قلت: انظر إلى هذا الشاعر الظريف، والعاشق، العفيف؛ قد قنع من مناهل أحبابه بالوشل، واكتفى باللمح من خلل الاستار والكلل...))

* * *

((... البـاب الثالـث والعشـرون
اختـلاط الأشبـاح اختـلاط المـاء بالـراح

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من أفرط في العناق؛ إذا التفت الساق بالساق؛ فأصبح هو ومحبيه كالشيء الواحد في رأي العين؛ حتى عند الأحوال الذي يرى الشيء شيئين؛ وذلك لفرط المحبة التي لا يشتفي قلب صاحبها بالوصال، ولا تنقطع حبال دموعه بالاتصال؛ كما قيل:

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له من شدة الحب قد أبعدت فاقترب

وقال ابن الرومي:

أعانقه والنفس بعـــد مشوقـــة
إليه وهل بعد العناق تــداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي
فيشتد ما ألقى من الهيمـــان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى
ليشفيه رشفاً ما سوى الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله
سوى أن ترى الروحان يمتزجان..))

* * *

((... البـاب الرابـع والعشـرون

عـود المحـب كالخـلال وطيـف الخيـال ومـا في معـنى ذلـك مـن رقـة خصـر الحبيـب وتشبيـه الـردف بالكثيـب

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من أدى به النحول إلى الذبول، وأصبح كالطلل بين الطلول؛ فهو من شدة الضر ت كما قال ــ صردر:

وكم ناحل بين تلك الخيام

تحسبــه بيــن أطنابهــا

فمحبوبه ــ في الجفاء ولحد ــ كالألف، وهو في رقته كالخيال؛ يمشي إلى خلف.

وقلــت أنــا مــن قصيــدة:

كأن ضباب الأفق ند سرت به

نسيم الصبا من نحو أرض الأحبة

كأن الصدا بين الجبال متيــم

ولم يبق منه غير صوت وأنة..))

* * *

((... الباب الخامس والعشرون
ذكر ما يكابده الاحباب من الامور الصعاب وغير ذلك مما يقاسونه من تحمل المشاق والم الفراق

كقولـــه:

شكى ألم الفراق الناس قبلي
وروع النـــوى حي وميـــت
وأما مثل ما ضمت ضلوعي
فإني ما سمعت ولا رأيـــت

أقول: هذا الباب عقدناه لذكر ما يقايسه المحب من ركوب الأخطار؛ في طلب الأوطار؛ فهو لا يزال مشغولاً بحاله، متقلباً تحت أحماله؛ يقاسي في طلب الحبيب من الأهوال؛ ما هو أثقل من الجبال، ويسمح في مقابلة اللمحة اليسيرة منه؛ بالنفس والمال.

قـــال الطغـــرائي:

ومن طلب الأحبة كان أسخى ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من نضى من دون مطلبه حسامه..))

((... ومن أحسن ما سمعته في طلب الأوطار وركوب الأخطار قول ابن خفاجة:

لقد جبت دون الحي كل تنوفة

يحوم بها نسر السماء على وكر

وخضت ظلام الليل يسود فحمة

ودست عرين الليث ينظر عن جمر

وجئت ديار الحي والليل مطرق

منمنم ثوب الأفق بالأنجم الزهر

أشيم بها برد الحديد وربمـــا

عثرت بأطراف المثقفة السمر

فلم ألق الاصعدة فوق لامـــة

فقلت قضيب قد أظل على نـهر

ولا شمت الأغرة فوق أشقــر

فقلت حباب يستدير على خمر

فسرت وقلب البرق يخفق غيرة

هنهاك وعين النجم تنظر عن هناك وشزر..))

❋ ❋ ❋

((... الباب السادس والعشرون
طيب ذكر الحبيب

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من صال وجال، وذكر محبوبه حين تكسرت النصال؛ في كل موقف الوقوف فيه هزيمة، والموت غنيمة؛ ولا سيما إذا أقيمت القسيء[1] مقام الحواجب، والتبست الخود بنهود الكواعب، واشتبهت الرماح بالقدود، والبيض بحمرة الخدود؛ هنالك يجعل حبيبه المشار إليه نصب عينيه؛ ولا يلهيه عنه ضرب الحسام، ولا جعله غرضاً للسهام...))

((... وقـــال عنتـــرة:

ولقد ذكرتك والرماح نواهـــل

منى وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لأنهـــا

لمعت كبارق ثغرك المتبســـم

وما أرق قول الطغرائي أيضاً:

إني لأذكركم وقد بلغ الظمأ

مني فأشرق بالزلال البارد

---

[1] في الأصل: ((القسيء)).

وأقول ليت أحبتي عاينتهم

قبل الممات ولو بيوم واحد...))

((... وقلت أنا في رمل طريق مصر إلى الشام من مقامة:

ولقد ذكرتكم برمـــل روعـــه

في قلب كل مشرق ومغـــرب

وبنو بياضة كالدبي من حولنا

بسوأدهم سدوا فسيح السبـــب

والقضيب تبري هام كل مدجج

من كف أشوس بالحروب مهذب

وأسنة الرماح تلمع في الدجى

كوميض برق في الدجى متلهب

وعلى العوالي كل نسر واقع

يفري أديم الليث منه بمخلـــب

والرعد للأرماج رعد قاصف

والبحر يهدر كالهزبر الأغلب

والبر بحر بالدما والبحر بـــر

بالفرنج وكل كلـــب أجـــرب

وعلى السواحل غارة شعواء ما

فيها لمن يرجو النجا من مهرب

وأنا باوتـــار القـــسى كأنـــني

فيه أغني بالربـــاب وزينـــب

وأقول ليت أحبتي يدرون مـــا

أنا فيه من لهو وعيش طيـــب..))

* * *

((... البـاب السابـع والعشـرون

طـرف يسيـر مـن المقاطـع الرائقة والأغـزال الفائقـة

مما اشتمل على ورد الخدود ورمان النهود وغير ذلك

أقول: هذا الباب عقدناه لذكر طرف يسير من الغزل، والنسيب، ومحاسن التشبيب؛ مما يطرب سماعه، ويؤخذ لطالـــع الحسن ارتفاعه؛ كقول بلدينا الشاعر الظريف محمد بن العفيف:

أيسعدني يا طلعة البدر طالع

ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناهى في الجفاء تطاولاً

وعند التناهي يقصر المتطاول

وما كنت مجنون الهوى قبل أن يرى

لقلبي من صدغيك في الأسر عاقل

ولولا سنان من لحاظك قاتـــل

لما كنت أدري أن طرفك ذابل

ولم لا يصح الوجد فيك وناظر

لنسخة حسن من سناك يقابـــل

ولو أن قيساً واصفاً منك وجنة

لا عجزه نبت بها وهو باقـــل

نعم؛ هذا الباب من أوسع هذه الأبواب مجالاً، وأجرأها جرياً؛ لا؛ وأحسنها خطاباً، وأعذبها نصاباً؛ فيه يتميز سمين الشعر من غثه، وجديده من رثه؛ ولا يكاد يجود فيه إلاّ ذاك، ولا يدركه إلاّ كثير الدراية؛ وما أدراك...))

((... وقال ابن خفاجة:

ومهفهف طاوي الحشى

كالغصن يخطر ان خطر

فـــإذا رنـــا وإذا شـــدا

وإذا ســـقى وإذا سفـــر

فضح الغزالـــة والحمـــا

ـــمة والغمامة والقمـــر...))

((... وقلـــت أنـــا:

يا صاح سكري من هوى أغيد

قوامـــه كالغصـــن أن ماســـا

ساق متى ما لاح لي كاســـه

ذكـــرني شاربـــه الآســـا

وقلت أيضاً:

ذكــرني شاربــه الآســا
رأيت الشمس ليلاً وسط داري

فــورد خدودهــا ما لاح إلا
وأحــرق عاشقيــه بجلنــار

فصف لي شعرها ليلاً وطول
وقل في الخصر قولاً باختصار

تدير لنــا مراشفهــا عقــاراً
قريب العهد من كــاس مــدار

ومنهــا:

عدمتك يا عذولي فيه قــل لي
إذا لاح العذار فما اعتــذاري

كأنك ما شعرت بــأن حــبي
غدا بعذاره حســن الشعــار

غــدوت مكاتبــاً فيه بخــط
قريب الشكل من قلم الغبــار

سقاني مــن مقبلــه شرابــاً
طهوراً لم يدنــس باعتصــار

وأعقب وصله هجراً فقلــبي
على حرف من الهجران هار

إذا ما قـــادني يومـــاً هـــواه

مشيت وقطر دمعي كالقطـــار

أيطمعني بخفض العيش دهري

وجر الدمع فيه على الجـــوار

وقلت أيضاً من قصيدة أمدح بها مولانا السلطان حسن:

ترادفت التهاني والســـرور

وبشرنا بوصلكـــم بشيـــر

وبات بقلعه الجبل انشراح

وأفراح وأحباب وحضور

بروج الأفق فيها فرد بدر

وافق بروجها فيـــه بـــدور

تغازل باللواحظ في دجاها

فما نامت ولا فتر الفتـــور

ومنها:

أغار من النسيم بها إذا مـــا

تصافح كفه فيهـــا الستـــور

إذا نشرت ذوائبهـــا تبـــدي

لميت الحب في الدنيا نشور

لها ثغـــر يصون الدرمجـــا

يبيت عليه من خفـــر خفيـــر

وفرق بين ضوء الصبح لما

يلـــوح وبينه فـــرق كبيـــر

* * *

((... الباب الثامن والعشرون

ذكـر طـرف يسيـر مـن اخبـار المطربيـن المجيديـن مـن الرجـال وذوات الحجـال ومـا في معـنى ذلـك؛ مـن ذلـك مولا تهـم ووصـف الاتهـم

أقول: هذا باب عقدناه لذكر من استراح من العناء؛ بسمـــاع الغناء؛ من كل محب يشبب بالشباب، ويغني بالرباب؛ فهو يضرب بالعود، ويجمع من المذكور والمؤنث؛ بين الشيء وضده؛ لا يلهبه غير ملاهيه؛ ولا سيما إذا كان في الغناء ممن يعرف الصواب، ويقيم الإعراب، ويشبع الألحان، ويعدل الأوزان، ويصيب أجناس الإيقاع، ويعطي النغم حقه من الإشباع، ويختلس مواضع النيرات، ويستوفي ما شاكلها من النقرات، ويحسن الاختلاس، ويملأ الأنفاس؛ وغير وذلك مما هو معروف عند أرباب هذا الشأن؛ من القيان؛ ممن جمع في ذلك بين الحسن، والإحسان؛ كما قيل:

مـــا تغنـــت إلا تفـــرج هـــم

عن فؤادي وأقلعـــت أحـــزان

يفضل المسمعين طيباً وحسناً

مثل ما يفضل السماع العيان

والناس في الغناء؛ كلهم عبيد معبد، واسحق الموصلي؛ اللذين هما أطبع المتقدمين في الغناء؛ فيما حكاه غير واحد من أرباب التاريخ. وفي معبد يقول حبيب:

محاسن أوصاف المغنين جمة

وما قصبات السبق إلا لمعبـــد

وقال البحتري يصف صهيل فرس:

هزج الصهيل كان في نغماته

نبرات معبد في الصهيل الأول

ومعبد هذا؛ كان منقطعاً إلى البرامكة؛ ومات في أيام الرشيد؛ وأخباره أشهر من أن تذكر؛ وقد ذكرها صاحب الأغاني وغيره. وأما إسحق الموصلي؛ فإنه كان من أهل العلم، والأدب، والرواية، والتقدم في الشعر، وسائل المحاسن؛ أشهر من أن يوصف؛ وهو الذي صحح أجناس الغناء، وميز طرائقها؛ تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله، ولا بعده؛ من تدقيق المجاري، وتمييز الأصناف؛ التي جعلوها صنفاً واحداً؛ وهي في نفسها كذلك؛ ولكنها تفترق عند متيقظ مثله. من كلامه: حدود الغناء أربعة: النغم، والتأليف، والإيقاع، والقسمة. وكان قد سأل المأمون: أن يكون دخوله مع أهل العلم، والأدب؛ لا

مع المغنين؛ فإذا أراده للغناء؛ دعاه فأجابه إلى ذلك. وقال الواثق: ما غنّاني إسحق قط؛ إلاّ ظننت أنه زيد في ملكي، وأن إسحق لنعمة من نعم الملك؛ التي لم يحظ أحد بمثلها؛ ولو أن العمر، والنشاط ما يشترى؛ لشريته له بشطر ملكي...))... ((... وحكى أبو الفرج: أنه أهديت للرشيد جارية في غاية الجمال؛ فخلا معها في قصره يوماً؛ وأصطبح فكان من حضر من جواريه للغناء والخدمة ما يزيد عن ألفي جارية؛ في أحسن زي من الثياب، والجواهر. فوصل الخبر إلى أم جعفر؛ فعظم ذلك عليها، وأرسلت إلى علية؛ أخت الرشيد تشكو إليها؛ فأرسلت إليها علية: لا يغيظك هذا؛ فوالله لأردنه إليك؛ وقد عزمت أن أصنع شعراً، وأصوغ عليه لحناً، وأطرحه إلى جواري؛ فابعثي إلي كل جارية عندك، وألبسيهن أنواع الثياب والجواهر؛ حتى ألقي عليهن الصوت مع جواري؛ ففعلت أم جعفر ما أمرتها به عليه. فلما صلَّى الرشيد العصر؛ لم يشعر إلا وعلية قد خرجت عليه من قصر ومعها ما ينيف عن ألفي جارية؛ عليهن غرائب اللباس؛ وكلهن في نغمة واحدة؛ يغنين بهذين البيتين:

منفصـــل عـــني ومـــا قـــلبي عنـــه منفصـــل

يا قاطعي قل لي لمــن نويت بعدي أن تصـــل

قال فطرب الرشيد، وقام على رجليه؛ حتى استقبل أم جعفر ومعه علية؛ وهو في غاية السرور؛ وقال: لم أرَ كاليوم سروراً قط. وقال لمسرور الخادم: لا تترك في الخزانة مالاً إلا نثرته؛ فكان

مبلغ ما نثره في ذلك اليوم ستة آلاف ألف درهم. وما سمع بمثل ذلك قط. وحكي عن القاضي أبي عبد الله محمد بن عيسى؛ أنه أخرج إلى حضور جنازة؛ وكان لرجل ـــ من أخوانه ـــ منزل بالقرب من مقبره؛ فعزم عليه في الميل إليه؛ فنزل، وأحضر له طعاماً؛ فغنت جارية:

طابت بطيب لثاتك الأقـــداح

وزها بحمرة خـــدك التفـــاح

وإذا الربيع تنسمت أرواحــــه

نمت بعرف نسيمـــك الأرواح

وإذا الخنادس أسبت ظلماءها

فضياء وجهك في الدجا مصباح

فكتبها القاضي طرباً بها على ظهر يده؛ ثم خرج. قال راويه: فلقد رأيته يكبر على الجنازة؛ وهذه الأبيات على ظهر يده...))... ((... وقلـــت أنـــا:

وغانية مكملة المعـــاني

بلطف ما عليه من مزيد

إذا ما أطربتنا بالمثـــاني

تثنت بين رمان النهـــود

تغار السمر منها حين تبدو

كغصن البان في خضر البرود

بأطراف من الحناء حمر

وألحاظ كبيض الهند سود

سوالفها من الريحان أطرى

وألحاظ كبيض الهند سود

سوالفها من الريحان أطرى

يواخيها الشقيق من الخدود..))

((... وقلـــت أنـــا:

يواخيها الشقيــق من الخــدود

أزاحوا اعتذاري عنهم بالهوى العذري

مِواصيلهم من نفخهم كــل ساعــة

جلبنا الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقلــت أيضـــاً ملغـــزاً في شبابـــة:

وما خرساء إن نطقت رأينا

تناقض فعلها أمر عجيبا

منقبة وليـــس لهـــا أزار

توافينا ولم تخشى الرقيبا

فتاة إن خلوت بها صحبي

رأيت لهم معي فيها نصيبا

ينازعني هواها كل صب

وإن لم تشبه الرشا الربيبا

فكم من عاشق فضحته فينا

وكم جمعت بمجلسها حبيبا

تجدد لي إذا نطقت سرورا

يعيد زماني البالي قشيبا

أرق من النسيم الرطيب صوتاً

وأسرع في الورى منه هبوبا

تغازل دائماً بعيونها من

يطارحها التغزل والنسيبا

فدع لومي إذا ما همت بها

وأنشدني من الشعر الغريبا

وشبب لي بها أبداً وقل لي

ضروب الناس عشاق ضروبا

فأغدرهم محب ذو ملال

وأعذرهم أشبهم حبيبـــا...))

* * *

((... الباب التاسع والعشرون
ذكر من ابتلى من اهل الزمان بحب النساء والغلمان

أقول: هذا باب عقدناه لذكر عشاق زماننا هذا؛ وهم ما تعرفهم بسيماهم؛ فمنهم من أتصف بالانصاف، وسلك طريقة السلف في العفاف؛ وهذا النوع فيما يظهر أعز من الكبريت الأحمر؛ لم أراه، ولا رأيت من رآه؛ وإن وجدت اسمه؛ فأين مسماه؟

فاشهد بصدق مقالتي   أو لا فكذبني بواحد

هيهات؛ بل قصارى أهل هذا العصر أن يعشق أحدهم بكرة، ويواصل الظهر، ويسلو العصر. وعلى هذا حكاية بعض العلماء؛ من أهل المدينة فيما حكاه عمرو بن شيبة؛ قال: كان الرجل يحب الفتاة؛ فيدور بدارها حولاً؛ يفرح إن رأى من رآها؛ فإذا ظفر بها في مجلس تشاكيا وأنشد الأشعار؛ واليوم يشير إليها، وتشير اليه؛ فيعدها، وتعده؛ فإذا التقيا لم يشكو حباً، ولم ينشدا شعراً؛ وقام إليها كأنه على نكاحها أمين الأمناء؛ كما قيل:

لم يخطو من داخل الدهليز منصرفا

إلا وخلخالها قد قارب الشنفا

وقال الأصمعي: قلت لإعرابية: ما تعدون العشق فيكم؟ قالت العناق[1]، والضمة، والغمزة، والمحادثة. ثم قالت: يا حضري؛ فكيف هو عندكم؟ قلت: يقعد ما بين رجلي عشيقته، ثم يجهدها. قلت يا ابن أخي: ما هذا عاشق؛ هذا طالب ولد. وسئل أعرابي عن ذلك؛ فقال: هو مص الريق، ولثم الثغر؛ والأخذ[2] من أطايب الحديث بنصيب؛ فكيف هو عندكم أيها الحضري؟ فقال: العض الشديد، والجمع بين الركبة والوريد، ورهز يوقظ النيام، ويوجب الآثام. فقال: تالله ما يفعل هذا العدو؛ فكيف الحبيب؟ قلت وقد تقدم أن الملوك ــ كغيرهم ــ في العشق؛ وأن الملك[3] العظيم؛ قد يعشق؛ ولا يذهب به عشقه إلى ترك تدبير ملكه. وهناك طبقة أخرى دون الملوك؛ إذا عشقوا لم يتفرغوا لاشتغالهم بصنائعهم؛ وطبقة أخرى يبخلون بأديانهم وعقولهم عن شغل قلوبهم؛ بما لا يحل لهم، ويحرم عليهم؛ وما سوى هؤلاء؛ فإن عشقهم عرض من الأعراض؛ بل مرض من الأمراض؛ إذا وصلوا إليه أسرعوا بأنصرافهم عنه؛ وربما صار هجراناً؛ بل عداوة إلى آخر العمر. وهذا هو الغالب على أهل زماننا هذا. وهو أفسد أنواع الحب؛ إذ يوجد عند الفراغ، ويذهب عند الشغل، ويحدث عند غلبة الشهوة، ويتلاشى بتلاشيها؛ فهو أضعفها لا محالة؛ وأمر صاحبه سهل؛ إذ هو يسلو بالجفاء،

---

[1] في الأصل: ((العنق)).

[2] في الأصل: ((مص الريقة، ولثم الثغر، ولاأخذ...)).

[3] في الأصل: ((وإن الملط))؛ وهو تحريف.

وحبه[1] بقليل الوفاء. ومن كانت هذه حاله؛ سهل أمره، وانطفأ بالبولة جمره. فمن أهل هذا العصر؛ من اقتصر على دمية القصر؛ فهام بالحسناء من النساء. ومنهم من خلع في الأمرد العذار؛ وقال للسلو عن وجنته الحمراء النار ولا العار. ومنهم من قرن بين الفريقين، وجمع من المذكر والمؤنث بين الضدين؛ فتراه يأتي على ما حضر، ولا يتوقف عند صورة من الصور؛ كما قيل:

أنا الرجل البصير بكل أمر
دخلت من التصابي كل باب
فيهوى المرد والشبان قلبي
ولا يأبى مواصلة الكعاب...))

((... وكتبت أنا إلى بعضهم:

ليهن مولانا حبيب لم يزل
بوصله في كل محسنا
كم زينته لحية في وجهه أنبتها الله نباتاً حسنا...))

((... وقال يا قوت الحموي وقد ظلم أهل الموصل؛ من خصهم بالنسبة إلى اللوط؛ حتى ضرب بهم المثل. وقال فيهم الشاعر:

كتب العذارعلى صحيفة خده
سطراً يلوح لناظر المتأمل

---

[1] في الأصل: ((وحب)).

بالغت في استخراجه فوجدته

لا رأى إلا رأى أهل الموصل

ولقد جببت البلاد؛ ما بين جيحون والنيل؛ فمن رأيته لا يخرج عن هذا المذهب؛ فلا أدري؛ لم يخص به أهل الموصل؟ قيل: وليس الأمر كذلك؛ كما ادعى ياقوت من كل وجه؛ لأن مجرد الميل إلى الذكر؛ لا تخلو منه بقعة؛ إنما أهل الموصل يزيدون على ذلك؛ بأنهم يميلون إلى أصحاب الذقون؛ وربما مالوا إلى من بعذاره شيب. ويقولون: هنا شعرة وشعرة؛ أي شعرة سوداء وشعره بيضاء. وبعضهم يسميه زرزوريا؛ وهذا قلّ أن يوجد في غير بلدهم. وقد رموا ـــ بهذا ـــ من بين أهل البلاد، وأهل الإسكندرية؛ لأنهم يقولون: ما نعطي فليستنا إلا لمن بنفقها على عائلته ووليداته[1]، ما نعطيها لمن يأكل بها حلاوة. قال الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية؛ في كتابه روضة المحبين؛ بعد ذكر قصة عاد، وما أفضى إليه بهم الهوى؛ من الهلاك الفظيع، والعقوبة المستمرة؛ ثم قصة قوم صالح كذلك، ثم قصة العشاق أئمة[2] الفساق؛ ناكحي الذكران، وتاركي النسوان؛ وكيف أخذهم وهم في خوضهم يلعبون، وقطع دابرهم وهم في سكرة عشقهم يعمهون، وكيف جمع عليهم

---

[1] هكذا.

[2] في الأصل: ((أثمة)).

من العقوبات ما لم يجمعه على أمة[1] من الأمم أجمعين؛ وجعلهم سلفاً لإخوانهم اللوطية؛ من المتقدمين، والمتأخرين. قال: لما تجرؤ على هذه المعصية، وتمرَّدوا، ونهجوا لإخوانهم طريقاً، وقاموا بها وقعدوا؛ ضجت الملائكة إلى الله من ذلك ضجيجاً، وعجت الأرض إلى ربها من هذا الأمر عجيجاً، وهربت الملائكة إلى أقطار السموات، وشكتهم إلى جميع المخلوقات؛ وهو سبحانه قد حكم؛ أنه لا يأخذ الظالمين؛ إلاّ بعد إقامة الحجة عليهم، والتقدم بالوعد والوعيد إليهم. فلمّا خالفوا الرسول المرسل إليهم؛ ووقعت الحجة عليهم؛ فعل الله تعالى بهم ما أخبر به في كتابه العزيز: **﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾**[2]. فهذه عاقبة اللوطية؛ عشاق الصورة؛ وهم السلف[3] وإخوانهم بعدهم على الأثر.

***

[1] في الأصل: ((ألمة)).

[2] سورة هود؛ الآيتان: 82 - 83.

[3] في الأصل: ((السف)).

ـ فصـــل: النظـــر إلى وجـــه الأمـــرد:

ذكر الحافظ محمد بن ناصر

من حديث مجالد؛ عن الشعبي قال: قدم عبد القيس عـــلى النبي ص؛ وفيهم غلام أمرد؛ ظاهر الوضاءة؛ فأجلسه عليه الســـلام وراء ظهره؛ وقال: كانت خطيئة من مضى النظر. وفي الكامل عن أبي هريرة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحـــد الرجـــل النظر إلى الغلام الأمرد. وكان سعيد بن المسيب يقول إذا رايتـــم الرجل يلح بالنظر إلى غلام أمرد؛ فاتهموه. وصرح الشيخ مـــحي الدين النووي ــ في المنهاج ــ بتحريم النظر إلـــى وجـــه الأمـــرد بشهوة، أو بغير شهوة. وذكر الخطيب من حديث عبد الرحمن بـــن وافد؛ عن عمرو بن أزهر؛ عن أبان؛ عن أنس؛ قال: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا تجالسوا أولاد الملوك؛ فـــإن الأنفـــس تشتاق إليهم؛ ما لا تشتاق إلي الجواري العواتق. وكـــان إبراهيـــم النخعي، وسفيان الثوري، وغيرهم من السلف؛ ينهون عن مجالســـة الأمرد. وقال النخعي: مجالستهم فتنة، وإنمائهم بمنزلة النساء. حكى عن أبي سعيد الجزار ــ وكان من المشايخ المعروفيـــن بالزهـــد والعبادة ــ أنه قال: رأيت إبليس في منامي ــ وهو يمر عني ناحية ــ فقلت: تعال؛ فقال: أي شيء أعمل بكم؛ أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس؛ قلت وما هو: قال الدنيا، ثم قال: غيـــر أن لـــي

فيكم لطيفة؛ قلت وما هي؛ قال صحبة الأحـــداث؛ فأخـــذت العصـــا لأضربه؛ فقال: أنا ما أخاف من العصا؛ إنما أخاف من نور القلب.
قال فتح الموصلي: صحبت ثلاثين شيخاً من الأبدال؛ كلهم يقولون: إياك ومعاشرة الأحداث. وحكى أبو عبد الله أحمد بن الجلاد؛ قال: كنت أمشي مع أستاذي؛ فرأيت حدثاً جميل الصورة؛ فقلت: أترى يعذب الله هذه الصورة بالنار؟ فقال: أو نظرت إليه؟ سوف ترى غبها. قال: فنسيت القرآن بعد عشرين سنة. ومن المعلوم أن النظر إلى الأمرد يوقع في سكرة العشق؛ كما قال تعالى: عن عشاق الصور: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾[1]. فالنظر كاس من خمر؛ والعشق هو سكر ذلك الشراب؛ وسكر العشق هو أعظم من سكر الخمر؛ فإن سكران الخمر يفيق، وسكران العشق لم يفق؛ إلاّ وهو من عسكر الأموات...))

سكران سكرى هوى وسكر مدامة

ومتى يفيـــق فتى به سكـــران

أنشدني بعض مشايخ العصر:

يا من غدا بالمـــرد ذا لوعـــة

ما أنت في حبهم بالمصيـــب

[1] سورة الحجر؛ الآيـة: 72.

في الخرد العين الذي تشتهي

منهم و يفضلن بحب الحبيــب

وقـــال آخـــر:

حبك الغلمان إن أمـــ ـــكنك النسوان غبـــن

إنما يفسق في الظهـــ ـــر إذا عوز بطـــن

على أن عشق النسوان ـ أيضاً ـ والنظر إلى من لا يجوز النظر إليها؛ فيه ما فيه مما لا يدرك تلافيه. وقد ثبت في الصحيحين؛ من حديث أسامة بن زيد؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما تركت بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء)). قلت: ولا سيما نساء هذا الزمان؛ من كل شمس؛ خدر تطلع من قوادها؛ بين قرني شيطان؛ وغيرها ممن اشتغلت بالسحاق، والخروج بعد زوجها من الباب، أو الطاق...))

* * *

((... الباب الثلاثون

ذكر من اتصف بالعفاف وبأحسن الأوصاف

أقول: هذا باب عقدناه لذكر أكثر المحبين ميلاً؛ وأظهرهم دليلاً، وأحسنهم سيرة، وأزكاهم سريرة، وأعفهم مع القدرة؛ ولا سيما بنو عذرة؛ الذين هم أشد الناس غراماً، وأعظمهم هياماً؛ فلذلك قلت: وقول العشق مع العفة؛ في بني عذرة كثير؛ والمقتول منهم عشقاً؛ جم غفير. فإن ذكر أحدهم بالعفة؛ فجميل جميل الصفات، صادق العزمات. وسنورد من أخباره ــ في هذا المقام ــ ما يصدق هذه الدعوى، ويحقق أنّ التسلي بالمحبوب؛ عن غيره ضرب من السلوى. فمن ذلك؛ ما حكاه محمد بن جعفر الأهوازي؛ قال: مرض جميل[1] بمصر؛ مرضه الذي مات فيه. فدخل عليه العباس بن سهل؛ فقال له جميل: ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن، ولم يقتل النفس، ولم يسرق؛ يشهد أن لا إله إلا الله. قلت: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة؛ فمن هذا الرجل؟ قال: أنا؛ فقلت له: ما أحسبك سلمت؛ وأنت منذ عشرين[2] سنة؛ تشبب[3] ببثينة؛ فقال: أني لفي أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا؛ فلا نالتني

---

[1] هو جميل بن عبد الله بن معمر؛ القضاعي؛ الشهير بشعره العذري.

[2] في الأصل: ((عشرن))؛ بدون الياء.

[3] في الأصل: ((تسبب))؛ بالسين.

شفاعة محمد يوم القيامة؛ إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط. فما قمنا؛ حتى مات سنة اثنتين وثمانين من الهجرة[1]. ومن غريب ما حكاه الزبير من أخبار جميل[2]: أن بثينة المذكورة؛ من بني عذرة؛ وبنو عذرة قبيلة مشهورة بالعشق في قبائل العرب؛ وإليهم ينسب الهوى العذري؛ لأنهم أشد سائر خلق الله عشقاً. قال سعيد بن عقبة لأعرابي: ممن أنت؟ قال من قوم إذا عشقوا ماتوا. قال عذري ورب الكعبة. ثم قال: ولم ذلك؟ قال لأن في نسائنا صباحة، وفي فتياتنا عفة. وقال رجل لعروة بن حزام[3]: يا هذا؛ بالله؛ أصحيح ما يقال عنكم: أنكم أرق الناس قلوباً؟ قال نعم والله؛ لقد تركت ثلاثين شاباً في الحي؛ قد خامرهم الموت؛ ما لهم داء؛ إلاّ الحب. وقال رجل من بني فزارة[4] لرجل من بني عذرة: تعدون موتكم بالحب مزية وفضيلة؛ وإنما ذلك ضعف بنية، وضيق روية، ورق وخور؛ تجدونه فيكم يا بني عذرة. فقال له: والله لو رأيتم النواظر الدعج؛ من فوقها الحواجب الزج؛ من تحتها المباسم الفلج، والشفاه السمر؛ تفتر عن الثنايا[5] الغر؛ لا تخذتموها اللات والعزى. ثم أنشد:

---

[1] الموافق لـ 701 ميلادية.

[2] حرفت الكلمة؛ فكتبت: ((حمل)).

[3] في الأصل: ((جزام))؛ بالجيم الموحدة التحتية؛ وهو تحريف بيّن. وعروة بن حزام؛ أحد شعراء بني عذرة؛ أحب ابنة عمه عفراء؛ فمنع منها؛ فمات كمداً؛ بالقرب من المدينة.

[4] في الأصل: ((قزارة))؛ بالقاف المثناة الفوقية؛ وهو تحريف. والصحيح: ((فزارة))؛ بالفاء الموحدة الفوقية.

[5] في الأصل: ((الثيايا))؛ وهو تحريف.

تتبعت مرمى الوحش حتى رميتني

من النيل لا بالطائشات الخواطــف

ضعائف يقتلن الرجال بـــلا دم

من النيل لا بالطائشات الخواطــف

وقيل لبعضهم[1]: ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تحب. فقال: أحل الخمار، وأحرم ما وراء الأزار، وأظهر للحب ما يرضي الرب. وقال الحافظ أبو محمد الاموي: أن امرأة يثق بها؛ حدثته أن فتى علقها، وعلقته، وشاع أمرهما؛ فاجتمعا يوماً خاليين؛ فقال لها: هلمي نحقق ما يقال فينا؛ فقالت: لا والله؛ لا كان هذا أبداً؛ وأنا أقرأ ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾. وقيل لبعضهم؛ وقد طال عشقه لجارية من قومه: ما أنت صانع إن ظفرت بها، ولا يراكما إلا الله؟ قال: والله لا جعلته أهون الناظرين؛ لا أفعل بها خالياً؛ إلاّ ما أفعله بحضرة أهلها؛ حنين طويل، ولحظ من بعيد، وأترك ما يكره الرب، ويفسد الحب. وقيل لآخر: ما كنت صانعاً لو ظفرت بمحبوتك؟ فقال: ضمها، ولثمها، وعصيان الشيطان في أثمها، ولا أفسد عشق عشرين سنة؛ بلذة ساعة تفنى ويبقى حسابها؛ إني إن فعلت هذا للئيم[2] ولم يلدني كريم.

---

[1] في الأصل: ((بعضهم)).

[2] في الأصل: ((اللئيـــم)).

قلت: وممن اتصف من العفاف؛ بأحسن الأوصاف من الخلفاء؛ هرون الرشيد؛ وذلك أنه عشق جارية؛ فلما راودها عن نفسها؛ قالت: إن أباك ألم بي؛ فتركها، وشغف بها؛ حتى كاد يخرج على[1] وجهه؛ فكان ينشد:

أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الـــورد

فقال له القاضي: أوَ كلما قالت جارية شيئاً؛ تصدق قولها. فقال الرشيد: ما فوق الخلافة مرتبة؛ فانظر ما أحسن عفة الجارية، وامتناع هرون الرشيد؛ مع شدة شغفه بها. ودخل عليه منصور بن عمار؛ فاستدناه حتى ألصق ركبتيه بركبتيه. فقال له منصور: يا أمير المؤمنين؛ تواضعك في شرفك؛ أحب إلينا من شرفك. فقال عظني؛ فقال من عفّ في جماله، وواسى من ماله، وعدل في سلطانه؛ كتبه الله من الأبرار؛ فبكى الرشيد؛ وقال: زدني؛ فقال لو طلبت شربة ماء؛ فلم تجدها إلا بنصف الدنيا؛ أكنت تشتريها به؟ قال: نعم. قال: فلو تعسرت عليك بعد شربها؛ أكنت تشتري خروجها بالنصف الآخر؟ قال: نعم. قال: قبح الله دنيا تشترى بشربة ماء وبولة. وحكي عن السلطان ملك شاه السلجوقي؛ أنه حضر بين يديه مغنية؛ فأعجب بها، واستطاب غناءها؛ فهم بها؛ فقالت: يا سلطان العالم؛ إني أغار على هذا الوجه المليح الجميل؛

---

[1] في الأصل: ((عى)).

أن يعذب بالنار؛ وإن الحلال أيسر؛ وبينه وبين الحرام كلمة. فقال: صدقت، واستدعى القاضي؛ وتزوجها؛ وأقامت في عصمته حتى مات رحمه الله. وحكى سهيل؛ أكبر خدم السلطان نور الدين الشهيد: أن السلطان المذكور اشترى مملوكاً بخمسمائة دينار؛ وخلعة وبغلة؛ وكان جميل الصورة؛ وسلمه إلي؛ وكنت قد ربيت السلطان؛ فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ هذا ما اشترى مملوكاً قط بخمسين ديناراً؛ فلم أشترى هذا بخمسمائة دينار. ثم تركني أياماً؛ وقال: أحضره مع المماليك؛ يقف في الخدمة كل يوم؛ فلما كان بعد أيام؛ قال: أحضره بعد العشاء إلى الخيمة، ونم أنت وإياه على باب البرج. فقلت في نفسي: هذا الشيخ ــ في زمان شبابه ــ ما ارتكب كبيرة؛ ولما كبر سنه؛ يقع فيها؛ والله لا قتلته قبل أن يقع في المعصية؛ فأخذت كتارة[1] فأصلحتها وجئت بالمملوك وأنا في قلق؛ فسهرت عامة الليل؛ ونور الدين في أعلى البرج؛ ثم غلبتني عيني فنمت؛ ثم استيقظت؛ فوقعت يدي على وجه الغلام؛ فإذا به مثل الجمرة، وعليه حمى شديدة؛ فرجعت به إلى خيمتي، وأحضرت الطبيب؛ فمات وقت الظهر؛ فغسلته، وكفنته، ودفنته؛ فدعاني نور الدين في اليوم الثاني؛ وقال: يا سهيل؛ إن بعض الظن إثم؛ فاستحيت. فقال قد عرفت حالي؛ وأنت ربيتني؛ هل عثرت لي على زلة؟ قلت حاشا لله: قال: فلم حملت الكتارة؛ وحدثتك نفسك

[1] الكتارة: أداة للصيد.

بالسوء؛ ما أنا معصوم؛ لما رأيت المملوك وقع في قلبي منه مثل النار؛ فقلت: أشتريه لعله يذهب عني ما أنا فيه؛ فلم يذهب؛ فقالت لي نفسي: أريد كل يوم أن أراه؛ فأمرتك بإحضاره؛ فقالت: أريد أن تحضره إلى البرج بالليل؛ فأمرتك بإحضاره؛ فلما حضر ما تركتني النفس أنام؛ وبقينا في حرب إلى السحر؛ فهممت أن أصعده إلى عندي؛ فتداركني الله برحمته؛ فكشفت رأسي وقلت: إلهي عبدك محمود المجاهد في سبيلك، الذاب عن دين نبيك صلى الله عليه وسلم؛ الذي عمر المساجد، والمدارس، والربط؛ يختم أعماله بمثل هذا؛ فسمعت هاتفاً يقول: قد كفيناك يا محمود؛ فعلمت أنه قد حدث به حدث؛ وأما أنت فجزاك الله عني خيراً؛ والله أن أقتل عندي أهون من المعصية؛ ثم أحسن إلي. وحكى عن فاطمة بنت الخثعمي؛ أنها دعت عبد الله بن عبد المطلب؛ والد النبي صلى الله عليه وسلم نفسها؛ للنور الذي رأته بين عينيه؛ فأبى، وقال:

أما الحرام فالممات دونه أما الحرام فالممات دونه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه

قلت قصة عبد الله مع فاطمة هذه؛ مثل قولهم في المثل: واحد يشتهي التين، وآخر يقطفه. فحاله معها كحال توبة مع ليلى الأخيلية وهو ما حكى أنه راودها عن نفسها فنفرت منه وأنشدت:

يحمي الكريم عرضه ودينه فليس إليها ما حييت سبيـــل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخليـــل

فكانت كما قيل:

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا

وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ومثل قول الآخر:

علقتها عرضاً وعلقت رجــــلاً

غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

وممن اتصف بالعفاف؛ من ذوي الغرام؛ الإمام ابن الإمام محمد بن داود الظاهري؛ وله في ذلك حكايات مشهورة؛ وهذا موضع إيرادها، ونشر أبرادها؛ فمن ذلك قوله لكل شيء زكاة؛ وزكاة الوجه الحسن؛ إمكان أهل العفة من النظر إليه. وحكى محبوبه محمد؛ وقيل اسمه وهب بن جامع الصيدلاني؛ أنه دخل على أمير المؤمنين؛ فسأله عن ابن داود؛ هل رأيت منه ما تكره؟ فقال: لا يا أمير المؤمنين؛ إلا إني بت عنده ليلة؛ فكان يكشف عن وجهي؛ ثم يقول: اللهم أنت تعلم أني أحبه، وإني أراقبك فيه. قال: فما بلغ من رعايتك له؟ فقلت[1]: دخلت الحمام؛ فلما خرجت؛ نظرت

---

[1] في الأصل: ((فقلك)).

في المرآة؛ فاستحسنت صورتي فوق ما عهدت؛ فغطيت وجهي، وآليت أن لا ينظر أحد إلى وجهي قبله، وبادرت إليه. فلما رآني مغطى الوجه؛ خاف أن يكون لحقني آفة. فقال: ما الخبر؛ فقلت رأيت الساعة وجهي في المرآة؛ فأحببت أن لا يراه أحد قبلك؛ فغشي عليه. قال الليث بن سكرة: كان محمد بن واسع؛ ينفق[1] على محمد بن داود؛ وما عرف ــ فيما مضى من الزمان ــ معشوق ينفق على عاشقه؛ ويتقرب إلى قلبه بأنواع البر؛ إلاّ هذا؛ مع ما هو فيه من الصيانة، وحسن الديانة. فالحمد لله الذي رأينا في زماننا من يتخلق بأخلاق الناس...))... ((... خاتمة الكتاب في ذكر من مات من حبه؛ وقدم عليه[2] به من صغير وكبير، وغني وفقير؛ على اختلاف ضروبهم، وتباين مطلوبهم. ولأجل ذكرهم؛ أسست قواعد هذا الكتاب، ودخلت فيه من باب وخرجت من باب؛ لأتوصل منه إلى ذكر من ساقه الهجر إلى السياق؛ وتحمل من العشق ما لا طاقة له به؛ من الباب إلى الطاق. ومن هنا أشرع في ذكر مصارعهم، وعرض بضائعهم؛ إذ منهــم الخاسر والرابح، والصالح والطالح؛ فمنمهم شقي وسعيد، ومنهــم قتيل وشهيد. وحكى أبو الفرج بن الجوزي: قال: ذكر لي شيخنا أبو الحسن علي بن عبد الله: أن رجلاً؛ عشق نصرانية حتى غلب على عقله؛ فحمل إلى البيمارستان؛ وكان له صديق يترسل بينهما؛ فلما زاد به الأمر،

---

[1] في الأصل: ((يتفق))؛ وهو تحريف.
[2] في الأصل: ((على)).

ونزل به الموت؛ قال لصديقه: قد قرب الأجل، ولم ألق فلانة في الدنيا، وأخشى أن أموت على الإسلام؛ ولا ألقاها؛ فتنصر؛ فمات؛ فمضى صديقه إلى النصرانية؛ فوجدها عليلة؛ فقالت أنا ما ألقيت صاحبي في الدنيا؛ وأريد أن ألقاه في الآخرى؛ وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله؛ ثم ماتت. قلت لم أسمع بأغرب من هذه الحكاية؛ ولا أعظم من هذه النكاية. قد سبق على صاحبها الكتاب، وضرب بينه وبين محبوبته بسور له باب؛ فابتلي من فراق محبوبته ودينه؛ بداعين، ودارت عليه دائرة السوء في الدارين؛ وكيف لا؟ وقد ورد بكسادة في الحب دار البوار؛ وأصبح بكفره وإسلامها على شفى جرف هار.

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغــرب

ذكرت بهذه الحكاية؛ قول عبد الوهاب الأزدي؛ يرثي حبيب له نصرانياً؛ وأحسن ما شاء؛ حيث قال:

أخي بــوداد لا أخي بديانـــة   ورب أخ في الود مثل نسيب
وقالوا أتبكي اليوم من ليس صاحبا   غداً إن هذا فعل غير لبيــب
فقلـــت لهم هذا أو أن تلهــفي   وشدة إعوالي وفرط نحيــبي
ومن أين لي أبكي حبيباً فقدته   إذا خاب منه في المعاد نصيبي

وكان هذا النصراني موسوماً بالجمال؛ خماراً؛ فعلقة عبد الوهاب المذكور؛ واشتهر به؛ وأقام يبايته في الحانة ثلاث سنين؛ ويدخل معه الكنيسة في الأعياد، والحدود؛ طول هذه المدة؛ حتى حفظ كثيراً من الإنجيل، وشرائع أهله؛ وهجره مرة؛ فلم يجد سبيلاً إليه؛ وزعم أن عليه قسماً، شديداً أن لا يكلمه إلى مدة شهر؛ فلما يئس؛ دعا بالفاصد[1]؛ فافتصد في إحدى يديه، ودعا فاصداً آخر فافتصد في اليد الأخرى؛ ودخل داره، وأغلق باب بيته؛ وفجر الفِصادين؛ فما شعر أهله إلاّ والدم يدفع من سدة باب المحل الذي هو فيه؛ فأدركوه وقد أشرف على الموت؛ فصالحه محبوبه النصراني؛ خوفاً على نفسه. ومن شعره فيه:

أنظر إلى الشامة في خد من ... ألحاظه باللحظ جراحه

كأنها من حسنها إذ بدت ... حبة مسك فوق تفاحة

ومنهم شهيد. قال يا قوت في تاريخه: كان مدرك بن علي الشيباني؛ شاعراً، أديباً، فاضلاً؛ وكان كثيراً ما يلم بدير الروم ببغداد؛ ويعاشر نصاراه؛ وكان بدير الروم غلام؛ من أولاد النصارى؛ يقال له عمرو بن يحيى؛ وكان من أحسن الناس صورة، وأكملهم خلقاً؛ وكان مدرك بن علي يهواه. وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الأحداث لا غير؛ فإن حضر شيخ أو صاحب لحية؛ قال

---

[1] في الأصل مكررة: ((القاصد.. فاقتصد.. ودعا قاصداً.. فافتصد))؛ والصحيح: فاصد؛ بالفاء الموحدة الفوقية.

له مدرك قبيح بك أن تختلط بالاحداث والصبيان؛ فقم في حفظ الله؛ فيقوم؛ وكان عمرو يحضر مجلسه؛ فعشقه مدرك وهام به؛ فجاء عمرو يوماً إلى المجلس؛ فكتب مدرك رقعة، وطرحها في حجره؛ فقرأها؛ فإذا فيها:

بمجالس العلم التي بك تم حسن جموعها
ألا رثيت لمقلة غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة الله في تضييعها

قال: فقرأ الأبيات، ووقف عليها من كان في المجلس، وقرؤها؛ فاستحيا عمرو، وانقطع عن الحضور؛ وغلب الأمر على مدرك؛ فترك مجلسه، ولزم دار الروم، وجعل يتبع عمراً؛ حيث شاء؛ وقال فيه شعراً كثيراً. قال الحريري: وقد رأيت عمراً أبيض الرأس واللحية...))... ((.. قيل إنه ضعف، وسل جسمه، وذهب عقله، وانقطع عن إخوانه، ولزم الفراش. قال حسان بن محمد بن عيسى فحضرته عائداً مع جماعة من أصحابه؛ فقال ألست صاحبكم القديم العشرة لكم؛ فما منكم أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو. قال فمضينا بأجمعنا إلى عمرو؛ وقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديننا فإن أحياءه مروءة. قال: وما فعل؛ قلنا: قد صار إلى حال ما نحسبك تلحقه. قال فلبس ثيابه؛ ثم نهض معنا؛ فلما دخلنا

عليه، وسلم عليه عمرو؛ أخذ بيده[1]؛ وقال: كيف تجدك يا سـيدي؟ فنظر إليه؛ ثم أغمي عليه؛ ثم أفاق وهو يقول:

أنـا في عافيـة إلا   مـن الشـوق إليكـا
أيها العائـد مـا بي   منك لا يخفى عليكـا
لا تعد جسماً وعد قلبا   رهينـاً في يديكـا
كيف لا يهلك مرشـو   ق بسهـمي مقلتيكـا

ثم أنه شهق؛ فارق فيها الدنيا؛ فما برحنا؛ حتى دفناه؛ رحمه الله تعالى.

ومنهـم قتيـل: قال العلامة أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرزي؛ في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب: وشاهدت امرأة كانت من أهل شيراز؛ تزوجت رجلاً جندياً أعجمياً. وكانت تجد به وجداً شديداً؛ حتى كانت لا تصبر عنه لحظة. وكان إذا مشى إلى نوبته إلى القلعة؛ تأتزر؛ وتظل قائمة قبالته؛ حتى ينصرف؛ فإذا دخل عليها؛ لاعبها، وقبلها؛ فيسكن بعض ما تجده؛ فدخل عليها يوماً مغضباً؛ من كلام جرى بينه وبين مقدمه؛ فلما دخل؛ أرادت منه العادة؛ فلم يلتفت إليها؛ فظننت أن ذلك لسبب حدث منها؛ فارتاعت، وجزعت؛ فمكث ساعة عنها؛ لم يرفع طرفة إليها؛ فقوى عندها التخيل. فلما خرج؛ خرجت خلفه كعادتها؛

---

[1] **في الأصل: ((يبد))؛ وهو تحريف.**

فانتهرها؛ فلم تشك أن غضبه لأجلها؛ فرجعت؛ وجعلت في رقبتها حبلاً وشدته في السقف؛ فاختنقت به وماتت.

* * *

تـــم بحمـــد اللــــه؛ مـــا أمكـــن تلخيصــــه مــــن كتــــاب "ديـــوان الصبابـــة" لابـــن أبي حجلـــة التلمســـاني.

وبهـــذا كمـــل الجـــزء الثالـــث مـــن كتـــاب أدبـــاء وشعـــراء مـــن تلمســـان؛ وسيليـــه الجـــزء الرابـــع

بحـــول اللـــه وتوفيقـــة.

فهـرس الموضوعـات
(جزء 3)

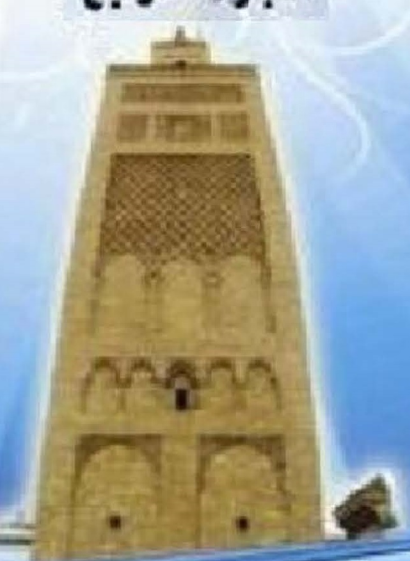

الناشيء



بوزياني الدراجي

أدباء وشعراء من تلمسان

الجزء الرابع






الناشيء

أدباء وشعراء من تلمسان

بوزياني الدراجي

الجزء الرابع

(نسخة منقحة)





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار تظاهرة
تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية

دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع

شارع بلخوني يوسف السحاولة (16305) الجزائر

هاتف وفاكس: 29 78 35 21 0

الإيداع القانوني: 1193 ـ 2011

ردمك: 2 ـ 46 ـ 858 ـ 9961 ـ 978 ISBN



بسم الله الرّحمن الرّحيم

حسن بن ابراهيم

ابن سبع (ابو الحسن)

كل الذي قاله **يحيى بن خلدون** بخصوصه: **((أنه الطالب النبيل أبي علي حسن بن إبراهيم سبع))**[1]. ولكن **ابن مريم**؛ أشار إليه في سياق ترجمة أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني – دون أن يخصص له ترجمة – وكل ما قاله: أنه عند وفاة الشريف: **((رثاه الفقيه الصدر المفتي المدرس أبو علي حسن بن إبراهيم بن سبع بقصيدة طويلة))**[2]. وهنا؛ يفهم أنه نما وتطور؛ عما كان عليه في زمن **يحيى بن خلدون**. بحيث تجاوز مستوى الطالب؛ الذي وصفه به هذا الأخير؛ وأضحى – كما قال عنه **ابن مريم** – الفقيه الصدر المدرس. كما يفهم أنه مشارك في قرض الشعر؛ بقصائد طويلة. ومع ذلك؛ لم تجدنا المصادر بما يسد الحاجة في هذا الباب.

---

[1] **بغية الرواد، ج: 2، ص: 502.**
[2] **البستان، ص: 177.**

ـ قصيــدة حســن بــن إبراهيــم هــذه؛ أنشــدت بواسطــة المسمعيــن بيــن يــدي أبي حمــو؛ بمناسبــة إحيــاء ذكــرى المولــد النبــوي الشريــف؛ وذلــك في عــام 775هــ/1373م.

هــو الحــبّ تهديــه العيــونُ الفواتــرُ
ويَخْـفَى فتبديــه البــوادي البــوادر

وتَغْرسُــه في روضة القلــب روضــةٌ
من الحســنِ مرعاها جوًى أو جَواهــر

فَيثمــرانِ وصــلاً بحُلْــوٍ وإنْ نَــوًى
فَمُــرٌّ وإنْ عتبــاً فطعــمٌ مغايــر

كــذا مــذْ عرفنــاهُ وصعــب مُرامِــهِ
يُنيــلُ المُــنَى طَــوراً وطوراً يُغــادر

ولم أعْــنِ نَفــسي لمْ أقُــلْ منْ أحِبَّــتي
مُــرادي حَمَتَــني عن حماهــمْ كَبائــر

جَنيــت ثِمارَ الــغَيِّ من دَوحةِ الهــوَى
وأطمعــتُ قلــبي فَهْــوَ قــاسٍ وقاسِــر

ولكــنْ بمــدحِ الهاشِــميِّ مُحَمَّــدٍ
رجوت خــلاصي يومَ تُبــلَى السَّرائــر

قَصــدْتُ رســولاً أكرمَ الخلــقِ كُلهــمْ
وأفْضــلَ مــن تُثْــني عليــهِ المَنابــر

سيّــدُ أهــلِ الأرض والكــونِ كلّهــم

وأولُ مــن تَنْشَــقُّ عنــهُ المَقابــر

أبو القاســم المــاحي مُحمَّــدُ أحمــدُ

رســولٌ أميــنٌ عاقــبٌ وهــو حاشــر

له المنــزلُ الأعلَى وفي حبّهِ العُــلاَ

ومــنْ أجلــهِ الدّنيــا وعَنــهُ المَفاخِــر

تقــدَّمَ فَضــلاً قَبــلَ كُــلّ مُكَــوَّنِ

وجــاء لِنصــرِ الحقّ والكفــرُ جائــر

أيــا خاتــمَ الإرســالِ وهــو أمامُهــا

وسيِّدُهــا والفَضْــلُ في الكُــلّ باهــر

فَأحــيَى ربــوعَ الحــقّ بعدَ دُروسِهــا

مُهَلّلــة بعــد العَفَــا وحَواضِــر

وجَــدّد لِلتَّوْحيــد عقــدَ شُهــودِهِ

بَراهيــن صــدقٍ كلّهُــنَّ بَواهِــر

تَبَــدَّتْ بآفــاقِ القلــوبِ قَواطعــاً

فَقَــدَّت قميــصَ الكُفْــرِ فَــهي بواتِــر

وما بَرِحَــتْ حــتَّى أزاحَــتْ ضَلاَلَــهُ

وحَــتَّى أراحَــتْ منهُ والحَــقُّ ظاهِــر

وأعظَــمُ آيــاتِ النَّــبِي وكُلّهــا

عَظائِــمُ آيــات دَواعٍ زَواجِــر

تَبــدَّتْ بأفْــقِ الرّشْــدِ شمســاً منيــرةً

وقــد أسْبِلَــتْ للــغيِّ ســودُ غدائــر

فأشــرق بالتوحيــد ما كــان مُظْلمــاً

وشابــتْ بمــا لاقَتْــه تلــكَ الغدائــر

أتتْ معجــزاتُ المرسلينَ وقد مضــتْ

ولــم يَلقَهــا إلاّ الفَريــقُ المُعاصِــر

ومُعْجــزةُ الهــادي الشَّفيــع محمّــد

تَــدومُ وترعَى ما رعَى النّجْــم ساهــر

وما الحَصْــر قصــد المادحيــن وإنّمــا

لتَشْنيــفِ آذانِ الفَخــارِ المفاخــر

فلا الفضــلُ محدودٌ ولا المَــدحُ بالــغُ

ولا الفَخْرُ محصورٌ ولا المَجْــدُ قاصــر

فــفي ليلــةِ الإســراءِ فَضْــلاً ورِفْعَــةً

فكــم خُلِعَــتْ فيهــا عليــه مفاخــر

على السَّبْــعِ يَرْقَى نحو مجدٍ وسُــؤدَدٍ

بِتِــرْدادِهِ يشْــقَى الحَســودُ المكابــر

إلى أنْ أتَى منْ قــابَ قوسيــنِ مَنْــزِلاً

أتَتْــهُ بــه تَتْــرَى عليــهِ البَشائــر

فما تُثْبِــتُ الأقــلامُ ما نالَ منْ عــلى

ولوْ مــدّ هــذا البحــر سَبْــع زواخــر

فصـــلّى عليـــه الله مـــا لاح بـــارقٌ

وما سَبَحــتْ فلــكٌ وما ســـارَ سائـــر

وأيّــد بالنَّصـــرِ العزيـــز خليفـــــةً

لــــه المَجْــدُ إرْثٌ والعُــلَى والمآثـــر

هو البَحـــرُ جــوداً والكواكـــبُ رفعـــةً

وشَمـــسُ الضُّحَى نفعـــاً فمنْ ذا يُفاخـــر

هو المَلْــكُ الــزَّابِي مُوسَى بن يوســف

أبى الله إلاّ نَصْـــره وهـــو قـــادر

لِيُهْـــنِ تِلِمْسانـــاً إيَـــابَ مَليكِهَـــا

فَقد ذَهبــتْ عَنهـــا النُّحــوسُ الغوابـــر

ويُهْـــنِ الـــوَرَى طُـــراً إيابُـــكَ سالمـــاً

وسَعْـــدُكَ مَوفـــورٌ وأمْـــرُكَ ظاهـــر

تَبَـــدّتْ بأفـــق اليُمْـــنِ شمسُ سعودكـــمْ

فأجْفـــانُ شانيهـــا سَـــوَاهِ سواهـــر

وعـــادتْ تلمســـان لأحْســـن حالـــةٍ

فكـــمْ بعدمـــا سيمَـــتْ بخسْـــفٍ يسامـــر

وَمُـــدَّتْ ظـــلالَ الأمـــنِ فالكُـــلّ مأمـــن

وسحَّـــت عهاد الخير والجـــودُ غامـــر

فللّـــه مـــا ألـــقَى السّـــرور بمُهجـــتي

غـــداةَ اللّقـــا أو ما حوتـــه الضّمائـــر

وما لي ونظــم الشّعــر لــولاَ علاقــة

ومــن لي بــه لــولاَ العُــلَى والمآثــر

كَلُفْــتُ بكمْ فأحْتلْــتُ في نيــلِ قربكــمْ

وأمَّلْــتُ معاليكــمْ وتلــكَ المفاخــر

فأصبحــتُ أهْــدي من ثَنــائي عليكــم

جواهــر نظــمٍ كلُّهُــنّ جواهــر

فقالــوا مُحِيــاً وهــو حَقــاً يُحِيكــمْ

وقالــوا وَزُورٌ قَولُهــمْ هُــو شاعــر

فَكُــنْ مُنْصِــفي مِنهمْ وجُــدْ لي بالمُــنَى

فلا شــكَّ مَــولَى العبــدِ حامٍ وناصــر

ودُمْ وابْق وانْعَــمْ وَاسْلَــمْ وَسُــدْ وَجُــدْ

تُــضيءُ بكَ العليــا وتَــزْهَى المَنابــر

***

...[1] ابن محمد
ابن علي العصامي (ابو الفضل)

هو فقيه، وأديب وشاعر؛ عمل كاتباً للإنشاء ببلاط الدولة الزيانية؛ أيام أبي حمو موسى الثاني؛ لا يعرف الكثير عن نشأته ومماته؛ وكل ما يقال: أنه كان حياً في عام 776هـ/1374م. وهذه القصيدة رفعها في رمضان من السنة المذكورة؛ إلى مقام أبي حمو تهنئة ببيعة مدينة تنس للسلطان الزياني ؛ قال فيها:

بُشرَى كمُنبَلج الصّباح المُسفرِ
أو كالصّبا جاءتْ بريّا العنبرِ
حيّاك عاطر نشرها فكأنّها
دارين أهدتْ طيبَ مسكٍ أذفرِ

---

[1] اسم صاحب الترجمة غير معروف؛ إذ اكتفى يحيى بن خلدون بكنيته واسم والده؛ فقال: ((الفقيه الكاتب أبو الفضل ابن الشيخ الفقيه العدل أبي محمد بن علي العصامي)). بغية الرواد، ج: 2، ص: 557. وواضح أن لقب أبي الفضل يلحق باسم العباس في معظم الأحيان؛ حتى وإن أسند في بعض الحالات إلى اسم أحمد. وعليه فقد اخترنا وضعه هنا.

جاءتــكَ تخبــرُ بالفتــوحِ كريمــة

أكــرِمْ بهــا مــنْ قــادمٍ ومبشّــــرِ

وافــتْ بفتــحِ تدلّــس لــك مالــكي

فاهنــأ بِمُلْــكِ بالفُتــوحِ مــــؤزَّرِ

فتدلّــس تَقْــضي بفتـــحِ بجايــةٍ

فانهــضْ بعــزّك أو بسعــدك تظفــرِ

واكْــرعْ بواديهــا وجُــلْ ببديعهــا

وربيعهــا الــزّاهي بــذاك المنظــرِ

وافــرعْ معاقلهــا وجــسْ بخلالهــا

فالله يمنحهـــا بأمـــرٍ أيســـرِ

لا زلــت ذا سعــد جديــد ترتــقي

أوج الكمــالِ عــلى تــوالي الأعصــرِ

وبقيــت في العــزّ المكيــن مؤيــداً

مهمــا ســرتْ نفحــاتُ روضٍ مزهــرِ

***

عبد الله بن عبد الواحد
ابن إبراهيم بن الناصر المجاصي،
(ابو محمد).

يعرف بالبكاء؛ لكثرة بكائه وزهده، وسهولة ذرفه للدموع؛ خشوعاً لله. كان من أهل الحديث والدين والورع؛ حتى أنه لا يرفع طرفه نحو السماء؛ خشية ورهبة من الله سبحانه وتعالى. يحسن الموعظة، ويتقن تدريس العلم. يقال أنه حج بحمار؛ لا يركبه إلاّ حينما يشعر بالتعب. وتلقى العلم بتلك الديار. من تلاميذه: الشريف أبي عبد الله التلمساني، والمقري الجد، وابن مرزوق الجد. هو من رجال القرن السابع الهجري، وقبره موجود بعين وانزوتة في باب الجياد؛ وبالقرب من العباد السفلي. ومما كان ينشده باستمرار:

هم الرجال وغبن أن يقال لمن

لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

وقولــه:

تريديــن إدراك المعــاني رخيصـــة

ولا بـــد دون الشهـــد من إبـــر النحـــل

وقولــه:

لــولا رجـــال لهـــم ورد يقومونـــــا

وآخـــرون لهـــم ســـرد يصومونـــــا

لزلزلـــت أرضكـــم من تحتكـــم سحـــرا

لأنكـــم قـــوم ســـوء لا تبالونـــــا

تـــوفي بتلمســـان في سنـــة 741هـ/1340م

* * *

عبد المؤمن بن موسى

المديوني (ابو محمد)

ورد اسمه في زهر البستان: مرة **((أبو محمد عبد المؤمن بن موسى المديوني))**؛ بينما سمي أبوه في المرة الثانية **((يوسف))**. ثم أُسْقِطَ اسم أبيه في المرة الثالثة؛ واكْتُفي بالقول**((والفقيه المديوني))**. ولا يعرف إن كان هو الشخص نفسه؛ أم هما اثنان. المهم أن صاحب الترجمة هذه؛ فقيه وأديب وشاعر. ورد ذكره في كتاب زهر البستان؛ إذ أورد صاحبه قصيدته التي قالها في الحفل المنعقد بالبلاط الزياني بمناسبة ذكرى المولد النبوي المبارك؛ في عام 762هـ/1390م. وجاء فيها:

جاءت سعاد بوصل بعدما ذهبا

عَصى الشباب ولاح الشيب والتهبا

واحدودب الظهر من سقم ومن كبر

واعوج عصبي الذي قد كان منتصبا

وصرت أمشي الهونيا بعدما ضعفت

منى القوى واسترد الدهر ما وهبــا

لا أستطيع نهوضــا قد وهى بــدني

تمكن السقم[1] من جسمي فصار هبــا

تظن أني على العهد القديــم ولــم

تعلمْ بأني هجرت اللهــو والطربــا

وجانَبَتْ نفسي العقــل الذميــم فــلا

أرى نديما إلى من قد هفــا وصبــا

ولا أنا ثم الــذي يرضى بمنقصـــة

ولا أصيــخ لقــول يحــدث اللعبــا

إذا تذكــرت أيــامي الــتي سلفــت

تبــادر الدمع من عيــنيّ منسكبــا

[أفنيتهــا عاصيــا للــه مجترئــا

لم أرتدع صلفــاً بالإثــم والطربــا][2]

---

[1] كتب في الأصل: ((القسم))؛ وهو تحريف.

[2] هذا البيت بكامله مختل الوزن. فحدثت زيادة في صدره؛ ممثلة بسبب خفيف (/0)؛ بين التفعيلتين: الثانية والثالثة. أما عجز البيت فقد سقط من تفعيلته الأولى وتد مجموع (//0). بالإضافة إلى زيادة سبب خفيف بين التفعيلتين: الثالثة والرابعة. فجاء البيت هكذا:

((أفنيتها في معاصي الإله مجترئا * ولم أخفشاهداً على من تعبا). وللتصويب نظمنا بيتاً بدلا منه؛ وجاء كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

كم بت فيها على العصيان معتكفـــا

مضيعا من حقـــوق اللـــه ما وجبـــا

وصدني عن سبيل الخير دون خفـــا

قريـــن ســـوء إذا غالبتـــه غلبـــا

كيف اصطباري إذا ما النار جيء بها

والخلق في قنط والـــرب قد غضبـــا

وقيل يا أيها العاصي نسيـــت ولـــم

ينس[1] الرفيقان ما خاطـــا وما كتبـــا

إقـــرأ كتابك وانظـــر ما جنيت بـــه

اليوم أجزى الورى كلا بمـــا كسبـــا

ما حيلتي ما جوابي عند ذاك ومـــا

يكون عذري ومني العقل قد سلبـــا

لكنـــني برســـول اللـــه معتصـــم

من جاء بالنور والبرهـــان منتخبـــا

[بدر تطلع في السمـــاء حـــلّ فـــلا

غَيْـــمٌ يُغيّبـــه، فصـــار محتجبـــا][2]

---

[1] في الأصل: ((تنسى))؛ وهو خطأ نحوي.

[2] هذا البيت مختل الوزن، ومضطرب الصياغة؛ جاء في الأصل هكذا:
((بدر تطلع في أفق السما فلا غيم * يواريه أو تقص فيحتجبا)). وحرصاً منا على سياق المعنى؛ وضعنا بيتاً بدلاً منه؛ ورد أعلاه؛ بين حاصرتين.

أسنى النبييــن، أعلاهــم وأرفعهــم

فنــوره يخجــل الأنــوار والشهبــا

خير البرية من عــرب ومن عجــم

أوفاهــم ذمــة، أزكاهــم حسبــا

من أجلــه كَــوَّنَ الأكــوان خالقنــا

كما أتى في صحيح النقــل مكتتبــا

فأظهــر الحــق إذ فــرت معالمــه

وســاد بنيانــه من بعــد ما ذهبــا

وقام يدعــوا الــورى لله مجتهــدا

من كان منهم على نأي ومن قربــاً

فمن أجاب نجى من حر نار لــظى

وقد كفــاه الإلــه الأمــر والتعبــا

ومن عصــاه فمثــواه الجحيم غــدا[1]

يُسْقَى حميما فما يُــرْوَى إذا شربــا

وأبعد النــاس من جهــل أضلهــم

من بعد ما اعتقدوا الأصنام والنصبا

أســرى به الله في الليل البهيــم إلى

السبع الطباق فحاز الفخر واقتربــا

---

[1] في الأصل: ((غدى))؛ بالألف المقصورة.

صلى بموسى وعيسى والخليل بهـــا

وعاين العرش والأستـــار والحجبـــا

أدنـــاه، كلمــــه من غيـــر واسطـــة

ثم اجتبـــاه وأعطـــاه الـــذي طلبـــا

أتى ربيـــع بـــه أهـــلا بواحـــده

ومرحبـــاً نعم ما أهـــدى وما وهبـــا

محمد خيـــر من تُهْـــدَى له [دررٌ][1]

من مشى فوق ظهر الأرض أو ركبا

فارتج إيـــوان كسرى عنـــد مولـــده

وما[ء] ســـاوة[2] حقـــاً عنـــده قصبـــا

ونار فـــارس أيضا عنـــده خمـــدت

كأنهـــا ما حـــوت حـــرا ولا لهبـــا

والجن ضلت تجوب الأرض ذاهبـــة

إلى أقـــاصي النواحي أمعنت هربـــا

وأمه لم تجد في الوضـــع من ألـــم

به ولا كابـــدت ضـــراً ولا وصبـــا

---

[1] **هذا الشطر مختل؛ إذ سقط منه ما يماثل التفعيلة الرابعة؛ وعليه فقد أضفنا كلمة: ((دررٌ))؛ للتصويب.**

[2] **كتب في الأصل: ((وما ساوة))؛ وهو تحريف؛ يطمس المعنى، ويخل بالوزن. والصحيح هو: ((ماء ساوة))؛ بالهمزة في آخر كلمة ((ماء)). والمقصود بذلك؛ بحيرة ساوة التي جفَّ ماؤها يوم مولد الرسول صلى الله عليه وسلم.**

وخص بالمعجزات الباهــرات فمـــا

[ســـواه خص بسرهـــا ولا قربـــا][1]

أروى الجيوش وقد كانوا على ظمــإ

من حينهم ملــؤا الأشْنـــان والقِرَبَـــا[2]

تفجــر الماء مـــن كــف مباركـــة

سحـــا ووبـــلا وهطـــالا ومنسكبـــا

وأشبع القوم مـــن نـــدر الطعـــام إذا

من بعد ما كبدوا[3] الأقلال والسغبـــا

وكلمتـــه ذراع الســـم معلنـــــة

وأعلمتـــه بمـــا فيـــه ليجتهـــــدا[4]

ثم الغمامة [إن مشى مشت][5] معـــه

أو لازم الأرض أرخت فوقه طنبـــا[6]

---

[1] جاء هذا الشطر ـ في الأصل بزهر البستان ـ مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ هكذا: ((سواه أعطيها نفعا ولا غربا)). فقمنا بتصويب نظمه، ووضعه بين حاصرتين أعلاه.

[2] القربة جمعها قرب وقربات: وعاء من جلد المعز أو الضأن؛ يستعمل لحفظ الماء أو اللبن. أما الشنّة؛ فجمعها أشنان: وهي القربة الصغيرة.

[3] في الأصل: ((أكابدوا))؛ بالألف في مطلع الكلمة؛ وهذا تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن واضطراب في المعنى.

[4] أصيبت قافية هذا البيت بعلة الإكفاء؛ باختلاف رويها (د) عما سبقه؛ وإن كان اللفظ متقارباً.

[5] كتب في الأصل: ((إن سار تسير))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوضعنا بدلاً منها ـ بين حاصرتين ـ عبارة: ((إن مشى مشت))؛ لتقويم الوزن، والحفاظ على المعنى نفسه.

[6] يقال: ((طنّبَ الخَيْمَـة)): شدها بالأطناب. والأطناب مفردها: طِنَبَة؛ وهو حبل طويل؛ يشد به سرادق البيت.

والبدر شُــقَّ له نصفيــن فافترقــا
والناس قد شاهدوا من أمره عجبــا

فمعجزات رسول اللـــه ليــس لـــه[1]
حصر لمن رمها أو عــدَّ أو كتبــا

ومن يطق كيل ماء البحر مجتهــداً[2]
أو الغمـــام إذا ما انهــلَّ وانسكبــا

يا سيد الرُّسْـــل إن العبد في قنـــط
مما جنى من قبيح الفعــل وارتكبــا

وما عسى في أمـــور كلهـــا خطـــل
وما تعدَّى وما أكْـــدَى[3] وما انتهبــا

أرجوا بمدحك يا ســؤْلي ويا أمـــلي
فوزاً لجَنَّات عــدْنِ لا أرى نصبــا

فأنـــت أفضـــل مأمـــول ومدخـــر
وشافـــع لمـــسيء جـــاء مكتتبـــا[4]

---

[1] ربما تكون: ((لها))؛ وتغيرت في النسخ.
[2] ورد هذا الشطر في الأصل بزهر البستان مختلا بسبب كلمة: ((الأرض))؛ التي زادت هكذا: ((ومن يطق كيل ماء (الأرض) البحر مجتهدا)). وعليه فقد حذفت هذه الكلمة أعلاه؛ من أجل التصويب.
[3] أكْدَى إكداء: بخل في العطاء
[4] في الأصل: ((مكيتبا))؛ وهو تحريف يتسبب في اختلال الوزن.

صلى عليك إلــه العــرش خالقنــا

ما لاح نجم بأفــق الشرق أو غربــا

وانصر بجودك يا من لا شبيــه لــه

خليفـــة ساسنـــا بالعـــدل محتسبـــا

فرع نشا[1] من بني زيان قد كرمــت

آبــاؤه الخلفـــاء الســادة النجبـــا

خليفـــة لا يســامى في أرومتــه

وهل يسامى السما[2] من بالثرا رسبــا

خليفـــة قهـــر الأمـــلاك صارمـــه

كـــل له خاضـــع من بأســـه رهبــا

أسنى ملوك الدنـــا قـــدرا ومنزلـــة

وخيرهم نسبـــا إذ[3] ما هـــو انتسبـــا

كهف الضعيف ومأوى المتعبين ومن

أودى به الدهـــر في أحكامه ونبــا

خليفـــة كفّـــه نـــار [لهـــا أَلَـــمٌ][4]

لمن عصاه وبحـــر الجود إن وهبــا

---

[1] أي نشأ؛ وللضرورة خففت الهمزة.

[2] أسقطت همزة ((السماء)) للضرورة.

[3] في الأصل: ((إن)).

[4] هذا الشطر مختل؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة؛ التي تمثلهما عبارة: ((ما حجة)). وعليه فقد وضعنا أعلاه ـ بين حاصرتين ـ بدلاً منها العبارة التالية: ((لها ألم)). بغرض التصويب.

فاعجب لكف حَوَتْ ضدين فامتزجـا

هل شاهدت مقلتـاك مثلهـا عجبـا

موسى بن يوسف مولانـا وسيدنـا

ليث الحروب إذا عَـزْمُ الجبان أبـا

من قـام بالمولد الأسـنى وشرفـه

كيما ينـال بـه ذاك الـذي رغبـا

واعمل الجهـد في مرضات خالقـه

مبـادراً لفعـال الخيـر محتسبـا

سمَّى لـه ربـه مـا هُـوَّ[1] أملـه

مبلغـاً مقصـداً [يسمـو به رتبـا][2]

فاللـه يبقيـه في أمـن وعافيـة

ما هزت الريح في إرْسالها القُضُبـا

* * *

ـ ولـه قصيـدة قـال فيهـا:

شهـرٌ ربيـعٌ زارنـا يـا حبـذا

أهـلا بـه مـن زائـر [متفقـد][3]

---

[1] تشدد واو ((هو))؛ للضرورة؛ حفاظاً على سلامة الوزن.
[2] انتاب التفعيلتان: الثالثة والرابعة خلل؛ وتمثلهما عبارة: ((مقضيا أرتبا))؛ فانكسر الوزن. لذا فقد وضعنا عبارة أخرى تجلي المعنى وتصوب خلل الوزن. ووردت أعلاه بين حاصرتين.
[3] في الأصل: ((منتقدا))؛ وهو خطأ نحوي؛ ويصيب الروي بعيب الإقواء.

في كـــل عـــام مـــرة يهـــدي لنـــا
أزهـــاره ومبشـــــراً بالمولــــــد
[فـــ]أيا ربيعُ لك العلا فأرى العـــلا[1]
فضـــــلا ولا تسمـــع لقـــول [مفســـد][2]
وأيا ربيـــعُ لـــك المفاخـــر كلهـــــا
ولـــك الشهـــور أذلـــة كالأعبـــــد
فيك استهل نبينـــا خيـــر الــــورى
في ساعة طلعـــت بسعـــد مسعـــــد
فتكشفـــت ظلمـــاء كـــل ظلالــــــة
وانجـــاب غيهبهـــا لكـــل موجـــــد
والكفـــر ولّى[3] لا ضلالـــة بعـــده
قـــد هُـــدَّ مـــا قـــد شـــاده بمحمـــد
فكأنـــــه في نــــوره وبهائـــــه
قمـــر بـــدا في جنـــح ليـــل أســـود
فتنكّست أصنـــام قيصـــر عنــــده
واعتاض [قائدهم][4] كَمَيِّـــتِ ملحـــد

[1] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أيا ربيعُ لك العلا فارى العلا))؛ فاختل وزنه؛ فصوب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[2] في الأصل: ((مفندا))؛ وهذا إقواء وعيب في الروي. كما أن وزن الكلمة يفسد وزن الشطر كله.
[3] في الأصل: ((ولا)).
[4] في الأصل: ((قايا))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

ثم انطفــت نيــران فــارس بعدمـــا

مرَّت سنون وحموهـــا لـــم يخمـــد

والتـــاج عن كسرى تساقـــط هيبـــة

لظهـــور خيـــر العالميـــن محمـــد

وتضعضع الإيـــوان مـــن جنابتـــه

وبـــدت أمـــور للكفـــور المخلـــد

هذا وكم ظهـــرت لـــه مـــن آيـــة

كالشمـــس في إشراقهـــا أو أزيـــد

من معجزات عـــز أن يـــأتي بهـــا

بشـــر ســـواه ومثلهـــا لـــم يشهـــد

ككـــلام ضـــب والغزالـــة بعـــده

والذئـــب حقـــا والحصـــا والجلمـــد

ثم انشقـــاق البـــدر والمـــاء الـــذي

روَّى الجيوش من الأصـــابـــع واليـــد

ثم الغمامـــة فوقـــه مهمـــا[1] مـــشى

وتضـــل واقفـــة لـــه إن يَقْعُـــــدِ

ويرى الذي من خلفه مثـــل الـــذي

يـــأتي قبالتـــه كمـــا في المسنـــد

[1] في الأصل: ((مهمى)).

الهاشمي المصطـــفى علـــم الهـــدى

فله اللوى وله الشفاعـــة في الغـــد

يوما يقـــوم النـــاس مـــن أجداثهـــم

ذهل العقـــول إلى المقـــام الأوحـــد

شُعُثـــاً عـــراة خائفيـــن وفوقهـــم

شمس تُغَـــرِّبُ والجـــوارح ترعـــد

والنار جيء بها لتلفـــح من عـــصى

والخلق في قلـــق وكـــرب مجهـــد

واللـــه ربي قـــد تجـــلى للقضـــا

بين العبـــاد فيـــا لـــه مـــن مشهـــد

ويود مقتـــرف الجرائـــم في الدنـــا

لـــو كـــان ينفـــع أنـــه لـــم يولـــدِ

فهنـــاك يشفـــع شافـــع ومشفـــع

ومقـــرب في ظالـــم أو معتـــد

خيـــر الـــورى محبوبنـــا ونبينـــا

فهو الذي نرجـــوا ليـــوم الموعـــد

يومـــا ينـــادي أمـــتي يـــا سيـــدي

أوعدتـــني وعـــداً فبلـــغ مقصـــد

فيجيبه لـــك يـــا محمـــد مـــا تشـــا

هذا الجنان بهـــا فلـــجْ ثـــم أصعـــدِ

واشفع تشفع واطلبنْ ما تبتــغي

تعطى الذي ترضى فأنــت محمــد

يعطى الشفاعة والوسيلة والــرضى

أكــرم بــه مــن شافــع وممجــد

وينال إذ ذاك الــرضى مــن ربــه

ويَقِــرّ عينـا بالنعيـم السرمــد

لولاك ما كــان النهــار ولا دَجَــا

ليــلٌ ولا بــان الصــواب لمرشــد

لولاك لم تكن الجحيم لمن عــصى

لا لاق لا الحــور الحســان لمهتــد[1]

لــولاه ضل النــاس في غشواتهــم

كــل يتيــه بمهمــه وبفدفــد

صــلى عليــه اللــه في ملكوتــه

ما غردت وُرْقٌ على غصــنٍ نَــدِ

وانصر بجودك يا مجيــب إمامنــا

[نصــراً بليغــا بالثنــا والمقصــد][2]

---

[1] هكذا.

[2] لحق بهذا الشطر في رويه عيب الإقواء؛ فأتى في الأصل هكذا: ((نصرا يبلغه الثنا والمقصدَ))؛ فصحح كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

ملـــك زكـــت أخلاقـــه وأصولـــــه

ورث الخلافـــة سيـــداً عـــن سيـــد

اللـــه فَضَّلَـــهُ ورَفَّـــعَ قـــدره

وأمـــدَّه بمهابـــــة وتَأَيُّـــــدِ

مولاي [بو حمو] [1] الذي قهر العدى

وأماتهـــم حتفـــاً بِعضْـــب مهنـــد

فالنصـــر يقدمـــه ويقـــدم جيشـــه

والفتـــح يتبعـــه يـــروح ويفتـــد[2]

في الليلـــة الغـــراء جـــاد بما لـــه

ليفـــوز بالخيـــر المقيـــم السرمـــد

واللـــه ربي لا يُخَيِّـــبُ قَصْـــدَهُ

فيما رجـــا[3] من فضل هذا المولـــد

يتسيفـــه[4] [يستوفه] فيما نراه بقُبَّـــةٍ

حيطانهـــا مـــن لؤلـــؤ وزبرجـــد

في جنـــة طابـــت وطـــاب نعيمهـــا

ويقـــال طب نفســـاً بهـــا ثم اخلـــد

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((أبو حمو))؛ وهذا يؤدي إلى خلل في الوزن؛ وعليه؛ فقد وجب حذف ألف ((أبو))؛ فأضحت ((بو حمو))؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] هكذا.

[3] في الأصل بزهر البستان: ((رجى))؛ بالألف المقصورة.

[4] كتب في الأصل: ((يستيفه))؛ فوجب التصويب.

يــا آل عبــد الــواد دام سروركــم

ببقــاء مولانــا الإمــام الأسعــد

[المتصدر][1] الأسنى الكريم المرتضى

الماجــد الأوفى الزعيــم الأصعــد

أولاكــمُ بــراً وألّــف شملكــم

من أرض فــاس والمكــان الأبعــد

فَرْضــاً عليكــم أن توفــوا حَقَّــهُ

نصحــاً وفعــلاً باللِّســان وباليــد

فاللــه يبقيَــــهُ ويبــقي ملكــــه

مــا دار نجــم في السمــاء بفرقــد

ثــم الســلام عليــه دأبــاً دائمــاً

ما مــر ريــح بالقضيــب الأملــد

* * *

[1] كتب في الأصل بزهر البستان: ((نصور))؛ بطريقة غير واضحة؛ فعوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

ـ وهـذه القصيـدة قالهـا صاحـب الترجمـة في سنـة 760هـ/1358م؛ في حفـل بمناسبـة فشـل المرينييـن في استعـادة تلمسـان؛ وافتكاكهـا مـن يـد أبي حمـو؛ الـذي سبـق أن دخلهـا في السنـة نفسهـا؛ إثـر مـوت أبي عنـان. ولـم تـرد هـذه القصيـدة إلاّ في زهـر البستـان:

وافى السرور بحمد الله محتفلا   والسعد أقبل يا مولاي متصلا
نصر من الله مقرون بجيشك لا   ينفك عنه ولا يبغي [له] بدلا[1]
والنصر يتبعه ما أن يفارقـه   به مثال الرضى والأمن والأملا
جاءت بشائر تتلوها نضائرها   فاشكر لربك ما أولا وما فعلا
هذا عدوك قد ولـت كتائبـه   وفر منهزما إذ فارق الخطـلا
لا يستطيع رجوعا من مخافتكم   كأنه الظبا المذعور إذ جفـلا
فصارم الحزم مسلول بكفك لا   ترهب فبادر به الأعناق والغللا
وعش سعيدا قرير العين في دعة   ودع مناويك تبكي الدار والطللا
واجن الأماني كما تهوى فمثلك من   حاز الكمال ومن بالمكرمات علا
أرى الليالي والأيام ضاحكـة   أتتـك خاضعة مكسوة حلـلا
كأنها خـودة[2] راقت محاسنها   تهدي لعاشقها من ثغرها قبلا
فاعطف عليها أيا مولاي إذ سمحت   بوصلها وأتت محمرّة خجـلا

---

[1] **عجز البيت في الأصل بزهر البستان مختل؛ ولا يستقيم إلا إذا أضيف إليه سبب ثقيل (//) متكون من حرفين متحركين؛ مثل: ((لَهُ))؛ التي أضفناها.**
[2] **الخَوْد؛ جمع خَوْدات: المرأة الشابة. وقد كتبها في شعره ((خودة)) بتاء التأنيث.**

وضمها وارتشف من ريق مسمها خمراً معتقة ممزوجة عســـلا

وأنلها منك وصلا غير منفصل ولا تفارقها هجرا ولا ملـــلا

ثم اعتبر ما جئت من عشرتها وعاملتك به فيما مضى وخلا

/22و/يا أيها الملك الميمون طائره وافاك سعدك يا مولاي مقتبلا

أعطاك ربك ملكا دون ما تعب وزادك الله تدبيرا بــه كمــلا

لا بد أن تملك الدنيا بأجمعهـــا رغما على أنف من أبدا الجفا وقلا

وترتقي فوق ما قد كنت تأمله حتى تصير لكم أعدائكم خولا

يا سائلي عن مليك فيه أربعة بأس وحلم وإيثار إذا وصـــلا

وحسن رأي سديد هو رابعها كالعطف والنعت والتوكيد والبدلا

شاعت مكارمه في الأرض وانتشرت من شاء مصداق قولي يقتفي السبلا

لا زلت أنشر ما لولاه من نعم ومدحه في فمي قد لذ لي وحلا

ماذا عسى تبلغ الأمداح في ملك إن جاء سائله يرجوه إن قبلا

فالله يبقيه في أمن وفي دعـــة مقضيـــا إربـــا مبلغـــا أمـــلا

ثم السلام عليــه دائمـــا أبـــدا ما حلت الشمس من أبراجها الحملا

* * *

ـ وهذه قصيدة أخرى وردت في زهر البستان؛ ألقاها صاحب الترجمة بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ببلاط أبي حمو الثاني. ولكن وقع اختلاف في اسم الأب؛ حيث سمي هنا باسم ((يوسف))؛ وهذه القصيدة ألقيت في عام فتح تلمسان 760هـ/1358م.

مدح النبي المصطفى العدناني	هو عدتي لقيامتي وكفانِي[1]
صيرته شغلي وغاية مقصدي	حتى ثوى بجوانحي وجناني[2]
وسعت محبته بقلبي فاكتفى	وجرت مجاري الروح من جثماني
لم لا وهو خير العباد المرتضى[3]	وأجل من وطئ الثرى ببنان[4]
الهاشمي الأوفى الكريم المجتبى	[من جاءنا بالنور والبرهان][5]
زين القيامة شافع ومشفع	في مذنب أو معتد أو جان
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم	وهو الدليل لجنة الرضوان
من أجله خلق السموات العلى	رب العباد مكون الأكوان
ودحى البسيطة فوق ماء جامد	سبحانه من ملك ديان[6]

---

[1] أي يكفيني، ويغنيني.
[2] ثوى: أقام وسكن. الجوانح: الأضلاع التي تلي الصدر. والجنان ـ هنا ـ هو القلب؛ لأنه مستور تحت الأضلع.
[3] هذا الشطر غير موزون؛ والخلل في التفعيلتين: الأولى والثانية. بسقوط حرف ساكن في آخر الأولى، وزيادة حرف متحرك في الثانية.
[4] البنان: أطراف الأصابع.
[5] كتب في الأصل بزهر البستان هكذا: ((من جاء بالنور وبالبرهان)).وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب الشطر؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[6] ثمة خلل في التفعيلة الثانية؛ بسقوط حرف متحرك في أولها.

من أجله[1] خلق الخلائق كلها　متخالفي الأشكال والألـــوان

وكذا النبيئون الكرام مِنَ اْجْلِه　خلقوا بلا ريب ولا بهتـــان

وضعته أمٌّ[2] لم تجد في وضعه　ألماً كما يأتي إلى النســوان

في ليلة أهدت لنا كل المـــنى　بظهور خير الخلق من عدنان

أربيع زرت زيارة محمــودة[3]　أزهارها عبقت بكل مكـــان

وكسوت وجه الأرض حلة سندس　خضراء أجمل ما ترى العينان

لك يا ربيع على الشهور مزية　أزجيتها[4] بالحسن والإحسان

حزت المفاخر والمحاسن كلها　وعلوت في العليا على الأكوان

فيك استهل نبينـــا وحبيبنـــا　وشفيع أهل الذنب والعصيان

لما بـــدا في صورة قمريـــة　بل دونها في حسنها القمران

وأتى بوحي صادق من ربه　ودعا إلى الإسلام والإيمـــان

طارت عتات الجن في أفق السما　فأصابها شهب من النيـــران[5]

وتنكست أصنام قيصر كلها　من حينها سقطت على الأذقان

فكأنها قُرِئـــتْ عليهـــا آيـــة　وجب السجود لها من القرآن

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((ومن أجله))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيح؛ بحذف حرف الواو في كلمة: ((ومن)). فأضحى كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] حرفت هذه الكلمة في الأصل؛ فكتبت هكذا: ((أمَنْ)). وهذا خطأ؛ فأمٌّ بالتنوين؛ لا بحرف النون كما حدث.

[3] لأن مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقع في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول.

[4] كتبت هذه الكلمة في الأصل بزهر البستان: هكذا: ((أنجيتها)). ويبدو أنه تحريف. تحريف.

[5] مُنِعَتْ الشياطينُ من استراق السمع، وحراسة السماء بالشهب الحارقة؛ وذلك وذلك في يوم ولادته صلى الله عليه وسلم؛

والتاج عن كسرى تساقط هيبة وتفرقت أجزاؤه نصفان

وتهدم الإيوان من أركانه[1] خوفاً فلا تسأل عن الإيوان

والماء غاض من البحيرة وانطفت[2] نيران فارس في أقل زمان

والرّاهب المعلوم قال لجده[3] احذر بنيك من أذى الكهان

واحفظه من كيد اليهود ومكرهم وعداوة الأحبار والرهبان

فهو الرسول إلى الورى علم الهدى ومعيد أهل الكفر والعصيان

[فإذا][4] بقيت إلى أوان ظهوره وامتد لي عمري وطال زماني

فأمن به وأبذل طاقتي[5] في نصر دينٍ، أفضل الأديان

كم ذا له من معجزات جملة ظهرت وما خفيت على إنسان

منها الذراع بسمها قالت له[6] يا أحمد المحمود يا ذا الشان

لا تأكلنْ لحمي فسمي قاتل من فعل أهل الزيغ والعدوان

---

[1] الإيوان: بلاط الحكم في فارس.

[2] جف الماء من بحيرة طبريا؛ بولادته عليه السلام.

[3] قال لعمه أبا طالب وليس لجدّه. والراهب هنا يسمى بَحِيرَى؛ أوصى أبا طالب؛ بأن لا يوغل بمحمد في بلاد الشام؛ خوفاً عليه من اليهود؛ وليس من الكهان والرهبان.

[4] كتب في الأصل بزهرالبستان: ((فإن))؛ وهذا يخل بالوزن. ومع هذا؛ فقد حاول الناسخ استدراك الأمر؛ ولكنه سقط في خطأ آخر. وعليه؛ فقد صوبنا الخلل بوضع كلمة: ((فإذا)) بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

[5] وقع خلل بسيط في ضرب البيت؛ إذ سقط حرف متحرك في بدايته (/).

[6] يشير إلى ذراع الشاة التي سممتها زينب بنت الحارث، وقدمتها هدية إلى رسول الله؛ لكي تقتله؛ فقال عليه السلام: ((إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم)).

والجذع حن له لمحض محبة[1] وبكى بدمـــع ساجـــم هتـــان
والبدر أكبر آيـــة في شقــه[2] دلـــت عليه لمن له عينـــان
ثم الغمامة فوقه مهما يســـر[3] هذا لعمرك أعظم البرهـــان
والضب خاطبه ونادى معلنا[4] حييت[5] يا من خُصَّ بالفرقان
أنت النبي الهاشميُّ المجتبى صلى عليـــك اللـــه كل أوان

---

[1] ورد في بعض كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب على جذع، ثم تركه؛ فأخذ الجذع يئن أنيناً يسمعه من كان بالمسجد؛ فنزل عليه السلام من حيث كان يخطب، وضمّ الجذع إلى صدره وقال: هدأ جذع، هدأ جذع؛ إن أردتَ أن أغرسك فتعود أخضراً، يؤكل منك إلى يوم القيامة؛ أو أدفنك فتكون رفيقي في الآخرة. فقال الجذع: بل ادفني؛ وأكون معك في الآخرة".

[2] عن ابن مسعود رضي الله عنـه قال: "انفلق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فصار فلقتين: فلقة من وراء الجبل وفلقة دونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا "

[3] ورد أن بحيرى الراهب ـ وهو في صومعته في بصرى الشام ـ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركب قريش ـ حين أقبلوا ـ وغمامة تظله من بين القوم.

[4] ورد في الأثر أن أعرابي من بني سليم كان قد صاد ضباً ليأكله. فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فشق الأعرابي الجماعة، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ وقال: واللات والعزى لا آمنت بك إلاّ أن يؤمن بك هذا الضب الميت؛ ثم خلع الضب الميت من يده وطرحه بين يدي رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام. فقال صلى الله عليه وسلم: للضب الميت أضب. فقال الضب لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين. فقال له الرسول: ومن تعبد يا ضب. فقال الله الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه. قال الرسول: ومن أنا يا ضب. قال الضب: أنت رسول رب العالمين، وخاتم المرسلين. فقال الأعرابي: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

[5] في الأصل بزهر البستان: ((حيت))؛ وهو تحريف.

والماء حتى من أصابعه جرى فروى جميع الجيش دون توان[1]

ثم الحجارة كلمته بلا امترا[2] من غير جارحة وغير لسان

هذا وكم ظهرت له من آيـــة كالشمس ناشرة على البلدان

صلى عليك الله من علمٍ هدى ما غرد القُمْرِيُّ[3] في الأغصان

وانصر بجاهك يا مجيب إمامنا خير الملوك وسيد الشجعـــان

ملك همام في الحروب غضنفر مفني العداة بمرهف وسنان

قهر الملوك بمشرق وبمغرب وسمى على الأملاك من قحطان

تاج العلى بدر الدجى سيف الفدى كهف الضعيف وملجأ اللهفان

سند لما أجنى عليه زمانــــه والمورد السلســـال للظمـــآن

ملك له ملك تأثـــل شامخـــاً متـــوارث من جـــده زيـــان

حـــاز المكارم كلها بيمينـــه فيها هديت إلى الغنى شيئان

للمقتفي بحر الندى إن أمـــه [ولمن يناوي لفحة النيران][4]

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((ثوان))؛ وهو تحريف. ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد حانت صلاة العصر؛ فالتمس الناس ماء الوضوء؛ فلم يجدوه؛ فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء؛ فوضع صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء؛ وأمر الناس أن يتوضأوا منه؛ فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه؛ فتوضأ الناس عن آخرهم.

[2] يشير إلى ما جاء في السيرة؛ من أن رسول الله قال: ((إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث)).

[3] القمري؛ جمعه قُمْر وقماري، والأنثى قمرية: وهو ضرب من الحمام؛ يتميز بصوته الجميل.

[4] كتب هذا الشطر ـ في الأصل بزهر البستان ـ هكذا: ((ولمن يناوي نفخة النيران)). وهذا يخل بالوزن. وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

هذي وحقك ما سمعت بمثلها   ماء ونار كيف يجتمعان

أعجوبة قرت بكف سيمدع   موسى بن يوسف حامي الأضعان

الله فضله بها واختصه   بمهابة وفصاحة وبيان

يا طلعة البدر المنير ضياؤه   عش في سرور دائم وأمان

واجن الأمان فكيف[1] شئت فإنها   حفظ الإله الواحد الرحمن

وأمر زمانك بالذي قد شئته   يفعلْه يا مولاي دون توان

* * *

[1] كتب في الأصل: ((كيف))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن؛ فصوبت الكلمة كما جاء أعلاه بين حاصرتين.

عبد الوهاب بن محمد

ابن عبد القادر (ابو محمد)

لا يعرف عن صاحب هذه الترجمة ما يسد الحاجة. وهذا هو كل ما جاء في زهر البستان: **((وقال الخطيب الكاتب أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد القادر؛ أحد كتبة أشغاله وقد كلفه تكليفا))**[1]:

مدح النبي الهاشمي محمد	هو مذهبي هو بغيتي هو مقصدي
فبفضل مولده ربيع قد سمى	وبدت به البشرى لأمة أحمد
طل يا ربيع على الشهور بأسرها	فلقد حبيت بكل سعد فاسعد
ولقد علوت جلالة وكرامة	لما أتيت بخير هاد مهتد
بمحمد المختار من خير الورى	هادي البرية للسبيل الأرشد
ذي المعجزات الباهرات دلالة	جاءت بكل هداية للمهتد
من فاض عذب الماء بين بنانه	فغدا كنهر للغليل مبرد
كم للنبي محمد عَلَمِ الهُدَى	من معجزات فضلها لم يجحد
منهن تسبيح الحصى في كفّه	والذئب كلمه وصخر الجلمد

[1] ورقة: 86 و.

والبدر شـــق له بمكـــة آيـــة   والجذع حن حنين صَبٍّ مُكمد
وشكى البعير له بأفصح [منطق][1]   والضَّـــبُّ كلمه بغيـــر تـــردد
آياته أربت على عَدِّ الحصى   قد صح ذلك في الصحيح المسند
بمحمد المحمود أكرم مرســـل   هدي الأنام به لأوضح مرشد
وعلى خليفتنا الإمام المرتضى   موسى بن يوسف ذي العلى والسؤدد
ملك البسيطة والمعالي والهدى   من لم يزل يعنى بمولد أحمد
ملك تملك وُدَّ أهـــل زمانـــه   بمآثـــر عليـــا وجـــدٍ منجـــد
فعلاه في العلياء قد حاز المدى   فاق السماك وحاز نجم الفرقد
حـــامي ديار قبيله بحسامـــه[2]   أكرم به من باهـــر ومســـدد
ملك تمسك بالمفاخر والتُّـــقَى   بالعروة الوثقى وشرعة أحمد
ما في بني الأملاك ملك شبهه   أنعـــم به من ماجـــد وبماهـــد[3]
بَـــدْرُ الكمال بوجهه متهلـــل   بِدَرُ النّوال تسح من وسط اليد[4]
مَلِكٌ بهِ حَسُنَ الزَّمانُ فلم يَدَعْ   في الأرض من باغٍ ولا من معتد
فَبهِ بنو زيان زادت رِفْعَـــــةً   وغدت تجر لذيل[5] عز أمجـــد
وكذا تلمسانٌ به تاهت عـــلى   كل البلاد وأُرْغِمـــتْ للحسَّـــد

---

[1] في الأصل بزهر البستان؛ كتبت كلمة: ((لغة))؛ الأمر الذي أخل بالوزن؛ فوضعنا كلمة [منطق]. لسلامة الوزن.
[2] الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ فاخترنا كلمة ((بحسامه)).
[3] الكلمة الأخيرة في الأصل غير واضحة؛ وربما كانت: ((وبمايد))؛ وهذا مستبعد؛ لذا فقد اخترنا كلمة: [وبماهد].
[4] البَدْر؛ في بداية البيت: هو القمر المكتمل في الليلة الرابعة عشر من كل شهر. أما كلمة: ((بدَر))؛ فمفردها: ((بَدْرَة))؛ وهي الكمية العظيمة من المال.
[5] أضفنا حرف: ((لام)) لكلمة ((نيل))؛ من أجل استقامة الوزن.

ملك سمـــا بنجـاره ووقـــاره ونوالـــه وبـــداره للأسعـــد

لا زال هذا المُلْكُ دأبا جاريـــا في عقب عز فيه [يوم] الموعد [1]

يا أيها الملك الهمام المعتـــلي في ذروة العليا لمرقى إصعـــد

عبد أشاد وقد أتـــاك مقصـــراً مستمثل الأمر العزيز الأمجد

ما كنت مدَّاحاً بشعْري غيركم كلا ولا حكت القريض لمولد

حتى أمرتم عبدكـــم بنظامـــه فأتيـــت مبتدراً بغيـــر تبلـــد

وتكاملت بكاملةٍ من بحرهـــا[2] لكمالك السامي الشريف الماجد

وجلوت من فكري إليك قصيدة بكراً تجلَّتْ من حلاك بعسجد

خذهـــا إليك عقيلـــة فكريـــة [تشدو بمجدك في العلا بتودد][3]

والله يبقي سعدكـــم ويمدكـــم بالعضد والنصر العزيز السرمد

يا عابد الوهاب نلت فضيلـــة فافخر بمدحك للإمام الأوســـد

فارغب إلى ذي العرش يبقي ملكه في[4] عشية حسن وعيش أرغد

وعلى صحابته الكرام تحيـــة أبـــداً مكرمة تـــروح وتغتـــد

***

---

[1] كتب في الأصل: ((ليوم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا اللام؛ فأصحت كما وردت أعلاه بين حاصرتين.

[2] هذا الشطر مضطرب الوزن؛ جاء هكذا: ((وتكملت كاملة العروض وأما)). وقد عوض بشطر آخر أسلم؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.

[3] عجز البيت هذا؛ مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((أهلا بها بشده تبادي أمجد)). وعليه فقد نظمنا شطراً آخر؛ ووضع أعلاه بين حاصرتين؛ لتسهيل موصلة القراءة.

[4] في الأصل: ((فو))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

علي بن العطار
(ابو الحسن)

ورد ذكره في كتاب زهر البستان؛ ضمن الشعراء المشاركين في الحفل الذي عقده السلطان أبوز حمو الثاني؛ بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف بالبلاط الزياني سنة 760هـ/1358م. وجاء اسمه في الكتاب المذكور هكذا: ((**وللطالب أبي الحسن علي بن العطار عفا الله عنه**)):

وصبٌ بالهوى كلف مُعَنَّى
أعنَّ مِنَ الصَّبابة ما تعنَّا

فمن زفراته ما شبَّ ناراً
ومن عبراته ما نهْل مزنا

تذكَّر عيشه الماضي فأضحى
يكفكف دمعه شوقا وحزنا

وشبَّ أوارُ أطلقه وأجرى
مدامعه وهام وكاد يفنى[1]

---

[1] **هكذا.**

حــبى بجُــذَيَّــة[1] هبــت فتمَّــت[2]

فــرق لعزفهــا طربــا وأنســـا[3]

تَــمٌّ نُمَيَّــة[4] كالمســك نشــرا

[وريــح تقـــوح بمـــا يفدنـــا][5]

فهــام القلــب أجــلالا وشوقـــا

بمن نلنـــا الفخـــار بـــه وسدنـــا

نــبي مصطــفى هـــاد شفيــع

بمولــده السعيــد لقــد سعدنـــا

شفيــع المذنبيــن غــداة حشـــر

مقيــل عثارنـــا ممـــا اقترفنـــا

لقــد نلنـــا بـــه شرفـــا صميمـــا

وحُزْنَـــا المكرمـــات بـــه وفزنـــا

ذراع الشـــاة كلمـــــه يقينـــــا

وأخبـــره وأظهـــر مـــا أُكِنَّـــا[6]

---

[1] الجِذْي؛ والجِذْيَة من الشجرة: أصلها.

[2] هكذا ورد هذا الشطر في الأصل بزهر البستان. ولعله تعرض للتحريف.

[3] هكذا في الأصل؛ وربما تكون: ((وأنَّا)).

[4] نَمَّ الشيء: سطعت رائحته. ونمت الريح: جلبت الرائحة أو الحركة. والنُّمَيَّة: الطبيعة.

[5] ورد هذا الشطر في الأصل بزهر البستان هكذا: ((فطيبه ونشواها ذكرتنا))؛ وهو مختل الوزن؛ ومضطرب: تعويضه بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[6] أكن الشيء: ستره.

[وعيـــن قتـــادةِ عـــادت ومـــا أن

رأى الـــراؤون أحســـن منه عينـــا][1]

نعـــم والبـــدر شُـــقَّ لـــه بليـــل

كـــذاك الجـــذع للمختـــار حَنَّـــا

وإيـــوان المجـــوس لـــه ارتجـــاج

وأصبـــح دينهـــم كذبـــا ومَيْنَـــا[2]

وأعظـــم آيـــة بتبـــوك مـــاء

جـــرى من كفِّـــه وانْهَـــلَّ مُزْنـــا

مدائـــح سيـــد الثقليـــن مـــا أنْ

تعـــد وكيـــف إن تحـــصى وأنـــا[3]

وحسبـــك مدحـــة وعلـــو قـــدر

من الـــرَّبِّ العظيـــم عليـــه أثـــنى

رســـول اللـــه يـــا أمـــلي وســـؤلي

ويا أســـمى الورى قـــدراً وأســـنى

---

[1] كتب في الأصل بزهر البستان: ((وعين قتادة عادت وما رأى)). وهذا يخل بالوزن؛ فنقلنا كلمة ((رأى)) إلى عجز البيت؛ ثم أضفنا إلى الصدر مقدار سبب خفيف تمثله كلمة((أن))؛ كما جاء أعلاه؛ للتصويب.

[2] المَيْن؛ جمع مُيُون: الكَذِب.

[3] هذا الشطر مضطرب المعنى.

سألـــت اللـــه في ســـرِّي وجَهْـــرِي

[وأرقُبُـــه إذا مـــا الليـــل جنّـــا][1]

لعـــلي إن أحـــل حمـــاك يومـــا

ويبلـــغ قلـــب صـــبٍّ مـــا تمنـــا

إذا المـــولى أبـــو حمـــو حبـــاني

بإحســـان وجـــاد بـــه ومنَّـــا

فمن يقصد حمـــاه [يجـــده][2] رحبـــا

ويبـــدل خوفـــه فرحـــا وأمنـــا

إمـــام قـــد تخيـــر للبريـــا

فمـــا أرقى معاليـــه وأسنـــا

بدائـــع مجـــده الآفـــاق عمَّـــت

وكم من سُنَّـــةٍ في الجـــود سَنَّـــا

وغـــرة ملكـــه الغـــراء لمـــا

علـــت وجه الزمان كستـــه حسنـــا

فـــتًى جمـــع المحاســـن والمعـــالي

وحـــاز فنونهـــا فنّـــاً ففنَّـــا

---

[1] ورد هذا العجز في الأصل بزهر البستان هكذا: ((وأرقبه إذا ما أتا الليل جنّا))؛ فاختل الوزن؛ بسبب كلمة ((أتا))؛ وهي زائدة؛ فاقتضى الحال حذفها للتصويب. وجنٌّ اللّيْل: هي ظلمته.

[2] في الأصل: ((يجد))؛ بدون هاء الضمير؛ وهذا يخل بالوزن والمعنى. فوجب التصويب.

مهابٌ إن نظـــرت رأيـــت ليثـــاً

ووهّـــابٌ [يـــلاقي][1] مـــا تمـــنى

[وكفَّـــــاه السحايــــب حامـــلات][2]

يفيـــض نوالـــه يُسْـــرَى ويُمْـــنَى

وكَـــفَّ أكُـــفَّ أهل البـــغي قهـــراً

وكـــل العالميـــن عليـــه أثـــنى

دعتـــه خلافـــة الآفـــاق طـــــراً

بمـــا إن عـــن إجابتهـــــا تأنَّـــا[3]

وكـــم رام الخلافـــة مـــن غَـــوِيٍّ

فئـــــاب وفي تطلبهـــــا تَعَـــــنَّى

ومـــا ربحـــت تجارتـــه ولكـــن

شـــرى صفقاتـــه نحســـاً وغبنـــــا

أمولانـــــا أبـــو حمـــو هنيئـــــا

لـــك البشرى بأن تبـــقى وتهنـــــا

فطب نفســـاً على رغـــم الأعـــادي[4]

وسِـــرْ وابلـــغْ مُنـــاك وقـــرَّ عينـــا

---

[1] تم وضع كلمة: ((يلاقي)) عوض كلمة غير مفهومة في الأصل بزهر البستان.
[2] ورد هذا الشطر في الأصل هكذا: ((وكفاه الصحايب حامدات))؛ ويبدو أن الناسخ حرف كلماته؛ لذا فقد رأيناه كما جاء أعلاه.
[3] في هذا الشطر غموض.
[4] في الأصل: ((الأعاد))؛ بدون ياء.

[ودونــــك هـــذه بكـــر تبـــــدت][1]

بمدحـــك في حـــلى لفـــظ ومعـــنى

[ويبـــقى ذا زمانـــك في سمـــو][2]

ودام عـــدوك المدمـــوع مضنـــــا

***

[1] ورد هذا الصدر في الأصل بزهر البستان هكذا: ((ودونك بكر قد تبدت))؛ فاختل الوزن؛ فوجب التصويب كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] جاء في الأصل صدر البيت هكذا: ((ودونك بكر قد تبدت))؛ وهو مختل الوزن؛ فلزم الحال؛ تصويبه كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

علي بن محمد

ابن احمد بن موسى بن مسعود الخزاعي التلمساني

(ابو الحسن)

ينتمي – في أصوله الأولى إلى أسرة أندلسية نبيلة؛ اتصفت بالرئاسة والعلم ووظائف القضاء. تمتع والده في بلاط تلمسان بحظوة وسمو. ولد صاحب الترجمة **بتلمسان** في عام 710هـ/1310م. ونشأ كما وجهه والده؛ مُحِباً للعلم؛ ساعياً للحصول عليه بمختلف الطرق، وشتى الوسائل. فقرأ في مدارس **تلمسان**، وتلقى العلم على ابن مرزوق الخطيب؛ فتفوق في تحصيل علوم: الفقه، والأدب، والتاريخ، والحساب. كتب في بلاط بني زيان؛ ثم التحق بخدمة المرينيين – عند احتلالهم لتلمسان؛ كما يبدو – فلقي لديهم حظوة، وإكباراً. إذ تولى خطة "كتابة العلامة" للسلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن. ثم تولى في البلاط المريني خطة كتابة الأشغال، ورئاسة قلم الدولة.

ومن مؤلفاته المبتكرة في الجودة، والسبق؛ كتاب: "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ من الحرف، والصنائع، والعمالات الشرعية". قال عنه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: **((وهو ـ لعمري ـ كتاب نفيس؛ فريد في بابه؛ مستوعب لموضوعه؛ لم يترك فيه خطة، أو وظيفة، أو رتبة، أو صناعة، أو حرفة، أو أي عمل من أعمال المجتمع الإسلامي؛ في ميدان المصالح الإدارية ـ عسكرية كانت أو مدنية، أو شرعية، أو علمية...إلخ ـ إلاّ وأثبت أصلها في الإسلام، ودليلها من السنة، وعمل الخلفاء الراشدين فيها؛ مع التعرض إلى ذكر أول من باشر تلك الأعمال ـ بنفسه ـ من الصحابة؛ أو كان ممن ولاه رسول الله عليها. فكان الخزاعي ـ بذلك ـ أسبق العلماء إلى تدوين تاريخ المدينة الإسلامية، وتفصيل الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية في صدر الإسلام))**[1].

---

[1] **تاريخ الجزائر العام، ج: 2، ص: 131.**

ـ مـن شعـره هـذه المقطوعـة الـتي قالهـا في أحـد أبنـاء أبي عنـان المريـني؛ حيـن كبـا بـه فرسـه:

مولايَ لا ذَنْـبَ للشَّقْـراءِ إنْ عَثَـرتْ
ومـنْ يلُمْهَـا لَعَمْـري فَهْـو ظَالِمُهَـا

قَـدْ هَالَهَـا مَا اعتَرَاهَـا مِنْ مَهَابَتِكُـمْ
مِـنْ أجْـلِ ذَلِـكَ لَمْ تَثْبُـتْ قَوَائِمُهَـا

ولَمْ تَـزَلْ عَـادَةُ الفُرْسَانِ مُذْ رَكِبُـوا
تَكْبُـو الجيَـادُ ولَـمْ تَنْـبُ عَزَائِمُهَـا

وَفِي النَّـبِيِّ رَسُـولِ اللَّـهِ أسْوَتُنَـا
أعْـلاَ النَّبِيِّـنَ مِقْـدَاراً وَخَاتِمُهَـا

كَبَـا بِـهِ فَـرَسٌ أبْـقَى بِسَقْطَتِـهِ
في جَنْبِـهِ خدْشَـةً تَبْـدُو مَرَاسِمُهَـا

حَـتَّى لَصـلَّى صـلاَةَ جَالِسـاً ثَبَتَـتْ
لَنَـا بِهَـا سُنَّـةٌ لاَحَـتْ مَعَالِمُهَـا

صـلَّى عَلَيْـهِ الإلَـهُ دَائِمـاً أبَـداً
أزْكَى صـلاَةٍ تُحْيِيهَـا نَوَاسِمُهَـا

***

محمد البطوي
(ابو عبد الله)

ـ قال صاحب الترجمة هذه القصيدة بين يدي السلطان أبي حمو الثاني في سنة 763هـ/1361م؛ بمناسبة ذكرى المولد النبوي المبارك خلال حفل عقد ببلاط الدولة الزيانية بتلمسان. ووردت هذه القصيدة في كتاب زهر البستان؛ الذي أشار مؤلفه إلى صاحب هذه القصيدة بقوله: ((وللطالب الأديب أبى عبد الله محمد البطيوي عفا الله عنه))[1]:

لك يا ربيع قدوم أشرف مولد
تزهوا مطالعه بسعد الأسعد
لك يا ربيع على الشهور مزيَّة
عُرِفَت بميلاد الرَّسول محمد
يا شهر جئت لنا بأكرم مرسل
للعالمين هدى وأفضل مرشد
من خُصَّ قِدْماً بالشفاعة واللوى
واخْتَصَّ بالحوض الشريف المورد

---

[1] **ورقة: 64 ظ.**

بظهــوره الأصنام والأوثــان قــد
سجدت إلى الصمد العــلي الأوحــد
والنهر جف ولم يســل والنــار قــد
خمــدت وكانــت قبلــه لم تخمــد
وقصــور قيصــر هدمــت شرفاتها
من بعــد تأسيــس وحســن تشيــد
وارتــج إيــوان لكســرى عندمــا
ظهــرت براهيــنٌ ليــوم المولــد
فبيمنــه فزنــا بأفضــل ملــة
تهــدي لنهــج الحــق كل موحــد
وهــدى إلى سُبْــل الهدايــة بعدمــا
كنــا بجهــل في ضــلال الأربــد[1]
فالشرك أضحى وهو في ضيق بــه
والديــن في صعــد ببعثــة أحمــد
كــم آيــة ظهــرت لــه ودلائــل
جاءت بصــدق هدايــة للمهتــدى
منها انشقاق البــدر والجذع الــذي
أبــدى لفرقتــه حنيــن توجــد

---

[1] **يقولون: عام أربد: أي مقحط. والربداء: المنكرة.**

وســـلام أشجـــار إليـــه قد أقبلـــت

وكـــلام أحجـــار بغيـــر تـــــردد

والذئـــب أفصـــح ناطقـــا بسلامـــه

أدى الشهادة حين قـــال لـــه اشهـــد

وشكى البعيـــر لـــه بضـــرٍ ومشقة[1]

من معتـــد فأزال ضـــرَّ المعتـــدي

وغزالـــة نـــادت محمَّـــدَ إنَّ لي

خشفـــاً أرضعه وخفـــت تصيـــدي

فأجازها من صائـــد قـــد صادهـــا

وأنالهـــا الأمـــن[2] الســـني المقصـــد

ولـــه ذراع الشـــاة أخبـــر بالـــذي

[دس له من أبشـــع الســـم الـــردي][3]

وبكفِّـــه للـــه سبحـــتِ الحـــصى

بتواضـــع كالعابـــــد المتجهـــــد[4]

---

[1] الكلمة في الأصل بزهر البستان رسمت هكذا: ((مثقة)). وواضح أنها محرفة؛ فعوضناها بالكلمة الواردة بين حاصرتين. ويشير الشاعر هنا إلى جمل لأحد الأنصار؛ شكا إلى رسول الله ظلم صاحبه؛ الذي يجيعه ويواصل العمل عليه دون انقطاع. وأورد هذه الرواية مسلم في صحيحه.

[2] في الأصل بزهر البستان: ((بالأمن))؛ فحذفنا حرف ((الباء))؛ لتصويب الوزن.

[3] جاء الشطر في الأصل هكذا: ((قد أودعنه عداه من سم رد)). وواضح أنه نسخ بشكل رديء؛ لذا فقد عوضناه بآخر وضع بين حاصرتين.

[4] في الأصل: ((المجتهد))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.

والضـــرع[1] درَّ له ومـــن بركاتـــه
جـــاءت أناملـــه بأغـــرب مـــورد
وأزال عـــن عيـــني عـــلي ثقلـــه
رمداً فلـــم يشكـــوا بجفـــن أرمـــد
وكذاك[2] عيـــن قتـــادة قـــد ردهـــا
بعـــد الذهـــاب كأنهـــا لـــم تفقـــد
وحذيفـــة أعطـــاه عـــود أراكـــــة
في كفـــه سيفـــاً لحـــرب الملحـــد
ولكم له مـــن معجـــزات أعجـــزت
بدلائـــل مـــن قبلـــه لـــم تعهـــد
نعم الرسول لـــه الهدايـــة في الدنـــا
للمهتـــدي ولـــه الشفاعـــة في غـــد
للـــه مولـــده السعيـــد وحسنـــــه
أكـــرم بـــه مـــن موســـم متـــردد[3]
فليَهْـــنَ مَوْلانـــا بليلـــة مولـــــد
طلعـــت بطالعهـــا نجـــوم الأسعـــد
أسنى الملوك أجلهـــا المـــولى أبـــو
حمو المؤيـــد ذو العـــلى والســـؤدد

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((والدرع))؛ وهو تحريف.
[2] في الأصل: ((وكذلك))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.
[3] لم يوفق الشاعر بكلمة (متردد))؛ وأفضل منها كلمة ((متجدد)).

غيث [جرى عبر السنين][1] ليث الردى

للمعتدي بحـــر النـــدى نـــور الغـــد

يكفي العدى في الحرب هيبة بأســـه

[ويراعـــه في السلـــم زاد المرشـــد][2]

وإذا بـــدا بيـــن الملـــوك بحالـــه

مولاهُـــمُ وهُـــمُ لـــه كالأعْبُـــــد

منصـــور رايـــات ويـــوم خـــلاده

يحـــمي بقائـــم سيفـــه المتجـــــود

مـــن رام أن يبـــغ[3] عنـــاد مليكنـــا

تبت يـــداه ومـــا لـــه مـــن مسعـــد

هذا هو الـــزابي الذي نطقـــت بـــه

الحدثـــان يقهـــر كـــل بـــاغ معتـــد

مفني العدى قســـراً مبيد قصورهـــم

قهـــراً فمنصور اللـــواء [المايـــد][4]

---

[1] هذه العبارة الواردة بين حاصرتين؛ وضعناها عوض عبارة أخرى؛ تعذر فك كلماتها، وفهم معناها. وقد رسمت في زهر البستان هكذا: ((الجرى للمجتزي)).

[2] رسم هذا الشطر في الأصل هذا: ((عرض ططي وسل فهند)). وهذا الكلام غير مفهوم. وعليه؛ فقد عوضناه بشطر آخر وضع بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من متابعة القصيدة.

[3] في الأصل: ((يبغي))؛ بالياء؛ وهو خطأ نحوي؛ ويخل بالوزن.

[4] كتبت الكلمة هنا هكذا: ((مائد))؛ وهو مخل بالوزن؛ فأضفنا الألف وللام؛ للتصويب.

مولاي يا خيـر الملوك ومن سمــا

فــوق السمــاك بمجــده والفرقــد

أمــا تلمســانٌ فقــد تاهــت عــلى

فــاس بطالــع سعــدك المتجــدد

لا زلت من مَلِـكٍ وعبد الــواد في

عــزٍّ بدولتكــم ورفعــةَ ســؤدد

وولي عهدك عابد الرحمــان مــن

تأييــد أمــرك في نعيــم سرمــد

وتقــر عينك فيــه مــن ولد كمــا

تعطى المراد بفضل يــوم المولــد

ثم الصلاة على النــبي المصطــفى

خيــر الأنــام الهاشــمي محمــد

وعلى المقام المولــوي المرتــضى

أزكى تحيــات تــروح وتغتــدي

* * *

ـ ولــه أيضــاً هــذه القصيــدة؛ الــتي أوردهــا صاحــب كتــاب زهــر البستــان؛ دون ذكــر التاريــخ والمناسبــة الــتي ألقيــت فيهــا:

أمولاي نصر اللــه جاءك والفتــح
لأنك فيك الجود للخلـق والنصــح

هنيئــاً بتأييــد وملــك مؤيــد
وفتــح مبين لا يقــاس بــه فتــح

وأنت بحمــد اللــه في كــل حالــة
[مؤيد][1] رايات وفي رأيــك النجــح

لــواؤك منصــور وأنــت مؤيــد
وسيفك ماض في عدائــك والرمــح

أيا من له بيــن الملــوك فضائــل
يُقَصِّــرُ عن إثبات أوصافها الشرح

لك الملك يا مولاي إرثا ومكسبــا
لك الحسن والإحسان والحلم والصفح

فمن وجهك الأقمار يدركهــا السنــا
ومن طيبك الأزهار طاب بها النفح

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((مايد))؛ وهذا مخل بالمعنى والوزن معاً؛ فاخترنا كلمة: ((مؤيد))؛ للتصويب.

جلا بمحياه الخطوب عــن الــورى

كما قد جلا الليل البهيم لنا الصبــح

لـــه منظـــر أبـــهى من البـــدر إن بـــدى

وكف إذا مــح الغمـــام لهـــا مــح

هو الملك المنصور موسى بن يوسف

إمام الرضى [من دأبه][1] الفضل والمنح

هو الملك المذكور في الكُتْبِ وصفه

سجيتـــه العليـــا علامتـــه السمـــح

وحين بدا من جانب الزاب وانتضى

مهند حـــزم في هجير لـــه لفـــح

أعـــاد لعبـــد الـــواد ملكـــاً مجـــدداً

فخدمتـــه فـــوز وطاعتـــه ربــــح

وشيـــد بنيـــان الخلافـــة عزمـــــه

ونظم عقد الملـــك واتصـــل الفتـــح

فدم يا أمير المؤمنين لك الـــرضى

هنيئا بطول الدهر يهدي لك المـــدح

* * *

[1] كتب في الأصل بزهر البستان: ((من آدابه))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن؛ فاخترنا عبارة: ((من دأبه))؛ وضعت بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

ـ ولـه هـذه القصيدة أيضـاً؛ التي قالهـا بمناسبة احتفـال إقيـم ببـلاط أبي حمـو الثـاني بمناسبـة انتصـاره علـى بـني مريـن؛ خـلال زحفهـم لاسترداد تلمسـان في عـام 760هـ/1358م. وقـد وردت في كتـاب زهـر البستـان؛ ولـم يذكرهـا صاحـب بغيـة الـرواد:

شمس الخلافة حلت منزل الحَمَـلِ

فمـا تحيـد عن العليـا ولا تحـل

وأنجم السعد من عليـاك مشرقـة

نجـم السـرور بمرأهـا ولم تفـل

مولاي طالع السعد من حين بـدى[1]

باليمـن أقبـل والإقبـال والجـدل

فالأمر طوعـك إن تأمـره موعـدا

يقضي لأمرك ما نسيت من أمـل[2]

نظمت للملـك عقـدا لا نثـار لـه

مجيد علياك حـالٍ ليـس بالعطـل

كما أقمت من التقـوى عماد تـقي

شيـدت بنيانـه بالعـدل والعمـل

---

[1] هذا الشطر؛ مختل الوزن.

[2] ورد هذا الشطر في الأصل بزهر البستان هكذا: ((يقضي لأمرك ما قد نسيت من أمل)). وهذا يخل بالوزن؛ فحذفت كلمة: ((قد)).

تبني تلمســـان لما أن حللـــت بهـــا

مولاي موسى حلول الشمس بالحمل

قد أشرقـــت بسنائكـــم هيّ سافـــرة[1]

عن منظر ببهاء الحســـن مشتمـــل

وقُلِّـــدَتْ بوشـــاح نَظْـــمُ جوهـــره

مفصـــلا بحلاكـــم غير منفصـــل

تأرجت منكم الأرجاء (و) قد فتحت[2]

أكمام أزهارها أجرى الجبا الهطـــل

من كل زاهرة في الحســـن زاهيـــة

مفترة عن ثغـــور الخـــرد الرتـــل

والقَضْب ترقص من مـــرّ النسيم بها[3]

والأرض تضرع في أفنائها الميَّـــل

والنهر ينساب كالسيف [الصقيل][4] يرى

مع الضحى ويرى كالزرع في الأصلِ

---

[1] هذا الشطر غير واضح في الأصل بزهر البستان. ويمكن قراءته كما هو ظاهر أعلاه.

[2] لكي يستقيم الوزن أسقطنا الواو قبل ((قد))؛ فأضحى الشطر هكذا: ((تأرجت منكم الأرجاء قد فتحت)).

[3] حرف هذا الشطر؛ فكتب هكذا: ((والقطب ترقص من مر النسيب بها)). فاخترنا ما جاء أعلاه.

[4] حرفت هذه الكلمة في الأصل بزهر البستان؛ فكتبت بالسين المهملة: ((سقيل)). والسيف الصقيل (بالصاد) هو المصقول ـ الحاد الأملس.

أما تلمسان راقــت منظرا فرقــت

على البلاد وقد قرت سنـــا المقـــل

لِمْ لا وملك بـــني زيـــان عاد لهـــا

عيــدا فعـــادت إلى أيامهـــا الأول

بشراكـــم أهلهـــا إذ حـــل ساحتهـــا

ملك حماهـــا سيعـــد منـــه مقتبـــل

لكم بني عابـــد الـــواد الفخار بـــه

فإن دولتـــه مـــن أشـــرف الـــدول

هذا الإمام أبو حمـــوا أعـــاد لهـــم

ملكا جديدا وعـــزا غيـــر منفصـــل

فتى إذا هاجت الهيجاء يصول بهـــا

عن الأعادي بحد البيض والأســـل

تكفي محاربه في الحـــرب هيبتـــه

عن صارم سل فيها والقنـــا الذبـــل

قد بايعتـــه جميع العـــرب قاطبـــة

من كل ندب همـــام فـــارس بطـــل

جاءت بنو عامـــر طوعـــا لبيعتـــه

وقد جرى ذكره في السهل والجبـــل

فإنه الملك الـــزابي الـــذي ذكـــرت

في الكتب أخباره قدما ولـــم تـــزل

مــولا الأئمـــة أسناهــم وأرفعهــم

...................................[1]

إن الملــوك نجــوم وهْو بدرهــمُ

أربى عليهم بحســن فيــه مكتمــل

قد أظهــر الله ســر الملك فيه وقــد

أعطاه نيل بلــوغ القصــد والأمــل

بشــراك بالملــك مولانــا فرايتــه

بالنصر قد نُشِرَتْ والفتح عن عجل

سللت للمجد سيفــا صارمــا فبــه

تدمي قلوب العدى والرهن[2] والوصل

ذلت لسلطانه الأملاك إذ خضعــت

لعزكم وعراها روعــة الرجــل

بك الخلافة يا مولاي قــد سعــدت

ونزهت عن جميع النقص والخلــل

أكرم بنجل أبي يعقوبِ مــن ملــك

حاز المكــارم عن أسلافــه الأول

يعطيك ما شيته من غيــر مسألــة

كأن كفيه صوّب الوابــل المُهطــل

---

[1] **هذا الشطر غير مفهوم بالكامل بزهر البستان.**

[2] **هكذا. ولعلها: ((والرهب)).**

فاقصد حماه وبادر نحـــو ساحتـــه

تجده بحرا وليس البحـــر كالوشـــل[1]

فمـــا يخيِّـــب راج مـــن مكارمـــه

تلقـــاه مبتسمـــا بالبشـــر والجـــذل

مولاي منك على نظمي القبول وان

قصرت في المدح فالتقصير من قبل

ما زان شعريَ إلا مدحكـــم فغـــدى

كالدر زين به جيد المـــهى العطـــل

لكن رجوت الـــهي أن أنـــال بكـــم

عـــزا يبلغ نفـــسي غايـــة الأمـــل

لا زلت شمس ضحى فينا وظل ضحى

ترجى وورد ظما بالمال[2] والنَّهـــل

فدم بملـــك سعيـــد غيـــر منفصـــل

وأهنـــأ بسعد جديـــر غير منتقـــل

* * *

[1] الوشل: الماء القليل.
[2] هكذا.

محمد بن ابي جمعة
(ابن علي)[1] التلاسي التلمساني (ابو عبد الله)

سمي هكذا – بدون "ابن علي" في كل المصادر. غير أن صاحب نفح الطيب أشار إلى طبيب جراح؛ أيام الحصار الكبير لتلمسان؛ سماه **أبا جمعة بن علي التلاسي**. ويفهم من سياق الحديث؛ أنه جد صاحب الترجمة؛ والله أعلم. وجاء في قول المقري: **((كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق؛ فيمن كان فيه من أهل تلمسان؛ أيام محاصرته لها؛ فرأى أبو جمعة بن علي التلاسي الجرائحي[2] منهم؛ كأنه قائم على سانية دائرة؛ وجميع قواديسها يصب في نقير في وسطها؛ فجاء ليشرب؛ فلما اغترف الماء؛ إذا فيه فَرْثٌ ودمٌ؛ فأرسله، ثم اغترف؛ فإذا هو كذلك؛ ثلاثاً أو أكثر؛ فعدل عنه؛ فرأى خصة[3]، وشرب**

---

[1] هكذا سماه صاحب زهر البستان؛ ورقة: 33 و.
[2] أي طبيب جراح.
[3] أي حوض ماء.

منها. ثم استيقظ؛ وهو النهار؛ فأخبره[1]؛ فقال: إن صدقت رؤياك؛ فنحن عمَّا قليل خارجون...)).

جمع صاحب هذه الترجمة؛ بين مهنة الطب، وقرض الشعر. إذ له أشعار في غاية الروعة والجمال. وكان طبيباً خاصاً بالسلطان أبي حمو موسى الثاني؛ وشاركه ـ بقصائده ـ في إحياء معظم الاحتفالات التي أقيمت في البلاط الزياني؛ احتفاء بالمولد النبوي الشريف. لم تشر المصادر إلى ما يفيد كثيراً عن حياة محمد بن أبي جمعة التلاسي؛ غير أن أشعاره منشورة في كثير منها. كما بقي التلاسي على ما طبع عليه؛ من مباشرة مهنة الطب، والمشاركة بالشعر؛ في المناسبات الدينية ببلاط تلمسان. ولا يعرف التاريخ الذي توفي فيه بالتدقيق؛ وكل ما يمكن قوله؛ أنه كان عائشاً بين سنتي: 760هـ/1359م ،و 767هـ/1366م.

* * *

[1] أي أخبر محمد بن محمد الغزموني؛ الذي يحسن تعبير الرؤيا.

شعره

ـ هذه القصيدة؛ قالها التلاسي في سنة 761هـ/1359م؛ بمناسبة إحياء ذكرى الميلاد النبوي الكريم؛ وذلك في بلاط السلطان أبي حمو بتلمسان.

أصْبَحَ رأسي مِنَ الشّوائِبْ وهو مِنَ الجانِيَيْنِ شَائِبْ
يَا لَهْف نَفْسي علَى زَمانِ كُنْتُ لِثَوْبِ الشَّباب سَاحِبْ
أرْفُلُ في حُلَّةِ التَّصابي بَيْنَ حَبيبٍ وبينَ صاحِبْ
حتى بدا الشَّيْبُ في قَذالي[1] بادَرْتُه بالسَّوادِ خاضِبْ
أسْتُرهُ كل حين حَتّى[2] عَمَّ مِنَ الرَّأسِ كُلَّ جانِبْ
وَأقْبَلَتْ مِنْهُ لي جُيُوشٌ سِهامُها لِلصِّبَا[3] صوائِبْ
فَصالَ شَيْبي عَلَى شَبَابي صَوْلَةَ ذِي نَجْدَةٍ مُحَارِبْ
وَسَلَّ في العَارِضَيْنِ سَيْفاً أضْحَى بِهِ لِلشَّبَابِ ضَارِبْ
مَا زَالَ يَسْطُو عَلَيْهِ حَتّى ظَلَّ لِمَا قَدْ دَهَاهُ هَارِبْ
وَقَدْ مضَى مَعْهَدُ التَّصابِي وَأقْبَلَ الشَّيْبُ في كَتَائِبْ
وَاحْدَوْدَبَ الظَّهْرُ وَاعْتَرَاني مَا ذَادَ عَنْ وَصْلِي الكَوَاعِبْ[4]

---

[1] القَذَالُ جمعه قُذُل وأقْذِلَة: ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس.
[2] يبدو أن كلمة مثل: ((في)) سقطت هنا؛ فاختل الوزن. ويمكن أن يكون الشطر هكذا: ((أسْتُرهُ في كُلِّ حِينٍ حَتّى))
[3] الصِّبَا هنا: الصِّغر.
[4] ذَادَ ذَوْداً: دفع وطرد. كواعب مفردها كاعب: الجواري.

وَمَلَّنِي الصَّاحِبُ المُصَافِي   وَالعِرْسُ وَالأَهْلُ وَالأَقَارِبْ

هَذَا وَنَفْسِي لِكُلِّ شَيْءٍ   مِمَّا يُشِيقُ الفَتَى تُرَاقِبْ

مِنْ قُبْحِ قَوْلٍ وَسُوءِ فِعْلٍ   وَتَرْكِ حَقٍ عَلَيَّ وَاجِبْ

فَقُلْتُ يَا نَفْسِي لَيْس إلاَّ   أَنْ تَنْظُرِي الآنَ في العَوَاقِبْ

وَلْتَسْتَعِدِّي لِهَوْلِ يَوْمٍ   تَشِيبُ مِنْ بَعْضِهِ الذَّوَائِبْ

يَوْماً يَكُونُ الإِلَهُ فِيهِ   عَلَى جَمِيعِ العُصَاةِ غَاضِبْ

يَا نَفْس بَادِر دَعِ التَّأنِّي   فَعَيْشُكِ عَنْ قَرِيبٍ ذَاهِبْ

ارْجِعْ لِمَوْلاَكَ بانْكِسَارِ   وَلْتُرْسَلِ الأَدْمُعُ السَّوَاكِبْ

وَقُلْ أيَا مَالِكِي وَيَا مَنْ   إِلَيْهِ كُلُّ الأَنَامِ آئِبْ[1]

يَا رَبِّ إنِّي أَسَأْتُ جَهْلاً   يَا رب إِنِّي أَتَيْتُ تائِبْ

يا غَافِر الذَّنْب والخَطَايَا   حَاشَاكَ أنيِّ أُرَدُّ خَائِبْ

يَا رَبِّ يَسِّرْ وَلاَ تُعَسِّرْ   يَا رب سَامِحْ ولا تُعاقِبْ

إِنِّي تَوَسَّلْتُ يَا إِلَهي   بِسَيِّدِ العُجْمِ وَالأَعَارِبْ

وَخَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ طُراً[2]   وَخَيْرِ مَاشٍ وَخَيْرِ رَاكِبْ

الهَاشِمِيُّ الذِي بِهِ قَدْ   سَمَا قُصيٌّ وَسَاد غَالِبْ

أَخْبَرَتِ الأَنْبِيَاءُ عَنْهُ   وَقَالَهُ كَاهِنٌ وَرَاهِبْ

قَامَ بِدِينِ الإِلهِ حَتَّى   أَبْطَلَ مَا قَالَهُ الكَوَاذِبْ

دَعَا إِلَي الرُّشْدِ وَالهُدَى مِنْ   أمَّتِهِ شَاهِدٌ وَغَائِبْ

---

[1] آئِب : راجع وتائب.
[2] طراً: أي جميعاً.

أَتَى رَبِيعٌ بِهِ بَشِيراً   كُلُّ رَبِيعٍ لِلْخَيرِ جَالِبْ

سَرَى إِلَى عَرْشِ ذِي المَعَالي   وَاللَّيْلُ مُحْلَوْلَكُ الغَيَاهِبْ

فَكَانَ في القُرْبِ وَالتَّدَاني   كَقَابَ قَوْسَيْنِ في المَرَاتِبْ[1]

شَرَّفَهُ وَارْتَضَاهُ مَوْلَى   أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَاجِبْ

وَمُعْجِزَاتُ النَّبِيِّ مِنْهَا   مَا صَحَّ في سَائِرِ المَذَاهِبْ

نُطْقُ حَصى وَانْشِقَاقُ بَدْرٍ   وَغَيْرُ هَذَا مِنَ العَجَائِبْ

يَقْصرُ عَنْ حَصْرِهَا يَقِيناً   كُلُّ لَبِيبٍ وَكُلُّ حَاسِبْ

أَمْدَاحُهُ جُنَّتِي وَذُخْرِي   وَذَاكَ مِنْ أَعْظَمِ المَكَاسِبْ

يَا لَيْتَنِي زَائِرٌ إِلَيْهِ   أَطْوِي لَهُ البِيدَ وَالسَّبَاسِبْ

أُعَفِّرُ الخَدَّ في ثَرَاهُ   وَأُرْسِلُ الأَدْمُعَ الأَسَاكِبْ

وَأَسْأَلُ اللهَ حُسْنَ عَوْنٍ   لِلْمَلِكِ المُعْتَلي المَنَاصِبْ

مَنْ لَمْ يَزَلْ مُذْ[2] كَانَ طِفْلاً   ذَا هِمَةٍ تُدْرِكُ الكَوَاكِبْ

كَرَّاتُ عَيْنَيْهِ في الأَعَادِي   تُغْني عَنِ السُّمْرِ وَالقَوَاضِبْ

إِنْ بَاشَرَ الحَرْبَ في قِتَالٍ   هَيْبَتُهُ تَهْمُّ المَوَاكِبْ

وجَيْشُهُ لاَ يَمُرُّ إِلاَّ   كَانَ عَلَى المَارِقِينَ غَالِبْ

بِلاَدُهُ قَدْ حَمَى حِمَاهَا   فَلاَ عَدُوٌّ لَهَا يُقَارِبْ

كُنَّا سَمِعْنَا بِهِ وَكَانَتْ   أَبْصَارُنَا نَحْوَهُ تُرَاقِبْ

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾. سورة النجم؛ الآية: 9.

[2] في الأصل: ((منذ))؛ وهو تحريف يؤدي إلى خلل في الوزن؛ لذا فقد حذفنا النون؛ للتصويب.

فَجَــاءَ وَالسَّعْــدُ فِي صُعُــودٍ وَالغَيْــرُ تَحْتَ الشِّقَاعِ غَائِــبْ
وَالمُشْتَــرِي[1] مُشْــرِقٌ مُنِيــرٌ وَزُحَــلٌ[2] سَاقِــطٌ وَغَــارِبْ
عَــادَ بِــهِ المُلْــكُ فِي قَــرَارٍ وَابْتَــزَّهُ مِنْ يَــدِ الغَوَاصِــبْ
لَــهُ تَدِيــنُ البِــلاَدُ طُــرّاً فَــلاَ مَنَــاص وَلاَ مُنَاصِــبْ
وَالغَــرْبُ لَوْ أَمَّــهُ لأضْــحَى فِيمَــنْ بِــهِ تَنْــدُبُ النَّــوَادِبِي
لَكِنَّــهُ عَفَــا عَنْــهُ حِلْمــاً إِذْ كُلُّ مَنْ فِيــهِ عَنْــهُ نَائِــبْ
مُعْتَــدِلُ الحُكْــمِ فِي القَضَايَــا لَيْــسَ يُحَــاشِي وَلاَ يُجَانِــبْ
طَــوْدُ وَقَــارٍ وَبَحْــرُ عِلْــمٍ صَعْبُ الذُّرَى صَافِحُ الجَوَانِــبْ
مَنْ يَــرْوِ عَنْهُ الحَدِيثَ يَقْطَــعْ كُــلَّ بَلِيــغٍ وَكُــلَّ طَالِــبْ
وَحَوْلَــهُ مِــنْ بَنِيــهِ جَمْــعٌ شَوَاهِــنٌ[3] صَيْــدٍ صَوَائِــبْ
دَلاَئِــلُ المُلْــكِ قَــدْ تَبَــدَّتْ فِيــهِ رَآهَــا أُوْلُــو التَّجَــارِبْ
مِنْهُــمْ أَبُــو تَاشَفِيــنَ شَهْــمٌ لِلضَّرْبِ وَالطَّعْنِ غَيْرُ هَائِــبْ
فِي الحَزْمِ وَالعَــزْمِ لاَ يُبَــارَي وَالمَــالَ لِلْمُجْتَدِيــنَ[4] وَاهِــبْ

---

[1] هو أضخم كواكب المجموعة الشمسية. سمي بالمشتري لأنه يستشري في سيره؛ أي يمضي ويجدُ في سيره بلا فتور ولا انكسار. وهو ثالث الأجرام تألقاً في الليل؛ بعد القمر، والزهرة. وسماه الرومان جوبيتر.
[2] اشتق اسمه من الجذر "زَحَلَ" أي تَنَحَّى وتباعد. وربما سمي هكذا؛ بسبب بعده في السماء؛ إذ يعتبر سادس كوكب يبعد عن الشمس. وسماه الرومان: ((ساتورن)).
[3] شَواهين وشياهين: مفردها شاهين: طائر من فصيلة الصقور؛ له جناحان طويلان.
[4] جَدَا؛ جدواً عليه: أعطاه الجَدْوَى. اجتداه: أعطاه الجدوى. الجدوى: العطية.

وَكُلُّهُمْ ضَيْغَمٌ[1] مُهَابٌ   يَا وَيْحَهُ مَنْ لَهُمْ يُحَارِبْ

كَأَنَّهُمْ وَالإِمَامُ مُوسَى   بَدْرُ دُجَى حَوْلَهُ كَوَاكِبْ

وَافَى تِلِمْسَانَ وَهْي محْلٌ[2]   فَجَادَهَا صَيِّبُ السَّحَائِبْ

فَهْي بِهِ الآنَ ذَاتُ حُسْنٍ   مَنْظَرُهَا لِلْعُقُولِ سَالِبْ

عَادَتْ بِهِ جَنَّةٌ وَصارَتْ   في الغَرْبِ تَحْدُو لَهَا الرَّكَائِبْ

طَابَ لَعَمْرِي الهَوَاءُ فِيهَا   لِمَنْ في طَوْلِ[3] الإِمَامِ رَاغِبْ

شَيَّدَ بُنْيَانَهَا فَأَضْحَتْ   تُلْحَقُ بِالأَنْجُمِ الثَّوَاقِبْ

لاَ زَالَ يَسْمُو وَفِي يَدَيهِ   مَشَارِقُ الأَرْضِ وَالمَغَارِبْ

* * *

ـ وله أيضاً هذه القصيدة التي قالها خلال حفل بمناسبة المولد النبوي في بلاط أبي حمو الثاني سنة 760هـ/1358م:

أشهر ربيعٍ أنت ربيع قلبي   لقد كان الفؤاد إليك حاد

أتيت بسيد الثقلين طراً   وخير الخلق من آتٍ وغاد

---

[1] الضَّيْغَمُ: الأسد.

[2] المَحْلُ: الشدة والجدب والجوع الشديد وانقطاع المطر.

[3] الطَّوْلُ: القدرة والغنى والفضل والعطاء.

نـــبي هاشـــمي أبطـــحي[1]

سـرى لمليكـه والليـل هـــاد

حبـاه اللـــه بالسبـــع المثـــاني

وفضَّلـــــه عــلى كــل العبـــاد

محبَّتـــه لقــد علقـــت بقلــبي

بهـــا أرجـــوا نجـــاتي في المعـــاد

عليـــه صـــلاة خالقنـــا تعـــالى

إلى يـــوم ينادينـــا المنـــاد

صـــلاة دائمـــا تتـــرى عليـــه

وليـــس لهـــا وحقـــك مـــن نفـــاد

عباد اللـــه مـــن عـــرب وعجـــم

هلمّـــوا للصـــلاح وللرشـــاد

هلمـــوا للإمـــام فبايعـــوه

فـــإنَّ الحـــق خيـــر مِـــنْ [عِنـــاد][2]

---

[1] لكلمة أبطحي معان عديدة؛ غير أن الشاعر يقصد بها هنا؛ نسبة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بطحاء مكة. وقد أشار إليها شعراء كثيرون؛ مثل قول الزمخشري: ((إني إلى بطحاء مكة سائر))؛ وقول الفرزدق:
((هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)). ومع هذا فصيغة ((الأبطحي)) التي استعملها التلاسي؛ ليست لائقة في هذا المقام؛ لأن لها معان أخرى سلبية.

[2] في الأصل بزهر البستان: ((خير من العنـاد))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصحيح بحذف الألف واللام في كلمة((العنـاد)).

هـــو الـــزّابي الـــذي كنـــا سمعنـــا

تديـــن لـــه الحوضـــر والبـــواد

هو المذكـــور في الحدثـــان يفـــني

لمن في الأرض من أهـــل الفســـاد

هـــو المـــولى أبـــو حمـــو وقدمـــا

سنـــاء الملـــك كـــان عليـــه بـــاد

أتـــاه الملـــك عفـــواً دون حـــرب

وكـــان لغيـــره صعـــب القيـــاد

تلمســـانٌ بـــه حسنـــت وراقـــت

وصار لها الفخـــار عـــلى البـــلاد

إمـــام عـــادل شهـــم جـــواد

فهيـــا للصـــلاح وللســـداد

لطاعتـــه دعانـــا فاستجبنـــا

رعـــاه اللـــه مـــن ملـــك وهـــاد

فمـــن يـــأتي لبيعتـــه مطيعـــا

وإلاّ فالحســـام عليـــه عـــاد

يليـــن عـــلى الضعيـــف إذا رآه

ويسطـــوا بالفراعنـــة الشـــداد

لقـــد مَـــنَّ الإلـــه بـــه علينـــا

ونجانـــا بـــه مـــن كـــل عـــاد

لــه مــن عامــر جمــع تراهــم

أســود في الحــروب على الأعــاد

حمــوه وآزروه وناصحــوه

وهــم أنصــاره يــوم الجــلاد

إذا وعــدوا وفــوا وإذا ينــادي

[بذكراهــم][1] بلغــت إلى المــراد

وإن سالمتهــم نلــت الأمــاني

ووا أسفــا لمــن لهُــمُ يعــاد

وعبــد الــواد ســادات كــرام

بهم ما شئــت مــن بطــل جــواد

وأقسِــمُ لَيْــس في الدُّنيــا جميعــاً

سواهــم للســروج وللجيــاد

فكــم مــن كربــة بهِــمُ تَجلــت

شــدا بمديحهــم في النــاس شــاد

بــني زيــان عــاد الملــك فيكــم

بحــول اللــه قهــار العبــاد

فعيشــوا مــا دعــا للــه داع

بخيــرِ مَّا حــدى بالركــب حــاد

---

[1] كتب في الأصل بزهر البستان: ((بنكرهم))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

أنيلونـــا مِـــنَ النُّعمــــــا فإنَّـــــا
أُنـــاسٌ شأنُنَـــا حفــظ الــــوداد
فكـــم مـــن نعمـــة لكُـــمُ علينـــا
وكـــمْ لَكُـــمُ علَينـــا مـــن أيـــــاد
فـــلا زلنـــا رعيتكـــم وأنتـــــم
أئمتنـــــا إلى يـــــوم التنـــــــاد

* * *

ـ وهــذه قصيــدة رثــاء؛ قالهــا التــلاسي؛ في جنــازة والــد أبي حمــو: "أبي يعقــوب يوســف بــن عبــد الرحمـــن":

كأسُ الحِمام على الأنام تــدورُ   ما أنْ لها إلاّ القضـــاءُ مُديـــرُ
وكَذا الليالي لا وفاءَ لعَهدهـــا   إنْ أقسطتْ يوماً فسوف تجورُ
كمْ شتّت[1] منْ جَمْعِ شَمْلٍ لَم يكنْ   يخشَى الشَّتات وكلّ ذا مَشهورُ
إنْ أضحكت في يومِها أبْكتْ غداً   فالخيـــرُ مِنها إنْ أتَاكَ غُـــرورُ
فجعت بمَولانا الأمير وخلّفــتْ   في الدَّمعِ آماق الجُفونِ تغـــورُ
كنّـــا نؤَمِّـــلُ أنْ تَدومَ حياتُـــهُ   لَكِنَّـــه ثـــوبُ الحيـــاةِ قَصيـــرُ
رزءٌ ألَـــمَّ فَمـــا له منْ دافـــعٍ   أيُـــرَدُّ رزءٌ ساقـــه المقـــدورُ

---

[1] الأفضل للوزن ـ مع حفظ المعنى ـ لو كانت: ((كم انشت))؛ لأن انشت تعني: تفرق.

مَولايَ يوسفُ والدُ الخلفَا الذي مَنْعَاهُ خطبٌ في الوجودِ كبيــرٌ

ضَجَّتْ لمَصرَعهِ الخلائقُ ضَجَّةً كادت بها مِنَّا القلــوبُ تَطيــرُ

كادتْ تــزولُ الرَّاسياتُ لفقْــدهِ والشمسُ تُكْسَفُ والسماءُ تَمورُ

قبلَ المماتِ نَظمتُ فيه مَدائحــاً يقفُ الحُطيْئــةُ دُونها وجَريــرُ

والآنَ أُرثيــهِ وأبْكيــــهِ بمــا يَبْـدُو ولِلْخَنْســاءِ فيهِ قُصــورُ

يا حامِليــهِ قِفــوا علينا وقْفَــةً تُشفَى بها قَبلَ المَماتِ صـُـدورُ

رُدُّوا الذي حازَ المكارمَ والعُلَى بَحْرُ النَّدَى يَحْيَى بهِ المَعْمــورُ

بكــتِ الأَرَاملُ واليتامَى بعــدهُ إذْ ما لهُ بيــنَ الكــرامِ نظيــرُ

لقدومِهِ جَنَّاتُ عَــدْنٍ زُخرِفَــتْ وتَشوَّفَــتْ وِلْدانُهــا وَالحُــورُ

مولاي يا موسَى الذي بِسُعــودِهِ قَهْــرُ الطُّغاة وجَيْشُــهُ مَوْفــورُ

اصبْرْ إذا جاءَ الزَّمانُ بحــادثٍ إنَّ التَّصبُّــر سَعْيُــهُ مَشْكُــورُ

هَوِّنْ عَلَيْكَ أذَى الخُطوبِ فإنَّما أنت الأميرُ ودَهْــرُكَ المَأمــورُ

لا تأخُذِ الزَّمَنَ المُسيءَ بِفِعْلِــهِ وَاصْفَحْ فَإنَّكَ بالأمــورِ خبيــرُ

إنْ كانَ صرْفُ الدَّهْرِ فيهِ مُذْنِباً فَبَقــاءُ مِثْلِــكَ بَعْـدَهُ تَكْفيــرُ

مَنْ أنْت تَخْلُفُــه فَحَيٌّ لمْ يَمُــتْ حَقــاً يَقينــاً أيُّهــا النَّحْريــرُ

وفَيْــت حَقَّ أبيــكَ بعدَ وفاتِــهِ إنَّ القيــامَ بحقِّـــهِ لَبـــرُورُ

يا أيُّهــا المَلِــكُ الــذي أيَّامُــهُ قَدْ أقْبَلَــتْ ولِــواؤُه مَنْصــورُ

هَنَّاكَ ربٌّ العَــرشِ ما خُوِّلتَــهُ في المَغربَيْنِ الأمْــرُ والتأميــرُ

ما لِلزَّمــانِ فَضيلَــة إلاّ بكــمْ إنَّ الزَّمــانَ إليكــمُ لَفقيــــرُ

وبَقيت لا تفْنَى ولا تَخشَى رَدَى وجَميعُنــا بِبقائِكــمْ مَسْــرُورُ

أبْقَــاكَ ربٌّ العرشِ فينا دائمــاً   تَحْمي البلاد وسَعْدُكَ المَوْفــورُ
ثم السَّـــلامُ عليكَ يا مَنْ ذِكْــرُهُ   بينَ المُلــوكِ مُعَظَّــمٌ مَشْهــورُ

* * *

ـ وفي المولـد النبـوي الشريـف؛ الـذي حـلّ في عـام 767هـ/1365م؛ شـارك التـلاسي في إحيـاء هـذه الذكـرى المباركـة بهـذا الموشـح:

لِي مَدْمَــعٌ هَتَّـــانْ * يَنْهَــلّ مِثْــلَ الــدُّرَرْ
قَــدْ صَيَّــر الأجْفَــانْ * مــا إنْ لَهَــا مِــنْ أَثَــرْ

*****

حَــقٌ لَـــهُ يَجْــرِي* دَماً علَى طُولِ الدَّوَامْ* مذْ جَدَّ في السَّيْرِ
نَاسٌ إلَى خَيْرِ الأنَامْ* عافني وزري[1]* يَا صَاحِ عَنْ ذَاكَ المَقَامْ

*****

وَسَــارَتِ الأظْعَــانْ * يُحْــدَى بِهَــا في السَّحَــرْ
فَاستَبْشَـــر الرُّكْبَــانْ * بِقُــرْبِ نَيْــلِ الوَطَــرْ

*****

يَا سَعْــدَه مَنْ زَارْ * قَبْرَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى * مُحَمَّدِ المُخْتَــارْ

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((وعاقني وزري)).

قُطْبِ المَعَالِي وَالوَفَا* في مَدْحِهِ قَدْ حَــارْ * الخَلْقُ طُراً وكَفَى

*****

فِي مُحْكَــــمِ القُـــرْآنْ * وَشَرْحِــهِ وَالسِّيَــرْ
فَضَّلَـــــهُ الرَّحْمَـــانْ * على جَميعِ البَشَــرْ

*****

يا حَـــادِيَ الرَّكْــبِ * بِالله إِنْ جِئْت البَقِيــعْ* تَحِيَّةَ الصَّبِّ
بَلِّغْ إِلَى الهَادِي الشَّفِيــعْ* غَرِيبٌ[1] بالغَرْبِ* عَنْ نَلِكَ المَغْنَى الرَّفِيعْ

*****

وَلَيْــسَ لي إمْكَـــانْ * يُنهِضُـــنِي لِلسَّفَـــرْ
إلاَّ مِـــنَ السُّلْطَـــانْ * المَلِــــكُ المُظَفَّـــرْ

*****

مَنْ لَمْ يَــزَلْ يَسْمُــو* إِلَى المَعالي كُلَّ حِينْ* ذَاكَ أَبُو حَمُّو
أعْنِي[2] أمِيرَ المُسلِمِيــنْ* طَاعَتُــهُ غُنْــمٌ * نِلْنَا بها[3] دُنْيَا وَدِينْ

*****

أظْهَــرَ في البُلْــدَانْ * مِــنْ عَدْلِــهِ المُشْتَهَــرْ
وَعَــمَّ بِالإحْسَـــانْ * لِلْبَــدْوِ ثُــمَّ الحَضَــرْ

*****

[1] في أزهـار الريـاض: ((غُرِّبْتُ)).
[2] نفسـه: ((المـولى)).
[3] في بغيـه الـرواد: ((بـه)).

قَابَلَــهُ إسْعَــادْ * تَكِـلُّ عَنْهُ الألْسِنهْ * قَبِيــلُ عَبْدِ الــوَادْ
بِهِ غدَتْ في سَلْطَنَهْ* أَيَّامُـــهُ أعْيَــادْ * يَا لَيْتَها ألفَيْ سَنَهْ
*****
مُلْــكُ بَــنِي زَيَّــانْ * بِالمَشْــرَفِيِّ الذَّكَــــرْ
أحْيَــاهُ إذْ قَــدْ كَــانْ * لَيْــسَ لَــهُ مِــنْ خَبَــرْ
*****
تَاهَــتْ تِلِمْسَــانْ * بِمُلْكِهِ عَلَى البِــلاَدْ* صَــارَ لَــهُ شَــانْ
وَسَعْدُهُ في ازْدِيادْ[1] * قَدْ ضَــلَّ إنْسَــانْ* قَالَ بِهَا يَشْكُو السُّهَادْ
*****
ليلُ الهَــوَى يَقْظَــانْ * وَالحُــبُّ يَرْبُــو[2] السَّهَــرْ
والصَّبْــرُ لِي خَــوَّانْ * والنَّــوْمُ مِنْ عَيْنِي بَــرِيء
* * *

ـ قــال التــلاسي هــذا الموشــح؛ في سنـــة 762هــ/1360م؛ كالعــادة بمناسبــة إحيــاء المولــد النبــوي الشريــف:

يا وَيْحَ صب بان عنه الشبابْ *وأوْدَعَ * لهيبَ وَجْدٍ عِندَما وَدَّعوا
أوْدَى بــه الوَجْـدُ وفَــرْطُ الجَــوَى
وهَــدَّ منـــه الشَّيْــبُ كــلَّ القِــوَى

---
[1] **في أزهـار الريـاض: ((وسعدهـا حلـف ازديـاد)).**
[2] **نفسـه: ((يَـرِب)).**

ولاَ لَــهُ   ممـــا   اعْــتَــراهُ   دَوَا

مَنْ فَقَدَ الخِلاَّنَ مِثْلي وشَابْ * مَا يَنْفَعُ * إلاَّ لَيالي الوَصْلِ لَوْ يَرْجِعُ

آهٍ   لأيـــامِ   الصِّبَــا   لَــوْ   تَعُــودْ

كَــأنَّ بِهــا قَــدْ لاَحَ بَــدْرُ السُّعُــودْ

تَــرَى بِهَــا رَيْــبَ الزَّمَــانِ يَعُــودْ

لَهْفِي عَلَيْهَا ما لَها مِنْ إيَابْ * فالأدْمُعُ * تَنْهَل والأجْفانُ لاَ تَهْجَــعُ

ذِكْــرِي   لأيَّــامِ   الصِّبَــا   لاَ   يُفِيــدْ

فَمَــدْحُ   مَوْلاَنَـــا   الإمَــامِ   السَّعِيــدْ

أوْلَى وَأحْــرَى فَهُــوَ بَيْــتُ القَصِيــدْ

لهُ مُلوكُ الأرْضِ طُرًّا تَهَابْ * وتَخْضَعُ * منْ مِثْله حَقٌّ لها تَجْــزَعُ

إنْ ذُكِــرَ   الأجْــوادُ فَهُــوَ الغَمَــامْ

أو عُــدِّدَ   الأبْطَــالُ فهُــو الهُمَــامْ

أو سَألــوني قُلْــتُ مُــوسَى الإمَــامْ

المَاجِدُ الأسْمَى المَنيعُ الجَنابْ * الأمْنَعُ * عَنْ مُلْكِهِ الثَّابِتِ لاَ يُدْفَــعُ

أهْــلُ   تِلِمْســانَ   بِــهِ   آمِنيــنْ

أكْــلٌ   وشُــرْبٌ   وقَــرارٌ   مَعيــنْ

قَــالَ بِهــا شَخْــصٌ مِــنَ التَّائبيــنْ

لاَشْ يَحْسِدوني وِيقُولْ لِي تَابْ * إشْ يَطْمَعُ * أنِّي كَنَتْرُكْ عَشْقِي أوْ نَقْطَعُ

* * *

ـ فمما قاله سنة 760هـ/1358م؛ في حفل بالمشور؛ حضره السلطان أبو حمو موسى الثاني؛ إحياء لذكرى الميلاد النبوي الشريف:

تُرَى هلْ يُردُّ الصبَّا بالوَسائل فَدمعِي مُذْ بانَ هامٍ وسائلْ
وهلْ لِزَمانٍ مضى رجْعة كَعَهدي بهِ أتُرَى الدَّهْرُ فاعِلْ
بَدَا الشَّيْبُ في مَفْرِقي قادِماً فَقالَ السُّلُوُّ أنا عَنكَ رَاحلْ
فَها أنا أبْكي لفقدِ الشَّبابَ وعَصرِ التَّصابي بُكاءَ الثَّواكِلْ
ولَيس البُكاءُ على فَقْدِهِ ولَكِنْ لِتَضيْيعِ عُمْرِيَ باطِلْ
مَضَى ضائعاً في عَسَى ولَعَلَّ وحَتَّى وَسَوْفَ اعتِذار المُماطِلْ
أطاوِعُ نَفْسي في غَيِّها وأمْسي عنِ الرُّشْدِ لاهٍ وغافِلْ
فيا وَيْحَ نَفسي كَمْ ذا تُرَى تُطيعِ الغُواة وتَعْصي العوادلْ
وكمْ ذا اغْتِرارٌ بطولِ البَقا ولمْ يَتَبَقَّ مِنَ العُمْرِ طائلْ
فَمَنْ مُنْصِفي أو لِمَنْ أشْتَكي ودَهْري غَدا لِيَّ حَرْباً مُقاتِلْ
وهَلْ مِنْ دَواءٍ وهل مِن شِفاءٍ ولَسْتُ لِشيءٍ من النُّصْحِ قابِلْ
شَكَوْتُ إليكَ إلَهي عَسَى تمنُ وتسمحُ بالتوبِ عاجِلْ
وتَصفحُ عن زلَّتي إنَّني أتَيتُ ذليلاً بابكَ سائلْ
فما لي سواكَ وأنت الإلهُ الذي لا تَخيبُ لديهِ الوسائلْ
تَوَسَّلْتُ بالهاشمِيِّ الذي بعثت رسولاً فأدَّى الرَّسائلْ
نبيُّ الهُدَى خاتمُ الأنبياء شفيعُ العُصاةِ وزَيْنُ المَحافلْ
عظيمُ الجلالِ كثيرُ النَّوالِ كريمُ الفعالِ وبالحق قائلْ

أتانَــا ربيـــعٌ بشيــراً بــهِ فَحـقّ رَبيـعٍ على كلٍّ عاقــلْ
فَحُيِّيــت يا شَهــر مــن قــادمٍ ســرور قدومكَ للخلقِ شامــلْ
أتيــت بمــنْ جاءنــا بالهُــدَى وبالمُعْجِــزاتِ أتَى والدَّلائِــلْ
له المعجزاتُ التي ليسَ تُحْصى ومنْ قال تُحْصى فَدَعْواه باطِلْ
تَخَيَّــرَهُ اللــهُ مــنْ أمَّــةٍ تخيَّرهــا منْ جميــعِ القبائــلْ
فيا حَادِيَ الرَّكبِ إنْ جئت أرضاً بها سَيِّــدُ الخلقِ ثاوٍ ونــازلْ
وأبْصَرت نَجْداً وعايَنْت سِلْعــاً[1] وتلكَ المَغــاني بها والخمائِــلْ
فَقِــفْ عِندَ باب السَّلام[2] تَــرَى ضَريحَ نَبِيٍّ الهُدَى دُونَ حائِــلْ
فَبَلِّــغْ سلامي وبُحْ ثَــمَّ باسْــمي ولا يَشْغلنَّــكَ عنْ ذاكَ شاغِــلْ
لَعَــلِّي أكــونُ لــهُ زائِــــراً بِعَــامِي هَــذا أوِ الْعَــامِ قابِــلْ
أُعَفِّــرُ خــدِّي في يَثْـــرِبَ وأذْري هناكَ الدُّموعَ الهَوامِــلْ
وأستَغْفِــرُ اللهَ منْ كــلِّ ذنــبٍ نَدِمْتُ لَه وعَضَضْتُ الأنامِــلْ
وأدْعــو بِنصْــرِ إمــامَ الهُــدَى حِمى المُسْتَجيرِ وقُطْب الفَضائلْ
مُبيــد الطُّغــاةِ ومُفْــنِي العُــداةِ وكَنــز العُفاة وكَهْف الأرامِــلْ
فذلــكَ مــوسَى الإمــامُ الــذي محَــا عنْ رعيَّتــه كلَّ باطِــلْ
تَحَــلَّى به المُلْــكُ دُرّاً نَفيســاً ومازال مُــذْ كانَ لِلْخَيْرِ فاعِــلْ
أنَاف وأرْبَى على مــن سِــواهُ فَما في المُلــوك لهُ من مُماثِــلْ

---

[1] نجد: هي الهضبة الممتدة شمال شرق المدينة المنورة؛ وهي بعيدة عنها. أما سَلع: فهو جبل بالمدينة.
[2] باب السلام: أحد الأبواب الأمامية للمسجد النبوي بالمدينة المنورة؛ وهو يؤدي مباشرة للروضة الشريفة، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وإنَّ الكـــــرامَ إذا جمعُـــوا فكانوا حيًا كان جَـدواه وابـــلْ
وفي طبعهِ من بديعِ الصِّفَــاتِ عَفَــافٌ وحِلْـمٌ وبَــأسٌ ونائِـــلْ
وسُبْحَـــانَ لـــو رآه لانثـــني يعيـــره بالفهاهـــة[1] باقـــــلْ[2]
فَـــوَفَّى الخَلافَـــةَ أشْراطَهــــا وعَـــدَّل منْ أمْرها كلَّ مائِـــلْ
فَبُشراهُ بالنَّصرِ والفَتْــحِ حــتَّى تَدِيــن البِــلادِ لَـــهُ والقَبائِـــــلْ
حَلَلْــت منَ المُلْكِ أسْنَى مَحَــلِّ رحِمْت يتيمـــاً وأغْنَيْت عائِـــلْ
وجِئْـــت تِلِمْســـانَ وَالمُشْتَـــرِي تَبَـــدَّى وكَيِـــوانُ بِالغَرْبِ آفِـــلْ[3]
قَـــدِ افْتَخـــرَتْ حيـــنَ مَلَّكْتَهـــا وحَصَّنْتَهـــا بالقِـــنَى والقَنابِـــلْ[4]
دَعِ الْمُعْتَديـــنَ فمـــا ظَفِـــرَتْ يَداهُـــمْ بما قَدْ حَوَتْـــهُ بِطائِـــلْ
فَـــلاَ زالَ أمْرُكُـــــمُ نافِــــداً ومُلْكُكُــمُ ثابِتـــاً غَيــر زائِـــلْ

***

[1] الفهاهـة: الـعيّ.
[2] هـذا البيـت مختـل الـوزن والمعنى.
[3] كوكـب المشتـري: هـو زيـوس (Zeus) بالإغريقيـة وجوبيتير (Jupiter) عنـد الرومـان. وهـو أكبـر الكواكـب وألمعهـا. يمكـن مشاهدتـه في الجهـة الجنوبيـة الشرقيـة. أمـا كوكـب كيـوان: فهـو كوكـب زحـل. وكيـوان تسميـة فارسيـة؛ أمـا الإغريـق والرومـان فسمـوه: فرونـس؛ بينمـا يسـمى لـد الهنـود: شنشـر. وفي علـم البـروج يتـم صلاحـه بالمشتـري؛ إذ يحـول طبيعتـه إلى الخيـر، ويحـل مـا يعقـد من الشر. ولهـاذا ربـط الشاعـر بيـن الكوكبيـن.
[4] القنابـل: هنا مفردها القَنْبَل والقَنْبَلَة: وهي الطائفة من الناس أو الخيل.

ـ وهـذا الموشـح؛ قالـه التـلاسي ـ أيضـاً ـ في سنـة 763هـ/1361م؛ ببـلاط السلطـان أبي حمـو في تلمسـان؛ وذلـك بمناسبـة إحيـاء يـوم الميـلاد الكريـم:

سخي أيا مُقلتي وأنْهَـلي * بدَمْعكِ الواكِفِ المنْهَـلِ

علَى شَبـابي الـذي قـدْ ولَّى

آهِ لَقـدْ بـانَ واضْمَحَـلاَّ

فَهلْ لِقَلْبي الشَّـجِيِّ أنْ يُسَـلَّى

ما في الذي نالَني ما يُستَلُ * فَقْدُ الشَّبابِ وفَقْـدُ الأهْـلِ

بـانَ الحَبيـبُ ووافَى الشَّيْـب

فَكَيْـف يَسْلـو بِهـذا القَلْـب

تُـرَى لِمـا قَـدْ دَهـاني طِـب

ما لي وحَقِّ الهَوَى مِنْ مِثْلِ * لاَ في انْتِحابي ولاَ في شَكْلِ

تَرْكي لِذِكْـرِ الصبّـا أولَى لي

ومَدْحُ موسَى الـرّضى أسْما لي

مِنْ خُـصَّ بالفَضْلِ والأفْضـالِ

شَهْمٌ جَـوادٌ كَثيرُ البَـذْلِ * بِهِ اعْتِصامُ الوَرَى في المَحْلِ

بِـهِ تِلِمْسـانُ ذاتُ الحُسْـنِ

فيمـا اشْتَهَتْ مِنْ مُنَى وَأَمَـنِ

بَغْـدادُ شَوْقـاً لَهـا تُغَنِّـي

أجْزَتْ لَنا مِنْ دِيارِ الخِـلِّ * رِيحُ الصَّبا عافِراتِ الذَّيْـلِ

يـــا أيُّهـــا المَلِـــكُ المَنْصـــورُ

يـــا مَنْ لَـــهُ الأمْـــرُ والتَّأميـــرُ

بِنَصْرِكُـــمْ قَدْ جَـــرَى المَقْـــدورُ

في مَدْحِكُمْ يا زَكِيَّ الأصْلِ * يَدي تَخُـــطُّ وقَلْبي يُمْـــلي

* * *

ـ هــذه قصيــدة في مــدح تلمســان؛ وردت في الجــزء الأول مــن بغيــة الــرواد؛ وفي نفــح الطيــب ج: 7.

سَـــقَى اللهُ من صَوبِ الحَيا هاطلاً وبْـــلاَ

رُبُـــوعَ تِلِمْســـانَ التي قَدْرُهـــا اسْتَعْـــلَى

رُبُـــوعٌ بهـــا كـــان الشَّبـــابُ مُصاحِـــبي

جُـــرِرْتُ إلى اللَّـــذَّاتِ في دارهـــا الذِّيـــلاَ

فَكَـــمْ نِلْـــتُ فيهـــا مـــن أمَـــانٍ قصيـــةٍ

وكمْ مَنَـــحَ الدَّهْـــرُ الضَّنِيـــنِ[1] بِها النَّيْـــلاَ

وكـــمْ غازَلَتْـــني الغِيـــدُ فيهـــا تلاعبـــاً[2]

وكـــمْ[3] من عـــذولٍ لا أطيـــع لـــه قـــولاَ

وكـــمْ لَيْلَـــةٍ بِتْنـــا عـــلى رَغْـــمِ حاســـدِ

نُديـــرُ كُؤوسَ الوَصْلِ إذْ بالصَّفَـــا تُمْـــلاَ

---

[1] في نص: ((المنيف)).

[2] في بغية الرواد: ((تَدَلُّلاً)).

[3] نفسه: ((وكل عذول)).

وكـــمْ لَيْلَـــةٍ بِتْنَـــا بِصَفْصِيفِهَـــا الــذِي

تَســـامَى على الأنْهـــارِ إِذْ عَـــدِمَ المُثْـــلاَ

وَكُدْيَـــةُ عُشَّـــاقٍ لَهـــا الحُسْـــنُ يَنْتَـــهي[1]

يَعُودُ المُسِـــنُّ الشَّيْخُ من حُسْنِهـــا طِفْـــلاَ

نَعَمْ، وَغديـــرُ الجُـــوزَةِ السَّالِـــبُ الحِـجَى

نَعِمْـــتُ به طِفْـــلاً وَطِبْـــتُ[2] بـــه كَهْـــلاَ

ومِنْـــهُ ومِـــنْ عَيْـــنِ أمٍّ يَحْـــيَى شَرابُنَـــا

لأَنَّهُمـــا في الطِّيـــبِ كَالنِّيـــلِ بَلْ أحْـــلَى

وَعُبَّادُهـــا مـــا القَلْـــبُ نـــاسٍ ذِمامَـــهُ

بِـــهِ رَوْضَـــةٌ لِلْخَيْـــرِ قَدْ جُعِلَـــتْ حِـــلاًّ

به[3] شَيْخُنَـــا المَشْهور[4] في الأرضِ ذِكْـــرُهُ

أَبُـــو مَدْيَـــنٍ أَهْـــلاً بـــه أَبَـــداً[5] أَهْـــلاَ

لَهَـــا بَهْجَـــةٌ تُـــزْرِي عـــلى كـــلِّ بَلْـــدَةٍ

بِتَـــاجٍ عَلَيْهـــا كَالْعَـــرُوسِ إذا تُجْـــلَى

فَيـــا جَنَّـــةَ الدُّنْيَـــا الـــتي رَاقَ حُسْنُهَـــا

فَحَـــازَتْ على كلِّ البِـــلاَدِ بِـــهِ الفَضْـــلاَ

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((مُنْتَـهَى)).
[2] في نفـح الطيـب: ((همـت)).
[3] في بغيـة الـرواد: ((بهـا)).
[4] في نفـح الطيـب: ((المذكـور)).
[5] نفسـه: ((دائمـاً)).

وَلاَ عَجَــبٌ أنْ كُنْتِ في الحُسْــنِ هَكَــذَا

وَمُوسَى الإمَامُ المُرْتَضَى فِيــكِ قَدْ حَــلاَّ

وَلاَحَــتْ لَدَيْنَــا فِيــكِ مِنْــهُ مَحاسِــنٌ

كَأنَّ سَناهــا حاجِــبُ الشَّمــسِ إذ جَــلَّى[1]

مُطَــاعٌ شُجَــاعٌ في الــوَغَى ذُو مَهابَــةٍ

حُســامٌ على البَاغِينَ في الأرْضِ قَدْ سُــلاَّ

كَرِيــمٌ حَلِيــمٌ حاتَــمِيٌّ نَوالُــــهُ

سَعِيــدٌ حَمِيــدٌ يَصْــدِقُ القَــوْلَ وَالفِعْــلاَ

لَــهُ راحَــةٌ كَالغَيْــثِ يَنْهَــلُ وَدْقُهَــا

وَصَارِمُ نَصْــرٍ مُرْهَفِ الحَــدِّ، وَلاَ[2] فُــلاَّ

هُــو المَلِــكُ الأرْقَى هُوَ المَلِــكُ الأرْضَى[3]

هُوَ المَلِــكُ الأسْــنَى هُوَ المَلِــكُ الأعْــلَى

وَمَــنْ هَــذِهِ الأوْصَــافُ فِيــهِ تَجَمَّعَــتْ؟

حَقِيقــاً على كُــلِّ المَعَــالِي قَدِ اسْتَــوْلَى

إمَــامٌ حَبَــاهُ اللَّــهُ مُلْكــاً مُــــؤَزَّراً

فَــلاَ مَلِــكٌ إلاَّ لِعِزَّتِــــــهِ ذُلاَّ

---

[1] في بغية الرواد: ((أو أجلى)).
[2] في نفح الطيب: ((لا))؛ بدون الواو.
[3] نفسه: ((الرَضِي)).

مِــنَ الــزَّابِ وَافَانَــا عَزِيــزاً مُظَفَّــراً

يَجُــرُّ مِــنَ النَّصْــرِ المَنُــوطِ بِــهِ ذَيْــلاَ

بَــدَتْ لِمَلِيــكِ الغَــرْبِ شِــدَّةُ بَأْسِــــهِ

وَإِنْعامِــــهِ لِلْمُعْتَفِيــنَ وَمَــــا أَوْلَى

فَبَــادَرَهُ بِالصُّلْــحِ خَــوْف فَوَاتِــــهِ

وَسَالَمَــهُ إِذْ كَــــانَ ذَاكَ بِــهِ أَوْلَى

فَكَــانَ بِحَمْــدِ اللهِ صُلْحــاً مُهَنَّــــأً

بِــهِ طَابَــتِ الدُّنْيَــا وجُزْنَــا بِهِ السُّبْــلاَ

لَــهُ فِي المَعَــالِي رُتْبَــةٌ لاَ يَنَالُهَــــا

سِــوَاهُ وكُتْــبٌ فِي فَضَائِلِــــهِ تُتْــلَى

لِطَاعَتِــهِ كُــلُّ الأَنَــامِ تَبَــــادَروا[1]

فَيَــا سَعْــدَ مَنْ وَافَى وَيَــا وَيْحَ مَنْ وَلَّى

أَحُسَّــادَهُ مُوتُــوا فَــإِنَّ قُلُوبَكُــــمْ

بِجَمْــرِ الغَضَــا مِمَّا بِهَــا أَبَــداً تُصْــلَى

لَقَــدْ جَبَــر اللهُ البِـــلاَدَ بِمُلْكِــــهِ

بِــهِ مُلِئَــتْ أَمْنــاً، بِــهِ مُلِئَــتْ عَــدْلاَ

فَــلاَ زَالَ هَــذَا المُلْــكُ فِيــهِ مُخَلَّــــداً

وَصَارِمُــهُ الأَمْــضَى وَخَادِمُــهُ الأَعْــلَى

***

---

[1] **في نفح الطيب: ((تبـادرت)).**

ـ وفي سنة 765هـ/1363م؛ شارك التلاسي في إحياء المولد النبوي الكريم؛ في بلاط السلطان أبي حمو بتلمسان؛ فقال هذه القصيدة[1]:

أأصبْو ورأسي بالمشيبِ غدا حال	وحال لذاك الشيب لما بدا حالِي
وكيف لمثلي بالتصابي وبالهوى	وهل للتّصابي أن يمر على بالِي
وعنِّي شبابي قد تولَّى وقد مضَى	فقلبِي منه لاَ هَنِيءٌ ولاَ سالي
علا مفرقي جيش المشيب فها أنا	جديد شبابي مذْ أَلَمَّ به بالي
نفائس أنفاس الشباب قد انقضت	وما لِي من بعد الشبيبة من مالِ
ونادَى لسان الحال شمّر إلى متى	تُرَى غير ناس للتصابي ولا قالي
فحرَّمت سلواني وحزني أبحته	وقلت لنفسي قد دنا عنك ترحالي
فجدِّي بحزم في نجاتك وانظري	بعزم لما فيه الصلاح لأحوالي
ألا فارحلي قصدا لطيبة وانزلي	بها قبل أن أقضى وترفع أعمالي
تقدم أقوام لتقبيل تربها	وأصبحت تسعى في عناء وتضلال
أمن بعد أنس كان لي بجوارها	فأبلست يا وَيْحي لسَيِّءِ أفعالي
ترفق خليلي إن إنسا فقدته	جدير بأن أبكي عليه ويبكي لي
أشيِّع ركبا بعد ركب لطيبة	ويقعدني غَيِّي وكثرة آمالي
بقرب رسول الله طاب ترابها	وأضحى لها جيد بأنواره حالي
نَبيٌّ كريم شرف الله قدره	وفضله في القبل والبعد والحال

[1] نظمت هذه القصيدة بشكل مغاير في بغية الرواد وزهر البستان..

نَــبيٌّ به سُدْنَــا على كل أمـــة　فلا أمـــة إلا لنـــا تحـــت إذلال

سما لإلهِ العرش واللَّيْــلُ ألْيَــل　من المسجد الأقصى إلى المُرتقَى العـــالي

لمولده نور على الأرض قد بـــدا　غدا دونه بدر الدجى دون إكمال

نجونا به من كل خطب يروعنا　وأنقذنا من كل خوف وأوجـــال

هو المصطفى ساد الأنام وقدره　على كل مخلوق نطقت به عالي

حليم رحيـــم مؤثـــر　متفضـــل　رؤف عطوف مانح دون تسئال

ربيـــع بشيـــرا للأنام أتى　بـــه　فكل ربيع فيه راحـــة إعـــلال

وهل من شفيع غيره يرتجى إذا　عرى الناس سكر من عذاب وأهوال

بأمداحه يا نفس لـــوذي　فإنهـــا　شفائي من وعك الذنوب وإيلالي

فمن رام أن يحصي فضائل أحمد　فذلك شئ لا يمـــر على بـــالي

عليه صلاة تملأ الأرض والسما　يحط بها وزري تخفف أثقـــالي

وبعد الرضى عنه وعن آل بيته　وأصحابـــه أهل الفضائل والآل

أقـــوم وأدعـــو للخليفـــة　إنـــه　لخير إمام في ذرى شرف　عال

على الله في أحوالـــه　متوكـــل　وما إن له إلاّ التوكّـــل من حال

يشيِّـــد أمر الملك طول نهـــاره　وإن جنَّه الليل البهيم يُرَى تـــال

فكل امرئ يأتيه يطلـــب نائـــلاً　يعـــود غنيا مثريا بعد　إقـــلال

وصارِمُهُ أسْـــدُ الكفاح　تخافـــه　فهـــا هو قتّـــال به كـــل قتّـــال

أنارت معاليـــه وأشرق فضلـــه　كبدر تبدّى　للورى بعد إهـــلال

وأوجد عبد الواد بعد　دثورهـــا　وأظهر رسما دارسا بعد　إمحال

تلمساننا أضحـــت به　وبيمنـــه　تتيه على فاس الجديدة والبـــالي

فنحن به في طيب عيش وغبطة   وتجديد أفراح وفسحـــة آمـــال

قبائل عبد الـــواد سعدكـــم بـــدا   ودولتكم عادت إلى أشرف الحال

ولست أراها تنقضي عنكمُ ولا   تزالون فيها في نعيم وإفضـــال

وموسى أمير المؤمنين مؤيّـــد   بنصر وتمكيـــن ويمن وإقبـــال

فها أنا مـــذ بايعتـــه وخَدَمْتُـــه   أجُرُّ على أهل البسيطة أنيـــالي

فإن نالني منـــه قليـــل عنايـــة   فما هذه الدنيـــا وحقـــك إلاّ لي

* * *

ـ وهـــذا الموشـــح؛ قالـــه التـــلاسي ـ أيضـــاً ـ بمنابـــة الاحتفـــال بالملـــد النبـــوي؛ في عـــام 766هـــ/1364م.

قلبي المبلّى له أوار * والجسم أودى به السقام

لما تولى الشباب عني * واستشعرت نفسي الحمام

*****

لما رأيت الشباب ولى * أذريت دمعي على الشباب * إذ عهده بان و اضمحلا

وليس يرجى له إياب * فقلـــت يا نفس ليـــس إلا * إن تسألي الفوز والمتاب

*****

فإن شيب الفـــتى وقـــار * تقبـــح مهمـــا بدا الأثـــام

يا نفـــس بادر دع التأني * فإنمـــا عيشنـــــا منـــام

*****

من لي برد الصبا ومن لي* هيهات لا يرجع الصبا* قد كنت فيه وكان شملي
يا صـــاح غضـــا وطيبـــا* فكيف لي عنه بالتسلي* والصبر عن طاعتي أبا

*****

لأجلـــه أدمـــعي غزار * تنهـــل سكبا على الدوام
الحـــال هذا وإن جفني * بالسهد لا يعـــرف المنام

*****

دع عنك ذكر الصبا وبادر * يا نفس للحج وأقلعي* واجتهدي وأتركي المعاذر
وجددي السير واســرعي * لعل أن تسعد المقدار* لــك بخيــر واسمــعي

*****

أما ترى العشقين ساروا * وركبهـــم قاصـــدا أمـــام
حاديهم دائمـــا يغـــني * هبـــوا إلى الكعبة الحـــرام

*****

يا من على الحج كان عازم* و راعه دربه البعيــد* أعدل إلى كعبة المكارم
كف الإمام الرضى السعيد * موسى الذي شاع بالأقالم* تتسى به دولة الرشيد

*****

لنـــا بسلطانـــه فخـــار * بـــاد على سائـــر الأنـــام
كل لســـان عليه يثـــنى * شرفـــه اللـــه مـــن إمـــام

*****

ملوك ذا العصر ما رأينا* فيهم لعلياه من مثال* إحسانه دائم علينـــا
ماض ومستقبل وحـــال* عبادة لو أتى إلينـــا* لما بكى أهله وقال

*****

شطت بأحبابنا الديـــار * فـــلا قـــرار ولا منـــام
يا لائمي في البكاء دعني* بالله لا تكثـــر المـــلام

* * *

محمد بن احمد
الحسني المعروف بابي يعلى (ابو عبد الله)

وواضح؛ أنه شخص آخر؛ غير الفقيه العالم محمد بن أحمد بن علي الشريف الحسني صهر أبي حمو؛ والمدرس بالمدرسة التي بناها من أجله السلطان أبو حمو؛ بالقرب من ضريح والده أبي يعقوب. وكما هو واضح في زهر البستان. وعليه؛ يكون محمد بن أحمد الحسني ـ ابن يعلى ـ قد عاصر عهد السلطان أبي حمو؛ بدليل قصيدته هذه التي ألقاها ببلاطه؛ خلال الحفل المنعقد بمناسبة المولد النبوي الشريف في عام **760هـ/1358**م. ولم يرد فيما توفر من مراجع؛ ما يفيد ويضيف شيئاً بخصوص صاحب الترجمة هذه. وكل ما عرف حتى الآن؛ هي الترجمة المقتضبة الواردة في كتاب درة الحجال؛ ضمن الترجمة رقم: 615؛ كما يلي:

((محمد بن يَعْلَى الشريف الحسني أبو عبد الله. أخذ عن منديل بن أبي آجروم [مؤلف الأجرومية] **وغيره. له شرح على المقدمة الجرومية**

[الأجرومية]؛ سماه "الدرة النحوية في شرح معاني الجرومية")):

ظَهَرَتْ فَأَظْهَرَتِ السُّرور الأبْكَـرا

وسمت فأخفضت الهلال الأزهـرا

ورقـت معـالي سيمـة[1] علويـة

ما كان أعلا مـا علتـه وأشهـرا

للـه صبـح صبيحـة ميمونـة

أبـدت بفضـل الله نـورا نيـرا

يا خيـر ذا صبح وخيـر صبيحـة

جـاءت بمولـده ظهيـراً أظهـر

سفـرت لنا عن ثغرهـا فتبسمـت

أزهار روض قد أثـارت عنبـرا

وجلـت قلائـد جيدهـا عطريـة

ما كان أسمى ريح ذاك وأعطـرا

للـه منهـا ساعـة مسعـودة

عادت لمنشئهـا بعيـشٍ أخضـرا

---

[1] السِّيمَة: العلامة والهيئة.

جـــاءت بأحمـــد [هاديـــاً] وممهـــدا[1]

ومبشـــراً ومحـــرراً ومطهـــرا

خضعت ركاب المشركيـــن لبعثـــه

وتضعضع الإيـــوان منـــه وكســـرا

وكذاك نيـــران المجـــوس بفـــارس

خمدت لمولـــده كمـــا قـــد سطـــرا

وبكفِّـــه حصبـــاء [رمل] سبّحـــت[2]

وكذلـــك المـــاء الـــزلال تفجـــرا

والضبي كلّمـــه بأفصـــح مِقْـــولِ

والظّـــبّ رد لـــه جوابـــا مخبـــرا

وشكى البعيـــر إليـــه ظلمـــاً نالـــه

فحبـــاه نصـــراً بالعـــدو وظفّـــرا

وبـــكى الجُذَيْـــعُ تشوّقـــا لفراقـــه

فحنـــا عليـــه مسكتـــاً ومصبـــرا

هذا وكم من معجـــزات قد سمـــت

وتعاظمت في قدرهـــا أن تحصـــرا

---

[1] حرف هذا الشطر في زهر البستان؛ فكتب هكذا: ((جاءت بأحمد هاد وأمهدا))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[2] في الأصل بزهر البستان: ((وبكفّه حصباء رمال سبّحت))؛ وهو تحريف؛ فوجب التصويب.

صلى عليــك الله يا خيــر الـــورى

أزكى صـــلاة للإلـــه وأوفـــــرا

مـــولاي إني قـــد وجدتـــك كاشفـــاً

بلـــوى ذنـــوب أوبقـــت وتحســـرا

مـــالي إلى ربّي ســـواك وسيلـــــة

ليمـــن بالعفـــو الجميـــل ويغفـــــرا

[ويُبَلِّـــغ العـــاني زيـــارة طيبـــة

من قبـــل أن يـــأتي ممـــاتي أقبـــرا][1]

أمـــلي الزيـــارة لا عدتـــني كلمـــا

رمت ارتحالا رمت صعبا أوعـــرا

وأرى الذنوب صوارفـــا عن بابكـــم

وأرى الرجى عن وجه نَيلي أسفـــرا

مـــولاي حظي من رجائك حضني

فوثقت منـــه بكـــل موثقـــة العـــرا

[وبباب جـــودك يـــا مليـــك ميمـــني

أوقفت أرجـــو منك عفـــوا مؤثـــرا][2]

---

[1] هذا البيت بزهر البستان غير سليم بالمرة. وورد في الأصل هكذا:
((ويبلغني طيبة في طيبة من قبل أن يلحقني الممات وأقبرا))؛ فوضعناه كما جاء أعلاه بين حاصرتين.

[2] جاء هذا البيت ـ في الأصل بزهر البستان ـ هكذا:
((وباب جودك يا مليك ميميني أوقفت أرجوا منك موثرا))؛ وهو مضطرب، وغير موزون؛ فصوب كما ورد بين حاصرتين كما ورد أعلاه.

لتمـــدني بالعـــون منـــك إذا دنـــــا

[رَكْـــبٌ إلى تلك الربـــوع مشمـــرا][1]

طابت بذكرك يا مليـــك وعطـــرت

أرجى[2] تلمســـان وطابـــت مخبـــرا

وسمت بك [العليـــاء][3] أسما رتبـــة

وبجاهـــك المجـــد الرفيـــع تـــأزرا

للـــه منـــك مكانـــة قـــد ظفّـــرت

بعزيز نصـــرك ظافـــراً ومُـــؤزرا[4]

للـــه منـــك جلالـــــة مأثـــــورة

ونهايـــة فيهـــا العـــدو تحيـــرا

لك في الدعا[5] إن ما حمدت مفاخـــر

تغـــني الأســـود إذا بلونـــا منظـــرا[6]

وإذا مننـــت (ببحـــر) غيث وابـــل

وإذا انثنيـــت فبدر تـــم [و]أزهـــرا[7]

---

[1] جاء هذا الشطر ـ في الأصل ـ هكذا: ((رَكْبٌ إلى نزلك الربوع مشمرا))؛ فاضطرب المعنى، واختل الوزن؛ وعليه فقد صوب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

[2] هكذا.

[3] ((العلياء)) ـ في الأصل ـ كتبت ((العليا))؛ بدون همزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب.

[4] كتبت في الأصل: ((مأزرا))؛ بالهمزة على الألف؛ وهو خطأ.

[5] رسمت في الأصل هكذا: ((الدعى))؛ بالألف المقصورة.

[6] هكذا. وفي الشطر غموض.

[7] في الأصل؛ بدون واو العطف؛ وهذا يخل بالوزن. فأضفناها.

موسى الرضى مولاي فاهنأ واثقـــا

باللـــه فالفتـــح المبيـــن تيســـــرا

هذي السعود دَلَـــتْ ودانت بالـــذي

تهواه والمطلـــوب عـــاد الأيســـرا

هذي الاماني طوع أمـــرك أقبلـــت

وزمام عزمك في الأمـــاني أمـــرا

فاحكـــم بما تهـــوى فأمـــرك نافـــذ

حكمت به الأقدار جبـــراً للـــورى

فاللـــه يبقيكـــم ويـــولي أمركـــم

نصراً على مـــرِّ الزمـــان مظفـــرا

ويريكـــمُ وبمـــا تحـــب يمدكـــم

وينيلكـــم عنـــا النـــوال الأوفـــرا

ثم الصـــلاة عـــلى النـــبي محمـــد

[أسنى الموارد ذا وأطيب عنصـــرا][1]

* * *

---

[1] هذا الشطر مضطرب المعنى، مختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا: ((أسنى الموراد أتا وأطيب عنصرا))؛ فوجب التصويب.

ـ وممـــا قالـــه أيضـــاً؛ خـــلال الحفـــل المقـــام ببـــلاط أبي حمـــو الثـــاني بمناسبـــة ذكـــرى المولـــد النبـــوي الشريـــف؛ المنعقـــد بعـــد عـــودة السلطـــان مـــن فتـــح تنـــس؛ وذلـــك في عـــام 762هـ/1360م[1]:

حَدِّثْ عَنِ العَلَـمِ إلاَّ عــلا[2] عمــل

وَقِــف بذروتــه العليــا على قــدمِ

ونـــاد بالحمد من أرجــاء جانبــه

جوى نفوس ضنى من حرِّها الضَّرِمِ

حدِّثْ عَنِ المصطفى الهادي بلا حرج

حــدّث يولــد في بستانــك النَّعِــم

حدِّث عن الهاشمي الأبطحي [إذا][3]

تكــل نفســا عن الآثــار والشِّيَــمِ

---

[1] هذه عبارة عن منظومة نسخت بقلم رديء؛ بحيث تخللها غموض كثيف؛ منع من قراءة كلمات كثيرة بها. وخاصة حينما يتضح بأن صاحبها مولع بالغريب في صياغته. ونظم قصيدته في بحر الوافر (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)؛ ويجوز في (مفاعلتن = مفاعيلن، وفي فعولن = فعول). ولكن ظهر على بعض أبياتها خلل في الوزن، بسبب الزحاف والعلل.

[2] هكذا رسم. وهكذا انطلق في مطلع المنظومة.

[3] صدر البيت هذا في الأصل مختل الوزن؛ إذ تنقص التفعيلة الرابعة حروف بقدر وتد مجموع (//0)؛ فأضفنا كلمة: ((إذا))؛ لكي يستقيم الوزن.

إيه على الغرة الغراء قد وضحـــت

نور الهدى عَلَماً إيهـــاً[1] بهـــا فهـــم[2]

إيـــه وما لرســـول اللـــه معجـــزة

إلاَّ وقد بهـــرت كالنجـــم في الظلـــم

البـــدر شـــق لمولانا الرسول وجـــا[3]

بالبعث بَشَّـــر والإرسال في الحـــرم

وانشق في كَيـــنٍ[4] نصفيـــن يسألـــه

نيل الشفاعة يـــوم الحشـــر والنـــدم

والشمس بعد غروبٍ حَلَّ مطلعهـــا

بسير مطلبِـــهِ مـــن بـــارئ النســـم

كذاك قد حبســـت أيضـــاً بدعوتـــه

وزيد ساعـــةً يـــوم مطلـــع النعـــم

كـــذا الـــذراعُ بسُـــمٍّ فيـــه أعلمـــه

وأعلمَ المصطفى من كان عنه عَـــمِ

---

[1] **تأتي هكذا في حالات نادرة. مثل قول حاتم الطائي:**
((إيهاً، فِدىً لكُمُ أمّي وما ولدت حاموا على مجدكم، واكفوا مَن اتَّكَلا)).

[2] **هكذا.**

[3] **في الأصل: ((وجاء)) بالهمزة؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب حذفها للضرورة؛ لكي يستقيم الوزن.**

[4] **كين ـ كان ـ يكين كيناً لفلان: خضع.**

والجذعُ حَنَّ له تَحْنَــان ذي حــرق

وأعلــن النــوح يبكيــه بمنسجــم[1]

والضأن إذا وطئ المرعى له سجدت

وأمرعــت عملا في نبــل مستلــم

كذا البعير شكى ظلم اليهــود وقــد

آوى إليــه فألــفى حكــم محتكــم

وناقة الآية الكبرى الــتي شهــدت

لربهــا ونفــت قــــولا لمتهــم

كذا الجبال كذا الآكام قــد شهــدت

كذلك الضب لــبى مفصحــا بفــم

كذا الظبــاء أتتــه وهي شاهــــدة

وكم حماد وكــم صاد وكــم حطــم[2]

وكم أتته وحوش الأرض مسرعــة

كذا الثمــار على ســاق بــلا قــدم

وإن أراد الجنــا[3] تنحــط خاضعــة

وفي يديه ترى الحــام مــن حــم[4]

---

[1] طرأ خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.

[2] هكذا.

[3] لعلها: ((الجنى))؛ بالألف المقصورة في آخر الكلمة؛ وتعني قطف الثمار.

[4] هكذا رسمت. ولم يفهم الشطر. وهو غير موزون؛ ولا مفهوم.

وفي الغمامـــة إذ تتلـــوه طائعـــة

تظله حكمة أربـــت عـــلى الحكـــم

كـــذا الحمـــام أظلتـــه بأجنحـــة[1]

في فتح مكة مثل الأحمـــل[2] الشّمـــم[3]

وآيـــة الغـــار إذ أواه مختفيـــاً

والعنكبوت عليـــه ظـــل في خيـــم

وفي الحمام على الباب التي سكنـــت[4]

[في عشها؛ ففشت في ا] لعرب والعجم[5]

وأرقم الغار يشكـــوا منـــذ رؤيتـــه[6]

وجه النـــبي وصد[7] الصادق الفهـــم

---

[1] طرأ خلل على التفعيلة الثالثة في هذا الشطر.

[2] الحَمَل: هو السحاب الكثير الماء. جمعها الناظم بـ((الأحمل)).

[3] ذكر بعض كتاب السيرة الشريفة؛ أن حمام مكة أظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتحه لمكة؛ فدعا له بالبركة.

[4] ثمة من يرى أن سلالة حمام مكة الآن؛ تعود إلى حمامتي غار ثور.

[5] هذا الشطر غير واضح في الأصل في زهر البستان. فأضفنا إليه ما ورد بين حاصرتين أعلاه؛ حفاظا على سياق الفكرة.

[6] الأرقم: حيّة خبيثة؛ لونها أسود وأبيض. وأوردت بعض كتب السيرة النبوية؛ أن حية من هذه الحيات؛ لدغت أبا بكر في غار ثور. ((ولما انتهيا إلى الغار روي أن أبا بكر دخل الغار وسد جحوره بإزاره حتى بقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام في حجر أبي بكر. وبينما هو نائم إذ لدغت رجل أبي بكر من الجحر؛ فتصبّر ولم يتحرك؛ مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه؛ لكن دموعه غلبته؛ فسقطت على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيستيقظ ليرى صاحبه قد لدغ قال: يا أبا بكر مالك. قال: لدغت فداك أبي وأمي؛ فتفل صلى الله عليه وسلم على رجله فبرأت في الحال)).

[7] هكذا

وكـــم رضيـــع رســـول الله أنطقـــه

وكـــم بـــريء له من أكمـــه وعـــم

كـــذا أتى وبحفن[1] الكـــف [مقلته][2]

قتـــادةً لرســـول اللـــه حيـــن رُمِ[3]

فـــردّ [مقلتـــه][4] في عينـــه عجـــلا

وســـدَّ خلتـــه[5] في ساعـــة الألـــم

[وكان][6] يطعن في الكفار يبصـــره

في سعي مجتهـــد يـــرقى لملتـــزم[7]

---

[1] الحَفْنُ: أخذك الشيء براحة كفك والأصابع مضمومة.
[2] كتب في الأصل بزهر البستان: ((مقتله)) وهو تحريف؛ فوجب التصويب.
[3] هو الصحابي قتادة بن النعمان؛ رمي في عينة؛ فسقطت على وجنته؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى مكانها؛ فقال ابن إسحاق:
((فكانت أحسن عينيه وأحدَّها)).
[4] في الأصل بزهر البستان: ((مقتله))؛ وهو تحريف أيضاً. فصوّب.
[5] الخلة: ((الثقبة)). والمقصود بها هنا: الفجوة التي تسكن فيها شحمة العين؛ وهي المقلة.
[6] في الأصل بزهر البستان: ((وكن))؛ فصوب
[7] هذا البيت في الأصل بزهر البستان؛ كله غامض في معناه وصياغته مضطربة.

كـــذا ذراع معـــاذ..................[1]

عليه في ....[2] بفيض دم[3]

ورجل إبـــن معـــاذ عندما قطعـــت [4]

بالسيـــف أبرأهـــا راق بريـــق فـــم

وأشبع الجيـــش من صاع وأرغـــده

ماء الأنامل يجـــري جَـــرْيَ ملتئـــم

حتى روى ومـــلا بالمـــاء أوعيـــة

ذوي العشيرة من عدن ومن خـــدم

وفي تبوك دعا للعيـــن فانفجـــرت

وبعد فضّ شراك فاض فيض هـــم

كذا السحاب دعا بالمـــاء فانسكبـــت

ووبلها حف جيش العســـرة العـــزم

---

[1] **تعذر معرفة ما كتب في الأصل بزهر البستان؛ ضمن هذا الحيز؛ وذلك بقدر سبب خفيف + وتد مجموع + تفعيلة: ((فعلن)).**

[2] **تعذر أيضاً معرفة ما كتب في هذا الحيز الذي يقدر بتفعيلتين: ((فاعلن مستفعلن)). فيفترض أن البيت كله هكذا: ((كذا ذراع معاذ [حينما نزفت] * عليه في [جُرْحِهِ الدَّامي] بفيض دم**

[3] **لعله يقصد بمعاذ هنا: سعد بن معاذ الأنصاري؛ كبير الأوس؛ الذي أصيب في أكحل ذراعه؛ فأمر الرسول بنقله إلى مسجده ليعالج جرحِه بنفسه.**

[4] **هو عمرو بن معاذ. الذي قطعت رجله؛ فشفاها رسول الله بأن تفل عليها. ففي حديث جاء فيه: ((أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم تَفَلَ في رجل عمر بن معاذ حين قطعت رجله؛ فبرأ)).**

وأطبـــق القـــدم اليمنى على يبـــس

في الأرض فانفجرت عينٌ بذي القدم[1]

كذا ارتوى وحسين جدنـــا حســـــن

من زين مقْوَلِه الشـــافي من السقـــم

وضرع شاة [جَدودة][2] وقـــد يبســـت

أدَرَّهـــا لبنـــا مسحـــاً عـــلى الأدم[3]

كذا جعيلٌ[4] [تراخى] تحته فـــرس

فـــزك[5] للمصطفى فيهـــا فلـــم يقـــم

وأوقدتـــه نشاطـــاً في مسابقهـــــا

فما استطاع قيـــاد الـــراس باللجـــم[6]

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((عين بت القدم)). والمقصود هو: ((بتلك القدم))؛ فحذف الكاف؛ لاعتقاده أنها ضرورة شعرية؛ بينما كان عليه تجنب ذلك؛ بتعويضها بما يتوافق مع المعنى والوزن. كما ورد أعلاه مثلا.

[2] وضعنا كلمة [جَدودة] بدلا من كلمة في ذلك الحيز؛ غير مفهومة في الشطر. ويقال للشاة قليلة الدّر للبن: ((جدودة)).

[3] ثمة روايات عديدة؛ تفيد بمسح الرسول عليه السلام على ضرع شاة أو معزة؛ فتدر اللبن ببركته. وهذه روايه منها: ((عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كنت أرعى غنماً لعقبة ابن أبي معيط فمر بي رسول الله وقال لي: " يا غلام، هل من لبن؟ " فقلت: نعم، ولكني مؤتمن، قال: " فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل؟ " قال: فأتيته بشاة حائل فمسح ضرعها فنزل لبن، فحلبه في إناء وشرب، وسقى أبا بكر ثم قال للضرع: " اقلص " فقلص قال: ثم أتيته بعد فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، قال: فمسح رأسي وقال: " يرحمك الله فإنك عليم معلم (هذا الحديث أخرجه احمد وابن سعد في الطبقات).

[4] هو جعيل الأشجعي رضي الله عنه.

[5] زَكَّ زَكّاً: هرول، أو مرّ يقارب خطوه ضعفاً.

[6] أوردت المصادر خبر جعيل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وجاء فيها: ((عن جعيل الأشجعي رضي الله عنه قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه

وفي قتـــال حنيـــن [قل] أيا عجبـــا[1]

إذ ظل مرتجلا[2] في الموقف الهـــزم

[وشتـــت الكفـــر طـــراً دونمـــا مـــدد] [3]

وعـــاد بالنصر للأجنـــاد والحشـــم

ناهيـــك من بطـــل للـــه نصرتـــه

ودعـــوة الحـــق دعـــواه لمغتنـــم

كذا عسيب[4] يحل في الوغي بطـــلا

أعـــطى فعاد حسا في يديـــه ســـم[5]

وسلم في بعض غزواته، وأنا على فرس لي عجفاء ضعيفة، قال: فكنت في أخريات الناس، فلحقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: سر يا صاحب الفرس. فقلت: يا رسول الله، عجفاء ضعيفة. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفقة معه فضربها بها وقال: اللهم بارك له. قال: فلقد رأيتني أمسك برأسها أن تقدم الناس، ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا. رواه البخاري في التاريخ، والنسائي في السنن الكبرى، والبيهقي في الدلائل.

[1] هذا الشطر مختل الوزن؛ إذ ينقص التفعيلة الثالثة سبب خفيف: (/0). وعليه فقد أضفنا كلمة ((قل))؛ للتصويب.

[2] هكذا.

[3] ورد هذا الصدر في زهر البستان هكذا: ((وبعد الكفر فرداً دون ما عده))؛ وهو غير مفهوم، ومختل الوزن. وعليه فقد وضعنا شطراً بديلاً؛ جاء أعلاه بين حاصرتين.

[4] عسيب؛ جمعها؛ أعسبة: منبت الشَّعْر. وعظم الذنب. ريش القدم. وقضيب من النخل بدون أوراق. وشق في الجبل؛ وثمة جبل أضحى يدعى بذلك؛ وبه دفن الشاعر إمرؤ القيس. وثمة صحابي يدعى أبا عسيب؛ ومولى الرسول صلى الله عليه وسلم.

[5] هكذا. ورد في الأصل هذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ إذ ينقصه سبب خفيف: (/0)؛ في بداية التفعيلة الثالثة.

والأرض أجمعها للمصطفى رويــت[1]

وكم له طويــت رفقــا بـــه وكـــم[2]

وملـــك أمتـــه لمـــا رأوه بهـــا

في طرفة العين من آيات ذي عظم

كذاك أعطـــاه رب العرش مكرمـــة

على مسيرة شهـــر نصـــر رعبهـــم

والنخـــل من يده لما بهـــا غرســـت

من عامها أطعمـــت سلمانها السلـــم[3]

وافتك من أسره سلمان إذ طعمـــت

بجبر منقـــذه مـــن عيـــه الظلــــم

---

[1] استسقى رسول الله؛ فاستجاب له الله: ((انه لما شكا إليه شاك قحوط المطر - أي حبسه وانقطاعه وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة - فرفع يديه إلى الله تعالى ودعا - وما في السماء قطعة من السحاب - فطلعت سحابة حتى توسطت السماء فاتسعت فأمطرت فقال: اللهم حوالينا ولا علينا؛ فاقلعت وانقطعت. متفق عليه.

[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ((ما رأيت أحدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث)). أخرجه أحمد والترمذي وابن سعد وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

[3] جاء في خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه؛ أن رسول الله أعانة في غرس نخل؛ بغرض عتق نفسه بشراء حريته؛ مقابل القيام بغرس 300 نخلة لسيده. فقال: ((وكنا نحمل إليه [أي رسول الله] الوَدِيِّ [صغار فسيل النخل]؛ ويضعه بيده ويسوى عليها فو الذي بعثه بالحق ما ماتت منها ودية واحدة)).

تنـــام عينــه والأقــدار تحفظــه

[بقــ]وله[1] ساهــر يقضان لم ينــم

وكان يبصر من خلــف على بعــد

كما يرى بسنـــا عينيـــه مـــن أمـــم

وكان يسمـــع تسبيح الطعـــام على

عهــد الرســول لدى كفيـــه والأدم

كذا الحصاة رآها معشر حضـــروا

تسبـــح اللـــه في كفيـــه لا بفـــم

والوحي أعظم إعجاز به اتضحـــت

شمس الهدى لذوي الأفهام والهمـــم

وكم تُعَــدُّ وكم تُحْصى مآثـــر مـــن

لولاه لم تكـــن الأكـــوان في القـــدم

وأُخْبِر الرُّسْل طـــراً عنه واتفقـــوا

على رسالتـــه في أُشـــرف الأمـــم

وكلهـــم ســـأل الرحمـــن يدخلـــه

في أمة المصطفى سبقـــاً لفضلهـــم

[1] كتب في الأصل: ((وله)). ويبدو أن الناسخ بتر الكلمة؛ فحذف منها حرفين بقدر سبب ثقيل (//)؛ ولم يترك سوى الجزء الأخير من التفعيلة: (0//0). فأضفنا ما سقط؛ فأضحت الكلمة كما وردت أعلاه.

لمـــا رأو لرســـول الله من شـــرف

عنـــد الإله وما يلقـــاه مـــن كـــرم

وأنـــه الأول الهـــادي لرحمتـــه

والحاشر العاقب الماحي ردي الرمم

وأنـــه الأول العـــاف لرحمتـــــه[1]

من نوره خلق العرش العظيم كمـــا

من نوره نَشْـــأَة المحفـــوظ والقلـــم

والشمس منه ومنه الشهب مشرقـــة

ومنه يسطع نور الصدق في الكلـــم

وكل نـــور فمن نـــور النـــبي بـــدا

ومنه يشرق نـــور الحـــق والحكـــم

---

[1] تكرر صدر البيت هذا في زهر البستان؛ دون العجز؛ مع أنه مختل الوزن؛ وغير سليم كالصدر الذي سبقه؛ بسبب تغيير كلمة ((الهادي)).

تكــوَّن المصطفى نــوراً وأخبــأه

مــولاه في خرز عليين في علــم[1]

حتى استتــم له ما شــاء من أجــل

وصار ينقل من صلب إلى رحــم

في الطاهرين من السادات في عرب

في الأنبياء وفي الأشراف غيرهــم

إلى الأكـــارم من عدنانٍ إِذْ كسيــت

وجوههم غـــرراً من نـــوره الشيــم

أضحى بها وجه عبد اللـــه مبتسمـــاً

كزهره للزهـــرة الزهراء في شمـــم

---

[1] لعل الشاعر يشير إلى الرواية التالية: ((رُويَ عن كعب الأحبار رضي الله عنه؛ قال: أول ما خلق الله جوهرة، وخلق من الجوهرة ظلمة، وخلق من الظلمة نوراً، وخلق من النور نور محمد صلى الله عليه وسلم؛ قبل أن يخلق الخلق بتسعة آلاف عام؛ فكان ذلك النور يطوف بقدرة الله تعالى؛ فإذا انتهى إلى الظلمة؛ خرّ ساجداً لله تعالى؛ ويقعد في السجدة الواحدة ألف عام، ويقول في سجوده "سبحان الذي لم يزل، سبحان الجواد الذي لا يبخل، سبحان الحليم الذي لا يعجل؛ ثم يرفع رأسه من السجود. فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق الأشياء خلقها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ ماء عذب؛ وجعل فيه البركة؛ ثم قسمه عشرة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش، وأمره أن يستقر على الماء. وخلق من الجزء الثاني القلم؛ وأمره أن يطوف بالعرش ألف عام..... وخلق من الجزء الثالث اللوح المحفوظ، والجزء الرابع الشمس، ومن الجزء الخامس القمر، وخلق من الجزء السادس الجنة، وخلق من الجزء السابع النار، وخلق من الجزء الثامن الملائكة، وخلق من الجزء التاسع الكرسي، وخلق من الجزء العاشر النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وخلق الأنوار كلها من نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم...)).

فاستودع الســـرّ بطـــن الأم آمنـــة

فلاح في وجههـــا كالبدر في تمـــم

جاءت به ليلة اثنا عَشْـــر واضعـــه

بوسط شهـــر ربيـــع الأول البســـم

رعيـــا لـــه ولبشـــرى أم ينصرهـــا

نشْر الرَّبيع [شذا] الأزهار في الكمم[1]

إيوان فارس كسرى ارتج منكســـرا[2]

[إيوانُه شامخ في عـــزا مـــن قدم][3]

ونار فارس من نور الهدى خمـــدت

ولم تدع للعدى [إ][4] سما على علم

[وجاءه قدر الأقـــدار مكتسحـــاً][5]

دين الظلال حليف الـــذل والهظـــم

---

[1] ورد ـ في الأصل بزهر البستان ـ هذا الشطر بوزن مختل. ويظهر ذلك في التفعيلة الثانية؛ فجاء هكذا: ((نشْر الرِّبيع نشرا الأزهار في الكمم))؛ وعليه فقد صوبناه كما ورد أعلاه.

[2] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فللعجارف كسرى ارتج منكسرا))؛ فأصلحناه كما ورد أعلاه.

[3] وهذا الشطر وضعناه؛ بدل الشطر الأصلي بزهر البستان؛ الذي نسخ بشكل تعذر فهمه؛ وجاء كما يلي: ((إيوانُ شامخٌ ملك حسالم بهم)).

[4] أضفنا (ألف قطع) لكي يستقيم الوزن.

[5] هذا الشطر غير مفهوم في الأصل بزهر البستان؛ وقد نسخ هكذا: ((وجاءت في سرد تحسيسا)). ولكي نسهل على القارئ متابعة الفكرة؛ وضعنا الشطر الوارد أعلاه.

والدين سل[1] حاسم للنصر في صعد
مستأصل الظفْــر يقفوا إثره الهــرم

وباتَتِ الأرض بالأزهار ضاحكــة
تختال ترفــل في أثوابهــا الرقــم[2]

والأفق يسطع أنواراً كما اختلفــت[3]
حور الجنان ذوات الخلــد والنعــم

وكــل ما ملك قــد جــاء مستلمــا
وجه النبي، ووجد الوحش والرخــم[4]

والطير تدعوا بلفظ العــرب أمتــه
دعِ الحبيب لنــا وأتيــه واستلــم

تقيه عيــن حســود إن تــراه ومــا
تخشى عليه بنار الكفر من ضــرم

ولن يليــه أوان الوضــع من أحــد
ســوى الكــرام من الأملاك كلهــم

فمــن حفيــظ ومــن آت بملبســه
ومن معــد بريــق الفــمِّ[5] للحكــم

[1] هكذا.
[2] أي: المخططة والمرقومة.
[3] هكذا؛ ولعلها: ائتلقت. أي تألقت وسطعت.
[4] هكذا. ولعلها: الرغم.
[5] التفعيلة الثالثة تقتضي إضافة حرف ساكن زائد؛ فلزم تشديد ميم (الفم).

ومن منـــاول حـــرز اللـــه يَطلُّـــوَهُ[1]

بدعي النميمـــة في لوح بـــلا ختـــم

ومن مُطَهّرِ مخفـــاة الضغائن مـــن

طي الفـــؤاد بماء الكوثـــر الركـــم

ومـــن مُنَـــزّل أعـــلام لينشرهـــا

بالشرق [صارت بـــ] منجاة وبالحرم[2]

ومن مبشر أقطـــار البـــلاد ومـــن

برغـــم أنـــف العدو الحاسد الســـدم[3]

وكـــم رأتـــه أوان الوضـــع آمنـــة

من الغرائب ما لم يحـــض ذو قلـــم

كسجدة البيـــت للرحمـــن خائفـــة

وشكـــوة بلســـان غيـــر ما عجـــم

ورج غلظة أصلاد الصليـــب ومـــا

[تـــلا] تساقط فوق الأرض من صنم[4]

---

1 **هكذا. لعلها: يتلوه.**

2 **هذا الشطر - في الأصل بزهر البستان - تنقصه سبب خفيف في التفعيلة الأولى (/0) + وتد مفروق: (/0/)؛ في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أضفنا ما ورد ضمن الحاصرتين.**

3 **هذا البيت مختل الوزن. وفي صدره زيادة كلمة هي: ((شاء))؛ فتم حذفها. أما عجزه؛ فاختل أيضاً؛ بسقوط كلمة منه؛ فأضفنا كلمة: ((العدو))؛ للتصويب.**

4 **هذا الشطر مختل الوزن؛ وينقصه في التفعيلة الأولى وتد مجموع (//0). فأضفنا كلمة ((تلا))؛ لتصويب الوزن.**

أكرم بمولد ساد لـــم يـــدع هتفـــا[1]

للشرك بعد بـــدر المرنـــق العمـــم[2]

باللين بالرفـــق بالتمهيد عن خلـــق

موصوفة الخلق في الفرقان بالعظـــم

يـــودي فيبصر لا غيـــظ فيكظمـــه

ولن يقيـــم حـــدود اللـــه في ســـدم

يحاول الأمر في قوم تـــلا حجهـــم

في الحق لجة بحـــر للطـــلال طـــم

فلم يزل بغيـــوب الوحي يخبرهـــم

صدقاً وينبئ عـــن عـــاد وعن أرم

وعـــن زبـــور وآيـــات به نزلـــت

وعـــن تهكـــم تـــوراة بدينهـــمُ

وأي محكم إنجيـــل بمـــا احتكمـــت

[هلا تـــرى ذكـــر إعجاز لقولهـــم][3]

فمن حسود رمى بالسحـــر ساعتـــه

ومن عزول رمى بالشعـــر والعـــدم

---

[1] **هتفاً: صوتاً عالياً أو مدحاً.**

[2] **هكذا.**

[3] **هذا الشطر مضطرب المعنى، ومختل الوزن؛ وورد في الأصل هكذا: ((فيهم يخبر إعجازا لقولهم))؛ فصوب كما جاء أعلاه.**

وقائل سفها أضغـــاث ذي سمــــة

فـــرد ذلـــك وصى جـــاء بالعصـــم

حاشاه إن حســـدا جهـــلا فموبقهـــم

وإن تمـــرد كفـــر ويـــلُ ويلهـــــم

إلى أن قـــال:

[أتلو مديحي وشكري][1] إن ظفرت بما

أرجوا من الملك العدل الرّضى العلم

قطب المكارم مأوى كل ذي طلـــب

سمك[2] السيادة حامي الحل والحـــرم

إبن الكرام أبو حموا الشهير ســـنَى

موسى بن يوسف بَرًا بحق؛ ذو الكرم[3]

[هـــذا المليـــك الذي جاءت بدعوته][4]

مسطـــورة ببراهيـــنِ عـــلى القـــدم

---

[1] كتب في هذا الحيز ـ في الأصل ـ العبارة التالية: ((من لا تهاني الا))؛ ونظراً لغموضها؛ فقد وضعنا عبارة أخرى بين حاصرتين لتصويب الفكرة.

[2] سمك سمكاً الشيء: رفعه. يقال ((سمك الله السماء))؛ أي: رفعها.

[3] هكذا.

[4] هذا الشطر مختل الوزن؛ وجاء في الأصل هكذا:

((هذا المليك الذي جاء وبدعوته)). وعليه فقد صوب كما ورد أعلاه.

هذا الإمـــام الذي شــدُّوا بـــه أزراً

شادوا بها علما ناهيــك مــن علــم

هذا الإمام الذي خفت بــه شهـــــب

كأنه البــدر فيها انســاب عن دمــم[1]

الوارث المجد[2] عن آباء له سلفــوا

شادوا له منه ركنـــا غيــر منهــدم

فلــم يــزل ساميــا يعــلي أعاليـــه

بحــدّ حــزمٍ ورأيِ أيٍّ محتكــم

وراحتين متى غاب الغمـــام همــت

بسكب فيض عوادي سيلـــه العــرم

قالت يعلق باب الحـــرب من كســـل

ولا الهجيــرة نخلهـــا مــن البهــم[3]

يلقى الصوادم في راحات عسكـــره

ما بين ذي فلـــل منهـــا ومنحطــم

كذا الدوامـــل في أعقـــاب منهــزم

مــن العــداة وفي لبـــات مقتحــم

[1] الدمم والدمام: كل شيء طلي به.
[2] اختلت التفعيلة الثانية بسقوط حرف ساكن في أخرها.
[3] هكذا.

كأنما المــوت في أرجائهـــا كمـــن

[ضمن المفاصل والأعضاء في الأمم][1]

يسطوا اقتدار فيثنى الجود محتشمـــا[2]

فحسبك الدهر من ضرِ(ا)[3] ومن نعم

[مازال مذ شـــب في أيـــام شيبتـــه][4]

يملا بفطنتـــه الأحكام مـــن حكـــم

ناهيـــك من ملك أشـــهى مقاصـــده

إبرامه الحِكَم بالتنـــ(زي)ـــل عن حزم[5]

................................[6]

حاشى وكـــلا ولا تعريـــض متهـــم

رحب المحاسن طلق الوجه منبسط

الأخلاق فاق العلى والدهر في وهم

---

[1] هذا الشطر غير مفهوم؛ ورسم هكذا: ((لمصرق الغصب في أعظاء مندم)). وعليه فقد وضعنا الشطر الوارد أعلاه بدلا منه.

[2] هكذا.

[3] هذه الألف زائدة؛ وكسرت الشطر.

[4] هذا الشطر يكتنفه الغموض، ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((مازال مذ شب في ربق شبيبته))؛ أو ((شبيته)). لذا فقد عوضناه بشطر؛ كما ورد أعلاه.

[5] هذا الشطر مختل الوزن؛ بزيادة سبب خفيف: (/0) في التفعيلة الثالثة؛ ويقابله حرفا: ((الزاي والياء)) في كلمة ((التنزيل)).

[6] وهذا الشطر أيضاً غامض المعنى ومختل الوزن؛ وجاء هكذا:
((لا ربيع لأصل لا إعراض يمنعه)).

يـــا من تسربـــل بالعليـــاء متـــزرا

ثوب العفاف وأعفى مربـــع التهـــم

لا زلت تقمع من عـــاداك متـــزرا

بعاجـــل الظفـــر مستأصـــل النعـــم[1]

ودمت [في عزٍّ] ملك ما لـــه هـــدم[2]

وواحد (أ)[3] كل ما تهوى بلا عـــدم

***

---

[1] سقط حرف ساكن في التفعيلة الثانية.

[2] هذا الشطر مختل؛ والعلة في التفعيلة الثانية؛ لذا فقد أسقطنا كلمة: ((خالد))؛ سبب العلة؛ ووضعنا بدلاً منها ما ورد بين حاصرتين.

[3] هذه الألف زائدة. فأسقطناها حفاظا على الوزن والمعنى.

ولـــه قصيـــدة أيضـــا يقـــول فيهـــا[1]:

أشهر[2] بالأمالي والأمـــاني   أنال العالمين ذوي الأمـــاني

بمقدمك [انجلى الحق المعلا][3]   بأنـــوار البشائر والتهـــاني

ألا أهـــلا محيـــاه وسهـــلا   وأهـــلا بالتـــلاقي والتـــدان

وأهلا بالهدى والرشد أهـــلا   وأهلا بالحبيب [مدى الزمان][4]

محمـــد النـــبي الهاشـــمي   شفيع الخلق في يوم الهوان

أنـــال العـــز والعليا مكانـــا   ودانـــا[5] بالتلطف والحنـــان

وأنقذ من لظى وحمى ونعمى[6]   نعـــم، وأحلَّنا دار الجنـــان

له بدر السماء انشق طوعـــا   [كذاك][7] الشمس ردت للعيان[8]

---

[1] لم ترد هذه القصيدة إلاّ في زهر البستان؛ وهي متواضعة شكلاً ومضمومنا. كما أنها نسخت بشكل يصعب استخراج معانيها، ولا تفكيك كلماتها؛ بالإضافة إلى الأخطاء الإملائية؛ حيث بُتِرَتْ بعض الحروف، وسقطت كلمات بكاملها؛ فاختل بذلك وزن أبياتها، واضطربت معانيها.

[2] في الأصل: ((أشهرا))؛ وهذا خطأ يؤدي إلى خلل في الوزن.

[3] هذا الشطر مضطرب ومعظم كلماته غير مفهومة؛ فجاء هكذا: ((بمقد~مك الأأقهلا المحلى)). هكذا بالضبط. وعليه فقد وضعنا ما ورد أعلاه بين حاصرتين؛ لكي يتمكن القارئ من متابعة بقية الأبيات.

[4] كتب في الأصل: ((...اللذ تـران))؛ فتعذر استنتاج المقصود. وعليه فقد وضعت أعلاه عبارة بديلة؛ بين حاصرتين.

[5] داني بين أمرين: قارب بينهما.

[6] هكذا.

[7] في الأصل: ((كذلك))؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[8] يشير هنا إلى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم: منها انشقاق القمر، وارتداد الشمس بعض الوقت؛ بعد أن شارفت على الغروب. حدث هذا في يوم الخندق؛ إذ دعا الرسول (ص) فردت الشمس؛ لكي يصلي العصر في وقته. بعد أن نام علي ركبة علي كرم الله وجهه.

كذاك الضبّ كلمـــه مجيبـــاً　　كــذاك الظبي وافى للضمان[1]

كذاك الجذع حنّ له اشتياقـــاً　　[وأنَّ بِلَوْعَةٍ وحنانه، كواني][2]

كذا الأشجار يدعوها فتـــأتي[3]　　تخدّ[4] الأرض طائعة العنان

وكم للمصطفى من معجزات　　وآيات على مـــرٍّ الزمـــان

أمولانا رسول الله شكـــوى　　مطيع طايع بالغرب عـــان

تَخَلَّفْ[5] والركاب إليك جرّت　　رواحلها وساروا في أمـــان

وما إن للعُبَيْدِ سواك ذخـــراً　　لما يرجوه من نيل الأمـــان

ورحلي قد حططت برحب ملك　　مطاع لا يضيع بذي هـــوان

مليك حـــازم عـــدل همـــام　　سمي سيـــد سامي المكـــان

أمولانا استعن بالنصر طولاً　　وثـــق بالله في كل الأوان

ألا فاهنأ بما ترجـــوا فهيـــا　　وأنت مع السعادة في قـــران

---

[1] معجزة الضّب سيأتي الحديث عنها فيما بعد. أما معجزة الظبي؛ فتتعلق بالظبية التي اصطادها بعضهم، وشدّوها على عمود فسطاط؛ فمرّ الرسول عليه الصلاة والسلام بهم؛ فكلمته متوسلة أن يأمرهم بإطلاقها حتى ترضع صغارها ثم تعود. فطلب منهم ذلك وضمنها؛ فاستجابوا له وأطلقوها. فأوفت الظبية بوعدها إذ عادت إليهم بعد الاطمئنان على صغارها.

[2] نسخ هذا الشطر هكذا: ((ودرع الشتات أإليهم الرهان)). وهذا كلام غير مفهوم بالمرة. وعليه فقد نظمنا شطراً بدلاً منه؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ لمساعدة القارئ على مواصلة القراءة دون بتر أو انقطاع.

[3] أما معجزة الأشجار؛ فمفادها أن الأشجار تجمعت حول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكي تستره؛ عند قضاء حاجته في الخلاء. وبعد انتهائه عادت كما كانت إلى مواضعها المتفرقة.

[4] خَدَّ الأرض: شق الأرض وجعل فيها أخدوداً.

[5] وقع الناظم هنا في عيب التضمين؛ بسبب بدء هذا البيت بكلمة: ((تخلف)) المتعلقة بقافية البيت السابق.

سمت بك همة عليا تجلـــت محل الحمل في أعلى امتكان[1]

وتطلب أن تبلغهـــا الليـــالي علـــوا ليس يمكن في مكـــان

وقد كثرت عن الأشياء حتى مضت عُلُواً ولم تحفل بشان

فما ترضى بأعظم ما ارتضته ملوك الأرض من باق وفان

جرت جري الجموع إلى محل بعيد ما ثناهـــا عنـــه ثـــاني

سليل المجد قد أعطيت علماً وأنت من الصبا في عنفوان

مليك تحت بهجتـــه وقـــار كنار قـــد تجلت من أمـــان

لقد نُصِرَت جنودك في الأعادي وكرُّوا من سعودك في ضمان

قد اعتلقت أكف الناس منـــه بثبت القلب [صونا للعيـــان][2]

إذا ما غـــرَّة الزيغ [عنتـــه][3] غزا بالقلب واليَدِ واللســـان

لقد أظفى أبـــو حمو علينـــا ظلال العدل في كنف الأمان

أبو حمو بن يوسف خير ملك تلمسانٌ بها نـــال الأمـــاني

أقام بها الشريعة فاستقامـــت لديـــن الله آثـــار تـــراني[4]

يصمم في الجموع بلا افتخار ويسهم في الجزيل بلا امتنان

---

[1] واضح من آثار التصحيح؛ أنه كتبها في البدية: ((مكان))؛ ثم تراجع لكي لا يقع في عيب الإيطاء؛ فجعلها: ((امتكان))؛ خاصة وأن كلمة: ((مكان)) وردت في البيت الموالي مباشرة.

[2] رسم الناسخ هذا الشطر هكذا: ((بثبت القلب حفلها العيان))؛ وهو غير سليم؛ فعدلت العبارة الأخيرة؛ ووضعت أعلاه بين حاصرتين.

[3] في الأصل: ((عنت)). كما أصيبت التفعيلة الثانية بزحاف (الكف). وذلك بسقوط حرف ساكن في آخر التفعيلة الثانية.

[4] هكذا.

فتحفل من ندى يـــده الثريـــا ويكشف في سناه البشرَ آن[1]

شديـــدٌ لينٌ يُخْشَى ويُـــرجَّى [رحيم في مُلِمَّات خِشَـــان][2]

وجوه الحسن في تلك السجايا وجود الجود في لَكِّ[3] البنان

من القوم الذين جنوا وأجنوا ثمار النصر يانعة المجـــان

بني[4] زيان زين الملك أصلا ليوث الغاب في الحرب العوان

لهم حَسُنَ الزَّمان وطابَ نشراً كذا الألفاظ تحسن بالمعاني

لقد أسكرت أهل الربع حتى بخمر الذعر لا خمر الدنانِ

فكم لك فيه من بطل صريع وكم من موبق في القيد عان

صببت عليهمُ سيف انتقـــام إذا ذكروا[5] المنية هو ثـــاني

خطيب يَنْظم البيت انتظامـــاً وينثرها بهم نثـــر الجمـــان

تجرده عن القمـــر المحـــلى وتكسوه بـــرود الأرجـــوان

أمولانا ابن مولانـــا هنيئـــاً بمجد لا تحيط به التهـــاني

فكم نظَـــرٌ إليك بلا انتهـــاء أعندك منه بالسمع المتـــان[6]

---

[1] هكذا.

[2] جاء هذا الشطر في الأصل مضطرب المعنى، ومختل الوزن هكذا: ((كذا المجد استزاد في التيان)). وعليه؛ فقد نظمنا شطراً أخر وضعناه بين حاصرتين؛ لتمكين القارئ من مواصلة قراءة المنظومة دون انقطاع.

[3] لكه: ضغطه.

[4] هكذا. والصحيح: ((بنو)).

[5] كتب في الأصل: ((ذكروا لمنية)). بحيث سقطت ألف؛ سواء كانت ألف الجماعة، أم الألف المشتركة مع لام التعريف. وهذا خطأ؛ وجب تصويبه.

[6] هكذا. ولعلها: ((المثاني)).

إذا أعطى جنى النحل المصفى فممزوج بســم الأُفْعُــوان[1]

فليس أريده غير اصطباري وليس يريدني غير امتحـــان

وما إن خفت منه وأنت قاص فكيف أخاف منه وأنت دان

وقد عاينت إحساناً وبشرى هما قـــادا هـــواي وقلـــدان

وكم أثنيت عنك بكل فخـــر ولكـــنَّ اليقين مع العيـــان

[وهأنذا][2] رفعت إليك شعراً تنافســـني عليه الشعريـــان[3]

بقيت مجرراً ثوب المعـــالي ودمت مُنَظِّماً سلك الأمـــان

* * *

[1] الأفعوان: ذكر الأفعى.

[2] كتب في الأصل، وضمن النص الأساس: ((وها أنا))؛ بينما وردت: ((ذا)) في الهامش. وعليه فرسم هذه العبارة بالطريقة المذكورة؛ يخل بالوزن؛ وعليه فقد صوبت العبارة ووضعت بين حاصرتين.

[3] الشعريان: هي العبور التي في الجوزاء. ويبدو أن الشاعر زج بهذه الكلمة زجاً هنا.

محمد بن احمد

ابن محمد بن محمد بن ابي بكر ابن مرزوق العجيسي[1]، (ابو عبد الله – شمس الدين).

عند الحديث عن أحد أعضاء أسرة **بني مرزوق**؛ وجب الحذر، والتحري بدقة في اسم العالم المراد الترجمة له. فجلّ أعيان هذه الأسرة يحتلون مواقع هامة بين علماء **تلمسان**. والأمر المجلب للتذبذب والإلتباس هنا؛ هو تشابه الأسماء، وتطابق الاهتمامات بين أصحابها. وعليه فقد لجأ المحققون السابقون إلى فرزهم وتمييزهم بألقاب وصفات؛ مثل: الجد، والحفيد، والكفيف. وعندما استهلك لقب الحفيد أضافوا إليه مفردة أخرى؛ فأضحى حفيد الحفيد. ومع هذا بقي احتمال الخطأ وارد. وعليه فقد اخترنا في هذا المجال طريقة أخرى؛ اعتمدت في مقدمة

---

[1] توجد ترجمة محمد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني أيضاً في: الإحاطة في أخبار غرناطة، والتعريف بابن خلدون، وكتاب العبر، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبدالواد، ونيل الابتهاج، والدرر الكامنة، والديباج المذهب، ونفح الطيب، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وجذوة الاقتباس، وفي كثير من المصادر.

كتاب المسند الصحيح الحسن؛ وتتمثل في تمييز الأسماء بإضافة رقم معين لها. وبذلك؛ يعتبر صاحب هذه الترجمة؛ في المرتبة الرابعة؛ ووالده بهذا الاعتبار ـ هو أحمد الأول، ووالد والده محمد الثاني، وجد والده محمد الأول، ابن أبي بكر (الذي عاش أيام يغمراسن بن زيان؛ ودفن بجواره تبركاً به)، وهو الآخر ولد رجل اسمه **مرزوق العجيسي** (الذي دخل **تلمسان** في عهد المرابطين)؛ قادماً من **القيروان**؛ أيام الاضطرابات التي تسبب فيها أعراب بني هلال. ومحمد (الرابع) هذا؛ ابن **أحمد بن مرزوق** من العلماء الفطاحل، والأعيان الأصائل، والوزراء الأفذاذ. خلط بين الخطط. ولد بتلمسان في عام 711هـ/1311م[1]؛ ونشأ في أحضانها، ودرس في كتاتيبها، وأخذ أول دروسه على علمائها. ولما حلّ عام 718هـ/1318م؛ رحل رفقة والده (أحمد الأول) إلى الحجاز؛ وفي طرقه سمع في بجاية على ناصر الدين المشدالي. وكان **محمد بن مرزوق** حريصاً في رحلته المشرقية هذه؛ على التزود بأكثر ما يمكن من

[1] هذا ما قاله ابن الخطيب في الإحاطة، القسم الثالث، ص: 671. ووافقه عليه يحيى بن خلدون؛ في البغية، ج، 1، ص: 115. بينما ذكر عبد الرحمن بن خلدون أن صاحبه محمد بن مرزوق قال له أنه ولد في سنة 710هـ. أنظر التعريف بابن خلدون، ص: 49.

العلـوم، والأخـذ عـلى مـن يقابلـه مـن العلمـاء. لـذا؛ فقـد رجـع إلى **مصـر**؛ بعـد أن قـرّر والـده مجـاورة الحرميـن. وفي **القاهـرة**؛ درس عـلى برهـان الديـن إبراهيـم بـن محمـد القيـسي الصفاقـسي المالـكي، وأخيـه شمـس الديـن محمـد؛ ثـم عـاد إلى **تلمسـان** في سنـة 735هـ/1334م[1]؛ أيـن وجـد جيـش **أبي الحسـن** محاصـراً **لتلمسـان**. وكـان عمُّـه **محمـد بـن مـرزوق** (الثالـث بيـن المحمديـن، والخطيـب الأول) يتـولى خطابـة مسجـد العبـاد الكبيـر ـ الـذي بنـاه السلطـان **أبـو الحسـن** أيـام الحصـار ـ فتـوفي في تلـك الأثنـاء؛ الأمـر الـذي سهَّـل عـلى صاحـب الترجمـة؛ الانتصـاب عـلى منبـر الخطابـة في مكانـه. ولمـا سمعـه **أبـو الحسـن** يشيـد بـه، وينـوه بفضلـه، ويصـرح بجلالـة قـدره؛ استحسـن قولـه؛ وقرّبـه إليـه، واختصـه، وأدنـاه؛ فالتحـق بمجلسـه، وانخـرط ضمـن أعوانـه؛ بـل رافقـه في غزواتـه؛ إذ شـارك في **موقعـة طريـف**؛ واستعملـه السلطـان **أبـو الحسـن** في سفارتـه؛ نحـو الأندلـس، ومملكـة **قشتالـة**؛ فقـام بالمهمـة

---

[1] هذا ما قاله ابن خلدون في التعريف، ص: 50. بينما ذكر ابن مريم أنه عاد في733هـ/1332م؛ أنظر البستان، ص: 184. ويبدو أن خبر ابن خلدون أقرب للواقع.

أحسن قيام؛ حين أنقذ ولده أبا عمر تاشفين من أسر النصارى.

ولما زحف السلطان المريني نحو إفريقية؛ كان **محمد بن مرزوق في قشتالة**؛ فلم يحضر موقعة **القيروان**. ولم يعلم بخبر الهزيمة إلاّ حين وصل إلى **قسنطينة**؛ مرفوقاً ببعض زعماء النصارى؛ الذين وفدوا معه لعقد الصلح؛ فقرَّر ـ بعد النكبة، وبعد ثورة أهل قسنطينة عليهم ـ الالتحاق **بفاس**؛ فرجع ضمن موكب حظية السلطان أبي الحسن، وأم أبي عنان؛ التي كانت في طريقها إلى زوجها؛ فاضطرت إلى العودة؛ بعد سماع ما جرى للسلطان. وعند وصوله إلى حاضرة بني مرين؛ استأذن في العودة إلى **تلمسان**؛ فأذن له؛ حيث أقام بالعباد. وكانت **تلمسان** ـ في تلك الفترة ـ تحت سلطة الأخوين **أبي سعيد عثمان، وأبي ثابت الزعيم**؛ ولدي عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن. فكلف السلطان **أبو سعيد** ابن مرزوق صاحب الترجمة بالاتصال سراً بأبي الحسن؛ المتواجد في نواحي **الجزائر**؛ للإتفاق معه؛ ولكن **أبا ثابت** استنكر ذلك التصرف من أخيه؛ دون أن يستشيره في الأمر؛ ثم بعث من يلحق **بابن مرزوق** ويردّه. ولما وصل زُجَّ به في السجن؛ ثم نُفِي إلى

الأندلس. وفي تلك الديار وجد كل ترحاب وحفاوة استقبال من قبل سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف ووزيره وكاتبه ابن الخطيب؛ وأسندت إليه الخطابة في جامع الحمراء؛ إلى أن استدعاه أبو عنان – في سنة 754هـ/1353م؛ بعد موت والده **أبي الحسن**، واستيلائه على تلمسان – فعاد دون تردد؛ فقربه، ونظمه في مجلسه، وأحله الرتبة التي وضعه فيها والده: ((**ورعى له وسائله، ونظمه في أكابر أهل مجلسه؛ وكان يقرأ الكتاب بين يديه في مجلسه العلمي؛ يُدَرِّسُ في نوبته مع من يُدَرِّس في مجلسه منهم**))[1]. وفي سنة 758هـ/1356م؛ بعثه **أبو عنان** إلى تونس؛ خاطباً بنت سلطانها **أبي يحيى** لأبي عنان. ويقال أنها رفضت؛ بل اختفت عن الأعين؛ الأمر الذي أغضب أبي عنان؛ وحمل فشل المهمة إلى ابن مرزوق[2]؛ فزج به في السجن؛ ثم أطلق سراحه قبل مهلكه بفترة. ولما اعتلى السلطان المريني **أبو سالم** سدّة الحكم؛ قرب إليه **ابن مرزوق**، وفوضه بمباشرة القضايا الهامة في دولته؛ بحكم معرفته به

---

[1] **التعريف بابن خلدون، ص: 52.**

[2] **((فردت تلك الخطبة، واختفت بتونس. ووُشِيَ إلى السلطان أبي عنان؛ أنه كان مُطّلعاً على مكانها؛ فسخطه لذلك؛)). التعريف. ص: 52.**

في **الأندلس**؛ مقر منفاهما جميعاً: **((وكان السلطان أبو سالم بالأندلس؛ غربه إليها أخوه السلطان أبو عنان؛ مع بني عمهم... فلما توفي؛ أراد أبو سالم النهوض لملكه بالمغرب... فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة... وكان ابن مرزوق يداخله؛ وهو بالأندلس، ويستخدم له، ويفاوضه في أموره؛ وربما كان يكاتبه وهو بجبل الصفيحة، ويداخل زعماء قومه في الأخذ بدعوته. فلما ملك السلطان أبو سالم؛ رعى له تلك الوسائل أجمع؛ ورفعه على الناس، وألقى عليه محبته، وجعل زمام الأمور بيده؛ فوطئ الناس عقبه، وغشي أشراف الدولة بابه، وصرفوا الوجوه إليه. فمرضت لذلك قلوب أهل الدولة، ونقموا على السلطان، وتربَّصوا به؛ حتى توثب عمر بن عبد الله بالبلد الجديد، وافترق الناس عن السلطان؛ وقتله عمر بن عبد الله** [الفودودي]؛ **آخر اثنين وستين** [وسبعمائة]؛ **وحبس ابن مرزوق؛ وأغرى به سلطانه الذي نصبه؛ محمد بن عبد الرحمن بن أبي الحسين؛ فامتحنه، واستصفاه؛ ثم أطلقه؛ بعد أن رام كثير من**

أهل الدولة قتله؛ فمنعه منهم. ولحق بتونس)).[1]
فالتحق بتونس سنة 764هـ/1362م[2]؛ أين ولاه السلطان **أبو إسحاق الحفصي** الخطابة في جامع الموحدين. وبقي حاله هكذا؛ إلى أن استولى على سدة الحكم في **تونس** السلطان **أبو العباس** سنة 772هـ/1368م؛ وكان يبغض **ابن مرزوق**؛ لأمر قديم؛ حدث في فاس أيام أبي سالم[3]. فأقاله **أبو العباس** من خطة الخطابة؛ فاستاء لذلك، وتأثر نفسياً؛ إلى الحدّ الذي قرّر فيه الرِّحلة إلى المشرق؛ فسرَّحه السلطان؛ فرحل عن طريق البحر إلى **الإسكندرية**؛ ومنها انتقل إلى **القاهرة**؛ أين اجتمع بالعلماء والأمراء؛ فأوصلوه إلى السلطان **الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون**؛ الذي ولاه في بعض الوظائف العلمية؛ فتولى التدريس **بالشخنية، والصرغتمشية، والقمحية.** وبقي على ذلك إلى أن هلك **بالقاهرة** في ربيع الأول من سنة 781هـ/1379م: **((ولم يزل مقيماً بالقاهرة؛**

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص ص: 52 - 53.
[2] في البستان سنة 766هـ. والأصوب 764هـ؛ وهو ما ذكره ابن خلدون في التعلايف، ص: 53..
[3] ((وكان ابن مرزوق يستريب منه [أي من أبي العباس]؛ لما كان يميل - وهو بفاس - مع ابن عَمِّهِ أبي عبد الله محمد؛ صاحب بجاية؛ ويؤثره عند السلطان أبي سالم عليه)). التعريف بابن خلدون، ص: 54.

مُوَقَّـر الرُّتْبـة، معـروف الفضيلـة، مرشحـاً لقضـاء المالكيـة، ملازمـاً للتدريـس في وظائفـه؛ إلى أن هلـك سنـة إحـدى مثمانيـن [وسبعمائـة]))[1].

وقـد خصـص ابـن الخطيـب لمحمـد بـن أحمـد بـن مـرزوق ترجمـة واسعـة شافيـة وافيـة؛ نثبتهـا هنـا لقيمتهـا الأدبيـة: **((هـذا الرجـل مـن طُـرَفِ دَهِـرِه ظرفـاً وخصوصيـة ولطافـة، مليـح التوسـل[2] حسـن اللقـاء، مبـذول البشـر، كثيـر التـودّد، نظيـف البـزة، لطيـف التـأَتِّي[3]، خَيِّـرُ البيـت، طلـق الوجـه، خلـوب اللسـان، طيـب الحديـث، مقـدر الألفـاظ، عـارف بالأبـواب، درب علـى صحبـة الملـوك والأشـراف، متقـاض لإيثـار السلاطيـن والأمـراء؛ يسحرهـم بخلابـة لفظـه، ويفتلهـم[4] فـي الـذروة والغـارب بتنزلـه، ويهتـدي إلـى أغراضهـم الكمينـة بحذقـه، ويصنـع[5] غاشيتهـم بتلطفـه، ممـزوج الدعابـة بالوقـار، والفكاهـة بالنسـك، والحشمـة بالبسـط، عظيـم المشاركـة لأهـل ودّه، والتعصّـب لإخوانـه، ألـف**

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص: 55.
[2] في جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس: ((الترسل)).
[3] في النفح: ((التَّأتي)).
[4] أي يداورهم.
[5] في النفح: ((ويصطنع)).

مألـــوف، كثيــر الأتبــاع والعُلَــق[1]، مسخــر الرقـــاع فـــي سبيــل الوساطـــة، مجــدي الجـــاه، غـــاص المنـــزل بالطلبـــة، منقـــاد الدعـــوة، بـــارع الخـــط، أنيقـــه، عـــذب التـــلاوة، متســـع الروايـــة، مشـــارك فـــي فنـــون، مـــن أصـــول وفـــروع وتفسيـــر، يكتـــب ويشعـــر ويقيـــد ويؤلـــف، فـــلا يعـــدو الســـداد فـــي ذلـــك، فـــارس منبـــر غيـــر جـــزوع ولا هيابـــة[2]. رحـــل إلـــى المشـــرق فـــي كنـــف حشمـــة نـــم جنـــاب والـــده رحمـــه اللـــه، فحـــج وجـــاور، ولـــقي الجلـــة، ثـــم فارقـــة، وقـــد عـــرف بالمشـــرق حقـــه، وصـــرف وجهـــه إلـــى المغـــرب، فاشتمـــل عليـــه السلطـــان أبـــو الحســـن أميـــره، اشتمـــالاً خلطـــه بنفســـه، وجعلـــه مفـــضى ســـرّه، وإمـــام جمعتـــه وخطيـــب منبـــره، وأميـــن رسالتـــه، فقـــدم فـــي غرضهـــا عـــلى الأندلـــس فـــي أواخـــر عـــام ثمانيـــة وأربعيـــن وسبعمايـــة[3]، واجتذبـــه[4] سلطانهـــا رحمـــه اللـــه، وأجـــراه عـــلى تلـــك الوتيـــرة، فقلـــده الخطبـــة بمسجـــده فـــي الســـادس لصفـــر عـــام ثلاثـــة وخمسيـــن وسبعمايـــة[5]، وأقعـــده للإقـــراء بالمدرســـة مـــن حضرتـــه. وفـــي أخريـــات

---

[1] أي الذيـن يتعلقـون ويلتصقـون بـه.
[2] في النفـح: ((هيّـاب)).
[3] الموافـق لـ 1347م
[4] في النفـح: ((فاجتذبـه)).
[5] الموافـق لـ 1352م

عام أربعة وخمسين بعده أطرف عنه حفن بره[1]، في أسلوب طماح ودالَّة، وسبيل هوى وقحة، فاغتنم العبرة[2]، وانتهز الفرصة، وأنفذ في الرحيل العزمة، وانصرف عزيز الرحلة، مغبوط المنقلب، في أوائل شعبان عام أربعة وخمسين وسبعماية[3]، فاستقر بباب ملك المغرب، أمير المؤمنين أبي عنان فارس في محل تجلة، وبساط قرب، مشترك الجاه، مجدي التوسط، ناجع الشفاعة، والله يتولاه ويزيده من فضله))[4].

أما شيوخ محمد بن مرزوق؛ فقد ذكرهم في كتابه المعنون بـ"**عجالة المستفز المستجاز في ذكر من سُمِع من المشايخ؛ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز**". فيما يلي بعض أسمائهم حسب ما ورد في الديباج المذهب، ونفح الطيب، ومقدمة تحقيق كتاب المسند الصحيح الحسن. وهم:

1 ـ العلامة عز الدين أبو محمد الحسن بن علي ابن إسماعيل الواسطي. 2 ـ الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خلف بن

---

[1] في النفح: ((وخمسين صرف عنه جِفْنَ برِّهِ)).
[2] نفسه: ((الفترة)).
[3] الموافق لـ 1353م.
[4] الإحاطة في أخبار غرناطة، القسم الثالث، ص ص: 622 - 624.

عيسى الخزرجي المطري. 3 ـ محيي الدين أبو زكرياء يحيى بن محمد المغراوي التونسي. 4 ـ نور الدين أبو الحسن علي بن محمد الحجار الفراس. 5 ـ شهاب الدين أحمد بن محمد الصنعاني. 6 ـ شرف الدين بن محرز الأخميمي بن الأسيوطي. 7 ـ عز الدين خالد بن عبد الله الطواشي. 8 ـ شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعيشي. 9 ـ بهاء الدين موسى بن سلامة المدلجي الشافعي المصري. 10 ـ أبو طلحة الزبير بن أبي صعصعة بن علي الأسواني. 11 ـ عفيف الدين عبد الله المطري. 12 ـ أبو البركات أيمن بن محمد ابن محمد بن أيمن التونسي. 13 ـ أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي. 14 ـ أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد بن أبي زكنون. 15 ـ شرف الدين أبو عبد الله عيسى بن عبد الله الحجبي المكي. 16 ـ زين الدين أحمد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري المكي. 17 ـ شرف الدين خضر بن عبد الرحمن العجمي. 18 ـ حيدر بن عبد الله المقريء. 19 ـ برهان الدين إبراهيم بن مسعود بن إبراهيم الأربلي. 20 ـ مصلح الدين الحسن بن عبد

الله العجمي. 21 ــ أبو الصفا خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري. 22 ــ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي. 23 ــ فخر الدين عثمان ابن أبي بكر النويري المالكي. 24 ــ شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني. 25 ــ نجم الدين محمد ابن جمال الدين بن عبد الله بن المحب الطبري. 26 ــ جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن براجين القشيري التلمساني. 27 ــ شرف الدين عيسى بن محمد بن أبي بكر بن أيوب. 28 ــ فاطمة بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن أيوب. (وهي أخت عيسى المذكور قبلها). 29 ــ فاطمة بنت محمد بن محمد بن ابي بكر بن محمد ابن إبراهيم الطبري المكي. 30 ــ أبو الربيع سليمان ابن يحيى بن سليمان المراكشي السفاح. 31 ــ عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن جماعة الكناني. 32 ــ علاء الدين القونوني. 33 ــ تقي الدين محمد الأخنائي. 34 ــ جلال الدين القزويني. 35 ــ البرهان الحنبلي. 36 ــ محمد بن محمد بن نباتة الفارقي. 37 ــ أبو محمد بن المنير. 38 ــ أحمد الجوهري الحلبي. 39 ــ يحيى المقدسي المصري. 40 ــ محسن القرشي. 41 ــ الشهابي الحنبلي. 42 ــ فتح

الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري. 43 ـ شمس الدين أبو بكر بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري. 44 ـ أبو حيان. 45 ـ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر الزبيري المصري. 46 ـ الشمس بن عدلان. 47 ـ الشهاب البوشي المالكي. 48 ـ تاج الدين أبو عبد الله بن أحمد بن ثعلب المصري (ابن الكشتغري). 49 ـ تقي الدين السبكي. 50 ـ شمس الدين الأسواني. 51 ـ أحمد الفاربي. 52 ـ أحمد بن عبد الرحيم السمرنائي. 53 ـ البرهان الحكري. 54 ـ شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي. 55 ـ أبو محمد عبد الكريم التونسي 56 ـ صالح بن عبد العظيم العسقلاني. 57 ـ شمس الدين محمد بن القماح. 58 ـ تاج الدين علي التبريزي. 59 ـ شمس الدين محمود الأصبهاني. 60 ـ برهان الدين إبراهيم الصفاقسي. 61 ـ فاطمة بنت محمد البكري. 62 ـ أسد الدين يوسف بن داود الأيوبي. 63 ـ علاء الدين علي الأيوبي. 64 ـ نور الدين محمد ابن الصائغ. 65 ـ محمد بن علي الأندلسي. 66 ـ برهان الدين الجعبري. 67 ـ برهان الدين ثم

الفركاح. 68 ـ شمس الدين بن مسلم. 69 ـ أحمد المرادي بن العشاب. 70 ـ أبو القاسم بن علي بن البراء. 71 ـ ناصر الدين بن المنير. 72 ـ أبو محمد جابر بن عبد الغفار. 73 ـ محمد بن حسن القرشي الزبيدي. 74 ـ عمر بن عبد العزيز بن عبد الرفيع. 75 ـ محمد بن عبد السلام الهواري. 76 ـ محمد بن راشد القفسي. 77 ـ أبو موسى هارون. 78 ـ أبو عبد الله التلمساني (تعتقد مارياخيسوس محققة المسند أنه يكون: محمد بن عبد النور التلمساني). 79 ـ محمد بن هارون الكناني. 80 ـ يحيى بن عصفور التلمساني. 81 ـ أبو محمد سعد الله بن أبي القاسم ابن البراء. 82 ـ أبو عبد الله بن حيون. 83 ـ أبو محمد بن راشد. 84 ـ أبو علي ناصر الدين المشدالي. 85 ـ محمد بن عبد الله بن يللبخت الزواوي. 86 ـ محمد المسفر. 87 ـ محمد بن هدية. 88 ـ عبد الله بن عبد الواحد المجاصي (البكاء). 89 ـ محمد بن علي الآبلي. 90 ـ سعيد بن إبراهيم بن علي (أبو إسحاق الخياط). 91 ـ أبو زيد عبد الرحمن بن الإمام. 92 ـ أبو موسى عيسى بن الإمام. 93 ـ حسن بن يوسف بن يحيى بن محمد الحسيني. ـ

94 ــ محمد بن علي بن سليمان السطي. ــ 95 ــ محمد بن عبد الرزاق الجزولي. وثمة مجموعة أخرى من شيوخه وردت في كتاب ابن فرحون الديباج المذهب"؛ ومنعاً للإطالة نكتفي بهذا؛ خاصة وأن الروايات تقول أن عدد شيوخه يصلون إلى ألفي شيخ تقريباً[1]؛ بين من لازمه، ومن سمع عنه، ومن جالسه لوقت ما. غير أنه صرح بنفسه في خطاب كتبه بخطّ يده؛ أن عدد من قرأ عنهم مائتين وخمسين شيخاً[2]. أما تلاميذه فهم عديدون؛ وأهمهم: 1 ــ لسان الدين بن الخطيب. 2 ــ أحمد ابن قنفذ القسنطيني (ابن الخطيب القسنطيني). 3 ــ أبو القاسم البرزالي. 4 ــ عبد الله بن محمد الشريف التلمساني. 5 ــ محمد بن أحمد بن علوان المصري التونسي. 6 ــ محمد بن يوسف الصريحي (ابن زمرك). 7 ــ إبراهيم بن محمد بن علي التازي. أما مؤلفات ابن مرزوق الخطيب؛ فقد أشارت إليها بعض المصادر؛ كالبستان، أهمها: 1 ــ **تيسير المرام في شرح عمدة الأحكام**؛ في خمسة أسفار. جمع فيه مضمون ما شرحه: تقي الدين

---

[1] أنظر نفح الطيب، ج: 5، ص: 394. والديباج المذهب، ج: 2، ص: 293.
[2] البستان، ص: 187. نيل الابتهاج، ص: 453.

ابن دقيق، وتاج الدين الفاكهاني.؛ ثم أضاف ما عنده من فوائد عديدة. 2 ـ **برح الخفاء في شرح الشفاء**؛ وجد حتى الآن منه خمسة مجلدات. وهو شرح لكتاب أبي الفضل عياض المعنون بـ"الشفا في التعريف بحقوق المصطفى". 3 ـ **شرح الأحكام الصغرى**؛ لعبد الحق بن عربي الإشبيلي. 4 ـ **إزالة الحاجب عن فروع** [أو لفروع] **ابن الحاجب**. 5 ـ **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**. 6 ـ **عجالة المستوفر** [أو المستوفى] **المستجاز في ذكر من سمع؛ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز**. 7 ـ **جني الجنتين في فضل الليلتين**.

* * *

شعره

ـ وهذه قصيدة استهلها بمطلع قصيدة لابن الخطيب؛ استقبله بها ـ ضمن خطاب ترحيب ـ حين قدومه رسولاً عن سلطانه إلى فاس. فقال لسان الدين: ((ولما قدمت على مدينة فاس في غرض الرسالة، خاطبني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه))[1]:

يا قادماً وافى بكل نجاج
أبشر بما تلقاه من أفراح

هذي ذرى ملك الملوك فلذ بها
تنل المنى وتفز بكل سماح

معنى الإمام أبي عنان يممن
تظفر ببحر في العلى[2] طفاح

من قاس جود أبي عنان ذي الندى[3]
بسواه قاس البحر بالضحضاح[4]

---

[1] الإحاطة، القسم الثالث، ص ص: 628 - 630.
[2] في الاستقصا: ((بالندا)).
[3] في النفح: ((في الندى)).
[4] الضحضاح: الماء القليل.

ملك يفيـــض على العفـــاة نوالـــه

قبل الســؤال وقبـــل بسطـــة راح

فلجود كعب وابن سعدى[1] في الندى

ذكـــر محـــاه مـــن نـــداه مـــاح

ما أن رأيت ولا سمعـــت بمثلـــه[2]

مـــن أريـــحي للندى مـــرتـــاح

بســـط الأمان على الأنام فأصبحوا

قـــد ألحفـــوا منه بظـــل جنـــاح

وهمى على العافين سيـــب نوالـــه

حتى حـــكى سح الغمـــام الســـاح

فنوالـــــه وجلالـــــه وفعالـــــه

فاقـــت وأعيـــت ألســـن المـــداح

وبه الدنا أضحت تـــروق وأصبحـــت

كل المـــنى تنقـــاد بعـــد جمـــاح

من كـــان ذا ترح فرؤية وجهـــه

متـــلافـــة الأحـــزان والأتـــراح

---

[1] يقصد بكعب: كعب بن مامة بن عمرو الإيادي الذي يضرب المثل بجوده؛ أما ابن سعدى؛ فهو: أوس بن خالد ابن حارثة بن لام الطائي. يضرب به المثل في الجود والفضل.

[2] في النفح: ((ما إن سمعت ولا رأيت بمثله)).

فانهض أبا عبد الإله تفز بما

تبغيه من أمل ونيل نجاح

لا زلت ترتشف الأماني راحة

من راحة المولى بكل صباح

والحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى حمداً يؤم به جميعنا المقصد الأسنى، فيبلغ الأمد الأقصى، فطالما كان معظم سيدي للأسى في خبال، وللأسف بين اشتغال بال، واشتغال بلبال[1]، ولقدومكم على هذا المقام[2] العلي في ارتقاب، ولمواعدكم[3] بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب، فها أنت تجتلي، من هذا المقام العلي، لِتُشَيِّعَك[4] وجوه المسرات صباحاً، وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحاً بحول الله. ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل إليه بسرجه ولجامه، فهو من بعض ما لدى المحب[5] من

---

[1] البلبال: الوسواس.

[2] في النفح: ((هذا المحل المولوي)).

[3] نفسه: ((ولمواعيدكم)).

[4] نفسه: ((بتَشَيّعك)).

[5] نفسه: ((المعظم)).

إحسان مولاي[1] وإنعامه. ولعمري لقد كان وافداً على سيدي في مستقره مع غيره. فالحمد لله الذي يسر في إيصاله على أفضل أحواله.

ـ فأجابه ابن الخطيب بقصيدة مطلعها:

راحت تذكرني كؤوس الراح والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما دل النسيم على انبلاج صباح

* * *

ـ هذه قصيدة قالها ابن مرزوق في فاس بمناسبة حفل عقد لإحياء ليلة الميلاد المبارك من سنة 763هـ/1361م:

[أيا نسيم][2] السحر بالله[3] بلغ خبر
إن أنت يوماً بالحمى جررت فضل المئزر
ثم حثثت الخطو من فوق الكثيب الأعفر
مستقرياً في عشبه خفيَّ[4] وطء المطر
تروي عن الضحاك في الر وضِ حديث الزهر

---

[1] في النفح: ((مولاه)).
[2] نفسه: ((قل لنسيم)).
[3] نفسه: ((لله)).
[4] نفسه: ((مخفيّ وطء)).

مخلـــق الأنيـــال بالـــ ـــعبيـــر أو بالعنبـــر
وصف لجيــران الحـــمى وجــدي بهــم وسهـــري
وحقهــم مـــا غيـــرت ودي صـــروف الغيـــر
للـــه عهــد فيـــه قَضَّــ ــيْــت حميــد الأثـــر
أيامــــه هـــي الـــتي أحسبهـــا مـــن عمـــري
وباليـــل فيــــه مـــا عيــب بغيــر القصـــر
العمـــر فينـــان ووجـــ ـــه الدهـــر طلق الغــرر
والشمـــل بالأحبـــاب منـــ ـــظـــوم كنظـــم الـــدرر
صفـــو من العيـــش بـــلا شائبــــة مـــن كـــدر
ما بيـــن أهل تقطـــف الـــ ـــأنـــس جـــني الثمـــر
وبيـــن آمــــال تبيـــ ـــح القرب صافي الغـــدر[1]
يا شجـــرات الـــحي حيَّـــ ـــاك الحيـــا مـــن شجـــر
إذا أجـــال الشـــوق فـــي تلـــك المغـــاني فكـــري
خرجت من خـــدي حديـــ ـــث الدمع فوق الطـــرر
وقلـــت يا خـــدُّ أرْوِ مِـــنْ دمعي صحاح الجوهـــري
عهدي بحادي الركب[2] كالـــ ـــورقـــاء عنـــد السحـــر

[1] مفردها غدير: وهو النهر، أو بقية من الماء يتركها السيل.
[2] أي الذي يتغنى بالحداء لتنشيط حرطة الإبل في سيرها.

والعيس تجتاب الفلا واليَعْمَلاتُ[1] تَنْبَري[2]

تخبط بالأخفاف مظـ ـلوم البَرَى[3] وهو بَرِي[4]

قد عطفت عن مَيَدِ والتفَّت[5] عن حور

قِسِيٌّ سَيْرِ ما سوى الـ ـعزم لها من وتر

حتى إذا الأعلام حلْـ لَت لحفي البشر

واسبتشر النازح بالـ ـقرب ونيل الوطر

وعين الميقات للسَّـ ـفْرِ[6] نجاح السفر

والناس[7] بين محرم بالحج أو معتمر

لبيك لبيك إلـ ـه الخلق باري الصور

ولاحت الكعبة بيـ ـت الله ذات الأثر

---

[1] مفردها يَعْمَلة: وهي الناقة النجيبة المطبوعة على العمل.

[2] أي تباري بقية الإبل في السرعة.

[3] البَرَى هنا: التراب.

[4] أي بريء؛ وقد خففت الهمزة واكتفي بالياء.

[5] في النفح: ((والتفتتْ))؛ وهو أسلم.

[6] أي للمسافرين.

[7] في النفح: ((فالناس)).

مقـــام إبراهيــم[1] والمـــ ـــأمـن عنــد الذعـــــر
واغتنــم القـــوم طـــوا ف القـــادم المبتـــــدر[2]
وأعقبــوا ركعــتي السّـــ ـــعي استــلام الحجـــــر[3]
وعرفـــوا فـــي عرفـــــا ت كـــل عــرف أذفــر[4]
ثــم أفــاض النـــاس سعيـــ ـــاً في غـــــد للمشعـــــر[5]
فوقفـــــوا وكبـــــروا قبـل الصبــاح المسفــر

---

[1] مقام إبراهيم: هو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام. وضعه له ابنه إسماعيل؛ ليقف عليه؛ وهو يرفع الحجارة على الكعبة؛ فأنطبع أثر قدميه عليه بشكل غائر. وبقي هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة؛ إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز؛ الذي فصله عن البيت، وأخره بضعة أمتار؛ لئلا يشغل المصلين والطائفين. وما تزال أثر قدمي إبراهيم الخليل ظاهرة على الحجر إلى الآن. وقد أحيط بغطاء زجاجي مؤطر بدعائم مذهبة لحمايته من التأثيرات المناخيه.

[2] أي المبادرة بسرعة والشروع في طواف القدوم.

[3] أي استلام الحجر الأسود؛ سواء بالمسح عليه أو بتقبيله.

[4] أي: كل ذي رائحة طيبة.

[5] هو المشعر الحرام؛ بين عرفات ومنى؛ يسمى مزدلفة. وفيه قال سبحانه وتعالى: •لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ•. سورة البقرة؛ الآية: 198. وقد اختُلِفَ في تحديد مكان المشعر بالضبط؛ فمن قائل في جبل قزح الرابض في آخر مزدلفة؛ وقائل ما بين، الجبلين. ولكنهم أجمعوا على المزدلفة كلها. وجاء في الأثر عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم ((صلى الفجر بالمزدلفة، ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام؛ فدعى وكبر وهلل؛ ولم يزل واقفاً حتى أسفر)).

وفي منى نالــوا المــنى وأيقنـــوا بالظفــــــر

وبعــد رمــي الجمـــرا ت كـــان حلـق الشعــر

أكرم بذاك الصحب[1] والـــ ـــلـــــه وذاك النَّفَّــــر[2]

يا فــوزه مــن موقــف يـــا ربحـــه مــن متجــر

حتى إذا كــان الـــودا ع وطـــواف الصـــدر[3]

فـــأي صبـــر لـــم يخـــن أو جلـــد لـــم يغـــدر

وأي وجـــد لـــم يصـــل وسلـــوة لـــم تهجــــر

مـــا أفجـــع البيـــن لقلــ ــب الوالـــه المستغفـــر[4]

ثـــم ثنـــوا نحـــو رســـو لِ اللـــه سيـــر الضمـــر

فعاينـــوا فـــي طيبـــة[5] لألاء نـــــور نيـــــر

زاروا رســول الله واســ ــتشفعــوا بلثـــم الجـــدر

نالـــوا بـــه مـــا أملـــوا وعرجـــوا في الأثـــــر

عـــلى الضجيعيـــن أبـــى بكـــر الرضـــا وعمـــر

زيـــارة الهـــادي الشفيـــ ـــع جُنَّـــة[6] في المحشـــر

فأحســـن اللـــــه عـــــزا ءَ قاصـــــد لـــم يـــــزر

---

[1] في النفـح: ((السَّفْـر)).
[2] نفسـه: ((السَّفْـر)).
[3] طـواف الصـدر: هـو طـواف الـوداع؛ (الطـواف الأخيـر)؛ ومنـه يتجهـز النـاس للعودة إلى بلدانهـم.
[4] في النفـح: ((المُستَغْبِـر)).
[5] طيبـة: أحـد أسمـاء المدينـة المنـورة.
[6] أي وقايـة.

ربــع ترى مستنــزل الــ ـــآيِ بـــه والســـور
وملتــقى جبريـــل بالــ ــهــادي الزكي العنصــر
وروضـــة الجنــــة بـــ ـــيـــن روضـــة ومنبـــر[1]
منتخـــــب اللـــه ومخــ ـــتار الورى من مضــر[2]
والمنتــقى والكــون مــن ملابــس الخلــق عــري
إذ لــم يكــن في أفــق مــن زحــل أو مُشْتَــرِ[3]
ذو المعجزات[4] الغرّ أمــ ـــثـــال النجــوم الزهـــر
يشهـد بالصــدق لــــه منهـــا انشقـــاق القمــــر
والضــبّ والظــبي إلى نطــق الحصى والشجــر
من أطعم الألــف بصـــا ع في صحيـح الخبـــر
والجيــــش رواه بمــــا ء الراحــــة المنهمــــر
يـــا نكتـــة الكـــون الــتي فاتــت منــــال الفِكَــــر
يا حجــة اللـــه على الـــ ـــرائــــح والمبتكـــــر
يا أكرم الرســـل على الـــ ـــلـــه وخيـــر البشــــر

---

[1] الروضة الشريفة: تقع وسط، وفي مقدمة المسجد النبوي؛ وملاصقة لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره. قال فيها عليه الصلاة والسلام: ((ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على حوضي))؛ وفي رواية: ((ومنبري على ترعة من ترع الجنة)).
[2] مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. أبو عرب الشمال.
[3] في النفح: ((ومشتري)).
[4] سيذكر ـ فيما يلي ـ بعض معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنها: انشقاق القمر، وكلام: الضب والظبي والحصى والشجر، وإطعام الجيش بصاع، وارتجاج إيوان كسرى، وانطفاء نار المجوس...إلخ.

يا مـــن لـــه التقـدم الـــ ــحــق عــلى التأخـــر
يـــا مـــن لـــدى مولـــده المقــــــدس المطهـــــر
إيـــوان كسرى ارتـــج إذ ضاقـــت[1] قصور قيصـــر
وموقـــد النـــــار طفــــا كأنهــــا لـــــم تسعـــــر[2]
يا عمـــدتي يــــا ملجـئي يـــا مفــزعي يـــا وزري
يا من لـــه اللـــواء والـــ ـــحــوض وورد الكوثــر
يا منقـــذ الغـــرقى وهـــم رهـــن العـــذاب الأكبـــر
إن لـــم تحقـــــق أمـــلي بُـــؤْتُ بســـعي المخســـر
صـــلى عليـــك اللـــه يـــا نـــور الدجـــا المعتكـــر
يا ويح نفـــسي كـــم أرى مـــن غفلـــتي في غمـــر[3]
واحسرو[4] من قلـــتي الـــ ـــــزَّاد وبعـــد السفــــر
يحجـــني واللـــــه بالــــ ـــبرهـــان وعـــظ المنبـــر
يا حسنهـــا مـــن خطـــب لو حركـــت مـــن نَظَـــرِ[5]
يا حسنهـــا مـــن شجـــر لو أورقـــت مـــن ثمـــر
أومـــــل الأوبـــــة والــــ ـــأمـــــر بكـــف القـــدر

---

[1] في النفـح: ((ضـاعت)).
[2] جاء هذا البيت في نفح الطيب هكذا: ((وموقد النار طفى * كأنـه لـم يسعر)).
[3] ورد هـذا الشطر في النفـح هكـذا: ((في غفلـة مـن عُمُـري)).
[4] في النفـح: ((واحسـرتي))؛ وهـو أصـوب.
[5] نفسـه: ((نظـري)).

أسَـوِّفُ العـزم بهــا[1] مــن شهــر لشهــر

مــن صفــر لرجــب مــن رجــب لصفــر

ضيعت في الكبــرة مــا أعددتــه في صغــري

وليس مــا مــرَّ من الــ ــأيــام بالمنتظــر

وقــلّ مــا أن حمــدت سلامــة فــي غـــرر

ولــي غريــم لا يــني عــن[2] طلــب المنكســر

يا نفس جدي قد بــدا الــ ــصبــح ألا فاعتبــري

واتعــظي بمــن مــضى وارتــدعي وازدجــري

ما بعد شيــب الفود مــن مرتقــب فشمـــري

أنــت وإن طــال المــدى في قلعـــة[3] أو سفـــر[4]

وليــس من عــذر يقيــ ــم حجـــة المعتــذر

يا ليت شعــري والمــنى تســرق طيــب العمــر

هل ارتــجي من عــودة أو رجعـــة أو صـــدر

فأبــرد الغلـــة مـــن ذاك الـــزلال الخصِــر[5]

مقتديــاً بمــن مـــضى مــن سلــف ومعشـــر

نالــوا جــوار الله وهـــ ـــو الفخــر للمفتخــر

---

[1] في النفـح: ((بـه)).
[2] نفسـه: ((في)).
[3] أي في انتقـال.
[4] في النفـح: ((وسفـر)).
[5] أي العـذب البـارد.

أرجو بإبراهيم مو لانا بلوغ الوطر
فوعده لا يمتري في الصدق منه الممتر[1]

فهو[2] الإمام المرتضى والخيّر ابن الخيّر
أكرم من نال المنى[3] بالمرهفات البتر

ممهد الملك وسيـ ـف الحق والليث الجري
خليفة الله الذي فاق بحسن السير

وكان منه الخُبْرُ في الـ ـعلياء وفق الخبر
فصدق التصديق من مرآه للتصور

ومستعين الله في ورد له وصدر
فاق الملوك الصيد[4] بالـ ـمجد الرفيع الخطر

فأصبحت ألقابهم منسية لم تذكر
وحاز منهم[5] أوحد وصف العديد الأكثر

برأيه المأمون أو عسكره المظفر[6]
بسيفه السفاح أو بعزمه المقتدر

بالعلم المنصور أو بالذابل المستنصر[7]

---

[1] في النفح: ((ممتري)). والممتري: هو الذي يشك في شيء ما.
[2] نفسه: ((وهو)).
[3] نفسه: ((العُلا)).
[4] في النفح: ((الصيدا)).
[5] نفسه: ((منه)).
[6] سيشير فيما يلي بتورية إلى بعض الخلفاء العباسيين.
[7] في النفح: ((المنتصر)).

بابـــن[1] الإمـــام الطـــ ـــاهر البر الزكي السيـــر

مدحـــك قـــد علـــم نظـــ ـــم الشعر من لم يشعـــر[2]

جهـــد المقل اليـــوم مـــن مثـــلي كوســـع المكثـــر

فـــإن يقصـــر ظاهـــري فلـــم يقصـــر مُضْمِـــري

* * *

ـ هـــذه المقطوعـــة أوردهـــا أحمـــد المقـــري في أزهـــار الريـــاض؛ ونسبهـــا لابـــن مـــرزوق[3]:

وَجَماعَـــةٍ عُرِفَـــتْ لَعُمْـــرِيَ بِالسَّفَـــهْ

وَتَمَسَّكَـــتْ بِضَـــلاَلِ أهْـــلِ الفَلْسَفَـــهْ

عَدَلَـــتْ عَـــنِ النَّهْـــجِ القَوِيـــمِ فَلُقِّبَـــتْ

عَدْلِيَّـــة وَعُدُولَهَـــا عَـــنْ مَعْرِفَـــهْ

ضَلَّتْ وَقَالَـــتْ لَنْ يُـــرَى رَبُّ الـــوَرَى

يَـــوْمَ الجَـــزَاءِ فَأَلْزِمَتْ نَـــفْيَ الصِّفَـــهْ

هَـــذَا وَكَـــمْ مِـــنْ زَلَّـــةٍ زلَّـــتْ وَكَـــمِ

مِـــنْ مَذْهَـــبٍ ذَهَبَـــتْ بِـــهِ في مَتْلَفَـــهْ

---

[1] في النفـح: ((يـا ابن)).

[2] نظـم ابن مـرزوق هـذه الأبيـات الأخيـرة؛ بغـرض إلقائهـا في المولـد النبـوي؛ أمـام السلطـان المريـني أبي سالـم إبراهيـم بن علـي؛ ولكـن هـذا الأخيـر لـقي مصرعـه قبل المولـد النبـوي في سنـة 762هـ/1360م.

[3] أنظـر أزهـار الريـاض، ج: 3، ص: 301.

وَكَــذَاكَ أَسْلَمَــتِ الأُمُــورُ لِنَفْسِهــا

هَيْهَــاتَ تُنْقِــذُ نَفْسَهَــا مِــنْ مُتْلِفَــهْ

كَيْــفَ السَّبِيــلُ لِصَرْفِهَــا عَنْ غَيِّهَــا

وَالعَــدْلُ يَمْنَــعُ صَرْفَهَــا وَالمَعْرِفَــهْ

***

ـ وهــذه مقطوعــة ارتجلهــا أثنــاء وجــوده في فسحــة مــع سلطــان غرناطــة: ((ركــب مــع السلطــان خــارج الحمــراء، أيــام ضربــت اللــوز قبابهــا البيــض، وزينــت الفحــص العريــض، والــروض الأريــض[1]، فارتجــل فــي ذلــك))[2]:

أنظــر إلى النــوار في أغصانه

يحكي النجوم إذا تبدت في الحلــك

حيا أميــر المسلميــن وقال قــد

عميت بصيرة من بغيــرك مَثَّلَــكْ[3]

يا يوسفاً حــزت الجمال بأســره

فمحاسن الأيــام تومي هيــت لك[1]

---

[1] **أي كثير العشب.**

[2] **الإحاطة، القسم الثالث، ص: 627.**

[3] **أي عميت بصيرة من زعم أن لك مثيلاً.**

أنت الذي صعــدت به أوصافــه

فيقــال فيــه ذا مليــك أو ملــك[2]

ـ ولمــا قــرّر الخــروج مــن إفريقيــة راحــلاً إلى مصــر قــال هــذه الأبيــات مودعــاً بهــا أهــل تونــس:

أُوَدِّعُكُــمْ وَأُثْــنِي ثُــمَّ أُثْــنِي

عَــلَى مَلِــكٍ تَطَــاوَلَ بِالْجَمِيــلِ

وَأسْــأَلُ رَغْبَــةً مِنْكُــمْ لِــرَبِّي

بِتَيْسِيــرِ المَقَاصِــدِ وَالسَّبِيــلِ

سَــلاَمُ اللَّــهِ يَشْمَلُنَــا جَمِيعــاً

فَقَــدْ عَــزَمَ الغَرِيبُ عَلَى الرَّحِيــلِ

***

---

[1] أي: هلم تعالى. وجاء هذا القول في الذكر الحكيم: •وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ •؛ سورة يوسف؛ من الآية: 23.

[2] اقتبس هذا من قوله تعالى: •وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ•. سورة يوسف؛ من الآية: 31. وقد سبق إثبات الآية كاملة.

ـ وهـذا بيـت بـقي مـن قصيـدة قالهـا في محنتـه عندمـا سجـن إثـر مهلـك أبي سالـم:

رفعـت أمـوري لبـاري النسيـم

ومـوجدنـا بعـد سبـق العـدم

***

نثره

في خطاب؛ كتبه أثناء وجوده في سجن فاس؛ بعد مهلك السلطان أبي سالم، وتثقيفه من قبل عمر ابن عبد الله الفودودي[1]: **((الحمد لله على كلِّ حال. خرج الطبراني[2] في منسكه، وأبو حفص الملائي في سيرته عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهم؛ قالاَ: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية التي بأعلى مكة ـ وليس بها يومئذ مقبور ـ فقال: "يبعث الله من هنا سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب؛ يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً؛ يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب؛ ووجوههم كالقمر ليلة البدر". فقال أبو بكر: من هم يا رسول الله؟ فقال: "هم الغرباء من أمتي؛ الذين يدفنون هاهنا". ففي هذا الموضع دفن والدي رحمه الله؛ وبعد سماعه هذا الحديث بسبعة أيام؛ دفن فيه. أفَتَراه لا يشفع فيمن أقال عثرة ولده؟ أفما يُشْتَرَى هذا بأموال الأرض؟ أفلا يُراعَى**

---

[1] كُتِبَ هذا الخطاب بخط يد ابن مرزوق الخطيب.

[2] في نيل الابتهاج، ص:453. ((الطبري)).

لي ثمانيـــة وأبعيـــن منبـــراً في الإســـلام شرقـــاً وغربـــاً وأندلســـاً؟ أفـــلا يُـــراعَى لي أنـــه ليـــس اليـــوم يوجـــد مـــن يَسنُـِـد الأحاديـــث الصحـــاح سماعـــاً ـ مـــن بـــاب الإسكندريـــة إلى البربـــر[1] والأندلـــس ـ غيـــري؟ وقـــرأت عـــن نحـــو مـــن مائتيـــن وخمسيـــن شيخـــاً؛ واللـــه مـــا أعلمـــه؛ لكـــن حرمـــني اللـــه منـــه؛ فنبـــذت الاشتغـــال بـــه، وآثـــرت اتبـــاع الهـــوى والدنيـــا؛ فهويـــت. اللهـــم غفرانـــك.

أفـــلا يُـــرْعَى لي مجـــاورة نحـــو اثـــني عشـــر عامـــاً ـ وختـــم القـــرآن ـ في داخـــل الكعبـــة، والإحيـــاء في محـــراب النـــبي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم، والإقـــراء بمكـــة؟ ولا أعلـــم مـــن لـــه هـــذه الوسيلـــة غيـــري. أفـــلا يُـــرْعَى لي الصـــلاة بمكـــة ستـــاً وعشريـــن سنـــة، وغربـــتي بينكـــم، ومحنـــتي في بـــلادي عـــلى محبتكـــم وخدمتكـــم؟ مـــن ذا الـــذي خدمكـــم مـــن النـــاس يخـــرج عـــلى هـــذا الوجـــه؟ أستغفـــر اللـــه، أستغفـــر اللـــه، أستغفـــر اللـــه مـــن ذنـــوبي. ذنـــوبي أعظـــم، وربي أعلـــم، وربي أرحـــم؛ والســـلام))[2].

* * *

---

[1] في نيل الابتهاج، ص: 453. ((من باب الإسكندرية إلى الريق والأندلس)).

[2] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص ص: 187 - 188. ونيل الابتهاج، ص ص: 450 - 455.

محمد بن البناء

(ابو عبد الله)

هو فقيه وأديب وشاعر. لا يعرف عنه أكثر مما ورد في كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ مع أنه جيد الشعر، مليح الحبك. وصفه يحيى بن خلدون بقوله: **((كاتب مفلق ظريف، وشاعر جيد النظم))**[1]. ومن شعره قوله:

عيد وغيد وعود وابنة العود
يا ليلة جمعت شملي بها عُودي

وشادنٍ خَنث الأعْطاف من تَرَفٍ
عُلِّقْتُه بَدْر تَمّ فَوق أمْلُودِ

يَجْني فَتَمْحو حَنايَاه محاسِنُهُ
ولِلْجَمالِ شَفيعٌ غَيْرُ مَرْدودِ

لَمَّا سَألْناهُ عَنْ خَمْرِ بَريقَتِه
يَحْميه بالبيضِ مِنْ أجْفانِه السُّودِ

وسَالِفَيْهِ وَصُدْغَيْهِ فَقالَ لَنا
هَذي المُدامَةُ مِنْ تِلْكَ العَناقِيدِ

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 124.

ومن شعره هذه الموشحة التي وصفها يحيى بن خلدون بـ((**عذبة السماع، محكمة الصنعة**))[1]. جاء بها:

مَنْ أطْلَعَ فَوْق مَايِسِ الرَّيْحانِ	بَدْر الأفُق
يَهْتَزُّ مُنَعَّماً على كُثْبانِ	تَحْت الغَسَق

***

مَنْ نَمَّق خدَّهُ بِرَضٍ أُنُفِ	بادي القَطْفِ
وطَرَّزه بِسالِف مُنْعَطَف	رَقْم الصُّحُفِ
والثَّغْرُ غَدَا لِدُرِّهِ كَالصَّدَف	قَدْ أنبَت في

***

مَرْج قد زانَهُ مِنَ المَرْجانِ	بالشُّهْدِ سُقِي
لَوْ جادَ على فُؤادي الظَّمْآنِ	أطْفَى حَرَقَي

***

بَدْرٌ أزْرارُهُ تَبَدَّتْ فَلَكَا	قَلْبي مَلَكَا
عَيْنَاهُ مَعَ الهَوَى دَمي سَفَكَا	فِيهِ اشْتَرَكَا
قَدْ أشْبَهَت ألْمَهَا لَحْظاً فَتَكَا	والخال حَكَى

***

مَسْكاً مُسْتَمْسِكاً عَلَى سُوسَانِ	غَضٌّ عَبِق
يُهْدَى كَنَسيمِ جَنَّةِ الرّضْوانِ	لِلْمُسْتَنْشِق

***

[1] **بغية الرواد، ج: 1، ص: 124.**

حَالي مُذْ غِبْتَ حَائِلٌ يا قَمَــرِي حَــالَ الكَــدَرِ
أنْــسَى باللَّيْــلِ مَعْ نِظام الــدُّرَرِ نَقْــرِ الوَتَــــرِ
إنْ كُنْت جَهِلْتَ أدْمُعِي كَالْمَطَــرِ قُلْ أو سَهَــرِي

***

فَسْــألْ جُنْحَ الظَّلاَمِ عَنْ هَيْمَــانِ بَــادي القَلَـــقِ
يُنْــبِي عَنْ فَيْضِ دَمْعِي الْهَتَّــانِ أو عَــنْ أرَقِي

***

الهَجْــرُ ووَصْلُهُ عَدُوٌّ وَحَبيــبْ داءٌ وَطَبيــــبْ
والقَلْبُ وَقَدُّهُ كَصَخْــرٍ وقَضِيــبْ قَاسٍ وَرَطِيــبْ
وَالرِّدْفُ وَخصرُهُ خصيبٌ وَجَديبْ غُصْنٌ وكَثِيــبْ

***

قَدْ شَابَــهَ مَــا بِثَغْــرِهِ الفَتَّــانِ مَــا بِالْعُنُـــقِ
وَالنَّرْجَــسُ ذَابِــلٌ مِنَ الأجْفَــانِ حَــوْلَ الحَــدَقِ

***

يَا صَاحِ أدِرْ عَلَيَّ وَالوَجْدُ مُقيــمْ أقْــدَاحَ نَعيـــمْ
مِنْ كَفِّ رَشَا مُهَفْهَفِ القَدِّ قَوِيــمْ وَالطَّرْفُ سَقِيــمْ
دُرِّيِّ الثَّغْــرِ رِيقُــهُ كَالتَّنْسيــمْ مِسْــكِيٌّ نَسِيــمْ

***

قَدْ أطْلَـعَ فِي كَوَاكِبِ القِطْعَـانِ   نُـور الشَّفَـق
هَـذَا كَالْـوَرْدِ عِنْـدَ مِيٍّ قَـانِ[1]   وَذَا يَقَـق

***

مَـنْ أنْبَتَـهُ اللهُ نَبَاتـاً حَسَنـاً   قَلْـبِي سَكَنَـا
أنْسَى الغُزْلاَنَ وَالمَهَا حِينَ رَنَـا   مِنْـهُ فُتِنَـا
قُلْ كَيْف أرُوحُ دُونَ وجْدٍ وَضَنَى   مِمَّـنْ فَتَنَـا

***

مَا أخْجَـلَ قَـدُّهُ غُصُونَ البَـانِ   بَيْـنَ الـوَرَق
إلاَّ وَسَـبَى المَهَا مَـعَ الغُـزْلاَنِ   سُـودَ الْحَـدَق

***

---

[1] في نص: ((مثل دمي قان)).

محمد بن صالح

ابن شفرون

لا يعرف عنه سوى أنه أحد الكتاب في بلاط الدولة الزيانية؛ كما قال يحيى بن خلدون. بينما ورد ذكره في زهر البستان أيضاً؛ في أحداث عام 762هـ/1360م؛ خلال فتح الجزائر صلحاً؛ إذ قال مؤلف الكتاب: ((وفي ذلك يقول أحد الشعراء؛ من أهل الجزائر مستعطفاً المولى أبى حمو، ومصرحاً بمحبتهم في الباطن والظاهر؛ وهو محمد بن صالح البلنسي))[1]. وواضح هنا؛ أنه من **بلنسية** أصلاً؛ فحمل اسمها؛ وسكن الجزائر؛ ولكنه التحق بخدمة أبي حمو إثر فتحه لمدينة الجزائر؛ فعمل في الكتابة ببلاطه.

* * *

[1] **ورقة: 54 ظ.**

ـ قـــال صاحـــب الترجمـــة هـــذه القصيـــدة في سنـــة 765هـ/1363م؛ إثــر عــودة السلطــان أبي حمــو مــن غــزوة شنهــا في التخــوم الغربيــة. ولــم يــرد ذكــره بعــد هــذه القصيــدة:

حدّثْ عن الملك المنصور ما شئتا
تجد ألــذ حديــث يشبــه القوتَــا
وذع غرائــب فتح كلها عجــب
غــدا النظــام بهــا دراً وياقوتَــا
واقــرع بها كل أذن فهي واعيــة
فقد أذاعت له في العالــم الصيتــا
إقطع بحسك قطعاً دون ما ريــبِ
فإنــه ملــك مــا شــاءه يــوتى
ولا يريبــك شــك أن نصرتــه
من السمــاء وما ينفــك مبخوتــا
لا يستطيــع عدو قــرب ساحتــه
من رامــه بعنــاد عــاد مكبوتــا
جرت على أفقــه الأقدار حاميــة
لــه فــزاد بهــا عــزاً وتثبيتــا
كم من عرمرم قد أرْدَتْ كتائبُــهُ
وخَلَّفَتْــهُ بطعن الرمــح منكوتــا

تنبيـك همتـه عن سـر مدتـه

فمـن رآه بديهـا عـاد مبهوتـا

لا تستفـزّ به الأهـواء جملتهـا

ولا الرقى لا ولا أسحار هاروتـا

مواقـف الحرب لا تعدو أوامـره

إن قال كـفّي لها لم تُبْـدِ تعنيتـا

وإن أشار بإغراءٍ لهـا قصمـت

ظهـر العدو ونالت منـه تشتيتـا

أنظر إشارته في الغرب ما صنعت

لما أتاهم ثنوا نحو العـرى ليتـا

وأصبحوا شُرَّداً في البيد قد جفلوا

مثل الظليـم غدا بالحبل مسؤتـا

وأسلمـوا جزعاً للحين جامعهـم

وخلفـوه حليـف الذعـر مقليتـا

ونافـر البعض بعضا بعد ألفتهـم

حتى لقد خِلْتُ ذا ضَبًّا وذا حوتـا

وعاد ما جمعوا أيدي سبا بـدداً

بضعف رأيٍ وقد جاءوا مصاليتـا

لو أنهم سئلوا عن أصل جفلتهـم

لقـال أثبتـم خلـت العفاريتـا

قل للأعـــارب والأعداء جاءكـــم

حامي الذمار فربع الموت مبغوتـــا

دينـــوا ببيعة موسى دون ما نكـــر

فإنـــه سيف ملك جـــاء أصليتـــا

لا يرفع السيف عنكم غير طاعته

فاستمثلـــوا أمره لا تبدوا جبروتـــا

كم منة نلتـــمُ من جـــود راحتـــه

إذ كان أعظمكـــم عارًّا ومسنوتـــا

أمدّكـــم بنعيـــم مـــن مواهبـــه

ومـــد أيديكـــمُ خيـــراً وسبروتـــا

فما رضيتم سوى كفـــران نعمتـــه

تبًّـــا لكـــم جئتـــمُ نكـــراً وتبهيتـــا

سيخلع السيف عنكم طوق منتـــه

وذاك أجـــدر بالكفـــار تشميتـــا

لا غرو أن الإمام العدل يرهقكـــم

عـــلى البهديـــة إيجافـــاً وتبييتـــا

وذاك فرض علينا كالصلاة فقـــد

مـــضى عليكم كتاب كان موقوتـــا

من ينصر الله ينصـــر في بريتـــه

ومن به يعتصـــم لم يُلْف مكبوتـــا

من ذا كموسى أمير المسلميـــن إذا

تـــدعى نزال ويغدو الشهم هرّيتـــا

ودارت الحرب دوراً كالرحى وسطت

على بنيهـــا ولمـــا تـــرْع تربيتـــا

هنـــاك تعرفـــه عرفـــان منتقـــد

تحت العجاجة يستقري الطواغيتا

ورمحـــه كشهـــاب أثر مستـــرق

يردي العداة به صميا وتصميتـــا

يديـــر في أدهم الهيجـــاء أدهمـــه

كـــر الحمايـــة قد أبدى المخافيتـــا

مولى أعاد رسوم الملك ظاهـــرة

بعـــد الدثـــور وقـــد لَمَّ الأشاتيتـــا

وأمســـد الحبل منهم يمن طلعتـــه

إذا كان من قبلُ واهي المسد مبتوتـــا

ورد من عـــدم قومـــا إلى نعـــم

وانهال من كرم لا يختـــشى ليتـــا

فرض على كل عبد الواد طاعتـــه

ومن سواه يـــروم الملـــك ملفوتـــا

لولاه لم تعرف الأعـــدّا معانـــدة

ولا أقاموا ولو كان ابن صابوتـــا

فإن يكـــن جده دينـــا يبـــوءُ بـــه

فجامـــع الكـــل زيـــان لما شيتـــا

وفضل موسى على كل بســـؤدَدِهِ

فقد أتى في بني زيـــان منعوتـــــا

به استقام قسطاس الملك دون مرًا

ومن به الملك يسمو راح كبريتـــا

مولاى يهنيـــك نصر الله يا أمـــلي

وللانـــام بما في الفتـــح أعطيتـــا

خذها إليك بقيت الدهر في دعـــة

من نظم ذي لسن ما زال سكيتـــا

لا زلت في نعم شـــتى مجـــددة

لا تـــدع في غـــرض إلاَّ ولبيتـــا

مني عليـــك سلام نشـــره عطـــر

ما حمل لله جرم الأرض بهموتـــا

* * *

ـ قــال الشاعــر هــذه القصيــدة إثــر فتــح الجزائــر صلحــاً؛ والدخــول إليهــا مــن قبــل أبي يعقــوب والــد أبي حمــو:

هنيئا لك الفتح الذي شرح الصـــدرا
هنيئا مريئاً حلّ ما [أوجب][1] النصرا

فسر لافتتاح الأرض آيـــة وجهـــة
فلا وجهة بفتحكم [تُرتضى][2] ثغـــرا

وصادم بعبد الـــواد كـــل عرمـــرم
فإن لهم أن يحملـــوا الآيـــة الكبـــرا

وخوف بهم في الحرب كل مخـــوف
وشرد بهم قوما لهم أظهروا مكـــرا

وزلزل بلادا قد أناخ بهـــا العـــدى
ولم يرقبوا في أهلها [شهورا ولا][3] دهرا

وجيش جيوش النصر من كل فرقة
وضيق على أعدائك البر والبحـــرا

---

[1] كلمة هنا غير واضحة؛ فعوضت بالكلمة الواردة بين حاصرتين.

[2] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((فلا وجهة بفتحكم ثغرا)). وهو مختل الوزن. والخلل في التفعيلتين: الثالثة والرابعة. لذا فقد أضفنا عبارة: ((تُبتغى))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ للتصويب.

[3] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((ولم يرقبوا في أهلها دهرا)). وبذلك يكون قد أختل وزنه؛ بسبب التفعيلتين: الثالثة والرابعة. لذا فقد أضفنا عبارة: ((شهورا فلا))؛ ووضعناها بين حاصرتين؛ لكي يستقيم الوزن.

وهو على متـــن الزمـــان مكلكـــل

فقد نلت ملك الأرض فاستلزم الشكرا

لأنـــت أميـــر المؤمنيـــن حقيقـــة

وخير بني زيـــان والملك الأســـرى

وأكـــرم من تـــأتي الوفـــود لبابـــه

وأجزل من يعطي المواهب والخيرا

وأنجز من يحمي ويستملك الـــورى

وأشجع من هز القواضب والسمـــرا

وأزكى ملوك الأرض فخرا وخيمـــة

وأزكى فخارا إن هُمُ ذكروا الصدرا

وأضخم طود فوق صهـــوة سابـــح[1]

إذا ما كساه طالبت في الوغى أجرا

مليـــك إذا شاهـــدت غـــرة وجهـــه

تشاهد نورا ساطعا قد علا البشـــرا

قضيـــة إسعـــاد ويمـــن ورحمـــة

هو الطائر الميمون لن تزجر الطيرا

عليه إمـــارات المحاســـن والعـــلى

وآيات مجد لا أطيـــق لها حصـــرا

---

[1] **كتبت في الأصل: ((سايح))؛ بالياء. وربما حرفها الناسخ هكذا؛ وليس الشاعر. خاصة وأن الصفة الشائعة للجواد؛ هي: ((سابح))؛ بالباء.**

ينيـــل عديمـــا إن غـــدا [بعذابـــه

عتيــق عطاء تتجلي دونه البشـــرا][1]

أمولاي موسى زادك اللـــه رفعـــة

وعـــزاً وإسعـــاداً وأولاكـــم يســـرا

وكـــن لليتـــامى والأرامـــل ملجـــأ

وخذ بجميل العفو واستعمـــل البـــرا

وراعي الرعايا فالرعيـــة حفظهـــا

يقيم بجاه الملك ما لم نـــرد جـــورا

وها هي يا مـــولاي مـــني قصيـــدة

أتت بافتتاح الفأل فتـــح لكم خيـــرا

بشيـــر بأن الفتـــح يـــوم طلولكـــم

على سدفات القطر حين ترى القطرا

فلا زلت يا مولاي تستعبد الـــورى

وتستعذب الآلاء[2] والمنـــح الكثـــرا

ولا زالـــت الأيـــام تخـــدم جندكـــم

وتجري على أعراضكم أبداً يســـرا

---

[1] نسخ هذا البيت بشكل رديء؛ بحيث تعذر فهم جل كلماته. وعليه فقد عوضناالكلمات الغمضة ووضعها بين حاصرتين.

[2] الآلاء هي: النعم. وجاء في قوله تعالى: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»؛ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان.

عليكم سلام يفضح[1] المســـك نشـــره

ويزري بأزهـــار الخمائل ما مـــرًّا

متى هدهدت في الأيك أرق حمامـــة

[تشيد بذكر طالما أثلـــج الصـــدرا][2]

* * *

[1] هكذا. والأفضل هي كلمة: ((يفصح)) بالصاد المهملة؛ لأن كلمة ((يفضح)) بالضاد الموحدة الفوقية؛ تطلق على كشف المساوئ.

[2] هذا الشطر غير واضح في الأصل تماماً. وعليه فقد وضعنا بدلا منه شطراً آخر؛ ووضعناه بين حاصرتين؛ من أجل استكمال الفكرة المبتورة.

محمد بن علي

ابن قاسم المرسي

لا يعرف عن صاحب هذه القصيدة؛ سوى أنه أحد كتاب الدولة الزيانية؛ ولم يرد ذكره إلاّ في بغية الرواد.

ـ أورد يحيى بن خلدون هذه القصيدة؛ بين القصائد التي قيلت بغرض تهنئة السلطان أبي حمو على دخول تدلس في حماه ببيعة أهلها له؛ وذلك في 16 شعبان من عام 776هـ/1374م. وقائل هذه القصيدة هو من سمي بمحمد بن علي بن قاسم المرسي.

مولَى الملوكِ وواحد الخلفاء
ومقرّ كلّ مجادة وعلاءِ
ومنوّل العافينَ ما لم يحوهِ
فكرٌ ولا لمحته عينُ الرّائي
لله في تكييفِ أمرك حكمة
بهرتْ شواهدها وسِرٌّ سماءِ
حكمت بتسويغ السَّعادة والمنَى
وقضتْ لعزّكم بنصرِ لواءِ

فشـــأوت أمـــلاكِ الزَّمـــان بأسرهـــمْ

شـــأواً علـــوت بـــه عَـــنِ النُّظـــراءِ

وغـــدوتَ أحرزهـــمْ لأسبـــابِ العـــلاَ

طـــراً وأحوزهـــمْ لطيـــبِ ثنـــاءِ

فليهنئـــكِ الفتـــح الـــذي عذبـــتْ بـــهِ

بيـــنَ الأنـــامِ مـــوارد السّـــراءِ

فالله يجعلـــه بدايـــة أنعـــم

خُوِّلْتَهـــا مـــن واهـــبِ النُّعمـــاءِ

مولايَ يا كهـــف العفـــاةِ وواهـــب الــ

ـــنعمـــا ومســـرح ألســـن الشّعـــراءِ

أجْنَيْتَـــنِي ثمـــر الأمـــاني دانيـــاً

فجـــزاكَ عـــنّي الله خيـــر جـــزاءِ

❋ ❋ ❋

محمد بن محمد

ابن احمد بن ابي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن ابن ابي بكر بن علي بن داود القرشي المقّري التلمساني[1] (ابو عبد الله)،

ولد **بتلمسان** أيام **أبي حمو موسى بن عثمان ابن يغمراسن بن زيان**[2]؛ ذلك ما كتبه بيده ونقله عنه **ابن الخطيب**.[3] هو من كبار فقهاء المالكية. تولى قضاء الجماعة **بتلمسان** ثم **بفاس**. ويعتبر من أعلام العلماء، وقضاة العدل والدين والجزالة. تولى التدريس والإفتاء ببلده. وينتمي إلى سلف صالح من أهل العلم والذكر. وكان جدّه ـ الخامس ـ **عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقَّري**[4]؛ من

---

[1] ترجم له حفيده أحمد المقري في كتابيه: نفح الطيب، وأزهار الرياض. وله أيضاً ترجمة في: الإحاطة في أخبار غرناطة، وتاريخ قضاة الأندلس، والتعريف بابن خلدون، وجذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، ونيل الابتهاج.

[2] حكم من سنة 707هـ/1308م إلى سنة 718هـ/1318م.

[3] الإحاطة، القسم الثاني، ص: 600.

[4] والمقري نسبة إلى مَقَّرَة ((مَقْرة))؛ الواقعة بين مدينتي: المسيلة وبريكة في الجزائر الآن. ويقول أحمد المقّري حفيده؛ في كتابه نفح الطيب: ((وهي مَقَّرَة؛ من قرى زاب إفريقية؛ وانتقل منها جدُّه إلى

أتباع الولي الصالح **أبي مدين شعيب**؛ قدم معه إلى **تلمسان**. وقال صاحب الترجمة؛ فيما كتبه بخطه[1] أن هذا الأخير دعا لجدّه ولذرته؛ فظهر عليهم ما يُفيد قبول الدعوة. أما ذرية الجد الأول **للمقري** ـ مريد أبي مدين ـ فقد اشتغلوا في تجارة قوافل السودان عبر الصحراء. وأهمهم أولاد **يحيى**؛ وهم خمسة رجال؛ اتفقوا بعقد شراكة بينهم في تلك التجارة المربحة. ويقول صاحب الترجمة أن **أبا بكر ومحمدا**؛ منهما؛ ينحدر نسبه منهما إليه من جهة الأب والأم؛ قد أقاما في **تلمسان**؛ بينما اختار **عبد الرحمن** الإقامة في **سجلماسة**؛ أما الأخوان الصغيران: **عبد الواحد، وعلي**؛ فقد استقرا في **إيوالاتن**[2]. ثم أضاف: **((فاتخذوا هذه[3] الأقطار والحوايط[4] والديار، فتزوجوا[5] النساء[6]. واستولدوا الإماء. وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع.**

تلمسان؛ صحبة شيخه ولي الله سيدي أبي مدين رضي الله عنه)). نفح الطيب، ج: 5، ص: 205.

[1] ذكر ابن الخطيب أنه اطلع على مخطوط كتبه المقري الجد بخطه. وما ورد هنا؛ مقتبس بتصرف من الإحاطة. القسم الثاني، ص ص: 529 - 602.

[2] إيوالاتن: موضع في عمق الصحراء؛ ويتواجد الآن في موريطانيا.

[3] في نفح الطيب: ((بهذه الأقطار الحوائط)).

[4] أي مزارع النخيل.

[5] نفح الطيب: ((وتزوجوا النساء)).

[6] أضيفت من نفح الطيب.

ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجوز والتّبر. والسجلماسي كلسان الميزان؛ يعرفهما بقدر الرجحان والخسران[1]، ويكاتبهما بأحوال التجار، وأخبار البلدان، حتى اتسعت أموالهم، وارتفعت في الفخامة[2] أحوالهم. ولما افتتح التكرور[3] كورة إيوالاتن وأعمالها، أصيبت أموالهم، فيما أصيب من أموالها؛ بعد أن جمع من كان بها[4] منهم إلى نفسه الرجال، ونصب دون ماله[5] القتال. ثم اتصل بملكهم؛ فأكرم مثواه، ومكّنه من التجارة بجميع بلاده، وخاطبه بالصّديق الأحب، والخلاصة الأقرب، ثم صار يكاتب من بتلمسان، يستقضي منهم مآربه، فيخاطبه بمثل تلك المخاطبة. وعندي من كتبه وكتب الملوك بالمغرب، ما ينبئ عن ذلك. فلما استوثقوا من

---

[1] في النفح: ((بقدر الخسران والرجحان)).
[2] نفسه: ((الضخامة)).
[3] التكرور: اسم لشعب كبير من القبائل الحامية؛ أسسوا مملكة شاسعة الأطراف بإفريقيا السوداء؛ عريقة في القدم؛ امتدت من غرب السودان (دارفور حالياً)؛ وحتى المحيط الأطلسي في (السِّنِغال). إذ كانت تشمل ما يعرف الآن بـ: تشاد، والنيجر، ونيجيريا، ومالي، والسينيغال. ودخل الإسلام في مملكة التكرور بشكل رسمي؛ في عهد ملكها: ((وارديابي))؛ المتوفي سنة 432هـ/1040م. غير أن بعض الدلائل تفيد أن الإسلام دخل إلى مملكة تكرور- في أضيق الحدود - قبل سنة 422هـ/1030م؛ بسنوات عديدة؛ وذلك بواسطة التجار الوافدين من شمال إفريقيا.
[4] في النفح: ((فيها)).
[5] نفسه: ((دونها ودون مالهم القتال)).

الملـوك، تذللـت لهـم الأرض للسلـوك؛ فخرجـت أموالهـم عـن الحـدّ، وكـادت تفـوق[1] الحصـر والعـدّ، لأن بـلاد الصحـراء، قبـل أن يدخلهـا أهـل مصـر كانـت تجلـب لهـا مـن المغـرب[2] مـا لا بـال لـه[3] مـن السلـع، فيعـاوض[4] عنـه بمـا لـه بـال مـن الثمـن))[5]. ثـم أضـاف: **((ولمـا هلـك[6] هـؤلاء الأشيـاخ، جعـل أبناؤهـم ينفقـون ممـا تركـوا لهـم ولـم يقومـوا بأمـر التثميـر قيامهـم، وصادفـوا تـوالي الفتـن، ولـم يسلمـوا مـن جـور السلطـان[7]، فلـم تـزل[8] حالهـم في نقصـان إلى هـذا الزّمـان[9] [فهـا أنـا ذا لـم أدرك في ذلـك إلاّ أثـر نعمـة اتخذنـا فصولـه عيشـاً، وأصولـه حرمـة. ومـن جملـة ذلـك؛ خزانـة كبيـرة مـن الكتـب، وأسبـاب كثيـرة تعيـن علـى الطّلـب، فتفرغـت بحـول الله عـز وجـل للقـراءة؛ فاستوعبـت أهـل البلـد لقـاء، وأخـذت عـن بعضهـم عرضـاً وإلقـاء، سـواء المقيـم القاطـن، والـوارد**

---

[1] في النفـح: ((تفـوت)).
[2] كتبت هذه العبارة في نفح الطيب كما يلي: ((كان يجلب لها من المغرب)).
[3] أي مـا ليس لـه شأن يذكر.
[4] في نفح الطيـب: ((فتعـاوض)).
[5] الإحاطـة، القسم الثـاني، ص ـ ص: 531 - 533.
[6] في نفـح الطيـب: ((ولمـا درج)).
[7] نفسـه: ((السلاطيـن)).
[8] نفسـه: ((فلـم يـزل)).
[9] نفسـه: ((الزمـن)).

والظاعن][1]**...))**[2]. أشاد بعلمه وفضله جل الذين ترجموا له. منهم ابن الخطيب الذي قال فيه: **((هذا الرجل مشار إليه بالعدوة المغربية اجتهاداً، ودؤوباً، وحفظاً وعناية، واطلاعاً، ونقلاً ونزاهة؛ سليم الصّدر، قريب الغور، صادق القول، مسلوب التصنّع، كثير الهشّة، مفرط الخفّة، ظاهر السذاجة، ذاهب أقصى مذاهب التّخلق، محافظ على العمل، مثابر على الانقطاع، حريص على العبادة، مضايق في العقد والتوجه، يكابد من تحصيل النِّيَّة بالوجه واليدين مشقة، ثم يغافص الوقت فيها، ويوقعها دفعة متبعاً إياها زعقة التكبير، برجفة، ينبو عنها سمع من لم يكن**[3] **تأنس بها عادة، بما هو دليل على حسن المعاملة، وإرسال السجية، قديم النعمة، متصل الخيرية، مكب على النظر والدرس والقراءة، معلوم الصيانة والعدالة، منصف في المذاكرة، حاسر الذراع**[4] **عند المباحثة، راحب عن الصدر في وطيس**

---

[1] هذه الفقرة الموجودة بين حاصرتين نقلت عن نفح الطيب؛ لأنها غير موجودة في الإحاطة.

[2] الإحاطة، القسم الثاني، ص ص: 534 - 535.

[3] في النفح: ((من لم تؤنسه بها العادة)).

[4] نفسه: ((للذراع)).

المناقشة، غير مختار[1] للقرن، ولا ضان[2] بالفايدة، كثير الالتفاف، متقلب الحدقة، جهير بالحجة، بعيد عن المراء والمباهتة، قايل بفضل أولي الفضل من الطلبة، يقوم أتم القيام على العربية والفقه والتفسير، ويحفظ الحديث، ويتهجر بحفظ الأخبار[3] والتاريخ والآداب، ويشارك مشاركة فاضلة في الأصلين والجدل والمنطق، ويكتب ويشعر؛ مصيباً في ذلك غرض الإجادة[4]؛ ويتكلم في طريقة الصوفية كلام أرباب المقال، ويعتني بالتدوين فيها))[5]. ووصفه النباهي بقوله: **((كان هذا الفقيه ـ رحمه الله ـ في غزارة الحفظ، وكثرة مادة العلم؛ عبرة من العبر، وآية من آيات الله الكبر؛ قلَّما تقع مسألة إلاّ ويأتي بجميع ما للناس فيها من الأقوال؛ ويرجح ويعلِّل، ويستدرك ويكمل؛ قاضياً ماضياً، عذلاً جذلاً؛ قرأ ببلده على المدرِّس أبي موسى عمران المشدالي صهر أبي علي ناصر الدين، وعلى غيره؛ وقام**

---

[1] كلمة مختار مضافة من نفح الطيب.
[2] أي لا باخل بالفائدة.
[3] في النفح: ((يحفظ التاريخ والأخبار)).
[4] أضيفت من نفح الطيب.
[5] الإحاطة، القسم الثاني، ص ص: 535 - 537.

بوظائف القضاء أجمل قيام))[1]. رحل المقري الجد إلى **المشرق**؛ فبدأ رحلته **ببجاية** أين التقى بعض علمائها؛ **كأبي عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، (ابن المُسَفِّر)**[2]، وقاضي بجاية أبي عبد الله **محمد بن الشيخ أبي يوسف يعقوب الزواوي**، وأبي **علي حسن بن حسن**[3] الضليع في علوم المعقولات؛ ثم انتقل إلى **تونس**؛ حيث أخذ عن قاضي الجماعة فيها؛ الفقيه **أبي عبد الله بن عبد السلام**[4]، وقاضي المناكح **أبي محمد اللخمي**[5]؛ والفقيه **أبي عبد الله بن هارون**؛ شارح **ابن الحاجب** في الفقه والأصول. وبعدها رحل إلى **الحجاز**؛ فأدى فريضة الحج، وتعرّف على بعض العلماء هناك؛ مثل: **أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن التوزري** المعروف **بخليل، وأبي العباس رضي**[6] **الدين الشافعي**. وفي عودته دخل **بلاد الشام**؛ فلقي **بدمشق شمس**

---

[1] تاريخ قضاة الأندلس، ص: 169.

[2] ترجمته في نيل الابتهاج، والديباج المذهب. وقد توفي في سنة 743هـ/1342م.

[3] في النفح: ((أبو علي حسين بن حسين)).

[4] هو محمد بن عباد السلام المنستيري؛ ترجمته في نيل الابتهاج، وتاريخ قضاة الأندلس، والتعريف بابن خلدون. وتوفي سنة 750هـ/1349م.

[5] في النفح: ((الأجمي)).

[6] نفسه: ((ابن رضي)).

الدين بن قيم الجوزية؛ صاحب **ابن تيمية**، **وصدر الدين الغماري المالكي**، **وأبا القاسم بن محمد اليماني الشافعي**، وآخرين. وفي **بيت المقدس**؛ التقى **أبا عبدالله بن مُثْبت**، والقاضي **شمس الدين ابن سالم**، والفقيه **أبا عبد الله بن عثمان**، وآخرين.

ثم عاد إلى **تلمسان**؛ حيث تولى تدريس العلم. وكان **أبو عنان** على رأس ولاية **تلمسان** أيام أبيه **أبي الحسن**. فوجد **محمد المقري** في محلّ الصدارة بين علماء **تلمسان**. ولما انتقض على والده، وخلعه في سنة 749هـ/1348م؛ كلَّف صاحب هذه الترجمة بكتابة خطاب البيعة؛ فكتبه وقرأه على الملأ من الناس. ثم ارتحل في ركاب **أبي عنان** إلى **فاس**؛ حاضرة الدولة المرينية. وهناك؛ وُلِّي خطة قضاء الجماعة؛ بعد عزل القاضي المُسِن **أبي عبد الله بن عبد الرزاق**. وفي هذا؛ كتب ابن الخطيب: **((فاستقل بذلك أعظم الاستقلال، وأنفذ الحكم**[1]**، وألان الكلمة، وآثر التسديد، وحمّل الكَلَّ**[2]**، وخفض الجناح، فحسنت عنه القالة**[3]**، وأحبته الخاصة والعامة. حضرت بعض**

---

[1] **في نفح الطيب ((الحق)).**
[2] **الكَل: التعب والإجهاد.**
[3] **أي أقوال الناس.**

مجالسه للحكم، فرأيت من صبره على اللَّدد[1]**، وتأتيَّه**[2] **للحجج ورفقه بالخصوم، ما قضيت منه العجب))**[3].

وقد اختُلِف في سبب تركه لخطة القضاء في **فاس**؛ فمن قائل أنه تركها زهداً فيها؛ وقائل أنه أُبْعِد عنها جراء غضب السلطان وسخطه عليه. فهذا **النباهي** يقول: ((**ثم إنه كره الحكم بين الناس، وتبرّم من حمل أمانته، ورام الفرار عنه بنفسه؛ فتنشَّب في انتظامه، وتوجه عليه الإنكار من سلطانه؛ ثم إنه تُرك ـ بعد عناء شديد ـ لشأنه))**[4]. ويؤيد هذا الرأي حفيده **أحمد المقري**؛ الذي قال: ((**فإن مولاي الجد المذكور كان نزل عن القضاء وغيره))**[5]. وفي المقابل؛ يرى عبد الرحمن بن خلدون؛ أن **أبا عنان** عزله عن القضاء؛ وكلفه بالسفارة: ((**فلم يزل قاضياً بها [أي بفاس] إلى أن سخطه لبعض النزعات الملوكية؛ فعزله، وأدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي؛ آخر سنة ست**

---

[1] **اللَّدد: شدة الخصومة.**
[2] **في النفح: ((وتأنّيه)).**
[3] **الإحاطة، القسم الثاني، ص ص: 537 - 538.**
[4] **تاريخ قضاة الأندلس، ص ص: 169 - 170.**
[5] **نفح الطيب، مج: 5، ص: 214.**

وخمسين [وسبعمائة]؛ **ثم بعثه في سفارة إلى الأندلس؛ فامتنع من الرّجوع))**[1]. ويبدو أن هذا الرأي الأخير يؤيده **ابن الخطيب**؛ الذي استهل فقرة عن دخوله غرناطة؛ بقوله: **((ثم لما أُخِّر عن القضاء، استعمل بعد لأي في الرسالة))**[2]. بقي – بعد إبعاده عن القضاء – في خدمة بلاط **المرينيين**؛ إذ كلفه **أبو عنان** بالسفارة إلى الملوك. وذكر **ابن الخطيب** أنه وفد إلى **حمراء غرناطة** رسولاً عن **أبي عنان** في جمادى الثانية من سنة 756هـ/1355م. ولكنه – بعد إكمال مهمته في السفارة – لم يعد إلى **المغرب**؛ وانتقل إلى **مالقة**؛ أين قرّر الاعتكاف، والتفرغ للعبادة، والابتعاد عن أهل الحكم والسلطان. ولما وصل خبره إلى **أبي عنان**؛ ثار، وسخط؛ وحمَّل سلطان **غرناطة** المسؤولية؛ على اعتبار أنه وصل إليه ضمن وفد رسمي يمثله؛ وطالبه بإعادته إليه[3]. وحدثت بسبب ذلك؛ أزمة ديبلوماسية بين السلطانين؛

---

[1] التعريف بابن خلدون، ص: 60.

[2] الإحاطة، القسم الثاني، ص: 538.

[3] علق حفيده أحمد المقري على هذه الحادثة بقوله: ((قلت: هذه آفة مخالطة الملوك. فإن مولاي الجد المذكور؛ كان نزل عن القضاء وغيره؛ فلما أراد التخلي إلى ربّه؛ لم يتركه السلطان أبو عنان كما رأيت)). نفح الطيب، مج: 5، ص: 214.

تخللتها خطابات عديدة انتقلت بين الطرفين؛ وقد جُمِعَت تلك الخطابات التي كتبها ابن الخطيب في كتابه "كناسة الدكان بعد انتقال السكان". ولما اشتد الخلاف، وحمي الجدل؛ قدم **محمد المقري إلى غرناطة**؛ حيث اعتكف في مسجدها. وانتهى الخلاف؛ باتفاق عُقِدَ بين الطرفين؛ يقضي بعودة **المقري إلى فاس**؛ بعد تعهد **أبي عنان** بالعفو عنه من قبل: **((ولما تحصل ما تيسر من ذلك، انصرف محفوفاً بعالمي القطر: قاضي الجماعة أبي القاسم الحسني المترجم به قبله، والشيخ الخطيب أبي البركات بن الحاج، مستهلين لوروده، مشافهين للشفاعة في غرضه، فأقشعت الغُمَّة، وتنفست الكربة))**[1]. ويشرح **عبد الرحمن بن خلدون** ذلك الحال؛ بصفته شاهد عيان؛ آنئذ؛ فيقول: **((واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبي عنان؛ وأوفده مع الجماعة من شيوخ العلم بغرناطة؛ ومنهم القاضيان بغرناطة: شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي ـ شيخ الدنيا جلالة، وعلماً ووقاراً، ورئاسة، وإمام اللسان حوكاً ونقداً في نظمه ونثره ـ وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن**

---

[1] **الإحاطة، القسم الثاني، ص ص: 540 - 541.**

محمد بن إبراهيم بن الحاج البلفيقي؛ من أهل المرية ـ شيخ المحدثين، والفقهاء، والأدباء، والصوفية، والخطباء بالأندلس، وسيد أهل العلم بإطلاق، والمتفنن في أساليب المعارف، وآداب الصِّحابة للملوك فمن دونهم. فوفدا به [أي بالمقري] على السلطان شفيعين؛ على عظيم تشوُّقِهِ للقائهما؛ فَقُبِلَت الشفاعة، وأنجحت الوسيلة. حضرت بمجلس السلطان يوم وفادتهما ـ سنة سبع وخمسين [وسبعمائة]؛ وكان يوماً مشهوداً. واستقرَّ القاضي المَقَّري في مكانه بباب السلطان؛ عُطْلاً من الولاية والجِراية. وجرت عليه ـ بعد ذلك ـ محنة من السلطان؛ بسبب خصومة وقعت بينه وبين أقاربه؛ امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفَشْتَالي؛ فتقدم السلطان إلى بعض أكابر الوَزَعَة ببابه؛ بأن يَسْحَبَه إلى مجلس القاضي؛ حتى أنفذ فيه حكمه. فكان الناس يعدونها محنة. ثم ولاَّه السلطان ـ بعد ذلك ـ قضاء العساكر في دولته؛ عندما ارتحل إلى قسنطينة؛ فلما افتتحها، وعاد إلى دار ملكه بفاس آخر ثمانِ

وخمسين [وسبعمائة]؛ اعتلَّ القاضي المقري في طريقه؛ وهلك عند قدومه بفاس))[1].

وقد نقل ابن الخطيب ما سجله القاضي **المقري** بيده من معلومات تخص شيوخه؛ فقال: **((قال: فممن أخذت عنه، واستفدت منه علماها ـ يعنى تلمسان**[2] **ـ الشامخان، وعالماها الراسخان: أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى؛ إبنا محمد ابن عبد الله بن الإمام**[3]**، وحافظها ومدرسها ومفتيها: أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي**[4]**، صهر شيخ المتأخرين**[1]**، أبي علي ناصر**

---

[1] التعريف بابن خلدون: ص ص: 61 - 62.

[2] هذه العبارة مضافة من نفح الطيب.

[3] ترجمة هذين الإمامين موجودة في الجزء الأول من هذا الكتاب، وفي التعريف بابن خلدون، والعبر، والديباج المذهب، ونيل الابتهاج، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، والبستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. توفي أبو زيد سنة 743هـ/1342م. أما أبو موسى فتوفي بالطاعون في تلمسان سنة 749هـ/1348م. وقد أسهب المقري في الحديث عن هذين العالمين الجليلين؛ ويفهم من كلامه أن ما ذكره استمد من رسالة لجدّه عنوانها (نظم الآلي في سلوك الأمالي)؛ وقال أنّ ابن الخطيب؛ اختصر منه الذي أورده في الإحاطة: ((وقد ذكر لسان الدين - رحمه الله تعالى - في (الإحاطة) شيوخ مولانا الجد؛ فلنذكرهم من جزء الجد الذي سماه (نظم الآلي في سلوك الأمالي)؛ ومنه اختصر لسان الدين ما في (الإحاطة) في ترجمة مشيخته)). نفح الطيب، مج: 5، ص: 215.

[4] سماه صاحب نفح الطيب بـ(المشدالي)؛ وهو أقرب إلى الصحة؛ لأن مشدالة قبيلة أمازيغية من المغرب الأوسط. وترجمته موجودة في الجزء الأول من هذا الكتاب، وفي نيل الابتهاج. ولد أبو موسى المشدالي سنة 670هـ/1271م. وتوفي عام 745هـ/1344م، ومصادر أخرى كثيرة.

الدين[2] على ابنته، ومشكاة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن حكيم الكناني[3] السلوي رحمه الله. ومنهم: القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النور[4]، والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن[5] البرّوني، وأبو عمران موسى بومن[6] المصمودي الشهير بالبخاري. قال سمعت البرّوني يقول: كان الشيخ أبو عمران يدرس البخاري[7]، ورفيق له يدرس صحيح مسلم، وكانا يعرفان بالبخاري ومسلم، فشهدا عند قاضٍ، فطلب المشهود عليه بالإعذار فيهما؛ فقال له أبو عمران أتمكنه من الإعذار في الصحيحين: البخاري ومسلم؛ فضحك القاضي، وأصلح بين الخصمين. ثم قال، ومن شيوخي الصلحاء الذين لقيت بها: خطيبها الشيخ أبو عثمان سعيد ابن إبراهيم بن علي الخياط، أدرك أبا إسحاق

---

[1] في النفح ((المدرسين)).

[2] يسمى منصور بن أحمد بن عبد الحق؛ الذي توفي سنة 731هـ/1330م. وترجمته في نيل الابتهاج.

[3] سقطت كلمة ((كناني)) في نفح الطيب.

[4] ترجمته موجودة في الجزء الأول من هذا الكتاب، وفي التعريف بابن خلدون، وجذوة الاقتباس، ونيل الابتهاج.

[5] في نفح الطيب: ((الحسين)). وله ترجمة في نيل الإبتهاج.

[6] كلمة ((بومن)) لم ترد في النفح.

[7] في النفح: ((يدرس صحيح البخاري)).

الطيار. ومنهم: أبو عبد الله بن محمد الكرموني، وكان بصيراً بتفسير الرؤيا، فمن عجايب شأنه، أنه كان في سجن أبي يعقوب يوسف بن عبد الحق مع من كان فيه، من أهل تلمسان؛ أيام محاصرته لها، فرأى أبا جمعة علي التلالسي الجرايحي منهم؛ كأنه قايم على ساقيةٍ دايرةٍ، وجميع أقداحها وأقواسها تصب في نقير في وسطها؛ فجاء ليشرب؛ فاغترف الماء؛ فإذا فيه فرْثٌ ودم؛ فأرسله، واغترف فإذا هو كذلك، ثلاثاً أو أكثر، ثم عدل إلى خاصة ماء، فجاءها وشرب منها. ثم استيقظ، وهو النهار[1]؛ فأخبره، فقال: إن صدقت الرؤيا، فنحن عن قليل خارجون من هذا السجن. قال كيف؟ قال الساقية الزمان، والنقير السلطان، وأنت جرايحي، تدخل يدك في جوفه فينالها الفرث والدم، وهذا ما لا يحتاج معه إلى دليل، فأُخْرج، فوجد السلطان مطعوناً بخنجر، فأدخل يده في جوفه، فناله الفرث والدم، فخاط جراحته وخرج، فرأى خاصة ماء، فغسل يده وشرب. ولم يلبث السلطان أن توفي، وسرحوا من كان في سجنه))[2].

---

[1] هكذا. ربما يقصد: وهو ذا النهار.
[2] الإحاطة، القسم الثاني، ص ص: 547 - 550.

ثم أضاف ابن الخطيب العلامة أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الآبلي التلمساني؛ وبعدها واصل نقل ما سجله صاحب الترجمة بخطه؛ فقال: ((قدم على مدينة فاس، شيخنا أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي، عرف بابن المُسَفِّر. رسولاً من صاحب بجاية. وزاره الطلبة، فكان مما حدثهم أنهم كانوا على زمان ناصر الدين، يستشكلون كلاماً وقع في تفسير سورة الفاتحة من كتب فخر الدين، واستشكله الشيخ معهم. وهذا نصه: "ثبت في بعض العلوم العقلية، أن المركب مثل البسيط في الجنس، والبسيط مثل المركب في الفصل، وأن الجنس أقوى من الفصل". فأخبروا بذلك الشيخ الآبلي؛ لَمَّا رجعوا إليه، فتأمله ثم قال: هذا كلام مصحف؛ وأصله أن المركب قبل البسيط في الحسِّ، والبسيط قبل المركب في العقل، وإن الحس أقوى من العقل، فأخبروا ابن المُسَفِّر؛ فلجَّ: فقال لهم الشيخ، التمسوا النسخ؛ فوجدوا في لفظ بعضها كما قال الشيخ))[1].

---

[1] الإحاطة، القسم الثاني، ص: 551.

ألـــف المقـــري الجـــد؛ مجموعـــة مـــن الرسائـــل؛ منهـــا: كتـــاب يشتمـــل عـــلى مائـــة مسألـــة فقهيـــة، ثـــم رسائـــل في التصـــوف؛ كـــ "إقامـــة المريـــد"، ورحلـــة المتبتـــل، وكتـــاب الحقائـــق الرقائـــق. وغيـــره مـــن التآليـــف.

***

شعره

جاء في كتاب الإحاطة: **((نقلت من ذلك قوله: هذه لمحة العارض لتكملة ألفية[1] ابن الفارض، سلب الدهر من فرايدها مائة وسبعة وسبعين؛ فاستعنت على ردِّها بحول الله المعين)):**

من فصل الإقبال[2]

رفضت السَّوى وهو الطهارة عندما
تلفعت في مرط الهوى وهو زينتي[3]
وجئت الحمى وهو المصلى ميمماً
بوجهة قلبي وجهها وهو قبلتي
وقمت وما استفتحت إلا بذكرها
وأحرمت إحراماً لغير تجلة[4]

---

[1] كلمة ((ألفية)) أضيفت من نفح الطيب.
[2] هذه القصيدة موجودة في الإحاطة، ونفح الطيب،
[3] صرح أحمد المقري في نفح الطيب؛ أنه نقل هذه القصائد عن الإحاطة.
[4] في نفح الطيب: ((تحلّة))؛ بالحاء المهملة.

فديني إن لاحت ركوع وإن دنــــت

سجــود وإن لاهــت[1] قيام بحســـرة

على أننا في القرب والبعــد واحــد

تألفنـــا[2] بالوصـــل عيـــن التشتـــت

وكم من هجير خضت ظمآن طاوياً

إليهــا وديجــورٍ طويــت برحلـــة

وفيها لقيــت الموت أحمــر والعدا

مزرقـــةٌ[3] أسنـــان الرمـــاح وحـــدة

وبيـــني وبين العـــذل فيها منـــازل

تنسيـــك أيـــام الفجـــار ومؤنـــة

ولمـــا اقتسمنـــا خطتينـــا فحامـــل

فجـــار بـــلا أجـــر وحامـــل بـــرة

خلا مسمعي من ذكرها فاستعدتـــه

فعاد ختـــام الأمر أصـــل القضيـــة

وكم لي على حكم الهوى من تجلـــد

دليل عـــلى أن الهوى من سجيـــتي

---

[1] أي تسترت.
[2] في النفح: ((تؤلفنا)).
[3] نفسه: ((بزرقة))؛ وهذا أسلم.

يقول سميري والأســا سالم الأسى

ولا توضــع الأوزار إلا لمحنــة

لو أن مجوساً بــت موقــد نارهــا

لمــا ظــل إلا منهــلاً ذا شريعــة

ولو كنت بحراً لم يكن فيه نضحــة

لعين إذا نــار الغــرام استحــرت

فلا ردم من نقيب[1] المعــاول آمِــنُ

ولا هــدم إلاك شيـــد[2] بقـــوة

فمم تقــول الأسْفِطْســات[3] منــك أو

عــلام مــزاج ركبــت أو طبيعــة

فإن قام لم يثبــت له منــك قاعــد

وإلا فأنت الدهــر صاحــب قعــدة

فما أنت يا هذا الهوى ماء أو هــوا

أم النـــار أم دساس عرق الأمومــة

وإني على صبري كما أنت[4] واصف

وحـــالي أقــوى القائميــن بحجــة

---

[1] في النفح: ((نَقْب))؛ وهو أسلم.
[2] نفسه: ((إلا منك شيد))؛ وهو أسلم.
[3] نفسه: ((الأسطقسات)).
[4] نفسه: ((أنــا)).

أقل الضنى إن عج من جسمي الضـــنى

وما شاكه معشـــار بعض شكيـــتي

وأيســـر شوقي أنـــني ما ذكرتهـــا

ولم أنسهـــا إلا احترقـــت بلوعـــة

وأُخْفي الجوى قرع الصواعق منك في

جـــواي وأخفى الوجد صبر المودة

وأسهـــل ما ألـــقى من العـــذل أنني

أحـــب أفـــلي[1] ذكرهـــا وفضيحـــتي

وأوج حظوظي اليوم منها حضيضها

بالأمس وَسُلُ حرٍّ الجفون الغزيـــرة

وأوجـــز أمـــري إن دهـــري كلـــه

كما شاءت الحسنـــاء يوم الهزيمـــة

أروح وما يلـــقى التأسف راحـــتي

وأغـــدو وما يعـــدو التفجُّع خِطَّتي

وكالبيض بيض الدهر والسمر ســوده

مساعتهـــا في طي طيب المســـرة

وشأن الهوى ما قد عرفت ولا تسل

وحسبك أن لم يخبر الحـــب رؤيتي

[1] في النفـح: ((أقلّيْ)).

سقـــام بلا برء ضـــلال بلا هـــدًى

أوام بـــــلا ري دم لا بقيمـــــة

ولا عتب فالأيام ليـــس لها رضـــاً

وإن ترض منها الصبر فهو بغيـــتي[1]

ألا أيهـــا اللـــوام عـــني قَوِّضـــوا

ركـــاب ملامي فهـــو أول محنـــتي

ولا تعذلوني في البكـــاء ولا البُكى

وخلو سبيلي ما استطعتم ولوعـــتي

فما سلسلـــت بالدمع عيني إن جنت

ولكـــن رأت ذاك الجمـــال فجنـــت

تجلى وأرجـــاء الرجـــاء حوالـــك

ورشـــدي غاو والعمايـــات عمـــت

فلـــم يستبـــن حتى كـــأني كاســـف

وراجعـــت إبصاري له وبصيـــرتي

* * *

---

[1] **في النفـح: ((بغيـتي)).**

ومن فصل الاتصال[1]

وكم موقف لي في الهوى خضت دونه
عباب الردى بين الظبا والأسنة
فجاوزت في حدي مجاهدتي له
مشاهدتي لما سمت بي همتي
وحل جمالي في الجلال فلا أرى
سوى صورة التنزيه في كل صورة
وغبت عن الأغيار في تيه حالتي
فلم أنتبه حتى امتحى اسمي وكنيتي
وكاتبت ناسوتي بأمارة الهوى
وعدت إلى اللاهوت بالطمئنة
وعلم يقيني صار عيناً حقيقة
ولم يبق دوني حاجب غير هيبتي
وبدلت بالتلوين تمكين عزة
ومن كل أحوالي مقامات رفعة
وقد غبت بعد الفراق والجمع موقفي
مع المحو والإثبات عند تثبتي

---

[1] هذه القصيدة موجودة في الإحاطة، ونفح الطيب.

وكم جلت في سَمِّ الخِياط وضاق بي

لبسطي وقبضي بسط وجه البسيطة

وما اختــرت إلا دن بقراط زاهــدا

وفي ملكوت النفــس أكبــر عبــرة

وفقري مع الصبر اصطفيت على الغنى

مع الشكر إذ لم يحظ فيه مثوبــتي

وأكتــم حــبي ما كَنَى عنه أهلــه

وأكني إذا هــم صرحــوا بالخبيــة

وإني في جنــسي ومنــه لواحــد

كنــوع ففصل النوع علة حصــتي

تسببــت في دعوى التوكل ذاهبــاً

إلى أنَّ أجدى حيلــتي ترك حيلــتي

وآخــر حــرف صــار مني أولا

مريــداً وحرف في مقــام العبــودة

تعرفــت يوم الوقف منزل قومهــا

فبــت بجمــع ســدَّ خرق التشتــت

فأصبحت أقضي النفس منها منى الهوى

وأقضي على قلبي برعي الرعيــة

فبايعتهــا بالنفــس داراً سكنتهــا

وبالقلــب منه منــزلاً فيــه حلــت

فخلص الاستحقاق نفسي من الهوى

وأوجب الاسترقاق تسليـــم شُفْعــــة

فيا نفـــس لا ترجـــع تقطـــع بيننـــا

ويا قلب لا تجزع ظفـــرت بوحــــدة

* * *

ومن فصل الإدلال[1]

تبـــدت لعيني من جمالـــك لمحـــة

أبادت فـــؤادي من سناهـــا بلفعـــة[2]

ومرت بسمعي من حديثـــك ملحـــة

تبـــدت لها فيـــك القـــران وقـــرت

ملامي أبِنْ عذري استبن وجدي استعن

سماعي أعن حالي أبِنْ قائلي أصمت

فمن شاهدي سخط ومن قاتلي رضا[3]

وتلويـــن أحوالي وتمكيـــن رتبـــتي

مرامي إشـــارات مـــراعي تعكـــر[4]

مـــراقي نهايـــات مـــراسي تثبـــت

وفي موقفي والدار أوقوت رسومها

تقـــرب أشـــواقي تبعـــد حســـرتي

معـــاني إمـــارات مغـــاني تذكـــر

مبـــاني بدايـــات مثـــاني تلفـــت

---

[1] هـذه القصيدة موجودة في الإحاطـة، ونفـح الطيـب.

[2] في النفـح: ((بلفحـة)).

[3] في النفـح: ((قائـلي رضـا)).

[4] في النفـح: ((تفكـر)).

وبُـــثَّ غرامٌ والحبيـــب بحضـــرة

وَرُدَّ ســـلام والرقيـــــب بغفلـــــة

ومطلع بدر في قضيـــب على نقـــا

فويـــق محل عاطـــل دون دجيـــة

ومكمـــن سحـــر بابـــلي لـــه بمـــا

حوت أضلعي فعلُ القنا السَّمْهريَّـــة

ومنبت مسك من شقيـــق ابن منـــذر

عـــلى سوســـن غض بجنة وجنـــة

ووصف اللآلي في اليواقيـــت كلما

تعل بصرف الراح في كل سحـــرة

سلّ السلسبيل العذب عن طعم ريقه

ونكهتـــه يخبرك عن علـــم خبـــرة

ورمـــان كافـــور عليـــه طوابـــع

من الند لم تحمل به بنـــت مزنـــة

ولطـــف هـــواء بين خفـــق وبانـــة

ورقـــة مـــاء في قواريـــر فضـــة

لقد عـــز عنك الصبـــر حتى كأنـــه

سراقـــة لحـــظ منـــك للمتلفـــت

وأنـــت وإن لم تبـــق مني صُبابـــة

منى النفس لم تقصد سواك بوجهـــة

وكل فصيح منك يسري لمسمـــعي

وكل مليـــح منـــك يبـــدو لمقلـــتي

تهـــون عليَّ النفـــس فيـــك وإنهـــا

لتكـــرم أن تغـــشى سواك بنظـــرة

فإن تنظريني بالرضا تشف علـــتي

وإن تظفريني باللقـــا تطف غـــلتي

وإن تذكريـــني والحيـــاة بقيدهـــا

عدلـــت لأمـــني منيـــتي بمنيِّـــتي

وإن تذكريني بعد ما أسكـــن الثرى

تجلـــت دجـــاه عنـــد ذاك وولـــت

صليني وإلا جددي الوعد تـــدركي

صبابـــة نفـــس أيقنـــت بتفلـــت

فمـــا أم بَّـــو[1] هالـــك بتنوفـــــة[2]

أقيـــم لها خلـــف الحلاب فَـــدرَّت

فلمـــا رأتـــه لا ينـــازع خِلْفهـــا

إذا هي لـــم ترســـل عليه وضَنَّـــت

بكـــت كلمـــا راحـــت عليه وإنهـــا

إذا ذكرتـــه آخـــر الليـــل حَنَّـــت

---

[1] البـوّ: ولـد الناقـة.

[2] التنوفـة: الأرض الجدبـاء الواسعـة.

بأكثــر مني لوعــة غيــر أنــني

رأيت وقــار الصبر أحسن حليــة

فرحت كما أغــدو إذا ما ذكرتهــا

أطامــن أحشــائي على ما أجنــت

أهــوّن مــا ألقــاه إلا من القِــلى

هوى ونوى نيل الرضا منك بغيتي

أخوض الصَّلَى أطفي العلا والعلــوّ لا

أصل السَّلا أرعى الخَلى بين عبــرتي

ألا قاتــل الله الحمامــة غــدوة

لقد أصلت الأحشــاء نيران لوعــة

وقاتــل مغناها وموقــف شجوهــا

على الغصن ماذا هيجت حين غنت

فغنــت غنــاء أعجميــاً فهيجــت

غرامي من ذكري عهــود تولَّــتِ

فأرسلت الأجفان سحبــاً وأوقــدت

جَوَاي الذي كانت ضلوعي أكَنَّــتِ

نظرت بصحراء البريقيــن نظــرة

وصلت بها قلبي فَصَــلَّ وصلــتِ

فيــا لهمــا قلبــاً شجيــاً ونظــرة

حجازيــة لو جُــنَّ طرف لجُنَّــتِ

ووا عجبــاً للقــلب كيف اعترافـــه

وكيف بدت أســراره خلف ستـــرة

وللعيـــن لما سوئلت كيف أخبـــرت

وللنفـــس لما وطنـــت كيف دلـــت

وكنا سلكنا في صعــود من الهوى

يســـامي بأعلام العـــلا كل رتبـــة

إلى مستـــوًى مـــا فوقـــه مستـــوى[1]

فلمـــا توافينـــا ثبـــت وزلـــت

وكنا عقدنا عقـــدة الوصـــل بيننـــا

على نحر قربان لدي قبـــر شيبـــة

مؤكـــدة بالنـــذر أيـــام عهـــده

فلمـــا تواثقنـــا اشتـــددت وحلـــت

***

[1] صدر هذا البيت في النفح هكذا: ((إلى مستوى ما فوقه فيه مستوى)).

ومن فصل الاحتفال[1]

أزور اعتماراً أرضها بتنسك
وأقصد حجا بيتها بتحلة
وفي نشأتي الأخرى ظهرت بما علت
له نشأتي الأولى على كل فطرة
ولولا خفاء الرمز لا ولن ولم
تجدها لشملي مسلكاً بتشتت
ولو لم يجدد عهدنا عقد خلة
قضيت ولم يقض المنى صدق توبة
بعثت إلى قلبي بشيراً بما رأت
على قدم عيناي منه فكفت
فلم يعد أن شام البشارة شام ما
جفا الشام من نور الصفات الكريمة
فيا لك من نور لو أن التفاتة
تعارض منه بالنفوس النفيسة
تحدث أنفاس الصبا أن طيبها
بما حملته من حراقة حرقة

[1] هذه القصيدة موجودة في الإحاطة، ونفح الطيب.

وتـــبئ آصال الربيـــع عن الربـــا

وأشجـــاره إن قـــد تجلـــت فجلـــت

وتخبـــر أصـــوات البلابـــل أنهـــا

تغنـــت بترجيـــعي على كل أيكـــة

فهذا جمالي منك في بعد حســـرتي

فكيـــف بـــه إن قربتـــني بخلـــة

تَبَـــدَّى وما زال الحجاب ولا دنـــا

وغاب ولم يفقـــده شاهد حضـــرتي

لـــه كل غيـــر في تجليـــة مظهـــر

ولا غيـــر إلا ما محت كف غيـــرة

تجـــلى دليـــل واحتجـــاب تنـــزه

وإثبـــات عرفـــان ومحـــو تثبـــت

فما شئـــت من شيء وآليـــت أنـــه

هو شيء لم تحمـــد فجـــار أليَّـــتي

وفي كل خلـــق منـــه كل عجيبـــة

وفي كل خلـــق منـــه كـــل لطيفـــة

وفي كل خاف منه مكمـــن حكمـــة

وفي كل بـــاد منه مظهـــر جلـــوة

أراه يقلـــب[1] القلب واللغـــز كامنـــاً

وفي الزجر والفال الصحيح الأدلـــة

وفي طي أوفاق الحساب وسر مـــا

يتـــم مـــن الأعـــداد فابـــدأ بستـــة

وفي نفثات السحر في العقـــد التي

تَطُـــوعُ لهـــا كل الطبـــاع الأبيـــة

يصـــور شكلاً مثل شكل ويعتـــلي

عليـــه بأوهـــام النفـــوس الخبيثـــة

وفي كـــل تصحيـــف وعضـــو بذاتـــه

اختـــلاج وفي التقويـــم مجـــلى لرؤيـــة

وفي خضرة الكمُّون تزجي شرابـــه

مواعيد عرقوب على أثـــر صفـــرة

وفي شجـــر قد خوفت قطع أصلهـــا

فبـــان بهـــا حمـــل لأقـــرب مـــدة

وفي النخل في تلقيحه واعتبر بمـــا

أتى فيه عن خيـــر البرية واسكـــت

وفي الطابع السبتي في الأحرف الـــتي

يبيـــن منهـــا النظـــم كـــل خفيـــة

---

[1] في النفـح: ((بقلـب)).

وفي صنعة الطلسـم والكيميـاء والـ

ـكنـوز وتغويـر الميـاه المعينـة

وفي حرز أقسام المـؤدب محـرز

وحزب أصيـل الشـاذلي وبكـرة

وفي سيمياء الحاتمي ومذهـب ابـ

ـنِ سبعين إذ يُعزى إلى شر بدعة

وفي المثل الأولى وفي النحل الألى

بها أوهمـوا لما تسامـوا بسنـة

وفي كل ما في الكون من عجب ومـا

حـوى الكون إلا ناطقـاً بعجيبـة

فلا سـر إلا وهـو فيـه سريـرة

ولا جهـر إلا وهـو فيـه كحليـة

سل الذكر عن إنصاف أصناف ما ابتنى

عليـه الكـلام من حروف سليمـة

وعن وضعها في بعضها وبلوغ ما

أتت فيه أمـضى عدهـا وتثبـت

فلا بد من رمز الكنوز لذي الحجـا

ولا ظلم إلا ظلـم صاحب حكمـة

ولولا سـلام سـاق للأمن خيفـتي

لعاجل مـس البـرد خوفي لميتتي

ولو لم تداركــني ولكــن بعطفهــا

درجــت رجائي أن نعتني خيبــتي

ولو لم تؤانسني عنا قبل لــم ولــم

قضى العتب مني بغية بعد وحشتي

ونعم أقامت أمــر ملكي بشكرهــا

كما هونــت بالصبــر كــل بليــة

***

ومن فصل الاعتقال[1]

سرت بفؤادي إذ سرت فيه نظرتي
وسارت ولم تثن العنان بعطفة

وذلك لما أطلع الشمس في الدُّجى
محياً ابنة الحيين في خير ليلة

يمانية لو أنجدت حين أنجدت
لا أبصرت عيناك حياً كميت

لأصحمة[2] في نصحها قدم بنى
لكل نجاشي بها حصن ذمة

ألمت فحطت رحلها ثم لم يكن
سوى وقفة التوديع حتى استقلت

فلو سمحت لي بالتفات وحل من
مهاوي الهوى والهون جد تفلتي

ولكنها همت بنا فتذكرت
قضاء قضاة الحسن قدما فصدت

---

[1] هذه القصيدة موجودة أيضاً في الإحاطة ونفح الطيب.

[2] أصحمة: هو النجاشي ملك الحبشة؛ الذي أحسن للمسلمين أيام الرسالة. وعند وفاته صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب.

أجلــت خيــالاً إنــني لا أجِلُّــهُ

ولــم أنتســب منــه لغيــر تعلــة

على أنني كــلي وبعــضي حقيقــه

وباطـــل أوصـــافي وحق حقيقــتي

وجنسي وفصلي والعوارض كلهــا

ونوعي وشخصي والهواء وصــورتي

وجسمي ونفسي والحشــا وغرامــه

وعقــلي وروحانيــتي القدسيـــة

وفي كل لفــظ عنه ميل لمسمــعي

وفي كل معنى منه معنى للوعــتي

ودهــري بــه عيــد ليوم عروبــة

وأمري أمري والورى تحت قبضــتي

ووقتي شهــود في فنــاء شهدتــه

ولا وقــت لي إلا مشاهــد غيبــة

أراه مــعي حســاً ووهمــاً وإنــه

منــاط الثريــا من مدارك رؤيــتي

وأسمعــه من غيــر نطــق كأنــه

يلقــن سمعي ما توسوس مهجــتي

مــلأت بأنــوار المحبــة باطــني

كأنــك نــور في سرار سريــرتي

وجليــت بالإجلال أرجاء ظاهــري

كأنــك في أفــقي كواكــب زينــة

فأنت الذي أخفيــه عنــد تستــري

وأنت الذي أبديه في حين شهــرتي

فته أحتمل واقطع أصل وأعل استفل

ومر أمتثل وأملل أمل وارم أثبــت

فقلبي إن عاتبتــه فيــك لــم أجــد

لعتــبي فيه الدهــر موقــع نكنــة

ونفــسي تتبو عن ســواك نفاســة

فــــلا تنتــمي إلا إليــك بمنــة

تعلقــت الآمال منــك بفــوق مــا

أرى دونــه مــا لا ينــال بحيلــة

وحامت حواليها وما وافقــت حمى

سحائب يأس أمطرت ماء عبــرتي

فلو فاتــني منك الرضى ولحقتــني

بعفــو بكيت الدهر فــوت فضيلــة

ولــو كنت في أهل اليمين منعمــاً

بكيــت على ما كــان من سبقيــة

وكم من مقــام قمت عنك مسائــلاً

أرى كــل حي كــل حي وميــت

أتيــت بفــاراب أبا نصرهــا فلــم

أجــد عنــده علمــاً يبــرد غلــتي

ولم يــدر ما قولي ابن سيناء سائلا

فقل كيف أرجــو عنده بــرء علتي

فهل في ابن رشد بعد هذين مرتجى

وفي ابن طفيل لا حتثــاث مطيــتي

لقــد ضــاع لو لا أن تداركني حمى

من الله سعي بينهــم طــول مــدتي

فقيض لي نهجــاً إلى الحق سالكــاً

وأيقظــني من نوم جهلي وغفــلتي

فحصنــت أنظــار الجند[1] جنيدهــا

بتــرك فُلي من رغبة ريح رهبــة

وكسرت عن رجل ابن أدهم أدهمــاً

وأنقذتــه من أســر حب الأســرة

وعدت على حلاج سُكْرى[2] بِصلْبــه

وألقيــت بلعــام التفــاني[3] بهــوة

---

[1] في النفـح: ((الجنيـد))؛ وهـو أسلـم.
[2] نفسه: ((شكـري)).
[3] نفسـه: ((التفـاتي)).

فقــولي مشكــور ورأيي ناجــح

وفعــلي محمــود بكــل محلّــة

رضيــت بعرفــاني فأعليــت للعلا

وأجلســني بعد الرضـــا فيه جلتي

فعشت ولا ضيــراً أخاف ولا قلى

وصـــرت حبيبـــاً في ديار أحبــتي

فها أنا ذا أمـــسي وأصبــح بينهــم

مبلــغ نفــسي منهــم مـــا تمنــت

ـ ونقــل ابــن الخطيــب عنــه مـــا قالــه؛ مذيــلاً بــه قــول القــاضي أبي بكــر بــن العــربي:

أما والمسجـد الأقــصى   ومـــا يتــلى بــه نصّـــا

لقد رقصت بنـــات الشــو   ق بيــن جوانحي رقصـــا

ـ ثــم قـــال:

فأقلــع بي إليـــه هــوى   جناحـــا عزمـــه قصـــا

أقل القلـــب واستعـــدى   على الجثمان فاستعصى

فقمـــت أجـــول بينهمـــا فـــلا أدنى ولا أقـــصى[1]

ــ وممـــا أورده أيضـــاً **ابـــن الخطيـــب مـــن شعـــر محمـــد المقـــري**؛ المقطوعـــات التاليـــة؛ قـــال أنـــه تلقاهـــا منـــه وسجلهـــا مباشـــرة عندمـــا كـــان بغرناطـــة:

وجْـــدٌ تُسْعِـــره الضلـــو غُ وما تبـــرده المدامـــع
هـــم تحركـــــه الصبـــا بـــ والمهابة لا تطـــاوع
أملي[2] إذا وصـــل الرجـــا أسبابـــه فالموت قاطـــع
بـــالله يـــا هـــذا الهـــوى ما أنت بالعشاق صانـــع

ــ ومـــن شعـــره كذلـــك:

أنبت عوداً بنعماء[3] بـــدأت بهـــا
فضلاً وألبستها بعد اللحى الورقا
فظل مستشعراً مستدثـــرا أرجـــا
ريّان ذا بهجة يستوقف الحدقـــا
فـــلا تُشِنْه بمكروه الجِنَى فلِكـــم
عوّدته من الجميل من لدن خلقا

---

[1] هذه الأبيـات نقلـت أيضـاً عن نفـح الطيـب. منقولـة بدورهـا عن نسخـة قديمـة مـن الإحاطـة.
[2] في النفـح: ((أمـلٌ)).
[3] في النفـح: ((لنعمـاء)).

وأنف القذى عنه وأثر الدهر منبتــه

وغــذِّه برجــاء واسقــه غدقــا

واحفظه من حادثات الدهر أجمعهــا

ما جاء منها على ضوء وما طرقــاً[1]

ـ ونقــل عنــه ابــن الخطيــب هــذه المقطوعــة أيضــاً:

إليك بسطت الكف أستنزل الفضــلا

ومنك قبضت الطرف أستشعر الذلا

وها أنا ذا قد قدمت[2] يقدمني الرجــا

ويحجمني[3] الخوف الذي خامر العقلا

أقدم رجلا إن يضئ بــرق مطمــع

وتظلم أرجائي فلا أنقــل الرجــلا

ولي عثرات لست آمــل إن هــوت

بنفــسي ألاَّ أستقــل وأن أصــلى

فإن تدركني رحمــة أنتعــش بهــا

وإن تكن الأخرى فأولى بي الأولى

---

[1] هذه الأبيات بدورها جاءت في نفح الطيب؛ بعد أن نقلت من نسخة قديمة للإحاطة.

[2] في النفح: ((قمت))؛ وهو أسلم.

[3] نفسه: ((ويحجم بي)).

ـ ولـــه أيضـــاً:

نحن إن تســـأل بنـــاس معشـــر
أهـــل مـــاء فجرتـــه الهمـــم

عـــرب من بيضهـــم أرزاقهـــم
ومن السمـــر الطـــوال الخيـــم

عرضـــت أحسابهـــم أرواحهـــم
دون نيل العرض وهي الكـــرم

أورثونـــا المجـــد حـــتى أننـــا
نرتضي المـــوت ولا نزدحـــم

ما لنا في الناس من ذنب ســـوى
أننـــا نلـــوي إذا مـــا اقتحمـــوا

ـ وقـــال أيضـــاً في التوريـــة بشـــأن راوي المدونـــة:

لا تعجبن لظبي قد دهـــا أســـداً
فقد دهـــا أسداً من قبل سحنـــون

* * *

تـوفي القـاضي **محمـد بـن محمـد المقـري بمدينـة فـاس** في نهايـة محـرم؛ مـن سنـة 759هــ/**1357**م. وثمـة رأي آخـر يجعـل وفاتـه في ذي الحجـة مـن عـام 758هــ/1356م. وبعـد وفاتـه؛ نقـل جثمانـه إلى **تلمسـان**؛ أيـن دفـن في مقـرة أسرتـه.

***

محمد بن منصور
ابن علي بن هدية القرشي التلمساني،
(ابو عبد الله).

فقيه وخطيب؛ ينتمي أسرياً إلى عقبة بن نافع الفهري؛ عالم جليل؛ وواحد من أئمة اللسان والبلاغة والأدب **بتلمسان**، له معرفة بالوثائق؛ واشتهر بالدين المتين والفضل والاستقامة. ولي خطة كتابة السر في بلاط **أبي حمو موسى** الأول؛ فوضعه فوق وزراء الدولة؛ لا يفعل شيئاً دون مشورته. كما ولي خطة القضاء في **تلمسان**؛ فكان حسن السيرة؛ نزيهاً في أحكامه. له مؤلفات في مختلف الفنون؛ من بينها: كتاب "تاريخ تلمسان"؛ وهو مفقود. ثم رسالة نقدية **لابن خميس** وشعره؛ سماها: **((العلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس))**؛ شرح من خلالها ــ نثراً ونظماً ــ "رسالة الدُّر النفيس من شعر ابن خميس"؛ التي جمعها القاضي الحضرمي. وكان **ابن هدية** ــ في حقيقة الأمر من خصوم **ابن خميس**؛ إذ يعتبره زنديقاً؛ بسبب مشاركته في علوم الفلسفة. وقد حضر **ابن هدية** ــ مع علماء آخرين ــ جلسة

محاكمة **لابن خميس** في مدينة **فاس**؛ فكتب بقلمه ملاحظاته نثراً؛ وهي كما يلي:

((فاتفق أن اجتمع في بعض محافلها الحافلة، ومجالسها العامرة بأهل الفضل، الآهلة بطائفة من حذاق الأشعرية، وجماعة من الفقهاء المالكية: كالشريف أبي البركات، وغيره من فقهاء ذلك القطر. ففتحوا باب المذاكرة، وسلكوا سبيا المناظرة، وتفننوا في الكلام؛ إلى أن أخذوا في علم الكلام؛ استدراجاً لابن خميس، واستخراجاً لخبٍّ مذهبه الفلسفي الخسيس... فلم يلبث أن فاوضهم فيما عنده، وكشف لهم معتقده؛ فانبرى له الشريف أبو البركات معارضاً، ولمذهبه السَّيِّءِ مناقضاً؛ وكثر القول منهما، وتَخَلَّى القومُ عنهما... فامتد مجال الجدال بينهما؛ فلم يكن بأسرع من أن خاسى ابن خميس، وخاست الفلسفة، وسكت مدحوض الحجة؛ فلم ينطق ببنت شفة؛ ثم نُظِر في القول الصادر منه، وما ينشأ من الحكم الشرعي عنه. وخاف بوادر الحكم؛ فأدرع جلباب الظلام؛ وفرَّ فرار الآبق؛ ولم يلو

علـــى مرافــق، ولــم يُلْــق عصـــا تسيـــاره لإلاّ بتلمســـان داره...))[1].

تـــوفي ابـــن هديّـــة بتلمســـان في عـــام 737هـــ/1335م. وفيـــه يقـــول شاعـــر مـــن شعـــراء تلمســـان يســـمى **ابـــن حمـــادو:**

لمـــا رأوك هديـــة مـــن ربهـــم

سمـــوك بابـــن هديـــة فأجـــادوا

ومـــن شعـــر ابـــن هديـــة:

إلـــهي مضـــت للعمـــر سبعـــون حجـــة

جنيـــت بهـــا ممـــا جنيـــت الدواهيـــا

وعبـــدك قـــد أمـــسى رهيـــن ذنوبـــه

فجـــد لي برحمى منـــك نعم الدواهيـــا

* * *

---

[1] مجلـة الأصالـة؛ الرقـم التسلسـلي: 26؛ ص ص: 131 - 132. وكتـاب باقـة السوسـان في التعريـف بحاضـرة تلمسـان، ص: 485.

[محمد][1] ابن ميمون

السنوسي أبو القاسم

سماه صاحب زهر البستان: الطالب الأديب أبا القاسم بن ميمون السنوسي. ولا يعرف عنه أكثر من هذا. ومن نظمه أيضاً؛ هذه القصيدة؛ التي قالها احتفالا بقدوم والد أبي وحمو أبي يعقوب وولده أبي تاشفين من المغرب بعد السماح لهما بالعودة إلى تلمسان. وذلك في رجب من سنة 766هـ/1358م ومن شعره[2]:

أطلق عنانك لا تنظر إلى أحد

كفى حسودك ما يلقى من الكمد

وانظر[3] يمينا شمالا كيف شئت فلا

معارض لك في الدنا[4] مِنَ الأبد

---

[1] محمد؛ مجرد افتراض؛ لأن ما ورد هو: أبو القاسم بن ميمون السنوسي. ولم يذكر اسم صاحب الترجمة؛ وبما أن كنية أبي القاسم؛ تقابل في معظم الأحيان اسم محمد؛ فقد وضع هذا الاسم كافتراض محتمل.

[2] هذه القصيدة متواضعة في الشكل والمضمون. وزادها ناسخها سوءاً.

[3] الكلمة هنا غير واضحة؛ فوضعنا مكانها كلمة: ((وانظر)).

[4] لعلها هكذا.

جــواد جَــدّك مســروج وسايســه

مهــذب الــرأي ما أدنــاه مــن....[1]

أنــت الخليفــة بعــد اللــه حجتــه

في الأرض أفضل من أُومَا له بيــد

ما للشيــاه يسســن الملك واعجبــاً

أظنهــن نسيــن وثبــة الأســد

وللعصافيــر في الآفــاق سايحــة

وفي البسيطة عقبــان بــلا عــدد

تبا لمن أمن الدنيــا وصــار عــلى

متونهــا راكبــاً يســعى بلا قــود

فالركب ما لم يكن فيه الدليــل فمــا

يجوب بالحج منه غيــر ذي جلــد

والنوق ما لم تكن تحدوا حداة بهــا

لم تشرد العير في البيداء أو تجهــد

هو الإمام عمــاد القــوم يــا ملكــا

أعداؤه أرفعوا[2] بيتــاً بــلا عمــد

ما يُبْتَــنَى البيــت إلا بالعمــاد ولا

يرضى عمــاد إذا ما شــد بالوتــد

---

[1] كلمة غير مفهومة. لعلها: ((وَخَدِ))، أو ((وَمَدِ)).

[2] هكذا.

هيهاتَ هيهاتْ دعمهــم جانبا فلهــم

يومٌ يفرق بيــن الــرأس والجســد

لا تكتــرث كمــدا أصلا بهم كمــدا

لأن منك هُــمُ مــوتى مــن الكمــد

ويــلاً لأنفسهم في فرض دولتهــم

إذ كل ما مال للنقصــان لــم يــزد

هب كان فارسهم أسنى فوارســهــم

فــذاك آخرهــم ولى ولــم يعــد

عجبت من معشــر ما فيهــمُ بطــل

قد عاقدوا بطلا في الحرب كالأســد

يصلي بصارمه الهيجــا فيضرمهــا

ناراً فصارمه أمــضى من الزنــد[1]

ترى الندى حيث داعي الندا ودعــا

من جوده في محلٍ لــم يكــن بنــد[2]

يلقاك بالبشــر إن وافيت مقتصــداً

لــه وإن لــم يكــن لــه بمقتصــد[3]

---

[1] **الزند بفتح النون: المِسَن.**

[2] **هكذا.**

[3] **كتبت: ((مقصداً))؛ وهو تحريف يخل بالوزن والمعنى. فوجب التصويب.**

كَـــأَنَّ ذاك الـــذي بالنـــاس كلهـــمُ

به مِنَ النَّـــاس بل ألـــقى فقـــل وزد[1]

حزت الفضائل يا موسى بأجمعهـــا

لم يبق منها نصيبـــا مـــا إلى أحـــد

أفديك بالروح من عين الحسود ومن

عين الودود وقل بالمال   والولـــــد

تبارك اللـــه نيران العدى خمـــدت

ونور وجهك يبـــدو غيـــر مُنْخَمِـــد

لا أحجر الحـــق إن الحق يعرفـــه

أخو البصيرة والأعمى وذو الرمـــد

كم لا وكيف ومن حيث استنار لنـــا

وجه الزمان كفينـــا نظـــرة الحســـد

فالحمـــد للـــه هـــذا الشمل منتظـــم

أضـــحى بوالـــدك أســـنى وبالولـــد

إن كنت بالأمس لا أهـــلٌ ولا ولـــد

فاليوم أصبحت بين الأهل في البلـــد

فعش هنيئـــا أميـــر المؤمنيـــن على

مراتب العـــز معصوما من النكـــد

---

[1] هذا البيت مضطرب في معناه.

لا تخش سطوة دهر أنت من يــده

على الأكف شبيــه المهــد بالولــد

إن كان كابر عبر مدح غيــرك في

ما قد مضى وتولى غيــر مجتهــد

دعني أكابر فيك المجــد مجتهــــدا

ما عشته خلق الإنســان في كبــــد

* * *

ــ ولــه أيضــاً:

بزهدك لا بالعزم كان لك الظفــر

وبالجد لا بالجبر تــمّ لك النصــر

وبالكوكب الأعلى السعيد الذي أتا

بطالعك الميمون ساعــدك الدهــر

فيمناك فيها اليمــن مهما مددتهــا

ويسراك عند العسر في بسطها اليسر

وغرتك الغــراء في ما توجهــت

إلى حاجة بالأمن قابلهــا البشــر

لك الفخر يا شمس الملوك ومن به

علت رتبة العلياء وافتخر الفخــر

أتيت لناس جانب الزاب طال مـــا

ذكرت به قدمـــا فشاع بك الذكـــر

فقابلـــت الأيـــام وجهـــك بالمـــنى

ودانت بك الدنيا وساعدك الأمـــر

خرجت فريداً بين قـــوم قلايـــل

كرام فكان الله عونـــك والنصـــر

فجاءتـــك أشيـــاخ القبائـــل كلهـــا

تبايـــع يا مولاي ليـــس لها عـــذر

كمثـــل أسود الحرب أبناء عامـــر

إذا ذكـــروا، أسود الحروب والجمر

ثناهم إذا طال الجلاد هـــو الثنـــا

وصبرهم حيث الطعان هو الصبر

عليكم عبـــاد الله بالشكـــر والثنـــا

فقد نزل التيسير وارتحل العســـر

وزال العنـــا عنـــا بعـــودة دولـــة

لأبناء عبد الواد وإنكشف الضـــر

أسود إذا راحوا سيول إذا عـــدوا

لهم يرفع الشـــأن المعظم والقـــدر

لهم ينسب القـــول الجميل وعنهـــم

يحدث فعل الخير إن ذكر الخيـــر

يقاتل عشر الألف في الحرب منهم

بعشـــرة آلاف فيهزمهـــا العُشْـــر

بذكر أبى عمران موسى بن يوسف

إذا ذكر الأشراف يفتخـــر الذكـــر

إمـــام أعـــاد اللـــه دولـــة أهلـــه

على يده لِـــمْ لاَ يكـــون له الفخـــر

أمولاي يا ذا العلم والحلم والحجـــا

ومن قوله الحسنى ومن فعله الخير

على هذه النعمى التي جـــاد ربنـــا

علينا بها مولاي قد وجب الشكـــر

أقمت عماد العدل في كل منـــزل

من الأرض لما كان هدّمه الجـــور

فبَيَّـــضَ وجهَ الدهر بعـــد ســـواده

وأنى يُـــرى الليل وقد طلع الفجـــر

يمينك مثل البحـــر والبحـــر دونها

وجودك مثل القطر بل دونه القطر

وأولاد عبد الواد شهـــب ثواقـــب

ووجهك يا مولاي بينهـــم البـــدر

فهز يمين العـــز سيف العلى على

رقاب العدى يا من له سمح العصر

لمن فرت الفرسان من كل جانـــب

لدى الحرب حيث البيض تلمع والسمر

فما فر عنك العزم والحزم والحبـــا

ومازال يبدوا فوق رايتك النصــــر

كأنهـــم لمـــا بـــرزت إليهـــــم

سحاب على الآفـــاق قشعها بـــدر

كأنهم ليـــل ســـجى حيـــن أقبلـــوا

فعرّفه من بعد مذ قد سجى فجـــر

أدرت عليهم كأس حرب تشعشعت

كما شعشعت في كأس ياقوتة خمر

فلو لم يكن منكم على القوم عفـــة

هناك ولطـــف الله فوقهـــم ستـــر

لخلفتهم في الأرض صرعى كأنهم

سكارى وما بالقوم من خمرة سكر

إذا جـــن ليل ناح وحـــش عليهـــم

وإن لاح صبح صار يندبهم طيـــر

فـــلا جنـــة إلا ودنـــت أزهارهـــا

ولا سهلـــة إلا ومن فوقهـــا نســـر

فعاملتهم بالصفح منـــك تفضـــلا

عليهم جميعا ليس من شيمتك الغدر

إلى أن أتموا من بعد ستين ليلـــة

مكملة شهـــر خـــلا قبلـــه شهـــر

فوليت عنهم معرضا غير ناظـــر

عليهم ولم تعبـــأ بهم وهـــم كثـــر

لذاك تولى الليث والليـــث جائـــع

لعفـــة شـــاة وبينهمـــا قفـــــر

فلو لا انقلاب الدهر ما كان يُتَّـــقَى

وبعد امتلاء البحر قد تحدث الحصر

كأنك بدر وغبـــت عشرين ليلـــة

تضـــاف إليها بعد عدتهـــا عشـــر

فلاح إلى الأنصار وجهك بعدمـــا

جرعنا كؤوسا طعمها علقـــم مـــر

فوا عجبا عنه بهـــم كيف يطلبـــوا

لقـــاك فلما ســـرت طالبهم فـــروا

وقالوا رأينا الصلح خير لنا عسى

تصالحنا والصلح بين الورى خير

فقلت بلى لو لم يقلهـــا لصالحـــت

رقابهـــم طـــرا مهنـــدة بتـــــر

وسمَّطت بالخطيّ فوق جسومهم
خطوطاً لذي التعداد ليس لها حصر
فكان الذي قد شده الله وانفض[1]
وأبرزه في اللوح عن قلم سطر
فبادر له بالخير والشكر والثنا
عليه وقل حمداً له الحمد والشكر
وجاز بخير نجل يغمور إنه
أقام مقام الجيش عنك ولا فخر
أبا يوسف يعقوب فارس عصرنا
وبحر الندى العذب الذي له....(ر)[2]
فكن كيف شئت الآن يا نجل يوسف
هنيئا لك الفتح الميسر والظفر
لجدك كان الملك ثم صوبته
ولا شك فيه ينتهي بعدك الأمر[3]
فأنت وأيْم اللهْ حقا مليكنا
أتانا على رغم الأعادي بك الدهر

---

[1] **هكذا. والمعنى هنا مبهم وغير مفهوم.**

[2] **هذا البيت مضطرب المعنى وغير موزون؛ كما قلب فيه الاسم لقباً؛ بل سقطت منه كلمة؛ واكتفى الناسخ بكتابة حرف ((الراء)) منها فقط؛ وهو الروي. وعليه نقترح ما يلي:** [وبحر الندى العذب الذي له مدّ ذكر].

[3] **المعنى هنا غير سليم.**

سأنفق عمري في امتداحك ربمـــا

تواصلني النعمى ويبعدني العســـر

ويتحفني مولاي بالحكمـــة الـــتي

عرفت بها حبي ويسعفني اليســـر

فشـــأن الموالى إذ تقـــل عبيدهـــا

إذا عثـــرت والعبد يكنفـــه الحـــر

أمولاي ها عادت تلمسان داركـــم

وعدتم وقد أغنى عن............[1]

سنحضى بفاس بل بمراكشْ[2] معـــاً

وبالمغرب الأقصى وما رده البحر

كلامك مسمـــوع وحكمـــك نافـــذ

وأمرك في كل البلاد هـــو الأمـــر

فخـــذ [و]رعـــاك الله مني هديـــة[3]

من الشعر فيها الدهر جَمَّعَ والسحر

سهرت[4] عليها الليل حتى نظمتهـــا

كما ينظم الياقوت في العقد والـــدر

---

[1] هذا الشطر غير واضح.

[2] يسكن الشين المثلثة الفوقية لكي يستقيم الوزن.

[3] أضفنا حرف ((الواو)) قبل ((رعاك))؛ لكي يستقيم الوزن.

[4] حرفت هذه الكلمة؛ فكتبت ((صهرت))؛ بالصاد المهملة.

وحئت بها حسناء في الخدر تختلي

وما هي في القرطاس ليس بها خدر

فضها أمير المؤمنين (و) لدمجهـــا[1]

فما مسها شيـــن كما أنهـــا بكـــر

خطبتك للأمـــداح دعـــني للحيـــاة[2]

فمن يخطب الحسناء لم يغله المهر

* * *

[1] حذفنا ((الواو)) قبل كلمة ((الدمجها))؛ لكي يستقيم الوزن؛ مع أن المعنى فيه ضعف وإسفاف.

[2] هذا الشطر كتب هكذا؛ دون معنى، ودون وزن. لعل الناسخ أسقط بعض كلماته.

ـ وله قصيدة أخرى؛ نظمها بمناسبة المولد النبوي الكريم. وقد وردت في زهر البستان؛ موصوفة بأنها موشح[1]:

فقت يا شهر جميع الأشهــر فاشمــخِ الآن إذنْ وافتخــر

أنت في الأشهر مثل القمــر طالــعٌ بين نجــوم السَّحــر

جئت يا شهر ربيع بالمــنى فلنــا البشرى إلينا والهنــا

وخلنــا ليلــة الإنــس بمــا نصل الأفراح طول العمــر

***

في ربيــع لاح نور الحِكَــم وانجلا عنا غــلاس الظلــم

ولــد المختــار خير الأمــم أحمــد فيه ســراج النشــر

أحمــد مولــده معظــم نطــق اللــوح بــه والقلــم

يعلــم اللــه بــذا والأمــم وكــذا جاء صحيح الخبــر

***

---

[1] وكما هو معلوم ـ في معظم الأحيان ـ ليس للموشح وزن محدد، ولا قافية ثابتة، ولا حتى روي واحد. وإنما يترك ذلك الأمر إلى ذوق الشاعر وحسن صياغته. بالإضافة إلى ما دخل عليه ـ مع الوقت ـ من كلمات دارجة؛ وتراجع شرط الفصحى فيه؛ بل تغاضوا فيه كذلك على القيود اللازمة في قواعد اللغة من إعراب وغيره. وإن كان صاحب هذه المنظومة قد أدخلها في عداد التواشيح؛ فإن هذا الفن يتفاوت النظم فيه بين الجيد والمتوسط والرديء. ومع ذلك فقد اختار ابن ميمون السنوسي الخوض في هذا الفن؛ فنظم قصيدته على شكل رباعي؛ وتنقل في أوزانه بين: (فاعلن مفتعلن مستفعلن * فاعلن مفتعلن مفتعل)، و(فاعلن مفتعلن مفاعلتن * فعلن مفتعلن مفتعلن)، (فاعلن مستفعلن مفاعل* فاعلن مستفعلن مفاعل). (مفاعيلن فعولن فعلن * فعلن مستفعلن مفتعل). (فعلن مفاعلن مفتعلن * فعلن مفاعلن مفاعل)، (مفاعلن مستفعلن مفاعلن * فاعلن مستفعلن مفتعلن). وهكذا دواليك؛ كما عرف في نظم التواشيح. فلامس بحر البسيط أحياناً، ودغدغ بحر السريع أحياناً أخرى. حرصاً منه على البقاء مجال التواشيح.

أحمـــد في الأنبياء أفضـــل   ذكـــره به الحديث يحمـــل
كل من يجهـــل هذا يســـأل   جـــاء في الآي أتى والســـور
إنْ مع الباطل خوفا وجـــدا   منه لمَّا أظهر الحق الهـــدى
فاهتدى للرشد من قد اعتدى   واعترى بعد العمى ذا بصر

***

سيـــد الرسل جميعا أحمـــد   فضلـــه بينهُـــمُ لا يُجحـــد
كلهـــم بفضلـــه قد شهـــدوا   قبل أن يوتي به من مضـــر
سُيِّـــد الديـــن بـــه وســـددا   أوضـــح الرشد لنا ومهـــدا
أورث العـــمي بعدله الرؤا   وبنـــور شرعه المشتهـــرا

***

يا لـــه مـــن مولـــد مولـــده   هـــذه ليلتـــه   ترصـــــده
سعد من مـــات بها بشهـــره   جفنه عن ذوق طعم الصهر[1]
ليلـــة الإثنيـــن خيـــر لمـــة   قادهـــا الدهر لخيـــر ملـــة
شرفت من أصل نورغـــرة   من ضيائهـــا ضياء القمـــر

***

[1] رسم هذا الشطر هكذا. وبسبب غموضه؛ نقترح ما بين حاصرتين بدلاً منه: [سعده في مولد مشتهر].

ليلـــة الاثنيـن لــذ المشـــرب[1] ليلة الإثنيــن صح المذهـــب

ليلـــة الإثنين لاح الكوكـــب في السمـــاء بالهدى للبشـــر

يا له من كوكب قــد طلعـــا فاستنـــار نـــوره وارتفعـــا

عـــرف الحـــق به فاتبعـــا فهو لا يخفى على ذي نظر

***

كم خبِر الخلق من معجـــزة تجتـــلى أنوارهـــا مشرقـــة

يا لها من حكمـــة محكمـــة ظهرت عند انشقاق القمـــر

في ذراع الشاة شيء عجب ووقوف الشمس منه أعجب

وحديـــث الضبي لا يكـــذب لمحمـــد ونطـــق الحجـــر

***

أوقف القاعد أيدي الأجر ما[2] صيَّر الأعمى يرى بعد العمي

أشبع الألـــف بصاع بعدمـــا أصبحوا مِنَ الطَّوَي في كدر

ظمأ الجيش روي من حينه بـــزلال فـــاض من يمينـــه

في حنـــو الجذع أو حنينـــه حكمـــة وفي سجود الشجـــر

***

ليلـــة الإسراء بات يصعـــد نـــوره فوق السماء أحمـــد

ناظـــرا ذاك الجمال يشهـــد حاضرا لذي المقام الأكبـــر

---

[1] للحفاظ على انسجام هذا الشطر مع الشطر الموالي؛ حذفت كلمة غامضة في الأصل؛ أفسدت المعنى؛ إذ ورد الشطر هكذا:
((شرفت ليلة الإثنين لذ المشرب)).

[2] هكذا.

معجزات المصطفى لا تختصر [في حديث سائر أو خبـــر][1]
فضل تلك قد حوته السيـــر يجـــد الطالب ذا في السيـــر

***

أحمـــد لـــه الثناء الأرفـــع أحمـــد في المذنبين يشفـــع
يوم قول المرء ماذا أصنـــع وجهنـــم رجـــت بالشـــرر
يـــوم حر مذهـــل يلتهـــب يـــوم لا ينفـــع فيه الكـــذب
أيهـــا الغافـــل هذا اللعـــب لمـــتى قـــم فانتبه وازدجـــر

***

غـــرك الآن الرجـــا والأمـــل وألوا العزم نأوا وارتحلـــوا
فـــإلى كم يعتريـــك الكســـل إصحب التوبة باقي العمـــر
عاتب النفس على عيش مضى في ضلال وتولى وانقـــضى
والتزم [ياليسر][2] يا باب الرضى واقطع الليل بطول السهـــر

***

فإن باللـــذة قـــوم سهـــروا ليلهم واعتبروا وازدجـــروا
ودعـــوا ربهـــم وافتكـــروا عذرهم يوم دخـــول القبـــر
ها هو الموعد أين المهـــرب ما جواب من عليه الطلـــب

---

[1] **هذا الشطر غير واضح؛ وجاء هكذا: ((لا ولا طيف بعد الشجر)). وعليه فقد نظمنا بدلاً منه شطراً آخر، ووضعناه بين حاصرتين. لتسهيل الفهم.**

[2] **عبارة ـ هنا ـ غير واضحة؛ فعوضناها بما ورد بين حاصرتين.**

عجبـــا [فـــ]ـــيعيد العجـــب[1] كيف يخفي[2] الشمس عن ذي بصر

***

إنمـــا يوقـــظ مـــن ينتقـــظ ليس في قولي إليكم عرض

بك يا مولاي ما لي عوض يا أمان الخائـــف المنكســـر

هـــذه الحالـــة قـــد نعلمهـــا قبحها من حسنها أعظمهـــا

من لها سواك من يرحمهـــا يا مقيـــل عثـــرة المعتـــذر

***

هب[3] أنا العبد فأنت الموئـــل ألإلـــــــه الأزليُّ الأول

لم أزل منك قديمـــا أســـأل ألرضى من صغري للكبـــر

سيدي مولاي نخري أمـــلي عدتي كهفي، الجفا من قبـــلي

لا تؤاخذني بأســـوأ عمـــلي لم أكـــن لـــولاك بالمعتبـــر

***

فاصلـــح اللَّهُمَّ ما قد فســـدا وأخمد الفتنـــة مهما اتحـــدت

وجـــدت نفوسنا ما وجـــدت لطفـــك الله بنـــا في القـــدر

وانصر الأسنى الإمام الضيغمي من سمت به المعالي فسمـــا

من يحاكي الصبح إن تبسما من نوالـــه كَوَبْـــلِ المطـــر

***

---

[1] أضفنا الفاء للتوضيح والحفاظ على وزن البيت.

[2] هكذا. والأفضل: ((تخفى)).

[3] هكذا.

مضرم الهيجاء موسى البطل [منـــذ][1] مــرَّ بها تشتعــل
من به تزهوا الطوال الأسل زهو تلك البيض بين السمر
ألهمام ذا الحروب الأشجعــا ألكريم اللــوذعيّ المصقعــا[2]
الإمــام الأعظــم المرفعــا عــدة البدو مــلاذ الحضــر

***

ملكــه سعــوده قد ظهــرت في البـــلاد كلها وانتشـــرت
نصـــر الدولـــة لما نثـــرت بـــدوام سعـــده المشتهـــر
يا لـــه من ملـــك صولتـــه لا تطـــاق ولا هيبتـــــه
ضيغـــم لذي الوغي وثبتـــه وثبت الليث المهاب الذكـــر

***

يقطع الأرض كمثل الأســد بلـــداً في بلـــــد في بلــــد
فذبـــاب سيفـــــه[3] أرهقـــه ولـــواء جيشـــه المظفـــر
[جال في الأرض فحاز الغلبا][4] طالبـــا للثـــأر لا مطالبـــا
مشارقا قد طاف أو مغاربـــا هكذا في الأفق فعل القمـــر

***

[1] في الأصل: ((من ذا))؛ وهي عبارة غامضة ولا تنسجم مع وزن القصيدة؛ لذا فقد عوضناها بما ورد بين حاصرتين. للتوضيح والحفاظ على الوزن.
[2] اللوذعي: الذكي الذهن الفصيح اللسان. المصقع: عالي الصوت البليغ.
[3] ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.
[4] هذا الشطر غير مفهوم بالمرة؛ وتعذر استخراج كلماته بالتمام. لذا فقد عوضناه بآخر، ووضع بين حاصرتين.

سخـــر الله له كل الـــورى مـــدّه بنصـــره فانتصـــرا

قـــدر اللـــه بهـــذا قـــدرا كل شيء سابـــق في القـــدر

* * *

محمد بن يوسف
القيسي (الثغري) الاندلسي (ابو عبد الله)

لا يعرف الكثير عن حياة صاحب هذه الترجمة؛ سوى أنه من كتاب أبي حمو الثاني؛ ومن المكلفين بالأشغال في الدولة الزيانية في عهده. ويفهم من بعض المصادر أنه ولد، ونشأ بتلمسان؛ في تاريخ غير معروف. كما أن يوم وفاته مجهول أيضاً. وكل ما عرف عن حياته؛ أنه عاش في الفترة المحصورة ما بين: سنة 760هـ/1353م؛ تاريخ ظهوره كشاعر في بلاط السلطان أبي حمو موسى الثاني؛ وسنة 796هـ/1393م؛ وهو التاريخ الذي يؤرخ لآخر قصيدة عرفت حتى الآن؛ كان قد ألقاها بين يدي السلطان **أبي زيان محمد بن أبي حمو**[1].

نقل المقري على لسان الدين ابن الخطيب؛ فقال: ((**ومما صدر عني؛ ما أجبت به عن كتاب؛ الفقيه الكاتب عن سلطان تلمسان؛ أبي عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري....**))[2]. وسماه ــ

[1] أنظر كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 210 - 220.
[2] نفح الطيب، ج: 6، ص: 427.

بدوره – في أزهار الرياض: ((**الفقيه العلامة الناظم الناثر أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري**)).

وجاء في بغية الرواد: ((**وللفقيه أبي عبد الله بن يوسف الثغري الأندلسي أحد شهود الدخل والخرج ببابه الكريم**))[1]. أي باب السلطان أبي حمو. ويعتبر محمد الثغري من الشعراء المجيدين، وقد استشهد المقري ببعض قصائده في نفح الطيب وفي أزهار الرياض.

***

---

[1] بغية الرواد، ج: 1، ص: 87.

شعره

ـ قيلت هذه القصيدة؛ في رثاء والد أبي حمو الثاني؛ "أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمن"؛ وذلك في سنة 763هـ/1361م:

المرء في الدنيا رهين خطوب

والدهر أفصح من خطاب خطيبِ

من صاحَبَ الدنيا الدنية لم تزل

تأتيه بالمكروه في المحبوبِ

ومؤمل الأيام ليس بحاصل

إلاّ على أمل بها مكذوبِ

دنيايَ مثل الحلم في التجريب

ولغاية مجهولة تجري بي

يا نفسي خلي الصبر وادرعي الأسى

وإذا دعيت فبالوجيب أجيبي

نادي بنادي المجد صرخة نادب

أسفاً على المولى أبي يعقوب

فعليه يا نفسي الكئيبة فاندبي

وعليه يا كبدي القريحة ذوبي

أسفـــاً لمـــن فـــاق الملـــوك جلالـــة

ودیانـــة وبكـــل فضـــل حـــوبي

جمع الفضائـــل باختـــلاف ضروبهـــا

فغـــدا بهـــا فـــرداً بغيـــر ضريـــب

أعظـــم بـــه مـــن زاهـــد ومجاهـــد

ومنيـــل رفـــد تـــارة ومنيـــب

من دأبـــه الديـــن المتيـــن ولم يـــزل

مـــن كـــل فضـــل آخـــذاً بنصيـــب

من كان جيش المـــوت يخـــدم سيفـــه

أودى بجيـــش للمنـــــون عصيـــب

أودى فلـــم نملـــك له مـــن حيلـــــة

أعـــيى دواءُ المـــوت كـــل طبيـــب

وأصيـــب من كان الزمـــان مطيعـــه

أبـــداً بسهـــم للزمـــان مصيـــب

هـــوت النجـــوم الزهـــرات لفقـــده

وذوى مـــن الأزهـــار كـــل رطيـــب

وتغيـــرت شمـــس النهـــار لـــه أسى

وتبدلـــت مـــن نورهـــا بشحـــوب

وبكـــت سيـــوف الهنـــد في أغمادهـــا

بـــدم بمـــاء فرندهـــا مخضـــوب

ولقــد بكتــه جيــاده بصهيلهــا

وغــدت تحــن لــه حنيــن النيــب

وبكــت محاربــه لــه وحروبــه

مــن بعــده لمحــارب وحــروب

وعلــت على وجــه الزمــان كآبــة

والبشــر بــدل منــه بالتقطيــب

جفــت ينابيــع النــدى مــن بعــده

والجــود أجــدب منــه كل خصيــب

مــن للوفــود إذا أوت لجنابــه

يلقاهــمُ بالبشــــر والترحيـــب

أو مــن يجيــر المستجيــر بظلــه

ويجيــب صوت الصـــارخ المكــروب

مــا زال يغلــب كل خطــب غالــب

حــتى أتى مــا ليــس بالمغلــوب

رزءٌ رمى بيــن الضلــوع شواظــه

فأثـــار كــل أسى وكــل نحيــب

وتقطــرت كمــداً عليــه قلوبنــــا

فأنظــر لأشبـــاح بغيــر قلـــوب

وإذا مصــاب جــل قــل لمثلــه

شــق القلــوب فكيــف شــق جيــوب

والحــزن وصــف قائــم بالقلــب لا

بالثــوب يصبــغ كالــدجى الغربيــب

ولــرب مكتئــب قليــل دمعــه

وكثيــر دمــع وهــو غيــر كئيــب

والحــال من ذي الحــال قد تنبي على

ما في الجوانــح من جــوى مشبــوب

قــد يستــدل بشاهــد عــن غائــــب

وبظاهــر عــن باطــن محجــــوب

يا نازحــاً رامــوا اقتــرب محلــه

فغــدا عــلى التقريــب غيــر قريــب

إني لأعجــبُ مــن دنــو لــم يفــد

إلا نزوحــاً زاد في تعذيــــب

حملــوه من شــرق لغــرب فاغتــدى

كطلــوع شمــس بــادرت لغــروب

حفــــت ملائكــة السمــاء بنعشــــه

والخلــق حــول سريــره المنصــوب

ومشــوا عــلى أقدامهــم قدامــه

يدعــــون بالترغيــب والترهيــب

لو أمكــن الخلــق الفــــدا بنفوسهــم

لفــدوه طــراً مــن لقــاء شعــوب

فتعزيا مولاي عنه فإنه

قد فاز من مولاه بالمرغوب

ومضى لرحمة ربه مستبشراً

بثوابه والله خير مثيب

واختار دار الخلد من دار الفنا

بدلاً كذلك فعل كل لبيب

ولقد أطاب النفس إن وفاته

في العز تحت رواقه المضروب

ومضى وخلف منك خير خليفة

للخلق مرغوب الندى مرهوب

ما مات من أضحى لمثلك منجباً

يا خير نجل في الملوك نجيب

وجب الرضى لكم ببركم له

إذ لم تخلّ لبره بوجوب

فأسلم أمير المسلمين مؤيداً

تجري من العليا على أسلوب

وبقيت يا مولاي منصور اللوى

في ظل ملك في الزمان رحيب

وعلى عـــلاك تحيـــة كالـــروض من

عبــد مطيـــل للثنـــاء مطيـــب

* * *

ـ هــذه القصيــدة الرائعــة؛ قالهــا محمــد بــن يوســف القيــسي بيــن يــدي أبي حمــو الثــاني؛ في ليلــة السابــع والعشريــن مــن رمضــان في عــام 776هـ/1374م؛ أثنــاء حفــل عقــد؛ احتفــاء بالنصــر:

أيُّهَــا الحَافِظــونَ عَهْــدَ الــودادِ

جَــدِّدوا أُنْسَنَــا بِبَــابِ الجِيَــادِ[1]

وصِلُوهَــا أصائــلاً بِلَيـــالِ

كـــلآلٍ نُظِمْــنَ في الأجْيـــادِ

في رياضٍ مُنَضَّــداتِ المجــاني

بيــنَ تِلْــكَ الرُّبَــا وتِلْــكَ الوهــادِ

وبُــروجٍ مُشَيَّــدَاتِ المَبَــاني

باديَــاتِ السَّنَــا كَشُهْــبٍ بَــوَادِ

---

[1] **باب الجياد: أحد الأبواب بتلمسان؛ يقع في الجهة الشرقية من المشور؛ ويربط بينه وبين أغادير والمشور.**

رَقَّ فيهــا النَّسيــمُ[1] مثلَ نَسيــبي

وصَفَــا النَّهرُ مثلَ صفــوِ ودادِي

وزهَــا الزَّهْــرُ والغُصونُ تَثَنَّــتْ

وتَغَنَّــتْ عَلَيْــهِ وُرْقٌ شَــوادِ

وانبــرَى كــلُّ جــدولٍ كحُســامٍ

عــارِيَ الغِمدِ سُنــدُسيَّ النِّجــادِ

وظِــلالُ الغُصونِ تَكتــبُ فيــهِ

أحْرُفــاً سُطِّــرَتْ بِغَيــرِ مــدادِ

تُذْكِــرُ الوَشْمَ في مَعاصِمِ خَــوْدِ

قُضُــبٌ[2] فوقَــهُ ذواتُ امتــــدادِ

وكُئُــوسُ المُــنَى تُــدارُ عَلَينــا

بجَــنَى عِفَّــةٍ وثِقْــل[3] اعتقــادِ

واصفــرارُ الأصيــلِ فيها مُــدامٌ

وصفيــرُ الطُّيــورِ نغمــةُ شــادِ

كمْ غَدَوْنَــا بهــا لأنْــسٍ ورُحْنــا

جادهــا رائِــحٌ من المُزنِ غــادِ

[1] في نفح الطيب: ((النَّسيبُ))؛ وما جاء في بغية الرواد وأزهار الرياض أفضل.
[2] هذا ما جاء أيضاً في أزهار الرياض. أما في نفح الطيب فكتب: ((نصبتْ)).
[3] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((ونَقْل)).

ولَكَمْ رَوْحَـــةٍ على الدَّوْحِ كـــادتْ

أنْ تُريـــحَ الصبِّـــا لنا وَهْوَ غـــادِ

رَقَّتِ الشَّمسُ في عَشايـــاهُ حَـــتَّى

حَدَثَـــتْ[1] منـــه رِقَّـــةٌ في الجَمـــادِ

جَدَّدَتْ بِالغُروبِ شَجْـــو غَريـــبٍ

هاجَـــهُ الشَّوْقُ بعدَ طـــولِ البعـــادِ

يا حَيَا المُزنِ حَيِّهَـــا مِنْ عـــراصٍ[2]

غَرَسَ الحُبُّ غَرْسَها في فـــؤادي

وتعاهَـــدْ معاهِـــدَ الأنـــسِ مِنْهـــا

وعهودَ الصبِّـــا بِصـــوْبِ العِهـــادِ

حيثُ مَغْنَى الهَوَى ومَلْهَى الغواني

ومَـــرَادُ المُـــنَى ونَيـــلُ المُـــرادِ

ومَقـــرَّ العُـــلاَ ومَرْقَى الأمـــاني

ومَجَـــرُّ القَنَـــا ومَجْـــرَى الجِيـــادِ

كُلُّ حُسْـــنٍ على تِلِمْسَـــانَ وقْـــفٌ

وخُصوصـــاً عـــلى رُبَى العبَّـــادِ

ضحِـــكَ النُّـــورُ في رُباها وأرْبَى

كهـــفُ ضَحَّاكِهـــا على كلِّ نـــادِ

---

[1] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((أحدثتْ)).

[2] نفح الطيب: ((من بلادِ)).

وسَمَــا تاجُهــا على كــلِّ تــاجٍ

وصَطَفْطيفهــا عــلى كــلّ وادِ[1]

يَــدَّعِي غَيْرُها الجمالَ فيقــضي

حسنُهــا أنَّ تِلْــكَ دَعْــوَى زيــادِ

وبِشِعْــري فَهِمْتُ مَعْــنَى عُلاهــا

مِــنْ حِلاَهــا فَهِمْــتُ في كلّ وادِ

حَضْــرَةٌ زانها الخليفــةُ مــوسَى

زِينَــةَ الحَــلْيِ عاطِــلَ الأجْيــادِ

وحبَاهــا بكــلِّ بَــذْلٍ وعَــدْلٍ

وحَماهــا مِنْ كــلِّ بــاغٍ وعــادِ

ملكٌ جــاوز المَدَى في المعــالي

فالنِّهايــاتُ عنــدهُ كالمَبــــادِي

مَعْقِــلٌ للهدَى منيــعُ النّــواصي[2]

مَظْهَــرٌ للعُــلاَ رفيــعُ العمــــادِ

قاتِــلُ المَحْلِ والأعــادي جميعــاً

بغِــرارِ الظُّبــا وغُــرِّ الأيــادِي

---

[1] كتب هذا الشطر في نفح الطيب هكذا: ((ونَما وهذَها على كُلّ وادي)).
وفي أزهار الرياض:
((وسَطا سَيْفُها على كلّ وادي)).

[2] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((منيعُ النّواحي)).

كلّما ضَنَّــتِ السّحائِــبُ أغْنَــتْ

راحتــاهُ عنِ السَّحــابِ الغَــوادي

كــمْ هِبــاتٍ لهُ وكــمْ صدَقَــاتٍ

عائــداتٍ عــلى العُفــاةِ بَــــوادِ

فأيَــادِي خليفــةِ اللهِ مُــــوسَى

أبْحُــرٌ عَذْبَــةٌ عــلى الـــوُرَّادِ

رُكِّــبَ الجُود في بَسيــطِ يَدَيْــهِ

فَتَــلافَى بــهِ تِــلاف العِبــادِ

جَــلَّ باريــهِ مَلْجَــأً لِلْبَرايــــا

كالحَيــا ضامِنــاً حَيــاةَ البــلادِ

جــلَّ مَنْ خصَّــهُ بتِلــكَ المَزَايَــا

باهِــراتٍ مِــنْ طــارِفٍ وتِــلادِ

شِيَــمٌ حُلْــوَةُ الجَــنَى وسَجايــا

شهِــدَ[1] المجــدُ أنّهــا كالشِّهـــادِ

يا إمامَ الهُــدَى وشَمْس المَعــالي

وغَمــامَ النَّــدَى وبَــدْرَ النَّــادي[2]

لَــكَ بَيْــنَ المُلــوكِ سِــرٌ خــفيٌّ

ليــسَ مَعْنــاهُ لِلْعقــولِ ببــادِ

---

[1] في أزهار الرياض: ((يَشْهَدُ)).
[2] نفسه: ((النَّوادي)).

فكَـأنّ البــلادَ كَفُّــكَ مَهْمـــا

كــان فيهــا مــن يَنْتَــمي لعنــادِ[1]

قَبَضَــتْ كفُّــكَ البَنــانَ عَلَيْـــهِ

فــأتَى بالإذعــانِ والانقيـــادِ[2]

بكــمُ[3] تصلــحُ البــلادُ جميعــاً

إنَّ آراءكُــمْ صــلاحُ البِــــلادِ

لَــمْ تَــزلْ دائمــاً تحِــنُّ إليكــمْ

كحَنيــنِ السَّقيـــمِ للعُـــوَّادِ

لــوْ أُعينــتْ بمنطــقٍ شكرتكــم

مثــلَ شُكــرِ العُفــاةِ للأجــوادِ

قــدْ أطاعَتْكُــمُ البِــلادُ جَميعــاً

طاعــةً أرْغَمتْ أنوف الأعــادِي

فأريحُــوا الجِيــادَ أتْعَبْتُموهَـــا

وأقِــرُّوا السُّيــوف في الأغمــادِ

واهْنَئُــوا الخالدينَ[4] في عِــزٍّ ملكٍ

قائــمِ السّعــدِ دائِــمِ الإسْعـــادِ

---

[1] في أزهـار الريـاض: ((للعبـاد)).

[2] جـاء هـذا الشطـر في نفـح الطيـب هكـذا: ((فـأتى بالإذعـانِ خِلْـفَ انقيـاد)). أمـا أزهـار الريـاض فجـاء الشطـر هكـذا: ((فانثنى بالإذعـان خِلْـف انقيـاد)).

[3] في أزهـار الريـاض: ((وبكـم)).

[4] في نفـح الطيـب، وأزهـار الريـاض: ((خالديـن))؛ وهـو أسلـم.

وإليكُـمْ منْ مُذْهَبَــاتِ القَــوَافي
حِكَمــاً سهلــة[1] ليــانَ المغـــادِ
كُــلُّ بَيْــتٍ مِنَ النِّظَــامِ مَشِيــدٍ
عَطَّــرَ الأفْــقِ بالثّنَــاءِ المُشَــادِ[2]
ذُو ابتســامٍ كَزَهرِ رَوْضٍ مَجُــودٍ
وانْتِظَــامٍ كَسِلْــكِ دُرٍّ مُجَــادِ

***

ـ قــال محمــد بــن يوسـف الثغـري هــذه القصيــدة أمــام السلطــان أبي تاشفيــن عبــد الرحمــن بــن أبي حمــو الثــاني؛ في حفــل بمناسبــة اليــوم السابــع للمولــد النبــوي المعظــم[3]:

أعَلِّلُ نفسي والتَّعلُّل لا يُجْـدي   وإن كان أحياناً يُسكِنُ من وجْدي
فهلْ من سبيلٍ والأماني ضلــة   إلى معهدٍ بالأنسِ طالَ به عَهْدي
وأيَّــامِ وصلٍ كُلُّهُــنَّ أصائِــلٌ   وماضي زمانٍ كلّه زمَنُ الوَرْد
سَمَحْتُ بدمعي لِلطُّلولِ مَسائلاً   رسوم الهَوَى لوْ أنَّ تَسْآلها يُجْدِ

---

[1] في نفح الطيب: ((سَهَّلتْ)) بفتح السين والهاء. وفي أزهار الرياض: ((سُهِّلتْ)) بالضمة فوق السين، والكسرة مع التشديد على الهاء..
[2] في نفح الطيب: ((المجادِ)) وفي بغية الرواد أسلم.
[3] وردت هذه القصيدة في نظم الدر والعقيان فقط.

ولم أبكِ أطْلالاً لهنـــدٍ مواثــلاً بذي الأثْلِ لكنِّي بَكيتُ على هِنْدِ
وكمْ كاتِـــمُ سِرٍّ المَحبَّةِ قدْ وَشَى به مِهْراقُ الدَّمْع في مهْرَقِ الخدِ
وما هاجَ شوقي غير زمِّ ركائبٍ تخبُّ بأبراجِ الهَوادجِ أو تخْدي
بذورٌ طوتْها حين جَدَّت بها النَّوَى خُدور كما يُطْوَى الكمامُ على الوَرْدِ
فَجُدْتُ بروحي حينَ ضنُّوا بوصْلهمْ وعادتْ دموعي مثل منْتر العقْد
فللَّهِ من دمعٍ يجود على الثَّرَى بياقوتِهِ القاني وجَوْهَرِه الفَــرْدِ
فرفقاً بصبٍّ في يدِ الشَّوق مفرد بأشجانهِ ياساكِني العلم الفَــرد
يكلِّــفُ عَرَّاف اليمامةِ بُــرْءه ويعلم أنَّ البُرْءَ في علميْ نَجــد
فهل راجع ما فات في زمنِ الصِّبا وهَيْهات ما أن للشبيبــة من رَدِّ
وما أن ذمَمتُ الشيب أدْخلَ مفرقي فكم من يدٍ للشيبِ مشكورة عندي
يُنَفِّــرُ شَيْطانُ الغِوايَــةِ نــورَهُ إذْ حلَّ في فَوْدي ويَهْدي إلى الرُّشْدِ
إذا ابْيَضَّ فَوْدي زادَ طبعي رِقَّة كما وَصَفوا البيض الرِّقاقِ مِنَ الهِنْدِ
ولكنَّــني أبْكي لِــزَلاَتي الــتي تَجاوزْتُ فيها مُنْتَهى الحَصْرِ والحَدِّ
وإنِّي وإنْ كانت ذنوبي كثيــرة وآثرتُ غَيِّي إذْ تَعامَيْتُ عنْ رُشْدِ
لأرجو شفيعَ المُذنبينَ محمــداً يُشَفِّعه المَولى فَيَشْفع في العَبــدِ
نبيٌّ تَسَــمَّى أحمــداً ومحمــداً وأطْنَبَ فيه الوَحْيُ بالمَدْحِ والحمدِ
نبيٌّ جميعُ الرُّسْلِ تحت لوائــهِ وقدْ خُصَّ فضلاً دونَهُمْ بِلِوَا الحَمدِ
كما خُصَّ بالسَّبْعِ المَثاني كَرامةً مِنَ الله وهي السَّبْعُ من سورةِ الحمدِ
له معجزاتٌ ماثلتْ كلَّ ما أتَى به الرُّسْلُ منْ آيٍ وأرْبَت على العدِّ
وأعظمُها القُرآن يهدي لنا الهُدَى فيا حُسْنَ ما يَهدي ويا فَوزَ من يَهدي

هو الوحيُ أجلَى من سَنَى الشَّمسِ في الضُحَى سَناهُ وأحلَى حينَ يُتْلَى منَ الشَّهدِ
لهُ انْشَقَّ بدرُ التَّمِّ عندَ كمالــهِ فشاهدَهُ من كان بالقربِ والبعدِ
لهُ حَنَّ جِذْعُ النَّخْلِ عندَ فراقــهِ حَنيناً شَكَى منْ شَوْقه أَلَمَ الفَقْــدِ
وفاضَ نَميــرُ الماءِ بينَ بَنانــهِ إلى أن تَرَوَّى الجيشُ من ذلك الورْدِ
وآياتُــهُ قبــلَ الــولادِ وبعــدَهُ لكثرَتِها لمْ تُحص في القَبْلِ والبَعْدِ
ومَوْلِدُهُ لِلْخَلْــقِ أسْعَــد مولــدِ فهمْ منهُ في ظلٍّ منَ الأمنِ مُمْتَدٍّ
ألا يا شَفيعَ المُذنبيــن شَفَاعــةً وعَدْت بها في الحَشْرِ يا صادق الوعدِ
فقد عاقَني شَيْبٌ وضُعْفٌ وكِبْرَةٌ قَضَتْ لِي عَنْ مغْناكَ بالنَّأْيِ والبُعدِ
فمنْ لي بِربْعٍ حَلَّهُ خيرُ مُرسَــلٍ أعَفِّرُ خدِّي في ثَرَى ذلكَ اللَّحْدِ
وأبْلِغُ قَلبي ما تَمَنَّى مِنَ المُــنَى وأبْرِدُ شَوقاً فيه مُلْتَهِبُ الوَقْــدِ
وأشفِي غَليلي بالوُرُودِ لِزَمْــزَمٍ فَيا ظَمَأى شوقاً إلى ذلكَ الورْدِ
لئنْ فاتَني فيما مَضَى من شَيبتي ولم أعتملْ سيراً بنصٍّ ولا وَخدِ
فتَحْت اللِّواءِ التَّاشَفِينِيِّ بسَعــده تُبلغُني أظْعانُه مُنتَهَى قَصْــدي
إمامٌ تَــولَّى الله تشييــدَ فخــرهِ فما شئت من مجدٍ ومن كرمٍ عُدِّ
هُمامٌ حبــاه اللهُ عِــزَّةَ نصــرهِ فلِلَّهِ من نصرٍ عزيزٍ ومنْ عَضدِ
له السَّعدُ والسَّعْيُ الجميل ملازمٌ وناهيكَ من سِعْيٍ جميلٍ ومن سَعْدِ
له الجودُ أضْحَى أمَّةً فيهِ وحْدَه كما أنا في مَدْحي لهُ أمَّة وحدي
له العسكرُ الجَرَّارُ يَجْلو قَتامَــهُ أسِنَّتُه كالشُّهْبِ في الظُّلَمِ الربــدِ
كروضٍ ولكنَّ السُّيوف جَــداولٌ وَسُمْرُ القَنَا الخطيِّ كالقُضُبِ المُلْدِ
كَسُحْبٍ ولكنَّ السُّيُوف بُروقُهــا إذا ما انْتَضَوْها والصَّواهِلُ كالرَّعدِ

يُعِدُّ إلى الأعــداءِ كُــلَّ كتيبــةٍ   بها الجُرْد تَرِدي والفَوارِسُ كالأسْدِ
وكلّ صَقيلِ الصَّحْفَتَيــنِ مُهَنّــد   وكل قَويمِ المَتْنِ مُعْتَــدِلُ القَــدِّ
يُبيدُ العِدَى قَبْلَ اللّقــاءِ مَهابَــةً   فَتَبْرِي الطُّلَى أسْيافُهُ وهي في الغُمْدِ
يُهابُ ويُرْجَى في جلال جماله   كليثٍ وغيثٍ في وعيدٍ وفي وعْدِ
فيا مالكاً يحمي الرَّعية رَعْيُــهُ   ويُحْيِيهِمُ بالبَذْلِ والعيشةِ الرَّغْــدِ
ويَكْفُلُهمْ بالعدْلِ والفضْلِ والنَّدَى   ويشْملهمُ بالجودِ والرِّفقِ والرِّفْدِ
لِيُهْنِكَ ما جَدَّدْتَ من عهدِ مولدٍ   وسابعهُ أكْرِمْ بذلِــكَ منْ عَهــدِ
جَمعت جميعَ الحُسْنِ في لَيْلَتَيْهِما   تُذَكِّرُنا كِلْتاهُمـا جَنَّــةَ الخُلْــدِ
هو المَوْلدُ السَّامي وسابعهُ الرِّضَى   فما لَهُما منْ مَظهرِ الفَخرِ من حدِّ
ويُهْنيكَ أبناء بَنَوْا بكَ مَجْدِهــمْ   ولاحوا نُجوماً في سَما ذلكَ المَجدِ
وأضْحتْ سُروجُ الصَّافِناتِ مُهودَهُمْ   تَعَوَّدَها أطفالُهمْ عِوَض المَهْــدِ
سَمَوْا بكَ في أفْقِ المَعالي كَواكباً   أبو ثابتٍ منْ بينهمْ قمرُ السَّعْــدِ
لعمْري لقدْ زانتهُ منــكَ مهابــةٌ   كما زانَ أشواق الفِرنْدِ ظُبَى الهندِ
فما البدرُ في أشواقه وضِيائــهِ   بأجملَ منهُ عندَ مَطْلَــعِ الوَفْــدِ
فدمت له يُرْضِيكَ بالبرِّ والتُّــقَى   وتُرْضيه بالرِّضْوان عَنهُ وبالرُّشْدِ
ودونَكَ رَوْضاً من ثَنائِكَ عاطِراً   فما لِثَناكَ العاطِرِ النَّــدِّ منْ نَــدِّ
فَمِنْكَ أجَدْنا القَــولَ فيكَ إجــادَةً   وما طابَ ماءُ الوَرْدِ إلاَّ منَ الوَرْدِ
ولاَ غرْوَ أنْ حَيَّتْكَ بالطِّيبِ رَوْضةٌ   تَجودُ لها بالصَّيِّبِ الطَّيِّبِ العَهدِ
وما هي إلاّ العِقْدُ مِنِّي نَظْمُــه   ومنْ وصْفِكمْ ما فيهِ منْ جوهرٍ فَردِ

* * *

قـــال محمـــد بـــن يوســـف القيـــسي هـــذه القصيـــدة في عـــام 776هــ/1374م؛ خـــلال حفـــل أقامـــه السلطـــان أبـــو حمـــو الثـــاني؛ بمناسبـــة ختـــم ابنـــه أبي زيـــان محمـــد ســـورة البقـــرة وحفظهـــا:

تهلّــل وجــهُ الأرض وابتســم الزّهــرُ
وغــارتْ بـه في أفقهــا الأنْجمُ الزهــرُ

وضاحكــتِ الأرض السّمـــاء مســرّة
وقابلهــا مــنْ كــلّ ريحانـــة ثغــرُ

ومالــتْ قدودُ القضــبِ زهــواً كأنّهــا
نشــاوَى تمشّــتْ في معاطفهــا الحمــرُ

وغنَّــت قيــانُ الورقِ خلــف ستورهــا
وللــورقِ إنْ غنَّــت بأوراقهــا ستــرُ

أجــدت ســروراً في صنيــع خليفــة
أتاحــتْ له الأقــدارُ ما يقتــضي القــدرُ

لمــولاي موسى أبــدتِ الأرض زينـــة
فتوّجهــا زهــرٌ ووشّحهــا نهــرُ

وقــد رفلــتْ في حلّــة سندسيّــة
وشّاهــا الصّبــا ودبَّجهــا القطــرُ

فاللـــرّوض إيـــراق بنائلـــه الــــذي

غدا الـــرّوض منه وهو فينان مخضـــرٌّ

وللزّهـــر أشـــواق بمحفلـــه الـــذي

غدا الدّهـــر منه وهـــو جـــذلان مفتـــر

ولله مـــن يـــوم أغـــرّ محجّـــــل

وأيـــام مولانـــا محجّلـــة غـــــرٌّ

به الحســـنُ والحســـنَى جميعـــاً تجمّعَـــا

تلاقـــتْ به البشـــرى وراق بـــه البشـــرُ

وقـــد ســـرّ أبنـــاء الملـــوك بأنسهـــم

وناهيـــكَ منْ أنـــسِ الملـــوك إذا ســـرُّوا

أشمـــس الهدَى أطلَعْتِ في أفقِ العـــلَى

نجومـــاً وليّ العهـــد بينهـــمُ البـــدرُ

أبـــو تاشفيـــن سيـــف دولتـــكَ الـــذي

بـــه تفخـــر العليـــاء أو يعتـــلي الفخـــرُ

له السّـــؤددُ المأثـــورُ والمجـــدُ والعـــلاَ

له الكـــرمُ المشهـــورُ والنّائـــلُ الغمـــرُ

أميـــرُ رِضَى أرْضَى الخلافـــة أمـــره

فقدْ فـــازَ بالرّضـــوانِ مِمَّـــنْ له الأمـــرُ

تـــلاه أخـــوه في عـــلاه وإنَّـــــه

لمنتصـــرٌ بالله عـــزّ بـــه النّصـــرُ

وإنَّ أبـــا زيّـــان زيـــنٌ لذاتـــــهِ

زكـــا منه نجلٌ حيـــنَ طـــاب له نجـــرُ

وقـــدْ حـــذق القـــرءانَ حِـــذْق مُجَـــوِّدٍ

فأشـــرق منهُ القلبُ وانْشـــرحَ الصَّـــدرُ

وهشَّـــتْ لـــهُ الجـــوزاءُ تخـــدمُ حفلـــهِ

وقد شدَّ منْ عقدِ النّطـــاق لهـــا خصـــرُ

ويتلـــو كتـــابَ اللهِ واللهُ حافـــظ

لتـــالي كتـــاب اللهِ مـــا حُفِـــظَ الذّكـــرُ

وقـــرّة عيـــنِ المجـــدِ يوســـف صِنِـــوهُ

بِهَدْيِهِمَـــا العليـــاءُ شـــدّ لهـــا أزرُ

وكوكـــبُ أفقِ السَّعـــدِ خامسهـــمْ أبـــو

عَـــلي عـــلاً في المعلـــواتِ لـــه قـــدرُ

وناصرهـــمْ يتلـــوهُ عُثمـــان واقتـــدَى

بفـــارس عبـــد الله فانتظـــمَ الـــــدُّرُّ

فيـــا ملكـــاً فاضـــتْ أشِعَّـــةُ نـــــورهِ

فأشـــرق منهـــا لِلْعـــلَى أنجـــمٌ زهـــرُ

لِيُهنِّئْـــكَ أبنـــــاءٌ بنيـــــت بهديهـــــم

مـــن الدّيـــن أركانـــاً يهـــدّ بها الكفـــرُ

بهـــمْ تـــزدهَى الأعلامُ والبيضُ والقنـــا

كما ازدهتِ الأقْـــلامُ واللَّـــوحُ والحبـــرُ

فمـــا مِنهُـــــمُ إلاَّ أميــــرٌ مؤيـــــدُ

وما منهُـمُ إلاَّ رضى ماجـدٍ بَــرٌّ

جمعتـــمْ لدَى القصريــنِ كـلّ فضيلــةٍ

سمــا لكــمْ في الخافقيــنِ بهــا ذكــرُ

مآثــرُ شــتَّى مِــنْ قِــرَى وقِــراءَةٍ

تضمّــن منــهُ كــلّ مأثــرة قصــرُ

فَمِنْ صدقــاتٍ غارَ منْ جودهـــا الحيـــا

وفيض هباتٍ غاضَ في جودهـــا البحــرُ

دعوتــمْ إليهــا كــلّ بــادٍ وحاضــرٍ

فلبَّــوْا كــأنَّ النّــاسَ ضمَّهــمُ الحشــرُ

كــأنّ الثّريّــا نحوكــمْ مــدَّ كفّهـــــا

فمِــنْ نَيْلكــمْ في كفّهــا ورق وفــرُ

كــذا تُبتَــنَى العليــا ويُذخــرُ الثَّنـــا

وتُكتســبُ الزّلــفَى ويُغتنــمُ الأجــرُ

مكــارمٌ لا تنفــكُّ تَــزْدادُ جـــدَّة

على الدَّهر لا تُبــلَى وإنْ بُــلِي الدَّهْــرُ

فدامــتْ بــكَ الأيَّــام تُظهِــرُ حُسنَهـــا

فيحسنُ في أوصافهـــا النَّظــمُ والنَّثــرُ

ودونـــكَ منْ دُرِّ الـــدَّراري قوافيهـــا

فيـــا مَنْ رأى الشّعرَى ينظّمهـــا الشّعــرُ

قــوافٍ قفــتْ أثــر النُّجــومِ مناهجــاً

فليــسَ بِمَقْــفِيٍّ لهــا أبــداً أثــرُ

ومــا هي إلاَّ بِكــرُ فِكْــرٍ تَبَرَّجَــتْ

وفي لفظهــا دُرٌّ وفي لحظهــا سحــرُ

مخبــرة مــنْ قــال مُستخبــراً لهــا

سَــلِي هــلْ لديهــا مِنْ مخبــرةٍ ذكــرُ

***

ـ قــال الشاعــر هــذه القصيــدة عقــب فتــح أبي حمــو الثــاني لوهــران. ولــم تــردت إلا في زهــر البستــان فقــط:[1]

بسعدك الجاريــان الدَّهــر والقــدر

وباسمك الغالبان النصــر والظفــر

من بعض أنصارك السعد المكين ومن

خدامك الماضيان البيــض والسمــر

بيمنك الفلك الأعلى جــرى وعتــا

بجودك الأجودان البحــر والمطــر

---

[1] الشاعر محمد بن يوسف القيسي شاعر مجيد؛ ولكن هذه القصيدة نسخت للأسف بقلم رديء؛ الأمر الذي أفسد رونقها.

فأنت أعلى ملـــوك الأرض قاطبـــة

ودونك النَّيِّــرَانِ الشمــس والقمـــر

لك الملوك فعن علياك قد عجــزوا

وصدّهم طائعان العجــز والخـــور

فبسط كفك فيه بـــرق سيفـــك قـــد

تآلـــف النافـــران المـــاء والقفـــر

لله ملك مليـــك [راعٍ][1] وَرَوَّعَـــني

في الحرب عمرو[2] وفي محرابه عمر[3]

نبارك الأرض لو في الأرض من نَدِيٍّ

لم تذبل الناعمان الـــورد والزَّهَـــرُ

وواضح البشر لو في البدر منه [سنى

يجلي بها مركبين: الأرض والسرر][4]

[1] كتب في الأصل: ((أوزع))؛ وهذا تحريف لكلمة أخرى قالها الشاعر؛ لأن ما ورد في الأصل يخل بالوزن. وعليه فقد وضعنا بين حاصرتين كلمة [راع]؛ ليستقيم الوزن والمعنى.
[2] أي: عمرو بن العاص.
[3] أي: عمر بن الخطاب.
[4] للأسف؛ قلص الناسخ ما يمكن جنْيُه من هذه القصيدة؛ إذ شوّه كلماتها، وأخل بوزنها؛ حتى أن القارئ يعجز عن فكّ شفرة الكلمات؛ ويفاجأ ـ بين الحين والآخر ـ بخلل؛ يسقطه في فجوة عتماء، أو يصدمه بحاجز عصي؛ يمنع متابعة تسلسل معاني القصيدة. لذا لم أجد بدأ من محاولة نظم كلمات وعبارات بديلة؛ لعلها تساعد القارئ على متابعة قراءة هذه القصيدة. وعليه؛ فكل ما يعترض القارئ من عبارات أو كلمات بين حاصرتين فهي من صياغة صاحب التحقيق؛ ونرجو من الله التوفيق.

ولو أجيــرت قلــوب العاشقيــن به

لم يسبها الفاتنان: الغنــج والخــور

[أجبتنا][1] بالغنى والأمن فاندفعــت

عناية [الشقوتان][2] الفقــر والحــزر

فالجود يأتي على الأقوام منسكــب

والأمن ظِــلٌ على الإسلام منتشــر

[تغدو الفضائل كلها لــه فجــرى][3]

من وجهه البدر أو من كفــه البــذر

يلــقى الجفــاة ببشــر إثــره كــرم

كذلك الغيث إثــر البــرق ينهمــر

وإن تبســم بُشِّرْنَــا بكــلٍّ غــنى

كذلك النــور يــأتي بعــده الثمــر

هــدى يغمراســن المولى وسيرتــه

[تسمو جلالا وتروي ذكرها السيــر][4]

فمن معاليه في جيــد الزمان حــلي

ومن مساعيه في طرف العلى حور

---

[1] كلمة ـ في الأصل ـ غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة بديلة.

[2] في الأصل كلمة غير مفهومة؛ فوضعنا كلمة بدلاً منها بين حاصرتين.

[3] تعذر قراءة ما كتب في هذا الشطر. وعليه فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين.

[4] جاء هذا الشطر في الأصل هكذا: ((أبدى محيانا فسرت منهما السير)). وهذا مما حرفه الناسخ. لذا فقد وضعنا شطراً بدلا منه؛ كما ورد أعلاه.

للنصر ريــح رجــاء لا تفارقــه
تروح [القوم في نصــر][1] وتبتكــر

ريــح ولكنهــا روح إذا ابتــدرت
رأيــت راياتهــا للفتــح تبتــدر

[أجرت][2] قلوب الأعادي في متابعة
كأنما كــل قلــبٍ؛ طائــرٌ [ذعــر][3]

له جيــوش لهــا نــار مضرمــة
وقودهــا الناس لكن من له ضــرر

نعــم وفيهــا لمــن والاه منفعــة
كالسحب يوجد فيها النــار والمطــر

يقودهــا ملــك في بــردةٍ ملــك
في درعــه أســد في تاجــه قمــر

ملــك بهمتــه العليــا وعزمتــه
[ترسخت وعلــت أركانــه الغــرر][4]

---

[1] ما بين حاصرتين وضع في مكان عبارة غير مفهومة في الأصل.
[2] الكلمة ـ في الأصل ـ غير مفهومة؛ فعوضت بما ورد بين حاصرتين.
[3] ما بين حاصرتين؛ وضع في مكان كلمة غير واضحة في الأصل.
[4] ورد هذا الشطر في الأصل هذا: ((يستجاب النفع أو يستدفع الضرر)). وهذا الكلام الذي نقله الناسخ ـ طبعاً ـ غير موزون، ولا مفهوم. لذا فقد عوضناه بما ورد بين حاصرتين؛ لتقريب المعنى المقصود إلى القارئ.

عــفّ الإزار مصيب الرأي متكــل

على الإله بما يــأتي ومــا يــــدر

حامي الديار أبو حمو الذي فُتِحَــتْ

له البــلاد ودان البــدو والحضــر

مفــني العدا فإذا أفنى الأولَى مردوا

على النفاق يُثَــنِّي فلــلأولى كفــر

من ذي الكتيبة [قد فاضت مناقبــه

يطري ويثني على أوصافه البشــر][1]

معطي الألوف ومطعم الضيوف ومطــ

ــعان الصفوف وبادي الحرب تستعر

والخيل كالسبيل تحت الليل ترفعهــا

فرسانهــا ودجى الهيجــاء معتكــر

والبيض والسمر في الصفين قارئــة

علــم البديــع فمنظــوم ومنتثــر

والهــام تسقــط والألبــاب طائشــة

والأســد قابلــة للأســـر لا وزر

هناك يحــمي حماهــا بالهمــام أبى

حموا ويَحْمَرُّ منه الورد والصــور

---

[1] ما ورد بين حاصرتين في هذا البيت؛ وضعناه؛ بغرض تعويض الكلمات المشوهة التي تعذر فك طلاسمها.

سل عنه وهران هل أجدى تحصنها

منه وهل أغنت الأســوار والجــدر

كــلا لقد حلهــا إذ حــل ساحتهــا

من بعد ما جاءها من عــنده القــدر

كي يورد الصفو من لم يُحْيِ تكرمة

ويوسع العفو مــن يحــيى ويقتــدر

يا غاصبين استحق الدار صاحبهــا

إن شــاء عاقبكــم أو شــاء يغتفــر

هــذا إذا طــرح الجنــاة زلتهــم[1]

وعاد بالعفــو شهرا[2] ذلــك العبــر

والحمد لله حمــد الشاكريــن عــلى

فتــح تليــه فتــوح جمــة أخــر

والأرض أبدت لهذا الفتــح زينتهــا

بشرا وأشرقــت الآمــال والكبــر

فأنظر إلى الروض تهتز الغصون به

عُجْبــاً ويضحك في أرجائه الزهــر

---

[1] رسم هذا الشطر في الأصل هكذا: ((هذا أمن جانا جنى بما جنى عبرا))؛ ونظرا لغموضه، والتحريف الذي أصاب كلماته؛ عوضناه بشطر آخر ورد بين حاصرتين.

[2] هكذا.

وللربيـــع عـــلى أعطافـــه حلـــل

مرقومـــة كللَّتْهـــا للنـــدى درر

تستبشر النـــاس حتى قلـــت أنهـــم

نشاهم المطر بان الكـــأس والوتـــر

هذا الـــذي كانـــت العليـــا [تؤملـــه][1]

هذا الذي كـــان كل النـــاس ينتظـــر

أقدم على فـــرص الآمـــال منتهـــزا

يحصى بها بَشَـــراً ما نالهـــا بشـــر

بادر كما تُرتَجى بالسعـــد مبتـــدراً

ومرْ بما تشتهي فالدهـــر [مبتكـــر][2]

والنصـــر بينهـــم يهفـــو بـــه سلـــم

وأنـــت معتصـــم باللـــه منتظـــر

فانهض بجيشٍ وسعدٍ منك ساعـــده

يا حبـــذا العسكران السعـــد والنفـــر

بسعدكم قدمـــت كـــل البـــلاد لكـــم

لم يعص سيفك لا سهـــل ولا وعـــر

---

[1] في الأصل: ((تأمله))؛ وهذا يخل بالوزن.

[2] الكلمة الواردة بين حاصرتين وضعناها بدل كلمة غير واضحة.

ســـر حيث شئت بعبد الـــواد [إنهم][1]

عربٌ كـــرامٌ وكل ضيغـــم هصـــر

زيـــن الزمـــان بنـــو زيـــان إنهـــم

وأنت بـــدر علاهـــم أنجـــم زهـــر

آراؤكـــم وعطاياكـــم وأوجهكـــم

في الأعصر الدهم من آياتها غـــرر

إليكـــم تطمـــح الأبصـــار والفكـــر

وفيكـــم تســـرح الأشعـــار والفقـــر

ومن يكن فخره بالشعـــر ممتدحـــا

فبامتداحكـــم الأشعـــار تفتخـــر

وما عسى أن يطيل المدح ذو لســـن

ومن يطل فيك مدح فهو مختصـــر

فكـــل فخـــر إلى علیـــاك غايتـــه

وكل جـــود على يمنـــاك مقتصـــر

إليكمـــا مـــن مجيـــد خيـــر قافيـــة

لو أنصفوها لما فاهوا ولا شعـــروا

ما كل من يتعاطى الشعـــر يحسنـــه

كلا وهل تستـــوي الحصبا والـــدرر

---

[1] في الأصل: ((ما بهم)).

لازال سعدكـــمُ ينــمي وسيفكــم

يحمي وجودكـــمُ يهــمي وينهمـــر

[فقائد][1] الأمر منصور اللواء، لكــم

بكـــل أفـــق ثنـــاءٌ طيـــبٌ عطـــر

***

ـ قـــال صاحـــب الترجمـــة هـــذه القصيـــدة الغـــراء الرائعـــة بتلمســـان في سنـــة 796هـ/1393م؛ بيـــن يـــدي السلطـــان أبي زيـــان محمـــد بـــن أبي حمـــو الثـــاني[2]:

تذكرتُ صحبا يمَّموا الضَّالَ والسِّدْرا	فهاجت[3] لي الذِّكرَى هوى سكن الصَّدرا
وإخوان صدق أعملوا السَّير والسُّرَى	إذا ما بدا عذرٌ لهم قطعوا العذرا
سروا في الدُّجَى يفلون ناصية الفَلَى	وعند صباح القوم قد حمدو المَسْرى
غدتْ نَكِراتُ البَينِ معرفةً بهـــمْ	وآهلة تلك المَجاهـــل لا قَفـــرا
وتوديعهم أذْكَى الجَوى في جوانحي	لقد أودعَ التَّوديعُ في كبدي جَمرا
يُضيء الدُّجَى من عزمهم فكأنهمْ	كواكبُ تَسري للْحِمى كيْ تَرَى البدرا
أجلّ بدور الرُّسْل نوراً وبهجةً	وأجمل خلقٍ رِيءَ في حُلَّةٍ حَمرا
وأصدق من في عالمِ الكونِ لهجةً	وأكرمهم فعلاً وأشرفهم ذِكْـــرا

[1] في الأصل: ((قائد))؛ بدون الفاء؛ وهذا يخل بالوزن. فوجب التصويب.

[2] وردت هذه القصيدة في نظم الدر والعقيان فقط.

[3] هكذا جاءت، وربما كانت: ((وَهَيَّجَ لي الذِّكرَى...)).

وأطهرهم قلباً وأكملهـم تُـقَى   وأشرحهم صدراً وأرفعهم قَدرا

وأفصح من بالضّاد والظّاء ناطقاً   إذا فاهَ نطقاً خِلته يَنثـرُ الـدُّرَّا

تلألأ نوراً يفضحُ الشمس في الضُّحَى   فليس له ظلٌ لدَى الشَّمس يُستقرا

ويَبْسم عن حبِّ الغَمـام كأنَّمـا   جَواهِرَ نورٍ أودَعَتْ ذلك الثَّغْرَا

فما الروضُ مطلول الأزاهرِ باسماً   بأذْكى أريجاً منه ورداً ولا زَهرَا

ولا المِسكُ مفضوض النَّوافخِ صامكاً   بأطيبَ من ريَّاه عَرْفاً ولا نَشْرَا

أزيْن الحُلَى وقف عليكَ محبَّتي   إذا رُمتُ صبراً عنكَ لم أستطعْ صبرَا

يُمَثِّلُ لي مرآكَ في كلِّ لحظـةٍ   ويَخْطُرُ لي ذكراكَ ما جرَتِ الذِّكرَى

إذا فُهتُ لم أنطقْ بغيرِ حديثكمْ   وإنْ غِبتُ لم يُعْمِر سِواكمْ لِي الفِكرَا

ومالِيَ أطْوِي عنكَ سِرَّ الهَوَى وقدْ   تَمَلَّكَ مِنِّي حُبُّكَ السِّرَّ والجَهْـرَا

أبيتُ إذا ما اللَّيلُ أرخى سُدولَهُ   أسامرُ من شَوقي لكَ الأنْجُمُ الزُّهْرَا

عقدتُ بها جَفْني وأطْلَقْتُ أدْمُعي   فلاَ عبرة تَرقَى ولا مُقْلة تُكْرَى

يكذِّب دَعَوى النَّفس شاهدُ حالها   إذا لم يكن برهانُها يَشرحُ الصَّدرا

أتَزْعم حباً للحبيبِ ولم تَخُـضْ   له في سبيلِ الحُبِّ بَراً ولا بَحرَا

وكلُّ اعتذارٍ قد يسوغُ ولا أرَى   لمثلي مقيماً في تَخلُّفـهِ عُـذْرا

وأخْطرُ ما يَلْقَى المُحبُّ به الرَّدى   وكلّ محبٍ لا يَرَى لِلرَّدَى خطرا

وليس عجيباً أن ينالَ مَشوقُهُـمْ   على البُعدِ منهمْ ما يسرُّ به السِّرا

ففي سعةِ الألْطافِ ما يُفرجُ الأسَى   وفي كَنَفِ اليُسْرينِ ما يُذهبُ العُسرَا

وفي رحمةِ المَولَى إغاثة عبدهِ   ولا سِيَما أنْ يَدْعُهُ العَبدُ مُضْطرَّا

إلهي عَفْواً عن ذُنوبٍ جَنيتُهـا   وغَفْراً لما أسْلَفْتُ من زَلَلٍ غفرَا

بأسمائكَ الحسنَى سألتُك ضارعاً   وبالمصطفَى ألاَّ تردَّ يدي صِفْرَا
لعلِّي أحْظَى بالمــزارِ لطيبــةٍ   فيمْحو بها ذاكَ المزارُ لِي الوِزْرا
هي الدَّار حَطَّ الصَّالحونَ رِحالَهُمْ   فَحُطَّتْ خطاياهُمْ وإنْ عَظُمَتْ كُثْرا
مثابةُ إيمــانٍ وأمــنٍ ونصــرةٍ   بها انْتَصَرَ الإسلامُ فاصْطَلمَ الكُفرا
تخيَّرها المُختــارُ داراً لِهجــرةٍ   فما سامَها من بعدِ هِجرتِه هجْرا
أيا جيرةَ الوادي بحَقِّكــم مَــتَى   يقولُ لي الحادي هَنيئاً لكَ البُشرَى
أَحِلُّ بأرضٍ حَلَّها خَيْرُ مُرْسَــلٍ   غَدا تُربُها مِسْكاً وحَصْاؤها دُرَّا
نَبيٌّ أتاه الوَحْيُ من عندِ ربِّــه   فبالغَ في تبليغهِ للــورَى طُــرَّا
بشيرٌ نذيــرٌ بينَ كتْفَيــهِ خاتَــمٌ   به خَتَمَ اللهُ الرَّسائــلَ والنُّــذْرَا
أمانٌ لأهلِ الأرضِ يَشْفَعُ فيهِــمُ   يؤمِّنُ في الدُّنْيا ويُشْفِه في الأخْرَى
فيا مُرسلاً بالحقِّ للخلقِ رحمة   ومَشْكَى شَكَواهُمْ إذا وَرَدوا الحَشْرَا
ومنْ ماثلــتْ آياتُهُ كلَّما أتَــتْ   به الرُّسلُ منْ آياتِ رَبِّهِمُ الكُبْرَى
لأنْ كانَ فَلْقُ البَحرِ قَبْلَكَ آيَــةً   لِموسَى فإنَّ اللهَ شَقَّ لكَ البَــدْرَا
وإنْ كانَ فاض الماءُ منْ حَجَرٍ لهُ   فَمِنْ كَفِّكَ الماءُ الزُّلالُ جَرَى نَهْرَا
وإنْ وَقَفَتْ شَمْسُ النَّهَارِ لِيوشَعَ   فقدْ وَقَفَتْ لِلْمُصْطَفَى تَارَةً أخْرَى
لكَ اللهُ رَدَّ الشَّمْسَ بعدَ غُروبها   فأدْرَكَ إذْ صَلَّى عليٌّ بها العَصْرَا
وإنْ كانَ مَعَ داوُد سَبَّحَتِ الصُّوَى   فقدْ سَبَّحَتْ في راحَتَيْكَ الحَصى جَهْرَا
وإنْ حمَلَتْ قِدْماً سُلَيمانَ ريحُــهُ   تَروحُ به شَهراً وتَغدُو به شَهرَا
فَفي لَيْلَةٍ أسْرَى بكَ اللهُ راكِبــاً   بُراقاً يَفوقُ البَرْقَ في سُرْعَةِ الإسْرَا
مِنَ الفَرْشِ نحو العَرْشِ أسْرَى بِعَبْدِهِ   إلى الحَضْرَةِ العُلْيَا فَسُبْحانُ منْ أسْرَى

وعادَ إلى مثواه والصُّبحُ لم تشبْ ذَوائِبه والصُّبحُ ما فَجر الفَجرا

وإنَّ لسليمانَ الشَّياطينُ سُخِّرَتْ فلمْ تكُ في التَّسْخيرِ تَعْصي لهُ أمْرَا

فإنَّ رسولَ اللهِ قدْ سُخِّرَتْ لَـهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَنِ تَنْصُرُهُ نَصْــرَا

مَلائِكةٌ قــدْ قاتَلَتْ مَعَه العِـدَى بِغَزْوَةِ بَدْرٍ حينَ حلَّ العِدَى بَدْرَا

فجاهَدهمْ في اللهِ حــقَّ جهــادِهِ فمنْ لم يدنْ طوعاً أتاه الرَّدَى قهرا

أعادَ الأعادي فِرقتينِ بحكمــهِ فمنْ فرقةٍ قَتْلَى ومن فرقةٍ أسْرَى

وإن خَمَدَتْ نارُ الخَليلِ كَرامــةً فألفَوْهُ إذْ ألْقوهُ في رَوْضَةٍ خضْرَا

فقدْ خَمَدَتْ للمصطفَى نَارُ فارسَ بمولدِهِ من بعدِ ما أُضْرِمتْ دَهرا

وفاضَت بهِ الأنْوارُ شَرقاً ومغرباً وفي المَلأ الأعلَى سَرَى البِشْرُ والبُشْرَى

فلولاَ سَنَى نورِ النَّــبِيِّ مُحَمَّــدِ لما أُبْصِرَتْ بالشَّامِ منْ مكَّة بُصْرَى

وكم لرسولِ اللهِ من آيةٍ سَمَــتْ على الألفِ والقرآنُ آيتُهُ الكُبْرَى

وكلّ النَّبيينَ انْقَضَتْ مُعْجِزَاتُهُمْ ومُعجزةُ القُــرآن باقيــةٌ تُقْــرَا

وفي ليلةِ الميلادِ لاحتْ عجائبٌ بقيصَرَ أودَتْ بعدما كَسَرَتْ كِسْرَى

وسلَّتْ على الإيوانِ سَيْف مَهابةٍ فَخَرَّ بها الإيوانُ منْ بعدما قَــرَّا

هي الليلةُ الغَرَّاء جدَّدَ عَهْدَهــا الإمامُ أبو زَيَّانَ بالحَضْرةِ الغَرَّا

فأسْدَى وأبْدَى منْ نَداه وحُسنِها حيا جادَ روضاً فاكْتسَى زهراً نضرا

يُذكِّرُنــا دارَ المقامــة حُسنهــا فمِنْ بهجةٍ تُجْلَى ومِنْ نِعْمَةٍ تَتْرَى

إمامٌ مَلأ الدنيا تُــقًى وفَضائــلا وتَرْتَجُّ أحْشاءُ المُلوكِ به ذُعْــرَا

فَمِنْ سِيَرٍ أذْكَرْتَنا عمرا ومــن مواطن في الهيجاء أنسيتنا عمرَا

دَرَى بطعنِ الرمحِ في مهج العدَى ولكنْ بضربِ السيف فوق الطُّلَى أدْرا

مليكٌ أقام الخلقُ في ظلِّ عدلـــهِ وأضفَى عليهمْ من ملابسه ستْرا

فكم قد سطت ذُؤبانُ عُرْبانِهمْ بهمْ تَسومُهمْ قَهراً وتَسْلِبهم جَهــرا

فَكَفَّ أَكُفَّ الجورِ عنهمْ بعدلـــهِ فلا روعةٍ تعرو ولا عَورة تعْرَى

فكلُّ الورَى يدعو بطولِ بقائـــهِ فمنْ رافعٍ كَفاً ومنْ ساجدٍ شُكرا

لئنْ كان بحراً في العلومُ فإنَّ في بنانِ يديه لِلندى أبْحُــراً عَشْــرا

فما في سَجاياه الكريمة مَطْعَــنٌ سوَى أنَّهُ بالجُودِ يَستَعْبِدُ الحُرَّا

له بكتــابِ الله أعــنى عنايَــةٍ وبالسُّنَّةِ الغَرَّا هو المغرمُ المُغرَى

فما هَمُّــه إلاَّ كتــابٌ وسنَّــةٌ بِنَسْخِهما قدْ أحْرَزَ الفَخْرَ والأجْرا

فَنَسْخُ كِتــابِ اللهِ جَــلَّ جَلالُــهُ ونسْخُ البُخارِي ضامنان له النَّصرْا

ومن كان يعْتَدُّ الشِّفــاءُ شفــاءه فمنْ عِلَلِ الأوْزار في نَسْخِه يبْرَا

تَضوَّعَ طيبــاً حبْــرُه وكِتابُــه فَزَادَ البُخارِيُّ منْ مَباخِره عِطرا

فلمْ أدْرِ والأوْراقُ راقَتْ بخطِّهِ أمِسْكاً على الكافورِ يُنَثَرُ أمْ حِبْرا

ألاَ هكذا فليَسْمُ للمجدِ من سَمـــا ويجْري لآمادِ الفضائلِ من أجْرى

معالٍ سَهَى عَنها السّهى ومكارم يقْصُرُ عنها الشِّعْرُ لو نظمَ الشعرا

ودونكَ أبْكارُ القَوافي فإنْ بَــدَا عليها حياءٌ فهو من شيمةِ العُذرا

مُنَضَّدَةٌ بيضُ الوجــوهِ تَخالهــا على صَفْحة الطِّرْسِ الدَّراريّ والدُّرَّا

وما كنتُ أدْري النَّثْرَ والنَّظْمَ قبْلَها فَعلَّمَني إحْسانُكَ النَّظْمَ والنَّثــرَا

تَوَلاكَ من ولاكَ بالعِــزِّ والبَقَــا وأوْلاكَ في الدُّنْيا رِضاهُ وفي الأخْرَى

***

ـ هـذا تخميـس لقصيـدة؛ أنشدهـا صاحـب الترجمـة في سنـة 764هـ/1362م؛ بيـن يـدي أبي حمـو الثـاني؛ بمناسبـة المولـد النبـوي الشريـف.

يا ليلة الاثنين افتخر* بالبدر الطالع من مضر* في ليلة يوم اثني عشــر

من شهر ربيع المشتهر* بالمولد فهو به علم

*****

كالشمس سناه وكالقمر* وبدت كالزهر وكالزهر* أنوار هدى خير البشر

ونبي الرحمة والبشر* فجميع الخلق به رُحِمُوا

*****

يا شهر بك افتخر الدهر* يا شهر جمالك مشتهر* يا شهر كمالك منتشــر

يا شهر قدومك يا شهر* تحيى بمواسمه النسم

*****

يا شهر ربــع فيك بدا* ومن الأنوار قد انفردا* والخير بمولــده أطــردا

وأتى للخلق بكل هدى* فبطلعته سعد الأمــم

*****

صبح الإرشاد به انصدعا* وبأمر الله لقد صدعا* والخلق لنجح الحق دعا

وأزال بسنته البدعا* فبسنته الخلق اعتصموا

*****

ظهرت بنبوته العبر* شهدت برسالته الشجر* والذيــب وكلمــه الحجــر

وانشقَّ بدعوته القمر * وانجاب بغرته الظلـــم

*****

والجذع شكا وله ولَهٌ* لفراق رسول الله له* لما بالمنبـــر بدَّلَـــه

فلذلك أَنَّ وحَنَّ له* شوقـــاً وأَلَـــمَّ بـــه الألـــم

*****

ومعاد بتفلته لصقـــا * يده بالمرفق إذ فرقا * وقتادة رد له الحدقـــا

وسقى الأحياء حيا غدقا* عمت للقوم به النعم

*****

بهرت أنوار شرائعه* ولكم ظهرت بمنازعه* مـــن معجـــزة لمنازعـــه

والماء خلال أصابعه* أضحى ينهل وينسجم

*****

قام القرآن بحجته* وإمام دليل محجته* وتسامى الصدق بلهجتـــه

وتناهى الحسن ببهجته* فالعقل يهيم ولا يهم

*****

معلي الإسلام ومعلمه* بهداه تشيد معلّمه* ومبيد الكفر ومعدمـــه

بظباه أريق له دمه* فوجود الشرك به عدم

*****

زين الإرسال وخاتمهم*وشفيع الخلق وراحمهم* هو منجيهم هو عاصمهم

في يوم تبين جرائمهم* وتزل بهم فيه القدم

*****

ورسول الله كما وردا* يروي بالكوثر من وردا* لا يضمـــأ وأراده أبـــدا

ولواء الحمد له عُقِــدَا* وشفاعته ترجو الأمم

*****

يا رب انفع بمحبته* مشتاقا اسنى رغبته* تقبيل مقـــدس تربتـــه

وقبول منـــك لتوبته* عما يجنيه ويجترم

*****

وأنصـــر من قام بموسمه* يبدي الأفراح بمقدمه* ويفيض عوائـــد أنعمه

ملك أمسى بتكرُّمِه* للأجر يحوز ويغتنم

*****

ملك قد عم تفضله* وملوك الأرض تؤمِّله* برســـول الله توسلـــه

وعلى مولاه توكله* وحلاه العفة والكرم

*****

ملك يتخيل كالملك* كالشمس تحل ذرَى الفَلَك* كالبدر يــضئ بمحتلــك

كالليث يصول بمعترك* تلقاه الأسد فتنهــزم

*****

بدر العلياء إذا انتسبا* أسد الهيجاء إذا ركبا* يعــطي الآلاف إذا وهبـــا

ويخاف الله إذا غضبا* لا هجر لديه ولا برم

*****

ملك قد لاحت أسعده* يحميه الله ويعضده* هو ينصره ويؤيـــده

وعلى الأملاك علت يده* وبعز علاه جرى القلم

*****

أمعزّ الدين وناصره* ومعيد الملك وجابره* لا زلت تشيّد عامره

أبداً وتجدد غامره* ما أنهل بكفك منسجم

*****

من عاند فضلك أو جحدا* فالسيف يقرب ما بَعُدَا* ويقيم لأمرك من قعدا

فأمدد للواء الملك يدا* من مواهبهـا الديـم

*****

فالنصر أمامك والظفر* والسعد يساعده القدر* وعودك واه محتقر

بشراك فإنك منتصر* بالله عليك ومعتصـم

*****

والدهر ببأسك ينتصف* والبحر بجودك يتصف* ماذا أثنيه وما أصـف

أغمام بنانك إذ يكف* أم نور سناك أم الهمم

*****

فيمثل علائك يفتخر* ونفيس ثنائك يدخر* وبعصـرك تفتخـر العصـر

فلقد حسنت لكُمُ سِيَرُ* ولقد كرمت لكم شِيَمُ

*****

من رأى مرآك من البشر* دلته حلاك على البشر* كالنور يدل على القمر

ضربت بظباك يد القدر* تفني الأعداء وتحتكم

*****

سيف السلطان أبي حمو * يبدو لعداه به نجم* فيه لشياطينهم رجم

لازال بسطوته يسمو * يعفو ويعفّ وينتقم

*****

فتلمسانٌ بك في خدل* مذ لانت منك بخير ولِ* وأعدت لها أسنى الدول

عادت لعوايدها الأول*ونأى عن ساحتها العدم

*****

يا حسن مقام منك سما* ولعبد الوادي همى كرما* فكأنك فيهمُ مبتسما

قمر حفَّته نجوم سما* لا ظلم لديه ولا ظلم

*****

أمليكا جاوز كل مدى* وأنال القصد لمن قصدا* وأفاد ندى وأباد عدى

من نال رضاك لقد سعدا* ونأى عن ساحته العدم

* * *

ـ قصيدة لمحمد بن يوسف الثغري وصف بها تلمسان[1]. يبدو أنه نظمها في عام 767هـ/1365م؛ بمناسبة وصول ابنة أمير بجاية أبي عبد الله الحفصي؛ عروس السلطان أبي حمو[2]:

قُمْ فَاجْتَـلِ[3] زمن الربيع المقبل
تَـر ما يسـرُّ المُجتـني والمُجْتـلي
وَانْشُقْ نسيمَ الرَّوضِ مُطولاً وَمَا[4]
أهْـداكَ من عَـرْفٍ وَعُرْفٍ فاقْبَـلِ
وَانْظرْ إلى زهرِ الرِّياضِ كَأنَّـهُ
دُرٌّ[5] عـلى لبَّـاتِ رَبَّـاتِ الحُـلِي
والطَّيْـرُ تنشدُ باخْتِلافِ لُغاتِها
طَرَبـاً عَلَى أعْـلَى الغُصُون الميـل[6]

[1] هذه القصيدة موجودة في الجزء الأول من بغية الرواد، وزهر البستان في دولة بني زيان، ونفح الطيب.
[2] أشار صاحب زهر البستان إلى هذا؛ حين قال: ((وفي أثناء وصول هذه العروسة؛ وصل الأمير عبد الله صاحب بجاية؛ وشهد على هذه العراسة؛ التي جاوزت النهاية. وفي ذلك يقول الفقيه النبيل أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي؛ أحد كتبة الأشغال...)). ورقات: 89 ظ - 90 و.
[3] في النفح: ((مبصراً)).
[4] هكذا في بغية الرواد، ونفح الطيب؛ بينما سقطت كلمة: ((الروض)) في زهر البستان؛ الأمر الذي أخل بالمعنى والوزن معاً.
[5] في بغية الرواد: ((دُرَرٌ)).
[6] سقط هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب.

في دَوْلَـــةٍ فاضَتْ يَداها بالنَّـــدَى
وَقَضــتْ بكــلِّ مُــنَى لِكــلِّ مُؤَمَّـــلِ
بَسَطَتْ بأرْجاءِ البَسيطَــةِ عَدلَهــا[1]
وَسَطَــتْ بِكــلِّ مُعانِــدٍ لــمْ يَعْــدِلِ
سُلطانُها المَولَى أبو حمُّو الرِّضَى
ذو المَنصِبِ السَّامي الرَّفيعِ المُعْتَــلِي
تَاهَــتْ تِلِمســانٌ بدَولَتــهِ عــلَى
كُلِّ البِــلادِ بِحُسنِ مَنْظَرِهـــا الجَــلِي[2]
هذي تلمسانٌ حَمَى مِنْها الحِــمَى
وَفَرَى[3] العِدَى عَنْها بِحَــدِّ المِنْصَـــلِ[4]
فَغَدَتْ تَتِيهُ بِحُسْــنِ دَوْلَتِهِ الــتِي
أرْبَــتْ علَى حُسْــنِ الزَّمَـــانِ الأوَّلِ
وَزَهَتْ بِدَاخِلِها وَخَارِجِهَا عــلَى
كُلِّ البِلاَدِ بِحُسْــنِ مَنْظَرِهـــا الجَــلِ
رَاقَــتْ مَحَاسِنُها وَرَقَّ نَسِيمُهـــا
فَحَــلاَ بها شِعْــرِي وطــابَ تَغَــزُّلِي

---

[1] في الأصل بزهر البستان: ((أصلها))؛ وما ورد في البغية والنفح أفضل.
[2] سقط هذا البيت في زهر البستان.
[3] في زهر البستان: ((وعدا))؛ وما جاء في البغية والنفح أفضل.
[4] هذا البيت؛ ثم البيتان المواليان مباشرة؛ غير موجودة في نفح الطيب وفي بغية الرواد.

عَرِّجْ بِمُنْعَرَجَــاتِ بابِ جِيادِهـــا

واقْتَــحْ بِــهِ بــابَ الرَّجــاءِ المُقْفَــلِ

وَأعــدْ[1] إلى العُبَّـــاد مِنْها غُــدْوَةً

تُصْبِحْ هُمُــومُ النَّفْــسِ عَنْكَ بِمَعْــزَلِ

وَضَرِيحُ شيخ[2] العَارِفِينَ شُعَيْبِهـــا

زره هنالــك إنــه نعــم الـــولى[3]

فمــزاره لِعِبِـــادَةٍ ونَزَاهَـــةٍ

فيــهِ ذُنوبُــك وكُروبُــك تَنْجَــلى[4]

وتَمَــشَّ في جناتها [5] وَرِيَاضِهَـــا

واجْنَــحْ إلى ذاكَ الجَنَــاحِ المُخْضِــلِ

تَبْــدُوا لَكَ الأفْــرَاحُ فِيها أنْجُمـــاً

زُهْــراً ولَكِــنْ لَسْــنَ عَنْــكَ بِأُفَّــلِ[6]

وبِكَهْفِها الضَّحَّاكِ قِــفْ مُتَنَزِّهـــاً

تَسْــرَحْ جُفُونَكَ في الجَمَالِ الأجْمَــلِ[7]

---

[1] في نفح الطيب: ((ولِتَغْدُ)). وفي زهر البستان: ((واغْدُوا)). وما جاء في بغية الرواد أفضل.

[2] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((تَاج)).

[3] جاء هذا الشطر في البغية والنفح هكذا: ((زُرْهُ هُنَاكَ فَحَبَّذَا ذاكَ الوَلِي)).

[4] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب هكذا:

((فَمَزَارُهُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا مَعاً تُمْحَى ذُنُوبُكَ أوْ كُرُوبُكَ تَنْجَلِي)).

[5] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((في جَنَّباتِها)).

[6] سقط هذا البيت في بغية الرواد؛ وفي نفح الطيب.

[7] ورد هذا البيت؛ في بغية الرواد ونفح الطيب في ترتيب غير هذا.

وَبِرَبْوَةِ العُشَّاقِ سَلْــوَةُ عَاشِــقٍ

فَتَنَتْــهُ أَلْحَــاظُ[1] الغَــزَالِ الأَكْحَــلِ

تُسْلِيــكَ في دَوْحَاتِهــا وتِلاَعِهَــا

نَغَــمُ البَلاَبِــلِ وَاطِّــرَادُ الجَــدِولِ[2]

بِنَواسِــمٍ وبَواسِمٍ مِــنْ زَهْرِهَــا

تُهْدِيــكَ أَنْفاســاً كَعَــرفِ المَنْــدَلِ

فَلَوِ امْرُؤُ القَيْسِ بنِ حجْرٍ رَآهَــا[3]

قِدْمــاً تَســلَّى عَــنْ مَعَاهِــدِ مَأْسَــلِ[4]

أَوْ حَامَ حَــوْلَ فِنَائِهَــا وَظِبَائِهَــا

مَا كَــانَ مُحْتَفِــلاً بِحَوْمَــةِ حَوْمَــلِ[5]

كَمْ جَادَ لي فِيها الزَّمَانُ بِمَطْلَــبٍ

جَادَتْــهُ أَخْــلاَفُ الغَمَــامِ المُسْبِــلِ

فَاذْكُرْ لَهَا كَلَــفِي بِسِقْــطِ لِوَائِهَــا

فَهَــوَايَ عَنْهَا الدَّهْــرُ لَيْس بِمُنْسَــلِ[6]

---

[1] في نفح الطيب: ((فتنت وألحاظ)).

[2] ورد هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب في ترتيب غير هذا.

[3] سقطت كلمة رآها في زهر البستان؛ فيكون الشطر فيه إذن غير موزون.

[4] يشير إلى بيت امرء القيس في معلقته الذي يقول فيه:

((كَدَأْبِكَ مِنْ أُمِّ الحُوَيْرِثِ قَبْلَها وجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ)).

[5] يشير هنا إلى مطلع معلقة امرئ القيس؛ وجاء فيه:

((قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ)).

[6] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب؛ قبل هذا الترتيب ببيت.

وَاعمُد إلَى الصَّفْصِيفِ يَوْماً ثَانِياً

وَبِـــهِ تَسَــلَّ وَعَنْــهُ دَأْبــاً فَاسْـــأَلِ

وادِ تَــرَاهُ مِنَ المحاسن بهجــة

خـــال من الأزهـــار غيـــر معطـــل[1]

يَنْســـابُ كالأيْــمِ انْسِياباً دَائِمـــاً

أوْ كَالحُسَـــامِ جَـــلاَهُ[2] كَفُّ الصَّيْقَـــلِ

فَزُلاَلُـــه في كُلِّ قَلْـــبٍ[3] قَدْ حَـــلاَ

وجَمَالُـــهُ في كُـــلِّ عَيْـــنِ قَـــدْ حُـــلِي[4]

واسرح لدى تلك المسارح وارتقي

في كُلِّ حُسْـــنِ مِـــنْ ثَراهَـــا المُقْبِـــلِ

لا تَنْـــس يَوْمـــاً ثَالثـــاً فَـــوَّارَةً[5]

وَبِعَـــذْبِ مَنْهَلِهَـــا المُبَـــارَكِ فَانْهَـــلِ

تَجْـــرِي على دُرِّ لُجَيْنـــاً سَائِـــلاً

أحْـــلَى وأعْـــذَبَ من رحيـــقِ السَّلْسَـــلِ[6]

---

[1] جاء هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب هكذا:
((وادٍ تراه من الأزاهر خاليا أحْسِنْ بِهِ عُطلاً وَغَيْرَ مُعَطّلِ)).

[2] في الأصل بزهر البستان: ((جلاله))؛ وهو تحريف؛ يخل بالوزن.

[3] هكذا في نفح الطيب؛ بينما كتب في بغية الرواد، وزهر البستان: ((في كل فَمّ)). وهذا يخل بالوزن.

[4] في نفح الطيب: ((قد جُلي)).

[5] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((وَاقصُدْ بِيَوْمٍ ثَالِثٍ فَوَّارَةً)).

[6] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((سلسل))؛ بدون الألف واللام.

واشْرف على الشّرَفِ الذي بإزائها

لِتَـرَى تَلِمسَـانَ العَلِيَّـةِ مِـنْ عَـلِ

فكأنــه تـــاج بمفرقهـا بـدا[1]

أحْسِـنْ بتـاجِ بالبَهـاء مُكَلَّـلِ

وإذَا العَشِيَّةُ شَمْسُها[2] مالَت فَمِـلْ

نحْـو المُصـلَّى مَيْلَـةَ المُتَمَهِّـلِ[3]

وبِمَلْعَـبِ الخَيْلِ الفَسيحِ مجالُـهُ

أجِـلِ النَّوَاظِـرَ[4] في العِتَاقِ الحُفَّـلِ

فبحلبـة الأفْـراسِ[5] كلَّ عَشِيَّـةٍ

لَعِـبٌ بِـذاكَ المَلْعَـبِ المُتَسَهِّـلِ[6]

مِنْ كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ طَرْفٍ يَسْتَبِي[7]

قَيْـدِ النَّوَاظِـرِ فِتْنَـةِ المُتَأَمِّـلِ

---

[1] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((تَاجٌ عَلَيْهِ مِنَ المَحاسِنِ بَهْجَةٌ)).

[2] في الأصل بزهر البستان: ((سمتها)). وما ورد في البغية والنفح أفضل.

[3] جاء هذا الشطر في زهر البستان هكذا: ((نحوها على مهلة المتمهل)). وبهذا الشكل يختل الوزن.

[4] هكذا في البغية الرواد ونفح الطيب؛ وهو أفضل. بينما كتب في زهر البستان: ((تَرَهُ جفونك)).

[5] في نفح الطيب: ((فلحلبة الأشراف)). وفي بغية الرواد ((فلحلبة الأفراس)).

[6] اختل هذا البيت في زهر البستان؛ فجاء هكذا:
((بحلبة الأفراس كل عشية لعب لذاك اللعب المستهل)).

[7] اختل هذا الشطر في زهر البستان؛ بسقوط عبارة: ((كل طَرْف)). فجاء هكذا: ((من كل طرف يستبي)).

وَرْدٌ كَأنَّ[1] أديمَهُ شَفَــقُ الــدُّجَى
أوْ أشْهُــبٌ كَشِهابِ رجْــمٍ مُرْسَـــلِ
أوْ أحْمَرٍ قَــاني الأديِــمِ كَعَسْجَــدِ
أوْ أشْقَــرٍ يَزْهُـــو[2] بذيــل أشعـــل[3]
أوْ مِنْ كُمَيْتٍ لا نَظيــرَ لِحُسْنِــهِ
ســامٍ مُعَــمٍ في السَّوابِــقِ مُخْــوَلِ[4]
أوْ أدْهَــمٍ كاللَّيْــلِ إلاَّ غُــرَّةً
كَالصُّبْحِ، بُــورِكَ مِنْ أغَــرٍ مُحَجَّــلِ
جَمَعَ المَحاسِنَ في بَديــعِ شِيَاتِــهِ
مَهْمــا تَــرِقَّ العَيْــنُ فيــهِ تَسَهَّــلِ
فَتَــرَى المُجَلِّي وَالمُصَلِّي خَلْفَــهُ
وَكِلاهُمــا في جَرْيِـــهِ لا يَأْتَـــلي[5]
هَــذا يَكِــرُّ وذا يَفِــرُّ فَيَنْثَــنِي
عَطفــاً عــلى الثَّــاني عَنَــانَ الأوَّلِ
عُقْبَــانُ خَيْــلٍ فَوْقَهــا فُرْسانُهــا
كالأُسْــدِ تَنْقَــضُّ انْقِضاض الأجْــدَلِ[6]

---

[1] في زهر البستان: ((كأنه))؛ وبذلك يختل الوزن.
[2] في بغية الرواد: ((يزهى)).
[3] في البغية والنفح: ((بعرف أشعل)).
[4] جاء هذا البيت في البغية والنفح قبل البيت السابق.
[5] هذا البيت؛ والبيت الذي يليه مباشرة؛ وردا في بغية الرواد ونفح الطيب؛ في غير هذا الترتيب.
[6] الأجدل: الصقر.

فُرْسانُ عَبْـــدِ الوَادِ آسادُ الـــوَغَى

أهْلُ النَّدَى والبَـــأسِ والشَّرَفِ العَـــلِ[1]

اَعْجَبْ لِحُسْـــنِ جمالِهِم لمجالِهِـــمْ

وَبِجَنَّـــةِ الدُّنْيَـــا تِلِمْسَـــانَ ادْخُـــلِ[2]

فإذا دَنَتْ شَمسُ الأصيلِ لِغَرْبِهَـــا

فَـــإلَى تِلِمْسَـــانَ الأصِيلَـــةِ فَادْخُـــل[3]

مِنْ بابِ مَلْعَبِهـــا لِبابِ حَدِيدِهـــا

مُتَنَزِّهـــاً في كُـــلِّ نـــادٍ[4] أحْفَـــلِ

وَتَـــأنَّ مِنْ بَعْـــدِ الدُّخُولِ هُنَيْهَـــةً

وَاعْـــدِلْ إلَى قَصْرِ الإمَـــامِ الأعْـــدَلِ

فَهُـــوَ المُأمَّـــلُ وَالدِّيَـــارُ كِنَايَـــةٌ

وَالسِّـــرُّ في السُّكَّـــانِ لا في المَنْـــزِلِ

فَإذا[5] أمِيـــرُ المُؤْمِنِيـــنَ رَأيْتَـــهُ

فَالْثَـــمْ ثَـــرَى ذاكَ البِسَـــاطِ وَقَبِّـــلِ

---

[1] في بغية الرواد والنفح: ((حَامُوا الذِّمارَ أولُو الفخار الأطوَلِ)). والشطر هنا مختل الوزن في التفعيلة الثانية.

[2] لم يرد هذا البيت إلاّ في زهر البستان. ويبدو أن عوض؛ واكتفي بالبيت الموالي؛ والذي يبدأ بـ((فإذا دنت شمس الأصيل..)).

[3] هذا البيت غير موجود في الأصل بزهر البستان؛ وقد يكون عوض بالذي جاء قبله هنا.

[4] هكذا في نفح الطيب؛ وفي بغية الرواد: ((حفلِ)). بينما شوه ناسخ زهر البستان هذا الشطر؛ فكتبه هكذا: ((متنزها في كل حفل أو أحفل)).

[5] في بغية الرواد: ((وإذا)).

باهي به[1] زَمَنَ الرَّبِيعِ وقُـلْ لَـهُ
بُشْـرَى بِأمْلَحَ مِنْ حُـلاكَ وَأجْمَـلِ[2]
يَنْهَلُّ مِنْهُ لَنَا الجَـدَا وبِهِ الـدُّجَى[3]
تُجْـلَى[4] بِمُشْـرِقِ وجْهِـهِ المُتَهَلِّـلِ
فَالمَجْدُ لَفْـظٌ في الحَقِيقَةِ مُجْمَـلٌ
وَحُـلاَهُ تَفْصِيـلٌ لِـذَاكَ المُجْمَـلِ
مولاي بشراكم فما بيـد الإلــه
وبنصــره في الحـال والمستقبـل
هنيتــمُ بهنيــة الملــك الــتي
وفـدت بإقبـال وسعـد مقبـل
حَسبُ المَفَاخِرِ ذَلِكَ الحَسَبُ الـذِي
أضْـحَى لَدَيْـهِ المَجْـدُ جِـدَّ مُوَثَّـلِ[5]
شَمْسُ العُلاَ حلَّتْ بِمَنْزِلِ سَعْدِهـا
وَأوَتْ إلى بَـدْرِ المُلُـوكِ الأكْمَـلِ[6]

---

[1] في بغية الرواد، ونفح الطيب: ((هنئ به))
[2] ورد هذا البيت في بغية الرواد ونفح الطيب في غير هذا الترتيب.
[3] في الأصل بزهر البستان: ((الجدى)) أيضاً؛ وهو تحريف.
[4] نفسه: ((يجلي))؛ وهو تحريف.
[5] هذا البيت غير موجود في نفح الطيب، ولا زهر البستان؛ بينما ورد في بغية الرواد.
[6] جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفح في غير هذا الترتيب.

لأعزهم[1] جَاراً وَأمْنَعِهُـمْ حِـمَى

وأجَلِّهِـمْ مَـوْلًى وَأعْظَـمَ مَوْئِـلِ[2]

وكـفى لهذا الملك فَخْـراً أنـه

بحمى أبي حمـو ثـوى في معقـل[3]

بالعَادِلِ المُسْتَنْصِرِ المَنْصُورِ والـ

مَأمُـونِ والمَهْـدِيِّ والمُتَوَكِّـلِ[4]

وكَفَى الوَرَى سَعْداً أبُو حَمُّو الذِي [5]

يَحْـمي حِماهُـمْ بالحُسَـامِ الفَيْصَـلِ[6]

بُشْـرَى لِعَبْدِ الوَادِ بِالمُلْكِ الـذِي

خَلَصُـوا بِهِ مِنْ كُلِّ خطْبٍ مُعْضِـلِ

وبجـده في أمرهـم وبحزمـه[7]

وبِسَعْـدِهِ وَبِسَعْيِـهِ المُتَقَبَّـلِ

---

[1] في البغية والنفح: ((بأعزهم..)).

[2] جاء هذا البيت في بغية الرواد والنفح في غير هذا الترتيب.

[3] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد ونفح الطيب.

[4] هكذا في بغية الرواد ونفح الطيب؛ ولكن في غير هذا الترتيب. بينما ورد هذا البيت ـ هنا ـ في الأصل بزهر البستان؛ ولكن بشكل مضطرب المعنى مبتور الكلمات مختل الوزن هكذا:

((بالناصر المنتصر النصور * المهدي والمأمون والمتوكل)).

[5] جاء هذا الصدر في نفح الطيب هكذا: ((وكفاهُمْ سعداً أبو حمو الذي)). بينما ورد في زهر البستان مع عجز بيت آخر؛ وبما أنه كان مختل الوزن؛ فقد حذف نهائياً؛ وهو هكذا: ((وأعاد دولتهم ونثير ملكهم)).

[6] سقط هذا البيت في زهر البستان.

[7] في بغية الرواد ونفح الطيب: ((وبحُسْنِ نِيَّتِـه لهُمْ وبجِدِّهِ))

ذُو الهِمَّــةِ العُلْيَــا التي آثَارُهَــا

حَلَّــتْ بِهِ فَــوْق السِّمَــاكِ الأعْــزَلِ

بَحْرُ النَّدَى الأحْلَى وَفَخْرُ المُنْتَدَى

وَسَنَــا الدُّجَى الأجْلَى وَزَيْنُ المَحْفَــلِ

يرتـــاح للأمـــداح من كرم كمـــا

يرتـــاح غصـــن للنسيـــم الشمـــأل

لا زال للـــراجي متى يستجـــده

يمـــلا نـــوالاً كفّـــه [فيسيـــل][1]

لا زال محروس الجناب منيعـــه

وسعـــوده تغـــني عنـــاه الجحفـــل

وعَلَى عُلاَهُ مِنْ صَنِيعَــةِ فَضْلِــهِ

تَــرْدَادُ نَافِحَــةِ السَّــلامِ الأكْمَـــلِ[2]

* * *

ـ هــذه القصيــدة؛ قالهــا صاحــب الترجمــة في عــام 761هــ/1359م؛ خــلال حفــل أقيــم بالمشــور؛ إحيــاء لذكــرى المولــد النبــوي الشريــف:

أُسَائِلُ عَنْ نَجْدٍ ودَمْعِي سائِــلُ وبَيْنَ صَبَا نَجْدٍ وشَوْقي رَسَائِلُ

---

[1] وضعنا هذه الكلمة بين حاصرتين؛ في مكان أخرى؛ غير سليمة؛ وهي: ((ويول)).

[2] ثمـة بعض الأبيـات الأخـرى الـتي وردت في زهـر البسـتان فقـط؛ ولكنهـا غيـر واضحـة.

وَلِي عِنْدَهُم مِنْ صِدْقِ وُدِّي وَسَائِلٌ | وحاشا لَدَيْهِمْ أنْ تَخِيبَ الوَسَائِلُ
نَعَمْ لي ذُنوبٌ كُلَّما رُمْتُ عَزْمَةً | يُشاغِلُني فيها عَنِ السَّيْرِ شاغِلُ
ألاَ إنَّمَا كَفَّت خُطَايَ عَنِ السُّرَى | أكفُّ الخطايا والزَّمانُ المُماطِلُ
ولِلَّـــهِ قَوْمٌ أيْقَظُــوا عَزَماتِهِــمْ | كَأَنَّ سَناها في الظَّلامِ المَشاعِلُ
إلى عَرَفاتٍ يَمَّمُــوا فَتَعَرَّفَــتْ | بِهِــمْ نَكِرَاتٌ لِلْفَــلاَ وَمَجاهِــلُ
وَأنَّى لِمِثْلِي باللَّحَــاقِ بِمِثْلِهِــمْ | وَقَلْبي في غَيٍّ عَنِ الرُّشْدِ غَافِلُ
سَقَى رَبْعَهُمْ بالجزْعِ مُنْهَملُ الحَيَا | فَإنْ لَمْ يُصِبْهُ مِنْهُ طَــلٌّ فَوابِــلُ
وَمَالِي أسْتَسْقِي الغَمامَ لِرَبْعِهِــمْ | وَوَاكِفُ[1] دَمْعِي لِلْغمامِ مُساجِــلُ
عَهِدْتُ بِهِ سِرْباً مِنَ الإنْسِ حالِياً | فَعادَ بِهِ سِرْبٌ مِنَ الوَحْشِ عاطِلُ
بِمسْحَبِ أذْيالٍ ومَلْعَبِ صَبْــوَةٍ | ومَطْمَحِ آمــالٍ لِمَنْ هُوَ آمِــلُ
ومَسْرَحُ غُزْلانٍ وَمَسْرَى أهِلَّــةٍ | تَمَنَّى سَناهُنَّ البُدورُ الكَوامِــلُ
ومَرْبَضُ آســادٍ ومَلْهَى جَــآذِرُ[2] | تَصيدُ بِها الأسْدَ الظِّبَاءُ الخواذِلُ
فَكَمْ عَبَثَتْ تِلْكَ المَهَا بِذَوِي النُّهَى | وكَمْ لَعِبَتْ بِالْعَقْلِ تِلْكَ العَقائِــلُ[3]
تَوَلَّوْا فَحالَتْ حالَةُ الرَّبْعِ بَعْدَهُمْ | فما هُوَ إلاَّ مِثْلُ جِسْمِي ناحِــلُ
خَلِيــلَيَّ ما قَلْبي لَــدَيَّ وإنَّمـا | أفَلْنَ بِهِ تِلْكَ البُــدورُ الأوافِــلُ
ويا صاحِبَيْ نجْوَايَ عَهْدِيَ لَمْ يَحلْ | ألاَ كُلُّ عَهْدٍ غَيْرَ عَهْدِيَ حائِــلُ

---

[1] الواكف: المطر الساقط قليلاً قليلاً. ووَكَفَ يَكِفُ الدَّمْعُ: سال قليلاً قليلاً
[2] الصحيح جآذر. لأن الجُؤْذُر: هو ولد بقر الوحش وجمعه: جآذر (بالذال المنقوطة).
[3] العقل: جمعه عقول: نور روحاني به تدرك النفس ما لا تدركه بالحواس. أما العقائل: فمفردها عقيلة: وهي المرأة الكريمة.

وقدْ أكثر العُذَّالُ عَذْلي في الهَوَى ... ولا حُجّة فيما ادَّعتْهُ العَــواذِلُ

وما هاجَ كَرْبي غير ركبٍ تَحمَّلوا ... بقلبي فمن كل قد أقوت منازل[1]

فلــمْ أدْرِ ما أبْكيهِ بعدَ فراقِهِــمْ ... أقَلْبي أمْ ذاكَ الخَليط المُزايــلُ

فيــا ليل أشْجاني أما لكَ آخــرٌ ... ويا بحْر أشْواقي أما لكَ ساحِلُ

ومِمَّا شَجاني أنَّنِي بعدَ بُعْدِهِــمْ ... مُقيمٌ على التَّقْصيرِ والعُمْرُ راحِلُ

تَقَلَّــص ظِــلٌ للشيبــة[2] إذْ أتَى ... مَشيبٌ بهِ ظِلُّ الشَّبيبَــةِ زائِــلُ

عفاءٌ عَنِ الدُّنْيا وإنْ لَذَّ عَيْشُهَــا ... فَما في نعيمٍ بعْدَهُ المَوْتُ طائِــلُ

لَعُمْرِكَ ما الأعْمارُ إلاَّ مَراحِــلٌ ... تُقَــضَّى وأيَّامُ الشَّبابِ قَلائِــلُ

ألَمْ يَأنَ بَعدَ الشَّيْبِ أنْ يُنْبَذَ الهَوَى ... وتُطْوَى إلى أرْضِ الحِجازِ المَراحِلُ

ولي كُلَّما هَبَّــتْ نَواسِمُ طيبَــةٍ ... شَمائِل تُبْديها الصَّبا والشَّمائِــلُ[3]

يُدافِعُني عَنْها عَظيمُ جَرائِــمِي ... كَما دَفَعَ الدَّيْنَ الغَريمُ المُماطِــلُ

فَيا مَنْ رَآني فَوْق ظَهْرِ شِمِلَّــةٍ[4] ... تَخُــبُّ بِرَحْـلِي تارَةً وتَناقَــلُ

لِخَيْــرِ مَحلٍّ حلَّهُ خَيْرُ مُرْسَــلِ ... مَحَــلٌ مُحلَّى بالفَضائِلِ آهِــلُ

فَيا ليتَ شِعْري هلْ أراني بِرَبْعِهِ ... أقَبِّــلُ مِــنْ آثــارِهِ ما أقَابِــلُ

رَسولٌ كَريمٌ خاتَمُ الرُّسْلِ كلِّهِــمْ ... وأعْظَمُ مَنْ تُلْقَى إلَيْهِ الرَّسائِــلُ

---

[1] هذا الشطر ورد هكذا؛ مختل في وزنه ومعناه.

[2] ربما تكون كلمة (الشبيبة) أسلم للوزن.

[3] شمائل الأولى: مفردها: الشِّمال والشِّميلة: أي الطَّبْع. الصَّبا جمعها صَبَوَات وأصْباء: وهي ريح تهب من ناحية الشرق. والشمائل الثانية لا تجمع هكذا والصحيح هو: أشْمَال ومفردها: الشَّمَل والشَّمْأل والشَّمِيل والشَّوْمَل: وهي ريح الشمال.

[4] شِمِلَّة: وصف للناقة؛ يقولون: (ناقة شِمِلَّة)؛ أي سريعة.

وأفْضَلُ مَبْعوثٍ وأكْرَمُ شافِـعٍ تُنالُ بهِ يَومَ الحِسابِ الوَسائِــلُ
بَدَا فَانْجَلَى لَيْلُ الضَّلاَلَةِ بالهُدَى وزَاحَ بهِ ما زَخْرَفَتْهُ الأباطِــلُ
وَعَمَّ جَميعَ الخَلْقِ عِلْماً وحِكْمَةً فَلَمْ يَبْقَ في عَصرِ الجَهالَةِ جاهِلُ
أَلَــمْ يَأتِ بالآياتِ تُتْلَى عَلَيْهِـمُ يُشابِهُ بَعْضاً بَعْضُها ويُشاكِــلُ
صحائِفُ آيٍ أُيِّدَت بِصحائِــفٍ تُجادِلُهُــمْ هَذي وَهَذي تُجَــادِلُ
وأجْرَى لَهُمْ مِنْ كفِّهِ المَاءَ فَأعْجبُوا لِيَنْبــوعِ ماءٍ أنْبطَتْــهُ الأنامِــلُ
وما صَدَرُوا حَتَّى ارْتَوَوْا وتَوَضَّأُوا عَنْ آخِرِهِمْ وَالمَاءُ هَامٍ وَهامِــلُ
تَجُــودُ لَهُمْ بالْمَاءِ والمَالُ كَفُّــهِ فَتُعْــذَبُ لِلْوُرَّادِ مِنْها المَناهِــلُ
كَما دَرَّ ضَرْعُ الشَّاةِ وقْتَ جُفوفِهِ لَهُ لَبَناً رَغْداً بِهِ الضَّرْعُ حافِــلُ
وحَنَّ إليهِ الجِذْعُ عِنْــدَ فراقِــهِ حَنيناً كما حَنَّتْ مِنَ الفَقْدِ ثاكِــلُ
إذا اللهُ رَدَّ الشَّمْسَ بعدَ غروبِها إليهِ وشَقَّ البدر والبَدرُ كامِــلُ
فكُــلُّ جَــلالٍ دونَهُ مُتَقاصِــرٌ وكُلُّ جَمــالٍ عِنْــدَهُ مُتَضائِــلُ
وما خُصَّ بالإسْراءِ إلاّ مُحَمَّــدٌ وما جالَ فوقَ العَرْشِ إلاَّهُ جائِلُ
هُوَ اخْتَرَقَ السَّبْعَ الطِّباقِ لِرَبِّــهِ فَأوْلاهُ إسْعافــاً بما هُوَ سائِــلُ
وكمْ مُعْجِــزاتٍ لِلنَّــبِيِّ مُحَمَّــدٍ ظَواهِرُ لا تَبْــغي عليها دَلائِــلُ
لنا الفَخْــرُ إذْ كنَّا بهِ خَيْرَ أُمَّــةٍ نُفاخِــرُ مَنْ شِئْنا به ونُطــاوِلُ
بمَوْلِــدِهِ الأيَّــامُ راقَ جَمالُهــا فَطابَتْ لنا أسْحارُها والأصائِــلُ
أشَهْرَ ربيعٍ حُزْتَ كُلَّ فَضيلَــةٍ بأفْضَلِ مَنْ تَمَّتْ لديهِ الفَضائِــلُ
ولَيلة ثِنْتَيْ عَشْرَةٍ مِنْهُ أشْرَقَــتْ فَفيها بَدَا بدرُ الهُدَى وَهْوَ كامِلُ
بِها لأميــرِ المُؤْمِنيــنَ مشاهِــدُ لنا منــهُ فيها أنْعُــمٌ وفَواضِــلُ

عَوائِدُ إِحْسانٍ وحُسْنَى عَوائِـدُ   تُنـالُ بها منهُ هِبـات جلائِـلُ

فما مِثْلُها في الدَّهْرِ لَيْلَةَ مَوْسِـمٍ   ولا مِثْلُـه لِلدِّينِ كافٍ وكافِـلُ

هُوَ المَلِكُ المَنْصورُ مُوسى بن يوسُفٍ   إذا احْتَفَلَتْ يومَ الفَخارِ المَحافِلُ

إمامُ الهُدَى ساقِي العِدَى أَكْؤُس الرَّدَى   غمامُ الجَدَى[1] غَيْثُ النَّدى المُتَراسِلُ

أذَلَّتْ لهُ الصَّعْبُ الأبِيِّ سِياسَـةٌ   أرَتْهُ وُجُوهَ الرَّأْيِ فيما يُحـاوِلُ

فَما كَحِجاه[2] عَقْلُ مَنْ ساس أُمَّةٍ   إذا اشْتُبِهَتْ يَوماً عليكَ المَسائِلُ

يُنَظِّـمُ شَمْـلاً لِلْعُلَى بِشَمائِـلٍ   ثَمـانٍ فَيا لله تِلْـكَ الشَّمائِـلُ:

حَياءٌ وأَفْضالٌ وعَـدْلٌ وعِفَّـةٌ   وحَـزْمٌ وإقْدامٌ وحِلْـمٌ ونائِـلُ

أيا مَلِكـاً دانَت بِطاعَـةِ أمْـرِهِ   جَميعُ الوَرَى حَتَّى المُلوكُ القَبائِلُ

وحازَ تُراثَ المَجْدِ لا عَنْ كَلالَةٍ[3]   وجـاءَ بما لَمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائِـلُ

بَعَثْت بِجَيْشِ النَّصْرِ كالبَحْرِ لِلْعِدَى   تَدافَـعَ كالأمْواجِ فِيهِ الجَحافِـلُ

وكَالسُّحْبِ لَكِنِ الْبُرُوقُ صَوارِمٌ   بهِ مُنْتَضاةٌ والرُّعودُ صَواهِـلُ

وكالرَّوْضِ إلاَّ أنَّ مُشْتَجَرِ القنَى   لهُ شجَـرٌ والمُرهفاتُ جَـداوِلُ

أبـو تاشَفين بَـدْرُهُ ونُجومُـهُ   قبائِـل عَبْد الوادِ نِعْمَ القبائِـلُ

وسَعْـدُكَ بَعْدَ اللهِ رِدْءٌ لِجَيْشِـهِ   ويا حَبَّذا جَيْشٌ مِنَ السَّعْدِ حافِلُ

بهِ أمِنَتْ سُبْـلٌ وكانَتْ مَخوفَـةً   ودانَتْ بِلادٌ واسْتَكانَتْ مَعاقِـلُ

---

[1] غمـام الجَـدَى: غمـام المنافـع والسخـاء.

[2] الحِجَى: العقل والفطنـة.

[3] الكلالـة: صفـة لمـن لا ولـد لـه ولا والـد. ويقصـد بهـذا القـول أن أبـا حمـو تـولى الملـك مـع أنـه ليـس وحيـداً؛ بـل ثمـة في أسرتـه رجـال أكفـاء؛ ولكنـه كـان هـو الأصلـح فيهـم والأجـدر بالملـك.

وأَبْـــرَتِ الأعْداءُ لمَّا تَــواردَتْ   عليهمْ مِنَ الجَيْشِ القَنا والقَنابِــلُ
عَــدُوُّكَ مَقْهورٌ وسَعْدُكَ ظَاهِــرٌ   وجَيْشُكَ مَنْصورٌ وسَيْفُكَ ناصِلُ
ونَجْلُكَ مَيْمونُ النَّقِيبَــةِ ماجِــدٌ   ولِلْعُرْفِ بَذَّالٌ وفي الحَرْبِ باسِلُ
بِهَدْيِكُمُ اسْتَهْدَى بمَجدكُمُ اقْتَــدَى   فَلاحَت عليهِ منْ سناكُمْ دَلائِــلُ
وفي البَدْرِ نُورٌ مِنْ سَنَى الشَّمْسِ ظاهِرٌ   ولِلشِّبْلِ مِنْ لَيْثِ العَرِينِ مَخائِلُ
جَنَيْت ثِمارِ النَّصرِ خضراً نواعها   بما أثْمَرَتْ في الحربِ سُمْرِ الذوابل[1]
فَدونَكَ أبْكــارُ المَعاني لِباسُهــا   بُــرودُ حُلاكُمْ هُنَّ فيها روافِــلُ
قَــوافيٌ جرَّتْ بالمَجرَّةِ نَيْلَهــا   فَقَصَّرَ عَنْ إدراكِها المُتَنــاوِلُ
ومُــذْ سَحَبْتُ ذَيْلَ البَيان تَبَيَّنــوا   بأنِّي سَحْبــانٌ وغَيْرِيَ باقِــلُ[2]
فَدامَتْ بِكَ الأيَّامُ تُظْهِرُ حُسْنَهــا   وتَحْسِدُ أخْرَاهُنَّ فيكَ الأوائِــلُ
ولا زال صَرْفُ الدَّهْرِ طَوْعَكَ كُلَّما   أمَرْت بِأمْرٍ قائِلاً فَهْــو فاعِــلُ

***

ـ قيلـت هـذه القصيـدة؛ في عـام 770هـ/1368م؛ في بـلاط السلطـان أبي حمـو الثـاني بتلمسـان؛ بمناسبـة إحيـاء ذكـرى المولـد النبـوي الشريـف:

لــولا هوى ذات الجناب السّــامي
ما شِمْــتُ ثغــر البــارق البسّــام

---

[1] في الأصل: ((سمر ذوابل))؛ وهذا يخل بالوزن.
[2] سَحْبان: رجل من قبيلة وائــل؛ اشتهر بالبلاغة وطلاقة اللسان؛ يضرب بـه المثل في البيان وفصاحة اللسان؛ فيقولون (أفصح من سَحْبان وائل). وباقِل: اسم رجل من ربيعة اشتهر بالعَيِّ؛ فيضرب به المثل فيقولون: (إنـه لأعيا من باقل).

بــرق يُعارضــه الفـؤاد إذا بــدا
مــا بيــن خفــق دائــم وخــرام
فوميضــه يذكي الجوى بجوانــحي
مهمــا تألّــق في متــون غمــام
وافَى بخيــرٍ عن ربــوع أحبَّــتي
خيــر الحديــث العهــد بالإلمــام
يا برق صف حال المشــوق إليهــم
وارو حديــث صبابــتي وغــرامي
قسمــاً بهــم ومحبــتي لجنابهــم
وبمــا لهــا مــن حرمــة و ذمــام
مــا أن سلــوت هواهــمُ بسواهــمُ
يومــاً ولا أصغيــت لِلُّــــوام
في كــل جارحــة غــرام كامــن
لــم يبــق فيهــا موضــع لمــلام
فالقلــب من فــرط المحبّــة هائــم
والجفــن من بعــد الأحبّــة هــام
مــا ضرّهــم وهــم بــدور تمــام
لو قصّــروا بالطّيــف قبــل تمــام
أم هل يزور الطّيف مضجع ساهر
مــا ذاق مُذْ هجــوره طعــم منــام

آهٍ لليــلي مــا أمــر سهــاده

عنــدي وما أحــلى جــنى أحــلام

ولعهــد أيــام الشبيبــة والصبــا

مــا كــان أحسنهــن مــن أيــام

مــرت سراعــاً ثم أبقــت حرفــة

فكأنّهــا حلـــم مــن الأحــــلام

وأتى المشيب فظلْــتُ أندب بعدهــم

عهــد الصبــا ومرابـــع الآرام

يــا أيهــا الركــب الميــم طِيبــة

بركائـــب الأنجـــاد والاتهــام

يــذري مطي كالقــسي سواهــم

تــرمي بهم عرض الفــلا كسهــام

عوجــوا المطي على مطالع أنجــم

بالجــزع تــدعى عندهــم بخيــام

وسلوا جفوني كم أُسَلْنَ مِنَ اْدْمُــعٍ

مثل العقيــق على العقيــق سجــام

وردوا العذيــب وخلّفوني ظامئــاً

فمــتى يبــاح الــورد فيه لظــام

يا خيــر خلق الله شكــوى مذنــب

ملئــت صحائفـــه مــن الآثــام

رام المسيـــر لرامـــة وذنـــو بـــه

قعـــدت به عنْ نَّيْــل كـــلّ مـــرام

يا ليـــت شعري هل لحومي مـــورد

يـــروي أواري أو يبـــل أوامي

وأزور ربعـــاً ضمّ أكـــرم مرســـل

وأرى حمـــاه قبـــل يـــوم حمـــامي

لـــم لا يحـــن لـــه فـــؤاد متيـــم

والجـــذع حـــنّ لـــه حنيـــن هيـــام

والبـــدر شقّ له ليظهـــر صدقـــه

والطفـــل كلمـــه لـــــدون فطـــام

رَوَّى الجيـــوش بعـــذب ماء بنانـــه

والآلـــف أشبعهـــم بصـــاع طعـــام

ولقد عـــلا فوق السمـــوات العـــلا

وسمـــا إلى ذاك المحـــل الســـامي

في حيـــث لا ملَـــك ولا فلَـــك ولا

نجـــم ولا علَـــم مـــن الأعـــلام

فأتـــــمّ نعمتـــــه عليـــــه ربّـــــه

في كـــلّ أمـــرٍ أفضـــل الإتمـــام

وحبـــاه فضـــلاً من لدنه ورحمـــة

بمواهـــب لـــم تجـــر في الأوهـــام

وله الشفاعة وهو مخصوص بهـــا

يــوم القيامـــة في ذوي الإجــرام

ولـــه لـــواء الحمـــد معقـــود بـــه

والكوثـــر المـــورود دون زحـــام

ومقالـــه المسمـــوع فيـــه عنايـــة

ومقامـــه المحمـــود خيـــر مقـــام

لاحـــت به شمس الهدايـــة فانجـــلى

مـــا كـــان للإضـــلال من إظـــلام

ولَكَمْ له من معجـــزات أوضحـــت

سبـــل الهـــدى لنّهى ذوي الإفهـــام

وأجلهـــا الـــوحي الـــذي إعجـــازه

متجـــــدد بتجـــــدّد الأيّـــــام

متضمـــن كـــل العلـــوم بأسرهـــا

ومفصـــل الأدلـــــة الأحكـــــــام

مِـــنْ واجـــبِ أمَـــر الإلـــه بفعلـــه

أو مـــن حـــلال بَيِّـــنٍ وحـــــرام

فدعـــا جميع الخلـــق للحقّ الـــذي

في ضمنـــه بدعايـــة الإســـــلام

وأبـــان واضـــح نهجـــه وسبيلـــه

وأبـــاد ما عبـــدوا مـــن الأصنـــام

سـرّ الوجـود وصفوة الله الـذي

ختمـت به الارسـال خيـر ختـام

في ليلـة الاثنيـن أشـرق نـوره

بأجـلّ شهـر أو بأسعـد عـام

أبـدى لنـا مـن هديـة وجبينـه

نوريـن شمس ضحى وبدر تمـام

فجـلا بنـور هـداه كل ضلالـة

وجـلا بنـور سنـاه كـل ظـلام

لـولا لوائـح نـوره ما أبصـرت

مـن مكـةٍ أقصى قصـور الشـام

يـا مولد المختار كم أسديـت مـن

نِعَـمٍ لكـلّ العالميـن جسـام

يا موسمـاً قـد قـام فيـه بحقـه

للـه خيـر خليفـة وإمـام

مـوسى أميـر المسلمين أجلّ مـن

في الأرض من مَلِكٍ أغـرّ هُمـام

ملـك عليـه هيبـة ملكيّـة

تقـضى على الأعـداء بالإعـدام

قسّمـت قلوب الخلق إجـلالاً لـه

بيـن المحبّـة فيـه والإعظـام

أحـــيى بنائلـــه المكـــارم والعـــلا

وحـــمى بصارمـــه حمى الإســـلام

أعـــطى فأين الغيـــث من إعطائـــه

في بشـــرٍ بَسَّـــام ونفـــــع دوام

وسطـــا فأيْـــنَ اللَّيْـــث من إقدامـــه

في الحـــرب عند تزلـــزل الأقـــدام

كم موقـــف ضنـــك يحار بحربـــه

عمرو بن معدي صاحب الصّمصام

دارت كـــؤس حمامـــه لحماتـــــه

صرفـــاً كمـــا دارت كـــؤس مـــدام

بـــرزت به الشمس المنيرة غـــادة

فتقنّعـــت مـــن نقعـــه بلثـــــام

وصبت إلى بيض الظّلى سمر القنى

وتواصلـــــت ألفاتهـــــا بالـــــلام

فحـــمى ذمار ذمامه المولى أبـــو

حمّـــو فـــلا بطـــل ســـواه محـــام

يا ماجداً قسم الفضائل في الـــورى

وحوى الذي في الفضل من أقســـام

برجاحـــة وسجاحـــة وسماحـــة

وفصاحـــة وصباحـــة ووســـــام

سبحــان من أولاك مــن أفضالــه

أوفى الحظــوظ وأوفر الأقســام

فملكــت بالإرهاب أرقاب الــورى

وقلوبهــــم بالبــــرّ والأنعـــام

من لم يكــن هــذا المقــام إمامــه

في دينــه لــم ينتفـــع بإمـــام

لا يبــرح التوفيـــق لازم أمــره

أو نهيــه في رحلــه ومقــــام

أدنــت له الأقطار عزمتــه الــتي

بنيــت عــلى الأســراج والالجــام

لا يرتضى فوق البسيطــة منــزلاً

مــا لــم تطنبــه الــوغى بقتـــام

نهضـــت به قدماً إلى حرب العـــدا

همــم وعــزم صــادق الإقــدام

بسوابــق غــرٍّ كــــرام ضمَّــر

نهضـــت بغــرٍّ ماجديــن كــرام

أسد على خيــل تخــال إذا جــرت

ريحــاً تقــاد مطيعــه بلجـــــام

صدقــت له النيــات أســد ما لهــا

إلا الردينيــات مــن آجــــــام

خفقــت قلوب عــداه من أعلامــه

كخفــوق ريح النصر في الأعــلام

لما ذعــرت عــداك في أوطانهــم

وفصمــت عروتهــم أتــم فصــام

فــرّوا ولا لــوم وكيف يلام مــن

يطــوي المراحل خوف بحر طــام

أخمــدت نارهــــمُ بنــار أسنّـــةٍ

وحسمــت داءهــمُ بكــلّ حســام

وفصمــت عقدة جمعهــم فتفرقــوا

أيــدي سبــا في البيــد والآكــام

ونقضــت ما قد أبرموه فلن يــرى

أبــداً لــذاك النقــض مــن إبــرام

لــولا الــذي آثــرت من إبقائهــم

لم يصبحــوا الأرواح في الأجســام

مولايَ حزت معاني المجــد الــذي

ما حازَ غيرك منه غيــر أســامي

فأسلــم أميـــر المسلميــن مؤيَّــداً

في غبطــة موصولــة بــــدوام

دامَتْ علاكَ فليس مثلك في العــلاَ

ســامٍ ولا لك في الملــوك مُســام

وأسعـــد بدهر نحـــو أمرك ينتـــهي

وإليـــك يلقـــني طائعـــاً بزمـــــام

وأقطف مِنَ الأشعارِ روضاً جـــاده

منْ جودك الفياض صـــوب غمـــام

روض كـــأن ثنـــاك في أثنائـــــه

عـــرف الصّبا وحلاك زهر كمـــام

وإليـــك من سحـــر البيـــان بدائعـــاً

قصـــر الخطـــا عنهـــا أبـــو تمّـــام

هي بنـــتُ فكر من حلاكم حُلِّيَـــتْ

بنظـــام دُرٍّ أو بـــــدُرّ نظـــــــام

حَسُنَـــتْ بمدحك فَهْي خير لذاتهـــا

شهـــدتْ بذلـــك ألســـن الأنـــــام

خُتمـــتْ بذكر المصطـــفى فكأنهـــا

نفحـــات مســـك عند فـــضٍّ ختـــام

صلى عليه من اصطفـــاه كرامـــة

أزكى صـــلاة شُفِّعَـــتْ بســـــلام

* * *

ـ أورد هـذه القصيـدة التنـسي في نظـم الـدر؛ ولـم يذكـر التاريـخ الـتي قيلـت فيـه؛ وكـل مـا قالـه: **((ومما رفـع إلى حضرتـه العليـة؛ في بعـض تلـك المواليـد الشريفـة؛ قـول الأديـب البـارع المكثـر المتفنـن أبي عبـد اللـه محمـد بـن يوسـف الثغـري؛ في مـدح المصطـفى صـلى اللـه عليـه وسلـم، ومـدح المـولى أبي حمـو وولي عهـده المـولى أبي تاشفيـن))**[1]:

سـر المحبة بالدموع يترجـم	فالدمع إن تسأل فصيح أعجـم
والحال تنطق عن لسان صامت	والصب يصمت والهوى يتكلـم
كم رمت كتمان الهوى فوشى به	جفن بنـم بكـل سـر يكتـم
جفن تحامى ورده طير الكرى	لما جرى دمعـا يمازجـه دم
آه وفي شكوى الصبابة راحـة	لو أنني أشكـو إلى من يرحـم
وصل الأحبة لو يتاح وصالهم	شَهْـدٌ وهجران الأحبة علقـم
والقـرب منهم للمتيـم جنـة	والبعد عنهم للمشـوق جهنـم
خلوا الصبا يخلص إلي نسيمها	فعسى تسلي من عليـه تسلـم
واحيرتي بين الصبابة والصبـا	لا هذه تنـسى ولا ذي تنسـم
هذا الهوى أذكى الجوى بجوانحي	بعد النوى فأنا المُعَنَّى المُغْـرم
لا أنس تاريخ الفراق وما لـه	من روعةٍ قلـبي بهـا متألـم

[1] **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص ص: 168 -169.**

ما مقلتـــاي جماديـــان وإنمـــا جفني ربيـــع والمنـــام محـــرم

أستـــودع الله الذيـــن تحملـــوا بالقلب لم يلووا ولـــم يتلومـــوا

ترمي بهم أيدي النوى فمطيهم مثل القسيّ وهم عليهـــا أسهـــم

وإذا جرى ذكر الحمى اهتزوا كما يهتز غصن في الرياض منعـــم

قسما بزمزم والحطيم وما حوى من رحمةٍ ذاك الحطيم وزمزم

وبحرمة الحرم الشريف ورفعة البيت المنيف ومن بنجد خيموا

ومقام إبراهيـــم والركن الـــذي تُحمى به الآثـــار ساعة يلثـــم

لقد انطوت نفسي على جمر الغضا شوقا يشب على الضلوع ويضرم

إيه حديث لبانـــة مـــن دونهـــا بيـــداء تتجد بالركـــاب وتتهـــم

هل من سبيل للسرى حتى أرى مغنى به لأولي السعادة مغنـــم

مغنى يُتَيَّمُ كـــل ســـال حسنـــه قل كيف يسلو عن هواه متيـــم

متنزل الوحي الذي يتـــلى فـــلا سمع يمـــل ولا لســـان يســـأم

يتنزل الروح الأميـــن به على خير الورى صلوا عليه وسلموا

شمس الرسالة والنبوة والهـــدى بدر الجلالة نورهـــا المتجســـم

هو رحمة الله التي يهمي بهـــا في الخلق بالحق المبين ويحكم

لما بدت أنـــوار مولده خبـــت نار لفارس لم تـــزل تتضـــرم

وتضعضع الإيوان من أرجائه وغـــدت بـــه شرفاتـــه تتهـــدم

وتساقطت أصنام مكـــة رهبـــة والجن بالشهب الثواقب ترجـــم

يا من له قبـــل الـــولاد وبعـــده آيـــات إرشـــاد لمـــن يتوســـم

لك رد قرص الشمس بعد غروبها وانشق بدر الأفـــق وهو متمـــم

لك حن جذع النخل إذ فارقتـه شوقا كما حنـت عشـار روم

لك أنطق الله الجماد ولم يكـن لولاك يفصح بالخطاب ويفهـم

لك يا رسـول الله كـل دلالـة لم يبق من شك لمـن يتوهـم

أنـت الـرؤوف بأمة بشرتهـا يوم القيامة أنهـا بـك ترحـم

أنت المرفع والمشفـع في غـد يرجو شفاعتك المسيء المجرم

أن المسوغ مشرب الحوض الذي يروى بكوثره التـقي المسلـم

أنت المبلغ حكمة الذكر الـذي بينت فيـه ما يحـل ويحـرم

أنت الذي نبـع الـزلال بكفـه حتى تروى الجيش وهو عرمرم

أسريت للسبع الطبـاق فأقبلـت أملاكهـا طـرا عليـك تسلـم

وتبركت بصلاتك الإرسـال إذ صلت وأنـت إمامها المتقـدم

رفعت لك الحجب العظيمة فاعتلى بـك للعلى ذاك المقام الأعظـم

حتى سمعت صريف أقلام بهـا في اللوح محفوظا تخط وترسم

في حيث لا ملك ولا فلـك ولا نجـم ولا علـم هنالـك يعلـم

تلك المراتب لم يكـن لينالهـا إلا النـبي الهاشـمي الأكـرم

ماذا عسى يثني عليـه مقصـر وبمدحه نزل الكتـاب المحكـم

يا خاتم الرسل الكرام وخير من يبدا به الذكـر الجميل ويختـم

ما لي سوى حبي إليك وسيلـة ونظام مدح في عـلاك ينظـم

إني بجاهـك واثـق متمسـك بالعروة الوثقى التي لا تفصـم

يا نفس صبح الشيب لاح وأنت في ليل الغواية وهو ليـل مظلـم

واللهو طار به غراب شبيبـتي وحَمَـام شيبي للحِمَـام يحـوم

زجرتك بارقة الهدى لو ترعوي   ونهتك واعظة النهى لو تعلـــم

وجلاء عقل المرء فهــم ثاقــب   يرضـي التقى أفديك يا من يفهم

يا رب عفوا عن ذنوبي كلهــا   عفـــوا تمـــن به عليَّ وتنعـــم

وانصر خليفتك الذي لبس التقى   حلـــلا تطـــرز بالثناء وترقـــم

وأقـــام ليلة مولد الهادي الـــذي   يزهو به الدين الحنيـــف القيـــم

ظفر التقى والعدل من موسى الرضى   بالجوهر الفـــرد الذي لا يتـــأم

ملـــك تقـــر له الملـــوك بأنـــه   بالدين أقوى والخلافـــة أقـــوم

يحمي الأنـــام بعدله وحسامـــه   فالظلم يقصي والمعاند يقصـــم

مستشعـــر تقوى الإلـــه فعنـــده   يبنى التـــورع والتصنع يهـــدم

لولا سجاياه الجليلة لـــم يكـــن   تُحكى المفاخر والمآثر تحكـــم

لولا عطاياه الجزيلة لـــم تكـــن   تُعلى الأكارم والمكـــارم تعلـــم

يا أيها الملك التقي ومـــن لـــه   شرف على سمك السماك مخيم

أُعطيت بالعدل الخلافة حقهـــا   فملوكها في حقها لـــك سلمـــوا

بهرتهمُ أوصافك الزهر الـــتي   منها على زهر الكواكب ميســـم

جود وإحسان وقصد في الهدى   حسن وعقد في التقى مستحكـــم

وتواضع يُعْـــلِي وقدر يُعْتَـــلَى   وندى يدٍ تهمي وبشـــر يبســـم

والحلم أوسع والجناب مؤمـــل   والعـــز أمنع والسجيـــة أكـــرم

والفخـــر أعظم والعلاء مؤثـــل   والفضل أكمل والعطاء متمـــم

الله حسبـــك ما لمحمـــد غايـــة   إلا وأنـــت لشأوهـــا متقـــدم

أعددت للأعداء عدتهـــا الـــتي   بسلاحها يلـــقى العدو فيهـــزم

فكأنما تلك السيـوف بـوارق تعرى فتغمد في العدو وتدغـم

وكأنما تلك الذوابـل أغصـن وبكـل عاليـة سنـان لَهْـذَم

وكأنمـا تلـك القـسي أهلـة تنقض مثل الشهب عنها الأسهم

وكأن تلك العاديات إذا عـدت سرب لشرب دم الأعادي حوم

وكأن سابحهـا عقـاب كاسـر وعليه من أسد الفوارس ضيغم

فالبيض تمضي والذوابل تنثني والخيل تردي والفوارس تغنـم

ولديك جيش من سعودك غالب إن السعـود كتائـب لا تهـزم

وأسود حرب من بنيك تخِيمُ عن أقدمها أسد الحـروب وتحجـم

فكأنهم وولي عهـدك يُدْرهـم بسماء حضرتك العليـة أنجـم

ما عابد الرحمن إن تسأل بـه إلا هزبر في الكريهـة ضيغـم

شهم يعل البيض من مهج العدى والسمر في ثغر النحور يحكـم

ما أم يومـا وجهـة إلا انثـنى بالنصـر يقتاد الفتوح ويقـدم

دامت علاك لهم ودام بمدحكـم طيـر السعاددة دائمـا يترنـم

وإليك من بدع البيـان بديعـة قد حل فيها السحر وهو محرم

روض من الآداب جيد بجودكم فغـدت لكـم أزهـاره تتبسـم

فاخلد ودم واهنأ بموسم مولـد لمحمد الهادي فنعـم الموسـم

* * *

ــ ولـــه أيضـــاً:

..............................[1]

كما قال إبراهيم حسبي فعلمهـــم
فحالي مغنٍ عن ســؤالي إليهـــم

وألهمها فـــوق السموات[2] أحمـــد
وما زال للتوفيـــق أحمـــد يلهـــم

دنا فتدلى قـــاب قوسيـــن رفعـــة
وليـــس دنـــوا بالمسافـــة فاعلـــم

وعاينـــه حقـــا بعيـــن عيانـــــه
وقيل بنـــور القلـــب والله أعلـــم

فناجـــاه مـــولاه بأســـرار غيبـــه
وأعلمه ما لم يكـــن قبـــل يعلـــم

وكم معجزات قد أتى قومه بهـــا
ولكنهم عن منهج الحـــق قد عـــم

ومن يك عن ورد القبول محلـــلا
فبات الهدي عنه مدا الدهر مبهم

---

[1] ترك ـ في الأصل ـ فراغ ربما اتسع لستة أبيات أو سبعة تقرباً. ولا يعرف إن كان لأبيات سقطت بالفعل من هذه القصيدة.

[2] في الأصل: ((السموت))؛ وهذا خطأ، ويخل بالوزن.

وآيته في الغـــار إذ مكــرت به

قريش ورب العرش يحمي ويعصم

وقد أرسل اللـــه الحمـــام ببابـــه

فباضت به من فورها وهي جثـــم

كما نسجت فيـــه العناكـــب حلـــة

بستر من الرحمن تسدي وتلحـــم

ولو لا دفـــاع اللـــه كيدهم بهـــا

فأضعف أسباب الوجودات أحجم

وفي غزوة الأبواء إذ لم يكن بها

من الماء عند القـــوم ما يتوهـــم

ولم يجدوا في رحلهم غير قطرة

بعزلاء[1] شحت لا يبـــل بها الفـــم

على يده في جفنة الركب صبهـــا

فبارك فيها فاغتدت وهي حصرم

وفاض نمير المـــاء بيـــن بنانـــه

إلى أن تروّى وهو [جيش][2] عرمرم

وحين ارتووا من عند آخرهم به

لقد كف عنه كفـــه وهـــو مفعـــم

---

[1] العزلاء هنا: مصب الماء.

[2] كلمة [جيش] هنا سقطت في الأصل؛ فأضفناها.

وقصته في ذي المجـــاز حقيقـــة

شكا عمه جهرا ولا مـــاء يعلـــم

فشق أديم الأرض ركضا[1] برجله

ففاض به عين من الماء [دائـــم][2]

ويـــوم تبـــوك والحديبيـــة [كذا][3]

سما لهما في ذروة الفخر ميســـم[4]

وكم من جماد قد غـــدانا طلاقـــة

وعجمى بأفصـــح غـــدت تتكلـــم

كجذع [وحصباء][5] وضب وضبية

وطفل رضيع لم يكن[6] بعد يفطـــم

وعادت إليه الشمس بعد غروبها

وشق له البـــدر المنيـــر المتمـــم

وآياته كالشهـــب نـــورا وكثـــرة

لتحصر وتحصى على العد أنجم

---

[1] هكذا في الأصل. ولو قال: [ركلاً] لكان أفضل.

[2] الكلمة هنا غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة [دائم].

[3] كتب ـ في الأصل ـ ((الذا))؛ وهذا خطأ نحوي. وبما أن إكمال الكلمة إلى((اللذان))؛ يخل بالوزن؛ فقد عوضناها بكلمة: ((كذا)).

[4] أي: وسامة.

[5] في الأصل: ((وحصبا))؛ بدون الهمزة؛ وهذا خطأ ويخل بالوزن.

[6] هكذا في الأصل؛ والأفضل كلمة: [يكد].

وقد أجمعوا منها على ألف معجز

روى بعضهن الترمذي ومسلـــم

وأعظمها القــرآن يــزداد جــدة

بطول المدى تكراره ليس يســأم

وليس حديثاً حاش للـــه مفتــرى

ولكنـــه وحي من اللـــه محكـم

هو النور والبرهان والحجة التي

بها حلل الديـــن الحنيــفيٍّ ترقــم

تضمن أحكام الوجــود بأسرهـــا

وأودع فيـــه ما يحـــل ويحـــرم

فلما تحدى الخلــق منه بســورة

أقروا له بالعجــر عنـــه وأحجــم

وللمصطفى سبع وعشرون غزوة

يشاد بها الإسلام والكفـــر يهـــدم

وكم آيـــة قبـــل الـــولاد وبعـــده

على فضله دلـــت لمـــن يتوســم

فنون الهدى في بـــرده متجســم

ونون[1] الهدى في كفـــه مبتســم

---

[1] الأولى ((فنون الهدى))؛ والثانية ((نون)): ومعناها السيف.

بشهر ربيع قد بدا علــم الهــدى

شفيع الورى صلوا عليه وسلــم

تساقطت الأصنام عند ظهــوره

وعادت بغاة الجن بالشهب ترجم

وأخمدت الأنوار نيــران فــارس

ومن قبل كانت ألف عام تُضَــرَّم

وأشرقــت الدنيا بمولــد أحمــد

فلا خلق مظلوم ولا أفق مظلــم

فيا خاتم الرسل الكرام وخير من

به يبدوا الذكــر الجميل ويختــم

بمولدك السامي الرفيع قد اعتــنى

عليك سجايــاه النــدى والتكــرم

إمــام لــه بالمكرمــات عنايــة

همــام لــه بالمعلــوات تيمــم

هو الملك الزابي موسى بن يوسف

له نســب فوق النجــوم مخيــم

لقد ضم أمر الملــك بعد شتــاته

كما ضم زند بالسِّوار ومعصــم

وجدد رسم المجد بعــد رسوبــه

وأضحى لسبل الدين يعلي ويعلــم

فــلا مجــد إلا بنــاه فإنـــه

لتتهــدم الدنيــا ولا ينهــــدم

فلا زلت منصور اللواء على العدى

وسيفك ماض في الطغــاة محكــم

ودونكها حسنــا يعــذب ذكرهــا

فيصبوا إليها القلب والسمع والفم

فصاحتها في الشعر تنبيك [أنها][1]

من العرب [العرباء][2] والغير أعجم

***

ـ قــال صاحــب الترجمــة هــذه القصيــدة في سنــة 771هـ/1369م؛ بيــن يــدي أبي حمــو مــوسى الثــاني؛ بمناسبــة الاحتفــال بالمولــد النبــوي:

أقصــر فإنّ نذير الشّيــب وافــاني

وأنكرتــني الغــواني بعد عرفــانِ

وقــد تماديــت في غيّ بلا رشــد

والنفــس تأمرني والشيب ينهــانِي

---

[1] الكلمة هنا ـ في الأصل ـ غير واضحة؛ فعوضناها بكلمة: [أنها].

[2] كلمة: ((العربا)) في الأصل بدون همزة؛ وهذا خطأ ويخل بالوزن.

فقلـــت للنفـــس إذ طالت بطالتهـــا

مهلاً ألم يأن أن تَخْـــشَى ألم يـــأنِ

كم من خُطَى في الخطايا قد خطوت ولم

تراقبـــني الله في ســـر وإعـــلانِ

فـــلاَ تَغُـــرَّنَّـــكَ الدنيـــا بزخرفهـــا

فيـــا ندامـــة مـــن يَغْتَـــرُّ بالفـــاني

فليس فيها وصـــال دون هجـــران

وليـــس فيها كمـــال دون نقصـــان

وأسلك سبيلاً إلى التَّقوى لتقوى بها

على السّلوك إلى جنّـــات رضـــوان

وانهض لمغنى رسول الله تحظ بما

تشـــاء من خير أوطـــار وأوطـــان

وأركب إليه جـــواد الجـــد مجتهـــداً

ولا تكن في السّرى والسّير بالوانِي

يا مزمع السير نحو المصطفى عجـــلاً

يحـــدو إليـــه باحـــداج واظعـــــانِ

بلـــغ تحيـــة مشتـــاق لروضتـــه

إنّ الطليـــق يؤدّي حاجـــة العـــاني

وإن رأيت المصلَّى قِف وحالِي صِـــفْ

لجيرة بالحـــمى هم خيـــر جيـــران

وقلْ لهم ضاع قلــبي في رحالكــمُ

فساعــدوني ولــوْ قــولاً بنشــدان

فما وَجَدْتُ ســوَى وجــداً أكابــده

ولا فقدتُ سوى صبري وسلــواني

عندي لطِيبــة أشــواق مضاعفــة

أنَبْــنَ قلبي وقد أنْحَلْــنَ جثمــاني

مهما تذكّرتُ بعدي عن معاهدهــا

سحّت بوابل دمعي سحب أجفاني

عليل نسمتهــا يبرى العليــل بــه

لو عــادني بعد أحيــان لأحيــاني

فيا نسيماً سرى في الطّيب منغمســاً

مجــرراً ذيلــه في كــلّ بستــانِ

مغــازلاً لخــدود الــورد يلثمهــا

ملاعبــاً لقــدود الرّنــد والبــــان

مصاحبــاً لرياحيــن الّربى سحــراً

وساحبــاً من عليهــا فضــل أردان

قَبِّــلْ ثرى روضة حلَّ الحبيب بهــا

بل جنّــة عرفها روحي وريحــاني

وقُلْ غريب بأقصى الغرب أقصــده

سهــم البعاد فهلْ للقــرب من آن

نـــائي المحلّ بعيد الـــدّار شاسعهـــا

هامي الجـــون مشوق رهن أشجان

فـــؤاده صحبـــة الرّكبان مرتحـــل

لطيبـــة وهـــو ثـــاوٍ في تلمســـــان

لا يعذب الـــورد إلاّ بالعذيـــب لـــه

ولا نعيـــم لـــه إلاّ بنعمـــــان

يا أفضل الخلـــق من عرب ومن عجـــم

وخيـــر آتٍ بآيـــاتٍ و فرقـــان

عســـاك يا خير خلق الله تشفـــع لي

يوم الحســـاب فإنّي مذنـــب جـــان

وأنـــت لي أمل إذ ليـــس لي عمـــل

من التّقى يقتضي ترجيح ميزاني

لعـــلّ حسن يقيـــني فيك يمنحـــني

شفاعـــة ويقيـــني لفـــح نيـــران

ديني على الدّهر حجّ البيت معتـــراً

فهـــل يساعـــدني دهـــري بإمكـــان

وزورة لرســـول الله ملتحمـــــاً

ذاك الضّريح الذي بالنّور يغشـــاني

وأي عـــذر لقلـــب لا يحـــنّ لـــه

والجـــذع حـــنّ له تحنـــان لهفـــان

والبــدرُ شــقّ له والضـّــب كلّمـــه

والظّـــبي والذّئـــب تكليمـــاً بتبيـــان

وفـــاض ينبـــوع مـــاءٍ من أناملـــه

بورده العذب روَّى كلّ ضمئـــان

أعلى الورَى من سرَى ليلاً لخالقه

بما له من عـــلاء القـــدْرِ والشـــانِ

إعْظِـــمْ بقدر رسول الله حين دنـــا

من ربـــه حيـــث لا قـــاصٍ ولا دان

وعاد قبـــل ظهـــور الفجـــر منقلبـــاً

عن قـــاب قوسين لمْ يخصص بها ثانِ

كم من دلائـــل للمختار قد حسبـــت

ومن فضائـــل لا تحصى بحسبـــان

ببعثـــه نطقـــتْ من قبـــل مولـــده

في الكتب أخيـــار أحبار ورهـــان

وفي ربيـــع ربوع للهدى عمـــرتْ

ورحمة ظهـــرتْ للإنـــس والجـــان

يا شهر أطلعت في أفق الهدى قمـــراً

كمالـــه غيـــر موســـوم بنقصـــان

فالسَّعـــد مقتبـــل و العـــزّ متّصـــل

والدّهـــر محتفـــل في زيّ جـــذلان

والملـــك مبتســـم بالبشـــر متســـم
مذ قام بالعدل فيه خير سلطـــان
أفـــاض في مولد المختـــار نائلـــه
فأنظـــر إلى ملتقى حسن وإحســـان
موسى الخليفة والإجمـــاع منعقـــد
عليه لم يختلف في فضلـــه اثنـــان
كأنّـــه للـــورى روح وهـــم جســـد
ولا حيـــاة بـــلا روح لجثمـــان
له وقـــار نـــهى في طيّـــه فطـــن
إن يرســـل الظـــنّ يأتيـــه بإيقـــان
فراســـة مـــن هبـــات الله صادقـــه
يـــرى المغيَّب من ســـرٍّ كإعـــلان
تتهـــاه عفّتـــه عن أمـــر بطشتـــه
يرعى الرعايا بعين العاطف الحاني
فالحـــقّ في الخلق جار في إيالتـــه
مستضعـــف وقـــويّ فيـــه سيّـــان
أعـــاد دولـــة عبـــد الـــواد ثانيـــة
حتّى استقامـــت بأســـاس وأركـــان
يا ناظـــم الملك بالأمـــوال ينثرهـــا
كم كَفَّ كفّاك من أزمـــات أزمـــان

نوالــك الغيــث إلاّ أنَّ ديمتــه

صوبان من ورق محض وعقيــان

وجيشــك البحر لكن من عجائبــه

عقبــان خيل عليها أســد فرســان

تقــر منه شياطيــن العــدا فَرَقــاً

تَنْقَضُّ منه عليهم شهب خرصــان

يا باسط العدل في أهل البسيطة قــد

طويتــمُ للأعــادي كــلّ عــدوان

مــولاي أن تدع الأمــلاك معلــوة

بشبهــة فمعاليكــم ببرهـــان

فلو رأى من مضى ما شدتَّ من كــرم

لــم يمــدح المتنــبِّي آل حمــدان

إليكهــا كلمــات لو بهــا سمعــتْ

أولاد جفنــة قالــوا شعــر حسَّــان

ما مثل عبدك في مداح مجدك مــن

مثْنٍ ولا لــك في الأملاك من ثــان

فــدام سعــدك يا مــولاي مقتبــلاً

مجــدداً كلَّمــا عــاد الجديـــدان

***

ـ هـذه القصيـدة قالهـا صاحـب الترجمـة؛ في عـام 760هـ/1358م؛ بمناسبـة أول احتفـال للمولـد النبـوي الشريـف؛ أحيـاه السلطـان أبـو حمـو الثـاني؛ إثـر فتـح تلمسـان؛ وجـاء في القصيـدة:

ذكِـر الحِمى فتَضاعَفَـتْ أشْجَانُـهُ
شَوْقـاً وَضَـاق بِسِـرِّهِ كِتْمَانُـهُ
دَنِـفٌ تَذَكَّـر مِـنْ عُهُـودِ وِدَادِهِ
مَا لَـمْ يَكُـنْ مِنْ شَأنِـهِ نِسْيانُـهُ
يَهْفُـو[1] لِبَـرْقِ الأبْرَقَيْـنِ تَعَلُّـلاً
وَالقَلْـبُ مِنْـهُ دَائِـمٌ خَفَقَانُـهُ
وَيُسَائِـلُ الرُّكْبَانَ عَنْ ذَاكَ الحِـمى
فَتُثِيـرُ كَامِـنَ وجْـدِهِ رُكْبَانُـهُ
وَيَـرُومُ سُلْـوَانَ الهَـوَى فَيُجِيبُـهُ
أنَّ المُحِـبَّ مُحَـرَّمٌ سُلْوانُـهُ
وَيَشُوقُـهُ مَـرُّ النَّسِيـمِ إذَا سَـرَى
مِنْ نَحْـوِ طَيْبَـة طَيِّبـاً أرْدانُـهُ[2]

[1] في زهر البستان: ((يهفوا))؛ بالألف؛ وهو تحريف. وفي بغية الرواد أصح.
[2] طيبة: هي المدينة المنورة. والرّدن؛ جمعه أرْدان: الغزل والخز. والـرُّدْن: جمع أردان: أصلُ الكُم.

أَتُــرَى أَرَى وَادِي العَقِيقِ وَرَامَــةً[1]

وَيَلُــوحُ لِي رَنْــدُ الحِجَازِ وَبَانُــهُ[2]

وَأُعَايِنُ الحَرَمَ الشَّرِيــف وَتَنْجَــلِي

عَنْ قَلْبِ صَبٍّ مُذْنِــبٍ أَشْجَانُــهُ

وَأَطُوفُ بِالْبَيْــتِ العَتِيــقِ وَيَعْتَــلِي

بِي لاسْتِــلَامِ الرُّكْــنِ شَــاد.....[3]

وَفَدَتْ عَلَيْهِ رِكَابُ أَرْبَــابِ التُّــقَى

وَالمُذْنِــبُ الخطَّــاءُ كَفَّ عِنَانُــهُ

مَنْ لِي بِزَوْرَةِ رَوْضَةِ الهَادِي الــذِي

رَحَــمَ الوُجُــودَ بِبَعْثِــهِ رحْمَانُــهُ

المُصْطَــفَى خَيْــرُ البَرِيَّــةِ كُلِّهَــا

وَأَجَلُّهَــا قَــدَراً تَعَاظَــمَ شَأْنُــهُ

هُوَ خَاتَــمُ الرُّسْــلِ المَكِينِ مَكَانُــهُ

وَهُــو المُقَــدَّمُ وَالأَخِيــرُ زَمَانُــهُ

---

[1] العقيق: وادي مجاور للمدينة المنورة. ورامة: موضع بوادي العقيق.

[2] الرند: شجر من الغاريات، له رائحة طيبة يصلح للتزيين ويستعمل في الطبيخ. والبان: شجر من فصيلة البانيات، معتدل الطول، له ورق لين؛ غالباً ما يشبه به الشعراء قد المرأة.

[3] هذا حيز يتسع لكلمة؛ ليست واضحة في الأصلين: بغية الرواد، وزهر البستان.

وَهُوَ الذِي مَــدَّ[1] النُّبُــوَّءَةَ وَالهُــدَى

شَــرفٌ حَــوَاهُ فُــؤَادُهُ وَلِسَانُـــهُ

عُنْــوَانُ طِــرْسِ الأَنْبِيَــاءِ خِتَامُــهُ

وَالطِّــرْسُ يُكْمِلُ حُسْنَــهُ عُنْوَانُـــهُ

لَوْلاَهُ مَا وُجِــدَ الوُجُــودُ: سَمَــاؤُهُ

أَوْ أَرْضَـــهُ أَوْ انْسُـــهُ أَوْ جَانُّـــــهِ

فَجَمِيــعُ مَا في الكَوْنِ كَانَ لأجْلِــهِ[2]

شَرَفُ الوُجُــودِ بِأَنَّ فِيــهِ كِيَانُـــهُ

فَالدَّهْــرُ أُفْــقٌ أَحْمَــدٌ إِصْبَاحُــهُ

وَالخَلْــقُ جَفْــنٌ أَحْمَــدٌ إِنْسَانُـــهُ

بِعُلُــوِّهِ [من] فَوْقَ السَّمَاوَاتِ العُــلَى[3]

وَبِقَــابَ قَوْسَيْنِ اسْتَبَــانَ مَكَانَـــهُ

مَاذَا عَــسَى يُثْــنِي عَلِيــهِ مَــادَحٌ

وَبِمَدْحِــهِ أيضــاً[4] أَتَــى فُرْقَانُـــهُ

---

[1] هكذا في بغية الرواد. بينما كتب في زهر البستان: ((سر)).
[2] هكذا في بغية الرواد. بينما كتب في زهر البستان ((من أجله)). وما ورد في بغية الرواد أفضل.
[3] هذا الشطر مختل الوزن. وجاء هكذا في بغية الرواد أيضاً. والخلل في التفعيلة الثانية؛ إذ ينقصها سبب خفيف (/0). وعليه فقد أضفنا كلمة ((من)) بين حاصرتين للتصويب.
[4] في بغية الرواد: ((نصاً)).

عَجِــزَ النِّظَامُ[1] عَنِ الوَفَاءِ بِمَدْحِــهِ
إِذْ لاَ يَصِــحُّ لِنَاظِــمِ إِمْكَانُـــــهُ
فَأَعِــدْ عَلَى المُشْتَاقِ ذِكْــر مُحَمَّــدٍ
يَــزْدَدْ بِــهِ إِيمَانُـــهُ وَأَمَانُـــــهُ
يَا حَـــادِيَ الرُّكْبَـــانِ نَحْـــو محمـــد[2]
تَلْـــوِي إِلَى عَلَمِ اللِّـــوَى أَظْعَانَـــهُ
إِنْ جِئْتَ أَرْض مِنًى وَبَلَغْتَ المُـــنَى
وحَلَلْـــت رَبْعـــاً شُرِّفَـــتْ سُكَانُـــهُ
أَبْلِـــغْ عَنِ المَوْلَى أَبِي حَمُّو الرَّضِي
أَلمُعْتَـــلِي في كُـــلِّ فَضْـــلِ شَأْنُـــهُ
أَزْكَى سَـــلاَمٍ لِلنَّـــبِيِّ مُحَمَّـــــدٍ
كَالرَّوْضِ صَافَـــحَ رُوحَهُ رَيْحَانُـــــهُ
فَهُـــو الـــذِي حُـــبُّ النَّـــبِيِّ وَآلـــهِ
مَـــا زَالَ مُنْطَوِيـــاً عَلِيـــهِ جَنَانُـــهُ
كَـــمْ قَـــامَ مُعْتَنِيـــاً بِمَوْلِـــدِهِ[3] وكَـــمْ
سَهِـــرَتْ بِهِ شَوْقـــاً لَـــهُ أَجْفَانُـــهُ

[1] أي: نظم الشعر.
[2] في بغية الرواد: ((نحو مَحَلِّه)).
[3] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((بمراده)).

يَرْجُو شَفَاعَتَهُ وَسَوْفَ يَنَالُهَا

وَيَنَالُهُ مِنْ رَبِّهِ رِضْوَانُهُ

زَانَ الخِلاَفَةَ بِالمَكَارِمِ وَالنَّدَى

مَلِكٌ، نَمَاهُ إِلَى العُلَى زَيَّانُهُ

وحَمَى حِمَاهَا بِالصَّوَارِمِ وَالقَنَى

يَوْمَ الكِفَاحِ إِذَا التَقَتْ فُرْسَانُهُ

((مُوسَى بْنِ يُوسُفَ لاَ نَظِيرَ لِمَجْدِهِ

مَجْدٌ يُزَيِّنُ حُسْنَهُ إِحْسَانُهُ))[1]

مِنْ آلِ زَيَّان الأُلَى شهدوا زَانُوا[2] العُلَى

والْمُلْكُ[3] إِرْثُهُمُ وَهُمْ تِيجَانُهُ

مَلِكٌ يَسُوسُ بِرَأيِهِ كُلَّ الوَرَى

فَكَأَنَّهُ رُوحٌ وَهُمْ جُثْمَانُهُ

مَلِكٌ أَعَادَ المُلْكَ بَعْدَ دُثُورِهِ

لَوْلاَهُ لَمْ تَثْبُتْ[4] لَهُمْ أرْكَانُهُ

مَلِكٌ وحِيدٌ في المَعَالي مَا لَهُ

إلاَّ المَكَارِمُ وَالتُّقَى خِلاَّنُهُ

---

[1] سقط هذا البيت في زهر البستان.

[2] في بغية الرواد: ((زَانُوا)).

[3] نفسه: ((فالملك)).

[4] في بغية الرواد: ((يثبت)).

مَهْمَا يَجُـدْ فَالغَيْـثُ دُونَ عَطَائِـهِ

مَا إِنْ يُعَـارِضُ جُـودَهُ هَتَّانُـهُ[1]

الجُودُ[2] يَنْفَعُ في الوُجُـودِ[3] دَوَامُـهُ

وَالغَيْـثُ لَيْـس بِنَافِـعٍ إِدْمَانُـهُ

مَلِـكٌ تَخَـافُ الأَسْـدُ سَطْوَتَـهُ إِذَا

حَـمِي الوَطِيسُ وَضَمَّهُ[4] مَيْدانُـهُ

وَخُفَـا[5] النَّهَارُ بِلَيْـلِ نَقْـعٍ أغْبَـرٍ[6]

وَبَـدتْ كَمِثْـلِ نُجُومِـهِ خُرْصَانُـهُ[7]

تَلْـقَى الخَلِيفَـةَ عِنْدَ ذَلِـكَ[8] بَاسِمـاً

يَفْـنِي[9] الطُّغَـاةَ ضِرَابُهُ وَطِعَانُـهُ

وَحُسَامُـه يَنْهَـلُّ بِالـدَّمِ كُلَّمَـا

أَضْـحَى يُضَاحِـكُ دُرَّهُ عِقْيَانُـهُ[10]

---

[1] هَتَنَ هَتْناً وهُتوناً وتهاتنت السماء: تتابع مطرها وانصب. وتَهَاتَنَ الدمع: قطر. وغيث هتان: متدفق.

[2] في بغية الرواد: ((والجود)).

[3] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((في الجود))؛ وهو تحريف يخل بالوزن.

[4] في بغية الرواد: ((وَضَمَّهُمْ)).

[5] في بغية الرواد: ((وخُفي)).

[6] النقع جمعه نقاع ونقوع: الغبار.

[7] الخِرْصُ والخُرْصُ جمعه خُرْصان: حلقة الذهب أو الفضة.

[8] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((ذاك))؛ وهذا يخل بالوزن.

[9] حرفت هذه الكلمة في بغية الرواد؛ فكتبت: ((يفي)).

[10] الدُّرُّ واحدها دُرَّة: اللؤلؤة العظيمة. العِقْيَانُ: الذهب الخالص.

فَكَأَنَّـــهُ رَوضٌ تَفَتَّـــحَ زَهْـــرُهُ

وَدَم العِــدَى في خَــدِّه[1] نُعْمَانُــه[2]

سَيْــفٌ شُعَاعُ الشَّمْسِ دُونَ فِرَنْــدِهِ[3]

مَهْمَــا تَبَــدَّى[4] سَاطِعــاً لَمَعَانُــهُ

أَمِنَــتْ تِلِمْسَــانٌ مَخَاوِفهَـــا بِــهِ

فَلَقَــدْ حَمَاهَــــا سَيْفُـــهُ وَسِنَانُـــهُ

مَلِــكٌ سَعِيــدٌ لاَ يُعَانِـــدُ مُلْكَـــهُ

إلاَّ شَــقِيٌ قَــدْ دَنَــــا خُسْرَانُـــهُ

مَلِــكٌ تُقِـــرٌ لَــهُ المُلُــوكُ بِأَنَّـــهُ

مَوْلاَهُــمُ الأَسْــنَى وَهُمْ عُبْدَانُـــهُ

مُتَوَكِّــلاً[5] أَبَــداً عَــلَى مَــوْلاَهُ فِي

عَلْيَـــاهُ، وَافَــق سِــرَّهُ إعْلاَنُـــهُ

حَكَمَــتْ لَهُ الكُتْــبُ القَدِيمَــةُ أَنَّــهُ

سَيُشَيــدُ مُلْكــاً شَامِخـــاً[6] بُنْيَانُـــهُ

---

[1] في بغية الرواد: ((في صفحه)).
[2] إشارة إلى زهور شقائق النعمان التي تنتشر في الحقول في فصل الربيع.
[3] الفِرِنْد: جوهر السيف ووشيه.
[4] في بغية الرواد: ((تَألَّق)).
[5] في بغية الرواد: ((متوكلٌ)).
[6] هكذا في بغية الرواد؛ بينما حرفت الكلمة في زهر البستان؛ فكتب: ((مخا))؛ وفي الهامش كتبت كلمة غير مفهومة.

مِنْ نَحْوِ أَرْضِ الزَّابِ يُقْبِلُ[1] طَالِبــاً

ثَــأْراً، وَمِنْ أَنْصَــارِهِ عُرْبَانُــهُ

فَيُمَهِّــدُ الدُّنْيَــا وَيَمْتَهِــنِ العِــدَى

وجَمِيــعُ ذَلِــكَ قَدْ بَــدَا بُرْهَانُــهُ

أَدْنَى[2] البِلاَدَ إِلَيْــهِ عَــزْمٌ صَــادِقٌ

فَالنُّجْــحُ مَوْقُــوفٌ عَلَيْهِ ضَمَانُــهُ

لاَ زَالَ فِي العِــزِّ الرفيــع ممكنــاً[3]

وَالنَّجْــمُ عَنْــهُ كَلِيلَــةٌ أَجْفَانُــهُ[4]

وَإِلَيْــكَ يَا خَيْرَ المُلُــوكِ قَصِيــدَةٌ

كَالسِّلْــكِ فَصَّــلَ دُرَّهُ مُرْجَانُــه[5]

مِنِ نَاظِــمِ سَحَــرِ البَيَــانَ بَدَايِعــاً

لَكِنْ يُقَصِّــرُ عن[6] حَلاَكَ بَيَانُــهُ

لاَ يَسْتَــوِي حُــرُّ الكَــلاَمِ وَعَبْــدِهِ

يَوْمــاً وَلاَ حَصْبَــاؤُهُ مُرْجَانُــهُ

---

[1] في بغية الرواد: ((يَقْدِم)).
[2] هكذا في بغية الرواد؛ بينما كتب في زهر البستان: ((يزن)).
[3] في بغية الرواد: ((لاَ زَالَ فِي العِزِّ المكِين مُرَفَّعاً))
[4] هكذا.
[5] الدُّر سبق شرحه. والمَرْجان والواحدة مَرْجانة: اللؤلؤة الصغيرة.
[6] في بغية الرواد: ((في)).

((وَالعَبْدُ مِنْ مَوْلاَهُ يَلْتَمِسُ الرِّضَى

إِنَّ الخَلِيفَـةَ شَامِـلٌ إِحْسَانُـهُ))[1]

لاَ زَالَ مَوْلاَنَا أَبُو حَمُّو حِمًى

لِلْمُلْكِ دَامَ مُؤَيَّداً سُلْطَانُهُ

***

ـ قال محمد بن يوسف الثغري هذه القصيدة المتواضعة في عام 792هـ/1389م؛ بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ في بلاط أبي تاشفين عبد الرحمن؛ خلال أول احتفال له بالمولد النبوي بعد مقتل أبيه؛ وتربعه على عرش دولة بني زيان:

شرف النفوس طلابها لعلاها ولباسها التقوى أجل حلاها

فبها تنال العز في الدنيا إذا دانت بها والفوز في أخراها

فاخلع لبوسك من سوى ثوب التقى ما للنفوس حلى سوى تقواها

أوصي بها نفسي وما من أمة إلا وخالقها بها أوصاها

من لي بنفس تدعي طلب العلى قولا فيثبت فعلها دعواها

من لي بنفس تمتطي خطر السرى لترى مناها عند خيف مناها

سعدت إذا وردت نفوس زمزما وشفت بمنهلها غليل صداها

[1] سقط هذا البيت في زهر البستان.

وبسعيها سبعاً ليقبل سعيها ما بين مروتها وبين صفاها

وإذا هي اعترفت على عرفاتها غفرت خطاياها بِحَثٍّ خُطاها

طاف الأنام بكعبة الله التي لم يجعل البيت الحرام سواها

واختارها لنبيه في قوله لنولينك قبلة ترضاها[1]

طافوا بها سبعا ومهما قابلوا ركن اليماني قبلوا يمناها

ولدى صلاتهم إليها وجهوا من حيث داروا أوجها وجباها

لله قوم أيقظوا عزماتها فكأنها شهب تضيء دجاها

وصلوا السرى بالعيس تنفخ في البرى وفلوا بأيدي اليعملات فلاها

وإلى الحمى قبل الحمام سرت بهم ظعن يسر الظاعنون سراها

نجب هواها في الحجاز ووردها ماء العذيب فَخَلِّهَا وهواها

تغنيك شدة شوقها عن سوقها فاخلع براها فالغرام براها

أو ما تراها كالقسي ضوامرا والركب مثل النبل فوق دراها

دأبوا على السير الحثيث وحثهم شوق يذود عن الجفون كراها

حتى بدا القمر الذي لولاه ما بدت النجوم ولا بدا قمراها

قمر بيثرب أشرقت أنواره حتى أضاءت أرضها وسماها

وبدت لرأي العين أرض الشام من أرض الحجاز وأبصرت بُصرْاها

دنت النجوم إليه عند ولاده وتود لو كان الثرى مثواها

---

[1] **اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾. من الآية: 144 من سورة البقرة.**

كم آيـــة قبـــل الـــولاد وبعـــده دلتـــك أولاهـــا على أخراهـــا

قصرت بأرض الشام قيصرها كما كسرت بأرض الفرس من كسراها

أعلى الأنام علا وأحلاهم حلى وأجلهـــم قـــدرا وأعظم جاهـــا

هو أحمد ومحمـــد والمجتـــبى والمصطفى والمدح لا يتنـــاهى

وافى من الذكـــر الحكيم بآيـــة تلت جبين الشرك حين تلاهـــا

وإلى جميع الخلق بلغ حكمهـــا وعلى منصة الإشهار جلاهـــا

وإلى سيادته العظيمة أومـــأت ياسيت فيه والطهـــارة طاهـــا

يا من تشرفت البسيطة إذ مشى فيها وداس بأخمصيـــه ثراهـــا

وإليه حن الجذع عنـــد فراقـــه وأتت له الأشجار حين دعاهـــا

لإن سبحت في كفك اليمنى الحصى فيها الأنامل فجـــرت أمواهـــا

إن أفصحت لك في الخطاب غزالة فالضب أو ذئب الفـــلا مثلاهـــا

لولاك ما نطق الجماد ولم تكن بخطابها العجماء تفغـــر فاهـــا

يا من هدى بايات آيات الهـــدى من ضل عن سبل الرشاد وتاها

بسناك أبصرت البصائر رشدها وأجلهم قـــدرا وأعظـــم جاهـــا

لك رد قرص الشمس يا شمس الهدى لما توارى بالحجـــاب ضياهـــا

لك في انشقاق البدر أعظم آية لما تكامـــل حسنـــه وتنـــاهى

يا من سما فوق السماوات العلى في ليلة الإسرى التي أسراهـــا

ورقى بساط العز معتـــزا ولـــم يخلـــع بـــه نعـــلا ولا ألقاهـــا

وكقاب قوسين اقترابا كـــان أو أدنى مقامـــا حيـــن نـــاجى الله

في حضرة الحق المقدسة التي قصرت عقول الخلق عن معناها

أوحى إليه بها من الأسرار مـــا أوحى ونـــور قلبـــه فوعاهـــا
أسرى وعاد وفجره لم ينفجـــر وخطى الكواكب ما عدت مسراها
كم معجـــزات للنـــبي محمـــد لم يحوها عـــدد ولا أحصاهـــا
من خصه الباري بما سماه من أسمائه الحسنى فليس يُضـــاهى
وجبت شفاعتـــه لأمتـــه الـــتي صلة الصلاة عليـــه هجيراهـــا
يا خير مأمول شكيـــة نـــازح بانـــت أحبتـــه وشـــط نواهـــا
رام المـــزار فأقعدتـــه ذنوبـــه عن طيبة الطيب التي يهواهـــا
فغـــدا يعلـــل نفســـه بنسيمهـــا يا حبذا منهـــا نسيـــم صباهـــا
يا سائق النجب المذللـــة الـــتي عرفت هوادجها قبـــاب قباهـــا
إن جئت خيف منى وبلغت المنى وحللت أرضا شرفت سكانهـــا
أبلغ إلى خيـــر الأنـــام تحيـــة أذكى من المسك الفتيق شذاهـــا
عن عابد الرحمن مولانا الـــذي حاز الفضائل حملـــة وحواهـــا
فهو الذي حـــب النـــبي وآلـــه سِرّ جوانحـــه عليـــه طواهـــا
سينال في ألخرىشفاعته كمـــا قد نال في الدنيا العلا والجاهـــا
ملك تقـــر لـــه بكـــل فضيلـــة كـــل الملـــوك وأنـــه مولاهـــا
ملك تهاب الأسد سورة بطشـــه ولعز سطوتـــه يـــذل سطاهـــا
ماضي العزائم والظبى فسيوفه كمضائـــه ومضـــاؤه كظباهـــا
زان الخلافة بالمكارم والنـــدى وحمى بحد المشـــرفي حماهـــا

يا وارث الخلفاء في الملك الذي   سامى به كل الملوك وباهى

يهنيك بل يهني خلافتك التي   بلغت بسعدك سولها[1] ومناها

وتعز عمن أدركته منية   الله قدرها له وقضاها

حيى الإله ضريحه بتحية   وأطاب تربته وجاد ثراها

وأدام ملك خليفة الله ابنه   وأعز دولته ومدّ مداها

ما عابد الرحمن إلا رحمة   لرعية قد حاطها ورعاها

تنبيك سيرته الحميدة فيهم   عن سيرة قد سنها عمراها

ترجو الجناة به النجاة من الردى   عفوا فيسعفها بنيل رجاها

كم من نفوس تستحق عقابها   لكن بفضل حيائه أحياها

ركب المجلي في الفضائل كلها   وجرى لغايتها فحاز مداها

أنسى مآثر من مضى بمآثر   رفعت له في الخافقين لواها

إن كان موسى للخلافة بدرها   فالتاشفيني شمسها وضحاها

إن كان موسى للخلافة صدرها   فالتاشفيني قلبها وحجاها

إن كان موسى للخلافة سحبها   فالتاشفيني غيثها ونداها

إن كان موسى للخلافة لحظها   فالتاشفيني نورها وسناها

لا تحسبن الدنيا بغير ثلاثة   ما في الوجود إذا نظرت سواها

بدر الجى والتاشفينى الرضى   والشمس في إشراقها وعلاها

---

[1] **كتبت في الأصل: ((سولها))؛ ولعل ذلك بفعل التحريف؛ وربماى كانت الكلمة الصحيحة هي((سلوها))؛ لأن ((السُّلْوَة، والسُّلْوّ)) تعني: رغد العيش؛ إذ يقال: ((هو في سلوة من العيش))؛ أي في رغد عيش.**

راقت محاسنها الثلاثة فاغتدت   للناظريـن نظائـر أشباهـا
ترجو البلاد القاصيـات نوالــه   فنوالــه كحياتهـا وحياهـا
لم ترض منه بغير رؤية وجهه   شوقا فأسعفها بنيـل رضاهـا
متوجهـا فيها بأسعـد وجهــة   حركاتهـا محمـودة عقباهـا
هي وجهة بركات مولد أحمـد   قدامها والنصر تحـت لواهـا
هي دولة النصر العزيز فكل ما   لم يأتهـا طوعـا أتى إكراهـا
فاهنأ بليلة مولد الهادي الـذي   عظمت لأمتـه بهـا بشراهـا
وتعاضد النوران من شمع ومن   شهب فطار بها غراب دجاهـا
فكأن فيها من نـداك وحسنهـا   غيثا وروضا طاب فيه جناهـا
جعل الإله علاك عنوانـا لمـا   ترجو بدار الخلـد من علياهـا
وحباك منه بكل سعـد مسعـد   لا ينقـضي أبـدا ولا يتنـاهى

* * *

ـ أورد المقـري هـذه القصيـدة في أزهـار الريـاض؛ قـال أنهـا للثغـري؛ في وصـف تلمسـان وملكهـا أبي حمـو:

تاهَتْ تِلِمْسانُ بِحُسْـنِ شَبابِهـا
وبَدَا طِرازُ الحُسْنِ في جِلْبابِهـا
فَالبِشْرُ يَبْدُو مِنْ حَبابِ ثُغورهـا
مُتَبَسِّماً أوْ مِنْ ثُغـورِ حِبابِهـا

قَدْ قابَلَتْ زُهْرَ النُّجومِ بِزَهْرِهَـــا
وبُرُوجَهـــا بِبُروجِهـــا وقِبابهـــا
حَسُنَتْ بِحُسْنِ مَليكِها المَوْلَى أبي
حَمُّو الذي يَحْمي حِمَى أرْبابِها
مَلِكٌ شَمائِلُهُ كَزَهْــرِ رِياضِهـــا
ونَدَاهُ فاض بها كَفَيْضِ عُبابِهـــا
أعْلَى المُلوكِ الصيِّدِ مِنْ أعْلامِها
وَأجَلُّهـــا مِنْ صَفْــوَةٍ ولُبابِهـــا
غارَت بِغُرَّةِ وجْهِهِ شَمْسُ الضُّحَى
وتَنَقَّبَتْ خَجَلاً بِثَــوْبِ ضَبابِهـــا
وَالبَـــدْرُ حينَ بَدَتْ أشِعَّتُها لَـــهُ
حُسْناً تَضَاءَلَ نُورهُ وخَبَا بهـــا
للهِ حَضْرَتُـــهُ التي قدْ شَرَّفَـــتْ
خُدَّامَها فَسَمَـــوْا بِخِدْمَةِ بابِهـــا
فَاللَّثْــمُ في يُمْناهُ يُبْلِغُها المُــنَى
وَالمَدْحُ في عَلْياهُ مِنْ أسْبَابِهـــا

* * *

ـ هــذه القصيــدة؛ قيلــت في عــام 768هـ/1366م؛ بيــن يــدي السلطــان أبي حمــو الثــاني؛ بمناسبــة الاحتفــال بالمولــد النبــوي الشريــف:

سمــا لـــك نـــور الحـــقّ للحـــقّ هاديــا
فخفضـــت طرفاً عن سناه وهاديَــا

ومـــا زال يدعــوك التّــقى لــو وعى النـــهى
فيا معرضاً هـــلاًّ أجبــت المناديَــا

وما النفس إلا مِنَ أعْدائـــك فليكـــن
عزيمـــك فيهـــا ما يسوء الأعاديــا

فيا نفس كم تهوى الهوى وتطيعـــه
ولـــم تنتـــه لما ارتكبــت النواهيــا

فـــفي الرشـــد لا تزداد إلا تماريــا
وفي الـــغيّ لا تـــزداد إلاّ تماديــا

ولو ثمر التوفيق أصبحـــت جانيــا
لما كنـــت للأثـــام والذنـــب جانيــا

ولا كـــانّ قلبي بالجرائـــم قاسيــا
ولا كنـــت عن دار الأحبة قاصيــا

ولله قوم عندمـــا للهـــوى دعـــوا
أجابـــوا فجابـــوا للحجـــاز الفيافيــا

هُمُ أوردوا ماء العذيـــب ظماءهـــم

وَخُلِّفْتُ مصدوداً عن الورد صاديـــا

غريـــب بغـــرب أوْبَقَتْـــهُ ذنوبـــه

فأصبـــح في أســـر البطالة عانيـــا

وكـــم أنـــة لي كـــل يـــوم وليلـــة

تـــذوب عليها قطعـــة من فؤاديـــا

حنينـــاً وشوقـــاً للنـــبيّ محمّـــد

فيا ليـــت شعري هل أنال الأمانيـــا

وأُبْصِـــرُ ربعاً حلَّه خيـــر مرســـل

وألثـــم في مغنـــاه تلـــك المواطيـــا

وأسجـــد في التُّرب المقدَّس سجـــدة

وأنـــوي بها جبراً لما كنت ساهيـــا

وما فاز إلاّ من فـــلى نحوه الفـــلا

ولم ينـــو في قصـــد إليـــه التوانيـــا

ومـــا عافـــني إلاّ ذنـــوب كأنّمـــا

تحملـــت منهنّ الجبـــال الرّواسيـــا

مـــددت يديّ يا ذا المعارج راجيـــا

وأصبحـــت آمـــالي إليـــك حواديـــا

عسى جودك الفيّاض يدني وسائـــلي

وينـــشي من العفو العميم غواديـــا

ويفتــح لي باباً إلى منهــج التّــقى

فأُلْــفي التّداني يوم أُلقَى التناديــا

لدى موقف يوم الحســاب وهولــه

يسوم الورى كرب يُشِيب النّواصيــا

هنــاك ينادي أشفع تشفــع محمــد

وسل ما تشــا تُعْطَ المنى والأمانيــا

فينقذنـــا من ذلــك الهــول جاهــه

ويحجزنـــا عن زفرة النّـــار واقيــا

فمـــا لي سوى حبّي إليـــه وسيلــة

تــردّ عن اللهفـــان تلــك المراديــا

نــبيّ رآه اللــــه أفضــل خلقــــه

فأرسلـــه بالحــق للخلــق هاديـــا

وأسرى به ليلاً إلى حضرة العــلى

فشاهــد فيهــا كلّ ما كان خافيــا

ســرى راكباً ظهر البراق كرامـــة

وبيـــن يديه ســـار جبريــل ماشيــا

دنـــا فتـــدلّى قاب قوسيـــن رفعـــة

وقُرْبـــاً فأمـــسى للحبيـــب مناجيــا

وكَلَّمَـــهُ ظـــبْيُ الفـــلا متشفعـــاً

وحـــنّ إليه الجذع بالحـــال شاكيــا

وفـــاض نميـــر المـــاء بين بنانـــه

فكـــان وضـــوء للكتيبـــة كافيـــا

وكان له في الغـــار إذ نـــزلا بـــه

أبو بكـــر الصديق بالصـــدق ثانيـــا

وحامـــت حواليه الحمـــام وشيـــدت

من النسج أيدي العنكبـــوت مبانيـــا

وإن انشقـــاق البـــدر أعظـــم آيـــة

يعـــود بهـــا جيـــد الهدايـــة حاليـــا

وكم معجـــز أبدى النـــبي مظاهـــراً

غـــدا في اتضاح للصباح مضاهيـــا

وَوِرْدُ الهـــدى لا يهتـــدي لسبيلـــه

فيروي به من كان في البدء صاديا

وبشـــر رضـــوان بمولـــد أحمـــد

ففتـــح جنـــات النعيـــم الثمانيـــا

و آدم لمـــا خـــاف يجـــزي بذنبـــه

توســـل بالمختـــار للـــه داعيـــا

فتـــاب عليـــه واجتبـــاه وخصَّـــهُ

وأدنـــاه منـــه بعد ما كـــان نائيـــا

وقد يهجر المحبوب في حالـــة الرّضى

ويأبى الهـــوى ألاّ يصـــدق واشيـــا

وعين الرضى عن كلّ عيب كليلـــة

ولَكِنَّ عين السُّخط تبدي المساويـــا

وأدرك موسى في المناجاة رعبـــه

فكلمـــه اللـــه العظيـــم مناجيـــا

وما الرســـل إلاّ كالمبـــادي لغايـــة

هو الغايـــة القصـــوى أتمّ المباديـــا

نـــبي له فضـــل على كلّ مرســـل

كما فضلت شمس النهار الدراريـــا

أشهـــر ربيع حـــزت كلّ فضيلـــة

ويا ليلـــة الاثنيـــن فقـــت اللياليـــا

ويا مولد المختـــار وافيـــت زائـــراً

فلله ما أســـنى الحبيـــب الموافيـــا

حللـــت بربع الملك فاختال زاهيـــا

وصـــار لنـــور النيـــرات مباهيـــا

تلقَّـــاك مولانـــا الخليفـــة باسمـــاً

لقاء مشـــوق لم يكن عنـــك ساليـــا

وأبدى محيـــا كالصبـــاح صباحـــة

بموسمـــك السامي فأجلى الدياجيـــا

إمـــام عليـــه للسعـــــادة حلّـــة

جديدة حسن ليس تخـــشى التباليـــا

أجلّ ملوك العصر موسى بن يوسف

حلاه التّــقى والجود كهلاً وناشيــا

ومن تكــن التقــوى حلاه ودأبـــه

يكن عنه ربّ العرش لا شكّ راضيا

ومن يتوكــل في جميــع أمــوره

عــلى الله يُلْفِــه كفيــلاً وكافيــا

حمى حوزة الدّين الحنيــف بعدلـــه

وقــام بتقويــم الأمــور مُعانيــا

إمام الهدى مفني العدا بظبا الــردى

فمنذ بــدا أحيــا النــدى والمعاليــا

ودانـــت له كــلّ البــلاد وأقبلــت

إليـــه أدانيهــا فــأدنى الأقاصيــا

أمــولاي إنّ اللـــه أعطـــاك ملكــه

فشيـــدت من مبنـــاه ما كان واهيــا

رأى الله أنّ الملك ليــس يسوســـه

ســواك وما للدّين غيــرك حاميــا

فــأولاك في ضيق الشّدائد فرجــة

وأعطـــاك نصــراً دائمـــاً متواليــا

ستقضي لك الأقدار ما كنت ناويـــاً

وتدني المنى من حيث تقــضي المناويا

وتستفتــح الأمصار شرقاً ومغربــاً

وتدفــع عنهــن العــدو المداجيــا

وتجلبهــا خيلاً ورجــلاً وتمتــضي

من العزم ما ينسي السيوف المواضيــا

تشــنّ عليهــم غــارة بعد غــارة

تحكّــم فيهــن الظــبى والعراليــا

فمــا أهملــوا لكنهــم أمهلــوا إلى

زمــان يبيــد اللــه فيــه الأعاديــا

لكــلٍّ من الأشيــاء حَــدٌّ موقــت

ولا بد يومــاً أن يــوافي التناهيــا

وكم أبــق في رق ملكك قد جــنى

مــراراً ولولا العفو ما كان ناجيــا

عفــوت اقتداراً عن تمادي ذنوبــه

وأوسعتــه حِلْمــاً فكــفّ التماديَــا

وما قلــة الأحرار كالعفــو عنهــمُ

وما الحر إلاّ من يــراعي الأياديــا

فــلا زالَتِ الآمَــالُ وقفــاً عليكــم

لها من نداك المورد العذب صافيــا

ودام لك الملــك الذي أنــت زينــه

وألبــس بــرداً بالسعــادة صافيــا

ودونكـــه سلكاً من النظم رائقـــاً

غـــدا فائقـــاً في نظمهـــن اللآليـــا

وما كنت أدري الشعر قدما وإنمـــا

تعلمـــت من تلك المعالي المعانيـــا

فلـــولا حلاكم وأعلاكم لمّا غـــدت

تطاوعني مهمـــا دعـــوت القوافيـــا

* * *

منصور بن علي
ابن عبد الله الزواوي، (ابو علي)

ولد **ببجاية** سنة 710هـ/1310م. ودرس بها، ونشأ في ربوعها؛ ثم انتقل إلى الأندلس؛ حيث تصدر للتدريس والإقراء. وكان يتحلى بمرتبة رفيعة بين العلماء وأهل الدين؛ يميل إلى الزهد وترك مباهج الدنيا. ويمتاز بحذق وبراعة في الفتيا؛ وله خط جميل؛ وله كذلك نظم رائق؛ ونثر نبيل. ومن شيوخه في بجاية: والده الشيخ أبو علي ناصر الدين بن أحمد المشدالي، والشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يحيى الباهلي؛ المعروف بالمسفر، والأستاذ أبو علي بن حسين البجائي، والقاضي أبو عبد الله محمد بن أبي يوسف الزواوي، والفقيه أبو العباس أحمد بن عمران اليانيوي. كما أخذ في الأندلس عن الفقيه أبي عبد الله الرندي، والشيخ أبي عبد الله بن الفخار البيري، وقاضي الجماعة أبي القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني، والشيخ الفقيه أبي البركات محمد بن الحاج المعروف بالبلفيقي، والفقيه أبي عبد الله الطنجالي؛ أما في المغرب فقد أخذ عن الفقيه

الرئيس أبي محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن الحضرمي والمحدث الفقيه أبي العباس بن يربوع، والقاضي أبي إسحاق بن أبي يحيى. وقد تصدر للأقراء في غرناطة بالأندلس، ثم تلمسان حاضرة المغرب الأوسط آنذاك. وتولى مهمة الإفتاء في النوازل بين الناس في كل من العدوتين. ووصف بأنه محقق دقيق، سليم الإدراك. وهو أحد شيوخ يحيى بن خلدون ، ولسان الدين بن الخطيب، وأبي إسحاق الشاطبي؛ والمقري الجد. قال عنه ابن الخطيب: **((هذا الرجل طرف في الخير والسلامة، وحسن العهد، والصون والطهارة والعفة، قليل التصنع، مؤثر للاقتصاد، منقبض عن الناس، مكفوف اللسان واليد، مشتغل بشأنه، عاكف على ما يعنيه، مستقيم الظاهر، ساذج الباطن، منصف في المذاكرة، موجب لحق الخصم، حريص على الإفادة والاستفادة، مثابر على تعلم العلم وتعليمه غير أنف عن حمله عمَّن دونه جملة من جمل السذاجة والرجولة وحسن المعاملة، صدر من صدور الطلبة، له مشاركة حسنة في كثير من العلوم العقلية والنقلة، واطلاع تقييد، ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، ودعوى في الحساب والهندسة والآلات. يكتب**

الشعر فلا يعدو الإجادة والسداد. قدم الأندلس في عام ثلاثة وخمسين وسبعماية[1]، فلقي رحباً، وعرف قدره، فتقدم مقرئا بالمدرسة[2] تحت جراية نبيهة، وحلق للناس متكلماً على الفروع الفقهية والتفسير. وتصدر للفتيا، وحضر بالدار السلطانية مع مثله. جربته وصحبته، فبلوت منه ديناً ونصفة، وحسن عشرة))[3]. امتحن في بلاد الأندلس، وطرد منها في عام 765هـ/1363م. وعلق ابن الخطيب بقوله: **((وهو من لدن أزعج عن الأندلس ـ كما تقدم ذكره ـ مقيم بتلمسان؛ على ما كان عليه؛ من الإقراء والتدريس))[4].** وقال تلميذه يحيى بن خلدون: **((تصدر للإقراء بغرناطة، وتلمسان؛ وأفتى الناس بالقطرين في النوازل. مدرك، ومحقق))[5].** تاريخ وفاته مجهول؛ وكل ما يعف عنه؛ أنه كان حياً في عام 770هـ/1368م.

---

1 الموافق لـ 1352م

2 هي المدرسة النصرية أو الجامعة التي بناها سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل؛ الذي حكم دولة بني الأحمر من سنة 733هـ/1332م إلى سنة 755هـ/1354م.. له ترجمة في الإحاطة.

3 الإحاطة؛ القسم الرابع، ص ص: 138 - 139.

4 نفسه، ص: 146.

5 بغية الرواد، ج: 1، ص: 132.

شعره

نقل عنه ابن الخطيب ــ عندما زاره بمسجد رابطة العقاب بغرناطة؛ رفقة أبي عبد الله المقري ــ بعض المقاطع من شعره؛ منها:

لما رأيناك بعد الشيب يا رجل

لا تستقيم وأمر النفس تمتثل

زدنا يقينا بما كنا نصدقه

عند المشيب يشب الحرص والأمل

ــ وله أيضاً:

يا من وجدناه لفظا

حقيقة في المعالي

مقدمات علاكم

أنتجن كل كمال

وكل نظم قياس

خلوت منه فخال

ـ ومما قاله من شعر أيضاً:

يحييك عن بعض المنازل صاحب

صديق غدت تهدى إليك رسايله

مقدمة حفظ الوداد وسيلة

ولا ود إلا أن تصح وسائله

يسايل عنك الدارسين ولم يكن

تغيب لبعد الدار عنك مسايله

وقد اختار سكنى تلمسان؛ بعد إخراجه من الأندلس فاشتغل في تلمسان بالتدريس والإقراء.

* * *

موسى بن يوسف

ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان

(ابو حمو الثاني)

لقد استغرق الحديث عنه مطولاً في الجزء الأول من هذا الكتاب ـ خلال الدور الثالث من دولة بني زيان ـ وسيقتصر الحديث في هذا المجال على أدبه وشعره.

المهم؛ أن أبا حمو ولد بغرناطة في عام 723هـ/1323م؛ كما أجمع عليه ابن الخطيب، ويحيى ابن خلدون، والتنسي؛ بينما يقول صاحب روضة النسرين أنه ولد بغرناطة في عام 722هـ/1322م. وكان ابن الخطيب قد خصَّ أبا حمو بترجمة في كتابه الإحاطة في أخبار غرناطة؛ قال فيها: **((هذا السلطان مُجْمِعٌ على حزمه، وضمِّه لأطراف ملكه. واضطلاعه بأعباء ملك وطنه، وصبره لدولة قومه. وطلوعه بسعادة قبيله. عاقل، حازم، حصيف، ثابت الجأش، وقور مهيب، جماعة للمال، مباشر للأمور، هاجر لِلَّذَات، يقظ، متشمر. قام بالأمر غرة ربيع**

الأول في عام ستين[1]، مرتاش الجناح بالأحلاف من عرب القبلة، معولاً عليهم عند قصد عدوه؛ وحلب ضرع الجباية، فأثرى بيت ماله، ونبهت دولته، واتقته جيرته؛ فهو اليوم ممن يشار إليه بالسَّداد. ووجه لهذا العهد في جملة هدايا ودية، ومقاصد سنية، نسخة من كتابه المسمى بواسطة السوك في سياسة الملك[2]؛ افتتحه بقوله: "الحمد لله الذي جعل نعمته على الخلق؛ بما ألفهم عليه من الحق، شاملة شايعة، ويسر طوايف من عباده لليسرى، فأتت إليها مساعدة مسارعة، وحضهم على الأخذ بالحسنى، ولا أحسن من نفوس أرشدت، فأقبلت لإرثها طالبة ولربها طايعة، ولا أسمى من همم نظرت بحسن السياسة في تدبير الرياسة، التي هي لأشتات الملك جامعة ولأسباب الملك مانعة، وأظهرت من معادنها درر الحكم، وغرر الكلم لايحة لامعة، فاجتلت أقمارها طالعة، واجتنت أزهارها يانعة. وصلى الله على سيدنا محمد الكريم، المبعوث بالآيات البينات، ساطية ساطعة، والمعجزات المعجمات

---

[1] المقصود هنا في سنة سبعماية وستين 760 هـ/1358م.

[2] طبع هذا الكتاب بمطبعة الدولة التونسية سنة 1279هـ/1862م. كما توجد نسخة مخطوطة منه بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ تحت رقم: 1374.

قاصمة لظهور الجاحدين قاطعة. الذي زويت له الأرض، فتدانت أفكارها وهي نابية شاسعة، واشتاقت له المياه؛ فبرزت بين أصابعه يانعة، وامتثل السحاب أمره، فسح باستسقايه درراً هامية هامعة، وحن الجذع له، وكان حنينه لهذه الآيات الثلاث آية رابعة، إلى ما لا يحصى مما أتت به متواترات الأخبار، وصيحات الآثار، ناصرة لنبوته ساطعة. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وعترته التي أجابت داعي الله خاشية خاشعة، وأذعنت لأوامر رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ فكانت من الاستبداد خالية، وللأنداد خالعه، صلاة ديمتها دايمة متتابعة، وسلم كثيراً". جمع فيه الكثير من أخبار الملوك وسيرهم، وخص به ولده وولي عهده؛ فجاء مجموعاً يستظرف من مثله، ويدل على مكانه من الأدب ومحله. وثبت فيه الكثير من شعره؛ فمن ذلك قصيدة أجاب فيها أحد رؤوس القبايل، وقد طلب منه الرجوع إلى طاعته، والانتظام في سلك جماعته، وهي:

تذكــرت أطلال الربوع الطواسم

وما قد مضى من عهدها المتقــادم

.............................إلــخ[1].

((قلــت: ولمــا تعرفــت كلفــه بــالأدب، والإلمــام بمجاورتــه؛ عزمــت عــلى لقايــه، وتشوقــت عنــد العــزم عــلى الرحلــة الحجازيــة؛ إلــى زيارتــه. ولذلــك كنــت أخاطبــه بكلمــة منهــا:

على قدر قد جيت قومك يا موسى

فجلت بك النعمى وزالت بك البوسى

فحالــت دون ذلــك الأشغال. وهــو بحالــه الموصوفــة إلــى هــذا العهــد. وفقــه اللــه، وسايــر مــن تــولى أمــراً مــن أمــور المسلميــن. وجــرى ذكــره فــي رجــز الــدول[2] مــن نظــمي:

بادرهــا المفــدي الهمــام موسى

فأذهب الرحمــن عنها البــوسى

جــدد فيهــا الملــك لمــا أخلقــا

وبعث السعــد وقــد كــان لقــا

---

[1] الإحاطـة، القسـم الرابـع، ص ص: 63 - 65.

[2] وهـو بعنـوان رقـم الحلـل في نظـم الـدول.

ورتـــب الرتبـــا والرسومـــا

وأطلـــع الشمـــوس والنجومـــا

واحتجـــن المـــال بهـــا والعـــدة

وهو بها بـــاق لهـــذي المـــدة

ولـــد بمدينـــة غرناطـــة؛ حسبمـــا وقعـــت عليـــه بخـــط الثقـــة مـــن ناســـه؛ فـــي أول عـــام ثلاثـــة وعشريـــن وسبعمايـــة))[1].



[1] الإحاطة، القسم الرابع، ص ص: 72 - 73.

شعره

ـ قصيدة لأبي حمو؛ أنشدتها فرقة السماع بالمشور في تلمسان؛ بمناسبة المولد النبوي الشريف:[1]

هَوَيْنا الظِّبَا وألفْنَا الظِّبَا[2]   وكمْ منْ فُؤادٍ إليها صبَا

إلى أنْ بَدَا الشَّيبُ في مَفرقي   وأجْريت من خَيلِهِ أشْهَبَا

فأيْقظَني الشيب من غفلتي   ففي لِمَّتِي[3] منْ حَديثي نَبَا

وقدْ عادَ غضَّ شَبابي به   محيلاً ولونْي غدا مذْهبا

فوا أسَفي منْ ذُنوبٍ مضت   تقضَّيتها في زَمانِ الصبَّا

وكم لُمْتُ نفسي فَما أقلعتْ   وعاتَبتُ قلبي فَما أعتَبا

وكمْ قدْ بكيتُ لذنبٍ جنيتُ   وقلبي نَهَيتُ ولَكِنْ أبَى

مُسيءٌ قَسا قلبُهُ إذْ أسا   فَذابَ أسَى عِندَما أذْنَبا

لَقدْ حقّ أبْكي على زلّتي   فَذَنْبي لِحجْرِيَ قَدْ أوجَبا

ولَيسَ لِخطْبي وتَمْحيصِ ذَنْبي   سِوَى فرْطِ حُبّي لأهْلِ العبا

فَيا أهلَ ودّي لقدْ زادَ وجْدي   إلى أهْلِ نَجدٍ وأهلِ قُبَا

فَذِكْرهُمُ عادَ لي عادَة   وحُبُّهمُ صارَ لي مَذْهَبَا

---

[1] وردت هذه القصيدة في بغية الرواد فقط.

[2] في الأولى: الظِّباءُ؛ مفردها الظَّبْيُ: الغزال. أما الثانية؛ فمفردها؛ الظُّبَّة، وقد جمعها بهذا الشكل للضرورة؛ وتعني: طرف السيف وحَدّه.

[3] اللِّمَّة؛ جمعها لِمَم ولِمام: الشعر المجاوز لشحمة الأذن.

وحُسْنُهُمُ كَمْ مُحِبٍّ صَبَـــا   إلَيْهِ وكمْ منْ فُؤادٍ سَـــبَى

فإنْ يَرْحَموني فَمِنْ فَضْلِهِمْ   وإنْ يَهْجُروني فَيا مَرْحَبَا

وإنْ هُمْ يَجودونَ لي بالرِّضَى   فَيـــا ما أَلَـــذَّ وما أعْذَبـــا

فَيا حادِيَ الرَّكْبِ نَحْوَ الحِمى   إذا جِئْت نَجْداً وتِلْكَ الرُّبَى

فَأَبْلِـــغْ سلامي لِسُكّانِهـــا   ذَكِيٌّ الشَّذا عاطِراً طَيِّبـــا

وقُلْ لَهُمُ يَرْحَمونَ المُحِبَّ   فَما اخْتارَ غَيْرَهُمُ مَطْلَبـــا

فَرِقُّوا لِقَلْبٍ غَدا مشْرقـــاً   وحنُّوا لِصَبٍّ ثَوَى مغْرِبا

فَواكف أجْفانـــهُ ما رَقَى   ولاَعجُ أشْواقِهِ ما خبـــا

حَمَى النَّوم عَنِّي بَرْقُ الحِمى   وَشَاقَ فُؤادي نَسِيم الصَّبَا

فَجِدُّوا السَّرَى لِشَفيعِ الوَرَى   عَسى أنْ تَرَى مُقْلَتي يَثْرِبَا

فالتَمع النّور منْ أرْضِها   واسْتَنْشِق المِسكَ بلْ أطْيَبا

بـــلادٌ مُقدَّســـة حلَّهـــا   نبي الهُدَى المُصطفى المُجْتَبَى

فشهرُ ربيعٍ أتَى بِرَفيـــعٍ   نَـــبيٌّ شَفيعٍ لِمـــنْ أذْنَبـــا

فأهْلاً وسَهْلاً بِمَولى أحَلاَّ   وبَدْرٍ تَجَلَّى جَلاَ غَيهَبـــا

نبيٌّ أتَى رحمَـــة للعبـــادِ   وأظهرَ للحقِّ نوراً خبـــا

ونيرانُ فارسَ قدْ أخْمِدَتْ   فَلِلَّـــهِ ذلـــكَ ما أعْجَبـــا

وكِسرَى تَساقَطَ إيوانُـــهُ   وذاق مِنَ الرُّعْبِ كَاس الظّبَا

وخَرَّتْ قَواعِـــدُ إيوانِـــهِ   وصارَت رَميماً كَمِثْلِ الهَبَا

وكلّمَت الوَحْش للمُصطفَى   ونُطْق الذِّراع لهُ أعْجَبـــا

وحَنَّ لهُ الجِذْعُ مُسْتَوْحِشاً   وكَلَّمَهُ الظَّبْيُ مُسْتَغْربـــا

وشُقَّ لهُ البَدرُ عندَ التَّمامِ ... وردَّتْ لهُ الشَّمْسُ أنْ تَغْربا

وأسْرَى بِهِ لَيلةَ الإرْتِقَــا ... إلى قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أقْرَبا

وكمْ مُعْجِزاتٍ لخيرِ الوَرَى ... تجلُّ عنِ الوَصفِ انْ تحْسبَا

فَيا سيِّداً قدْ حبَــاهُ الإلَــهُ ... على الخَلق طُراً بما قدْ حَبا

ويا منْ سَما قَدرُهُ رِفْعَــة ... ويا منْ عَلاَ في العُلَى مَنْصِبا

يَخُصّكَ موسى بأزْكَى سَلاَمٍ ... يَروقُ النُّفوسَ كَنَشْرِ الكِبَا[1]

ومِسْكٍ فَتيقٍ وزَهْرٍ أنيقٍ ... برَوْضٍ شَرِيقٍ حَوَتْهُ الرُّبَى

فَرَبِّي حَسْبي لِوَجْدي وكَرْبي ... وما لي لِذَنْبي سِوَى المُجْتَبَى

* * *

ـ قصيـدة بعـث بهـا أبـو حمـو سنـة 766هـ/1364م؛ إلى الوزيـر عمـر بـن عبـد الله اليابـاني؛ المستبـد في دولـة بـني مريـن؛ إثـر غـارة قـام بهـا السلطـان الزيـاني علـى الأراضي المرينيـة المتاخمـة لمملكـة تلمسـان[2]:

السَّيفُ أجْدرُ والخطِّيُّ من خطب ... فيها اللجاج وقول غير منتسبِ

---

[1] الكِبَاءُ جمعه كُبَى: عود البخور.

[2] وردت في بغيـة الـرواد.

خطّ الكتائب لا خطّ الكتاب بها

جلية الأمر عند السمر والقضبِ

والحقُّ فرض على الإنسان مفترضٌ

والصّدق أفضل ما أودعت في الكتب

ومن غدا السيف في كفيه عارية

فكيف يدرك ما يرجو من الأرب

فكم تحاول أمراً ليس تدركــه

تخطي الطريق وكم ترمي فلا تصب

قد خنت من بعد أيمان مؤكدة

وتلك عادتكم في سالف الحقب

وكم تجيب لداعي الغيّ مبتدراً

وإن دعوتك يوم الحرب لم تجب

فانصب إلى الحرب ميداناً تشيب له

سود الذوائب بين الحرب والحرب

قدمت طائرك المشؤوم إنّ له

دلائلاً ظهرت في منزل خرب

أخطأت في رأي من خابت روايته

حتى اقتحمت الرّدى من غير ما سبب

تخوض بحراً ولا تخشى عواقبه

وليس يسلكك لجّ البحر بالنجب

عاندت ويحك من أعطاه خالقه

ومن سما ذكره في العلم والكتب

ومن يعارض أمر الله معترضاً

يُمسي ويصبح في بحرٍ من التعب

أيَمْنَحُ المرء والقهّـــار يمنعـــه

أو يوهب الأمر والوهّاب لم يهب

كم غاضب قبلكم قد عاد منتهباً

وطالب خاب والمطلوب لم يخب

من رام إدراكنا رام المحال ولا

ينجو من السّيف من يلج في الهرب

كم رام غيركم ما رمتموه فما

نالوه وانقلبوا في سوء منقلب

جُرْتُمْ على الله في أحكامه ولقد

قطعتمُ الدهر بين اللّهو واللّعـــب

هتكت ستر مرين طالما ستــروا

قتلت ما لكم غدراً بلا سبـــب

تعمدا جـــرعة أخليت دارهـــم

ولم تدع لبني الأملاك من عقب

فلا يغرّك ما قد كان من لعب

شَمِّرْ إزارك جاء الحق فارتقب

لما دعــوت على بعد أجبتكمُ

وقد دعوناك من قرب فلم تجبِ

وقد نـهضت بعون الله متّكـــلاً

على الإله ومن يرجوه لم يخب

بعسكر لجب ضاق الفضاء به

كالبحر أعْظِمْ به من عسكر لجب

عَرَمْرَم زاخر فاضت مواكبه

كأنه سحب أربت على سحب

من كل ليث شجاع فارس بطل

حامي النّمار من الأعجــام والعــرب

على سوابق خيل ضمّر عُرُبِ

تزهى بحليتها كالخُرَّد العرب

من أحمر عسجديٍّ اللّون مذهبه

وأشقر كشعاع الشمس ملتهب

وأدهم متنـــه ليـــل وغرتـــه

صبح فيا حسنه من منظر عجب

وأشهب كشهاب إن رميت به

شيطان كل عدو في الوغى تصب

فالحمر من فلق والشّقر من شفق

والدّهم من غسق والشّهب من شهب

تشن غاراتها في كل منهلـــة

فتنثني بالذي نهـــواه من أرب

بها وطئنا بلاداً لا سبيل لهـــا

وما أردنا تناولنـــاه من كثـــب

حيث الهوادج والبوجات مشرقة

لاحت لمنزل رأس العين كالشّهب

وافت بنو عامر من كل ناحية

في خيلها العرب أو في نجعها الأشب

جاءت إلى نصر حزب الله وابتدرت

كالأسد تبدو عليها سورة الغضب

ومن امام عبيد الله في أمـــم

فاضت مواكبها بالبيد والشعب

كتائب ضاقت الأرض الفضاء بها

في ظل ألوية خفّاقـــة العـــذب

بحر على البر مرتجّ غواربه

من فوقه قطع الرايات كالسّحب

ونحن نقدمهم والنّصر يقدمنـــا

والأرض تهتزّ بالفرسان والنجب

ثم ارتحلنا لتامَسْلَمْت مرحلـــة

وكوكب الفتح قد وافى ولم يغب

إلى ثنيّة بلزوز توجين أتـــت

لمستراح أرحناها من التعب

ثم ارتحلنا على اسم الله تقدمنا

طلائع الفتح في ابرادها القشب

حتى نزلنا على دبدو وساحته

جالت عساكرنا في السهل والهضب

لما بدا للعـــدا ألاّ نجـــاةَ لهــم

ولا قرار وقد أشفوا على الشجب

تضرّعوا وأتوا طوعاً لخدمتنا

بالذّل والذّعر خوف الهلك والعطب

وقد عفونا وإنّ العفو شيمتنـــا

ومن تردّى رداء العفو لم يخب

ونال من عفونا ما كان يأمله

حمو بن زيان بعد القهر والغلب

ومن هناك لوينا نحو ملويـــة

وكم تركنا بها من منزل خرب

ما كل من قاد جيش الزّحف قائده

وليس يذكر غير الماجد الدرب

لمّا دعوناك من قرب فلم تجب

علمت قولك بين الهزل واللعب

ثنيت عنك عنان العزم محتكماً

بالرّأي والحزم لا عجزاً عن الطلب

لا بدَّ من ساعةٍ بيني وبينكـــمُ

تغيب شمس الضُّحَى فيها ولم تغب

وتكتسي الأرض ثوباً كالعقيق ولا

تجري الجداول إلاَّ من دّم سرب

والخيل جائلة والأسد ذاهلـــة

والأرض عارية من ثوبها القشب

هناك تجني ثماراً كنت غارسها

ويحكم الدهر بالآيات والعجب

ونأخذ الثأر ممن قد دنا وقَصَا

من العداة وهذا منتهى أربي

ثم الصلاة على المختار من مضر

خير البرية من عجم ومن عرب

* * *

ـ قصيدة لأبي حمو أنشدها المنشدون في حفل بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف؛ أقيم في المشور بتلمسان سنة 767هـ/1365م[1].

ألفتُ الضنى وألفتُ النحيبا　　وشبَّ الأسى في فؤادي لهيبًا

وحقَّ لنفسي أسًى أن تذوبا　　وللدمع من مقلتي أن يصوبا

وقد كنتُ بالوصل منكم قريباً　　فأصبحتُ بالهجر منكم غريبًا[2]

جفاني الحبيب فسرَّ الحسود　　وأدنى البعيد وأقصى القريبا

وذَنَبِي أوْجَبَ هجري فما　　جفاني حتى جنيتُ الذنوبا[3]

فيا ليت شعريَ هل عطفة　　يكون بها الدهر عيشي خصيبا[4]

فما لي على الهجر من قدرة　　فقد آذَ جسمي وأفنى القلوبا[5]

وقفت رجائي بكم فارحموا　　وقوفي على بابكم مستريبا

غريب فريد أنا بينكم　　وحاشاكمُ تفردون الغريبا

وما لي ذنب سوى حبكم　　وتالله عن حبكم لن أتوبا

فإن تقتلوني حلالاً لكم　　أنا أرتضي ما يرضّي الحبيبا

---

[1] وردت هذه القصيدة في بغية الرواد، وواسطة السلوك.

[2] في: واسطة السلوك. (مخطوط + مطبوع):
((فأصبحت بالهجر أخشى الرقيب)).

[3] سقط هذا البيت في واسطة السلوك.

[4] ورد هذا الشطر في: و. س. (مخ + مط):
((بوصل وعيش يكون خصيبا)).

[5] ورد هذا الشطر في: و. س. (مخ + مط):
((ينيب النفوس ويغشى القلوبا)).

وإن تبعــدوني على زلــتي فشأنكــمُ[1] تغفــرون الذنوبــا
وإنْ ترحموا ترحموا صبَّكــم فظل رضاكم يغــطي العيوبا
أسيــر هواكم قتيــل نواكــم لعــلّ رضاكم يكون قريبــا
فؤادي عليل وجسمي نحيــل وسقمي طويل قَدَ أعْي الطّبيبا
هجرتُ الهجوع نثرتُ الدموع فســرّي أنيــع وقلبي أذيبــا
أُبَكِّي الرسوم وأرعى النجوم أُقاسي الهموم معاً والخطوبــا[2]
أعاتِب نفــسي على زلــــتي فيزداد جسمي ضنًى وشحوبا
مــسيء ألــمَّ بذنــب أذمَّ وأجمــع لمّــا أسا أن يتوبــا
سألتُــك يــا خالــقي توبــة فمــا زلت للسائليــن مجيبــا
خشيتُ المعاصي بيوم القصاصِ إذ ما النواصي تشيب مشيبــا
وأنــت رقيبي يوم الحساب كفى بك يوم الحساب رفيقــا[3]
فكم قد لهوتُ وكم قد سَهــوتُ ولكن دعوتُ سميعــاً مجيبــا
عليمــاً بخطْبي يُفَرِّجُ كــرْبي فمازال ربّي يزيل الكروبــا
مضى العمر يا حسرتي في[4] الضَّلاَ لِ واشتعل الرأس منه مشيبا
وأضحى من الشوق جسمي عليلاً وأمسى من الهجر قلبي كئيبا
أحنُّ إلى الفجر عند الطُّلــوع وللشمس حين تروم الغروبــا

---

[1] في: و. س. (مخ + مط): ((فشيمتكم)).
[2] نفسه؛ جاء هذا البيت هكذا:
((بكيت الرسوم رعيت النجوم * أداري الهموم معاً والخطوبا)).
[3] لا يوجد هذا البيت ف: و. س. (مخ + مط).
[4] في: و. س. (مط): ((ب)).

إذا هبَّـتِ الرِّيـحُ من طِيبَـة تَعَطَّرَتِ الأرض مسكاً وطيبا
وأصبـو[1] إليها ومن أجلهـا أحـبُّ الصَّبا وأحبُّ الجنوبـا
تهـبُّ النواسـم من أرضهـا فيـزداد نار اشتياقي لهيبـا
حنيناً وشوقاً إلى المصطـفى إلى مَنْ به الله يمحو الذنوبـا[2]
إلى خيرِ هادٍ هَـدَى للرَّشـادِ جميع العباد وأخلى الخطوبـا[3]
لخيـر[4] شفيع مكين رفيـع أتى في ربيـع فأحيا القلوبـا
فَأَكْرِمْ بشهر حَوَى كلّ فخـر بميلاد[5] بـدرِ بدا لن يغيبـا
كريم السجايـا عظيم المزايـا جزيل العطايا جميلاً مهيبـا
فيا حاديَ الرَّكْبِ[6] نحو الحمَى إذا جئت ذاك الجناب الرحيبا
وزاد الهوى حين زال النوى وجئت اللّوَى واعتمدت الكثبا
لقبر الرسول مُنَايَ وسُـؤْلي عسى بالوصول سأحْظَى نصيبا[7]
لقبـر التهامي وخير الأنـام وبـدر التمـام شفيعاً حبيبـا[8]
فبلـغ إليـه سـلامي عليـه فـإن لديـه لسقـمي طبيبـا

---

[1] ف: و. س. (مخ + مط): ((فأصبو)).
[2] جاء هذا الشطر في: و. س. (مخ + مط):
((أثار الغليل وأذكى الوجيبا)).
[3] في: و. س. (وجلّى الخطوب).
[4] في: و. س. (مخ + مط): ((أجلُّ)).
[5] نفسه: ((بمولد)).
[6] نفسه: ((العيس)).
[7] جاء هذا البيت في غير هذا الترتيب في واسطة السلوك.
[8] جاء هذا البيت ف: و. س (مخ + مط) هكذا:
((لقبر التهامي لبدر التمام * لخير الأنام شفيعاً حبيبا))

وإن جئت نجـداً وأعلامهـا   فشـق ثراها بدمعي سكيبـا

فيا سعد قوم حـدو كل يـوم   وعن وضع نوم تجافوا جنوبا

حدوا بالنياق فـزاد اشتيـاقي   وسالت سواقي دموعي صبيبا

وزمّوا الحمول وأمّوا الرسول   فجابوا السهول له والسّهوبـا[1]

تَسَـنَّى لهم قصدهم عندمـا   تَسَنَّـمَ كـل نجيـب نجيبـا[2]

ســروا بالدجون[3] ففاضت جفوني   وقد خلَّفـوني مشوقـاً كئيبـا

فقلبي من الشوق في مشـرق   وجسمي في الغرب أمسى غريبا[4]

سقوني كؤوساً تذيب النفـوس   ويرجوك موسى تزيل الكروبا

بحرمة أحمد خيـر الـورَى   رجائي وظنّي به لن يخيبـا

نـبي أتى رحمـة للعبـاد   فأمحى وأمحص عنّا الذنوبـا[5]

وسَـنَّ الشريعـة للمؤمنيـن   وشَنَّ على الكافرين الحروبـا

بمولده أشرق الأفـق نـوراً   وأُلبِسَتِ الأرْضُ حسناً قشيبـا

وكسـرى تساقـط إيوانـه   وكاد من الرعب يلقى شعوبـا[6]

ونيران فارسَ قـد أخمـدت   وإخمادها كان أمراً[7] عجيبـا

وجفَّـت مـوارد أنهارهـم   وقد اعقبت بعد ريّ نضوبـا

---

[1] في: و. س (مخ): ((والشعوبـا))؛ أمـا (مط): ((والشهوبـا)).
[2] اختلف ترتيب هذا البيت في: و. س. (مخ + مط).
[3] في: و. س. (مط): ((في الدجون)). بينما سقط البيت بالكامل من (مخ).
[4] في: و. س. (مخ + مط): ((وجسمي بالغرب أضحى غريبـا)).
[5] نفسه: ((فمحّي ومحّصَ عنـا الذنوبـا)).
[6] في: و. س. (مخ): ((شغوبـا)).
[7] في: و. س. (مخ): ((سـرّاً)).

وحـــنَّ له الجذع مستوحشـــاً[1] وأبدى إليه الأسى والنحيبـــا[2]

دعـــا بالعباد لســـقي البـــلاد فأخصب ما كان منها جديبـــا

وشـــقّ له البـــدر عند تمـــامٍ[3] وكلّمه الظبي يشكو الخطوبا

وكم معجـــزات له أعجـــزت جميع الورى شاعراً أو خطيبا

عليه السلام ما نـــاح الحمـــام[4] وما أضحك الروض ثغراً شنيبا[5]

شنيبا[5]

***

ـ أنشـدت قصيـدة أبي حمـو هـذه؛ في حفـل سمـاع بالمشـور؛ بمناسبـة ليلـة المولـد الكريـم؛ وذلـك في عـام 768هـ/1366م[6].

الحب أضعف جسمي فوق ما وجبا

والشوق ردّ خيالي بالسقـــام هبـــا

---

[1] في: و. س. (مط): ((مستأنساً)).

[2] في: و. س. (مخ) ((وأبكى إليه البكا والنحيبا))

[3] في و. س. (مخ + مط): ((التمام)).

[4] هذا الشطر مختل الوزن. وكذا الحال في: و. س. (مخ)؛ حيث جاء الشطر مختلاً هكذا ((عليه السلام ما تبكّى حمام)). أما (مط) فجاء سليماً هكذا: ((عليه السلام بطول الدوام)).

[5] في: و. س. (مط) ((قشيبا)).

[6] وردت هذه القصيدة في بغية الرواد؛ وواسطة السلوك المطبوع بتونس.

والبين أشعل نار الوجد في كبـــدي

والدمع يضرمها في القلب واعجبـــا

مـــاءٌ ونـــار وأكبـــاد لهـــا شعـــل

والقلـــب بينهمـــا قـــد ذاب والتهبـــا

ضدان قد جمعا عونا على سهـــري

لكن عذابي بها في الحب قد عذبـــا

ما كنت أدريهمـــا حتى صحبتهمـــا

كرها وقد يكره الإنسان مَنْ صحبـــا

أحدهمـــا قاتـــــلي آهٍ إذا اجتمعـــا

وبعض خطبهما للصب قـــد صعبـــا

سهـــدٌ وبُعْـــدٌ وأشواق تلازمـــني

وكلهـــا لعـــذابي قـــد غـــدا سببـــا

أكابـــد الليـــل بالتسهيـــد مفتكـــرا

ولا أبـــالي به إن طـــال أو قربـــا

ليـــلي نهـــار[1] ويـــومي كله فكـــر

والنوم عن مقلتي من بعدهـــم سلبـــا

وقد شغلـــت بقلـــبي كل مشتغـــل

وقد مزجـــت دما بالدمـــع منسكبـــا

---

[1] في: و. س: ((نهـاري)).

وكلها لعــذابي في الهــوى سبــب

ولم أجد لوصـــالي بالنــوى سببــا

أكفكف الدمع من عيــني فيغمرهــا

كم بين مَنْ بات مسرورا ومنتحبــا

من بعد ما كان دهر الأنس يجمعنــا

والسعــد يسعدنا والوصل قد عذبــا

ولا رقيــب ولا واش بحضرتنــا

واليــوم بالبين حالت بيننــا الرقبــا

ما كنت بالوصل قبل اليوم مقتنعــا

واليوم أقنـــع إنْ هبت نسيــم صبــا

كانــوا وكنا وحكــم الدهر فرقنــا

وكم عـــسى يبلغ الإنسان ما طلبــا

وهكــذا الدهر ما زالــت عوائــده

فــلا تثــق بزمـــان بان أو قربــا

يــدني ويبعــد في أحكامــه أبــدا

هــذا بــذاك ولا عتــب لِمَنْ عتبــا

كم نفحـــة بعد قطع اليــأس نافحــة

تهــدي لنا عاطرا من ثغــره شنبــا

وكــم أعلــل قلــبي بعــد فرقتهــم

إن التعلــل للأحبــاب فيــه نبــا

وقد تعلمــت من حــبي لهم خببــا

وخيــل راحتنــا تجــري بنا خببــا

مــا للمحــب دواءٌ غيــر وصلهــم

يبري له السقم والتبريج والوصبــا

وقد تقطــع قلــبي بعدهــم قطعــا

لما نــأوا وقضوا في سيرهم إربــا

سار الأحبة نحو الرقمتين ضــحى

وخلفــوني رهيــن القلــب مكتئبــا

ساروا على البزل والحادي يجد بهم[1]

والقلب مني إلى أرض الحجاز صبا

هذي الأحبــة قد شــدوا[2] مطيهــمُ

وأسرعوا بقباب الــحي[3] نحــو قبــا

ولا رضيــتُ لنفسي غيرهم بــدلا

ولا وجــدت لقلــبي دونهــم طلبــا

ولا سلــوتُ ولا أسلــو لبعدهــــم

إن السلو عن المهجــور قد حجبــا[4]

---

[1] في: و. س: ((يجذبهم)).
[2] نفسه: ((شطوا)).
[3] نفسه: ((الحب)).
[4] نفسه: ((صعبا)).

زمــوا إلى زمــزم والقلب يتبعهــم
والصبــر بعدهــم عني لقد عزبــا
وخلفــوني بغربٍ مغرمــاً بهــــم
أشكو لهم وبهم من عبرتي عجبــا
فقلــت يا حاديا والركب يسمعــني
رفقا على الصب يا حاديِهِــمُ فــأبى
مزجت دمعي دما من بعد رحلتهــم
فأنظــر ترى عجبا للدمع مختضبــا
وكم سحبت ذيولي[1] في الهــوى مرحــا
وكم سفحت دموعي بعدهــم سحبــا
لا تنكــروا حال قيــس في محبتــه
إن الهــوى لم يــزل للحر منتسبــا
يا حادي العيس قف بالله تخبــرني
بيــني وبينهمُ عهــدا تــرى قربــا[2]
في كل عام يسير الركب مرتحــلا
وقد تقيَّدْتُ عن فرضي الذي وجبــا
لولا الخلافــة شدتــني قلائدهــا
لم أقتنــع بخيال أو بريــح صبــا

---

[1] في: و. س: ((دموعي)).
[2] نفسه: ((لقد قربا)).

إلا بجد السرى والسير نحـــو ربي

نجـــد وكاظمـــة أكْـــرمْ بهِـــنَّ رُبَى

لو كان لي قـــدرة ما كنت أتركهـــم

حتى أمـــوت بفرط الحب محتسبـــا

فليس يطفي لهيب الشوق من كبدي

إلا بمـــا زمزم يا سعد من شربـــا

مِنِّي السلامُ على أهل الحطيم ومَـــنْ

أَمَّ المقـــامَ وطاف البيـــت مرتقبـــا

مِنْ مدنفٍ[1] هائم في الغرب مسكنـــه

موسى بن يوسف أفنَى عُمْرَهَ لَعِبَـــا

لكنني أرتجي يوم الحســـاب غـــدا

شفاعـــة لشفيـــع جـــل ذا طلبـــا

فهو الحبيب بأقصى الشرق شوقني

والقلب من أجله في الكرب قد نشبا[2]

صـــلى عليـــه إلهُ العـــرش خالقنـــا

ما غنت الطير في أفنانهـــا طربـــا

ثـــم الســـلام عليـــه دائمـــا أبـــدا

ما أطلـــع الأفـــق من أنواره شهبـــا

---

[1] في: و. س: ((من مذنب)).
[2] نفسه: ((قد نسبا)).

* * *

ـ قصيدة أبي حمو هذه أنشدها أهل السماع في ليلة المولد النبوي الشريف بتلمسان في عام 770هـ/1368م[1].

ألاَ ما لصبٍّ مشوق صَبَا	إذا ما تذكَّر عهد الصبَا
غدا بالغواني يغنّي هوًى	فيا ربع أين الغواني الظِّبا
لقدْ قدَّ قلبيَ شوقي لهم	وبيَّن بَيْنُهُمُ ما خبَا
ومزّق صبرِيَ من بعدهم	فما البيض ما السمر أو ما الظبا
ونوح حمام الحمى شاقه	وأطربه كل ما أطربا
فيا عاذلي كفّ من لومه	فلم تلق أهلاً ولا مرحبا
شجون تهيج لهيب الحشى	فوفد الجوى فَوْدَهُ شيَّبا
فكم ذا أواري أواري وقدْ	تبيَّنَ مِنِّي ما قد خبا
فصبر يقل ووجْد يجد	وسهد يزيد وشوق ربا
فمن لي بالصبر من بعدهم	أَبَى الصَّبر في الحبّ أن يصحبا
فيا سعد من مسعدي في البكا	فقال تعال بنا نندبا
ونجري دموعاً كمثل الدِّما	رَضَى مَنْ رَضَى[2] أو أَبَى من أَبَى
نعلّم فيها لأهل الهوى	علوماً جرى[3] قلّ أنْ يكتبا

---

[1] وردت هذه القصيدة في بغية الرواد فقط.

[2] هكذا.

[3] هكذا أيضاً.

فمن شاء يروي غريب الغرام فأمر غرامِي ما أغربــا
لقد كنت والدَّهر لي مسعد فأغضبني ليت ما أغضبا
فما باله اليوم مُحْلَوْلِكــاً وما زلت أعهده مذهبــا
فخان وأخنى وجوراً جفى وظهــر المِجَنِّ لنا قلبــا
فصرت أعاتبــه إذ عتــا فأسلمني بعــد ما قربــا
فلا دَرّ دَرُّكَ يا دهر قــل أيرجع منك الذي قد نبــا
فقال مجيباً ألست الــذي على الرغم فرقت آل سبا
وأرزَأتهم كلّ ما ملكــوا وأضحت معاهدهم سبسبا
تفانوا جميعاً وما جَمَّعُــوا فأين سبا والذي قد سبى
توالت عليهم أكفّ الرّدى فولّوا وما أن قضوا مأربا
وأنت أخا الصّبر مهلاً إذا بساحك خطب الدّنا طنبا
فمفتاحها الصبر إنْ ضيّقت فصبراً فبالصّبر يرجى الحبا
فكم من جوادٍ جوادٍ كما وكم من حسامٍ حسامٍ نبا
وأعقبــه صبره بعدهــا نجاحاً فيا جلّ ما أعقبــا
فبشراك موسى بنيل المنى بفضل الإلــه فما أقربــا
ويا نفس بشرى بما نلته وإياك إيــاك أن ترهبــا
وبادر إلى الله مستعجلاً ووالِ الصّلاةَ على المجتبى

* * *

ـ أنشدت أيضا قصيدة أبي حمو هذه؛ في حفل عقد بمناسبة المولد النبوي الشريف في عام 766هـ/1364م[1].

يا من يجيبُ ندا المضطر في الدِّيَجِ
ويكشفُ الضُّرَّ عند الضيق والهوجِ[2]

ولُطفُ رحْمته يأتي على قنطٍ
إذا القُنوطُ دَعا يا أزمَةَ انْفَرِجِي

ومَنْ إذا حلّ خطْبٌ واعْترتْ نُوَبٌ
أبدَى اللّطْف ما لم يَجْرِ في المُهَجِ

إنّي دَعَوْتك جُنحَ اللّيلِ يا أمَلي
دُعاء مُبتهلٍ بالعفْوِ مُنْتهجِ

يا كاشف الضرّ عنْ أيّوبَ حينَ دعا
قدْ مَسَّني الضُّرّ فاكشف كربَ كلّ شَجي

أنت المُنَجّي لنوحٍ في سَفينتِهِ
ومُخْرج يونُسا من ظُلمَةَ اللُّجَجِ

يا منْ وَقَى يوسف الصدّيق كلّ أذَى
لما رَمَوْهُ بِجُبّ ضَيّقٍ حَرجِ

---

[1] وردت في بغية الرواد فقط.

[2] كتبت في نسخة أخرى ((والهرج)).

أجـــابَ يعقوب لمّا إنْ بَكَى وشكـــا
وجاءَه منهُ لطـــفٌ لم يَخلْـــهُ يَـــجي
وعاد بَعْدُ بصيـــراً حينَ هـــبّ لـــه
نسيـــمُ نَشْرِ القميصِ الطَّيِّـــبِ الأرَجِ
أنْـــجَى من النَّـــار إبراهيـــمَ رُمِي
فيها وعـــادَتْ سلاماً دونَ ما وَهَـــجِ
يا منْ تكفّـــلَ مـــوسى وهو مُنتبَـــذ
باليـــمّ في جوفِ تابوتٍ على لُجَـــجِ
وأمّـــه مـــنْ أليـــمِ الشّـــوْقِ والِهَـــة
فُؤادُهـــا فـــارِغٌ منْ شِـــدَّةِ الوهَـــجِ
يا مَنْ أعـــادَ لها مِنْ بَعد ما يَئِسَـــتْ
موسى وقُرْبه في المُرْسليـــنَ نـــجي
يا مَنْ كَفَى المُصطفى كيْدَ الأُولى كَفَروا
إذْ جاءَهَـــمْ بكتابٍ غَيْر ذي عِـــوَجِ
يا من وفاهُ الرَّدَى في الغارِ إذْ نَسجـــتْ
بِبابِـــه عنكبـــوتُ خَيْـــر مُنتسَـــج
وكُلّمـــا حاولوا مكـــراً بـــه انْقلَبـــوا
بالرُّعْبِ ما بينَ مكبوتٍ ومُنزَعِـــجِ
مَنْ قد أتَى رحْمَـــة للعالميـــنَ وقـــدْ
أحيَى القلوبَ بوحْيٍ واضِحِ الحُجَـــجِ

مَنْ عَطَّرَ الكَوْنَ طِيبــاً عِنْدَ مَولِــده

وأشْــرَقَ الأفْــقُ من نورٍ لهُ بهــج

من أنْزِلَــتْ فيــه آيــاتٌ مُطهّــرة

أنْوارُهــا كَصَبَــــاحٍ لاحَ مُنبلــجِ

يُبْــلَى الجَديــدانِ أخلاقــاً وجِدَّتَهــا

معَ الجَديدَيْــنِ في نورٍ وفي بَهــجِ

في طَيِّهــا كُلّ عِلمٍ ظَــلّ مُنْدَرِجــاً

وأيّ عِلــمٍ لدَيْهــا غَيْــر مُنْــدَرِجِ

وكــمْ له مُعجِــزات ما لَهــا عَــدَدٌ

جلَّتْ عَنِ الحَصْرِ مِنْ فَرْدٍ ومُزْدوجِ

عمــتْ شفاعَتُــهُ لِلخَلْــقِ كلهِـــمُ

وبالوَسيلــةِ يَــرقَى أرْفــعَ الــدّرَجِ

محمــدٌ خيــرُ خَلْــقِ اللهِ قاطِبَــة

نورُ الهُدَى وإمامُ الرّسْلِ والسُّرُجِ

يا حادِيَ العيسِ عَرِّجْ نَحْوَ أرْبعِــهِ

باللهِ عُجْ بي على ذاكَ المَحَلِّ عُــجِ

للهِ قَــوْمٍ إلى مغْنــاهُ قَــدْ وصَلــوا

بالعزْمِ إذْ وَصلوا الرَّوحات بالدّلج

ساروا فَزاروا وفرْطُ الذَّنْبِ أقعَــدَني

وقَدْ مَزَجْــتُ بدَمْعي كُــلَّ مُمْتَــزِج

فالجِسْــمُ مُنتحِلٌ والدَّمْــعُ مُنهَمِــل

والقلْــبُ مُشتعِلٌ منْ حَرّه الوهــج

وقــدْ تقلّــدْت ما لا يُستَطــاع لــه

مِنَ الخلافة أوْهَى مِنْ قوَى حُجَجِي

يا ربّ عَبْدكَ موسى قدْ دَعاك عَسَى

تُنيلُــهُ نَفحَة مِنْ نَصْــركَ الأرج

فكنْ نَصيري فقدْ أصْبَحْــتُ مُكتئِبــاً

والقلــبُ مِنْ نكثِ الأوْزارِ كالسّبَــج

قدْ ضقــتُ ذَرعاً بزَلاّتي وكثْرَتهــا

فما اعتِــذاري إذا طلبت بالحُجَــجِ

وكمْ قطعــتُ من الأيّــام في لَعــبِ

وفي ضَلالٍ وكمْ ضَيَّعْتُ مِنْ حجَــجِ

وفي البطالة لهْواً قدْ مَضَى عُمُــرِي

آهٍ لتضييعِــهِ في اللَّهْــوِ وَالمــرج

وكمْ عَصَيْتــكَ جهْــلاً ثم تَسْتــرُني

وبابُ فضْلــكَ عنِّي غَيــر مُرْتَتِــجِ[1]

منِّي الإساءَة والإحْســانُ مِنكَ بَــدَا

مِنِّي الذُّنوب وكلّ الفضلِ مِنــكَ رُجِي

---

[1] **أي غيـر مقفـل.**

كمْ جُدْت بالفضلِ والإحســـانِ منكَ وكمْ

سَتَرْت بالفضلِ مِنْ أفْعَالِي السّمـــجِ

إنِّي سَألتُـــكَ بالسِّرِّ الذي ارْتفعَــتْ

به السَّماوات والأرضــونَ لمْ تمــج

أصْلحْ بفضلكَ ما قدْ كانَ من خَلَــلِ

واجْبرْ بحلمكَ ما قدْ بانَ من عــوج

واجْعــلْ لنا مخرجاً في إثرهِ فَــرج

فكمْ نُعامَــلُ بَعدَ الضّيــقِ بالفــرجِ

وصَلِّ صَلاة على المُخْتارِ منْ مُضَرَ

ما لاحتِ الشُّهب في الآفاقِ كالسُّرج

***

ـ لا يعــرف المناسبــة ـ ولا التاريــخ ـ الذيــن نظــم فيهمــا أبــو حمــو هــذه القصيــدة. كمــا أنهــا لــم تــرد إلاّ في واسطــة السلــوك؛ وهي موجــودة كاملــة في مخطــوط المكتبــة الوطنيــة الجزائريــة. أمــا النسخــة المطبوعــة في تونــس؛ فقــد بتــر منهــا سبعــة أبيــات؛ مــن بدايتهــا.

قِفَــا خبــراني عنْ رُســومِ نواهِــجِ

وعــنْ معلمــاتِ طَيِّبــاتِ الأرائِــج

وعنْ أرْض نجدٍ والعذيـــبِ وبـــارقٍ
ولا تُخبـــراني عنْ ذواتِ الدَّمالـــج

وجُوبَـــا الفَيـــافي والمَهامِهِ واسْتَعِـــنْ
على قَطْعِ أسْبابِ النَّـــوَى باللَّواعِـــج

وَعُوجَا[1] بوادي الطَّلْحِ من أرضِ رامةٍ
وزُفَّـــا الهَوادي عِنْـــدَ رَمْلَـــة عالـــج

وإنْ جِئْت نَجْـــداً فانْتَشِقْ منْ تُرابِهَـــا
كَعَرْفِ عَبيـــرٍ أوْ كَطيـــبِ النَّوافِـــح

وإنْ أبْصَرَتْ عَيْنـــاكَ أرْضَ تِهامَـــةٍ
فَبُشْراكَ قَدْ وافَيْـــتَ أسْـــنَى المَناهِـــج

فسَرِّحْ بِطَرْفٍ فَوْق طِـــرْفٍ مُضَمَّـــرٍ
وحُطَّ حمـــولَ البَـــزْلِ بَيْنَ الغَوانِـــج

وقلْ لسُلَيْـــمَى لســـتُ أسْلـــوا بِحبِّهـــا
وأنَّ طَرِيـــق الـــغَيِّ لســـتُ بناهِـــج

وإنْ بَرقتْ من أرضِ نجـــدٍ بَـــوارقُ
تُذَكِّـــرُني[2] عَهْـــدَ الهَوَى والهَـــوادِج

فَصـــرِّحْ بِتِذْكارِ[3] العَقيـــقِ وحاجِـــرٍ
لأنَّ بهـــا يُشْـــفَى غَلِيـــلُ اللَّواعِـــج

[1] كانت في الأصل: ((عَرِّجَا))؛ فصوبها حاجيات هكذا؛ ليستقيم الوزن.
[2] هكذا في النسخة المطبوعة بتونس؛ بينما كتبت في المخطوط: ((تذكرنا)).
[3] هكذا كتبت في النسخة المطبوعة؛ بينما كتبت في المخطوط: ((بأذكار)).

وإنْ جِئْــت أرْضاً بالحِجازِ عَرَفْتَهــا

فَشُــقّ[1] ثَراهــا بالدُّمــوعِ المَــوارج

وقَــضٍ مَناسِيــكَ الحِجــازِ بأسْرِهــا

وزُرْ زَوْرَةً تَقْــضي جَميعَ الحَوايــج

وشُدَّ القوَى من مَتْنِ ضامِرَةِ الحَـشَى

لِخَيْــرِ شَفيــعٍ خصَّصَتْــهُ المَعــارِج

نَــبِيٌّ كَريــمٌ جاءَ بالرُّشْــدِ وَالهُــدَى

إلَى كُلِّ قَلْــبٍ في الضَّلاَلَــةِ مَــارج

جَلَى بالهُــدَى والرُّشْــدِ كلَّ ضلالــةٍ

ومَــحَّى بديــنِ الله ديــنَ الخــوارج

بــهِ انْهَــدَّ أيوانٌ لِكِسْرَى وأُخْمِــدَتْ

لِفَــارِسَ تِلْــكَ النَّــارُ ذاتُ الوَهايــج

وأشْرقتِ الأنْــوارُ من نــور أحمــد

فمنــه استفــادَ الكــونُ كل المباهــج

فبــدرُ الدُّجَى والأنجمُ الزُّهْــرُ كلهــا

وشمس الضحى من نــوره المتبالــج

رســولٌ أتَى بالمعجــزاتِ فلمْ تــدَعْ

براهينهــا مــن حجــةٍ للمُحاجِــج

[1] في النسخة المطبوعة: ((فسق))؛ بالسين المهملة؛ وهو تحريف.

لـه آيــةٌ فـي الغــارِ حيــنَ اسْتِتَــاره
عَنَ أعْيُنِهــم بالعَنكبــوتِ النَّواسِــج

وللهِ مــن قلــبٍ لــه غيــر نائــمٍ
وجســمٍ إلى السَّبعِ السَّماوات عــارج

ومن نـهرِ مــاءٍ قد جــرَى من بنانــهِ
وبحــرِ عطــاءٍ بالنَّــدَى متمــارج[1]

أجَــلّ نــبيٍّ في الخلايــق شافــع
وللجــود بــذَّال وللكــرب فــارج

وما الرُّسْلُ إلاَّ تحــت ظــلِّ لوائــه
وكلهمُ عَــنْ جاهِــه غيــر خــارج

وسيلَتُنـــا لِلَّــهِ حُــبٌّ نَبِيِّنَـــا
بصــدقِ قلــوبٍ لِلْقبــولِ مُحــاوِج[2]

لقــد شَغلتْــني عــنْ حِماكُــمْ قَلايــدٌ
شُغِلتُ بها عن قَطْــعِ تلكَ المعــارج

ســلامٌ كريــمٌ مــن مُحِــبٍّ مُتَيَّــمٍ
بِحُبِّــكَ مَشْغــوفٌ بِذِكْــرِكَ لاهِــج

سلامٌ مِنَ المُشْتاقِ موسَى بن يوســف
مقيمٌ بأقصَى الغربِ ســدَّت نواهــج

---

[1] سقط هذا البيت في مخطوط الجزائر؛ بينما ورد في النسخة المطبوعة.
[2] كتب في المخطوط: ((مخارج))؛ بالخاء الموحدة الفوقية.

على المصطفى والآل والصُّحْبِ كلهم
والأنصار طُــراً أوسها والخـــزارج

***

ـ أنشــد المسمعــون قصيــدة أبي حمــو هــذه؛ في سنــة 763هـ/1361م؛ خــلال حفــل أقيــم بمشــور السلطــان بتلمســان بمناسبــة ليلــة المولــد النبــوي المبــارك[1]

مُشَــوّقٌ تَزَيَّــا بالغَــرامِ وِشاحَــا
مَتَى ما جَــرَى ذِكْرُ الأحِبَّــةِ صَاحَــا
تُعَذِّبُــهُ أشْجانُــــهُ[2] وهــو صابِــرٌ
ويُبْــدي اشْتِياقــاً زَفْــرَةً ونُوَاحَــا
مُحِــبٌ مُشَــوَّقٌ قَيَّدَتْــهُ يَــدُ الهَــوَى
أسيــــرٌ لَدَيْكُــمْ لاَ يُرِيــدُ سَراحَــا
عَــذابي صَلاحٌ في رِضاكُــمْ فَإنَّكُــمْ
رَأَيْتُمْ صُــدودي في الغَــرامِ صَلاحَــا
رَمَيْتُــمْ بِأكْبــادي سِهــامَ نَواكُــــم
وَأوْدَعْتُــمُ قَلْــبي أسًى وجِراحَــا

[1] هذه القصيدة موجودة في بغية الرواد فقط.
[2] الشّجَنَ جمعه شُجونُ: وهو الحزن.

فَتَكْتُـــمْ بِأَلْحـــاظٍ مـــراضٍ فَواتِـــــرٍ[1]

لَقَـــدْ خِلْتُهـــا يَـــوْمَ الصُّـــدودِ رِماحَـــا

تقَطّـــع مـــا بَيـــنَ الحَشـــا وبِمُقْلَـــتي

دُمـــوعٌ جَـــرتْ فَوق الخُـــدودِ سِفاحَـــا

رَكِبْتُ إِلَيْكُمْ مَوْكِـــبَ الشَّوْقِ رائِضـــاً[2]

كَمـــا قَـــدْ رَكِبْتُـــمْ لِلصُّـــدودِ جِماحَـــا

مَزَحْتُمْ بِهَجْري يَومَ جَدَّتْ بِي النَّـــوَى[3]

فَعـــادَ النَّـــوَى جِـــدًّا وكَـــانَ مِزاحَـــا

وَسُلَّـــتْ سُيـــوفُ البَيْنِ[4] بَيْني وبَيْنَكـــمْ

فَلَمْ يُغْـــنِ عَـــنّي ما اتَّخَـــذْتُ سِلاحَـــا

أَهيـــمُ بِمَغْناكُـــمْ وأَنْـــدُبُ رَبْعَكُـــمْ

ويَشْتاقكُـــمْ قَلْـــبي مَســـاءَ صَباحَـــا

أُكافِـــحُ دَهْـــري بالتَّجَلُّـــدِ فيكُـــــمُ

وأُفْـــني زَمـــاني بالغَـــرامِ كِفاحَـــــا

فَلا تُنْكِـــروا مِنِّي التَّنَهُّـــدَ في الهَـــوَى

فَـــلمْ يَـــرَ أَهْـــلُ الحُـــبِّ فيـــهِ جُناحَـــا

---

[1] أي بمآخر عينين ذابلتين لينتين.

[2] المهر المروض والمذلل.

[3] النوى: البعد.

[4] البين: الفرقة.

لِكُــلِّ مُحِــبٍّ في التَّــأَوُّهِ راحَـــــةً

إذا أنَّ مِــنْ فَــرْطِ الغَــرامِ وناحَــا

فَكَمْ زَفْــرَةَ في القَلْبِ أحْرَقَــتِ الحَشَــا

كَنــارِ تُــلاقي في الهُبــوبِ رِياحَــا

أبَحْتُمْ صُدودي في الغَــرامِ ولم تَــرَوا

وِصــالِي في شَــرْعِ الغَــرامِ مُباحَــا

وحَرَّمْتُ وجْــدي لاَ سَلَــوْتُ هَواكُــمُ

وَلاَ رُمْــتُ عَنْــهُ ما حَييــتُ براحَــا

أجــودُ بِنَفْــسي في رِضاكُــمْ صبابَــةً[1]

فَهَــلاَّ مَنَنْتُــمْ بِالوِصــالِ سَماحَـــا

يَخُطُّ كِتــابَ الشَّوْقِ دَمْــعي بِوجْنَــتي

ويَــرْوي أحاديــثَ الغَــرامِ صِحاحَــا

جُفــوني بِماءِ الدَّمْعِ جادَتْ وأضْلُــعي

بِنــارِ غَــرامي لَــمْ يَزَلْــنَ شِحاحَــا

وكَمْ قدْ شَجــاني بــارِقٌ مِنْ جَنابِكُــمْ

يُذَكِّــرُ دَهْــراً بالأحِبَّــةِ راحَـــــا

ألاَ لَيْــت شِعْــري هَلْ أزورُ بِطَيْبَــةٍ

رُبوعــاً بِهــا حَــلَّ الهُــدَى وبِطاحَــا

---

[1] صُبابـة: بقيـة. يقـال: ((لـم أدرك مـن العيـش إلا صُبابـة)).

أسكِّنُ أشْواقي بِقُرْبِ لِقائِهِمْ
وأنْشِدُ قَلْباً بِالأبيطِح[1] طاحَا

لَعُمْري لَقَدْ قَضَيْت عُمْري في الصِّبَا
وأجْرَيْتُ خَيْلَ اللَّهْوِ فيهِ مِراحَا

ووَلَّى شَبابي في التَّصابي وَلاَحَ لي
مَشيبٌ بِهِ عادَ المَساءُ صَباحَا[2]

فَيا حادِياً يَحْدو الرِّكابَ لِطَيْبَةٍ
يَجوبُ بِها بَحْرَ الفَلاةِ طِلاَحَا[3]

إذا جِئْت نَجْداً أوْ نَشقْتَ نَسيمَها
وشمت عَراراً رَبْوَة وبِطاحَا[4]

فَصَرِّحْ بذكري في الخيام وأهلها
ونَاشِدْهُمُ شوقي هناك صراحا

وبَلِّغْ إلى خَيْرِ الأنامِ تَحيَّتي
كَما نَمَّ زَهْرٌ في الرِّياضِ وفاحَا

---

[1] لعله تصغير لاسم موضع بين مكة ومنىً يسمى الأبطح. كما يوجد موضع قديم بوادي حنيفة؛ قرب الرياض الحالية يسمى الأبيطح.
[2] أي به أصبح الشعر أسوداً بعد البياض.
[3] طلاحا: متعبة من السفر.
[4] العَرارُ: نبت له رائحة طيبة. ومعنى هذا الشطر هو: وشممت رائحة العرار في بطاح نجد ورباها. وفي نبت العرار يقول أحد الشعراء:
((تَمَتَّعْ من شَميمِ عَرار نَجْدِ فَما بَعْدَ العَشيَّةِ مِنْ عَرار))

نَــبِيٌّ لَـــهُ فَضْـــلٌ على كُــلِّ مُرْسَـــلِ
أَتَتْ أَلْسُـــنٌ الذِّكْـــرَى بِـــذاكَ فِصاحَـــا
سَـــرَى فَسَمَـــا بالقُـــرْبِ مِنْ رَبِّـــهِ إلى
مَقَـــامٍ رَأى الأمْـــلاكَ عَنْـــهُ نِزاحَـــا
وَشُـــقَّ لَهُ البَـــدْرُ المُنيـــرُ وقدْ غَـــدَوْا
لَـــهُ لاَ إلَى البَـــدْرِ المُنيـــرِ طِماحَـــا
إذا ظَـــمِئَ الأقْـــوامُ يَوْمـــاً سَقاهُـــمُ
بِمـــاءٍ مَعيـــنٍ بِالأنامِـــلِ ساحَـــــا
بِمَوْلِـــدِهِ صُبْـــحُ الهِدايَـــةِ قَـــدْ بَـــدَا
فَـــزالَ بِـــهِ لَيْـــلُ الضَّـــلالِ وزاحَـــا
وأشْرَقَـــتْ آفَـــاقُ بِالنُّـــورِ عِنْدَمَــــا
بَـــدَا وجْـــهُ خَيْـــرِ المُرْسَلِيـــنَ ولاَحَـــا
ألاَ يَـــا رَسُـــولَ اللهِ دَعْـــوَةَ شَيِّـــقٍ
يُؤَمِّـــلُ آمـــالاً لَدَيْـــكَ فساحَـــا
مُقيـــمٌ بِغَـــرْبٍ كـــادَ مِنْ فَـــرْطِ حُبِّـــهِ
يَطيـــرُ اشْتِياقـــاً لَـــوْ أعيـــر جَناحَـــا
وَمَا لي سِـــوَى حُـــبِّي إلَيْـــكَ وَسيلَـــةً
أَمُـــدُّ بِهـــا نَحْـــو الشَّفاعَـــةِ راحَـــا

عُبَيْـــدُكَ[1] موسى مِنْكَ يَرْجـــو شَفاعَـــةً
يَنـــالُ بِهـــا يَـــوْمَ الحِســـابِ نَجاحَـــا
عَلَيْـــكَ سَلامٌ طَيِّـــبُ النَّشْـــرِ عاطِـــرٌ
يَـــروحُ وَيَغْـــدو بُكْـــرَةً وَرواحَـــا

***

ـ قصيـــدة أبي حمـــو هـــذه أنشدهـــا المنشـــدون في حفـــل بمناسبـــة المولـــد النبـــوي الكريـــم؛ أقيـــم بتلمســـان سنـــة 771هـ/1369م.[2]

خليلي قد بان الحبيـــب الذي صـــدَّا
وقد عاقني صبري فلم استطع ردّا
وسَالتْ دموعي فوق خدّي هوامـــلاً
وقد صيَّرت فوق الخدود لها خـــدّا
قد اصفرَّ لوني بعد حسن شبيبـــتي
كما أبيضَّ رأسي بعدما كان مُسْوَدَّا
وقد مرَّ عمري في عـــسى ولعلّمـــا[3]
تواصلني لُبنَى وتهجرني سعـــدى

---

[1] عُبَيْدك: تصغير لكلمـة عبد؛ بغرض التواضـع والخضـوع للـه.
[2] وردت هـذه القصيـدة في بغيـة الرواد، وواسطة السلوك (مخ + مط).
[3] في: و. س (مخ + مط): ((في لعل وفي عسى)).

وتزري بِي الدّنيا بزور غرورهــا

فكم نقضت عهداً وكم نثرت عِقْــدَا

وهذا نذيــر الشّيــب لاح بمفــرقي

يذكــرني خوفاً وينجــز لي وعــدَا

هويت من الدّنيا زخارفها الــتي

بفــرط هواها لا أطيــق لهــا ردًّا

شغفت بها دهراً ولم أدْرِ ما مــضَى

وقد بذلت من بعد قربي لهــا بعــدَا

تشاغلني نفسي ودنيــايَ والهــوَى[1]

وتبعــدني من بعد ما أظهــرت ودًّا

ولستُ بِسَــالٍ عنْ هواهــا كأنّــني

أشابــه بشــراً في محبتــه هنــدَا

لبانة دهري قد تقضّتْ[2] وقد مضت

وجيــش شبابي بالمشيب لقــد قــدًّا

ويا ليت شعري للزمان[3] الذي مضى

أيرجــع مُرُّ العيش من بعده شهــدَا

وتغفر أوزاري وتمحى جرائــمي

وحصر ذنوبي لا أطيــق لها عــدًّا

---

[1] في: و. س (مخ + مط): ((تشاغلني الدنيا ونفسي والهوى)).
[2] نفسه: ((تقضت)).
[3] نفسه: ((بالزمان)).

أنا المسرف الجاني أنا المذنب الذي

أشاهد باب العفو بالذّنب قــد ســدًّا

لقد حقَّ لي أبكي على فرط زلّــتي

وأسكب دمعاً كالعقيــق علا الخــدَّا

إذا ذرفــت عينــاي زاد تفكّــري

وتعظم أفكاري ووجدِيَ لو أجــدَى

أعاتب نفسي في زمان بطالــتي

وقلبي على كسب المآثــم قد جــدًّا[1]

وجيش شبــابي قد مضى بسبيلــه

وجيش مشيبي قد تقــدم لي وفــدَا

وحــالِي بين الحالتيــن كما تــرى

فتطعمــني[2] شوقــاً وتقلقــني صــدًّا

إلهِي هبْ لي منك عفواً ورحمة

فما زلت يا مولايَ تبلغني القصــدَا

وعبدك موسى لم يزل فيك راجيــاً

ومن شِيَمِ المولى بأن يرحم العبــدَا

توسلــت بالمختــار من آل هاشــم

أجِرْني من النّار التي أضرمت وقدَا

---

[1] في: و. س (مط): ((حدّا)).

[2] في: و. س (مخ + مط): ((تطمعني)).

نــبي أتى والكفــر بـــادٍ ضلالـــه

فأهْدَى الهُدَى للخلق يا حسن ما أهْــدَى

هو الرّحمة الهادي الشّفيع لنا غـــداً[1]

هو المصطفى المختار يلهمنا الرُّشدَا

هو الذّخـــر للهول الشّديـــد إذا أتى

ومن ذا سواه للمخـــاف إذا اشتـــدّا

ألا يا ربيـــع الخير لا زلت رائقـــاً

لقد[2] جئت بالرّحمى وخولّتنا السّعـــدَا

لك الفخر[3] صلْ وافخرْ على الحول كلها

فأنـــت لنـــا عيد نوفّي لك العهـــدَا

أتيـــت بمن لم يـــأت دهـــر بمثلـــه[4]

أبـــر بميثـــاق وأزكاهـــمُ مجـــــدَا

وأعظـــم عند الله جاهـــاً وحرمـــة[5]

وأندى الورى كفّاً إذا سئل الرِّفْـــدَا[6]

ســـلامٌ عليه طيِّبُ النَّشْـــر عاطـــرٌ

يفـــوق بريّـــاه الرّياحين والرَّنـــدَا

---

[1] في: و. س (مخ + مط): ((المشفع في غد)).
[2] نفسه: ((فقد)).
[3] نفسه: ((المجد)).
[4] نفسه: ((أتيت بمن لم تـأت أنثى بمثله)).
[5] نفسه: ((ورفعة)).
[6] نفسه: ((إذا سألوا الرفدا)).

سـلام مشـوق من بـلاد بعيـدة

يموت ويحيى من صبابتـه وجـدَا

* * *

ـ قـال أبـو حمـو هـذه القصيـدة في سنـة 773هـ/1371م؛ خـلال غربتـه بأعمـاق الصحـراء؛ وأثنـاء إقامتـه المؤقتـة في تيـڤورارين[1]. حيـث أشـار فيهـا إلى محنتـه، ومـا عانـاه مـن شدائـد؛ وإلى خيانـة الأتبـاع والحلفـاء[2]

قـف بالمنـازل وفقـة المتـردّدِ

ما بيـن نـؤي بالطّلـول وموقـدِ

وإذا مررت على الّربـوع مسلمـاَ

فاسئلْ عَنِ القلـب الغريـب المفـردِ

حـدّث بها خبر الأسى عن مدنـف

بحـلى الغـرام موشّـح ومقلّـد

---

[1] تيـڤورارين: بالجيم المصرية؛ (TigourârÎn)؛ لـذا فـهي ترسم أيضاَ هكذا ((تيڤورارين أو تيقورارين أو تيكورارين)). تقع في الشمال الشرقي لواحات تـوات. وهي مـن أهـم المراكز التجاريـة في الصحـراء؛ إذ تربط تلمسان بالسـودان.

[2] وردت هـذه القصيـدة في بغيـة الـرواد فقط.

هجـــر السّلـــو فمـــا يقـــرّ قـــراره

فيظـــل حلـــف تـــأوّه وتنهّـــد

نزحـــت منازلـــه وشـــطّ مـــزاره

ونـــأت أحبّتـــه بغيـــر تعمّـــــــــدِ

فغـــدا يكابـــد عبـــرة في زفـــرة

للبيـــن بيـــن مصـــوّب ومصعّـــدِ

يا سائـــق الأظعان هل لي بعدهـــم

مـــن منجـــد في حبّهـــم أو مسعـــد

ركبوا بدوراً في الخدور وأدلجـــوا

فسألـــت توديعـــاً فقلـــنَ إلى غـــدِ

فغرقت في دمعي وما يغـــني البكَـــا

ضنّـــوا بتوديـــع فكيـــف بموعـــد

لو كـــان لي يوم الفـــراق تخيـــراً

لفديـــت ظعنهمُ بما ملكـــت يـــدي

تركـــوا المنـــازل بلقعاً وترحّلـــوا

فغـــدت معاهدهـــا كـــأن لم تعهـــد

سحبت عليها الرّامســـات ذيولهـــا

من شَمْـــألٍ وصَبَا تروح و تغتـــدي

وتعوضـــت بالأثْلِ بين عراصهـــا

من بعد ذاك الزّهر والورد النـــدي

ومن الأوانس بالرّيــاض نواعمــاً

بالوحــش يرتــع في خــلاءٍ فدفــدِ

من بعــد طــول تنعّــمٍ ونضــارة

للعيــش فيهــا بالحســان الخــرّدِ

وغنــاء غانيــة سبــت بجمالهــا

تــزهى بكــل مغنَّــج ومــورَّدِ

الشعــر ليل فوق صبــح جبينهــا

يحمى لعقــرب صدغهــا بمجعَّــدِ

ولحاظهــن صــوارم مسلولــــة

فتَكَــتْ بألبــابٍ ولمــا تغمــــد

ومباســمٌ كالأقحــوان تخالهــــا

درّاً بسمــط في العقيــق منضّــد

ولكم ظفرنا بالــرّضى من دهرنــا

وأتــتْ لنا الدّنيــا بوقــت مسعــد

نجني المــنى وبنو الزّمان عبيدنــا

والسّعــد يــدني ما لنا من مقصــد

لا نختــشى في الحيّ رقبة عــاذل

كــلاَّ ولا نصــغى لقــول مفنّــد

نلنــا الــذي شئنــا بدهــر طائــل

من أنعــم دامــت برغــم الحسّــد

حتى إذا شهــر الزّمـــان سلاحـــه

بيــد العــدا مِنْ أسمــرٍ ومهنّــد

ورمى سهامــاً للفــراق كأنّمــــا

كانــت لشــتٍّ جميعنــا بالمرصــد

وأرى بروق القضب في ليل الوغى

ذهبــتْ بأبصــار العلا والسّــؤددِ

والخيل تعثر في طــلى صرعائهــا

ما بيــن مظطجــع وبيــن موسّــد

من كلّ أشهــبِ كالشّهــاب تخالــه

أو أدهــم مثــل الغــراب الأســود

أو أحمــرٍ كالــورد لــون أديمــه

أو أشقــرٍ متجلّــل بالعسجــــد

أو أصفــرٍ منهــنَّ كالخيــريٍّ في

حســن معارفــه كَخَــطٍّ باليــدِ

أو أبلــقٍ حســن الحجــال مرنَّــد

ومدرهــم ومقصــدر ومحـــــدد

أو أشقــرٍ أصدَى فسحــرة لونـــه

سحــر وغرة ووجهــه كالفــرقــدِ

وفــوارسٌ مــن فوقهــنَّ عوابــسٌ

بسلاحهـــا مــن أبتــرٍ أو أملــدِ

فكأنهـــم أسْـدُ الشَّـــرى في غابهـــا

والسّيـــف قـــرع زنـــاده لم يصلـــد

فيجـــول بين جمـــاجمٍ وغلاصـــمٍ

ويقـــدّ كـــلّ مـــدرّع ومحـــدّدِ

ومقانـــبُ مـــن خلفهـــنَّ عساكـــرٌ

طافـــتْ بنا من كلّ شهـــمٍ أمجـــدِ

من عامـــريٍّ ضيغـــمٍ يوم الـــوغى

أو معقـــليٍ بهِمَّـــةٍ لـــم يرفـــدِ

وزناتـــةٌ مـــن خلفنـــا وأمامنـــا

من كل ليث في الحـــروب مُمَجَّـــدِ

وطبولنـــا زَأرتْ كَأُسْدٍ في الـــوغى

وبنودنـــا خفقـــتْ بنصـــر منجـــد

واصطفّتِ الْجَمعان واحتدم الـــوغى

لكنّهـــا خبثـــتْ بســـعي المـــرَّدِ

وجرتْ غشائم خاربِيـــنَ لحربنـــا

مـــن كافـــرِي نعمائنـــا أو جُحَّـــدِ

حـــتى تفـــرَّق جمعنـــا وتشتَّتُـــوا

بسعـــاة كـــلّ مضلـــل أو مفســـدِ

فالبعض منهم قد انزوى لعدوّنـــا

والبعـــض فَـــرُّوا كالنَّعـــام الشُّـــرد

نقضوا العهود وخلّفوني في الوَغَى

بينَ الأعــادي كالغريــب المفــردِ

كفــروا بأنعمنا وخانــوا عهودنا

وأتــوا مــن الخــذلان ما لم يُعْهَــدِ

فهنــاك فرسان العدا طافــتْ بنــا

من كلّ طاغ في الــوغى أو معتــد

فَضَيّتُهَــا صمصامــة روميــة

وهززتُ منها منتهى ضرب اليــدِ

أوردتهــا علق النجيــع من العــدا

نهــلاً وما روِيَت بــذاك المــورد

فلكــم كــررتُ عليهــمُ من كــرَّة

بمشطّــب ومثقّــف ومهنّــدِ

من فوق ضامرة الحشــا وحْشيّــة

جــرداء حجّــر نعلهــا كالجلمــد

فكأنّهــا بــرق يلــوح لشائــم

وكأنّهــا نجــم يلــوح لمهتــد

من خلفنا النّجل الرّضى متسربــل

شهــم اللّقــا فمثلــه لــم يولــد

فكأنّــه في الخيــل ليــث عابــس

يسقي الفوارس في الوغى كأســاً ردي

وإذا انثـــنى نحو العـــداة فكَـــمَ لـــه

من فارس فـــوق التّـــراب موسّـــد

من فوق أشهب ضامر حسن الحلى

فكأنّـــه ريـــح تـــروح وتغتـــدي

دارت بنا الأعـــدا فصرنـــا بينهـــم

كالـــدرّة البيضـــا بليـــلِ أســـودِ

اثنـــانِ كـــانَ الله ثالثـــاً بهـــا

ولكَمْ لـــه عند الشدائـــد من يـــد

ولكَـــمْ عفَـــا ولكَمْ أنـــال تَفَضُّـــلاً

والله ربِّي ناصـــري ومؤيِّـــدي

يا ربّ كـــم آنستـــني في غربـــتي

يا ربّ كَمْ فرَّجْـــت كرب المكمـــد

يا ربٍّ فاجبرْ ما ترى من حالـــتي

يا ربٍّ واجبـــرْ قلـــب كلّ موحـــد

يا نفسِ لا تيئسْ وإنْ طال المـــدى

فالله يجمـــع شمـــل كـــلّ مبعّـــدِ

ستعـــود أيّام السّـــرور وطيبهـــا

وتعود عن قـــرب ليـــالي الأسعـــد

يـــا رب بالبيـــت العتيـــق وأهلـــه

وبجـــاه يثـــرب والنـــبيّ محمـــد

فــرّج بحقّــك كربــتي يا موئــلي

وبحقّ فضلك لا تخيّــبْ مقصــدي

ثــم الصّــلاة على النــبيّ محمــد

مــا غــرَّدت ورق بغصــن أملــدِ

***

ـ رثى أبــو حمــو والــده أبــا يعقــوب يوســف بهــذه القصيــدة؛ إثــر موتــه في ســنــة 763هـ/1361م.[1]

دَنــفٌ[2] تَذَكَّــر حَسْــرَةَ التَّوْديــعِ

وَهَــنِيٌّ وَصْــلِ بالنَّــوَى مَقْطــوعِ

ولِمَــا عَــرَا[3] من فَقْــد خَيْرِ أحيَّــتي

ومَــرارَةِ التَّوْديــــعِ والتَّشْيِيــــعِ

فَبَكَيْــتُ من أسَــفٍ لِــذاكَ كَما بَكَــت

حُزْنــاً عَلَيْــهِ مَنــازِلي وَرُبــوعي

وَجَزِعْــتُ من ألَمِ الفَــراقِ ولَمْ أكُــنْ

يَــوْمَ الكَريهَــةِ في الــوَغَى بِجَــزوعِ

---

[1] هذه هي المرثية التي أوردها يحيي بن خلدون؛ بينما انفرد صاحب البستان بإثبات قصيدة رثاء أخرى سبق ذكرها؛ ومطلعها:
صب تذكر عهداً بالحمى سلفاً * فظل يسكب دمعاً هاطلاً وكفا

[2] دَنِفٌ: المصاب بمرض ثقيل.

[3] عرا: أي ألَمَّ وأصاب.

لَــمْ تَنْصِــفِ الأَيَّـــامُ حَــرَّ فَراقِـــهِ
لَكِنَّـــهُ قَـــدْ أنْصَفَتْـــهُ دُمـــــوعي

عَجَبـــاً لأجْفـــاني سَخـــتْ بِدُموعِهـــا
والقَلْــبُ مُحْتَــرِقٌ بِنـــارِ ضُلُــوعي

هَـــذي تَجـــودُ وَذا يَشُـــحُّ بِنـــارِهِ
فَعنيـــتُ بالمَمْنُـــــوحِ والمَمْنُــــوعِ

والبَيْـــنُ فـــوَّق سَهْمَـــهُ ورَمَى بــــه
عَمْــداً إلى قَلْــبِ الشَّــجي المَوْجــوعِ

آهِ لِوَصْـــلِ قَطَّعَتْـــهُ يَـــدُ النَّـــوَى
ولِحَسْـــرَةِ المَوْصـــولِ وَالمَقْطـــوعِ

الدَّهْـــرُ أفْجَعَـــني وَغَيَّـــر باطِـــني
حَـــتَّى أضَـــــرَّ بِقَلْـــبِي المَفْجـــوعِ

فعدمْـــتُ سلْـــواني وبـــانَ تَصَبُّـــري
وفَقَـــدْتُ خِـــلاَّني فَـــزادَ نُـــــزوعي

ولَكَـــمْ خَشيـــتُ الفَقْـــدَ قَبْـــلَ وُقوعِـــهِ
ولَكَـــمْ حَـــذَرْتُ مَـــرارَةَ التَّوْديـــعِ

يا مُسْعِدي أبصـــرْت ما فَعَـــلَ النَّـــوَى
بِكَريـــمِ قَـــوْمٍ في التُّـــرابِ صَرِيـــعِ

في طَـيٍّ لَحْـــدِ بالثَّــــرَى فَكَأَنَّـــهُ
مـــا كـــانَ في عِـــزٍّ وفي تَرْفيـــعِ

وَالقَصْـــرُ أمْـــسَى ماحِـــلاً مِنْ بَعْـــدِهِ[1]

ومَنَـــازِلٌ تَـــزْهَى بِكُـــلِّ صَنِيـــعِ

ونَمَـــارِقٌ مَصْفُوفَـــةٌ قَـــدْ زُيِّنَـــتْ

مِـــنْ دُرِّهَـــا المَنْظُـــومِ بالتَّرْصِيـــعِ

وَمَقاصِـــرٌ لَـــمْ يُبْـــنَ قَـــطُّ مِثالُهـــا

مِـــنْ قَبْـــلُ لِلْمَأمُـــونِ والمَخْلُـــوعِ[2]

والأسْـــدُ تَخْضَـــعُ والمُلُـــوكُ تَهابُـــهُ

فَلَكَـــمْ لَـــهُ مِـــن سامِـــعٍ ومُطِيـــعِ

ولَكَـــمْ تَزاحَفَـــتِ الْكَتائِـــبُ خَلْفَـــهُ

فَيَـــروعُ بَأســـاً وَهُـــو غَيْـــرُ مَـــروعِ

ولَكَـــمْ عَساكِـــرَ قادَهـــا يَومَ الـــوَغى

مِـــنْ كُـــلِّ صِنْدِيـــدٍ بِكُـــلِّ نجُـــوعِ

مِنْ خيـــرِ قَـــومٍ مِنْ أجَـــلِّ عَشيـــرَةٍ

وَأعَـــزِّ مُنْتَسِـــبٍ إلَيْـــهِ رَفيـــعِ

سِبْـــطُ الحُسَيْـــنِ ابْنِ البَتـــولِ وجَـــدُّهُ

خَيْـــرُ الأنـــامِ أجَـــلُّ كُـــلِّ شَفيـــعِ

مَـــنْ كـــانَ هَـــذا أصْلُـــهُ أوْ فَصلـــه

فَلَـــهُ العُـــلَى في مَنْـــزِلِ التَّرْفيـــعِ

---

[1] أمْسَى ماحِلاً: أي أمسى أجْدَباً

[2] المأمون: هو الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد. والمقصود بـ: المخلوع: هو الأمين بن الرشيد الذي خلعه أخوه المأمون عن سدة الخلافة.

قَدْ حـــازَ أشْتـــات المَحاسِــنِ كُلِّهـــــا

فَاعْجَــبْ لحُسْــنِ ثَنائــهِ المَجْمــوعِ

جُــودٌ ومَجْــدٌ والشَّجاعَـــةُ والنَّـــــدَى

والجُــودُ في طَبْــعٍ لَــهُ مَطْبــوعِ

فَبِكَفِّــهِ بَــأسٌ وفيـــهِ رحَمَـــــة

قِسْمـــانِ بَيْــنَ مُعانِــدٍ ومُطيـــعِ

عَــدْلٌ إذا يَقْــضي وَغَيْــثٌ إنْ يَجِــدْ

وحُسامُـــهُ نـــارٌ لِكُـــلِّ قَريـــعِ

قـــدْ كـــانَ كَهفـــاً لِلأنـــامِ وعـــــدَّة

وحِــمًى لِمــنْ يرْجــوه جِــدٌ مَنيــعِ

حــتَّى دَنـــا منـــهُ الحِمـــامُ فَصابَــه

سَهْــمُ الــرَّدَى وانْبَــث كُــلّ جميــعِ

تــركَ الجميــعَ وصـــارَ عنْ أحبابِـــهِ

لمْ يُغْــنِ ما قــدْ ضَــمَّ من مَجمــوعِ

لــوْ كـــانَ يُعْــرَضُ لِلفِــداءِ فَديتـــهُ

بالـــدُّرِّ ثـــمّ بِعَسْجَـــدٍ مَطْبـــوعِ

وبِمـــا مَلَكْــتُ وناظِــري وحَشاشَــتي

وبِمُهْجَــتي وبقَلْــبي المَصْـــدوعِ

قدْ كــانَ مِنــهُ لَنــا أبــاً ذا رَأفَــــةٍ

كُنَّــا لَــهُ في البِّــرِّ جِـدّ مُطيــعِ

حتى رَمى الدَّهْــرُ المُشَــت بسَهْمِــه[1]

في شَمْلِنــا المَنْظــومِ والمَجْمــوعِ

فاحْــذِرْ زَمانَــكَ لا يَغُــرَّكَ أنَّــهُ

في شَهْـدِهِ يَـأتي بِكُـلِّ فَظيــعِ

وكَذلِــكَ الدُّنْيــا فَــلاَ تَأمَــنْ لَهــا

فَلَكَــمْ تَغُــرُّ بِوَصْلِهــا المَقْطــوعِ

ولَكَــمْ غَــدا في أسْرِهــا مــن ماجِــد

ولَكَــم لَهــا من ضَيْغَــمٍ مَصْــروعِ

أيْــنَ المُلــوك وأيْــنَ ما قــدْ جَمَعــوا

مــن كُــلِّ ذُخْــرِ في الحَيــاةِ رَفيــعِ

ســاروا فلمْ تَسْمَــع لهمْ خبــراً ولــمْ

تَــر منهــمُ أثَــراً يَلــوحُ بِريــعِ

وأبادَهُــمْ صــرْف الزَّمــانِ وخَلَّفــوا

مــا جَمَعــوا مــنْ جِنَّــةٍ وَزُروعِ

لمْ يَبْــق مِنْهــا غَيــر فِعــلِ صالِــحِ

يَمــلاَ الصَّحيفَــةَ أوْ ثَنَــا مَسْمــوعِ[2]

---

[1] المشتي بسهمه: المفرق بسهمه. يقال: ((أشَتَّ بي قومي)): أي فرقوا أمري.

[2] يملا وثنا: بدون همزة للضرورة.

أو حُـبِّ خَيْـرِ المُرسلِيـنَ مُحمـدِ
شَـرَفِ البَرِيَّـةِ دُرَّةِ التَّرْصيـعِ
صـلَّى عَلَيْـه الله مـا لاَحَ الضيِّـا[1]
أوْ حَطَّـتِ الرُّكْبَـانُ بِاليَنْبُـوعِ
ثـم السَّـلام عليـهِ مـنْ مُستَعْصِـمٍ
بِحِمـاه خَيْـر حِـمًى بِخيـر شَفيـعِ
موسَى بن يوسُـف مُرتَجيـهِ في غَـدٍ
لِلفَـوْزِ منْ هَـوْلِ هُنَـاكَ فَظيـعِ

* * *

ـ وهـذه قصيـدة مخمسـة لأبي حمـو أنشدهـا المسمعـون في حفـل بالبـلاط الزيـاني بتلمسـان؛ بمناسبـة ذكـرى المولـد النبـوي الشريـف؛ وذلـك في سنـة 764هـ/1362م:[2]

نزفت لتذكار العقيق دموعي وازداد شوقي للحمى وولوعي
والحب شب أواره بضلوعي من لي بشمل بالحمى مجموعِ[3]
وبجبر قلب بالنوى مصدوع[4]

---

[1] الضيا: بدون همزة للضرورة.
[2] وردت هذه القصيدة في بغية الرواد، وفي واسطة السلوك؛ (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية).
[3] في: و . س (مخ): ((بالهوى مجموع)).
[4] نفسه: ((وبجبر قلبي بالهوى مصدوع)).

*****

هَبَّ النَّسيمُ مِنَ ارْضِ نجْدٍ شَاقَنِي   والبرق أرقني سناه وراقني[1]

والذنب عن وصل الأحبة عاقني   وجرت دموعي كالعقيق وخانني

صبري وكان الشوق أصل خضوعي[2]

*****

حبي شفيع للحبيب إنَ اعْرَضَا   والحب باب للشفاعة والرضا

لكنني ضيعت فيما قد مضى   رمت المسير فلم يساعدني القضا[3]

ولكم نشرت إلى الرحيل قلوعي

*****

قضيت عمري في لعل وفي عسى   والعبد يرغب في الصباح وفي المسا

في زورة تمحو له ما قــد أسا[4]   والقلب منفطر يذوب له أسى

والدمع منحدر كما الينبوع[5]

*****

شأن المحب على زيادة حبه   عزم المسير إلى زيارة حبه

لو كان ساعدني الزمان بقربه   لحططت رحلي في مقدس تربه

وهجرت خلاني له وربوعي

---

[1] هذا البيت في: و. س، (مخ): غير سليم؛ وجاء هكذا: ((والحب أرقني سناه وأراقني)).

[2] في: و. س. (مخ): ((باب خضوعي)).

[3] نفسه: ((فلم يوفاقني القضا)).

[4] هذا الشطر سقط تماماً من مخطوط واسطة السلوك.

[5] في: و. س. (مخ): ((والدمع منسكب كماء ينبوع)).

*****

أخطأت مرباي وغيري ما خطا　　وتبعت غيي في الذنوب وفي الخطا
والشيب وافى والشباب تفرطا　　يا سعد ساعدني على زمن سطا[1]

هل للزمان مساعد برجوع

*****

أسقي[2] الثرى من مدمعي لما همى　　والقلب هام ونار شوقي ضرّما[3]
شوقا لمحبوبي منامي قد حمى　　ولقد شغفت بحب من سكن الـــمى

وحُرِمت لذاتي به[4] وهجوعي

*****

قد زاد شوقي للعقيق وللصفا　　ولروضة الهادي النبي[5] المصطفى
يا أهل ودي أنتم أهل الوفا　　وأنا المحب لكم وقد برح الخفا

وإليكم دون الأنام رجوعي

*****

صبٌ سبى[6] قلبي ودمعي قد جرى　　وهجرت سلواني ولذات الكرى
وبحالتي من شوق نجد ما ترى　　شوقا[7] لمن ركب البراق وقد سرى

---

[1] في: و. س. (مخ): ((زمان سطا)). وهذا يخل بالوزن.
[2] نفسه: ((سُقِيَ)).
[3] نفسه: ((أضرما)).
[4] نفسه: ((معاً)).
[5] نفسه: ((الشفيع)).
[6] نفسه: ((صبا)).
[7] نفسه: ((وجدي)).

لمقام عزٍّ[1] في السماء رفيع

*****

يا ليلة الاثنين نورك قد سما   وانجابت الظلماء[2] عن أفق السما

وانهدّ إيوان لكسرى عندما   خلق النبي الهاشمي معظما[3]

في ليلة غرا بشهر ربيع

*****

والبدر شق بغير إفك[4] يفترى   لمحمد المختار من خير الورى

والجذع حن إليه من غير امتِرَا   والماء نَبْعاً من أنامله جرى

من غير ممنون ولا ممنوع

*****

سعد الزمان[5] بخير من وطئ الثرى   في ليلة الاثنين لاح وأقمرا

يا حاديا يطوي الفلا بيد السرى   رفقا علي فما أطيق تبصرا

عمن تحكم حبه بضلوعي

*****

بهدى رسول الله أمته اهتدت   بظهوره الأصنام خرت وارتدت

وبنوره نيران فارس أخمدت   ودلائل[6] بانت وآيات بدت

---

[1] في: و. س. (مخ): ((بمقام عقلي)).
[2] نفسه: ((الظلمات)).
[3] نفسه: ((ولد النبي الهاشمي الأكرما)).
[4] نفسه: ((شَكٍ)).
[5] نفسه: ((الأنام)).
[6] نفسه: ((وعجائب)).

وشفاعة[1] جاءت لكل مطيع[2]

*****

يا رب كم لي بالذنوب أنوسا ولكم أطلت مع العصاة جلوسا

وسقيت من فقد الحبيب كؤوسا يا رب يرجو منك عبدك موسى

عفوا يبلغ منزل الترفيع[3]

*****

أدعوك دعوة مستهام وَالِهِ أوليتني الإحسان منك فواله[4]

واسمح لعبدك عن قبيح فعاله فوسيلتي حب النبي وآله

خير البرية وهو خير شفيع

*****

[1] في: و. س. (مخ): ((وبشارة)).
[2] ورد هذا المقطع بأجزائه الخمسة في: و. س. في غير هذا المكان؛ بل قبل المقطع الذي يبدأ بـ: ((والبدر شق بغير...)).
[3] هذا الشطر مختل في: و. س.
[4] هذاالشطر مضطرب في: و. س.

ـ هـذه قصيـدة رثـاء؛ قالهـا أبـو حمـو بعـد مـوت والـده أبي يعقـوب يوسـف في سنـة 763هـ/1361م:[1]

صب تذكر عهـداً بالحـمى سلفـاً

فظل يسكب دمعـاً هاطـلاً وكفَـا

وبـات من شدة الإشراف في قلـق

وخامرت عقلـه الأفكـار فانتلفـا

وهيجته الصبـا يومـاً بهـم فصبـا

وصاح من وهج التبريـح وا أسفـا

وظـل يركـض في ميـدان موتتـه[2]

ولا درى ناعي المـوت قـد هتفـا

والدهر منقلـب والعمـر منصـرف

والعبد مقتـرف للذنـب زاد جفـا

بانت شواهـده مـن كـل جارحـة

والدمع أصفح ما قد كان قبـل خفى

---

[1] لم ترد هذه القصيدة إلاّ في زهر البستان؛ بينما أورد صاحب بغية الرواد قصيدة أخرى رثا بها أبو حمو والده. مطلعها:
((دنف تذكر حسرة التوديع * وهنيٌّ وصل بالنوى مقطوع)). جاء في زهر البستان؛ أن أبا حمو نظمها في رثاء والده أبي يعقوب. سيأتي ذكرها لاحقاً.
[2] كتبها حاجيات: ((مِرَّتـه))؛ و((المِـرَّة))؛ معناهـا: الفتل؛ أي فتـل الحبل. ومـن هنـا يبدو أن الأصح هو مـا اعتمدنـاه؛ لأنـه أقـرب إلى مـا رسم في المخطـوط، وأسلـم مـن حيث المعنى.

وكم حمامة وصـــل بيننـــا صدحـــت

وكم غراب النوى في غصنها وقفـــا

لا تأمـــن الدهـــر والدنيـــا وزينتهـــا

إن الزمان ولـــو يدنيـــك منصرفـــا

وكـــم خليـــل تخـــلى عـــن أخلتـــه

وكم خليـــل صفـــا في وده وصفـــا

قد كـــان لي في الدّنـــا أب يساعـــدي

فصار تحت الثّرَى في لحده اكتنفـــا

مددت[1] في ظل نعمـــاه يـــدي زمنـــا

ونلت من رفده في دهـــر ه التحفـــا

رعى جناني وليـــد غيـــر مضطجـــر

حتى ترعرعت في ظـــل له ورفـــا

وكلمـــا قـــد رآني صـــرت يافعـــة

لها وســـرّ وأســـدى لي منه عرفـــا[2]

يا كابـــد الدهر في الثرى ليكسبـــني

ويبتـــني لي في نيل العـــلا غرفـــا

يســـره إن رآني ســـرت في تـــرف

ويستزيد على الأعـــداء بي صلفـــا

---

[1] هكذا استخرجها حاجيات؛ وهو صحيح؛ على عكس ما رسم في المخطوط ((مدت)) وهذا طبعاً يخل بالوزن.

[2] هذا الشطر غير مستقيم. وربما حدث تأخير وتقديم في كلماته؛ مثل ((لي)).

وإن عــراني ما أخشـــاه من دنـــف

بكى ورق وأضحى يشتــكي لهفـــا

كـــأن ذاك الذي قد ذقــت من وجـــل

(أصابه) فهو يشكـــوا ذلك الدنفـــا[1]

لا غرو أنـــا رجـــال لا نـــفيء بمـــا

للوالديـــن علينـــا بالحقـــوق وفـــا

مولاي يوسف أفجعت البنيـــن وقـــد

أضحى وليدك موسى ناحبـــا نحفـــا

لو كنت تفدى بمال أو بنفـــس فـــتى

فدتك نفسي ومـــالي كي أبي نصفـــا[2]

لأهملـــن دمـــوعي مـــا حييـــت وإن

أبقاني العمـــر ترفت الدمـــا ترفـــا

يا فقد يوسف مـــا أبقيـــت لي جلـــدا

يا فقد يوسف إن الصبر عنك عفـــا

مـــا مثـــل يوســـف مفقـــود لفاقـــده

ولا كمـــوسى أخـــو فقد إذا وصفـــا

أصبـــت بالمعضـــل الأدمى بوالـــده

كفقد يوسف لكن حتـــف ذا جحفـــا

---

[1] هذا الشطر غير مستقيم؛ وتنقصه كلمة؛ حتى يستقيم الوزن. وقد اقترح حاجيات كلمة: ((أصابه)).

[2] هكذا رسم.

يا قبر يوســف لا (تهجرك)[1] هاميــة

من الغمام ولا زال الثــرى رعفــا

يا دار[2] كم لك في الأحباب تفجعــني

وهكذا الدهــر ما أوفى ولا نصفــا

فرقتنــا بعدمــا كنــت تجمعنـــــا

وقد نثرت نظامــا إذ وهى الصدفــا

أفجعتني يا زمــان اليــوم في خلّــتي[3]

ما أسرع الموت في الأحباب حين وفى

صارت مساكنهم تحت التراب وقــد

تمزق الود ما قــد كــان مؤتلفــا

الماء والنـــار مجموعان في كبــدي

فأعجب لضدّين في قلــب قد ائتلفــا

نـــار تشــب وأكبــاد تــذوب بهــا

ويــح المعــذب بالجنسين يا لهفــا

أين الذيــن بنــوا من قبلنــا ونــأوا

وشيــدوا أطمــاً واستوطنوا غرفــا

---

[1] الكلمة هنا غير واضحة. غير أن حاجيات وضع كلمة زادت الشطر غموضاً؛ هي: ((لا تهدوك)). أما أنا فأفضل كلمة ((لا تهجرك)).

[2] لم يستسغ حاجيات كلمة ((يا دار))؛ ووضع بدلاً منها كلمة ((يا دهر))؛ لاعتقاده أنها لا تتوافق مع سياق البيت. ولعل الذي يقصده الشاعر هنا؛ هو دار الدنيا الزائلة.

[3] كتبها حاجيات: ((خلدي)).

وظنهـم أن هـاذي الـدار باقيـة
ولم يظنوا بأن الدهـر سـاء صفـا
كم من قرين مـع الأحبـاب مبتهـج
أمسى فريداً وأضحى بـدره كسفـا
وكم غريـب بعيـد الدار ذي حـزن
أضحى من الغرب يبكي اللام والألفا
الموت بـاب وكـل النـاس داخلـه
والعبد يجزَى بما أجنَى وما اقترفـا
واللـه مطّلـع فـوق العبـاد وقـد
يؤاخذ العبد في الدنيـا بمـا سلفـا

* * *

ـ قـال أبـو حمـو قصيدتـه هـذه؛ في سنـة 760هـ/1358م عنـد منطلقـه مـن بـلاد الـزاب؛ في اتجـاه تلمسـان؛ لاستعادتهـا مـن بـني مريـن. وبعثهـا إلى والـده؛ المتواجـد آنـذاك بفـاس؛ مخبـراً إيـاه بعزمـه علـى استـرداد ملكهـم[1].

حان الفراق فكنت منه بمنـزل ودنا الرحيل فكنت فيه بـأولِ

---

[1] **وردت هذه القصيدة في زهر البستان فقط.**

وتَحَكَّمَ البين المشتت والنّـــوَى   فينـــا بفتكـــة سيفـــه المتكلـــلِ

وبَدَا غراب البين في عرصاتها[1]   يرثي عليها منزلاً في منـــزلِ

والوصل ولّى راحلاً في إثـــره   قاضي الفراق على كثيب محجلِ[2]

خلت المعالم والطلـــول دوارس   وذوى الرياض وكل ربع مزبل

والدار أمست بلقعاً[3] من أهلهـــا   يـــرثي عليها كل طيـــر أليـــلِ

والورق[4] نائحة على أغصانهـــا   نوح الشجيّ المدنف المتعلـــلِ[5]

فسمعـــت هاتفـــة على أفنانهـــا   تشكـــو بصوت بيّن لم يجهـــلِ

فنشدتهـــا عن حالها فترنمـــت   وبكت وأبكت صمّ صخر الجندل

قالت وأشواق النوى لعبت بهـــا   عن غير حالي يابن آدم فاسألِ

أوما رأيت الروض أمسى مقفراً   لعبت به ريح الصبا والشمـــأل

هـــاذي دياركمُ وَهاذي أرضكم   بالأمس قد كانوا بهذا المنـــزل

دعني أنوح عليهم طول المدى   أبكي عليهم جدولاً في جـــدولِ

---

[1] البين: هو الفراق. وعرف عن العرب الميل إلى التشاؤم عند سماعهم صوت الغراب ورؤيتهم شكله؛ إذ كانوا يعتقدون أن نعيق الغراب؛ يجلب الفراق للأحبة. فعبروا عن تشاؤمهم بعبارة: " غراب البين" أي غراب الفراق. أما العرصات: فهي الساحات الفاضية بين الدور.

[2] محجل هنا: مشهور.

[3] أي أمست قفراً.

[4] الورق؛ مفردها ورقاء: وهي أنثى الأورق؛ أي الحمامة ذات اللون الرمادي الممزوج بالسواد. وقد حرفت في زهر البستان؛ فجمعت هكذا: والأرق؛ فصححها عبد الحميد حاجيات.

[5] الشجي: الحزين. المدنف: ذو المرض الثقيل. المتعلل: المتضر المعذور.

فشفيت لما أن علمت حديثهــا   والجفن يغرق بالدموع الهُطّــلِ
ناديتهــا والجسم مــني قد فنَى   وعلى فؤادي غمــرة لم تنجــلِ
لو ذقت يا ورقاء ما قد ذقتــه   لحرقت أغصان الأراك الميــلِ
كــم حرقة كم زفرة كم لوعــة   يحلــو لديها كل صعب مذهــل
وشواهدي هم هؤلاء كما ترى   بانــوا وكل مبيــن لم يجهــل
دمعي يسيح وزفرتي لا تنقضي   والسَّهر أنْحلَني وعَــذْلُ العُذَّلِ
لو ذاق قاسي القلب ما قد ذقته   لغدوا سكارى في محل مهمــل
أو حلّ ما بي بالجبال تدكدكت   دكاً وأمست مثل كحل المكحل
والحال تنبئ والكواكب تشهــد   أني أراقبهــا ولــم أتخيــل
حالي يطول ومحنتي لا تنقضي   كم لي بميدان الوغى من محفل
لابد من سوق النجوع مغربــاً   حتى تكــلّ متونها بالأحمــل
وترى الفوارس دائرات بالعدى   تسقي لواردها نقيــع الحنظــل
وإمامها قطب الوفا بحر الندى   عطالها يوم الــوغى بالعيطــل[1]
صدامهــا ردلحهــا حكامهــا   شرادهــا ورادهــا بالفيصــل[2]
موسى الهمام ابن السراة ذوي العلى   من قد رقي في العز أعلى معقل
لا بد من طيّ[3] السُّرَى لبلادهم   من فوق صهال أغرّ محجــل
وأسير في إعلائــه متبختــراً   متوشحــاً متقلــداً في جحفــل

---

[1] العيطل هنا كناية للرمح الطويل.
[2] الصدّام الذي يضب خصومه بجسده. الردّاح: الثابت. والحكّام: المتحكم في الأمر. والشرّاد: الطراد. الورّاد: الشجاع الجريء: الفيصل: السيف القاطع.
[3] كانت في الأصل: ((لابد من سوق السرى))؛ ففضل حاجيات ما كتب أعلاه.

وقبيل عبد الواد محدقـــة بنـــا من كل ليث ضارب بالمنصـــل

ولها عوال كالشهوب إذا بـــدت قد عدلـــت للحرب أي تعـــدل

والخيل تعثر[1] في الأعنة ضمراً من أشقـــر وأدهـــم ومحجـــل

يا نجل عامر سر بنا واطو السرى ليـــلاً لعل الدهر يدني منـــزلي

يا نجل عامر سر غرست النخل في أوطانها تجنى كطعم السلســـل

يا نجل عامر طال قولي إنـــني أحمي الحمى يوم الوغى بالمنصل

يا نجل عامر دارنا مع داركـــم قد عمرت من بعدنا بالحنظـــل

وأسير من شد السرى متمايـــلاً فوق الأغـــرّ ومقلتي لم تقفـــل

يا سر ما عندي إذا لاحت لنـــا يوما على تلك الرسوم المحـّـــل

ويعـــود دهر قد مضى بسبيله ويعود حسن الروض بعد تذبل

فابلغ سلامي يانسيمات الصبـــا نحو الشقيق الوالـــد المتفصـــل

أعني أبا يعقوب مولانا الـــذي نرجو رضاه وهو غاية من يلي

من آل زيـــان الكـــرام نتاجـــه ياقوتة في وسط سلـــك مجتـــل

من نجله موسى الذي هو لم يزل بين الخلائق كالسماك الأعـــزل

ثم الصلاة على النبي المصطفى ما دام سلطـــان القديـــم الأول

***

[1] حرفت فكتبت: " تعثرى"؛ فصححها حاجيات؛ كما هو ثابت أعلاه.

ـ أورد صاحب زهر البستان هذه القصيدة في سياق القصائد التي قيلت بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في عام 760هـ/1358م[1].

دمع يَنْهَلُّ من المقل لقبيح كان من العملِ

وجوى في الصدر له حرق فالقلب لذلك في شغلِ

ونهيت النفس فما ازدجرت[2] وثناء الصبر فما حِيَلي[3]

ناس ركبوا التقوى ولقد ركبت نفسي طرق الزللِ[4]

أبأذني الوقر فما سمعت والذنب تكاثر من خللي

ليلي سهر يومي فكر دمعي دُرَرٌ بُرئي عللي

نفسي ضجرت[5] لما افتكرت هلا نظرت ما يصلح لي

أثمي كَثُرَا شيبي ظهَرَا وقد اشتهرا والأمر جلي

في قلب شجًا كيف المنجَى لمن الملجا حارت حيلي[6]

---

[1] **وردت هذه القصيدة في زهر البستان، وواسطة السلوك؛ ولم ترد في بغية الرواد. نظمها أبو حمو في وزن الخبب (فِعْلُنْ فِعْلُنْ فِعْلُنْ فِعْلُنْ)؛ وهو أصلاً بحر المتدارك ويسمى أيضاً المحدث (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن)؛ ويجو في فِعْلُنْ = فَعِلُنْ. وفي الأعاريض: فاعلن، وفعلن. وفي الأضرب: فاعلن، وفعلن. فإذا استعمل هذه الجوازات بشكل واسع؛ سمي: خبباً.**

[2] **في واسطة السلوك: ((فما قبلت)).**

[3] **نفسه: ((وتولى الصبر في حيلي)).**

[4] **هكذا في الواسطة (مط) وزهر البستان؛ بينما كتب في مخطوط الواسطة: ((ركبت نفسي على طرق الزلل))؛ وهذا طبعاً يخل بالوزن.**

[5] **في مخطوط واسطة السلوك: ((زجرت)).**

[6] **في واسطة السلوك: ((بارت حيلي)).**

من ينقـــذني من يسعـــدني   من يرحمني من يغفر لي
إلاَّ مَوْلَى يسدي الطُّـــولَى   ربّي الأعلى شافي علـــلي[1]
منشي الرمم معطي القسم   باري النسم محيي الـــدول
أحيا وأعـــاد قبيـــل أبي[2] من عبد الواد [ذي][3] الأسل[4]
أحياها   بي   وبأعـــرابي   وأنا الـــزابي والدولة لي[5]
بي[6] أحياهـــا بي أنشاهـــا   لي أعطاهـــا أزل الأزل
الله قضى والحكم مـــضى   ولنا فرضا[7] فدعوا عذلي
فلـــه الشكر ولـــه الأمـــر   منـــه النصر لا من قبـــلي
حمّلني الملك ومن يقوى   يحمل ما فيـــه من الثقـــل؟
إلاَّ بِمَعُونــــةِ خالقنـــــا   مـــولى النعماء وخير ولي
أحمي المظلوم وأنصــــره   وأقيـــم الحق على عجـــل[8]
نَزَّلْـــتُ[9] النـــاس منازلهم   وتركت الظالم في وجـــل

---

[1] في واسطة السلوك: ((ربي الأعلى محيي الدول)).
[2] في الأصل بزهر البستان: ((أبائي))؛ وهذا تحريف يخل بالوزن.
[3] في الأصل بزهر البستان: ((أولي))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فوجب التصويب؛ كما ورد أعلاه بين حاصرتين.
[4] هذا البيت، والبيت الذي سبقه؛ سقطا في واسطة السلوك.
[5] سقط هذا البيت في مخطوط واسطة السلوك.
[6] في واسطة السلوك: ((لي)).
[7] في الأصل بزهر البستان: ((فرض)). وما ورد أعلاه أفضل.
[8] في واسطة السلوك: ((وأقيم الحق بلا ميل)).
[9] نفسه: ((أنزلت)).

وأنـــا للطفـــل كوالـــده[1] وأسوق الشيخ على مهـــل

والرفق كذلك من شيـــمي[2] والعدل به أعطي أمـــلي

وأنيـــل القاصـــد حاجتـــه وأنيـــل المـــال بلا ملـــلِ

وأنـــا للحـــرب كعنتـــرة[3] وأنا في السلم أخو جـــدلِ

خيـــلي للخيـــر ملجمـــة وكذا للحرب[4] ولا تســـلِ

وأنا مـــوسى وأبو حمـــو أصلحْ للملك ويصلـــح لي

سيـــفي إن ملـــت بقائمـــه أدنى المرَّاق إلى الأجـــلِ

وكذا[5] كفَّـــاي إذا انبسطت من كان مقلا عـــاد مـــلي

أهـــل تلمســـان بدولتنـــا كالشمس لدى برج الحملِ[6]

تفـــنى الدنيـــا ومحبتهـــم فينـــا أبـــداً ما أن ترحـــلِ[7]

ولقـــد بذلـــوا في خدمتنـــا أقـــصى الغايات بلا مثـــلِ[8]

فلهـــم منا عـــدل ونـــدى ولهم منا أقـــصى الأمـــلِ[9]

فبفضـــل اللـــه ورحمتـــه[10] أرشدت إلى أهدى السبـــلِ

---

[1] في واسطة السلوك: ((أحنو للطفل كوالده)).

[2] في الأصل بزهر البستان: ((شيمتي))؛ وهذا يخل بالوزن.

[3] في واسطة السلوك: ((وأنا للحرب كعنترها)).

[4] نفسه: ((وكذا للشر)).

[5] في مخطوط واسطة السلوك: ((وكذلك))؛ وهذا يخل بالوزن.

[6] في واسطة السلوك: ((كالشمس لدى برج الحمل)).

[7] مفسه: ((فينا وحياتك لم تحل)). وهذا أفضل.

[8] نفسه: ((بلا كسل)).

[9] في واسطة السلوك المطبوع: ((ولنا منهم أقصى الأمل)).

[10] نفسه: ((فبفضل الله ومنَّتِه)).

وأنـــا أرجـــو من منَّتِــه[1] أن يغفر لي يوم الخجـــلِ

بعنايـــة أحمـــد سيدنـــا وهو المبعـــث إلى الملـــلِ

مبدي الإسلام ومظهـــره علم التقوى خير الرســـلِ

***

ـ قـــال أبـــو حمـــو قصيدتـــه هـــذه عنـــد فتـــح تلمســـان سنـــة 760هـــ/1358م.[2]

جـــرت أدمـــعي بيـــن الرســـوم الطواســـم

لمـــا شحطتهـــا مـــن هبـــوب الرواكـــم

وقفـــت بهـــا مستفهمـــا بخطابهـــــا[3]

وأي خطـــاب للصــــلاد الصـــلادم

---

[1] في واسطة السلوك المطبوع: ((وأنا أرجو من رحمته)).

[2] وردت هذه القصيدة ـ بالإضافة إلى بغية الرواد ـ في كتابي: زهر البستان البستان وواسطة السلوك.

[3] كتبت في زهر البستان وواسطة السلوك: ((لخطابها)). ويبدو أنه الأصح. أما كلمة ((مستفهماً)) فكتبت في زهر البستان: ((مستخبراً)). والراجح هي كلمة ((مستفهما)) كما جاء في بغية الرواد وواسطة السلوك.

وسـرت علـى جـون أقـب مضمـر [1]
كلمعـة بـرق أو كلمحـة صـارم
وجلـت بطـرف الطـرف في عرصاتهـا
كجولـة واه أو كوقفـة هائـم
وصفقـت مـا بيـن الطلـول خوامـسي
وفاضـت[2] سـواقي الدمـع مثـل الأراقـم
وقلـت لصحـبي لا تملـوا مـن السـرى
ولا يزدريكـم في السـرى لـوم لائـم
سلـوا ساكنـات الـحي[3] أيـن تحملـوا
فقـد عيـل صبـري بيـن تلـك المعالـم
ديـار عهدناهـا بهـا الشمـل جامـع
مـع الغانجـات الآنسـات النواعـم
وكـم ليلـة بـات السـرور مساعـدي
بسعـدى وسلـمى والمـنى أم سالـم

[1] في واسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية): ((وسرت على جون أقب مشحب)). الجون: يقصد به الحصان الأسود اليحمومي، والأسود المشرب حمرة. والقبُّ والقبَبُ: دقة الخصر وضمور البطن. والخيلُ القُبُّ: الضّوامِرُ. قال هذا البيت في وصف حصانه.
[2] في واسطة السلوك (مخ + مط)، وزهر البستان: ((سالت)).
[3] كتبت في زهر البستان، وواسطة السلوك (مخ): ((وسل سامرات الحي)). أما في واسطة السلوك (مط) فكتبت كلمة ((جملات)) بدلاً من ((ساكنات)).

فعــادت رســوم الــدار بعــد أنيسهــا

هشيمــا ولا تخــفى بقايــا المراســم

وكــم نسجتهــا مــن جنــوب وشَمْــأل

وكــم سجعتهــا[1] مــن لغــات الحمائــم

كــأني بهــم والله يــوم تحملــوا

وحــادي النــوى يحــدو بــذات المباســم[2]

قطعـــت الفيــافي بالقـــلاص[3] وإنمــا

تجــاب الفــلا بالخــف أو بالمناســم[4]

وقــد خلتهــا بيــن الريــاح زوابعــا

تسابــق في البيــدا ظليــم النعائـــم

مكحلــة الأحــداق فيهـــا هشاشـــة

مهملجــة الأطــراف ســود المباســـم

ومعهــا أســود الحــرب تطــوي بها الفــلا[5]

يــرون المنايــا بعــض تلــك المغانــم

---

[1] في و . س (مخ) ((شجعتهـا)) وهـو خطـأ.

[2] جاء في و . س (مط) ((يحـدو هـوادي الرواسـم)). أمـا في (مخ) فكتبـت: ((وحـادي النّـوى يحـذو بـذات المباسـم)).

[3] في زهـر البسـتـان، وواسطـة السلـوك (مخ): ((قطعنـا الفيـافي)). القلـوص مـن الإبـل جمعهـا قلائـص وقـلاص: الطويلـة القوائـم.

[4] المَنْسِم جمعـه مَناسِمُ للإبـل والنعام: هـو طـرف الخـف، وشبيـه بظفـر الإنسـان.

[5] في زهـر البسـتـان، وواسطـة السلـوك (مخ): ((السـرى)).

وخضــت الفيــافي فدفــداً بعــد فدفـــد

لنيــل[1] العــلى والصبــر إذ ذاك لازمي

وكــم ليلـــة بتنـــا على الجـــدب والطــوى[2]

نراقـــب نجـــم الصبـــح في ليـــل عاتـــم

عـــلى متـــن صهـــال أغـــر محجـــل

مديد الخطـــا لم يخـــش صعـــب الصـــلادم

تسربلـــت كردوسيـــن مـــن آل عامـــــر

ومـــن آل إدريـــس الشريـــف ابـــن قاســـم

رجـــال إذا جـــاش الوطيـــس تراهــــــم[3]

أســـود الـــوغى من كـــل ليـــث ضبـــارم

وجبـــت الفيـــافي بلـــدة بعـــد بلـــدة

و طوعـــت فيهـــا كـــل بـــاغ وباغـــم

وجئـــت لأرض الـــزاب تـــذرف أدمـــعي[4]

لتذكـــار أطـــلال الربـــوع الطواســــــم

---

[1] في زهر البستـان: ((لطلب العلى)). وف و . س (مخ): ((لقصد)).

[2] الطوى: الجوع.

[3] في زهر البستـان، وواسطـة السلوك (مخ): ((رجـال إذا هـاج)).

[4] أرض الـزّاب: هي المنطقـة الفلاحيـة الواسعـة المحيطـة ببسكـرة. وكتـب في زهر البستـان، وواسطـة السلوك (مخ): ((فاضت مدامـعي))؛ بـدلاً مـن تـذرف أدمـعي.

وشبكـت عشـري[1] فـوق رأسي فلم أجـد
بهـا مخبـراً غيـر الـربى والمعالـم
وجاوزتهـا مـا بيـن هـوج هجائـن[2]
رقـاق الهـوادي[3] عاليـات القوائـم
وجـزت بـأرض ريـغ راغـت بأهلهـا[4]
ببلقعـة[5] قفـر قفتهـا عزائـمي
سألـت ربـوع الـدار فيهـا فلـم أجـد[6]
بهـا معلمـا يـأتي إلـيّ بعالـم
شـددت عـرى للنجـع مـن كل جانـب
وصيرتهـا مثـل الريـاح الرواكـم
تخيلتهـا مثـل القطـا فـي ميسرهـا
وفـوق ذراهـا كـل شهـم وحـازم

---

[1] في زهر البستان: ((شبكت شعري)). ويبدو أن ما جاء في البغية وواسطة السلوك هو الصحيح. لأن تشبيك الأصابع العشر فوق الرأس مما يعبر عنه بالحيرة.
[2] في واسطة السلوك (مخ): ((هوج هواجن)).
[3] في زهر البستان: ((العوالي)). والهوادي هنا أصح؛ ومعناها: ذوات الأعناق الطوال؛ وفي الحديث: ((طلعت هوادي الخيل))؛ إذا بدت أعناقها.
[4] في واسطة السلوك (مخ): ((وجزت بلاد الريغ)). وفي زهر البستان: ((وجزت بأرض الريغ)). راغت: حادت ومالت. يقولون: (راغ الرجل عن الطريق: حاد عنه؛ مكراً وخديعة).
[5] في زهر البستان، وواسطة السلوك (مخ): ((قفراً قفاها))، البلقع والبلقعة؛ جمعها بلاقع: الأرض القفر.
[6] في زهر البستان: ((سألت ربوع الدار يوماً فلم أجد)).

وحفــت بنــا الأبطــال مــن كــل جانــب

يذكرهـــا عهــد الهـــوى الصماصــم[1]

وجئــت لوارجــلا وجــزت مصابهــا

ولا مخبــر[2] غيــر الصـــلاد الأعاجــم

ومازلــت أطــوي سهلهــا وأكامهــا[3]

وأحْطِمُهــا[4] بيــن الــربى والهضائــم

قطعــت الحمــادى[5] والســراب غديرهــا

عــلى هيكــل عبــل الذراعيــن هاجــم [6]

6

مكــر بيــوم الحــرب لا يشتكــي الــونى[7]

مفــر إذا طالــت عظــام الهزائـــم

إلـــى أن بــدا لي وادي زرقــون أزرقــا

وبانــت عليــه شاحبــات الغياهـــم[8]

---

[1] سيف صمصام: قاطع لا ينثني. والسيوف صماصم.

[2] في و . س (مخ و مط): ((ولا مخبراً))

[3] في زهر البستان، وواسطة السلوك (مخ): ((وما زلت أطوي سيرها بأكامها)). أما (مط) من و . س فجاء فيه: ((سهلها بأكامها)).

[4] في و . س (مخ + ومط)، وزهر البستان: ((وأخطبها)).

[5] الحمادى: اصطلح في البلدان المغرب على تسمية الصحراء الحجرية المنبسطة بالحمادى.

[6] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان: ((هاضم)). يقولون: ((رجل عبل عبل الذراعين) أي ضخمهما.

[7] وَنِي ونْياً ونَى: فَتَرَ وضعف وكلّ وأعيا.

[8] في و . س (مخ): ((الغمائم)). الغيْهَم: الظلمة. والغياهم: الظلمات.

طرقت برأسي واستفزيت[1] بالكرى

وكم من ليال بتها غير نائم

وجددت في طلب[2] السرايا مسربلا

بسير حثيث أو سرى متداوم

وكم من بلاد[3] قد قطعت أكامها

وكم نسمة جادت عليها نسائمي

وبين ضلوعي زفرة مستكنة

يصعدها فيض الدموع السواجم[4]

وبتنا نسوق النجع في غيهب الدجى

وخرصاننا فيها كشهب عواتم

إلى ملل ملنا وما ملت السَّرى

سرايا ركاب كالقسي السواهم

ولما بدا لي منزل[5] القوم ظاهرا

وحيهم بين الظلال الغياهم[6]

---

[1] استفز بالكرى: استخف بالنعاس.

[2] في و . س (مخ): ((في طي))، وفي و . س (مط): ((في قصد)).

[3] في زهر البستان وواسطة السلوك (مخ): ((وكم من فيافي)). أما (مط): فكتبت: ((وكم من فيافٍ)).

[4] وهذا البيت لم يأت هكذا في زهر البستان وواسطة السلوك (مخ)؛ بل جاء كالتالي: ((وكم زفرة تعلو من القلب صاعدا جواها وكم دمع على الخد ساجم)).

[5] في زهر البستان، وواسطة السلوك (مخ + مط): ((غيهب القوم)). أي شدة سواد الليل أو الشيء؛ يقولون: (جمل غيهب).

[6] الغيهم وجمعها غياهم: الظلمة.

جبذنا مجابيذا وجدت جيادها [1]

وجالت كما العقبان بين القشاعم[2]

وضمر عناجيج على صهواتها

كرام سماح[3] بالنفوس الكرائم

نطارد فيها الخيل بالخيل مثلها

فكان على الأعداء كر الهزائم

حملنا عليهم حملة مضرية[4]

فولوا شراداً مثل جفل النعائم

فكم خلفوا ما بين بكر وبكرة

ومن غادة ملتفة بالهدائم[5]

وولت[6] سويد ثم خلت مجيرها

وشيخ حماها في الثرى أي جاثم[7]

---

[1] في واسطة السلوك (مخ + مط) كتبب: ((جبدنا مجابيداً وجدت جيادنا)).
[2] في و . س (مخ + مط): ((السغاهم)). وفي زهر البستان: ((السقائم)).
[3] في واسطة السلوك (مخ): ((كرام تجود بالنفوس))، وزهر البستان: ((يجودوا)). أما و . س (مط) فهو مثل بغية الرواد؛ والوزن فيه أسلم.
[4] في زهر البستان، وواسطة السلوك (مخ): ((شددنا عليهم شدة مضرية)).
[5] جاء هذا البيت في واسطة السلوك (مخ + مط)، وزهر البستان على غير ترتيب بغية الرواد، وكتب هكذا:
((وكم خلفوا ما بين بكر وبكرة وكم غادة ملتفة في الهدائم)).
[6] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان كتب: ((فولت)).
[7] جاء هذا البيت في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان مباشرة بعد البيت البيت الذي يبتدئ ب((شددنا عليهم))؛ وقبل البيت الذي يقول: ((وكم خلفوا ما بين بكر وبكرة)). كما جاء عجز هذا البيت فيهم كالتالي: ((وشيخ حماها في لجوج المصادم)).

وطاحت على وادي ملال هشائم

من القوم صرعى للنسور القشاعم

فكانت إلى الطير القشيم فرائسا[1]

وكانت على الأعداء شؤم الذمائم

وهبت رياح النصر من كل جانب

وجاءت[2] إلينا مبهجات الغنائم

ولما قضينا الأمر في الحرب منهم

رحلنا بعون الله نحو المعالم[3]

وخضراء[4] كبود تبدت هضابها

وهبت رياح عاطرات النواسم

درجنا إلى درج ولاحت بشائر

بهلك الأعادي التاعسين الأشائم

ألا أيها الناعي البشير الذي نعى

أمير مرين حزت أسنى المقاسم

---

[1] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان ((فكانوا إلى الطير الغشيم فرائسا)).

[2] في و . س (مخ)، وزهر البستان: ((وكانت))

[3] لم يرد هذا البيت في بغية الرواد؛ بينما جاء في واسطة السلوك (مخ)، وزهر البستان كما سبق؛ أما واسطة السلوك (مط) فكتب: ((ولما قضيت الأمر)).

[4] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان: ((وخضرا كبود)) بدون الهمزة وهو أسلم للوزن الشعري.

لقـــد قـــرب اللــه البعيـــد بهلكــه

فبشـــراك بالخيــرات يــا خيــر قــادم[1]

ولاح[2] لنـــا فرتــون فافتــرت المُــنَى

إلينـــا ابتسامـــا للثغـــور البواســـم[3]

وصـــارت أسـود الغـــاب تـــأتي مطيعـــة

وعـــادت لنـــا الأيـــام مثـــل المواســـم

قطعنـــا الثنايـــا والخميـــس مسربـــل

صلاصلـــه مثـــل الريـــاح القواصـــم[4]

وعجنـــا وعرجنـــا علـــى وادي يســـر

وجزنـــا المخـــاض[5] كالليـــوث الضراغـــم

وفـــي يســـر آمالنـــا يســـرت لنـــا

فجـــددت[6] للأوطـــان فيـــه عزائـــمي[7]

عزائـــمي[7]

وبتنـــا وبـــات النـــوم غيـــر مساعـــدي

وانـــي عـــلى جـــد الســـري جـــد عـــازم

---

[1] هذا البيت والبيت الذي سبقه موجودان في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان؛ بينما سقطا في بغية الرواد.

[2] في و . س (مخ + مط): ((ولاحت)).

[3] نفسه، وزهرالبستان: ((بالثغور البواسم)).

[4] في و . س (مخ): ((قطعنا المنايا والخميس مسربل = صلاصله مثل الرياح النواسم)). وما جاء في بغية الرواد أفضل.

[5] في و . س (مط): ((المخاضي)).

[6] نفسه: ((وجردت)).

[7] نفسه، وفي زهر البستان جاء عجز البيت هكذا: ((فيها عزائمي)).

وسرنـــا[1] ضحى والنصـــر يهفـــو أمامنـــا

برايـــات سعـــد فوقنـــــا كالغمائـــم

قدمنـــا وكـــان الفتـــح يرجـــو قدومنـــا

وكـــان علـــى الأعـــداء شـــر المقـــادم

وصفُّـــوا صفوفـــا ثـــم صفـــت صفوفنـــا

وسالـــت دمـــــوع القـــــوم مثـــل العنـــادم[2]

وجالـــت ليـــوث الحـــرب بيـــن صفوفهـــا

وخـــط بهـــا الخـــطي بيـــن الحلاقـــــم[3]

ولاح شعـــاع الهنـــد بيـــن خميسهـــا

كبـــرق تبـــدى بيـــن درج الأراقـــــم[4]

علونـــا علـــى الصفصيـــف[5] واشتـــد بيننـــا

حـــروب تشيـــب الـــرأس قبـــل الفطائـــم

---

[1] في و . س (مخ): ((وصرنـا ضحىً)).

[2] جاء عجز هذا البيت في و . س (مخ)، وزهر البستـان هكذا: ((وخط بها الخطي بين الحلاقم)).

[3] أما هذا البيت فجاء في زهر البستان كما يلي:
ولاح شعاع الهند بين صفوفها كبرق تبدى بين درج الأراقم

[4] جاء هذا البيت في و . س (مخ):
((ولاح شعاع الهند بين صفوفنـا = كبدر تبدّى بين درج الأراقم)).
أما في زهر البستان كتبت كلمة ((بين صفوفها)) بدلاً من ((بين خميسها)).

[5] في و . س (مخ): ((سمونـا إلى الصفصيف)). وفي (مط)، وزهر البستـان ((سمونـا إلى اصطفطيف)).

كررنـــا عليهـــم كـــرة بعـــد كـــرة

وقـــد شعلـــت[1] للحـــرب نيـــران جاحـــم

بضـــرب يزيـــل الهـــام عـــن مستقـــره

وطعـــن مـــضى بيـــن الكـــلى والحيـــازم

فهـــذا أسيـــر صفَّدتـــه يـــد الـــوغى

وهـــذا قتيـــل فـــي عجـــاج المصـــادم

فطـــوبى لعبـــد الـــواد عنـــد إزدحامهـــم

لقـــد جدلـــوا فـــي الحـــرب كـــل مزاحـــم

وجالـــت خيـــول العامريـــة عندهـــــا

كأســـد الشَّـــرَى في موجهـــا المتلاطـــم[2]

وعـــاد شعـــاع الشمـــس في الجـــو أصفـــرا

وجـــال ذبـــاب السيـــف بيـــن الغلاصـــم

جعلنـــا كراديســـا على كـــــل ربـــــوة

وطالـــت رقـــاب الأســـد تحـــت العمائـــم

شددنـــا عليهـــم شـــدة بعـــد شـــــدة

فولـــوا فـــرارا والتجـــوا للمعاصـــم[3]

---

[1] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستـان: ((سعـرت)).
[2] ورد هـذا البيت في و . س (مخ)، وزهـر البستـان هكـذا:
((وجالت خيول العامرية فوقها * أسود الشرى في بحرها المتلاطم)). أمـا في و . س (مط)، فكتب: ((موجهـا المتلاطـم)) بـدلاً مـن ((بحرهـاالمتلاطـم)).
[3] لا يوجد هذا البيت في زهـر البستـان.

وداروا باسوار المدينة كلها

كدور سوار فوق أبهى المعاصم[1]

وقد برزت من خذرها كل غادة

درجن على الأسطاح درج الحمائم

وقد عاد ذاك الجمع منهم مكسرا

بجمع لنا بين الكتائب سالم

فرامت مرين الصلح بعد فرارها

وقد ظلموا عمداً ولست بظالم

فلا صلح حتى تضرم الحرب نارها

وتسَّاقط الأبدان تحت الجماجم

وتخلى من الأعداء دار عهدتها

مع الآنسات الناعمات الكرائم [2]

دخلت تلمسان التي كنت أرتجي

كما ذكروا في الجفر أهل الملاحم[3]

---

[1] في و . س (مخ)، وزهر البستان: ((فوق حسن المعاصم)). ويبدو أن بيت بغية الرواد وضع في غير موضعة؛ خاصة إذا كان ضرب البيت ينطبق مع سابقه.

[2] في و . س (مخ)، وزهر البستان: ((مع الغانجات الناعمات الكرائم)).

[3] جاء هذا البيت في و . س (مخ)، وزهر البستان هكذا:

((وجئت تلمسان التي كنت أرتجي = كما ذكروه في كتاب الملاحم)).

أما و . س (مط) فكتب ((كما ذكرت)) بدلاً من كلمة ((كما ذكروا)).

فخلصت من غصابها دار ملكنا

وطهرتها من كل باغ وجارم[1]

لقد أسلموها عنوة دون عدة

لقد[2] طلقوها بالقنى والصوارم

ولم يغنهم ما شيدوا من معاقل

ولم يجدهم ما حصنوا من معاصم

ولا كثرة الجيش اللهام ولا الظبى[3]

ولا ما أعدوا من قسي سواهم

إذا لم يكن للمرء سعد مساعد

فما يغنه عد[4] الجيوش الخضارم

نظمنا شتيت الملك بعد افتراقه

وكم بات نهباً شمله دون ناظم[5]

شددنا له أزراً وشدنا بناءه

بأوثق أركان وأقوى دعائم

---

[1] كتب هذا البيت في و . س (مخ)، وزهر البستان:
((وخلصت من غصابها دار ملكنا * وطهرتها من كل باغ وظالم)).
أما و . س (مط) فتتطابق مع بغية الرواد ما عدا كلمة: ((وخلصت)) المكتوبة في و . س بدلاً من ((فخلصت)).

[2] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان: ((وقد)).

[3] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان: ((الجيش اللهام مدرعاً)).

[4] في و . س (مخ)، وزهر البستان: ((فما تغن تعداد الجيوش)). أما في و . س (مط) فكتب: ((فما يغني إعداد الجيوش)).

[5] في و . س (مط): ((غير ناظم)).

فصــــارت[1] ملــوك الأرض تـــأتي مطيعـــة

إلى بابنـــا تبــغي التمـــاس المكـــارم

وجـــاءت لنـــا مـــن كـــل أوب ووجهـــة

تبايعنـــــا طوعـــاً وفـــــود العمائـــــم

أنـــا الملـــك الـــزَّابي ولســـت بـــزابي[2]

ولكنـــني مفـــني الطغـــاة الطماطـــم[3]

إذا مـــا أتـــت مـــن بعـــد ستيـــن سبعـــة[4]

نبيـــد مرينـــاً كـــل طـــاغ وجـــارم

وإني لمفنيهـــم ومفـــني جموعهـــم

وهـــادم مـــا قـــد شيـــدوا مـــن معالـــم

---

[1] في و . س (مخ)، وزهر البستان: ((فعادت ملوك الأرض)).

[2] كتبت في و . س (مط) ((زابئ)). وزَابي الأولى: نسبة إلى منطقة الزّاب الممتدة حول بسكرة. أما زَابي الثانية: فتعني الهروب والانسلال متخفياً؛ لذا فهو ينفي عنه ذلك. ومعنى البيت هنا هو: أنه يقول: أنا الملك المنتسب لمنطقة الزّاب؛ ولكنني مع هذا لست من الذين يهربون وينسلون في الخفاء.

[3] في و . س (مخ + مط)، وزهر البستان كتبت العبارة هكذا: ((مفني الطغات الأعاظم)). أما كلمة طماطم: فمعناها العُجْم.

[4] المقصود هنا: سنة 760 هجرية.

سطيـــح وشـــق أخبـــروا في جفورهـــم[1]
بذلـــك حقـــا تحـــت حســـــــن التراجـــم[2]

فقمنـــا بأمـــر الله فـــي نصـــر دينـــه
وفي كـــفّ[3] مـــا قـــد أحدثـــوا مـــن مظالـــم

فللـــه منـــا الحمـــد والشكـــر دائمـــا
وصـــلى عـــلى المختـــار مـــن آل هاشـــم

***

ـ ذكـر يحـيى بـن خلـدون أن قصيـدة أبي حمـو هـذه؛ أنشدهـا المنشـدون بألحـان ورنـات الإيقـاع بالمشـور بتلمسـان؛ في ليلـة الميـلاد المبـارك؛ مـن سنـة 760هـ/1358م[4].

نـــام الأحبـــابُ ولـــم تَنَـــمِ   عيـــني بمصارعـــة النـــدمِ

---

[1] الجَفر: ضرب من التنجيم؛ سبق الحديث عنه. أما سَطيح: فاسمه ربيع ابن ربيعة (توفي حوالي 572م). وهو كاهن؛ اشتهر بالتنجيم مع صنوه شِق؛ وتقول الأساطير أنه كان دوماً منسطحاً على الأرض؛ لا يستطيع القيام؛ ولا حتى الجلوس. وقد عمر مدة طويلة. أما شِق: فقد توفي (في حدود سنة 583م). ويُعَد ـ مع سُطيح ـ من أشهر الكهان أيام الجاهلية. وتقول الأساطير: أن شِقاً كان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة؛ وقد عمر هو الآخر طويلاً.

[2] هذا البيت والبيتان السابقان غير موجودة في بغية الرواد.

[3] في زهر البستان: ((وفي فك)).

[4] لم ترد هذه القصيدة في زهر البستان؛ بينما وردت في البغية والواسطة.

والدَّمــعُ تحــدَّر كالدِّيَــمِ   جــرح الخدَّيــن فــوا ألــم[1]

وزجرت النفس فما ازدجرت[2]   ونهيــت القلــب فلــم يــرم

ونذيــر الشيــب لقــد وافى   وحلول الشيــب من الهــرم[3]

والعمــر تــولى منصرمــا   آه للعمـــر المنصــــرم

وكـــذا الأيــام لهــا دول[4]   وليالي الدهــر كما الحلــم

والـــدار تـــغــر بساكنهــا   ويــح المغــرور بها النهــم

يا نفــس خدعت بزخرفهــا   كــم ذا تغتــر بهــا وكــم[5]

يا رب ذنــوبي قد عظمــت   فامنـــن بالعفـــو لمجتـــرم[6]

فالعفـــو إلـــهي منـــك وإن   الذنـــب وحقـــك من شيــمي

شأن المملوك الذنـــب وشـــأ   ن المولى العفــو عن الخــدم

إني بذنـــوبي معتـــــرف   والخـــوف أشـــد من الألــم

يـــا رب إذا لـــم تعصمـــني   ما لي بذنـــوبي مـــن عِصــم

كم أجـــني الذنب وتمهلـــني[7]   وتقابـــل ذلـــك بالنعــــم

ولكم أعصيـــك وتستـــرني   يا ذا الأفضـــال وذا الكـــرم

---

[1] في و . س (مط): ((فيا ألمي)).
[2] نفسه): ((فما انزجرت)).
[3] نفسه: ((مع الهرم)).
[4] نفسه: ((لها عبر)).
[5] نفسه: ((كم تغترين بها وكم)).
[6] في و . س (مخ): ((المحترم)).
[7] هذا الشطر في و . س (مخ) مختل الوزن؛ إذ جاء هكذا: ((كم أجني الذنب وكم تمهلني)).

ما زلت بفضلــك ترحمــني وتجــود عــليّ على القــدم[1]

والعبــد ببابــك ملتـــزم وبغيــر جنابــك لــم يحــم[2]

ورضى المحبــوب له أرب ورضـــاك الفـــوز لمغتنـــم[3]

يـــا رب سألتـــك تغفـــر لي بشفيـــع الخلـــق من الأمـــم[4]

أدعـــــوك إلهي معتـــذرا في ضوء الصبح وفي الظلـــم[5]

حـــط العشـــاق ركائبهــــم بيـــن العلميـــن وبالحـــرم

وصروف الدهر تعارضني عمـــا أبغيـــه مـــن القســـم

ســـاروا وذنـــوبي تقعـــدني[6] فقرعـــت الســـن من النـــدم

وبكيـــت الدمع على زلـــلي[7] ومزجـــت الدمع بفيـــض دم

قلبي انفطرا والدمع جـــرى والركب سرى نحـــو الخيـــم[8]

قلبي بهـــواهُ أسيـــرُ هـــواهُ فيـــا شوقـــــاه إلى العلـــم[9]

---

[1] في و . س (مط): ((من القدم)). أما مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية فيتوافق مع ما جاء في هذه النسخة من بغية الرواد.

[2] سقط هذا البيت بالكامل من النسخة المطبوعة لواسطة السلوك. وثبت البيت في مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية؛ ولكن الوزن اختل حين جاء العجز هكذا:
((وبغير حماك لم يحم)).

[3] في و . س (مط): ((يا رب أتلني منك رضى + فرضاك الفوز لمغتنم)).

[4] نفسه: ((بشفيع الخلق وكهفهم)).

[5] في و . س (مخ + مط): ((في جنح الليل وفي الظلم)).

[6] نفسه: ((ساروا والذنب قد اقعدني)).

[7] في و . س (مخ + مط): ((على زلل)).

[8] نفسه: ((نحو العلم)).

[9] نفسه: ((قلب بنواه أسير هواه + فيا شوقاه إلى الخيم)).

سرت الإبل لما ارتحلوا قلبي حملوا في ركبهم

حملوا خلدي أفنوا جلدي تركوا جسدي رهن السقم

بدت الأنوار على الزوار[1] من الأقمار بذي سلم

زاروا الهادي بهوى باد[2] وحدا الحادي عزما بهم

شوا عزموا فازوا غنموا لما قدموا لحمى الحرم

طافوا بالبيت وقد وقفوا ودعوا إذ ذاك لربهم

غفرت بالبيت ذنوبهم عند الإقرار بذنبهم

وغدا المشتاق بزفرته في مغربه يبكي بدم

جسمي بتلمسان دنف والقلب رهين الحرم

قد قيدني ما قلدني من أمر حكيم ذي حكم[3]

ولأني أمر الخلق فلم أسطع سيرا من أجلهم[4]

فاقمت أصلح ما خرقت[5] بالغرب يد الفتن الدهم

وبعثت رسالة مكتئب لشفيع العرب مع العجم

أرجو في الحشر جوائزها من خير وفيّ الذمم

ندمي إن لم أعمل قدمي عوض القرطاس أو القلم[6]

---

[1] في و . س (مخ + مط): ((على السمار)).

[2] نفسه: ((بهوى بادي)).

[3] في و . س (مخ + مط): ((من حكم حكيم ذي حكم)). أما ترتيب البيت فمختلف.

[4] كتب البيت في واسطة السلوك (مخ + مط) هكذا:
((ولأني أمير الخلق فلم = أسطع سفراً من أجلهم)). وهذا أسلم للوزن.

[5] في و . س (مخ): ((لأصلح ما فسدا)). أما (مط) فكتب فيه: ((أصلح ما أفسدت)).

[6] في و . س (مخ + مط): ((ندمي إذ لم أعمل قدمي = عوض القرطاس مع القلم)).

بدعـــا عيـــسى وبإدريســـا يرجو موسى كشـــف الألـــم

ويخصـــك[1] يا أســـنى قمـــر بصـــلاة فائقـــة العظـــم

وســـلام يفضح كل شـــذى مـــا دار لســـان بالكلـــم[2]

***

ـ قـــال أبـــو حمـــو هـــذه القصيـــدة؛ في سنـــة 762هـ/1360م؛ رداً عـــلى قصيـــدة؛ تملـــق بهـــا محمـــد السبيـــع بـــن مـــوسى بـــن إبراهيـــم اليرنيـــاتي؛ كـــان قـــد فـــرّ إلى تلمســـان؛ بعـــد أن قبـــض أبـــو سالـــم المريـــني عـــلى والـــده الوزيـــر[3]:

تَذَكَّـــرْتُ أطـــلالَ الرُّبـــوعِ الطَّواســـمِ

وما قد مَـــضى من عَهْدهـــا المُتقـــادمِ

وقفْـــتُ بهـــا من بَعْـــدِ بُعْـــدِ أنيسهـــا

بصبـــرٍ منـــافٍ[4] أو بشـــوقٍ مُـــلازمِ

---

[1] في و . س (مط): ((ونخصك)).

[2] جاء عجز هذا البيت في واسطة السلوك (مخ + مط) هكذا: ((يزري بالزهر المبتسم)).

[3] هذه القصيدة موجودة في بغية الرواد، وزهر البستان، وواسطة السلوك في سياسة الملوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية). والإحاطة في أخبار غرناطة.

[4] أي بصبر زائد وطويل.

أهيـم بِمَغْناهُـمْ وتنْـدُبُ رَبْعَهُـمْ[1]

وأيّ فـؤادٍ بعدَهـمْ غيـر هائِـــم

تحِـنُّ إلى سَلْـمَى ومَنْ سَكنَ الحِـمى

ومــا حُـبٌّ سلـمَى للفَـتَى بمُسالِـم[2]

فَلاَ تَنْدِب الأطلال واسْأَلْ عنِ الهَـوَى[3]

ولا تَغْـلُ[4] في تِذْكـارِ تِلْـكَ المَعالِـمِ

فإنَّ الهَـوَى لا يَستَفِـزُّ ذَوي النُّـهَي

ولا يَستَـبي إلاّ ضَعيـف العَزائِـمِ[5]

وكُـلُّ فَـتًى أعْـطَى الغَـرامَ قِيـادَهُ

وبــات عـلى ضَيْـمٍ فَلَيْـسَ بِحــازِمِ

فما[6] فــازَ بالعَلْيـا سِـوَى كُلِّ ماجِـدٍ

مُشَمَّــرِ ساقِ الجِـدِّ[7] ماضي العَزائِـمِ[8]

---

[1] في بغية الرواد: ((أهيم بمغناهم وأندب ربعهم)).

[2] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما هو موجود في مخطوط واسطة السلوك مخ، والإحاطة وزهر البستان.

[3] في الإحاطة: ((واسْألْ عن الهوى)). وتندب هنا ليست مثل ((أندب)) السابقة. إذ أن معناها الآن هو: البكاء.

[4] في الإحاطة: ((تَقُلْ)).

[5] في: واسطة السلوك (مخطوط)، والإحاطة: ((إلاّ الضعيف العزائم)).

[6] في بغية الرواد: ((وما))

[7] نفسه: ((العز)).

[8] هذا البيت والبيت الذي قبله سقطا في الإحاطة.

صَبور على البَلْوَى طَهُور مِنَ الهَــوَى

قَريـــب مِــنَ التَّقْــوَى بَعيــد المَآثِــمِ

ومــنْ يَبْــغِ درك المَعلــوات ونَيْلهــا[1]

يُســاوِي بِحُلْــوِ الشَّهْــدِ مُرَّ العَلاقِــمِ[2]

ولائِمَــة لمّــا ركِبْنــا إلى العُـــلَى

بِحــار الــرَّدَى في لُجَّــةِ المُتَلاطِــمِ[3]

تَقولُ بإشْفــاقٍ أتَنْــسَى هَوَى الــدُّمَى[4]

وتَنْــثُــرُ دُراً مِــنْ دُمــوعٍ سَواجِــمِ

إليْــكَ فإنَّــا لا يــرد[5] اعْتِزامَنَـــا

مَقالَــةُ بــاكٍ أو مَلامَــةُ لائِـــمِ

ألَــمْ تــدرِ[6] أنَّ اللَّــوْمَ لُــؤْمٌ وإنَّنــا

لَنَجْتَنِــبُ اللُّــؤْمَ اجْتِنــابَ المَحــارِمِ

فَمــا بِســوَى العَلْيــاءِ هِمْنــا جَلالَــةً

إذا هــامَ قَــوْمٌ بِالْحِســانِ النَّواعِــمِ

بُروقُ السُّيــوفِ المَشْرَفِيَّــاتِ والقَنَــا

أحَــبُّ إليْنــا مِــنْ بُــروقِ المَباسِــمِ

---

[1] في بغية الرواد: ((ومَنْ يَبْغِ إدراكَ المَعالي ونَيْلها)).
[2] في الإحاطة: ((يُساقُ بحَلْق الشَّهْدِ)).
[3] في و ، س، والإحاطة: ((في لجها المتلاطم)).
[4] في و . س . ((هوى الدنا)). ومعنى الدمى: الصورة الجميلة.
[5] في بغية الرواد: ((لا ترد)).
[6] نفسه: ((ألم تدر)).

وأحْسَـــنُ مِـــنْ قَـــدِّ الفَتَـــاةِ وخَدِّهـــا

قُـــدودُ العَـــوالي أو خُـــدودُ الصَّـــوارِمِ[1]

وأمَّا صَهيلُ السَّابِحاتِ[2] لَدَى الوَغَى

فأشْـــجَى لَدَيْنـــا مِنْ غِنـــاءِ الحَمائِـــمِ

إذا نَحْنُ جَرَّدْنـــا الصَّـــوارِمَ لمْ تَعُـــدْ

لأغْمادِهـــا إلاّ بِحَـــزِّ الغَلاصِـــمِ[3]

نُواصِلُ بيـــنَ الهنـــد[4] والهامِ والطُّـــلَى

بِتَفْريـــقِ ما بَيْـــنَ الطُّـــلَى والجَماجِـــمِ

فَيرْغـــبُ مِنّـــا السِّلْـــم كُـــلُّ مُحـــارِبِ

ويَرْهَـــبُ مِنـــا الحَـــرْبَ كُلُّ مُسالِـــمِ[5]

---

[1] **لا يوجد هذا البيت في زهر البستان؛ بينما يوجد في هذه النسخة من بغية الرواد، وواسطة السلوك (مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية)، والإحاطة. ولكن في غير الترتيب المتبع في بغية الرواد.**

[2] **في الإحاطة: ((وأما صميل السابحات)). السابحات: الخيل السريعة.**

[3] **هذا البيت والبيت الذي يليه سقطا من زهر البستان وبغية الرواد؛ وغير موجودين إلا في واسطة السلوك، والإحاطة؛ إلاّ أن عجز البيت كتبت في الإحاطة هكذا: ((إلاَّ غِمَادُهَا الأبْحُرُ الغلاصم)). الغَلاصِمِ مفردها الغَلْصَمَة: اللحم بين الرأس والعنق.**

[4] **هنا كلمة غير مفهومة في مخطوط واسطة السلوك. بينما كتبت في الإحاطة: ((الهند)).**

[5] **هذا البيت غير موجود في بغية الرواد؛ بينما يوجد في مخطوط واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة.**

نَقُودُ[1] إلى الهَيْجَاءِ كُلَّ مُضَمَّرٍ
ونُقْدِمُ أَقْدامَ الأُسودِ الضَّراغِمِ

وما كُلُّ مَنْ قاد الجُيوش إلى العِدَى
يَعودُ إلى أوْطانِهِ بالغَنائِمِ

ونَنْصُرُ مَظْلوماً ونَمْنَعُ ظالِماً
إذا شَكَ[2] مَظْلومٌ بِشَوْكَةِ ظالِمِ

ويَأوي إلَيْنا المُسْتَجيرُ ويَلْتَجي
فَيَحْميهِ مِنَّا كُلُّ لَيْثٍ ضبارم[3]

أَلَمْ تَر إذْ جاءَ السُّبَيْعُ[4] قاصِداً
إلى بابِنَا يَبْغي الْتِماس المَكارِمِ

وذَلِك لَمَّا أنْ جَفاهُ صِحابُهُ
وكُلُّ خَليلٍ وُدُّهُ غَيْرُ دائِمِ

وأزْمَعَ إرْسالاً إلَيْنا رِسالَةً
بِإخْلاص ودٍّ[5] واجِبٍ غَيْرِ واجِمِ

---

[1] في مخطوط واسطة السلوك: ((نعد)).
[2] في بغية الرواد ((إذا شيك)).
[3] في الإحاطة: ((صيارم))؛ والصحيح هو ما جاء في زهر البستان وبغية الرواد. يقولون: ((أسد ضبارم))؛ أي وثاب.
[4] في الإحاطة: ((السُّبَيْعِيُّ)). وهذا أسلم للوزن.
[5] في بغية الرواد: ((بودٌ جَديدِ)).

وكــــانَ رَأى أنَّ المهَامَـــةَ بَيْنَنَـــــا

فَخَـلَّى لِــذاتِ[1] الخُـف ذات المَناسِــمِ

وقـــالَ ألاَ هَــلْ مِــنْ عَليـمٍ مُجَــرِّبٍ[2]

أبُــثُّ لَــهُ مــا تَحْــتَ طَيِّ الحَيَــازِمِ

فَيُبلِّــغُ عَــنِّي[3] الآنَ خَيْــر رِسالَــةٍ

تــؤدي إلى خيــر الملــوك الأعاظــم[4]

على ناقَـــةٍ وجْنَــاءَ كالحَرْفِ ضامِــرٍ

تَخَيَّرْتُهَــا بَيْــنَ القِــلاصِ الرَّواسِــمِ[5]

من الـــلاَّءِ يظْلِمْــنَ الظَّلِيــمَ إذا عَــدَا

ويُشْبِهْنَــــهُ في جيــدِهِ[6] والقَوائِــــمِ

إذا أتْلَعَـــتْ[7] فَــوْق السَّحابِ جَرانُهَــا[8]

تَخَيَّلْتهَـــا[9] بَعْــض السَّحـــابِ الرَّواكِــمِ

---

[1] كتب في واسطة السلوك: ((بذات)).

[2] كتب في واسطة السلوك: ((وقال لأمري من حليم مجرب))، وفي الإحاطة: ((ألاَ سل من عليم مجرب)).

[3] في الإحاطة: ((عنه)).

[4] كتب عجز البيت في بغية الرواد واسطة السلك، وزهر البستان، والإحاطة هكذا: ((تؤدى إلى خير أعلام الملوك الأعاظم)).

[5] في الإحاطة: ((تخَيَّرَهَا بين القلاص)).

[6] كتب في واسطة السلوك: ((في جريه)). والأصح - كما يقتضيه الحال - هو ما كتب في بغية الرواد وزهر البستان.

[7] في واسطة السلوك: ((أتعلت)).

[8] في الإحاطة: ((فوق السحاب جوابها)).

[9] كتبت في واسطة كلمة أخرى غير مفهومة. اعتقد حاجيات أنها ((تجلى))؛ مع أن ما هو ظاهر لا يفهم منه ذلك.

وإنْ هَمْلَجَتْ بالسَّيْــرِ في وَسْطِ مَهْمَــهٍ
تَــراءَتْ[1] كَمِثْــلِ البَــرْقِ لاحَ لِشائِــمِ
ولَــمْ يَأْمَــنِ الخــلاَّنَ بَعْــدَ اختِلالِهِــمْ
فأمْــسَى وفي أكْبَــادِهِ أيّ جاحِــمِ[2]
فَقالــوا[3] فَحَمِّلْهــا الحَمائِــمَ قــالَ لاَ
لِبُعْدِ المَــدَى أوْ خَوْفِ صَيْدِ الحَمائِــمِ
وما القَصْدُ إلاَّ في الوُصــولِ بِسُرْعَــةٍ
فَقالــوا فَحَمِّلْهــا أكُــفَّ النَّواسِــمِ[4]
فقالــوا[5] لنعــم المرســلات وإنمــا
لَهــا ألْسُــنٌ مَشْهــورَةَ بالنَّمائِــمِ
كتــابي[6] زهــر في كمائــم طرســه
وبِالرِّيــحِ يُفْشَى سِــرُّ زَهْــرِ الكَمائِــمِ
فَلَــمْ يَلْــفَ فيهــا لِلأمانَــةِ مَوْضِعــاً
وكُــلُّ امْــرِئٍ لِلسِّــرِّ لَيْــس بِكاتِــمِ

---

[1] في: و. س (مخ): ((تضاءت)). وفي: الإحاطة: ((نزلت)).
[2] هذا البيت ـ والبيتان السابقان ـ لا توجد في نسخة بغية الرواد؛ بينما هي هي موجودة في واسطة السلوك وزهر البستان والإحاطة.
[3] في واسطة السلوك: ((وقالوا)).
[4] هذا البيت والبيت الذي سبقه غير موجودين في زهر البستان؛ بينما وُجِدا في بغية الرواد وواسطة السلوك والإحاطة.
[5] في بغية الرواد: ((فقال)).
[6] نفسه: ((وكَتْبيَ))؛ بينما سقط البيت كله في الإحاطة.

فَحينَئِـــذٍ وافَى إلَيْنـــا بِنَفْسِـــــهِ
فَكَــانَ لَدَيْنَــا خَيْــر وَافٍ وقَــادِمِ
يَجُــوبُ لَنا البَيْــدَاءَ قصــداً[1] وَبِشْرُنَــا
يُـضِيءُ لَهُ الظَّلْمَــاءَ مِنْ كُــلِّ عاتِــمِ
طِلابُ العُلَى يَسْري[2] مَعَ الوَحْشِ في الفَــلاَ
ويصْحَــبُ مِنْهَــا كُلَّ بَــاغٍ وباغِــمِ[3]
عَــلَى سَلْهَــبٍ ذي صهوتيــن مطهــم[4]
من المقربــات الصافنــات الصـــلادم[5]
إذا شَــاء أيَّ الوَحْــشِ أدْرَكَــهُ بِــهِ
فَتَحْسِبُــهُ في البيــدِ بَعْــضَ النَّعائِـــمِ[6]
ويُقْدِمـــهُ طوعــاً[7] إلَيْنــا رجـــاؤُهُ
حِمايَتُنَــا إيَّــاهُ مِــنْ كُــلِّ ظالِـــمِ

---

[1] في بغية الرواد: ((طوعاً)).
[2] في الإحاطة: ((تسري)).
[3] لم يرد هذا البيت في بغية الرواد. وورد في واسطة السلوك، وزهر البستان، والإحاطة في ترتيب آخر.
[4] في: الإحاطة: ((ذي صوتين مُطعَم)).
[5] في بغية الرواد: ((المغربات الصافنات)). وفي: الإحاطة: ((من المُغْربات المُغْربات الصّافنات)). وهذا البيت لم يأت في واسطة السلوك؛ والإحاطة فجاء في غير هذا الموضع.
[6] ورد هذا البيت في واسطة السلوك مباشرة بعد البيت الذي يبدأ بـ: ((طلاب العلى)).
[7] هكذا في و. س، والإحاطة: ((طوعاً)). أما في بغية الرواد فكتب ((حباً)). ((حباً)).

ألاَ أيُّهَـــا الآتي لِظِــــلِّ جَنابِنـــــا[1]

نَزَلْت بِرحْــبٍ في عِــراضِ المَكَــارِمِ[2]

وقوبِلْــت مِنَّــا بالَّــذي أنْــتَ أهْلــهُ

وفاضَ عَليكَ الجــودُ فَيْــض الغَمائِــمِ

كَــذا دَأبُنـــا لِلْقاصِدِيــنَ[3] مَحلّنَـــا

حِـمًى ونَدَى يُنْـسَى بهِ جُـودُ حاتِــمِ

وهَــذا جَـوابٌ عَــنْ نِظامِــكَ إنَّنــا

بَعَثْنـــا بِـــهِ كَاللُّــؤلُــؤِ المُتَناظِــمِ[4]

ونَحْــنُ ذَوُو التِّيجــانِ مِنْ آلِ هاشِــمِ[5]

لَعُمــرِكَ ما التِّيجــانُ غَيْــرُ العَمائِــمِ

بِهِمَّتِنـــا العُلْيـــا سَمَوْنـــا إلى العُــلَى

وكَـــمْ دونَ إدْراكِ العُــلَى مِنْ مَلاحِــمِ

شَدَدْنـــا لَهـــا[6] أزْراً وَشِدْنـــا بِناءَهـــا[7]

وكـــم مكثـــت دهـــراً بغيـــر دعائـــم[8]

[1] في: الإحاطة: ((حنانننا)).
[2] نفسه: ((في عراص المكارم)).
[3] في الإحاطة: ((للقادمين)).
[4] هذا البيت غير موجود في بغية الرواد.
[5] جاء في واسطة السلوك، والإحاطة: ((من آل حمير)).
[6] في و. س: ((بها))؛ وفي بغية الرواد: ((له)).
[7] في بغية الرواد: ((بناءه)).
[8] نفسه: ((بأوْثق أرْكانٍ وأقْوَى دَعائِمِ)).

نَظَمْنـــا شَتِيـــت المجـــد[1] بَعْدَ افْتِراقِـــهِ

وكَمْ بـــات نَهْباً شَمْلُـــهُ دَونَ ناظِـــمِ[2]

وَرضْنَـــا جمـــاح[3] المُلْكِ بَعْدَ جِماحِهـــا

فَذلَّـــتْ وقَدْ كانَـــتْ صِعـــابَ الشَّكائِـــمِ[4]

مَناقِـــبُ زيَّانِيَّـــــة مُوسَوِيَّـــــة

يُـــذَلُّ لَهَـــا عِـــزُّ المُلُـــوكِ القَماقِـــمِ

يقصـــرُ عَـــنْ إدْراكِهـــا كُـــلُّ مُبْتَـــغٍ

ويَعْجَـــزُ عَنْ إحْصائِهـــا كُـــلُّ ناظِـــمِ[5]

فَلِلَّهِ مِنَّـــا الحَمْـــدُ والشُّكْـــرُ دائِمـــاً

وَصلِّى على المُخْتَـــارِ مِنْ آلِ هاشِـــمِ

ويَخْتَصُّكُـــمْ مِنَّـــا السَّـــلاَمُ الأثِيـــرِ مَا

تَضاحَـــكَ رَوْضٌ عَنْ[6] بُكـــاءِ الغَمائِـــمِ

* * *

---

[1] في بغيـة الـرواد: ((شتيت الملـك)). في: زهر البستان، والإحاطة: ((المجد)).

[2] جـاء هـذا البيت في بغيـة الـرواد في غيـر هـذا الترتيـب.

[3] في واسطـة السلـوك: ((رضنـا عيـاد الملـك)).

[4] هـذا البيـت غيـر موجـود في بغيـة الـرواد.

[5] هـذا البيـت غيـر موجـود في بغيـة الـرواد؛ بينمـا هـو موجـود في واسطـة السلـوك وزهـر البستـان، والإحاطـة.

[6] في واسطـة السلـوك: ((مـن)).

ـ لا يعـرف ـ بالضبـط ـ المناسبـة الـتي قـال فيهـا أبـو حمـو قصيدتـه هـذه؛ غيـر أن صاحـب زهـر البستـان أوردهـا ـ ضمنيـاً ـ في سيـاق الأحـداث الـتي وقعـت في عـام 762هـ/1360م؛ كمـا أنهـا لـم تـرد إلاّ في مخطـوط واسطـة السلـوك، وزهـر البستـان؛ بينمـا سقطـت في النسخـة المطبوعـة مـن واسطـة السلـوك، وبغيـة الـرواد[1]:

كتمت حبي فأفشى الحب كتماني
وزاد شوقي على قيس وغيلان

يا جيرة الحي إني قد فتنت بكم
كم تهجروني كأني مذنب جاني

ناديتهم ودموع العيـن هاميـة[2]
بأي ذنب رضيت اليوم هجراني

يا فتنة القلب كم لي في هواك وكم[3]
أطلت هجري وحالي صار ضدان

الماء والنار تشكو من فراقكـم
وحبكم قد رمى قلـبي بنيـران

---

[1] **قصيدة (كتمت حبي) هذه؛ وردت في واسطة السلوك (مخطوط)، وزهر البستان فقط.**
[2] **في مخطوط واسطة السلوك: ((هاملـة)).**
[3] **نفسـه: ((كم لي لا أواصلكم)).**

كم تهجروني وهجري لا يحل لكم

الموت أهون من بعدي وهجراني

وإن عزمتم على بعدي فوا أسفا

بان الزمان بحـــالي أي تبيـــان

يا أحسن الناس ما لي عنك مصطبر

وكيف صبري وصبري اليوم أعياني

أنا جبلت الهوى حتى بليت بـــه

وخاض بحر الهوى قلبي وجثماني

نازعت عيني على ما كان من نظر

فقالت العين إن القلب أبـــلاني

مهما نظرت إلى شيء أراقبه

يميل نحوكم ســـري وإعـــلاني

وهذه حالتي ياجيـــرتي ولكـــم

تضاعف الوجد من شوقي وأشجاني

إني فتنت بذات الخال يا خولي

وعذبت بجفاها العاشق العاني[1]

يا قرة العين كم نرضى تفارقني

رفقا عليَّ أما يكفيك هجـــراني

---

[1] **في مخطوط واسطة السلوك: ((الفاني)).**

رقت[1] لحالي وما قد بان من شغفي

وأعهطفت بعد ذاك الهجر سلواني

قلت وحق هواك اليوم ما نظرت

عيناك عيني إلا ذبت من شاني

الحب من شيمتي[2] والوجد معرفتي

والصبر نافلـــتي يا آل زيـــان

إني شغفت بكم منذ زمان مضى

وأنت لم تدر ما قد كان أجفاني

رقت حشاشة قلبي من هواك[3] وقد

تضاعف السقم في روحي وأبداني

أني وحق حياة الحب ما اكتحلت

واللـــه بعدكم بالنـــوم أجفـــان

ولا شغفت بحسن غير حسنكـــم

ولا أخذت عليكم في الهوى ثان

ولا شربت لذيذ الماء من عطش

ولا رأيت خيالا منـــك خالان

ولا جلست على قـــوم أحدثهـــم

إلا حديثك مع قاص ومع داني

---

[1] في مخطوط واسطة السلوك: ((رثت)).
[2] نفسه: ((شيمي)).
[3] نفسه: ((من هواكم)).

إن كنت مثلي فنعم الحب منقسما

فافعل بفضلك ما أرضاك أرضاني

ضممتها حين زارتني ببهجتهـــا

وقلبهـــا عندمـــا أدعوه لبـــاني

بتنا وبات نعيـــم الدهر يأنسنـــا

والعيش صاف وروض الوصل ريان

ولا رقيب ولا واش يطوف بنا

إلا الحسان بأصوات والحـــان

من كل عانية رقت[1] شمائلهـــا

تزهوا على ناعمات القضب والبان

وكل عاطرة فاحـــت نواسمهـــا

من عنبـــر ومسكي وريحـــان

هم سبوني وكم أسبوا لذي حظر

من الملوك وحبي اليوم برهاني

قد كان فيما مضى قلبي وإن جهلت

مولى حباب[2] وكسرى نوشروان

ذلت لعزتنا أســد الوغى ولقــد

تزهوا عليها وأيم الله غـــزلان

---

[1] في مخطوط واسطة السلوك: ((راقت)).

[2] المقصود هنا؛ يزيد بن عبد الملك.

كم من كريم وكم من ماجد بطل

أفنى الغرام وكم من عابر عان

يا لائمي في هوى الغزلان لا تلمن

فما حلى من هواهم قلب انسان

وهـــذه قصتي[1] يا عاذلي وكفى

إن الملام قد أعياك وأعيـــاني

ولا جعلت بنات الحي من شغلي

حتى شغفت بقد البيض والزان

وقد الفت من الهيجاء عاطلـــة

تشب يوم الوغى والحرب نيران

وكم سقيت كؤس الموت صافية[2]

وقد حميت بحد السيف أوطاني

وكم قهرت عدوا ظالما غشمـــا

يوم اللقاء بأظعـــان وأطعـــان[3]

وكم عمرت ديارا قـــل عامرها

وقد جعلت ديار الإنس عمران

---

[1] في مخطوط واسطة السلوك: ((صفتي)).

[2] جاء هذا الشطر في زهر البستان هكذا:

((وقد سقيت كؤوس الماء صافية))؛ وما أثبت أعلاه؛ ورد في واسطة السلوك؛ وهو أفضل.

[3] في مخطوط واسطة السلوك قلبت؛ فكتب: ((بأطعان وأظعان)).

وقد حييت[1] رسوما قل ناصرها

يوم الهياج وكل الناس عاداني

حتى ظفرت بشيء كنت أطلبه

والحمد للـــه في سر وإعـــلان

بعم ولا بد لي من أخذ أرضهم

بالمرهفات وجرد تحت عقبـــان

حتى أروي سيوفي من دمائهم

ري الحجيج إذا حلت بحسيـــان[2]

وتسقط الهام والألباب طائشـــة

والخيل عارية من غير فرسان

والبيض تضرم نار الحرب إن خمدت

والسمر[3] مثل شهاب إثر شيطان

والخيل عابسة كلت فوارسهـــا

والأرض كاسية ثوبا كعقيـــان[4]

فما ترى غيـــر أبطال مجدلـــة

ما بين سهل وأهضاب وكثبـــان

---

[1] **في مخطوط واسطة السلوك: ((وقد أقمت)).**

[2] **في مخطوط واسطة السلوك: ((بغيلان)).**

[3] **كتب في زهر البستان: ((والشمس))؛ وهي غير مناسبة؛ وما جاء في واسطة أفضل؛ فاعتمد هنا.**

[4] **ورد هذا الشطر في مخطوط واسطة السلوك؛ هكذا: ((والأرض كاسية في لون مرجان)).**

والأرض هامدة والأسد داهشة

والبيض ضاحكة تزهوا على الزان[1]

هناك نحمي حماها عندما اشتعلت

والأسد ما بين سكران ونشوان

ونضرم الحرب صدمات يكل لها

أسد[2] الحروب ويغمور بن زيان

ونأخذ الثـــأر ممن قد نأى ودنا

ويرجع الشرق بعد الغرب ديواني

* * *

ـ هـذا التخميـس الـذي نظمـه أبـو حمـو؛ أنشـده المسمعـون في ليلـة المولـد النبـوي المبـارك؛ بتلمسـان سنـــة 762هــ/1360م[3].

نَزَلْتُمْ من فؤادي منْـــزِلاً حسنَا وكلُّ ما ساءني في حُبِّكُمْ حَسُنَا

فَلْتُمْ[4] فلم أَتَّخِذْ من بَعْدِكُمْ سكنَـــا وحُبُّكُمْ في صَمِيمِ القلبِ قد سكنَا

وبُعْدُكُمْ صار عندي ساعة بسنـــهْ

---

[1] ورد هذا الشطر في مخطوط واسطة السلوك؛ هكذا:
((والسيف ضاحكة تزهوا على البان)).

[2] في زهر البستان: ((ليث))؛ وكلمة ((أسد)) الواردة في مخطوط واسطة السلوك أفضل.

[3] هذه القصيدة موجودة في بغية الرواد فقط.

[4] فلت: تخلص. وفلتم: تخلصتم.

*****

سِرْتُمْ ولم تعلموا بالبَيْنِ ما فَعَلاَ   بِهائِـــمٍ مُدْنِــفٍ[1] لا يبتغي بدلاَ
هَلاَّ رحمتُمْ مُحِياً بالنَّـــوَى قُتِلاَ   مُتَيَّماً صار في أهْلِ الهوَى مَثَلاَ
لم يَتَّخِــذْ بَعْدَكمْ خِــلاً ولاَ وطنَــا

*****

يا راحلين وللتَّوْديعِ ما عَطفُــوا   وسائلين وبالمشتاق ما عَرِفُــوا
قِفوا قليلاً على مُضْنَى الغرام قِفوا   خُذوا فُؤادَ المُعَنَّى الصَّبِّ وانْصَرِفوا
لاَ أبْتَغي منكــمْ رَهْنــاً ولاَ ثَمَنَــا

*****

هجَرتُمْ دون ذنبٍ لاَ ولاَ سبــبِ   قَطَعْتُمُ القلبَ بالتَّبْريحِ والوَصَبِ[2]
فظلتُ[3] من حرٍّ نار الشَّوْقِ في لهَبِ   أعاتب الدَّهْرَ فيما جَرَّ من نُوَبِ
يا دَهَرُ أفْجَعْت قلبي بالنَّوَى زَمَنَــا

*****

لوْ أنصف الدَّهرُ ما فارَقْتكُمْ أبدَا   ولاَ رضيتُ سِواكُمْ في الهَوَى أحَدَا
لم يَبْقَ لي بَعْدَكمْ صَبْراً ولاَ جَلَدَا[4]   والنَّوْمُ عن مُقلَتي من بُعْدِكُمْ شَرَدَا
وقدْ حُرِمْتُ لذيذَ العَيْــشِ والوَسَنَــا[5]

---

[1] مُدنِف ودَنِف: مريض شارف على الموت.
[2] التبريح: الشدة والأذى. الوَصَب جمعه أوْصاب: المرض والوَجَع الدائم.
[3] يقصد: فضللتُ.
[4] الجَلَدُ والجَلادة: القوة والشِّدة والصَّلابة.
[5] الوَسَنَ: النوم العميق والثقيل.

*****

هَلاَّ كَفَوْني أُهَيْلُ الحُبِّ هَجْرَهُمُ[1]   ما ضَرَّ لَوْ أَنَّهُمْ جادوا بِوَصْلِهِمُ

ما كنتُ أدْري الهَوَى حتَّى عَرَفْتُهُمُ   وعَبْرَتي ما رقَّت من بَعْدِ بُعْدِهِمُ

والقلــبُ في حُبِّهِمْ مازال مُرْتَهَنَــا

*****

يا حادِيَيْ ظَعْنِهِمْ نحْوَ الدِّيارِ قِفَا   نُنَشِّدْ[2] فُؤاداً بِذاكَ الحَيِّ قد تَلَفَــا

وسائلاً بِرُبَى نَجْــدٍ لمَنْ عَرَفَــا   قُولاَ لَهُمْ ذَلِكَ المُشْتاقُ قَدْ شُغِفَــا

وقلبُــهُ بِأليــمِ الشَّوقِ قَــدْ طُعِنَــا

*****

هَلْ مُخْبِرٍ كَيْف أحْبابي وما صَنَعوا   أبِالْحِمَى خَيَّمُوا أمْ عَنْهُ قَدْ رَجَعُوا

ساروا بقلبي وشَمْلي بالنَّوَى صَدَعوا   يا لَيْت شِعْري بِذاك القَلْبِ هَلْ قَنَعوا

أمْ هــلْ أبَشِّــرُفي نَجْــدٍ بِأُلْفَتِنَــا

*****

يا هاجِرينَ وهَجْرُ الصَّبِّ ما وَجَبَا   أبْعَدْتُمُــوني ولم أدْرِ لِذَا سَبَبَــا

وصِرْتُ في حَيِّكُمْ مِن جُمْلَةِ الغُرَبَا   وقلتُ يا دَهْرُ جُدْ لي بالرِّضَى فَأَبَى

يا دَهْــرُ هَلاَّ كَفَتْكَ اليَــوْمَ فُرْقَتُنَــا

*****

---

[1] أهَيْل الحب: تصغير لأهل الحب.

[2] نشد نشداً الضالة: نادى وسأل عنها.

شَدُّوا عَشيَّةَ يَوْمِ البين[1] وارتحلوا   ولاَ نَرَى الصَّبُّ بَعْدَ البَيْنِ ما فَعَلوا
هَلْ بِالنَّقَــا خَيَّموا أم بالحِمَى نَزَلوا   نادَيْــتُ من شِدَّةِ الأشْواق يا رَجُلُ
رُدُّوا الرِّكابَ فإنَّ القلبَ قد ظَعَنَــا

*****

أنا المُشَوَّقُ فَهَلْ خِلٌّ يُساعِــدُني   علَى البُكاءِ مَدَى الأيَّامِ والزَّمَنِ
قَدْ خانَنِي فيكُمُ مَن كانَ يَألَفُــني   لَعَلَّ دَهْري بِكُمْ حيناً سَيَجْمَعُني
فَيَشْتَــفِي قَلْبُ صَبٍّ بالغَرامِ فَــنَى

*****

لقدْ أضَرَّ بقلبي لاَعِــجُ الوَهــجِ[2]   وقدْ مَزجتُ بدمْعي كلَّ مُمْتَزِجِ
والشَّوقُ أثَّرَ في الأحْشاءِ والمُهَجِ   فاللهُ يَعقِبُ بعدَ العُسْرِ بالفَــرَجِ
فيَسْعِــدُ السَّعْــدُ والأيــامُ تَجمعنــا

*****

ما كان أحْسَنَ عَهْدِ بالحِمَى سَلَفَا   وطِيبِ عَيْشٍ حَلاَ لي وَرْدُهُ وصَفَا
ضَيَّعْتُ عُمْرِي في التَّسْويفِ وَاأسَفَا   فَها أنا بَعْدَ شَمْــلٍ كان مُؤتَلِفَــا
أبْكي الرُّبوعَ وَطَوْراً أنْدُبُ الدِّمَنَــا

*****

كمْ ذا أكابِدُ حَرَّ الشَّوْقِ في كَبِدِي   وكُلُّ شَيْءٍ بِعَيْنِ الواحِدِ الصَّمَدِ

---

[1] الشدّ: يقولون: (شَدُّ الرِّحالِ)؛ كناية عن السفر. يوم البَيْن: يوم الفراق.
[2] لاعج الوهج: شدة الحرقة.

يا نَفْسُ لا تَرْجِ غير الله من أحَدِ   يُغْنيكِ عنْ عَدَدٍ في الحَربِ أو عُدَدِ
فلمْ يَزَلْ بجَميلِ اللطْــفِ ينصرُنَـــا

*****

رُحْماكَ يا رَبُّ إنَّ الذَّنْبَ مِنْ قِبَلي   فَوُفِّقَ العَبْدُ للإخْلاصِ في العَمَلِ
وهَبْ لهُ فَرَجاً يَأتي على عَجَلٍ   بِحَقِّ أحْمَدَ خَيْرِ الخَلْقِ والرُّسُلِ
مَنْ في غدٍ مِنْ عَظيمِ الذَّنْبِ يُنْقِذُنَـــا

*****

يا نَفْسُ لا تَقْنَطِي يا نَفْسُ واصْطَبِري   ولاَزِمي الجِدَّ في وِرْدٍ وفي صَدْرِ[1]
لزَوْرَةِ المصطفَى المُختارِ من مُضَرِ   فإنْ خَتَمْتُ بهذا مُنْتَهَى عُمْري
فقـــدْ ظَفَــرْتُ بعِــزٍ دائــمٍ وهَنَـــا

*****

وهَبتُ نفْسِيَ لِلحادي إذا قَبِـــلاَ   كَيْ أَبْلِغَ القلبَ من ذاكَ الحِمى أمَلاَ
وأبْصِرِ البيتَ والأرْكانَ والحلَلاَ   أطوفُ سبعَةَ أشْواطٍ بِهِ رَمَـــلاَ[2]
وأنْثَني لمنًى قَدْ حُــزْتُ كُلَّ مُـــنى

*****

يا أكْرَمَ الخَلقِ عِندَ اللهِ مَنْزِلَـــةً   كَمْ لي أرُومُ إلى مَغْناكَ مَرْحَلَةً[3]

---

[1] **الورد هنا: خلاف الصدر؛ وهو الحضور والمجيء. أما الصدر والصدور: فهو الرجوع؛ فيقولون: (صدر عن المكان، وصدر عن الماء)؛ أي رجع عنه.**
[2] **رملا: الجري مهرولاً.**
[3] **المَغْنَى جمعه مَغانٍ: المنزل.**

لكنْ أمُور عَدَتني عَنْكَ مُعْظِلَــة   منها ذنوبٌ غدتْ للظهرِ مُثقلةً
ومَا مِنَ الحُكْمِ رَبُّ العرشِ قَلدنـــا

*****

يا رَبّ عَبدُكَ موسَى ذَنبُهُ عَظُمَا   فَهَبْ لَهُ العَفْوَ جوداً والرِّضى كَرَمَا
وأرْحَمْ ضَراعَتَهُ يا خَيْرَ من رحِمَا   يا رَبّ لا تُبْعِدِ الجاني بما اجْتَرَمَا
أنت الغَنِيُّ وما للخَلق عَنكَ غِــنَى

*****

أهْلاً بمَوْلدِ خَيْرِ الخَلق حينَ بَدَا   وفاض مِنهُ على الآفاق نورُ هُدَى
أرْجو شَفاعَتَهُ يوم الحساب غَدَا   يا رَبّ صلِّ عليهِ دائِمــاً أبَــدَا
ما صافَحَ الرِّيحُ رَوْضاً أوْ ثَنَى غُصْنَـــا

*****

ـ قصيــدة أبي حمــو هــذه؛ أنشدهـــا المنشــدون في ليلـــة المولـــد انلبــوي المبـــارك؛ سنـــة 761هـ/1359م:[1]

قفـــا بيـــن أرجـــاء القبـــاب وبالـــحيِّ
وحيِّ ديـــاراً للحبيـــب بهـــــا حَيِّ
وعـــرج عـــلى نجـــد وسَلْــعٍ ورامـــة
وسائـــل فدتـــك النّفـــس في الـــحي عن مَيِّ

[1] وهذه القصيدة توجد في بغية الرواد، ونظم الدر.

وقــل ذلــك المضــنى المعــذّب بالهــوى

يمــوت ويحــيى فــارث للميّــت الــحَيِّ

وبُــثَّ لهــم وجــدي وفــرط صبابــتي

وارْوِ [1] حديــثي فهــو أغــرب مــرْوِيِّ

يعذّبــني شــوقي ويضعفــني الهــوى

وقلــبي عــلى جمــر من الشّــوق مَحْــمِيِّ

لبســت ثيــاب السّقــم في دوحــة الهــوى

وقــد صبغــت في حبّهــم لــون عــودِيِّ

تحلَّيــت في أهــل الهــوى بهواهــم

فمــا لي ســوى زَيِّ المحبــة مــن زَيِّ

وصــرت إذا هبــت نسيمــة[2] أرضهــم

عــلى شجــرات البــان أو قضــب نســريِّ

أميــل بهــا شوقــاً إليهــم وأنثــني

كمــا ينثــني قــدّ الحســام الفرنــديِّ

وأصبــو إلى أرض الحبيــب ومــن بهــا

متى ما ســرى عــرف النسيــم الحجــازيِّ

رعى اللــه داراً بالحــمى قــد عهدتهــا

وســقى ثراهــا صــوب مــزن سمــاويِّ

[1] في نظم الدر: ((وروّ)) وهو أسلم للوزن.
[2] نفسه: ((نسيمات)).

وكـــم[1] نفحـــة تحـــيي الفـــؤاد بنشرهـــا
أتـــت بنسيـــم عاطـــر النّشـــر مِسْـــكي
أعلّــل نفــسي بالنّسيـــم إذا ســـرى
وبالبـــرق إذ يســـري وسجـــع القمـــاريّ
أحبّـــة قلـــبي مـــا أمـــرَّ فراقكـــم
عـــلى قلـــب صـــبٍّ لا يطيـــق عـــلى شيٍّ
حيـــاتي ومـــوتي في هواكـــم وإنّـــني
أعلّـــل نفـــسي فيكـــمُ بالأمـــــانيّ
لقـــد أقعدتـــني عـــن حماكـــم قلائـــد
وليـــس عنـــاني عـــن هواكـــم بمثـــني
فيـــا أهـــل نجـــد أنجـــدوني عـــلى الهـــوى
فـــإني في بحـــرِ مـــن الشـــوق لـــجيّ
مقيـــم بأقصى الغـــرب يشكـــو به الجـــوى
وحـــالي على حكـــم النّـــوى غيـــر مخـــفيّ
ويـــا حاديـــاً يحـــدو الرّكـــاب إليهـــم
أنـــخ بـــربي نجـــد وسلـــم عـــلى طيّ
وأخبرهـــمُ أنّـي أراعي ذمامهـــــم
فمـــا لذمـــامي عندهـــم غيـــر مـــرعيِّ؟

[1] في نظم الدر: ((فكم)).

تناسيتهمُ عهدي وطول مودتي[1]
وحبكم في القلب ليس بمنسي
فيا ليت شعري والدّيار قصيّة
متى تسمح الأيّام لي بلقا الحيِّ
عسى الدّهر يدنيني ويسمح باللقا
فيشفي غليل القلب من ذلك الريِّ
فقد طال هجراني وأعيا تعلّيلي
وأدنى[2] أوار الشوق لاعج جمريٍّ
وقد قطعت قلبي القطيعة والنّوى
بأبيض هنديّ وأسمر خطيٍّ
وتالله ما لي غيركم إن هجرتم
فهجركم يردي ووصلكم يحيي
سلام على الدنيا إذا لم أراكم
فمرآكمُ في الحسن أبدع مرئيٍّ
ويا أسفي يوم الحساب ويا أسى
إذا كان سعي عندكم غير مرضي
وما أرتجي إلاّ شفاعة خير من
أتى بالهدى يهدي لدين حنيفيٍّ

---

[1] في نظم الدّر: ((حفظ مودتي)).
[2] نفسه: ((وأذكى)).

بـــه يرتـــجي العاصـــون غفـــران ذنبهـــم
وما عملـوا في الدّهـر مـن عمـل سيٍّ

فمولـــده[1] قـــد أشـــرق الكـــون كلّـــه
وكـــل ســـنى شمـــس وبـــدر ودريِّ

ســـلام عـــلى مـــن بالبقيـــع وبالحـــمى
ســـلام عـــلى البـــدر المنيـــر التّهـــاميِّ

ســـلام من المشتـــاق مـــوسى بـــن يوســـف
عـــلى خيـــر خلـــق الله هـــاد ومهـــديِّ

ســـلام مشـــوق أثقلتـــــه ذنوبـــــه
وأُخِّـــر عـــن سيـــر وقُيِّـــد عـــن ســـعي

بيثـــرب قـــلبي والحجـــاز مـــودّتي
وإن عاقـــني عـــن كـــلّ رشـــد بـــه غيٍّ

بنفـــسي وروحي أهـــل طيبـــة إنهـــا
شفـــاءٌ مـــن الآثـــام والزيـــغ والبـــغيّ

فياليـــت شعـــري هـــل أزور محمـــداً
وأمنـــح مـــا أهـــواه مـــن منـــزل الـــوحيِ

لئـــن أخَّرتـــني عـــن زيـــارة أحمـــد
قلائـــد أمـــر قيّدتـــني عـــن السّـــعي

---

[1] في نظم الدّر: ((بمولده)).

فــربي أرجــو أن يمــن بقربــه

قريبــاً وشــوقي لا يقابــــل بالنّـــأي

عليــه ســلام الله مــا حــنّ شَيِّــق

إلى قبــره يطــوي الفــلا أيّمــا طيِّ

* * *

يحيى بن محمد

ابن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون

(ابو زكرياء)

ولد بتونس في عام 734هـ/1333م؛ وهو الأخ الأصغر لعبد الرحمن بن خلدون؛ الذي يكبره بسنتين. وينتمي ابن خلدون ـ في أصوله ـ إلى أسرة أندلسية من إشبيلية؛ هاجرت إلى برّ العدوة المغربية في سنة 630هـ/1232م؛ فاستقر أعضاؤها في البداية بسبتة؛ ثم انتقل منهم الحسن بن خلدون إلى إفريقية في عام 640هـ/1242م؛ أين وجد ترحيباً، وتكريماً من قبل الأمير الحفصي أبي زكرياء.

نشأ **يحيى بن خلدون** في **تونس** داخل أسرة تهتم بالعلم والسلطان؛ فسار على نهج أخيه؛ في الحرص على كسب العلم، والسعي خلف المناصب الإدارية والسلطانية. وتبعه في أولى رحلاته؛ حيث كان معه في المغرب الأقصى؛ ثم ساعده على تولي منصب الكتابة لدى أمير بجاية؛ كما زكاه لدى السلطان الزياني **أبي حمو الثاني**؛ الذي أسند إليه كتابة السر في بلاطه. فقام بالدور على أحسن

وجه. وخلال ذلك كتب كتابه بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد؛ في جزأين؛ وكان المصدر الأول والأهم لدولتهم. أما وفاته فوقعت بتلمسان؛ جراء مؤامرة دبرها ضده يوسف بن يخلف صاحب الشرطة؛ الذي شحن صدر ولي العهد أبا تاشفين عليه؛ فوافقه على اغتيال يحيى؛ وتم ذلك في ليلة من ليالي رمضان؛ حيث اغتيل أثناء عودته من صلاة التراويح في عام 780هـ/1378م.

* * *

شعره

ـ وهـذه القصيـدة قالهـا يحـيى بـن خلـدون بيـن يـدي أبي حمـو في سنـة 771هـ/1369م؛ في حفـل عقـد بمناسبـة المولـد النبـوي الشريـف:

سقى الدّار بالجرعاء من جانب الشّعب
سحائب دمعي إنْ وَنَتْ أَدْمُعُ السحـبِ
وروَّض مـا بيـن العقيـق إلى النـقى
وحيّـا بذيّـاك الحـمى زمـن القـربِ
مغـاني شمـوس أو ربـوع أهلّـة
طلعْنَ بروضٍ أو بزغـنَ على القضـبِ
هنالك أعطيـتُ الهوى فضـل مقـودي
وجـدت مطيعـاً بالحشاشـة والقلـب
فيـا عجبـاً لاَ من تنـائي مزارهـا
ولكنّـه إن أمكنـت عيشـة الصـّب
وقفـت بأطـلال الرّبـوع ركائـبي
بـلأي عرفـت الدّار عافيـة التّـرب
فيأيّهـا الحـادون مهلـة ساعـة
عسى وطراً أقضيـه في وقفة الرّكـبِ

خليـــليَّ مـــالي كلّمـــا هبّـــتِ الصّبـــا

تذكّـــرت والذّكرى تهيج لـــذي الحـــبِّ

دِعَـــا العتب أو ردًّا على القلبِ عهـــدَه

فـــإنّ وفـــائي لا ينهنـــه بالعتـــب

ومـــا شاقـــني إلاّ تألُّـــقُ بـــارقٍ

أطـــار منام العين وهنـــا مِنَ الرُّعـــبِ

يذكّـــرني عهـــد التصـــابي برامـــة

فأهفـــو فيـــأتي زاجر الشّيـــب بالعتـــب

بنفسي الألَى راضوا على السّير أنفســـاً

يهون عليها في المعالي لقـــا الصّعـــب

يحثُّـــون مـــن شـــوقٍ ليثـــرب ركبَهُـــم

فما شئـــت فيه مـــن ذميـــل ومن خـــبّ

نضـــاوى على عيس نضـــاوى كأنهـــم

سهـــام تـــرامى عن قُـــسِيٍّ من النّجـــبِ

تُـــضيءُ الدُّجا مهما ســـروا عزماتُهـــم

وتطوي الفَـــلاَ طيّ السِّجِـــلاَّتِ لِلكُتْـــبِ

تميـــل على الأكـــوار سكرى رؤسُهـــم

وليس سوى خمـــر المحبـــة من شـــرب

إذا مـــا دنـــوا داراً يزيـــدون نشـــوة

كذا بُرَجاءُ الشّـــوق تـــزداد بالقـــرب

فقالــوا المــنى في طِيبــة لهــم الهنــا
وأقعــدني ما قــد جنيــتُ مــن الذّنــب
فمن لي بــأن يدنــو المــزار ونلتــقي
وتقــضى لبانــات المحــبّ من الحــب
وآتي ضريــح الهاشــمي محمــدٍ
أعَفِّــرُ خدّي في ثرى ذلــك التّــرب
بحيــث الهدى والوحي تبدو ربوعــه
وآثار خير الخلق في السّهل والهضــب
نــبيّ الــرّضى نــور الإلــه صفيّــه
ومختاره المخصوص في القدْسِ بالقربِ
هو المصطفى والمجتــبى سيّد الــورى
وأكــرم مبعوث إلى العجــم والعــربِ
أتى بالهــدى يمحــو الضّــلال نهــاره
فأشــرق صبحاً لا يميــل إلى غــرب
بــه بشّــر الكهّــان قبــل ولاده
وعندهــم ألفــوه في محكــم الكتــبِ
لــه أنهــدَّ إيــوان وغاضــت بحيــرة
ورُدَّتْ شياطيــن عن السّمــع بالشّهــب
مِنَ المسجد الأقصى سما ليلــة الســرى
يصاحبــه جبريــل حتّى إلى الحجْــب

دنـــا فتـــدلَّى قـــاب قوسيـــن رفعـــة

لدى حضـــرة التّقديـــس تؤذن بالقـــرب

وحـــلّ بها عن عالـــم الكـــون مفـــرداً

وهل بعد هـــذا من دليـــل على الحـــبّ

وأرسلـــــه للعلميـــــن بأسرهـــــم

وأيــــده بالمعجـــزات وبالرٌّعــــب

فـــفي البـــدر والشّمـــس المنيـــرة آيـــة

وفي الجذع والحصباء والظّبي والضّب

ومن كفّـــه أروى الجيـــوش على ظمـــا

وأشبـــع من نزرٍ ألوفـــاً على سغـــب

ونـــادى فجـــاءت أيكـــة لندائـــــه

تجرّ من الأغصان نيلاً على التّـــرب

بدعوتـــه أغـــنى مـــن الفقـــر عافيـــاً

وأبـــرأ من بعد العـــمى ليـــس بالطّـــب

بشيـــراً نذيـــراً عاقبـــاً حاشـــــراً أتى

رءوفـــاً رحيمـــاً بالعبـــاد عـــن الـــرّب

إبـــان قضايـــا الأمـــر في كـــلّ ملّـــة

فهـــذي بإيجـــاب وهاتيـــك بالسّلـــبِ

بـــه ختـــم الله الرسالـــة للـــــورى

وشفّعـــه فيهم لدى الموقـــف الصّعـــب

إذا الْتـــجَّ هـــول الحشر أو جلَّ خطبـــه

فأحمد ينجي الخلق من ذلك الخطـــب

أجـــب يـــا رســـول الله دعـــوة مرتـــج

شفاعتـــك العظـــمى تجيـــر من الذّنـــب

يـــروح ويغـــدو في البطالـــة جامحـــاً

يســـرّ مـــن الأيّـــام باللّهـــو واللّعـــب

وقـــد آدني حمـــل الخطايـــا وإنّـــني

بجاهـــك أرجو الصّفح عن ذاك من ربي

عليـــــك صـــــلاة الله ثـــم سلامـــــه

ورحمتـــه ما أنْهَلَّ مُزْنٌ من السحـــب

وعامِـــلِ بِالرّضـــوان قومـــك إنّهـــم

هم النّـــاس من آلِ كِرام ومن صحـــب

وأيّـــدْ مَـــنَ اْحْيَـــا لنـــا سنـــة الهـــدى

خليفتـــه حـــامي حمى الدّين بالعضـــب

شريـــف ملـــوك الأرض فرعاً ومحتـــدا

وأكملهم في الجنس والفصل والكســـبِ

هو القطـــب والأمـــلاك شهب سمائـــه

وهل دارت الشهبـــان إلاَّ على القطـــبِ

كريـــم السّجايـــا أريـــحِيٌّ سميـــدع

طليقُ مُحيًّا الوجه في السِّلـــم والحـــرب

وما في سوى كسب المحامد رأيه

وذاك لعمري أشرف الرَّأي والكسب

له أثر في الحِلْمِ والعلم ظاهر

وفي الرّأي والإقدامِ يسفرُ عَنْ نَدْبِ

فمن ذا كموسى أوْ يُضَاهِي جلاله

وهيهات للشّمس المنيرة من تِرْبِ

خلال كما شاء الكمال حميدة

تضاهي نجوم الأفق في العَدِّ أو تربي

وخلق كما قد شاءه الحسن باهر

يُعَظِّمُهُ الرَّائِي على البُعدِ والقُربِ

وهمَّة ذي مجد كريم نجاره

سمت بك يا مولاي عن مرقب الشهب

فيمناك وَهِي المزن سيفك جاحم

ولا عجب أن لاح برق من السّحبِ

فإنْ تأتِهِ تَأتِ الذي ليس بَعْده

لذي أملٍ مرمى بشرقٍ ولا غربِ

ففي بابه تلقى الأسود خوادراً

على الجرد من عجم البريّة والعربِ

وفيه ترى آثار حكمة ربّنا

من الأمر والنّهي المطاعين عن حبٍّ

تزاحـــــم تيجـــان الكمـــاة ببابـــه

كما ازدحم الصَّادون بالمـــورد العـــذبِ

إذا حَـــطَّ عـــاف رحلـــه بفنائــــه

يلاقي الذي يهـــواه بالمنـــزل الرّحـــب

فما الدّيـــن والدّنيـــا ســـوى ما رأيتــه

ببابـــك لاَ ما دوّن النّـــاس في الكتـــب

هنيئـــاَ أميـــر المسلميـــن بـــأن حـــوتْ

معاليـــك كلّ الفخر بالطّبـــع والكســـب

ودونـــك من نســـل القريـــض كريمـــة

تـــزفّ بمغنـــاك العـــلي عن الشهـــب

أتتْـــك كمـــا شـــاء الكمـــال كريمـــة

بديعة نظمٍ من عروضٍ ومن ضـــربِ

وقفـــتُ بهـــا بيـــن السّماطيـــن منشـــدا

لدى ملـــك الدنيـــا ففقـــتُ بها صحـــبي

وبـــان بهـــا فضـــلي على كلّ شاعـــر

فليـــس لهـــا فيمـــا يقولـــون من تِـــربِ

بقيـــتُ لنيـــلِ المجـــدِ والعـــزّ والعـــلاَ

تغيـــظ الأعادي إذ تسرُّ ذوي القـــرب

ولا زلــت والأقــدار تجــري بما تشــا
وأنــت قريــر العيــن بالآلِ والحــزبِ

* * *

ـ قـال يحـيى هـذه القصيـدة؛ بيـن يـدي أبي حمـو مـوسى الثـاني في سنـة 764هـ/1362م؛ حيـن جـاءه موفـداً مـن قبـل أميـره أبي عبـد اللـه محمـد بـن أبي زكريـاء بـن يحـيى الحفـصي:

يا بدر تم بالأوج قد ظهــرا فضاء بالخافقيــن واشتهــرَا
ويا مليكــاً له العلى خلــق ففي العلى ما نهى وما أمرَا
ويا إماماً له الورى خــول يعتق إن شاء أو يشا حصرَا
ما الفخر ألاّ الذي أوتيت به بأساً وحلماً ونائــلاً خمــرَا
لولاك لم تلف كفؤها أبــداً خلافة المصطفى بغير مرا
بواتها من قريــش رتبتهــا وكم غدت في سواهم عصرا
فليس للعالميــن من ملــك يرجى ويخشى سواك مقتدرا
وإن عرا الخطب أو نبا زمن بالناس كنت الثمال والوزرا
ومرسلي أولــع الزمان بــه فانشب الناب فيه والظفــرا
ولم يجد ناصراً سواك وقــد أرسل يحيى إليك وانتظــرا

* * *

ـ وهذه قصيدة؛ في المفاضلة بين السيف والقلم؛ نظمها صاحب الترجمة في شوال من سنة 776هـ/1374م؛ استجابة لطلب السلطان أبي حمو موسى الثاني:

بَيْنَ اليَراعِ ومُرْهفِ الأسْيافِ
نَسبٌ حَمَتْهُ شَريعَةُ الإنْصافِ

خلق وكفّ الملكِ آدم نوعهِ
والنّوعُ مُنقسمٌ إلى الأصنافِ

أولا فصنْوَا دوحةِ الشَّرفِ اللذا
قد أنْتِيا للفخرِ كلّ قطافِ

لانا مَهَزَّ عُلّى وراقا منظراً
وتواخيا في تالِدٍ وطرافِ

وتناسَبَا قصراً وشَفَّا جوهراً
وتماثلاً في البَرْيِ والإرْهافِ

وتألفَا خُبْراً وبانا مخبراً
كالماءِ تمزجهُ بصَفْوِ سُلاَفِ

رَفَعَا سماءَ المُلكِ فوق بَسيطَةِ
ليرى السّياسة رحْبَة الأكنافِ

وتقاسَمـــا زمنيـــة مـــن حـــرب ومـــن[1]

سلـــمٍ ومـــا اشْتَركـــا مَحـــلّ خـــلافِ

هـــذا يَصـــولُ وذا يَقـــولُ فهَـــلْ لِمـــا

خَرَقـــاهُ مِـــنْ قَـــوْلٍ وفِعْـــلٍ راف

فامتـــازَ كـــلٌّ مِنْهُمـــا بِمَحامِـــدِ

واحْتـــازَ فَضْـــلاً ليـــسَ فيـــهِ بخـــافِ

فالسَّيْـــف يَنْطِقُ صامِتِ الأمـــنِ الـــذي

يُـــرْجَى ويَصْمـــتُ ناطـــقُ الإرجـــاف

والسَّيْـــفُ إنْ يصلتْ مَحا ظُلْـــمَ العِـــدا

كالصُّبـــحِ يَجْلـــو اللَّيْلَ حيـــنَ يُـــوافي

والسَّيـــفُ تَـــمَّ بِجِنْسِـــهِ وبِفَصْلِـــهِ

حـــدّ الشّرائِـــع واضْمَحَـــلّ النّـــافي

والسَّيـــفُ مدَّ لِنَصْـــرِ أحْـــزابِ الهُـــدَى

كَفَـــا تَـــلافى الحَـــقّ بعـــدَ تـــلافِ

والسَّيْـــفُ قَبْـــلُ أعَـــزَّ أمَّـــةَ أحْمَـــد

وأذَلَّ أمَّـــــةَ نابـــلٍ وأســـــافِ

والسَّيـــفُ مَـــازَ مَناصِبَ العلْيـــا وكـــمْ

في ظِلِّـــهِ مِـــنْ جنَّـــةٍ ألفـــــافِ

---

[1] هذا الشطر غير مستقيم.

شَــرَفٌ بِمُنْتــجِ ضربــه وبِفضلِــهِ
صَدَقَــتْ قَضايــا المُلْــكِ دُونَ خِــلافِ
ومِــنَ اليَــراعِ لــهُ أخٌ بجدالــه
قــدْ شــدّ أزْرَ جــلادِهِ المُكْتــافي
غَــوَّاصُ بَحْــرِ لِلــدَّوَاةِ إذا انْثَــنَى
لَفَــظَ الجَواهِــر مِنْــهُ في أصنْــافِ
كالزَّهْــرِ أوْ كالسِّلْــكِ في نَثْــرِ وفى
نَظْــمِ بأسْجــاعٍ وغُــرّ قَــوافِ
قلــمٌ بــهِ الرَّحْمــانُ أقْسَــمَ عِنْدَمَــا
خــطَّ الكيَــانَ بِنُونِــهِ والكَــافِ
قلــمٌ بــإذنِ اللهِ يَكْتُــبُ وحْيَــهُ
ويبيــنُ منــهُ كــلّ سِــرٍّ خــافِ
وبــهِ أحاديــثُ الرِّسالــةِ والهُــدَى
تُــرْوَى عَــنِ الأسْــلافِ لِلأخْــلافِ
والعِلْــمُ والآدابُ والحِكَــمُ الــتي
بَهَــرَتْ بــهِ ظَهَــرَتْ بِنَــصٍّ شــافِ
وبــهِ الحِســابُ غَــدَتْ مَراتِــبُ أسِّــهِ
مَبْــنَى قَواعِــد شِرْعَــة الإنْصــافِ
وبــهِ حَديــث الأوليــنَ تَقُصُّــهُ
في الآخريــنَ صَحائــفُ الآلافِ

مــا تُبَّــعٌ في حِمْيَــرِ مــا قَيْصــــرٌ

في الــرُّومِ مــا سابُــور ذُو الأكْتَــافِ

ما القِبْــطُ ما فِرْعَوْنُهَا ما الفُــرْسُ مــا

كِسْــرَى ومــا خاقَــانُ ذُو الأسْيَــافِ

ما جُرْهُــمٌ وجَدِيــسُ ما طَسْــم ومــا

قَحطــانُ أو عَدْنَــانُ في الأسْــــلافِ

مَنْ هــمْ بنو مَــرْوان يوماً أو بنو الــ

ــعَبَّــاس في أقْيَــالِ عبــدِ مَنَــافِ

ومَنِ الْعَباهِــلُ والقــرومُ ومَنْ هُــمُ الــ

ــأذواءُ والأبْــواءُ في الأشــــرافِ

ذهبــت بهــم أيــدي المنــا وتخلّفــوا

هــذي الدّنــا رغمــاً عــلى الآنــافِ

ومَضَــوْا ومــا كنّــا لِنَسمــعَ ذكرهــمْ

لــولاَ شبــاة يراعــةِ العــــرَّافِ

لــمْ يبــق إلاّ ذكــر عمــراً خالــداً

ولهــم بمــا عملــوا الجــزاء الــوافي

عَهــدي بحيّهــمُ الحلــوف وأهلــه

عهــدي بأيّــام الشّبــــاب العــــافي

دار الهــوَى جادتــك أخــلاف الحيــا

مــن مربــعٍ أقــوى ومــنْ مصطــافِ

كـــمْ في عراصـــكَ للصّبـــا من ملعـــبِ

حـــــالٌ عهدنـــــاهُ وورِدٌ صـــــــافِ

يـــا طالمـــــا قَضيْـــت فيـــهِ لياليـــــا

وطـــرّ الهـــوَى والشّمـــل في إيـــلافِ

ما خِلـــت أنْ تذْوَى غضـــارة عيشهـــا

حـــتّى انقضـــتْ والدَّهـــرُ ذو أخيـــافِ

فلئـــنْ نزحـــت فإنّـــني بـــكَ جائـــل

بالوهـــمِ بيـــنَ مواقـــــدِ وأثـــــافِ

مـــنْ لي بقلـــبِ فيـــكَ قـــدْ أضلَلتـــهُ

بيـــنَ الغُصـــونِ الهيـــفِ والأحقـــافِ

ولَـــرُبّ ليـــلِ بِـــتُّ فيـــهِ كأنّـــني

مِـــنْ لاعـــجِ البرحـــاءِ فـــوقَ أثـــافِ

أرْعَى كواكِبـــــهُ تمــــورُ كأنّهـــــا

نـــورٌ عـــلى نَهْـــرِ الحديقـــةِ طـــــافِ

والدَّمـــعُ في خـــدّي تراهـــنُ شقـــره

سبـــق المجـــلّي والمصـــلّي قـــــافِ

حضـــأتْ بصـــدْري جاحمـــاً زَفراتـــهُ

أرأيـــت مفتـــــاداً خـــلالَ ســـــوافِ

قدْ كنتُ أرجو الطَّيف يخطرُ في الكـــرا

لـــوْ أنّ جفنـــاً مِـــنْ مُحِـــبٍّ غـــــافِ

يـــا عـــاذل المشتـــاقِ قدْ بَـــرِحَ الخفـــا

عـــنّي إليـــكَ فلســـــتُ ذا إسعــــــــافِ

سلـــبَ الفراقُ حشاشتي وسبَى الجـــوَى

لُـــبِّي فهـــــلْ لِصَبَابَـــتِي مُتَـــــــلافِ

أفْـــدي فَـــتى وَنِيَتْ خطاهُ عَنِ الهَـــوَى

وأراهُ صفحـــــةَ معـــرضٍ مُتَجـــــافِ

وسَمَـــتْ بمطلبـــهِ إلى أوْجِ العُـــــلا

هِمَـــمٌ أحلَّتْـــــهُ ذُرَى الأعـــــــرافِ

يـــا راكبـــاً تخـــــدي بـــه وجنـــاؤهُ

كالرِّيـــحِ بيـــنَ تنايـــــفٍ وفيـــــافِ

متطلبـــاً شـــأْوَ المكـــــارمِ والعُـــــلاَ

عَـــرِّجْ عـــلى أسبـــاطِ عبـــدِ منــــافِ

واقصـــدْ أبا حمو الرِّضى فهـــو الـــذي

دونَ الـــورَى فيمـــا تطالـــبُ كـــافِ

تَلْـــفَ المَعـــالي والعَـــوالي والنَّـــدَى

والدِّيـــن والدُّنيـــا عـــلى أصنـــافِ

تَلْـــفَ السّـــراوةَ والجَلالـــةَ والهُـــدَى

والعِلْـــمَ والإيمـــــانَ في إيـــــلافِ

تَلْـــفَ الخلافـــةَ قبلـــةً مَحْجوجَـــــةً

طـــافَ الـــورَى منهـــا بخيـــرِ مطـــافِ

تَلْـف المَفاخِـر نيّـرات شُهْبهـــــا

والمجـدُ ثوبــاً معلـمَ الأطــــرافِ

تَلْف الكمالَ البخت والخلــقّ الــرّضى

والبِشْــــر مُقترنــــاً بوعـــدِ وافِ

ملــكٌ أعــارَ الــرَّوْض طيــبَ ثنائــهِ

والصُّبــحُ نــورُ جبينــهِ الشفّـــافِ

غمــر الأنــامَ مواهبــاً كالقطـــرِ إذْ

غمــر الوِهــادَ ومُرتــقَى الأشــرافِ

فبكــلّ قطــرِ مــنْ صنائــعِ جُـــودِهِ

حَفَــلٌ تــروحُ إليــهِ في الأضيــافِ

إنْ صــالَ طــالَ الأُسْدَ أوْ بذلَ النَّـدَى

بَــذَّ الغمــامَ بعـــارضِ وكّـــافِ

يبــدُو فتحسبــهُ الكتائـــب هيْبَـــةً

للهِ فـــردٌ قِيـــس بـــالآلافِ

مَنْ ذا يُضاهي في العُلاَ موسى الرّضى

مــولَى المُلــوكِ وسَيِّـــد الأشْــرافِ

يــا طالِــبِي إدْرَاكَ شــأْوَ كمالِـــهِ

طاشَــتْ سِهامُكُــمُ عَــنِ الأهْـــدافِ

خَلُّــوا لهُ طُــرق المَحامِــدِ وافْسَحــوا

لِمُـــدَرَّبِ بِسُلوكِهـــا عَـــرّافِ

جَمّــاع نـهْـب المَجــدِ منْ إرْثٍ ومــنْ

كسْــبٍ حــواهُ لمالـــــهِ مِتْـــــلافِ

مِــنْ آلِ زيّــان الألَى رفعــوا عــلى

عمــدِ الغــنَى للعــزّ أيّ طـــرافِ

نَهَجــوا سبيــلَ المعْلــواتِ وخَلَّــدوا

شرفــاً عــلى الأيّــامِ ليــسَ بعــافِ

وسعَــوْا لكســبِ الحمدِ بالهِمَــمِ العــلَى

وكَــذا تكــونُ خلائِــق الأشــرافِ

أخليفــةَ اللهِ الــذي فضّــلَ الـــورَى

بالــذّاتِ والآبــاءِ والأوصـــــافِ

للهِ دولتـــــكَ الكريمـــــة إنّهـــا

زَيْــنُ الحيــاةِ ومظهــرُ الألطــــافِ

رفَّــتْ عــلى الأيّــامِ روْض سياســةٍ

رتَــعَ الــورَى منــهُ بظِــلٍّ ضــافِ

وكفــت عليــهِ للسّعــادةِ ديمــــة

فاختـــالَ للإقبـــالِ في افـــوافِ

كرمــتْ مجــاني العزّ فيهِ وقدْ جــرَتْ

جــوداً مجانيــهِ بعـــذبِ قطـــافِ

وتمايلــتْ قُضــبُ الفتــوحِ بدوحــه

لنسيــمِ نَصــرِ بينهـــا هَفّـــافِ

كــمْ زَهــرَةً للفخــرِ يَعْبَــقُ طِيبُهــا

فيــهِ وكَــمْ ثَمَــرٍ دَنَــا لقطــافِ

قسمــاً بمجْــدكَ وهــو خيــر أليــةٍ

آليْــتُ في مــاضٍ وفي استئنــافِ

مــــا أنــــــت إلاَّ آيــــــة للهِ في

فُرْقانِهــا للنَّـــاسِ سِـــرٌّ خـــــافِ

وأنــا الــذي للعالميــنَ شَرَحتُهـــا

وأتَيْــتُ عنهــا بالبَيــانِ الشَّــــافِي

وجمعــتُ في تأليفِهــا لأُولِي النُّــهَى

عِبَــراً تُبيــنُ مَواقِــعَ الألْطـــافِ

وصدَعــتُ فيــهِ للكمــالِ بحجــةٍ

قامــتْ علــى الأسْــلافِ والأخْــلافِ

مــا الفخــرُ كــلّ الفخــرِ إلاّ مــا بــهِ

خلــدت مــنْ خبــرٍ بخُبْــرِكَ وافِ

لــمْ آل فيــهِ طــوعَ أمْــركَ غايــة

بــلْ طــرتُ مــلء قــوادمٍ وخــوافِ

مــولايَ خُذْهــا مِــنْ نتائــجِ فِكْــرَتي

بِكْــراً تُــزَفُّ لديــكَ أيّ زفـــــافِ

أَلْبَسْتُهــا حُلَــلَ القَريــــضِ فَأَقْبَلَــتْ

تختــالُ في حبرانــهِ الأفــــوافِ

وأطَبْتُهــا بخلــوقِ مدحــكَ فاغتــدَتْ

والعــرف منهــا فاغــمُ الآنـــافِ

فُقْــت الملــوكَ ممادحــاً فشــأتْ بكــمْ

أمداحهــا في تالـــدٍ وطــــرافِ

لازلــت سلطـــان البريـــةِ كلّهـــا

حــتّى القيامــة يــا مــآلِ العـــــافِي

***

ـ وهــذه قصيــدة؛ وصــف فيهــا يحــيى بــن خلــدون سلطــان غرناطــة ابــن الأحمــر:

ملــك تبجبــح الجلالـــة والعـــلاَ

ضاهى المجــرّة رفعـــة وجمـــالاَ

وامتيـــاز بالفضل المبيـــن خليفـــة

شـــأت الأنـــام مجـــادة وكمـــالاَ

وبدا بأفق الديـــن شمـــس ظهيـــرة

فإنجـــاب ليل الكفـــر عنـــه ومـــالاَ

هو شـــاد للإســلام ركنـــاً واهيــاً

مستهونــاً نفســاً تعــز ومــالاً

وأتى بآيــات الشجاعــة والنّــدى

يبــدي بهــا التفصيــل والإجمــالاً

من كل معجــزة بفصــل خطابهــا

ومبينــة قــد أغنــت الأمثــالاً

فهــو الــذي مــن بأســه ونوالــه

قهــر العــداة وأحســب الآمــالا

والدّيــن والدّنيــا به نــالاً المــنى

لمّــا غــدا وزراً وراح ثمــالاً

فالزهــر ينطــق عرفــه بثنائــه

والريح إن خفقــت صبــا وشمــالاً

فلــذاك أسمــاه الإلــه ممجــداً

وحبــاه عــزة نصــره إكمــالا

دامــت لــه الدّنيــا ودام لأهلهــا

يجــني السّروريحفــظ الإهمــالا

* * *

ـ قال يحيى بن خلدون هذه القصيدة في حفل أقيم ببلاط الدولة الزيانية بتلمسان؛ في عام 770هـ/1368م؛ بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف.

سلا القلب لولا لوعة وشجونُ
تنمّ ولا يدري بذاك شئونُ
يُذَكِّره البرق اليمانيّ عهده
بنجدٍ فيصبو والحديث شجونُ
وربتما بيدي المشوق تجلداً
ولكن إذا جدّ الغرام يمين
ومنْ ملك الحب القياد ويدعى
سلواً لعمري أنه لضنين
رعى الله بالجرعاء موطن أُلْفِهِ
ولا برحت تسقى ثراه مزونُ
عهدتُ فصيحاً بالأوانس ربعه
فأعجم حتى ما يكاد يبينُ
وقفتُ بها أُزْجي سحائب أدمعي
من السقم أخفي تارة وأبين
و قالوا جنون ما اعتراه وإنما
لذيذ التّصابي أن يقال جنون

كـــذا مذ عرفنا الحبّ أوله ضـــنى

وآخـــره امـــا عرفـــت منـــــون

أيـــا عذبات البان من أيمن اللـــوى

نعمـــت وجـــادت ربعكُـــنَّ عيـــون

تـــرى ذلـــك العهد الذي تعرفينـــه

يعـــود وتُقْضَى في حماك ديـــون

يمينـــاً لقد أوى الفراق بمهجـــتي

فلـــمْ يبـــق إلاَّ زفـــــرة وأنيـــنُ

ويســـري برياك النسيـــم فأنثـــني

كمـــا تنثـــنى بينكـــنّ غصـــون

ألاَ أيُّها الرّكب المخبُّون بالضُّـــحَى

عسى لك من أرض الحجاز ظعون

أعيـــدوا أحاديث العذيب وأهلـــه

فـــلي بأحاديـــث العذيـــب فتـــون

أمِـــنْ طيبـــة يا قوم ثـــور ركبكـــم

فعـــن طيبهـــا هـــذا العبيـــر يبيـــن

وما طيبـــة حسناً إذا ما اعتبرتهـــا

وسكّانهـــا إلاّ الجنـــان وعيـــن

محطّ ركاب الوحي منتجع الهـــدى

مساحـــب ذيل الرّشد حيث يكـــون

مــواطئ خير الخلق آثـــار نعلـــه

ومثـــواه حيـــاً وَهْـــو ثَـــمَّ دفيـــن

هو المصطفى المختار من آل هاشم

أولي الشرف الوضـــاح منه جبيـــن

محمـــد المبعـــوث للخلـــق رحمـــة

وليـــس ســـواه للنجـــاة ضميـــن

توالـــدَ إحـــدَى بَعْدَ عشـــرة ليلـــةً

لشهـــر ربيـــع حبـــذا لـــك حيـــن

فيـــا ليلة الاثنيـــن فضلـــك ظاهـــر

وكـــلّ الليـــالي عنـــد قـــدرك دون

أتى وظـــلام الكفـــر مـــدَّ رواقـــه

فجـــلاه صبـــحٌ مـــن هـــداه مبيـــن

نـــبيّ كريـــم للرسالـــة خاتـــــم

مطـــاع لدَى ذي العرش ثمّ أميـــن

رؤوف رحيـــم بالعبـــاد وإنّـــــه

لـــذو قـــوّة عنـــد الإلـــه مكيـــن

وســـرّ وجود العالمين وأصلــــــه

وغايتـــــه فالكـــلّ عنـــــه يبيـــن

وما هو إلاَّ سيـــد الرســـل كلهـــم

وأولاهـــمُ بالفخـــر حيـــث يكـــون

وأفضلهـــم خَلْقـــاً وخُلْقـــاً ومحتـــدا

وأكملهــــم ذاتـــــاً وذاك يقيـــــن

وأعلاهــم قـــدراً وأرفـــع منصبـــاً

وأسمـــح كفـــاً إذْ تجـــرد يميـــــن

وهل يـــدرك المدّاح غايـــة فضلـــه

وفي الغيب سرّ من علاه مصـــون

ألاَ يا رســـول الله دعـــوة خـــاطئ

لقد طـــال منـــه للضـــلال ركـــون

مقيـــم بأقصى الغرب جسماً وقلبـــه

بيثـــرب لا يلـــوي عليـــه رهيـــــن

يُؤَمِّـــلُ قَبْلَ الموت نحوك رحلـــــة

فيقضيـــه دهـــرٌ باللقـــــاء ضنيـــن

وقد ضقتُ ذرعاً بالذي اكتسبت يدي

وإنِّي مـــن خـــوف الجـــزاء حزيـــن

سريـــت بليل من شبـــابي إلى الصّبـــا

وخفت افتضـــاحي والصّبـــاح مبيـــن

وقد يرعوي بعد اللّجاج أخو الهوى

ويقتـــاد من بعد الجمـــاح حَـــرون

إذا لم تكن لي في القيامـــة شافعـــاً

فيـــا حســـرة إنِّي إذَنْ لغبيـــن

وإنّي لأرجـــو عن قريـــب زيـــارةً

لقبـــرك تســـري بي إليه أمـــون

وما خلت هذا قبل أن علقـــت يـــدي

بجـــاه أحبّ الخلـــق فيـــك يكـــون

خليفة ربّ العرش موسى بن يوسف

لـــه شـــرف مما يشيـــن مصـــون

أغـــار حســـودي رفعـــة وكرامـــة

وراش جنـــاحي والجنـــاح مهيـــن

فتلـــتُ الذي أُمِّلْـــتُ دنيـــا بعـــــزه

وما لي على الأخرى سواه معيـــن

هو الملـــك المنصور والواحد الذي

بـــه قُضِيَـــتْ للمعلـــوات ديـــونُ

بـــه الله أعـــطى للخلافـــة حقّهـــا

فعـــمّ الـــورَى عَـــدْلٌ وأُيِّـــدَ دِيـــنُ

فيمنـــاه يوم الحرب والسلـــم للعـــدا

ضـــرام وللراجي النّوال معيـــن

إذا ما بدا فالشمـــس نوراً ورفعـــة

وهاتيـــك قد تخـــفى وأنـــت مبيـــن

له همّـــة لم تـــرض إلاّ له العـــلا

على أنّـــه فـــوق السّمـــاك مكيـــن

وشيمتــه الفخــر العظيــم وعنــده
من العلــم والرّأي الرّجيــح فنــون
به الغرب يزهى غبطــة بجــواره
فمصــر تمنت أن تَكُنْهُ وصيــنَ
إذا شــرف الأمــلاك ملــك فإنّــه
كمــال لملــك العالميــن يزيــــن
أمــولاي يا أعلى الملوك بأسرهــا
وأكرمهــم أصــلاً وذاك مبيــن
إذا افتخروا جداً كريمــاً ففخركــم
بعبــد منــاف عنــد ذاك يكــون
أبى الله إلاَّ أن يكــون لــك العــلى
فخابــت من الأعداء فيــك ظنــون
وآتــاك ربّ العرش عزاً فلاَ تُبَــلْ
وإن نظــرت شزراً إليك عيــون
وخذهــا أمير المسلميــن مجاجــة
من القــول غراً من علاك تبيــن
شــأوت بها صبحي وأنت شهيدهــا
فليــس لهــا بيــن النّظــام قريــن
بقيــت عــلى مــرّ الزّمان مؤيــداً
لك الصّعب في كلّ الأمور يهــونُ

ولا زلـــت في العزّ المكين مخلـــداً

وربّـــك فيمـــا ترتجيـــه معيـــــــنُ

* * *

ـ قـــال هـــذه القصيـــدة أثنـــاء حفـــل يخلـــد ذكـــرى المولـــد النبـــوي الشريـــف؛ عقـــد بمشـــور السلطـــان أبي حمـــو الثـــاني بتلمســـان؛ وكـــان يحـــيى بـــن خلـــدون قـــدم برسالـــة مـــن قبـــل أمـــير بجايـــة أبي عبـــد اللـــه[1]:

تراءت لها أعـــلام نجـــد محياهـــا

نسيم ســـرى من حاجـــر ورباهـــا

ولاح لها البرق اليمـــاني فانبـــرت

تمـــر حثيـــث للعذيـــب خطاهـــا

بها ميـــه الأشـــواق عذرتـــه الهوى

يهيـــج ترجيـــع الحـــداة جواهـــا

تـــردد من ذكـــرى الأجيـــرع أنـــه

وتـــزري دموعا للمشـــوق عندهـــا[2]

---

[1] لم يشر يحيى بن خلدون إلى هذه القصيدة ـ في كتابه بغية الرواد ـ بل أورد قصيدة أخرى ـ غير هذه؛ وردت فيما سبق ـ ذكر أنه ألقاها بهذه المناسبة؛ ومطلعها: ((يا بدر تم بالأوج قد ظهرا * فضاء بالخافقين شتهرا)).

[2] نسخ هذا الشطر بشكل لا يقرأ؛ فقرأناه هكذا.

وتصبــوا لنعمــان الأراك وعهــده

فيا حسن مغرها ويــا بعد مرماهــا

خلية سقم بي من الوجــد ما بهــا

وفــرط هــواي الجاحدي هوائهــا

بحقــك عللهــا بذكــر عهــوده

فجــل حداها أن يكــف بذكراهــا

أنلهــا وقوفــا في المعاهــد ساعــة

فقد شفها طــول السُّــرَى وبراهــا

أرحها من التعنيف بالشــوق ساقهــا

وما قــد عناهــا حسبهــا وكفاهــا

[ودعها تهيم في سيرها فلن تصــل][1]

إلى قبر غيــر الهاشــمي سراهــا

محمــد المبعــوث للخلــق رحمــة

له من مراقي الفخر لا غرو أغناها

رسول أتى والشرك بــاد ضلالــه

فأوضح من سبل الهدايــة أزكاهــا

لمولــده في الأرض أيــة آيــــة

بدت ليلة الاثنين مــا كــان أسناهــا

---

[1] هذا الشطر مضطرب المعنى ومختل الوزن؛ فجاء هكذا: ((ودعها تهيم قاصدها مسفرا فما)). لذا فقد عوض بشطر آخر ـ لتسهيل مواصلة القراءة ـ ووضع بين حاصرتين.

تداعى له إيوان كســرى وأخمــدت

لفارس [نـــار][1] نور أحمد أطفاهـــا

وغاضت ميـــاه من بحيـــرة ســـاوة

فبان لهـــا للحيـــن خيبـــة مسعاهـــا

وكـــم معجـــزات للمقـــال تنزلـــت

عليـــه وأخـــرى للفعائـــل أبداهـــا

له حـــن [لمّـــا][2] غاب جذع أراكـــه

وجاءت له تشكـــو[3] الغزالة بلواهـــا

وأشبـــع آلافـــاً طعامـــاً بصاعـــه

ومن كفـــه عذبا من المـــاء روّاهـــا

وفي ليلـــة الإسرى تبيـــن فضلـــه

بها قدمته [الأنبيـــا][4] في مصلاّهـــا

نـــبي كفيـــل بالشفاعـــة للـــورى

له الله في يـــوم القيامـــة أعطاهـــا

عليه ســـلام اللـــه ما درّ شـــارف

فضوعت الأزهار بالروض [ريحها][5]

---

[1] كتب في الأصل كلمة: ((نوّر))؛ وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً. وعليه فقد عوضت بكلمة أخرى؛ وردت أعلاه بين حاصرتين.

[2] كتب في الأصل: ((ما)؛ وهذا يخل بالوزن والمعنى معاً.

[3] في الأصل هكذا: ((تشكوا))؛ بالألف وهو خطأ.

[4] في الأصل: ((الأنبياء))؛ وهذا يخل بالوزن؛ فحذفنا الهمزة لتصويب الوزن للضرورة.

[5] كتبت هذه الكلمة في الأصل: ((رباها)) أو ((رياحها))؛ والحالتين يختل الوزن؛ لذا فقد عوضت بكلمة وردت أعلاه بين حاصرتين.

وخـــص بتأييـــد الإلـــه خليفـــــة

بسنــــة خيـــر الخلق قام فأضفاهـــا[1]

إمــــام هـــدى للـــه أخلــص فعلـــه

وأحكامه بالعدل في الخلق أمضاهـــا

بـــه اللـــه أحيـــا للخلافـــة رسمهـــا

وجـــدّد عافيهـــا وشيّـــد ذكراهــــــا

إذا افتخر الأمـــلاك فالفخـــر دونـــه

وإن سمحت موسى بن يوسف مولاها

مليـــك لـــه في المعلـــوات منـــازل

ترفع عـــن كبـــواه لا شك أدناهـــا

[فمن ذا][2] الذي يرجى لكـــل ملمـــة

سواء بحد السيـــف يكشف ظلماهـــا

ومن غير موسى يستجـــار بجاهـــه

فيمنع من جـــور الليالي وعدواهـــا

همـــام أبى إلا المفاخـــر مكسبـــا

وما غير أثواب المحامـــد يرضاهـــا

---

[1] في ألأصل: ((فأطياها))؛ فجعلناها كما ورد أعلاه ببين حصرتين.

[2] كتب في الأصل: ((فَمَنِ ٱلَّذِي...))؛ وهذا يخل بوزن الشطر؛ لذا فقد جعلنا العبارة كما ورد أعلاه بين حاصرتين.

فَلِلْبَــأْس والإعطــاء يَسَّــر نفســه

[وللجود والأفضال للناس يعطيهــا][1]

أيا خير من يرجى شكيــة مرســلي

فظلــم الليالي نحــو بابــك أنهاهــا

فإن كنت تبغي الفخر يبــقى مخلــداً

فذكرك يسر مــن أمانيــه أنضاهــا

أعِــدْهُ إلى أوطانـــه عنــك نائــب

يُشَيِّــد مجــداً والسعــادة تعطاهــا

وخذها إليــك اليوم بنــت قريحــة

لقد طال ما بالخطب ذا الدهر أرساها

ودم لاقتناء الحمــد والمجــد باقيــا

متى [أطلعت][2] شمس السماء محياها

* * *

[1] جاء عجز البيت هنا غير سليم من حيث الوزن؛ وهو هكذا:
((ولليمنى بالأفضال والجود أعراها)). وعليه فقد عوض بشطر أخر؛ ورد أعلاه بين حاصرتين.
[2] هذا الشطر مختل الوزن ـ في الأصل ـ بسبب كلمة: ((طلعت))؛ لذا فقد عوضت بما ورد أعلاه بين حاصرتين.

ـ نظـم يحـيى بـن خلـدون المقطوعـات التاليـة؛ تلبيـة لأمـر السلطـان أبي حمـو؛ عبـر فيهـا عمـا يجـري في آلـة الوقـت (الساعـة المائيـة)؛ المسمـاة ((المنقانـة))؛ حيـث كانـت تلـك المقاطـع لسـان حـال التماثيـل (الجـواري) المثبتـة فيهـا؛ ومنطوقهـا في كـل ساعـة:

الساعـة الأولى

أمولى الملوك وأعلى الأمـم ومن جود العالَـم الكل عَـمْ
مضت ساعة ليت لو تثـني فـإن الحيـاة بكـم تغتنـم
وللـه وجهـك لمَّـا بـدا وقد خلته البدر في الأفق تمْ
عليه لأجـل التـقى هيبـة وفيه من الفضل بشر الكرم
أقمت بمولد خيـر الـورى سروراً لكم بالمعالي حكـم
طويـت الفؤاد على حبـه ففعلـك هذا على ذاك نـم
فنلت السعادة دنيا وأخـرى وحزت المفاخر دون الأمـم
فـدم مـا حييت لنا ملكـاً تطيعك عرب الورى والعجم

الساعـة الثانيـة

أخليفةَ الرّحمن والملكَ الذي تعنوا لعزّ عُلاه أملاكُ البَشَرْ
للهِ مجلسُك الذي يحكيعُـلاً بكَ مالكي أفق السَّماء لمن نظرْ
أوَ ما ترى فيه النّجوم زواهراً وجْهُ الخليفة بينهنّ هو القَمَرْ

والليّلُ منه ساعتان قد انقضتْ   تُثْني عليك ثَنا الرِّياضِ على المَطَرْ
لا زال هذا المُلكُ منصوراً بكمْ   وبَلَغْتَ ممّا ترتجي أسنى الوَطرْ

الساعــة الثالثـــة

أمولايَ يا ابن الملوك الألَى   لهم في المَعالي سَنِيٌّ الرُّتبْ
تَوَلَّتْ ثَلاثٌ من اللّيــلِ أبْـ   ـقَتْ لَكَ الفَخْرَ في عُجمها والعربْ
فَدُمْ حُجَّةَ اللّــهِ في أرضــهِ   تنالُ الذي شئتَــه من أربْ

الساعــة الرابعــة

يــا واحــداً في المعــالي   ومالــكُ الفضــلِ أجْمَــعْ
مَــولايَ دمـــت عليــاً   مضــت لليلـــكَ أرْبَــعْ
لا زلـــت تفْــني الأعــادي   وللمفاخــــرِ تَجْمَــــعْ

الساعــة الخامســة

يــا أميــر المسلمنَـــــا   وجَمـــالَ العالمينَـــــا
والـــذي حـــازَ المَعـــالي   كلّهـــا دُنْيَــا ودينَـــــا
قـــد مضتْ للّيـلِ خمـــسٌ   حُسنُهـــا راق العيونَـــــا
وانقـــضى النِّصْـــفُ فـــآه   هكَـــذا تَمْـــضي السّنونَـــا
دُمـــت في عِـــزٍّ وسَعْـــدِ   خالـــد الملـــكِ مكينَـــــا

الساعـــة السادســـة

يـــا واحـــــداً في عـــلاه   مـــن بأســـهِ في عساكـــرْ[1]

سِــتٌّ من اللّيـــلِ ولّـــتْ   مـــا إنْ لهـــا منْ نظائـــرْ

دامـــتْ لياليـــكَ حـــتّى   إلى المَعـــادِ نوَاضِـــــرْ

الساعـــة السابعـــة

يا مَـــنْ لهُ الفضـــلُ طَبْـــعٌ   والفَخْــــرُ فيـــــهِ سَجِيَّـــهْ

مـــرَّتْ مِـــنَ اللَّيْـــلِ سَبْـــعٌ   مـــا إنْ لهـــا مَثْنَويَّـــــهْ

لا زلـــت والشَّمْـــلُ جَمْـــعٌ   يُعْليـــــكَ رَبٌّ البَرِيَّـــــهْ

الساعـــة الثامنـــة

يـــا أكـــرمَ الخلـــقِ ذاتـــاً   وأشْـــرَفَ النَّـــاسِ أُسْـــرَهْ

مـــرَّتْ ثمـــانٌ وأبْقَـــتْ   في القَلـــبِ مِنِّي حَسْـــرَهْ

فيهِـــنَّ كـــان شَبَـــابي   أخـــا نَعيـــمٍ ونَضْـــرَهْ

ولَّى بهـــا الدَّهـــرُ عَـــنِّي   تُـــرَى لهـــا بَعْـــدُ كَـــرَّهْ

فالله يُبقيـــــكَ مَـــــولًى   يُطيـــلُ في السَّعدِ عُمْـــرَهْ

---

[1] جاء هذا البيت في نفح الطيب، وأزهار الرياض؛ هكذا:
((يا ماجداً وهو فردٌ * تخاله في عساكرْ)).

الساعــة التاسعــة

يا أوْحدَ النَّاسِ في مَجْدٍ وفي شَرَفٍ

وأفْضلَ الخَلْقِ في بَأسٍ وفي كَرَمِ

مولايَ تَاسِعَةُ السَّاعاتِ قَدْ ذَهَبَتْ

واللَّيْلُ مِنْ بَعْدِها قدْ عادَ ذا هرَمِ

كَذا يَمرُّ ولا نَدْري الزَّمان بنا

ويَنقَضي العُمرُ في اللَّذاتِ وَالنَدَمِ

من كلِّ ذا عمل في البرِّ مثلكم

يا فوزه يوم تخشى زلَّة القدم

لا زلت ذا عزّة والملك ذا شرف

بكم وأنتم مدى الأيام في نعم

الساعــة العاشــرة

يا مالِكَ الخيرِ والخيلِ التي حَكَمَتْ

لَهُ بِعِزٍّ على الأيّامِ مُقْتَبِلِ

هذا الصَّباح لقد[1] لاحتْ بشائرُه

واللَّيل وَدَّعَنا توديعَ مُرْتحلِ

[1] في نفح الطيب، وأزهار الرياض: ((وقد)).

لله عشــرٌ مــن السَّاعــاتِ باهــرةٌ

مضيــنَ لا عن قِلَى منَّا ولا ملــلِ

كذا تمــرُّ ليــالي العمــرِ راحلــةً

عنَّــا ونحن من الآمــالِ في شُغُــلِ

نمــسي ونصبحُ في لهو نُســرُّ بــه

جهــلاً وذلــك يُدْنينــا من الأجــلِ

والعمر يمضي ولا ندري فوا أسفــا

عليه إذْ مــرَّ في الآثــام والزّلــلِ

يا ليت شعري غداً كيف الخــلاصُ به

ولــمْ نقــدِّمْ لَهُ شيئــاً من العمــلِ

يا ربِّ عَفْوكَ عمّا قدْ جَنَتْــهُ يَــدِي

فليــس لي بجزاء الذَّنبِ منْ قِبَــلِ

يا ربِّ وانصر أمير المسلمين أبــا

حمُّــو الرّضى وأنله غايَةَ الأمــلِ

وابــقِ في العزِّ والتّمكيــن مدَّتَــهُ

وأعــلِ دولتــه الغرَّاءَ في الــدُّولِ

* * *

ـ وهـذا وصـف للمنقانـة؛ كتبـه يحـيى بـن خلـدون بقلمـه؛ فقـال: ((**وخزانـة المنقانـة ذات تماثيـل اللجيـن المحكمـة قائمـة المصنـع تجاههـه بأعلاهـا أيكـة تحمـل طائـرا؛ فرخـاه تحـت جناحيـه؛ ويخاتلـه فيهمـا أرقـم خـارج مـن كـوة بجـذر الأيكـة صعـداً؛ وصدرهـا أبـواب موجفـة؛ عـدد ساعـات الليـل الزمانيـة؛ يصاقـب طرفيهـا بابـان موجفـان؛ أطـول مـن الأولى وأعـرض فـوق حميعهـا؛ ودُوَيْـن رأس الخزانـة قمـر أكمـل؛ يسيـر علـى خـط استـواء سيـر نظيـره في الفلـك، ويسامـت ـ كـل أول ساعـة ـ بابهـا المرتـج؛ فينقـض ـ مـن البابيـن الكبيريـن ـ عقابـان؛ بـفي كـل واحـد منهمـا صنجـة صفـر؛ يلقيهـا إلى طسـت مـن الصفـر مجـوف؛ بوسطـه ثقـب يفـضي بهـا إلى داخـل الخزانـة؛ فيـرن؛ وينهـش الأرقـم أحـد الفرخيـن؛ فيصفـر لـه أبـوه؛ فهنالـك يفتـح بـاب الساعـة الراهنـة؛ وتبـرز منـه جاريـة محتزمـة؛ كأظـرف مـا أنـت راء؛ بِيُمْنَاهَـا أذبـارة[1] فيهـا اسـم ساعتهـا منظومـاً؛ ويسراهـا موضوعـة علـى فيهـا؛ كالمبايعـة بالخلافـة لأميـر المؤمنيـن أيـده اللـه. حيـل أحكمـت يـد الهندسـة وضعهـا**))[2].

---

[1] الذِّبْرُ: جمعه: ذِبار؛ الكتاب السهل القراءة. وجمعها يحيى ابن خلدون هكذا.

[2] بغية الرواد، ج: 2، ص ص: 101 - 104.

المائـة التاسعـة هجريـة

800 ـ 900هـ

محمد بن احمد

ابن محمد بن احمد بن محمد بن محمد
ابن ابي بكر بن مرزوق التلمساني العَجيسي، المعروف بالحفيد (ابو عبد الله)

جاء فيما سبق؛ أن أسماء علماء بني مرزوق تتاشبه، وتتداخل؛ وحتى تخصصات أعضاء هذه الأسرة العلمية فهي واحدة؛ لذا؛ وجب الحذر والتحري جيداً؛ كي يسهل تمييزهم عن بعضهم. كما اتبع فيما سبق أسلوب الترقيم؛ لفرزهم. وعليه؛ يصبح صاحب هذه الترجمة؛ في المرتبة السادسة بين أعضاء المرازقة. أما مولده فتم **بتلمسان** في سنة 766هـ/1365م؛ وتوفي بها في عام 842هـ/1439م. وهو **ابن أحمد** الثاني بين المرازقة، ثم ابن **محمد** الرابع في أسرة المرازقة؛ (وهذا الأخير؛ هو صاحب ابن الخطيب، ومؤلف كتاب المسند)، ثم ابن **أحمد** الأول بين المرازقة، ثم ابن **محمد** الثاني، ثم ابن **محمد** الأول، ثم ابن **أبي بكر** (عاش في القرن السادس الهجري)، ثم ابن **مرزوق العجيسي**؛ الذي

يعتبر أول من دخل منهم **تلمسان**؛ قادماً إليها من **القيروان**؛ عندما اجتاحتها قبائل **بني هلال** في النصف الأخير من القرن الخامس الهجري. وهم جميعاً ينتسبون إلى قبيلة **عجيسة البرنسية**؛ التي استوطنت قديماً بلاد **الحضنة** في نواحي **المسيلة** الحالية. وكان **محمد بن أحمد** هذا؛ حجة في الفقه المالكي؛ وإماماً في النحو والأصول والحديث والتفسير وغيرها من العلوم. كما له مشاركة في الأدب، ويجيد نظم الشعر. وله تآليف عديدة؛ منها: "كتاب المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية"؛ وهو في العروض والقوافي، و"كتاب إسماع الصُّم في إثبات الشرف من جهة الأم"، و"كتاب المفاتيح القرطاسية في شرح الشقراطسية"، و"كتاب المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج"؛ ويهتم بإجابات ابن سراج في بعض المسائل النحوية والمنطقية، و"كتاب الروضة"؛ وهو رجز في علم الحديث، و"كتاب مختصر الحديقة"؛ وهو مختصر منظوم في بحر الرجز لألفية العراقي في علم الحديث؛ و"كتاب المقنع الشافي"؛ أرجوزة في الميقات تحتوي على 1700 بيت، وأرجوزة أخرى في ألف بيت على الشاطبية، وأرجوزة في تلخيص المفتاح، وأرجوزة في تلخيص

ابن البنا، وأرجوزة في جمل الخونجي، و"كتاب نهاية الأمل في شرح الجمل"؛ وهو في المنطق، وأرجوزة؛ اختصر بها ألفية ابن مالك، و"كتاب اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة"؛ وهو في الفقه والتفسير، و"كتاب نور اليقين في شرح أولياء الله المتقين"، و"كتاب الدليل الموفي في ترجيح طهارة الكاغد الرومي"، و"كتاب النصح الخالص في الرد على المدعي رتبة الكمال للناقص"؛ وهو في سبعة كراريس؛ رد فيه على فتوى الإمام قاسم العقباني، و"مختصر كتاب الحاوي في الفتاوى"؛ لابن عبد البر التونسي، و"كتاب الاعتراف في ذكر ما في لفظ أبي هريرة من الإنصاف"، و"كتاب الروض البهيج في مسألة الخليج"، و"كتاب أنوار الدراري في مكررات البخاري"، ورسالة في ترجمة إبراهيم المصمودي، وكتاب برنامج الشوارد، وكتاب تفسير سورة الإخلاص؛ اتبع فيه طريقة الحكماء، وشرح على ابن الحاجب، وشرح على التسهيل، وثلاثة شروح على البردة: الأول عرف بالأكبر؛ هو إظهار صدق المودة في شرح البردة؛ كل بيت يشتمل على سبعة فنون، والثاني عرف بالأوسط، الثالث عرف بالأصغر؛ وهو الاستيعاب لما فيها من البيان

والإعــراب. ولــه أيضـا بعـض الكتـب لـم يتمكـن مـن إكمالهــا؛ وهي: روضـة الأريـب في شـرح التهذيـب، والمنـزع النبيـل في شـرح مختصـر خليـل، وإيضـاح المسالـك في شـرح ألفيـة ابـن مالـك، وعقيـدة أهـل التوحيـد المخرجـة مـن ظلمـة التقليـد، والآيـات الواضحـات في وجـه دلالـة المعجـزات، والدليـل الواضـح المعلـوم في طهـارة كاغـد الـروم، وشـرح صحيـح البخـاري؛ بعنـوان المتجـر الربيـح والمسـعى الرجيـح والمرحـب الفسيـح والوجـه الصبيـح والخلـق السميـح في شـرح الجامـع الصحيـح؛ وهـو في جزأيـن. وممـا قالـه نظمـاً عـن تلمسـان:

بَلَـدُ الجِدَارِ مَا أَمَـرَّ نَوَاهَـا   كَلَف الفُـؤَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَـا
يَا عَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا   يَكْفِيـكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَـا

ـ وقـال فيهـا أيضـا ضمـن أرجـوزة في علـم الحديـث:

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذَكَـاءٍ وَفِطَـنْ   فِي رَابِعٍ مِنَ الأَقَالِيـمِ قُطِـنْ
يَكْفِيكَ أَنَّ الدَّاوُدِيَّ بِهَا دُفِـنْ   مَع ضَجِيعِهِ ابْن غَزْلُون الفَطِنْ

* * *

محمد بن محمد
ابن ابي القاسم المشدالي (ابو الفضل)

ينتمي إلى عشيرة من زواوة تسمى مشدالة. أما مولده؛ فوقع ببجاية في سنة 820هـ/1417م أو 821 أو 822هـ. نشأ بمسقط رأسه؛ مواضباً على التعلم في حلقات العلم المختلفة؛ في ظل عائلة تهتم بالعلم، وتحافظ على الدين؛ وهو سليل علماء عظام من هذه العائلة كأبي علي ناصر الدين المشدالي، وأبي موسى عمران المشدالي. كما أن والده أبا عبد الله محمد بن القاسم المشدالي هو عالم بجاية في وقته وخطيبها؛ بالإضافة إلى شقيقه الفقيه محمد بن محمد المشدالي. قرأ صاحب الترجمة عن والده القرآن برواياته السبع؛ فذكرت المصادر أنه بدأ حفظ القرآن في الخامسة من عمره؛ واستطاع حفظه كاملا بعد سنتين ونصف. واشتهر عنه أنه استظهر سورة سبح وحفظها بالسماع؛ قبل أن يتعلم تهجية الحروف. ومن شيوخه في القراءات الإمام أبو عبد الله محمد ابن أبي رفاع؛ كما أخذ قراءة نافع عن الشيخين

هـــارون المجاهــد وأبي عثمـــان سعيـــد العيســـوي؛ إلى جانـــب آخريـــن. ومـــن العلـــوم الـــتي حـــرص عـــلى تعلمهـــا وحفظهـــا: دواويـــن الأدب، ثـــم مجموعـــة مـــن المتـــون؛ إذ استظهـــر: الشاطبتيـــن، ورجـــز الخـــراز في الرســـم (الإمـــلاء)، والكافيـــة والشافيـــة، والخلاصـــة، ولاميـــة الأفعـــال، ومعظـــم كتـــاب التسهيـــل؛ وهمـــا لابـــن مالـــك، ومتـــن ابـــن الحاجـــب الفـــرعي، والرسالـــة، وأرجـــوزة التلمســـاني في الفرائـــض، ومـــا يقـــدر بربـــع مدونـــة سحنـــون، وطوالـــع الأنـــوار في أصـــول الديـــن للبيضـــاوي، وجـــزء مـــن ابـــن الحاجـــب الأصـــلي، وجمـــل الخونـــجي، والخزرجيـــة في العـــروض، وتلخيـــص ابـــن البنـــا في الحســـاب، وتلخيـــص المفتـــاح؛ ودووايـــن: امـــرئ القيـــس، والنابغـــة الذبيـــاني، وزهيـــر بـــن أبي سلـــمى، وعلقمـــة الفحـــل، وطرفـــة بـــن العبـــد. انتقـــل إلى تلمســـان في عـــام 840هـــ/1436م؛ أيـــن استقـــر بهـــا مـــدة أربـــع سنـــوات؛ فتـــزود بالعلـــم في حلقـــات أبي مـــرزوق الحفيـــد، وأبي قاســـم العقبـــاني، وأبي الفضـــل بـــن الإمـــام، وأحمـــد بـــن زاغـــو، ومحمـــد بـــن النجـــار الشهيـــر بساطـــور القيـــاس، وسليمـــان البوزيـــدي، ويوســـف بـــن إسماعيـــل، وعـــلي بـــن القاســـم، ومحمـــد البـــوري، ومحمـــد بـــن عـــلي بـــن أفشـــوش التلمســـاني. أخـــذ عـــن هـــؤلاء كلهـــم علومـــاً شـــتى وفنونـــاً

كثيرة متنوعة؛ من ذلك: التفسير، والحديث، والفقه، والأصلين، وفنون الأدب، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة، والطب، والموسيقى، والهندسة، وعلم الهيئة، والحساب، والجبر، والمقابلة، وعلم التقاويم والميقات، والفرائض والتصوف. ولما استوفى حقه، واكتمل علمه؛ عاد إلى بجاية سنة 844هـ/1440م؛ حيث تصدر للتدريس؛ ولكن مقامه لم يطل؛ إذ رحل إلى قسنطينة، وبونة، ثم تونس، ثم قبرص، ثم بيروت الشام، ثم رحل لأداء فريضة الحج؛ ثم دخل إلى مصر؛ أين جلس للتدريس في جامع الأزهر. وكانت وفاته بعين تاب في بلاد الشام؛ وذلك في سنة 864هـ/1460م. له ديوان شعر مفقود.

ـ ومن شعره؛ هذه الأبيات التي قالها سنة 840هـ؛ أثناء إقامته في تلمسان؛ خاطب بها بعض أصدقائه في بجاية:

برق الفراق بدا بأفق بعادنا فتضعضعت أركاننا لرعوده
كيف القرار وقد تبدد شملنا والبين شق قلوبنا بعموده
لله أيام مضت بسبيلها والدهر ينظم شملنا بعقوده

* * *

محمد بن موسى

ابن يوسف (ابو زيان)

هو ابن السلطان الزياني **أبي حمو الثاني**. وشبيهه في الاعتناء بالعلم، ورعاية الفنون، والمشاركة في مجالات الآداب، ونظم الشعر. ولد **أبو زيان محمد** في **تلمسان** بتاريخ لم يحدّد. أما أمه فهي من مدينة **ميلة** المتواجدة في شمال **قسنطينة**. تزوجها **أبو حمو** أثناء حركته مع أعراب إفريقية المناهضين للمرينيين في تلك الديار؛ ولأبي زيان ثلاثة أشقاء من أمه؛ أشهرهم: **المنتصر**، ثم **عمر** (العروف بعمير). قاوم **أبو زيان** أخاه **أبا تاشفين**. خاصة عندما واجه أباه بالعداوة؛ وتآمر عليه ـ إلى جانب المرينيين ـ وشاركهم في قتله. وقد تمكن **أبو زيان** ـ بعد محاولات فاشلة؛ ضد أخيه **أبي تاشفين**؛ وجراء موقف **بني مرين** الكابح له والمعرقل لكل من شأنه تحقيق هدفه. تمكن من ذلك؛ إثر مهلك سلطان بني مرين **أبي العباس** سنة 796هـ/1394م؛ حيث سمح له ولده **أبو فارس المريني** بالعودة إلى

تلمسان؛ سعياً لاستعادة ملك أبيه. وكان إخوة أبي زيان قد تكاتفوا في مواجهة أخيهم أبي تاشفين. وبموته؛ انتصب **أبو زيان** ملكاً على **تلمسان** من سنة 796هـ/1394م إلى عام 801هـ/1399م. تم ذلك في جو غير مستقر، ومشحون بالفتن المشتعلة. ويبدو أنه لم يكن مطلق السلطات؛ لأنه وضع في محل مراقبة من قبل بني مرين.

ويتميز السلطان **أبو زيان الثاني ابن أبي حمو** بسعة الاطلاع، وحب العلم، والتفوق في فنون الأدب، وحسن ركوب صهوة الشعر. وقد وصفه محمد بن عبد الله التنسي بقوله: ((**وتصرف في شبيبته بين دراسة معارف، وإفاضة عوارف؛ وكلف بالعلم؛ حتى صار منهج لسانه، وروضة أجفانه؛ فلم تَخْلُ حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلاّ بمذاكرة ومحاضرة؛ فلاحت للعلم في أيامه شموس، وارتاحت للإستقرار فيه نفوس بعد نفوس. نسخ ـ رضي الله عنه ـ بيده الكريمة نسخاً من "القرآن" وحبسها؛ ونسخة من "صحيح البخاري"، ونسخاً من "الشِّفاء" لأبي الفضل عياض؛ حبسها كلها بخزانته؛ التي بمقدم الجامع الأعظم من تلمسان المحروسة؛ التي**

هي من مآثره الشريفة المخلدة من ذكره الجميل؛ ما سرت به الركبان؛ لِمَا أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الأوصاف. وصنَّف كتاباً؛ نَحَا فيه منحى التَّصَوُّف؛ سماه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة"))[1].

وسار هذا السلطان المثقف على خطى والده **أبي حمو الثاني؛** في التأكيد على سنن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في كل عام. وكان يعقد في قصره مجمعاً ـ كأبيه ـ تُلْقَى فيه قصائد الشعر، وتشنف الآذان بأهل السماع المترنمة بأشعار في مدح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذا السلطان الأديب الشاعر المسالم؛ لم يسلم من مكائد بني مرين؛ الذين جهزوا أخاه أبا محمد عبد الله؛ بجيش، وسيروه إلى تلمسان للإطاحة بأبي زيان محمد. فاقتحم عليه البلد؛ فاضطر إلى الخروج من المدينة؛ والتنقل بين القبائل في شرق البلاد؛ إلى أن غدره أحد أفراد تلك القبائل المدعو

---

[1] تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (نظم الدر)، ص: 211.

محمد بن مسعود الوعزاني؛ فقتله. وذلك في سنة 805هـ/1402م.

***

ـ قال السلطان أبو زيان هذه القصيدة؛ عندما مرت بتلمسان الهدية الموجهة من قبل سلطان بني مرين إلى سلطان مصر الظاهر برقوق[1]؛ فقرّر السلطان أبو زيان محمد المشاركة ـ هو الآخر ـ بهدية من عنده؛ بعث بها مع تلك القافلة إلى سلطان مصر؛ وهي مكونة من جياد بمراكبها؛ ثم أرفقها بقصيدة مدح بها السلطان برقوق؛ وهي كالتالي:

لِمَنِ الرَّكَائِبُ سَيْرهُنَّ ذَميلُ   والصَّبْرُ ـ إلاَّ بَعْدَهُنَّ ـ جَميلُ
يَا أيُّهَا الحَادِي رُوَيْدَكَ إنَّها   ظُعُنٌ يَمِيلُ القَلْبُ حَيْثُ تَمِيلُ
رِفْقاً بِمَنْ حَمَلَتْهُ فَوْق ظُهُورِهَا   فَالْحُسْنُ فَوْق ظُهُورِهَا مَحْمُولُ
لِلَّهِ آيَة أنْجُمٍ: شَفَّافَة   تَنْجابُ عَنْها لِلظَّلامِ سُدولُ
شُهُبٌ بآفاقِ الصُّدورِ طُلوعها   ولَها بأسْتارِ الجُدولِ أفولُ

[1] الظاهر برقوق؛ هو أول المماليك البرجيين في مصر والشام؛ حكم من سنة 784هـ/1382م إلى سنة 801هـ/1399م.

فَكَأنَّها قَمَــرٌ على غُصْــنٍ على مَتنَى كَثيبٍ والكَثيــبُ مَهيــلُ
ثارتْ مَطاياها فثارَ بي الهَوَى واعتــادَ قلبي زَفْــرةٌ وغليــلُ
أوْمَتْ لِتَوْديعي فغالبَ عَبْــرتي نَظَــرٌ تُخالسُهُ العُيــونُ كليــلُ
دَمْعٌ أُغَيِّض منهُ خوف رقيبهــا طَوْراً ويَغْلِبُني الأسَى فَيَسيــلُ
وَيْحَ المُحِبِّ وَشَتْ بهِ عَبَراتُــهُ فكأنَّهــا قــالٌ عليــهِ وقيــلُ
صانَ الهَوَى وجُفونُه يَومَ النَّوَى لِمصون جَوهر دَمْعِهِــنَّ تُذيــلُ
وتَهابُه أسْدُ الشَّرَى في خِيسِهــا ويَروعُهُ ظَبْيُ الحِمَى المَكْحولُ
تَأبَى النُّفوسُ الضَّيْمَ إلاَّ في الهَوَى فالحُرُّ عَبْــدٌ وَالعَزيــزُ ذَليــلُ
يا بانةَ الوادي ويا أهْلَ الحِــمَى هلْ ساعَةٌ تُصغينَ لي فأقــولُ
ما لي إذا هَبَّ النَّسيمُ مِنَ الحِمَى أرْتاحُ شَوْقــاً لِلْحِمَى وَأميــلُ
خلُّوا الصَّبَا يَخلُصْ إلَيَّ نَسيمُها إنَّ الصَّبَــا لِصَبابَــتي تَعْليــلُ
ما لي أُحَــلأُ عَنْ وَرودِ مَحلِّــهِ وَأُذَادُ عَنْــهُ وَوِرْدُهُ مَنْهــولُ
وَالبابُ لَيْسَ بِمُرْتَجٍ عَنْ مُرْتَــجٍ والظن في المولى الجميل جميل

***

مَنْ لي بِزَوْرَةِ رَوْضَةِ الهَادي الذي ما مِثْلُهُ في المُرْسَلينَ رَسَــولُ
هُوَ أحمدٌ ومحمــدٌ والمُصطفَى والمُجْتَبَى ولهُ انْتَهَى التَّفْضيــلُ
يا خَيْرَ مَنْ أهْدَى الهُدَى وأجَلَّ مَنْ أثْنَى عَلَيْهِ الــوحْيُ وَالتَّنْزيــلُ
وحْيٌ مِنَ الرَّحْمَنِ يُلْقيــهِ علَى قَلْــبِ النَّــبِيِّ مُحَمَّــدٍ جِبْريــلُ
مَدَحَتْكَ آياتُ الكِتابِ وَبَشَّــرَتْ بِقُدومِــكَ التَّــوْراةُ والإنْجيــلُ
صِلَةُ الصَّلاةِ عَلَيكَ تَحْلُو في فَمِي مَهْما تَكَــرَّرَ ذِكْرُكَ المَعْسَــولُ

فَوَرَبْعِكَ المَأهولُ إنَّ بأضْلُعي قَلْباً بِحُبِّكَ رَبْعُهُ مَأهولُ

هَلْ مِنْ سَبيلٍ للسُّرَى حَتَّى أرَى خَيْرَ الوَرَى فَهو المُنَى والسُّولُ

حَتَّامَ تَمْطُلُنِي اللَّيَالِي وَعْدَهَا إنَّ الزَّمَانَ بِوَعْدِهِ لَبَخيلُ

مَا عَاقَنِي إلاَّ عَظيم جَرائِمي إنَّ الجَرائِمَ حَمْلُهُنَّ ثَقيلُ

أنا مُغْرَمٌ فَتَعَطَّفُوا أنا مُذْنِبٌ فَتَجَاوَزوا أنا عاثِرٌ فَأقيلُوا

وَأنا البَعيدُ فقَرِّبُوا وَالمُسْتَجِـ ـيرُ فَأمِّنُوا وَالمُرْتَجِي فَأنيلُوا

يا سَائِقاً نَحْوَ الحِجازِ حَمُولَةً وَالقَلْبُ بَيْنَ حُمُولِهِ مَحْمُولُ

لِمُحَمَّدٍ بَلِّغْ سَلاَمَ سَمِيِّهِ فَذِمَامُهُ بِمُحَمَّدٍ مَوْصُولُ

وَسَلِ الإلَهَ لهُ اغْتِفَارَ ذُنوبِهِ يُسْمَعْ هُنَاكَ دُعَاؤُكَ المَقْبُولُ

***

وَعَنِ المَلِيكِ أبي سَعيدٍ فَلْتَنُبْ فَلَكَمْ لَهُ نَحْوَ الرَّسولِ رَسُولُ

مُتَحَمِّلٌ لِلَّهِ كِسْوَةَ بَيْتِهِ يا حَبَّذاكَ المَحْمَلُ المَحْمُولُ

سَعْدُ المَلِيكِ أبي سَعِيدٍ أنَّهُ سَيْفٌ عَلَى أعْدائِهِ مَسْلُولُ

مَلِكٌ يَحُجُّ المَغْرِبُ الأقْصى بِهِ فَلَهُمْ بِهِ نَحْوَ الرَّسُولِ وُصُولُ

مَلِكٌ بِهِ نَامَ الأنَامُ وَأُمِّنَتْ سُبُلُ المَخَافِ فَلاَ يُخَافُ سَبيلُ

فَالمُلْكُ ضَخْمٌ وَالجَنَابُ مُؤَمَّلٌ وَالفَضْلُ جَمٌّ وَالعَطاءُ جَزِيلُ

وَالصُّنْعُ أجْمَلُ وَالفَخارُ مُؤَثَّلٌ وَالمَجْدُ أكْمَلُ وَالوَفَاءُ أصِيلُ

يا مَالِكَ البَحْرَيْنِ بُلِّغْتَ المُنَى قَدْ عَادَ مِصْرُ عَلَى العِراقِ يَصُولُ

يا خَادِمَ الحَرَمَيْنِ حُقَّ لَكَ الهَنَا فَعَلَيْكَ مِنْ رُوحِ الإلَهِ قَبولُ

يا مُتْحِفي وَمُفَاتِحِي بِرِسالَةٍ سَلْسَالَةٍ يُزْهَى بِهَا التَّرْسِيلُ

أهْدَيْتَها حَسْناءَ بِكْـراً ما لَهـا غَيْري وَإِنْ كَثُرَ الرِّجالُ كَفيـلُ
ضاءَ المِدادُ مِنَ الوِدَادِ بِصُحْفِها حَتَّى اضْمَحَلَّ عُبُوسُهُ المَجْبولُ
جُمِعَتْ وحامِلَها بِحَضْرَتِنا كَمَـا جُمِعَتْ بُثَيْنَةُ في الهَوَى وجَميلُ
وَتَأكَّـدَتْ بِهَدِيَّـةٍ وُدِّيَـةً هِيَ للإخَاءِ المُرْتَضَى تَكْمِيـلُ
وَبَدَائِـعَ الحُلَـلِ اليَمانِيَّـةِ التي رَوَّى مَعاطِفَها بِمِصْرَ النِّيـلُ
فَأجَلْتُ فيها ناظِـري فَرَأَيْتُهـا تُحَفاً يَجولُ الحُسْنُ حَيْثُ تَجولُ
جَلَّتْ مَحاسِنُها فَأهْوَى نَحْوَهـا بِفَـمِ القَبولِ اللَّثْـمُ وَالتَّقْبيـلُ
يا مُسْعِدي وأخِي العَزيزَ وَمُنْجِدي وَمَنِ القُلُـوبُ إِلَى هَواهُ تَميـلُ
إِنْ كانَ رَسْمُ الوِدِّ مِنْكَ مُذَيَّـلاً بِالْبِرِّ وَهُـو بِنَيْلِـهِ مَوْصـولُ
فَنَظيـرُهُ عِنْدي وَلَيْسَ يَضِيـرُهُ بِمعَـارِضٍ وَهْـمٌ ولاَ تَخْييـلُ
ودٌّ يَزيـدُ وَثابِـتٌ شَهِـدَا بِـهِ ولِخَالِـدٍ بِخُلُـودِهِ تَذْييـلُ
وَإِلَيْكَها تُنْبيكَ صِـدْقَ مَـوَدَّتي صَحَّ الدَّليلُ وَوَافَـقَ المَدْلُـولُ
فَإِذَا بِذاكَ المَجْلِسِ السَّامِي سَمَتْ فَلَدَيْـكَ إقْبَـالٌ لَهـا وَقَبُـولُ
دَامَ الوِدَادُ عَلَى البِعادِ مُوَصِّـلاً بَيْنَ القُلوبِ وَحَبْلُـهُ مَوْصُـولُ
وَبَقيت في نِعَمٍ لَدَيْـكَ مَزيدُهـا وَعَلَيْكَ يَضْفُو ظِلُّها المَسْـدولُ

***

المائة العاشرة هجرية

من 900 ـ 1000 هـ

أحمد بن محمد

ابن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سعيد بن عبد الله المناوي الورنيدي التلمساني

المعروف بابن الحاج.

هو أحد فقهاء المذهب المالكي ذوي الاعتبار. كما عرف بضلوعها وتمكنه من علوم شتى: كعلوم اللغة والأدب والبيان والمنطق؛ وله قدرات واضحة في النظم. وله مؤلفات عديدة؛ منها: أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس، ونظم عقيدة السنوسي الصغرى، وشرح بردة البصيري؛ ولكنه لم يكمله. من شيوخه: أحمد بن محمد بن زكري التلمساني؛ الذي أخذ عنه الأصول، والعربية، والمعاني، والبيان، والمنطق، والحساب. قال عنه ابن مريم: ((**وكان شاعراً، ماهراً في عروض الشعر. وكان معاصراً لابن غازي؛ وكان يلغز كل واحد لصاحبه بالمسائل بالنظم. ومن نظم ما بعث به ابن غازي إليه:**

وميت قبـــر طعمه عند رأســـه

إذا ذاق من ذاك الطعــام تكلمــا

يقـــوم فيمشي صامتـــا متكلمـــا

ويأوى إلى القبر الذي منه قوما

فلا هـــو حي يستحـــق زيـــارة

ولا هو ميت يستحـــق ترحمـــا

فأجابـــه سيـــد أحمـــد بـــن الحـــاج رحمـــه الله ورضي عنـــه:

بحمد اللـــه أبتـــدي ثـــم بعـــده

أصلي على خيـــر الأنام مسلمـــا

هو القلم القبر الـــدواة وطعمـــه

مـــداد كلامـــه الكتابـــة فافهمـــا

وكاتـــب هـــذا أحمد بن محمـــد

عفا الله عنه كل ما كان أجرمـــا))[1].

أمـــا تلاميـــذ ابـــن الحـــاج؛ فمنهـــم: ابـــن أختـــه الحـــاج ابـــن السعيـــد، ومحمـــد بـــن بـــلال المديـــوني، والـــولي الصالـــح عبـــد الرحمـــن التابـــع لليعقـــوبي في التصـــوف. أمـــا وفاتـــه فيبـــدو أنهـــا حدثـــت في حـــدود عـــام 930هـــ/1524م.

---

[1] **البستـان، ص: 8.**

نظمه

يغلب على أعمال ابن الحجاج النظم في قضايا تعليمية. وفي ما يلي عينات منه:

ـ نظم عقيدة السنوسي الصغرى؛ ومطلعها:

الحمد لله الذي عرفنا　　بنفسه وزبالهدى شرفنا

إلى قوله:

وبعد فالمقصود من هذا النظام　　نظم عقيدة السنوسي الإمام

من غير تبديل ولا تغيير　　سوى اختلاف اللفظ والتعبير

ـ وفي نظمه لبيوع الآجال قال:

الله أحمد مصليا على　　محمد مسلما على الولا

أما فخذ نظم بيوع الأجل　　مختصرا أزاح كل الوجدل

من باع شيئه بنقد فاشتراه　　بثمن من جنس ما به شراه

من مشتريه قبل كان فيه　　سبع وعشرون من الوجوه

يجوز ذا في عشرة وسبعة　　وعشرة تمنع للذريعة

والحكم في النقد دون الأجل　　سيان في كل تطول

لأنه قد يشتريه فردا　　لوقته أو بعده أو نقدا

فذي ثلاث كلها بمثل ما　　باع به أو ناقصا أو أعظما

تصير تسعا مع تسع أخرى فيما إذا قد كان بعضه اشترى

وتسعـــة فيما إذا اشتـــراه مع غيـــره وذاك منتهـــاه

إذا ضربت في ثلاث تسعا زادت على العشرين فاعلم سبعا

فإن يكن شـــراؤه للأجـــل فالتسعة الأوجه جازت فاعقل

وهي ما إذا اشتراه مفـــردا بالقدر أو أقـــل أو بأزيـــدا

أو اشترى معه سواه في الثلاث أو بعضه اشترى كذا بلا اكتراث

وإن يك اشتراه فردا ناجزا أو بعضه فذا يكون جائزا

بمثل ما باع به أو أكثـــرا ولا يجوز أن يكون نـــذرا

وإن يك اشتراه نقدا مع سواه فمنع الأوجه الثلاث غير واه

أما إلى أبعد من ذاك الأجل مفردا أو مع مزيد قد حصل

فجائـــز بالمثـــل أو أقـــلا ولا يجوز أن يكون أعلى

وإن يكن شراؤه بعضا إلى أقصى من الأجل فامنع مسجلا

هذا إذا كان المبيع يعرف بعينه فالحكـــم لا يختلـــف

وإن يك المبيع ليس يعلـــم وغاب عنه فالوجوه أعظم

يطول شرحها فلا تقتنع بما من الوجوه ذكـــره تقدمـــا

كذا حكى الشيخ أبو الوليد محمد بن رشـــد الرشيـــد

ثم الصلاة والسلام جمعـــا على النبي والصحب والآل معا

وإلى جانـــب النظـــم؛ لـــه أيضـــاً قصائـــد شعريـــة؛ وصفهـــا ابـــن مريـــم بقولـــه: ((**وقـــد مـــدح النبـــي صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم بقصائـــد أتى فيهـــا بالعجـــب العجـــاب؛ فمنهـــا:**

ومن بعد باسم الله والحمد إذ به بدية   من يبغي الكمال ويطلب

وفيها من الأبيات عدد سور القرآن العظيم؛ ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهي هذه:

سلام على سكان طيبة والحمى فهم اسلموا قلبي سليما مسلما

نأت دارهم عني فَظَلْتُ لبينهم كئيبا قريح القلب صباً متيماً

وآخرها:

فلما عدمت القبر يممت مدحه فمن لم يجد ماء دهورا تيمما))[1].

ـ وله هذه المقطوعة أيضاً:

رضيت بقسم الله ثم اختياره   وجنبت نفسي السعي حول اغتياله

وفوضت أمري للذي هو عالم   بأسباب إصلاح الفتى واختباله

وأيئست قلبي من رجا غير ربه   لجلب مناه أو لسلب اعتلاله

يقيني يقيني أن أرى متذللا   لغير عزيز واحد في جلاله

وإني لأستحيي من الله أن أرى   لباب سواه سائلا لنواله

أيا طالب الدنيا والأخرى كليهما   عليك بباب الله لُذْ بحباله

ـ وجاء في آخرها:

ومن بعد حمد الله أهدي صلاته   وتسليمه للهاشمي وآله

***

[1] البستان، ص: **18.**

أحمد بن يحيى

ابن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي

(أبو العباس)

هو أحد أئمة الفقه والفتوى؛ المختصين بالمذهب المالكي. أصله من جبل وانشريس في النواحي الغربية من مدينة الجزائر؛ وولد في عام 834هـ/1430م، ونشأ بتلمسان ودرس على شيوخها؛ منهم: أبو الفضل قاسم العقباني، وولده القاضي أبو سالم العقباني، وحفيده محمد بن أحمد بن قاسم العقباني؛ ثم درس أيضاً على محمد بن العباس، وأبي عبد الله الجلاب، وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي، والمري، والمازوني. امتحن ونكب بتلمسان في سنة 874هـ/1469م من قبل السلطان أبي ثابت المتوكل؛ فنهبت داره؛ فاضطر إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى؛ حيث استقر بفاس؛ أين بقي بها إلى أن وافته المنية في سنة 914هـ/1509م. ومن مؤلفته: كتاب الولايات؛ في الخطط الشرعية، عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من الجموع والفروق، وكتاب في ترجمة محمد المقري الجد، شرح الخزرجية في

العـــروض، وغنيــة المعاصـــر، مختصـــر أحكـــام البـــرزالي، القصـــد الواجـــب في معرفـــة اصطـــلاح ابـــن الحاجـــب، حـــل الربقـــة في أسيـــر الصفقـــة، وإضـــاءة الحالـــك في الـــرد عـــلى مـــن أفـــتى بتضميـــن الـــراعي المشتـــرك، وكتـــاب وفيـــات الونشريـــسي، وإيضـــاح المسالـــك إلى قواعـــد الإمـــام مالـــك، وفهـــرس الونشريـــسي في ثلاثـــة كراريـــس، وكتـــاب المنهـــج الفائـــق والمنهـــل الرائـــق والمعـــنى اللائـــق بـــأدب الوثائـــق ، ثـــم أهـــم كتبـــه وأوسعهـــا انتشـــارا؛ وهـــو كتـــاب المعيـــار المعـــرب والجامـــع المغـــرب عـــن فتـــاوي علمـــاء إفريقيـــة والأندلـــس والمغـــرب.

***

ـ قـــال التنـــسي هـــذه المقطوعـــة في تقريـــض كتابـــه المعنـــون بـــ: إيضـــاح المسالـــك إلى قواعـــد الإمـــام أبي عبـــد اللـــه مالـــك:

علـيـــك بإيضـــاح المسالـــك أولا

فقد ضـــم أنفاســـا نفائـــس واعتـــلا

وبـــرز في مجلى الجمال وجيدهـــا

وأحرز أشتـــات المحاســـن واجتـــلا

وواضح أشكـــالا جليـــلا فما تـــرى

غموضـــا وقل كل المناهـــج ذلـــلا

وهـــذب ألقـــاب القواعـــد كلهـــا

ورتـــب أنـــواع المبـــاني وفصـــلا

وقرب ما قد كان ينبو عن الـــورى

وقيد ما قد كان في الكتب مسجـــلا

جنى من ثمـــار العلم ما قد رأيتـــه

وحـــاز من السحر الحلال حلائـــلا

عليـــك بحفـــظ مـــا حـــواه فإنـــه

جليـــل مفيـــد قد أبـــان وحصـــلا

وتدعـــو لعبـــد مذنـــب متذلـــل

عبيد الإلـــه نجل يحيى عن الـــولا

وصـــل وسلـــم ثم صـــل وسلمـــن

على خير رسل اللـــه ثمة من تـــلا

***

محمد بن احمد بن الحداد

الشهير بالوادي اشي نزيل تلمسان.

(ابو عبد الله)

حلّ بتلمسان؛ بعد سقوط غرناطة في يد النصارى. وباستقراره في هذه المدينة؛ تزوج من أسرة من بني مرزوق؛ ولكن تلك الصلة انقطعت بعد فترة؛ لأسباب ما. ووصف المقري نظمه فقال: **((وكان له نظم لا بأس به))**[1].

ـ أورد المقري له هذين البيتين؛ قائلا أن بيتا منهما نسيه؛ ومفاده: أن الناس لاموه عندما طلق بنت ابن مرزوق؛ فأجابهم بهذه المقطوعة؛ بعد ذلك البيت المنسي:

يَلومُنِي الأقْوامُ مِنْ بَعْدِ ما سَطَا

عَلَيَّ ابْنُ مَرْزوقٍ وَمَنَّ بِإنْفَاقِ

---

[1] **أزهار الرياض، ج: 3، ص: 305.**

فقلــتُ لَهُــمْ كُفُّــوا المَــلاَمَ فإنَّــني
تَرَكْــتُ ابن مَرْزوقٍ وأمَّمْــتُ رزَّاقي

ـ هــذه الأبيــات رثى بهــا أحمــد بــن يحــيى الونشريــسي صاحــب المعيــار المغــرب:

لَقَــدْ أظْلَمَتْ فَــاسٌ بَلِ المَغْــربُ كُلُّــهُ
بِمــوْتِ الفَقِيــهِ الوَنْشَرِيــسِي أحْمَــدِ
رَئِيــسُ ذَوِي الفَتْــوَى بِغَيْــرِ مُنَــازِعٍ
وَعَــارِفِ أحْكَــامِ النَّــوَازِلِ الأوْحَــدِ
لَــهُ دُرْبَــةٌ فيهَــا وَرَأْيٌ مُسَــدَّدٌ
بِإرْشَــادِهِ الأعْــلاَمُ في ذَاكَ تَهْتَــدِي
وتَــاللهِ مــا في غَرْبِنَــا اليَــوْمَ مِثْلُــهُ
وَلاَ مــنْ يُدَانِيــهِ بِطُــولِ تَــرَدُّدِ
عَلَيْــهِ مِــنَ الرَّحْمَــنِ أفْضَــلُ رحْمَــةٍ
تَــرُوحُ عَــلَى مَثْــوَاه فَيْضــاً وتَغْتَــدِي

ـ وقــال يرثيــه في أخــرى كذلــك:

أبَعْدَ ابنِ يَحْيَى اليَوْمَ في الغَرْبِ عالِمٌ
يُطَبِّــقُ بِالفُتْيَــا المَفَاصِــلَ مِثْلُــهُ

وَيَعْرِفُ مِنْ فِقْـهِ النَّـوَازِلِ غَايَـةً
يُوَقِّـعُ مِنْهَـا مَـا بِـهِ بَـانَ نُبْلُـهُ
وَإِنْ جِئْت لِلإنْصافِ لَمْ يَبْـقَ مِثْلُـهُ
وهَذا الجَلِيلُ لَيْـسَ يُنْكَـرُ فَضْلُـهُ
فَإِذْ كَانَ جَاءَ المَوْتُ فَالصَّبْرُ وَالرِّضَا
عَلَى مَا قَضَى الخَلاَّقُ فَالْحَوْلُ حَوْلُهُ

ـ وقال في مرثية ثالثة للتنسي أيضـاً:

رَأَيْتُ نُجُومَ الدِّيـنِ تَبْـكِي حَزِينَـةً
عَلَى فَقْدِ حَبْرٍ كانَ قُطْبَ أولى العلْيا
فقلتُ: وَمَنْ هذَا؟ فَقالَـتْ مُجيبَـةَ:
علَى الوَنْشَرِيسِيِّ رَئِيسِ ذَوِي الفُتْيَـا
فَصِحْنَا وَقُلْنَـا: وَيْلَنَـا ثُـمَّ وَيْلَنَـا
علَى فَقْـدِهِ مُذْ غابَ أظْلَمَتِ الدُّنْيَـا
عَلَيهِ مِنَ الرَّحْمَـنِ أفْضَـلُ رحْمَـةٍ
تعاهَدُ مَثْـواهُ مَعَ الجَـوْدِ والسُّقْيَـا

ـ وفي رابعـة المـراثي قـال ايضـاً:

رَأَيْتُ نُجُوم الدِّيـنِ تَبْـكِي حَزِينَـةً
عَلَى فَقْدِ مَنْ قَدْ كانَ قُطْـبَ زَمانِـهِ

فقلتُ: ومَنْ هَــذا؟ فقَالَــتْ مُجيبَــةً:

عَــلَى الوَنْشَرِيــسِيِّ وحيــدِ أوانِــهِ

إِليهِ انْتَهَتْ في الفِقْــهِ كُــلُّ رِياسَــةٍ

ومَعْرِفَــةٍ زِينَــتْ بِحُسْــنِ بَيانِــهِ

وَمُذْ غابَ عَنَّا أظْلَــمَ الكَــوْنُ كُلُّــهُ

وصارَ الضُّحَى لَيْــلاً لِفَقْــدِ عِيانِــهِ

وإنَّ عَــزَائِي فيــهِ لِلْخَلْــقِ كُلِّهِــمْ

خُصوصاً ذَوِي فِقِــهِ لِعِــزِّ مَكانِــهِ

ـ مــدح الفقيــه أحمــد العبــادي بقولــه:

وَمَنْ مِثْلُه في العِلْــمِ يُبْــدي فُنونَــهُ

مَعَ الدِّينِ والتَّقْوَى على صِغَرِ السِّنِّ

فَأَثْبَتَــهُ المَــوْلَى وأثْبَــتَ أمْــرَهُ

وَزَكَّى عُلوماً حازَ في غَيْرِ ما فَــنِّ

ـ وقــال في تلمســان عصــره:

تِلِمْســانُ أرْضٌ لاَ تَلِيــقُ بِحَالِنَــا

ولَكِنَّ لُطْفَ اللهِ نَسْــأَلُ في القَضَــا

وكَيْفَ يُحِبُّ المَرْءُ أرْضاً يَسُوسُهَــا

يَهُودٌ وَفُجَّــارٌ وَمَنْ لَيْسَ يُرْتَــضَى

ـ وقـــال أيضـــاً عـــن تلمســـان في أيامـــه:

غرِيبٌ في تِلِمْسَـــانِ وحِيــدٌ

مِنَ الأحْبَابِ لَيْسَ لَهُ مُشَاكِـــلْ

وَكَمْ فِيهَا مِنَ الأصْحَابِ ولَكِنْ

عَدِمْتُ بِهَا المُنَاسِب وَالمُمَاثِلْ

***

محمد بن عبد الرحمن
الحوضي التلمساني (ابو عبد الله)

وصفه ابن مريم بقوله: ((**الفقيه العالم الأصولي الشاعر المكثر؛ له نظم في العقائد شرحه الإمام السنوسي، وله غيره، ووقع اسمه في المعيار؛ قال الونشريسي في وفياته: توفي في ذي القعدة عام** 910هـ [الموافق لـ1505م]))[1]. ولد الحوضي بتلمسان في تاريخ غير معروف؛ ونشأ بمسقط رأسه؛ أين كان يتنقل بين حلقات دروس شيوخ العلم. وكان متفوقاً في فنون الأدب وعلوم اللغة. وله قصائد عديدة في أغراض متنوعة؛ كما قام بإعداد منظومة في العقائد؛ شرحها الإمام السنوسي. وقام أيضاً بتخميس قصيدة لأبي مدين شعيب مطلعها:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا
إرحم عبيداً أكف الفقر قد بسطوا

---

[1] **البستان، ص: 252.**

ـ ومـن شعـر الحـوضي الغـزلي هـذه القصيـدة:

أرِذَاذُ المُـزْنِ مـنْ عَيْـنِ نَـزَلْ
أمْ دُموعُ الشَّـوْقِ إنْ[1] رَقَّ الغَـزَلْ

أبِعَيْـنَيْ دِيمَـةٌ وَكَّافَـةٌ
أمْ شُعَيْـبٌ لِلنَّـوَى مِنْهَـا انْبَـزَلْ

لاَ بَكَـتْ عَيْـنِي وَلاَ أبْـغِي البُكَـا
ضَوْؤُهَـا عَنْ فِعْلِهَـا إنْ لَمْ تَـزَلْ

دَعْ عَـذُولِي اللَّـوْمَ إنِّي شَائِـقٌ
رَقَّ طَبْعِي دُونَ صُنْـعِي في الأزَلْ

أوْ يُنَـسَّى العَهْـدَ قَلْـبٌ دَنِـفٌ
وَالهَـوَى قَبْـلَ النَّـوَى عَنْهُ نَـزَلْ

لاَ تَلُمْـنِي دُونَ عِلْـمِ عَـاذِلِي
فَبِسَمْـعِي صَمَـمٌ عَمَّـنْ عَـذَلْ

إنَّ في نَـارِ هَوَاكُـمْ جَنَّـتِي
لَوْ عَلِمْت الحَبْـلُ مِنْكُـمْ يَتَّصِـلْ

أمِّنُـوا رَوْعَـةَ قَلْـبِي بِاللِّقَـا
فَانْتِظَارُ الوَعْدِ قُـرْبٌ إنْ حَصَـلْ

* * *

---

[1] في نص: ((إذ)).

ـ هذه الأبيات؛ من قصيدة مدح بها الحوضي التلمساني سلطان تلمسان أبا عبد الله المتوكل الزياني:

أَصْبَحَ المُزْنُ مِنْ عَطائِكَ يَحْكِي
يَوْمَ الإِثْنَيْنِ لِلأَنَامِ عَطَاءَ
كَيْفَ يُدْعَى لَكَ الغَمَامُ شَبِيهاً
وَلَقَدْ فُقْتَهُ سَناً وَسَنَاءَ
أَنْتَ تُعْطِي إِذا تُقَصِّرُ مالاً
وَهْوَ يُعْطِي إِذا تَطَوَّلَ مَاءَ

قال صاحب نفح أنها طويلة؛ فاكتفى بما ورد.

***

ـ وهذه قصيدة لزومية للحوضي يرثي بها الإمام محمد بن يوسف السنوسي الحسني:

ما للمنازل أظلمت أرجاؤها
والأرض رجب حين خاب رجاؤها
وأتى عليها النقص من أطرافها
وتراكمت وتعاطفت أرزاؤها

رزء عظيـم خطبـة ومصيبـة

لم نـدر يا للقـوم كيـف عزاؤهـا

فقـد السنـوسي الإمـام محمـد

وهو ابـن يوسف هد منه علاؤهـا

قد كان بحـرا للمعـارف زاخـرا

فانـزاح عنها حيـن بث غطاؤهـا

ودعـا إلى التوحيد دعوة مخلـص

وإلى الشريعـة فاستنـار ضياؤهـا

هذا الذي ورث الـنبي فأصبحـت

علـل الضلال به استفيـد دواؤهـا

هـذا الـذي تبـع النـبي وصبـه

فانجـاب عن سبل الهدى ظلماؤهـا

يـا أيهـا النفـس المقدسـة الـتي

لبقائهـا المحـدود كـان فناؤهـا

يا أوحـد العلمـاء يـا علمـا بـه

كـل العلـوم بـدت لنـا أنحاؤهـا

يـا درة الزهـاد يا غوثـا بـه

يرجي لأمراض القلـوب شفاؤهـا

كم جـاءت الدنيـا تسـوق رئاسـة

يبـغي إليـك تقربـا أبناؤهـا

فأبيت عنهـــا معرضـــا مستحرقـــا

لـــم يخدعـــك جمالهـــا وبهاؤهـــا

وجعلتهـــا نحـــو الجنـــان مطيـــة

وسبيـــل ترحـــال وذاك جزاؤهـــا

مـــن للتآليـــف الـــتي ألفتهـــا

يبـــدي بها ما استشكلـــت قراؤهـــا

من للعلـــوم على اختـــلاف فنونهـــا

يبدي لهـــا نكتـــا يـــروق سناؤهـــا

من القلـــوب إذا صدت وإذا قســـت

تـــأتي مواعظـــه فيذهـــب داؤهـــا

مـــا ذاك إلا من خصائلـــك الـــتي

أعطاكهـــا رب لـــه إعطاؤهـــا

ما شئت من تقوى ومن روع ومـــن

كـــرم ومن شيـــم تـــلا إحصاؤهـــا

واسيت أهل العلـــم حتى أصبحـــوا

وعلـــك مـــن نفقاتهـــم أجراؤهـــا

تعطي وتؤثـــر من ترى ذا حاجـــة

فاعتـــاد رفـــدك دائمـــا فقراؤهـــا

تلقاهـــم متهلـــلا متبسمـــا

فوجدوهـــم بـــاق عليهـــا ماؤهـــا

وينـــال كل النـــاس منـــك نصيبـــه

حـــتى لقـــد بلـــغ المـــراد إماؤهـــا

أخلاقـــك التسليـــم يصحبه الرضى

بـــالله منشـــور عليـــك لواؤهـــا

خلـــق كريـــم لـــم ينـــل يعطيـــه

إلا مـــن المـــولى ينـــال عطاؤهـــا

شهد الأعـــادي كالصديق فأنشـــدوا

ومليحـــة شهـــدت لهـــا أعداؤهـــا

لكن مشيئـــة ربنـــا تجـــري كمـــا

سبق القضاء فـــلا يـــرد قضاؤهـــا

لهفـــا ولهفـــا دائمـــا لـــو أنهـــا

تجـــدي وما تغـــني وكيف غناؤهـــا

إن تكبـــه عيـــن فمـــا أدت لـــه

حقا ولو مـــزج الدمـــوع دماؤهـــا

أو تبكـــه أبـــداً تلمســـان ومـــن

في حوزهـــا ورجالهـــا ونساؤهـــا

لـــم يقـــدروا مقـــداره أنى لهـــم

ولقـــد بكتـــه أرضهـــا وسماؤهـــا

فلمثلـــه يبـــكي الوجـــود مصيبـــة

عظمت فأحزنـــت الورى إغماؤهـــا

هيهـــات للدنيـــا تجـــود بمثلـــه

من شأنهـــا لم يصف قـــط إناؤهـــا

وجـــب العـــزاء بـــه لكل موحـــد

من شأنهـــا لم يصف قـــط إناؤهـــا

ولأهـــل مجلسه خصوصهـــا ابنـــه

شمس نأت عنهم غـــاب ضياؤهـــا

وشيخونـــا العلمـــاء نعـــزي أننـــا

جســـد لـــه أعضاؤهـــم رؤساؤهـــا

ولأهلـــه حـــق العـــزا فبيوتهـــم

مـــن بعـــده لا تتجـــلي ظلماؤهـــا

لكن من الشمس المنيـــرة إن تغـــب

بـــدر الدجـــا خلـــف وفيه سناؤهـــا

يا قلـــب صبـــرا فالمصائب كلهـــا

إن تلقهـــا بالصبـــر خـــف بلاؤهـــا

يا رب قـــدس روحـــه وضريحـــه

ومـــن الجنـــان تحفـــه نعماؤهـــا

وعليـــه مـــن رب الأنـــام تحيـــة

موصلـــة لا تنقـــضي أناؤهـــا

* * *

محمد بن عبد الكريم
ابن محمد المغيلي التلمساني

ينتمي صاحب الترجمة إلى قبيلة مغيلة البترية الأمازيغية. وولد بتلمسان في عام 790هـ/1425م؛ أين نشأ وترعرع في وسط عائلة نبيلة؛ اشتهرت بالعلم والمحافظة على الدين. زاول دروسه بتلمسان؛ أخذ عن والده مبادئ اللغة العربية؛ من نحو وصرف؛ ثم حفظ على يديه القرآن الكريم، وأخذ عنه أيضاً كتاب الموطأ، وكتاب ابن الحاجب الأصلي. ثم تمدرس ـ بعد والده ـ على الفقيه **محمد بن أحمد ابن عيسى المغيلي** المعروف **بالجلاب التلمساني** (المتوفي سنة 875هـ/1470م)؛ حيث أخذ عنه التفسير والقراءات؛ ثم الفقه المالكي؛ خاصة أن صاحب الترجمة قال أنه ختم على يديه المدونة مرتين؛ كما أخذ عنه أيضاً مختصر خليل، والفرائض. ومن شيوخه في تلمسان كذلك: أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسني التلمساني (المتوفي سنة 825 أو

826هـ/1421 ـ 1422م). ومحمد بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله التلمساني (المتوفي سنة 845هـ/1441م). وأخذ العلم في بجاية عن: الشيخ أحمد بن إبراهيم البجائي (المتوفي سنة 840هـ/1436م، ثم منصور بن علي عثمان، وأبو علي الزواوي المنجلاتي (المتوفي بتونس سنة 846هـ/1442م). وأخذ أيضاً عن علماء آخرين؛ منهم: الفقيه القاضي أبي زكرياء يحيى بن نذير بن عتيق التدلسي؛ الذي تعلم هو الآخر بتلمسان، وولي القضاء بتوات. ثم أخذ عن أبي العباس الوغليسي. وفي مدينة الجزائر أخذ المغيلي عن الإمام المفسر الشهير عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف بن طلحة الثعالبي؛ صاحب تفسير الجواهر الحسان؛ فلازمه المغيلي، وتزوج بابنة الشيخ الثعالبي. وبعد رحلات التزود بالعلم؛ والحرص على اكتساب ما قلّ وفاض من معين العلم والمعرفة؛ أضحى محمد بن عبد الكريم المغلي أحد كبار فقهاء المالكية، ومن المتكلمين، وأصحاب التفسير. كما خط بقلمه مؤلفات كثيرة في: الفقه، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والمنطق، والعربية، والآداب السلطانية، والشعر؛ وقد تصل

مؤلفاتـــه إلى 18 تأليفـــاً؛ أهمهـــا: البــدر المنيــر في علــوم التفسيــر، وشــرح بيــوع الآجــال مــن كتــاب ابــن الحاجــب، ومختصــر تلخيــص المفتــاح، وشرحــه في البلاغــة، وشــرح الجمــل للخونــجي، ومقدمــة في المنطــق، ومنظومــة فــه ـ أيضــاً ـ بعنــوان منهــج الوهــاب؛ خصهــا بثلاثــة شــروح، وتنبيــه الغافليــن عــن مكــر الملبسيــن بدعــوى مقامــات العارفيــن؛ وهــو نقــد للمتصوفيــن؛ حسبمــا يبــدو، ومقدمــة في العربيــة، وكتــاب الفتــح المبيــن، وشــرح خطبــة المختصــر، ورسالــة مصبــاح الأرواح في أصــول الفــلاح؛ الــتي بعــث بهــا إلى علمــاء أقطــار المغــرب؛ لحثهــم عــلى مناهضــة اليهــود، والتصــدي لهيمنتهــم. وكانــت لــه اتصــلات ـ بالمراسلــة ـ ببعــض علمــاء المشــرق. مــن بينهــم جــلال الديــن السيــوطي؛ الــذي اختلــف معــه بخصــوص شرعيــة تعــاطي علــم المنطــق؛ فأرســل إليــه منظومــة؛ يدافــع فيهــا عــن هــذا العلــم، ويعــارض موقــف السيــوطي؛ الــذي كــان لا يجيــز تعلــم المنطــق. ومــن هنــا يتبيــن تفــوق المنهــج العلــمي عنــد المغيــلي؛ الــذي يستنــد إلى المنطــق؛ الفاصــل بيــن مــا هــو حــق ومــا هــو باطــل؛ بالاستنــاد إلى أســس عقليــة.

ولـم يكـن المغيـلي راضيا عـن سلاطيـن المنطقـة آنئـذ؛ وسخـط عـلى سلوكهـم مـع رعيتهـم، كمـا سخـط عـلى مثقـفي عصـره؛ جـراء صمتهـم وتملقلـم للحكـام. الأمـر الـذي حثـه عـلى الهجـرة جنوبـاً؛ نحـو قصـور الصحـراء الطاهـرة العـذراء عـن كـل مـا مـن شأنـه أن يمسـخ حالهـا. فاستقـر لبعـض الوقـت في نـواحي تـوات (ولايـة أدرار حاليـا)؛ وفي تمنطيـط بالـذات. فكـان مجـال عملـه العلـمي منتشـرا في تلـك القصـور الصحراويـة مثـل: تمنطيـط تيكوراريـن، وأسمـلال، وأولـف، وزاويـة كنتـة. وبوجـوده في تلـك المناطـق النائيـة؛ الـتي تقـع في وسـط الطريـق التجـاري بيـن إفريقيـا السـوداء والشمـال الإفريـقي؛ تعـرف عـلى أهميـة المنطقـة استراتيجيـاً؛ كمـا اكتشـف الـدور الخطيـر الـذي يمثلـه يهـود تلـك الجهـات؛ حيـث تبيـن لـه أنهـم بصـدد إقامـة كيـان لهـم في أرض الإسـلام. وعـلى هـذا؛ فقـد شـن ضدهـم حملـة ضاريـة؛ انتهـت بكبحهـم وتقليـص نفوذهـم في بـلاد تـوات. ولمـا حقـق مبتغـاه؛ قـرر الهجـرة نحـو بـلاد السـودان الغـربي وفي مناطـق مـالي والنيجـر الحالييـن: **(تكـدة، وكشـن، وكانـو، والتكـرور، وكاغـو)**؛ أيـن أضـحى لـه تأثيـر عجيـب عـلى سلاطيـن تلـك البـلاد؛ حيـث بـقي منشغـلا بشئـون الدعـوة لجوهـر الإسـلام،

وكرس نفسه للوعظ والإرشاد وتأليف بعض كتب في الدين، وفي الأحكام السلطانية. وحتى إن ظهرت له مواقف ضد المتصوفين الدراويش؛ إلاّ أنه لم يكن ضد الصوفية الإيجابية المستنيرة والناشرة للعلم. وقد ثبت لبعض المحققين أنه كان من المشجعين على نشر الطريقة القادرية في بلاد السودان الغربي؛ بحكم أنه تلقاها عن شيخه وصهره عبد الرحمن الثعالبي.

وقام برحلة للحجاز بغرض أداء فريضة الحج. ولما عاد توجه إلى توات؛ بعد أن وصله خبر مقتل ولده من قبل يهود تلك الديار. بقي يدرس العلم في تلك الجهة إلى أن وافته المنية في عام 909هـ/1503م.

❋ ❋ ❋

شعره

ـ وهـذه أبيـات مـن منظومـة المغيـلي؛ لام بهـا جـلال الديـن السيـوطي عـلى فتـواه بعـدم جـواز قـراءة علـم المنطـق:

سَمِعْـتُ بأمْرِ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِـهِ
وَكُلُّ حَدِيـثٍ حُكْمُـهُ حُكْـمُ أصْلِـه
أيَمْكِـنُ أنَّ المَرْءَ في العِلْمِ حُجَّـة
وَيَنْهَى عَنِ الفُرْقَـانِ في بَعْضِ قَوْلِـه
هَـل المَنْطِـقُ المَعْنِيُّ إلاَّ عِبـارَة
عَن الحَـقّ أوْ تحَقِيقَـهَ حِينَ جَهْلِـه؟
مَعانيه في كلِّ الكَلامِ فَهَلْ تَـرَى
دَليـلاً صحيحـاً لا يـردُّ لشكلِـه؟
أريني هَداك اللَّـهُ مِنْـهُ قَضيَّـة
علَى غَيْـرِ هـذا تنْفِهـا عَنْ مَحلِّـه
ودَعْ عَنْكَ ما أبْدَى كَفُورٌ وذمِّـه
رجـال وإن أثْبَـت صِحَـة نقْلِـه
خُذ الحقَّ حتىَّ منْ كفور ولا تقِمْ
دَليـلاً على شَخص بمذْهَـب مِثْلـه

عرَفْناهُمُ بالحقِ لا العكْسَ فاستَبِنْ

بـــهِ لا بهـــم إذْ هُـــمْ هُـــداة لأجلِـــه

لئِنْ صحَّ عَنْهُمْ ما ذَكَرْت فَكَمْ هُمُ

وكْم عالِـــمِ بالشَّـــرْع باحَ بِفَضْلِـــه؟

فكل عـــني ما ينبـــغي لكلامـــه

فهذا هو التحقيـــق فارجـــع لعدلـــه

وإلا فدم برهان تضليل بعضهـــم

على منهج ينجيـــك عن ســـم نبلـــه

* * *

ــ فأجابـــه السيـــوطي:

حَمدتُ إلَهَ العَرْشِ شُكْـــراً لِفَضْلِـــهِ

وأهْـــدي صـــلاةً للنَّـــبيِّ وأهْلِـــه

عجبْـــتُ لِنَظْـــمِ ما سَمعْتُ بِمِثْلِـــهِ

أتَـــاني عـــن حَبْـــرٍ أقِـــرٌّ بِنُبْلِـــه

تَعَجَّـــبَ مِنِّي حينَ ألفـــتُ مُبْدعـــا

كتابـــا جموعـــا فيه جـــمٌّ بنقلـــه

أقــررُ فيه النــّهْيُ عن علْمِ مَنْطِــقِ

وما قالَــهُ من قال من ذمٍّ شكْلِــه

وسمَّــاهُ بالفرقان ياليْــت لم يَكُــنْ

فــذَا وصْفُ قُــرْآنٍ كَريمٍ لِفَضْلِــه

وقــدْ قــال مُحْتجا بغيــرِ رِوايَــةٍ

مَقــالاً عجيباً نائيــاً عَــنْ مَحَلــّه

ودَعْ عنك ما أبْدَى كفور وبَعْــدَ ذا

خُــذِ الحَقَّ حَتىَّ مِنْ كفور بِخَتْلِــه

وقدْ جاءَتِ الآثارُ في ذَمٍّ مَنْ حَــوَى

عُلــومَ يَهُــودٍ أوْ نَصارَى لأجْلِــه

يَحــوزُ بِــهِ عِلمــاً لدَيْــهِ وإنَّــهُ

يُعَــذبُ تَعْذيبــاً يَليــقُ بِفِعْلِــه

وقَدْ مَنَــعَ المُخْتار فاروق صحْبــه

وقَدْ خَطَّ لَوْحاً بَعْدَ تَــوْراةِ أهْلــه

وكَمْ جَاءَ مِنْ نَهْيِ اتِّبَــاعِ لِكافِــرِ

وإنْ كانَ ذاكَ الأمْرُ حقــاً بِأصْلــه

أقَمْت دَليلاً بالحَديــثِ ولَــمْ أقِــمْ

دَليلاً عَلى شَخصِ بمَذْهَــبِ مِثْلِــه

سَــلامٌ عَلى هذا الإمامِ فَكَــمْ لــهُ
لَــدَيَّ ثنــاءٌ واعْتــرِافٌ بِفَضْلِــه

* * *

ـ مــن مؤثــور مــا قالــه شعــراً، وتداولــه بيــن النــاس غربــاً وشرقــاً؛ حــتى عومــل معاملــة المثــل السائــر قولــه هــذا البيــت الشهيــر:

كُلُّ العَــدَاوَةِ قَدْ تُــرْجَى مَوَدَّتِهَــا
إلاَّ عَــدَاوَةَ مَنْ عَــادَاكَ فِي الدِّيــنِ

* * *

كشف عام

بالمصادر والمراجع

ـ **ابن تومرت**؛ لرشيد بورويبة، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1982م

ـ **أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره**؛ لعبد الحميد حاجات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1394هـ/1974م.

ـ **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**؛ ـ لأحمد بن عمر بن أبي الضياف (ت: 1291هـ/1845م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، والدار التونسية للنشر، 1396هـ/1976م.

ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**؛ للسان الدين؛ محمد بن الخطيب السلماني (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، تقديم ومراجعة وتعليق بوزياني الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر 2009م.

ـ **أخبار ملوك بني عبيد**؛ محمد بن علي ابن حماد الصنهاجي (ت: 626هـ/1230م)، تحقيق جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1405هـ/1984م.

ـ **أخبار المهدى بن تومرت**؛ لأبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق، تحقيق عبد الحميد حاجيات؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1394هت/1974م
ـ **أخبار المهدى بن تومرت وابتداء دولة الموحدين**؛ لأبي بكر بن علي الصنهاجي البيذق، تحقيق ليفي بروفنسال E. Lévi- Provençal، مكتبة المستشرقين Librairie Orientaliste بباريس 1928م.
ـ **أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السِّفر للسِّلَفِي)**؛ لأحمد بن محمد السِّلَفِي (ت: 576هـ/1180م)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1963م
ـ **الأدب المغربي**؛ ابن تاويت؛ محمد الطنجي، ألفه بالإشتراك مع محمد عفيفي، دار الكتاب اللبناني ببيروت، 1389هـ/1969م.
ـ **الأدب في عصر دولة بني حماد**؛ لأحمد بن محمد أبو رزاق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1979م.
ـ **أزهار الرياض في أخبار عياض:** لأحمد بن محمد التلمساني المقري (ت:1041هـ/1631م)؛ تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1892م ـ 1942م.

ـ **الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**؛ لأحمد بن خالد الناصري السلاوي (ت:1315هـ/1897م)، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب بالدار البيضاء بالمغرب، 1954 ــ 1956م.

ـ **أعز ما يطلب**؛ محمد بن عبد الله المهدي ابن تومرت (ت: 424هـ/1129م)، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1406هـ/1985م.

ـ **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)**؛ لخير الدين الزركلي، مطبعة كوستا توماس وشركاه (1373هـ/1954م ـ 1378هـ/1959م).

ـ **إعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**؛ للسان الدين؛ محمد السلماني ابن الخطيب (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، (القسم المخصص لتاريخ إسبانيا الإسلامية)؛ تحقيق لعبيدي بو عبد الله، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر 2009م.

ـ **إعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**؛ للسان الدين؛ محمد السلماني ابن الخطيب (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م) (القسم المخصص لتاريخ المغرب العربي)، تحقيق الشريف مريبعي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر 2009.

ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة**؛ لأبي الحسن علي ابن يوسف القِفْطي (ت: 624هـ/1226م)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت 1406هـ/1986م.
ـ **الأنساب**؛ لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت: 562هـ/1166م)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان ببيروت 1408هـ/1988م.
ـ **أنس الفقير وعز الحقير**؛ لأحمد بن الحسين الخطيب المعروف بابن قنفذ (ت: 810هـ/1406م)، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس بالرباط 1965.
ـ **أنس الوحيد ونزهة المريد**؛ لأبي مدين شعيب (ت: 594هـ/1197م)، تحقيق خالد زهري، دار الكتب العلمية ببيروت 1424هـ/2004م.
ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس**؛ لعلي بن عبد الله الشعير بابن أبي زرع، أو عبد الحليم ابن صالح، مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر. ثم نسخة مطبوعة؛ تحقسق كارل يوحنا تورنبورغ، دار الطباعة المدرسية، أوبسال بالسويد، 1359هـ/1943م.
ـ **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**؛ للحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1995م.

ـ **البداية والنهاية**؛ لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير الدمشقي (701 ـ 774هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بمصر 1998م.
ـ **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**؛ لمحمد الشريف المليتني المديوني ابن مريم (كان حيا سنة 1025هـ/1611م)، تحقيق محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية بالجزائر، 1326هـ/1908م.
ـ **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**؛ ليحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون (ت: 780هـ/1378م)، تحقيق ألفرد بل، والغوثي أبو علي، مطبعة فنطانة الشرقية بالجزائر، ج: 1، 1321هـ/1903م، وج: 2، 1328هـ/1910م، والنسخة المحققة للجزء الأول من طرف عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، 1400هـ/1980م. أما الجزء الثاني فحققه بوزياني الدراجي؛ برعاية وزارة الثقافة الجزائرية، وإنجاز دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر سنة 2006م.
ـ **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**؛ لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت: 599هـ/1202م)، مكتبة المثنى ببغداد، وطبع بمطبعة روخس بمدريد 1884م.
ـ **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي**؛ لإبراهيم العدوي، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1970م.

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**؛ لمحمد المراكشي ابن عذاري (ت: 669هـ/1272م)، تحقيق ليفي بروفنسال، وكولان، وإحسان عباس، دار الثقافة، ببيروت، 1967م.
- **تاريخ إفريقيا الشمالية**؛ شارل أ ندري جوليان، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر بتونس والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1978م ـ 1983م.
- **تاريخ إفريقية والمغرب**؛ لإبرهيم ابن القاسم الرقيق القيرواني (ت: بعد 417هـ/1026م)، تحقيق المنجي الكعبي، نشر رفيق السقطي بتونس 1968م.
- **تاريخ الأمم والملوك**؛ لمحمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ/923م)، مكتبة خياط ببيروت.
- **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**؛ وهو الكتاب المطبوع لـ (**نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم مما مضى من الزمان**؛ لمحمد بن عبد الله التلمساني التنسي (ت: 899هـ/1493م)، بتحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1985م.
- **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10 إلى القرن 14هـ**؛ سعد الله؛ أبو القاسم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، بالجزائر 1401هـ/1981م.

ـ **تاريـــخ الجزائـــر العـــام**؛ لعبـــد الرحمـــن الجيـــلالي، دار الثقافـــة ببيـــروت 1400هـــ/1980م.
ـ **تاريـــخ الجزائـــر في القديـــم والحديـــث**: مبـــارك بـــن محـــمد الميـــلي، الشركـــة الوطنيـــة للنشـــر والتوزيـــع، الجزائـــر، 1976م.
ـ **تاريـــخ الدولتيـــن الموحديـــة والحفصيـــة**؛ لمحمـــد بـــن إبراهيـــم اللؤلـــؤي الزركـــشي (كـــان حيـــا سنـــة 894هـــ/1488م)، تحقيـــق محمـــد ماضـــور، المكتبـــة العتيقـــة بتونـــس 1966م.
ـ **تاريـــخ علمـــاء الأندلـــس**؛ لعبـــد اللـــه بـــن محمـــد الأزدي ابـــن الفـــرضي (ت: 403هـــ/1012م)، الـــدار المصريـــة للتأليـــف والترجمـــة 1966م.
ـ **تاريـــخ قضـــاة الأندلـــس (وهـــو كتـــاب المرقبـــة العليـــا فيمـــن يستحـــق القضـــاء والفتيـــا)**: عـــلي بـــن عبـــد اللـــه النـــبّـــاهي الأندلـــسي (ت: بعـــد 793هـــ/1390م)، المكتـــب التجـــاري للطباعـــة والنشـــر والتوزيـــع، بيـــروت.
ـ **تاريـــخ المـــدن الثـــلاث: الجزائـــر، لمديـــة، مليانـــة**؛ لعبـــد الرحمـــن الجيـــلالي ، مطبعـــة صـــاري بـــدر الديـــن وأبنائـــه بالجزائـــر 1392هـــ/ 1972م.

ـ **تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الإزدهار والذبول**؛ لمحمد الهادي العامري ، الشركة التونسية للتوزيع بتونس 1974م.
ـ **تاريخ المغرب الكبير**؛ لمحمد علي دبوز، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة 1963م ـــ 1974م.
ـ **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم من الوارثين، وظهور المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة أمير المؤمنين وأخيرا (بعض) الخلفاء الراشدين**؛ لعبد الملك ابن صاحب الصلاة (كان حيا سنة 594هـ/1198م)، تحقيق عبد الهادي التازي، ج: 2، دار الأندلس للطباعة والنشر ببيروت 1383هـ/1964م.
ـ **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية**؛ أطروحة جامعية لبشاري لطيفة، معهد التاريخ بجامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986 ـ 1987م.
ـ **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**؛ لمحمد بن عبد القادر الجزائري ، دار اليقظة العربية ببيروت 1384هـ/1964م.
ـ **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**؛ محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة (ت: 779هـ/1377م)، تحقيق علي المنتظر الكتاني، مؤسسة الرسالة ببيروت، 1395هـ/1975م.

ـ **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**؛ لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات (ت: 617هـ/1220م)، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1997م.
ـ **التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً**؛ لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن خلدون (ت: 808هـ/1405م)، تحقيق محمد الطنجي ابن تاويت، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، 1370هـ/1951م.
ـ **تقويم البلدان**؛ للسلطان أبي الفداء عماد الدين إسماعيل الحموي، صححه وطبعه ماك قوكين دوسلان، ورينود، دار الطباعة السلطانية بباريس 1840م.
ـ **التكملة لكتاب الصلة**؛ لمحمد بن عبد الله البلنسي الشهير بابن الأبار (ت: 658 أو 659هـ/1260م)، مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد 1956م.
ـ **تلمسان عبر العصور (دورها في السياسة وحضارة الجزائر)**؛ لمحمد بن عمرو الطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1405هـ/1984م.
ـ **تلمسان في العهد الزياني**؛ لعبد العزيز فيلالي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية بالجزائر، 2002م.

ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**؛ لأحمد بن محمد بن أبي العافية المعروف بابن القاضي المكناسي (ت: 960 ـ 1025 هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط 1973م.
ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**؛ لمحمد بن أبي نصر الأزدي الحميدي (ت: 488هـ/1095م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.
ـ **جمهرة أنساب العرب**؛ علي بن أحمد الأندلسي ابن حزم (ت: 456هـ/1063م)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر 1382هـ/1962م.
ـ **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 ـ 1792م)**؛ لأحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1976م.
ـ **الحلل السندية في الأخبار التونسية**؛ لمحمد بن محمد الأندلسي السراج (ت: 1149هـ/1736م): تحقيق محمد الحبيب الهيله، الدار التونسية للنشر بتونس 1970 ـ 1973م.
ـ **خريدة القصر وجريدة العصر (قسم المغرب والأندلس**؛ لمحمد بن محمد الأصفهاني (ت: 597هـ/1200م)، تحقيق محمد المرزوقي، وآخرين، الدار التونسية للنشر بتونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1971 ـ 1972 ـ 1973م.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية:** محمد ثابت الفندي وآخرون، القاهرة، 1933م.
ـ **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**؛ لأحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.
ـ **درة الحجال في أسماء الرجال (وهو ذيل وفيات الأعيان)**؛ لأحمد بن محمد المكناسي ابن القاضي (ت: 1025هـ/1616م)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس 1970 ـ 1971م.
ـ **دليل المؤرخ في المغرب الأقصى**؛ لعبد السلام ابن سودة، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1380هـ/1960م.
ـ **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**؛ لمحمد ابن عميرة، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.
ـ **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية:** لموسى لقبال، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
ـ **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**؛ لإسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1983م،

ـ **دولة الإسلام في الأندلس (العصور: الأول، والثاني، والثالث، والرابع)**؛ لمحمد عبد الله عنان: لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة 1380هـ/1960م ـ 1389هـ/1969م.
ـ **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**؛ لعبد الحليم عويس، دار الشروق ببيروت 1400هـ/1980م.
ـ **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**؛ لإسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر وتوزيع بالجزائر 1980م،
ـ **الدولة الحمادية وحضارتها**؛ لرشيد بورويبة، ديوان المطبوعات الجامعية، والمركز الوطني للدرسات التاريخية.
ـ **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن ابن علي**؛ لعبد الله علام، دار المعارف بمصر 1971م.
ـ **دول الخوارج والعلويين في بلاد والأندلس**؛ لبوزياني الدراجي، دار الكتاب العربي بالجزائر 2002م.
ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**؛ لإبراهيم بن علي المالكي ابن فرحون؛ (ت: 799هـ/1396م)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة 1972م.

ـ **ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب**؛ تحقيق علي سامي النشار، منشات المعارف بالأسكندرية 1960م.
ـ **ديوان أبي مدين شعيب**؛ منشور في المكتبات الإلكترونية.
ـ **ديوان الشاب الظريف**؛ لمحمد بن سليمان الكومي التلمساني (661هـ/1263م ـ 688هـ/1289م)، طبع ديوانه مرات عديدة في دمشق والقاهرة. وأكثر شعره منشور في المكتبات الإلكترونية.
ـ **ديوان الصبابة**؛ لأحمد بن يحيى بن أبي حجلة، (725هـ/1325م ـ 776هـ/1375م)، طبع بهامش كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق لداود الأنطاكي. وهو متوفر الآن في مكتبات إلكترونية.
ـ **ديوان عفيف الدين التلمساني**؛ لسليمان بن علي الكومي التلمساني الشهير بعفيف الدين (610هـ/1213م ـ 690هـ/1291م)، تحقيق يوسف زيدان، دار الشروق بالقاهرة.
ـ **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**؛ علي الشنتريني الأندلسي ابن بسام (ت: 542هـ/1147م)، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1395هـ/1975م ـ 1399هـ/ 1979م.

ـ **ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان**؛ لحسين بن علي خوجة (ت: 1145هـ/1732م)، تحقيق الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1975م.

ـ **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**؛ لمحمد ابن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت: 703هـ/1303م)، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ببيروت 1965م.

ـ **رحلة التيجاني**؛ التجاني؛ لمحمد عبد الله التيجاني (كان حيا سنة 717هـ/1317م)، الدار العربية للكتاب بليبيا وتونس 1981م.

ـ **رسائل ابن الخطيب**؛ للسان الدين بن الخطيب السلمان (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، بعناية مجموعة أساتذة، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر 2009م.

ـ **رسالة افتتاح الدعوة**: القاضي أبو حنيفة النعمان ابن محمد بن حيون (ت: 363هـ/973م)؛ تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970م.

ـ **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**؛ لمحمد بن عمرو الطمار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1404هـ/1983م.
ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**؛ لمحمد باقر الوسوي الخونساري الأصبهاني، الدار الإسلامية ببيروت 1411هـ/1991م.
ـ **روضة التعريف بالحب الشريف**؛ للسان الدين بن الخطيب السلماني (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، تعليق حسن سعدودي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر 2009م.
ـ **روضة النسرين في أخبار بني مرين**؛ إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر (ت: 807هـ/1406م)، تحقيق جورج مارسي، وغوثي بوعلي باريس 1336هـ/1917م.
ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع مسرد عام)**؛ لمحمد بن عبد المنعم الحميري (ت: 727هـ/1326م)، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ببيروت 1975م.
ـ **سير أعلام النبلاء**؛ لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبي (ت: 748هـ/1347م)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، دار المعارف بمصر 1955م ـ 1957 ـ 1962م.

ـ **شذرات الذهب في من أخبار من ذهب**؛ لعبد الحي الحنبلي ابن العماد (ت: 1089هـ/1678م)، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت.
ـ **صبح الاعشى في صناعة الإنشاء**: أحمد بن علي القلقشندي (821هـ/1418م)، المؤسسة المصرية العلمية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.
ـ **صلة الصلة**؛ أحمد بن إبراهيم الأندلسي ابن الزبير (ت: 708هـ/1308م)، مكتبة خياط ببيروت.
ـ **طبقات علماء إفريقية وتونس**؛ لمحمد بن أحمد القيرواني أبو العرب (ت: 333هـ/944م)، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني الدار التونسية للنشر 1968م.
ـ **العالم الرباني أبو مدين شعيب التلمساني**؛ لمحمد الطاهر علاوي، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر 2011م.
ـ **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**؛ لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد ابن الحسن ابن خلدون (ت: 808هـ/1405م)، دار الكتاب اللبناني ببيروت، مج: 1، 1967م، ومج: 2، 3، 1977م، ومج: 4، 1968م، ومج: 5، 6، 7، 1968م.

ـ **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**؛ لعبد الرحمن الجبرتي، تحقيق حسن محمد جوهر وآخرين، لجنة البيان العربي القاهرة 1958م.
ـ **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**؛ عبد الكريم جودت، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1984م.
ـ **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**: عبد العزيز فيلالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
ـ **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**؛ أحمد بن أحمد الغبريني (ت: 714هـ/1315م)، تحقيق عادل نويهض، لجنة التأليف والترجمة والنشر ببيروت 1969م.
ـ **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**؛ لأبي الحسن علي بن موسى الأندلسي ابن سعيد (610 ـ 685هـ)، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار المعارف بمصر 1945م.
ـ **الفارسية في مباديء الدولة الحفصية**؛ لأحمد بن الحسين ابن القنفذ (ت: 810هـ/1406م)، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م،

ـ **فتـوح البلـدان**؛ لأحمـد بـن يحـيى البـلاذري (ت: 279هــ/892م)، تحقيـق صــلاح الديــن المنجــد، مكتبــة النهضــة المصريــة بالقاهــرة.
ـ **فتـوح مصـر والمغـرب**؛ لعبـد الرحمـن بـن عبـد اللــه ابـن عبـد الحكـم: (ت:257هـ/871م)، تحقيـق عبـد المنعـم عامـر، لجنـة البيـان العـربي بالقاهـرة، 1961م.
ـ **الفـرق الإسلاميـة في الشمـال الإفريـقي مـن الفتـح العـربي حـتى اليـوم**؛ لألفـرد؛ بـل، ترجمـة عبـد الرحمـن بـدوي، دار الغـرب الإسـلامي ببيـروت 1181م.
ـ **فهرسـت الرصـاع**؛ لمحمـد الأنصـاري الرصـاع (ت: 894هــ/1488م)، تحقيـق محمـد العنـابي، المكتبـة العتيقـة بتونـس 1967م.
ـ **فـوات الوفيـات والذيـل عليهـا**؛ لمحمـد بـن أحمـد الكتـبي ابـن شاكـر (ت: 764هــ/1362م)، تحقيـق إحسـان عبـاس دار الثقافـة ببيـروت 1973 ــ 1974م.
ـ **في تاريـخ المغـرب والأندلـس**: أحمـد مختـار العبـادي، دار النهضــة العربيــة للطباعــة والنشــر، بيـروت، 1978م.
ـ **القبائـل الأمازيغيـة**: لبوزيـاني الـدراجي؛ دار الكتـاب العـربي، الجزائـر، (ج: 1: 1999م ــ وج: 2: 2000م).
ـ **القبائـل العربيـة في المغـرب (في عصـر الموحديـن وبـني مريـن)**؛ لأحمـد عمـر أبـو ضيـف ، ديـوان المطبوعــات الجامعيــة بالجزائــر، 1403هــ/1982م.

ـ **قبائل المغرب**؛ لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط، 1388هـ/1968م.
ـ **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**؛ الفتح بن محمد الإشبيلي ابن خاقان (ت: 529هـ/1134م)، المكتبة العتيقة بتونس 1966م.
ـ **الكامل في التاريخ**؛ لعلي بن أبي المكارم الجزري ابن الأثير (ت: 630هـ/1332م)، دار الكتاب العربي ببيروت، 1403هـ 1983م.
ـ **كتاب الجغرافيا**؛ لعلي بن موسى ابن سعيد: (ت: 685هـ/1274م) تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1403هـ/1982م.
ـ **كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان**؛ لأبي مدين شعيب وآخرين، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر 1394هـ/1974م.
ـ **كتاب الصلة**؛ خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت:578هـ/1182م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.
ـ **كتاب الوفيات**؛ لأحمد بن الحسين ابن قنفذ (ت: 810هـ/1406م)، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة ببيروت 1403هـ/1983م.

ـ **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**؛ للسان الدين بن الخطيب السلماني (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، بعناية محمد شايب شريف دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر 2009م.
ـ **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**؛ للسان الدين ابن الخطيب السلماني (713هـ/1313م ـ 776هـ/1374م)، بعناية محمد شايب شريف، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع بالجزائر، 2009م.
ـ **ما سما إليه الناظر المطرق في خير الرحلة الى بلاد المشرق (الرحلة المغربية)**؛ لمحمد بن محمد البلنسي العبدري (كان حيا سنة 688هـ/1289م.)، تحقيق أحمد بن جدو، كلية الآداب، بالجزائر.
ـ **مجموع النسب والحسب والتاريخ والأدب**؛ محمد بلهاشمي الغريسي ابن بكار، المطبعة الخلدونية بتلمسان، 1381هـ/1961م).
ـ **المدن المغربية**؛ لإسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، 1984م.
ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**؛ لعبد الله بن أسعد اليافعي اليمني المكي (ت: 768هـ)، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية ببيروت 1417هـ/1997م.
ـ **المرابطون تاريخهم السياسي**؛ شعيرة؛ محمد عبد الهادي، مكتبة القاهرة الحديثة.

ـ **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**؛ لمحمد (الرابع) بن أحمد ابن مرزوق (ت: 781هـ/1379م)، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981م.

ـ **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**: لعبد الواحد ابن علي التميمي المراكشي (كان حيا سنة 621هـ/1224م)؛ ضبط وتصحيح محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

ـ **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980م.

ـ **معجم البلدان**: أبو عبد الله الرومي البغدادي المعروف بياقوت الحموي (ت: 626هـ/1228م)، دار صادر، بيروت، 1977م.

ـ **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978م.

ـ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**؛ جمعه يوسف إلياس سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346هـ/1928م.

ـ **المغرب عبر التاريخ**؛ إبراهيم حركات ، مطبعة دار السلمي بالدار البيضاء بالمغرب 1384هـ/1965م،

ـ **المغرب العربي تاريخه وثقافته**؛ لبونار رابح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1969م.

ـ **المغرب في حلى المغرب**؛ لعلي بن موسى ابن سعيد: (ت: 685هـ/1274م)، بمشاركة آخرين؛ تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، 1384هـ/1964م.

ـ **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من أجزاء كتاب المسالك والممالك)**؛ لعبد الله بن عبد العزيز البكري (ت: 487هـ/1094م): تحقيق ماك قوكين دي سلان MAC GUCKIN DE SLANE، مكتبة أمريكا والشرق بباريس Librairie D'Amérique et D'Orient, Paris، 1965م.

ـ **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**؛ وهي القطعة الثانية؛ لحيان بن خلف بن حسين القرطبي ابن حيان (ت: 479هـ/1076م): تحقيق عبد الرحمن علي حجي، دار الثقافة ببيروت 1965م.

ـ **المقتبس من أبناء أهل الأندلس**؛ حيان بن خلف ابن حسين القرطبي ابن حيان (ت: 479هـ/1076م)، وهي القطعة الأولى التي حققها محمود علي مكي، دار الكتاب العربي ببيروت 1393هـ/1973م.
ـ **مقتبس من نزهة المشتاق (القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس)**؛ لمحمد بن عبد الله الحمودي السبتي الإدريسي (يكون قد توفي سنة 560هـ/1164م)، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، 1983م.
ـ **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**؛ لجمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي (ت: 874هـ/1470م)، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب باقاهرة 1986م.
ـ **نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى (منتخبة من المجموع المسمى بكتاب مفاخر البربر:** لمجهول عاش في سنة 712هـ (وربما كان لأبي علي صالح بن عبد الحليم؛ حسب تحقيق موسى لقبال)؛ تحقيق ليفي بروفنسال 1934م.
ـ **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**؛ إسماعيل ابن يوسف ابن الأحمر (ت: 807هـ/1406م)، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة ببيروت 1967م.

- **النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصـر والقاهـرة؛** أبـو المحاسـن يوسـف الأتابـكي ابـن تَغْـرِي بَـرْدِي (ت: 874هـ/1469م)، المؤسسـة المصريـة العامـة للتأليـف والترجمـة والطباعـة والنشـر 1383هـ/1963م.
- **النظـام السيـاسي والحـربي في عهـد المرابطيـن؛** إبراهيـم حركـات: مكتبـة الوحـدة العربيـة الـدار البيضـاء.
- **نظـم الحكـم والرسـوم في دولـة بـني عبـد الـواد الزيانيـة؛** لبوزيـاني الـدراجي، ديـوان المطبوعـات الجامعيـة 1993م.
- **نظـم الـدر والعقيـان في بيـان شـرف بـني زيـان وذكـر ملوكهـم الأعيـان ومـن ملـك مـن أسلافهـم ممـا مـضى مـن الزمـان؛** التنـسي؛ محمـد بـن عبـد اللـه التلمسـاني (ت: 899هـ/1493م)، مخطـوط،الخزانـة العامـة بالربـاط.
- **نفـح الطيـب مـن غصـن الأندلـس الرطيـب وذكـر وزيرهـا لسـان الديـن بـن الخطيـب:** أحمـد بـن محمـد التلمسـاني المقـري (ت: 1041هـ/1631م)؛ تحقيـق إحسـان عبـاس، دار صـادر، بيـروت، 1968م.

ـ **نيـل الابتهـاج بتطريـز الديبـاج**؛ لأحمـد بابـا التنبكـتي (963 ـ 1036هـ)، إشـراف وتقديـم عبـد الحميـد عبـد اللـه الهرامـة؛ مـع مجموعـة مـن طلبـة كليـة الدعـوة الإسلاميـة بطرابلـس 1989م.
ـ **واسطـة السلـوك في سياسـة الملـوك**؛ لمـوسى بـن يوسـف بـن عبـد الرحمـن الزيـاني أبـو حمـو الثـاني (ت:791هـ/1388م)، مخطـوط بالمكتبـة الوطنيـة بالجزائـر.
ـ **واسطـة السلـوك في سياسـة الملـوك**؛ لمـوسى بـن يوسـف بـن عبـد الرحمـن الزيـاني أبـو حمـو الثـاني (ت:791هـ/1388م)، نسخـة مطبوعـة بمطبعـة الدولـة التونسيـة بتونـس، 1279هـ/1862م.
ـ **الـوافي بالوفيـات**؛ لصـلاح الديـن خليـل بـن أيبـك الصفـدي (ت: 764هـ/1362م)، تحقيـق أحمـد الأرنـاؤوط وتـركي مصـطفى، دار إحيـاء التـراث العـربي ببيـروت 1420هـ/2000م.
ـ **وصـف إفريقيـا**: الحسـن بـن محمـد الـوزان الفـاسي الشهيـر بليـون الأفريـقي (ت: بعـد 957هـ/1550م)؛ ترجمـه عـن الفرنسيـة: محمـد حـجي، و محمـد الأخضـر، دار الغـرب الإسـلامي، بيـروت 1983م.

ـ **وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان**؛ لأحمـد بـن محمـد ابـن خلكـان (ت: 681هـ/1282م)، تحقيـق إحسـان عبـاس، دار صـادر ببيـروت. ج:1، 1968م، ج: 2، 1969م، ج:3، 1970م، ج: 4، 5، 6، 1971،7م، ج: 8، 1972م.

***

ـ المراجـع باللغـة الأجنبيـة:

- BRUNSCHVIG ROBERT: - **La Berbérie Orientale Sous Les Hafsides** (Des Origines à la fin du XVème siécle) Librairie D'Amérique et D'Orient, Andrien Maisonneuve, Paris, 1982. et - **Deux Récits de voyage inedits en Afrique du Nord**. (Abdelbasit Ben Khalil et Adorne), Paris, 1936.
- DHINA ATALLAH: **Les Etats De L'Occident Musulman (Aux XIIIème, XIVéme, XVéme siécles).** Office des Publications Universitaires, Alger, 1984. et - **Le Royaume Abdelouadide à l'époque D'Abou Hammou Moussa 1er, et D'Abou Tachfin 1er**, Office des Publications Universitaires, Alger, 1985.
- JEAN LEON LAFRICAIN: - **Description de L'Afrique.** Librairie d'Amérique et D'Orient Maisonneuve, Paris 1981.
- KADDACHE; MAHFOUD: - **L'Algérie Medievale.** S. N. E. D. Alger.1982.
- LEVI-PROVENCAL: - **Documents inédits. D'Histoire Almohade**, Librairie Orientaliste. 1928. et - **LE Musnad D'ibn Marzuk**. Emile Larose Editeur, Paris. 1925.
- L'ABBE J. J.L. BARGES. Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom

فهرس الموضوعات

(جزء 4)


الناشيء

